

Hasan Hüsnü Ps
45

روی عن النبی صلی الله علیه وآله انه قال من ظلم
اجیرا اجرته فقد احبط الله عمله
صدق الله
وصدق
رسوله

Süleymaniye U. Kütüphanesi
Hasan Hüsnü Pş.

Süleymaniye U. Kütüphanesi
Hasan Hüsnü Pş.

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين رب يسر واعن

الحمد لله الذي ارتفعت على مطارح الفكر جلالته وجلت عن مطامح الهمم عزته وتعالت عن مشابه الانام صفته
واعجزت مدارك الافهام حكمته وفاقت مبالغ الاوهام عظمته الذي له في كل ما راته الابصار اللواحظ وذكرته
الالسن اللوافظ وبلغته العقول الذواكي وعرفته القلوب الواعية آيات واضحة على وحدانيته ودلالات
ناطقة بربوبيته الواحد لا ثاني له في القدم المحدث للاشياء بعد العدم انشاها بلا احتذاء روية آل اليها ولا
غريزة اضمر عليها هو الظاهر عليها بسلطانه وقدرته الناظر لها بعلمه ولطيف صنعته الاول الذي لا يتقدمه
قبل الاخر الذي لا يتعقبه بعد لا مانع لما اعطى ولا معطي لما منع ولا ينفع ذا الجد منه الجد احمده على الآية
المتوالية المتظاهرة ونعمه الباطنة والظاهرة حمدا يستدر شآبيب جوده الهاطلة ويمتري اخلاف
فضله الحافلة حمدا لا يبيد ولا يبيد ويستدعي بلبله المزيد واشهد انه الواحد الاحد الصمد الذي لم يلد
ولم يولد ولم يكن له كفوا احد واساله باوضح بيان وافصح لسان ان يصلي على نبيه وصفيه وحبيبه
ونجيبه محمد سيد الانبياء والمرسلين وخير الاولين والآخرين المؤكد دعوته بالتاييد المخصوص شريعته
بالتابيد فنسخت بها شرائع الماضين ولا نبي بعده الى يوم الدين وعلى آله وعترته المتفرعين من شجرته المستودعين
حكمته الحافظين لشريعته اعلام الاسلام وائمة الانام ما اعتقبت الليالي والايام واختلف الضياء والظلام
ثم الحمد لله الذي انزل القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان نورا لا يخبو توقد مصابحه وضياء
لا اصباح ودليلا لا يخمد برهانه وحقا لا يخذل اعوانه وحبلا وثيقا عروته وجبلا منيعا ذروته
وشفاء للصدور ليس وراءه شفاء ودواء للقلوب ليس بعده دواء ومنارا يقتدي بسمته المقتدون وعلما يهتدي
بهديه المهتدون جعله سبحانه لا ينزفه الائمة ينبوعا ولجوب ذوي التجارب من الاسرجا تا
ممرعا ففيه رياض الحكم وانوارها ودينا ببحر العلوم بل بحارها واودية الحق وغيطانه ومرابع العدل
وغدرانه وهو الكتاب العزيز الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد
وبعد فان احق الفضائل بالتعظيم واسبقها في استحقاق التقديم هو العلم اذ لا شرف الا وهو نظامه
ولا كرم الا وهو ملاكه وقوامه ولا سيادة الا وهو ذروتها وسنامها ولا سعادة الا وبه صحتها وقوامها
به يكتسب الانسان رفعة شانه وعلو الامر في حياته ويحرز جزيل الاجر وجميل الذكر بعد وفاته وهو
الصديق اذا خان كل صديق والشفيق اذا لم يوثق بكل ناصح شفيق والعلماء ورثة النبيين وسادة المسلمين
والدعاة الى الدين وقد صح عن النبي صلى الله عليه وآله فيما رواه لنا الثقات بالاسانيد الصحيحة مرفوعا الى الامام
الهدى وكهف الورى ابي الحسن علي بن موسى الرضا عن آبائه سيدا عن سيد واماما عن امام الى النبي صلى الله
عليه وآله عليه السلام انه قال طلب العلم فريضة على كل مسلم فاطلبوا العلم في مظانه واقتبسوه من اهله
فان تعلمه لله حسنة وطلبه عبادة والمذاكرة به تسبيح والعمل به جهاد وتعليمه من لا يعلمه صدقة وبذله لاهله
قربة الى الله تعالى لانه معالم الحلال والحرام ومنار سبيل الجنة والمؤنس في الوحشة والصاحب في
الغربة والوحدة والمحدث في الخلوة والدليل على السراء والضراء والسلاح على الاعداء والزين عند
الاخلاء يرفع الله به اقواما فيجعلهم في الخير قادة تقتبس آثارهم ويهتدى بفعالهم وينتهى الى رايهم ترغب
الملائكة في خلتهم وباجنحتها تمسحهم وفي صلاتها تبارك عليهم ويستغفر لهم كل رطب ويابس حتى حيتان البحر وهوامه
وسباع البر وانعامه ان العلم حياة القلوب من الجهل وضياء الابصار من الظلمة وقوة الابدان من الضعف يبلغ بالعبد

منازل الاخيار ومجالس الابرار والدرجات العلى في الاولى والآخرة الذكر فيه يعدل بالصيام ومدارسته
بالقيام به يطاع الرب ويعبد وبه توصل الارحام وبه يعرف الحلال والحرام العلم امام العمل والعمل تابعه يلهمه السعداء
ويحرمه الاشقياء وطوبى لمن لا يحرمه الله حظه وفي امثال هذه الاخبار كثرة لا اطول بذكرها ثم ان اشرف
العلوم واسناها وابهرها وابهاها واجلها وافضلها واكملها وانفعها علم القرآن فان لجميع العلوم الاصل
منه تتفرع افانينها والعماد عليه تبنى قوانينها وقد قال امير المؤمنين وسيد الوصيين علي بن ابي طالب
عليه السلام القرآن ظاهره انيق وباطنه عميق لا تفنى عجائبه ولا تنقضي غرائبه وقد روي عن عبد الله بن
مسعود انه قال اذا اردتم العلم فاثيروا القرآن فان فيه علم الاولين والآخرين وعن سعيد عن قتادة في
قوله تعالى ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا قال هو القرآن وعن رجا بن حيوة قال كنا يوما انا وابي عند
معاذ بن جبل فقال من هذا يا حيوة قال هذا ابني رجا فقال معاذ هل علمته القرآن قال لا قال فعلمه القرآن
فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول ما من رجل علم ولده القرآن الا توج ابواه يوم القيامة بتاج
وكسيا حلتين لم ير الناس مثلهما ثم ضرب بيده على كتفي وقال يا بني ان استطعت ان تكسو ابويك
يوم القيامة حلتين فافعل وروي عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال من قال في القرآن
بغير علم فليتبوأ مقعده من النار وصح عن النبي برواية العام والخاص انه قال اني تارك فيكم ما ان تمسكتم
به لن تضلوا كتاب الله وعترتي اهل بيتي فانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض وانما احذف اسانيد
امثال هذه الاحاديث ايثارا للتخفيف ولاشتهارها عند اصحاب الحديث وقد خاض العلماء قديما
وحديثا في علم تفسير القرآن فاجتهدوا في ابراز مكنونه واظهار مصونه والفوا فيه كتبا جمة غاصوا
في كثير منها الى اعماق لججه وشققوا الشعر في ايضاح حججه وحققوا في تفتيح ابوابه وتغلغل شعابه
الا ان اصحابنا رضي الله عنهم لم يدونوا في ذلك غير مختصرات نقلوا فيها ما وصل اليهم في ذلك من الاخبار
ولم يعتنوا ببسط المعاني فيه وكشف الاسرار الا ما جمعه الشيخ الاجل السعيد ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسي
قدس الله روحه من كتاب التبيان فانه الكتاب الذي يقتبس منه ضياء الحق ويلوح عليه رواء الصدق
قد تضمن من المعاني الاسرار البديعة واحتضن من الالفاظ اللغة الوسيعة ولم يقنع بتدوينها دون
تبيينها ولا بتنسيقها دون تحقيقها وهو القدوة استضيء بانواره واطأ مواقع آثاره غير انه خلط في
اشياء مما ذكره في الاعراب والنحو الغث بالسمين والخاثر بالزباد ولم يميز بين الصلاح مما ذكر فيه
والفساد وادى الالفاظ في مواضع من متضمناته قاصرة عن المراد واخل بحسن الترتيب وجودة
التهذيب فلم يقع لذلك من القلوب السليمة الموقع المرضي ولم يعل من الخواطر الكريمة المكان العلي
وقد كنت في عهد ريعان الشباب وحداثة السن وريان العيش ونضارة الغصن كثير النزاع قلق
التشوق شديد التشوف الى جمع كتاب في التفسير ينتظم اسرار النحو اللطيفة ولمع اللغة الشريفة ويفي بنوادر
القرآن من وجوهها مع بيان حججها الواردة من جميع جهاتها وجمع جوامع البيان في المعاني المستنبطة
معادنها المستخرجة من كوامنها الى غير ذلك من علومه الجمة المطلعة من الغلف والاكمة فيعوقني لذلك خلج
الزمان وعوائق الحدثان وواردات الهموم وهفوات الغدر المحوم هلم جرا الى الآن وقد ذرف
سني على الستين واشتعل الراس شيبا وامتلات العيبة عيبا فحداني على تصميم هذه العزيمة من عناية
مولانا السيد الاجل العالم ولي النعم جلال الدين ركن الاسلام مخلص الملوك والسلاطين سيد نقباء
الشرق تاج امراء السعادة فخر آل رسول الله صلى الله عليه وآله ابي منصور محمد بن يحيى بن هبة الله الحسيني

ادام الله علاه وكبت اعداه بهذا العلم وصدق رغبته في هذا الفن وقصر همه على تحصيل حقايقه والاحتواء على جلايله ودقايقه والله عز اسمه المسؤول في ان يحرس الاسلام والمسلمين رفيع حضرته ويفيض على الفضل والفضلا سجال سيادته وعلى العلم والعلماء اذيال سعادته ومتى امثاله في دولة سماء السماء لا يرتقي هضبتها ورفعة سامية السماء لا يبتغي جنبتها ويوفي آماله في ظلال مجد ممدود ظلاله مظلول حلاله ولا فضل عزوره عليه جلاله حضروب عليه كلله ويديم جماله في غبطة رفيع الفلك وبسط ربيعة الطلل حتى يحوز من المنى غاياتها مستقلا بيمين راياتها ويفوز بالآمال عزيمة ايمح يتلو عليه سعده اياتها وظل شمس المجد في ساحاته تعلو عنان حضرة باناتها فكل غاية في المجد ادنى درجات قدره وكل سارية في الشرف ادون طبقات فخره ولما وجبت على نفسي اجابته الى مطلوبه واسعافه بمحبوبه واستخرت الله تعالى لم قصرت وهمي على امثال هذه الذخيرة الخطيرة والكتاب هذه الفضيلة النبيلة وشمرت عن ساق الجد وبذلت غاية الجهد والكد واسهرت الناظر واتعبت الخاطر واطلت التفكر واحضرت التفاسير واستمددت من الله سبحانه التوفيق والتيسير وابتدات بتاليف كتاب هو غاية التلخيص والتهذيب وحسن النظم والترتيب يجمع انواع هذا العلم وهو يحوي فصوصه وعيونه من علم قراءته واعرابه ولغاته وغوامضه ومشكلاته ومعانيه ونزوله واخباره وقصصه وآثاره وحدوده واحكامه وحلاله وحرامه والكلام على مطاعن المبطلين فيه وذكر ما ينفرد به اصحابنا رضي الله عنهم من الاستدلال بمواضع كثيرة منه على صحة ما يعتقدونه من الاصول والفروع والمعقول والمسموع على وجه الاعتدال والاختصار فوق الايجاز ودون الاكثار فان الخواطر في هذا الزمان لا تحتمل اعباء العلوم الكثيرة وتضعف عن الاجراء في الحلبات الخطيرة اذ لم يبق من العلماء الا الاسماء ومن العلوم الا الذماء وقدمت في مطلع كل سورة ذكر مكيها ومدنيها ثم ذكر الاختلاف في عدد اياتها ثم ذكر فضل تلاوتها ثم اقدم في كل اية الاختلاف في القراة ثم ذكر الاسباب والنزولات ثم ذكر انتظام الآيات على اني قد جمعت في عربيته كل غرة لايحة وفي اعرابه كل حجة واضحة وفي معانيه كل قول متين وفي مشكلاته كل برهان مبين فهو بحمد الله للاديب عمدة وللنحوي عدة وللمقرئ بصيرة وللناسك ذخيرة وللمتكلم حجة وللمحدث محجة وللفقيه دلالة وللواعظ آلة وسميته كتاب مجمع البيان لعلوم القرآن وارجو ان شاء الله ان يكون كتابا كثير الدرر غزير الغرر متواصف السمات متناصف الصفات سيارا في الانجاد والاغوار طيارا في الآفاق والاقطار مهذب الترتيب مذهب التهذيب احكام الشريعة بمعانيه منوطة واعلام الحقيقة بمبانيه مربوطة وبحول الله اعتصم وبقوته افتتح واختتم واياه اسال الهداية للتي هي اقوم وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب وقبل ان نشرع في تفسير السور والآيات نفتتح صدر الكتاب بذكر مقدمات لا بد من معرفتها لمن اراد الخوض في علومه جميعها فنون سبعة **الفن الاول** في اعداد آي القرآن والفائدة من معرفتها اعلم ان عدد اهل الكوفة اصح الاعداد واعلاها اسنادا لانه ماخوذ عن امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلم ويعضده الرواية الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال فاتحة الكتاب سبع آيات احداهن بسم الله الرحمن الرحيم وعدد اهل المدينة منسوب الى ابي جعفر يزيد بن القعقاع القاري وشيبة بن نصاح وهما المدني الاول والى اسمعيل بن جعفر وهو المدني الاخير وقيل المدني الاول هو الحسن بن علي بن ابي طالب وعبد الله عمر والمدني الاخير ابو جعفر وشيبة واسمعيل والاول اشهر وعدد اهل البصرة منسوب الى عاصم بن عبد الصباح الجحدري وايوب بن المتوكل لا يختلفان الا في اية واحدة في ص في قوله

فالحق والحق اقول عدها الجحدري وتركها ايوب وعدد اهل مكة منسوب الى مجاهد بن جبير والى اسمعيل المكي وقيل لا ينسب عددهم الى احد بل وجد في مصاحفهم على راس كل اية ثلث نقط وعدد اهل الشام منسوب الى عبد الله بن عامر والفايدة في معرفة آي القرآن ان القارئ اذا عدها باصابعه كان اكثر ثوابا لانه قد شغل يده بالقرآن مع قلبه ولسانه فبالحري ان يشهد له يوم القيمة لانها مسؤولة ولان ذلك اقرب الى التحفظ فان القاري لا يامن السهو وقد روي عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال تعاهدوا القرآن فانه وحشي وقال عليه السلم لبعض النساء اعقدن بالانامل فانهن مسؤولات ومستنطقات وقال حمزة بن حبيب وهو احد القراء السبعة العدد مسامير القرآن **الفن الثاني** في ذكر اسامي القراء المشهورين في الامصار ورواتهم اما المدني فابو جعفر يزيد بن القعقاع وليس من السبعة وذكر انه قرا على عبد الله بن العباس وعلى مولاه عبد الله بن عياش بن ابي ربيعة المخزومي وهما قرا على ابي بن كعب وقرا ابي على النبي صلى الله عليه وآله وله رواية واحدة ونافع بن عبد الرحمن قرا على ابي جعفر ومنه تعلم القرآن وعلى شيبة بن نصاح وعلى عبد الله بن هرمز الاعرج وقرا على ابن عباس وله ثلث روايات رواية ورش فهو عثمن بن سعيد ورواية قالون عيسى بن مينا ورواية اسمعيل بن جعفر واما المكي فهو عبد الله بن كثير لا غير وقرا على مجاهد وقرا مجاهد على ابن عباس وله ثلث روايات رواية البزي ورواية ابن فليح ورواية ابي الحسن القواس واذا اجتمع اهل مكة والمدينة قيل حجازي واما الكوفي فاولهم عاصم بن ابي النجود بهدلة وله روايتان رواية حفص بن سليمن البزاز ورواية ابي بكر بن عياش ولابي بكر بن عياش ثلث روايات رواية ابي يوسف الاعشى وابي صالح البرجمي ويحيى بن ادم ولحفص اربع روايات رواية ابي شعيب القواس وهبيرة التمار وعبيد بن الصباح ثم حمزة بن حبيب الزيات وله سبع روايات رواية العجلي عبد الله بن صالح ورواية رجاء بن عيسى ورواية حماد بن احمد ورواية خلاد بن خالد ورواية ابي عمر الدوري ورواية محمد بن سعدان النحوي ورواية خلف بن هشام ثم ابو الحسن علي بن حمزة الكسائي وله ست روايات رواية قتيبة بن مهران ورواية نصير بن يوسف النحوي ورواية ابي الحرث ورواية ابي حمدون بن ميمون بن الزجاج ورواية ابي عمر الدوري ثم خلف بن هشام البزاز وليس من السبعة وله اختيار فاما عاصم فانه قرا على ابي عبد الرحمن السلمي وهو على علي بن ابي طالب عليه السلم وقرا ايضا على زر بن حبيش وهو قرا على عبد الله بن مسعود واما حمزة فقرا على جعفر بن محمد الصادق عليه السلم وقرا ايضا على الاعمش سليمان بن مهران وقرا الاعمش على يحيى بن وثاب وهو قرا على علقمة ومسروق والاسود بن يزيد وقروا على عبد الله بن مسعود وقرا حمزة على حمران بن اعين ايضا وهو قرا على ابي الاسود الدؤلي وقرا على علي بن ابي طالب عليه السلم واما الكسائي فقرا على حمزة ولقي من مشايخ حمزة ابن ابي ليلى وقرا عليه وهو على ابان بن تغلب وعيسى بن عمر وغيرهم واما البصري فابو عمرو بن العلا وله ثلث روايات رواية شجاع بن ابي نصر ورواية عباس بن الفضل ورواية اليزيدي يحيى بن المبارك ولليزيدي ست روايات رواية ابي حمدون الزاهد وابي عمر الدوري وابن اليزيدي وابو نعيم غلام سجاده وابي ايوب الخياط وابي شعيب السوسي ومن البصرة يعقوب بن اسحاق الحضرمي وابو حاتم سهل بن محمد السجستاني وليسا من السبعة فاما يعقوب فله ثلث روايات رواية روح وزيد ورويس واذا اجتمع اهل الكوفة والبصرة قيل عراقي واما الشامي فهو عبد الله بن عامر اليحصبي لا غير وقرا على المغيرة ابن ابي شهاب المخزومي وقرا المغيرة على عثمان بن عفان وله روايتان رواية ابن ذكوان

ورواية هشام بن عمار قالوا وانما اجمع الناس على قراءات هؤلاء واقتدوا بهم فيها لسببين احدهما انهم
تجردوا للقراءة واشتدت بذلك عنايتهم مع كثرة علمهم ومن كان قبلهم او من ازمنتهم ممن نسب اليه القراءة من
العلماء وعدت قراءتهم في الشواذ لم يتجرد لذلك تجردهم وكان الغالب على اولئك الفقه والحديث او غير ذلك
من العلوم والاخر ان قراءتهم وجدت مسندة لفظا وسماعا حرفا فحرفا من اول القران الى آخره مع ما عرف من
فضائلهم وكثرة علمهم بوجوه القراءة واذ قد ثبت ذلك فاعلم ان الظاهر من مذهب الامامية انهم اجمعوا على جواز
القراءة بما يتداوله القراء بينهم من القراءات الا انهم اختاروا القراءة بما جاز بين القراء وكرهوا تجريد قراءة مفردة
والشايع في اخبارهم ان القران نزل بحرف واحد وما روته العامة عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال نزل
القران على سبعة احرف كلها شاف كاف اختلف في تاويله فاجرى قوم لفظ الاحرف على ظاهره ثم حملوه
على وجهين احدهما ان المراد سبع لغات مما لا تغير حكما في تحليل ولا تحريم مثل هلم واقبل وتعال وكانوا
مخيرين في مبتدأ الاسلام ان يقرؤوا بما شاؤوا منها ثم اجمعوا على احدها واجماعهم حجة فصار ما اجمعوا عليه
مانعا مما اعرضوا عنه والآخر ان المراد سبعة اوجه من القراءات وذكر ان الاختلاف في القراءات على
سبعة اوجه احدها اختلاف اعراب الكلمة بما لا يزيلها عن صورتها في الكتابة ولا يغير معناها نحو
قوله فيضاعفه فيضاعفه بالرفع والنصب والثاني الاختلاف في الاعراب مما يغير معناها ولا يزيلها
عن صورتها نحو اذ تلقونه واذ تلقونه والثالث الاختلاف في حروف الكلمة دون اعرابها مما يغير معناها
ولا يزيل صورتها نحو قوله كيف ننشرها وننشزها بالزاي والراء والرابع الاختلاف في الكلمة مما
يغير صورتها ولا يغير معناها نحو قوله تعالى ان كانت الا صيحة والا زقية والخامس الاختلاف في الكلمة
مما يزيل صورتها ومعناها نحو طلح منضود وطلع والسادس الاختلاف بالتقديم والتاخير نحو قوله
وجاءت سكرة الموت بالحق وسكرة الحق بالموت والسابع الاختلاف بالزيادة والنقصان نحو قوله
وما عملت ايديهم وما عملته ايديهم قال الشيخ السعيد ابو جعفر الطوسي قدس الله روحه هذا الوجه املح
لما روي عنهم عليهم السلام من جواز القراءة بما اختلف القراء فيه وحمل جماعة من العلماء الاحرف على المعاني
والاحكام التي ينتظمها القران دون الالفاظ واختلفت اقوالهم فيها فمنهم من قال انها وعد ووعيد وامر ونهي
وجدل وقصص ومثل وروي عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال نزل القران على سبعة
احرف زجر وامر وحلال وحرام ومحكم ومتشابه وامثال وروى ابو قلابة عن النبي صلى الله عليه وآله
انه قال نزل القران على سبعة احرف امر وزجر وترغيب وترهيب وجدل وقصص ومثل وقال
بعضهم ناسخ ومنسوخ ومحكم ومتشابه ومجمل ومفصل وتاويل لا يعلمه الا الله

الفن الثالث في ذكر التفسير والتاويل والمعنى

ونحن نجتلب موجزه اليها يتساق اكثر الكلام فيما ياتي من الكتاب فالتفسير كشف المراد
عن اللفظ المشكل والتاويل رد احد المحتملين الى ما يطابق الظاهر والفسر [illegible] وقال ابو العباس المبرد التفسير
والتاويل والمعنى واحد وقيل الفسر كشف المغطى والتاويل انتهاء الشيء ومصيره وما يؤول اليه امره والمعنى
ماخوذ من قولهم عنيت فلانا اي قصدته وكان المراد بقولهم عني به كذا قصد بالكلام كذا وقيل من قولهم
عنيت بهذا الامر اي تكلفته واعلم ان الخبر قد صح عن النبي صلى الله عليه وآله وعن الائمة القائمين مقامه
عليهم السلام ان تفسير القران لا يجوز الا بالاثر الصحيح والنص الصريح وروت العامة ايضا عن النبي صلى الله
عليه وآله تفسير القرآن انه قال من فسر القران برايه فاصاب الحق فقد اخطا قالوا وكره جماعة من التابعين
القول في القران بالراي كسعيد بن المسيب وعبيدة السلماني ونافع وسالم بن عبد الله وغيرهم والقول

في ذلك ان الله سبحانه ندب الى الاستنباط واوضح السبيل اليه ومدح اقواما عليه فقال لعلمه الذين يستنبطونه
منهم وذم آخرين على ترك تدبره والاضراب عن التفكر فيه فقال افلا يتدبرون القران ام على قلوب اقفالها
وذكر ان القران منزل بلسان عربي فقال انا جعلناه قرانا عربيا وقال النبي صلى الله عليه وآله اذا جاءكم عني حديث
فاعرضوه على كتاب الله فما وافقه فاقبلوه وما خالفه فاضربوا به عرض الحائط فبين ان الكتاب حجة ومعروض
عليه وكيف يمكن العرض عليه وهو غير مفهوم المعنى فهذا وامثاله يدل على ان الخبر متروك الظاهر فيكون معناه
ان صح ان من حمل القران على رايه ولم يعمل بشواهد الفاظه فاصاب الحق فقد اخطا الدليل وقد روي عن
النبي صلى الله عليه وآله انه قال ان القران ذلول ذو وجوه فاحملوه على احسن الوجوه وروي عن عبد الله
بن العباس انه قسم وجوه التفسير على اربعة اقسام تفسير لا يعذر احد بجهالته وتفسير تعرفه العرب بكلامها
وتفسير يعلمه العلماء وتفسير لا يعلمه الا الله عز وجل فاما الذي لا يعذر احد بجهالته فهو ما يلزم الكافة من الشرائع
التي في القران وجمل دلائل التوحيد واما الذي تعرفه العرب بلسانها فهو حقائق اللغة وموضوع كلامهم واما
الذي يعلمه العلماء فهو تاويل المتشابه وفروع الاحكام واما الذي لا يعلمه الا الله فهو ما يجري مجرى الغيوب
وقيام الساعة واعلم ان الاعراب اجل علوم القران فان اليه يفتقر كل بيان وهو الذي يفتح من الالفاظ
الاغلاق ويستخرج من فحواها الاعلاق اذ الاغراض كامنة فيها فيكون هو المثير لها والباحث عنها والمشير
اليها وهو معيار الكلام الذي لا يبين نقصانه ورجحانه حتى يعرض عليه ومقياسه الذي لا يميز بين
سقيمه ومستقيمه حتى يرجع اليه وروي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال اعربوا القران والتمسوا غرائبه
واذا كان ظاهر الكلام طبقا لمعناه فكل من عرف العربية والاعراب عرف فحواه وعلم مراد الله تعالى
به قطعا هذا اذا كان اللفظ غير محتمل يحتاج الى بيان ولا محتمل لمعنيين او معان وذلك مثل قوله تع
ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق وقوله والهكم اله واحد وقوله ولا يظلم ربك احدا واشباه ذلك
فاما ما كان مجملا لا ينبي ظاهره عن المراد به مفصلا مثل قوله سبحانه اقيموا الصلوة وآتوا الزكوة وآتوا
حقه يوم حصاده فانه يحتاج فيه الى بيان النبي صلى الله عليه وآله بوحي من الله سبحانه اليه فيبين تفصيل
اعيان الصلوات واعداد الركعات ومقادير النصب في الزكوات وامثالها كثيرة والشروع في بيان ذلك
من غير نص وتوقيف ممنوع منه ويمكن ان يكون الخبر الذي تقدم محمولا عليه واما ما كان محتملا
لامور كثيرة او لامرين ولا يجوز ان يكون الجميع مرادا بل قد دل الدليل على انه لا يجوز ان يكون المراد الا
وجها واحدا فهو من باب المتشابه والاشتباه المراد منه بما ليس بمراد فيحمل على الوجه الذي يوافق
الدليل وجاز ان يقال انه هو المراد وان كان اللفظ مشتركا بين معنيين او اكثر ويمكن ان يكون كل
واحد من ذلك مرادا فلا ينبغي ان يقدم عليه بجرأة فيقال ان المراد به كذا قطعا الا بقول نبي او امام
مقطوع على صدقه بل يجوز ان يكون كل واحد مرادا على التفصيل ولا يقطع عليه ولا يقلد احدا من المفسرين
فيه الا ان يكون التاويل مجمعا عليه فيجب اتباعه لانعقاد الاجماع عليه فهذه الجملة التي لخصتها اصل يجب
ان يرجع اليه ويعول عليه ويعتبر به وجوه التفسير وما اختلف فيه العلماء من وجوه نزول القران والمعاني
والاحكام

الفن الرابع في ذكر معاني القران واساميها

القران معناه القراءة في الاصل وهو مصدر قرأت
الشيء اي جمعت بعضه الى بعض قال عمرو بن كلثوم ذراعي عيطل ادماء بكر هجان اللون لم تقرا جنينا اي لم تضم
جنينا في رحمها وهو المروي عن قتادة وانما سمي بالمصدر وهو في الحقيقة المقروء كما سمي المكتوب كتابا والمحسوب
حسابا ومن اسمائه الكتاب ايضا وهو الماخوذ من الجمع ايضا يقال كتبت السقاء اذا جمعته بالخرز ومن اسمائه الفرقان

وقيل هو مصدر قرأت اي تلوت وهو المروي عن ابن عباس

سمي بذلك لانه يفرق بين الحق والباطل بادلته الدالة على صحة الحق وبطلان الباطل عن ابن عباس وقيل سمي بذلك لانه
يؤدي الى النجو والمخرج كقوله سبحانه ويجعل لكم فرقانا ومن اسمائه الذكر قال سبحانه انا نحن نزلنا الذكر وانا له الحافظون
وهو يحتمل امرين احدهما ان يريد به انه ذكر من الله لعباده بالفرائض والاحكام والاخر انه شرف لمن امن به وصدق بما فيه
كقوله سبحانه وانه لذكر لك ولقومك فهذه اربعة اسما وقد شاع في الخبر عن النبي صلى الله عليه واله انه قال اعطيت مكان
التورية السبع الطول ومكان الانجيل المثاني ومكان الزبور المئين وفضلت بالمفصل وفي رواية واثلة بن
الاسقع واعطيت مكان الانجيل المئين ومكان الزبور المثاني واعطيت فاتحة الكتاب وخواتيم البقرة من تحت
العرش لم يعطها نبي قبلي واعطاني ربي المفصل نافلة فالسبع الطول البقرة وال عمران والنساء والمائدة والانعام
والاعراف والانفال مع التوبة لانهما يدعيان بالقرينتين ولذلك لم يفصل بينهما ببسم الله الرحمن الرحيم وقيل السابعة
سورة يونس والطول جمع الطولى تانيث الاطول وانما سميت هذه السبع الطول لانها اطول سور القران واما المثاني
فهي السور التالية للسبع الطول واولها سورة يونس واخرها النحل وانما سميت مثاني لانها تثنت الطول اي تلتها
فكان الطول هي المبادي والمثاني لها ثواني وواحدها مثنى مثل المعاني والمعنى وقال الفراء واحدها
مثناة وقيل المثاني سور القران كلها طوالها وقصارها من قوله تعالى كتابا متشابها مثاني تقشعر وهو قول
ابن عباس انما سميت مثاني لان الله سبحانه ثنى فيها الامثال والحدود والفرائض وقيل ان المثاني في قوله
ولقد اتيناك سبعا من المثاني ايات سورة الحمد وهو المروي عن ائمتنا عليهم السلم وبه قال الحسن البصري واما
المئون فهي كل سورة يكون نحوا من مائة اية او فويق ذلك او دونه وهي سبع اولها سورة بني اسرائيل واخرها
المؤمنون وقيل ان المئين ما ولي السبع الطول والمثاني بعدها وهي التي تقصر عن المئين وتزيد عن المفصل وسميت
مثاني لان المئين مبادئها فاما المفصل فما بعد الحواميم من قصار السور الى اخر القران وسميت مفصلا لكثرة الفصول
بين سورها ببسم الله الرحمن الرحيم **الفن الخامس** في اشياء من علوم القران يحال في شرحها وبسط الكلام فيها
على المواضع المختصة بها والكتب المؤلفة فيها من ذلك العلم بكون القران معجزا خارقا للعادة والاستدلال به على
صدق النبي صلى الله عليه واله والكلام في وجه اعجازه وهل هو ما فيه من الفصاحة المفرطة او لاجل النظم المخصوص
والاسلوب البديع او الصرفة وهو ان الله تعالى صرف العرب عن معارضته . العلم الذي يتمكنون به من
مماثلته في نظمه وفصاحته فموضع ذلك اجمع في كتب الاصول وقد دونه مشايخ المتكلمين في كتبهم لا سيما
السيد الاجل المرتضى علم الهدى ذو المجدين ابو القاسم علي بن الحسين الموسوي في كتابه الموضح عن وجه اعجاز
القران فانه فرع الكلام فيه هناك الى غاية ما استفرغ وانتهاه الى نهاية ما سما فلا يبقى عنه غاية الامد
اذا استولى فيه على الامد ومن ذلك الكلام في زيادة القران ونقصانه فانه لا يليق بالتفسير واما الزيادة فيه
فمجمع على بطلانه واما النقصان فقد روى قوم من اصحابنا وجماعة من حشوية العامة ان في القران تغييرا او نقصانا
والصحيح من مذهب اصحابنا خلافه وهو الذي نصره المرتضى قدس الله روحه واستوفى الكلام فيه غاية
الاستيفاء في جواب المسائل الطرابلسيات وذكر في مواضع ان العلم بصحة نقل القران كالعلم بالبلدان والحوادث
الكبار والوقائع العظام والكتب المشهورة واشعار العرب المسطورة فان العناية اشتدت والدواعي توفرت
على نقله وحراسته وبلغت الى حد لم يبلغه فيما ذكرناه لان القران معجزة النبوة وماخذ العلوم الشرعية والاحكام
الدينية وعلماء المسلمين قد بلغوا في حفظه وحمايته الغاية حتى عرفوا كل شي اختلف فيه من اعرابه وقراءته
وحروفه واياته فكيف يجوز ان يكون مغيرا او منقوصا مع العناية الصادقة والضبط الشديد وقال ايضا قدس الله روحه
ان العلم بتفصيل القران وابعاضه في صحة نقله كالعلم بجملته وجرى ذلك مجرى ما علم ضرورة من الكتب

المصنفة ككتاب سيبويه والمزني فان اهل العناية بهذا الشان يعلمون من تفصيلهما ما يعلمونه من جملتهما
حتى لو ان مدخلا ادخل في كتاب سيبويه بابا في النحو ليس من الكتاب لعرف وميز وعلم انه ملحق وليس
من اصل الكتاب وكذلك القول في كتاب المزني ومعلوم ان العناية بنقل القران وضبطه اصدق من
العناية بضبط كتاب سيبويه ودواوين الشعراء وذكر ايضا رضه ان القران كان على عهد رسول الله صلى الله عليه
واله مجموعا مؤلفا على ما هو عليه الان واستدل على ذلك بان القران كان يدرس ويحفظ جميعه في ذلك الزمان
حتى عين على جماعة من الصحابة في حفظهم له وانه كان يعرض على النبي ويتلى عليه وان جماعة من الصحابة مثل
عبد الله بن مسعود وابي بن كعب وغيرهما ختموا القران على النبي صلى الله عليه واله عدة ختمات وكل ذلك
يدل بادنى تامل على انه كان مجموعا مرتبا غير مبتور ولا مبثوث وذكر ان من خالف في ذلك من الامامية
والحشوية لا يعتد بخلافهم فان الخلاف في ذلك مضاف الى قوم من اصحاب الحديث نقلوا اخبارا
ضعيفة ظنوا صحتها لا يرجع بمثلها عن المعلوم المقطوع على صحته ومن ذلك الكلام في النسخ والناسخ والمنسوخ
وحدهما واقسام النسخ وشرائطه والفصل بينه وبين البداء والتخصيص وهل يجوز نسخ العبادة قبل وقت فعلها
وهل يجوز نسخ القران بالسنة وما يعرف به الناسخ ناسخا والمنسوخ منسوخا وان ذلك اجمع وان كان من
العلوم المتعلقة بالقران فان موضعها الكتب المؤلفة في اصول الفقه وسياتي منه ما يليق بالتفسير
في مظانه من الكتاب مستوفى ان شاء الله **الفن السادس** في ذكر بعض ما جاء من الاخبار المشهورة
في فضل القران واهله انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه واله قال اهل القران هم اهل الله وخاصته وعنه
انه قال صلى الله عليه واله افضل العبادة قراءة القران وعنه انه قال عليه السلم القران غنى لا غنى دونه ولا فقر
بعده عبد الله بن عباس رضه قال اشراف امتي حملة القران واصحاب الليل عبد الله بن مسعود عنه صلى الله
عليه واله قال ان هذا القران مادبة الله فتعلموا مادبته ما استطعتم ان هذا القران حبل الله وهو
النور المبين والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن تبعه لا يعوج فيقوم ولا يزيغ فيستعتب
ولا تنقضي عجائبه ولا يخلق عن كثرة الرد فاتلوه فان الله ياجركم على تلاوته بكل حرف عشر حسنات اما اني
لا اقول الم ولكن الف عشر ولام عشر وميم عشر الحرث الاعور عن امير المؤمنين عليه السلم قال في حديث
طويل سمعت رسول الله صلى الله عليه واله يقول انها ستكون فتن قلت فما المخرج منها يا رسول الله قال كتاب
الله فيه خبر ما قبلكم ونبا ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل هو الذي لا تزيغ به الاهواء ولا تشبع
منه العلماء ولا يخلق عن كثرة رد ولا تنقضي عجائبه وهو الذي من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى
من غيره اضله الله هو حبل الله المتين وهو الصراط المستقيم هو الذي من عمل به اجر ومن حكم به عدل ومن دعا اليه
دعا الى صراط مستقيم عاصم بن ضمرة عن علي عليه السلم قال قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم من قرا القران
حتى يستظهره ويحفظه ادخله الله الجنة وشفعه في عشرة من اهل بيته كلهم قد وجبت له النار عبد الله بن عمر
عنه صلى الله عليه واله قال يقال لصاحب القران اقرا وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فان منزلك
عند اخر اية تقراها وعنه انه قال صلى الله عليه واله من قرا القران فراى ان احدا اعطي افضل مما اعطي فقد حقر
ما عظم الله وعظم ما حقر الله وعنه انه قال من قرا القران فكانما ادرجت النبوة بين جنبيه الا انه لا يوحى
اليه ابو سعيد الخدري عنه عليه السلم قال حملة القران في الدنيا عرفاء اهل الجنة يوم القيمة وقال امير المؤمنين
عليه السلم من دخل في الاسلام طائعا وقرا القران ظاهرا فله في كل سنة مائتا دينار في بيت مال المسلمين ان
منع في الدنيا اخذها يوم القيمة وافية احوج ما يكون اليها وهذه الاخبار يسير من كثير وغيض من فيض

وتزيين الصوت

ونرمز عن غيره اقتصرنا عليه ايثارا للاقتصار **الفن السابع** في ذكر ما يستحب للقارئ من تحسين اللفظ وتزيين الصوت
بقراءة القرآن البراء بن عازب قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله زينوا القرآن باصواتكم حذيفة بن اليمان
قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله اقرأوا القرآن بلحون العرب واصواتها واياكم ولحون اهل الفسق واهل الكتابين
وسيجيء قوم من بعدي يرجعون القرآن ترجيع الغناء والرهبانية والنوح لا يجاوز حناجرهم مفتونة قلوبهم
وقلوب الذين يعجبهم شانهم علقمة بن قيس قال كنت حسن الصوت بالقرآن فكان عبد الله بن مسعود
يرسل الي فاقرأ عليه فاذا فرغت من قراءتي قال زدنا من هذا فداك ابي وامي فاني سمعت رسول الله صلى الله
عليه وآله يقول ان حسن الصوت زينة القرآن انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وآله ان لكل شيء حلية
وحلية القرآن الصوت الحسن عبد الرحمن بن السائب قال قدم علينا سعد بن ابي وقاص فاتيته مسلما عليه
فقال مرحبا بابن اخي بلغني انك حسن الصوت بالقرآن قلت نعم والحمد لله قال فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه
وآله يقول ان القرآن نزل بالحزن فاذا قرأتموه فابكوا فان لم تبكوا فتباكوا وتغنوا بالقرآن فمن لم يتغن بالقرآن
فليس منا وقال بعضهم تغنوا به بمعنى استغنوا به واكثر العلماء على انه تزيين الصوت وتحزينه وههنا تم
الكلام في المقدمة والله سبحانه ولي التسهيل والتيسير وعليه التكلان في الامور وهو حسبنا واليه المصير **بسم الله الرحمن
الرحيم فاتحة الكتاب** مكية عن ابن عباس وقتادة ومدنية عن مجاهد وقيل انزلت مرة بمكة ومرة بالمدينة
اسماؤها فاتحة الكتاب سميت بذلك لافتتاح المصاحف بكتابتها ولوجوب قراءتها في الصلوة فهي فاتحة
لما يتلوها من سور القرآن في الكتاب والقراءة الحمد سميت بذلك لان فيها ذكر الحمد ام الكتاب سميت
بذلك لانها متقدمة على سائر سور القرآن والعرب تسمي كل جامع امرا ومتقدم لامر اذا كانت له توابع تتبعه اما
وقيل لانها فيقولون ام الراس للجلدة التي تجمع الدماغ وام القرى لان الارض دحيت من تحت مكة فصارت لجميعها
اما وقيل لانها اشرف البلدان فهي متقدمة على سائرها وقيل سميت بذلك لانها اصل القرآن والام هي الاصل
وانما صارت اصل القرآن لان الله تعالى اودعها مجموع ما في السور لان فيها اثبات الربوبية والعبودية
وهذا هو المقصود في القرآن السبع سميت بذلك لانها سبع آيات لا خلاف في جملتها المثاني سميت بذلك
لانها تثنى بقراءتها في كل صلوة فرض ونفل او لانها تثنى بقراءتها في كل صلوة فرض ونفل او لانها انزلت مرتين هذه
اسماؤها المشهورة وقد ذكر في اسمائها الوافية لانها لا تنتصف في الصلوة والكافية لانها تكفيه عما سواها ولا تكفي
ما سواها عنها ويؤيد ذلك رواية عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وآله ام القرآن عوض من غيرها
وليس غيرها عوضا عنها والاساس لما روي عن ابن عباس ان لكل شيء اساسا وساق الحديث الى ان قال واساس
القرآن الفاتحة واساس الفاتحة بسم الله الرحمن الرحيم والشفاء لما روي عن النبي صلى الله عليه وآله فاتحة الكتاب
شفاء من كل داء والصلوة لما روي عن النبي صلى الله عليه وآله قال قال الله عز وجل قسمت الصلوة بيني وبين
عبدي نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي فاذا قال العبد الحمد لله رب العالمين يقول الله حمدني
عبدي فاذا قال الرحمن الرحيم يقول الله اثنى علي عبدي فاذا قال العبد مالك يوم الدين يقول الله عز وجل
مجدني عبدي فاذا قال اياك نعبد واياك نستعين قال هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سال
فاذا قال اهدنا الصراط المستقيم الى آخره قال هذا لعبدي ولعبدي ما سال اورده
مسلم بن الحجاج في الصحيح فهذه عشرة اسماء **فضلها** ذكر الشيخ ابو الحسين الجبهري المقرئ في
كتابه في القراءات اخبرنا الامام ابو بكر احمد بن ابراهيم وابو الشيخ ابو عبد الله محمد قال
حدثنا ابو اسحاق ابرهيم بن شريك قال حدثنا احمد بن يونس اليربوعي قال حدثنا

سلام بن

6

سلام بن سليم المدايني قال حدثنا هرون بن كثير عن زيد بن اسلم عن ابيه عن ابي امامة عن ابي بن كعب قال قال
رسول الله صلى الله عليه وآله ايما مسلم قرأ فاتحة الكتاب اعطي من الاجر كانما قرأ ثلثي القرآن واعطي من الاجر كانما
تصدق على كل مؤمن ومؤمنة ويروى من طريق آخر هذا الحديث بعينه الا انه قال فكانما قرأ القرآن وروي عن ابي
بن كعب انه قال قرأت على رسول الله صلى الله عليه وآله فاتحة الكتاب فقال والذي نفسي بيده ما انزل الله
في التورية ولا في الانجيل ولا في الزبور ولا في القرآن مثلها قال هي ام القرآن وهي السبع المثاني وهي مقسومة
بين الله وبين عبده ولعبده ما سال وفي كتاب محمد بن مسعود العياشي رحمه الله باسناده عن النبي صلى الله
عليه وآله قال لجابر بن عبد الله الانصاري قال يا جابر الا اعلمك افضل سورة انزلها الله في كتابه فقال له
جابر بلى بابي انت وامي يا رسول الله علمنيها قال فعلمه الحمد ام الكتاب وقال يا جابر الا اخبرك عنها قال
بلى بابي انت وامي فاخبرني قال هي شفاء من كل داء الا السام والسام الموت وعن سلمة بن محرز عن الصادق
عليه السلام قال من لم يبرئه الحمد لم يبرئه شيء وروي عن امير المؤمنين عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله
عليه وآله ان الله عز وجل قال لي يا محمد ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم فافرد الامتنان علي
بفاتحة الكتاب وجعلها لا يشرك فيها احدا من انبيائه ما خلا سليمان فانه اعطاه منها بسم الله الرحمن الرحيم
الا تراه يحكي عن بلقيس حين قالت اني القي الي كتاب كريم انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم الا فمن
قرأها معتقدا لموالاة محمد وآله منقادا لامرها مؤمنا بظاهرها وباطنها اعطاه الله عز وجل بكل حرف منها حسنة
كل واحدة منها افضل له من الدنيا بما فيها من اصناف اموالها وخيراتها ومن استمع الى قارئ يقرأها كان
له قدر ثلث ما للقارئ فليستكثر احدكم من هذا الخير المعرض له فانه غنيمة لا يذهبن اوانه فيبقى في
قلوبكم الحسرة **الاستعاذة** اتفق القراء على التلفظ بالتعوذ قبل التسمية فيقول ابن كثير وعاصم وابو عمرو اعوذ
بالله من الشيطان الرجيم ونافع وابن عامر والكسائي اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ان الله هو
السميع العليم وحمزة نستعيذ بالله من الشيطان الرجيم ان الله هو السميع العليم وحمزة نستعيذ بالله
من الشيطان الرجيم وابو حاتم اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم **اللغة** الاستعاذة
الاستجارة ومعناه استجير بالله دون غيره والعوذ والمعاذ هو الملجأ والشيطان في اللغة هو كل متمرد من الجن
والانس والدواب ولذلك جاء في القرآن شياطين الانس والجن ووزنه فيعال من شطنت الدار اي
بعدت وقيل هو فعلان من شاط يشيط اذا بطل والاول اصح لانه قد جاء في الشعر شاطن بمعناه قال امية
بن ابي الصلت ايما شاطن عصاه عكاه ثم يلقى في السجن والاغلال والرجيم فعيل بمعنى مفعول من الرجم وهو الرمي
المعنى امر بالاستعاذة من الشيطان اذ لا يكاد يخلو من وسوسته الانسان فقال فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله
من الشيطان الرجيم ومعنى اعوذ الجأ الى الله من شر الشيطان اي البعيد من الخير المفارق اخلاقه اخلاق جميع
جنسه وقيل المبعد من رحمة الله والرجيم اي المطرود من السماء المرمي بالشهب الثاقب وقيل المرجوم باللعن ان الله
هو السميع لجميع المسموعات العليم بجميع المعلومات **قوله عز وجل بسم الله الرحمن الرحيم** اتفق اصحابنا
انها آية من سورة الحمد ومن كل سورة وان من تركها في الصلوة بطلت صلوته سواء كانت الصلوة فرضا
او نفلا وانه يجب الجهر بها فيما يجهر فيه بالقراءة ويستحب الجهر بها فيما يخافت فيه بالقراءة وفي جميع ما ذكرناه
خلاف بين فقهاء الامة ولا خلاف في انها بعض آية من سورة النمل وكل من عدها آية جعل من قوله
صراط الذين الى آخر السورة آية ومن لم يعدها آية جعل صراط الذين انعمت عليهم آية وقال انها افتتاح للتيمن
والتبرك فاما القراء فان حمزة وخلفا ويعقوب واليزيدي تركوا الفصل بين السور بالتسمية والباقون
يفصلون بينها بالتسمية الا بين الانفال والتوبة **فضلها** روي عن علي بن موسى الرضا عليه السلام انه قال ان بسم الله

بازاء القرآن وان فاتحة الكتاب اشرف ما في كنوز العرش وان الله تعالى خص محمدا وشرفه بها صح

الرحمن الرحيم اقرب الى اسم الله الاعظم من سواد العين الى بياضها • وروى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال اذا قال المعلم للصبي قل بسم الله الرحمن الرحيم فقال الصبي بسم الله الرحمن الرحيم كتب الله براءة للصبي وبراءة لابويه وبراءة للمعلم • وعن ابن مسعود قال من اراد ان ينجيه الله سبحانه من الزبانية التسعة عشر فليقرأ بسم الله الرحمن الرحيم فانها تسعة عشر ليجعل الله كل حرف منها جنة من كل واحد منهم • وروى عن الصادق عليه السلام انه قال ما لهم قاتلهم الله عمدوا الى اعظم آية في كتاب الله فزعموا انها بدعة اذا اظهروها وهي بسم الله الرحمن الرحيم

اللغة

الاسم مشتق من السمو وهو الرفعة واصله سمو بالواو لان جمعه اسماء مثل قنو واقناء وحنو واحناء وتصغيره سمي قال الراجز بسم الذي في كل سورة سمه وسمه ايضا ذكره ابو زيد وغيره وقيل انه مشتق من الوسم والسمة والاول اصح لان المحذوف الفاء نحو صلة وصل وعدة ووعد لا يدخل همزة الوصل ولانه كان يجب ان يقال في تصغيره وعيد ووصيلة في تصغير عدة ووصلة والامر بخلافه • الله اسم لا يطلق الا عليه سبحانه وتعالى وذكر سيبويه في اصله قولين احدهما انه اله على وزن فعال فحذفت الفاء التي هي الهمزة وجعلت الالف واللام عوضا لازما عنها بدلالة استجازتهم قطع همزة الموصل الداخلة على لام التعريف في القسم والنداء نحو قولهم افالله لتفعلن ويا الله اغفر لي ولو كانت غير عوض لم تثبت الهمزة في الوصل كما لم تثبت في غير هذا الاسم والقول الآخر ان اصله لاه ووزنه فعل فالحق به الالف واللام يدل عليه قول الاعشى كحلفة من ابي رياح يسمعها لاهه الكبار وانما دخلت عليه الالف واللام للتفخيم والتعظيم فقط ومن زعم انه للتعريف فقد اخطأ لان اسماء الله تعالى معارف والالف من لاه منقلبة عن ياء بدلالة قولهم في معناه لهي ابوك قال سيبويه نقلت العين الى موضع اللام وجعلت اللام ساكنة اذ صارت في مكان العين كما كانت العين ساكنة وتركوا آخر الاسم مفتوحا كما تركوا آخر اين مفتوحا وانما فعلوا ذلك حيث غيروه لكثرته في كلامهم فغيروا اعرابه كما غيروا بناءه وهذه دلالة قاطعة لظهور الياء في لهي والالف على هذا القول منقلبة كما ترى وفي القول الاول زائدة لانها الف فعال ويقول العرب لاه ابوك تريد لله ابوك قال ذو الاصبع العدواني لاه ابن عمك لا افضلت في حسب عني ولا انت دياني فتخزوني قال سيبويه حذفوا لام الاضافة واللام الاخرى ولا ينكر بقاء عمل اللام بعد حذفها فقد حكى سيبويه من قولهم الله لاخرجن يريد والله ومثل ذلك كثير يطول الكتاب بذكره ثم اختلف الكلام في اشتقاقه فمنهم من قال انه اسم موضوع غير مشتق اذ ليس يجب في كل لفظ ان يكون مشتقا لانه لو وجب ذلك لتسلسل هذا قول الخليل ومنهم من قال انه مشتق ثم اختلفوا في اشتقاقه على وجوه فمنها انه مشتق من الالوهية التي هي العبادة والتأله التعبد قال رؤبة لله در الغانيات المده سبحن واسترجعن من تألهي اي تعبدي وقرأ ابن عباس ويذرك والاهتك اي عبادتك ويقال اله الله فلان الاهة كما يقال عبد عبادة فعلى هذا يكون معناه الذي يحق له العبادة ولذلك لا يسمى به غيره ويوصف فيما لم يزل بانه اله ومنها انه مشتق من الوله وهو التحير يقال اله ياله اذا تحير عن ابي عمرو فمعناه انه الذي تتحير العقول في كنه عظمته ومنها انه مشتق من قولهم الهت الى فلان اي فزعت اليه لان الخلق يألهون اليه اي يفزعون اليه في حوائجهم فقيل للمألوه اله كما يقال للمؤتم به امام ومنها انه مشتق من قولهم الهت الى فلان اي سكنت اليه عن المبرد ومعناه ان الخلق يسكنون الى ذكره ومنها انه من لاه اي احتجب فمعناه انه المحتجب بالكيفية عن الاوهام الظاهر بالدلائل والاعلام

الرحمن الرحيم اسمان وضعا للمبالغة واشتقا من الرحمة وهي النعمة الا ان فعلان اشد مبالغة من فعيل وحكي عن ابي عبيدة انه قال الرحمن ذو الرحمة والرحيم هو الراحم وكرر لضرب من التأكيد واما ما روي عن ابن عباس انهما اسمان رقيقان احدهما ارق من الآخر فالرحمن الرقيق والرحيم العطاف على عباده بالرزق والنعم فمحمول على انه يعود عليهم بالفضل بعد الفضل والنعمة بعد النعمة فعبر عن ذلك بالرقة

لانه تعالى لا يوصف بالرقة وما حكي عن ثعلب ان لفظ الرحمن ليست بعربية وانما هي ببعض اللغات مستدلا بقوله قالوا وما الرحمن انكارا منهم لهذا الاسم فليس بصحيح لان هذه اللفظة مشهورة عند العرب موجودة في اشعارها قال الشنفرى • الا ضربت تلك الفتاة هجينها الا قضب الرحمن ربي يمينها • وقال سلامة بن جندل وما يشاء الرحمن يعقد ويطلق

الاعراب

بسم الله الرحمن الرحيم الباء حرف جار واصله الالصاق والحروف الجارة موضوعة لمعنى المفعولية الا ترى انها توصل الافعال الى الاسماء وتوقعها عليها فاذا قلت مررت بزيد اوقعت الباء المرور على زيد فالجالب للباء فعل محذوف نحو ابدأ بسم الله وقولوا بسم الله فمحله نصب لانه مفعول وانما حذف الفعل الناصب لان دلالة الحال اغنت عن ذكره وقيل ان محل الباء رفع على تقدير مبتدأ محذوف تقديره ابتدائي بسم الله والباء على هذا متعلقة بالخبر المحذوف الذي قامت مقامه اي ابتدائي ثابت بسم الله او ثبت ثم حذف هذا الخبر فافضى الضمير الى موضع الباء وهذا بمنزلة قولك زيد في الدار ولا يجوز ان تتعلق الباء بابتدائي لانه مصدر واذا تعلقت به صارت من صلته وبقي المبتدأ بلا خبر واذا سئل عن تحريك الباء مع ان اصل الحروف البناء واصل البناء السكون فجوابه انه حرك لوقوعه الابتداء به ولا يمكن الابتداء بالساكن وانما حرك بالكسر ليكون حركته من جنس ما عمله واذا الزم كاف التشبيه في كزيد فجوابه ان الكاف لا يلزم الجر فيه وقد يكون اسما في نحو قوله يضحكن عن كالبرد المنهم فخولف بينه وبين الحروف التي لا تفارق الجر هذا قول ابي عمر الجرمي واصحابه فاما ابو علي الحسن بن عبد الغفار الفارسي فقال انهم لو فتحوا او ضموا لجاز لان التوصل الى الابتداء يقع باي حركة تحصل لجاز وبعض العرب يفتح هذه الباء وهي لغة ضعيفة وانما حذفت الهمزة من بسم الله في اللفظ لانها همزة الوصل تسقط في الدرج وحذفت هاهنا في الخط ايضا لكثرة الاستعمال ولم تحذف في موضع معلوم لا يخاف فيه اللبس ولا تحذف في نحو قوله اقرأ باسم ربك لقلة الاستعمال وانما تغلظ لام الله اذا تقدمت الضمة او الفتحة تفخيما لذكره واجلالا لعظمته وليكون فرقا بينه وبين ذكر اللات الله مجرور بالاضافة والرحمن الرحيم مجروران لانهما صفتان لله

المعنى

بسم الله قيل المراد به تضمين الاستعانة فتقديره استعينوا بان تسموا الله باسمائه الحسنى وتصفوه بصفاته العلى وقيل المراد به استعينوا بالله وبتسميته وقول ابي عبيدة ان اسم صلة والمراد هو الله كقول لبيد الى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر اي ثم السلام عليكما والاسم قد يوضع موضع المسمى لما كان المعلق على الاسم ذكرا وخطابا معلقا على المسمى تقول رأيت زيدا فتعلق الرؤية على الاسم وفي الحقيقة تعلقها بالمسمى فان الاسم لا يرى فحسن اقامة الاسم مقام المسمى وقيل المراد به ابتدئ بتسمية الله فوضع الاسم موضع المصدر كما يقال اكرمته كراما اي اكراما واهنته هوانا اي اهانة ومنه قول الشاعر اكفرا بعد رد الموت عني وبعد عطائك المائة الرتاعا اي بعد اعطائك وقال آخر فان كان هذا البخل منك سجية لقد كنت في طولي رجاءك اشعبا اراد في اطالتي رجاءك فعلى هذا يكون تقدير الكلام ابتدئ قراءتي بتسمية الله واقرأ مبتدئا بتسمية الله وهذا القول اولى بالصواب لانا امرنا بان نفتتح امورنا بتسمية الله لا بالخبر عن كبريائه وعظمته كما امرنا بالتسمية على الاكل والشرب والذبائح الا ترى ان الذابح لو قال الله ولم يقل بسم الله لكان مخالفا لما امر به ومعنى الله والاله انه الذي يحق له العبادة وانما حق له العبادة لانه قادر على خلق الاجسام واحيائها والانعام عليها بما يستحق به العبادة وهو سبحانه اله للحيوان والجماد لانه قادر على ان ينعم على كل منهما بما معه يستحق العبادة فاما من قال ان معنى الاله المستحق للعبادة يلزمه ان لا يكون الها في الازل لانه لم يفعل الانعام الذي يستحق به العبادة وهذا خطأ وانما قدم الرحمن على الرحيم لان الرحمن بمنزلة الاسم العلم من حيث لا يوصف به الا الله

فوجب لذلك تقديمه على الرحيم لانه يطلق عليه وعلى غيره ● وروى ابو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله ان عيسى
بن مريم قال الرحمن رحمن الدنيا والرحيم رحيم الآخرة وعن بعض التابعين قال الرحمن لجميع الخلق الرحيم بالمؤمنين
خاصة ووجه عموم الرحمن لجميع الخلق مؤمنهم وكافرهم برهم وفاجرهم هو انشاؤه اياهم وخلقهم احياء قادرين
ورزقه اياهم ووجه خصوص الرحيم بالمؤمنين هو ما فعله بهم في الدنيا من التوفيق وفي الآخرة من الجنة والاكرام
وغفران الذنوب والآثام والى هذا المعنى يؤول ● ما روي عن الصادق عليه السلام انه قال الرحمن اسم خاص بصفة عامة
والرحيم اسم عام بصفة خاصة وعن عكرمة قال الرحمن برحمة واحدة والرحيم بمائة رحمة وهذا المعنى قد اقتبسه
من قول رسول الله صلى الله عليه وآله ان لله عز وجل مائة رحمة وانه انزل منها واحدة الى الارض فقسمها بين
خلقه فيها يتعاطفون ويتراحمون واخر تسعا وتسعين لنفسه يرحم بها عباده يوم القيامة ● وروي ان الله
قابض هذه الى تلك فيكمل بها مائة يرحم بها عباده يوم القيامة قوله تعالى الحمد لله رب العالمين آية القراءة اجمع القراء على ضم
الدال من الحمد وكسر اللام من لله وروي في الشواذ بكسر الدال واللام وبضم الدال واللام وبفتح الدال
وكسر اللام واجمعوا على كسر الباء من رب وروي عن زيد على نصب الباء ويحمل على انه بين جواز هذه القراءة
اللغة الحمد والمدح والشكر متقاربة المعنى والفرق بين الحمد والشكر ان الحمد نقيض الذم كما ان المدح نقيض
الهجاء والشكر نقيض الكفران والحمد قد يكون من غير نعمة والشكر يختص بالنعم الا ان الحمد يوضع موضع الشكر
فيقال الحمد لله شكرا فينتصب شكرا على المصدر ولو لم يكن الحمد في معنى الشكر لما انتصب فاذا كان الحمد لله يقع موقع
الشكر فالشكر هو الاعتراف بالنعمة مع ضرب من التعظيم ويكون بالقلب وهو الاصل ويكون ايضا باللسان
وانما يجب باللسان لنفي تهمة الجحود والكفران واما المدح فهو القول المنبئ عن عظم حال الممدوح مع
القصد اليه واما الرب فله معان منها السيد المطاع كقول لبيد واهلكن يوما رب كندة وابنه ورب
معد بين خبت وعرعر اي سيد كندة ومنها المالك نحو قول النبي صلى الله عليه وآله لرجل ارب غنم انت ام رب
ابل فقال من كل ما آتاني الله فاكثر واطيب ومنها الصاحب نحو قول ابي ذؤيب قد ناله رب الكلاب
بكفه بيض رهاب ريشهن مقزع اي صاحب الكلاب ومنها المربب ومنها المصلح واشتقاقه من التربية
وربه يعني وفلان يرب صنعته اذا كان ينميها ولا يطلق هذا الاسم الا على الله تعالى ويقيد في غيره فيقال
رب الدار ورب الضيعة والعالمون جمع عالم والعالم لا واحد له من لفظه كالرهط والجيش وغيرهما
واشتقاقه من العلامة لانه يدل على صانعه وقيل انه من العلم لانه اسم يقع على ما يعلم وهو في عرف اللغة
عبارة عن جماعة من العقلاء لانهم يقولون جاءني عالم من الناس ولا يقولون عالم من البقر
وفي المتعارف بين الناس هو عبارة عن جميع المخلوقات ويدل عليه الآية قال وما رب العالمين قال رب
السموات والارض وما بينهما وقيل انه اسم لكل صنف من الاصناف واهل كل قرن من كل صنف يسمى عالما
ولذلك جمع فقيل عالمون لعالم كل زمان وهذا قول اكثر المفسرين كابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة وغيرهم
وقيل العالم نوع ما يعقل وهم الملائكة والجن والانس وقيل هم الجن والانس لقوله تعالى ليكون للعالمين نذيرا وقيل
هم الانس لقوله اتاتون الذكران من العالمين الاعراب الحمد مرفوع بالابتداء والابتداء عامل معنوي غير ملفوظ
به وهو خلو الاسم من العوامل اللفظية ليسند اليه خبر وخبره في الاصل جملة هي فعل مسند الى ضمير المبتدأ اي
الحمد حق او استقر لله الا انه قد استغنى عن ذكرها لدلالة قوله لله عليها فانتقل الضمير منها اليه حيث سد
مسدها وتسمى هذه جملة ظرفية هذا قول الاخفش وابي علي الفارسي واصل اللام للتحقيق والملك واما
من نصب الدال فعلى المصدر وتقديره احمد الحمد لله واجعل الحمد لله الا ان الرفع في الحمد اقوى وامدح لان معناه

الحمد وجب لله واستقر له وهذا يقتضي العموم لجميع الخلق فاذا نصب الحمد فكان تقديره احمد الحمد كان
مدحا من المتكلم فقط فلذلك اختير الرفع ومن كسر الدال واللام اتبع حركة الدال حركة اللام ومن ضمهما
اتبع حركة اللام حركة الدال وهذا ايسر من الاول لانه اتبع حركة المبني حركة الاعراب والاول اتبع حركة المعرب
البناء واتبع الثاني الاول وهو الاصل في الاتباع الذي كسر اتبع الاول الثاني وهذا ليس باصل واكثر النحويين
ينكرون ذلك لان حركة الاعراب غير لازمة فلا يجوز لاجلها الاتباع ولان الاتباع في الكلمة الواحدة ضعيف
نحو الحلم فكيف في الكلمتين وقال ابو الفتح بن جني في كسر الدال وضم اللام هنا دلالة على شدة ارتباط المبتدأ
بالخبر لانه اتبع فيهما ما في احد الجزئين ما في الجزء الاخر وجعل بمنزلة الكلمة الواحدة نحو اخوك وابوك واصل
هذه اللام الفتح لان الحرف الواحد لا حظ له في الاعراب لكنه يقع مبتدأ في الكلام ولا يبتدأ بساكن فاختير
له الفتح لانه اخف الحركات تقول رأيت زيدا وعمرا فالواو من وعمرا مفتوحة وكذلك الفاء من
فعمرو الا انهم كسروها لانهم ارادوا ان يفرقوا بين لام الملك ولام التوكيد اذا قلت ان المال لهذا اي في
ملكه وان المال لهذا اي هو هذا اذا ادخلوا هذه اللام على مضمر ردوها الى اصلها وهو الفتح فقالوا لك وله
لان اللبس قد ارتفع وذلك ان ضمير الجر يخالف لضمير الرفع اذا قلت ان هذا لك وان هذا لانت الا انهم
كسروها مع ضمير المتكلم نحو لي لان هذه الياء لا يكون ما قبلها الا مكسورا نحو غلامي وفرسي وهذا كله قول
سيبويه وجميع النحويين المحققين وليس في الحروف المبتدأ بها ما هو على حرف واحد حرف مكسور الا الباء
وحدها وقد مضى القول فيه واما لام الجزم في ليفعل فانما كسرت ليفرق بينها وبين لام التأكيد
في ليفعل فاعلم ورب العالمين مجرور على الصفة والعامل في الصفة عند ابي الحسن الاخفش كونه صفة
فذلك الذي يرفعه وينصبه ويجره وهو عامل معنوي كما ان المبتدأ انما رفعه الابتداء وهو معنوي عمل فيه
واستدل على ان الصفة لا يعمل فيه ما يعمل في الموصوف بانك تجد في الصفات ما يخالف الموصوف في
اعرابه نحو يا زيد العاقل لان المنادى مبني والعاقل الذي هو صفته معرب ودليل ثاني وهو ان في
هذه التوابع ما يعرب باعراب ما يتبعه ولا يصح ان يعمل فيه ما عمل في موصوفه وذلك اجمع وجمع وجمعا فلما
صح وجوب هذا فيها دل على ان الذي يعمل في الصفة غير عامل في الموصوف لاجتماعهما لانهما تابعان
وقال غيره من النحويين العامل في الموصوف هو العامل في الصفة ومن نصب رب العالمين فانما نصبه
على المدح والثناء كانه لما قال الحمد لله استدل بهذا اللفظ على انه ذاكر الله فكانه قال اذكر رب العالمين فعلى
هذا لو قرئ في غير القرآن رب العالمين على المدح مرفوعا ايضا لكان جائزا على معنى هو رب العالمين
قال الشاعر لا يبعدن قومي الذين هم سم العداة وآفة الجزر النازلين بكل معترك والطيبون معاقد
الازر وقد روي النازلون والنازلين والطيبون والطيبين والوجه ما ذكرناه والعالمين مجرور بالاضافة
والياء فيه علامة الجر وحرف الاعراب وعلامة الجمع والنون هنا عوض عن الحركة في الواحد وانما فتحت
فرقا بينها وبين نون التثنية تقول هذا غلامان فتكسر نون الاسم لالتقاء الساكنين وقيل انما فتحت نون الجمع
وحقها الكسر لثقل الكسرة بعد الواو كما فتحت الفاء في سوف والنون في اين ولم يكسر لثقله بعد الواو والياء المعنى
معنى الآية ان الاوصاف الجميلة والثناء الحسن كلها لله الذي تحق له العبادة لكونه قادرا على اصول النعم وفاعلا لها
ولكونه منشئا للخلق ومربيا لهم ومصلحا لشأنهم وفي الآية دلالة على وجوب الشكر لله تعالى على نعمه وفيها تعليم
للعباد كيف يحمدونه قوله عز وجل الرحمن الرحيم آية قد مضى تفسيرها وانما اعاد ذكر الرحمن الرحيم للمبالغة وقال علي
بن عيسى الرماني في الاول ذكر العبودية فوصل ذكره بذكر النعم التي يستحق بها العبادة وهنا ذكر الحمد فوصله بذكر

ما له يستحق الحمد من النعم فليس فيه تكرار **قوله عز اسمه مالك يوم الدين آية** **القراءة** قرأ عاصم والكسائي وخلف ويعقوب الحضرمي مالك بالألف والباقون ملك بغير ألف ولم يعد أحد وجر الكاف وروى في الشواذ عن الأعمش أنه نصبها وربيعة بن نزار يخفف فيقول ملك يوم الدين بتسكين اللام **الحجة** اختلفوا في أن أي القراءتين أمدح فمن قرأ مالك قال إن هذه الصفة أمدح لأنه لا يكون مالكا للشيء إلا وهو يملكه وقد يكون ملكا للشيء ولا يملكه كما يقال ملك العرب وملك الروم وإن كان لا يملكه وقد يدخل في المالك ما لا يصح دخوله في الملك يقال فلان مالك الدراهم ولا يقال ملك الدراهم فالوصف بالمالك أعم من الوصف بالملك والله تعالى مالك كل شيء وقد وصف نفسه بأنه مالك الملك تؤتي الملك من تشاء فوصفه بالمالك أبلغ في الثناء والمدح من وصفه بالملك ومن قرأ ملك قال إن هذه الصفة أمدح لأنه لا يكون إلا مع التعظيم والاحتواء على الجمع الكثير واختاره أبو بكر محمد بن السري السراج وقال إن الملك الذي يملك الكثير من الأشياء ويشارك غيره من الناس في ملكه بالحكم عليه وكل ملك مالك وليس كل مالك ملكا وإنما قال تعالى مالك الملك لأنه تعالى يملك ملوك الدنيا وما ملكوا فمعناه أنه يملك ملك الدنيا فيؤتي الملك فيها من يشاء فأما يوم الدين فليس فيه إلا ملكه وهو ملك الملوك يملكهم كلهم أمرا وقد يستعمل هذا في الناس يقال فلان ملك الملوك وأمير الأمراء يراد بذلك أن من دونه ملوكا وأمراء ولا يقال ملك الملك ولا أمير الإمارة لأن أميرا وملكا صفة غير جارية على فعل فلا معنى لإضافتها إلى المصدر فأما إضافة ملك إلى الزمان فكما يقال ملك عام كذا أو ملوك الدهر الأول وملك زمانه وسيد زمانه فهو في المدح أبلغ والآية إنما نزلت بالثناء والمدح لله تعالى ألا ترى إلى قوله رب العالمين والربوبية والملك متشابهان وقال أبو علي الفارسي يشهد لمن قرأ مالك من التنزيل قوله والأمر يومئذ لله لأن قولك الأمر له وهو مالك الأمر بمعنى ألا ترى أن لام الجر معناها الملك والاستحقاق وكذلك قوله يوم لا تملك نفس لنفس يقوي ذلك ويشهد لقراءة من قرأ ملك قوله تعالى لمن الملك اليوم لأن اسم الفاعل من الملك الملك فإذا قال الملك لذلك اليوم كان بمنزلة قوله هو ملك ذلك اليوم هذا مع قوله تعالى الملك الحق والملك القدوس وملك الناس **اللغة** الملك القادر الواسع المقدرة الذي له السياسة والتدبير والمالك القادر على التصرف في ماله وله أن يتصرف فيه على وجه ليس لأحد منعه منه ويوصف العاجز بأنه مالك من جهة الحكم يقال ملك بين الملك بضم الميم ومالك بين الملك بكسر الميم وفتحها وضم الميم لغة شاذة وفيها لطالب ملكهم بكسر اللام وفتحها لي في الوادي ملك وملك وملك ذكرها أبو علي الفارسي وقال الملك للشيء اختصاص من المالك بالمال بدو خروج من أن يكون مباحا لغيره ومعنى الإباحة في الشيء لا تسلع فيه وخلاف الحصر والقصر على الشيء ألا تراهم قالوا أباح السرب وباحة الدار وقال أبو بكر محمد بن السراج الملك والملك يرجعان إلى أصل واحد وهو الربط والشد كما قالوا ملكت العجين أي شددته قال الشاعر ملكت بها كفي فأنهرت فتقها يرى قائم من دونها ما وراءها يقول شددت بهذه الطعنة كفي ومنه الإملاك ومعناه رباط الرجل بالمرأة والدين معناه في الآية الجزاء قال الشاعر فاعلم بأنك ما تدين تدان وهو قول سعيد بن جبير وقتادة وقيل الدين الحساب وهو المروي عن أبي جعفر عليه السلام وابن عباس والدين الطاعة قال عمرو بن كلثوم وأيام لنا غر طوال عصينا الملك فيها أن ندينا والدين العادة قال الشاعر تقول وقد درأت لها وضيني أهذا دينه أبدا وديني والدين القهر والاستعلاء قال الأعشى هو ذلك الدين إذ كره الدين مرارا بغزوة وصيال ثم دانت بعد الرباب

وكانت كعذاب عقوبة الحول ويدل على أن المراد به الجزاء والحساب قوله تعالى اليوم تجزى كل نفس بما كسبت واليوم تجزون بما كنتم تعملون **الإعراب** مالك مجرور على الوصف لله تعالى وما جاء من النصب فعلى ما ذكرنا من نصب رب العالمين ويجوز أن ينصب رب العالمين ومالك يوم الدين على النداء كأنك قلت لك الحمد يا رب العالمين ويا مالك يوم الدين بإسكان اللام فأصله ملك مخفف كما يقال فخذ وفخذ ومن قرأ ملك يوم الدين جعله فعلا ماضيا ويوم مجرور بإضافة ملك أو مالك إليه وكذلك الدين مجرور بإضافة يوم إليه وهذه الإضافة من باب يا سارق الليلة أهل الدار واتسع في الظرف فنصب نصب المفعول به ثم أضيف إليه على هذا الحد كما قال الشاعر أنشده سيبويه ويوم شهدناه سليما وعامرا قليل سوى الطعن النهال نوافله فكأنه قال هو ملك في ذلك اليوم ولا يؤتي أحدا الملك فيه كما آتاه في الدنيا فلا ملك يومئذ غيره ومن قرأ مالك يوم الدين فإنه قد حذف المفعول به من الكلام للدلالة عليه وتقديره مالك يوم الدين الأحكام والقضاء لا يملك ذلك ولا يليه سواه وإنما خص يوم الدين بذلك لتفرده تعالى بذلك في ذلك اليوم وجميع الخلق مضطرون إلى الإقرار والتسليم فأما الدنيا فليست كذلك فقد يحكم فيها ملوك ورؤساء وليست هذه الإضافة مثل قوله تعالى وعنده علم الساعة لأن الساعة مفعول بها على الحقيقة وليس مفعولا بها على السعة لأن الظرف إذا حصل مفعولا على السعة فمعناه معنى الظرف ولو كان ظرفا لكان المعنى يعلم في الساعة وذلك لا يجوز لأنه تعالى يعلم في كل وقت والمعنى أنه يعلم الساعة أي يعرفها **المعنى** أنه سبحانه لما بين ملكه في الدنيا بقوله رب العالمين بين أيضا ملكه في الآخرة بقوله ملك يوم الدين وأراد باليوم الوقت وقيل أراد به امتداد الضياء إلى أن يفرغ من القضاء ويستقر أهل كل دار فيها وقال أبو علي الجبائي أراد به يوم الجزاء على الدين وقال محمد بن كعب أراد يوم لا ينفع إلا الدين وإنما خص يوم القيامة بذكر الملك فيه تعظيما لشأنه وتفخيما لأمره كما قال رب العرش وهذه الآية تدل على إثبات المعاد وعلى الترغيب والترهيب لأن المكلف إذا تصور ذلك لا بد أن يرجو ويخاف **قوله عز وجل إياك نعبد وإياك نستعين آية** **اللغة** العبادة في اللغة هي الذلة يقال طريق معبد أي مذلل بكثرة الوطء فيه قال طرفة تباري عتاقا ناجيات وأتبعت وظيفا وظيفا فوق مور معبد ويعير معبد إذا كان مطليا بالقطران وسمي العبد عبدا لذلته وانقياده لمولاه والاستعانة طلب المعونة يقال استعنته واستعنت به **الإعراب** قال أبو إسحق إبراهيم بن السري الزجاج موضع إياك نصب بوقوع الفعل عليه وموضع الكاف في إياك خفض بإضافة إيا إليها وإيا اسم للمضمر المنصوب إلا أنه ظاهر يضاف إلى سائر المضمرات نحو قولك إياك ضربت وإياه ضربت وإياي حدثت ولو قلت إيا زيد حدثت كان قبيحا لأنه خص به المضمر وقد روى الخليل عن العرب إذا بلغ الرجل الستين فإياه وإيا الشواب هذا كلام الزجاج ورد عليه الشيخ أبو علي الفارسي قال إن إيا ليس بظاهر بل هو مضمر يدل على ذلك تغير ذاته وامتناع ثباته في حال الرفع والجر وليس كذلك الاسم الظاهر ألا ترى أن تتعاقب عليه الحركات في آخره ويحكم له بها في موضعه من غير تغير نفسه فمخالفته للمظهر فيما وصفناه يدل على أنه مضمر ليس بظاهر قال وحكى السراج عن المبرد عن أبي الحسن الأخفش أنه اسم مفرد مضمر يتغير آخره كما يتغير أواخر المضمرات لاختلاف أعداد المضمرين والكاف في إياك كالتي في ذلك وهي دلالة على الخطاب فقط مجردة من كونها علامة للمضمر ولا محل لها من الإعراب وأقول وهذا الحكم في إياي وإيانا وإياه وبابهما فهي أيها حروف تلحق في إيا فالياء في إياي دليل على المتكلم والهاء في إياه دليل على الغيبة لا على نفس الغائب ويجري التأكيد على إيا منصوبا بقولك إياك نفسك رأيت

واياه نفسه ضربت واياهم كلهم عنيت فاعرفه ولا يخبر ابو الحسن اياك واياه زيد ويستقل واتبعهم عن العرب اذا بلغ الرجل الستين فاياه وايا الشواب ويحمله على الشذ وذلك ان الغرض في الاضافة التخصيص والضم على نهاية التخصيص فلا وجه اذا الاضافة والاصل في نستعين نستعون لانه من المعونة والعون لكن الواو قلبت ياء لثقل الكسرة عليها فنقلت كسرتها الى العين قبلها فبقيت اليا ساكنة لان هذا من الاعلال الذي يتبع بعضه بعضا نحو اعان يعين وقام يقوم وفي شرح كلام ربما ياتي مشروحا فيما بعد ان شاء الله تعالى وقوله نعبد ونستعين مرفوع لوقوعه موقعا يصلح للاسم الا ترى انك لو قلت انا عابدك وانا مستعينك لقام مقامه فهذا المعنى عمل فيه الرفع واما الاعراب في الفعل المضارع فلمضارعته الاسم لان الاصل في الفعل البناء وانما يعرب منه ما شابه الاسماء وهو ما لحقت اوله زيادة من هذه الزيادات الاربع التي هي الهمزة والنون والياء والتاء **المعنى** قوله اياك نعبد واياك نستعين ادل على الاختصاص من ان تقول نعبدك ونستعينك لان معناه نعبدك ولا نعبد سواك ونستعينك ولا نستعين غيرك كما اذا قال الرجل لغيره اعني فمعناه لا اعني غيرك ويكون ابلغ من ان تقول اعينك والعبادة ضرب من الشكر وغاية فيه لانها الخضوع باعلى مراتب الخضوع مع التعظيم باعلى مراتب التعظيم ولا يستحق الا باصول النعم التي هي الخلق والحياة والقدرة والشهوة ولا يقدر عليه غير الله تعالى فلذلك اختص سبحانه بان يعبد ولا يستحق بعضنا عن بعض العبادة كما يستحق بعضنا على بعض الشكر ويحسن الطاعة لغير الله تعالى ولا يحسن العبادة لغيره وقول من قال ان العبادة هي الطاعة للمعبود يفسد بان الطاعة موافقة الامر وقد يكون موافقا لامره ولا يكون عابدا له الا ترى ان الابن يوافق امر الاب ولا يكون له عابدا وكذلك العبد يطيع مولاه ولا يكون عابدا له بطاعته اياه والكفار يعبدون الاصنام ولا يكونون مطيعين لهم اذ لا يتصور من جهتهم الامر ومعنى قوله اياك نستعين اياك نستوفق ونطلب المعونة على عبادتك وعلى امورنا كلها والتوفيق هو ان يجمع بين جميع الاسباب التي يحتاج اليها في حصول الفعل ولهذا لا يقال فيمن اعان غيره وفقه لانه لا يقدر ان يجمع بين جميع الاسباب التي يحتاج اليها في حصول الفعل واما تكرار قوله اياك فلانه لو اقتصر على واحد وبما توهم متوهم انه لا يتقرب الى الله عز وجل الا بالجمع بينهما ولا يمكنه ان يفصل بينهما وهو اذا تفكر في عظمة الله كان عبادة وان لم يستعن به وقيل انه جمع بينهما للتاكيد كما يقال الدار بين زيد وبين عمرو ولو اقتصر على واحد فقيل بين زيد وعمرو كان جائزا قال عدي ابن زيد * وجاعل الشمس مصرا لا خفاء به * بين النهار وبين الليل قد فصلا * وقال اعشى همدان * بين الاشج وبين قيس باذخ * بخ بخ لوالده وللمولود * وهذا القول فيه نظر لان التكرير انما يكون تاكيدا اذا لم يكن محمولا على فعل ثان واياك الثاني في الآية محمول على نستعين ومفعول له فكيف يكون تاكيدا وقيل ايضا انه تعليم لنا في تجديد ذكره تعالى عند كل حاجة فان قيل فان عبادة الله تعالى لا يتاتى بغير اعانة منه فكان يجب ان يقدم الاستعانة على العبادة فالجواب انه قدم العبادة على الاستعانة لا على الاعانة وقد يتاتى بغير استعانة وايضا فان احدهما اذا كان مرتبطا بالآخر لم يختلف التقديم والتاخير كما يقال قضيت حقي فاحسنت الي واحسنت الي فقضيت حقي وقيل ان السؤال الى المعونة انما يقع على عبادة مستانفة لا على عبادة واقعة منهم وانما حسن طلب المعونة وان كان لا بد منها مع التكليف على وجه الانقطاع اليه تعالى كقوله رب احكم بالحق ولانه ربما لا يكون للطف في ادامة التكليف ولا في فعل المعونة به الا بعد تقدم الدعاء من العبد وقد اخطا من استدل بهذه الآية على ان القدرة مع الفعل من حيث ان القدرة لو كانت متقدمة لما كان لطلب المعونة وجه لان للرغبة الى الله تعالى في طلب المعونة وجهين احدهما ان يسال الله تعالى من الطافه وما يقوي دواعيه ويسهل الفعل عليه ما ليس بحاصل

ومن لطف الله بان يعلم ان له في فعله الثواب العظيم زاد ذلك في نشاطه ورغبته والثاني ان يطلب بقاء كونه قادرا على طاعاته المستقبلة بان يجدد له القدرة حالا بعد حال عند من لا يقول ببقائها وان لا يفعل ما يضادها وينفيها عند من قال ببقائها واما العدول عن الخبر الى الخطاب في قوله اياك نعبد الى آخر السورة فعلى عادة العرب في تفننهم واشعارهم من ذلك مملوة قال لبيد * باتت تشكى الي النفس مجهشة * وقد حملتك سبعا بعد سبعينا * وقال ابو كبير الهذلي * يا لهف نفسي كان جدة خالد * وبياض وجهك للتراب الاعفر * فرجع من الاخبار عن النفس الى مخاطبتها في البيت الاول ومن الاخبار عن خالد الى خطابه في البيت الثاني وقال الكسائي تقديره قولوا اياك نعبد وقيل يا محمد قل هذا كما قال ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم ربنا ابصرنا اي يقولون ربنا قال والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام اي يقولون سلام **قوله عز وجل اهدنا الصراط المستقيم آية القراءة** قرا حمزة باشمام الصاد الزاي لا العجلي وبرواية خلاد وابن سعدان يشم ههنا في الموضعين فقط وقرا الكسائي من طريق ابي حمدون باشمام السين ويعقوب من طريق رويس بالسين والباقون بالصاد **الحجة** الاصل في الصراط السين لانه مشتق من السرط ومسرط الطعام ممره ومنه قولهم سرطراط والاخذ سريط فمن قرا بالسين راعى الاصل ومن قرا بالصاد فلما بين الصاد والطاء من المواخاة بالاستعلاء والاطباق ولكراهية ان يتسفل بالسين ثم يتصعد بالطاء في سراط واذا كانوا قد ابدلوا من السين الصاد مع القاف في صقت وصويق ليجعلوها في استعلاء القاف مع بعد القاف من السين وقرب الطاء منها فان يبدلوا منها الصاد مع الطاء احرى من حيث كانت الصاد الى الطاء اقرب الا ترى انهما جميعا من حروف طرف اللسان واصول الثنايا وان الطاء تدغم في الصاد ومن قرا باشمام الزاي فللمواخاة بين السين والطاء بحرف مجهور من مخرج السين وهو الزاي من غير ابطال الاصل **اللغة** الهداية في اللغة الارشاد والدلالة على الشيء يقال لمن يتقدم القوم ويدلهم على الطريق هاد خريت اي دال مرشد قال طرفة * للفتى عقل يعيش به * حيث تهدي ساقه قدمه * والهداية التوفيق قال * فلا تعجلن هداك المليك * فان لكل مقام مقالا * اي وفقك والصراط الطريق الواضح المتسع وسمي بذلك لانه يسرط المارة اي يبتلعها والمستقيم المستوي الذي لا اعوجاج فيه قال جرير * امير المؤمنين على صراط * اذا اعوج الموارد مستقيم * **الاعراب** اهد مبني على الوقف وعلامة الضمير المستكن فيه لله سبحانه والهمزة مكسورة لان ثالث المضارع منه مكسور وموضع النون والالف من اهدنا نصب لانه مفعول به والصراط منصوب لانه مفعول ثان **المعنى** قيل في معنى اهدنا وجوه احدها قيل معناه ثبتنا على الدين الحق لان الله قد هدى الخلق كلهم الا ان الانسان قد يزل ويرد عليه الخواطر الفاسدة فيحسن ان يسال الله تعالى ان يثبته على دينه ويديمه عليه ويعطيه زيادات الهدى التي هي احد اسباب الثبات على الدين كما قال الله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم وهذا كما يقول القائل لغيره وهو ياكل كل اي دم على الاكل وثانيها ان الهداية هي الثواب كقوله سبحانه يهديهم ربهم بايمانهم فصار معناه اهدنا الى طريق الجنة ثوابا لنا ويؤيده قوله الحمد لله الذي هدانا لهذا وثالثها ان المراد دلنا على الحق في مستقبل العمر كما دللتنا عليه في الماضي ويجوز الدعاء بالشيء الذي يكون حاصلا كقوله تعالى قل رب احكم بالحق وقوله حكاية عن ابراهيم ولا تخزني يوم يبعثون وذلك ان الدعاء عبادة وفيه اظهار الانقطاع الى الله تعالى فان قيل ما معنى المسالة في ذلك وقد فعله الله فجوابه انه يجوز ان يكون لنا في الدعاء به مصلحة في ديننا وهذا كما تعبدنا بان نكرر التسبيح والتحميد والاقرار لربنا عز اسمه بالتوحيد وان كنا معتقدين لجميع ذلك ويجوز ان يكون الله تعالى يعلم ان اشياء كثيرة تكون اصلح لنا اذا سالناه واذا لم نسال لا يكون مصلحة فيكون

ذلك وجها في حسن المسألة ويجوز ان يكون المراد استمرار التكليف والتعريض للثواب لان ادامته ليس بواجب
بل هو تفضل محض فجاز ان يرغب اليه فيه بالدعا وقيل في معنى الصراط المستقيم وجوه احدها انه كتاب الله
وهو المروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعن علي عليه السلم وابن مسعود وثانيها انه الاسلام وهو المروي عن
جابر وابن عباس والثالث انه دين الله الذي لا يقبل من العباد غيره عن محمد بن الحنفية والرابع انه النبي صلى الله
عليه وآله والائمة القائمون مقامه وهو المروي عنهم في اخبارنا والاولى حمل الآية على العموم حتى يدخل جميع ذلك
فيه لان الصراط المستقيم هو الدين الذي امر الله به من التوحيد والعدل وولاية من اوجب الله طاعته قوله صراط
الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين آية القراءة قرا حمزة عليهم بضم الهاء واسكان الميم وكذلك لديهم
واليهم وقرا يعقوب بضم كل ها قبلها ياء ساكنة في التثنية وجمع المذكر والمؤنث نحو عليهما وفيهما وعليهم
وفيهم وعليهن وفيهن وقرا الباقون عليهم واخواتها بالكسر ثم اختلف القرا في الميم واهل الحجاز يصلونها
بواو ان انضمت الها قبلها او انكسرت فقالوا عليهموا وعلى قلوبهموا وعلى سمعهموا ومنهموا ولهموا الا ان نافعا
اختلف عنه والباقون بسكون الميم وقرى في الشواذ عليهموا وقرا ابن ابي اسحاق وعيسى الثقفي عليهمي
وقرا الحسن البصري وعمرو بن فائد عليهمي مكسورة الها مضمومة الميم واو وعليهم مضمومة الها والميم
من غير بلوغ واو ورويتا عن الاعرج فهذه سبع قراات واما اذا لقي الميم حرف ساكن فان القرا اختلفوا
فاهل الحجاز وعاصم وابن عامر يكسرون الها ويضمون الميم نحو عليهم الذلة ومن دونهم امراتين
وابو عمرو بكسر الها والميم وحمزة والكسائي بضمان الها والميم معا وكل هذا الاختلاف في الها التي قبلها كسرة
او ياء ساكنة فاذا جاوزت هذين لم يكن في الها الا الضم وقرا صراط من انعمت عليهم عمر وعمرو بن الزبير
وروى ذلك عن اهل البيت عليهم السلم وقرى ايضا في الشواذ غير المغضوب عليهم بالنصب وقرا وغير الضالين
عمر وروى ذلك عن علي عليه السلم **الحجة** من قرا عليهم بضم الها فانه رده الى الاصل لانها اذا انفردت من حروف
تتصل بها قيل هم فعلوا بضم الها وقال السراج وهي القراة القديمة ولغة قريش واهل الحجاز ومن حولهم من
فصحاء اليمن وانما خص هذه الحروف الثلاثة بالضم لان الياء قبلها كانت الفا مثل على القوم ولدا القوم
والى القوم ولا يجوز كسر الها اذا كانت قبلها الف ومن قرا عليهم فانه اتبع الها ما اشبهها وهو الياء وترك
ما لا يشبه الياء والالف على الاصل وهو الميم ومن قرا عليهم فكسر الياء واسكن الميم فلانه من اللبس اذ كانت
الالف في التثنية قد دلت على الاثنين ولا ميم في الواحد فلما لزمت الميم الجمع حذفوا الواو واسكنوا الميم
طلبا للتخفيف اذا كان ذلك لا يشكل واما كسر الها مع ان الاصل الضم فللياء التي قبلها ومن قرا عليهموا فلان
الاصل لان هذه الواو في الجمع وسبيلها سبيل الالف في التثنية اعني اثبات الواو كاثبات الالف ومن قرا عليهمي
فانه كسر الها لوقوع الياء قبلها ساكنة وكسر الميم كراهة للخروج من كسر الها الى ضمة الميم ثم انقلبت الواو
ياء لسكونها وانكسار ما قبلها ومن كسر الها وضم الميم وحذف الواو فانه احتمل الضمة بعد الكسرة فانها
غير لازمة اذ كانت الف التثنية يفتحها الكسرة وحذف الواو تخفيفا من ثقلها مع ثقل الضمة ومن قرا عليهمو
فانه حذف الواو استخفافا واحتمل الضمة قبلها دليلا عليها واما من ضم الميم اذا لقيها ساكن وكسر الها
فانما يحتج بان يقول لما احتيجت الى الحركة رددت الحرف الى الاصل فضممت وتركت الها على كسرها لانه
لم يات ضرورة تخرج الحرف الى الاصل ولان الها انما اتبعت الياء لانها اشبهت بها ولم يشبهها الميم
لبعدها منه واما من كسر الميم والها فانه قال اتبعت الكسرة الكسرة لئلا ينتقل الضم بعد الكسر قال سيبويه الها
تكسر اذا كان قبلها ياء او كسرة لانها خفية وهي من حروف الزيادة كما ان الياء من حروف الزيادة وهي من موضع

الالف وهي اشبه الحروف بالياء وكما امالوا الالف في مواضع استخفافا كذلك كسروا هذه الها وقلبوا
الواو ياء لانه لا يثبت واو ساكنة وقبلها كسرة كقولك مررت بهي وهو مررت بداره قبل **الاعراب** صراط الذين
صفة لقوله الصراط المستقيم ويجوز ان يكون بدلا عنه والفصل بين البدل والصفة ان البدل في تكرير العامل
بدلالة تكرير حروف الجر في قوله سبحانه قال الذين استكبروا للذين استضعفوا لمن آمن منهم وليس كذلك
الصفة فكما اعيدت اللام الجارة في اللام فكذلك العامل الرافع او الناصب في تقدير التكرير فكانه قال
اهدنا صراط الذين وليس يخرج البدل وان كان كذلك عن ان يكون فيه تبيين الاول كما ان الصفة
كذلك ولهذا لم يجز سيبويه في المسكين ان الامور دابك المسكين كما اجاز ذلك الفاعل نحو مررت به المسكين
والذين موصول وانعمت عليهم صلته وقد تم بها اسما مفردا يكون في موضع جر باضافة صراط اليه ولا يتبين
في موضع الرفع اللذون لانه اسم غير متمكن وقد حكى اللذون شاذا كما حكى الشياطون في حال الرفع ولما
غير المغضوب عليهم ففي الجر فيه ثلاثة اوجه احدها ان يكون بدلا من الها والميم في عليهم كقول الشاعر
على حالة لو ان في القوم حاتما على جوده لضن بالماء حاتم فجر حاتم على البدل من الها في جوده وثانيها ان
يكون بدلا من الذين وثالثها ان صفة للذين وان كان اصل غير ان يكون صفة للنكرة تقول مررت
برجل غيرك كانك قلت مررت برجل آخر وبرجل ليس بك قال الزجاج وانما جاز ذلك لان الذين هنا
ليس بمقصود قصدهم فهو بمنزلة قولك اني لامر بالرجل مثلك فاكرمه وقال علي بن عيسى الرماني وانما
جاز ان يكون نعتا للذين لان الذين بصلتها ليست بالمعرفة الموقتة كالاعلام نحو زيد وعمرو وانما
هي كالنكرات اذا عرفت نحو الرجل والفرس فلما كانت الذين كذلك كانت صفتها كذلك ايضا كما
لا اجلس الا الى العالم غير الجاهل ولو كانت بمنزلة الاعلام لما جاز كما لم يجز مررت بزيد غير الظريف بالجر على
الصفة وقال ابو بكر السراج والذي عندي ان غير في هذا الموضع مع ما اضيف اليه معرفة لان حكم
كل مضاف الى معرفة ان يكون معرفة وانما تنكرت غير ومثل مع اضافتهما الى المعارف من اجل معناهما
وذلك انك اذا قلت رايت غيرك فكل شي ترى سوى المخاطب هو غيره وكذلك اذا قلت رايت
مثلك فما هو مثله لا يحصى فاما اذا كان معرفة لضد واحد واردت اثباته ونفي ضده وعلم ذلك
السامع فوصفته بغير واضفت غير الى ضده فهو معرفة وذلك نحو قولك عليك بالحركة غير السكون
فغير السكون معرفة وهي الحركة فكانك كررت الحركة تاكيدا فكذلك قوله تعالى الذين انعمت عليهم
غير المغضوب عليهم فغير المغضوب عليهم هم الذين انعم عليهم فهي كانت غير هذه الصفة فهي معرفة
وكذلك اذا عرف انسان بانه مثلك في ضرب من الضروب فقيل فيه قد جاء مثلك كان معرفة اذا اردت
المعروف بشبهك قال ومن جعل غير بدلا استغنى عن هذا الاحتجاج لان النكرة قد تبدل من المعرفة
وفي نصب غير ثلاثة اوجه ايضا احدها ان يكون نصبا على الحال من المضمر في عليهم والعامل في الحال
انعمت فكانه قال صراط الذين انعمت عليهم لا مغضوبا عليهم وثانيها ان يكون نصبا على الاستثناء المنقطع
لان المغضوب عليهم من غير جنس المنعم عليهم وثالثها ان يكون نصبا على اعني كانه قال اعني غير المغضوب
عليهم ولم يجز ان يقال غير المغضوبين عليهم لان الضمير قد خرج في عليهم فاستغنى عن ان يجمع المغضوب
وهذا حكم كل ما تعدى بحرف جر تقول رايت القوم غير مذهوب بهم فاستغنيت بالضمير المجرور في بهم
عن جمع المذهوب واما لا من قوله ولا الضالين فذهب البصريون الى انها زائدة لتوكيد النفي وذهب الكوفيون
الى انها بمعنى غير ووجه قول البصريين انك اذا قلت ما قام زيد وعمرو واحتمل ان تريد ما قاما معا ولكن قام

كل واحد منهما بانفراده فاذا قلت ما قام زيد ولا عمرو زال الاحتمال وغير يتضمن معنى ولهذا اجاز النحويون
انت زيدا غير ضارب لانه بمنزلة قولك انت زيدا لا ضارب ولا يجوزون انت زيدا مثل ضارب لان زيدا من صلة ضارب
فلا يتقدم عليه وقال علي بن عيسى من نصب على الاستثناء جعل لا صلة كما انشد ابو عبيدة في بئر لا حور سرى وما شعر
اي في بئر هلكة وتقديره غير المغضوب عليهم والضالين كما قال ما منعك ان لا تسجد بمعنى ان تسجد **المعنى**
معنى الآية بيان الصراط المستقيم اي صراط من انعمت عليهم بطاعتك وهم الذين ذكرهم الله تعالى
في قوله ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين **واللغة**
واصل النعمة المبالغة والزيادة يقال دققت الدواء فانعمت دقه اي بالغت في دقه وهذه النعمة وان لم تكن
مذكورة في اللفظ فالكلام يدل عليها لانه لما قال اهدنا الصراط المستقيم وقد بينا المراد بذلك بين ان
هذا صراط من انعم عليهم به ولم يحتج الى اعادة اللفظ كما قال النابغة • كانك من جمال بني اقيش يقعقع خلف
رجليه بشن • اي كانك من جمالهم جمل يقعقع خلف رجليه واراد بالمغضوب عليهم اليهود عند جميع المفسرين
الخاص والعام ويدل عليه قوله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وهؤلاء اليهود
بدلالة قوله تعالى ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين واراد
بالضالين النصارى بدلالة قوله تعالى ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وضلوا عن سواء
السبيل وقال الحسن البصري ان الله تعالى لم يبرئ اليهود عن الضلالة باضافة الضلالة الى النصارى
ولم يبرئ النصارى عن الغضب باضافة الغضب الى اليهود بل كل واحد من الطائفتين مغضوب عليهم
وهم ضالون الا ان الله تعالى خص كل فريق منهم بسمة يعرف بها ويميز بينه وبين غيره بها وان كانوا مشتركين
في صفات كثيرة وقيل المراد بالمغضوب عليهم والضالين جميع الكفار وانما ذكروا بالصفتين لاختلاف
الفائدتين واختار الامام عبد القاهر الجرجاني قولا اخر ان حق اللفظ فيه ان يكون خرج مخرج الجنس كما تقول
نعوذ بالله ان يكون حالنا حال المغضوب عليهم وانك لا تقصد به قوما باعيانهم ولكنك تريد ما تريده بقولك
اللهم اجعلني ممن انعمت عليهم ولا تجعلني ممن غضبت عليهم فلا تريد ان هنا قوما باعيانهم قد اختصوا
بهذه الصفة التي هي كونهم منعما عليهم وليس يخفى على من عرف الكلام ان العقلاء يقولون اجعلني
ممن تديم له النعمة وهم يريدون ان تقول له ادم علي النعمة ولا يشك عاقل اذا نظر الى قول عنترة • ولقد
نزلت فلا تظني غيره • مني بمنزلة المحب المكرم • انه لم يرد ان يشبهها بانسان هو محب مكرم عنده او عند غيره
ولكنه اراد ان يقول انك محبة مكرمة عندي واما الغضب من الله تعالى فهو ارادة انزال العقاب
المستحق بهم ولعنهم وبراءته منهم واصل الغضب الشدة ومنه الغضبة وهي الصخرة الصلبة الشديدة المركبة
في الجبل والغضوب الحية الخبيثة والناقة العبوس واصل الضلال الهلاك ومنه قوله عز اسمه اذا ضللنا
في الارض اي هلكنا ومنه قوله اضل اعمالهم اي اهلكها والضلال في الدين الذهاب عن الحق وانما لم يقل
الذين انعمت عليهم مراعاة للادب في الخطاب واختيار اللفظ المستطاب وفي تفسير العياشي
رحمه الله روى محمد بن مسلم عن ابي عبد الله عليه السلم قال سألته عن قول الله ولقد اتيناك سبعا
من المثاني والقرآن العظيم قال فاتحة الكتاب يثنى فيها القول وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
ان الله تعالى من علي بفاتحة الكتاب من كنز الجنة فيها بسم الله الرحمن الرحيم الآية التي يقول الله تعالى
فيها واذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على ادبارهم نفورا والحمد لله رب العالمين دعوى اهل الجنة
حين شكروا الله حسن الثواب ومالك يوم الدين قال جبرئيل ما قالها مسلم قط الا صدقه الله واهل سمائه اياك نعبد

اخلاص العبادة واياك نستعين افضل ما طلب به العباد حوائجهم اهدنا الصراط المستقيم صراط الانبياء
وهم الذين انعم الله عليهم غير المغضوب عليهم اليهود ولا الضالين النصارى وروى محمد الحلبي عن
ابي عبد الله عليه السلم انه كان يقرا ملك يوم الدين ويقرا اهدنا الصراط المستقيم وفي رواية اخرى يعني امير المؤمنين
عليه السلم وروى جميل عن ابي عبد الله عليه السلم اذا كنت خلف امام ففرغ من قراءة الفاتحة فقل انت
من خلفه الحمد لله رب العالمين وروى فضيل بن يسار قال اذا قرات الفاتحة وفرغت من قراءتها وانت
في الصلوة فقل الحمد لله رب العالمين **النظم** واما نظم هذه السورة فاقول فيه ان العاقل المميز
اذا عرف نعم الله سبحانه بالمشاهدة وكان له من نفسه بذلك اعدل شاهد واصدق ابدا الله بداية
التسمية استفتاحا باسم المنعم واعترافا بالعبودية واستروحا الى ذكر فضله ورحمته ولما اعترف بالمنعم
الفرد اشتغل بالشكر والحمد فقال الحمد لله ولما راى نعم الله تعالى على غيره واضحة كما شاهد اثارها على
نفسه لا يخفى عرف انه رب الخلائق اجمعين فقال رب العالمين ولما راى شمول فضله للمربوبين
وعموم رزقه للمرزوقين قال الرحمن ولما راى تقصيرهم في واجب شكره وتهالكهم في الازدجار
عند زجره واجتناب نهيه وامتثال امره وانه تعالى يتجاوز عنهم بالغفران ولم يواخذهم عاجلا
بالعصيان ولا يسلبهم نعمه بالكفران قال الرحيم ولما راى ما بين العباد من التساعي والتظالم والتكالم
وان ليس لبعضهم من سطو بعض سالم ان علم ان وراءهم يوما ينتصف فيه للمظلوم من الظالم
قال مالك يوم الدين واذا عرف هذه الجملة فقد علم ان له خالقا ورازقا رحيما يحيي ويميت ويبدي
ويعيد وهو الحي الذي لا يشبهه شي والاله الذي لا يستحق العبادة سواه ولما صار الموصوف بهذا الوصف
كالمدرك بالعيان المشاهد له بالبرهان تحول عن لفظ الغيبة الى لفظ الخطاب فقال اياك نعبد هنا
كما ان الانسان يصف الملك بصفاته فاذا راه عدل عن اللفظ الى الخطاب ولما راى الاعتراض الاهوا
والشبهات وتعاور الاراء المختلفات ولم يجد معينا غير الله تعالى سال الاعانة على الطاعة بجميع الاسباب
لها والوصلات وقال واياك نستعين ولما عرف هذه الجملة وتبين له بلغ من معرفة الحق الذي
واستقام على منهج الهدى ولم يامن العثرة لارتفاع العصمة سال الله تعالى التوفيق للدوام عليه والثبات
والعصمة من الزلات فقال اهدنا الصراط المستقيم وهذا لفظ جامع يشتمل على مسالة معرفة الاحكام
والتوفيق لاقامة شرايع الاسلام والاقتداء بمن اوجب الله طاعته من ائمة الانام واجتناب المحارم
والاثام واذا علم ذلك علم ان الله سبحانه عبادا خصهم بنعمته واصطفاهم على بريته وجعلهم حججا على
خليقته فسال ان يلحقه بهم ويسلك به سبيلهم وان يعصمه عن مثل احوال الزالين المزلين الضالين
المضلين ممن عاند الحق وعمي عن طريق وخالف سبيل القصد فغضب الله عليه ولعنه واعد له
الخزي المقيم والعذاب الاليم واشك في واضح الدليل فضل عن سواء السبيل فقال صراط الذين
انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين **سورة البقرة** مدنية كلها الا آية منها وهي قوله
واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله الآية فانها نزلت في حجة الوداع بمنى **عدد آيها** مائتان وست
وثمانون آية في العدد الكوفي وهو العدد المروي عن امير المؤمنين عليه السلم وسبع في العدد البصري
وخمس حجازي واربع شامي خلافها احدى عشرة آية الم كوفي الا خائفين وقوامعه وناصري عذاب
اليم بما كانوا يعملون غيرهم باولي الالباب عراقي والمد في الاخرة من خلاق شامي غير المدني الاخير
يسالونك ماذا ينفقون مكي والمدني الاول تتفكرون كوفي شامي والمدني في الاخرة والحي القيوم مكي بصري

والذين الاخرين الظلمات الى النور المدني الاول يتفكرون كوفي شامي وروي عن اهل مكة والايضا

كاتب ولا شهيد فضلها ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه واله قال من قراها فصلوات الله عليه ورحمته واعطي

من الاجر كالمرابط في سبيل الله سنة لا تسكن روعته وقال لي يا ابي مر المسلمين ان يتعلموا سورة البقرة

فان تعلمها بركة وتركها حسرة ولا يستطيعها البطلة قلت يا رسول الله ما البطلة قال السحرة وروى سهل بن سعد

قال قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ان لكل شيء سناما وسنام القران سورة البقرة ومن قراها

في بيته نهارا لم يدخل بيته شيطان ثلاثة ايام ومن قراها في بيته ليلا لم يدخله شيطان ثلاث ليال

وروي ان النبي صلى الله عليه واله بعث بعثا ثم تتبعهم يستقرئهم فجاء انسان منهم فقال ماذا معك من القران

حتى اتى على احدثهم سنا فقال النبي ما معك من القران قال كذا وكذا وسورة البقرة قال اخرجوا وهذا عليكم

امير قالوا يا رسول الله هو احدثنا سنا قال معه سورة البقرة وسئل النبي صلى الله عليه واله اي سور القران البقرة

وال عمران جاءتا يوم القيامة تظلان على راسه مثل الغمامتين او مثل الغيابتين تفسيرها بسم الله

الرحمن الرحيم الم آية كوفي اختلف العلماء في الحروف المعجمة المفتتح بها السور فذهب بعضهم

الى انها من المتشابهات التي استاثر الله بعلمها ولا يعلم تاويلها الا هو وهذا هو المروي عن ائمتنا

وروت العامة عن امير المؤمنين عليه السلام انه قال ان لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي

وعن الشعبي قال لله في كل كتاب سر وسره في القران سائر حروف الهجاء المذكورة في اوائل السور وفسرها الاخرون

على وجوه احدها انها اسماء السور ومفاتحها عن الحسن وزيد بن اسلم وثانيها ان المراد بها الدلالة

على اسماء الله تعالى فقوله الم معناه انا الله اعلم والمر معناه انا الله اعلم وارى والمص انا الله اعلم وافصل والكاف

في كهيعص من كاف والهاء من هاد والياء من حكيم والعين من عليم والصاد من صادق عن ابن عباس

وعنه ايضا ان الم الالف منه تدل على اسم الله واللام تدل على اسم جبرئيل والميم تدل على اسم محمد وروى

ابو اسحاق الثعلبي في تفسيره مسندا الى علي بن موسى الرضا عليه السلام قال سئل جعفر بن محمد الصادق

عليه السلام عن قوله الم فقال في الالف ست صفات من صفات الله عز وجل الابتداء فان الله عز وجل

ابتدا جميع الخلق والالف ابتداء الحروف والاستواء فهو عادل غير جائر والالف مستو في ذاته والانفراد

والله فرد والالف فرد واتصال الخلق بالله والله لا يتصل بالخلق وكلهم محتاجون اليه والله غني عنهم

والالف كذلك لا يتصل بالحروف والحروف متصلة به وهو منقطع من غيره والله تعالى باين بجميع صفاته

من خلقه ومعناه من الالفة فكما ان الله عز وجل سبب الفة الخلق فكذلك الالف عليه تالفت الحروف

وهو سبب الفتها وثالثها انها اسماء الله منقطعة لو احسن الناس تاليفها لعلموا اسم الله الاعظم تقول

الر وحم ون فيكون الرحمن وكذلك سائرها الا انا لا نقدر على وصلها والجمع بينها عن سعيد بن جبير

ورابعها انها اسماء القران عن قتادة وخامسها انها اقسام اقسم الله تعالى بها وهي من اسمائه عن ابن عباس

وعكرمة قال الاخفش وانما اقسم الله بالحروف المعجمة لشرفها وفضلها ولانها مباني كتبه المنزلة بالالسنة

المختلفة واسمائه الحسنى وصفاته العليا واصول كلام الامم كلها بها يتعارفون ويذكرون الله عز اسمه

ويوحدونه فكانه اقسم بهذه الحروف ان القران كلامه وكتابه وسادسها ان كل حرف منها مفتاح

اسم من اسماء الله عز وجل وليس فيها حرف الا وهو في آلائه وبلائه وليس فيها حرف الا وهو في مدة

قوم وآجال آخرين عن ابي العالية وقد ورد مثل ذلك في اخبارنا وسابعها ان المراد بها مدة بقاء

هذه الامة عن مقاتل بن حيان قال مقاتل حسبنا هذه الحروف التي في اوائل السور باسقاط المكرر

فبلغت سبعمائة واربعا وسبعين سنة وهي بقية مدة هذه الامة قال علي بن فضال المجاشعي النحوي

وحسبت هذه الحروف التي ذكرها مقاتل فبلغت ثلاثة الاف وخمسا وستين فحذفت المكررات فبقي ستمائة

وثلاث وتسعون والله اعلم بما فيها واقول انا حسبتها انا فوجدتها كذلك ويروى ان اليهود لما سمعوا

الم قالوا مدة ملك محمد قصيرة انما تبلغ احدى وسبعين سنة فلما نزلت المر والر قال اليهود لما سمعوا الر والمر

والمص وكهيعص اشتبه عليهم الامر وهذا قول اهل التفسير وثامنها ان المراد بها حروف المعجم استغنى

بذكر ما ذكر منها في اوائل السور عن ذكر بواقيها التي هي تمام الثمانية والعشرين حرفا كما يستغنى بذكر قفا نبك

عن ذكر باقي القصيدة وكما يقال اب في ابجد وفي اب ت ث ولم يذكروا باقي الحروف قال الراجز لما رايته

انشا في حطي اخذت منها بقرون شمط وانما اراد الخبر عن المراة لانها في ابجد فاقام حطي مقامه لدلالة

الكلام عليه وتاسعها انها تسكيت للكفار لان المشركين كانوا تواصوا فيما بينهم ان لا يستمعوا

لهذا القران وان يلغوا فيه كما ورد به التنزيل في قوله لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه الاية فربما

صفروا وربما صفقوا وربما لغطوا ليغلطوا النبي عليه السلام فانزل الله تعالى هذه الحروف حتى اذا سمعوا

شيئا غريبا استمعوا اليه وتفكروا واشتغلوا عن تغليطه فيقع القران في مسامعهم ويكون ذلك سببا

موصلا لهم الى درك منافعهم وعاشرها ان المراد بها ان هذا القران الذي عجزتم عن معارضته

من جنس هذه الحروف التي تتحاورون بها في خطبكم وكلامكم فاذا لم تقدروا عليه فاعلموا انه من عند الله

لان العادة لم تجر بان الناس يتفاوتون في القدر هذا التفاوت العظيم وانما كررت في مواضع استظهارا

في الحجة وهو المروي عن قطرب واختاره ابو مسلم محمد بن بحر الاصفهاني اللغة احد هذه الاقوال الاول

المحكي عن الحسن لان اسماء الاعلام منقولة الى التسمية عن اصولها للتفرقة بين المسميات فيكون حروف

المعجم منقولة الى التسمية ولهذا في اسماء العرب نظير قالوا اوس بن حارثة بن لام الطائي ولا خلاف بين

النحويين انه يجوز ان يسمى بحروف المعجم كما يجوز ان يسمى بالجمل نحو تابط شرا وبرق نحره وكل كلمة لم تكن

على معنى الاصل فهي منقولة الى التسمية للفرق نحو جعفر اذا لم ترد به معنى النهر لم يكن الا منقولا الى العلمية

وكذلك اشباهه ولو سميت بالف لام ميم لحكيت جميع ذلك واما قول ابن عباس انه اختصار من اسماء

يعلم النبي عليه السلام تمامها فنحوه قول الشاعر نادوهم ان الجموا الا تا قالوا جميعا كلهم الا فا يريد الا تركبون

قالوا الا فاركبوا وقول الاخر قلت لها قفي لنا قالت قاف لا تحسبي انا نسينا الايجاف يعني قالت انا واقفة

الاعراب اما موضع الم فمختلف فيه بحسب اختلاف هذه المذاهب اما على مذهب الحسن فموضعها رفع

على اضمار مبتدا محذوف كانه قال هذه الم واجاز الرماني ان يكون المبتدا وذلك الكتاب خبره وتقديره

حروف المعجم ذلك الكتاب وهذا فيه بعد لان حكم المبتدا ان يكون هو الخبر في المعنى وليس الكتاب

هو حروف المعجم ويجوز ان يكون الم في موضع نصب على اضمار فعل تقديره اتل الم واما على مذهب

من جعلها قسما فموضعها نصب باضمار فعل به لان حرف القسم اذا حذف يصل الفعل الى المقسم به

فينصبه فان معنى قولك بالله اقسم بالله ثم حذفت اقسم فبقي بالله ولو حذفت الباء لقلت الله لافعلن

واما على مذهب من جعل هذه الحروف اختصارا من كلام او حروفا مقطعة فلا موضع لها من الاعراب

لانها بمنزلة قولك زيد قائم في ان موضعه لا حظ له في الاعراب وانما يكون للجملة موضع اذا وقعت موقع

المفرد كقولك زيد ابوه قائم وان زيدا ابوه قائم لانه بمنزلة قولك زيد قائم وان زيدا قائم وهذه الحروف

موقوفة على الحكاية كما يفعل بحروف التهجي لانها مبنية على السكت كما ان العدد مبني على السكت يدل على ذلك

جمعك بين ساكنين في قولك لام ميم ويقول في العدد واحد اثنان ثلثه اربعه فيقطع الف اثنين والف اثنين
الف وصل ويلقي حركة الهاء في ثلثه واربعه ولولا انك تقدر السكت لقلت ثلثه بالتاء ويدل عليه قول الشاعر اقبلت
من عند زياد كالخرف تخط رجلاي بخط مختلف كانما تكتبان في الطريق لام الف ولكنه القى
حركة همزة الف على الميم ففتحها واذا اخرجت عن حروف الهجاء واسماء الاعداد لو بها لانك ادخلتها ما الاخبار
عنها في جملة الاسماء المتمكنة واخرجتها عن ذلك من حيز الاصوات كما قال الشاعر كما بينت كاف تلوح وميمها
وقال آخر كما اذا اجتمعوا على الف وباء وواو هاج بينهم الجدال ويقول هذا كاف حسن وهذه كاف حسنة
من ذكره فعلى معنى الحرف ومن انثه فعلى معنى الكلمة

قوله تعالى ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين آية

القراءة قرا ابن كثير فيهي هدى بوصل الهاء بياء في اللفظ وكذلك كل هاء كناية قبلها ياء ساكنة فان كان قبلها
ساكن غير الياء بالواو وافتحص في قوله منهو لحانا ومنيبر في قوله فلاقيهي وسامليهي والباقون
لا يشبعون واذا تحرك ما قبل الهاء فهم مجتمعون على اشباعه **الحجة** اعلم انه يجوز في العربية في منه اربعة
اوجه منهو ومنهي ومنه ومنه والاصل منهو كما قيل لهو مال فمن كسر من فهي فمنهو مع ان الاصل الضم
لاجل الياء والكسرة قبل الهاء والكسرة قبل الهاء والهاء يشبه الالف لكونها من حروف الحلق ولما فيها
من الخفاء نحو انها الالف نحو الياء بالامالة لاجل الكسرة او الياء كذلك كسر الهاء للكسرة او الياء لتجانس الصوتان
ومن ترك الاشباع فلكراهية اجتماع المتشابهة فان الهاء حرف خفي فاذا اكتنفها ساكنان من حروف
اللين كان الساكنين التقيا لخفاء الهاء فانهم لم يعتدوا بها حاجزا في نحو فيهي وخذه وهو كالم يعتد بها في
نحو رده وامن اتبع الضم اذا وصل الفعل بضمير المؤنث فقال ردها بالفتح لا غير ولم يتبع الضم الضم وجعل الدال كانها
لازقة بالالف واما من اشبع واتبعها الياء قبل الهاء وان كانت خفية فليس يخرجها ذلك عن ان يكون كغيرها
من حروف المعجم التي لا خفاء فيها واذا كان كذلك كان حجزها بين الساكنين له كحجز غيرها من الحروف التي لا خفاء
فيها **اللغة** ذلك لفظ يشار بها الى ما بعد وهذا الى ما قرب والاسم من ذلك ذا والكاف زيدت للخطاب ولا حظ
لها من الاعراب واللام تزاد للتاكيد وكسرت لالتقاء الساكنين ويسقطونها فيقولون ذاك وذلك وهذا
ولا يقولون هذلك والكتاب مصدر وهو بمعنى المكتوب كالحساب قال الشاعر بشرت عيالي اذ رايت صحيفة
اتتك من الحجاج يتلى كتابها اي مكتوبها واصل الجمع من قولهم كتبت القربة اذا خرزتها والكتيبة الخرزة وكتبت
البغلة اذا جمعت بين شفريها بحلقة ومنه قيل للجند كتيبة لانضمام بعضهم الى بعض والريب الشك وقيل هو
اسوء الشك وهو مصدر رابني الشي من فلان يريبني اذا كنت مستيقنا منه بالريبة فاذا اساءت به الظن
ولم تستيقن بالريبة منه قلت ارابني من فلان امر يريبني وارابت الرجل اي صار صاحب ريبة كما قيل الام اي استحق
ان يلام والهدى الدلالة مصدر وفعل قليل في المصادر قال ابو علي يجوز ان يكون فعل مصدرا اختص به المعتل
وان لم يكن في المصادر كان كيانونة ونحوه لا يكون في الصحيح والفعل منه يتعدى الى مفعولين يتعدى الى الثاني
منهما باحد حرفي الجر الى واللام كقوله واهدنا الى سواء الصراط والحمد لله الذي هدانا لهذا وقد يحذف منهم
حرف الجر فيصل الفعل الى المفعول نحو اهدنا الصراط المستقيم اي دلنا عليه واسلك بنا فيه كانه استنجاز لما وعدوا
به في قوله يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام اي يسهل كانه استنجاز لما وعد وابى دار السلام والاصل
في المتقين الموقنين مفتعلين من الوقاية فقلبت الواو تاء وادغمتها في التاء التي بعدها وحذفت الكسرة
عن الياء استثقالا لها ثم حذفتها لالتقاء الساكنين فصار متقين والتقوى اصله وقوى فقلبت الواو
تاء كالتراث اصله وراث واصل الاتقاء الحجز بين الشيئين فقال اتقاه بالترس اي جعله حاجزا بينه وبينه

14
وقال الشاعر فالفت نادوينا الشمس وانقلبت ، ناجبين موصولين كف ومعصم ، ومنه الوقار لانها يمنع روية
الشعر **الاعراب** ذلك في موضع رفع من وجوه ، احدها ان يجعل خبرا عن الم كما مضى القول فيه وثانيها
ان يكون مبتدا والكتاب خبره وثالثها ان يكون مبتدا والكتاب عطف بيان او صفة او بدل منه ولا ريب فيه
جملة في موضع الخبر ورابعها ان يكون مبتدا وخبره هدى ويكون لا ريب فيه في موضع الحال والعامل في الحال
معنى الاشارة وخامسها ان يكون لا ريب فيه وهدى جميعا خبرا بعد خبر كقولك هذا حلو حامض اي جمع الطعمين
ومنه قول الشاعر من يك ذا بت فهذا بتي مقيظ مصيف مشتي وسادسها ان يكون خبر مبتدا محذوف
تقديره هذا ذلك الكتاب واذا حملت على الوجه او على انه مبتدا ولا ريب الخبر او على انه خبر الم او على ان الكتاب
خبر عنه كان قوله هدى في موضع نصب على الحال اي هاديا للمتقين والعامل فيه معنى الاشارة او الاستقرار الذي
يتعلق به فيه وقوله لا ريب قال سيبويه لا تعمل فيما بعدها فتنصبه بغير تنوين وقال غيره من حذاق
النحويين جعل لا مع النكرة الشايعة مركبا فهو او كذلك يتضمنه الاسم معنى الحرف لانه جعل جزءا من الاسم ولا لانك
تضيف اليه مجموعا ويدخل عليه حرف الجر فتقول جئتك بلا مال ولا زاد فلما صار كذلك بني على الفتح وهما جميعا
في موضع الرفع على الابتداء فموضع خبره موضع خبر المبتدا وعلى هذا يجوز ان يجعل فيه خبرا ويجوز ان يجعله
صفة فان جعلته صفة اضمرت الخبر وان جعلته خبرا كان موضعه رفعا في قياس قول سيبويه من
حيث يرتفع خبر الابتداء على قول ابي الحسن الاخفش موضعه رفع والموضع للظرف نفسه لانه كان يتعلق به
لان الحكم من دون ما كان يكون الظرف منتصبا به في الاصل الا ترى ان الضمير قد صار في الظرف واما قوله
هدى فيجوز ان يكون في موضع رفع من ثلاثة اوجه غير الوجه الذي ذكرناه قبل وهو ان يكون خبرا عن ذلك
احدها ان يكون مبتدا وفيه الخبر على ان تضمر لا ريب خبرا كانك قلت لا ريب فيه فيه هدى والوقف على
هذا الوجه على قوله لا ريب فيه وعنده هدى للمتقين والوجه الثاني ان يكون خبرا عن الم على قول من جعله
اسما للسورة والوجه الثالث ان يكون خبر المبتدا محذوف وتقديره هو هدى **المعنى** المراد بالكتاب القران
وقال الاخفش ذلك بمعنى هذا لان الكتاب كان حاضرا وانشد لخفاف بن ندبة اقول له والرمح ياطر
متنه تامل خفافا انني انا ذلكا اي انا هذا وهذا البيت يمكن اجراوه على ظاهره اي انا ذلك الرجل الذي
سمعت بشجاعته اذا جرى للشي ذكر يجوز ان يقول السامع هذا كما قلت وذلك كما قلت ويقول انفق
ثلاثة وثلاثة فهذه ستة او فذلك ستة وانما يقول هذا القريب بالاخبار عنه ويقول ذلك لكونه
ماضيا وقيل ان الله وعد نبيه ان ينزل عليه كتابا لا يمحوه الماء ولا يخلق على كثرة الرد فلما انزل القران
قال هذا القران ذلك الكتاب الذي وعدتك عن الفراء وعن ابي علي الجبائي وقيل معناه هذا القران
ذلك الكتاب الذي وعدتك به في الكتب السالفة عن المبرد ومن قال ان المراد بالكتاب التوراة
والانجيل فقوله فاسد لانه وصف الكتاب بانه لا ريب فيه وانه هدى ووصف ما في ايدي اليهود
والنصارى بانه محرف بقوله يحرفون الكلم عن مواضعه ومعنى قوله لا ريب فيه انه بيان وهدى وحق
ومعجز ومن هاهنا استحق الوصف بانه لا شك فيه الا على جهة الاخبار بمعنى شك الشاكين وقيل انه
على الحذف كانه قال لا سبب شك فيه لان الاسباب التي توجب الشك في الكلام هي التلبيس والتعقيد
والتناقض والدعاوى العارية من البرهان وهذه كلها منفية عن كتاب الله تعالى وقيل ان معناه النهي
وان كان لفظه الخبر اي لا ترتابوا ولا تشكوا فيه كقوله تعالى لا رفث ولا فسوق واما تخصيص المتقين بان القران
هدى لهم وان كان هدى لجميع الناس فلانهم هم الذين انتفعوا به واهتدوا بهداه كما قال انما انت

منذر من يخشاها وان كان عليه السلام منذر الكل مكلف لانه انما انتفع بانذاره من يخشى نار جهنم على انه
ليس في الاخبار بانه هدى للمتقين ما يدل على انه ليس هدى لغيرهم وبين في اية اخرى انه هدى للناس

فصل في التقوى والمتقي روي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال جماع التقوى في قوله تعالى ان الله
يامر بالعدل والاحسان الآية وقيل المتقي الذي اتقى ما حرم الله عليه وفعل ما اوجب عليه وقيل هو الذي
يتقي بصالح اعماله عذاب الله وسال عمر ابن كعب الاحبار عن التقوى فقال هل اخذت طريقا ذا شوك
قال نعم قال فما عملت فيه فقال حذرت وتشمرت فقال كعب ذلك التقوى ونظمه بعض الناس فقال خل الذنوب
صغيرها وكبيرها فهو التقى واصنع كماش فوق ارض الشوك يحذر ما يرى لا تحقرن صغيرة ان الجبال من الحصى
وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال انما سمي المتقون لتركهم ما لا باس به حذرا من الوقوع فيما به باس
وقال عمر بن عبد العزيز التقي ملجم كالمحرم في الحرم وقال بعضهم التقوى ان لا يراك الله حيث نهاك ولا يفقدك
حيث امرك **قوله عز وجل الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون** آية

القراءة قرأ ابو جعفر وعاصم في رواية الاعشى عن ابي بكر بترك كل همزة ساكنة مثل يومنون وياكلون ويوتون
وبيس ونحوها ويترك ابو جعفر كثيرا من المتحركة مثل يود ولا يواخذكم ويويد بنصره ومذهب ابي جعفر فيه تفصيل
يطول ذكره واما ابو عمرو فيترك كل همزة ساكنة الا ان يكون سكونها علامة للجزم مثل ينبئهم وتسوءكم
ونهيئ لكم ومن تشاء وانبئهم واقرأ كتابك ونحوها فانه لا يترك الهمزة فيها وروي عنه الهمزة ايضا
في الساكنة واما نافع فيترك كل همزة ساكنة ومتحركة اذا كانت فاء من الفعل نحو يومنون ولا يواخذكم واختلفت
رواة الكسائي وحمزة ولكل واحد منهم مذهب يطول ذكره والهمزة على الاصل وتركه للتخفيف **الاعراب واللغة**
الذين جمع الذي واللاي واللاتي جمع التي وتثنيتهما اللذان واللتان في حال الرفع واللذين واللتين في حال
الجر والنصب وهي الاسماء التي لا يتم الا بصلاتها نحو من وما والتي وصلاتها لا تكون الا جملا خبرية يصح فيها الصدق
والكذب ولا بد ان يكون فيها ضمير يعود الى الموصول فاذا استوفت الموصولات صلاتها كانت في تاويل
اسم مفرد مثل زيد وعمرو ويحتاج الى جزء آخر لتصير جملة فقوله الذين موصول ويؤمنون صلته ويحتمل
ان يكون محله نصبا او جرا او رفعا فالنصب على المدح تقديره اعني الذين يؤمنون واما الجر فعلى انه صفة للمتقين
واما الرفع فعلى المدح ايضا كانه لما قيل هدى للمتقين فقيل من هم فقيل هم الذين يؤمنون بالغيب فيكون
خبر مبتدأ محذوف ويومنون معناه يصدقون والواو في موضع الرفع بكونه ضمير الفاعلين والنون علامة الرفع
والاصل في يفعل يؤفعل ولكن الهمزة حذفت لانك اذا انبات عن نفسك قلت انا أأفعل فكانت تجتمع همزتان
فاستثقلتا فحذفت الهمزة الثانية فقيل افعل ثم حذفت من سائر الصيغ الاخر نحو تفعل ويفعل ونفعل كما ان
باب يعد حذفت منه الواو لوقوعها بين ياء وكسرة والاصل يوعد ثم حذفت في تعد ونعد واعد ليجري
الباب على سنن واحد قال الازهري اتفق العلماء على ان الايمان التصديق قال الله تعالى وما انت بمؤمن
لنا اي بمصدق قال ابو زيد وقالوا ما امنت ان اجد صحابة اي ما وثقت فالايمان هو الثقة قال الله تعالى
الذين آمنوا بآياتنا اي صدقوا بثوابه وعقابه قال الشاعر انشده ابن الانباري ومن قبل آمنا وقد كان قومنا
يصلون للاوثان قبل محمدا معناه آمنا محمدا اي صدقناه ويجوز ان يكون آمن من قياس فعلته فافعل هو
امنته فآمن مثل كببته فاكب والامن خلاف الخوف والامانة خلاف الخيانة والعون الناقة القوية كما
يومن عثارها اي كلالها ويجوز ان يكون آمن على نفسه بالظهار الضد نحو تحوب وتحنث واسلم صار
ذا سلام اي خرج عن ان يكون حربا هذا في اصل اللغة اما في الشريعة فالايمان هو التصديق بكل ما يلزم التصديق

به من امر الله تعالى وانبيائه وملائكته وكتبه والبعث والنشور والجنة والنار واما قولنا في وصف القديم
تعالى المؤمن فانه يحتمل تاويلين احدهما ان يكون من امن المتعدي الى مفعول فنقل بالهمزة فتعدى
الى مفعولين فصار من امن زيد العذاب وامنته العذاب فمعناه المؤمن عباده من لا يستحقه من اوليائه من
هذا وصف سبحانه بالعدل كقوله قائما بالقسط وهذا الوجه مروي في اخبارنا والآخر ان يكون معناه المصدق
اي يصدق الموحدين في توحيدهم اياه يدل عليه قوله شهد الله انه لا اله الا هو لان الشاهد مصدق
لما يشهد به كما انه مصدق من يشهد له فاذا شهد بالتوحيد فقد صدق الموحدين واما الغيب
فهو ما غاب عنك ولم تشهده وقوله بالغيب كانه اجمال لما فصل في قوله كل آمن بالله وملائكته وكتبه
ورسله اي يؤمنون بما كفر به الكفار من وحدانية الله تعالى وانزال الكتب وارسال رسله وكل هذا غيب
فعلى هذا يكون الجار والمجرور في موضع نصب بانه مفعول به وفيه وجه آخر وهو ان يكون المراد
يؤمنون اذا غابوا عنكم ولم يكونوا كالمنافقين ومثله قوله من خشي الرحمن بالغيب فعلى هذا يكون الجار
والمجرور في موضع الحال اي يؤمنون غائبين عن مراءاة الناس لا يريدون بايمانهم تصنعا لاحد ولكن
يخلصونه لله تعالى ويقيمون الصلوة يؤدونها بحدودها وفرائضها يقال اقام القوم سوقهم
اذا لم يعطلوها من البيع والشرى وقال الشاعر اقامت غزالة سوق الضراب لاهل العراقين حولا قميطا
وقال ابو مسلم يقيمون اي يديمون اداء فرضها يقال للشيء الراتب قائم ويقال فلان يقيم ارزاق الجند والصلوة
في اللغة الدعاء قال الاعشى واصلها الريح في ظلها وصلى على دنها وارتسم اي دعا لها ومنه الحديث اذا دعي
احدكم الى طعام فليجب وان كان صائما فليصل اي فليدع له بالبركة والخير وقيل اصله رفع الصلا في الركوع
وهو عظم في العجز وقوله ومما رزقناهم ينفقون ما هذه حرف موصول ورزقناهم صلته وهما جميعا بمعنى
المصدر تقديره ومن رزقنا اياهم ينفقون او اسم موصول والعائد من الصلة الى الموصول محذوف
والتقدير من الذي رزقناهموه ينفقون فيكون مما رزقناهم في موضع جر بمن والجار والمجرور في موضع نصب
بانه مفعول ينفقون والرزق هو العطاء الجاري وهو نقيض الحرمان والانفاق اخراج المال يقال انفق
ماله اي اخرجه من ملكه ونفقت الدابة اذا خرجت روحها والنافقاء جحر اليربوع لانه يخرج منها ومنه النفاق
لان المنافق يخرج الى المؤمنين بالايمان والى الكافر بالكفر **المعنى** لما وصف القرآن بانه هدى للمتقين بين
صفة المتقين فقال الذين يؤمنون بالغيب اي يصدقون بجميع ما اوجبه الله تعالى او ندب اليه او اباحه وقيل
يصدقون بالقيامة والجنة والنار عن الحسن وقيل بما جاء من عند الله عن ابن عباس وقيل بما غاب
عن العباد علمه عن ابن مسعود وجماعة من الصحابة وهذا اولى لعمومه ويدخل فيه ما رواه اصحابنا من
زمان غيبة المهدي ووقت خروجه وقيل الغيب هو القرآن عن زر بن حبيش وقال الرماني الغيب هو
خفاء الشيء عن الحس قرب او بعد الا انه كثرت صفة غائب على البعيد الذي لا يظهر للحس وقال البلخي الغيب
كل ما ادرك بالدلائل والآيات مما يلزم معرفته وقالت المعتزلة باجمعها الايمان هو فعل الطاعة ثم اختلفوا فمنهم
من اعتبر الفرائض والنوافل ومنهم من اعتبر الفرائض حسب واعتبروا اجتناب الكبائر وروى الخاص والعام
عن علي بن موسى الرضا ان الايمان هو التصديق بالقلب والاقرار باللسان والعمل بالاركان وقد روي
ذلك على لفظ آخر عنه ايضا الايمان قول مقول وعمل معمول وعرفان العقول واتباع الرسول واقول ان اصل
الايمان هو المعرفة بالله وبرسله وبجميع ما جاءت به رسله وكل عارف بشيء فهو مصدق به يدل عليه
هذه الآية وانه تعالى لما ذكر الايمان علقه بالغيب ليعلم انه تصديق للمخبر بما اخبر به من الغيب على معرفة وثقة

بأفراده بالذكر عن سائر الطاعات البدنية والمالية وعطفهما عليه فقال ويقيمون الصلوة ومما رزقناهم
ينفقون والشيء لا يعطف على نفسه وانما يعطف على غيره ويدل عليه ايضا انه تعالى حيث ذكر الايمان اضافه الى القلب
فقال وقلبه مطمئن بالايمان وقال اولئك كتب في قلوبهم الايمان وقال النبي صلى الله عليه وآله الايمان سر واشار الى
صدره والاسلام علانية وقد يسمى الاقرار ايمانا كما يسمى تصديقا الا انه متى صدر عن شك او جهل كان ايمانا
لفظيا لا حقيقيا وقد يسمى اعمال الجوارح ايضا ايمانا استعارة وتلويحا كما يسمى تصديقا كذلك فيقال فلان
يصدق افعاله اقواله ولا خلاف في انه لا يطلق على القتل والغصب تصديق وقال اهل اللغة ولا خلاف في ان العمل ليس بتصديق حقيقي باتفاق اهل اللغة وانما
استعير له هذا الاسم على الوجه الذي ذكرناه فقد آل الامر مع تسليم صحة الخبر وقبول ان الايمان هو المعرفة بالقلب
والتصديق به على نحو ما يقتضيه اللغة ولا يطلق لفظه الا على ذلك الا انه يستعمل في الاقرار
والعمل بالاركان مجازا واتساعا وبالله التوفيق وقد ذكرنا في قوله الذين يقيمون الصلوة وجهين
اقتضاهما اللغة وقيل ايضا انه مشتق من القيام في الصلاة ولذلك قيل قد قامت الصلوة وانما ذكر القيام
لانه اول اركان الصلاة وامدها وان كان المراد به هو وغيره والصلاة في الشرع عبارة عن افعال مخصوصة
على وجه مخصوص وهذا يدل على ان الاسم ينقل من اللغة الى الشرع وقيل ان هذا ليس بنقل بل هو تخصيص
لانه يطلق على الذكر والدعاء في مواضع مخصوصة وقوله تعالى ومما رزقناهم ينفقون يريد ومما اعطيناهم
وملكناهم يخرجون على وجه الطاعة وعن ابن عباس انه الزكوة المفروضة وعن ابن مسعود انه نفقة الرجل على اهله
لان الاية نزلت قبل وجوب الزكوة وعن الضحاك هو التطوع بالنفقة وروى محمد بن مسلم عن الصادق عليه السلم
ان معناه ومما علمناهم يبثون والاولى حمل الاية على عمومها وحقيقة الرزق هو ما صح ان ينتفع به المنتفع وليس لاحد
منعه وهذه الاية تدل على ان الحرام لا يكون رزقا لانه تعالى مدحهم بالانفاق مما رزقهم والمنفق من الحرام لا يستحق
المدح على الانفاق بالاتفاق النزول قال بعضهم هذه الاية تناولت مؤمني العرب خاصة بدلالة قوله فيما بعد
والذين يؤمنون بما انزل اليك الآية فهذه في مؤمني اهل الكتاب اذ لم يكن للعرب كتاب قبل القرآن وهذا غير
صحيح لانه لا يمتنع ان يكون الاولى عامة في جميع المؤمنين وان كانت الثانية خاصة في قوم منهم ويجوز ان يكون المراد
بالايات قوما واحدا وصفوا بجميع ذلك بان جمع بين اوصافهم بواو العطف كقول الشاعر الى الملك القرم
وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم قوله عز وجل والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك
وبالآخرة هم يوقنون آية القراءة اهل الحجاز غير ورش واهل البصرة لا يمدون حرفا لحرف وهو ان يكون المدة
من كلمة والهمزة من اخرى نحو بما انزل اليك ونحوه واما اهل الكوفة وابن عامر وورش عن نافع فانهم
يمدون ذلك وورش اطولهم مدا ثم حمزة ثم عاصم برواية الاعشى والباقون يمدون مدا وسطا من غير افراط
فالمد للتحقيق وحذفه للتخفيف واما السكت بين المد والهمزة فعن حمزة ووافقه عاصم والكسائي على اختلاف
بينهما وكان يقف حمزة قبل الهمزة ايضا فيسكت على اللام شيئا من قوله بالآخرة ثم يبتدئ بالهمزة وكذلك يقطع
على الياء شيئا كانه يقف ثم يهمز الباقون بغير سكتة الاعراب اليك وعليك ولديك الاصل فيها الى وعلى ولدى
الا ان الالف غيرت مع المضمر فابدلت ياء ليفصل بين الالف في آخر الاسم المتمكن وبينها في آخر الاسم المتمكن الذي
الاضافة لازمة له اعني ان الى وعلى ولدى لا ينفرد عن الاضافة وشبهت بكلا اذا اضيفت الى المضمر فانها لا تنفرد
ولا يكون كلا اما الا بالاضافة وما موصول وانزل صلته وفيه ضمير يعود الى ما والموصول مع صلته في موضع
جر بالباء والجار والمجرور في موضع نصب بانه مفعول يؤمنون ويؤمنون صلة للذين والذين يؤمنون في موضع
جر بالعطف والعطف على وجهين احدهما ان يكون عطف احد الموصوفين على الآخر والآخر ان يكون جميع الاوصاف

لموصوف واحد المعنى ثم بين تعالى تمام صفة المتقين فقال والذين يؤمنون بما انزل اليك يعني القرآن
وما انزل من قبلك يعني الكتب المتقدمة وقوله بالآخرة اي بالدار الآخرة صفة فلا بد لها من موصوف وقيل اراد
بالنشأة الآخرة وانما وصف بالآخرة لتأخرها عن الدنيا كما سميت الدنيا دنيا لدنوها من الخلق وقيل لدنائتها
يوقنون يعلمون وسمي العلم يقينا لحصول القطع وسكون النفس اليه وكل يقين علم وليس كل علم يقينا وذلك ان
اليقين كانه علم يحصل بعد استدلال ونظر لغموض المعلوم بالنظر فيه اي لاشكال ذلك على الناظر ولهذا
لا يقال في صفة الله تعالى موقن لان الاشياء كلها في الجلاء عنده على السواء وانما خصهم بالايقان بالآخرة وان
كان الايمان بالغيب قد شملها لما كان من كفر المشركين بها وجحدهم اياها في نحو ما حكي عنهم في قوله وقالوا
ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيى فكان في تخصيصهم بذلك مدح لهم قوله عز وجل اولئك على هدى من ربهم
واولئك هم المفلحون آية اللغة اولئك اسم مبهم يصلح لكل حاضر تعرفه الاشارة وهو جمع ذلك في المعنى واولا
جمع ذا في المعنى ومن قصر قال اولا واولاك واولالك واذا مد لم يجز زيادة اللام لئلا يجتمع ثقل الزيادة وثقل
الهمزة قال الشاعر الالك قوم لم يكونوا اشابة وهل يعظ الضليل الا اولالكا والمفلحون المنجحون الفائزون
والفلاح النجاح قال الشاعر اعقلي ان كنت لما تعقلي ولقد افلح من كان عقل اي ظفر بحاجته والفلاح
ايضا البقاء قال لبيد نحل بلادا كلها حل قبلنا ونرجو الفلاح بعد عاد وتبعا واصل الفلح القطع ومنه قيل الفلاح
للاكار لانه يشق الارض وفي المثل الحديد بالحديد يفلح فالمفلح على هذا كانه قطع له بالخير الاعراب موضع
اولئك رفع بالابتداء والخبر على هدى من ربهم وهو اسم مبني والكاف حرف خطاب لا محل له من الاعراب
وكسرت الهمزة فيه لالتقاء الساكنين وكذلك قوله اولئك هم المفلحون الا ان قوله هم فيها وجهان احدهما
انه فصل بين المبتدأ والخبر او ما كان في الاصل مبتدأ وخبرا للتأكيد ولا موضع له من الاعراب والكوفيون يسمونه
عمادا وانما دخل ليؤذن ان الاسم بعده خبر وليس بصفة وانما يدخل اذا كان الخبر معرفة او ما اشبه المعرفة
نحو قوله تعالى تجدوه عند الله هو خيرا والوجه الآخر ان يكون هم مبتدأ ثانيا والمفلحون خبره والجملة في
موضع رفع بكونه خبر اولئك المعنى لما وصف المتقين بهذه الصفات بين ما لهم عنده تعالى فقال اولئك
اشارة الى الموصوفين بجميع الصفات المتقدمة وهم جملة المؤمنين على هدى من ربهم اي على دين ربهم وقيل على
دلالة وبيان من ربهم وانما قال من ربهم لان كل خير وهدى فمن الله تعالى اما لانه فعله واما لانه عرض
له بالدلالة عليه والدعاء اليه والاثابة على فعله وعلى هذا يجوز ان يقال الايمان هداية منه تعالى وان
كان من فعل العبد ثم كرر تفخيما فقال واولئك هم المفلحون اي الظافرون بالبغية والباقون في الجنة النزول
قال مجاهد اربع آيات من اول السورة نزلت في المؤمنين وآيتان بعدها نزلتا في الكافرين وثلاث
عشرة آية بعدها نزلت في المنافقين قوله عز وجل ان الذين كفروا سواء عليهم ءانذرتهم ام
لم تنذرهم لا يؤمنون آية القراءة قوله ءانذرتهم فيه ثلاث قراءات قراءة حمزة وعاصم والكسائي
اذا حقق بهمزتين وقرأ اهل الحجاز وابو عمرو بالهمزة والمد وتليين الهمزة الثانية يجعلونها بين بين
وكذلك قرأ الكسائي اذا خففت وابو عمرو اطول مدا من ابن كثير واختلف في المد عن نافع وقرأ ابن
عامر بالالف بين همزتين ويجوز في العربية ثلاثة اوجه غير ما ذكرنا ءانذرتهم بتحقيق الهمزة الاولى
وتخفيف الثانية بجعلها بين بين وانذرتهم بهمزة واحدة وعليهم انذرتهم على الخبر وحذف الهمزة على
المستخف قد افلح فيما روي عن عاصم الحجة اما وجه الهمزتين فهو انه الاصل لان الاولى همزة الاستفهام
والثانية همزة افعل واما دخال الالف بين الهمزتين في قراءة من يفصل بين الهمزتين استثقالا لاجتماع

المثلين كما فصل بين النونين في عواصر بينهن استثقالا لاجتماع النونات ومنه قول ذي الرمة هيا
ظبية الوعساء بين جلاجل وبين النقا آانت ام ام سالم واما من فصل بين الهمزتين ولين الثانية
فوجهه التخفيف من وجهين الفصل والتليين لانك اذا لينتهما فقد اتيتهما وصار اللفظ كانه لا استفهام
فيه ففي المد توكيد الدلالة على الاستفهام كما في تحقيق الهمزة واما من حقق الاولى ولين الثانية
من غير فصل بالالف وبين التليين انه جعل التليين عوضا عن الفصل واما من اكتفى بهمزة واحدة فانه طرح
همزة الاستفهام وهو ضعيف وقد جاء في الشعر قال عمر بن ابي ربيعة لعمرك ما ادري وان كنت
داريا بسبع رمين الجمر ام بثمان واما من القى حركة الهمزة على الميم فانه غير تليين الاولى وتحقيق الثانية
والعرب اذا اثبتوا الهمزة المتحركة وقبلها ساكن القوا حركتها على ما قبلها قالوا من بوك ومن مك
وكم بلك اللغة الكفر خلاف الشكر كما ان الحمد خلاف الذم فالكفر ستر النعمة واخفاؤها والشكر
نشرها واظهارها وكلما ستر شيئا فقد كفره قال لبيد في ليلة كفر النجوم غمامها اي سترها وسواء مصدر
اقيم مقام الفاعل كقولك زور وصوم ومعناه مستو والاستواء الاعتدال والسواء العدل قال زهير
ارونا خطة لا ضيم فيها يسوي بيننا فيها السواء وقالوا هي بمعنى سوى كما قالوا قوى وقواء سيان اي مثلان
والانذار الاعلام مع تخويف فكل منذر معلم وليس كل معلم منذرا ويوصف القديم تعالى بانه منذر لان الاعلام
يجوز وصفه به والتخويف ايضا كذلك لقوله ذلك يخوف به عباده فاذا وصف بالمعنيين جاز وصفه
بما يشتمل عليهما وانذرت يتعدى الى مفعولين لقوله انا انذرناكم عذابا قريبا وقد يرد تعديه الى المفعول الثاني
بالباء في قوله قل انما انذركم بالوحي وقيل الانذار هو التحذير من مخوف يتسع زمانه للاحتراز منه فان لم يتسع
فهو اشعار الاعراب ان حرف توكيد وهي تنصب الاسم وترفع الخبر وانما نصبت ورفعت لانها اشبهت الفعل لكونها
على وزنه ولانه توكيد والتوكيد من معاني الفعل ويشبهه في اتصال ضمير المتكلم نحو انني وهي مبنية على الفتح كالفعل
الماضي وانما الزمت تقديم المنصوب على المرفوع ليعلم انها انما عملت على جهة التشبيه فجعلت كفعل قدم مفعوله
على فاعله والذين كفروا في موضع نصب لكونه اسم ان وكفروا صلة الذين واما خبرها ففيه وجهان احدهما
ان يكون الجملة التي هو سواء عليهم ءانذرتهم فعلى هذا يكون سواء يرتفع بالابتداء وما بعده مما دخل
عليه حرف الاستفهام في موضع الخبر والجملة في موضع رفع بانها خبر ان ويكون قوله لا يؤمنون نحو الاسم الضمير المعمول
على حد معه صفه ما له علمه وبالغ الكعبة ويستقيم ان يكون ايضا استئنافا والوجه الثاني ان يكون لا يؤمنون
خبر ان ويكون قوله سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم اعتراضا بين الخبر والاسم فلا يكون له موضع من
الاعراب كما حكم على موضعه بالرفع في الوجه الاول واما اذا قدرت هذا الكلام على ما عليه المعنى فقلت سواء
عليهم الانذار وتركه كان سواء خبر المبتدا لان يكون تقديره الانذار وتركه مستويان عليهم وانما قلنا انه
مرتفع بالابتداء على ما عليه التلاوة لانه لا يجوز ان يكون خبرا فانه ليس في ظاهر الكلام مخبر عنه واذا لم يكن مخبر
عنه بطل ان يكون خبرا فاذا فسد ذلك ثبت مبتدا وايضا فانه قبل الاستفهام وما قبل الاستفهام لا يكون
داخلا في حيزه فلا يجوز اذن ان يكون الخبر عما في الاستفهام ونظير ما في الآية من ان خبر المبتدا ليس المبتدا
دلالته فيه ذكر ما انشده ابو زيد فان حراما لا ارى الدهر باكيا على الاستفهام الدهر باكيا على شجوه الا بكيت
على عمرو وقوله ءانذرتهم ام لم تنذرهم لفظه لفظ الاستفهام ومعناه الخبر وهذه الهمزة تسمى الفا
للتسوية والتسوية الهمزة همزة الاستفهام وام تقول ازيد عندك ام عمرو تريد ايهما عندك ولا يجوز
في مكانها او لان او لا يكون معادلة الهمزة وتفسير المعادلة ان يكون ام مع الهمزة بمنزلة اي فاذا قلت ازيد

عندك ام عمرو كان معناه احد هذين عندك ويدل على ذلك ان الجواب مع ازيد ام عمرو يقع بالتعيين ومع ازيد او عمرو
يقع بنعم او لا وانما جرى عليه لفظ الاستفهام وان كان خبرا لان فيه التسوية التي في الاستفهام الا ترى انك اذا
قلت سواء علي اقمت ام قعدت فقد سويت الامرين عليك كما اذا استفهمت فقلت اقام زيد ام قعد فقد استوى
الامران عندك في الاستفهام وعدم علم احدهما بعينه فلما عمتهما التسوية جرى على هذا الخبر لفظ الاستفهام لمشاركته
له في الابهام فكل استفهام تسوية وان لم يكن كل تسوية استفهاما وقال النحويون ان نظير سواء في هذا قولك ما ابالي
اقبلت ام ادبرت لانه وقع موقع اي فكانك قلت ما ابالي اي هذين كان منك وما ادري احسنت ام اسات
وليت شعري اقام ام قعد وقال حسان ما ابالي انب بالحزن تيس ام لحاني بظهر غيب لئيم ومثله في انه في صورة
الاستفهام وهو خبر قول جرير الستم خير من ركب المطايا واندى العالمين بطون راح ولو كان استفهاما لم يكن
مدحا وقول الآخر سواء عليه اي حين اتيته اساعة نحس تتقى ام باسعد النزول قيل نزلت في ابي جهل وخمسة
من اهل بيته قتلوا يوم بدر عن الربيع بن انس واختاره البلخي وقيل نزلت في قوم باعيانهم من احبار اليهود
ممن كفر بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم عنادا وكتم امره حسدا عن ابن عباس وقيل نزلت في اهل الختم والطبع
الذين علم الله انهم لا يؤمنون عن ابي علي الجبائي وقيل نزلت في مشركي العرب عن الاصم وقيل هي عامة في جميع
الكفار اخبر تعالى بان جميعهم لا يؤمنون ويكون كقول القائل لا تقدم جميع اخوتك اليوم فلا تنكر ان تقدم
بعضهم واختار الشيخ ان يكون على الاختصاص ويجوز كل واحد من الاقوال بالآخر وهذا اظهر واسبق
الى الفهم المعنى لما بين تعالى حال المؤمنين وصله بذكر الكافرين والكفر في الشرع عبارة عن جحد ما اوجب الله تعالى
معرفته من توحيده وعدله ومعرفة نبيه وما جاء به من اركان الشرع فمن جحد شيئا من ذلك كان كافرا وهذه
الآية تدل على ان في المكلفين من لا لطف له لانه كان لو فعل لآمنوا فلما اخبر انهم لا يؤمنون علم انه لا لطف لهم
ويدل على صدق النبي صلى الله عليه وآله لانه اخبر بانهم لا يؤمنون فكان كما اخبر ويدل ايضا على انه يجوز ان يخاطب
الله تعالى بالعام والمراد به الخاص في قول من قال الآية عامة ولانا نعلم ان في الكفار من آمن وانتفع بالانذار
سؤال ان قال قائل اذا علم الله تعالى ان هؤلاء لا يؤمنون وكانوا قادرين على الايمان عندكم فما انكرتم
ان تكونوا قادرين على ابطال علم الله تعالى بانهم لا يؤمنون فالجواب انه لا يجب ذلك كما لا يجب اذا كانوا مامورين
بالايمان ان يكونوا مامورين بابطال علم الله وكما لا يجب اذا كان الله تعالى قادرا على ان يقيم القيامة الساعة الآن
يكون قادرا على ابطال علمه بانه لا يقيمها الساعة والصحيح ان يقول ان العلم يتناول الشيء على ما هو به فلا يمتنع
ان يعلم حصول شيء بعينه وان كان غيره مقدورا قوله عز وجل على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم
غشاوة ولهم عذاب عظيم آية القراءة القراءة الظاهرة غشاوة بكسر الغين ورفع الهاء وروي عن عاصم
في الشواذ غشاوة بالنصب وعن الحسن بضم الغين وعن بعضهم بفتح الغين وعن بعضهم غشوة بغير
الف وقال ابو عمرو والكسائي ابصارهم بالامالة والباقون بالتفخيم وللقراء مذاهب يطول شرحها الحجة
حجة من رفع غشاوة انه لم يحمله على ختم كما في الآية الاخرى وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة
فاذا لم يحملها عليه قطعها عنه فكانت مرفوعة اما بالظرف او الابتداء وكذلك قوله ولهم عذاب اليم فان عند
سيبويه يرتفع غشاوة وعذاب بانه مبتدا فكانه قال غشاوة على ابصارهم وعذاب لهم وعند الاخفش
يرتفع بالظرف لان الظرف يضمر فيه فعل وستعرف فائدة اختلافهما في هذه المسألة بعد ان شاء الله تعالى
ومن نصب غشاوة فاما ان يحملها على ختم كانه قال وختم على ابصارهم بغشاوة فلما حذف حرف الجر وصل
الفعل فنصبها وهذا لا يحسن لانه فصل بين حرف العطف والمعطوف به وذلك انما يجوز في الشعر واما ان يحملها

عليهم ختم كأنه قال وجعل على ابصارهم غشاوة نحو قول الشاعر علفتها تبنا وماء باردا اي وسقيتها وقول الآخر يا ليت
بعلك قد غدا متقلدا سيفا ورمحا اي وحاملا رمحا وهذا ايضا لا يوجد في حال الاختيار فقد صح ان الرفع اولى
ويكون الواو عاطفة جملة على جملة والغشاوة فيها ثلاث لغات فتح الغين وضمها وكسرها ولكن الغشوة فيها
ثلاث لغات اللغة الختم نظير الطبع يقال طبع عليه بمعنى ختم عليه ويقال طبع ايضا بغير حرف ولا يتسع في ختم ذلك
في الكتاب نوادي زوج طبعتها نظر من الحرمان كتاب اعجم وقولهم ختامه مسك اي آخره ومنه ختم الكتاب
لانه آخر حال الفراغ منه وقوله على سمعهم يريد على اسماعهم والسمع مصدر يقول يعجبني ضربكم فتوحد لانه مصدر
ويجوز يريد على مواضع سمعهم فحذف مواضع ودل السمع عليها كما يقال اصحابك عدل اي ذو عدل او يجوز ان يكون
لما اضاف السمع اليهم دل على اسماعهم قال الشاعر بها جيف الحرى فاما عظامها فبيض واما جلدها فصليب
وقال الآخر في حلقكم عظم وقد شجينا اي في حلوقكم والغشاوة الغطا وكلما اشتمل على الشيء بني على فعالة نحو
العمامة والقلادة والعصابة وكذلك اسماء الصناعات كالخياطة والحياكة والصياغة لان معنى الصياغة اشتمال
على كل ما فيها وكذلك كل من استولى على شيء فاسم ما استولى عليه الفعالة كالامارة والخلافة وغير ذلك وسمي
القلب قلبا لتقلبه بالخواطر قال الشاعر ما سمي القلب الا من تقلبه والراي يعزب والانسان اطوار والفؤاد
محل القلب والصدر محل الفؤاد وقد يعبر عن القلب بمحله كقوله لنثبت به فؤادك وقال الم نشرح لك صدرك يعني
القلب في الموضعين والعذاب استمرار الالم يقال عذبته تعذيبا وعذابا ويقال عذب الماء اذا استمر في الحلق وحمار
عاذب وعذوب اذا استمر به العطش فلم ياكل من شدة العطش وفرس عذوب مثل ذلك واعذبته عن الشيء بمعنى
فطمته والعظيم الكبير يقال هو عظيم الجثة وعظيم الشان ومن الثاني سمي سبحانه عظيما وعظمته كبرياؤه المعنى
قيل في معنى الختم وجوه احدها ان المراد بالختم العلامة واذا انتهى الكافر من كفره الى حال يعلم الله تعالى انه لا يؤمن
فانه يعلم على قلبه علامة وقيل نكتة سوداء تشاهدها الملائكة فيعلمون بها انه لا يؤمن بعدها فيذمونه ويدعون
عليه كما انه تعالى يكتب في قلب المؤمن الايمان ويعلم عليه علامة يعلم الملائكة بها انه مؤمن فيمدحونه ويستغفرون
وكما طبع على قلب الكافر وختم فوسمه بسمة تعرف بها الملائكة كفره كذلك وسم قلوب المؤمنين بسمات يعرفهم
الملائكة بها وقد تاول على مثل هذا متاول الكتاب باليمين والشمال في انهما علامة ان المتناول باليمين اهل الجنة
والمتناول بالشمال من اهل النار وقوله بل طبع الله عليها بكفرهم يحتمل امرين احدهما انه طبع الله عليها جزاء للكفر
وعقوبة عليه والآخر انه طبع عليها العلامة لكفرهم كما تقول طبع عليه بالطين وختم عليه بالشمع وثانيها ان المراد بالختم
على القلوب ان الله شهد عليها وحكم بانها لا تقبل الحق كما يقال اراك تختم على كل ما يقوله فلان اي تشهد به وتصدقه
وقد ختمت عليك بانك لا تفلح اي شهدت وذلك استعارة وثالثها ان المراد بذلك انه تعالى ذمهم بانها كالمختوم
عليها في انه لا يدخلها الايمان ولا يخرج عنها الكفر كقوله صم بكم عمي كقول الشاعر اصم عما ساءه سميع وقول
الآخر لقد اسمعت لو ناديت حيا ولكن لا حياة لمن تنادي والمعنى ان الكفر تمكن من قلوبهم فصارت كالمختوم
عليها وصاروا بمنزلة من لا يسمع ولا يفهم ولا يبصر عن الاصم وابي مسلم الاصفهاني ورابعها ان الله وصف
من ذمه بهذا الكلام بان قلبه ضاق عن النظر والاستدلال فلم ينشرح له بخلاف من ذكره في قوله افمن
شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه ومثل قوله ام على قلوب اقفالها وقوله وقالوا قلوبنا غلف وقلوبنا
في اكنة ويقوي ذلك بان المطبوع على قلبه وصف بقلة الفهم بما يسمع من اجل الطبع فقال بل طبع الله عليها بكفرهم
فلا يؤمنون الا قليلا وقال وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون وبين ذلك قوله قل ارايتم ان اخذ الله سمعكم
وابصاركم وختم على قلوبكم فعدل الختم على القلوب باخذ السمع والبصر فدل هذا على ان الختم على القلب وهو

18

على وصف لا ينتفع به فيما يحتاج اليه كما لا ينتفع بالسمع والبصر مع اخذهما وانما يكون ضيقه بان لا يتسع لما
يحتاج اليه من النظر والاستدلال الفاصل بين الحق والباطل وهذا كما يوصف الجبان بانه لا قلب له اذا بولغ في وصفه
بالجبن لان الشجاعة محلها القلب فاذا لم يكن القلب الذي هو محل الشجاعة لو كانت فان لا تكون الشجاعة اولى قال
طرفة فالهبيت لا فؤاد له والثبيت ثبته فهمه وكما وصف الجبان بانه لا فؤاد له وانه يراعة وانه مجوف كذلك
وصف من بعد عن قبول الاسلام بعد الدعاء اليه واقامة الحجة عليه بانه مختوم على قلبه ومطبوع عليه وضيق
صدره وقلبه في كنان وفي غلاف وهذا من كلام الشيخ ابي علي الفارسي وانما قال ختم الله وطبع الله لان ذلك
كان لعصيانهم الله تعالى فجاز ذلك اللفظ كما يقال اهلكته فلانة اذا اعجب بها وهي لا تفعل به شيئا لانه هلك
في اتباعها سؤال ان قيل لم خص هذه الاعضاء بالذكر فالجواب انها طرق العلم فالقلب محل العلم وطريقه
اما السماع او الرؤية قوله عز وجل ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم
بمؤمنين آية اللغة الناس والبشر والانس نظائر وهي الجماعة من الحيوان المميزة بالصورة الانسانية واصله
اناس من الانس ووزنه فعال فاسقطت الهمزة منها لكثرة الاستعمال اذا دخلها الالف واللام للتعريف
ثم ادغمت لام التعريف في النون كما قيل لكنا والاصل لكن انا وقيل الناس ماخوذ من النوس وهو الحركة
وتصغيره نويس ووزنه فعل وقيل اخذ من الظهور فسمي ناسا وانسانا لظهوره وادراك البصر اياه لقل
انست ببصري شيئا وقيل فعيل ومنه قوله سبحانه اني آنست نارا والانسان واحد والناس جمع لا من لفظه وقيل اخذ
من النسيان كقوله تعالى فنسي ولم نجد له عزما واصل انسان نسيان ولذلك قيل في تصغيره انيسيان فترد الى الاصل
واليوم الآخر يوم القيامة وانما سمي آخرا لانه يوم لا يوم بعده سواه اذ ليس بعده ليلة وقيل لانه متاخر عن ايام
الدنيا وانما فتح نون من عند التقاء الساكنين استثقالا لتوالي الكسرتين لو قلت من الناس فاما عن الناس
لا يجوز فيه الا الكسر لانه لا داعي الى الفتح ومن يقول النون يدغم في الياء فمنهم من يدغم بغنة ومنهم من يدغم
بغير غنة الاعراب من يقول موصول وصلة وهو مرفوع بالابتداء او بالظرف على ما تقدم وقوله آمنا بالله وباليوم
الآخر حكاية متعلق بيقول وما حرف مشبه بليس من حيث يدخل على المبتدأ والخبر كما يدخل ليس عليهما وفيه
نفي الحال كما في ليس فاجري مجراه في العمل في قول اهل الحجاز على ما جاء به التنزيل وهم مرفوع لانه
اسمها والباء في قوله بمؤمنين مزيدة دخلت لتوكيد النفي وهو حرف جار ومؤمنين مجرور به وبمؤمنين في موضع
نصب بكونه خبرها ولفظ من يقع على الواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث ولذلك عاد ذكر اليه مجموعا
على المعنى ومنه قول الفرزدق تعال فان عاهدتني لا تخونني نكن مثل من يا ذئب يصطحبان فثنى الضمير
العائد الى من على المعنى النزول نزلت في المنافقين عبد الله بن ابي سلول وجد بن قيس ومعتب بن قشير واصحابهم
واكثرهم من اليهود المعنى بين الله تعالى حالهم فاخبر سبحانه انهم يقولون صدقنا بالله وما انزل على رسوله من ذكر
البعث فيظهرون كلمة الايمان وقصدهم ان يطلعوا على اسرار المؤمنين فينقلوها الى الكفار او تعريب الرسول اياهم كما
تقرب المؤمنين ثم نفى عنهم الايمان فقال وما هم بمؤمنين وفي هذا تكذيبهم فيما اخبروا عن اعتقادهم من الايمان
والاقرار بالبعث فبين ان ما قالوه بلسانهم مخالف لما في قلوبهم وهذا يدل على فساد قول من يقول الايمان مجرد
القول قوله عز وجل يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا انفسهم وما يشعرون آية القراءة قرا نافع
وابن كثير وابو عمرو وما يخادعون الا انفسهم والباقون وما يخدعون الحجة حجة من قرا يخدعون ان فعل
هنا اليق بالموضع من فاعل الذي هو في اكثر الامر يكون للفاعلين ويدل عليه قوله في الآية الاخرى يخادعون الله
وهو خادعهم وحجة من قرا يخادعون هو ان ينزل ما يخطر بباله من الخدع منزلة آخر يجاريه ذلك ويفاوضه

اياه فيكون الفعل كانه من اثنين فيلزم ان تقول فاعل كقول الكميت وذكر حمارا اراد الورود فذكر من اتى ومن
ورد فبات يوامر نفسه كذا الهمه الابل يجعل ما يكون منه من ورده . وقيل الورود المثل بمنزلة نفسين **اللغة**
اصل الخدع الاخفاء والايهام بخلاف الحق والتزوير يقال خادعت الرجل اخدعه خدعا بالكسر وخديعة وقالوا
انك لا تخدع من ضب حرشته وخادعت فلانا تخذعته والنفس في الكلام على ثلثة اوجه النفس بمعنى الروح
ويقال هما اسمان بمعنى واحد ويشعرون يعلمون واصل الشعور الاحساس بالشيء من جهة تدق ومن هذا
اشتقاق الشعر لان الشاعر يفطن لما يدق من المعنى والوزن ولا يوصف الله تعالى بانه يشعر لما فيه من معنى التلطف
والتحيل **الاعراب** يخادعون فاعلون والنون علامة الرفع والجملة في موضع نصب بكونها حالا وذو الحال
الضمير في قوله امنا العايد الى من والله نصب بيخادعون والذين امنوا عطف وما نفي والايجاب وانفسهم
نصب بانه مفعول يخادعون الثانية وما نفي ويشعرون فعل وفاعلون وكل موضع ياتي فيه الا بعد
نفي فهو ايجاب ونقيض النفي **المعنى** معنى قوله يخادعون الله اي يعملون عمل المخادع لان الله تعالى لا يصح
ان يخادع من يعرفه ويعلم انه لا يخفى عليه خافية وهذا كما يقول لمن يزين لنفسه ما تسويه بالرياء في معاملته
ما اجهله يخادع الله وهو اعلم به من نفسه اي يعمل عمل المخادع وهذا يكون من العارف وغير العارف وقيل المعنى
يخادعون رسول الله لان طاعته طاعة الله ومعصيته معصية الله فحذف المضاف واقيم المضاف اليه
مقامه وهذا القول تعالى وان يريدوا ان يخدعوك والمفاعلة قد تقع من واحد كقولهم عافاه الله وعاقبت
اللص وطارقت الفعل فلذلك يخدعون انما هو من واحد فمعنى يخادعون يظهرون غير ما في نفوسهم وقوله
والذين آمنوا اي ويخادعون المؤمنين بقولهم اذا راوهم امنا وهم غير مؤمنين ويحالفهم اياهم حتى يفشوا اليهم اسرارهم
فينقلوها الى اعدائهم والتقية ايضا تسمى خداعا وكانهم لما اظهروا الاسلام وابطنوا الكفر صاروا كانوا يخادعون
المؤمنين في الظاهر فهم يخادعون انفسهم لانهم يظهرون لها بذلك انهم يعطونها ما تمنت وهم يوردونها العذاب
الشديد فوبال خداعهم راجع الى انفسهم وما يشعرون اي ما يعلمون انه يرجع عليهم بالعذاب فهم في الحقيقة
انما خدعوا انفسهم كالوقاتل انسان غيره فقتل نفسه جاز ان يقال انه قاتل فلانا ولم يصل الا نفسه وقوله وما يشعرون
يدل على بطلان قول اصحاب المعارف لانه تعالى اخبر عنهم بالنفاق وبانهم لا يعلمون ذلك **قوله عز وجل في قلوبهم
مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون القراءة** قرا ابن عامر وحمزة وزادهم بامالة الزاء وكذلك
شاء وجاء وقراء اهل الكوفة يكذبون بفتح الياء مخففا والباقون يكذبون
حجة من امال الالف
من زاد انه يريد ان يدل بالامالة على ان العين ياء كما ابدلوا من الضمة كسرة في عين وسعى جمع اعين وابيض
ليصح الياء ولا ينقلب الى الواو وحجة من قرا يكذبون ان يقول ان ذلك اشبه بما قبل الكلمة وبما بعدها
لان قولهم امنا بالله كذب منهم ولهم عذاب اليم بكذبهم وما وصلته بمعنى المصدر وقوله فيما بعد اذا خلوا
الى شياطينهم انا معكم دلالة ايضا على كذبهم فيما ادعوه من ايمانهم واذا كان اشبه بما قبله وما بعده كان اولى
وحجة من قرا يكذبون بالتشديد قوله ولقد كذبت رسل وقوله وان كذبوك فقل لي عملي بل كذبوا بما لم
يحيطوا بعلمه وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك ونحو ذلك والتكذيب اكثر من الكذب لان كل
من كذب صادقا فقد كذب وليس كل من كذب كان مكذبا قال ولهم عذاب اليم بتكذيبهم وادخل كان ليدل
على ان ذلك كان فيما مضى **اللغة** المرض العلة في البدن ونقيضه الصحة قال سيبويه امرضته جعلته مريضا
ومرضته قمت عليه ووليته وزاد فعل يتعدى الى مفعولين قال الله تعالى فزادهم هدى وزاده بسطة و
الزيادة والزيد قال لكذلك زيد المرء بعد انتقاصه والاليم المرجع فعيل بمعنى مفعل كالسميع بمعنى المسمع والنذير

19

بمعنى المنذر والبديع بمعنى المبدع قال ذو الرمة يصك خدودها وهج اليم والكذب ضد الصدق وهو الاخبار عن الشيء لا على
ما هو به والكذب ضرب من القول وهو نطق فاذا جاز في القول ان يتسع فيه فيجعل غير نطق في نحو قوله تعالى قد قالتا
الاتساع النطق الحق جاز ايضا في الكذب ان يجعل غير نطق في نحو قوله ودبابته وصف سمنا بان كذب القراطف والقروف
فيكون في ذلك انتفاء لها كما انه اذا اخبر عن الشيء بخلاف ما هو كان فيه انتفاء للصدق واي كذب القراطف فان وجدوها
بالغارة **المعنى** المراد بالمرض في الاية الشك والنفاق بلا خلاف وانما سمي الشك في الدين مرضا لان المرض هو
الخروج من حد الاعتدال فالبدن ما لم يصبه آفة يكون صحيحا سويا وكذلك القلب ما لم يصبه آفة من الشك يكون
صحيحا وقيل اصل المرض الفتور فهو في القلب فتوره عن الحق كما انه في البدن فتور الاعضاء وتقدير الاية في اعتقاد
قلوبهم الذي يعتقدونه في الله ورسوله مرض اي شك وحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وقيل
فزادهم الله مرضا قيل فيه وجوه احدها ان معناه ازدادوا شكا عند ما زاد الله من البيان بالايات والحجج الا
انه لما حصل ذلك عند فعله نسب اليه كقوله تعالى في قصة نوح لم يزدهم دعائي الا فرارا لما ازدادوا فرارا عند
دعاء نوح عليه السلم نسب اليه وكذلك قوله واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم والايات
لم تزدهم رجسا وانما ازدادوا رجسا عندها وثانيها ما قال ابو علي الجبائي انه اراد في قلوبهم بنزول النبي صلى الله
عليه واله المدينة وتمكنه فيها وظهور المسلمين وقوتهم فزادهم الله غما بما زاده من التمكين والقوة وامده به
من التاييد والنصرة وثالثها ما قاله السدي ان معناه زادهم عداوة الله مرضا فهذا في حذف المضاف مثل قوله
تعالى فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله اي من ترك ذكر الله ورابعها ان المراد بها في قلوب حزن بنزول القران
بفضائحهم ومخازيهم فزادهم الله مرضا بان زاد في اظهار مقابحهم ومساويهم والاخبار عن خبث سرائرهم وسوء ضمائرهم
وسمي الغم مرضا لانه يضيق الصدر كما يضيقه المرض وخامسها ما قاله ابو مسلم الاصفهاني ان ذلك على سبيل الدعاء
عليهم بان يخليهم الله وما اختاروه ولا يعطيهم من زيادة التوفيق والالطاف ما يعطي المؤمن فيكون خذلانا لهم وهو في
الحقيقة اخبار عن خذلان الله تعالى اياهم وان خرج في اللفظ مخرج الدعاء عليهم ثم قال ولهم عذاب اليم وهو عذاب
النار بتكذيبهم الله ورسوله فيما جاء به من الدين او بكذبهم في قولهم امنا بالله وباليوم الاخر وما هم بمؤمنين **قوله سبحانه واذا
قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا انما نحن مصلحون الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون** ابيان **القراءة**
قرا الكسائي قيل وغيض وسيء وسيئت وحيل وجيء وسيق بضم اوائل ذلك كله وروى عن يعقوب مثل ذلك ووافقهما
نافع في سيء وسيئت وابن عامر فيهما وسيق وحيل والباقون بكسرهن كلها **الحجة** في هذه الكلمات ثلث لغات الكسر
واشمام الضم وقول بالواو فاما قيل بالكسر فعلى نقل حركة العين الى الفاء لان اصله قول ثم قلبت الواو ياء لسكونها
وانكسار ما قبلها وهو قياس مطرد في كل ما اعتلت عينه واما الاشمام فلاجل الدلالة على الاصل مع التخفيف **اللغة**
الافساد احداث الفساد وهو كل ما يغير عن استقامة الحال والصلاح نقيض الفساد والارض مستقر الحيوان
ويقال القوائم الفرش ارض لانه يستقر عليها قال اذا ما استحمت ارضه من سمائه جرى وهو مودوع وواعد مصدق
الاعراب اذا ظرف وضعت للوقت بشرط ان يكون ظرفا زمانيا وفيها معنى الشرط وانما يعمل فيها جوابها ففي
هذه الاية اذا في محل النصب بانه ظرف قوله قالوا لانه الجواب ولا يجوز ان يعمل فيه قيل لهم لان اذا في التقدير مضاف
الى قيل والمضاف اليه لا يعمل في المضاف وكذلك قوله واذا لقوا الذين آمنوا قالوا امنا واذا استثنى وانما بني
لتضمنه معنى في ولزومه اياه وقد يكون اذا ظرفا مكانيا في نحو قولك خرجت فاذا الناس وقوف اي ففي مكان
الناس وقوف ويجوز ان ينصب وقوفا على الحال لان الظرف المكان يجوز ان يكون خبرا عن الجثة وقيل مبني
على الفتح وكذلك كل فعل ماض مبني على الفتح ولا حرف نهي وهي يعمل الجزم في الفعل وتفسدوا مجزوم بلا وعلامته

الجزم فيه سقوط النون والواو ضمير الفاعلين وما في قوله انما كافة لهب ان عن العمل فعاد ما بعدها الى ما كان عليه في الاصل من كونه خبرا وهو قوله نحن مصلحون فنحن مبتدأ ومصلحون خبره وموضع الجملة نصب بقالوا كما تقول قلت حقا او باطلا ونحن مبني لمشابهتها الحروف وبنيت على الضم لانها من ضماير الرفع والضمة علامة الرفع ولانها ضمير الجمع والضمة بعض الواو والواو علامة الجمع في نحو ضاربون ويضربون وقوله لا تفسدوا في الارض جملة في موضع رفع على انه مفعول ما لم يسم فاعله وقوله الا كلمة تنبيه واستفتاح للكلام يدخل على كل كلام مكتف بنفسه نحو قولهم الا انهم من افكهم ليقولون واصله لا دخل عليه الالف الاستفهام والالف اذا دخل على الجحد اخرجته الى معنى التقرير والتحقيق لقوله اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى لانه لا يجوز للمجيب الا الاقرار ببلى وهم في انهم في موضع نصب بان وهم الاخر يجوز ان يكون فصلا على ما فسرناه قيل ويجوز ان يكون مبتدأ والمفسدون خبره والجملة خبر ان وضم الميم من هم لالتقاء الساكنين ردوه الى الاصل **النزول** الاية في المنافقين الذين فيهم نزلت الآيات المتقدمة وروي عن سلمان رض ان اهل هذه الصفة لم يأتوا بعد والاول يقتضيه نظم الكلام ويجوز ان يراد بها من صورتهم صورة هولاء فيكون قول سلمان محمولا على انه اراد بعد انقراض المنافقين الذين شاهدهم الآية **المعنى** المراد واذا قيل للمنافقين لا تفسدوا في الارض بالعمل في المعاصي وصد الناس عن الايمان على ما روي عن ابن عباس رض ومماثلة الكفار فان فيه توهين الاسلام على ما قاله ابو علي او بتغيير الملة وتحريف الكتاب على ما قاله الضحاك قالوا انما نحن مصلحون وهو يحتمل امرين احدهما ان الذي يسمونه فسادا هو عندنا صلاح لانا انما نفعل ذلك لنسلم من الفريقين والاخر انهم جحدوا ذلك وقالوا انا لا نعمل بالمعاصي ولا نمايل الكفار ولا نحرف الكتاب وكان ذلك نفاقا منهم كما قالوا امنا بالله ولم يومنوا ثم قال الا انهم اي اعلموا ان هولاء المنافقين الذين يعدون الفساد صلاحا هم المفسدون وهكذا تكذيب من الله تعالى لهم ولكن لا يشعرون اي لا يعلمون ان ما يفعلونه فساد وليس بصلاح ولو علموا ذلك لرجي صلاحهم وقيل لا يعلمون ما يستحقونه من العقاب وهذه الاية تدل على بطلان مذهب اصحاب المعارف كقوله لا يعلمون وانما جاز تكليفهم وان لم يشعروا انهم على ضلال لان لهم طريقا الى العلم بذلك **قوله عز وجل واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا انؤمن كما آمن السفهاء الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون** آية **القراءة** السفهاء الا اهل الكوفة وابن عامر حققوا الهمزتين واهل الحجاز وابو عمرو همزوا الاولى ولينوا الثانية وكذا همزتين مختلفتين من كلمتين وقد ذكرنا الوجه فيها حيث ذكرنا اجتماع الهمزتين في كلمة واحدة وهو قوله ءانذرتهم **اللغة** السفهاء جمع سفيه والسفيه الضعيف الراي الجاهل القليل المعرفة بمواضع المنافع والمضار ولذلك سمى الله الصبيان والنساء سفهاء بقوله ولا تؤتوا السفهاء اموالكم وقال قطرب السفيه العجول الظلوم القايل خلاف الحق وقال مورج السفيه الكذاب البهات المتعمد بخلاف ما يعلم وقيل السفه خفة الحلم وكثرة الجهل يقال ثوب سفيه اذا كان رقيقا باليا وسفهته الرياح اي طيرته وقد جاء في الاخبار ان شارب الخمر سفيه والالف واللام في الناس وفي السفهاء للعهد لا للجنس والمراد بهم المومنون من اصحاب النبي صلى الله عليه وآله وانما سموا الناس لان العلية كانت لهم **الاعراب** قوله الكاف في موضع نصب بكونه صفة لمصدر محذوف وما مع صلته بمعنى المصدر اي امنوا ايمانا مثل ايمان الناس فحذف الموصوف واقام الصفة مقامه والهمزة في انؤمن للانكار واصلها الاستفهام ومثله انطعم من لو يشاء الله اطعمه واذا اطرحت لفظة في انؤمن وقد مضى الكلام فيه **المعنى** المراد بالاية واذا قيل للمنافقين صدقوا محمدا وما انزل عليه كما صدق اصحابه وقيل كما صدق عبد الله بن سلام ومن امن معه وما امن معه من اليهود قالوا انصدق كما صدق الجهال ثم كذبهم تعالى وحكم عليهم بانهم هم الجهال

في الحقيقة لان الجاهل انما سمي سفيها لانه تصنع من حيث يرى انه لحفظ فكذلك المنافق يعصي ربه من حيث يظن انه يطيعه ويكفر به من حيث يظن انه يومن به **قوله عز وجل واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزءون** آية **القراءة** بعض القراء ترك الهمز من يستهزئ وقوله خلوا الى قراءة اهل الحجاز خلولى حذفوا الهمزة والقوا حركتها على الواو قبلها وكذلك امثالها والباقون اسكنوا الواو وحققوا الهمزة **الحجة** قال سيبويه الهمزة المضمومة المكسورة ما قبلها تجعلها اذا خففتها بين بين وكذلك الهمزة المكسورة واذا كان ما قبلها مضموما نحو مريح ابلك جعلها بين بين وذهب الاخفش الى ان تقلب الهمزة ياء في يستهزئون قلنا صحيحا من اجل الكسرة التي قبلها ولا تجعلها بين بين ولم تقلبها واوا لحركتها بالضمة لخروجه الى ما لا نظير له الا ترى انه واو مضمومة قبلها كسرة وذلك معدوم عندهم **اللغة** اللقاء نقيض الحجاب قال الخليل كل شيء استقبل شيئا او صادفه فقد لقيه واصل الاجتماع مع الشيء على طريق المقاربة والاجتماع قد يكون لا على طريق المجاورة كاجتماع العرضين في محل والخلا نقيض الملا ويقال خلوت اليه وخلوت معه ويقال خلوت به على ضربين احدهما بمعنى خلوت معه والاخر بمعنى سخرت منه وقد ذكرنا معنى الشيطان في مفتتح سورة الفاتحة ويستهزئون اي يهزؤون ويستسخرون اي يسخرون وقوم استهزاء وعلا قرح واستهلالترنة ورجل هزأة يهزأ به الناس وهذا مثل **الاعراب** انا اصله اننا لكن النون حذفت لكثرة النونات والحذف فسكون الثانية من ان لانها التي تحذف في نحو ان كل لما جميع لدينا وقد جاء على الاصل في قوله انني معكما ومعكم انتصب انتصاب الظروف نحو انا خلفكم معناه انا مستقرون معكم والقراءة بفتح العين ويجوز للشاعر اسكان العين قال فريشي منكم وهواي معكم وان كانت زيارتكم لماما **المعنى** ان المنافقين اذا راوا المومنين قالوا امنا اي صدقنا نحن بما انزل على محمد صلى الله عليه وآله كما صدقتم انتم واذا خلوا الى شياطينهم قيل رؤساءهم من الكفار وروي عن ابن عباس وقيل هم اليهود الذين امروهم بالتكذيب وروي عن ابي جعفر الباقر عليه السلم انهم كهانهم قالوا انا معكم اي على دينكم انما نحن مستهزءون اي نستهزئ باصحاب محمد ونسخر بهم في قولنا آمنا **قوله عز وجل الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون** آية **اللغة** المواصلة الزيادة في الشيء والمد الجذب لانه سبب الزيادة في الطول والمادة كل شيء يكون مددا لغيره وقال بعضهم كلمة زيادة حدثت في الشيء من نفسه فهو مددت بغير الف كما تقول مد النهر ومده نهر اخر وكلما زيادة احدثت في الشيء من غيره فهو امددت من الغير كما يقال امد الجرح لان المدة من غير الجرح وامددت الجيش والطغيان من قولك طغى الماء يطغى اذا تجاوز حده والطاغية الجبار العنيد والعمه التحير يقال عمه يعمه فهو عمه وعامه وقال رؤبة ومهمه اطرافه في مهمه اعمى الهدى بالجاهلين العمه **المعنى** يعمهون جملة في موضع الحال قيل في معنى الاية وتأويلها وجوه احدها ان يكون معنى الله يستهزئ بهم يجازيهم على استهزائهم والعرب تسمي الجزاء على الفعل باسمه وفي التنزيل وجزاء سيئة سيئة مثلها وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم وقال عمرو بن كلثوم الا لا يجهلن احد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا وانما جاز ذلك لان حكم الجزاء ان يكون على المساواة وثانيها ان يكون معنى استهزائه بهم تخطئته اياهم وتجهيله لهم في اقامتهم على الكفر واصرارهم على الضلال والعرب تقيم الشيء مقام ما يقاربه في معناه قال الشاعر ان دهرا يلف شملي بجمل لزمان يهم بالاحسان وقال الاخر كم اناس في نعيم عمروا في ذرى ملك تعالى وحسن سكت الدهر زمانا عنهم ثم ابكاهم دما حين نطق والدهر لا يوصف بالسكوت والنطق والوهم وانما ذكر ذلك على الاستعارة والتشبيه وثالثها ان يكون معنى الاستهزاء المضاف اليه تعالى ان يستدرجهم ويهلكهم من حيث لا يعلمون وقد روي عن ابن عباس رض انه قال في معنى الاستدراج انهم كلما احدثوا خطيئة جدد الله

لهم نعمة وانما سمى هذا الفعل استهزاء لان ذلك في الظاهر نعمة والمراد به استدراجهم الى الهلاك والعقاب الذي استحقوه
بما تقدم من كفرهم ورابعها ان معنى استهزائه انه جعل لهم بما اظهروه من موافقة اهل الايمان ظاهر احكامهم من الموارثة والمناكحة
والمدافنة وغير ذلك من الاحكام وان كان قد اعد لهم في الآخرة اليم العقاب بما ابطنوه من النفاق فهو سبحانه كالمستهزئ بهم
من حيث جعل لهم احكام المؤمنين ظاهرا ثم ميزهم منهم في الآخرة وخامسها ما روي عن ابن عباس انه قال يفتح لهم وهم في النار
باب من الجنة فيقبلون من النار اليه مسرعين حتى اذا انتهوا اليه سد عليهم فيضحك المؤمنون منهم ولذلك قال سبحانه فاليوم
الذين آمنوا من الكفار يضحكون وهذه الوجوه التي ذكرناها يمكن ان يذكر في قوله تعالى ويمكرون ويمكر الله ويخادعون
الله وهو خادعهم واما قوله ذكرناها يمكن ان يذكر في قوله تعالى ومكر ويمدهم في طغيانهم يعمهون ففيه وجهان
احدهما ان يريد انه يملي لهم ليؤمنوا وهم مع ذلك متمسكون بطغيانهم والآخر ان يريد انه يتركهم من فوائده ومنحه التي
يؤتيها المؤمنين بالطافهم ويمنعها الكافرين عقابا لهم كشرح الصدر وتنوير القلب فهم في طغيانهم اي في كفرهم وضلالهم
يعمهون اي يتحيرون لانهم قد اعرضوا عن الحق فتحيروا وترددوا قوله عز وجل اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى
فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين آية القراءة قد اجمع القراء اشتروا الضلالة بضم الواو وفي الشواذ عن يحيى
بن يعمر انه كسرها تشبيها بواو في قوله لو استطعنا وروي عن يحيى بن وثاب انه ضم واو لو تشبيها بواو الجمع الحجة
الواو في اشتروا ساكنة فاذا سقطت همزة الوصل التقت مع ساكن المبدل من لام المعرفة والتقى ساكنان فحرك الاول
منهما لالتقائهما وصار الضم اولى بها ليفصل بالضم بينها وبين واو لو واو وتدل على ذلك اتفاقهم على التحريك بالضم في
قوله لتبلون ولترون الجحيم ومصطفوا الله للدلالة على الجمع ويدل على تقرر ذلك في هذه الواو انهم شبهوا بها الواو التي
في او ولو فحركوها بالضم تشبيها بها فكما شبهوا التي في او وبالتي تدل على الجمع كذلك شبهوا هذه بها فاجازوا فيها الكسر الا ترى
انهم اجازوا الضم في لو استطعنا تشبيها بالتي للجمع ومثل هذا اجازتهم الجر في الضارب الرجل تشبيها بالحسن الوجه
واجازتهم النصب في الحسن الوجه تشبيها بالضارب ثم شرا ولا سيما قال الشاعر احدث بالجمرا سما ادعراو بالسنا
الواضحات الدلائل وبالطويل العمر عمرا جيدرا كما اشترى المسلم اذ تنصرا والربح الزيادة على راس المال ومنه
من تجارته فقد ربح والتجارة التعرض للربح في البيع وقوله فما ربحت تجارتهم اي فما ربحوا في تجارتهم والعرب تقول
ربح بيعك وخسر بيعك وخاب سعيك على معنى ربحت في بيعك وانما اضافوا الربح الى التجارة لان الربح يكون فيها
الاعراب اولئك موضعه رفع بالابتداء وخبره الذين اشتروا الضلالة بالهدى وما حرف نفي وكان صورته صورة
الفعل يستعمل على ضربين احدهما ان لا يدل على حدث بل يدل على زمان مجرد مثل كان زيد قائما فاذا استعمل على هذا فلا بد
له من خبر لان الحدث غير مكتف بنفسها فيراد حدثا عن الاسم ويكون اسمه وخبره في الاصل مبتدأ وخبرا فيجب لذلك ان
يكون خبره هو الاسم او فيه ذكر منه كان في الآية الواو في موضع الرفع لانه اسم كان ومهتدين منصوب بانه خبره والياء علامة
النصب والجمع وحرف الاعراب والنون عوض من الحركة والتنوين في الواحد وكان في الاصل مهتديين سكنت الياء الاولى
التي هي لام الفعل استثقالا للحركة عليها ثم حذفت لالتقاء الساكنين وفتحت النون فرقا بينها وبين نون التثنية والآخر
نحو كان ما هو فعل حقيقي يدل على زمان وحدث كقوله تعالى الا ان تكون تجارة اي حدث واذا استعمل هكذا فهي
جملة مستقلة لا يحتاج الى خبر المعنى اشار الى من تقدم ذكرهم من المنافقين فقال اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى
قال ابن عباس اخذوا الضلالة وتركوا الهدى ومعناه استبدلوا الكفر بالايمان ومتى قيل وكيف قال ذلك وانما
كانوا منافقين ولم يتقدم نفاقهم ايمان ففيه وجوه للعلماء احدها ان المراد باشتروا استحبوا واختاروا لان
كل مشتر مختار ما في يدي صاحبه على ما في يديه عن قتادة وثانيها انهم ولدوا على الفطرة كما جاء في الخبر فتركوا ذلك
الى الكفر فكانهم استبدلوه به وثالثها انهم استبدلوا بالايمان الذي كانوا عليه قبل البعثة كفرا لانهم كانوا يبشرون

رب الرحمن النعمة حقيقة الاشترا الاستبدال
يقول من تمسك بشيء وترك غيره فقد اشتراه
وليس م

بمحمد صلى الله عليه وآله ويؤمنون به فلما بعث استبدلوا بالكفر بالايمان عن الكلبي ومقاتل وقوله فما ربحت
تجارتهم اي خسروا في استبدالهم الكفر بالايمان والعذاب بالثواب وما كانوا مهتدين اي مصيبين في تجارتهم كما اهتدى
محمد صلى الله عليه وآله وقيل انما اراد سبحانه ان ينفي عنهم الربح والهداية فان التاجر قد يخسر ولا يربح ويكون على هدى
فان قيل كيف قال فما ربحت تجارتهم في موضع ذهب في رؤوس اموالهم والجواب انه ذكر الضلالة والهدى فكانه قال
طلبوا الربح فلم يربحوا وهلكوا والمعنى لم يربحوا انه لا ذهبت رؤوس اموالهم ويحتمل ان يكون ذكر ذلك على المقابل وهو
الذين اشتروا الضلالة بالهدى لم يربحوا كما ان الذين اشتروا الهدى بالضلالة ربحوا قوله عز وجل مثلهم
كمثل الذي استوقد نارا فلما اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات
لا يبصرون آية اللغة المثل والمثل والشبه والشبه نظائر وحقيقة المثل ما جعل كالعلم على معنى
سائر يشبه فيه الثاني بالاول مثل قول كعب بن زهير كانت مواعيد عرقوب لها مثلا وما مواعيدها الا الاباطيل
فمواعيد عرقوب علم لما في كلما لا يصح من المواعيد ومنه التمثال لانه يشبه الصورة والذي قد يوضع موضع الجمع كقوله
تعالى والذي جاء بالصدق وصدق به ثم قال اولئك هم المتقون قال الشاعر وان الذي حانت بفلج دماؤهم
هم القوم كل القوم يا ام خالد واستوقد بمعنى اوقد مثل استجاب بمعنى اجاب وقيل استوقد اي طلب الوقود
والوقود بفتح الواو الحطب والنار جوهر مضيء حار محرق واصلها من النور يقال نار ونادا واستنار بمعنى والمنار العلامات
واضاء يكون لازما ومتعديا يقال اضاء الشيء بنفسه واضاءه غيره والتي في الآية متعدية والترك للشيء والكف عنه
والامساك نظائر والظلمات جمع ظلمة واصلها انتقاص الحق من قوله ولم يظلم منه شيئا اي لم ينقص ومن اشبه اباه
فما ظلم اي ما انتقص حق الشبه والابصار ادراك من قوله ولم يظلم منه شيئا اي لم ينقص الشيء بحاسة البصر يقال ابصر
بعينه والابصار بالقلب شبه به الاعراب مثلهم مبتدأ وكمثل الذي خبره والكاف زائدة تقديره مثلهم مثل الذي
استوقد نارا ونحوه قوله ليس كمثله شيء اي ليس مثله شيء واستوقد نارا وما اتصل به من صلة الذي والعائد
الى الذي الضمير الذي في استوقد ولما يدل على وقوع الشيء لوقوع غيره وهو بمعنى الظرف والعامل فيه جوابه وتقديره
فلما اضاءت ما حوله طفئت اي طفئت حين اضاءت وما في قوله ما حوله اسم منصوب موصول بوقوع الاضاءة عليه
وحوله نصب على الظرف وهو صلة ما يقال هم حوله وحوليه وحواليه وحواله وقوله ذهب الله بنورهم اي اذهب الله
نورهم والفعل الذي لا يتعدى الى المفعول بحرف الجر بهمزة النقل والباء في قوله بنورهم يتعلق بذهب وفي ظلمات
يتعلق بتركهم وقوله لا يبصرون في موضع نصب على الحال والعامل فيه تركهم اي تركهم غير مبصرين المعنى مثل هؤلاء
المنافقين لما اظهروا الايمان وابطنوا الكفر كمثل الذي اوقد نارا او كمثل الذي طلب الضياء بايقاد النار في ليلة مظلمة
فاستضاء بها واستدفأ ورأى ما حوله واتقى ما يحذر ويخاف وامن مما هو لذلك هو طفئت ناره وبقي مظلما
خائفا متحيرا كذلك المنافقون لما اظهروا كلمة الايمان استناروا بنورها واعتزوا بعزها فناكحوا المسلمين
ووارثوهم وامنوا على اموالهم واولادهم فلما ماتوا عادوا الى الظلمة والخوف وبقوا في العذاب وذلك معنى قوله ذهب الله
بنورهم وهذا هو المروي عن ابن عباس رض وقتادة والضحاك والسدي وكان يجب في حق النظم ان يكون اللفظ
فلما اضاءت ما حوله اطفأ الله ناره ليشاكل جواب لما معنى هذه القصة ولكن لما كان اطفاء النار مثلا للاذهاب
نورهم اقيم اذهاب النور مقام الاطفاء وحذف جواب لما ايجازا واختصارا لدلالة الكلام عليه كما قال ابو ذويب
عصاني اليها القلب اني لامرها مطيع فما ادري ارشد طلابها وتقديره ارشد ام غي طلابها فحذف للايجاز ومعنى
اذهاب الله نورهم هو انه تعالى يسلبهم ما اعطوا من النور مع المؤمنين في الآخرة وذلك قوله تعالى فيما اخبر عنهم
انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا وقيل في معنى الاذهاب بنور المنافقين وجوه احدها اطلاع النبي

وقال سعيد بن جبير ومحمد بن كعب وعطاء الآية نزلت
المؤمنين على كفرهم فقد ذهب عنهم نور الإسلام بما أظهر الله من كفرهم
في اليهود وانتظارهم خروج النبي صلى الله عليه وآله وإيمانهم به واستفتاحهم به على مشركي العرب فلما خرج كفروا به وذلك أن
قريظة والنضير وبني قينقاع قدموا من الشام إلى يثرب حين انقطعت النبوة من بني إسرائيل وأفضت إلى العرب فدخلوا
المدينة يشهدون لمحمد صلى الله عليه وآله بالنبوة وأن أمته خير الأمم وكان يغشاهم رجل من بني إسرائيل يقال له عبد الله
بن هيبان قبل أن يوحى إلى النبي صلى الله عليه وآله كل سنة فيحض على طاعة الله عز وجل وإقامة التوراة والإيمان
بمحمد صلى الله عليه وآله ويقول إذا خرج فلا تفرقوا عنه وانصروه وقد كنت أطمع أن أدركه ثم مات قبل خروج النبي
صلى الله عليه وآله فقبلوا منه ثم لما خرج صلى الله عليه وآله كفروا به فضرب الله لهم هذا المثل **سؤال** كيف شبه المنافقين
أو اليهود وهم جماعة بالذي استوقد نارا وهو واحد **فالجواب** على وجوه أحدها أن الذي في معنى الجمع قيل وا...
العرب والذي جاء بالصدق وثانيها أن يقال النون محذوف ومن الذي كما جاء في قول الأخطل بن كليب
أبني كليب إن عمي اللذا قتلا الملوك وفككا الأغلالا وثالثها أن يكون الكلام على حذف وكأنه قال مثلهم كمثل أتباع الذي
استوقد نارا ثم حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه كما قال الجعدي وكيف تواصل من أصبحت
خلالته كأبي مرحب يريد كخلالة أبي مرحب ورابعها أن يقال أراد بالمستوقد الجنس لما في الذي من
الإبهام إذ ليس يراد به تعريف واحد بعينه وعلى هذا يكون جواب لما أضاءت ما حوله محذوفا كأنه قال طفئت
والضمير في قوله ذهب الله بنورهم يعود إلى المنافقين وخامسها أن يقال إن هذا تشبيه الحال بالحال فتقديره
حال هؤلاء المنافقين في جهلهم كحال المستوقد للنار وتشبيه الحال بالحال جائز كما يقال بلادة هؤلاء كبلادة الحمار
ولو قلت هؤلاء كالحمار لم يجز ومعنى قوله وتركهم في ظلمات معناه لم يفعل الله لهم النور إذ الترك إذا جاء في صفات
الله فالمعنى أنه لا يفعل لأن الترك هو الكف عن الفعل بالفعل وهذا إنما يصح فيمن حله الفعل والله سبحانه منزه
عن أن يحله فعله فمعناه أنه لم يفعل لهم النور حتى صاروا في ظلمة أشد مما كانوا قبل الإيقاد وقوله لا يبصرون
أي لا يبصرون الطريق قوله عز وجل **صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ** آية **اللغة**
الأصم هو الذي ولد لذلك وكذلك الأبكم هو الذي ولد أخرس وأصل الصمم السد فالصمم سد الأذن بما لا يقع معه
سمع وقناة صماء صلبة مكتنزة الجوف لسدّ جوفها بامتلائها وحجر أصم صلد وفتنة صماء شديدة والصمام ما يسد
به رأس القارورة وأصل البكم الاعتقال في اللسان وهو آفة تمنع من الكلام وأصل العمى ذهاب الإدراك بالعين
والعمى في القلب مثل العمى في العين بأنه يمنع من الفهم ويقال ما أعماه من عمى القلب ولا يقال ذلك في العين وإنما
يقال ما أشد عماه وملح ومجراه والعماء الغواية والعماء السحاب الكثيف المطبق والرجوع قد يكون عن الشيء وإلى
الشيء والرجوع عن الشيء هو الانصراف عنه بعد الذهاب إليه والرجوع إلى الشيء هو الانصراف إليه بعد الذهاب
عنه **الإعراب** صم بكم عمي رفع على خبر مبتدأ محذوف أي هؤلاء الذين قصتهم هذه صم بكم عمي **المعنى** قال
قتادة صم لا يسمعون الحق بكم لا ينطقون به عمي لا يبصرونه فهم لا يرجعون عن ضلالتهم ولا يتوبون وإنما شبههم
الله تعالى بالصم لأنهم لم يحسنوا الإصغاء إلى أدلة الله تعالى فكأنهم صم وإذ لم يقروا بآياته وبرسوله فكأنهم بكم وإذ لم ينظروا
في ملكوت السماوات والأرض فكأنهم عمي لما لم تصل إليهم منفعة هذه الأعضاء فكأنهم ليس لهم هذه الأعضاء
وهذا يدل على أن معنى الختم والطبع ليس على وجه الحيلولة بينهم وبين الإيمان لأنه جعل الفهم بالكفر واستثقالهم
للحق بمنزلة الصمم والبكم والعمى مع صحة حواسهم ولذلك قوله وطبع الله على قلوبهم وأضلهم وأصمهم وأعمى أبصارهم
وأزاغ الله قلوبهم فإن جميع ذلك إخبار عما أحدثوه عند امتحان الله إياهم وأمره لهم بالطاعة والإيمان لأنه فعل بهم
ما منعهم به عن الإيمان وهذا كما قيل في المثل حبك الشيء يعمي ويصم وقال مسكين الدارمي أعمى إذا ما جارتي خرجت حتى توارى

جارتي الخدر ويصم عما كان بينهما أذني وما في سمعها وقر وفي التنزيل وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون وقوله فهم لا يرجعون
يحتمل أمرين أحدهما أنه على الذم والاستبطاء عن ابن عباس والثاني أنهم لا يرجعون إلى الإسلام عن ابن مسعود
قوله عز وجل **أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ**
مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ آية **القراءة** ظلمات أجمع القراء على ضم اللام منه
على الإتباع وروي في الشواذ عن الحسن وأبي السمال بسكون اللام وعن بعضهم بفتح اللام وأبو عمرو يميل الكاف
من الكافرين في موضع الخفض والنصب وروي ذلك عن الكسائي والباقون لا يميلون **الحجة** الوجه في ذلك
أنهم كرهوا اجتماع الضمتين فتارة عدلوا إلى الفتح فقالوا ظلمات وتارة عدلوا إلى السكون فقالوا ظلمات
وكلا الأمرين حسن في اللغة وإنما أمالوا الكاف من الكافرين في الموضعين للزوم الكسرة الراء بعد الألف
المكسورة والراء لما فيه من التكرير يجري مجرى الحرفين المكسورين وكلما كثرت الكسرات غلبت الإمالة وحسنتها
وللقراء في الإمالة مذاهب واختلافات يطول استقصاؤها وأبو علي الفارسي رحمه الله قد بلغ الغاية
وجاوز النهاية في احتجاجاتهم وذكر التحقيق فيها والمد فيما خفوا عنه فهم كثير من علماء الزمان والتعمق
في إيراد أبوابها وحججها والغوص إلى لججها لا يليق بتفسير القرآن ولذلك ما تعلق من القراءة من علوم الهمز والإدغام
والمد فإن لذلك كتبا مؤلفة يرجع إليها ويعول عليها فالرأي أن يلم بأطرافها ونقتصر على بعض أوصافها فيما يأتي
من الكتاب إن شاء الله **اللغة** الصيب المطر وأصله صيوب فيعل من الصوب لكن اجتمعت الواو والياء وأولهما
ساكنة فصارتا ياء مشددة ومثله سيد وجيد والسماء المعروف وكل ما علاك وأظلك فهو سماء وسماء البيت
سقفه وأصابتهم سماء أي مطر وأصله سماو من سموت فقلبت الواو همزة لوقوعها طرفا بعد ألف زائدة وجعل
يكون على وجوه أحدها أن يتعدى إلى مفعولين نحو جعلت الطين خزفا أي صيرت وثانيها أن يأتي بمعنى صنع
يتعدى إلى مفعول واحد نحو قوله وجعل الظلمات والنور وثالثها أن يأتي بمعنى التسمية كقوله تعالى وجعلوا لله
أندادا أي سموا له ورابعها أن يأتي بمعنى أفعال المقاربة نحو جعل زيد يفعل كذا والصواعق جمع صاعقة وهي الوقع الشديد
من السحاب تسقط معه نار تحرق والصاعقة صيحة العذاب والحذر طلب السلامة مما يخاف **الإعراب**
أو ههنا للإباحة إذا قيل لك جالس الفقهاء أو المحدثين فكلا الفريقين أهل أن يجالس فإن جالست أحدهما فأنت
مطيع وإن جالست الآخر فأنت مطيع وإن جالستهما فأنت مطيع وكذلك ههنا إن مثلت المنافقين بالمستوقد كنت
مصيبا وإن مثلتهم بأصحاب الصيب فأنت مصيب وإن مثلتهم بكلا الفريقين مصيب وتقديره أو كأصحاب
صيب حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه لأن هذا عطف على قوله كمثل الذي استوقد نارا
والصيب ليس بعاقل فلا يعطف على العاقل ويجعلون في موضع الحال من أصحاب الصيب وقوله فيه
ظلمات جملة في موضع الجر بأنها صفة صيب والضمير المتصل بفي عائد إلى صيب أو إلى السماء وحذر الموت منصوب
بأنه مفعول له لأن المعنى يفعلون ذلك لحذر الموت قال الزجاج وإنما نصبه الفعل لأنه في تأويل مصدر
لأن جعلهم أصابعهم في آذانهم يدل على حذرهم الموت قال الشيخ أبو علي المفعول له لا يكون إلا مصدرا لأنه يدل
على أنه فعل لأجل ذلك الحدث والحدث مصدر لكنه ليس مصدرا عن هذا الفعل بل عن فعل آخر **المعنى**
مثل هؤلاء المنافقين في جهلهم وشدة تحيرهم كأصحاب مطر من السماء أي صيب السماء فيه أي في هذا
المطر أو في السماء لأن المراد بالسماء السحاب فهو مذكر ظلمات لأن السحاب يغشى الشمس بالنهار والنجوم
بالليل فيظلم الجو ورعد قيل إن الرعد صوت ملك يزجر السحاب وقيل رعد ملك موكل بالسحاب يسبح وروي
ذلك عن ابن عباس ومجاهد وهو مروي عن أئمتنا عليهم السلام وقيل هو ريح تختنق تحت السماء رواه أبو الجلد

عن ابن عباس وقيل انه صوت اصطكاك اجرام ومن قال انه ملك قدر فيه صوته كانه قال فيه ظلمات وصوت عبد
لانه روي انه ينعق كما ينعق الراعي بغنمه وقوله وبرق قيل انه مخاريق الملائكة من حديد تضرب به السحاب فتقدح عنه
النار عن علي عليه السلم وقيل انه سوط من نور يزجر به الملك السحاب عن ابن عباس وقيل هو مصع ملك والمصاع المجالدة
بالسيوف وغيرها قال الاعشى اذ هن نازلن اقرانهن كان المصاع بما في الجوان وقيل انه نار ينقدح من اصطكاك الاجرام
وقيل في تاويل الاية وتشبيه المثل اقوال احدها انه شبه المطر المنزل من السماء بالقران وما فيه من الظلمات بما في القران
من الابتلاء وما فيه من الرعد بما في القران من الزجر وما فيه من البرق بما فيه من البيان وما فيه من الصواعق بما في
القران من الوعيد اجلا عن ابن عباس وثانيها انه مثل للدنيا شبه ما فيها من الشدة والرخاء بالصيب الذي يجمع
نفعا وضرا وان المنافق يدفع عاجل الضرر ولا يطلب اجل النفع وثالثها انه مثل للاسلام لان به الحيوة كما في الغيث
الحيوة وشبه ما فيه من الظلمات بما في اسلامهم من ابطال الكفر وبما فيه من الرعد بما في الاسلام من فرض الجهاد
وخوف القتل وبما يخافونه من وعيد الاخرة لشكهم في دينهم وما فيه من البرق بما في اظهار الاسلام من حقن
دمائهم ومناكحتهم ومواريثهم وما فيه من الصواعق بما في الاسلام من الزواجر بالعقاب في العاجل والاجل ويقوي
ذلك ما روي عن الحسن انه قال مثل اسلام المنافق كصيب هذا وصفه ورابعها ما روي عن ابن مسعود وجماعة
من الصحابة ان رجلين من المنافقين من اهل المدينة هربا من رسول الله صلى الله عليه واله فاصابهما المطر الذي
ذكره الله فيه رعد شديد وصواعق وبرق فكلما اضاء لهم الصواعق جعلا اصابعهما في اذانهما مخافة ان تدخل
الصواعق في اذانهما فتقتلهما واذا لمع البرق مشيا في ضوئه واذا لم يلمع لم يبصرا فاقاما فجعلا يقولون ليتنا قد اصبحنا
فناتي محمدا فنضع ايدينا في يده فاصبحا فاتياه واسلما وحسن اسلامهما فضرب الله شان هذين الرجلين مثلا لمنافقي
المدينة وانهم اذا حضروا النبي جعلوا اصابعهم في اذانهم فرقا من كلام النبي صلى الله عليه واله ان ينزل فيهم شي كما كان
ذلك الرجلان يجعلان اصابعهما في اذانهما وكلما اضاء لهم مشوا فيه يعني اذا كثرت اموالهم واصابوا غنيمة وفتحا
مشوا فيه وقالوا دين محمد صحيح واذا اظلم عليهم قاموا يعني اذا هلكت اموالهم واصابهم البلاء قالوا هذا من اجل
دين محمد عليه السلم فارتدوا كما قام ذانك الرجلان اذا اظلم البرق عليهما وقوله والله محيط بالكافرين يحتمل وجوها احدها
انه عالم بهم فيعلم سرائرهم ويطلع الله على ضمائرهم عن الاصم وثانيها انه قادر عليهم لا يستطيعون الخروج عن قدرته
قال الشاعر احطنا بهم حتى اذا ما تيقنوا بما قد راوا مالوا جميعا الى السلم اي قدرنا عليهم وثالثها ما روي عن مجاهد
انه جامعهم يوم القيمة يقال احاط بك اذا لم يشذ منه شي ومنه احاط بكل شي علما اي لم يشذ عن علمه شي ورابعها انه
مهلكهم يقال احيط بفلان فهو محاط به اذا دنا هلاكه قال سبحانه واحيط بثمره اي اصابه ما اهلكه وقوله الا ان
يحاط بكم معناه ان تهلكوا جميعا قوله عز وجل يكاد البرق يخطف ابصارهم كلما اضاء لهم مشوا فيه واذا اظلم
عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم ان الله على كل شي قدير آية اللغة الخطف اخذ في استلاب يقال خطف
يخطف وخطف يخطف لغتان والثاني افصح وعليه القراءة ومنه الخطاف لقلة الذي يخرج به الدلو من البير
خطاطيف وخطاف قال النابغة خطاطيف حجن في حبال متينة تمد بها ايد اليك نوازع وقاموا اي وقفوا والمشية
الارادة والشي ما يصح ان يعلم ويخبر عنه قال سيبويه وهو اول الاسماء واعمها وابهمها لانه يقع على المعدوم والموجود
وقيل انه لا يقع الا على الموجود والصحيح الاول وهو مذهب المحققين من المتكلمين ويؤيده قوله تعالى في هذه الاية
ان الله على كل شي قدير فان كل شي سواه محدث وكل محدث فله حالتان حالة عدم وحالة وجود واذا اوجد خرج
ان يكون مقدورا للقادر لان من المعلوم ضرورة ان الموجود لا يصح ان يوجد فعلمنا انه انما يقدر عليه في حال عدمه ليخرجه
من العدم الى الوجود وعلى هذه المسئلة يدور اكثر مسائل التوحيد الاعراب كاد من افعال المقاربة ولا يتم بالفاعل ويحتاج

والدعاء الى الجهاد

الى خبر وخبره الفعل المضارع فقوله يكاد فعل والبرق مرفوع بانه يكاد وفاعله ويخطف ابصارهم في موضع نصب
بانه خبر يكاد وكلما اصله كل وضم اليه ما الجزاء وهو منصوب بالظرف والعامل فيه اضاء ومعناه متى ما اضاء لهم
مشوا فيه في موضع جزم بالشرط ومشوا في موضع الجزاء واذا اظلم قد تقدم اعراب مثله ولو حرف معناه امتناع الشي
لامتناع غيره واذا وقع الفعل بعده وهو منفي كان مثبتا في المعنى واذا وقع مثبتا كان منفيا في المعنى فقوله ولو
شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم قد انتفى فيه ذهاب السمع والابصار بسبب انتفاء المشية المعنى
يكاد ما في القران من الحجج البين يخطف قلوبهم من شدة ازعاجها الى النظر في امور دينهم كما ان البرق يكاد يخطف
ابصار اولئك كلما اضاء لهم مشوا فيه لاهتدائهم الى الطريق بضوء البرق كذلك المنافقون كلما دعوا الى خير وغنيمة
اسرعوا واذا وردت شدة على المسلمين تحيروا لكفرهم ووقفوا كالوقوف اولئك في الظلمات متحيرين وقيل اذا اسوا
صار الايمان لهم نورا فاذا ماتوا عادوا الى ظلمة العقاب وقيل هم اليهود لما نصر المسلمون ببدر قالوا هذا الذي
بشر به موسى فلما نكبوا باحد وقفوا وشكوا وقوله ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم انما خص السمع والبصر
بالذكر لما جرى من ذكرهما في الايتين فقال ولو شاء الله اذهبهما من المنافقين عقوبة لهم على نفاقهم وكفرهم
وهذا وعيد لهم بالعقاب كما قال في الاية الاولى والله محيط بالكافرين وقوله بسمعهم مصدر ويدل على الجمع
او واحد موضوع للجمع كقول الشاعر كلوا في بعض بطنكم تعيشوا فان زمانكم زمن خميص اي بطونكم والمعنى ولو شاء
لاظهر على كفرهم فاهلكهم ودمر عليهم لانه على كل شي قدير وهو مبالغة القادر وقيل ان قوله سبحانه ان الله على كل
شي قدير عام فهو قادر على الاشياء كلها على ثلثة اوجه على المعدومات بان يوجدها وعلى الموجودات بان يفنيها
وعلى مقدور غيره بان يقدر عليه ويمنع منه وقيل هو خاص في مقدوره دون مقدور غيره فان مقدورا واحدا
بين قادرين لا يمكن ان يكون لانه يؤدي الى ان يكون الشي الواحد موجودا معدوما ولفظة كل قد تستعمل غير عموم
نحو قوله تعالى تدمر كل شي بامر ربها قوله عز وجل يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون
آية اللغة الخلق الفعل على تقدير وخلق السموات فعلها على تقدير ما تدعو اليه الحكمة من غير زيادة ونقصان
والخلق الطبع والخليقة الطبيعة والخلاق النصيب الاعراب يا حرف النداء واي اسم مبهم يقع على اجناس كثيرة لكنه انما
تم بان يوصف وصفته يكون باسم الجنس لانه لما كان لا يتم الا بصفة وهي لفظة دالة على ما دل اي عليه مخصصة كان
التخصيص في الاشارة تقع بالجنس ثم بالوصف وصف باسماء الاجناس كالناس في قوله يا ايها الناس فاي منادى
مفرد معرفة مبني لانه وقع موقع حرف الخطاب وهو الكاف وانما بني على الحركة مع ان الاصل في البناء السكون
ليعلم انه ليس بعريق في البناء والبناء عارض فيه وانما حرك بالضم لانه كان في اصله التنوين فلما سقط التنوين
في البناء اشبه قبل وبعد الذي قطع عنه الغاية فارتفع وقد ذكر فيه وجه اخر نوجبه في مظانها والناس
مرفوع لانه صفة لاي متبع على حركة لفظه ولا يجوز هنا النصب وان كانت الاسماء المناديات المفردة المعرفة
يجوز في صفاتها الرفع والنصب لان الصفة هي المنادى في الحقيقة واي وصلة اليه ويدل على ذلك لزومها
وهو حرف التنبيه قبل الناس وشبهها وامتناعهم من حذفها فصار ذلك كالابدال بالسيناف نك والعلم لان
لا يجوز الاقتصار على المنادى قبله كما جاز في سائر المناديات واجاز المازني في يا ايها الرجل النصب وذلك فاسد
لما ذكرناه ولانه لا يجاز لذلك في كلام العرب ولم يروه غيره الرفع والذين من قبلكم في موضع نصب لانه عطف
على الكاف والميم في قوله خلقكم وهو مفعول به ومن قبلكم صلة الذين ولعل حرف ناصب من اخوات ان وقد
ذكرنا القول في مشابهة الفعل وعمله النصب والرفع فيما تقدم ولكن الكاف والميم لعلكم شبه لعل بالفعل اظهر لان معناه
الترجي وكم في موضع نصب لكونه اسم لعل وتتقون جملة في موضع الرفع بانه خبره المعنى هذا الخطاب يتوجه الى جميع

الناس مؤمنهم وكافرهم الا من ليس بمكلف من الاطفال والمجانين وروي عن ابن عباس والحسن ان ما في
القرآن من يا ايها الناس فانه نزل بمكة وما فيه من يا ايها الذين آمنوا فانه نزل بالمدينة اعبدوا ربكم اي تقربوا اليه
بفعل العبادة وعن ابن عباس انه قال معناه وحدوه وقوله الذي خلقكم اي اوجدكم بعد ان لم تكونوا موجودين
واوجد من تقدم زمانكم من الخلائق والبشر بين سبحانه نعمه عليهم وعلى آبائهم لان نعمه عليهم لا يتم الا بنعمة على
آبائهم لعلكم تتقون اي خلقكم لتتقوا وتعبدوه كقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقيل معناه تعبدوه
ولتتقوا وقيل معناه لعلكم تتقون المحرمات بينكم وتتقون عاجل امره وهذا كما يقول القائل افعل قولي لعلك ترشد
فليس انه من ذلك على شك وانما تريد افعله لترشد وانما ادخل الكلام لعل ترقيقا للموعظة وتقريبا لها من قلب الموعوظ
ويقول القائل لأجيره اعمل عملك لتأخذ الاجرة وليس يريد بذلك الشك وانما يريد لتأخذ الاجرة ومثله قول
الشاعر وقلتم لنا كفوا الحروب لعلنا نكف ووثقتم لنا كل موثق فلما كففنا الحرب كانت عهودكم كلمح سراب في الملا
مثالق اراد قلتم لنا كفوا لنكف لانه لو كان شاكا لما قال ووثقتم كل موثق وقال سيبويه انما وردت لفظة لعل على
انه خرج للمخاطبين كما قال فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى واراد بذلك الايهام على موسى وهرون فكأنه قال اذهبا انتما
على رجائكما وطمعكما والله عز وجل من وراء ذلك وعالم بما يؤول اليه امر فرعون وقيل فائدة ايراد لفظة لعل هي ان
لا يحل العبد ابدا محل الآمن المدل بعمله ليزداد ابدا الا تعبدا حرصا على العمل وحذرا من تركه واكثر ما جاءت لفظة لعل
وغيرها من معاني الشك فيما يتعلق بالآخرة في امر الدنيا فاذا ذكرت الآخرة مفردة جاء التبيين وقيل معناه تتقوا
النار في ظنكم ورجائكم واقوى لعل على العباد دون نفسه وهذا قريب مما قال سيبويه قوله عز وجل *هو الذي جعل
لكم الارض فراشا والسماء بناء وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله اندادا وانتم
تعلمون* اية *القراءة* ادغم جماعة من القراء قوله جعل لكم فقالوا جعلكم والباقون يظهرون فمن ادغم فلاجتماع
حرفين من جنس واحد وكثرة الحركات ومن اظهر وعليه اكثر القراء فلانهما منفصلان من كلمتين وفي الادغام ولخلاف
القراءات فيه والاحتجاجات لهم كلام كثير خارج عن الغرض بعلوم تفسير القرآن فمن اراد ذلك فليطلبه من الكتب
المؤلفة فيه الجعل والخلق والاحداث نظائر والارض هي المعروفة والارض قوائم الدابة ومنه قول الشاعر
واحمر كالديباج اما سماؤه واما ارضه فمحول والارض الرعدة وفي كلام ابن عباس ازلزلت الارض ام بي ارض والفراش
والبساط والمهاد نظائر وسمي السماء سماء لعلوها عن الارض وكل شيء فهو باللغة كان فوق شيء فهو لما
تحته سماء وسمي فلان لفلان اذا قصد نحوه عاليا عليه قال الفرزدق سمونا لنجران اليماني واهله ونجران ارض لم تديث
مقاوله قال الزجاج كلما علا الارض فهو بناء والماء اصله موه وجمعه امواه وتصغيره مويه وانزل من السماء اي من
ناحية السماء قال الشاعر امسك الزق ارقه ثمنا جاءك من ناحية والند المثل والعدل قال حسان بن ثابت
اتهجوه ولست له بند فشركما لخيركما الفداء وقال جرير اتيما تجعلون الي ندا وما تيم لذي حسب نديد وقيل الند الضد
معنى هذه الآية متعلق بما قبلها لانه تعالى امرهم بعبادته والاعتراف بنعمه ثم عدد لهم صنوف نعمه
لتستدلوا بذلك على وجوب عبادته فان العبادة انما تجب لاجل النعم المخصوصة فقال سبحانه جعل لكم الارض
فراشا اي بساطا يمكنكم ان تستقروا عليها وتفترشوها وتتصرفوا فيها وذلك لا يمكن الا بان يكون مبسوطا ساكنة
دائمة السكون والسماء بناء اي سقفا مرفوعا مبنيا وانزل من نحو السماء اي من السحاب ماء فاخرج به اي بالماء
من الثمرات رزقا لكم اي عطاء لكم وملكا لكم وغذاء لكم وهذا تنبيه على انه هو الذي خلقهم والذي رزقهم
دون من جعلوه ندا له من الاوثان ثم زجرهم عن ان يجعلوا له ندا مع علمهم بان ذلك كما اخبرهم به فقوله وانتم تعلمون
يحتمل وجوها احدها ان يريد انكم تعلمون ان الاصنام التي تعبدونها لم تنعم عليكم بهذه النعم التي عددناها

ولا بآبائها ولا امهاتها ولا تضر ولا تنفع وثانيها ان يريد انكم تعقلون وتميزون ومن كان بهذه الصفة فقد استوفى
شرائط التكليف ولزمته الحجة وضاق عذره في التخلف عن النظر واصابة الحق وثالثها ما قال مجاهد وعنى ان
المراد بذلك اهل التوراة والانجيل اي تعلمون ذلك في الكتابين وقال الشريف الاجل المرتضى قدس الله روحه استدل
ابو علي الجبائي بقوله تعالى جعل الارض فراشا وفي اية اخرى بساطا على بطلان ما يقوله المنجمون من ان الارض كروية
الشكل قال وهذا القدر لا يدل لانه يكفي في النعمة علينا ان يكون في الارض بساط ومواضع مفروشة
ومسطوحة وليس يجب ان يكون جميعها كذلك ومعلوم ضرورة ان جميع الارض ليس مسطوحا مبسوطا وان
كان مواضع التصرف فيها بهذه الصفة والمنجمون لا يدفعون ان يكون في الارض مسطوح يتصرف فيه ويستقر عليها
وانما يذهبون الى ان جملتها كروية الشكل قوله عز وجل *وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة
من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين* آية *اللغة* ان دخلت هنا لغير شك لان
الله تعالى علم انهم مرتابون ولكن هذا على عادة العرب في خطابهم كقولهم ان كنت انسانا فافعل
كذا وان كنت ابني فاطعني وان كان كونه انسانا وابنا معلوما وانما خاطبهم الله تعالى على عادتهم
في الخطاب والريب الشك مع تهمة والعبد المملوك من جنس ما يعقل ونقيضه الحر من التعبد وهو
التذليل لان العبد يتذلل لمولاه والعبودية من احكام الشرع لانه يعتبر الزوج الحيوان ويستحق عليها العوض
وليست بعقوبة ولذلك يشترك المؤمن والصبي والسورة غير مهموزة ماخوذ من سور البناء وكل منزلة رفيعة
فهي سورة ومنه قول النابغة الم تر ان الله اعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب هذا قول ابي عبيدة وابن
الاعرابي في تفسير السورة من القرآن بمنزلة درجة رفيعة ومنزل عال رفيع يرتفع القارئ منها الى منزلة اخرى
الى ان يستكمل القرآن وقيل السورة مهموزة والمراد بها القطعة من القرآن انفصلت عما سواها وابقيت وسؤر
كل شيء بقيته واسأرت في الاناء بقيت فيه قال الاعشى يصف امرأة فبانت وقد اسأرت في الفؤاد صدعا على
نأيها مستطيرا *الاعراب* ان حرف الشرط يجزم الفعل المضارع ويدخل على الفعل الماضي فيصيره الى معنى
الاستقبال ولا بد من الشرط من جزاء وهما جملتان ربطت احداهما بالاخرى نحو ان تفعل افعل فقولك ان
تفعل شرط وهو مجزوم بان وقولك افعل جزاء وهو مجزوم بالشرط لا بان وحدها ولا بالفعل فان كان الجزاء
جملة من فعل وفاعل كان مجزوما وان كان جملة من مبتدأ وخبر فلا بد من الفاء وكانت الجملة في موضع الجزم
فقوله كنتم في موضع الجزم بان وقوله فأتوا بسورة اسم مبني على الوقف لانه امر المخاطبين والواو فاعل والفاء
وما بعده في موضع جزم بانه جزاء وما قبل الفاء لا يعمل فيما بعده ومن يقع على اربعة اوجه احدها ان يكون
بمعنى ابتداء الشيء من مكان ما كقولك خرجت من البصرة وثانيها بمعنى التبعيض كقولك اخذت من الطعام
قفيزا وثالثها بمعنى التبيين كقوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان وهي في التبيين تخص الجملة التي قبلها كما في
التبعيض تخص الجملة التي بعدها ورابعها ان يقع مزيدة نحو ما جاءني من رجل فاذا قد عرفت هذا فقوله تعالى
من مثله قال لتبيين الصفة وقيل ان مزيدة كقوله في موضع آخر بسورة مثله اي بمثل هذا القرآن ويعود الهاء
في مثله الى ما في قوله مما نزلنا على عبدنا في الاقوال الثلاثة وقيل ان من بمعنى ابتداء الغاية والهاء من
مثله يعود الى عبدنا فيكون معناه بسورة من رجل مثله والاول اقوى لما نذكره بعد *المعنى* لما احتج الله
تعالى بالتوحيد عقبه من الاحتجاج للنبوة بما قطع عذرهم فقال وان كنتم في شك من صدق هذا الكتاب
الذي نزلنا على محمد صلى الله عليه وآله وقلتم لا ندري هل هو من عند الله ام لا فأتوا بسورة من مثله اي
من مثل القرآن وعلى قول من يقول الضمير في مثله عائد الى عبدنا فالمعنى فأتوا بسورة من بشر امي مثله لا يحسن الخط

والكتابة ولا يدري الكتب فالصحيح هو الاول كقوله تعالى فليأتوا بحديث مثله وقوله فأتوا بسورة مثله
وقوله قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله فأتوا بسورة مثله اي به
محمد في الاعجاز من حسن النظم وجزالة اللفظ والفصاحة التي اختصت به والاخبار عما كان وعما يكون دون تعلم الكتب
ودراسة الاخبار وقوله وادعوا شهداءكم قال ابن عباس يعني اعوانكم وانصاركم الذين يظاهرونكم على تكذيبكم
ويسمى اعوانهم شهداء لانهم يشاهدونهم عند المعاونة والشهيد يكون بمعنى الشاهد كالجليس والاكيل ويسمى
الشاهد على الشيء لغيره بما يحقق دعوته بانه شهيد وقوله من دون الله اي من غير الله كما يقال ما دون الله
مخلوق يريد وادعوا من اتخذتموهم معاونين من غير الله ان كنتم صادقين في ان هذا الكتاب يقوله
محمد من نفسه وقال الفراء وادعوا الهتكم وقال مجاهد وابن جريج ارادوا ناسا يشهدون لكم بذلك
يقبل قولهم وقول ابن عباس اقوى لان معناه استنصروا اعوانكم على ان يأتوا بمثله لان الدعاء بمعنى الاستعانة
كما قال الشاعر فلما التقت فرساننا ورجالنا دعوا يا لكعب واعتزينا لعامر وقال الاخر وملك رب خصم فقد نالوا
على ما جئت ولا دعوت واما قول مجاهد فلا وجه له لان الشاهدين لا يخلو اما ان يكونوا مؤمنين او كفارا
فالمؤمنون لا يكونون شهداء للكفار والكفار لا بد ان يدعوا الى ابطال الحق او تحقيق الباطل اذا دعي
البين اي الفريقين يكون شهداءهم ولكن ينبغي ان يجري ذلك مجرى قوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس
والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا وقال قوم ان هذا الوجه جائز
ايضا صحيح لان العقلاء لا يجوز ان يحملوا انفسهم على الشهادة بما يفتضحون به في كلام انه مثل القرآن ولم يكن
مثله كما لا يجوز ان يحملوا انفسهم على ان يعارضوا ما ليس بمعارض على الحقيقة وهذه الآية تدل على صحة نبوة
محمد صلى الله عليه وآله لانه تحدى بالقرآن وببعضه ووجه الاستدلال بها انه تعالى خاطب قوما عقلاء
فصحاء قد بلغوا الغاية القصوى في الفصاحة واليهم المرجع في علياء البلاغة وانزل اليهم كلاما من
جنس كلامهم وتحداهم بالاتيان بمثله او ببعضه بقوله فأتوا بعشر سور مثله وبسورة مثله وجعل عجزهم عن ذلك
حجة عليهم ودلالة على صدق رسوله صلى الله عليه وآله وهم اهل الحمية والانفة بذلوا اموالهم ونفوسهم في اطفاء
امره ولم يتكلفوا في معارضة القرآن بسورة ولا آية فعلمنا ان المعارضة كانت متعذرة عليهم فدل ذلك على
ان القرآن معجز دال على صحة نبوته صلى الله عليه وآله قوله عز وجل فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها
الناس والحجارة اعدت للكافرين آية الاعراب ان حرف الشرط ولم حرف الشرط يدخل على الفعل المضارع
فتصرفه ويجعله بمعنى الماضي ويعمل فيه الجزم وتفعلوا فعل وفاعلون وهو مجزوم بلم وعلامة الجزم فيه سقوط
النون ولم تفعلوا في موضع الجزم بان ولن حرف يدخل على الفعل المضارع فيخصه بالاستقبال وينصبه
ويعمل فيه النصب وعلامة النصب في تفعلوا سقوط النون ايضا قال سيبويه في لن زعم الخليل انها لا ان ولكنهم
حذفوا لكثرته في كلامهم كما قالوا ويلمه وجعلت بمنزلة حرف واحد كما جعلوا هلا بمنزلة حرف واحد وانما
هي هل ولا قال وهذا ليس بجيد لانه لو كان كذلك لم يجز زيدا لن اضرب واقول ان معنى هذا القول هو انه
لو كان اصل لن لا ان وما بعدها يكون صلة لها فلا يجوز تقديم معمول ما في الصلة على الموصول فكان يجب
ان لا يجوز تقديم زيدا في قولك لن اضرب زيدا على لن كما لم يجز تقديمه على ان فلا تقول زيدا ان اضرب
وزيدا الا ان اضرب ولا خلاف بين النحويين في جواز التقديم هناك وقوله ولن تفعلوا لا موضع له من الاعراب
لانه اعتراض وقع بين الشرط والجزاء كما يقع بين المبتدأ والخبر في قولك زيد فاعلم ما اقول لك عالم والاعتراض
غير واقع موقع المفرد فيكون له موضع اعراب المعنى فان لم تفعلوا اي فان لم تأتوا بسورة من مثله وقد تظاهرتم

25

انتم وشركاؤكم عليه واعوانكم وتبين لكم عجزكم وعجز جميع الخلق عنه وعلمتم انه من عندي فلا تقيموا على التكذيب به ومعنى
ولن تفعلوا اي ولن تأتوا بسورة مثله ابدا لان لن تنفي على التأبيد في المستقبل وفيه دلالة على صحة نبوة نبينا محمد صلى الله
عليه وآله لانه يتضمن الاخبار عن حالهم في مستقبل الاوقات فانهم لا يأتون بمثله فوافق المخبر عنه الخبر وقوله فاتقوا النار
اي فاحذروا ان تصلوا النار بتكذيبكم وانما جاز ان يكون قوله فاتقوا النار جواب الشرط مع لزوم اتقاء النار كيف
تصرف الحال لانه لا يلزمهم الاتقاء الا بعد التصديق بالنبوة ولا يصح العلم بالنبوة الا بعد قيام المعجزة فكانه قيل فان
لم تفعلوا ولن تفعلوا فقد قامت الحجة ووجب اتقاء النار التي وقودها اي حطبها الناس والحجارة وهي
حجارة الكبريت لانها احمى شيء اذا احميت عن ابن مسعود وابن عباس والظاهر ان الناس والحجارة وقود النار
اي حطبها ويريد بها اصنامهم المنحوتة من الحجارة كقوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم
وقيل ذكر الحجارة دليل على عظم تلك النار لانها لا تأكل الحجارة الا وهي في غاية الفظاعة والهول وقيل
معناه ان اجسادهم تبقى على النار بقاء الحجارة التي توقد بها النار بقدح اسبابها ويؤيد ذلك قوله كلما
نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب الآية وقيل معناه انهم يعذبون بالحجارة المحماة بالنار وقوله
اعدت للكافرين معناه خلقت وهيئت للكافرين لانهم الذين يخلدون فيها ولانهم اكثر اهل النار فاضيفت
اليهم وقيل انما خص النار بكونها معدة للكافرين وان كانت معدة للفاسقين ايضا لانه يريد بذلك نارا مخصوصة
لا يدخلها غيرهم كما قال ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار وهذه الآية تدل على بطلان قول من حرم النظر
والحجاج العقلي لان الله سبحانه احتج على الكفار بما ذكره في هذه الآية والزمهم به تصديق نبيه عليه السلام وقررهم
بان القرآن كلامه اذ قال ان كان هذا القرآن كلام محمد صلى الله عليه وآله فأتوا بسورة من مثله لانه لو كان كلام البشر
لتهيأ لكم مع تقدمكم في البلاغة والفصاحة الاتيان بمثله وبسورة منه مع قوة دواعيكم اليه فاذا لم يتأت لكم ذلك
فاعلموا بعقولكم انه كلام الله تعالى وهذا هو المراد بالاحتجاج العقلي واستدل بقوله اعدت للكافرين على ان النار
مخلوقة الان لان المعد لا يكون الا موجودا وكذلك الجنة بقوله اعدت للمتقين والفائدة في ذلك انا وان
لم نشاهدهما فان الملائكة يشاهدونهما وهم من اهل التكليف والاستدلال فيعرفون ثواب الله للمتقين وعقابه
للكافرين قوله تعالى وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات تجري من تحتها الانهار كلما رزقوا منها
من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل واتوا به متشابها ولهم فيها ازواج مطهرة وهم فيها خالدون
آية اللغة البشارة هي الاخبار بما يسر المخبر به اذا كان سابقا بخبره سواه لان الثاني لا يسمى بشارة وقد
قيل للاخبار بما يغم ايضا بشارة كقوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم وذلك على سبيل التوسع وهي مأخوذة من البشرة
وهي ظاهر الجلد لتغيرها بالفرح والغم وبشاشة الصحيح اولى والجنات جمع الجنة وهي البستان والمراد بذكر الجنة ما في
الجنة من اشجارها وثمارها دون ارضها فلذلك قال تجري من تحتها الانهار لانه من المعلوم انه اراد الخبر عن
ماء انهارها بانه جار تحت الاشجار لان الماء اذا كان تحت الارض فلا حظ فيه للعيون على انه روي عن مسروق
انهار الجنة جارية في غير اخدود رواه عنه ابو عبيدة وغيره واصلها من الجن وهو الستر ومنه المجن لستره
عن عيون الناس والجنون لانه يستر العقل والجنة لانه يستر البدن والجنين لستره بالرحم قال المفضل
البستان اذا كان فيه الكرم فهو فردوس كان فيه شجر غيره او لم يكن والجنة كل بستان فيه نخل وان لم يكن فيه غيره
والازواج جمع زوج والزوج يقع على الرجل والمرأة ويقال للمرأة زوجة وزوج كل شيء شكله والخلود الدوام
والبقاء الاعراب موضع ان موضع اسمه وخبره نصب معناه وبشر المؤمنين بان لهم جنات فلما سقطت الباء افضى
الفعل الى ان فنصبه وعلى قول الخليل يكون ان في موضع جر وان سقطت الباء وجنات منصوب بانه اسم ان ولهم الجار

والمجرور في موضع جبر والتاء وتاء جماعة المونث يكون في حال النصب والجر على صورة واحدة كما ان ياء جماعة
الذكور في الزيدين ونحوه يكون في حال النصب والجر على صورة واحدة وقوله تجري مع ما اتصل به جملة منصوبة
الموضع بكونها صفة لجنات وكلما اصله كل الى ما الجزاء فصار اداة للتكرار وهو منصوب على الظرف والعامل
رزقوا منها من ثمرة من مزيدة اي ثمرة وقال علي بن عيسى هي بمعنى التبعيض لانهم يرزقون بعض الثمرات
في كل وقت ويجوز ان يكون بمعنى تبيين الصفة وهو ان بين الرزق من اي جنس هو ومن قبل بعده
من قبل هذا الزمان او هذا الوقت فحذف المضاف اليه منه لفظا مع ان الاضافة مراده معنى فهي
لاجل مشابهة الحروف انما بني على الحركة ليدلوا على تمكنه في الاصل وانما خص بالضم لان اعرابه عند الاضافة
كان بالفتح او الجر نحو من قبلك وقبلك ظرف فانبنى على حركة لم يكن يدخلها في الاعراب وهي الضمة وموضعه
نصب على الظرف ومتشابها نصب على الحال وازواج رفع اما بالابتداء او بالظرف المعنى قرن الله تعالى
الوعد في هذه الآية بالوعيد فما قبله ليحصل الترغيب والترهيب فقال وبشر اي اخبرهم بما يسرهم الذين امنوا
اي صدقوا وعملوا الصالحات فيما بينهم وبين ربهم عن ابن عباس بان لهم جنات تجري من تحتها
اي من تحت اشجارها ومساكنها الانهار والنهر لا يجري وانما يجري الماء فيه ويستعمل الجري فيه توسعا لانه
موضع الجري وقوله كلما رزقوا منها اي من الجنات والمعنى من اشجارها وتقديره كلما رزقوا من اشجار البساتين
التي اعدها الله للمؤمنين من ثمرة رزقا اي اعطوا من ثمارها عطاء واطعموا منها طعاما لان الرزق عبارة
عما يصح الانتفاع به ولا يكون لاحد المنع منه قالوا هذا الذي رزقنا من قبل فيه وجوه احدها ان ثمار
الجنة اذا اجتني من اشجارها عاد مكانها مثلها فيشتبه عليهم فيقولون هذا الذي رزقنا من قبل هذا قول
ابي عبيدة ويحيى بن ابي كثير وثانيها ان معناه هذا الذي رزقنا في الدنيا عن ابن عباس وابن مسعود وجماعة
وقيل هذا الذي وعدناه في الدنيا وثالثها معناه هو الذي رزقناه من قبل في الجنة اي كالذي رزقنا
يعلمون انه غيره لكنهم شبهوه به في طعمه ولونه وريحه وطيبه وجودته عن الحسن وواصل قال الشيخ ابو جعفر
رحمه الله واقوى الاقوال قول ابن عباس لانه تعالى قال كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا
من قبل فعم ولم يخص فاول ما اوتوا به لا يتقدمه هذا القول الا ان يكون اشارة الى ما تقدم رزقه في الدنيا
ويكون التقدير هذا مثل الذي رزقناه في الدنيا لان ما رزقوه في الدنيا قد عدم واقام المضاف اليه
مقام المضاف كان القايل اذا قال لغيره اعددت لك طعاما ووصفه يحسن ان يقول هذا طعامي في
منزلي يريد مثله ومن جنسه وقوله واتوا به اي جيئوا به وليس معناه اعطوه وقوله متشابها فيه وجوه احدها
انه متشابها في اللون مختلفا في الطعم عن ابن عباس ومجاهد وثانيها ان كلها متشابه في الجودة خيار
لا رذل فيه عن الحسن وقتادة واختار الاخفش قال وهذا كقول القايل وقد نحر ناسا فاضلا فاشتبهت عليه
في الفضل لا ادري ما اختار منها كلها عندي فاضل كقول الشاعر من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم مثل النجوم التي
يسري بها الساري يعني انهم قد تساووا في الفضل وثالثها انه يشبه ثمر الدنيا غير ان ثمر الجنة اطيب عن عكرمة
ورابعها انه يشبه بعضها بعضا في اللذة وجميع الصفات عن ابن عمير وخامسها ان التشابه من حيث الموافقة
فالخادم يوافق المخدوم والمسكن يوافق الفرش وكذلك جميع ما يليق به وقوله ولهم فيها ازواج قيل هو الحور العين
وقيل هي من نساء الدنيا قال الحسن من عجايزكم الغمص الرمص العمش طهرن من قذرات الدنيا مطهرة قيل في الابدان
والاخلاق والاعمال فلا يحضن ولا يلدن ولا يتغوطن ولا يبلن قد طهرن من الاقذار والآثام وهو قول جماعة
المفسرين وهم فيها اي في الجنة خالدون يعني دايمون يبقون ببقاء الله لا انقطاع لذلك ولا نفاد لان النعيم بالخلود

والبقاء كما يحسن بالزوال والفناء والخلود هو الدوام من وقت مبتدأ ولهذا لا يقال لله تعالى خالد قوله عز وجل
ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها فاما الذين آمنوا فيعلمون انه الحق من ربهم واما الذين
كفروا فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وما يضل به الا الفاسقين آية
القراءة يستحيي بياءين وروي عن ابن كثير يستحي بياء واحدة ووجه هذه القراءة انه استثقل اجتماع اليائين
فحذف احدهما وهي لغة تميم اللغة الاستحياء من الحياء ونقيضه القحة والضرب يقع على جميع الاعمال الا قليلا
يقال ضرب في التجارة وضرب في الارض وضرب في سبيل الله وضرب الى كذا وضرب فلان على يد فلان اذا
افسد عليه امرا اخذ فيه وضرب الامثال انما جعلها لتسير في البلاد يقال ضرب القول وارسله مثلا لما
اشبه ذلك والبعوض القرقس صغيرها والواحدة بعوضة والمثل والمثل كالشبه والشبه وقال كعب بن
زهير كانت مواعيد عرقوب لها مثلا وما مواعيدها الا الاباطيل الفسق والفسوق الترك لامر الله وقال الفراء
الفسق والفسوق الترك اي الخروج عن الطاعة تقول العرب فسقت الرطبة عن قشرها اذا خرجت ولذلك
سميت الفارة فويسقة لخروجها عن جحرها الاعراب في قوله ما بعوضة بالنصب وجوه احدها ان يكون ما زايدة
ومعناه التوكيد كما في قوله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم وتقديره ان الله لا يستحيي ان يضرب بعوضة
مثلا او مثلا بعوضة فيكون بعوضة مفعولا ثانيا ليضرب وثانيها ان يكون ما نكرة مفسرة ببعوضة كانه
نكرة موصوفة في قوله تعالى هذا ما لدي عتيد فيكون تقديره لا يستحيي ان يضرب مثلا شيئا من الاشياء
بعوضة فيكون بعوضة بدلا من شيئا وثالثها ما يحكى عن الفراء ان معناه ما بين بعوضة الى ما فوقها كما يقال
مطرنا ما زبالة الى الثعلبية وله عشرون ما ناقة فجملا وهي احسن الناس ما قرنا فقدما يعنون ما بين في جميع
ذلك والاصح عند البصريين الوجه الاول وانما اختير هذا الوجه لان ضرب ههنا بمعنى جعل فجاز ان يتعدى
الى مفعولين ويدخل على المبتدأ او الخبر وفي التنزيل ما يدل عليه وهو قوله انما مثل الحيوة الدنيا كماء فمثل الحيوة
مبتدأ وكماء خبره وفي موضع آخر واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا كماء فيدخل اضرب على المبتدأ والخبر فصار بمنزلة قولك
ظننت زيدا كعمرو ويجوز في الاعراب الرفع في بعوضة وان لم يجز في القراءة وفيه وجهان احدهما ان يكون خبر
المبتدأ محذوف في صلة ما فكانه قال الذي هو بعوضة كقراءة من قرأ تماما على الذي احسن بالرفع وهذا
عند سيبويه ضعيف وهو في الذي اقوى لان الذي اطول وليس الذي مذهب غير الاسماء والثاني
على الجواب كانه لما قيل ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة قيل ما هو فقيل بعوضة اي هو بعوضة كما يقال مررت
برجل زيد اي هو زيد فيكون ما على هذا الوجه يكون مجردة من الصفة والصلة وقوله فاما الذين آمنوا اللغة
العرب جميعا بالتشديد وكثير من بني تميم يقولون اما فلان فيفعل وانشد بعضهم هيماء اما وشاحها
فيجري واما الجحد منها فلا يجري فهي كلمة تجيء في شيئين او اشياء تفصل القول بينهما كقولك اما زيد فحسن
واما عمرو فمسيء وزيد مبتدأ وحسن خبره ثم اخر الفاء الى الخبر لاصلاح اللفظ ولم يستحسن ان تقع الفاء التي للتعقيب
في اول الكلام فقوله الذين آمنوا على هذا فيكون مبتدأ ويعلمون خبره وكذلك الذين كفروا مبتدأ ويقولون
خبره وقوله ماذا اراد الله بهذا مثلا ما استفهام وهو اسم في موضع الرفع بالابتداء وذا بمعنى الذي وصلته ما بعده
وهو في موضع رفع بانه خبر المبتدأ وتقديره اي شيء الذي اراد الله تعالى فعلى هذا يكون الجواب رفعا كقولك البيان الحق
الذي ضرب المثل ويحتمل ان يكون ماذا بمنزلة اسم واحد وتقديره اي شيء اراد الله فيكون في موضع نصب بانه
مفعول اراد فعلى هذا يكون الجواب نصبا كقولك البيان الحق ضرب له المثل ومثال الاول قوله تعالى ماذا
انزل ربكم قالوا اساطير الاولين ومثال الثاني قوله ماذا انزل ربكم قالوا خيرا ومثلا منصوب على الحال وقيل على القطع

(للمنافقين) ويدل على التفسير **النزول** روي عن ابن عباس وابن مسعود ان الله تعالى لما ضرب المثلين قبل هذه الآية للمنافقين
يعني قوله مثلهم كمثل الذي استوقد نارا وقوله او كصيب من السماء قال المنافقون الله اعلى واجل من ان يضرب
هذه الامثال فانزل الله تعالى هذه الآية وعن قتادة والحسن لما ضرب المثل بالذباب والعنكبوت
تكلم فيه قوم من المشركين وعابوا ذكره فانزل الله هذه الآية **المعنى** ان الله لا يستحيي ان لا يدع وقيل لا يمتنع لان
احدنا اذا استحيى عن شيء تركه وامتنع منه ومعناه ان الله لا يدع ضرب المثل بالاشياء الحقيرة لحقارتها اذا
راى الصلاح في ضرب المثل بها وقيل معناه هو ان الذي يستحيى منه ما يكون قبيحا في نفسه ويكون لفاعله
عيب في فعله فاخبر الله تعالى ان ضرب المثل ليس بقبيح ولا عيب حتى يستحيا منه وقيل معناه انه لا يخشى ان يضرب
مثلا كما قال وتخشى الناس والله احق ان تخشاه بمعناه اي تستحيي الناس والله احق ان تستحييه فالاستحياء
بمعنى الخشية هنا كما ان الخشية بمعنى الاستحياء هناك واصل الاستحياء الانقباض عن الشيء والامتناع منه
خوفا من مواقعة القبيح وقال علي بن عيسى معناه انه ليس في ضرب المثل بالحقير للحقير عيب يستحيى منه فكانه قال لا يحل
ضرب المثل بالبعوضة محل ما يستحيى منه فكانه فوضع قوله ان الله لا يستحيي موضع ما بعوضة فما فوقها اي ما هو اعظم منها
عن قتادة وابن جريج وقيل فما فوقها في الصغر والقلة لان الغرض هنا الصغر قال الربيع بن انس انها تحيا ما جاعت فاذا
سمنت ماتت فكذلك القوم الذين ضرب الله لهم هذا المثل اذا امتلأوا من الدنيا ريا اخذهم الله عند ذلك ثم
تلا حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة وروي عن الصادق عليه السلام انه قال انما ضرب الله المثل بالبعوضة لان البعوضة
على صغر حجمها خلق الله فيها جميع ما خلق في الفيل مع كبره وزيادة عضوين آخرين فاراد الله سبحانه ان ينبه بذلك
المؤمنين على لطف خلقه وعجيب صنعته وقد استشهد على استحسان ضرب المثل بالشيء الحقير في كلام العرب بقول
الفرزدق ضربت عليك العنكبوت بنسجها وقضى عليك به الكتاب المنزل وبقوله ايضا وهل شيء يكون اذل بيتا من اليربوع
يحفر البيرانا وقوله فاما الذين آمنوا اي صدقوا محمدا والقرآن وقبلوا الاسلام فيعلمون انه الحق من ربهم مدحهم الله تعالى
بانهم يتدبرون حتى علموا انه من ربهم وان المثل وقع في حقه واما الذين كفروا بالقرآن فيقولون اي لتحيرهم لضعفهم عن طريق الاستدلال
وانكارهم الحق قالوا ماذا اراد الله بهذا مثلا اي ما الذي اراد الله بهذا المثل فحذف الالف واللام وقوله يضل به كثيرا ويهدي
به كثيرا فيه وجهان احدهما حكي عن الفراء انه قال انه حكاية عمن قال ماذا اراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا
اي يضل به قوم ويهتدي به قوم ثم قال الله تعالى وما يضل به الا الفاسقين فبين تعالى انه لا يضل الا فاسقا ضالا وهذا
وجه حسن والآخر انه كلامه تعالى ابتداء وكلاهما محتمل واذا كان محمولا على هذا فمعنى قوله يضل به كثيرا ان الكفار يكذبون
به وينكرونه ويقولون ليس هو من عند الله فيضلون بسببه واذا حصل الضلال بسببه اضيف اليه وقوله ويهدي
به كثيرا يعني الذين آمنوا به وصدقوه وقالوا هذا في موضعه فلما حصلت الهداية بسببه اضيف اليه فمعنى الاضلال
على هذا تشديد الامتحان الذي يكون عنده الضلال وذلك بان ضرب لهم الامثال لان المحن اذا اشتدت
على الممتحن فضل عندها سميت اضلالا واذا سهلت فاهتدى عندها سميت هداية والمعنى ان الله تعالى يمتحن
بهذه الامثال عباده فيضل بها قوم كثير ويهتدي بها قوم كثير ومثله قوله تعالى رب انهن اضللن كثيرا من
الناس اي ضلوا عندها كما يقال للرجل اذا ادخل الفضة النار ليظهر فسادها ثم اظهر فسادها افسدت
فضتك وهو لم يفعل فيها الفساد وانما يراد ان فسادها ظهر عند محنته وقريب من ذلك قولهم فلان اضل ناقته
ولا يريدون انه اراد ان تضل وانما يريدون انها ضلت منه لا من غيره وقولهم افسدت فلانة فلانا واذهبت عقله وهي ربما
لم تعرفه ولكن لما ذهب عقله وفسد من اجلها اضيف الفساد اليها وقد يكون الاضلال بمعنى التخلية على جهة العقوبة
وترك المنع بالقهر ومنع الالطاف التي تفعل بالمؤمنين جزاء على ايمانهم وهذا كما يقال لمن لا يصقل سيفه افسدت سيفك

اريد به انك لم تحدث فيه الاصلاح في كل وقت بالصقل والاحداد وقد يكون الاضلال بمعنى التسمية بالضلال
والحكم به كما يقال اضله اذا نسبه الى الضلال واكفره اذا نسبه الى الكفر قال الكميت وطائفة قد اكفروني بحبكم
وطائفة قالوا مسيء ومذنب وقد يكون الاضلال بمعنى الاهلاك والعذاب والتدمير ومنه قوله ان المجرمين
في ضلال وسعر يوم يسحبون في النار على وجوههم ومنه قوله تعالى اءذا ضللنا في الارض اي هلكنا ومنه قوله والذين
قتلوا في سبيل الله فلن يضل اعمالهم اي لن يبطل سيهديهم ويصلح بالهم فعلى هذا يكون المعنى ان الله تعالى يهلك
ويعذب بالكفر به كثيرا بان يضلهم عن الثواب وطريق الجنة فيهلكوا ويهدي الى الثواب وطريق الجنة
بالايمان به كثيرا عن ابي علي الجبائي قال ويدل على ذلك قوله وما يضل به الا الفاسقين لانه لا يخلو من ان يكون
اراد العقوبة على التكذيب كما قلناه او يكون اراد به التحير والتشكيك فان اراد الحيرة فقد ذكر انه لا يفعل الا بالفاسق
المتحير الشاك فيجب ان لا يكون الحيرة المتقدمة التي بها صاروا فساقا من فعله الا اذا وجدت حيرة قبلها ايضا
وهذا يوجب وجود ما لا نهاية له من حيرة قبل حيرة لا الى اول او يثبت اضلال لا اضلال قبله واذا كان ذلك
من فعله فقد اضل من لم يكن فاسقا وهو خلاف قوله عز وجل وما يضل به الا الفاسقين وعلى هذا الوجه
فيجوز ان يكون حكم الله عليهم بالكفر وبراءته منهم ولعنه عليهم اهلاكا لهم ويكون اهلاكه اضلالا وكل ما
في القرآن من الاضلال المنسوب الى الله تعالى فهو بمعنى ما ذكرناه من الوجوه ولا يجوز ان يضاف الى الله سبحانه
الاضلال الذي اضافه الى الشيطان والى فرعون والى السامري بقوله ولقد اضل منكم جبلا كثيرا وقوله واضل فرعون
قومه وقوله واضلهم السامري وهو ان يكون بمعنى التلبيس والتغليط والتشكيك والايقاع في الفساد والضلال
وغير ذلك مما يؤدي الى التظليم والتجوير على ما ذهب اليه المجبرة تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا **فصل** في حقيقة الهداية
والهدى واذ قد ذكرنا اقسام الاضلال وما يجوز اضافته الى الله منها وما لا يجوز فلنذكر اقسام الهداية التي
هي ضده اعلم ان الهداية في القرآن على وجوه احدها ان يكون بمعنى الدلالة والارشاد يقال هداه الطريق وللطريق
والى الطريق اذا دله عليه وهذا الوجه عام لجميع المكلفين فان الله تعالى هدى كل مكلف الى الحق بان دله عليه
وارشده اليه لانه كلفه الوصول اليه فلو لم يدله عليه لكان قد كلفه ما لا يطيق ويدل عليه قوله تعالى ولقد جاءهم من ربهم
الهدى وقوله انا هديناه السبيل وقوله انزل فيه القرآن هدى للناس وقوله واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى
على الهدى وقوله وانك لتهدي الى صراط مستقيم وقوله وهديناه النجدين وما اشبه ذلك من الآيات وثانيها ان
يكون بمعنى زيادة الالطاف التي بها يثبت على الهدى ومنه قوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى اي شرح صدورهم
وثبتها وثالثها ان يكون بمعنى الاثابة ومنه قوله تعالى يهديهم ربهم بايمانهم تجري من تحتهم الانهار في جنات النعيم
وقوله والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل اعمالهم سيهديهم ويصلح بالهم والهداية التي تكون بعد قتلهم هي اثابتهم
لا محالة لانه ليس بعد الموت تكليف ورابعها الحكم بالهداية كقوله سبحانه من يهد الله فهو المهتد وهذه
الوجوه الثلثة خاصة للمؤمنين دون غيرهم لانه تعالى انما يثيب من يستحق الاثابة وهم المؤمنون ويزيدهم الطافا
بايمانهم وطاعتهم ويحكم لهم بالهداية لذلك ايضا وخامسها ان يكون الهداية بمعنى جعل الانسان مهتديا بان
يخلق الهداية فيه كما يجعل الشيء متحركا بخلق الحركة فيه والله تعالى يفعل العلوم الضرورية في القلوب فذلك هداية منه
وهذا الوجه ايضا عام لجميع العقلاء كالوجه الاول فاما الهداية التي كلف الله تعالى العباد فعلها كالايمان به وبانبيائه
وغير ذلك فانها من فعل العباد ولذلك يستحقون عليها المدح والثواب وان كان الله سبحانه قد انعم عليهم
بدلالتهم على ذلك وارشادهم اليه ودعائهم الى فعله وتكليفهم اياه وامرهم به فهو من هذا الوجه نعمة منه سبحانه عليهم
ومنة منه واصلة اليهم وفضل منه واحسان لديهم فهو مشكور على ذلك محمود اذ فعل تمكينه والطافه وضروب تسهيلاته

ومعنى تانه قوله عز وجل الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في
الارض اولئك هم الخاسرون آية اللغة النقض نقيض الابرام والعهد العقد والعهد الموثق والعهد الالتقاء وهو
قريب العهد بكذا وعهد الله وصيته وامره يقال عهد الخليفة الى فلان كذا اي امره واوصاه به ومنه قوله تعالى
الم اعهد اليكم يا بني آدم والميثاق هو الذي ما وقع التوثيق به كما ان الميقات ما وقع التوقيت به وقيل فلان
ثقة يستوي فيه الواحد والجمع والذكر والانثى ويقال ثقات الرجال والنساء والقطع الفصل من الشيء واصل
ذلك في الاجسام ويستعمل ذلك في الاعراض تشبيها به يقال قطع الحبل وقطع الكلام والامر هو القول القائل لمن
دونه افعل هذه صيغته ولا يصير امرا الا بارادة الامر المامور به وصيغة الامر يستعمل في الاباحة نحو قوله فاصطادوا وفي
التهديد نحو قوله اعملوا ما شئتم وفي التحدي فاتوا بسورة وفي الكون كقوله كن فيكون والاصل في جميع الطلب
والوصل نقيض الفصل وهو الجمع بين الشيئين من غير حاجز والخسران النقصان والخسار الهلاك والخاسرون
الهالكون واصل الخسران ذهاب راس المال الاعراب الذين ينقضون في موضع النصب لانه صفة الفاسقين واولئك
مبتدا والخاسرون خبره وهم فصل ويجوز ان يكون مبتدا والخاسرون خبره والجملة خبر اولئك وقوله من بعد ميثاقه
من مزيدة وقيل معناه ابتداء الغاية والهاء في ميثاقه عائد الى العهد ويجوز ان يكون عائدا الى اسم الله وقوله
ان يوصل بدل من الهاء التي في به اي ما امر الله بان يوصل فهو في موضع جر المعنى ثم وصف الله الفاسقين المذكو
في الاية فقال هم الذين ينقضون عهد الله اي بعد توثقه لا يهون به وقيل في عهد الله وجوه احدها انه ما ركب
في عقولهم من ادلة التوحيد والعدل وتصديق الرسل وما احتج به لرسله من المعجزات الشاهدة لهم على صدقهم
ونقضهم لذلك تركهم الاقرار بما قد بينت لهم صحته بالادلة وثانيها انه وصية الله الى خلقه على لسان رسوله
بما امرهم به من طاعته ونهاهم عنه من معصيته ونقضهم لذلك ترك العمل به وثالثها ان المراد به كفار
اهل الكتاب وعهد الله الذي نقضوه من بعد ميثاقه هو ما اخذه عليهم في التوراة من اتباع محمد صلى
الله عليه وآله والتصديق بما جاء به من عند ربه ونقضهم لذلك هو جحودهم به بعد معرفتهم بحقيقته وكتمانهم
ذلك عن الناس بعد ان اخذ الله ميثاقهم لتبيننه للناس ولا تكتمونه وانه اذا جاءهم نذير آمنوا به فلما جاءهم
النذير ازدادوا نفورا ونبذوا العهد وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا واختار هذا الوجه الطبري ورابعها
انه العهد الذي اخذه عليهم حين اخرجهم من صلب آدم كما وردت به القصة وهذا الوجه ضعيف لانه لا يجوز
ان يحتج على عباده بعهد لا يذكرونه ولا يعرفونه ولا يكون عليه وقوله ويقطعون ما امر الله به ان يوصل
معناه امروا بصلة النبي صلى الله عليه وآله والمؤمنين فقطعوهم عن الحسن وقيل امروا بصلة الرحم والقرابة
فقطعوها عن قتادة وقيل امروا بالايمان بجميع الانبياء والكتب ففرقوا وقطعوا ذلك وقيل معناه الامر ان
يوصل كل من امر الله بصلته من اوليائه والقطع والبراءة من اعدائه وهذا اقوى لانه اعم ويدخل فيه الجميع
وقوله ويفسدون في الارض قال قوم استدعاؤهم الى الكفر هو الفساد في الارض وقيل اخافتهم السبيل
وقطعهم الطريق وقيل نقضهم العهد وقيل اراد كل معصية تعدى ضررها الى غير فاعلها والاولى حملها على
العموم اولئك هم الخاسرون اي اهلكوا انفسهم فهم بمنزلة من هلك راس ماله وروي عن ابن عباس ان
كل ما نسبه الله تعالى من الخسار الى غير المسلمين فانه عنى به الكفر وما نسبه الى المسلمين فانه عنى به الدنيا قوله
عز وجل كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون آية
القراءة قرا يعقوب ترجعون بفتح التاء على ان الفعل لهم والباقون بضم التاء وفتح الجيم على ما لم يسم فاعله
الاعراب كيف في الاصل سؤال عن الحال وصح ذلك في الجواب اذا قيل كيف رايت زيدا فيقول مسرورا او مهموما

وما اشبه ذلك فيصح بجواب فكيف ينتظم جميع الاحوال كما ان كم ينتظم جميع العدد وما ينتظم جميع الجنس واين
ينتظم جميع الاماكن ومن ينتظم جميع العقلاء ومعناه في الاية التوبيخ وتقديره امعاندين تجحدون تكفرون فيكون منصوب
الموضع على الحال والعامل فيه تكفرون وقال الزجاج هو استفهام في معنى التعجب وهذا التعجب انما هو للخلق وللمؤمنين
اي اعجبوا من هؤلاء كيف يكفرون وقد ثبتت حجة الله عليهم ومعنى وكنتم وقد كنتم والواو واو الحال واضمار
قد جائز اذا كان في الكلام دليل عليه ومثله قوله تعالى او جاؤكم حصرت صدورهم اي قد حصرت صدورهم
وهي جملة في موضع الحال وانما وجب اظهار قد في مثل هذا وتقديرها لان الماضي لا يكون حالا وقد انما يكون لتقريب
العهد وتقريب الحال فبذلك جوز ان يصلح ان يكون الفعل الماضي حالا المعنى ثم عاد الله تعالى الى الاحتجاج على
الكفار في انكارهم البعث وجحودهم لرسله وكتبه بما انعم به عليهم فقال كيف تكفرون بالله ومن قال هو توبيخ
قال معناه ويحكم كيف تكفرون كما يقال كيف تكفر نعمة فلان وقد احسن اليك ومن قال هو تعجب قال
تقديره عجبا منكم على اي حال يقع منكم الكفر بالله مع الدلائل الظاهرة على وحدانيته والمعجزات الباهرة على
صدق من اختص برسالته وقيام الحجج الباهرة على وجوب طاعته وشكر نعمته ثم ذكر سبحانه بعض نعمه عليهم
فقال وكنتم امواتا فاحياكم اي وحالكم انكم كنتم امواتا وفيه وجوه احدها انهم كانوا امواتا في اصلاب آبائهم يعني
نطفا ثم احياهم الله ثم اماتهم الموتة التي لا بد منها ثم احياهم بعد الموت حياة ثانية ويروى معناه عن قتادة وثانيها
ان معناه لم تكونوا شيئا فخلقكم ثم يميتكم ثم يحييكم يوم القيامة عن ابن عباس وابن مسعود وثالثها ان معناه
كنتم امواتا يعني خاملي الذكر فاحياكم بالظهور ثم يميتكم عند تقضي آجالكم ثم يحييكم للبعث والعرب تسمي كل امر
خامل ميتا وكل امر مشهور حيا قال ابو نخيلة السعدي فاحييت عن ذكري وما كان خاملا ولكن بعض الذكر
انبه من بعض ورابعها ان معناه كنتم نطفا في اصلاب آبائكم وبطون امهاتكم والنطف موات فاخرجكم الى دار الدنيا
احياء ثم يميتكم ثم يحييكم في القبر للمسائلة ثم اليه ترجعون اي يبعثكم يوم الحشر للحساب والمجازاة على الاعمال وسمي
الحشر رجوعا الى الله تعالى لانه رجوع الى حيث لا يكون احد يتولى الحكم فيه غير الله كما يقال رجع امر القوم الى الامير
ولا يراد به الرجوع من مكان الى مكان وانما يراد به ان النظر صار له خاصة دون غيره وانما بدا الله تعالى بذكر الحياة
من بين سائر النعم التي انعم بها على العبد لان اول نعمة انعم بها عليه خلقه اياه حيا مشتهيا وبالحياة يتمكن الانسان من
الانتفاع والالتذاذ وانما عد الموت من النعم وهو يقطع النعم في الظاهر لان الموت يقطع التكليف فيصل المكلف
بعده الى الثواب الدائم فمن هذا الوجه نعمة وقيل انما ذكر الموت لتمام الاحتجاج لا لكونه نعمة وفي هذه الاية دلالة على
انه لم يرد من عباده الكفر ولا خلقه فيهم لانه لو اراده منهم او خلقه فيهم لم يجز ان يضيفه اليهم بقوله كيف تكفرون كما لا يجوز
ان يقول لهم كيف اولم كنتم طوالا او قصارا او ما اشبه ذلك مما هو من فعله تعالى فيهم قوله تعالى هو الذي خلق
لكم ما في الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم آية اللغة اصل الخلق
التقدير والجمع الضم ونقيضه الفرق وسميت الجمعة لاجتماع الناس والاستواء الاعتدال والاستقامة ونقيضه
الاعوجاج والسبع للمؤنث والسبعة للمذكر والسبع مشتق من ذلك لانه مضاعف القوى كانه ضوعف
سبع مرات والعليم في معنى العالم قال سيبويه اذا ارادوا المبالغة عدلوا الى فعيل نحو عليم ورحيم المعنى قال المفسرون
لما استعظم المشركون امر الاعادة عرفهم الله خلق السموات والارض ليدلهم بذلك على قدرته على الاعادة فقال هو الذي
خلق لكم اي لاجلكم ما في الارض جميعا ما في موضع نصب مفعول به ومعناه ان الارض وجميع ما فيها نعم من الله
سبحانه مخلوقة لكم اما دينية فتستدلون بها على معرفته واما دنياوية فتنتفعون منها بضروب النفع عاجلا وقوله
ثم استوى الى السماء فيه وجوه احدها ان معناه قصد السماء ولتسويتها كقول القائل كان الامير يدبر امر اهل الشام

ثم استوى الى الحد المجاز اى تحول فعل وتدبيره اليهم وثانيها انه بمعنى استولى على السماء بالقهر كما قال الشاعر
على ظهوره اى تحرفه ومنه قوله ولما بلغ اشده واستوى اى تكامل من امره وقد سواه تعقله فعلى هذا يكون
معناه ثم استوى الى السماء فى تفرده بملكها ولم يجعلها كالارض ملكا لخلقه ومنه قول الشاعر فلما علونا واستوينا
عليهم تركناهم صرعى لنسر وكاسر وقال اخر ثم استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق وثالثها
ان معناه ثم استوى امره وصعد الى السماء لان اوامره وقضاياه تنزل من السماء الى الارض عن ابن عباس
ورابعها ما روى عن احمد بن يحيى بن ثعلب انه سئل عن معنى الاستواء فى صفة الله عز وجل وقال الاستواء
الاقبال على الشى يقال كان فلان مقبلا على فلان ثم استوى على والى يكلمنى على معنى اقبل الى وعلى هذا
معنى قوله ثم استوى الى السماء وقوله فسويهن سبع سموات التسوية جعل الشيئين او الاشياء على استواء يقال
سويت الشى فاستوى واما قال فسويهن فجمع الضمير العايد الى السماء اسم جنس يدل على القليل والكثير لقولهم
اهلك الناس الدينار والدرهم وقيل السماء جمع سماوة لذلك سوى مرة وبذكر اخرى فقيل السماء منفطر
كما تفعل ذلك بالجمع الذى بينه وبين واحده الهاء نحو نحل ونخل وبقر وبقرة وقيل ان السموات كانت سبع سما
فوق سماء فهى فى التقدير واحدة فيكون الواحدة جماعة كما يقال ثوب اخلاق واسمال وبرمة اعشار وارض
اعفال والمعنى ان كل ناحية سما كذلك فجمع على هذا والمعنى جعلهن سبع سموات مستويات بلا فطور ولا امت
قال على بن عيسى ان السموات غير الافلاك لان الافلاك تتحرك وتدور والسموات لا تتحرك ولا تدور لقوله تعالى
ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا وهذا قول ضعيف لان قوله ان تزولا معناه لا تزول عن مراكزها التى
تدور عليها ولولا امساكه لزالت عنها سوال ظاهر قوله تعالى ثم استوى الى السماء يوجب انه خلق الارض قبل السماء
لان ثم للتعقيب والتراخى وقوله فى سورة اخرى والارض بعد ذلك دحاها يخالفه فكيف يجمع بينهما جواب ان الله
خلق الارض قبل السماء غير انه لم يدحها فلما خلق السماء دحاها بعد ذلك ودحوها بسطها ومدها عن الحسن وعمرو بن
عبيد وقد يجوز ايضا ان لا يكون معنى ثم وبعد فى هذه الآيات الترتيب فى الاوقات وانما هو على جهة تعداد
النعم والتنبيه عليها والاذكار بها كما يقول القائل لصاحبه اليس قد اعطيتك ثم رفعت منزلتك ثم بعد هذا
كله فعلت بك وفعلت وربما يكون بعض ما ذكره متقدما فى اللفظ ومتاخرا لان المراد لم يكن الاخبار عن اوقات
الفعل وانما المراد التذكير كما قلناه وقوله وهو بكل شى عليم ولم يقل قدير لانه لما وصف نفسه بالقدرة والاستيلاء
وصل ذلك بالعلم اذ بهما يصح وقوع الفعل على وجه الاتقان والاحكام وايضا فانه سبحانه اراد ان يبين انه عالم
بما يول اليه حال المنعم به عليه ليحقق بذلك النعمة وفى هذه الآية دلالة على ان صانع السماء والارض
قادر عالم وانه تعالى يفعل الفعل لغرض وان له على الكفار نعما يجب شكرها عليهم وفيها ايضا دلالة على
ان الاصل فى الاشياء الاباحة لانه ذكر انه خلق ما فى الارض لمنفعة العباد ثم صار حظا لكل واحد منهم
بما ينفرد كل منهم بالتصرف يحتاج الى دليل قوله عز وجل واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة
قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال انى اعلم ما لا
تعلمون آيه اللغة القول موضوع فى كلام العرب للحكاية نحو قولك قال زيد خرج عمرو والرب السيد
يقال رب الدار ورب العرش ولا يقال الرب بالالف واللام الا لله تعالى واصله من ربه اذا قام
بامره ومنه قيل للعالم ربانى لانه يقوم بامر الامة والملائكة جمع ملك واختلف فى اشتقاقه فذهب اكثر العلماء
الى انه من الالوكة وهى الرسالة وقال الخليل الالوك الرسالة وهى المالكة والمالكة على مفعلة وقال غيره انما
سميت الرسالة الوكا لانها تولك فى الفم اى تمضغ والفرس يالك اللجام ويعلك قال عدى بن زيد ابلغ النعمان عنى مالكا

انه قد طال حبسى وانتظارى ويروى ملاكا وقال لبيد وغلام ارسلته امه بمالوك فبذل لها ما سال وقال الهذلى
الكنى اليها وخير الرسول اعلمهم بنواحى الخبر فالملائكة على هذا وزنها معافلة لانها مقلوبة جمع ملاك مفعل مقلوب
ملاك مفعل ومن العرب من يستعمله مهموزا والجمهور منهم على انه تركوا الهمزة على اللام وحذفها فقال ملك وذهب
ابو عبيدة الى ان اصله من لاك اذا ارسل فملاك على هذا القول مفعل وملائكة مفاعلة غير مقلوبة والميم
فى هذين الوجهين زائدة وذهب ابن كيسان الى انه من الملك وان وزن ملاك فى معنى مالك قال الشاعر
فلست لانسى ولكن لملاك تنزل من جو السماء يصوب فوزن ملاك فعال مثل شمال وملائكة فعائلة
فالميم فى هذا القول اصلية والهمزة زائدة والملك وان كان اصله الرسالة فقد صار صفة غالبة على صنف
من رسل الله غير البشر كما ان السماء وان كان اصله الارتفاع فقد صار غالبا على السموات المعروفة وقال
اصحابنا رضى الله عنهم ان جميع الملائكة ليسوا برسل الله بدلالة قوله تعالى الله يصطفى من الملائكة رسلا
ومن الناس فلو كانوا كلهم رسلا لكان جميعهم مصطفين فعلى هذا يكون الملك اسم جنس ولا يكون من الرسالة
والجعل والخلق والفعل والاحداث نظاير الا ان الجعل يتعلق بالشى لا على سبيل الايجاد بخلاف الفعل
والاحداث تقول جعلته متحركا وحقيقة الجعل تغيير الشى عما كان عليه وحقيقة الفعل والاحداث الايجاد والخليفة
والامام واحد فى الاستعمال الا ان بينهما فرقا فالخليفة من استخلف فى الامر مكان من كان قبله فهو ماخوذ من انه
خلف غيره وقام مقامه والامام ماخوذ من التقدم فهو المتقدم فيما يقتضى وجوب الاقتداء به وفرض طاعته
فيما تقدم فيه والسفك صب الدم والدم قد اختلف فى وزنه فقال بعضهم دمى على وزن فعل وقال الشاعر فلو
انا على حجر ذبحنا جرى الدميان بالخبر اليقين وقيل اصله دمى على فعل والشاعر لما رد الياء فى التثنية لقلة الاسم
حركه ليعلم انه كان متحركا قبل ذلك والتسبيح التنزيه لله تعالى عن السوء وعما لا يليق به والسبوح المستحق للتنزيه
والتعظيم والقدوس المستحق للتطهير والتقديس التطهير ونقيضه التنجيس والقدس السطل الذى يتطهر منه وقد
حكى سيبويه ان من يقول سبوح قدوس بالفتح والضم اكثر فى الكلام والفتح اقيس لانه ليس فى الكلام فعول
الا ذروح وسبحان اسم المصدر قال سيبويه سبحان الله معناه براءة الله من كل سوء وتنزيه الله قال الاعشى اقول لما
جاءنى فخره سبحان من علقمة الفاخر اى براءة منه وقال امية سبحانه ثم سبحانا يعود له وقبلنا سبح الجودى والجمد
وهو مشتق من السبح الذى هو الذهاب ولا يجوز ان يسبح غير الله وان كان منزها لانه صار علما فى الدين
على اعلى مراتب التعظيم التى لا يستحقها سواه كما ان العبادة هى غاية فى الشكر لا يستحقها سواه الاعراب قال
ابو عبيدة اذ هيهنا زائدة وانكر الزجاج وغيره عليه هذا القول وقالوا ان الحرف اذا افاد معنى صحيحا لم يجز
الغاؤه وقال الزجاج ومعناها الوقت ولما ذكر انه خلق الناس وغيرهم فكانه قال ابتداء خلقكم وقال ربك
للملائكة وقال على بن عيسى تقديره اذكر اذ قال ربك فموضع اذ نصب على اضمار فعل والواو عاطفة جملة على جملة
وانى جاعل فى الارض خليفة جملة فى موضع نصب بقال وقوله اتجعل فيها الى قوله ونقدس لك فى موضع نصب
بقالوا والواو فى قوله ونحن واو الحال وتسمى واو القطع وواو الاستيناف وواو الابتداء وواو اذ كما كان
مثلها سيبويه ومثل الواو فى قوله يغشى طائفة منكم وطائفة قد اهمتهم انفسهم اى اذ طائفة وكذا هاهنا
اذ نحن نسبح والعامل فى الحال هنا اتجعل كانه قال اتجعل فيها من يفسد فيها وهذه حالنا والباء فى بحمدك
يتعلق بنسبح واللام فى لك يتعلق بنقدس وما موصول وصلته لا تعلمون والعايد ضمير المفعول حذف
لطول الكلام اى لا تعلمونه وهو فى موضع نصب باعلم المعنى اذكر يا محمد اذ قال ربك للملائكة قيل انه خطاب
لجميع الملائكة وقيل خطاب لمن اسكنه الارض بعد الجن من الملائكة عن ابن عباس انى جاعل فى الارض

اي خالق في الارض خليفة اراد بالخليفة آدم عليه السلم فهو خليفة الله في الارض يحكم بالحق الا انه تعالى
اعلم الملائكة انه يكون من ذريته من يفسد فيها عن ابن عباس وابن مسعود وقيل انما سمى الله تعالى
آدم خليفة لانه جعل آدم وذريته خلفاء للملائكة لان الملائكة كانوا من سكان الارض وقيل كان في
الارض الجن فافسدوا فيها وسفكوا الدماء فاهلكوا فجعل آدم وذريته بدلهم عن ابن عباس وقيل عنى
بالخليفة ولد آدم يخلف بعضهم بعضا وهم خلف الآباء هم آدم في اقامة الحق وعمارة الارض عن الحسن البصري
وقيل اراد بالارض مكة لان النبي صلى الله عليه وآله قال دحيت الارض من مكة ولذلك سميت ام القرى
وروي ان قبر نوح وهود وصالح وشعيب بين زمزم والركن والمقام والظاهر انها الارض المعروفة وهو
الصحيح وقوله قالوا يعني الملائكة لله تعالى اتجعل فيها اي في الارض من يفسد فيها بالكفر والمعاصي
ويسفك الدماء بغير حق وذكر فيه وجوه احدها ان خلقا يقال لهم الجان كانوا في الارض فافسدوا فيها
فبعث الله ملائكة اجلتهم من الارض وكان هؤلاء الملائكة سكان الارض بعدهم فقالوا يا ربنا اتجعل فيها
من يفسد فيها كما فعل بنو الجان قاسوا الشاهد على الغائب وهو قول كثير من المفسرين وثانيها ان
الملائكة انما قالت ذلك على سبيل الاستفهام وعلى وجه الاستخبار والاستعلام عن وجه المصلحة والحكمة لا على
وجه الانكار ولا على سبيل الاخبار فكانهم قالوا يا الله ان كان هذا كما ظننا فعرفنا ما وجه الحكمة فيه وثالثها
ان الله تعالى اخبر الملائكة بانه سيكون من ذرية هذا الخليفة من يعصي ويسفك الدماء على ما روي عن ابن عباس
وابن مسعود والغرض في اعلامه اياهم ان يزيدهم يقينا على علمه تعالى بالغيب لانه وجد بعد ذلك على
ما اخبرهم به وقيل ليعلم آدم انه خلق للارض لا للجنة فقالت الملائكة اتجعل فيها من يفعل كذا وكذا على وجه التعرف
لما في هذا التدبير والاستفادة لوجه الحكمة فيه وهذا الوجه يقتضي ان يكون في اول الكلام حذف ويكون التقدير
اني جاعل في الارض خليفة واني عالم بانه سيكون في ذريته من يفسد فيها ويسفك الدماء فحذف اختصارا ولذلك
قوله اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك في ضمنه اختصار شديد اي فنحن على
ما نظنه وظهر لنا من الامر اولى بالخلافة في الارض لانا نطيع وغيرنا يعصي وفي قوله اني اعلم ما لا تعلمون ايضا اختصار
لانه يتضمن اني اعلم من مصالح المكلفين ما لا يعلمونه وما يكون مخالفا لما يظنونه على ظواهر الامور ومثل هذه الحذوف
العجيبة والاختصارات البديعة كثير في القرآن والحذوف معدود في انواع الفصاحة اذا كان فيما ابقي دليل
على ما القي ومما جاء منه في الشعر قال الشنفرى لا تقبروني ان قبري محرم عليكم ولكن خامري ام عامر اي لا تدفنوني
بل دعوني للتي يقال لها خامري ام عامر يعني الضبع وقول ابي داود شمت بنبلي تلادي دون عرضي فان رضيت
فكوني اي فكوني على ما انت عليه وان سخطت مني فخفي وقال عنترة هل تبلغني دارها شدنية لعنت بمحروم
الشراب مصرم اي دعا عليها بانقطاع لبنها وجفاف ضرعها فصارت كذلك والناقة اذا كانت لا تنتج كان اقوى
لها على السير وانما ارادت الملائكة بقولهم اتجعل فيها من يفسد فيها ولد آدم الذين ليسوا بانبياء ولا معصومين لا آدم
نفسه ومن يجري مجراه من الانبياء المعصومين ومعنى قولهم ونحن نسبح بحمدك نتكلم بالحمد لك والنطق بالحمد لله تسبيح
لقوله تعالى والملائكة يسبحون بحمد ربهم وانما يكون حمد الحامد لله تسبيحا لان معنى الحمد لله الثناء عليه والشكر له
وهذا تنزيه له واعتراف بانه اهل لان ننزه ونعظم ويثنى عليه عن مجاهد وقيل معنى نسبح بحمدك نصلي لك كقوله
فلولا انه كان من المسبحين اي من المصلين عن ابن عباس وابن مسعود وقيل هو رفع الصوت بذكر الله عن المفضل
ومنه قول جرير قبح الاله وجوه تغلب كلما سبح الحجيج وكبروا اهلالا وقوله ونقدس لك اي ننزهك عما لا يليق
بك من صفات النقص ولا نضيف اليك القبائح فاللام على هذا زائدة اي نقدسك وقيل نقدس لك اي نصلي لاجلك

30

وقيل نطهر انفسنا من الخطايا والمعاصي قال اني اعلم ما لا تعلمون قيل اراد ما اضمره ابليس من الكبر والعجب والمعصية لما
امره الله تعالى بالسجود لآدم عن ابن مسعود وابن عباس وقيل اراد اعلم من في ذرية آدم من الانبياء والصالحين
عن قتادة وقيل اراد به ما اختص تعالى بعلمه من تدبير المصالح وروي عن ابي عبد الله عليه السلم قال ان الملائكة
سالت الله تعالى ان يجعل الخليفة منهم وقالوا نحن نقدسك ونطيعك ولا نعصيك كغيرنا قال فلما اجيبوا
بما ذكر في القرآن علموا انهم تجاوزوا ما لهم فلاذوا بالعرش استغفارا فامر الله تعالى آدم بعد هبوطه ان يبني له
في الارض بيتا يلوذ به المخطئون كما لاذ بالعرش الملائكة المقربون فقال الله تعالى للملائكة اني اعرف بالمصلحة
منكم وهو معنى قوله اعلم ما لا تعلمون وهذا يدل على انه لا يفعل القبيح لانه لو كان يحسن منه كل شيء لم يكن
لهذا الكلام معنى لانه انما يصح في الجواب متى حمل على انه اراد اني اعلم بالمصالح فافعل ما هو الاصلح **النظم** واتصال
هذه الآية بما قبلها ان الله تعالى ذكر اول النعم علينا وهي نعمة الحيوة ثم ذكر بعده انعامه علينا بخلق الارض
وما فيها وخلق السماء ثم اراد ان يذكر نعمته علينا بخلق ابينا آدم عليه السلم وما اعطاه من الفضيلة فكانه
قال اذكرهم كيف تكفرون بالله وقد فعل بكم كذا وكذا وانعم عليكم بكذا وكذا قوله عز وجل **وعلم آدم الاسماء كلها
ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين** آية **القراءة** قرا اهل المدينة
ولا يمدونها الا الاعشى قد حذف الالف ويمدون اولاء كانهم يجعلونه كلمتين والباقون يمدون مدتين
في كل القرآن فاما الهمزتان من كلمتين نحو هؤلاء ان كنتم ونحوها فابو جعفر ونافع برواية ورش وابن كثير
برواية القواس ويعقوب يهمزون الاولى ويخففون الثانية ويشيرون بالكسر اليها وكذلك يفعلون في كل
همزتين متفقتين ملتقيتين من كلمتين مكسورتين كانتا او مضمومتين او مفتوحتين فالمكسورتان على البغاء ان والمضمومتان
اولياء اولئك ليس في القرآن غيره والمفتوحتان جاء احدكم وشاء انشره وابو عمرو والبزي يهمزون واحدة
ويتركان احديهما اصلا اذا كانتا متفقتين ونافع برواية اسمعيل وابن كثير برواية ابن فليح يلينون الاولى ويحققون
الثانية واذا اختلفتا فانهم يتفقون على همز الاولى وتليين الثانية نحو السماء الى والبغضاء الى يوم القيمة فاما
ابن عامر وعاصم والكسائي فانهم يهمزون همزتين في جميع ذلك متفقتين كانتا او مختلفتين اما الحذف والتليين
فللتخفيف واما الهمز فللحمل على الاصل **اللغة** في اشتقاق آدم قولان احدهما انه ماخوذ من اديم الارض فاذا سميت
به في هذا الوجه ثم نكرته صرفته والثاني انه ماخوذ من الادمة على معنى اللون والصفة فاذا سميت به في
هذا الوجه ثم نكرته والادمة والسمرة والدكنة والزرقة متقاربة المعنى وآدم ابو البشر عم وقال صاحب كتاب العين
الادمة في الناس شربة من سواد وهي السمرة وفي الابل والظباء بياض وكل لفظة عموم على وجه الاستيعاب وحقيقته
للاحاطة بالابعاض يقال بعض القوم جاء كلهم ويكون تاكيدا مثل اجمعون الا انه يلي العوامل في الذكر كقوله فسجد
الملائكة كلهم اجمعون لان كلا تلي العوامل واجمعون لا يكون الا تابعا والعرض من قولهم عرضت الشيء عليه وعرضت الجند
قال الزجاج اصله في اللغة الناحية من نواحي الشيء فمن ذلك العرض خلاف الطول وعرض الرجل ما يمدح به او يذم
ويقال عرضه خليقته المحمودة ويقال عرضه حسبه وقال علي بن عيسى هو ناحيته التي يصونها عن المكروه والسبب والعرض
ما يعرض في الجسم ويعرض فيه ويقال عرضت المتاع على البيع عرضا اي اظهرته حتى عرفت جهته الانباء والاعلام
والاخبار واحد والنبا الخبر ويقال منه انباته وانبوني باسماء هؤلاء اي اخبروني بها واما المتعدي الى ثلثة
مفعولين نحو انبات زيدا عمرا خير الناس وكذلك نبات فهو في هذا الاصل الا انه على المعنى حمل فعدي الى ثلثة مفعولين
لان الانباء بمعنى الاعلام ودخول هذا المعنى فيه وحصول مشابهته الاعلام لم يخرج عن الاصل الذي هو له من الاخبار
وعن ان يتعدى الى مفعولين احدهما بالباء او بعن نحو نبئهم عن ضيف ابرهيم والنبوة اذا اخذت من الانباء

وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال لا تسمني باسمي لرجل قال له يا نبي الله همموا او النبي يعبر الفهم الطريق
نهض بموته والفرق بين الاعلام والاخبار ان الاعلام قد يكون بخلق العلم الضروري في القلب كما خلق الله
الواضح باحد لك الحيث يريد وقد يكون بنصب الادلة على الشيء والاخبار هو اظهار الخبر علم به او لم يعلم ولا يكون مخبرا
من كمال العقل والعلم بالمشاهدات وقد يكون بنصب الادلة على الشيء ثم ابان سبحانه وتعالى للملائكة فضل ادم عليهم وعلى جميع خلقه
بما يحدثه من العلم في القلب كما يكون مطابقا لك المعنى ثم ابان سبحانه وتعالى للملائكة فضل ادم عليهم
بما خصه به من العلم فقال سبحانه وعلم ادم الاسماء كلها اي علمه معاني الاسماء اذ الاسماء بلا معان لا فائدة فيها ولا وجه
لاشارة الفضيلة بها وقد نبه الله تعالى الملائكة على ما فيها من لطيف الحكمة فامرهم عند ما سئلوا عن ذكرها والاخبار عنها
انه اعلمه بها فقال الله تعالى يا ادم انبئهم باسمائهم عن قتادة وقيل انه سبحانه علمه جميع الاسماء والصناعات وعمارة
الارضين والاطعمة والادوية واستخراج المعادن وغرس الاشجار ومنافعها وجميع ما يتعلق بعمارة الدين والدنيا
عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وعن اكثر المتاخرين وقيل انه علمه اسماء الاشياء كلها ما خلق وما لم يخلق
بجميع اللغات التي يتكلم بها ولده بعده عن ابي علي الجبائي وعلي بن عيسى وغيرهما قالوا فاخذ عنه ولده اللغات
فلما تفرقوا تكلم كل قوم بلسان الغة واعتادوه وتطاول الزمان على ما خالف ذلك فنسوه ويجوز ان يكونوا
عالمين بجميع تلك اللغات الى زمان نوح عليه السلم فلما اهلك الله الناس الا نوحا ومن تبعه كانوا عارفين بتلك
اللغات فلما كثروا وتفرقوا اختار كل قوم منهم لغة تكلموا بها وتركوا ما سواه ونسوه وقد روي عن الصادق
عليه السلم انه سئل عن هذه الاية فقال الارضين والجبال والشعاب والاودية ثم نظر الى بساط تحته فقال وهذا البساط
مما علمه وقيل انه علمه اسماء الملائكة واسماء ذريته عن الربيع وقيل انه علمه القاب الاشياء ومعانيها وخواصها
وهو ان الفرس يصلح لماذا والحمار يصلح لماذا وهذا ابلغ لان معاني الاشياء وخواصها لا تتغير بتغير الازمنة والاوقات
والقاب الاشياء تتغير على الازمنة وقال بعضهم انه تعالى لم يعلمه اللغة العربية فان اول من تكلم بالعربية اسمعيل عليه السلم
وقالوا بعضهما انه تعالى لم يعلمه اللغة ومحمد عليهما السلم ثم اختلف في كيفية تعليم الله تعالى ادم الاسماء فقيل علمه بان
اودع قلبه معرفة الاسماء وفتق لسانه بها فكان يتكلم بتلك الاسماء كلها وكان ذلك معجزة له لكونه ناقضا للعادة وقيل
علمه اياها بان اضطره الى العلم بها وقيل علمه بتلك اللغة ساير اللغات وقيل انما علمه اسماء الاشخاص بان احضر تلك الاشياء
وعلمه اسماءها في كل لغة وانه لاي شيء يصلح واي نفع فيه واي ضرر وقوله ثم عرضهم على الملائكة روي عن ابن عباس
انه قال عرض الخلق وعن مجاهد قال عرض اصحاب الاسماء وعلى هذا فيكون معناه ثم عرض المسميات على الملائكة وفيهم
من يعقل وفيهم من لا يعقل فقال عرضهم تغليب العقلاء فاجرى على الجميع كناية من يعقل كقوله والله خلق كل دابة من ماء
فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على اربع اجرى عليهم كناية من يعقل وفي قراءة
ابي عرضها وفي قراءة ابن مسعود ثم عرضهن وعلى هاتين القراءتين يصلح ان يكون عبارة عن الاسماء دون المسميات
واختلف في كيفية العرض على الملائكة فقيل انما عرضها على الملائكة بان خلق معاني الاسماء التي علمها ادم حتى شاهدتها
الملائكة وقيل صور في قلوبهم هذه الاشياء فصارت كانهم شاهدوها وقيل عرض عليهم من كل جنس واحد
واراد بذلك تعجيزهم لان الانسان اذا قيل له ما اسم شيء صفته كذا وكذا فلم يعلم كان ابلغ عذرا ممن عرض عليه
شيء بعينه وسئل عن اسمه فلم يعرفه وبين بذلك ان ادم عليه السلم اصلح لكونه خليفة الارض وعمارتها لاهتدائه
الى ما لا تهتدي الملائكة اليه من الصناعات المختلفة وحرث الارض وزراعتها وانبساط الماء واستخراج الجواهر
من المعادن وقعر البحار بلطفه بلطائف الحكمة وهذا يقوي قول من قال انه علمه خواص الاشياء واراد
به انكم اذا عجزتم عن معرفة هذه الاشياء مع مشاهدتكم لها فانتم عن معرفة الامور المغيبة عنكم اعجز فقال انبئوني
باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين ان سئل فقيل ما الذي ادعت الملائكة حتى خوطبوا بهذا وكيف امرهم الله سبحانه

31

ان يخبروا بما لا يعلمون فالجواب ان للعلماء فيه وجوها من الكلام احدها ان الله تعالى لما اخبر الملائكة بانه جاعل
في الارض خليفة هجس في نفوسها انه لو كان الخليفة منهم بدلا من ادم وذريته لم يكن في الارض فساد ولا سفك
دم كما يكون في ولد ادم وان كان الله لا يفعل الا ما هو الاصلح في التدبير والاصوب في الحكمة فقال تعالى انبئوني
باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين فيما ظننتم من هذا المعنى ليبين لهم على انهم اذا لم يعلموا باطن ما شاهدوا فهم من
ان يعلموا باطن ما غاب عنهم ابعد وثانيها انه خطر ببالهم انه لن يخلق الله خلقا الا وهم اعلم منه وافضل في سائر
انواع العلم فقيل ان كنتم صادقين في هذا الظن فاخبروا باسماء هذه الاسماء وثالثها ان المراد ان كنتم صادقين في انكم
تعلمون لم اجعل في الارض خليفة فانبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين لان كل واحد من الامرين من علم الغيب
فكما لم تعلموا احدهما لا تعلمون الاخر عن ابن عباس ورابعها ما قال الاخفش والجبائي وعلي بن عيسى وهو ان
المراد ان كنتم صادقين فيما تخبرون به من اسمائهم فاخبروا بها وهذا كقول القائل لغيره اخبرنا في يديك ان
كنت صادقا اي ان كنت تعلم فاخبر لانه لا يمكنه ان يصدق في مثل ذلك الا اذا اخبر عن علم منه ولا يصح ان يكلف
ذلك الا مع العلم به ولا بد اذا استدعى الى الاخبار عما لا يعلمون من ان يشرط هذا الشرط وعلى هذا فيكون لفظ الامر
ومعناه التنبيه او يكون امرا مشروطا كما يقول العالم للمتعلم ما تقول في كذا ويعلم انه لا يحسن الجواب لينبهه عليه ويحثه
على طلبه والبحث عنه ولو قال له اجب بذلك ان كنت تعلم وان كنت صادقا لكان حسنا فاذا تنبه على انه لا يمكنه الجواب
اجابه حينئذ فيكون جوابه بهذا التدريج اثبت في قلبه واوقع في نفسه ولا يجوز ان يكون ذلك تكليفا لم يكن
نبهنا لهم ان ادم يعرف اسماء هذه الاشياء بتعريف الله اياه وتخصيصه من ذلك بما لا يعرفونه فلما ارادوا تنبيههم
ما خص به ادم من ذلك علمنا انه ليس بتكليف وفي هذه الاية دلالة على ان شرف العلم من حيث ان الله سبحانه
لما اراد تشريف ادم عليه السلم اختصه بعلم ابانه به من غيره وفضله به على من سواه قوله تعالى قالوا سبحانك لا علم لنا
الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم اية اللغة الحكمة نقيض السفه والاحكام الاتقان والحكيم المانع من الفساد ومنه حكمة
اللجام لانها تمنع الفرس من الجري الشديد وقال جرير ابني حنيفة احكموا سفهاءكم اني اخاف عليكم ان اغضبا اي امنعوهم
والحكمة هي التي تقف بك على مر الحق الذي لا يخلطه باطل والصدق الذي لا يشوبه كذب ومنه قولهم احكمته بالعز ورجل
حكيم اذا كان شانه وكانت معه اصول من العلم والمعرفة وتعالى حكيم يحكم في الحكم بين الناس وحكم يحكم اذا صار حكيما
والحكمة في الانسان هي العلم الذي يمنع صاحبه من الجهل الاعراب سبحانك نصب على المصدر قال سيبويه تقول سبحت
الله تسبيحا وسبحانا فالمصدر تسبيح وسبحان اسم يقوم مقام المصدر واللام من قوله لنا متعلق بمحذوف فيكون
جملة ظرفية في موضع رفع بالخبر لان لا علم في موضع رفع بالابتداء وما علمتنا موصول وصلة والضمير في علمتنا العائد
اليه محذوف تقديره ما علمتناه وهو في موضع رفع بانه الابتداء وما علمتنا بدل من موضع لا علم وانت يجوز
ان يكون فصلا فيكون لا موضع له من الاعراب وخبر ان العليم الحكيم ويجوز ان يكون مبتدأ والجملة خبر ان المعنى
ثم اخبر سبحانه عن الملائكة بالرجوع اليه والتسليم لامره قالوا سبحانك اي تنزيها لك وتعظيما عن ان يعلم الغيب
احد سواك عن ابن عباس وقيل تنزيها لك عن الاعتراض عليك في حكمك وقيل انهم ارادوا ان يخرجوا الجواب
مخرج التعظيم فقالوا تنزيها لك عن فعل كل قبيح وان كنا لا نعلم وجه الحكمة في افعالك وقيل انه على وجه التعجب
لسؤالهم عما لا يعلمونه وقوله لا علم لنا الا ما علمتنا معناه انا لا نعلم الا ما علمتنا وليس هذا فيما علمتنا ولو انهم اقتصروا على
قولهم لا علم لنا كان كافيا في الجواب لكن ارادوا ان يضيفوا الى ذلك التعظيم له والاعتراف بانعامه عليهم بالتعليم وان
جميع ما يعلمونه انما يعلمونه من جهته وان هذا ليس في جملة ذلك وانما سالهم سبحانه عما علم انهم لا يعلمونه ليقررهم
على انهم لا يعلمونه الا ما علمهم الله وليرفع به درجة ادم عليه السلم عندهم بانه علمه ما لم يعلموه وقوله انك انت العليم الحكيم

بجميع المعلومات لانه من صفات ذاته وهو مبالغة العالم وقيل انهم انما تبرؤا مما نفوا عن انفسهم اي انت العالم من
غير تعليم ونحن المتعلمون وقوله الحكيم يحتمل امرين احدهما انه بمعنى العالم لان العالم بالشيء يسمى انه حكيم فعلى هذا يكون من صفات
الذات مثل العالم ويوصف بها فيما لم يزل لان ذلك واجب في العالم لنفسه الثاني ان معناه المحكم لافعاله ويكون فعيلا
بمعنى مفعل وعلى هذا يكون من صفات الافعال ومعناه ان افعاله كلها حكمة وصواب وليس فيها تفاوت ولا وجه من
وجوه القبح وعلى هذا فلا يوصف بذلك فيما لم يزل وروي ان ابن عباس انه قال العليم الذي كمل في علمه والحكيم الذي
كمل في حكمته وفي هذه الآية دلالة على ان العلوم كلها من جهته تعالى وانما كان كذلك لان العلوم لا يخلو اما ان يكون
ضرورية فهو الذي فعلها واما ان تكون استدلالية فهو الذي اقام الادلة عليها ولا علم لاحد الا ما علمه الله تعالى
قوله تعالى قال يا آدم انبئهم باسمائهم فلما انباهم باسمائهم قال الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض
واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون آية القراءة روي عن ابن عامر انبئهم بالهمز وكسر الهاء والباقون بضم الهاء
الحجة من ضم الهاء حملها على الاصل لان الاصل ان يكون هاء الضمير مضمومة فانما يكسر الهاء اذا وليها كسرة او ياء
نحو بهم وعليهم ومع هذا فقد ضمه قوم حملا على الاصل ومن كسر الهاء التي قبلها همزة مخففة فان لذلك وجهان احدهما
هو انه اتبع كسرة الهاء الكسرة التي قبلها ولم يعتد بالحاجز الساكن كما حكي عنهم هذا المرء ورايت المرء ومررت
بالمرء فاتبعوا مع هذا الفصل كما اتبعوا في اللغة الاخرى هذا امرؤ ورايت امرءا ومررت بامرئ وحكى ابو زيد عن بعض
العرب اخذت هذا منه ومنهما ومنهم فكسر الميم في الادراج والوقف ولم اعرفه اللغة الابداء والاظهار والاعلان
بمعنى واحد وضد الابداء الكتمان وضد الاظهار الابطان وضد الاعلان الاسرار ويقال بدا يبدو بدوا من
الظهور وبدا يبدأ ابدا بالهمز بمعنى استانف وقال علي بن عيسى حد الظهور الحصول على حقيقة يمكن ان يعلم بسهولة
والله سبحانه ظاهر بادلته باطن عن احساس خلقه وكل استدلال فانما هو لظهور شيء بظهور غيره الاعراب آدم منادى
مفرد معرفة مبني على الضم محله نصب لان المنادى مفعول والمعنى مفعول المعنى ثم خاطب الله تعالى آدم انبئهم اي
اخبر الملائكة باسمائهم يعني باسماء الذين عرضهم عليهم وهم كناية عن المراد بقوله اسماء هؤلاء وقد مضى بيانه فلما انباهم
يعني اخبرهم آدم باسمائهم اي باسم كل شيء ومنافعه ومضاره قال الله تعالى ذلك وحكى سيبويه اما ترى اي برق ههنا ومن
الناس من قال ان هذه الالف معناها التوبيخ ومن اجاز على الملائكة معصية منع من ذلك اني اعلم غيب السموات والارض اي
اعلم ما غاب فيهما عنكم فلم تشاهدوه كما اعلم ما حضركم فشاهدتموه واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون فيه اقوال احدها
انه اراد اعلم سركم وعلانيتكم وذكر ذلك تنبيها لهم على ما يحلم عليه من الاستدلال لان الاصول الاول التي يستدل بها انما
تذكر على وجه التنبيه ليستخرج بها غيرها فيتنزل بعلمه الغيب على انه خلق عباده على ما خلق عليه فلاستصلاح في التكليف
وما توجبه الحكمة وثانيها انه اراد اعلم ما تبدون من قولكم اتجعل فيها وما كنتم تكتمون من اضمار ابليس والمخالفة
علي بن عيسى وهذا ليس بالوجه لان الخطاب للملائكة وليس ابليس منهم ولانه عام فلا يخص الا بدليل وجوابه ان ابليس لما دخل
معهم في الامر بالسجود جاز ان يذكر في جملتهم وقد رويت روايات يريد هذا القول واختاره الطبري وثالثها ان الله تعالى
لما خلق آدم مرت به الملائكة قبل ان ينفخ فيه الروح ولم يكن رات مثله قالوا لن يخلق الله خلقا الا كنا اكرم منه وافضل
عنده فهذا ما اخفوه وكتموه واما ما ابدوه فقولهم اتجعل فيها من يفسد فيها وروي ذلك عن الحسن والاول اقوى لانه
اعم ومما يسال في هذه الآية ان يقال فما وجه ذكره تعالى لهم الاسرار من علم الغيب والجواب انه على معنى الجواب فيما سالوا عنه
من خلق من يفسد ويسفك الدماء لما اعلم في ذلك من المصلحة لعبادي فما كلفتهم اياه فدل الله سبحانه بالاحالة في الجواب
على العلم بباطن الامور وظاهرها انه خلقهم لاجل علمه بالمصلحة في ذلك ودلهم بذلك ودلهم على ان عليهم الرضا بامر الله والتسليم
لقضائه لانه يعلم من الغيب ما لا يعلمونه ويعلم من مصالحهم في دينهم ودنياهم ما لا يطلعون عليه فان قيل واي شيء في تعليم الله تعالى

آدم الاسماء كلها مما يدل على علمه بالغيب فالجواب انه تعالى علمه الاسماء كلها بما فيها من المعاني التي تدل عليها على
جهة لسانه بذلك والهامه اياها فهي معجزة اقامها الله تعالى للملائكة يدل على نبوته وجلالة قدره وارتفاع شانه
بما اختصه من العلم الذي لا يتوصل اليه الا بتعليم الله عز وجل ودلهم على ذلك بان قررهم او اقرهم فاقروا ان لا علم لهم ثم اظهر
لهم ان آدم يعلمه بتعليم الله اياه فكان بذلك الاعجاز بالاطلاع على ما لا سبيل الى علمه الا من علام الغيوب وفيه من المعجز
انه فتق لسانه على خلاف مجرى العادة وانه علمه من لطائف الحكمة فيه مما لا يعلمه الملائكة مع كثرة علومها وانها اعلم
الخلق بها فعرفوا ما دلهم على علم الغيب بالمعجزة موكد لما لا يعلمونه من ذلك بالادلة العقلية فلذلك نبههم فقال
الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض اي قد دللتكم على ذلك قبل وهذه دلالة بعد وقد افتتح الله الدلالة
على الاعجاز بالكلام في آدم ثم ختم به في محمد صلى الله عليه وآله قال السيد الاجل المرتضى قدس الله روحه وفي هذه
الآية سؤال لم اجد احدا من مفسري القرآن تعرض له وذلك ان يقال من اين علمت الملائكة صحة قول آدم ومطابقة
الاسماء المسميات وهي لم تكن عالمة بذلك من قبل والكلام يقتضي انهم لما انباهم آدم بالاسماء علموا صحتها ولولا
ذلك لم يكن لقوله تعالى الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض معنى ولا كانوا ايضا مستفيدين نبوته وتميزه
واختصاصه بما ليس لهم لان كل ذلك انما يتم مع العلم والجواب انه غير ممتنع ان يكون الله تعالى فعل لهم العلم
الضروري بصحة الاسماء ومطابقتها للمسميات اما عن طريق او ابتداء بلا طريق فعلموا بذلك تميزه واختصاصه
وليس في علمهم بصحة ما اخبر به ضرورة ما يقتضي العلم بنبوته ضرورة بل بعده درجات ومراتب لا بد من الاستدلال
عليها حتى يحصل العلم بنبوته ووجه اخر انه لا يمتنع ان يكون للملائكة لغات مختلفة فكل قبيل منهم يعرف اسماء الاجناس
في لغته دون لغة غيره الا ان يكون احاطة عالم واحد باسماء الاجناس في جميع لغاتهم خارقة للعادة فلما اراد الله
تعالى التنبيه على نبوة آدم علمه جميع تلك الاسماء فلما اخبرهم بها علم كل فريق مطابقة ما اخبر به من الاسماء للغته وعلم مطابقة
ذلك لها في اللغات لخبر كل قبيل وعلى هذا الجواب فيكون معنى انبئوني باسماء هؤلاء ليخبرني كل قبيل منكم بجميع
الاسماء وهذان الجوابان مبنيان على انه لم يتقدم لهم العلم بنبوة آدم وان اخباره بالاسماء كان مفتتح معجزاته لانه
لو كان نبيا قبل ذلك وكانوا قد علموا نبوته بمعجزات تقدم ظهورها على يده لم يحتج الى هذين الجوابين لانهم يعلمون
مطابقة الاسماء للمسميات بعد ان لم يعلموا بقوله الذي علموا انه حق وصدق قوله عز وجل واذ قلنا للملائكة اسجدوا
لآدم فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر وكان من الكافرين آية القراءة قرا ابو جعفر وحده للملائكة اسجدوا بضم التاء حيث
وقع وكذلك قل رب احكم بضم الباء الحجة انه اتبع التاء ضمة الجيم وقيل انه نقل ضمة الهمزة لو ابتدئ بها والاول اقوى
لان الهمزة تسقط في الدرج فلا يبقى فيها حركة تنقل اللغة السجود الخضوع والتذلل في اللغة وهو في الشرع عبارة
عن عمل مخصوص في الصلوة كالركوع والقنوت وغيرها وهو وضع الجبهة على الارض ويقال سجد واسجد اذا خضع قال
الاعشى من يلق هوذة يسجد غير متئب اذا تعمم فوق التاج او وضعا قال الاعشى فكلتاهما خرت واسجد راسها كما سجدت
نصرانة لم تحنف وتساجد ساجدا اذا كان فاتر الاعين قيل وهو الى الحوار المدى مع سجد والاسجاد الاطراق
وادامة النظر في سكون وفتور قال اراك من ان ذلك عند ذلك اسجد عينيك الصيودي ذابح والاباء
ترك الطاعة والمنع والاباء والترك والامتناع بمعنى ونقيض ابى اجاب ورجل ابي من قوم اباة وليس الاباء بمعنى
الكراهية لان العرب تمدح بالاباء للضيم ولا مدح في كراهية الضيم وانما المدح في الامتناع لقوله تعالى ويابى الله الا ان
يتم نوره اي يمنع الكافرين اطفاء نوره والاستكبار والتكبر والتعظيم والتجبر نظائر وضده التواضع وحقيقة الاستكبار
الانفة مما لا ينبغي ان يونف منه وقيل حده الرفع للنفس الى منزلة لا تستحقها واصل الباب الكبر وهو العظم ويقال
على وجهين كبر الجثة وكبر الشان والله سبحانه الكبير من كبر الشان وذلك يرجع الى سعة مقدوراته ومعلوماته

فهو القادر على ما لا يتناهى من جميع اجناس المقدورات والعالم بجميع المعلومات وابليس اسم اعجمي لا ينصرف
في المعرفة للتعريف والعجمة قال الزجاج وغيره من النحويين هو اسم عجمي معرفة واستدلوا على ذلك بامتناع صرفه
وذهب قوم الى انه عربي مشتق من الابلاس وانشد العجاج يا صاح هل تعرف رسما مكرسا قال نعم اعرفه
وابلسا وزعموا انه لم ينصرف استثقالا من حيث انه اسم لا نظير له من اسماء العرب فشبهته العرب باسماء العجم التي لا تنصرف
وزعموا ان اسحق من اسحقه الله اسحاقا وايوب من آب يؤوب وادريس من الدرس في اشباه لذلك وغلطوا في جميع
ذلك لان هذه الالفاظ معربة وافقت الالفاظ العربية وكان ابو بكر السراج يمثل ذلك على جهة التقريب بزعم
ان الطير لد الحوت وغلطوا ايضا في انه لا نظير له في اسماء العرب لانهم يقولون لدمن للعزة واعريض
للطلع واحريض بصبغ احمر ويقال هو العصفر وسيف اصليت ماض كثير الماء وثوب اضريج مشبع الصبغ وقالوا
عرف الصعرة خاصة ومثل هذا كثير وسبيل ابليس الجيل في انه معرب غير مشتق الاعراب قوله واذ في موضع نصب
لانها معطوفة على اذ الاولى وقوله لادم ادم في موضع جر باللام لا ينصرف لانه على وزن افعل فاذا نكرته صرفته
بادم وادم اخر كان سيبويه والخليل يقولان انه لا ينصرف في النكرة لانك اذا نكرته فقد اعدته الى حال كان عليها
لا ينصرف وقال الاخفش اذا سميت به فقد اخرجته من باب الصفة فيجب اذا نكرته ان تصرفه تقول وادم اخر واسجد
والاصل في همزة الوصل ان تكسر لالتقاء الساكنين ولكنها ضمت لاستثقال الضمة بعد الكسرة ولذلك كلما كان ثالثه
مضموما في الفعل المستقبل كقوله انظر وما اسلوا ابو يوسف وليس في كلام العرب فعل تكره الضمة بعد الكسرة وابليس
نصب على الاستثناء المتصل من الكلام الموجب في مذهب من جعله من الملائكة وعلى الاستثناء المنقطع فيمن جعله من غير
الملائكة المعنى ثم بين سبحانه ما اتاه ادم عليه السلم من التعظيم والاجلال والاكرام فقال اذكر يا محمد اذ قلنا للملائكة
اسجدوا لادم والظاهر يقتضي ان الامر بالسجود له كان لجميع الملائكة حتى جبريل وميكائيل لقوله فسجد الملائكة كلهم
اجمعون وفي هذا تاكيد للعموم وقال قوم ان الامر كان خاصا لطائفة من الملائكة كانوا مع ابليس طهر الله بهم
الارض من الجن واختلف في سجود الملائكة لادم على اي وجه كان فالمروي عن ائمتنا عليهم السلم على وجه التكرمة لادم
والتعظيم لشانه وتقديمه عليهم وهو قول قتادة وجماعة من اهل العلم واختاره علي بن عيسى الرماني ولهذا جعل
اصحابنا وجه الدلالة على ان الانبياء افضل من الملائكة من حيث انه سبحانه امرهم بالسجود لادم وذلك يقتضي تعظيمه
وتفضيله عليهم فاذا كان المفضول لا يجوز تقديمه على الفاضل علمنا انه افضل من الملائكة وقال الجبائي وابو القاسم
البلخي وجماعة انه جعله قبلة لهم فامرهم بالسجود الى قبلتهم وفيه ضرب من التعظيم وهذا غير صحيح لانه لو كان على هذا الوجه لما امتنع
ابليس من ذلك ولما استعظمته الملائكة وقد نطق القرآن بامتناع ابليس عن السجود انما هو لاعتقاده تفضيله به وتكرمته
مثل قوله ارايتك هذا الذي كرمت علي وقوله انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ولو لم يكن الامر على هذا الوجه
لوجب ان يعلمه الله تعالى بانه لم يامره بالسجود على جهة تعظيمه وتفضيله عليه وانما امره على الوجه الاخر الذي لا تفضيل فيه
ولم يجز اغفال ذلك فانه سبب معصية ابليس وضلالته فلما لم يقع ذلك علمنا ان الامر بالسجود له لم يكن الا على
وجه التعظيم والتفضيل والاكرام والتبجيل ثم اختلف في ابليس هل كان من الملائكة ام لا فذهب قوم انه كان منهم
وهو المروي عن ابي عبد الله والظاهر في تفاسيرنا ثم اختلف من قال انه من الملائكة فمنهم من قال انه كان خازنا على الجنان
ومنهم من قال كان له سلطان السماء الدنيا وسلطان الارض ومنهم من قال انه كان يسوس ما بين السماء
والارض وقال الشيخ المفيد ابو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان قدس الله روحه انه كان من الجن ولم يكن من الملائكة
قال وقد جاءت الاخبار بذلك متواترة عن ائمة الهدى وهو مذهب الامامية وهو المروي عن الحسن البصري وهو قول
علي بن عيسى البلخي وغيره واحتجوا على صحة هذا القول باشياء احدها قوله تعالى الا ابليس كان من الجن ومن اطلق لفظ

الجن لم يجز ان يعني به الا الجنس المعروف وكلما في القرآن من ذكر الجن مع الانس يدل عليه وثانيها قوله تعالى لا يعصون الله
ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون فنفى المعصية عنهم نفيا عاما وثالثها ان ابليس له نسل وذرية قال الله تعالى افتتخذونه
وذريته اولياء من دوني وهم لكم عدو وقال الحسن ابليس ابو الجن كما ان ادم ابو الانس وابليس مخلوق من النار والملائكة
روحانيون خلقوا من الريح في قول بعضهم ومن النور في قول الحسن لا يتناسلون ولا يطعمون ولا يشربون
ورابعها قوله تعالى جاعل الملائكة رسلا ولا يجوز على رسل الله الكفر ولا الفسق ولو جاز عليهم الفسق لجاز
عليهم الكذب وقالوا ان استثناء الله اياه منهم لا يدل على كونه من جملتهم وانما استثناه منهم لانه كان مامورا
بالسجود معهم فلما دخل معهم في الامر جاز اخراجه بالاستثناء منهم وقيل ايضا ان هذا الاستثناء منقطع كقوله تعالى
ما لهم به من علم الا اتباع الظن وانشد سيبويه والحرب لا يبقى لجاحمها التخيل والمراح الا الفتى الصبار في النجدات
والفرس الوقاح وكقول النابغة وما بالربع من احد الا الاواري ويؤيد هذا القول ما رواه الشيخ ابو جعفر
ابن بابويه في كتاب النبوة باسناده الى ابن ابي عمير عن جميل بن دراج عن ابي عبد الله عليه السلم قال سالته
عن ابليس اكان من الملائكة او كان يلي شيئا من امر السماء فقال لم يكن من الملائكة ولم يكن يلي شيئا من امر السماء
وكان من الجن وكان مع الملائكة وكانت الملائكة ترى انه منها وكان الله سبحانه يعلم انه
ليس منها فلما امر بالسجود لادم كان الذي منه ما كان وكذا رواه العياشي في تفسيره واما من قال انه من الملائكة
فانه احتج بانه لو كان من غير الملائكة لما كان ملوما بترك السجود فانما الامر تناول الملائكة دون غيرهم
وقد مضى الجواب عن هذا ونزيده بيانا قوله ما منعك الا تسجد اذ امرتك فعلمنا انه من جملة المامورين بالسجود
وان لم يكن من جملتهم وهذا كما قيل امر اهل البصرة بدخول الجامع غيرهم اهل البصرة فخصوا بالذكر لكونهم
الاكثر فكذلك القول في الاية واجاب القوم عن الاحتجاج الاول وعن قوله تعالى كان من الجن بان الجن
جنس من الملائكة سموا بذلك لاجتنانهم عن العيون وقال الاعشى [illegible] لو كان شي خالدا او معمرا لكان
سليمن البري من الدهر براه الهي واصطفاه عباده وملكه ما بين ثريا الى مصر وسخر من جن الملائك تسعة
قياما لديه يعملون بلا اجر وقد قال الله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا لانهم قالوا الملائكة بنات الله واجابوا
عن الثاني وهو قوله لا يعصون الله ما امرهم الاية بانه صفة لخزنة النيران لا لجميع الملائكة فلا يوجب عصمة لغيرهم
من الملائكة واجابوا عن الثالث بانه يجوز ان يكون الله ركب في ابليس شهوة النكاح تغليظا عليه في التكليف وان لم يكن
ذلك في باقي الملائكة قالوا واما قولكم فان الملائكة خلقوا من الريح وهو مخلوق من النار فان الحسن قال خلقوا من
النور والنار والنور سواء وقولكم ان الجن يطعمون ويشربون فقد جاء عن العرب ما يدل على انهم لا يطعمون
ولا يشربون انشد ابن دريد قال انشد ابو حاتم ونار قد حضأت بعيد وهن بدار ما اريد بها مقاما سوى
ترحيل راحلة وعين اكالئها مخافة ان تناما اتوا ناري فقلت منون انتم فقالوا الجن قلت عموا ظلاما
فقلت الى الطعام فقال منهم زعيم يحسد الانس الطعاما لقد فضلتم بالاكل فينا ولكن ذاك يعقبكم سقاما فهذا
يدل على انهم لا ياكلون ولا يشربون لانهم روحانيون وقد جاء في الاخبار النهي عن التمسح بالعظم والروث لان
ذلك طعام الجن وطعام دوابهم وقد روي انهم يتشممون ذلك ولا ياكلونه واجابوا عن الرابع وهو جاعل الملائكة
رسلا ان هذه الآية معارضة لقوله تعالى الله يصطفي من الملائكة كانت نها من الجن فسبي ابليس وكان صغيرا
فكان مع الملائكة فتعبد معها بالامر بالسجود لادم فسجدوا وابى ابليس فلذلك قال الله تعالى الا ابليس كان من
الجن وروى مجاهد وطاوس عن ابن عباس انه قال كان ابليس قبل ان يركب المعصية ملكا من الملائكة اسمه عزازيل
وكان من سكان الارض وكان سكان الارض من الملائكة يسمون الجن ولم يكن من الملائكة اشد اجتهادا

وسماه ابليس واما قوله تعالى وكان من الكافرين
ولاكثر علمائنا انه ابى السجود لادم وعصاه لعنه وجعله شيطانا و
وقيل معناه صار من الكافرين لقوله تعالى وكان من المغرقين واستدل بعضهم بهذه الآية على ان افعال
الجوارح من الايمان فقال لو لم يكن كذلك لوجب ان يكون ابليس مؤمنا بما معه من المعرفة بالله تعالى وان
فسق باباءه وهذا ضعيف لانا اذا علمنا كفره بالاجماع علمنا انه لم يكن معه ايمان اصلا كما اذا رأيناه
سجد للصنم علمنا انه كافر وان كان نفس السجود ليس بكفر واختلف في صفة امر الله سبحانه الملائكة بالسجود
قيل كان خطابا من الله للملائكة ولابليس وقيل بوحي من الله الى من بعثه اليهم من رسله لان كلام الرسول
كلام المرسل وقيل ان الله تعالى اظهر فعلا دلهم به على انه امرهم بالسجود فان قيل لم حكم الله بكفره مع ان من
ترك السجود الان لا يكفر قلنا لانه جمع الى ترك السجود خصالا اخر من الكفر منها انه اعتقد ان الله تعالى امره
بالقبيح ولم ير امره بالسجود حكمة ومنها انه امتنع من السجود تكبرا وردا على الله تعالى امره ومن ترك الآن
يكفر به لكان ايضا ومنها انه استخف بامر الله وازدراه وهذا لا يصدر الا عن معتقد الكفر وفي هذه الآية
دلالة على بطلان مذهب المجبرة من وجوه منها قوله ابى فدل على قدرته على السجود الذي اباه وتركه ولا
يصح وصفه بالاباء ومنها قوله فسجدوا فدل على ان السجود فعلهم ومنها انه مدح الملائكة بالسجود وذم
ابليس بترك السجود وعندهم انما لم يخلق فيه السجود ولا القدرة الموجبة له قوله عز وجل وقلنا يا آدم اسكن
انت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين آية اللغة
السكون والاطمئنان والهدوء نظائر والسكن بسكون الكاف العيال واصل الباب السكون والسكن بالفتح المنزل
والسكن الرحمة والبركة وفي قوله ان صلاتك سكن لهم والزوج بطرح الهاء قال الاصمعي هو اكثر كلام العرب
والاكل والمضغ واللقم متقاربة وضد الاكل الازم وسأل عمر بن الخطاب الحارث بن كلدة طبيب العرب فقال
يا حارث ما الدواء قال الازم اي ترك الاكل والرغد النفع الواسع الكثير الذي ليس فيه عناء قال ابن دريد الرغد
السعة في العيش والمشية من قبيل الارادة وكذلك المحبة والاختيار والايثار وان كان لها شروط ذكرت في
اصول الكلام والقرب الدنو قرب الشيء قربا وقرب فلان اهله يقربها قربانا اذا غشيها وما قرب هذا الامر
قربانا وقربا والشجر ما قام على ساق وجمعها اشجار وشجرات وشجر وتشاجر القوم اختلفوا اخذ من الشجر لاشتباك
اغصانه والظلم والجور والعدوان متقاربة وضد الظلم الانصاف وضد الجور العدل واصل الظلم انتقاص
الحق قال الله تعالى كلتا الجنتين آتت اكلها ولم تظلم منه شيئا اي لم تنقص وقيل اصله وضع الشيء في غير موضعه
من قولهم من اشبه اباه فما ظلم اي فما وضع الشبه في غير موضعه وكلاهما مطرد وعلى الوجهين فالظلم اسم
ذم ولا يجوز اطلاقه على الانبياء المعصومين الاعراب قوله اسكن انت وزوجك الجنة وحسن عطف الظاهر
على الضمير المستكن والمتصل فقال اسكن انت وزوجك الجنة فانت تأكيد الضمير المستكن في اسكن من الذي
هو فاعله وزوجك معطوف على موضع انت ولو عطفه على الضمير المستكن لكان يشبه في الظاهر عطف الفعل
على الاسم فاتى بالضمير المنفصل فعطف عليه ورغدا منصوب لانه صفة لمصدر محذوف كانه قال
اكلا رغدا اي واسعا كثيرا ويجوز ان يكون مصدرا وضع موضع الحال من قوله كلا رغدا اي كثيرا ويجوز ان يكون
مصدرا وضع موضع الحال من قوله كلا قال الخليل يقال قوم رغد ونساء رغد وعيش رغد ورغيد قال
امرؤ القيس بينما المرء تراه ناعما يأمن الاحداث في عيش رغد فعلى هذا يكون تقديره وكلا منها متسعين
في العيش وحيث مبني على الضم كاسماء الغاية نحو قبل وبعد لانه منع من الاضافة الى المفرد كما منعت الغايات
من الاضافة وانما تأتي بعدها جملة اسمية والعامل فيه [illegible] ولا تقربا مجزوم بالنهي والالف ضمير الفاعلين

34

وقوله فتكونا يحتمل امرين احدهما ان يكون جوابا للنهي فيكون منصوبا باضمار ان وان مع الفعل في تأويل
اسم مفرد واذا قدر باضمار ان بعد الفاء كانت ذلك عطفا على مصدر الفعل المتقدم فيكون تقديره لا يكن منكما
قرب لهذه الشجرة فكون من الظالمين فيكون الكلام جملة واحدة لان المعطوف يكون من جملة المعطوف عليه
وانما سمينا جوابا لمشابهته الجزاء وان الثاني يسبب الاول لان معنى الكلام ان تقربا هذه الشجرة تكونا من
الظالمين والثاني ان يكون معطوفا على النهي فيكون مجزوما ويكون الفاء عاطفة فكانه قال فلا تكونا من الظالمين
المعنى ثم ذكر الله سبحانه ما امر به آدم عليه السلم بعد ان انعم عليه بان اختصه من العلوم بما اوجب له به الاعظام
واسجد له الملائكة الكرام فقال عز اسمه وقلنا وهذه نون الكبرياء والعظمة لا نون الجمع يا آدم اسكن انت
وزوجك الجنة اي اتخذ انت وامرأتك الجنة مسكنا ومأوى لتأوي اليه وتسكن فيه انت وامرأتك
واختلف في هذا الامر فقيل هو اباحة لانه ليس فيه مشقة فلا يتعلق به تكليف وقوله وكلا اباحة وقوله
فلا تقربا تعبد بالاتفاق وروي عن ابن عباس وابن مسعود انه لما اخرج ابليس من الجنة ونفي بقي آدم
وحده فاستوحش اذ ليس معه من يسكن اليه فخلقت حواء ليسكن اليها وروي ان الله تعالى القى
على آدم النوم واخذ منه ضلعا فخلق منه حواء فاستيقظ آدم فاذا عند رأسه امرأة فسألها من انت قالت
امرأة فقال لم خلقت فقالت لتسكن الي فقالت الملائكة ما اسمها يا آدم قال حواء قالوا ولم سميت حواء
قال لانها خلقت من حي فعندها قال الله تعالى اسكن انت وزوجك الجنة وقيل انها خلقت قبل ان تسكن
آدم الجنة ثم ادخلا معا الجنة وفي كتاب النبوة ان الله تعالى خلق آدم من الطين وخلق حواء من آدم
فهمة الرجال الماء والطين وهمة النساء الرجال قال اهل التحقيق ليس يمتنع ان يخلق الله حواء من جملة جسد آدم بعد
ان يكون مما لا يتم الحي حيا الا معه لان ما هذه صفته لا يجوز ان ينقل الى غيره او يخلق منه حي آخر من حيث يؤدي
الى ان لا يمكن ايصال الثواب الى مستحقه لان المستحق هو الجملة باجمعها وانما سميت حواء لانها خلقت من حي على ما ذكرناه
قبل وقيل لانها ام كل حي واختلف في الجنة التي اسكن فيها آدم عليه السلم فقال ابو هاشم هي جنة من جنان الدنيا
غير جنة الخلد لان نعيم جنة الخلد اكلها دائم ولا تكليف فيها وقال ابو مسلم هي جنة من جنان الدنيا في الارض
وقال ان قوله اهبطوا لا يقتضي كونها في السماء لانه مثل قوله اهبطوا مصرا واستدل بعضهم على انها لم تكن
جنة الخلد بقوله تعالى حكاية عن ابليس هل ادلك على شجرة الخلد فلو كانت جنة الخلد لكان عالما بذلك
ولم يحتج الى دلالة وقال اكثر المفسرين والحسن البصري وعمرو بن عبيد وواصل بن عطاء وكثير من المعتزلة
كالجبائي والرماني وابن الاخشيد انها كانت جنة الخلد لان الالف واللام للتعريف وصارا كالعلم عليها
قالوا ويجوز ان يكون وسوسة ابليس من خارج الجنة من حيث يسمعان كلامه قالوا وقول من يزعم
ان جنة الخلد من يدخلها لا يخرج منها غير صحيح لان ذلك انما يكون اذا استقر اهل الجنة فيها للثواب
فاما قبل ذلك فانها تفنى لقوله تعالى كل شيء هالك الا وجهه وقوله وكلا منها رغدا اي كلا من الجنة
كثيرا واسعا لا عناء فيه حيث شئتما من بقاع الجنة وقيل منها اي من ثمارها الا ما استثناه ولا تقربا
هذه الشجرة اي لا تأكلا منها وهو المروي عن الباقر عليه السلم فمعناه لا تقرباها بالاكل ويدل عليه ان المخالفة
وقعت بالاكل بلا خلاف لا بالدنو منها فلذلك قال فاكلا منها فبدت لهما سوآتهما واختلف في هذا
النهي فقيل انه نهي التحريم وقيل انه نهي التنزيه دون التحريم كمن يقول لغيره لا تجلس على الطريق وهو قريب
من مذهبنا فان عندنا ان آدم عليه السلم كان مندوبا الى ترك التناول من الشجرة وكان بالتناول منها تاركا
فعلا وفضلا ولم يكن فاعلا لقبيح لان الانبياء لا يجوز عليهم القبائح لا صغيرها ولا كبيرها وقالت المعتزلة كانت

ذلك صغيرة من آدم عليه السلم على الخلاف فيهم في أنه وقع منه على سبيل العمد والسهو والتأويل وإنما قلنا إنه
لا يجوز مواقعة الكبائر على الأنبياء عليهم السلم من حيث إن القبيح يستحق فاعله به الذم والعقاب لأن المعاصي
عندنا كلها كبائر وإنما يسمى صغيرة بإضافتها إلى ما هو أكبر منها عقابا لأن الإحباط قد دل الدليل عندنا على بطلانه
وإذا بطل ذلك فلا معصية إلا ويستحق فاعلها الذم والعقاب وإذا كان الذم والعقاب منفيين عن الأنبياء
وجب أن ينفى عنهم سائر الذنوب ولأنه لو جاز عليهم شيء من ذلك لنفر عن قبول قولهم والمراد بالتنفير أن النفس
إلى قبول قول من لا يجوز عليه شيئا من المعاصي أسكن منها إلى قبول من يجوز عليه ذلك ولا يجوز عليهم كلما يكون
منفرا عنهم من الخلق المشوهة والهيآت المستنكرة وإذا صح ما ذكرناه علمنا أن مخالفة آدم لظاهر النهي كان
على الوجه الذي بيناه واختلف في الشجرة التي نهي عنها آدم عليه السلم فقيل هي السنبلة عن ابن عباس وقيل هي الكرمة
عن ابن مسعود والسدي وقيل التينة عن ابن جريج وقيل هي شجرة الكافور روي عن علي وقيل شجرة العلم علم
الخير والشر عن الكلبي وقيل شجرة الخلد التي كانت تأكل منها الملائكة عن ابن جدعان وقوله فتكونا من الظالمين أي
تكونا كلاهما من الظالمين لأنفسكما ويجوز أن يقال لمن بخس الثواب إنه ظالم النفس لقوله تعالى حكاية عن أيوب
إني كنت من الظالمين حيث بخس نفسه الثواب بترك المندوبات إليه واختلفوا هل كان يجوز ابتداء الخلق
في الجنة فجوز البصريون من أهل العدل ذلك قالوا يجوز أن ينعمهم ابتداء في الجنة مؤبدا تفضيلا منه لا على وجه
الثواب فإن ذلك نعمة منه تعالى كما أن خلقهم وتعريضهم للثواب نعمة وقال أبو القاسم البلخي لا يجوز ذلك
لأنه لو فعل ذلك لاحتاج أن يكونوا متعبدين بالمعرفة أو لا يكونوا كذلك فلو كانوا متعبدين لم يكن بد من
ترغيب وترهيب ووعد ووعيد وكان يكون لا بد من دار أخرى يجازون فيها ويخلدون وإن كانوا غير متعبدين
كانوا مهملين وذلك غير جائز وجوابه أنه سبحانه لو ابتدأ خلقهم في الجنة لكان يضطرهم إلى معرفته ويلجئهم إلى
فعل الحسن وترك القبيح ومتى راموا القبيح منعوا منه فلا يؤدي إلى ما قاله وهذا كما يدخل الله الجنة الأطفال وغير
المكلفين لا على وجه الثواب قوله عز وجل **فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم**
لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين آية **القراءة** قرأ حمزة فأزالهما بالألف والباقون
فأزلهما **الحجة** من قرأ أزالهما فلأن قوله اسكن أنت وزوجك معناه اثبتا فثبتا وأزالهما الشيطان فقابل
الثبات بالزوال الذي هو خلافه وحجة من قرأ فأزلهما أنه يحتمل تأويلين أحدهما كسبهما الزلة والآخر أزل
من زل أي عثر ويدل على الوجه الأول ما جاء في التنزيل فدلاهما إلى قوله لمن الناصحين وقوله فوسوس
لهما الشيطان الآية وقد نسب كسب الشيطان الزلة إلى الشيطان في قوله إنما استزلهم الشيطان واستزل وأزل
بمعنى واحد ويدل على الوجه الثاني قوله فأخرجهما مما كانا فيه فكما أن خروج الإنسان عن الموضع الذي
فيه انتقال منه إلى غيره كذلك عثاره وزلله **اللغة** الزلة والخطيئة والمعصية والسيئة بمعنى واحد وضد
الخطيئة الإصابة يقال زلت قدمه زلا وزل في مقاله زلة والمزلة المكان الدحض والمزلة الزلل في
الدحض وأزللت إلى فلان نعمة أسديتها وفي الحديث من أزلت إليه نعمة فليشكرها قال كثير وإني وإن صدت
لمثن وصادق عليها بما كانت إلينا أزلت والأصل في ذلك الزوال والزلة زوال عن الحق وأزله الشيطان إذا
زاله عن الحق والهبوط والنزول والوقوع نظائر وهو التحول من علو إلى سفل يقال هبطته وأهبطته والهبوط
كالحدور وهو الموضع الذي يهبطك من أعلى إلى أسفل وقد يستعمل الهبوط بمعنى الحلول في المكان والنزول به
قال الله تعالى اهبطوا مصرا ويقول القائل هبطنا بلد كذا يريد حللنا قال زهير ما زلت أرمقهم حتى إذا هبطت
أيدي الركاب بهم من راكس فلقا والعدو ضد الولي والعداوة المباعدة وأصله من المجاوزة والاستقرار الثبات في البقاء

وضده الفناء والاستقرار الكون أكثر من وقت واحد على حال والمستقر يحتمل أن يكون بمعنى الاستقرار
ويحتمل أن يكون بمعنى المكان الذي يستقر فيه والمتاع والتمتع والمتعة والتلذذ متقاربة المعنى وكل شيء متعت به
فهو متاع والحين والمدة والزمان متقاربة والحين في غير هذا الموضع ستة أشهر يدل عليه قوله تعالى تؤتي أكلها كل حين
بإذن ربها والحين يصلح للأوقات كلها إلا أنه في الاستعمال في الكثير منها أكثر **المعنى** ثم بين سبحانه حال آدم عليه السلم
فقال فأزلهما الشيطان أي حملهما على الزلة فنسب الزلل إلى الشيطان لما وقع بدعائه إبليس فأخرجهما مما كانا فيه من
النعمة والدعة ويحتمل أن يكون أراد إذ أخرجهما من الجنة حتى أهبطا ويحتمل أن يكون أراد من الطاعة إلى المعصية
وأضاف الإخراج إليه لأنه كان السبب فيه كما يقال صرفني فلان عن هذا الأمر ولم يكن إخراجهما من الجنة وإهباطهما
إلى الأرض على وجه العقوبة لأن الدليل قد دل على أن الأنبياء عليهم السلم لا يجوز عليهم القبائح على حال ومن أجاز
العقاب للأنبياء فقد أساء عليهم الثناء وأعظم الفرية على الله سبحانه وإذا صح ما قلناه فإنما أخرج الله آدم من الجنة
لأن المصلحة قد تغيرت بتناوله الشجرة واقتضت الحكمة والتدبير الإلهي إهباطه إلى الأرض وابتلاءه بالتكليف
والمشقة وسلبه ما ألبسه إياه من ثياب الجنة لأن إنعامه عليه بذلك كان على وجه التفضل والامتنان فله أن
يمنع ذلك تشديدا للبلوى والامتحان كما له أن يفقر بعد الإغناء ويميت بعد الإحياء ويسقم بعد الصحة ويعقب
المحنة بعد المنحة واختلف في كيفية وصول إبليس إلى آدم كان يخرج إلى باب الجنة وإبليس لم يكن ممنوعا
من الدنو منه فكان يكلمه وكان هذا قبل أن أهبط إلى الأرض وبعد أن أخرج إلى الجنة عن أبي علي الجبائي وقيل
إنه كلمهما من الأرض بكلام عرفاه وفهماه منه وقيل إنه دخل في فقم الحية وخاطبهما من فقمها والفقم جانب
الشدق وقيل إنه راسلهما بالخطاب وظاهر القرآن يدل على أنه شافههما بالخطاب وقوله وقلنا اهبطوا خطاب
لخطاب الجمع وفيه وجوه أحدها أنه خاطب آدم وحواء وإبليس وهو اختيار الزجاج وقول جماعة من المفسرين
وهذا غير منكر وإن كان إبليس قد أخرج قبل ذلك بدلالة قوله اخرج منها فإنك رجيم فجمع الخبر للنبي عليه السلم
لأنهم قد اجتمعوا في الهبوط وإن كانت أوقاتهم متفرقة فيه كما يقال أخرج جميع من في الحبس وإن أخرجوا متفرقين
والثاني أنه أراد آدم وحواء والحية وفي هذا الوجه بعد لأن خطاب من لا يفهم الخطاب لا يحسن ولأنه لم يتقدم
للحية ذكر والكناية عن غير مذكور لا تحسن إلا حيث لا يقع لبس مثل قوله حتى توارت بالحجاب وقوله ما ترك على
ظهرها من دابة وقول حاتم أماوي ما يغني الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر
والثالث أنه أراد آدم وحواء وذريتهما لأن الوالدين يدلان على الذرية ويتعلق بهما والرابع أن يكون الخطاب
يختص آدم وحواء وخاطب الاثنين على الجمع على عادة العرب وذلك لأن الاثنين أول الجمع قال الله تعالى إذ
نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين أراد حكم داود وسليمان وقد تأول قوله تعالى وإن كان له إخوة على
معنى فإن كان له أخوان والخامس آدم وحواء والوسوسة عن الحسن وهذا ضعيف وقوله بعضكم لبعض عدو
يعني آدم وذريته وإبليس وذريته ولم يكن من آدم إليه ما يوجب عداوته إياه ولكن حسده الملعون وخالفه
فنشأت بينهما العداوة ثم إن عداوة آدم له إيمان وعداوة إبليس له كفر وقيل الحسن يريد بني آدم وبني إبليس
وليس ذلك بأمر بل هو تحذير معناه أن الله تعالى لا يأمر بالعداوة فالأمر يختص بالهبوط والمعاداة يجري مجرى
الحال لأن الظاهر يقتضي أن أمرهما بالهبوط في حال عداوة بعضهم بعضا فأما على الوجه الذي يتضمن أن الخطاب
يختص بآدم وحواء فالمراد به أن ذريتهما يعادي بعضهم بعضا وعلق الخطاب بهما للاختصاص من الذرية وبين أصليهما
وقوله ولكم في الأرض مستقر أي مقر ومقام وثبوت بأن جعل الأرض قرارا لكم ومتاع أي استمتاع إلى حين إلى الوقت
الموت وقيل إلى يوم القيمة وقيل إلى فناء الآجال أي كل لكم مستقر إلى فناء أجله وقال أبو بكر السراج لو قال ولكم في الأرض

متقر وشاح بطن انه غير منقطع فقال الحسن اى الى حين انقطاعه والفرق بين قول القائل بان هذا لك حينا وبين قوله
الحين ان الحين يدل على الانتهاء ولا بد ان يكون الابتداء وليس كذلك الوجه الآخر في هذه الاية دلالة على ان الله
تعالى لا يريد المعصية ولا نصبا احدا عن الطاعة ولا يخرجه منها ولا سبب المعصية لانه نسب ذلك الى الشيطن
جل ربا وتقه ... الى ابليس والشياطين ويدل ايضا على ان الوسوسة ابليس يامر الى المعاصى قوله عز وجل
فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم آية القراءة قرأ ابن كثير
ادم بالنصب كلمات بالرفع وقرأ الباقون رفع ادم ونصب كلمات الحجة حجة ابن كثير في نصب ادم انه في المعنى
كالقراءة الاخرى فان الافعال المتعدية على ثلاثة اضرب منها ما يجوز فيه ان يكون الفاعل له مفعولا به والمفعول
فاعلا نحو ضرب زيد عمرا ومنها ما لا يجوز ذلك فيه نحو اكلت الخبز ونحوه ومنها ما يكون اسناده الى الفاعل
في المعنى كاسناده الى المفعول به نحو نلت واصبت وتلقيت تقول نالني خير ونلت خيرا واصابني شيء واصبت شيا
وتلقاني زيد وتلقيت زيدا ومثل هذه الاية قوله تعالى لا ينال عهدي الظالمين وفي حرف عبد الله فيما قيل
لا ينال عهدي الظالمون التلقي نظير التلقن يقال تلقيت منه اى اخذت وقبلت واصله من لقيت خيرا
تتعدى الى مفعول واحد ثم تتعدى الى مفعولين بتضعيف العين نحو لقيت زيدا خيرا كقوله ولقاهم نضرة
وسرورا وتلقاه وتلقيته بالقبول اى قبلته ومن ذلك قول ابى مهدية في ايات من القران تلقيتها من عمي تلقاها
من ابى هريرة تلقاها من رسول الله صلى الله عليه وآله وتلقيت الرجل استقبلته وتلقاني استقبلني والكلمات جمع
كلمة والكلمة اسم الجنس لوقوعها على الكثير من ذلك والقليل قالوا قال امرؤ القيس في كلمته يعني القصيدة كلها
فوقعت على القليل من الاسم المفرد والفعل المفرد والحرف المفرد اما الكلام فان سيبويه قد استعمله فيما كان
مؤلفا من هذه الكلم وعلى هذا جاء التنزيل قال الله تعالى يريدون ان يبدلوا كلام الله يعني به قوله فان رجعك الله
الى طائفة منهم فاستاذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي ابدا الا ترى الى قوله كذلكم قال الله من قبل يقال كلمه تكليما وكلاما
وتكلم كلاما تكلما والكلم الجرح واصل الباب التاثير فالكلم اثر ذلك على الجارح والكلام اثر دال على المعنى
الذي تحته والذي حرره المتكلمون في حد الكلام هو انه ما انتظم من حرفين فصاعدا من هذه الحروف المعقولة اذا وقع
ممن يصح منه او من قبيله الافادة وقال بعضهم هو ما انتظم من الحروف المسموعة المتميزة ليميز من الكتابة التي ليست
بمسموعة ويميز من اصوات كثير من الطيور لانها ليست بمتميزة وينقسم الكلام الى مهمل ومستعمل وانما اراد سيبويه
بقوله ان المهمل لا يكون كلاما انه لا يكون مفيدا اذ الكلام عنده لا يقع الا على المفيد وبه قال ابو القاسم البلخي والتوبة
والاقلاع والانابة في اللغة نظاير وضد التوبة الاصرار والله تعالى يوصف بالتواب ومعناه انه يقبل التوبة عن عباده
واصل التوبة الرجوع عما سلف والندم على ما فرط والله تعالى تائب على العبد بقبول توبته والعبد تائب الى الله
بندمه على معصيته المعنى قوله فتلقى ادم اى قبل واخذ وتناول على سبيل الطاعة من ربه وقرب كل شيء كلمات
واغنى قوله فتلقى عن ان القول فرغب الى الله بهن او سال الله بحقهن لان معنى التلقي يفيد ذلك ويغني عما حذف
من الكلام اختصارا ولهذا قال الله تعالى فتاب عليه لانه لا يتوب عليه الا بان يسال بتلك الكلمات وعلى قراءة من
قرأ فتلقى ادم كلمات لا يكون معنى التلقي القبول بل معناه ان الكلمات مدركة بالنجاة والرحمة واختلف في الكلمات
ما هي فقيل هي قوله ربنا ظلمنا انفسنا الاية عن الحسن وقتادة وعكرمة وسعيد بن جبير وان في ذلك اعترافا بالخطيئة
فلذلك وقعت موقع الندم وحقيقة الانابة وقيل هي قوله اللهم لا اله الا انت سبحانك وبحمدك رب اني
ظلمت نفسي فاغفر لي انك انت خير الغافرين اللهم لا اله الا انت سبحانك وبحمدك رب اني ظلمت نفسي فارحمني
انك خير الراحمين اللهم لا اله الا انت سبحانك وبحمدك رب اني ظلمت نفسي فتب علي انك انت التواب الرحيم

36

عن مجاهد وهو المروي عن ابي جعفر الباقر عليه السلام وقيل بل هي سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر
وقيل وهي رواية تختص باهل البيت عليهم السلام ان ادم عليه السلام راى مكتوبا على العرش اسماء مكرمة معظمة فسال عنها
فقيل له هذه اسماء اجل الخلق منزلة عند الله والاسماء محمد وعلي والحسن والحسين فتوسل ادم الى ربه بهم في قبول
توبته ورفع منزلته قوله فتاب عليه فيه حذف اى تاب ادم فتاب الله عليه اى قبل الله توبته وقيل تاب عليه
وفقه للتوبة وهداه اليها بان لقنه الكلمات حتى قالها فلما قالها قبل توبته انه هو التواب اى كثير القبول للتوبة
يقبل مرة بعد مرة وهي صفة العباد الكثير التوبة وقيل معناه انه يقبل التوبة وان عظمت الذنوب فيسقط عقابها
وقوله الرحيم انما ذكره ليدل على انه متفضل بقبول التوبة ومنعم به وان ذلك ليس على وجه الوجوب وانما قال
فتاب عليه ولم يقل عليهما لانه اختصر وحذف للايجاز والتغليب لقوله سبحانه وتعالى والله ورسوله احق ان
يرضوه ومعناه ان يرضوها وقوله واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها وكقول الشاعر ومالي بامر كنت منه ووالدي
بريا ومن جول الطوى رماني وقول الآخر نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والراي مختلف فكذلك
معنى الاية فتاب عليهما وقال الحسن البصري لم يخلق الله ادم الا للارض ولو لم يعص لاخرج الى الارض على غير تلك
الحال وقال غيره يجوز ان يكون خلقه للارض ان عصى ولغيرها ان لم يعص وهو الاقوى فصل مختصر في التوبة
وشروطها والاختلاف فيها اعلم ان من شرط التوبة الندم على ما مضى من القبيح والعزم على ان لا يعود الى
مثله في القبح فان هذه التوبة اجمع المسلمون على سقوط العقاب عندها واختلفوا فيما عداها وكل معصية
لله تعالى يجب التوبة منها والطاعة لا يصح التوبة منها وعندنا يصح التوبة اذا كانت من ترك الندب ويكون ذلك
على وجه الرجوع الى فعله وعلى هذا يحمل توبة الانبياء عليهم السلام في جميع ما نطق به القران وقبول التوبة واسقاط
العقاب عندها تفضل من الله تعالى غير واجب عليه عندنا وعند جميع المعتزلة واجب وقد وعد الله تعالى بذلك
وان كان تفضلا وعلمنا انه لا يخلف الميعاد ولنا التوبة من قبيح مع الاقامة على قبيح اخر يعلم او يعتقد قبحه فعند
اكثر المتكلمين هي صحيحة وعند ابي هاشم واصحابه لا يصح واعتمد الاولون على انهم قالوا كما يجوز ان يندم من قبيح لقبحه مع
فعل قبيح اخر وان علم قبحه كذلك يجوز ان يندم من قبيح مع المقام على قبيح اخر يعلم قبحه واختلفوا في التوبة عند
ظهور اشراط الساعة هل يصح ام لا فقال الحسن يحجب عنها عند الايات الست وروي عن النبي صلى الله عليه وآله
بادروا بالاعمال ستا طلوع الشمس من مغربها والدجال والدخان ودابة الارض وخويصة احدكم يعني الموت
وامر العامة يعني القيامة وقيل لا شك ان التوبة عند بعض هذه الايات تحجب وعند بعضها يجوز ان تحجب
والله اعلم قوله عز وجل قلنا اهبطوا منها جميعا فاما ياتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون
آية القراءة قرأ يعقوب فلا خوف بنصب الفاء في جميع القران وقرأ الباقون بالرفع والتنوين واجمعوا
على اثبات الالف في هداي وتحريك الياء وروي عن الاعرج بسكون الياء وهو غلط الا ان يكون نوى الوقف
وروى بعضهم هدي وهي لغة هذيل يقلبون الالف الى الياء للياء التي بعدها لان شان ياء الاضافة
ان يكسر ما قبلها فجعل قلب الالف ياء بدل كسرها اذ الالف لا تتحرك فيقول على ولدي وقال ابو ذؤيب
سبقوا هوي واعنقوا لسبيلهم فتخرموا ولكل جنب مصرع اللغة الهبوط النزول من موضع عال الى اسفل وقد يستعمل
في هبوط قال لبيد كل بني حرة مصيرهم قل وان اكثروا من العدد ان يغبطوا يهبطوا وان امروا يوما فهم للفناء والنفاد
والاتيان والمجيء والاقبال نظاير ونقيضه الذهاب والانصراف والاتباع والاقتداء والاحتذاء نظاير والتابع التالي
وفي الحديث القادة والاتباع فالقادة السادة والاتباع الذين يتبعونهم والتبع ولد البقرة والتابع
الاتبعة والجمع اتابيع والتبع الظل والخوف والجزع والفزع والطائر نقيض طريق الامن وطريق مخافة يخاف فيها

ويخيف نحيف الناس والحزن والغم والهم نظائر ونقيضه السرور ويقال حزن حزنا وحزنه حزنا ويقال حزنه واحزنه
وهو محزون ومحزن وقال قوم لا يقولون حزنه الامر ويقولون يحزنه فاذا صاروا الى الماضي قالوا احزنه وهذا
شاذ نادر لانه استعمل الحزن واهمل يحزن واستعمل يحزن واهمل حزن واصل الباب غلظ الهم ماخوذ من الحزن وهو
ما غلظ من الارض **الاعراب** ان ما هو ان الجزاء ان دخلت عليها ما التي صحح دخول نون التاكيد في الفعل ولو اسقطت
ما لم يجز دخول النون لانها لا تدخل في الخبر الواجب الا في القسم او ما اشبه القسم كقولك زيد لياتينك ولو قلت
بغير لام لم يجز ولكنك تقول بعين ما ارينك وبجهد ما تبلغن وفي عضة ما ينبتن شكيرها ولو قلت بعين اراك
بغير ما لم يجز فدخول ما ههنا كدخول اللام في انها تؤكد اول الكلام وتؤكد النون اخره والامر والنهي والا
يدخل النون فيه وان لم يكن معه ما اذ كان الامر والنهي مما تشتد الحاجة الى التوكيد فيه والاستفهام مشبه اذ كان
معناه اخبرني والنون انما يلحق للتوكيد فلذلك كان من مواضعها قال الله تعالى ولا تقولن لشيء اني فاعل
ذلك غدا قال الزجاج وانما فتح ما قبل النون في قوله ياتينكم لسكون الياء وسكون النون الاولى قال ابو علي ولو كان
كذلك لما حرك به في نحو هل تضربن ونحو من الصحيح لان الساكنين لا يلتقيان في هذا النحو وفي هذا ما يدل
على ان هذه الحركة من البناء دون ما ذكره من التقاء الساكنين وجواب الشرط في الفاء مع الشرط الثاني وجوابه
لان الشرط وجوابه بمنزلة المبتدا والخبر فكما ان المبتدا لا يتم الا بخبره وكذلك لك ان تجعل خبر المبتدا جملة هي مبتدا
وخبر كقولك زيد ابوه منطلق فكذلك لك ان تاتي للجزاء اذا كان جوابه بالفاء ووقع بعد الفاء الكلام مستانفا
صلح ان يكون جزاء وغير جزاء تقول ان تاتني فانت مكرم ولك ان تقول ان تاتني من يكرمك اكرمه فقوله
اما ياتينكم في موضع الجزم بان وجوابه الفاء وما بعده من قوله من تبع هداي الآية ومن في الرفع بالابتداء
وتبع في موضع الجزم بالشرط وجزاؤه الفاء وما بعده وهو قوله فلا خوف عليهم ولا خوف عليهم جملة اسمية ولا هم
يحزنون جملة اسمية معطوفة على الجملة التي قبلها والفاء مع ما بعده في موضع جزم بالجزاء ولقوله من تبع هداي الشرط
والجزاء مع معنى حرف الشرط التي تضمنه من في موضع رفع بانه خبر المبتدا الذي هو من ثم الفاء وما بعده في
قوله من تبع هداي الآية في موضع جزم بانه جزاء في قوله اما ياتينكم مني هدى وهذا في المقدمات القياسية
تسمى الشرطية المركبة وذلك ان المقدم فيها اذا وجب وجب التالي المركب عليه **المعنى** ثم بين الله تعالى اهباطهم الى الارض
فقال اهبطوا اي انزلوا والخطاب لادم وحوا على ما ذكرناه من الاختلاف فيما تقدم واختلف في تكرار الهبوط
فقيل الهبوط الاول من الجنة الى السماء وهذا الهبوط من السماء الى الارض عن ابي علي وقيل انما كرر للتاكيد
وقيل انما كرر لاختلاف الحالين فقد بين بقوله وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ان الاهباط انما كان
في حال عداوة بعضهم لبعض وبين بقوله قلنا اهبطوا منها جميعا فاما ياتينكم مني هدى ان الاهباط انما كان للابتلاء
والتكليف كما يقال اذهب سالما معافى اذهب مصاحبا وان كان الذهاب واحدا لاختلاف الحالين فاما ياتينكم
من هدى اي بيان ودلالة وقيل انبياء ورسل وعلى هذا القول الاخير يكون الخطاب في قوله اهبطوا لادم وحوا
وذريتهما كقوله تعالى فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين اي اتينا بما فينا من الخلق
طائعين فمن تبع هداي اي اهتدى بسبيله او احتذى ادلته فلا خوف عليهم في اهوال يوم القيمة من العقاب
ولا هم يحزنون على فوات الثواب فاما الخوف والحزن في الدنيا فانه يجوز ان يلحقهم لان من المعلوم ان المؤمنين
لا ينفكون منه وفي هذه الآية دلالة على ان الهدى قد يثبت ولا اهتداء وان الاهتداء انما يقع بالاتباع
والقبول قوله عز وجل **والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون** آية
اللغة الكفر والتكذيب قد مضى معناهما فيما تقدم ذكره والآيات جمع اية ومعنى الاية في اللغة العلامة

ومنه قوله تعالى عيدا لاولنا واخرنا واية منك اي علامة لاجابتك دعانا وكل اية من كتاب الله علامة ودلالة
على المضمون فيها وقال ابو عبيدة معنى الاية انها علامة بانقطاع الكلام الذي قبلها وانقطاعه الذي بعدها وقيل
ان الاية القصة والرسالة قال كعب بن زهير الا ابلغا هذا المعرض اية ايقظان قال القول اذ قال ام حلم يعني رسالة فعلى هذا يكون
معنى الآيات القصص اي قصة تتلو قصة وقال ابن السكيت خرج القوم بايتهم اي بجماعتهم لم يدعوا وراءهم شيئا وعلى هذا يكون معنى
الاية من كتاب الله جماعة حروف دالة على معنى مخصوص والاصحاب جمع الصاحب وهو القرين واصل الصحبة المقارنة
والصاحب هو الحاصل مع اخر مدة لانه اذا اجتمع معه وقتا واحدا لم يكن صاحبا له لكن يقال صاحبه وقتا من الزمان
ثم فارقه **الاعراب** موضع اولئك يحتمل ثلثة اوجه احدها ان يكون بدلا من الذين او عطف بيان واصحاب النار يرتفع
عن ذلك مجرى الوصف والجزء هم فيها خالدون والثاني ان يكون ابتداء وخبرا في موضع الجزء الاول والثالث
ان يكون على خبرين واحد كقولك حلو حامض فان قيل فلم دخلت الفاء في موضع اخر مثل قوله فاولئك لهم عذاب مهين
ولم يدخل ههنا قلنا لما دخلت الفاء من حيث ان الذي وصلته شبه بالجزاء وما لم يكن فيه فهو على اصل الخبر واذا انك
ما لي فقولك ان اردت ما بمعنى الذي جاز وان اردت به المال لم يجز **المعنى** الذين كفروا اي جحدوا وكذبوا باياتنا
اي دلالاتنا وما انزلناه على الانبياء اولئك اصحاب النار اي الملازمون للنار هم فيها خالدون اي دائمون وفي هذه الآية
دلالة على ان من مات مصرا على الكفر غير تائب منه وكذب بايات ربه فهو مخلد في نار جهنم واياتي الله دلالاته وكتبه
المنزلة على رسله والاية تشمل الحجة والدلالة وان كان بينهما فرق في الاصل نقل دلالة هذا الكلام كذا ولا تقال اية ومن
استدل بهذه الآية على ان عمل الجوارح قد يكون من الكفر لقوله وكذبوا باياتنا فقوله تعالى بايات الله كذب تفسير وان
لم يكن كفرا فهو دلالة على الكفر لانه لا يقع الا من كافر كالسجود للشمس وغيره قوله عز وجل **يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم**
واوفوا بعهدي اوف بعهدكم واياي فارهبون آية **القراءة** القراءة المشهورة اسرائيل مهموز ممدود مشبع وهو الفصيح وروي في الشواذ
عن الحسن والزهري بلا همز ولا مد وعن الاعمش وعيسى بن عمر كذلك وحكي عن الاخفش اسرال بكسر الهمزة من غير ياء وحكى قطرب
اسرال من غير همز ولا ياء واسرائين قال ابو علي العرب اذا نطقت بالاعجمي خلطت فيه وانشد هل تعرف الدار لام الخزرج منها
فظلت اليوم كالمزرج تريد المرزنجوش وهو الخمر من الزرجون قال والنون في زرجون اصل كالسين من قربوس فاذا جاز للعرب
ان يخلط فيما هو من لغتها فكيف فيما ليس من لغتها واختير تحريك الياء في قوله نعمتي التي انعمت لانه لقيها الف الوصل
واللام فلم يكن بد من اسقاطها او تحريكها فكان التحريك اولى لانه ادل على الاصل واشكل بما يلحق اللام في الاستيناف من
فتح الف الوصل واسكان الياء في قوله يا عبادي الذين اسرفوا اجود لانه من حيث يلحق الاسكان لانه في النداء واذا
لم يثبت فلا طريق الى تحريكها والاختيار في قوله فبشر عبادي الذين يستمعون حذف الياء لانها ثابتة في رؤوس الآي
لا تثبت فيها الياء لانها فواصل ينوى فيها الوقف كما يفعل ذلك في القوافي واجمعوا على اسقاط الياء من قوله فارهبون
الا ابن كثير فانه اثبتها في الوصل دون الوقف والوجه حذفها لكراهية الوقف على الياء وفي كسر النون دلالة على ذهاب
الياء **اللغة** الابن والولد والنسل والذرية متقاربة المعنى الا ان الابن للذكر والولد يقع على الذكر والانثى
والنسل والذرية يقع على جميع ذلك واصله من البناء وهو موضع الشيء على الشيء فالابن مبني على الاب لان الاب
اصل والابن فرع والبنوة مصدر الابن وان كان من الياء كالفتوة مصدر الفتى وتثنيته فتيان واسرائيل هو
يعقوب بن اسحاق بن ابرهيم واصله مضاف لان اسر بمعنى عبد وايل هو الله بالعبرانية فصار مثل عبد الله
وكذلك جبرئيل وميكائيل والذكر الحفظ للشيء تذكره وضده النسيان والذكر جري الشيء على اللسان والذكر الشرف
في قوله وانه لذكر لك ولقومك والذكر الكتاب الذي فيه تفصيل الدين وكل كتاب من كتب الانبياء ذكر والذكر
الصلوة والدعاء وفي الاثر كانت الانبياء اذا حزنهم امر فزعوا الى الذكر اي الصلوة واصل الباب التنبيه على الشيء والصاحب

العين تقول وفيت بعهدك وفاء واوفيت لغة تهامة قال الشاعر في الجمع بين اللغتين اما ابن عوف فقد اوفى بذمته
كما وفى بقلاص النجم حاديها يعني به الدبران وهو التالي والعهد الامر والعهد الوصية والرهبة الخوف وضدها الرغبة
وفي المثل رهبوت خير من رحموت اي لان ترهب خير من ان ترحم الاعراب يا حرف النداء وهي في موضع النصب لانه منادى
مضاف واسرائيل في موضع جر لانه مضاف اليه وفتح لانه غير منصرف وفيه سببان العجمة والتعريف وقوله واياي ضمير منصوب
ولا يجوز ان يكون منصوبا بقوله فارهبون لانه مشغول كما لا يجوز ان تقول ان زيدا في قولك زيدا اضربه منصوب باضرب
لكنه يكون منصوبا بفعل يدل عليه ما هو مذكور في اللفظ تقديره فاياي فارهبوا فارهبون ولا يظهر ذلك لانه استغنى
عنه بما بعده وان صح هذه ولا يجوز في مثل ذلك الرفع على ان يكون الخبر فارهبون الا على تقدير حذف كما انشد
سيبويه وقائلة خولان فانكح فتاتهم واكرومة الحيين خلو كما هيا تقديره هؤلاء خولان فانكح فتاتهم وعلى ذلك حمل قوله تعالى والسارق
والسارقة فاقطعوا ايديهما والزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما تقديره وفيما يتلى عليكم السارق والسارقة
فاقطعوا ايديهما وفيما فرض عليكم الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما المعنى لما عم الله تعالى جميع الخلق بالحجج
الواضحة على توحيده وذكرهم ما انعم به عليهم في ابيهم آدم عليه السلام خص بني اسرائيل بالحجج وذكرهم ما اسدى الى آبائهم
واليهم بالنعم فقال يا بني اسرائيل يعني يا بني يعقوب فنسبهم الى الاب الاعلى كما قال يا بني آدم والخطاب لليهود والنصارى
وقيل هو خطاب لليهود الذين كانوا بالمدينة وما حولها عن ابن عباس اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم اراد بذلك النعم
فقال يا بني اسرائيل يعني التي انعم بها على اسلافهم من كثرة الانبياء فيهم والكتب وانجائهم من فرعون ومن الغرق على
اعجب الوجوه وانزال المن والسلوى عليهم وكون الملك فيهم في زمن سليمان عليه السلام وغير ذلك وعد النعم على آبائهم
نعما عليهم لان الاولاد يشرفون بفضل الآباء وهذا كما يقال في المفاخرة قتلناكم يوم الفجار وهزمناكم يوم ذي قار
وغلبناكم يوم ذي النسار وذكر النعمة بلفظ الواحد والمراد بها الجنس كقوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها والواحد
لا يمكن عده وقيل المراد بها النعم الواصلة اليهم مما اختصوا به دون آبائهم واشركوا فيه مع آبائهم فكان نعمة على الجميع نحو ذلك
تبقية آبائهم حتى تناسلوا فصاروا من آبائهم ومن ذلك خلقه اياهم على وجه يمكنهم معه الاستدلال على توحيده والوصول
الى معرفته فيشكروا نعمه ويستحقوا ثوابه ومن ذلك ما يصل اليهم حالا بعد حال من الرزق ويدفع عنهم من المكاره والا سواء
وما يسبغ عليهم من نعم الدين والدنيا فعلى القول الاول يكون الاية تذكيرا بالنعم عليهم في اسلافهم وعلى القول الثاني
يكون تذكيرا بالنعم عليهم وبالنعم على اسلافهم ما ذكره في قوله واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم
انبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين وقال الانباري اذكروا ما انعمت به عليكم فيما استودعتكم
من علم التوراة وبينت لكم من صفة محمد صلى الله عليه واله والزمتكم من تصديقه واتباعه فلما بعث ولم يتبعوه كانوا كالناسين
لهذه النعمة قوله واوفوا بعهدي اوف بعهدكم قيل فيه وجوه احدها ان هذا العهد هو ان الله عهد اليهم في
التوراة انه باعث نبيا يقال له محمد فمن تبعه كان له اجران اثنان اجر باتباعه موسى وايمانه بالتوراة والآخر باتباعه
محمدا وايمانه بالقرآن ومن كفر به تكاملت اوزاره وكانت النار جزاءه فقال اوفوا بعهدي في محمد اوف بعهدكم
ادخلكم الجنة عن ابن عباس وسمى ذلك عهدا لانه تقدم به اليهم في الكتاب السابق وقيل انما جعله عهدا لتأكيده
بمنزلة العهد الذي هو اليمين كما قال سبحانه واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه وثانيها
انه العهد الذي عاهدهم عليه حيث قال خذوا ما آتيناكم بقوة اي بجد واذكروا ما فيه اي في الكتاب عن الحسن
وثالثها انه ما عهد اليهم في سورة المائدة حيث قال ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر
نقيبا وقال الله اني معكم لئن اقمتم الصلوة وآتيتم الزكوة وآمنتم برسلي الاية عن قتادة ورابعها انه اراد جميع الاوامر
والنواهي وخامسها انه جعل تعريفه اياهم نعمه عهدا عليهم وميثاقا لانه يلزمهم القيام بما يأمرهم به من شكر هذه

النعم كما يلزمهم الوفاء بالعهد والميثاق الذي يؤخذ عليهم والاول اقوى لان عليه اكثر المفسرين وبه يشهد القرآن قوله
واياي فارهبون اي خافون في نقض العهد وفي هذه الاية دلالة على وجوب شكر النعمة وفي الحديث التحدث بالنعم
شكر وفيها دلالة على عظم المصيبة في جحود النعمة وكفرانها ولحوق الوعيد الشديد بكفرانها ويدل ايضا على ثبوت
افعال العباد اذ لو لم يكن لهم افعال لما صح العهد والامر والنهي والوعد والوعيد ولادى الى بطلان الرسل والكتب قوله
عز وجل وآمنوا بما انزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا اول كافر به ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا
واياي فاتقون ٥ آية اللغة قوله اول كافر به قال الزجاج يعني اول الكافرين وفيه قولان قول الاخفش معناه
اول من كفر به وقال فريق من البصريين معناه اول فريق كافر اي بالنبي صلى الله عليه وآله قال وكلا القولين صواب
حسن ونظيره قوله اول كافر قول الشاعر واذا هم طعموا فالأم طاعم واذا هم جاعوا فشر جياع والثمن والعوض والبدل
نظائر وبينهما فرق فالثمن هو البدل في البيع من العين او الورق واذا استعمل في غيرهما كان مشبها بهما ومجازا
والعوض هو البدل الذي ينتفع به كائنا ما كان والبدل هو الشيء يجعل مكان غيره وثوب ثمين كثير الثمن
والتثمين التقويم والفرق بين الثمن والقيمة ان الثمن قد يكون وفقا وقد يكون بخسا وقد يكون زائدا والقيمة
لا تكون الا مساوية المقدار للثمن من غير نقصان ولا زيادة الاعراب مصدقا نصب لانه حال من الهاء المحذوفة
من انزلت كانه قال انزلته مصدقا ويصلح ان ينتصب بآمنوا كانه قال آمنوا بالقرآن مصدقا ومعكم صلة والعامل لما معه
فيه الاستقرار اي للذي استقر معكم والهاء في به عائد الى ما في قوله بما انزلت او الى ما في قوله لما معكم ونصب
اول كافر لانه خبر كان المعنى ثم قال مخاطبا لليهود آمنوا اي صدقوا بما انزلت على محمد صلى الله عليه وآله من القرآن
لانه منزل من السماء الى الارض مصدقا لما معكم من التوراة امرهم بالتصديق بالقرآن واخبرهم ان في تصديقهم
بالقرآن تصديقا منهم للتوراة لان الذي في القرآن من الامر بالاقرار بنبوة محمد صلى الله عليه وآله وتصديقه
نظير الذي في التوراة والانجيل فان فيهما البشارة بمحمد وبيان صفته فالقرآن مصدق لهما وقيل معناه انه يصدق
بالتوراة لان فيه الدلالة على انه حق وانه من عند الله والاول اوجه لانه يكون حجة عليهم بان جاء القرآن بالصفة
التي تقدمت بها البشارة لموسى وعيسى عليهما السلام وقوله ولا تكونوا اول كافر به اي بالقرآن من اهل الكتاب لان قريشا
كانت كفرت به بمكة قبل اليهود وقيل المعنى لا تكونوا السابقين الى الكفر فيتبعكم الناس اي لا تكونوا ائمة في الكفر به
عن ابي العالية وقيل المعنى ولا تكونوا اول جاحد ان صفة النبي في كتابكم لانكم اذا جحدتم ما فيه من صفة النبي صلى الله عليه
وآله عن ابن جريج وقيل المعنى ولا تكونوا اول كافر بما معكم من كتابكم لانكم اذا جحدتم ما فيه من صفة النبي صلى الله عليه
وآله فقد كفرتم به قاله الزجاج وقواه بان الخطاب وقع على علماء اهل الكتاب فاذا كفروا كفر معهم الاتباع فلذلك
قيل لهم ولا تكونوا اول كافر به قال ولو كان الهاء في به للقرآن فلا فائدة فيه لانهم كانوا يظهرون انهم كافرون بالقرآن
وقال علي بن عيسى يحتمل ان يكون اول كافر بالقرآن انه حق في كتابكم وانما عظم اول الكفر لانهم اذا كانوا ائمة
لهم وقدوة في الضلالة كانت ضلالتهم اعظم نحو ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله من سن سنة حسنة فله اجرها
واجر من عمل بها الى يوم القيامة ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة وليس في نهيه ولا دلالة على انه يجوز ان يكونوا آخر كافر به مع
عن ان يكونوا اول كافر به لان المقصود النهي عن الكفر على كل حال وخص اول لما ذكرناه من عظم موقعه كما قال
الشاعر من اناس ليس في اخلاقهم عاجل الفحش ولا سوء الجزع وليس مريدا ان فيهم فحشا آجلا وقوله ولا تشتروا
باياتي ثمنا قليلا روي عن ابي جعفر عليه السلام في هذه الاية قال كان حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف وآخرون
من اليهود لهم مأكلة على اليهود في كل سنة فكرهوا بطلانها بامر النبي صلى الله عليه وآله فحرفوا لذلك آيات من التوراة
فيها صفته وذكره فذلك الثمن الذي اريد في الاية وقال الفراء وانما ادخل الباء في الآيات دون الثمن في سورة

يوسف ادخل في الثمن في قوله وشروه بثمن بخس لان العروض كلها اثمان مجر عنها ان شئت قلت اشتريت الثوب
بكساء وان شئت قلت اشتريت بالثوب كساء ايهما جعلت ثمنا لصاحبه جاز فاذا احببت الى الدراهم والدنانير
وضعت الباء في الثمن كقوله وشروه بثمن بخس لان الدراهم ثمن ابدا والمعنى لا تستبدلوا بآياتي بما في التوراة من
بيان صفة محمد ونعته ثمنا قليلا اي عوضا يسيرا من الدنيا واياي فاتقون فاخشوني في امر محمد صلى الله عليه واله لا في انقطاع
من المآكل والرياسة وتفسير الثمن بالقلة لا يدل على انه اذا كان كثيرا يجوز تبديله لان المقصود منه ان اي شيء
باعوا به آياتي كان قليلا وانه لا يجوز ان يكون ثمنا مساويه كقولك ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به
وانما اراد به نفي البرهان عنه على كل حال وانه لا يجوز ان يكون عليه برهان ومثله قوله ويقتلون النبيين
بغير حق وانما اراد ان يكون قتلهم الانبياء بغير حق ونظائر ذلك كثيرة ومثله قول امرئ القيس على لاحب لا يهتدى
بمناره اذا سافه العود الديافي جرجرا وانما اراد لا منار هناك فيهتدى به وفي هذه الآية دلالة على تحريم
اخذ الرشا في الدين لانه لا يخلوا اما ان يكون امرا يجب اظهاره او يحرم اظهاره والاخذ على مخالفة كلا الوجهين
حرام وهذا الخطاب موجه ايضا على علماء السوء من هذه الامة ان اختاروا الدنيا على الدين فيدخل فيه الشهادات
والقضايا والفتاوى وغير ذلك قوله عز وجل ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وانتم تعلمون
آية اللغة اللبس التغطية والتعمية نظاير والفرق بين التغطية والتعمية ان التغطية تكون بالزيادة والتعمية
قد تكون بالنقصان والزيادة وضد اللبس الايضاح واللباس ما واريت به جسدك ولباس التقوى الحياء واللبس خلط
الامور بعضها ببعض والفعل لبس الامر يلبس لبسا ولبس الثوب يلبسه لبسا والفرق بين اللبس والاخفاء ان الاخفاء
يمكن ان يدرك معه المعنى ولا يكون مع اللبس ادراك المعنى والاشكال قد يدرك معه المعنى الا انه بصعوبة لاجل
التعقيد وقال امير المؤمنين صلى الله عليه وآله للحرث بن حوط يا حار انه ملبوس عليك ان الحق لا يعرف بالرجال اعرف الحق
تعرف اهله والباطل والمبطل واحد وهو ضد الحق والبطلان والفساد والكذب والزور والبهتان نظاير وابطلت
الشيء جعلته باطلا وابطل الرجل جاء بباطل قوله وتكتموا الحق يحتمل وجهين من الاعراب احدهما الجزم على النهي كانه قال
لا تلبسوا الحق بالباطل ولا تكتموا فيكون عطف جملة على جملة والاخر النصب على الظرف باضمار ان فيكون عطف الاسم
على المصدر الفعل الذي قبله وتقديره لا يكن منكم لبس الحق وكتمانه ودل تلبسوا على اللبس كما تقول من كذب كان
شرا له فالكذب يدل على الكذب فكانه قال من كذب كان الكذب شرا له قال الشاعر في مثله لا تنه عن خلق وتاتي مثله عار عليك
اذا فعلت عظيم اي لا تجمع النهي عن الخلق والاتيان بمثله المعنى لا تلبسوا اي لا تخلطوا الحق بالباطل ومعنى لبسهم الحق
بالباطل انهم آمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعض لانهم جحدوا صفة النبي صلى الله عليه وآله فذلك الباطل واقروا بغيرها في الكتاب
وقيل لا تحرفوا الكلم عن مواضعه والتحريف هو الباطل وتركهم ما في الكتاب على ما هو الحق وقال ابن عباس لا تخلطوا الصدق
بالكذب وقيل الحق التوراة التي انزلها الله تعالى على موسى والباطل ما كتبوه بايديهم وقيل الحق اقرارهم بان محمدا مبعوث الى غيرهم
والباطل انكارهم ان يكون بعث اليهم وقوله وتكتموا الحق وانتم تعلمون اي لا تكتموا صفة النبي صلى الله عليه وآله في التوراة
وانتم تعلمون انه حق والخطاب متوجه الى رؤساء اهل الكتاب كلا وصفهم بانهم يحرفون الكلم عن مواضعه للتلبيس على
اتباعهم وهذا القبيح لما يفعلونه اي يجحدون ما يعلمون وجحد المعاند اعظم من جحد الجاهل وقيل معناه وانتم
تعلمون بالبعث والجزاء وقيل معناه وانتم تعلمون ما نزل بني اسرائيل من المسخ وغيره فان قيل كيف يجوز ان يكونوا عارفين
بنبوته وذلك مبني على معرفة الله وعندكم من عرف الله لا يجوز ان يكفر وهولاء صاروا كفارا او ماتوا على كفرهم
قلنا لا يمتنع ان يكونوا عرفوا الله على وجه لا يستحقون به الثواب لان الثواب انما يستحق بان ينظروا من الوجه الذي يستحق
به الثواب فاذا نظروا على غير ذلك الوجه لا يستحقون الثواب فعلى هذا يجوز ان يكونوا عارفين بالله وبالنبي

عشر

وقيل معناه وانتم تعلمون ما ... على من كذب ...

وبصفات النبي صلى الله عليه وآله وان لم يستحقوا الثواب فلا يمتنع ان يكفروا وقال بعض اصحابنا استحقاقهم الثواب
على ايمانهم مشروط بالموافاة واذا لم يوافوا بالايمان لم يستحقوا الثواب فعلى هذا لا يجوز ان يكونوا عارفين وان لم يكونوا يستحقون
الثواب بطل بالكفر والمعتمد الاول قوله عز وجل واقيموا الصلوة واتوا الزكوة واركعوا مع الراكعين آية
اللغة اصل الصلوة عند اكثر اهل اللغة الدعاء على ما ذكرناه فيما مضى ومنه قول الاعشى تقول بنتي وقد قربت مرتحلا يا رب
جنب ابي الاوصاب والوجعا عليك مثل الذي صليت فاغتمضي نوما فان لجنب المرء مضطجعا اي دعوت وقيل اصلها
اللزوم من قول الشاعر لم اكن من جناتها علم الله واني بحرها اليوم صالي اي ملازم لحرها فكان معنى الصلوة ملازمة
العبادة على الحد الذي امر الله تعالى وقيل اصلها من الصلا وهو عظم العجز لرفعه في الركوع والسجود ومنه قول
النابغة فآب مصلوه بعين جلية وغودر بالجولان حزم ونايل اي الذي جاء في صلا السابق وعلى الحد القول الاول
اكثر العلماء وقد بينا اقامة الصلوة فيما مضى والزكوة والنماء والزيادة نظاير في اللغة وقال صاحب العين الزكوة زكوة
المال وهو تطهيره وزكا الزرع وغيره يزكو زكوة ممدود اي نماء وازداد وهذا لا يزكو بفلان اي لا يليق به والزكوة الصلاح
وانماء الوتر واصل نماء المال بالبركة الذي يجعل الله فيه والركوع والانحناء والانخفاض نظاير في اللغة قال ابن دريد الراكع
الذي يكبو على وجهه ومنه الركوع في الصلوة قال الشاعر وافلت حاجب فوق العوالي على شقاء تركع في الظراب وقال صاحب
العين كل شيء ينكب لوجهه فيمس ركبته الارض او لا يمس بعد ان يطاطئ راسه فهو راكع قال الشاعر ولكني انص العيس يدمي
اياطلها وتركع بالحزون وقال لبيد اخبر اخبار القرون التي مضت ادب كاني كلما قمت راكع وقيل انه ماخوذ من الخضوع قال
الشاعر لا تهين الفقير علك ان تركع يوما والدهر قد رفعه والاول اقوى وانما يستعمل في الخضوع مجازا وتوسعا المعنى واقيموا
الصلوة اي ادوها باركانها وحدودها وشرايطها كما بينها النبي صلى الله عليه وآله واتوا الزكوة اي اعطوا ما فرض الله عليكم في اموالكم
على ما بينه الرسول عليه السلام لكم وهكذا حكم جميع ما ورد في القرآن مجملا فان بيانه يكون موكولا الى النبي صلى الله عليه وآله كما قال
سبحانه وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا فلذلك امرهم بالصلوة والزكوة على طريق الاجمال واحال في التفصيل
على بيانه صلى الله عليه وآله وقوله واركعوا مع الراكعين انما خص الركوع بالذكر وهو من افعال الصلوة بعد قوله واقيموا الصلوة
لاحد وجوه اولها ان الخطاب لليهود ولم يكن في صلاتهم ركوع وكان الاحسن ذكر المختص دون المشترك لانه ابعد
اللبس وثانيها انه عبر بالركوع عن الصلوة يقول القايل فرغت من ركوعي اي صلاتي وانما قيل ذلك لان الركوع اول ما يشاهد
من الافعال التي يستدل بها على ان الانسان يصلي فكانه كرر ذكر الصلوة تاكيدا عن ابي مسلم ويمكن ان يكون فيه
فايدة لا يدل على التاكيد وهو قوله واقيموا الصلوة انما يفيد وجوب اقامتها ويحتمل ان يكون اشارة الى صلاتهم التي يعرفونها
وان يكون اشارة الى الصلوة الشرعية وقوله واركعوا مع الراكعين معناه صلوا مع هولاء المسلمين الراكعين فيكون مخصصا
بالصلوة المقررة في الشرع فلا يكون تكرارا بل يكون بيانا وثالثها انه حث على صلوة الجماعة لتقدم ذكر الصلوة في
اول الآية قوله عز وجل اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب افلا تعقلون آية اللغة
البر في اللغة والاحسان والصلة نظاير يقال فلان بار وصول محسن وضد البر العقوق ورجل بر وبار وبررت
يمينه صدقت وبر حجه وبر لغتان وقولهم لا يعرف هرا من بر قال الاخفش معناه لا يعرف من يبر عليه ممن يبره
وقال المازني الهر السنور والبر الفارة او دويبة تشبهها والفرق بين البر والخير ان البر يدل على قصد والخير قد يقع على
وجه السهو والنسيان والغفلة نظاير وضد النسيان الذكر وحقيقته غروب الشيء عن النفس بعد حضوره وهو
عدم علم ضروري من فعل الله تعالى والسهو قد يقع عما كان الانسان عالما به وعما لم يكن عالما به وقد يكون
النسيان بمعنى الترك نحو قوله نسوا الله فنسيهم اي تركوا ذكر الله فخذلهم والتلاوة القراءة تلا يتلو تلاوة اي قرأ
وتلا يتلو تلوا اي تبع واصل التلاوة منه لاتباع بعض الحروف فيها بعضا والفرق بين التلاوة والقراءة ان اصل

والسهو

والعقل والفهم والمعرفة واللب نظاير ورجل عاقل فهم لبيب
القراءة جمع الحروف فاصل التلاوة اتباع الحروف وقيل لابن عباس انى لك هذا العلم قال قلب
ذو معرفة وضد العقل الحمق يقال عقل الشيء عقلا واعقله غيره وعقل الجاهل اذا اعلم وعقل المريض بعد
عقول ولسان سؤول وقال صاحب كتاب العين العين ضد الجهل يقال عقلت البعير اعقله عقلا اذا شددت يده بالعقال والعقل مجموع
اهوج وعقل المعتوه ونحوه والعقال الرباط يقال عقلت البعير اعقله عقلا اذا شددت يده لانها يعقل عن القبيح وقيل
علوم لاجلها يمتنع الحي من كثير من المقبحات ويفعل كثيرا من الواجبات وانما سمي تلك العلوم عقلا لانها يعقل عن القبيح واما الاختيار فيعلم
لانها يعقل العلوم المكتسبة ولا يوصف القديم تعالى بانه عاقل لانه لا يعقله شيء عن فعل قبيح واما الاختيار
بقبحه وبانه غني عنه وبانه لا يكتسب علما ثبت بعض علومه بعض وقال عيسى بن علي العقل هو العلم الذي
يزجر عن قبيح الفعل ومن كان زاجره اقوى فهو اعقل وقيل العقل معرفة يفصل بها بين القبيح والحسن في الجملة
هو التمييز الذي فارق الانسان جميع الحيوان وهذه العبارات قريبة معاني بعضها من بعض والفرق بين العقل
والعلم ان العقل قد يكمل لمن فقده بعض العلوم ولا يكمل العالم فقد بعض عقله فان قيل اذا كان العقل مختلفا
فيه فكيف يجوز ان يشهد به قلنا ان الاختلاف في مهية العقل لا يوجب الاختلاف في قضاياه الاترى ان الاختلاف
فيما العقل حتى ان بعضهم قال معرفة وبعضهم قال غيره لا يوجب الاختلاف في ان المائة اكثر من واحد وان الكل
اعظم من الجزء وغير ذلك من قضايا العقول المعنى هذه الآية خطاب لعلماء اليهود وكانوا يقولون لاقربائهم من
المسلمين اثبتوا على ما انتم عليه ولا يؤمنون هم والالف للاستفهام ومعناه التوبيخ والمراد بالبر الايمان بمحمد صلى الله
عليه وآله وبخهم الله تعالى على ما كانوا يفعلون من امر الناس بالايمان وترك انفسهم عن ذلك وقال ابو مسلم كانوا
يامرون العرب بالايمان بمحمد اذا بعث فلما بعث كفروا به وروى عن ابن عباس ان المراد انهم كانوا يامرون اتباعهم
بالتمسك بالتوراة وتركوا هم التمسك به لان جحدهم النبي صلى الله عليه وآله وصفته فيه ترك للتمسك به وعن قتادة كانوا يامرون
الناس بطاعة الله وهم يخالفونه وروى انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله مررت ليلة اسري بي على
اناس تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت من هؤلاء يا جبرئيل قال هؤلاء خطباء من اهل الدنيا ممن كانوا
يامرون الناس بالبر وينسون انفسهم وقال بعضهم اتامرون الناس بالصدقة وتتركونها انتم واذا اتتكم الضعفاء
بالصدقة لتفرقوها على المساكين خنتم فيها وقوله وانتم تتلون الكتاب معناه وانتم تقرؤون التوراة وفيه صفته
ونعته عن ابن عباس وقوله افلا تعقلون اي افلا تفقهون ان ما يفعلونه قبيح في العقول وعن ابي مسلم معناه ان
هذا ليس بفعل من يعقل وقيل معناه افلا تعلمون ان الله يعذبكم ويعاقبكم على ذلك وقيل افلا تعلمون ان ما في
التوراة حق فتصدقوا محمدا وتتبعوه فان قيل اذا كان فعل البر واجبا فلم ذا وبخهم الله على الامر بالبر قلنا
لم يوبخهم الله تعالى على الامر بالبر وانما وبخهم على ترك فعل البر المضموم الى الامر بالبر لان ترك البر ممن يامر به اقبح
من تركه ممن لا يامر به كقول الشاعر لا تنه عن خلق وتاتي مثله عار عليك اذا فعلت عظيم ومعلوم انه لم يرد به النهي وهو
عن الخلق المذموم وانما نهى عن اتيانه مثله قوله عز وجل **واستعينوا بالصبر والصلوة وانها لكبيرة الا على الخاشعين**
٥ ٥ ٥ آية **اللغة** الصبر منع النفس محابها وكفها عن هواها ومنه الصبر على المصيبة لكف الصابر نفسه عن الجزع
ومنه جاء في الحديث وهو شهر الصبر لشهر رمضان لان الصائم يصبر نفسه ويكفها عما يفسد الصيام وقيل فلان صبرا وهو ان ينصب
للقتل ويحبس عليه حتى يقتل وكل من حبسته لقتل او يمين يقال فيه قتل صبرا ويمين صبر وصبرته اي حلفته بالله جهد القسم
وفي الحديث اقتلوا القاتل واصبروا الصابر وذلك فيمن امسكه حتى قتله آخر فامر بقتل القاتل وحبس الممسك والخنوع
والخضوع والتذلل والاخبات نظاير وضد الخشوع الاستكبار وخشع الرجل اذا رمى ببصره الى الارض واخشع اذا طاطا
راسه كالمتواضع والخشوع قريب المعنى من الخضوع الا ان الخضوع في البدن والاقرار في الاستخذاء والخشوع في الصوت والبصر قال سبحانه
الخضوع

خاشعة ابصارهم وخشعت الاصوات للرحمن اي سكنت واصل الباب من اللين والسهولة والخاشع المتواضع المتذلل
والمستكين وقال الشاعر لما اتى خبر الزبير تواضعت سور المدينة والجبال الخشع **الاعراب** قوله وانها لكبيرة اللام تدخل
في خبر ان ولا تدخل في خبر اخواتها لانها لام التاكيد فهي تشبه باب في انها تدخل في المبتدأ وخبره كما تدخل ان وتدخل
بمعنى القسم كما تدخل ان نقول والله لتخرجن كما تقول والله انك خارج فاذا كان بينهما هذه المجانسة فاذا دخلت على ان في نحو
لانها كبيرة كرهوا ان يجمعوا بين حرفين متشاكلين متفقين في المعنى فاخر اللام الى الخبر ليفصل بين اللام وبين ان بالاسم
نحو انها لكبيرة او بصفة قسما آخر فلا تدخل اللام عليه واذا لم تدخل عليه كان للكبيرة ان لا تدخل على خبره **النزول** قال الجبائي
انه خطاب للمسلمين دون اهل الكتاب وقال الرماني وغيره هو خطاب لاهل الكتاب ويتناول المؤمنين على وجه التبع
والاولى ان يكون خطابا لجميع المكلفين لفقد الدلالة على التخصيص ويؤيد قول من قال انه خطاب لاهل الكتاب
ما قبل الآية وما بعدها خطاب لهم **المعنى** من قال انها خطاب لليهود قال ان حب الرياسة كان يمنع رؤساء اليهود
عن اتباع النبي صلى الله عليه وآله لانهم خافوا زوال الرياسة اذا اتبعوه فامرهم الله تعالى فقال واستعينوا على الوفا
بعهدي الذي عاهدتكم في كتابكم عليه من طاعتي واتباع امري وترك ما نهيتكم عنه والتسليم لامري واتباع رسول
محمد بالصبر على ما انتم فيه من ضيق المعاش الذي تاخذون الاموال من عوامكم بسببه وروى عن ائمتنا عليهم السلام
ان المراد بالصبر الصوم فيكون فائدة الاستعانة به ان يذهب بالشره وهوى النفس فالصوم وجاء وفائدة
الاستعانة بالصلوة ان يتلى فيها ما يرغب فيما عند الله تعالى ويزهد في الدنيا وحب الرياسة كما قال سبحانه ان الصلوة
تنهى عن الفحشاء والمنكر ولانه يتضمن التواضع لله تعالى فينفي حب الرياسة وكان النبي صلى الله عليه وآله اذا حزبه
امر استعان بالصلوة والصوم ومن قال انه خطاب للمسلمين قال المراد به استعينوا على تنجز ما وعدته لمن اتبع
النبي صلى الله عليه وآله وعلى مشقة التكليف بالصبر اي بحبس النفس على الطاعات وحبسها عن المعاصي والشهوات
والصلوة لما فيها من تلاوة القرآن والتدبر لمعانيه والاتعاظ بمواعظه والايتمار باوامره والانزجار عن نواهيه
ووجه اخر انه ليس في افعال القلوب اعظم من الصبر ولا في افعال الجوارح اعظم من الصلوة فامر بالاستعانة بهما وروى
عن الصادق عليه السلام انه قال ما يمنع احدكم اذا دخل عليه غم من غموم الدنيا ان يتوضا ويدخل المسجد فيركع ركعتين يدعو الله فيهما
اما سمعت الله تعالى يقول واستعينوا بالصبر والصلوة وقوله تعالى وانها لكبيرة قيل في الضمير العايد في انها وجوه احدها
انه عايد الى الصلوة لانه الاغلب والافضل وهو قول اكثر المفسرين وعلى هذا ففي عود الضمير الى واحد وقد
تقدم ذكر اثنين قولان احدهما ان المراد به الصلوة دون غيرها وخصها بالذكر لقربها منه ولانها الاهم والافضل
ولتاكيد حالها ولتفخيم شانها وعموم فرضها والاخر ان المراد اثنان وان كان اللفظ واحدا ويشهد لذلك
قوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا
اليها والله ورسوله احق ان يرضوه وقول الشاعر ان شرخ الشباب والشعر الاسود ما لم يعاص كان جنونا
ولم يقل يعاصيا وقول الآخر فمن يك امسى بالمدينة رحله فاني وقيار بها لغريب وروى وقيار وقول الآخر
نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والراي مختلف وقول الآخر اما الوسامة او حسن النساء فقد اوتيت
منه او ان العقل محتنك والحذف كثير في الكلام وثانيها انه عايد الى الاستعانة يعني ان الاستعانة بهما لكبيرة
وقوله استعينوا يدل على الاستعانة ومثله قول الشاعر اذا نهي السفيه جرى اليه وخالف والسفيه الى خلاف
اي جرى الى السفه ودل السفيه على السفه وثالثها ان الضمير عايد الى محذوف وهو الاجابة الى النبي صلى الله عليه وآله عن الاصم او مواخذة
النفس بهما او تاديه ما تقدم او تاديه الصلوة وضرب من التحرز عن العاصم وهذه الخطاعن ابي مسلم وهذه الوجوه الاخيرة
كلها ضعيفة لانه لم يجر لها ذكر وقوله لكبيرة اي ثقيلة عن الحس وغيره والاصل فيه ان كلما يكبر يثقل على الانسان حمله فقد

فاقاسا به اخوات ان فتا تركب
مع المبتدا وخبره خروج المبتدا
من صورة المبتدا

لكل ما يصعب على النفس وان لم يكن من جهة الحمل كبر عليها تشبيها بذلك وقوله الا على الخاشعين اى على المتواضعين
لله تعالى وانما [illegible] وطنوا انفسهم على فعلها وعودوها اياها فلا يثقل عليهم وايضا فان المتواضع لا يبالى بزوال
الرياسة اذا حصل له الايمان وقال مجاهد اراد بالخاشعين المؤمنين واذا علموا ما يحصل لهم من الثواب بفعلها لم يثقل
عليهم ذلك كما ان الانسان يتجرع مرارة الدواء لما يرجوه من نيل الشفاء وقال الحسن اراد بالخاشعين الخائفين قوله عز وجل
الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون آية اللغة الظن المذكور في الآية بمعنى العلم واليقين كما قال دريد بن الصمة
فقلت لهم ظنوا بالفي مدجج سراتهم في الفارسي المسرد وقال ابو داود رب هم فرجته بعزيم وغيوب كشفتها بظنون
وقال المبرد ليس من كلام العرب الظن عند زيد مال لا بمعنى اعلم لان العلم المشاهد لا يناسب بالظن وقد افصح عن
ذلك اوس بن حجر في قوله الالمعي الذي يظن لك الظن كان قد راى وقد سمعا وقال آخر الا بانكم خير يقين فان الظن
ان الظن يصف او يريب وقال بعض المحققين اصل الظن ما يجول في النفس من الخاطر الذي يغلب على القلب
كانه حديث النفس بالشيء ويتاول جميع ما في القران من الظن بمعنى العلم على هذا والظن والشك والتجويز نظاير
الا ان الظن فيه قوة على احد امرين دون الاخر وحده ما قوي عند الظان كون المظنون على ما ظنه مع تجويزه
ان يكون على خلافه فبالتجويز ينفصل من العلم وبالقوة ينفصل من الشك والتقليد وغير ذلك وهو جنس الاعتقاد
عند ابي هاشم وجنس براسه سوى الاعتقاد عند ابي علي والقاضي واليه ذهب المرتضى قدس الله روحه وضد
الظن اليقين والظنين المتهم ومصدره الظنة والظنون الرجل السيء الظن بكل احد والظنون البير التي يظن ان لها
ماء ولا يكون ومظنة الرجل حيث يالفه ويكون فيه واصل الملاقاة الملاصقة من قولك التقى الختانان اذا تلاصقا
ثم كثر حتى قيل التقى الفارسان اذا تماديا وان لم يتلاصقا ويقال رجع الرجل ورجعته انا لازم ومتعد واصل الرجع
العود الى الحال الاولى الاعراب الذين يظنون في موضع الجر صفة للخاشعين وانهم بفتح الالف لا يجوز غيره لان
الظن فعل واقع على معنى انه متعد يتعلق بالغير فما يليه يكون مفعولا له وان مفتوحة الهمزة يكون مع الاسم والخبر
في تاويل اسم مفرد وهاهنا قد سد مسد مفعولي ظن ويكون المفعول الثاني مستغنى عنه بجري ذكره في الكلام عن مضمر كما ان
الفاعل في اقام الزيدان سد مسد الخبر لطول الكلام والاستغناء به عنه وهذا القول هو المختار عند ابي علي وفيه
قول آخر وهو ان مع الاسم والخبر في موضع المفعول الاول والمفعول الثاني مضمر محذوف لعلم المخاطب به كانه قال الذين
يظنون ملاقاة ربهم واقعة وحذفت النون من ملاقوا تخفيفا عند البصريين والمعنى على اثباتها فان المضاف اليه هاهنا
وان كان مجرورا في اللفظ فهو منصوب في المعنى فهي اضافة لفظية غير حقيقية ومثله قوله انا مرسلوا الناقة
وكل نفس ذائقة الموت قال الشاعر هل انت باعث دينار لحاجتنا او عبد رب اخا عون بن مخراق ولو اردت معنى
الماضي لتعرف الاسم ولم يجز فيه اظهار النون البتة وقوله وانهم اليه راجعون في موضع النصب عطفا على الاول
المعنى لما تقدم ذكر الخاشعين عن صفتهم فقال الذين يظنون اى يوقنون انهم ملاقوا ربهم وعليه [illegible] عن الحسن
ومجاهد وغيرهما ونظيره قوله اني ظننت اني ملاق حسابيه وقيل انه بمعنى الظن غير اليقين والمعنى انهم يظنون
انهم ملاقوا ربهم بذنوبهم لشدة اشفاقهم من الاقامة على معصية الله تعالى قال الرماني وفيه بعد لكثرة الحذف
وقيل الذين يظنون انقضاء آجالهم وسرعة موتهم فيكونون ابدا على حذر ووجل ولا يركنون الى الدنيا كما يقال لمن مات
لقي ربه ويدل على ان المراد بقوله ملاقوا ربهم ملاقون جزاء ربهم قوله في صفة المنافقين فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم
يلقونه ولا خلاف في ان المنافق لا يجوز ان يلقى ربه وكذلك قوله ولو ترى اذ وقفوا على ربهم قال اليس هذا بالحق
قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون وجاء في الحديث من حلف على مال امرئ مسلم كاذبا لقي الله يوم القيامة
وهو عليه غضبان وليس اللقاء من الرؤية في شيء تعالى الله [illegible] ولا يراد به ان يرى اشخاصا وانما يراد لقاء ما يسره
بما لك

41

وقوله وانهم اليه راجعون يقال هاهنا فما معنى الرجوع في الآية وهم ما كانوا قط في الآخرة فيعودوا اليها فجوابه من وجوه احدها
انهم راجعون بالاعادة في الآخرة عن ابي العالية وثانيها انهم يرجعون بالموت كما كانوا في الحال المتقدم لانهم كانوا امواتا
فاحيوا ثم يموتون فيرجعون امواتا كما كانوا وثالثها انهم يرجعون الى موضع لا يملك احد لهم ضرا ولا نفعا غيره
كما كانوا اول ما ابتدا الخلق لانهم في ايام حياتهم قد يملك غيرهم الحكم عليهم والتدبير لنفعهم وضرهم يبين ذلك قوله مالك يوم الدين
وتحقيق معنى الآية انهم يقرون بالنشاة الثانية فجعل رجوعهم بعد الموت الى المحشر رجوعا اليه قوله عز وجل يا بني اسرائيل
اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين آية المعنى قد مضى تفسير اول الآية فيما تقدم وقوله واني فضلتكم على العالمين قال ابن عباس
اراد به عالمي زمانهم لان امتنا افضل الامم بالاجماع كما ان نبينا عليه السلم افضل الانبياء بدليل قوله تعالى كنتم خير امة اخرجت
للناس وقيل المراد به تفضيلهم في اشياء مخصوصة وهي انزال المن والسلوى وما ارسل الله فيهم من الرسل وانزل
عليهم الكتب الى غير ذلك من النعم العظيمة من تغريق فرعون والآيات الكثيرة التي يخف معها الاستدلال ويسهل
بها المشاق وتفضيل الله اياهم في اشياء مخصوصة لا يوجب ان يكونوا افضل الناس على الاطلاق كما يقال حاتم
افضل الناس في السخاء ونظير هذه الآية قوله تعالى واذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب الى
قوله وانتم تنظرون فان قيل فما الفائدة في تكرار قوله يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت
عليكم قلنا الآية لما كانت نعمة الله هي الاصل فيما يجب شكره احتيج الى تاكيدها كما يقول القائل اذهب اذهب
عجل عجل وقيل ايضا ان التكرير للتذكير الاول ورد مجملا والثاني ورد مفصلا وقيل في الاول
انه ذكرهم بنعمه على انفسهم وفي الثاني ذكرهم على ابائهم قوله عز وجل واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا
ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون آية القراءة قراءة اهل مكة والبصرة ولا تقبل بالتاء والباقون بالياء
فلان التانيث في الاسم ليس لمؤذن الاسم الذي اسند اليه الفعل وهو الشفاعة مؤنث ومن قرأ بالياء فلان التانيث في الاسم
ليس بحقيقي فحمل على المعنى فذكر لان الشفاعة والشفع بمنزلة كما ان الوعظ والموعظة والصيحة والصوت كذلك وقد قال الله تعالى
فمن جاءه موعظة من ربه واخذ الذين ظلموا الصيحة وتقوى التذكير انه فصل بين الفعل والفاعل بقوله منها والتذكير حسن مع الفصل
كما يقال في التانيث الحقيقي حضر القاضي اليوم امراة اللغة الجزاء والمكافاة والمقابلة نظاير يقال جزى يجزي جزاء وجازاه مجازاة
وفلان ذو جزاء اي ذو غناء فكان قوله لا تجزي نفس عن نفس شيئا اي لا تقابل مكروهها بشيء يدرأه عنها ومنه الحديث
ان النبي عليه السلم قال لابي بردة في الجذعة التي امره ان يضحي بها ولا تجزي عن احد بعدك وقال عم البقرة تجزي عن سبعة اي
تقضي وتكفي وقال ابو عبيدة هو ماخوذ من قولهم جزى عني هذا الامر واما قولهم اجزأني الشيء اي كفاني فهمزه وقبول
الشيء هو تلقيه والاخذ به خلاف الاعراض ومن ثم قيل تجاه الشيء قبالته وقالوا اقبلت المكواة الداء اي جعلته قبالته
قال واقبلت افواه العروق المكاويا والقبول والانقياد والطاعة والاجابة نظاير ونقيضه الامتناع والشفاعة ماخوذة
من الشفع فكانه سؤال من الشفيع يشفع سؤال المشفوع له والشفاعة والوسيلة والقربة والوصلة نظاير والشفعة
في الدار وغيرها معروفة وانما سميت شفعة لان صاحبها يشفع ماله بها ويضمها الى ملكه والعدل والحق والانصاف
نظاير ونقيض العدل الجور والعدل المرضي من الناس الذكر والانثى والواحد والجمع فيه سواء والعدل الفدية في الآية
والفرق بين العدل والعدل ان العدل هو الشيء من جنسه والعدل هو بدل الشيء وقد يكون من غير جنسه قال سبحانه
او عدل ذلك صياما والنصر والمعونة والتقوية نظاير وفي الحديث انصر اخاك ظالما او مظلوما اي امنعه من الظلم
ان كان ظالما وامنع عنه الظلم ان كان مظلوما وانصار الرجل اعوانه ونصرت السماء اذا امطرت الاعراب يوما انتصاب
انتصاب المفعول لا انتصاب الظروف لان معناه اتقوا هذا اليوم واحذروه وليس معناه اتقوا في هذا
اليوم لان ذلك اليوم لا يؤمر فيه بالاتقاء انما يؤمر فيه من اجله وموضع لا تجزي نصب لانه صفة يوم والعائد الى الموصوف

فيه اختلاف ذهب سيبويه الى ان فيه حذفا وقياس الكلام اي لا تجزي فيه وقال آخرون لا يجوز اضمار فيه لانك لا تقول
هذا رجل قصدت او رغبت وانت تريد اليه او فيه وهو محمول على المفعول على السعة كانه قيل واتقوا يوما لا تجزيه
ثم حذف الهاء من الصفة كما يحذف من الصلة لما يستهام المناسبة ان الصفة تخصيص الموصوف كما ان
الصلة تخصيص الموصول ولا تعمل في الموصوف ولا تتسلط عليه كما لا تعمل الصفة في الموصوف ومن تبينها ان يكون
بعد الموصوف كما ان مرتبة الصلة ان يكون بعد الموصول وقد يلزم الصفة في اماكن كما يلزم الصلة وذلك اذا
لم يكن يعرف الموصوف الا بها ولا تعمل فيما قبل الموصوف كما لا تعمل الصلة فيما قبل الموصول فاذا كان كذلك
حسن الحذف من الصفة كما حسن من الصلة نحو قوله اهذا الذي بعث الله رسولا وقال الاخفش شيئا في
موضع المصدر كانه قال لا تجزي جزاء ولا تغني غناء وقال الرماني الاولى ان يكون صح شيئا في موضع حقا كانه قال لا يؤدي عنها حقا
وجب عليها وقوله لا تقبل منها شفاعة موضع هذه الجملة نصب بالعطف على الجملة التي هي وصف قبلها ومن ذهب
الى انه حذف الجار واوصل الفعل الى المفعول ثم حذف الراجع من الصفة كان مذهبه في لا تقبل ايضا مثله
فيما حذف منه الراجع الى الموصوف قول الشاعر وما شيء حميت بمستباح والضمير في منها عائد الى نفس
على اللفظ وفي قوله ولا هم ينصرون على المعنى لانه ليس المراد به المفرد فلذلك جمع **المعنى** لما بين سبحانه نعمه عليهم العظام
انذرهم في كفرانها يوم القيمة فقال واتقوا اي احذروا واخشوا يوما لا تجزي اي لا تغني ولا تقضي فيه نفس عن نفس
شيئا ولا تدفع عنها مكروها وقال الاودي لا تحمل احد حقا وجب على ابيه او اخيه وانما نكر النفس ليبين ان كل نفس فهذا
حكمه وهذا مثل قوله سبحانه واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا وقوله لا تقبل منها شفاعة
قال المفسرون حكم هذه الآية مختصا باليهود لانهم قالوا نحن اولاد الانبياء وآباؤنا سيشفعون لنا فآيسهم الله عن ذلك فخرج الكلام
مخرج العموم والمراد به الخصوص ويدل على ذلك ان الامة اجمعت على ان للنبي صلى الله عليه وآله شفاعة مخصوصة وان اختلفوا
في كيفيتها فعندنا هي مختصة بدفع المضار واسقاط العقاب عن مستحقيه من مذنبي المؤمنين وقال المعتزلة هي زيادة المنافع
للمطيعين والتائبين دون العاصين وهي ثابتة عندنا للنبي ولاصحابه المنتجبين وللائمة من اهل بيته الطاهرين ولصالحي المؤمنين
وينجي الله تعالى بشفاعتهم كثيرا من الخاطئين ويؤيده الخبر الذي تلقته الامة بالقبول وهو قوله ادخرت شفاعتي لاهل الكبائر
من امتي وما جاء في روايات اصحابنا رضي مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وآله انه قال اني اشفع يوم القيمة فاشفع ويشفع
علي فيشفع ويشفع اهل بيتي فيشفعون وان ادنى المؤمنين شفاعة ليشفع في اربعين من اخوانه كل قد استوجب
النار وقوله تعالى مخبرا عن الكفار عند حسراتهم على الفائت لهم مما حصل لاهل الايمان من الشفاعة فما لنا من شافعين
ولا صديق حميم وقوله ولا يؤخذ منها عدل اي فدية وانما سمي الفداء عدلا لانه يعادل المفدى ويماثله وهو
قول ابن عباس ومعناه لا يؤخذ منه فداء يكفر عن ذنوبه وقيل لا يؤخذ منه بدل لذنوبه واما ما جاء في الحديث
لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا فاختلف في معناه قال الحسن الصرف العمل والعدل الفدية وقال الاصمعي الصرف التطوع والعدل
الفريضة وقال ابو عبيدة الصرف العدل الفدية وقال الاصمعي التطوع والعدل الفريضة وقال ابو عبيدة الصرف الحيلة
والعدل الفدية وقال الكلبي الصرف الفدية والعدل رجل مكانه وقوله ولا هم ينصرون اي لا يعانون حتى ينجو
من العذاب وقيل ليس لهم ناصر ينتصر لهم من الله اذا عاقبهم قوله عز وجل **واذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب**
يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم آية **القراءة** في الشواذ قرا ابن محيصن يذبحون ابناءهم
الحجة قال ابن جني وجه ذلك ان فعلت بالتخفيف قد يكون فيه معنى التكثير وذلك لدلالة الفعل على مصدره فالمصدر
اسم الجنس وحسبك بالجنس سعة وعموما وانشد ابو الحسن انت الفداء لقبلة هدمتها ونقرتها بيديك كل منقر
فكانه قال ونقرتها بالات فوق كل منقر عليها ولما في الفعل من معنى المصدر الدال على الجنس لم يجز تثنيته وجمعه لاستحالة كل واحد حكم

من التنبيه والجمع في الجنس **اللغة** الانجاء والتنجية والتخليص واحد والنجاة السلامة والخلاص والتخلص واحد
ويقال للمكان المرتفع نجوة لان الصائر اليه يتخلص من كثير من المضار وفرق بعضهم بين الانجاء والتنجية فقال الانجاء
يستعمل في الخلاص قبل وقوعه في المهلكة والتنجية تستعمل في الخلاص بعد وقوعه في المهلكة والآل والاهل واحد
وقيل اصل آل اهل لان تصغيره اهيل وحكى الكسائي اويل فزعموا انها ابدلت كما قالوا هيهات وايهات وقيل
لا بل هو اصل بنفسه والفرق بين الآل والاهل ان الاهل اعم منه يقال اهل البصرة ولا يقال آل البصرة ويقال آل الرجل
قومه وكل من يؤول اليه بنسب او قرابة ماخوذ من الاول وهو الرجوع واهله كل من يضمه بيته ويقال آل الرجل قرابته
واهل بيته والآل العمر الواحد والآل الخيمة والآل الجبال اطراف الجبل ونواحيه وقال ابن دريد آل كل شيء شخصه وآل الرجل اهله
وقرابته قال الشاعر ولا بنك منا بعد ميت احبه وعباس وآل ابي بكر وقال ابو عبيدة سمعت اعرابيا فصيحا
يقول اهل مكة آل الله فقلنا ما تعني بذلك قال اليسوا مسلمين المسلمون آل الله قال وانما يقال آل فلان للرئيس
المتبع وفي شبه مكة لانها ام القرى ومثل فرعون في الضلال واتباع قومه فاذا جاوزت هذا فآل الرجل
اهل بيته خاصة فقلنا له اتقول لقبيلته آل فلان قال لا الا اهل بيته خاصة وفرعون اسم لملوك العمالقة كما يقال
لملك الروم قيصر ولملك الفرس كسرى ولملك الترك خاقان ولملك اليمن تبع فهو على هذا المعنى الصفة وقيل ان
اسم فرعون مصعب بن الريان وقال محمد بن اسحق هو الوليد بن مصعب يسومونكم يكلفونكم من قولهم سامه خطة
خسف اذا كلفه اياه وقيل يولونكم سوء العذاب وسامه خسفا اذا اولاه قال الشاعر ان سيم خسفا وجهه تربدا ولاه ذلك صح
وقيل يجشمونكم وقيل يعذبونكم واصل الباب السوم الذي هو ارسال الابل في المرعى وسوء العذاب واليم العذاب يجشمونكم
وشديد العقاب نظائر قال صاحب العين السوء اسم جامع للآفات والداء يقال سوءت فلانا
اسوءه ومساءة ومسائية واستاء فلان من السوء مثل اهتم من الهم والسوءة الفعلة القبيحة والسوءة الفرج والسوء
اسم كل عمل شين وتقول في النكرة رجل سوء كما تقول رجل صدق فاذا عرفت قلت الرجل السوء فلا يضيفه ولا تقول
الرجل الصدق وقوله بيضاء من غير سوء اي من غير برص والذبح والنحر والشق نظائر والذبح فري الاوداج والتذبيح
التكثير منه واصل الشق يقال ذبحت المسك اذا فتقته قال كان بين فكها والفك فارة مسك ذبحت في سك
والذبح الشيء المذبوح والذباح والذبحة بفتح الباء وتسكينها داء يصيب الانسان في حلقه ويستحيون اي يستبقون
ومنه قول النبي صلى الله عليه وآله اقتلوا شيوخ المشركين واستحيوا شرخهم اي استبقوا شبابهم والنسوة والنسوان والنساء
لا واحد لها في لفظها والبلاء والاحسان والنعمة نظائر في اللغة والبلاء يستعمل في الخير والشر قال سبحانه ونبلوكم
بالشر والخير فتنة والابلاء في الانعام قال وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا وقال زهير جزى الله بالاحسان ما فعلا
بكم وابلاهما خير البلاء الذي يبلو فالبلاء يكون بالانتقام كما يكون بالانعام واصل البلاء الامتحان والاختبار وقال
الاحنف البلاء ثم الثناء **الاعراب** العامل في اذ من قوله واذ نجيناكم قوله اذكروا من قوله يا بني اسرائيل
اذكروا نعمتي فهو عطف على ما تقدم وقوله يسومونكم يجوز ان يكون في موضع نصب على الحال من آل فرعون والعامل
فيه نجيناكم ويجوز ان يكون للاستئناف والابناء جمع ابن واصل ابن بنو بفتح الفاء والعين ويدل على ان الفاء كانت
مفتوحة قولهم في جمعه ابناء على وزن افعال وافعال الاصل ان يكون لفعل نحو جبل واجبال كما كان فعل بتسكين العين
ما بابه افعل نحو فرخ وافرخ والمحذوف من الابن الواو على ما قلناه لانها اثقل فهي بالحذف اولى والى هذا ذهب
الاخفش وابو علي الفسوي **المعنى** ثم فصل سبحانه في هذه الآية النعم التي اجملها فيما قبل فقال واذكروا واذ نجيناكم
اي خلصناكم من قوم فرعون واهل دينه يسومونكم يلزمونكم سوء العذاب وقيل يعذبونكم ويكلفونكم ويعذبونكم

والكل متقارب واختلفوا في العذاب الذي نجاهم الله تعالى منه فقال بعضهم ما ذكر في الآية من قوله
يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وهذا تفسيره وقيل ان المراد به ما كانوا يكلفونهم من الاعمال الشاقة فمنها انهم جعلوهم
اصنافا فصنف يخدمونهم وصنف يحرثون لهم ومن لا يصلح منهم للعمل ضربوا عليه الجزية وكانوا يذبحون ابناءهم ويستحيون
نساءهم مع ذلك في قوله تعالى في سورة ابرهيم يسومونكم سوء العذاب ويذبحون فعطفه على ذلك يدل على انه ويدل عطفه
غيره وقوله يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم معناه يقتلون ابناءكم ويستحيون نساءكم يستبقونهن ويدعوهن
احياء ليستعبدن وينكحن على وجه الاسترقاق وهذا اشد من الذبح وانما لم يقل بناتكم لانه سماهن بالاسم الذي
آلن اليه وقيل انما قال نساءكم على التغليب فانهم كانوا يستبقون الصغار والكبار ويقال انما قتل الرجال وان
كان فيهم صبيان ويجوز ايضا ان يقع اسم النساء على الصغار والكبار كالابناء قوله وفي ذلكم اي في سومكم العذاب
وذبح الابناء ابتلاء عظيم من ربكم لما خلى بينكم وبينه حتى فعل بكم هذه الافاعيل وقيل في نجاتكم من فرعون
وقومه نعمة عظيمة من الله عليكم القصة السبب في قتل الابناء ان فرعون راى في منامه كان نارا اقبلت من بيت
المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر فاحرقتها واحرقت القبط وتركت بني اسرائيل فهاله ذلك ودعا السحرة
والكهنة والقافة فسالهم عن رؤياه فقالوا انه يولد في بني اسرائيل غلام يكون على يده هلاكك وزوال ملكك
وتبديل دينك فامر فرعون بقتل كل غلام يولد في بني اسرائيل وجمع القوابل من اهل مملكته فقال لهن لا يسقط
على ايديكن غلام من بني اسرائيل الا قتل ولا جارية الا تركت ووكل بهن فكن يفعلن ذلك واسرع الموت في شيوخ
بني اسرائيل فدخل رؤس القبط على فرعون فقالوا ان الموت قد وقع في بني اسرائيل فتذبح صغارهم ويموت
كبارهم فيوشك ان يقع العمل علينا فامر فرعون ان يذبحوا سنة ويتركوا سنة فولد هرون في السنة التي لا يذبحون
فيها فترك وولد موسى في السنة التي يذبحون فيها قوله عز وجل وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون
وأنتم تنظرون آية القراءة في الشواذ قرأ الزهري وإذ فرّقنا مشددة قال ابن جني فرّقنا اشد توكيدا من فرقنا
معنى فرقنا بكم البحر جعلناه فرقا ومعنى فرّقنا شققنا بكم البحر اللغة الفرق هو الفصل بين شيئين اذا كانت بينهما فرجة
والفرق الطائفة من كل شيء من الماء اذا انفرق بعضه عن بعض فكل طائفة من ذلك فرق ومنه كان كل فرق كالطود العظيم
والفرق الخوف وفي الحديث ما اسكر الفرق فالجرعة منه حرام وهو مكيال يعرف بالمدينة والبحر سمي بحرا لاستبحاره
وهو سعته وانبساطه يقال استبحر في العلم تبحر فيه وتبحر الراعي اذا اتسع ومكث والباحر الاحمق الذي اذا كلم بقي كالمبهوت
والعرب تسمي الماء الملح عذبا والعذب بحرا اذا كثر ومنه قوله مرج البحرين يلتقيان الملح والعذب واصل الباب الاتساع
وانما الملح هو الذي لا يرى حافتيه من في وسطه لكثرة مائه وعظمه ودجلة بالاضافة الى السافية بحر وبالاضافة
الى دجلة ونحوها الميت بحر والغرق الرسوب في الماء والنجاة ضد الغرق كما انها ضد الهلاك واغرق في الامر اذا
جاوز الحد فيه واصله من نزع السهم حتى يخرج عن كبد القوس واغرورقت عينه شرقت بدمعها والنظر النظر بالعين
يقال نظرت الى كذا ونظرت في الكتاب وفي الامر وقول القائل انظر الى الله ثم اليك معناه التوقع لفضل الله ثم فضلك
ونظرته وانتظرته بمعنى واحد والنظر التفكر واصل الباب كله الاقبال نحو الشيء بوجه من الوجوه فالعين الاقبال نحو المبصر
والنظر بالقلب الاقبال بالفكر نحو المفكر فيه والنظر بالرحمة هو الاقبال بالرحمة وحقيقة النظر هو تقليب الحدقة
الصحيحة نحو المرئي طلبا لرؤيته المعنى ثم ذكر سبحانه نعمة اخرى فقال واذكروا اذ فرقنا بكم البحر اي فرقنا بين الماءين
حتى مررتم فيه فكنتم فرقا بينهما تمرون في طريق يبس وقيل معناه فرقنا البحر بدخولكم اياه فوقع كل فرقتين من البحر
طائفة منكم يكون طريقا يابسا فوقع الفرق بينكم وقيل فرقنا بكم اي بسببكم البحر لتمروا فيه فانجيناكم من البحر والغرق

43

وقوله واغرقنا آل فرعون ولم يذكر غرق فرعون لانه قد ذكر في مواضع كقوله فاغرقناه ومن معه فاختصر لدلالة الكلام عليه
لان الغرض مبني على اهلاك فرعون وقومه ونظيره قول القائل دخل جيش الامير البادية يكون الظاهر ان الامير معهم
ويجوز ان يريد بآل فرعون نفسه كقوله مما ترك آل موسى وآل هرون يعني موسى وهرون وقوله وانتم تنظرون معناه
وانتم تشاهدون انهم يغرقون وهذا ابلغ في الشماتة واظهار المعجزة وقيل معناه وانتم بمنظر ومشهد منهم حتى لو نظرتم
اليهم لامكنكم ذلك لانهم كانوا في شغل من ان يروهم كما تقول دور بني فلان تنظر الى دور بني فلان اي هي بازائها وبحيث
لو كان مكانها ما ينظر لامكن ان ينظر اليه وهو قول الزجاج وقريب مما قاله الفراء والاول اصح لانهم لم يكن لهم شغل
عن الرؤية لانهم كانوا قد جاوزوا البحر وتظاهرت اقوال المفسرين على ان اصحاب موسى عليه السلم راوا انفراق البحر والتطام
امواجه بآل فرعون حتى غرقوا فلا وجه للعدول عن الظاهر القصة وجملة قصة فرعون مع بني اسرائيل في البحر ما ذكره
ابن عباس ان الله تعالى اوحى الى موسى ان يسري ببني اسرائيل من مصر فسرى موسى ببني اسرائيل ليلا فاتبعهم فرعون
في الف الف حصان سوى الاناث وكان موسى في ستمائة الف وعشرين الفا فلما عاينهم فرعون قال ان هؤلاء
لشرذمة قليلون وانهم لنا لغائظون وانا لجميع حاذرون فسرى موسى ببني اسرائيل حتى هجموا على البحر فالتفتوا فاذا هم
برهج دواب فرعون قالوا يا موسى اوذينا من قبل ان تاتينا ومن بعد ما جئتنا هذا البحر امامنا وهذا فرعون
قد رهقنا بمن معه فقال موسى عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون فقال
له يوشع بن نون بم امرت قال امرت بان اضرب بعصاي البحر قال اضرب وكان الله اوحى الى البحر ان اطع موسى
اذا ضربك قال فبات البحر له افكل اي رعدة لا يدري في اي جوانبه يضربه فضرب بعصاه البحر فانفلق فظهر اثنا عشر
طريقا وكان لكل سبط منهم طريق ياخذون فيه فقالوا انا لا نسلك طريقا نديا فارسل الله ريح الصبا فجففت
الطريق كما قال فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا فجروا فيه فلما اخذوا في الطريق قال بعضهم لبعض ما لنا لا نرى اصحابنا
فقالوا لموسى اين اصحابنا فقال في طريق مثل طريقكم فقالوا لا نرضى حتى نراهم فقال موسى عليه السلم اللهم اعني على
اخلاقهم السيئة فاوحى الله اليه ان قل بعصاك هكذا يمينا وشمالا فاشار بعصاه يمينا وشمالا فظهر كالكوى ينظر
منها بعضهم الى بعض فلما انتهى فرعون الى ساحل البحر وكان على فرس حصان ادهم هاب دخول الماء فتمثل له جبريل
على فرس انثى وديق وتقحم البحر فلما رآها الحصان تقحم خلفها وتقحم قوم فرعون فلما خرج آخر من كان مع موسى
من البحر ودخل آخر من كان مع فرعون البحر اطبق الله عليهم الماء فغرقوا جميعا ونجى موسى ومن معه وهاهنا سؤال
على هذا وهو ان يقال كيف لم يعط الله كل نبي ما اعطى موسى من الآيات الباهرات لتكون الحجة اظهر والشبهة ابعد
والجواب ان الله تعالى نصب الاعلام الباهرة والمعجزات القاهرة لاستصلاح الخلق بحسب ما يرى لهم من الصلاح
وقد كان في قوم موسى من بلادة النفس وكلالة الحس ما لم يمكن معه الاستدلال بالآيات الخفية الا ترى انهم
لما عبروا البحر واتوا على قوم يعكفون على اصنام لهم قالوا بعدما شاهدوه من هذه الآيات اجعل لنا الها كما
لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون وكانت العرب امة سليمة بجودة القريحة وحدة الفطنة وذكاء الذهن وقوة
الفهم ما كان يمكن معهم الاستدلال بما يحتاج فيه الى التامل والتدبر والاستضاءة بنور العقل في التذكر
فجاءت آياتهم مشاكلة لطباعهم المتوقدة ومجانسة للتركيب في اذهانهم من الدقة والحدة على ان في جميعها من
الحجة الظاهرة والبينة الزاهرة ما ينفي خلاج الشك عن قلب الناظر المستبصر ويفضي به الى فضاء العلم اليقين ويوضح له
مناهج الصدق ويولجه الى الحق وما يستوي الاعمى والبصير ولا ينبئك مثل خبير قوله عز وجل وإذ واعدنا موسى
اربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون آية القراءة قرا اهل البصرة وابو جعفر هاهنا وعدنا بغير الف وفي الاعراف
وطه وقرا الباقون واعدنا بالالف وقرا ابن كثير وحفص والبرجمي ورويس اتخذتم واخذتم وما جاء منه باظهار الدال

ووافقهم الاعشى فيما كان على افعلت والباقون يدغمون **الحجة** حجة من قرا باثبات الالف انه لا يخلوا ان يكون وعدنا من
جرى من موسى وعد او لم يكن فان كان منه وعد فلا اشكال في وجوب القراءة بواعدنا وان لم يكن منه وعد فان
ما كان منه من قبول الوعد والتحري لا يتجاوز الوفاء به يقوم مقام الوعد فالقراءة بواعدنا لانه اشبع على
وعده وقبول موسى ولانه اذا احسن فحسن قوله بما اخلفوا الله ما وعدوه الاخبار بالوعد منهم لله تعالى كان هذا الاحسن
واعدنا ومن قرا وعدنا بغير الف قال هو اشد مطابقة للمعنى لان القبول ليس بوعد في الحقيقة اذ الوعد انما هو
اخبار الموعود بما يفعل به من خير فعلى هذا يكون قوله بما اخلفوا الله ما وعدوه مجازا حقيقته بما اخرج اليهم فاعلوه — الله
وقال بعضهم ان المواعدة في الحقيقة لا يكون الا بين البشر والله تعالى المنفرد بالوعد والوعيد كما قال وعد الله
الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات جنات واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم والقراتان جميعا قويتان
وحجة من ادغم الدال في التاء من اخذتم ان مخرج الدال قريب من مخرج التاء وحجة من لم يدغم ان مخرجيهما
متغايران **اللغة** الوعد والموعد والعدة والموعدة مصادر وعد تقول وعدته ووعدت يتعدى الى مفعولين
يجوز فيه الاقتصار على احدهما كاعطيت قال وواعدناكم جانب الطور الايمن فجانب مفعول ثان والعدة والوعد — قد
يكونان اسمين ايضا والوعد في الخير والوعيد في الشر ويجمع العدة على العدات ولا يجمع الوعد والموعد قد يكون — والموعد
موضعا ومصدرا ووقتا ومصدرا والميعاد لا يكون الا وقتا او موضعا وقد يقال وعدته في الشر النار وعدها
الذين كفروا واوعدته لا يكون الا في الشر والمكاره ويقال اوعدته في الشر النار وعدها الذين كفروا او
لا يكون الا في الشر والمكاره ويقال اوعدته بشر ولا يقال اوعدته الشر وحقيقة الوعد هو الخبر عن خير يناله
المخبر في المستقبل اوشر وموسى اسم مركب من اسمين بالقبطية فمو هو الماء وسى الشجر وسمي بذلك لان التابوت
الذي فيه موسى وجد عند الماء والشجر وجدته جواري آسية امراة فرعون وقد خرجن ليغتسلن في المكان الذي
وجد فيه على الساحل وهو موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عن
محمد بن اسحق بن يسار وانما قال اربعين ليلة ولم يقل اربعين يوما لان الليالي الاوائل على قول المبرد عني بذلك الم
اذا ذكرت الليالي دخلت فيها الايام واذا ذكرت الايام لا يدخل فيها الليالي والصحيح ان العرب كانت تراعي في حسابها
الشهور والايام الاهلة واول الشهر الليالي ولذلك ارخت بالليالي وغلبتها على الايام والعرب تذكر الليالي
عن الايام فتقول لعشر خلون ولخمس بقين جريا على الليالي والليلة الوقت من غروب الشمس الى طلوع الفجر الثاني
واليوم من طلوع الفجر الثاني الى غروب الشمس وليلة ليلاء اذا اشتدت ظلمتها وللواحد بصغر ليلية اخرجوا الياء الاخيرة
مخرجها في الليالي قال بعضهم اصل الليل ليلاة فقصر واحد افعل وفعلت فيه تخذت قال وقد تخذت رجلي
الى جنب غرزها نسيفا كافحوص القطاة المطرق قال ابو علي وليس يحدث من احدث لان الهمزة لا تبدل
من التاء ولا تبدل ايضا التاء والعجل البقرة الصغيرة يقال عجل وعجول وهو من العجلة لان قرابه كالعجل في الشيء
وقال بعضهم انما سمي عجلا لانهم عجلوا فاتخذوه الها قبل ان ياتيهم موسى **الاعراب** واذ واعدنا موسى اربعين ليلة
لا يجوز تعلق الاربعين بالوعد على ان يكون ظرفا او مفعولا ثانيا فلا يجوز ظرفا لان الوعد ليس فيها كلها
فيكون جوابا لكم ولا في بعضها فكان يكون جوابا لمتى وانما الوعد بمضي الاربعين فاذا لم يكن ظرفا كان انتصابه وقوعه
برفع المفعول الثاني والتقدير وعدنا موسى انقضاء اربعين ليلة او تمام اربعين ليلة فحذف المضاف كما تقول
اليوم خمسة عشر من الشهر اي تمام خمسة عشر فاما انتصاب اربعين في قوله فتم ميقات ربه اربعين ليلة فالميقات
هو الاربعين وانما هو ميقات وموعد فيكون كقولك تم القوم عشرين رجلا والمعنى تم القوم معدودين هذا
العدد وتم الميقات معدودا بهذا العدد ووضعوا الميقات في موضع الميعاد كما جاء الوقت موضع الوعد في

44

وضعف ثم هذا الوجه لانه فيه حمل القران على المجاز من غير ضرورة مع اشتهاره الى خبر انه اتى موسى الفرقان في قوله
ولقد اتينا موسى وهرون الفرقان وقوله لعلهم يهتدون اي يهتدوا به في التوراة من البشارة بمحمد صلى الله عليه
وآله وبيان صفته قوله عز وجل **واذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى**
بارئكم فاقتلوا انفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم آية **القراءة**
قرا ابو عمرو بارئكم ويامركم وينصركم باختلاس الحركة وروي عنه السكون ايضا والباقون بغير اختلاس ولا تخفيف
الحجة قال ابو علي حروف المعجم على ضربين ساكن ومتحرك والساكن على ضربين احدهما اصله السكون في الاستعمال
والاخر اصله الحركة فما اصله الحركة يسكن على ضربين احدهما ان يكون حركة بناء والاخر ان يكون حركة اعراب وحركة البناء
تسكن على ضربين احدهما ان يكون الحرف المسكن من كلمة مفردة نحو فخذ وسبع وابل وضرب وعلم في فخذ
وسبع وابل وضرب وعلم والاخر ان يكون بين كلمتين فيسكن على تشبيه المنفصل بالمتصل نحو قراءة من قرا ويخش الله
ويتقه ومنه قول العجاج فبات منتصبا وما تكردسا الا ان يعالي من سفه مثل كتف ومثل قول الشاعر
قالت سليمى اشتر لنا سويقا والاختلاف في تجويز اسكان حركة البناء في نحو ما ذكرنا من قول العرب والنحويين
ولما حركة الاعراب فتختلف في تجويز اسكانها فلا يجوز من حيث كان علما للاعراب اما سيبويه فيجوز ذلك
من الناس من يقول ان اسكانها
ولا يفصل بين القبيلين ويروي قول امرئ القيس فاليوم اشرب غير مستحقب اثما من الله ولا واغل وقول الاخر وقد
بدا هنك من المئزر وهذا النحو قول جرير سيروا بني العم فالاهواز منزلكم ونهر تيرى ولا تعرفكم العرب فشبه ما يدخل
المعرب بما يدخل على المبني كما شبهوا حركات البناء بحركات الاعراب فمن ثم ادغم نحو رد وفر وعض كما ادغموا
نحو يرد ويعض واعلم ان الحركات التي تكون للبناء والاعراب قد يستعملون في الضمة والكسرة منها الاختلاس
والتخفيف كما يستعملون الاشباع والتمطيط واما الفتح فليس فيها الا الاشباع فقط ولم يخفف نحو جمل كما خفف نحو
سبع وكيف وعلى هذا المذهب حمل سيبويه قول ابي عمرو والى بارئكم فذهب الى انه اختلس الحركة ولم يشبعها فظن
انه حرف متحرك فمن روى عن ابي عمرو الاسكان في هذا النحو فلعله سمعه يختلس فحسبه اسكانا لضعف الصوت
به والخفاء وعلى هذا قوله لا امركم وغيره **اللغة** البارئ هو الخالق الصانع وبرا الله الخلق براهم برءا اي خلقهم
قال امية ابن ابي الصلت الخالق البارئ المصور في الارحام ماء حتى يصير دما والفرق بين البارئ والخالق ان البارئ
هو المبدع المحدث والخالق هو المقدر الناقل من حال الى حال وبرئ وبرئ من المرض برءا فهو بارئ والبراءة
من العيب والمكروه ولا يقال منه الا برئ بالكسر وفاعله برئ ورجل براء وقوم براء واما قوله انا برءاء فهي جمع برئ
واصل الباب انفصال الشيء من الشيء ومنه برا الله الخلق اي فطرهم كانهم انفصلوا من العدم الى الوجود والبرية
فعيلة بمعنى مفعولة ولا تهمز كما لا يهمز ملك وان كان اصله الهمز وقيل البرية مشتقة من البرا وهو التراب
فلا تكون مهموزة وقيل ماخوذة من بريت العود فلذلك لم يهمز والقتل والذبح والموت نظائر والفرق بينهما
ان القتل نقض بنية الحيوة والذبح فري الاوداج والموت عند من اثبته معنى عرض يضاد الحيوة والقتل
العلح وجمعه اسال والقتال النفس وناقة ذات قتال اذا كانت وثيقة وقتلت الشيء علما اذا كانت وسعه
وقتلت الشيء علما اذا امتحنته وفي المثل قتلت ارض جاهلها وقتل ارضا عالمها **الاعراب** يا قوم القراءة
بكسر الميم وهو الاختيار لانه منادى مضاف والمنادى باب حذف فحذف الياء لانه حرف واحد وهو
في آخر الاسم كما ان التنوين في آخره وبقيت الكسرة تدل عليه ولما كانت ياء الاضافة في آخر الاسم كما ان التنوين في
آخره وبقيت الكسرة تدل عليه ولما كان ياء الاضافة يحذف في غير النداء لزم حذفه في النداء ويجوز في الكلام
اربعة اوجه يا قوم كما قرئ ولا يجوز غيره في القران لان القراءة سنة متبعة ويجوز يا قومي انكم باثبات الياء واسكانها

45

الى يوم الوقت المعلوم وفي موضع آخر واليوم الموعود وسمي ذلك قوله فتم ميقات ربه اربعين ليلة وفي الآية واذ واعدنا
اربعين ليلة وليلة منتصب على التمييز والتمييز للعدد والاصل في بيانات العدد ان تبين بذكر المعدود وانما انتصب
بالاسم التام الذي هو اربعون وهو مشبه بالكلام التام الذي ينتصب بعده ما يكون فضلة عنه ومعنى تمام الاسم
هاهنا تركيب هذه النون الذي يحدد معه فاشبه الجملة المركبة من فعل وفاعل معنى يقتضي المفعول وهو ذكر الفاعل
وفي الا لعدد ابهام يقتضي التفسير والبيان لعدد اي نوع من الانواع هو منتصب هذا المعنى ولذلك قال سيبويه
في هذا الضرب وهو تمام الاسم معنى يحجز بين الاسم الاول وما يجي بعد التمام فالنون في اربعين هو بمنزلة الفاعل
الذي يحجز ان ينسب الفعل الى المفعول بنسبه الى الفاعل فينتصب المفعول لذلك والنون تتم الاسم
الاول فينتصب الاسم الاول منتصب الاسم الذي بعده واما قوله اتخذتم فان اتخذت على ضربين احدهما يتعدى
الى مفعول واحد كقوله واتخذ واتخذ من دون الله آلهة وقوله ام اتخذ مما يخلق بنات والاخر يتعدى الى مفعولين
كقوله اتخذوا ايمانهم جنة فاتخذتموهم سخريا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء يلقون وقوله هم اتخذتم العجل
من بعده تقديره اتخذتم العجل الها فحذف المفعول الثاني لان من صاغ عجلا وعجلة لا يستحق الوعيد والغضب
من الله تعالى [المعنى] واذكروا اذ واعدنا موسى اربعين ليلة ان يؤتيه الالواح فيها التوراة والبيان والشفا
على راس اربعين ليلة او عند تمام اربعين ليلة وانما قلنا ان قوله اذكر مضمر فيه لان الله تعالى قال قبل هذا يا بني
اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم فاذها معطوفة على الآيات المتقدمة وهذه الاربعون ليلة هي التي
ذكرها الله عز وجل في سورة الاعراف فقال وواعدنا موسى ثلاثين ليلة واتممناها بعشر وهي ذو القعدة
وعشر من ذي الحجة قال المفسرون لما عاد بنو اسرائيل الى مصر بعد انجاهم من البحر وهلاك فرعون وقومه وعدهم
الله انزال التوراة والشرايع فخلف موسى عليه السلام اصحابه واستخلف عليهم هرون فمكث على الطور اربعين ليلة
وانزل الله التوراة في الالواح وقوله ثم اتخذتم العجل اي اتخذتموه الها لان نفس فعلهم لصورة العجل لا يكونون
ظالمين لان فعل ذلك ليس بمحظور وانما هو مكروه واما الخبر الذي روي انه عليه السلام لعن المصورين فالمراد به من شبه
الله بخلقه او اعتقد فيه انه صورة وقوله من بعده اي من بعد غيبة موسى وخروجه وقيل من بعد وعد الله
اياكم بالتوراة وقيل من بعد غرق فرعون وما رايتم من الآيات والكل محتمل وانتم ظالمون اي تضرون بانفسكم بما استحققتم
من العقاب على اتخاذكم العجل الها [القصة] روي عن ابن عباس قال كان السامري رجلا من آل ماجرمي قبل كان
اسمه ميخا وقال ابن عباس اسمه موسى بن ظفر وكان من قوم يعبدون البقر فكان حب عبادة البقر في نفسه
وكان قد اظهر الاسلام في بني اسرائيل فلما قصد موسى الى ربه وخلف هرون في بني اسرائيل قال هرون
لقومه لقد حملتم اوزارا من زينة القوم آل فرعون فتطهروا منها فانها نجس يعني انهم استعاروا من القبط حليا
واستبدوا بها فقال هرون طهروا انفسكم منها فانها نجسة واوقد لهم نارا فقال اقذفوا ما كان معكم فيها فجعلوا
ياتون بما كان معهم من تلك الامتعة والحلي فيقذفون فيها قال وكان السامري راى اثر فرس جبريل عليه السلام
فاخذ ترابا من اثر حافره ثم اقبل الى النار فقال لهرون يا نبي الله القي ما في يدي فقال نعم وهو لا يظن به ما
في يديه ويظن انه مما يجيء به غيره من الحلي والامتعة فقذفه فيها وقال كن عجلا جسدا له خوار فكان للبلاء
والفتنة فقال هذا الهكم واله موسى فعكفوا عليه واحبوه حبا لم يحبوا مثله شيئا قط قال ابن عباس فكان
البلاء والفتنة ولم يزد على هذا وقال الحسن صار لحما ودما وقال غيره لا يجوز ذلك لانه من معجزات الانبياء ومن
وافق الحسن قال ان القبضة من اثر الملك كان الله قد اجرى العادة بانها اذا طرحت على اي صورة كانت حييت
فليس ذلك بمعجزة اذ سبيل السامري فيه سبيل غيره ومن لم يجز ذلك قال انه حاول الخوار على ان السامري صاغ عجلا

واثباته ويجوز يا قومي باثبات الياء وتحريكها فهذه ثلثة اوجه في المضافات ويجوز يا قوم على انه منادى
مفرد واما قوله بالبيت قومي فان الياء تثبت فيه لم يحذف ما يوجب حذفه كالحق في النداء [المعنى] واذكروا
اذ قال موسى لقومه الذين عبدوا العجل عند رجوعه اليهم يا قوم انكم ظلمتم اي اضررتم بانفسكم ووضعتم العبادة في غير
موضعها باتخاذكم العجل معبودا او ظلمتم اياها بما فعلتم بها مما لم يكن لكم ان تفعلوا بما يستحق به العقاب وكذلك
كل من فعل فعلا يستحق به العقاب فهو ظالم لنفسه فتوبوا الى باريكم اي ارجعوا الى خالقكم ومنشئكم بالطاعة والتوبة
وجعل طاعتهم الندم مع العزم وقتل النفس جميعا وهنا اضمار واختصار فكانه لما قال لهم فتوبوا الى باريكم قالوا
كيف قال فاقتلوا انفسكم اي ليقتل بعضكم بعضا ليقتل البري المجرم عن ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وغيرهم
وهذا كقوله سبحانه فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم اي يسلم بعضكم على بعض وقيل معناه استسلموا للقتل وجعل
استسلامهم للقتل قتلا منهم لانفسهم على وجه التوسع عن ابي اسحق واختاره الجبائي واختلفوا في المامور بالقتل
فروي ان موسى امرهم ان يقوموا صفين فاغتسلوا ولبسوا اكفانهم وجاء هرون باثني عشر الفا ممن لم يعبد العجل ومعهم الشفار
المرهفة فلما قتلوا سبعين الفا تاب الله عليهم على المسلمين وجعل قتل الماضين شهادة لهم وقيل السبعين الذين
كانوا مع موسى في الطور هم الذين قتلوا من عبد العجل سبعين الفا وقيل انهم قاموا صفين فجعل يطعن بعضهم
بعضا الى ان انجلت الظلمة واجاما عن سبعين الف قتيل وروي ان موسى وهرون وقفا يدعوان الله ويتضرعان اليه
وهم يقتل بعضهم بعضا حتى نزل الوحي بقبول التوبة فرفع القتل وقبلت توبة من بقي وذكر ابن جريج ان السبب في امرهم بقتل انفسهم
ان الله تعالى علم ان ناسا منهم ممن لم يعبد العجل لم ينكروا عليهم ذلك مخافة القتال مع علمهم بان العجل باطل فلذلك
ابتلاهم الله بان يقتل بعضهم بعضا وانما امتحنهم الله تعالى بهذه المحنة العظيمة لكفرهم بعد الدلالات والآيات
العظام وقال الرماني لا بد ان يكون في الامر بالقتل لطف لهم ولغيرهم كما يكون في استسلام القاتل لطف لهم ولغيره
فان قيل كيف يكون في قتلهم نفوسهم لطف ولا تكليف عليهم بعد القتل واللطف لا يكون لطفا فيما مضى ولا فيما
يقارنه فالجواب ان القوم اذا كلفوا بان يقتلوا بعضهم بعضا فكل واحد منهم يقصد قتل غيره ويجوز ان يبقى بعده
فيكون القتل لطفا فيما بعده ولو كان بمقدار زمان يفعل فيه واجبا واحدا او يمتنع من قبيح وهذا كما نقول في عبادتنا
بقتال المشركين وان الله تعبدنا بان نقاتل حتى نقتل ومن حمله على ذلك ولذلك روى اهل السير ان الذين عبدوا
العجل تعبدوا بان يصبروا على القتل حتى يقتل بعضهم بعضا فكان القتل شهادة لمن قتل وتوبة لمن بقي وانما كانت
تكون شبهة لو امروا بان يقتلوا انفسهم بالجراح الذي يفضي الى الموت وان لم يزل معها العقل فيبقى في التكليف
واما على القول الاخر فهو انهم امروا بالاستسلام للقتل والصبر عليه فلا مسئلة لانهم ما امروا ان يقتلوا نفوسهم
فعلى هذا يكون قتلهم حسنا لانه لو كان قبيحا لما امروا بالاستسلام له ولذلك لا نقول لا يجوز ان يتعبد نبي ولا
امام بان يستسلم للقتل مع قدرته على الدفع عن نفسه فلا يدفع لان في ذلك استسلاما للقبيح مع القدرة
على دفعه وذلك لا يجوز وانما كان يقبح قتل الانبياء والائمة على وجه الظلم وارتفاع التمكن من المنع غير انه
لا يمتنع ان يتعبد بالصبر على الدفاع وتحمل المشقة في ذلك وان كان القتل غير ظلم والقتل وان كان قبيحا بحكم العقل
فهو مما يجوز تغيره بان يصير حسنا لانه جار مجرى سائر الآلام وليس يجري ذلك مجرى الجهل والكذب في انه لا يصير
حسنا قط ووجه الحسن في الحث على القتل انه لطف على ما قلناه وايضا فكما يجوز من الله تعالى ان يميت الحي كذلك
يجوز ان يامر باماتته ويعوضه على الالام التي يدخل عليه ويكون فيه لطف على ما ذكرناه وقوله ذلكم خير لكم عند باريكم
مع القتل لانفسهم عند ما امرهم الله به بدلا لان قوله فتوبوا الى باريكم فاقتلوا انفسكم فقوله فتوبوا دال على التوبة
فكانها منكرة وقوله فاقتلوا دال على القتل فكانه قال ان التوبة وقتل النفس في رضا الله كما امركم به وان كان

جسدا وجعل فيه خروقا فاذا دخل الريح فيه خرج منها صوت كالخوار ودعاهم الى عبادته فاجابوه وعبدوه عن
ابي علي الجبائي قوله عز وجل ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون آية اللغة العفو الصفح والمغفرة عشر
والتجاوز وقال ابن الانباري معنى اسم الله تعالى عفو محى الله عنك ماخوذ من قولهم عفت الريح الاثر اذا درسته
ومحته فعفو الله محو الذنوب عن العباد وقال الرماني اصل العفو الترك ومنه قوله فمن عفي له من اخيه اي ترك
فالعفو ترك العقوبة والعفو احل المال واطيبه والعفو المعروف والعفاة والمعتفون طلاب المعروف
والعافية من الدواب والطير طلاب الرزق ومنه الحديث من غرس شجرة مثمرة فما اكلت العافية منها فله
صدقة والعافية دفاع الله تعالى عن العبد والعفاء التراب قال زهير على آثارهن ذهب العفاء والشكر
الاعتراف بالنعمة مع ضرب من التعظيم قال الرماني هو الاظهار للنعمة المعنى ثم عفونا عنكم اي صفحنا عنكم العقاب
الذي استحققتموه بقبول توبتكم من عبادة العجل من بعد ذلك اي من بعد اتخاذكم اياه الها وقيل معناه
تركنا معاجلتكم بالعقاب من بعد اتخاذكم العجل الها لعلكم تشكرون لكي تشكروا الله على عفوه عنكم وسابغ
نعمه عليكم وقيل معناه التعريض اي عرضناكم للشكر وفي هذه الآية دلالة على وجوب شكر النعمة وعلى ان العفو
عن الذنب بعد التوبة نعمة من الله تعالى على عباده ليشكروه ومعنى قولنا في الله انه غفور شكور انه يجازي العبد
على طاعته ايسر غير منتقص شيئا من حقه فجعل المجازاة على الطاعة شكرا في مجاز اللغة ولا يستحق الانسان الشكر
على نفسه لانه لا يكون منعما على نفسه فالنعمة تقتضي منعما عليه غير المنعم كما ان القرض يقتضي مستقرضا غير المقرض وقد
يصح ان يحسن الانسان الى نفسه كما يصح ان يسيء اليها لان الاحسان النفع الحسن واذا فعل بها فعلا حسنا ينتفع به
كان محسنا اليها بذلك الفعل واذا فعل بها فعلا قبيحا يستضر به كان مسيئا اليها ولا يستحق الكافر الشكر على الوجه
الذي يستحقه المؤمن لان المؤمن يستحق الشكر على وجه الاجلال والاعظام والكافر لا يستحقه كذلك وانما يجب
له مكافاة نعمته كما يجب قضاء دينه على وجه الخروج منه اليه ومن غير تعظيم له والفرق بين الشكر والمكافاة ان المكافاة
من التكافي وهو التساوي وليس كذلك الشكر فهي المكافاة للنعمة ولا يدل على انه قد استوفى حقها وقد يكون
الشكر مقصرا بعينها وان كان ليس على المنعم عليه اكثر منه الا انه كلما ازداد الشكر حسن الازدياد وان لم يكن واجبا
لان الواجب لا يكون الا مساويا لها وذلك كالشكر لنعمة الله تعالى لو استكثر غاية الاستكثار لم يكن لينتهي الى حد لا يجوز
له الازدياد لعظم نعمة الله سبحانه وصغر شكر العبد قوله عز وجل واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم
تهتدون آية اللغة الفرقان مصدر فرقت بين الشيئين افرق فرقا وفرقانا وسمي كل فارق
فرقانا كما سمي كتاب الله الفرقان لفصله بين الحق والباطل وسمى الله تعالى يوم بدر فرقانا بالآية فرق ذلك اليوم
بين الحق والباطل وقال ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا اي تفرق بينكم وبين ذنوبكم المعنى اذكروا اذ آتينا اي اعطينا
موسى الكتاب هو التوراة والفرقان اختلفوا فيه على وجوه احدها قول ابن عباس ان المراد التوراة ايضا وانما عطف
عليه لاختلاف اللفظ كقول عنترة اقوى واقفر بعد ام الهيثم وقال عدي بن زيد وقددت الاديم لراهشيه والفى
قولها كذبا ومينا والمين الكذب وثانيها ان الكتاب عبارة عن التوراة والفرقان انفراق البحر الذي اتاه موسى
وثالثها ان المراد بالفرقان الفرق بين الحلال والحرام والفرق بين موسى واصحابه المؤمنين وبين فرعون واصحابه
الكافرين باشياء كثيرة ومنها انه نجى هؤلاء واغرق هؤلاء عن ابن زيد ورابعها ان المراد بالفرقان القرآن ويكون تقديره
واتينا موسى التوراة واتينا محمدا الفرقان فحذف ما حذف لدلالة ما ابقاه عليه كما حذف الشاعر في قوله تراه
كان الله يجدع انفه وعينيه ان مولاه كان له وفر يريد ويفقأ عينيه لان الجدع لا يكون للعين فاكتفى
بجدع عن يفقأ وقال آخر يا ليت بعلك قد غدا متقلدا سيفا ورمحا اراد وحاملا رمحا وهو قول الفراء وقطرب وثعلب

فيه منفعة عظيمة خير لكم عند خالقكم من ابقاء الحياة الدنيا لان الحياة الدنيا لا تبقى بل تفنى وتحصلون بعد الموت على عذاب شديد
واذا قتلتم انفسكم كما امركم الله زالت منفعة القتل عن قريب وبقيتم في نعيم دائم لا يزول ولا ينفد وكرر ذكر باريكم تعظيما لما اتوه
مع كونه خالقا لهم قوله فتاب عليكم هنا اضمار تقديره ففعلتم ما امرتم به فتاب عليكم او فقتلتم انفسكم فتاب عليكم اي قبل توبتكم
انه هو التواب اي القابل التوبة عن عباده مرة بعد مرة وقيل معناه قابل التوبة عن الذنوب العظام الرحيم بكم اذ انجاكم
ويدخلكم الجنة وفي هذه الآية دلالة على انه يجوز ان يشترط في التوبة سوى الندم ما لا تصح التوبة الا به كما امروا بالقتل
قوله عز وجل واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتكم الصاعقة وانتم تنظرون آية
اللغة لن نؤمن لك اي لن نصدقك تقول آمن به وآمن له قال الله تعالى قال فرعون آمنتم به وفي موضع آخر آمنتم له والرؤية
الادراك بالبصر ثم تستعمل بمعنى العلم يقال رأى ببصره رؤية ورأى في الرأي رأيا ورأيت رؤيا حسنة والرواء المنظر في البهاء
والمرآة التي ينظر فيها وجمعها المراءي وتراءيت بالمرآة اذا نظرت فيها وجاء في الحديث لا يترائى احدكم بالماء اي لا ينظر فيه
وتراءى القوم اذا رأى بعضهم بعضا وتراءى فلان لفلان اذا تصدى له ليراه ويحذفون الهمزة من رأيت في كل كلمة رأوها
ساكنة يقول رأيت أرى والاصل أرأى وأريته فلانا أريه فانا أري وانا مري والاصل أرئيه وأرأيته واثبتوها
في موضعين مرأى وأرأيت الناقة وأرأت اذا عرف في لون ضرعها انها قد قربت والرئي حسن الشارة والهيئة قال جرير وكل
قوم لهم رئي ومخبر والجهرة العلانية والجهر والجهرة والعلانية والمعاينة نظائر يقال جهر بكلامه وبقراءته جهرا اذا
اعلن ورجل جهير الصوت وكلام جهير وصوت جهير اي عال والفعل منه جهر جهارة وجهر في الرجل اي راعني جماله
وضد الجهر السر واصل الباب الظهور وحقيقة الجهر ظهور الشيء معاينة والفرق بين الجهرة والمعاينة ان المعاينة ترجع الى
حال المدرك والجهرة ترجع الى حال المدرك وقد تكون الرؤية غير جهرة كالرؤية في النوم والرؤية بالقلب فاذا قلت جهرة
لم يكن الا رؤية العين على التحقيق والصاعقة على ثلاثة اوجه احدها نار تسقط من السماء لقوله ويرسل الصواعق فيصيب بها
من يشاء والثاني الموت لقوله وصعق من في السموات وقوله فاخذتكم الصاعقة والثالث العذاب في قوله انذرتكم
صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود الاعراب حتى نرى بمعنى الى وهي الجارة للاسم وانتصب نرى بعدها باضمار ان كما ينتصب الفعل
بعد اللام باضمار ان وان مع الفعل في تأويل المصدر في موضع الجر ثم ان الجار والمجرور في موضع نصب
بانه مفعول لن نؤمن وجهرة مصدر وضع موضع الحال المعنى واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك اي لن نصدقك
في قولك انك نبي مبعوث حتى نرى الله جهرة اي علانية فيخبرنا بانك نبي مبعوث وقيل معناه انا لا نصدقك
فيما تخبر به من صفات الله تعالى وما يجوز عليه وما لا يجوز عليه حتى نرى الله جهرة وعيانا فيخبرنا بذلك وقيل انه
لما جاءهم بالالواح وفيها التوراة قالوا لن نؤمن بان هذا من عند الله حتى نراه عيانا وقال بعضهم ان قوله جهرة
صفة لخطابهم لموسى انهم جهروا به واعلنوه وتقديره اذ قلتم جهرة لن نؤمن لك حتى نرى الله والاول اقوى فاخذتكم
الصاعقة اي الموت وانتم تنظرون الى اسباب الموت وقيل الى النار وانما قرع الله اليهود بسؤال اسلافهم الرؤية
من حيث انهم سلكوا طريقتهم في المخالفة للنبي الذي لزمهم اتباعه والتصديق بجميع ما اتى به فجروا على عادة اسلافهم
الذين كانوا يسألون تارة نبيهم ان يجعل لهم الها غير الله ومن بعد ذلك العجل من دون الله وطورا يقولون لن نؤمن لك
حتى نرى الله واستدل ابو القاسم البلخي بهذه الآية على ان الرؤية لا تجوز على الله وكونوا يقولون لن نؤمن لك حتى نرى
الله قال لانها انكار تضمن امرين ردهم على نبيهم وتجويزهم الرؤية على ربهم ويؤيد ذلك قوله فقد سألوا موسى اكبر
من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة فدل ذلك على ان المراد انكار الامرين ويدل هذه الآية ايضا على ان قول موسى رب
ارني انظر اليك كان سؤالا لقومه لانه لا خلاف بين اهل التوراة ان موسى لم يسأل الرؤية الا دفعة واحدة
وهي التي سألها لقومه قوله عز وجل ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون آية اللغة البعث اثارة الشيء

من محله ومنه يقال بعث فلان راحلته اذا اثارها من منزلها للسير وبعثت فلانا بحاجتي اذا انفذته من مكان الذي هو فيه
للتوجه اليها ومنه يقال ليوم القيمة يوم البعث لانه يوم يثار الناس فيه من قبورهم ليوم الحساب وبعثه من نومه فانبعث
اي نبهه فانتبه والبعث الجيش يبعثون الى وجه او في امر واصل البعث الارسال المعنى ثم بعثناكم اي احييناكم من بعد
موتكم لاستكمال آجالكم عن الحسن وقتادة وقيل انهم سالوا بعد الاحياء ان يبعثوا انبياء اي بعثهم انبياء عن السدي
فيكون معناه بعثناكم انبياء واجمع المفسرون الا شرذمة يسيرة ان الله تعالى لم يكن امات موسى عم كما امات قومه ولكن
غشي عليه بدليل قوله فلما افاق قال سبحانك تبت اليك والافاقة انما تكون من الغشيان وقوله لعلكم تشكرون اي لكي تشكروا
الله تعالى على نعمه التي منها رده الحياة اليكم وفي هذا اثبات معجز نبينا صلى الله عليه وآله واحتجاج على مشركي العرب الذين
كانوا غير مؤمنين بالبعث لانه كان يذكرهم اخبار الذين بعثهم الله تعالى في الدنيا وكان يوافقه على ذلك من يجالسه من اهل
الكتاب من اليهود والنصارى ويجب ان يكون هؤلاء القوم وان اماتهم الله سبحانه ثم احياهم غير مضطرين الى معرفة الله عند
موتهم وكما يضطر الواحد منا الى معرفته عند الموت بل لان الله اعادهم الى التكليف والمعرفة في دار التكليف لا تكون
ضرورية بل تكون مكتسبة ولكن موتهم انما كان في حكم النوم فاذهب الله سبحانه عنهم الروح من غير ان شاهدوا منهم
لاحوال الآخرة وليس في الاحياء بعد الاماتة ما يوجب الاضطرار الى المعرفة لان العلم بان الاحياء بعد الاماتة لا يقدر
عليه غير الله تعالى طريقه الدليل وليس الاحياء بعد الاماتة الا كالانتباه بعد النوم والافاقة بعد الاغماء في
ان ذلك لا يوجب علم الاضطرار واستدل قوم من اصحابنا بهذه الآية على جواز الرجعة وقول من قال ان الرجعة لا تجوز
الا في زمن نبي ليكون معجزة ودلالة على نبوته باطل لان عندنا بل عند اكثر الامة يجوز اظهار المعجزات على ايدي الائمة
والاولياء والادلة على ذلك مذكورة في كتب الاصول وقال ابو القاسم البلخي لا يجوز الرجعة مع الاعلام بها لان فيها
اغراء بالمعاصي من جهة الاتكال على التوبة في الكرة الثانية وجوابه ان من يقول بالرجعة لا يذهب الى ان الناس كلهم يرجعون
فيصير اغراء بان يقع الاتكال على التوبة فيها بل لا احد من المكلفين الا ويجوز ان لا يرجع وذلك يكفي في باب الزجر قوله عز وجل
وظللنا عليكم الغمام وانزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون
آية اللغة الظلة والغمامة والسترة نظاير يقال اظله اظلالا والظل ضد الضح ونقيضه وظل الشجرة سترها ولا ازال الله
عنا ظل فلان اي ستره ويقال للسواد الليل ظل لانه يستر الاشياء قال الله تعالى الم تر الى ربك كيف مد الظل والغمام السحاب
يقال للقطعة منها غمامة وانما سمي غماما لانه يغم السماء اي يسترها وكلما ستر شيئا فقد غمه وقيل ما هو ابيض من السحاب والغمة
الغطاء على القلب من الغم وقيل قالت في غمة من امره اذا لم يهتد له والمن الاحسان الامن لا يستثيبه والاسم المنة
والله تعالى هو المنان علينا والرحيم بنا والمن قطع الخير ومنه اجر غير ممنون اي غير مقطوع والمنة قوة القلب وفلان
ضعيف المنة واصل الباب الاحسان والمن الذي كان يسقط على بني اسرائيل هو مما من الله عليهم اي احسن به اليهم
والسلوى طاير كالسماني قال الاخفش هو الواحد والجمع كقولهم دفلى وقال الخليل واحده سلواه وقال بعض السلوة
من تلك الطير قال الزجاج غلط خالد بن زهير في قوله وقاسمها بالله جهدا لانتم الذ من السلوى اذا ما نشورها فظن
ان السلوى العسل وانما هو طاير وقال ابو علي الفارسي وقرت في مصنفات عبيد انه العسل قال والذي عندي فيه ان السلوى
كانه مما يسلي عن غيره لفضيلته فيه من فرط طيبه او قلة معاناة وعلاج في اصابته فالعسل لا يمتنع ان يسمى سلوى من جميع
الامرين كما يسمى الطاير الذي كان يسقط مع المن به ويقال سلا فلان عن فلان يسلو سلوا اذا تسلى عنه وفلان
في سلوة من العيش اذا كان في رغد يسليه الهم والسلوان ماء من شربه ذهب همه فيما زعموا قال الراجز لو اشرب السلوان
ما سليت الاعراب موضع كلوا النصب بحذف وكانه قال وقلنا لهم كلوا وموضع السلوى نصب لانه معطوف على المن و
وما ظلمونا انما يتصل بما قبله بتقدير محذوف كانه قال فخالفوا ما امروا به وكفروا بهذه النعم وما ظلمونا المعنى وظللنا عليكم

الغمام اي جعلنا لكم الغمام ظلة وسترة تقيكم حر الشمس في التيه عن جماعة المفسرين وانزلنا عليكم المن فيه وجوه احدها
ان المن الذي يعرفه الناس يسقط على الشجر عن ابن عباس وثانيها انه شيء كالصمغ كان يقع على الاشجار طعمه كالشهد
والعسل عن مجاهد وثالثها انه الخبز المرقق عن وهب ورابعها انه جميع النعم التي انعم الله تعالى به عليهم مما لا تعب
فيه ولا نصب وروي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال الكماة من المن والسلوى قيل هو السماني وقيل هو طاير ابيض
يشبه السماني عن ابن عباس وقوله كلوا من طيبات ما رزقناكم معناه قلنا لهم كلوا من الشيء اللذيذ وقيل من
المباح الحلال وقيل المباح الذي يستلذ اكله الذي رزقناكم اعطيناكم وجعلناه رزقا لكم وقوله وما ظلمونا اي
فكفروا هذه النعمة وما نقصونا بكفرانهم انعمنا ولكن كانوا انفسهم ينقصون وقيل معناه وما ضرونا ولكن
كانوا انفسهم يضرون وهذا يدل على ان الله تعالى لا ينفعه طاعة من اطاعه ولا يضره معصية من عصاه وانما
يعود منفعة الطاعة الى المطيع ومضرة المعصية الى العاصي القصة وكان سبب انزال المن والسلوى عليهم
انه لما ابتلاهم الله تعالى بالتيه اذ قالوا لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون حين امرهم بالمسير
الى بيت المقدس وحرب العمالقة بقوله ادخلوا الارض المقدسة فوقعوا في التيه صاروا كلما ساروا تاهوا في قدر
خمسة فراسخ او ستة فكلما اصبحوا ساروا غادين فامسوا فاذا هم في مكانهم الذي ارتحلوا منه كذلك حتى تمت المدة
وبقوا فيها اربعين سنة وفي التيه توفي موسى وهرون ثم خرج يوشع بن نون وقيل كان الله تعالى يرد الجانب
الذي انتهوا اليه من الارض الى الجانب الذي ساروا منه فكانوا يضلون عن الطريق لانهم كانوا خلقا عظيما فلا يجوز
ان يضلوا كلهم عن الطريق في هذه المدة المديدة في هذا المقدار من الارض ولما حصلوا في التيه ندموا على ما فعلوا
فالطف الله بهم بالغمام لما شكوا حر الشمس وكان ينزل عليهم المن والسلوى فكان يسقط عليهم المن من طلوع الفجر الى
طلوع الشمس فكانوا ياخذون منها ما يكفيهم ليومهم وقال الصادق عليه السلم كان ينزل المن على بني اسرائيل من بعد الفجر
الى طلوع الشمس فمن نام في ذلك الوقت لم ينزل نصيبه فلذلك يكره النوم في هذا الوقت الى طلوع الشمس قال ابن
جريج وكان الرجل منهم ان اخذ من المن والسلوى زيادة على طعام يوم واحد فسد الا يوم الجمعة فانهم اذا اخذوا
طعام يومين لم يفسد وكانوا ياخذون منها ما يكفيهم ليوم الجمعة والسبت لانه كان لا ياتيهم يوم السبت وكانوا يخبزون
مثل القرصة ويوجد له طعم كالشهد المعجون بالسمن وكان الله تعالى يبعث لهم السحاب بالنهار فيدفع عنهم حر الشمس وكان ينزل
عليهم بالليل عمود من نور يضيء لهم مكان السراج واذا ولد فيهم مولود يكون عليه ثوب يطول بطوله كالجلد قوله عز وجل
واذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة
نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين آية القراءة قرا ابو جعفر ونافع يغفر لكم بالياء مضمومة وقرا ابن عامر
تغفر بالتاء مضمومة وقرا الباقون نغفر لكم بالنون وهو الاختيار لانه اشبه بما تقدم من قوله وظللنا وانزلنا ولان
اكثر القراء عليه واجمع القراء على اظهار الراء عند اللام الا ما روي عن ابي عمرو في رواية اليزيدي الاستحاذة من
ادغام الراء في اللام واتفق القراء على خطاياكم هنا واختلفوا في الاعراف ونوح فقرا بعضهم هناك خطيئاتكم
وذلك لان الستر في الاعراف ونوح كتبتا في المصحف بغير الف وهنا كتبت بالالف اللغة الدخول والولوج
والاقتحام نظاير والفرق بين الدخول والاقتحام ان الاقتحام دخول على صعوبة وفي الامر دخل اي فساد ودخل
امره اذا فسد وفلان دخيل في بني فلان اذا كان من غيرهم والملعقة على دخل اخرى اذا اسسه مكنونك وفلان
مدخول اذا كان في عقله او حسبه دخل والقرية والبلد والمدينة نظاير وقال ابو العباس اصله الجمع وقريت الماء
في الحوض اقريه قريا وقريت الضيف اقريه قرى والمقراة الجفنة التي يقرى فيها الطعام للضيف قال عظام المقاري جارهم لا يفزع

والسجود شدة الانحنا
وقال الخليل القرية والقرية لغتان والكلوغ يمانية والقرى الظهر من كل شي وجمعه الاقرا
ومنه السجو من النساء وهي الفاترات الاعين قال الشاعر ولهوى الحجوار المدامع سجد وقال الاخر ترى الاكم فيها سجدا
للحوافر وحطة مصدر مثل حده ورده من رددت وحددت قال الخليل الحط وضع الاحمال عن الدواب والحط
والوضع والخفض نظائر والحط الحدر من العلو قال امرؤ القيس كجلمود صخر حطه السيل من عل وجارية محطوطة المتنين
ممدودة الحسنة والغفران والصفح والعفو نظائر يقال غفر الله له غفرانا اي ستر الله على ذنوبه والغفر التغطية
وثوب ذو غفر اذا كان له زئبر يستره ويقال المغفر لتغطيه الراس والغفيرة والمغفرة بمعنى والغفارة خرقة تلف
على سية القوس والمغفور والمغفار جمع العرفط واغفر الشجر اذا اظهر ذلك فيه ومنه الحديث انه عليه السلم دخل على
عائشة فقالت يا رسول الله اكلت مغافير يعني هذا الصمغ ومنهم من يقول مغاثير كما قيل جدث وجدف ويقال
جاوا الجما الغفير وجاوا جما غفيرا وجاوا الغفير اي مجتمعين جماعة على الارض والغفر ولد الاروى لانه يأوي الجبال
ومعرس الناس ويقال اصبغ ثوبك فانه اغفر للوسخ اي استر له واصل الباب الستر وحد المغفرة ستر الخطيئة
برفع العقوبة والزلة والمعصية نظائر يقال خطا الشي خطا اذا لم يرده واصابه واخطاه اذا اراده فلم يصبه والاول
خاطئ والثاني مخطئ والخطايا جمع خطية مثل صحائف جمع صحيفة وسفائن جمع سفينة والخطايا بالضم جمع
خاطئ والمحسن الفاعل للاحسان والفاعل الحسن يقال احسن الى غيره واحسن في فعله والفرق بينهما ان احسن اليه
لا يقال الا في النفع ولا يقال احسن الله الى اهل النار بتعذيبهم ويقال احسن في تعذيبهم بالنار بمعنى الحسن في فعله
وتدبيره ويقال امرأة حسنا ولا يقال رجل احسن وحد الحسن من طريق الحكمة هو الفعل الذي يدعوا اليه الضرر
القبيح وهذا انما يصح على مذهب من يقول ان الانسان يكون محسنا الى نفسه ومسيئا اليها ومن لم يذهب
اليه يريد منه والواصل الى الغير مع قصده الى ذلك والاولى في حد الحسن ان يقال هو الفعل الذي اذا فعله
العالم على وجه لم يستحق الذم الاعراب حيث ظرف مكان مبني على الضم وذكرنا الوجه في بنائه فيما قبل والجملة بعده في
تقدير المضاف اليه ومما يسال عنه ان يقال كيف بني على الضم وهو مضاف الى الجملة . ان يكون شبيها بقبل
قال قيل لانه قد منع الاضافة الى المفرد وان كان قد يضيف الى الجملة وهو الاضافة ان يقع على المفرد واذا كان كذلك
كان المضاف محذوف منه كقبل وبعد هذا على قول من بناه على الضم ومن بناه على غير الضم فقال حيث فلا يدخل
عليه هذا السؤال ولا يجوز في القران الا الضم واما حطة فانما ارتفع على الحكاية وقال الزجاج تقديره مسألتنا حطة
اي حط ذنوبنا عنا وقيل تقديره دخولنا الباب سجدا حط لذنوبنا ولو جاز قراته بالنصب لكان وجها في العربية حط عنا
ذنوبنا حطا كما يقال سمعا وطاعة اي اسمع سمعا واطيع طاعة ومعاذا لله اي نعوذ بالله وقوله نغفر لكم مجزوم لانه جواب
الامر وانما الجزم بالشرط فان المعنى ان يقولوا نغفر لكم فحذف الشرط لدلالة الجزاء عليه ووقوع الامر في الكلام وطوله به
وحسن حذفه لانه صار كالمعاقب من حيث اجتمعا في انهما غير موجبين وغير حاصلين وهذا كالحذف المبتدا
لدلالة الخبر عليه وقد يحذف الجزا ايضا لدلالة الشرط عليه في نحو قولهم انت ظالم ان فعلت كما يحذف خبر المبتدا
لدلالة المبتدا عليه قال سيبويه كان اصل خطايا خطايئ مثل خطايع فابدل من الياء همزة فصار خطائئ مثل
خطاعع فيجتمع همزتان فقلبت الثانية ياء فصار خطائي مثل خطاعي فقلبت الياء والكسرة الى الالف والفتحة
فصار خطاءا مثل خطاعا كما فعل بمداري فقيل مداري ثم استثقل همزة بين الفين لان الهمزة مجانسة
للالفات فكانت كانما اجتمعت ثلاث الفات فابدلت الهمزة ياء فقيل خطايا وقال الخليل اصل خطايا خطايئ
فقلبت الى فعالي ثم تلبث على ما سبق في المذهب الاول وانما اعل هذا الاعلال لان الهمزة التي بعد الالف عارضة غير

اصلية تقول في جمع مراة مراي فلا تعل لان الهمزة عين الالف . اجمع المفسرون على ان المراد بالقرية بيت المقدس
وكان فيها بقايا من قوم عاد وهم العمالقة ورأسهم عوج بن عنق وقوله اذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث
شئتم اي من شئتم رغدا اي موسعا عليكم مستمتعين بما شئتم من طعام القرية بعد المن والسلوى وقد قيل ان هذه اباحة
لهم منه لغنائمها وتملك اموالها اتماما للنعمة عليهم وادخلوا الباب يعني الباب الذي امروا بدخوله وقيل هو باب حطة
من بيت المقدس وهو الباب الثامن عن مجاهد وقيل باب القبة التي يصلي اليها موسى وهو اسرائيل وقال قوم هو باب
القرية الذي يدخلها قال ابو علي الجبائي والاية على قول من يقول انها باب القبة اولى منها على قول من يزعم انها باب
البلد اولى منها على قول من يزعم انها باب القرية لانهم لم يدخلوا القرية . واخر الاية يدل على انهم كانوا يدخلون
هذا الباب على غير ما امروا به في ايام موسى لانه قال فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم والعطف بالفاء التي هي
للتعقيب من غير تراخ يدل على ان هذا التبديل منهم كان في اثر الامر يدل على انه كان في حياة موسى وقوله سجدا
معناه ركعا وهو شدة الانحناء عن ابن عباس وقال غيره ان معناه ادخلوا خاضعين متواضعين يدل عليه قول
الاعشى يراوح من صلوات المليك طورا سجودا وطورا جوارا وقيل معناه ادخلوا الباب فاذا دخلتموه فاسجدوا
لله سبحانه شكرا عن وهب وقوله حطة قال الحسن وقتادة واكثر اهل العلم معناه حط عنا ذنوبنا وهو امر بالاستغفار
وقال ابن عباس امروا ان يقولوا هذا الامر حق وقال عكرمة هو ان يقولوا لا اله الا الله لانها تحط الذنوب وكل واحد
من هذه الاقوال مما يحط الذنوب فصح ان يترجم عنه بحطة وروي عن الباقر عليه السلم انه قال نحن باب حطتكم
وقوله نغفر لكم خطاياكم اي نصفح ونعف عن ذنوبكم وسنزيد المحسنين اي سنزيدهم على ما يستحقونه من الثواب
تفضلا كقوله تعالى وليوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله وقيل المراد ان نزيدهم الاحسان ما زال المن والسلوى
وتظليل الغمام وغير ذلك قوله عز وجل فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم فانزلنا على الذين ظلموا
رجزا من السماء بما كانوا يفسقون آية اللغة التبديل تغيير الشي الى غير حاله والرجز بكسر الراء العذاب في لغة اهل الحجاز
وهو غير الرجس لان الرجس النتن وقال النبي صلى الله عليه واله الطاعون رجس عذب به بعض الامم قبلكم وقال
ابو عبيدة الرجز والرجس لغتان مثل البزاق والبصاق والزدغ والسدغ والرجز بضم الراء عبادة الاوثان وفسق
يفسق ويفسق اوفسق بضم السين وعليه القراءة ومعنى الفسق في اللغة الخروج عن القصد وكل من خرج عن شي فقد فسق
الا انه في الشرع مخصوص بالخروج عن امر الله تعالى وطاعته الاعراب غير الذي انتصب غير بانه صفة لقول وقيل
غير ان يكون صفة يجري مجرى مثل واذا اضيفا الى المعارف لم يتعرفا لما فيهما من الابهام لان مثل الشي يكون على وجوه
كثيرة وكذلك غير الشي يكون اشياء مختلفة المعنى ثم بين سبحانه انهم قد عصوا فيما امروا به فقال فبدل الذين ظلموا
قولا غير الذي قيل لهم اي خالف الذين عصوا والذين فعلوا ما امروا ان يفعلوه وغيروا ما امروا به فقالوا غير
ذلك واختلف في ذلك القيل فقيل انهم قالوا بالسريانية حنطا سمقاتا وقال بعضهم حطا سمقاتا ومعناه حنطة
حمراء فيها شعيرة وكان قصدهم في ذلك الاستهزاء ومخالفة الامر وقيل انهم قالوا حنطة تجاهلا واستهزاء وكانوا
امروا ان يدخلوا الباب سجدا وطوطئ لهم الباب ليدخلوه كذلك فدخلوه زاحفين على استاههم فخالفوا في
الدخول ايضا وقوله فانزلنا على الذين ظلموا اي فعلوا ما لم يكن لهم ان يفعلوه من تبديلهم ما امرهم الله به بالقول والفعل
رجزا اي عذابا من السماء عن ابن عباس وقتادة والحسن بما كانوا يفسقون اي بكونهم فاسقين او بفسقهم كقوله
ذلك بما عصوا اي بعصيانهم وقال ابن زيد اهلكوا بالطاعون فمات منهم في الساعة الواحدة اربعة وعشرون
الفا من كبرائهم وشيوخهم وبقي ابناؤهم فانتقل عنهم العلم والعبادة كانهم يشير الى انهم عوقبوا باخراج الافاضل من بينهم
قوله عز وجل واذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا

قد علم كل اناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الارض مفسدين اللغة الاستسقاء طلب السقيا وتقول سقيته
واسقيته بمعنى وقيل سقيته من سقي الشفة واسقيته دللته على الماء وتقول عصى وعصوان وثلث اعص وجمع عصي والانفجار
الانشقاق والانبجاس اضيق منه فيكون اولا انبجاسا ثم يصير انفجارا والعين من الاسماء المشتركة فالعين من الماء مشبهة
بالعين من الحيوان لخروج الماء منها كخروج الدمع ويقال قليل العين اي قليل الناس وما بالدار عين اي احد
والعين مطر ايام لا يقلع والعين الذهب والعين للميزان وعين الشمس والعين المتجسس للاخبار وقد تقدم ذكر الناس
وانه لا واحد له من لفظه ولا تعثوا اي لا تفسدوا ولا تطغوا والعاثي الفاسد يقال عثا يعثو عثوا وعثي يعثا
عثا وعاث يعيث عيثا وعيوثا وعيثانا مثل رويه وعاث يعيث مثل عاث الاعراب اذ متعلق بكلام محذوف
فكانه قال واذكروا اذا استسقى ويجوز ان يكون معطوفا على ما تقدم ذكره في الآيات المتقدمة من قوله اثنتا عشرة
السين ساكنة عند جميع القراء وكان يجوز كسرها في اللغة والكسر لغة ربيعة وتميم والاسكان لغة اهل الحجاز
قال ابن جني ان الشاط العدد قد كثر فيها الاتحاد وذلك ان لغة اهل الحجاز في غير العدد في نظير عشرة يقولون
سفه وفخذ بكسر الثاني وهو تميم يسكنون يقولون سفه وفخذ فلما ركب الاسمان استحال الوضع فقال
بنو تميم احدى عشرة وثنتا عشرة بكسر الشين وقال اهل الحجاز عشرة بسكونها وعينا منصوب على التمييز والاسم
الثاني من اثنا عشر بمقام النون في عشرين بدلا لا يسقط من اثنان فان عشر صار عوضا منها ولذلك
انفتحت في جميع ذلك وهو الثلاثة والثلاث من ثلاثة عشر وثلث عشرة الى تسعة عشر وتسع عشرة ان يكون
مبنيا فقام عشر مقامها فلذلك لم يدخلها التنوين اذ لم يخلها لم يضف بالاضافة ومفسدين منصوب
على الحال المعنى عدد سبحانه وتعالى على بني اسرائيل نعمة اخرى اضافها الى نعمه العلى اذ قال اذ استسقى موسى اي سال
موسى ان يسقي قومه ماء والسين سين الطلب وترك ذكر المسؤول ذلك اذ كان فيما ذكره من الكلام دلالة على معنى ما ترك
ذلك لك قوله فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت لان معناه فضربه فانفجرت فترك ذكر الخبر عن ضرب موسى الحجر
فيما ابقاه من الكلام دلالة على ما القاه وهذا كما تقول امرت فلانا بالتجارة فاكتسب مالا اي فاتجر فاكتسب مالا
وقوم موسى هم بنو اسرائيل وانما استسقى لهم ربه الماء في الحال التي هم فيها في التيه فشكوا اليه الظماء فاوحى الله
تعالى اليه ان اضرب بعصاك وهو عصاه المعروفة وكان من آس الجنة دفعها اليه شعيب وكان آدم عليه السلام حملها من
الجنة الى الارض وكان طولها عشرة اذرع على طول موسى وله شعبتان يتقدان في الظلمة نورا وبه ضرب البحر فانفلق
وهو الذي صار ثعبانا واما الحجر فاختلف فيه قيل كان يطرح لهم حجرا من عرض الحجارة فتنبع عيونا لكل سبط وكانوا اثنى
عشر سبطا لكل سبط عين فيجد وقال ان السبط الذي امر بشيء منهم عن وهب بن منبه وقيل كان حجرا بعينه خفيفا اذا
رحلوا حمل في مخلاة فاذا نزلوا ضربه موسى بعصاه فانفجر منه الماء عن ابن عباس وهذا اولى لدلالة الالف
واللام للعهد عليه وقيل كانت تجري فيها اثنى عشر حفرة وكان الحجر الكذان وكان يخرج من كل حفرة عين
ماء عذب فرات فياخذونه فاذا فرغوا واراد موسى حمله ضربه بعصاه وذهب الماء وكان يسقي كل يوم ستمائة
الف عن ابن زيد وروي انه كان حجرا مربعا وروي انه كان مثل شكل الراس وكان موسى اذا ضربه بعصاه انفجرت
منه في كل ناحية ثلاث عيون لكل سبط عين فكان لا يرتحلون منقلة الا وجد ذلك الحجر منهم بالمكان الذي
كان به منهم في المنزل الاول وقوله فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا لا ينافي قوله سبحانه في سورة الاعراف فانبجست
منه لان الانبجاس هو الانفجار الا انه اقل وقيل انه لا يمتنع ان يكون اول ما ضرب عليه العصا كان ينبجس ثم يكثر
حتى يصير انفجارا وقيل كان ينبجس عند الحاجة وينفجر عند الحاجة وقيل كان ينبجس عند الحمل وينفجر عند الوضع وقوله
قد علم كل اناس مشربهم اي علم كل سبط موضع شربهم قوله كلوا واشربوا اي وقلنا لهم كلوا واشربوا وهذا

49

وهو من رزق الله اي كلوا من النعم التي رزقكم الله تعالى بها عليكم من المن والسلوى وغير ذلك واشربوا من الماء فهذا
كله من رزق الله الذي يأتيكم بلا مشقة ولا مؤنة ولا تبعة فان الرزق ما للمرزوق ان ينتفع به وليس لاحد منعه وقوله
ولا تعثوا اي لا تسعوا في الارض فسادا وانما قال لا تعثوا في الارض مفسدين وان كان المعنى لا يكون الا فسادا
لانه يجوز ان يكون الافساد الا انه يجوز ان يكون فعل ظاهره الفساد وباطنه المصلحة من ان يعلم هو العبث الذي
هو الفساد ظاهرا وباطنا ومتى سئل فقيل كيف يجمع ذلك الماء الكثير في ذلك الحجر الصغير وهل يمكن ذلك فالجواب
ان ذلك من ايات الله الباهرة والاعاجيب الظاهرة الدالة على انها من فعل الله تعالى والمنشئ للاشياء القادر
على ما يشاء والذي يذلل الصعاب ويسبب الاسباب فلا يمتنع من كمال قدرته وجلال عزته ان يبدع خلق
المياه الكثيرة ابتداء معجزة لموسى عليه السلام ونعمة عليه وعلى قومه ومن استبعد ذلك من الملحدة الذين
ما قدروا الله حق قدره ولم يعرفوه حقيقة معرفته فالكلام عليهم انما يكون في وجود الصانع واثبات صفاته
واتساع مقدوراته ولا معنى للمفاعلة بالكلام معهم في الفرع مع خلافهم في الاصل قوله عز وجل واذ قلتم
يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها
وبصلها قال اتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير اهبطوا مصرا فان لكم ما سالتم وضربت عليهم
الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ذلك بانهم كانوا يكفرون بايات الله ويقتلون الانبياء بغير
حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون
آية القراءة قرأ اهل المدينة النبيين بالهمز والباقون بغير همز الحجة قال ابو علي الحجة لمن همز النبي ان تقول
هو اصل الكلمة الا ان اناسا من اهل الحجاز خففوا الهمزة في الكلام ولم يبدلوه فلم يكن كما ضيع ونحوه مما رفض
استعماله فاما ما روي في الحديث من ان بعضهم قال يا نبيء الله فقال لست بنبيء الله ولكني نبي الله فان من اهل
النقل من ضعف اسناد هذا الحديث ويقوي ضعفه ان من مدح النبي فقال يا خاتم النبآء انك مرسل بالحق
خير هدى الاله هداكا لم يؤثر عنه انكار عليه فيما علمناه ولو كان في واحدة نكير لكان الجمع كالواحد وحجة من
ابدل ولم يحقق مجيء الجمع في التنزيل على افعلاء الذي هو في اكثر الامر للمعتل اللام نحو صفي واصفياء وغني واغنياء
فدل على ان الواحد قد لزم فيه البدل واذا لزم فيه البدل ضعف التحقيق ولا يجوز ان يكون اشتقاق النبي
من النبو التي هي الارتفاع او من النباوة لان سيبويه يحكي ان جميع العرب يقولون تنبأ مسيلمة بالهمز
فدل على ان اصله الهمز وقال الزجاج يجوز ان يكون نبي من انباء فترك همزه لكثرة الاستعمال ويجوز ان يكون
من نبا ينبو اذا ارتفع فيكون فعيلا من الرفعة اللغة الطعام ما يتغذى به والطعم بضم التاء الاكل والطعم عرض يدرك
بحاسة الذوق والطعام من قبيل الاجسام والواحد اول عدد الحساب وحده ما لا يتجزى والله عز اسمه
واحد لتفرده بصفاته الحسنى والدعاء اصل النداء عن ابن السراج فكل من يدعو ربه فمناديه وحقيقة الدعاء
قول القائل لمن فوقه افعل والفرق بينه وبين الامر يظهر بالرتبة والانبات اخراج النبات واصله الظهور فكانه
ظهر اذا نبت والبقل ما نبته الربيع يقال بقلت الارض وابقلت لغتان فصيحتان اذا انبتت البقل والبقل كل
نبات ليس له ساق والقثاء لغتان بضم القاف وكسرها والكسر اجود وهو لغة القرآن وقد روي عن عيسى
الثقفي في السواد بالضم والفوم هو الحنطة عن ابن عباس وقتادة والسدي وهو المروي عن الباقر عليه السلام
وانشد ابن عباس قول احيحة بن الجلاح قد كنت اغنى الناس شخصا واحدا ورد المدينة عن زراعة فوم وقال الفراء
والازهري هو الحنطة والخبز يقول العرب فوموا لنا اي اختبزوا وقال قوم هو الحبوب التي تخبز وقال الكسائي هو الثوم
ابدل من الثاء فاء كما قالوا جدث وجدف قال الفراء وهذا اشبه بما ذكره بعده من البصل وقال الزجاج هذا

بعيد لانه لا يعرف الفوم بمعنى الثوم ولان القوم لا يجوز ان يطلبوا الثوم ولا يطلبون الخبز الذي هو الاصل وهذا
ضعيف لانه قد روي في الشواذ عن ابن مسعود وابن عباس وثومها بالثاء والعدس حب معروف وقوله ادنى
اي اقرب وادون كما تقول هذا شيء مقارب اي دون ويجوز ان يكون من الدناءة وهي الخسة تقول دنا دناءة فهو
دني وهو ادنى منه فترك همزه هاهنا ولحنها الفراء وحكى الازهري عن ابي زيد الدني بلا همز الخسيس
والدني بالهمز الماجن واما اشتقاق مصر فقال بعضهم هو من القطع لانقطاعها عن العمارة عما سواها ومنهم من قال
هو مشتق من الفصل بينه وبين غيره وقال عدي بن زيد وجاعل الشمس مصرا لا خفاء به بين النهار وبين الليل
قد فصلا وضربت عليهم الذلة اي فرضت ووضعت عليهم الذلة الزموها وقولهم ضرب الامام الجزية على
اهل الذمة وضرب الامير على عبده الخراج وقيل ضربت عليهم الذلة اي جعلوا ابنية الذل والمسكنة ماخوذ من
ضرب القباب قال الفرزدق ضربت عليك العنكبوت بنسجها وقضى عليك به الكتاب المنزل واما الذلة فهي
من قولهم ذل يذل ذلا وذلة والمسكنة مصدر المسكين يقال ما فيهم اسكن من فلان وما كان مسكينا
ولقد تمسكن تمسكنا والمسكنة هاهنا مسكنة الفاقة والحاجة وهي خشوعها وذلها وقوله وباءوا
بغضب اي رجعوا ولا يقال باء الا موصولا اما بخير واما بشر واكثر ما يستعمل في الشر ويقال باء يبوء به قال
المبرد واصل المنزلة اي نزلوا بمنزلة غضب الله وروي ان رجلا جاء برجل الى رسول الله صلى الله عليه وآله
وقال هذا قاتل اخي وهو بواء به اي مقتول به ومنه قول ليلى الاخيلية فان يكن القتل بواء فانكم فتى ما قتلتم
آل عوف بن عامر وقال الزجاج اصل ذلك التسوية ومنه ما روي عن عبادة بن الصامت قال جعل الله تعالى الانفال
الى نبيه فقسمها بينهم على بواء اي على سواء بينهم في القسمة ومنه قول الشاعر فيقتل خيرا بامرئ لم يكن له
بواء ولكن لا تكايل بالدم وقال قوم هو الاعتراف ومعناه انهم اعترفوا بما يوجب غضب الله ومنه قول الشاعر
اني ابوء بعثرتي وخطيئتي ربي وهل الا اليك المهرب والغضب ارادة ايصال الضرر الى من غضب عليه فاذا اضيف
الى الله تعالى فالمراد به انه يريد انزال العقوبة بالمغضوب عليه نعوذ بالله من غضبه والنبي اشتقاقه من النبأ الذي
هو الخبر لانه المخبر عن الله سبحانه فان قلت لم لا يكون من النباوة وهي ما انشده ابو عمر قال انشدني ابو العباس لبعض
القرشيين في البيت الذي وضعت فيه النباوة فحلوا غير مدفع فالقول فيه انه لا يجوز ان يكون منه لان
سيبويه زعم انهم يقولون في تحقير النبوة كان مسيلمة نبيوة سوء وكلهم يقول تنبأ مسيلمة فلو كان يحتمل الامرين
لما اجمعوا على ذلك قال ابو علي ومما يقوي انه من النبأ الذي هو الخبر ان النباوة الرفعة فكانه قال في البيت
الذي وضعت فيه الرفعة وليس كل رفعة نبوة وقد يكون في البيت رفعة ليست نبوة والمخبر عن الله تعالى المبلغ
عنه نبي ويحمل خص الاسم به واشد مطابقة للمعنى المقصود اذا اخذ من النبأ والاعتداء تجاوز الحد
الذي حده الله لعباده الى غيره وكل متجاوز حدا في شيء الى غيره فقد تعداه الى ما تجاوز اليه الاعراب يخرج لنا
مجزوم لانه جواب امر محذوف لان تقديره وادع لنا ربك وقل له اخرج لنا يخرج لنا وقد ذكرنا فيما قبل
ان الاصل فيه انه مجزوم بالشرط وحذف الشرط لان الكلام يدل عليه وقيل ان تقديره ان يكون يخرج مجزوما
باضمار اللام اي ليخرج لنا كقوله قل لعبادي الذين امنوا يقيموا الصلوة اي ليقيموا فحذف اللام وانشد ابو زيد
فيضحي صريعا ما يقوم لحاجة ولا يسمع الداعي ويسمعك من دعا وانشد غيره فقلت ادعي وادع فان اندى لصوت
ان ينادي داعيان اي ولادع وقال آخر محمد تفد نفسك كل نفس اذا ما خفت من امر تبالا اي لتفد قال المبرد
حدثني المازني قال جلست في حلقة الفراء فسمعته يقول لاصحابه لا يجوز حذف لام الامر الا في شعر ثم انشد من
كان لا يزعم اني شاعر فيدن مني تنهه المزاجر فقلت لم جاز في الشعر ولم يجز في الكلام قال لان الشعر يضطر فيه

الشاعر فيحذف قال قلت فما اضطره هاهنا وهو يمكنه ان يقول فليدن مني قال فسال عني فقيل المازني
فاوسع لي وقوله مما تنبت الارض من هاهنا للتبعيض لان المراد يخرج لنا بعض ما تنبته الارض وقال بعضهم ان
من هاهنا زيادة نحو قولهم ما جاءني من احد والصحيح الاول لان من لا تزاد في الايجاب وانما تزاد في النفي ولان من
المعلوم انهم لا يريدون جميع ما تنبته الارض ونون جميع القراء مصرا لانه اراد مصرا من الامصار بغير تعيين
لانهم كانوا في تيه ويجوز ان يكون المراد مصر بعينها البلد المعروف وروي عن ابن مسعود انه قرأ بغير الف
ويجوز ان يكون اراد مصر هذه كما قال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين وانما لم يصرف لانه اسم المدينة فهو مذكر
سمي به مؤنث ويمكن ان يكون انما نونه من نونه اتباعا للمصحف لانه مكتوب في المصحف بالالف وقوله
ذلك بانهم كانوا يكفرون قال الزجاج معناه والله اعلم الغضب حل بهم بكفرهم واقول في بيانه ان ذلك اشارة
الى الغضب في قوله فباءوا بغضب فهو في موضع الرفع بالابتداء وان مع صلته من الاسم والخبر في موضع جر
بالباء فالجار يتعلق بخبر المبتدأ وهي جملة من الفعل والفاعل حذف لدلالة ما يتصل بها عليها وكذلك قوله
ذلك بما عصوا فان ما مع صلته في تاويل المصدر المعنى لما عدد الله سبحانه فيما قبل ما اهداه اليهم من النعم
والاحسان ذكر ما قابلوا به تلك النعم من الكفران وسوء الاحسان لنفوسهم بالعصيان فقال واذ قلتم اي
قال اسلافكم من بني اسرائيل يا موسى لن نصبر على طعام واحد اي لن نطيق حبس انفسنا على طعام واحد وانما
قال على طعام واحد وان كان طعامهم المن والسلوى وهما شيئان لانه اراد به ان طعامهم في كل يوم واحد اي
ياكلون في اليوم ما ياكلونه بالامس كما يقال ان طعام فلان في كل يوم واحد وان كان ياكل الوانا اذا حبس نفسه
على الوان من الطعام لا يعدوها الى غيرها وقيل انه كان ينزل عليهم المن وحده فملوه فقالوا ذلك فانزل عليهم السلوى
بعد ذلك وقوله فادع لنا ربك اي قل ربك وادعه لاجلنا يخرج لنا مما تنبت الارض من البقل والقثاء وما سماه الله
مع ذلك وكان سبب مسالتهم ذلك على ما رواه قتادة قال كان القوم في البرية قد ظلل عليهم الغمام وانزل عليهم المن والسلوى
فملوا ذلك وذكروا عيشا كان لهم بمصر فسالوا موسى فقال الله تعالى اهبطوا مصرا فان لكم ما سالتم وتقديره فدعا
موسى فاستجبنا له فقلنا لهم اهبطوا مصرا وقيل انهم قالوا لا نصبر على الغنى بان يكون جميعا اغنياء فلا يقدر
بعضنا على الاستعانة ببعض فعلى ذلك قالوا يخرج لنا مما تنبت الارض ليحتاج بعضنا الى اعوان فيكون الفقير عونا للغني
وقوله اتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير قال لهم موسى وقيل بل قال الله لهم اتتركون ما اختار الله لكم
وتؤثرون ما هو دون واردا على ذلك وقيل انه اراد اتستبدلون ما تبتذلون في زراعته وصناعته بما اعطا
الله اياكم عفوا من المن والسلوى وقيل المراد دعاؤكم الذي هو ادنى اي اقل قيمة على الذي هو اكرم والذي فيه تختلف
في سؤالهم هذا هل كان معصية فقيل لم يكن معصية بل لم يكن معصية لان الاول كان مباحا فسالوا مباحا
آخر وقيل بل كان معصية فقيل لم يكن معصية لانهم لم يرضوا بما اختاره الله لهم ولذلك ذمهم على ذلك وهو
اوجه وقوله اهبطوا مصرا اختلف فيه فقال الحسن والربيع اراد مصر فرعون الذي خرجوا منه وقال ابو مسلم
اراد بيت المقدس وروي ذلك عن ابن زيد وقال قتادة والسدي ومجاهد اراد مصرا من الامصار يعني انما
تسالونه انما يكون في الامصار ولا يكون في المفاوز اي اذا نزلتم مصرا ذات طول وعرض فان لكم فيها ما
سالتم من نبات الارض وقد تم الكلام هاهنا ثم استانف حكم الذين اعتدوا في السبت وقتل الانبياء فقال
وضربت عليهم الذلة والمسكنة اي الزموا الذلة الزاما لا يبرح عنهم كما يضرب المسمار على الشيء فيلزمه وقيل
المراد بالذلة الجزية القراح حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون عن الحسن وقتادة وقيل هو الكشح وزي اليهود
عن عطا وقوله والمسكنة يعني زي الفقر فترى المثري منهم يتباءس مخافة ان يضاعف عليه الجزية وقال قوم هذه

وصرفه لانه مذكر
بعينها
بل كان

الآية تدل على فضل الغنى لانه ذمهم على الفقر وليس ذلك بالوجه لان المراد به فقر القلب لانه قد يكون في اليهود مياسير ولا يراد به يهودي غني النفس وقد قال النبي صلى الله عليه وآله الغنى غنى النفس وقال ابن زيد ابدل الله اليهود بالعز ذلا وبالنعمة بؤسا وبالرضا عنهم غضبا جزاهم بما كفروا بآياته وقتلوا انبياءه ورسله اعتداء وظلما وباؤا بغضب من الله اي رجعوا منصرفين متحملين غضب الله قد وجب عليهم من الله الغضب وحل بهم من السخط وقال قوم هو ما حل بهم في الدنيا من البلاء والنقمة بدلا من الرخاء والنعمة وقال آخرون هو ما يحل بهم في الآخرة من العقاب على معاصيهم ذلك اشارة الى ما تقدم ذكره فقال ان ذلك الذي لحقهم من الغضب وضرب الذلة والمسكنة حل بهم لاجل انهم كانوا يكفرون بآيات الله اي يجحدون حجج الله تعالى وبيناته وقيل اراد بآيات الله اي يجحدون حجج الله تعالى التي في الانجيل والقرآن ولذلك قال فباؤا بغضب على غضب الاول لكفرهم بعيسى والانجيل والثاني لجحدهم محمدا والقرآن وقيل آيات الله صفة محمد صلى الله عليه وآله ويقتلون النبيين بغير الحق اي بغير جرم كزكريا ويحيى وغيرهما وقوله بغير الحق لا يدل على انه قد يصح ان يقتلوا النبيين بحق لان هذا خرج مخرج الصفة لقتلهم وانه لا يكون الا ظلما بغير حق كقوله ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به ومعناه ان ذلك لا يمكن ان يكون عليه برهان وكقول الشاعر على لاحب لا يهتدى لمناره ومعناه ليس هناك منار يهتدى به وفي امثاله كثير وقوله ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ذلك اشارة الى ما تقدم ايضا بعصيانهم في قتل الانبياء وفي السبت وقيل بنقضهم العهد واعتدائهم في قتل الانبياء والمراد اني فعلت بهم ما فعلت بهم بعصيانهم امري وتجاوزهم حدي الى ما نهيتهم عنه سؤال ان قيل كيف يجوز التخلية بين الكفار وقتل الانبياء فالجواب انما جاز ذلك لينال الانبياء من رفع المنازل والدرجات ما لا ينالونه بغير القتل وليس في ذلك خذلان لهم كما ان التخلية بين المؤمنين والاولياء والمطيعين وبين من يظلمهم ليست بخذلان وقال الحسن ان الله تعالى ما امر نبيا بالقتال فقتل فيه وانما قتل من الانبياء من قتل في غير قتال والصحيح ان النبي صلى الله عليه وآله ان كان لم يؤد الشرع الذي امر بادائه لم يجز ان يمكن الله سبحانه من قتله لانه لو مكن ذلك لادى الى ان يكون المكلفون غير مزاحي العلة في التكليف وفيما لهم من الالطاف والمصالح فاما اذا ادى الشرع فحسن يجوز ان يخلي الله بينه وبين ظالمه ويعوضه على المحنة صلة وروى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال اختلف بنو اسرائيل بعد موسى بخمسمائة سنة حين كثر فيهم اولاد السبايا واختلفوا بعد عيسى بمائتي سنة قوله عز وجل ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون آية القراءة قرأ نافع بترك الهمز الصابين والصابون في كل القرآن والباقون يهمزون الحجة ترك الهمز يحتمل وجهين احدهما ان صبا يصبو اذا مال الى الشيء والآخر قلب الهمز قال ابو علي ولا يستقيم ان يأخذه من صبا يصبو لانه قد يصبو الانسان الى الشيء فلا يكون منه تدين مع صبوه اليه فاذا بعد هذا وكان الصابئون منتقلين من دينهم الذي اخذ عليهم الى سواه لم يستقم ان يكون الا من صبأت الذي معناه انتقالهم من دينهم الى دين لم يشرع لهم فيكون على قلب الهمز وقلب الهمز على هذا الحد لا يجيزه سيبويه الا في الشعر فلعل القائل لذلك غير فصيح وانه يخلط في لغته فالاختيار الهمز ولا سيما قراءة الاكثر والى التفسير اقرب اللغة هادوا اي صاروا يهودا ودانوا باليهودية وهاد يهود هودا اي تاب واختلف في اسم اليهود فقيل هو من الهود اي التوبة ومنه قوله انا هدنا اليك عن ابن جريج وسموا بذلك لتوبتهم عن عبادة العجل وقال زهير سوى ربع لم يأت فيه مخافة ولا رهقا من عابد متهود اي تائب وقيل انما سموا يهودا لانهم نسبوا الى يهودا اكبر ولد يعقوب فعربت الذال دالا وقيل انما سموا يهودا لانهم هادوا اي مالوا عن الاسلام وعن دين موسى وقيل سموا بذلك لانهم يهودون اي يتحركون عند قراءة التوراة ويقولون ان السموات والارض تحركت

حين آتى الله موسى التوراة واليهود اسم جمع واحدهم يهودي كالزنج والزنجي والروم والرومي والنصارى جمع نصراني كقولهم سكران وسكارى وندمان وندامى وهو قول سيبويه قال الشاعر تراه اذا دار العشي محنفا ويضحي لديه وهو نصران شامس وهو المثل نصران كما ان الغضبان هو الممتلئ غضبا وقيل في موضع نصرانة فكلتاهما خرت واسجد رأسها كما سجدت نصرانة لم تحنف وقال ان واحد النصارى نصري مثل مهري ومهارى واختلفوا في اسمهم وهذا الاسم فقال ابن عباس هو من ناصرة قرية كان ينزلها عيسى عليه السلام فنسبوا اليها وقيل سموا بذلك لنصرتهم اي لنصر بعضهم بعضا وقيل انما سموا بذلك لقوله من انصاري الى الله قال الحواريون نحن انصار الله والصابئون جمع صابئ وهو من انتقل الى دين آخر وكل خارج من دين كان عليه الى آخر غيره سمي في اللغة صابئا قال ابو علي قال ابو زيد صبأ الرجل في دينه يصبأ صبأ وصبوءا اذا كان صابئا وصبأ ناب الصبي يصبأ صبأ اذا طلع عليهم وطرأ مثله اي بما سواها والدين الذي فارقوه هو تركهم التوحيد الى عبادة النجوم او تعظيمها قال قتادة وهم قوم معروفون ولهم مذهب ينفردون به ومن دينهم عبادة النجوم وهم يقرون بالصانع وبالمعاد وببعض الانبياء وقال مجاهد والحسن الصابئون بين اليهود والمجوس لا دين لهم وقال السدي هم طائفة من اهل الكتاب يقرؤن الزبور وقال الخليل هم قوم دينهم شبيه بدين النصارى الا ان قبلتهم نحو مهب الجنوب حيال منتصف النهار يزعمون انهم على دين نوح وقال ابن زيد هم اهل دين من الاديان كانوا بالجزيرة جزيرة الموصل يقولون لا اله الا الله ولم يؤمنوا برسول الله فمن اجل ذلك كان المشركون يقولون للنبي عم ولاصحابه هؤلاء الصابئون يشبهونهم بهم وقال آخرون هم طائفة من اهل الكتاب والفقهاء باجمعهم يجوزون اخذ الجزية منهم وعندنا لا يجوز ذلك لانهم ليسوا باهل الكتاب الاعراب خبر ان جملة قوله من آمن بالله واليوم الآخر لان معناه من آمن منهم بالله واليوم الآخر فترك ذكر منهم لدلالة الكلام عليه وقوله فلهم اجرهم عند ربهم الى آخر الآية في موضع الجزاء وانما دخل فلا خوف لتكرر لا كقول الشاعر وما هجرتك حتى قلت معلنة لا ناقة لي في هذا ولا جمل وهذا كأنه جواب لمن قال الا ناقة لك في هذا ام جمل فاما النكرة المفردة ففيه الفتح لا غير نحو لا رجل في الدار وهو جواب هل من رجل في الدار وانما قال من آمن فوحد ثم قال فلهم اجرهم فجمع لان من موحد اللفظ مجموع المعنى على ما تقدم المعنى ان الذين آمنوا اختلف في هؤلاء المؤمنين من هم فقال قوم هم الذين آمنوا بعيسى عليه السلام ثم لم يتهودوا ولم يتنصروا ولم يصبأوا وانتظروا خروج محمد صلى الله عليه وآله وقيل هم طلاب الدين منهم حبيب النجار وقس بن ساعدة وزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل والبراء الشني وابو ذر الغفاري وسلمان الفارسي وبحيرا الراهب ووفد النجاشي آمنوا بمحمد صلى الله عليه وآله قبل مبعثه فمنهم من ادركه وتابعه ومنهم من لم يدركه وقيل هم مؤمنو الامم الماضية وقيل هم المؤمنون من هذه الامة وقال السدي هو سلمان الفارسي واصحابه النصارى الذين كان قد تنصر على ايديهم قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وكانوا قد اخبروه بانه سيبعث وانهم يؤمنون ان ادركوه واختلفوا في قوله من آمن بالله واليوم الآخر فقال قوم هو خبر عن الذين هادوا والنصارى والصابئين والضمير يرجع اليهم لان الذين آمنوا قد كانوا مؤمنين فلا معنى ان يشرط فيهم استيناف الايمان فكأنه قال ان الذين آمنوا ومن آمن من اليهود والنصارى والصابئين بالله واليوم الآخر فلهم اجرهم عند ربهم وقال آخرون من آمن منهم الضمير راجع الى الكل ويكون رجوعه الى الذين آمنوا بمعنى الثبات منهم على ايمانهم والاستقامة وترك التبديل والى الذين هادوا والنصارى والصابئين بمعنى استيناف الايمان بالنبي وما جاء به وجعل بعضهم ارادة من آمن بمحمد صلى الله عليه وآله والمعنى الايمان بالله وبالكتب المتقدمة لانه لا يتم احدهما الا بالآخر ونظيره قوله والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وروي عن ابن عباس انه قال انها منسوخة بقوله ومن يبتغ

غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهذا بعيد لان النسخ لا يجوز ان يدخل الخبر الذي هو متضمن الوعيد وانما يجوز دخوله في الاحكام
الشرعية التي يجوز تغيرها وتبدلها بتغير المصلحة فالاولى ان يحمل على انه لم يصح هذا القول عن ابن عباس وقال قوم ان حكمها
ثابت والمراد بها ان الذين آمنوا بافواههم ولم يؤمنوا من قلوبهم من المنافقين واليهود والنصارى والصابئين اذا
آمنوا بعد النفاق واسلموا بعد العناد كان لهم اجرهم عند ربهم لمن آمن في اول الاستدعاء الى الايمان من غير نفاق
ولا عناد لان قوما من المسلمين قالوا ان من اسلم بعد نفاقه وعناده كان ثوابه انقص واجره اقل فاخبر الله بهذه
الآية انهم سواء في الاجر والثواب وقوله من آمن اي بتوحيد الله وصفاته وعدله واليوم الآخر يعني يوم القيمة والبعث
والنشور والجنة والنار وعمل صالحا اي ما امره الله به من الطاعات وانما لم يذكر ترك المعاصي لان تركها من
الاعمال الصالحة فلهم اجرهم اي جزاؤهم وثوابهم عند ربهم اي معد لهم عنده وقوله ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون
قد مضى تفسيره قبل وقيل معناه لا خوف عليهم بما قدموا ولا هم يحزنون على ما خلفوا وقيل لا خوف عليهم في العقبى ولا هم يحزنون
على الدنيا وفي هذه الآية دلالة على ان الايمان هو التصديق والاعتقاد بالقلب لانه تعالى قال من آمن بالله
ثم عطف بقوله وعمل صالحا ومن حمل ذلك على التاكيد او الفصل فقد ترك الظاهر وكل شيء يذكرونه مما عطف
على الاول بعد دخوله فيه مثل قوله فيهما فاكهة ونخل ورمان وقوله واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم
فان ذلك على سبيل المجاز والاتساع ولو خلينا والظاهر لعلمنا انه ليس بداخل في الاول قوله عز وجل واذ اخذنا
ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون آية
اللغة الميثاق هو مفعال من الوثيقة اما بيمين او بعهد او بغير ذلك من الوثائق والطور الجبل في اللغة قال
العجاج داني جناحيه من الطور فمر تقضي البازي اذ البازي كسر وقيل هو اسم جبل بعينه ناجى الله تعالى عليه موسى ع
عن ابن عباس والقوة القدرة وهي عرض يصير به الحي قادرا وكل جسم قادر بقدرة لا يصح منه فعل الجسم والاخذ
ضد العطاء واصل خذ اوخذ وكذا كل اصله اوكل وانما لزم الحذف فيهما تخفيفا لكثرة الاستعمال ولذلك وامر قد جاء
فيه او على الاصل الاعراب خذوا ما آتيناكم محله نصب على تقدير وقلنا لهم خذوا كما تقول اوحيت اليه قم اي اوحيت
اليه فقلت قم قال الفراء اي اخذ الميثاق قول بالكلام ولا حاجة الى اضمار القول فيه غير انه ينبغي لكل ما كان من
القول او الكلام الذي هو بمعنى القول ان يكون معه ان كقوله تعالى انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر قومك
قال يجوز حذف ان وموضع ما نصب المعنى ثم عاد الى خطاب بني اسرائيل فقال واذكروا اذ اخذنا ميثاقكم
اي عهدكم والعهد هو الذي فطر الله عليه الخلق من التوحيد والعدل ونصب لهم الحجج الواضحة والبراهين الساطعة
الدالة على ذلك وعلى صدق الانبياء والرسل وقيل انه اراد به الميثاق الذي اخذه الله على الرسل في قوله
واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به
ولتنصرنه الآية وقيل هو اخذ التوراة عن موسى ع ورفعنا فوقكم الطور قال ابو زيد هذا حين رجع موسى من
الطور فاتى بالالواح قال لقومه جئتكم بالالواح وفيها التورية والحلال والحرام فاعملوا بها قالوا ومن يقبل
قولك فارسل الله عز وجل الملائكة حتى نتقوا الجبل فوق رؤسهم فقال موسى ان قبلتم ما آتيتكم به والا ارسلوا
الجبل عليكم فاخذوا التوراة وسجدوا لله تعالى ملاحظين الى الجبل فمن ثم يسجد اليهود الى احد شقي
وجوههم وقيل وهذا هو معنى اخذ الميثاق وكان في حال رفع الجبل فوقهم لان في هذه الحال قيل لهم خذوا
ما آتيناكم يعني التوراة بقوة اي بجد ويقين ولا شك فيه وهو قول ابن عباس وقتادة والسدي وروي منه
ما روى العياشي انه سئل الصادق عليه السلم عن قول الله خذوا ما آتيناكم بقوة ابقوة بالابدان ام بقوة بالقلوب
فقال بهما جميعا وقيل خذوا بقوة هو العمل فيه بجد وعزيمة وقيل بقدرة وانتم قادرون على اخذه عن ابي علي

والاصم واذكروا ما فيه يعود الضمير من فيه الى ما من قوله ما آتيناكم بقوة وهو التوراة يعني احفظوا ما في التوراة
من الحلال والحرام ولا تنسوه وقيل معناه اذكروا ما فيه من التركين في العقوبة وهو المروي عن ابي عبد الله ع وقيل
اعملوا بما فيه ولا تتركوه وقيل المعنى في ذلك ما آتيناكم فيه من وعد ووعيد وترغيب وترهيب تدبروه واعتبروا
به واقبلوه لعلكم تتقون اي لكي تتقوا اذا فعلتم ذلك وتخافوا عقابي وتنتهوا الى طاعتي وترجعوا عما انتم
عليه من المعصية قوله عز وجل ثم توليتم من بعد ذلك فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين
آية اللغة توليتم اعرضتم وهو مطاوع قولهم ولاه فلان دبره اذا استدبر عنه وجعله خلف ظهره ثم استعمل ذلك
في كل تارك طاعة آمر ومعرض اناس من فضل بخلوا به وتولوا اي خالفوا ما وعدوا الله من قولهم لنصدقن ولنكونن
من الصالحين والخاسر هو الذي ذهب راس ماله وراس مال الانسان نفسه وما سواها مما يحصل له من المنافع
فهو كله ربح المعنى معنى الآية ثم نبذتم العهد الذي اخذناه عليكم بعد اعطائكم المواثيق وراء ظهوركم واعرضتم
عنه فلولا فضل الله عليكم اي فلولا ان الله تفضل عليكم بالتوبة بعد نكثكم الميثاق الذي واثقتموه ان رفع
فوقكم الطور وانعم عليكم بالاسلام ورحمته التي رحمكم بها فنجاكم وعفا عنكم
خطيئتكم بمراجعتكم طاعة ربكم لكنتم من الخاسرين وقال ابو العالية فضل الله الاسلام ورحمته القرآن فيكون
معناه لولا اهتداؤكم على الايمان واراحة علتكم فيه حتى فعلتم الايمان لكنتم من الخاسرين وانما جعل الايمان
فضلا وتوبته التي تابها عليهم نجاهم ولم يكونوا بها خاسرين فضلا منه من حيث كان هو الداعي
اليه والمقدر عليه والمرغب فيه ويحتمل ان يكون المعنى ولولا فضل الله عليكم بامهاله اياكم بعد توليكم عن
طاعته حتى تاب عليكم برجوع بعضكم عن ذلك وتوبته لكنتم من الخاسرين ويحتمل ان يريد ولولا فضله عليكم
في رفع الجبل فوقكم للتوفيق واللطف الذي سهل عنده حتى زال العذاب عنكم وسقوط الجبل لكنتم من الخاسرين
قوله عز وجل ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين آية اللغة
علمتم اي عرفتم ههنا تقول علمت اخاك ولم تكن تعلمه اي عرفته ولم اكن اعرفه لقوله تعالى وآخرين من دونهم
لا تعلمونهم الله يعلمهم اي لا تعرفونهم الله يعرفهم والذين اعتدوا في موضع نصب لانه مفعوله والفرق بينه
وبين ما يتعدى الى مفعولين ان المعرفة ينصرف الى ذات المسمى والعلم ينصرف الى احواله فاذا قلت
علمت زيدا فالمراد عرفت شخصه واذا قلت علمت زيدا كريما او لئيما فالعلم يتعلق باحواله من نقص وفضل
واعتدوا اي ظلموا وجاوزوا ما حد لهم والسبت من ايام الاسبوع قال الزجاج قطعة من الدهر فسمي ذلك اليوم به
وقال ابو عبيدة سمي بذلك لانه يوم سبت فيه خلق كل شيء اي قطع وفرغ وقال قوم انما سمي بذلك لان اليهود يسبتون
فيه اي يقطعون فيه الاعمال وقال آخرون سمي بذلك لانهم فيه الراحة لان اصل السبت السكون والراحة ومنه
قوله وجعلنا نومكم سباتا وقيل للنائم مسبوت لاستراحته وسكون جسده والقردة جمع قرد والانثى قردة والجمع قرد
والخاسئ المطرود وتقول خسأت الكلب اخسأه خسأ وخسأ الكلب يخسأ خسوءا يقال خسأته فخسأ وانخسأ
قال الراجز كالكلب ان قلت له اخسأ انخسأ اي طردته انطرد المعنى خاطب اليهود فقال ولقد علمتم اي عرفتم
الذين اعتدوا منكم في السبت اي الذين جاوزوا ما امروا به من ترك الصيد يوم السبت وكانت الحيتان تجتمع
في يوم السبت لامنها فحبسوها في السبت فاخذوها في الاحد فاعتدوا في السبت اي ظلموا وتجاوزوا واباحة
لان صيدها هو حبسها وروي عن الحسن انهم اصطادوا يوم السبت مستحلين لما نهوا عنه فقلنا لهم كونوا قردة
وهذا اخبار عن سرعة فعله ومسخه اياهم لا ان هناك امرا ومعناه جعلناهم قردة كقوله تعالى فقال لها وللارض
ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين ولم يكن هناك قول وانما اخبر عن تسهيل الفعل عليه وتكونه بلا مشقة

اهلكهم (؟) ... ولم يبق ممسوخ فوق ثلاثة ايام لم ياكلوا ولم يشربوا ولم يتناسلوا
ابن عباس فمسخهم الله تعالى عقوبة لهم وكانوا يتعاوون وبقوا ثلاثة ايام لم ياكلوا ولم يشربوا ولم يتناسلوا ثم اهلكهم
الله تعالى وجاءت ريح فهبت بهم والقتهم في الماء وما مسخ الله امة الا اهلكها فهذه القردة والخنازير ليست
من نسل اولئك ولكن مسخ اولئك على صورة هؤلاء يدل عليه اجماع المسلمين على انه ليس في القردة والخنازير من هو
من اولاد آدم ولو كانت من اولاد الممسوخين لكانت من بني آدم وقال مجاهد لم يمسخوا قردة وانما هو مثل ضربه كما قال كمثل
الحمار يحمل اسفارا وحكي عنه ايضا انهم مسخت قلوبهم فجعلت كقلوب القردة لا تقبل وعظا ولا تتقي زجرا وهذان القولان يخالفان
الظاهر الذي اكثر المفسرين عليه من غير ضرورة تدعو اليه وقوله خاسئين اي مبعدين عن الخير وقيل اذلاء صاغرين
مطرودين عن مجاهد وفي هذه الآية احتجاجات من الله تعالى على اليهود بنعمه المترادفة على آبائهم واخبار لهم
عن عناد اسلافهم مرة بعد اخرى ولفرائهم وعصيانهم بالسبت اولى مع ظهور الآيات الباهرة والمعجزات الواضحة
تعزية له عليه السلام وبنا الفواده وتسلية اياه عما يقاسيه من مخالفة اليهود وكيادهم من جحودهم وكفرهم وعنادهم
وليكونوا على ما وقف عليه من اخبار سلفهم تسليم وحجة عليهم وفي اخلادهم الى الهوى والحادهم وتحذير لهم
من ان يحل بهم ما حل باآبائهم واجدادهم قوله عز وجل **فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة
للمتقين** آية **اللغة** النكال الارهاب للغير واصله المنع لانه ماخوذ من النكل وهو القيد وهو ايضا اللجام
وسميت العقوبة نكالا لانها تمنع عن ارتكاب مثل ما ارتكب من ركب به ونكل فلان عن فلان تنكيلا ونكالا
والموعظ الوعظ واصله التخويف يقال وعظت فلانا موعظا وعظة **المعنى** فجعلناها الضمير يعود الى الامة
التي مسخت وهم اهل ايلة قرية على ساحل البحر وهو المروي عن ابي جعفر او الى المسخة او الى العقوبة اي جعلنا
تلك العقوبة عن ابن عباس او الى القرية التي اعتدى اهلها فيها نكالا اي عقوبة وقيل اشتهارا وفضيحة وقيل
تذكرة وعبرة وقوله لما بين يديها وما خلفها ذكر فيها وجوه احدها ما روي عن ابن عباس رواه الضحاك عنه لما
بين يديها لما مضى من الامم التي تراها وما خلفها وما يكون بعدها وهو يقارب المأثور المروي عن الباقر والصادق
عليهما السلام قالا لما معها ينظر اليها من القرى ولما خلفها نحن ولنا فيها موعظة فعلى هذا يكون
معناه اي نكالا للخلق الذي كان معهم والجميع ما ياتي بعدهم الى يوم القيمة لئلا يفعلوا مثل فعلهم وثانيها ان يكون
معناه جعلناها عقوبة للذنوب التي تقدمت على الاصطياد والذنوب التي تاخرت عنه وهذا يقتضي ان يكون
الله تعالى لم يعاجلهم بالعقوبة عقيب الاصطياد عن ابن عباس ايضا فيكون اللام بمعنى السبب اي بسبب ذلك وثالثها
ان يكون المراد لما بين يديها من القرى وما خلفها من القرى عن عكرمة عن ابن عباس ورابعها ان يكون المراد
لما بين يديها من القرى ما مضى من خطاياهم وما خلفها خطاياهم التي اهلكوا بها عن مجاهد وموعظة للمتقين معناه
انه انما يتعظ بها المتقون فكانها موعظة لهم دون غيرهم وهذا كقوله سبحانه وهدى للمتقين وفي هذه الآية دلالة
على ان من فعل مثل فعال هؤلاء ممن تقدمهم او تاخر عنهم يستحق من العقاب مثل ما حل بهم من التشويه وتغيير
الخلقة نعوذ بالله من سخطه قوله عز وجل **واذ قال موسى لقومه ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة قالوا
اتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي قال انه
يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون قالوا ادع لنا ربك يبين
لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين قالوا ادع لنا ربك يبين
لنا ما هي ان البقر تشابه علينا وانا ان شاء الله لمهتدون قال انه يقول انها بقرة لا ذلول
تثير الارض ولا تسقي الحرث مسلمة لا شية فيها قالوا الآن جئت بالحق
فذبحوها وما كادوا
يفعلون**

خمس آيات **القراءة** قرأ حمزة واسماعيل عن نافع وعباس عن ابي عمرو كفوا
وقرأ حفص عن عاصم بضم الزاء والفاء غير مهموز وقرأ يعقوب هزؤا بضم الزاء وكفؤا بسكون الفاء والباقون بالتخفيف والهمز في كل القرآن
بالتثقيل والهمز **الحجة** قال ابو الحسن وعم عيسى ان كل اسم على ثلاثة احرف اوله مضموم فمن العرب من يثقله ومنهم من يخففه
نحو العسر واليسر والحلم ومما يقوي هذه الحكاية ان ما كان من فعل في الجموع مثل كتب ورسل قد استمر فيه الوجهان
حتى جاز ذلك في معتل العين الواوي نحو سوك الاسحل فلما جاز في الالف اللامعات سور وحكى ابو زيد يقول وأما فعل
جمع في افعل نحو احمر وحمر فكانهم الزموه الاسكان للفصل بين الجمعين وقد جاء فيه التحريك في الشعر فاذا كان الامر على
هذا وجب ان يكون ذلك مستمرا في نحو الكفو والهزو واذا خففت الهمزة ونقل العين يلزم ان تقلب الهمزة واوا فتقول
هزوا ولم يكن لكفوا احد وان خفف فاسكن العين قال هزا فابقي الواو التي انقلبت من الهمزة لانضمام ما قبلها وان لم يكن
ضمة العين في اللفظ لانها مرادة في المعنى كما قالوا لقضو الرجل فابقوا الواو ولم يرد اللام التي هي من قضيت لان الضمة
مرادة في المعنى وكذلك قالوا لعا رضي زيد فيما قال علم زيد فلم يردوا الواو التي هي لام لزوال الكسرة لانها مقدرة مرادة
فان كانت محذوفة من اللفظ فكذلك من قال هزوا وكفوا فثبتت الواو وان كنت حذفت الضمة الموجبة احتمالا
واذا كان الامر على هذا فقراءة من قرأ بالضم وتخفيف الهمزة في الجلوز والحسن كقراءة حمزة بالاسكان وقلب الهمزة
واوا لانه تخفيف قياسي وقد روى ابو زيد عن ابي عمرو انه جوز التخفيف والتثقيل **اللغة** البقرة اسم للانثى
من هذا الجنس واسم الذكر منه ثور وهذه مما الحق الهاء لصيغة الانثى كما يحمل الناقة والرجل والمرأة والرجل والعير
واصل البقر الشق يقال بقرت بطنه اي شققته وسمي البقر من شانه شق الارض بالكراب والهزو واللعب والسخرية
يقال هزئت منه هزءا وهزؤا واعوذ بالله الجأ الى الله عوذا وعياذا وحقيقة العياذ استدفاع ما يخاف من شره بما يطمع
ذلك منه والجهل هو نقيض العلم وقيل هو نقيض الحلم والصحيح انه اعتقاد الشيء على خلاف ما هو به كما ان العلم اعتقاد
الشيء على ما هو به والتبيين التعريف واصله البين وهو الفراق فكل ما بين شيئا فقد ميزه عما يلتبس معناه بمعنى غيره
قال سيبويه ابان الشيء وابنته وبين وبنته واستبان واستبنته والمعنى واحد والفارض الكبيرة المسنة يقال فرضت
البقرة تفرض فروضا اذا اسنت وقال الشاعر لعمري لقد اعطيت جارك فارضا تساق اليه ما تقوم على رجل وقيل الفارض
التي قد ولدت بطونا كثيرة فيتسع لذلك جوفها لان معنى الفارض في اللغة الواسع الضخم وهو قول بعض المتاخرين
واستشهد بقول الراجز يا رب ذي ضغن علي فارض له قروء كقروء الحائض ويقال لحيه فارضا اي عظيمة والبكر
والصغيرة التي لم تحمل والبكر من البهائم ومن بني آدم ما لم يفتحله الفحل والبكر من كل شيء اوله والبكر التي ولدت واحدا
وبكرها اول اولادها قال يا بكر بكرين ويا خلب الكبد اصبحت مني كذراع من عضد وضربة بكر اي قاطعة لا تثنى وحدث
ابن عائشة عن ابيه عن جده قال كانت ضربات علي بن ابي طالب صلى الله عليه وآله ابكارا كان اذا ضرب اعتلى واذا اعترض
قط ذكره ابن فارس في مجمل اللغة والبكر بفتح الباء الفتى من الابل والعوان دون المسنة وفوق الصغيرة وهي النصف
التي ولدت بطنا او بطنين وقال الفراء يقال من العوان عونت المرأة تعوينا اذا بلغت ثلاثين سنة ومنه قيل للحرب
عوان اذا لم يكن اول حرب جرت بين القوم وكانوا قد قاتلوا قبله وبين اسم يستعمل على ضربين مصدرا وظرفا قال
ابو علي وهما عندي وجميع بابهما يرجعان الى اصل واحد وهو الافتراق والانكشاف وسيأتيك بيانه انشاء الله
والاعراف واللون عرض معاقب على الجوهر يعاقب المتضاد وهو عبارة عما اذا وجد حصلت به جواهر على هيئة مخصوصة
لو لاه لما حصلت على تلك الهيئة ولا يدخل تحت مقدور العباد وفاقع لونها اي شديد الصفرة يقال اصفر فاقع
واحمر قانئ واخضر ناضر واحمر قاني وابيض يقق ولهق ولهاق واسود حالك وحلكوك وغربيب ودجوجي
فهذه كلها صفات مبالغة في الالوان وقيل انه اراد بصفراء ههنا شديدة السواد وكما يعني بالصفراء اي سود وقال

الشاء بلك حبلى منه وبلك كابى من صفراء او لادها كالزبيب والاول اصح فان الابل وان وصفت به فلا يوصف
الشاء بلك حبلى منه وبلكه كابى من صفراء اولادها كالزبيب والاول اصح فان الابل وان وصفت به فلا يوصف
بالقريه وايضا فان السواد لا يوصف الا بالفنوع وانما يوصف بالحلوكة وغيرها على ما ذكرناه والبقر جمع بقرة كذلك
الباقر جمع كالحامل جمع حمل وقال الاعشى وما دبنسان عاصت الماء باقر وما ان حاف الماء الا لنصرها وقال اخر لهم حامل كالبهيد
الليل السامره اي جمال ونحو هذا عندهم اسم مفرد موضوع للكثرة كاسم الجنس ومثله العبيد والكليب والمعين في جمع عبد
وكلب وضان وقوله لا ذلول يقال للدابة التي ذللها الركوب والعمل ذلول بين الذل بكسر الدال ويقال في مثل من
بني ادم رجل ذليل بين الذل بضم الذال والذلة بكسرها والمذل والاثارة اظهار الشيء بالكشف واثار الارض اي قلبها
وكربها والحرث كالارض ذللت للزرع قال الخليل الحرث قذف البذر في الارض للازدراع والزرع الانبات والانما
قال عز اسمه افرايتم ما تحرثون انتم تزرعونه ام نحن الزارعون مسلمة مراح من العيوب مفعلة من السلامة السيد لون
في الشيء يخالف عامة لونه والوشي خلط اللون باللون ولا شية فيها اي لا وضح فيها يخالف لون جلدها يعني وشيت
الثوب اشيه شية ووشيا ومنه قيل لمن يسعى بالرجل الى السلطان واش لكونه لكذبه عليه عنده وتحسينه كذبه
بالاباطيل ويقال منه وشيت به وشاية قال كعب بن زهير يسعى الوشاة جنبيها وقولهم انك يا ابن ابي سلمى
المعقول يعني انهم يقولون بالاباطيل ويقولون لعلوا انه ان لحق بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم والذبح فري الاوداج وذلك
في البقر والغنم والنحر في الابل فلا يجوز عند نا غير ذلك وفيه خلاف بين الفقهاء وقيل للصادق عليه السلم ان اهل
مكة ينحرون البقرة في اللبة فما ترى في اكل لحومها فسكت هنيئة وقال قال الله تعالى فذبحوها وما كادوا يفعلون
لا تاكل الا ذبح بذبحه الاعراب حذفت الفاء من قوله قالوا اتتخذنا هزوا لاستغناء ما قبلها من الكلام عنه وحسن الوقف
على قوله ان نذبح بقرة كما حسن اسقاطها من قوله قال فما خطبكم ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا ولم يقل فقالوا ولو كان
قل يا لعالمين حسنا ولو قلت قمت ففعلت لم يجز اسقاط الفاء لانها عطف لا استفهام يحسن السكوت عليه
وقوله هزوا الاتخاذ اخذ الامرين احدهما ان يكون المضاف محذوفا الى الهزو حدث والمفعول الثاني من نحو
يكون الاول نحو قوله تعالى لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء والثاني ان يكون الهزو بمعنى المهزو به مثل الصيد في
قوله تعالى احل لكم صيد البحر ونحو كما يقال رجل رضي اي مرضي اقيم المصدر مقام المفعول ولما قوله تعالى لا تتخذوا
الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا فلا يحتاج الى تقدير محذوف مضاف لان الذين ليس بحدث وقوله اعوذ اصله اعوذ نقلت
الضمة من الواو الى الساكن قبلها من غير استثقال لذلك غير انه لما اعلت عين الماضي لتحركها وانفتاح ما قبلها
اعلت عين المضارع ايضا ليجري المثال على شيء واحد وكذلك القول في اعاذ و يعيذ واستعاذ و يستعيذ والاصل
اعوذ يعوذ واستعوذ يستعوذ قوله لا فارض ولا بكر قال الاخفش ارتفع ولم ينتصب بالنفي لانه صفة للبقرة وقوله
عوان مرفوع لانه خبر مبتدا محذوف كانه قال هي عوان وقال الزجاج ارتفع فارض بما ضمار هي اي هي لا فارض
ولا بكر عوان قال وانما جاز بين ذلك وبين لا يكون الا مع اثنين او اكثر لان ذلك ينوب عن الجمل تقول ظننت زيدا
قائما فيقول القائل قد ظننت ذاك وظننت ذلك قال ابو علي لا يخلو ذاك فيما ذكره في قوله ظننت ذاك من ان يكون
اشارة الى المصدر كما ذهب اليه سيبويه او يكون اشارة الى احد مفعولي ظننت او يكون نائبا عن الجملة كما قال ابو اسحق
ولا يجوز ان يكون اشارة الى احد المفعولين لانه لو كان كذلك فلزم ان يذكر الاخر كما انك لو ذكرت اسم المشار اليه
للزم فيه ذلك وكما انك اذا ذكرت المبتدا لزمك ذكر الخبر او يعلم من اتحاد ما يقوم مقام ذكرك له ولا يجوز
ان يكون نائبا عن الجملة هنا ولا اشارة اليها كما لم ينب عن الجملة في غير هذا الموضع من المواضع التي يقع فيها الجمل
نحو صلة الذي و وصف النكرات فثبت ان ذلك في قولهم ظننت ذاك اشارة الى المصدر الذي هو الظن
ولا يجوز ان يقع اسم مفرد موقع جملة ولو كان سائغا ان ينوب ذلك عن الجمل لما جاز ذلك عندنا هنا لان هذا الموضع

56

ليس من مواضع الجمل الا ترى ان ذلك اشارة الى ما تقدم مما دل عليه قوله لا فارض ولا بكر وهو البكارة والفروض فانما
يدل قوله ذلك عليهما فلو كان واقع موقع جملة مما دل عليهما لان الجملة يستغنيها الحديث الى المحدث عنه وليس واحدا
من الفروض والبكارة المسند الى الاخر الا ترى ان المعنى بين هذين الوصفين وهذا واضح واعلم ان الاسم الذي
يضاف اليه بين لا يخلو من ان يكون دالا على واحد او على اكثر من الواحد فاذا كان دالا على الواحد غير دال على
الكثرة منه عطف عليه اسم اخر لما ذكرناه من اصل الافتراق فكما يمتنع ان تقول افتراق زيد واجتماع زيد حتى يضيف
الى ما يدل على الافراد كذلك لا تقول بين زيد حتى تضيف اليه اخر بالواو دون غيرها من الحروف العاطفة
واذا كان الاسم دالا على الكثرة وان كان مفردا جاز ان تضاف بين اليه واما قول الفراء من ذلك فانما اضيف
بين الى ذلك من حيث جاز اضافة الى القوم وما اشبه ذلك من الاسماء التي تدل على الكثرة وانما جاز
ان يكون قولنا ذلك يراد به مرة الافراد ومرة الجمع والكثرة لمشابهة الموصولة كالذي وما الا ترى ان الاسمين
يستويان في دلالة كل واحد منهما على غير شيء بعينه فجاز ان يراد به الواحد مرة والكثرة والواحد مرة ويدل
على ما ذكرنا من قصدهم ذلك الجمع وما زاد على الواحد ورد به ما قال ابو عبيدة في قول رؤبة فيها خطوط من سواد
وبلق كانه في الجلد توليع البهق ان اردت الخطوط وجب ان تقول كانها وان اردت السواد والبلق وجب ان
تقول كانهما فقال اردت كان ذلك فعلم بذلك انهم يقصدون بذلك غير المفرد ويدل على ذلك قول القائل ان للخير وللشر
مدى وكلا ذلك وجه وقبل الا ترى ان كلا لا يضاف الى المفرد فلولا ان المفرد لما اضيف اليه كلا وكذلك القول
في عوان بين ذلك المراد به لكل الزيادة على الواحد الا ترى ان اشارة الى ما تقدم من قوله مما دل على الفروض والبكارة
وموضع ما من قوله ما هي وما لونها رفع لانه خبر المبتدا لان تاويله الاستفهام اي اي شيء هي واي لون لونها قال انه يقول
انما ما بعد القول من ان ان مكسورة ابدا كانك لم تذكر القول في صدر كلامك وانما وقعت في كلام العرب
على ان يحكى بها ما كان كلاما تقوم بنفسه قبل دخولها فتؤدي مع ذكرها ذلك اللفظ تقول قلت زيد منطلق كانك حكيت
زيد منطلق وكذلك ان زيدا منطلق اذا حكيت تقول قلت ان زيدا وقوم من العرب وهم من بني سليم يجعلون باب قلت كباب
ظننت فيقولون قلت زيدا منطلقا وقوله فاقع لونها ارتفع لونها بانه فاعل فاقع وهو صفة لبقرة مثل صفراء وكذلك
تسر الناظرين جملة مرتفعة الموضع بكونها صفة لبقرة ويقال فقع لونه يفقع فقوعا وفقع يفقع اذا خلصت صفرته
وقوله ان البقر تشابه علينا كل جمع يكون واحده بالهاء نحو البقر والنمل والسحاب فانه يؤنث ويذكر قال الله تعالى
سبحانه كانهم اعجاز نخل خاوية وفي موضع اخر نخل منقعر والتذكير الغالب قوله تثير الارض في موضع رفع لكونه
صفة لذلول وهو داخل في معنى النفي اي ليست بذلول مثيرة في الارض ولا ساقية للحرث ومسلمة صفة لبقرة
ايضا ولا شية فيها جملة في موضع رفع بانها صفة لبقرة وشية مصدر من وشيت واصلها وشية فلما
اسقطت الواو منها عوضت الهاء في اخرها قالوا وشيته شية كما قالوا وزنته زنة ووصلته صلة فوزنها
علة قالوا الان فيه وجوه احدها اسكان اللام من الان وحذف الواو من اللفظ ويجوز قالوا الان على القياس
الهمزة وفتح اللام وترك الواو محذوفة لالتقاء الساكنين لان حركة اللام عارضة ويجوز قالوا الان واظهار الواو
وتحريك اللام لانهم انما حذفوا الواو لسكونها فلما تحركت ردوها والاجود في العربية حذفها ولا يسعني ان يقرا الا بما ورد
به رواية صحيحة فان القراءة سنة متبعة قال ابو علي انما بني الان لتضمنه معنى الحرف وهو تضمن معنى التعريف لان التعريف
حكمه ان يكون بحرف وليس تعريفه بما فيه من الالف واللام لانه لو كان كذلك للزم ان يكون قبل دخول اللام عليه نكرة
كرجل والرجل وكذلك الذي كان فيه الالف واللام وليس هو فاللام بهما ايضا فيه تعريفهما وهو كونه موصولا مخصوصا
ولو كان تعريفه باللام لوجب ان يكون سائر الموصولات المتعرفة بالصلات نحو من وما غير متعرفة وتقوى زيادة اللام

المراد بذلك غير

منطلق ع

بقرة ع

ما رواه المبرد المازني قال سالت الاصمعي عن قول الشاعر ولقد جنيتك اكموا وعساقلا ولقد نهيتك عن بنات الاوبر لم ادخل
اللام قال ادخلها زيادة للضرورة وكقول الاخر باعد ام العمرو من اسيرها وانشد ابن الاعرابي يا ليت ام العمرو كانت صاحبي
مكان من اشتى على الركائب فكان اللام في الذي وفي هذه الحكاية زايدة كذلك هو في الآن زايدة وقوله وما كادوا
يفعلون كاد يدل على مقاربة مباشرة الفعل يفعلون في موضع نصب بانه خبر كاد والفصيح انه لا يدخل عليها ان لان خبر
كاد مع الفعل فيقوم مقام المصدر ولما استند الى ان افعال غير ثابتة ولا مستقرة مثل الطمع والرجاء نحو عسى ان يفعل
ودليل ذلك ان ان لا يدخل على فعل الحال انما على ما يتوقع في المستانف ولهذا كانت ان لازمة بعسى ولا يلزم كاد لان
كاد قريب من الحال وقد استعمل كاد مع ان في الشعر انشد الاصمعي كادت النفس ان تفيض عليه اذ ثوى حشو ريطة وبرود

كان السبب في امر الله تعالى بذبح البقرة فيما رواه العياشي مرفوعا الى الرضا عليه السلام ان رجلا من بني اسرائيل
قتل قرابة له ثم اخذه وطرحه على طريق افضل سبط من اسباط بني اسرائيل ثم جاء يطلب بدمه فقالوا لموسى عليه السلام ان سبط
آل فلان قتل فلانا فاخبرنا من قتله قال ائتوني ببقرة قالوا اتتخذنا هزوا ولو انهم عمدوا الى بقرة اجزأتهم ولكن
شددوا فشدد الله عليهم قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين
ذلك لا صغيرة ولا كبيرة ولا صغيرة ولو انهم عمدوا الى بقرة لاجزأتهم ولكن شددوا فشدد الله عليهم قالوا ادع
لنا ربك الى قوله قالوا الآن جئت بالحق فطلبوها فوجدوها عند فتى من بني اسرائيل فقال لا ابيعها الا بملء
مسكها ذهبا فجاؤا الى موسى عليه السلام فقالوا له فقال اشتروها فاشتروها وقال لرسول الله بعض اصحابه ان هذه
البقرة ما شانها فقال ان فتى من بني اسرائيل كان بارا بابيه وانه اشترى سلعة فجاء الى ابيه فوجده نائما والاقليد
تحت راسه فكره ان يوقظه فترك ذلك فاستيقظ ابوه فاخبره فقال له احسنت خذ هذه البقرة فهي لك
عوض لما فاتك قال فقال رسول الله صلى الله عليه وآله انظروا الى البر ما بلغ باهله وقال ابن عباس كان القتيل
شيخا مثريا فقتله بنو اخيه والقوه على باب بعض الاسباط ثم ادعوا القتل عليهم فاحتكموا الى موسى عليه السلام من عنده
في ذلك علم فقالوا انت نبي الله وانت اعلم منا فاوحى الله تعالى اليه ان يامرهم بذبح بقرة فامرهم موسى عليه السلام ان يذبحوا
بقرة ويضربوا القتيل ببعضها فيحيى الله القتيل فيخبر من قتله وقيل قتله ابن عمه استبطاء موته فقتله ليرثه
وقيل انما قتله ليتزوج ابنته وقد خطبها فلم ينعم له وخطبها غيره من خيار بني اسرائيل فانعم له فحسده ابن عمه الذي
لم ينعم له فقعد له ثم قتله وحمله الى موسى وقال يا نبي الله هذا ابن عمي قد قتل فقال موسى من قتله قالوا لا ندري
وكان القتل في بني اسرائيل عظيما فعظم ذلك على موسى وهذا مروي عن الصادق عليه السلام المعنى هذه الآيات
معطوفة على ما تقدم من الآيات الواردة في البيان لنعم الله تعالى على بني اسرائيل ومقابلتهم بالكفران والعصيان لها ثم
فقال واذكروا ايضا نكثكم ميثاق الذي اخذته عليكم بالطاعة اذ قال موسى لقومه ان الله يامركم ان تذبحوا
بقرة قالوا اتتخذنا هزوا اي قال قوم موسى له اتستهزئ بنا حيث سالناك عن القتل فتامرنا بذبح بقرة وانما قالوا
ذلك لتباعد ما بين الامرين في الظاهر مع جهلهم بوجه الحكمة فيما امرهم به لان موسى عليه السلام امرهم بالذبح ولم يبين
لهم ان الذبح لاي معنى فقالوا اي اتصال لذبح البقرة بما نسالك عنه فهذا استهزاء بنا قال اعوذ بالله ان
اكون من الجاهلين اي معاذ الله ان اكون من المستهزئين وانما قال من الجاهلين لان الاستهزاء
لا يصدر الا عن جاهل فاما من استهزأ بغيره لا يخلو من ان يستهزئ بخلقته او بفعل من افعاله فاما الخلقة
فلا معنى للاستهزاء بها واما الفعل فاذا كان قبيحا فالواجب ان ينبه فاعله على قبحه لينزجر عنه فاما ان يستهزئ
به فالاستهزاء على هذا يكون كبيرة لا تقع الا من جاهل به او محتاج اليه واذا امتثل امر الله لما امر بذبح البقرة دون
غيرها فقد قيل فيه لانها من جنس ما عبدوه من العجل ليهون عندهم ما كانوا يرونه من تعظيمه وليزول ما كان في نفوسهم

الا بقرة ولو انهم عمدوا الى بقرة لاجزأتهم ولكن شددوا فشدد الله عليهم قالوا ادع لنا ربك صح

من عبادته وانما احيا الله القتيل بقتيل حي ليكون اظهر لقدرته في اختراع الاشياء من اضدادها فلما علموا ان
ذبح البقرة فرض من الله تعالى سالوا عن نعتها قبل الابتداء بها قالوا ادع لنا ربك اي سل لنا من اجلنا ربك يبين لنا ما هي
ولم يظهر في السؤال عن نفس البقرة وانما ظهر ذلك في الجواب قال موسى عليه السلام انه يقول اي ان الله عز اسمه يقول انها بقرة
لا فارض ولا بكر عوان اي ليست بهرمة ولا صغيرة عوان بين ذلك اي هي وسط بين الصغيرة والكبيرة وهي اقوى
ما يكون واحسن من البقر والدواب عن ابن عباس وقيل وسط ولدت بطنا او بطنين عن مجاهد فافعلوا
ما تؤمرون اي اذبحوا ما امرتم بذبحه فلما بين سبحانه سن البقرة فسالوا عن لونها فقالوا ادع لنا ربك يبين
لنا ما لونها اي سل ربك لنا ما لون البقرة التي امرنا بذبحها قال موسى انه سبحانه تعالى يقول انها بقرة صفراء حتى
قرنها وظلفها اصفر عن الحسن وسعيد بن جبير فاقع لونها اي شديد الصفرة لونها وقيل خالص الصفرة وقيل
حسن الصفرة وقوله تسر الناظرين اي تعجب الناظرين وتفرحهم بحسنها عن قتادة وغيره وروي عن الصادق عليه السلام
من لبس نعلا صفراء لم يزل مسرورا حتى يبليها كما قال الله بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين ولما بين سبحانه
سن البقرة ولونها سالوا عن صفتها قالوا يا موسى ادع لنا ربك يبين لنا ما هي اي من السوائم ام العوامل ان البقر تشابه
علينا اي اشتبه علينا صفة البقرة التي امرنا بذبحها وانا ان شاء الله لمهتدون الى صفة البقرة بتعريف الله ايانا
وبما شاء من الالطاف والزيادة في البيان وروى ابن جريج وقتادة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله
انهم امروا بادنى بقرة ولكنهم لما شددوا على انفسهم شدد الله عليهم وايم الله لو لم يستثنوا لما بينت لهم
الى اخر الابد قال يعني قال موسى عليه السلام انه اي ان الله سبحانه وتعالى يقول انها بقرة اي البقرة التي امرتم بذبحها
لا ذلول اي لم يذللها العمل باثارة الارض باظلافها ولا تسقي الحرث اي لا يستقى عليها الماء فتسقي الزرع مسلمة
اي بريئة من العيوب عن قتادة وعطاء وقيل هي مسلمة من الشية ليس لها لون يخالف لونها عن مجاهد
وقيل سليمة من اثار العمل لان ما كان من العوامل لا يخلو من اثار العمل لان ما كان من العوامل لا يخلو من اثر
العمل في قوائمه وبدنه وقال الحسن انها كانت وحشية لا شية فيها قال اهل اللغة لا وضح فيها يخالف لون جلدها
وقيل لا لون فيها سوى لونها عن قتادة ومجاهد قالوا الآن جئت بالحق اي اظهرت لنا الحق الآن وهي بقرة فلان
وهذا يدل على انهم جوزوا انه فيما تقدم لم يجئ بالحق على التفصيل وان اتى به على وجه الجملة وقال
قتادة الآن بينت الحق وهذا يدل على انه كان فيهم من شك في ان موسى ما بين الحق فذبحوها يعني البقرة
على ما امروا به وما كادوا يفعلون اي قرب ان لا يفعلوا ذلك مخافة اشتهار فضيحة القاتل وقيل كادوا لا يفعلون
ذلك لغلاء ثمنها فقد حكي عن ابن عباس انهم اشتروها بملء جلدها ذهبا من مال المقتول وعن السدي
بوزنها عشر مرات ذهبا قال عكرمة وما كان ثمنها الا ثلاثة دنانير ثم نذكر هنا فصلا يحتاج اليه الكلام في اصول
الفقه اختلف العلماء في هذه الآية فمنهم من ذهب الى ان التكليف فيها متغاير وانهم لما قيل لهم اذبحوا
بقرة لم يكن المراد منهم الا ذبح اي بقرة شاؤا من غير تعيين بصفة ولو انهم ذبحوا اي بقرة اتفقت لهم كانوا
قد امتثلوا الامر فلما لم يفعلوا كان المصلحة ان يشدد عليهم التكليف ولما راجعوا المرة الثانية تغيرت مصلحتهم
الى تكليف ثالث واختلف هؤلاء من وجه آخر فمنهم من قال في التكليف الاخير انه يجب ان يكون مستوفيا
لكل صفة تقدمت فعلى هذا القول يكون التكليف الثاني والثالث ضم تكليف الى تكليف زيادة في
الشدة لعلمه بما فيه من المصلحة ومنهم من قال انه يجب في الصفة الاخيرة فقط دون ما تقدم وعلى هذا القول
يكون التكليف الثاني نسخا للاول والتكليف الثالث نسخا للثاني وقد يجوز نسخ الشيء قبل الفعل لان المصلحة
يجوز ان تتغير بعد فوات وقته وانما لا يجوز نسخ الشيء قبل وقت الفعل لان ذلك يؤدي الى البداء او ذهب آخرون

ام من العوامل صح

الى ان التكليف واحد وان الاوصاف المتأخرة هي للبقرة المتقدمة وانما تأخر البيان وهو مذهب المرتضى ان م
قدس الله روحه استدل بهذه الآية على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب الى وقت الحاجة قال الله
لما كلفهم ذبح البقرة قالوا لموسى عليه السلام ادع لنا ربك يبين لنا ما هي فلا يخلو قولهم ما هي من ان يكون كناية
عن البقرة المتقدم ذكرها او عن التي امروا بها ثانيا والظاهر من قولهم ما هي يقتضي ان يكون السؤال عن صفة
البقرة المأمور بها لانه لا علم لهم بتكليف ذبح بقرة اخرى فيسئلوا عنها اذا صح ذلك فليس يخلو قوله
انها بقرة لا فارض ولا بكر عوان من ان يكون الهاء فيه كناية عن البقرة الاولى او عن غيرها وليس يجوز ان
يكون كناية عن بقرة ثانية لان الظاهر ان يكون الكناية متعلقة بما تضمنه سؤالهم ولانه لو لم يكن الامر على ذلك
لم يكن جوابا لهم وقول القائل في جواب من سأله ما كذا وكذا انه بالصفة الفلانية صريح في الهاء كناية عما وقع
السؤال عنه هذا مع قولهم ان البقر تشابه علينا فانهم لم يقولوا ذلك الا وقد اعتقدوا ان خطابهم مجمل غير
مبين ولو كان الامر على ما ذهب اليه القوم لم يقل لهم اي تشابه عليكم وانما امرتم في الابتداء بذبح
بقرة اي بقرة كانت وفي الثاني بما يختص بالسن المخصوص وفي الثالث بما يختص باللون المخصوص من اي البقر
كان فاما قوله فذبحوها وما كادوا يفعلون فالظاهر ان ذمهم مصروف الى تقصيرهم او تأخيرهم امتثال الامر
بعد البيان التام وهو غير مقتضي ذمهم على ترك المبادرة في الاول الى ذبح بقرة فلا دلالة في الآية قوله عز وجل
واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله
الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون آيتان اللغة اداراتم اختلفتم واصله تدارأتم فادغمت
التاء في الدال بعد ان سكنت ثم جعلوا فيها همزة الوصل ليمكن النطق بالساكن واصل الدرء الدفع
ومنه الحديث ادرأوا الحدود بالشبهات ومنه قوله ويدرء عنها العذاب وقال رؤبة ادرأتها قدام كل منده كل مده
بالدفع عني درء عجزه وقيل الدرء العوج ومنه قول الشاعر فنكب عنهم درء الاعادي وداووا بالجنون من
الجنون المعنى ثم بين سبحانه المقصود من الامر بالذبح فبدأ بذكر القتل فقال واذ قتلتم نفسا ذكر فيه قولان
احدهما متقدم في المعنى على الآيات المتقدمة وان تأخر في اللفظ فعلى هذا يكون تأويله واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها
فسألتم موسى فقال لكم ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة فقدم المؤخر واخر المقدم ونحو ذا كثير في القرآن والشعر
قال الله سبحانه الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما وقال الشاعر ان الفرزدق
صخرة ململمة طالت فليس تنالها الاوعالا اي طالت الاوعال والوجه الآخر ان الآية قد تعلقت بما هو متأخر
في الحقيقة وهو قوله فقلنا اضربوه ببعضها الآية فكانه قال فذبحوها وما كادوا يفعلون ولانكم قتلتم نفسا
فادارأتم فيها امرناكم ان تضربوه ببعضها ليكشف امره والمراد واذكروا اذ قتلتم نفسا وهذا خطاب لمن كان
على عهد النبي صلى الله عليه وآله والمراد به اسلافهم على عادة العرب في خطاب الابناء والاحفاد بخطاب
الاسلاف والاجداد وخطاب العشيرة بما يكون من احدها فقال فعلت بنو تميم كذا وان كان الفاعل واحدا
ويحتمل ان يكون خطابا لمن كان في زمن موسى عليه السلام ويكون تقديره وقلنا لهم اذ قتلتم نفسا وقيل ان عامل فادارأتم لمن كان مع
فيها الهاء فيها يعود الى النفس اي كل واحد دفع قتل النفس عن نفسه وقيل انها تعود الى القتلة اي اختلفتم
في القتلة لان قوله قتلتم يدل على المصدر وعودها الى النفس اولى واشبه بالظاهر والله مخرج ما كنتم تكتمون
اي مظهر ما كتمتم بينكم من القتل وقيل معناه انه مخرج من عامة ما تخفونه ومطلع من معايبكم ومعايب
اسلافكم على ما تكتمونه انتم وهو خطاب لليهود في زمن النبي صلى الله عليه وآله فقلنا اضربوه ببعضها اي قلنا
لهم اضربوا القتيل ببعض البقرة واختلفوا في البعض من البقرة المضروب به القتيل فقيل ضرب بفخذ البقرة وقام حيا

وقال قتلني فلان ثم عاد ميتا عن مجاهد وقتادة وعكرمة وقيل ضرب بذنبها عن سعيد بن جبير وقيل بلسانها
عن الضحاك وقيل ضرب بعظم من عظامها عن ابي العالية وقيل بالبضعة التي بين الكتفين عن السدي
وقيل ضرب ببعض آرابها عن ابن زيد وهذه الاقوال كلها تحتمل الظاهر والمعلوم ان الله سبحانه امر ان يضرب
القتيل ببعض البقرة ليحيى القتيل اذا فعلوا ذلك فيقول فلان قتلني ليزول الخلف والتدارؤ بين القوم والسبح
عز اسمه وان كان قادرا على احيائه من دون ذلك فانما امرهم بذلك لانهم سألوا موسى ان يبين لهم حال القتيل الابة
فاخبرهم كانوا يتقربون بالقربان من اعظم القربات وكانوا اهلوا التها على حدة لا يدخل الاختيار فامرهم الله
بتقديم هذه القربة تعبدا بما فيه لكل من اعتاض عليه امر من الامور ان يقدم قربة عند الحاجة قبل ان يسال الله تعالى
كشف ذلك عنه ليكون اقرب الى الاجابة وانما امرهم بضرب القتيل ببعضها بان جعل الاختيار في وقت الاحياء
اليهم ليعلموا ان الله سبحانه قادر على احياء الموتى في كل وقت من الاوقات والتقدير في الآية فقلنا اضربوه
ببعضها فضربوه فحيي كما قال سبحانه اضرب بعصاك البحر فانفلق تقديره فضرب فانفلق وقوله كذلك يحيي الله
الموتى يحتمل ان يكون حكاية عن قول موسى عليه السلام لقومه اي اعلموا ان ما عاينتموه ان الله قادر على احياء الموتى
للجزاء ويحتمل ان يكون خطابا من الله تعالى لمشركي قريش ذا الاشارة وقعت الى قيام المقتول عند ضربه
ببعض اعضاء البقرة لانه روي انه قام حيا واوداجه تشخب دما فقال قتلني فلان ابن عمي ثم قبض ويريكم
آياته يعني المعجزات الباهرة الخارقة للعادة من احياء ذلك الميت وغيره وقيل اراد الاعلام الظاهرة الدالة
على صدق محمد صلى الله عليه وآله لعلكم تعقلون لكي تستعملوا عقولكم فان من لم يستعمل عقله ولم يصدق
رسالته فهو من لا عقل له وقيل لكي تعقلوا ما وجب عليكم من امور دينكم واحتج الله تعالى بهذه الآيات على
مشركي العرب فيما استبعدوه من البعث وقيام الاموات بقولهم ائذا كنا عظاما ورفاتا انا لمبعوثون خلقا
جديدا فاخبرهم الله سبحانه بان الذي انكروه واستبعدوه ولا يتعذر عليه في اتساع قدرته ونبههم
على ذلك بذكر المقتول واحيائه بعد خروجه من الحيوة وانطوا خبر قتله وكيفيته وقيامه بعد القتل حيا
مخاطبا باسم قاتله يوذنهم ان احيا جميع الاموات بعد ان صاروا عظاما باليات لا يصعب عليه ولا يتعذر
بل يهون عنده ويتيسر وايضا لدلالته على صدق نبوة نبينا صلى الله عليه وآله حيث اخبرهم بغوامض اخبارهم
التي لا يجوز ان يعلمها الا من قرأ كتب الاولين واوحي اليه من رب العالمين وقد صدقه ذوو المعرفة من اليهود
فيما اخبر به من هذه الاقاصيص وقد علموا انه امي لم يقرأ كتابا ولم يرتابوا في ذلك فهذه آية صادعة وحجة
ساطعة في تثبيت نبوته ع قوله عز وجل ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد
قسوة وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما
يهبط من خشية الله آية القراءة قرأ ابن كثير وحده عما يعملون بالياء ههنا والباقون بالتاء واختلفوا في قوله تعالى وما الله بغافل عما تعملون
وما الله بغافل عما تعملون وما ربك بغافل عما تعملون فقرأها ابو جعفر وحده بالياء في كل القرآن الا في الانعام
وقرأ ابن عامر بالتاء في كل القرآن وقرأ حمزة والكسائي الاول بالتاء والثاني بالياء كل القرآن واختلف
عن ابن كثير ونافع وعاصم وابي عمرو الحجة قال ابو علي القول في ذلك ان ما كان قبله خطاب جعل بالتاء ليكون
الخطاب معطوفا على خطاب كقوله ثم قست قلوبكم ثم قال عما تعملون بالتاء ولو كان بالياء على لفظ الغيبة
اي وما الله بغافل عما يعمل هؤلاء ايها المسلمون لكان حسنا وان كان الذي قبله غيبة حسن ان يجعل على
لفظ الغيبة ويجوز فيه الخطاب ايضا ووجه ذلك ان يجمع بين الغيبة والخطاب ثم يغلب الخطاب على الغيبة
كتغليب المذكر على المؤنث الا ترى انهم قدموا الخطاب على الغيبة في باب الضمير وهو موضع يرد فيه الاشياء الى اصولها

نحو قولك وبحقوقك فلا يكسأ سألك ولا اعاما فلما قدموا المخاطب على الغايب لم يقولوا اعطاهوك علم انه
اقدم في الرتبة فاذا كان الامر على هذا فالخطاب في نحو النحو يعني به الغيبة والمخاطبون فيغلب الخطاب على الغيبة
ويجوز ان يكون خبرا آخر وهو ان يراد به وقل لهم ايها النبي وما الله بغافل عما تعملون اللغة القسوة ذهاب
اللين والرحمة من القلب يقال قسا قلبه يقسو قسوا وقسوة وقساوة والقسوة الصلابة في كل شيء ونقيضه
الرقة والشدة العنف في الجسم والشدة صعوبة الامر واشده العقد والنهر المجرى الواسع من مجاري الماء
والجدول والسري دون ذلك يقال نهر ونهر والفتح افصح قال سبحانه في جنات ونهر وانهار والتفجر التفعل
من فجر الماء وذلك اذا نزل خارجا من منبعه وكل سايل شخص خارجا من موضعه ومكانه فقد انفجر ماء
كان او دما او غير ذلك قال عمرو بن لجا ولما ان قربت الى جرير ابى ذو بطنه الا انفجارا اي خروجا وسيلانا [illegible]
واصل يشقق يتشقق ادغمت التاء في الشين وهو ان ينقطع من غير ان يبين والغفلة السهو عن الشيء وهو
ذهاب المعنى عن النفس بعد حضوره ويقال تغافلت عن عمد اي عملت عمل الساهي الاعراب والمعنى
لما قدم سبحانه ذكر المعجزات القاهرة والاعلام الظاهرة بين ما فعلوا بعدها من العصيان والطغيان قال
عز اسمه ثم قست قلوبكم اي غلظت ويبست وعست من بعد ذلك اي من بعد آيات الله كلها التي اظهرها
على يد موسى ع وقيل انما اراد اخي المقتول حين انكروا قتله بعد ان سمعوه منه عند ما احياه الله تعالى اياه
انه قتله فلان عن ابن عباس فيكون ذلك اشارة الى الاحياء اي من بعد احياء الميت لكم ببعض من اعضاء
البقرة بعد ان تدارأتم فيه واخبركم بقاتله والسبب الذي من اجله قتله وكان يجب من شاهد هذه
العجيبة المعجبة والمعجزة الخارقة للعادة ان يخشع ويلين قلبه ويحتمل ان يكون ذلك اشارة ايضا الى الآيات
الاخر التي تقدمت من مسخ القردة والخنازير ورفع الجبل فوقهم وانبجاس الماء من الحجر وانفراق البحر وغيرها ذلك
وانما جاز ان يقول ذلك وان كانوا جماعة ولم يقل ذلكم لان الجماعة في معنى الجميع والفريق ولفظ الخطاب
مفرد في معنى الجميع ولو قال ذلكم لجاز وقوله فهي كالحجارة شبه قلوبهم بالحجارة في الصلابة واليبس والغلظ
والشدة وقد ورد الخبر عن النبي صلى الله عليه واله انه قال لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فان كثرة الكلام بغير
ذكر الله تقسي القلب وان ابعد الناس من الله القاسي القلب او اشد قسوة او هي اشد قسوة ويجوز ان
يكون عطفا على موضع الكاف فكانه قال فهي مثل الحجارة او اشد قسوة اي اشد صلابة لامتناعهم
عن الاقرار اللازم وقيام حجته والعمل بالواجب من طاعته بعد مشاهدة الآيات وقيل في تاويل او هنا
وجوه احدها ما ذكره الزجاج ان معناها الاباحة كقولهم جالس الحسن او ابن سيرين فان جالست
احدهما او جمعت بينهما فانت مصيب فيكون معنى الآية على هذا ان قلوبهم قاسية فان شبهت قسوتها
بالحجر اصبت وان شبهتها بما هو اشد اصبت وان شبهتها بهما جميعا اصبت كما مر نحو هذا في قوله سبحانه
او كصيب من السماء وثانيها ان يكون او دخلت للتفصيل والتمييز فيكون معنى الآية ان قلوبهم قاسية فبعضها
كالحجارة وبعضها اشد قسوة من الحجارة وقد يحتمل قوله تعالى او كصيب من السماء هذا الوجه ايضا وثالثها
ان يكون او دخلت على سبيل الابهام فيما يرجع الى المخاطب وان كان الله تعالى عالما بذلك غير شاك فيه
فاخبر ان قسوة قلوب هؤلاء كالحجارة او اشد قسوة والمعنى انها كاحد هذين لا يخرج عنهما كما تقول اكلت
بسرا او تمرا وهو يعلم ما اكله على التفصيل الا انه ابهم على المخاطب وكما قال لبيد تمنى ابنتاي ان يعيش ابوهما وهل انا
الا من ربيعة او مضر اراد هل انا الا من احد هذين الجنسين سبيلي ان افنى كما فنيا وانما حسن ذلك لان غرضه
الذي نحاه هو ان يخبر بكونه ممن يموت ويفنى ولم يخل بغرضه الذي اجراه اليه اجمال ما اجمل من كلامه ولكن

هنا الغرض الاخبار عن شدة قسوة قلوبهم وانها مما لا يصغي الى وعظ ولا تعرج على خير فسوا او كانت كالحجارة او اشد
منها فانه لا يحتاج الى ذكر تفصيله ورابعها ان يكون او بمعنى بل كما قال الله تعالى وارسلناه الى مائة الف او يزيدون
ومعناه بل يزيدون وروي عن ابن عباس انه قال كانوا مائة الف وبضعا واربعين الفا وانشد الفراء بدت
مثل قرن الشمس في رونق الضحى وصورتها او انت في العين املح كما يكون ام المنقطعة في الاستفهام بمعنى بل كقول القائل
اضرب عبد الله ام انت متعنت اي بل انت وقال الشاعر فوالله ما ادري اسلمى تغولت ام النوم ام كل الي حبيب
معناه بل كل وقد طعن على هذا الجواب فقيل كيف يجوز ان يخاطبنا الله تعالى بلفظ بل وهي تقتضي الاستدراك
والنقض للكلام الماضي والاضراب عنه وهذا غير سديد لان الاستدراك ان اريد به الاستفادة او التذكر
لما لم يكن معلوما فلا يصح وان اريد به الاخذ في الكلام الماضي واستيناف زيادة عليه فهو صحيح فالقايل اذا قال
اعطيته الفا بل الفين لم ينقض الاولى وكيف ينقضه والاول داخل في الثاني وانما زاد عليه وانما يكون ناقضا
للثاني لو قال لقيت رجلا بل حمارا لان الاول لا يدخل في الثاني على وجه وقوله تعالى او اشد قسوة غير ناقض للاول
لانها لا تزيد على الحجارة الا بان تساويها وانما تزيد عليها بعد المساواة وخامسها ان يكون بمعنى الواو كقوله تعالى
او بيوت ابائكم او بيوت امهاتكم ومعناه وبيوت ابائكم قال جرير اثعلبة الفوارس او رياحا عدلت بهم طهية
والخشابا اراد ورياحا وقال ايضا نال الخلافة او كانت له قدرا كما اتى موسى ربه على قدر وقال توبة بن الحمير
وقد زعمت ليلى باني فاجر لنفسي تقاها او عليها فجورها فان قيل كيف يكون او في الآية بمعنى الواو والواو للجمع
والشيء اذا كان على صفة لم يجز ان يكون على خلافها اجيب عنه بانه ليس يمتنع ان تكون قلوبهم كالحجارة في حالة
واشد من الحجارة في حالة اخرى فيصح المعنى ولا يتنافى وفايدة هذا الجواب ان قلوب هؤلاء مع قسوتها ربما
لانت بعض اللين ويكون تصغي الى الحق فيكون في هذا الحال كالحجارة التي ربما لانت ويكون في حال اخرى في نهاية
البعد عن الخير فيكون اشد من الحجارة وجواب اخر وهو ان قلوبهم لا تكون اشد من الحجارة الا ان يكون فيها بعد
قسوة كالحجارة لان قولنا فلان اعلم من فلان اخبار بانه زايد عليه في العلم الذي اشتركا فيه فلا بد من الاشتراك
ثم الزيادة فلانا في هنا ثم فضل الله تعالى الحجارة على القلب القاسي وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار معناه
ان من الحجارة ما هو انفع من قلوبكم القاسية لتفجر منه انهار الماء واستغنى بذكر الانهار عن ذكر الماء وقيل المراد
منه الحجر الذي كان يتفجر منه اثنتا عشرة عينا وقيل هو عام وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء يعني من الحجارة
ما يخرج منه الماء فيكون عينا نابعة لا انهارا جارية حتى يكون مخالفا للاول وقال الحسين بن علي المغربي الحجارة
الاولى حجارة الجبال منها تتفجر الانهار والثانية حجر موسى ع الذي كان يضربه فتخرج منه العيون فلا يكون تكرارا وان
منها لما يهبط من خشية الله الضمير في منها راجع الى الحجارة اي ومن الحجارة ما يهبط من خشية الله اي تخشع وهي
قلوب من آمن من اهل الكتاب فيكونون مستثنين من القاسية قلوبهم عن ابي مسلم ومن قال ان الضمير يرجع
الى الحجارة فانهم اختلفوا في تاويله على وجوه احدها ما روي عن مجاهد وابن جريج ان كل حجر يتدهدى من راس
جبل فهو من خشية الله ومعناه ان الحجارة قد تصير الى الحال التي ذكرها من خشية الله وقلوب اليهود لا تخشى
ولا تخشع ولا تلين لانهم عارفون بصدق محمد ثم لا يؤمنون فقلوبهم اقسى من الحجارة وثانيها ما قاله
الزجاج ان الله اعطى بعض الجبال المعرفة فعقل طاعة الله نحو الجبل الذي على الله عز وجل حين كلم موسى
فصار دكا كما روي عن النبي صلى الله عليه واله انه قال ان حجرا كان يسلم علي في الجاهلية واني لاعرفه الان وهذا
الوجه ضعيف لان الجبل اذا كان جمادا استحال ان يكون فيه معرفة الله تعالى وان كان بنية حي فانه لا يكون جبلا
واما الخبر فان صح فان معناه سبحانه احياه فسلم على النبي صلى الله عليه واله واعاده حجرا ويكون معجزا له ع وثالثها

ان يدعو المتفكر فيه الى خشية الله او يوجب الخشية بدلالته على صانعه لما يرى فيه من الدلالات والعجايب واضاف الخشية
اليه لان التفكر فيه هو الداعي الى الخشية كما قال جرير بن عطية واعور من نبهان فاما نهاره فاعمى واما ليله فبصير فجعل الصفة
لليل والنهار وهو يريد صاحب النهار الذي يهجوه بذلك من اجل انه كان فيهما على ما وصفه به وقد بينا انا انما ذكر ذلك
على سبيل ضرب المثل اي كانه يخشى الله سبحانه في المثل لانقياده لامره ووجل منه كما لو حل مما حي عاقل لكان دليلا على
خشيته كقوله سبحانه فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض فاقامه اي فكانه مريد لان تنظر فيه من الميل ما لو ظهر من حي لدل
على ارادة الانقضاض ومثله وان من شيء الا يسبح بحمده وكما قال زيد الخيل بجمع تضل البلق في حجراته ترى الاكم فيها سجدا للحوافر
وقال جرير لما اتى خبر الزبير تواضعت سور المدينة والجبال الخشع اي كانها كذلك وقال جرير ايضا والشمس طالعة ليست
بكاسفة تبكي عليك نجوم الليل والقمرا وكما قال سبحانه لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله
اي لو كانت الجبال مما يخشع لشيء ما لرايته خاشعا ويؤيد هذا الوجه قوله سبحانه وتلك الامثال نضربها للناس
وخامسها ان هبط يجوز ان يكون متعديا قال الشاعر ما راعني الا الخطيط الاجناح هابطا على البيوت قوطه العلاجا
فاعل في القوط كما ترى ويكون على هبطت الشيء فهبط فمعناه يهبط غيره من خشية الله اذا راه الانسان خشع لطاعته
كما قرا الا انه حذف المفعول تحقيقا ولدلالة الكلام عليه ونسب الفعل الى الحجر لان طاعته رائيه لخالقه بسببها
النظر اليه اي ان منها ما يهبط الناظر اليه اي يخضعه ويخشعه وقوله وما الله بغافل عما تعملون انما المكذبون بآياته
الجاحدون لنبوة نبيه محمد صلى الله عليه وآله وقد ذكرناه مثل قوله عز وجل افتطمعون ان يؤمنوا لكم وقد
كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون آية اللغة الطمع
تعليق النفس بما يطمع من النفع ونظيره الامل والرجا ونقيضه الياس والفريق جمع كالطائفة لا واحد لها من لفظه
وهو فعيل من الفرق كما سميت الجماعة بالحزب من التحزب قال اعشى بن ثعلبة اجدوا فلما خفت ان يتفرقوا
فريقين منهم مصعد ومصوب والتحريف في الكلام تغيير الكلمة عن معناها الاعراب افتطمعون الف استخبار
يجري في كثير من المواضع مجرى الانكار اذ المحكي معه منفي فاذا جاءت مع النفي فانكار النفي يثبت ويكون بمعنى الاستدعاء
الى الاقرار كقول العبسي الله بكان عبده وجوابه بلى كقوله الم يأتكم نذير قالوا بلى وجواب افتطمعون لا على ما ذكرناه المعنى
هذا خطاب لامة نبينا محمد صلى الله عليه وآله يقول افتطمعون ايها المؤمنون ان يؤمنوا لكم من طريق النظر والاعتبار
والانقياد للحق والاختيار وقد كان فريق منهم اي طائفة هو في مثل حالهم من اسلافهم يسمعون كلام الله ويعلمون انه حق
ويعاندون فيحرفونه ويتاولونه على غير تاويله وقيل انهم علماء اليهود الذين يحرفون التوراة فيجعلون الحرام حلالا
والحلال حراما اتباعا لاهوائهم لمن يرشوهم عن مجاهد والسدي وقيل انهم السبعون رجلا الذين اختارهم موسى
من قومه فسمعوا كلام الله ولم يمتثلوا امره وحرفوا القول في اخبارهم لقومهم حين رجعوا اليهم عن ابن عباس والربيع
فيكون على هذا كلام الله معناه كلام الله لموسى وقت المناجاة وقيل المراد بكلام الله صفة محمد صلى الله عليه وآله
في التوراة وقوله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون قيل فيه وجهان احدهما ان يكون معناه انهم غيروه من
بعد ما فهموه فانكروه عنادا وهم يعلمون انهم يحرفونه اي يغيرونه والثاني ان معناه من بعد ما تحققوه وهم يعلمون
ما عليهم في تحريفه من العقاب والاول اليق بمذهبنا في الموافاة واعلم ان المراد بالآية ان هؤلاء اليهود كانوا
على عهد النبي صلى الله عليه وآله ان لم يؤمنوا او كذبوه وجحدوا نبوته فلهم بآبائهم واسلافهم الذين كذبوا موسى اسوة
اذ جروا على طريقتهم في الجحد والعناد وهؤلاء الذين عاندوا وحرفوا كانوا معدودين يجوز على مثلهم التواطؤ والاتفاق
في كتمان الحق وان كان يمتنع ذلك على الجمع الكثير والجم الغفير لان مرجع الى اختلاف الدواعي ويبطل قول من قال انهم كانوا
كلهم عارفين معاندين لان الله سبحانه انما نسب فريقا منهم الى المعاندة وان كانوا باجمعهم كافرين وفي هذه الآية دلالة على

58

عظم الذنب في تحريف الشرع وهو عام في اظهار البدع في الفتاوى والقضايا وجميع امور الدين قوله عز وجل واذا
لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا اتحدثونهم بما فتح الله عليكم
ليحاجوكم به عند ربكم افلا تعقلون آية اللغة الحديث والخبر والنبأ نظائر مشتق من
الحدوث كانما اخبار عن حوادث الزمان والفتح في الاصل فتح المغلق وقد يستعمل في مواضع كثيرة منها الحكم
يقال اللهم افتح بيني وبين فلان اي احكم ومنه يقولون متى هذا الفتح اي هذا القضاء ويوم الفتح يوم القضاء
قال الشاعر الا ابلغ بني عصم رسولا فاني عن فتاحتكم غني ومنه القاضي الفتاح ومنها التعليم يقال افتح علي هذا
اي علمني ما عندك فيه ومنها النصرة يقال استفتح طلب منه النصر ومنه قوله ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح ويستعمل
في فتح البلدان يقال فتح المسلمون ارض كذا والمحاجة والمجادلة والمناظرة نظائر فالمحاجة ان يحتج كل واحد
من الخصمين على صاحبه والحجة الوجه الذي يكون به الظفر عند الحجاج ويقال حاججته فحججته وفي الحديث
فحج آدم موسى اي غلبه بالحجة واصله من الحج القصد ومنه الحج وهو القصد الى بيت الله الحرام على وجه مخصوص فالحجة
هي النكتة المقصودة في تصحيح الامر روى عن ابي جعفر الباقر ع انه قال كان قوم من اليهود ليسوا من المعاندين
والمتواطئين اذا لقوا المسلمين حدثوهم بما في التوراة من صفة محمد صلى الله عليه وآله فنهاهم كبراؤهم عن ذلك
وقالوا لا تخبروهم بما في التوراة من صفة محمد فيحاجوكم به عند ربكم فنزلت هذه الآية قال مجاهد نزلت
في بني قريظة لما قال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله يا اخوة القردة والخنازير فقالوا من اخبر محمدا بهذا ما خرج الا منكم وقال السدي
هؤلاء ناس من اليهود آمنوا ثم نافقوا فكانوا يحدثون المؤمنين من العرب بما عذب الله به فقال بعضهم لبعض اتحدثونهم
بما فتح الله عليكم من العذاب فيحاجوكم به فيقولون نحن اكرم على الله منكم المعنى ثم ذكر الله سبحانه خصلة اخرى
من خصالهم الذميمة فقال وهم الذين اذا لقوا الذين آمنوا اي اذا راوهم قالوا آمنا اي صدقنا بمحمد صلى الله عليه وآله
انه نبي صادق نجده في كتابنا بنعته وصفته وبما صدقتم به واقررتم لكن اخبر الله تعالى عنهم بانهم تخلقوا
باخلاق المنافقين وسلكوا طريقتهم واستنوا بسنتهم واذا خلا بعضهم الى بعض اي اذا خلا بعض هؤلاء اليهود الذين
وصفهم الله الى بعض منهم فصاروا في خلاء وهو الموضع الذي ليس فيه غيرهم قالوا اي قال بعضهم لبعض اتحدثونهم
بما فتح الله عليكم قال الكلبي بما قضى الله عليكم في كتابكم ان محمدا حق وقوله صدق وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس
ان معناه قالوا اتحدثون العرب بهذا فانكم قد كنتم تستفتحون به عليهم اي لا تقروا بانه نبي وقد علمتم انه قد اخذ له
الميثاق عليكم باتباعه وانه النبي الذي كنا ننتظره ونجده في كتبنا احجدوه ولا تقروا لهم به قال الكسائي اتحدثونهم
بما بينه الله لكم في كتابكم من العلم ببعث محمد والبشارة به وبعض الاقوال التي ذكرناه في النزول واقوى التاويلات
قول من قال اتحدثونهم بما فتح الله عليكم اي حكم الله به عليكم وقضاه فيكم ومن حكمه عليكم ما اخذ به ميثاقكم
من الايمان بمحمد صلى الله عليه وآله وصفته الموصوفة لكم في التوراة ومن قضائه فيكم انه جعل منكم القردة والخنازير
وقوله ليحاجوكم به عند ربكم اي ليكون لهم الحجة عليكم عند الله في الدنيا والآخرة في ايمانهم بمحمد صلى الله عليه وآله
اذ كنتم مقرين ومخبرين بصحة امره من كتابكم فيبين انه حجة عليكم عند الله وقيل معناه ليجادلوكم ويقولوا لكم
قد اقررتم بانه نبي حق في كتابكم ثم لا تتبعونه وقوله عند ربكم قال ابن الانباري معناه في حكم ربكم كما يقال هذا
حلال عند الشافعي اي في حكمه وهذا حلال عند الله اي في حكمه وقوله افلا تعقلون اي افلا تفقهون ايها القوم
ان اخباركم محمدا واصحابه بما تخبرونهم به من وجود نعت محمد في كتبكم حجة عليكم عند ربكم يحتجون بها عليكم
وقيل معناه افلا تعقلون ايها المؤمنون انهم لا يؤمنون اي فلا تطمعوا في ذلك عن الحسن وقيل انه خطاب من الله
لليهود اي افلا تعقلون ايها اليهود اذ تقبلون عن رؤسائكم مثل هذا وبه الحدث عليهم عن الرجوع الى قول رسول الله قوله عز وجل

أولا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون آية المعنى أو لا يعلمون هؤلاء اليهود أن الله يعلم سرهم وعلانيتهم
فكيف يستجيزون أن يسروا إلى إخوانهم النهي عن التحدث بما هو الحق وهم مقرون بذلك غير جاحدين بالله
يعلم سرهم وجهرهم كالكافرين والمنافقين فخرج هذا مخرج التوبيخ والمذمة لهم الزجر عن الكفر المضمر وقيل معناه
أولا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون من كفرهم وتكذيبهم محمدا إذا خلا بعضهم إلى بعض وما يعلنون من قولهم آمنا
إذا لقوا أصحاب محمد ليرضوهم بذلك عن قتادة وأبي العالية قوله عز وجل ومنهم أميون لا يعلمون
الكتاب إلا أماني وإن هم إلا يظنون آية القراءة قرأ أبو جعفر وشيبة والحسن أماني مخففة والباقون بالتشديد وكذا
قوله ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب الحجة قال ابن جني الأصل فيه التثقيل أماني جمع أمنية والتخفيف
في هذا النحو كثير والمحذوف منه الياء الأولى التي هي نظيرة ياء المد مع غير الإدغام نحو ياء قراطيس وحواميم وأراجيح
جمع جوهانه وأرجوحة الأمر إلا أنه قد حذفت في نحو قوله والبكرات الفسج العطامسا وقوله وغير سفع مثل يحامم
يريد عطاميس ويحاميم وعلى أن حذف الياء مع الإدغام أسهل منه حذف الياء لا إدغام معه وذلك أن
هذه الياء لما أدغمت خفيت وكادت تستهلك فإذا أنت حذفتها فكأنك إنما حذفت شيئا هو في حال وجوده
في حكم المحذوف اللغة الأمي الذي لا يحسن الكتابة وإنما سمي أميا لأحد وجوه أحدها أن الأمة الخلقة
فسمي أميا لأنه باق على خلقته ومنه قول الأعشى وإن معوية الأكرمين حسان الوجوه طوال الأمم وثانيها أنه مأخوذ
من الأمة التي هي الجماعة أي هو على أصل ما عليه الأمة في أنه لا يكتب لأنه يستفيد الكتابة بعد أن لم يكتب وثالثها
مأخوذ من الأم أي إنما ولدته أمه في أنه لا يكتب وقيل إنما نسب إلى أمه لأن الكتابة تكون في الرجال دون النساء هو على أمه
والأمنية ذكر فيها وجوه أحدها أن معناه التلاوة فقال تمنى كتاب الله أي قرأ وقال تلا وقال كعب بن مالك تمنى
كتاب الله أول ليلة وآخره لاقى الحمام المقادر وقال آخر تمنى كتاب الله بالليل خاليا تمني داود الزبور على رسل
وثانيها أن المراد بالأماني الأحاديث المختلقة عن الفراء والعرب تقول أنت إنما تمتني هذا القول أي
تختلقه وقال بعضهم ما تمنيت منذ أسلمت أي كذبت وثالثها أن المراد بالأماني أنهم يتمنون على الله ما ليس لهم مثل
قولهم لن تمسنا النار إلا أياما معدودة وقولهم نحن أبناء الله وأحباؤه وقال الزجاج إذا قال القائل ما لا يعلمه فكأنه
إنما يتمناه وهذا مستعمل في كلام الناس يقول للذي يقول ما لا حقيقة له وهو يحبه هذا منى وهذه أمنية والظن هو ترجيح يقول ما
أحد الجائزين على الآخر لأمارة صحيحة وليس هو من قبيل الاعتقادات على الصحيح من المذهب وفي الناس من قال هو
اعتقاد الإعراب قال الزجاج يرتفع أميون بالابتداء ومنهم الخبر وفي قول الأخفش يرتفع الأميون بفعلهم كأن المعنى واستقر منهم
أميون وقال أبو علي ليس يرتفع أميون عند الأخفش بفعلهم وإنما يرتفع بالظرف الذي هو منهم ومذهب سيبويه
أنه يرتفع بالابتداء ففي منهم عنده ضمير لقوله أميون وموضع منهم على مذهبه رفع وهو موقع خبر الابتداء فأما
على مذهب الأخفش فلا ضمير كقوله أميون في منهم ولا موضع عنده كما لا موضع لذهب في قولك ذهب زيد وإنما
رفع الأخفش الاسم بالظرف لأنه نظر إلى هذه الظروف فوجدها تجري مجرى الفعل في مواضع وفي أنها تحمل الضمير
كما يحمله الفعل وما قام مقامه من أسماء الفاعلين وما أشبه به وتوكد ما فيها كما تؤكد ما في الفعل وما قام
مقامه في نحو مررت بقوم لك أجمعون وينتصب عنها الحال كما ينتصب عن الفعل ويوصف بها الأسماء الموصولة
كما يوصف بالفعل والفاعل فينتصب منها ضمير الموصول كما يصير في الفعل ويوصف به النكرة كما يوصف
بالفعل والفاعل فلما رآها في هذه المواضع تقوم مقام الفعل أجراها أيضا مجرى الفعل فرفع بها الاسم كما رفع بالفعل
إذا قامت هذه الظروف مقام الفعل في هذه المواضع فقال في نحو عندك زيد وفي الدار عمرو ومنهم أميون ونحو ذلك أنه
يرتفع بالظرف إذ كان الظرف قد يقوم مقام الفعل في غير هذه المواضع والدليل على أن الاسم ههنا مرتفع بالظرف دون الفعل

59
الذي هو استقر ونحوه أنه لو كان مرتفعا بالفعل لجاز قائما في الدار زيد كما يجوز قائما استقر زيد وامتناع تقديم
الحال هنا يدل على أنه لا عمل للفعل ههنا وقوله إلا أماني نصب على الاستثناء المنقطع كقوله ما لهم به من علم إلا اتباع
الظن وكقول الشاعر ليس بيني وبين قيس عتاب غير طعن الكلى وضرب الرقاب وقول النابغة حلفت يمينا غير
ذي مثنوية ولا علم إلا حسن ظن بصاحب وإن في قوله إن هم بمعنى ما أي ما هم إلا ظانون فهم مبتدأ ويظنون خبره
المعنى وليس هؤلاء اليهود الذين قص الله قصصهم في هذه الآيات وقطع الطمع عن إيمانهم أميون أي غير عالمين بمعاني
الكتاب يعلمونها حفظا وتلاوة لا رعاية ودراية وفهما لما فيه عن ابن عباس وقتادة وقال أبو عبيدة الأميون
هم الأمم الذين لم ينزل عليهم كتاب والنبي الأمي الذي لا يكتب وأنشد لتبع لأمه هي سميت في الزبور أمية خير الأمم
وقوله لا يعلمون الكتاب أي لا يعلمون ما في الكتاب الذي أنزل الله عز وجل ولا يدرون ما أودعه الله إياه من
الحدود والأحكام والفرائض فهم كهيئة البهائم مقلدة لا يعرفون ما يقولون والكتاب المعني به التوراة أدخل
عليه لام التعريف إلا بمعنى لكن أماني أي غير لا يقولون بأفواههم كذبا عن ابن عباس وقيل أحاديث يحدثهم
بها علماؤهم عن الكلبي وقيل تلاوة يتلونها ولا يدرون ما فيها عن الكسائي والفراء وقيل أماني يتمنون على الله بالرحمة
ويخطر الشيطان ببالهم أن لهم عند الله خيرا ويتمنون ذهاب الإسلام بموت الرسول وعود الرياسة إليهم وقيل
أماني يتخرصون الكذب ويقولون الباطل والتمني في هذا الموضع هو تخلق الكذب وتخرصه وتقوى ذلك
قوله وإن هم إلا يظنون فتبين أنهم يختلقون من الكذب ظنا لا يقينا ولو كان المعنى أنهم يتلونه لما كانوا ظانين ما يختلقون
وكذلك لو كانوا يتمنونه لأن الذي يتلوه إذا تدبره علمه ولا يقال للتمني في حال وجود تمنيه أنه يظن تمنيه ولا أنه
شاك فيما هو عالم به واليهود الذين عاصروا النبي صلى الله عليه وآله لم يشكوا في أن التوراة من عند الله وقوله
وإن هم إلا يظنون معناه أنهم يشكون وفي هذه الآية دلالة على أن التقليد في معاني الكتاب وفيما طريقه
العلم غير جائز وأن الاقتصار على الظن في أبواب الديانات لا يجوز وأن الحجة بالكتاب قائمة على جميع الخلق وإن
لم يكونوا عالمين إذا تمكنوا من العلم به وأن من الواجب أن يكون التعويل على معرفة معاني الكتاب لا على مجرد
تلاوته قوله عز وجل فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا
به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون آية اللغة
الويل في اللغة كلمة يستعملها كل واقع في هلكة وأصله العذاب والهلاك ومثله الويح والويس وقال الأصمعي هو التقبيح
ومنه ولكم الويل مما تصفون وقال المفضل معناه الحزن وقال قوم هو الهوان والخزي ومنه قول الشاعر يا زبرقان
أخا بني خلف ما أنت ويل أبيك والفخر وأصل الكسب العمل الذي يجلب به نفع أو يدفع به ضرر وكل عامل عملا باشره
بنفسه ومعاناته فهو كاسب له قال لبيد لمعفر قهد تنازع شلوه غبس كواسب ما يمن طعامها وقيل الكسب عبارة
عن كل عمل بجارحة يجلب به نفعا أو يدفع به مضرة ومنه قيل للجوارح من الطير كواسب الإعراب ويل رفع بالابتداء وخبره
للذين قال الزجاج ولو كان في غير القرآن لجاز فويلا للذين على معنى جعل الله ويلا للذين والرفع على معنى ثبوت الويل للذين وقال غيره إذا أضيفت ويل وويح
وويس نصبت من غير تنوين فقلت ويح زيد وويل زيد وأما التعس والبعد وما أشبههما فلا يحسن فيهما إلا إضافة
بمعنى لام فلذلك لم يرفع في نحوهما وإنما يقال تعسا لزيد وبعدا لزيد وتبا له فقد نصب الجميع ويل وويح مع اللام وويلا لزيد
وويح له قال الشاعر كسى اللؤم تيما خضرة في جلودها فويلا لتيم من سرابيلها الخضر المعنى ثم عاد سبحانه إلى ذكر علماء
اليهود فقال فويل للذين يكتبون الكتاب قال ابن عباس الويل في الآية العذاب وقيل جبل في النار وروى الخدري
عن النبي صلى الله عليه وآله أنه واد في جهنم يهوي فيها الكافر أربعين خريفا قبل أن يبلغ قعره والأصل فيه ما ذكرناه من
أن كلمة التحسر والتوجع والتفجع والتلهف يقولها كل مكروب هالك وفي التنزيل يا ويلنا ما لهذا الكتاب وقوله الذين

يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله معناه يتولون كسبه ثم يضيفونه الى الله تع سبحانه كقوله سبحانه مما
علمت ايدينا اي مما تولينا ذلك لم نكله الى احد من عبادنا ومثله حلفت بيدي ويقال رايته بعيني وسمعته باذني
ولقيته بنفسي والمعنى في ذلك التاكيد وايضا فقد يضيف الانسان الكتابة الى نفسه وقد امر غيره بالكتابة فيقول انا
كتبت الى فلان وهذا كتابي وكقوله سبحانه يذبح ابناءهم وانما امر به فاعلمنا الله سبحانه انهم يكتبونه بايديهم ويقولون الى فلان صح
هو من عند الله وقد علموا يقينا انه ليس من عنده وقيل معناه انهم ضلوا ذلك من تلقاء نفسهم كالرجل اخترع
مذهبا او قولا لم يسبق اليه فيقال له هذا مذهبك وهذا قولك وان كان جميع ما يوجب عنده الاقوال
قوله والمراد ان هذا من تلقاء نفسك وانك لم تسبق اليه وقيل كتابتهم بايديهم انهم عمدوا الى التوراة وحرفوا صفة
النبي صلى الله عليه وآله ليوقعوا بذلك الشك على المستضعفين من اليهود وهو المروي عن ابي جعفر الباقر عليه السلام وعن جماعة
من اهل التفسير وقيل كانت صفته في التوراة اسمر ربعة فجعلوه آدم طويلا وفي رواية عكرمة عن ابن عباس قال ان احبار
اليهود وجدوا صفة النبي صلى الله عليه وآله مكتوبة في التوراة اكحل اعين ربعة جعد حسن الوجه فمحوه من التوراة حسدا
وبغيا فاتاهم نفر من قريش فقالوا اتجدون في التوراة نبيا قالوا انا نجده طويلا ازرق سبط الشعر ذكره
الواحدي باسناده في الوسيط وقيل المراد بالآية كاتب يكتب للنبي صلى الله عليه وآله والمعنى ما املى عليه ثم ارتد فمات
فلفظته الارض والاول اصح لانه اليق بنسق الكلام وقوله ليشتروا به ثمنا قليلا يريد ليأخذوا به ما كانوا يأخذونه
من عوامهم من الاموال وانما ذكر لفظ الاشتراء توسعا والمراد انهم تركوا الحق واظهروا الباطل ليأخذوا واخذوا
شيئا لمن يشتري السلعة بما يعطيه والفائدة في قوله ثمنا قليلا ان كل شيء لا يكون الا قليلا وللعرب في ذلك
طريقة معروفة يعرفها من تصفح كلامهم وقيل انما وصفه بالقلة لانه عرض الدنيا وهو قليل المدة كقوله تعالى قل متاع
الدنيا قليل عن ابي العالية وقيل انما قال قليلا لانه حرام وقوله فويل لهم مما كتبت ايديهم اي عذاب اليم وخزي لهم
وقبح لهم مما فعلوا من تحريف الكتاب وويل لهم مما يكسبون من المعاصي وقيل مما يجمعون من المال الحرام والرشا التي
يأخذونها من العوام قوله عز وجل وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة قل اتخذتم عند الله عهدا فلن
يخلف الله عهده ام تقولون على الله ما لا تعلمون آية اللغة المس نظير اللمس والفرق بينهما ان اللمس احساسا مع صح
واصله للصوق وحده الجمع بين الشيئين على نهاية القرب والاخلاف نقض ما تقدم من العهد بالفعل الاعراب انتصب اياما
على الظرف واصل اتخذتم ااتخذتم دخلت همزة الاستفهام على همزة الوصل فسقطت همزة الوصل وفي القراء
من ادغم الذال في التاء من اتخذتم ومنهم من لم يدغم وام هاهنا يحتمل ان يكون متصلة على المعادلة لهمزة الاستفهام
كانه قال على اي الحالتين انتم تقولون على الله ما لا تعلمون ام تقولون عليه ما لا تعلمون ويحتمل ان يكون منقطعة على تقدير
تمام الكلام ويكون بمعنى بل والهمزة كانه استيناف فقال بل اتقولون النزول قال ابن عباس ومجاهد قدم رسول الله صلى
عليه وآله المدينة واليهود تزعم ان مدة الدنيا سبعة آلاف سنة وانما نعذب بكل الف سنة يوما واحدا ثم ينقطع
العذاب فانزل الله تعالى هذه الآية وقال ابو العالية وعكرمة وقتادة يعنون يوما الا عدد الايام التي
عبدوا فيها العجل المعنى وقالوا اي قالت اليهود لن تمسنا النار اي لن تصيبنا الا اياما معدودة معناه اياما قلائل
كقوله دراهم معدودة وقيل معدودة محصاة والمعدودة اذا اطلقت كان معناه القليلة وقال الله سبحانه قل يا محمد
لهم اتخذتم عند الله عهدا اي موثقا انه لا يعذبكم الا هذه المدة وعرفتم ذلك بوجه ويقال فان كان ذلك فالله سبحانه
لا ينقض عهده وميثاقه ام تقولون على الله الباطل جهلا منكم وجراة عليه قوله عز وجل بلى من كسب سيئة واحاطت
به خطيئته فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون والذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب
الجنة هم فيها خالدون آيتان القراءة اهل المدينة خطيئاته على الجمع والباقون على التوحيد

الحجة قال ابو علي يجوز ان يكون من الجزاء الجازم ويجوز ان يكون الجزاء غير الجازم فيكون السيئة ان كانت مفردة
يراد بها الكثرة وكذلك يكون خطيئته مفردة وانما حسن ان يفرد لانه مضاف الى الضمير مفرد وان كان يراد به الكثرة وكذا
يكون خطيئته مفردة كما قال تعالى بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن فله اجره عند ربه فافرد الوجه والاجر وان كان في المعنى
جمعا في الموضعين فكذلك المضاف اليه الخطيئة لما لم يكن جمعا لم يجمع كما جمعت في قوله نغفر لكم خطاياكم وليغفر لنا خطايانا
لان ذلك تضاف الى الجمع ومن قال خطيئاته جمع وحمله على المعنى والمعنى الجمع والكثرة ويدل عليه قوله فاولئك اصحاب النار
فاولئك خبر المبتدأ الذي هو من في قول من جعله جزاء الجزم وغيرهم كقوله وما بكم من نعمة فمن الله او مبتدأ في قول من جعله
جزاء بجزم وما وكلا الوجهين يراد به من في قوله بلى من كسب سيئة وما يدل على ان من يراد به الكثرة فيجوز لذلك
ان يجمع خطيئته لانه اضافة الى الجمع في المعنى قوله بعد هذه والذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة
هم فيها خالدون الا ترى ان الذين جمع وهو معادل به فكذلك المعادل به يكون جمعا الاعراب اللغة بلى
جواب لقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة والفرق بين بلى ونعم ان بلى جواب النفي ونعم جواب الايجاب قال الفراء الحجة
انما امتنعوا من استعمال نعم في جواب الجحد لانه اذا قال لغيره مالك علي شيء فقال نعم فقد صدقه وكانه قال نعم ليس لي
عليك شيء واذا قال بلى فانما هو رد لكلامه اي لي عليك شيء وقوله هم فيها خالدون عطف هذه الجملة على الاولى بغير
حرف العطف لان في الجملة الثانية ذكرا من في الاولى والضمير يربط الكلام الثاني بالاول كما ان حرف العطف يربطه
ومثل قوله انهم كانوا قبل ذلك محسنين كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وقال في موضع آخر وكانوا يصرون بالواو
وقال سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم فحذف
الواو من قوله رابعهم وسادسهم استغناء عنها بما في الجملة في الاولى لان الحرف يدل على الاتصال وما في الجملتين من ذكر ما من ذكرهما صح
تقدم يفيد اتصالهما فاستغنى به عنه المعنى رد الله سبحانه وتعالى على اليهود قولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة
فقال بلى اي ليس الامر كما قالوا ولكن من كسب سيئة اختلف في السيئة فقال ابن عباس ومجاهد وقتادة وغيرهم
السيئة هاهنا الشرك وقال الحسن هي الكبيرة الموجبة للنار وقال السدي هي الذنوب التي اوعد الله عليها النار والقول
الاول يوافق مذهبنا لان ما عدا الشرك لا يستحق به الخلود في النار عندنا وقوله واحاطت به خطيئته يحتمل امرين
احدهما انها احدقت به من كل جانب لقوله تعالى وان جهنم لمحيطة بالكافرين والثاني اهلكته من قوله الا ان يحاط ان المعنى صح
بكم وقوله وظنوا انهم احيط بهم واحيط بثمره فهذا كله بمعنى البوار والهلاك فالمراد انها سدت عليه طرق النجاة وروي
عن ابن عباس والضحاك وابي العالية ان المراد بالخطيئة الشرك وعن الحسن انها الكبيرة وعن عكرمة ومقاتل انها الاصرار
على الذنب وانما قال من كسب سيئة واحاطت به خطيئته ولم يقل واحاطت به سيئة خالف بين اللفظين ليكون
ابلغ وافصح فاولئك اصحاب النار اي يصحبون النار ويلازمونها هم فيها خالدون اي دائمون ابدا عن ابن عباس
وغيره والذي يليق بمذهبنا في تفسير هذه الآية قول ابن عباس لان اهل الايمان لا يدخلون في حكم هذه الآية
قوله واحاطت به خطيئته تقوي ذلك لان معناه ان خطاياه قد اشتملت عليه واحدقت به حتى لا يجد عنها
مخلصا ولا منجا ولو كان معه شيء من الطاعات لم تكن السيئة محيطة به من كل وجه وقد دل الدليل على بطلان
التحابط لان قوله تعالى والذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون فيه وعد لاهل
التصديق والطاعة بالثواب الدائم فكيف يجمع الثواب الدائم مع العقاب الدائم ويدل ايضا على ان المراد
بالسيئة في الآية الشرك على ما ذكره اهل التفسير انه واحق لا يحبط جميع الاعمال عند اكثر الخصوم فلا يمكن
اذا اجراء الآية على العموم فيجب ان يحمل على اكبر السيئات واعظم الخطيئات وهو الشرك ليمكن الجمع بين الآيتين قوله
عز وجل واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا وذي القربى واليتامى

ثم توليتم الا قليلا منكم

والمساكين وقولوا للناس حسنا واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة تمام آية القراءة قرء ابن كثير وحمزة والكسائي لا يعبدون
بالياء وقرء الباقون بالتاء وقرء حمزة والكسائي وقولوا للناس حَسَنا بفتح الحاء والسين والباقون حُسْنا بضم
الحاء واسكان السين الحجة حجة من قرء لا تعبدون بالتاء على الخطاب قوله واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم
من كتاب وحكمة ثم جاءكم الى آخر الآية ويقويه قوله وقولوا وقوله ثم توليتم الا قليلا منكم وانتم معرضون واذا كان
هذا خطابا وهو عطف على ما تقدم وجب ان يكون المعطوف عليه في حكمه وحجة من قرء بالياء قوله قل للذين
كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف فحمله على لفظ الغيبة واما قوله حسنا فمن قرء بضم الحاء فعلى ثلثة اوجه احدها
ان يكون الحُسن بمعنى الحَسَن كالبُخل والبَخَل والرُشد والرَشَد وجاز ذلك في الصفة كما جاز في الاسم قالوا
العُرب والعَرَب وهو صفة يدل عليه قولهم مررت بقوم عرب اجمعون فعلى هذا يكون الحُسن صفة كالحلو والمر
وثانيها ان يكون الحسن مصدرا كالشكر والكفر وحذف المضاف معناه قولوا قولا ذا حسن وثالثها
ان يكون منصوبا على انه مصدر الفعل الذي دل عليه الكلام اي ليحسن قولكم ومن قرء حسنا جعله صفة وتقديره
وقولوا للناس قولا حسنا كقوله تعالى فامتعه قليلا اي متاعا قليلا اللغة الاخذ ضد الاعطاء والقربى مصدر
كقولهم قرب مني رحم فلان قرابة وقربا وقربى واليتامى جمع يتيم مثل نديم وندامى واليتيم الذي مات ابوه الى
ان يبلغ الحلم ولا يقال لمن مات امه يتيم يقال يتم ييتم يتما اذا فقد اباه هذا في الاناسي واما غير الاناسي وما يختص
الحيوان فيتمه من قبل امه قال الاصمعي ان اليتيم في الناس من قبل الاب وفي غير الناس من قبل الام والمسكين
هو المتخشع المتذلل من الحاجة ماخوذ من السكون كانه قد اسكنه الفقر الاعراب قوله لا تعبدون الا الله ان
يكون حالا او يكون تلقي القسم او يكون على لفظ الخبر والمعنى معنى الامر او يكون على تقدير ان لا تعبدوا فحذف
ان فيرتفع الفعل فان جعلته حالا فالاولى ان يكون بالياء ليكون في الحال ذكر من ذي الحال فكانه قال اخذنا
ميثاقهم موحدين وان جعلته تلقي قسم وعطفت عليه الامر وهو قوله وقولوا كنت جمعت بين امرين لا يجمع
بينهما فان لم تحمل الامر على القسم وقلنا واحسنوا بالوالدين احسانا يكون وقلنا على هذا معطوفا على لفظ
اخذنا ميثاق ولان اخذ الميثاق قول فكانه قال قلنا لهم كذا وكذا وان حملته على ان اللفظ لفظ خبر والمعنى
معنى الامر يكون مثل قوله تؤمنون بالله ورسوله ويدل على ذلك يغفر لكم من ذنوبكم ويؤكد ذلك انه
قد عطف عليه الامر وهو قوله وبالوالدين احسانا وقوله واقيموا الصلوة وان حملته على المعنى اخذنا ميثاقهم بان
لا تعبدوا الا الله فحذف ان ارتفع الفعل كما قال طرفة الا ايها اللائمي احضر الوغى وان اشهد اللذات هل انت مخلدي
فان هذا قول لا محمله عليه كان فيه حذف بعد حذف وزعم سيبويه ان حذف ان من هذا النحو قليل
وقوله وبالوالدين احسانا الحرف الجار متعلق بفعل مضمر ولا يجوز ان يتعلق بقوله احسانا لان ما يتعلق بالمصدر
لا يجوز ان يتقدم عليه واحسن يصل الى المفعول بالباء كما يصل بالى يدل على ذلك قوله وقد احسن بي اذ اخرجني
من السجن فتعدى بالباء كما يتعدى بالى في قوله واحسن كما احسن الله اليك وقوله ثم توليتم الا قليلا منكم
قال الزجاج نصب قليلا على الاستثناء المعنى استثنى قليلا منكم قال ابو علي ان في هذا التمثيل ايهاما ان الاسم
المستثنى ينتصب عن معنى استثنى او الا وليس كذلك بل ينتصب عن معنى الفعل المستثنى عن الجملة التي قبل الا بتوسط
الا كما ينتصب الطيالسة في نحو قولك جاء البرد والطيالسة وما صنعت واباك عن الجملة التي قبل الواو بتوسط الواو ويدل
على ذلك قولهم ما جاءني الا زيد فلو كان الا او ما يدل عليه عمل في المستثنى لجاز نصب هذا كما انك لو قلت استثنى زيد
نصبته فان قيل لا يجوز النصب هنا لان الفعل صار فارغا بلا عامل فهلا دل ذلك امتناع هذا من الجواز على ان ما بعد
الاستثناء المتصل ما قبلها وانه ليس لا فيه عمل ولا اثر لما يدل عليه من معنى الاستثناء المعنى ثم عاد سبحانه الى ذكر بني اسرائيل

واضمرت القول كانه قال واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل وقلنا لا تعبدون الا الله صح

61

تعالى واذكروا اذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل اي عهدهم وقيل الميثاق الادلة من جهة العقل والشرع وقيل هو مواثيق
الانبياء على اممهم والعهد والميثاق لا يكون الا بالقول فكانه قال امرناهم ووصيناهم واكدنا عليهم وقلنا لهم والله
لا تعبدون اذا حملناه على جواب القسم واذا حملناه على الحال او على ان معناه الامر فكانما قلناه قبل واذا حملناه على
حذف ان فتقديره واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل بان لا تعبدوا الا الله وحده دون ما سواه من الانداد
وبان تحسنوا الى الوالدين احسانا والاحسان الذي اخذ عليهم الميثاق بان يفعلوه الى الوالدين هو ما فرض
على امتنا ايضا من فعل المعروف بهما والقول الجميل وخفض جناح الذل لهما والتحنن عليهما والرأفة بهما والدعاء
بالخير لهما وما اشبه ذلك وقوله وذي القربى وبذي القربى ان يصلوا قرابته ورحمه واليتامى اي وباليتامى
ان يتعطفوا عليهم بالرأفة وذي القربى الرحمة والمساكين ان يؤتوهم حقوقهم التي اوجبها الله عليهم في اموالهم وقولوا
للناس حسنا فيه عدول الى الخطاب بعد الخبر وانما استجازت العرب ذلك لان الخبر انما كان عمن كان خاطبه
بعينه لا عن غيره وقد مضى نحوه ثم يصيرون بعد الخطاب الى الخبر كقول الاول قول عنترة شطت مزار
العاشقين فاصبحت عسرا علي طلابك ابنة مخرم وقيل معناه قلنا لهم قولوا واختلف في معنى قولوا حسنا فقيل
معناه هو القول الحسن الجميل والخلق الكريم وهو مما ارتضاه الله واحبه عن ابن عباس وقيل هو الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر عن سفيان الثوري وقال الربيع بن انس قولوا للناس حسنا اي معروفا وروى جابر عن ابي جعفر
الباقر في قوله وقولوا للناس حسنا قال قولوا للناس احسن ما تحبون ان يقال لكم فان الله يبغض اللعان
السباب الطعان على المؤمنين الفاحش المتفحش السائل الملحف ويحب الحليم العفيف المتعفف ثم اختلف
فيه من وجه آخر وهو انه قيل هو عام في المؤمن والكافر على ما روي عن الباقر عليه السلام وقيل هو خاص في المؤمنين
واختلف من قال انه عام فقال ابن عباس وقتادة انه منسوخ بآية السيف وبقوله تعالى قاتلوهم حتى يقولوا
لا اله الا الله او يقروا بالجزية وقد روي ذلك ايضا عن الصادق عليه السلام وقال الاكثرون انها ليست بمنسوخة
لانه يمكن قتالهم مع حسن القول في دعائهم الى الايمان كما قال الله تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة
الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن وقال في آية اخرى ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا
بغير علم قوله واقيموا الصلوة اي ادوها بحدودها الواجبة عليكم وآتوا الزكوة اي اعطوها اهلها كما اوجبها الله
عليكم وروي عن ابن عباس ان الزكوة التي فرضها الله على بني اسرائيل كانت قربانا تهبط اليه نار من السماء فتحمله
فكان ذلك تقبله ومتى لم تفعل النار به شيئا كان غير متقبل وروي عنه ايضا ان المعني به طاعة الله والاخلاص
وقوله ثم توليتم اي اعرضتم الا قليلا منكم وانتم معرضون اخبر الله سبحانه عن اليهود بانهم نكثوا عهده ونقضوا
ميثاقه وخالفوا امره وتولوا عنه معرضين الا من عصمه الله منهم فوفى لله بعهده وميثاقه ووصف هؤلاء بانهم
قليل بالاضافة الى اولئك واختلف فيه فقيل انه خطاب لمن كان بين ظهراني مهاجر رسول الله صلى الله
عليه وآله من يهود بني اسرائيل وذم لهم بنقضهم الميثاق الذي اخذ عليهم في التوراة وتبديلهم امر الله وركوبهم
معاصيه وقيل انه خطاب لاسلافهم المذكورين في اول الآية وانما جمع بين التولي والاعراض وفي هذه الآية
دلالة على ترتيب الحقوق فبدأ الله بذكر حقه وقدمه على كل حق لانه الخالق للنعم باصول النعم ثم ثنى
بحق الوالدين وخصهما بالمزية لكونهما سببا للوجود وانعامهما بالتربية ثم ذكر ذوي القربى لانهم اقرب الى المكلف
من غيرهم ثم ذكر حق اليتامى لضعفهم والفقراء لفقرهم واذ اخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون
انفسكم من دياركم ثم اقررتم وانتم تشهدون آية اللغة السفك الصب سفكت الدم اسفكه سفكا وواحد الدماء دم واصله دمي في قول
اكثر النحويين ودليل من قال اصله دمي قول الشاعر فلو انا على حجر ذبحنا جرى الدميان بالخبر اليقين وقال قوم

ومثال الثاني قول كثير عزة اسيئي بنا او احسني لا ملومة لدينا ولا مقلية ان تقلت صح

وان كان معناهما واحدا تاكيدا وقيل يعني تولى لكم بعد الاعراض وهم معرضون اي مستمرين على ذلك صح

اصله دمى الا انه لما حذف رد اليه ما حذف متحركة الميم لتدل الحركة على انه استعمل محذوفا والنفس ماخوذة من
النفاسة وهي الجلالة ونفس الانسان انفس ما فيه والدار هي المنزل الذي فيه ابنية المقام بخلاف منزل الارتحال
وقال الخليل كل موضع حله قوم فهو دارهم وان لم يكن فيه ابنية والاقرار الاعتراف والشهادة اخذ من المشاهدة وهي اخبار
عن الشيء بما يقوم مقام المشاهدة والمعرفة **الاعراب** تقدير الاعراب في هذه الآية مثل الذي تقدم في الآية الاولى
على السواء **المعنى** ثم عطف سبحانه على ما تقدم من الاخبار عن اليهود بنقض المواثيق والعهود بقوله واذ اخذنا ميثاقكم
اي ميثاق اسلافكم الذين كانوا في زمن موسى والانبياء الماضين صلوات الله على نبينا وعليهم اجمعين وانما اضاف
الميثاق اليهم لما كانوا اخلافا لهم على ما سبق الكلام فيه قوله لا تسفكون دماءكم معناه لا يقتل بعضكم بعضا لان في
قتل الرجل منهم قتل نفسه اذ كانت ملتهما واحدة ودينهما واحدا واهل الدين الواحد بمنزلة الرجل الواحد في ولاية بعضهم
بعضا قال النبي صلى الله عليه وآله انما المؤمنون في تراحمهم وتعاطفهم بمنزلة الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له
سائر الجسد بالحمى والسهر هذا قول قتادة وابي العالية وقيل معناه لا يقتل الرجل منكم غيره فيقاد به قصاصا فيكون
فيكون بذلك قاتلا نفسه لانه كالسبب فيه وقوله ولا تخرجون انفسكم من دياركم معناه لا يخرج بعضكم بعضا
من ديارهم بان يغلبوا على الدار وقيل معناه لا تفعلوا ما تستحقون به الاخراج من دياركم كما فعله بنو النضير وقوله
ثم اقررتم وانتم تشهدون اي اقررتم بذلك ايضا وانتم شاهدون على من تقدمكم باخذنا منهم الميثاق وبما
بذلوه من انفسهم من القبول والالتزام وقيل معنى اقرارهم هو الرضا والصبر عليه كما قال الشاعر الست كلما اذا اسيمه
خطة اقر كاقرار الحليلة للبعل واختلف في المخاطب بقوله وانتم تشهدون فقيل هم اليهود الذين كانوا بين ظهراني
مهاجر رسول الله صلى الله عليه وآله ايام هجرته اليهم وبخهم الله تعالى على تضييع احكام ما في ايديهم من التوراة التي
تقرون بحكمها وقال لهم ثم اقررتم يعني اقر اولكم وسلفكم وانتم تشهدون على اقرارهم باخذ الميثاق عليهم بان لا يسفكوا
دماءكم ولا يخرجوا انفسكم من دياركم وتصدقون بذلك عن ابن عباس وقيل انه خبر من الله تعالى عن اوائلهم
ولكنه اخرج الخبر بذلك مخرج المخاطبة لهم على النحو الذي تقدم في الآيات وانتم تشهدون اي وانتم شهود عن
ابي العالية ويحتمل قوله وانتم تشهدون تحتمل امرين احدهما ان معناه وانتم تشهدون على انفسكم بالاقرار والثاني
معناه وانتم تحضرون سفك دمائكم واخراج انفسكم من دياركم وقال بعض المفسرين نزلت الآية في بني قريظة والنضير
وقيل نزلت في اسلاف اليهود قوله عز وجل **ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون**
عليهم بالاثم والعدوان وان يأتوكم اسارى تفادوهم وهو محرم عليكم اخراجهم افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون
ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحيوة الدنيا ويوم القيمة يردون الى اشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون
آية **القراءة** قرأ اهل الكوفة تظاهرون الظاء هاهنا وفي التحريم والباقون بالتشديد فيهما وقرأ ابو جعفر ونافع بتخفيف
وعاصم والكسائي ويعقوب اسارى تفادوهم بالالف فيهما وقرأ حمزة اسرى تفدوهم بغير الف فيهما وقرأ
ابن كثير وابن عامر وابو عمرو اسارى بالالف تفدوهم بغير الف وكان ابو عمرو وحمزة والكسائي يميلون الراء من
اسارى ونافع بين بين والباقون يفتحون **الحجة** من قرأ تظاهرون بالتخفيف فالاصل فيه تتظاهرون
فحذف التاء الثانية لاجتماع التائين ومن قرأ تظاهرون بالتشديد فالاصل فيه ايضا تتظاهرون فادغم التاء في
الظاء لقرب المخرجين وكل واحد من الفريقين كره اجتماع الامثال ففريق خفف بالادغام وفريق خفف بالحذف
فالتاء التي اعتلت بالادغام هي التاء التي اعتلت بالحذف ووجه من قرأ اسرى انه جمع اسير فعيل بمعنى مفعول نحو قتيل
وقتلى وجريح وجرحى وهي اقيس من اسارى ووجه قول من قال اسارى انه شبهه بكسالى وذلك ان الاسير
لما كان محبوسا عن كثير من تصرفه للاسر كان الكسلان محتبسا عن ذلك لعادته السيئة شبه به فاجري عليه هذا الجمع

كما قيل مرضى وموتى وهلكى لما كانوا مبتلين بهذه الاشياء مصابين بها فاشبه في المعنى فعيل بمعنى مفعول فاجري عليه في الجمع
اللفظ الذي لفعيل بمعنى مفعول وكما شبه اسارى بكسالى شبه كسلى باسرى ومن قرأ تفادوهم فلان كل واحد من الفريقين يفعل من
الآخر ومن الماسور منهم دفع فداءه فوجب تفادوهم على هذا ظاهر ومن قرأ تفدوهم فالمعنى فيه مثل المعنى في تفادوهم وهذا الاسرى وقع الاسير
الفعل يتعدى الى مفعولين والى الثاني بالجار كقوله وفديناه بذبح عظيم وقول الشاعر يودون لو يفدونني بنفوسهم ومثنى
الاواقي والقيان النواهد وقال الاعشى فدى لك في فادى عند ذي تاج اذا اصل لعا دبالمال تراخى ومرح المفعول
الاول محذوف والتقدير فاداه الاسرى بالمال وفي الآية المفعول الثاني الذي يصل اليه الفعل بالحرف محذوف **اللغة** تظاهرون
تعاونون والظهير المعين وقوله والملائكة بعد ذلك ظهير التقدير فيه الجمع واللفظ على الافراد ومثله قول رؤبة دعها فما
النحوي من صديقها اي من اصدقائها وظاهر بين درعين لبس احدهما فوق الاخرى والاثم الفعل القبيح الذي
يستحق عليه اللوم ونظيره الوزر وقيل معنى الاثم ما تنفر منه النفس ولم يطمئن اليه القلب ومنه قول النبي صلى الله عليه
وآله لنواس بن سمعان حين سأله عن البر والاثم فقال البر ما اطمأنت اليه نفسك والاثم ما حاك في
صدرك والعدوان الافراط في الظلم يقال عدا عليه فلان في ظلمه عدوا وعدوا وعدوانا وعداء وقيل العدوان
مجاوزة الحد والاسر الاخذ بالقهر واصله الشد والحبس واسره اذا شده قال ابو عمرو بن العلاء الاسارى الذين
هم في الوثاق والاسرى الذين هم في اليد وان لم يكونوا في الوثاق والخزي الهوان والذل يقال خزي الرجل خزيا
ويقال في الحياء خزي خزاية **الاعراب** قوله ثم انتم هؤلاء فيه ثلاثة اقوال احدها ان انتم مبتدأ وهؤلاء منادى
مفرد تقديره يا هؤلاء وتقتلون خبر المبتدأ والثاني ان هؤلاء توكيد لانتم والثالث انه بمعنى الذين وتقتلون
صلة له كقوله وما تلك بيمينك يا موسى اي ما التي بيمينك وانشد النحويون في ذلك عدس ما لعباد عليك امارة نجوت
وهذا تحملين طليق وقوله تظاهرون عليهم في موضع نصب على الحال من تخرجون وقوله وهو محرم عليكم اخراجهم
هو على ضربين احدهما ان يكون اضمار الاخراج الذي تقدم ذكره في قوله وتخرجون فريقا منكم ثم بين ذلك بقوله
اخراجهم توكيدا لتراخي الكلام والآخر ان يكون هو ضمير القصة والحديث فكانه قال والحديث محرم عليكم
اخراجهم وكما قال الله تعالى قل هو الله احد اي الامر الذي هو الحق الله احد **المعنى** ثم انتم يا معشر يهود بني اسرائيل
بعد اقراركم بالميثاق الذي اخذته عليكم ان لا تسفكوا دماءكم ولا تخرجوا انفسكم من دياركم وبعد شهادتكم على
انفسكم بذلك انه واجب عليكم ولازم عليكم الوفاء به تقتلون انفسكم اي يقتل بعضكم بعضا كقوله سبحانه فاذا
دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم اي ليسلم بعضكم على بعض وقيل معناه تعرضون للقتل وتخرجون فريقا منكم من ديارهم
تظاهرون اي تتعاونون عليهم في اخراجكم اياهم بالاثم والعدوان وان يأتوكم اسارى تفدوهم وهم ايضا مع قتلكم
من تقتلون منكم اذا وجدتموه اسيرا في يد غيركم من اعدائكم تفدونهم وقتلكم اياهم واخراجكم من ديارهم حرام عليكم كما ان
تركهم اسرى في ايدي عدوهم حرام عليكم فكيف تستجيزون قتلهم ولا تستجيزون ترك فدائهم من عدوهم وهما جميعا
في الحكم اللازم لكم فيهم سواء لان الذي حرمت عليكم من قتلهم واخراجهم من دورهم نظير الذي حرمت عليكم من تركهم
اسرى في ايدي عدوهم افتؤمنون ببعض الكتاب الذي فرضت عليكم فيه فرائضي وبينت لكم فيه حدودي واخذت
عليكم بالعمل بما فيه ميثاقي فتصدقون به فتفادون اسراكم من ايدي عدوكم وتكفرون ببعضه فتجحدونه فتقتلون
من حرمت عليكم قتله من اهل دينكم وقومكم وتخرجونهم من ديارهم وقد علمتم ان الكفر منكم ببعضه نقض منكم لعهدي
وميثاقي واختلف فيمن عنى بهذه الآية فروى عكرمة عن ابن عباس ان قريظة والنضير كانا اخوين كالاوس
والخزرج فافترقوا فكانت النضير مع الخزرج وكانت قريظة مع الاوس فاذا اقتتلوا عاونت كل فرقة حلفاءها فاذا وضعت
الحرب اوزارها فدوا اسراها تصديقا لما في التوراة والاوس والخزرج اهل شرك يعبدون الاوثان لا يعرفون جنة

عدس
لداي انتم الذي تقتلون انفسكم
فعلى هذا يكون تقتلون لا موضع له
من الاعراب وشبهه في الصلة

ولا نا راطا امنا منه ولا كنا بافانت الله اليهود بما فعلوه وقال ابو العالية كان بنو اسرائيل اذا استضعف قوم قوما اخرجوهم
من ديارهم وقد اخذ عليهم الميثاق ان لا يسفكوا دماءهم ولا يخرجوا انفسهم من ديارهم ثم فادوهم فآمنوا بالفداء ففدوا
وكفروا بالاخراج من الديار فاخرجوهم وقيل ان الذين اخرجوهم الذين فودوا ولكنهم قوم آخرون على ملتهم فانبههم الله
على ذلك وقال ابو مسلم الاصفهاني ليس المراد بقوله افتؤمنون الآية انهم يخرجون وهو محرم ويفدون وهو واجب
وانما يرجع ذلك الى بيان صفة محمد صلى الله عليه وآله وغيره فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحيوة الدنيا اختلف
في الخزي الذي جزاهم الله تعالى اياه بما سلف منهم من المعصية فقيل هو حكم الله الذي انزل على نبيه محمد صلى الله عليه
وآله من اخذ القاتل بمن قتل والقود به قصاصا وانتقاما من الظالم للمظلوم وقيل بل هو اخذ الجزية منهم ما اقاموا
على دينهم على وجه الذل والصغار وقيل الخزي الذي خزوا به في الدنيا هو اخراج رسول الله صلى الله عليه وآله
بني النضير من ديارهم اول الحشر وقتل بني قريظة وسبي ذراريهم وكان ذلك خزيا لهم في الدنيا اعلم الله سبحانه ان ذلك
لا يكفر عنهم ذنوبهم وانهم صائرون بعد ذلك الى عذاب عظيم فقال ويوم القيمة يردون الى اشد العذاب الذي
اعده الله لاعدائه وهو العذاب الذي لا روح فيه مع الياس من التخلص وما الله بغافل عما تعملون اي وما الله
بساه عن اعمالهم الخبيثة بل هو حافظها ومجازيهم عليها ومن قرأ بالتاء رده الى المواجهين بالخطاب في قوله افتؤمنون
ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ومما يسأل في هذه الآية ان ظاهرها يقتضي صحة اجتماع الايمان والكفر
وذلك مناف للصحيح من المذهب والقول فيه ان المعنى انهم اظهروا التصديق ببعض الكتاب والانكار للبعض ويحتمل
ان يكون المراد بذلك انكم اذا اعتقدتم جميع ذلك ثم عملتم ببعضه دون بعض فكانكم آمنتم ببعضه دون بعض وهذا
يدل على انه لا ينفعهم الايمان بالبعض مع الكفر بالبعض الآخر وفي هذه الآية تسلية لنبينا محمد صلى الله عليه وآله
في ترك قبول اليهود من قوله وانحيازهم عن الايمان فكانه يقول كيف يقبلون قولك ويسلمون لامرك وهم يؤمنون بكتابهم
وهم لا يعملون بكتابهم مع اقرارهم به وبانه من عند الله قوله عز وجل اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة فلا
يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون آية اللغة الخفة نقيض الثقل والتخفيف والتسهيل والتهوين نظائر واختلف في الخفة والثقل فقيل
انه يرجع الى تناقص الجواهر وتزايدها وقيل ان الاعتماد اللازم سفلا يسمى ثقلا والاعتماد اللازم المختص بجهة العلو
يسمى خفة المعنى اشار الى الذين اخبر عنهم بانهم يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض فقال اولئك الذين اشتروا
الحيوة الدنيا بالآخرة اي ابتاعوا رياسة الدنيا بالآخرة اي رضوا بها عوضا من نعيم الآخرة التي اعدها الله تعالى للمؤمنين جعل الله
سبحانه تركهم حظوظهم من نعيم الآخرة بكفرهم بالله ثمنا لما ابتاعوه من خسيس الدنيا ثم اخبر انهم لا حظ لهم في نعيم الآخرة بقوله
فلا يخفف عنهم العذاب اي فلا ينقص من عذابهم ولا يهون عليهم ولا هم ينصرون اي لا ينصرهم احد في الآخرة فيدفع عنهم بنصرته
عذاب الله قوله عز وجل ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل وآتينا عيسى بن مريم البينات
وايدناه بروح القدس افكلما ~~آتينا عيسى بن مريم~~ جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم
ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون آية القراءة قرأ ابن كثير القدس بسكون الدال في جميع القرآن والباقون
بضم القاف والدال وروي في الشواذ عن ابي عمرو وآيدناه على زنة افعلنا والقراءة ايدناه بالتشديد الحجة التخفيف
والتثقيل في القدس حسنان وكذلك فيما كان مثله نحو الحلم والعنق وايدناه وانما كانت القراءة المشهورة حسنة
فعلناه ولما عرض من تصحيح العين مخافة توالي الاعلال على آيدناه على افعلناه ومعنى هذا انه لو اعلت عينه كما
اعلا العين افعلت من الاجوف كاقمت وابعت لتتابع فيه اعلالان لان اصل آيدت أأيدت كما ان اصل آمن
أأمن فانقلبت الهمزة الثانية الفا لاجتماع همزتين في كلمة والاولى منهما مفتوحة والثانية ساكنة وكان يجب ايضا
ان تلقى حركة العين على الفاء ويحذف العين كما القيت حركة الواو من اقومت على القاف قبلها اقمت وكان هذا
تقدم

يجب على هذا ان تعل الفاء هنا واو الاثنا قد تحركت وانفتح ما قبلها ولا بد من قلبها لوقوع الهمزة الاولى قبلها كما قلبت
في تكسير آدم اوادم فكان يجب ان تقول اودته كما تقدم بحذف العين كما ترى وتقلب الفاء التي هي في الاصل
همزة واوا فاعتل الفاء والعين جميعا واذا كان يؤدي القياس الى هذا رفض وكرهوه فجعلت لحوق الاعلال
وجاء ايدت فعلا شاذا على الاصل واذا كانوا قد ارجعوا عين افعلت وهي حرف علة على الصحة في نحو قوله
صددت فاطولت الصدود واعوه القوم واغيمت السماء لو اعلت لم يحف فيه توالي اعلالين كان خروج ايدت
على الصحة لئلا يجتمع اعلالان اولى واحرى المعنى قفينا اي اردفنا واتبعنا بعضهم خلف بعض واصل القفا
تقول قفوت فلانا اذا صرت خلف قفاه كما تقول دبرته قال امرؤ القيس وقفى على آثارهن بحاصب وغبية
سوف من السب ملهب والرسل جمع الرسول كالصبر والشكر في جمع صبور وشكور وايدناه قويناه من
الايد والآد وهو القوة ومثلهما في البناء على فعل وفعل الذيم والذام والعيب والعاب قال العجاج من
ان تبدلت بآدي آدا اي بقوة شبابي قوة الشيب والقدس الطهر والتقديس التطهير وقولنا في صفة الله تعالى
القدوس اي الطاهر المنزه عن ان يكون له ولد او يكون في حكمه وفعله ما ليس بعدل وبيت المقدس لا يخلو القدس
فيه اما ان يكون مكانا او مصدرا فان كان مكانا فالمعنى بيت المكان الذي فيه الطهارة او بيت مكان الطهارة
شيء للطائفة وتطهيره اخلاؤه من الصنم والعباد ومنه فعلى هذا يكون معناه بيت مكان الطهارة وان كان
مصدرا كان كقوله الى مرجعكم ونحو من المصادر التي جاءت على هذا المثال والهوى مقصور والشهوة
نظيران وهوي يهوى هواء المعنى ثم ذكر سبحانه انعامه عليهم بارسال رسله اليهم وما قابلوه من تكذيبهم فقال
ولقد آتينا موسى الكتاب اي اعطيناه التوراة وانزلناه اليه وقفينا من بعده بالرسل اي اتبعنا من بعد موسى
بالرسل رسولا بعد رسول يتبع الآخر الاول في الدعاء الى وحدانية الله تعالى والقيام لشرائعه على منهاج
واحد لان كل من بعثه الله نبيا بعد موسى الى زمن عيسى عليه السلم فانما بعثه باقامة التوراة والعمل بما فيها
والدعاء الى ذلك وآتينا عيسى بن مريم البينات اي اعطيناه المعجزات والدلالات على نبوته من احياء الموتى وابراء
الاكمه والابرص ونحو ذلك من الآيات الدالة على صدقه وصحة نبوته وقال بعضهم اراد بالبينات الانجيل
وما فيه من الاحكام والآيات الفاصلة بين الحلال والحرام وايدناه بروح القدس اي قويناه واعناه بجبريل عم عن
قتادة والسدي والضحاك والربيع واختلف في سبب تسميته عليه السلم روحا على وجوه احدها انه يحيى بما يأتي
من البينات والآيات كما يحيى بالارواح الابدان وثانيها انما سمي بذلك لان الغالب عليه الروحانية وكذلك
سائر الملائكة وانما خص بهذا الاسم لشرفه وثالثها انه سمي به واضيف الى القدس لانه كان بتكوين الله
اياه روحا من عنده من غير ولادة والد ولده وقال ابن زيد المراد بروح القدس الانجيل كما سمى الله تعالى
القرآن روحا فقال وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ولذلك سمي الانجيل روحا وروى الضحاك عن ابن عباس
ان الروح الاسم الذي كان عيسى عليه السلم يحيى به الموتى وقال الربيع هو الروح الذي نفخ فيه فاضافه الى نفسه
تشريفا كما قال بيت الله وناقة الله واقوى الاقوال والوجوه قول من قال هو جبرئيل واذا قيل لم خص
عيسى عليه السلم من بين الانبياء بانه مؤيد بجبرئيل عليه السلم وكل نبي مؤيد به فالقول فيه انما خص بذلك لثبوت
اختصاصه من صغره الى كبره وكان يسير معه حيث سار ولما هم اليهود بقتله لم يفارقه حتى صعد به الى السماء وكان
تمثل لمريم وبشرها به ونفخ فيها واختلف في معنى القدس وقيل هو الطهر وقيل هو البركة عن السدي وحكى قطرب
انهم يقولون قدس على ابرهيم حين طاف به اي بورك عليه ~~الانبياء لم تزكوا~~ وعلى هذا فانه يكون كدعاء ابرهيم عليه السلم للحرم رب اجعل هذا البلد آمنا و
زكريا واجعله رب رضيا وقيل القدس هو الله تعالى عن الحسن والربيع وابن زيد وقالوا القدس والقدوس واحد

واخذ عليهم الميثاق ان اسر بعضهم بعضا ان تفادوهم فاخرجوهم من ديارهم

اي الى اشد العذاب

وقوله أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم خطاب لليهود فكأنه قال يا معشر يهود بني إسرائيل أكلما
جاءكم رسول من رسلي بغير الذي تهواه أنفسكم تعظمتم وتجبرتم وأنفتم من قبول قوله ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون
أي تكذبون منهم بعضا ممن لم تقدروا على قتله مثل عيسى ومحمد عليهما السلم وتقتلون بعضا مثل يحيى وزكريا وغيرهما وظاهر
الخطاب والخرج مخرج التقريع فهو بمعنى الخبر وإنما أضاف هذا الفعل إليهم وإن لم يباشروه بنفوسهم لأنهم رضوا بفعل
أسلافهم فأضيف الفعل إليهم وإن فعله أسلافهم قوله عز وجل وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا ما يؤمنون
آية القراءة القراءة المشهورة غلف بسكون اللام وروي في الشواذ عن أبي عمرو غلف بضم اللام من قرأ
بالتخفيف فهو جمع الأغلف بسكون اللام وروي في الشواذ عن أبي عمرو غلف بضم اللام مثل أحمر وحمر يقال للسيف بالتسكين
إذا كانت في غلاف أغلف وقوس غلفاء وجمعها غلف ولا يجوز تثقيله إلا في ضرورة الشعر نحو قول طرفة أيها الفتيان
في مجلسنا جردوا منها ورادا وشقر لضرورة الشعر ومن قرأ غلف مثقلا فهو جمع غلاف نحو مثال ومثل وحمار
وحمر فيكون معناه أن قلوبنا أوعية للعلم فما بالها لا تفهم ويجوز أن يكون التسكين عن التثقيل مثل رسل ورسل
اللغة اللعن هو الإقصاء والإبعاد يقال لعن فلان فلانا فهو ملعون ثم تصرف مفعول منه إلى فعيل فقيل
لعين قال الشماخ وماء قد وردت لوصل أروى عليه الطير كالورق اللجين ذعرت به القطا ونفيت عنه مقام
الذئب كالرجل اللعين الإعراب قليلا منصوب لأنه صفة لمصدر محذوف وإنما حذف لأن الصفة تقوم مقامه ويدل
عليه فإيمانا قليلا ما يؤمنون وقيل إنه منصوب على الحال أي يؤمنون وهم قليل تقديره فقليل ما يؤمنون
فحذف الجار فوصل الفعل إليه فنصبه وما ههنا مزيدة للتوكيد لا معنى لها كما في قوله فبما رحمة من الله وتقدير الكلام
فقليلا يؤمنون وكما في قول الشاعر لو بأبانين جاء يخطبها خضب ما أنف خاطب بدم ويجوز أن تكون ما
ههنا هي التي تدل على غاية التنكير في الاسم وفرط الإبهام فيه كما يقال أمر ما وشيء ما إذا أريد المبالغة في الإبهام
المعنى رجع الكلام إلى الحكاية عن اليهود وعن سوء مقالتهم وقبح فعالهم فالمعنى على القراءة الأولى أنهم ادعوا أن قلوبهم
ممنوعة من القبول فقالوا أي قلوبنا في أكنة لا يصل إلينا ونحن لا نفهم ما تقول إذ لا نفقه ما تقول ليس كما تفهم كقوله تعالى وقالوا قلوبنا
في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر قال أبو علي الفارسي ما يدرك من المعلومات من الحواس وغيرها من الأعضاء
إذا ذكر بأنه لا يعلم وصف بأن عليه مانعا من ذلك ودونه حائلا من ذلك قوله أفلا يتدبرون القرآن أم على
قلوب أقفالها لما كان القفل حاجزا بين المقفل عليه وحائلا من أن يدخله ما يدخل إذا لم يكن مقفلا جعل مثلا للقلوب
في أنها لا تعي ولا تفقه وكذلك قوله تعالى لقالوا إنما سكرت أبصارنا والذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري
وقوله بل هم منها عمون كأن شدة عنادهم حملهم على الشك في المشاهدات ودفع المعلومات وأما المعنى على القراءة الثانية
من تحريك العين في غلف فهو على أن المراد أن قلوبنا أوعية للعلم ونحن علماء فلو كان ما تقوله شيئا لفهمته أو طابق
لقهنا أو يكون المراد ليس في قلوبنا ما تذكره فلو كان علما لكان فيها وقوله بل لعنهم الله بكفرهم رد الله سبحانه
عليهم قولهم أي ليس ذلك كما زعموا لكن الله سبحانه أقصاهم وأبعدهم من رحمته وطردهم عنها بجحودهم به وبرسله
وقيل معنى لعنهم طبع على قلوبهم على سبيل المجازاة لهم بكفرهم وقوله فقليلا ما يؤمنون معناه أن هؤلاء الذين
وصفهم قليل الإيمان بما أنزل الله على نبيه محمد صلى الله عليه وآله وإن كان بعض الإيمان من التصديق بالله وصفاته
وبغير ذلك مما كان فرضا عليهم ذلك قليل بالإضافة إلى ما جحدوه من التصديق بنبينا صلى الله عليه وآله وبما جاء به والذي
يليق به ههنا أن يكون المراد به أنه لا إيمان لهم أصلا وإنما وصفه بالقليل كما يقال قلما رأيت هذا قط أي ما رأيت هذا
قط وإن جعلت قليلا نصبا على الحال أي يؤمنون قليلا فمعناه لا يؤمن منهم إلا قليل كعبد الله بن سلام وأصحابه
وفي هذه الآية رد على المجبرة لأن هؤلاء اليهود قالوا مثل ما يقولونه من أن على قلوبهم ما يمنع من الإيمان ويحول

بينهم فكذبهم الله تعالى في ذلك بأن لعنهم وذمهم ولو كانوا صادقين في ذلك لما استحقوا اللعن والطرد ولكان الله
سبحانه قد كلفهم ما لا يطيقونه قوله عز وجل ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون
على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين آية الإعراب
مصدق رفع لأنه صفة لكتاب ولو نصب على الحال لكان جائزا لكنه لم يقرأ به في المشهور وقيل نصب على الحال وقد ذكرنا الوجه
فيه فيما تقدم من قوله قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأما جواب لما في قوله ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق فعند
الزجاج والأخفش محذوف لأن معناه معروف يدل عليه قوله فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به كما حذف جواب لو من نحو قوله ولو
أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى بل لله الأمر جميعا وتقديره لو أن قرآنا سوى هذا القرآن سيرت
به الجبال لسيرت بهذا القرآن وقيل إن قوله كفروا جواب لقوله ولما جاءهم كتاب من عند الله وكقوله ولما جاءهم ما عرفوا
كفروا إنما كرر لطول الكلام عن المبرد النزول قال ابن عباس كانت اليهود يستفتحون أي يستنصرون على الأوس والخزرج
برسول الله صلى الله عليه وآله قبل مبعثه فلما بعثه الله من العرب ولم يكن من بني إسرائيل كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولون
فيه فقال لهم معاذ بن جبل وبشر بن البراء بن معرور يا معشر اليهود اتقوا الله وأسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ونحن
أهل الشرك وتصفونه وتذكرون أنه مبعوث فقال سلام بن مشكم أخو بني النضير ما جاءنا بشيء نعرفه وما هو بالذي كنا
نذكر لكم فأنزل الله تعالى هذه الآية وروى العياشي بإسناده رفعه إلى أبي بصير عن أبي عبد الله ع أنه كانت اليهود تجد
في كتبها أن مهاجر محمد ما بين عير وأحد فخرجوا يطلبون الموضع فمروا بجبل يقال له حداد فقالوا حداد وأحد سواء فتفرقوا
عنده فنزل بعضهم بتيماء وبعضهم بفدك وبعضهم بخيبر فاشتاق الذين بتيماء إلى بعض إخوانهم فمر بهم أعرابي من قيس فتكاروا
منه وقال لهم أمر بكم ما بين عير وأحد فقالوا له فإذا مررت بهما فآذنا بهما فلما توسط بهم أرض المدينة قال ذلك عير وهذا أحد
فنزلوا عن ظهر إبله وقالوا قد أصبنا بغيتنا فلا حاجة لنا إلى إبلك فاذهب حيث شئت وكتبوا إلى بعض إخوانهم الذين بفدك
وخيبر أنا قد أصبنا الموضع فهلموا إلينا فكتبوا إليهم أنا قد استقرت بنا الدار واتخذنا بها الأموال وما أقربنا منكم
فإذا كان ذلك فما أسرعنا إليكم واتخذوا بأرض المدينة الأموال فلما كثرت أموالهم بلغ ذلك تبع فغزاهم فتحصنوا منه فحاصرهم
ثم آمنهم فنزلوا عليه فقال لهم إني قد استطبت بلادكم ولا أراني إلا مقيما فيكم فقالوا إنه ليس ذلك لك إنها مهاجر نبي وليس ذلك لأحد
حتى يكون ذلك فقال لهم فإني مخلف فيكم من أسرتي إذا كان ذلك ساعده ونصره فخلف حيين الأوس والخزرج فلما كثروا
بها كانوا يتناولون أموال اليهود فكانت اليهود تقول لهم أما لو بعث محمد لنخرجنكم من ديارنا وأموالنا فلما بعث الله محمدا صلى الله
عليه وآله آمنت به الأنصار وكفرت به اليهود وهو قوله تعالى وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا الآية المعنى
ولما جاءهم أي جاء اليهود من بني إسرائيل الذين وصفهم الله كتاب من عند الله يعني به القرآن الذي أنزله على نبيه محمد صلى الله
عليه وآله مصدق لما معهم أي للذي معهم من الكتب التي أنزلها الله تعالى قبل القرآن التوراة والإنجيل وغيرهما وفيه وجهان
أحدهما أن معناه مصدق لما تقدم به الأخبار في التوراة والإنجيل فهو مصدق لذلك من حيث كان مخبره على
ما تقدم الخبر به والآخر أنه مصدق لها أي بأنها من عند الله تعالى وأنها حق وكانوا يعني اليهود من قبل أي من قبل مبعث
النبي صلى الله عليه وآله ونزول القرآن يستفتحون فيه وجوه أحدها أن معناه يستنصرون أي يقولون في الحروب اللهم افتح
علينا وانصرنا بحق النبي الأمي اللهم انصرنا بحق النبي المبعوث إلينا فهم يسألون الفتح الذي هو النصر وثانيها أنهم كانوا يقولون
لمن ينابذهم هذا نبي قد أظل زمانه ينصرنا عليكم وثالثها أن معنى يستفتحون يستعلمون من علمائهم صفة نبي يبعث من
العرب وكانوا يصفونه لهم فلما بعث أنكروه ورابعها أن معنى يستفتحون يتحاكمون ربهم على كفار العرب كما قال الأسلع
ألا أبلغ بني عصم رسولا فإني عن فتاحتكم غني أي عن محاكمتكم وقوله على الذين كفروا أي على مشركي العرب فلما جاءهم ما عرفوا
يعني محمدا صلى الله عليه وآله أي عرفوا صفته ونعته كفروا به حسدا وطلبا للرياسة ولعنة الله أي غضبه وعقابه على الكافرين

وقد مر نا معنى اللعنة والكفر فيما مضى قوله عز وجل بئسما اشتروا به انفسهم ان يكفروا بما انزل الله بغيا ان ينزل
الله من فضله على من يشاء من عباده فباءوا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين
آية القراءة قرا ابو عمرو ان ينزل خفيفة كل القران الا في الانعام ان ينزل آية فانه شددها وقرأ ابن كثير بالتخفيف كل
القران الا في سبحان وننزل من القران وحتى تنزل فانه شددها وقرأ حمزة والكسائي كل القران بالتشديد الا في لقمان وعسق
ينزل الغيث فانهما قراها بالتخفيف وقرأ الباقون بالتشديد كل القران واتفقوا في الحجر وما ننزله مشددة الحجة نزل
فعل غير متعد ويتعدى بالاضرب الثلاثة وهي النقل بالهمزة وتضعيف العين وحرف الجر فانزل ونزل الفنان ومما
عدي بالحرف قوله تعالى نزل به الروح الامين بتخفيف رفع الروح وقد كثر مجي التنزيل في القران فهذا يقوي نزل ولم يعلم
فيه الانزال وكذلك مجي انزل اللغة بئس ونعم فعلان ماضيان احدهما على وزن فعل وفيهما اربع لغات نعم وبئس مثل
حمد ونعم وبئس بسكون العين ونعم وبئس بكسر الفاء ونعم وبئس واشتروا افتعلوا من الشراء واكثر الكلام شريت
بمعنى بعت واشتريت بمعنى ابتعت قال يزيد بن مفرغ الحميري وشريت بردا ليتني من بعد برد كنت هامة وربما استعمل
اشتريت بمعنى بعت وشريت بمعنى اشتريت والاكثر ما تقدم والبغي اصله الفساد ماخوذ من قولهم بغى الجرح اذا امده
وقيل اصله الطلب لان الباغي يطلب التطاول الذي ليس له ذلك وسميت الزانية بغيا لانها تطلب الزنا الا انه
الاذلال الاعراب قال الزجاج بئس اذا وقعت على ما جعلت معها ما بمنزلة اسم منكر ودم وانما كان ذلك في نعم وبئس لانهما لا يعملان
في اسم علم انما يعملان في جنس منكر دال على جنس او اسم فيه الف ولام يدل على جنس وانما كانت كذلك لان نعم
مستوفية لجميع المدح وبئس مستوفية لجميع الذم فاذا قلت نعم الرجل زيد فقد قلت استحق المدح زيد الذي يكون في سائر
جنسه وكذا اذا قلت بئس الرجل زيد دللت على انه قد استوفى الذم الذي يكون في سائر جنسه فلم يجز اذ كان يستوفي
مدح الاجناس ان تعمل من غير لفظ جنس فاذا كان معها اسم جنس بغير الف ولام فهو نصب ابدا واذا كانت فيه الف
ولام فهو رفع ابدا تقول نعم الرجل زيد ونعم رجلا زيد وانما نصب رجلا للتمييز وفي نعم اسم مضمر على شريطة التفسير والذلك
كانت ما في نعم بغير صلة لان الصلة توضح وتخصص القصد في نعم ان هنا اسم منصوب منكر اي اسم جنس فقوله بئسما اشتروا
به انفسهم تقديره بئس شيئا اشتروا به انفسهم قال ابو علي وكذلك كانت ما في نعم بغير صلة يدل على ان ما اذا كانت موصولة
لم يجز عنده ان يكون فاعل نعم وبئس وذلك عندنا لا يمتنع وجه جوازه ان ما اسم مبهم يقع على الكثرة ولا يخص احدا بعينه
كما ان اسم الاجناس يكون للكثرة وذلك في نحو قوله تعالى ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون
هؤلاء شفعاؤنا عند الله فانما لقصد هنا الكثرة وان كان اللفظ مفردا بدلالة قوله ويقولون هؤلاء ويكون معرفة
ونكرة كما ان اسماء الاجناس يكون معرفة ونكرة وقد اجاز ابو العباس المبرد في الذي ان يلي نعم وبئس اذا كان عاما
غير مخصوص كما في قوله والذي جاء بالصدق اذا جاز في الذي كان فيما اجوز فقوله بئسما اشتروا به انفسهم
يجوز عندي ان يكون ما موصولة وموضعها رفع بكونه فاعلة لبئس ويجوز ان يكون منكرة فيكون اشتروا صفة
غير صلة ويدل على صحة ما رايته قول الشاعر وكيف ارهب امرا او اراع به وقد زكا الى بشر بن مروان ونعم من
كان صاحب مذاهبه ونعم من هو في سر واعلان الا ترى انه جعل من ذكر فاعل نعم لما كان مضافا الى من وهي يكون
عامة غير معينة واما قوله ان يكفروا بما انزل الله فموضعه رفع وهو المخصوص بالذم فان شئت رفعته على انه
مبتدا مؤخر وان شئت على انه خبر مبتدا محذوف اي هذا الشيء المذموم كفرهم بما انزل الله وقوله بغيا نصب
بانه مفعول له كقول حاتم واغفر عوراء الكريم ادخاره واعرض عن شتم اللئيم تكرما المعنى اغفر عوراءه لادخاره واعرض
عن شتم اللئيم للتكرم وموضع ان الثانية نصب على حذف حرف الجر يعني بغيا لان ينزل الله اي من اجل ان نزل الله المعنى
ثم ذم الله سبحانه اليهود بايثارهم الدنيا على الدين فقال بئس ما اشتروا به انفسهم اي بئس شيئا باعوا به انفسهم او بئس الشيء

66
ما باعوا به انفسهم ان يكفروا بما انزل الله يعني القران واين الاسلام المنزل على محمد صلى الله عليه وآله فاذا سئل كيف
باعت اليهود انفسها بالكفر فالجواب ان البيع والشراء ازالة ملك المالك الى غيره بعوض يعتاضه منه ثم
يستعمل ذلك في كل معتاض من عمله عوضا خيرا كان او شرا فاليهود لما اوبقوا انفسهم بكفرهم بمحمد صلى الله عليه
وآله واهلكوها خاطبهم الله سبحانه بما كانوا يعرفونه فقال بئس الشيء رضوا به عوضا من ثواب الله وما اعده
لهم لو كانوا آمنوا بالله وما انزل الله على نبيه النار وما اعد لهم بكفرهم ونظير ذلك الآيات في سورة النساء من قوله
الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت الى قوله وآتيناهم ملكا عظيما وقوله
بغيا اي حسدا لمحمد صلى الله عليه وآله اذ كان من ولد اسمعيل وكانت الرسل قبل من بني اسرائيل وقيل طلبا لشيء ليس
لهم ثم فسر ذلك بقوله ان ينزل الله من فضله وهو النبوة والوحي على من يشاء من عباده وقوله فباءوا بغضب على غضب
معناه رجعت اليهود من بني اسرائيل بعد ما كانوا عليه من الاستنصار بمحمد صلى الله عليه وآله والاستفتاح به
والاخبار بانه نبي مبعوث مرتدين ناكصين على اعقابهم حين بعثه الله نبيا بغضب من الله استحقوه منه بكفرهم
وقال مورخ معنى باءوا بغضب استوجبوا اللعنة بلغة جرهم ولا يقال باء مفرده حتى يقال اما بخير واما بشر وقال ابو عبيدة
باءوا بغضب احتملوه واقروا به واصل البوء التقرير والاستقرار وقوله على غضب فيه اقوال الاول ان الغضب الاول
حين غيروا التوراة قبل مبعث النبي صلى الله عليه وآله والغضب الثاني حين كفروا بمحمد عن عطا وغيره وثانيها
ان الغضب الاول حين عبدوا العجل والثاني حين كفروا بمحمد عن السدي وثالثها ان الاول حين كفروا
بعيسى والثاني حين كفروا بمحمد عن الحسن وعكرمة وقتادة ورابعها ان ذلك على التوكيد والمبالغة اذ كان
الغضب لازما لهم فكرر عليهم عن ابي مسلم والاصم وللكافرين عذاب مهين معناه للجاحدين بنبوة محمد صلى الله عليه
وآله عذاب مهين من الله اما في الدنيا واما في الآخرة والمهين هو الذي يذل صاحبه ويخزيه ويلبسه الهوان وقيل
المهين الذي لا ينتقل منه الى اعزاز واكرام وقد يكون غير مهين اذا كان تمحيصا وتكفيرا ينتقل بعده الى اعزاز وتعظيم
فعلى هذا من ينتقل من عذاب النار الى الجنة لا يكون عذابه مهينا قوله عز وجل واذا قيل لهم آمنوا بما انزل الله قالوا
نؤمن بما انزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين
آية اللغة ما وراءه اي ما بعده قال الشاعر تمنى الاماني ليس شيء وراءها كموعد عرقوب اخاه بيترب قال
الفراء معنى وراءه سواه كما يقال للرجل يتكلم بالكلام الحسن ما وراء هذا الكلام شيء يراد ليس عند المتكلم شيء
سوى ذلك الكلام الاعراب قوله مصدقا نصب على الحال وهذه حال مؤكدة قال الزجاج وهم سيبويه والخليل
وجميع النحويين الموثوق بعلمهم ان قولك هو زيد قائما خطأ لان قولك هو زيد هو كناية عن اسم متقدم
فليس في الحال فائدة لان الحال يوجب هنا انه اذا كان قائما فهو زيد واذا ترك القيام فليس بزيد فهذا
خطأ فاما قولك هو زيد معروفا وهو الحق مصدقا ففي الحال هنا فائدة كانك قلت انتبه له معروفا وكانه
بمنزلة قولك هو زيد حقا فمعروفا حال لانه انما يكون زيدا بانه يعرف بزيد وكذلك القران هو الحق اذا
كان مصدقا لكتب الرسل عليهم السلام وقوله فلم تقتلون وان كان بلفظ الاستقبال فالمراد به الماضي وانما جاز
ذلك لقوله من قبل وان معنى الشرط ويدل على جوابه ما تقدم وتقديره ان كنتم مؤمنين فلم قتلتم انبياء الله
وقيل ان بمعنى النافية اي ما كنتم مؤمنين المعنى واذا قيل لهم يعني اليهود الذين تقدم ذكرهم آمنوا اي صدقوا بما
انزل الله من القران على محمد صلى الله عليه وآله والشرائع التي جاء بها قالوا نؤمن بما انزل علينا يعنون التوراة
ويكفرون بما وراءه اي يجحدون بما بعده يريد الانجيل والقران او بما سوى التوراة من الكتب المنزلة كقوله سبحانه
واحل لكم ما وراء ذلكم وقال ابن الانباري ثم الكلام عند قوله بما انزل علينا ثم ابتداه الله بالاخبار عنهم وقال يكفرون

بما وراءه اي بما سواه وهو الحق يعني القرآن مصدقا لما معهم يعني التوراة لان تصديق محمد صلى الله عليه وآله وما
انزل معه من القرآن مكتوب عندهم في التوراة قال الزجاج وفي هذا دلالة على انهم قد كفروا بما معهم اذ كفروا بما
مصدق لما معهم ثم رد الله عليهم قولهم نؤمن بما انزل علينا فقال قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل اي قل يا محمد لهم فلم
قتلتم انبياء الله وقد حرم الله في الكتاب الذي انزل عليكم قتلهم وكفركم فيه باتباعهم وفرض عليكم طاعتهم
وتصديقهم ان كنتم مؤمنين بما انزل عليكم وقال الزجاج ان بمعنى ما هاهنا كانه قال ما كنتم مؤمنين وهذا وجه بعيد وانما
قال تقتلون بمعنى قتلتم لان لفظ المستقبل يطلق على الماضي اذا كان ذلك من الصفات اللازمة كما يقال انت
تسرق وتقتل اذا صار ذلك عادة له ولا يراد بذلك ذمه وتوبيخه على ذلك الفعل في المستقبل وانما يراد توبيخه
على ما مضى وانما اضاف اليهم فعل آبائهم واسلافهم لاحد امرين احدهما ان الخطاب لمن شهد من اهل ملة واحدة
ومن غاب منهم واحد فاذا قيل اسلافهم الانبياء وهم مقيمون على مذهبهم وهذا المعنى قريب من الاول وفي هذه
الآية دلالة على ان الايمان بكتاب من كتب الله لا يصح اذا لم يحصل الايمان بما سواه من كتب الله المنزلة التي هي مثله
في اقرار المعجزة به قوله عز وجل ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون آية المعنى ثم حكى الله
سبحانه عنهم بما يدل على قلة بصيرتهم في الدين وضعفهم في اليقين فقال ولقد جاءكم موسى بالبينات الدالة على صدقه
والمعجزات المؤيدة لنبوته كاليد البيضاء وانبجاس الماء من الحجر وفلق البحر وقلب العصا حية والطوفان والجراد والقمل
والضفادع والدم وسماها بينات لظهورها وتبينها للناظرين اليها انها معجزة يتعذر الاتيان بها على كل بشر
وقوله ثم اتخذتم العجل الها وعبدتموه من بعده اي من بعد موسى لما فارقكم ومضى الى ميقات ربه ويجوز ان
يكون الهاء كناية عن المجي فيكون التقدير ثم اتخذتم العجل من بعد مجي البينات وانتم ظالمون لانفسكم بكفركم
وعبادتكم العجل لان العبادة لا يكون لغير الله قوله عز وجل واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما
آتيناكم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم قل بئسما يامركم به ايمانكم ان كنتم مؤمنين
آية اللغة اسمعوا معناه اقبلوا ومنه قولهم سمع الله لمن حمده اي قبل الله حمد من حمده وقوله واشربوا اصله من الشرب
يقال شرب واشرب غيره اي حمل على الشرب واشرب الزرع سقي واشرب قلبه حب كذا قال زهير فصحوت عنها بعد حب
داخل والحب يشربه فؤادك داء الاعراب قوله العجل اي حب العجل حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ومثله قول
الشاعر حسبت بغام راحلتي عناقا وما هي ويب غيرك بالعناق اي حسبت بغام راحلتي بغام عناق وقال طرفة الا انني
سقيت اسود حالكا الا بجلي من الشراب الا بجل يعني سقيت سم اسود وقال الآخر وشر المنايا ميت وسط اهله
كهلك الفتى قد اسلم الحي حاضره اي منية ميت وقوله بئسما يامركم به ايمانكم به المعنى قوله واذ اخذنا ميثاقكم
ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة قد فسرناه فيما مضى والفائدة في تكرير هذا وامثاله التاكيد وايجاب
الحجة عليهم على عادة العرب في خطابها لما نبها وقيل انه سبحانه انما ذكر الاول للاعتبار باخبار ما مضى والثاني
للاحتجاج عليهم وقوله واسمعوا اي اسمعوا ما سمعتم واعملوا به واطيعوا الله ورسوله معناه اسمعوا ما يتلى عليكم اي استمعوا
ما يتلى عليكم اي اسمعوا لتسمعوا وهذا اللفظ يحتمل الاستماع والقبول ولا تنافي بينهما فيحمل عليهما فكانه قال
اسمعوا لتسمعوا ثم اقبلوا واطيعوا ويدل عليه انه قال في الجواب عنهم قالوا سمعنا وعصينا وفيه قولان احدهما
انهم قالوا هذا القول في الحقيقة استهزاء ومعناه سمعنا قولك وعصينا امرك والثاني ان حالهم كحال من قال
ذلك اذ فعلوا ما دل عليه كما قال الشاعر قالت جناحاه لرجليه الحقي وان كان الجناح لا يقول ذلك وانما خرج
سبحانه من لفظ الخطاب الى الخبر عن الغائب على عادة العرب المألوفة واختلف في هذا الضمير الى من يعود فقيل الى اليهود
الذين كانوا في عهد موسى عليه السلام بانهم قالوا ذلك ثم رجع الحديث اولا اليهم فقال واشربوا وقيل الى اليهود الذين كانوا

في عهد موسى عليه السلام اذ ردوا عليه وقوله وقابلوه بالعصيان وقوله واشربوا في قلوبهم فمعناه دخل قلوبهم
حب العجل وانما عبر عن حب العجل بالشرب دون الاكل لان شرب الماء يتغلغل في الاعضاء حتى يصل الى بواطنها والطعام
يجاوز الاعضاء ولا يتغلغل فيها قال الشاعر تغلغل حيث لم يبلغ شراب ولا حزن ولم يبلغ سرور وليس المعنى
في قوله واشربوا ان غيرهم فعل ذلك بهم بل هم الفاعلون لذلك كما يقول القائل انسيت ذلك من النسيان وليس
يريد ان غيره فعل ذلك به ويقال اوتي فلان علما جما ان كان هو المكتسب له وقوله بكفرهم ليس معناه انهم اشربوا
حب العجل جزاء على كفرهم لان محبة العجل كفر قبيح والله سبحانه لا يفعل الكفر في العبد لا ابتداء ولا جزاء بل معناه
انهم كفروا بالله تعالى بما اشربوه من محبة العجل وقيل لما اشربوا حب العجل قلوبهم من زينه عندهم ودعاهم
كالسامري وشياطين الجن والانس فقوله بكفرهم معناه لاعتقادهم التشبيه وجهلهم بالله تعالى وتجويزهم
العبادة لغيره اشربوا في قلوبهم حب العجل لانهم صاروا الى ذلك بهذه المعاني التي هي كفر وقول من قال فعل الله
ذلك بهم عقوبة ومجازاة غلط لانه فاحش لان حب العجل ليس من العقوبة في شيء ولا ضرر فيه قوله بئسما يامركم معناه
قل يا محمد هؤلاء اليهود بئس الشيء الذي يامركم به ايمانكم ان يامركم بقتل انبياء الله ورسله والتكذيب بكتبه
وجحد ما جاء من عنده ومعنى ايمانهم تصديقهم بالذي زعموا انهم مصدقون به من كتاب الله من قولهم نؤمن بما
انزل علينا وقوله ان كنتم مؤمنين اي مصدقين كما زعمتم بالتوراة وفي هذا نفي عن التوراة ان تكون تامر بشيء يكرهه الله
من افعالهم واعلام بان الذي يامرهم بذلك اهواؤهم ويحملهم عليه آراؤهم قوله عز وجل قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة
من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين آية اللغة الخالصة الصافية يقال خلص في هذا الامر اي صار لي وحدي وصفا لي يخلص خلوصا
وخالصة والخالصة مصدر كالعافية واصل الخلوص ان يصفو الشيء من كل شائب ودون يستعمل على ثلاثة اوجه
ان يكون الشيء دون الشيء في المكان وفي الشرف وفي الاختصاص وهو المراد في الآية والتمني من جنس الاقوال
عند اكثر المتكلمين وهو ان يقول القائل لما كان ليته لم يكن ولما لم يكن ليته كان وقال ابو هاشم هو معنى في القلب
ولا خلاف في انه ليس من قبيل الشهوة الاعراب خالصة نصب على الحال المعنى ثم عاد سبحانه الى الاحتجاج على اليهود بما فضح
به احبارهم وعلماءهم ودعاهم الى قضية عادلة بينه وبينهم فقال قل يا محمد لهم ان كانت الجنة خالصة لكم من دون الناس
كلهم او دون محمد صلى الله عليه وآله واصحابه كما ادعيتم بقولكم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وكنتم صادقين
في قولكم نحن ابناء الله واحباؤه ان الله لا يعذبنا فتمنوا الموت لان من اعتقد انه من اهل الجنة قطعا كان الموت
احب اليه من حياة الدنيا التي فيها انواع المشاق والهموم والآلام والغموم ومن كان على يقين انه اذا مات تخلص
منها وفاز بالنعيم المقيم فانه يؤثر الموت على الحياة الا ترى الى قول امير المؤمنين عليه السلام وهو يطوف بين الصفين
بصفين في غلالة لما قال له الحسن ابنه ما هذا زي الحرب يا بني ان اباك لا يبالي وقع على الموت او وقع الموت عليه
وقال عمار بن ياسر بصفين ايضا الآن الاقي الاحبة محمدا وصحبه وحزبه واما ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال
لا يتمنين احدكم الموت لضر نزل به ولكن ليقل اللهم احيني ما كانت الحياة خيرا لي وتوفني اذا كانت الوفاة
خيرا لي فانما نهى عن تمني الموت لانه يدل على الجزع والمامور به الصبر وتفويض الامور اليه ولانا لا نامن وقوع
التقصير فيما امرنا به ونرجو في البقاء التلافي قوله عز وجل ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم والله عليم بالظالمين آية
الاعراب ابدا نصب على الظرف اي طول عمرهم يقول القائل لا اكلمه ابدا يريد ما عشت ما بمعنى الذي اي الذي قدمت
ايديهم ويجوز ان يكون ما بمعنى المصدر فيكون المراد بتقدمة ايديهم المعنى اخبر الله سبحانه عن هؤلاء الذين قيل
لهم تمنوا الموت ان كنتم صادقين بانهم لا يتمنون ذلك ابدا بما قدموه من المعاصي والقبائح وتكذيب الكتاب والرسول
عن الحسن وابي مسلم وقيل بما كتموا من صفة النبي صلى الله عليه وآله عن ابن جريج واضاف ذلك الى اليد وان كانوا انما

قدموا ذلك باللسان والوجه فيه ان الغالب ان يحصل الجناية باليد فيضاف ذلك اليها ما يحصل بغيرها وقوله والله عليم
بالظالمين خص الظالمين بذلك وان كان عليما بهم وبغيرهم لان الغرض بذلك الزجر والتهديد كما تقول الانسان لغيره انى
عارف بك بصير بعملك وقيل معناه ان الله عليم بالاسباب التي منعتهم عن تمني الموت وما اضمروه واسروه من كتمان الحق
عنادا مع علم كثير انهم مبطلون وروي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال لو ان اليهود تمنوا الموت لماتوا ولرأوا مقاعدهم من
النار فقال سبحانه لن يتمنوه ابدا فصدقا لكذبهم وفي ذلك اعظم دلالة على صدق نبينا صلى الله عليه وآله وصحة نبوته لانه
اخبر بالشيء قبل كونه فكان كما اخبر وايضا فانهم كفوا عن التمني بالموت لعلمهم بالحق وانهم لو تمنوا الموت لماتوا وروى
الكلبي عن ابن عباس انه كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لهم ان كنتم صادقين في مقالكم فقولوا اللهم امتنا فو الذي
نفسي بيده لا يقولها رجل الا غص بريقه فمات مكانه وهذه القصة شبيهة بقصة المباهلة وان النبي صلى الله عليه وآله
لما دعا النصارى الى المباهلة امتنعوا لقلة ثقتهم بما هم عليه وخوفهم من صدق النبي صلى الله عليه وآله في قوله
لو باهلوني لما وجدوا اهلا ولا مالا فلما لم يتمن اليهود الموت افتضحوا كما ان النصارى لما احجموا عن المباهلة افتضحوا
وظهر الحق فان قيل من اين انهم لم يتمنوا الموت بقلوبهم فالجواب ان من قال التمني هو القول فالسؤال ساقط عنه ومن
قال هو معنى في القلب قال لو تمنوه بقلوبهم لاظهروه بالسنتهم حرصا منهم على تكذيبه في اخباره ولان تمنيهم تمني الموت
انما وقع بما يظهر على اللسان وكان يسهل عليهم ان يقولوا ليت الموت نزل بنا فلما عدلوا عن ذلك ظهر صدقه وصحة
حجته قوله عز وجل ولتجدنهم احرص الناس على حيوة ومن الذين اشركوا يود احدهم لو يعمر الف سنة وما هو بمزحزحه من
العذاب ان يعمر والله بصير بما يعملون اللغة وجد وصادف والفى نظاير ووجدت الشيء وجدانا اذا اصبته ويقال وجدت بمعنى
علمت والحرص شدة الطلب ورجل حريص وقوم حراص والمودة المحبة يقال وددت الرجل وده ودا وودا وودادة
ومودة والتعمير طول العمر والعمر لغة واصله من العمارة التي هي ضد الخراب والعمر المدة التي يعمر فيها البدن بالحيوة والالف
من التاليف سمي بذلك العدد لانه مائة عشرات والزحزحة التنحية يقال زحزحه فتزحزح قال الشاعر قالوا تزحزح لا بنا
فضل حاجة اليك ولا منا لوهيك راقع والبصير بمعنى المبصر كما ان السميع بمعنى المسمع لكنه صرف الى فعيل ومثله بديع السموات
والارض بمعنى المبدع والعذاب الاليم بمعنى المؤلم هذا في اللغة وعند المتكلمين البصير هو المدرك للمبصرات والبصير هو الحي الذي
لا آفة به فهو ممن يجب ان يبصر المبصرات اذا وجدت وليس احدهما هو الآخر كذلك القول في السميع والسامع الاعراب لتجدنهم
اللام لام القسم والنون للتاكيد تقديره والله لتجدنهم قال سيبويه سالت الخليل عن قوله ليفعلن اذا جاءت مبتدأة فقال
هي على نية القسم وهذه اللام اذا دخلت على المستقبل لزمته في الامر الاكثر النون واذا كان وجدت بمعنى صادفت
تعدى الى مفعول واحد كقعدت الذي هو ضده فينتصب احرص على الحال واذا كان بمعنى علمت تعدى الى مفعولين
ثانيهما غير الاول فيكون احرص هو المفعول الثاني وهو الاصح وقوله ومن الذين اشركوا قال الفراء يريد واحرص
من الذين اشركوا ايضا كما يقال هو اسخى الناس ومن حاتم ومن هرم لان تاويل قولك اسخى الناس انما هو اسخى من الناس
وقال الزجاج تقديره ولتجدنهم احرص من الذين اشركوا وقيل انما دخلت من في قوله احرص الناس لانهم بعض الناس والمضاف
في باب افعل لا يكون الا كذلك تقول الياقوت افضل الحجارة ولا تقولون الياقوت افضل الزجاج ولذلك قال ومن
الذين اشركوا لان اليهود ليسوا ببعض المجوس وهم بعض الناس وقوله وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر فيه وجوه احدها
ان يكون هو كناية عن احدهم الذي جرى ذكره وان يعمر في موضع رفع فانه فاعل تقديره وما احدهم بمزحزحه من العذاب
تعميره كما تقول مررت برجل معجب قيامه وثانيها ان هو كناية عما جرى ذكره من طول العمر وقوله ان يعمر بيان لقوله هو تقديره
وما تعميره بمزحزحه من العذاب كانه قيل وما هو الذي ليس بمزحزحه فقيل هو التعمير وثالثها ان هو عماد وان يعمر في موضع الرفع
بانه مبتدأ وبمزحزحه خبره ومنع الزجاج هذا القول الاخير قال لا يجيز البصريون ما هو قايم زيد وما هو بقايم زيد بمعنى الامر

والشان وقال غيره اذا كانت ما غير عاملة في الباء جاز كقولهم ما بهذا باس المعنى ثم اخبر الله سبحانه عن احوال اليهود فقال ولتجدنهم
اي ولتعلمن يا محمد هؤلاء اليهود وقيل يعني به علماء اليهود احرص الناس على حيوة اي حرصهم على البقاء في الدنيا اشد من
حرص ساير الناس ومن الذين اشركوا ولتجدنهم احرص من الذين اشركوا وهم المجوس ومن لا يؤمن بالبعث وقال ابو علي
الجبائي ان الكلام تم عند قوله على حيوة وقوله ومن الذين اشركوا تقديره من الذين اشركوا من يود احدهم لو
يعمر الف سنة فحذفت من وقال علي بن عيسى هذا غير صحيح لان حذف من لا يجوز في مثل هذا الموضع وقال ابو مسلم
الاصفهاني ان في الكلام تقديما وتاخيرا وتقديره ولتجدنهم وطايفة من الذين اشركوا احرص الناس على حيوة
واقول اذا جاز هنا ان يحذف الموصوف الذي هو طايفة ويقام الصفة مقامه وهو قوله من الذين اشركوا
فليجز على ما ذهب اليه الجبائي ان يكون تقديره ومن الذين اشركوا طايفة يود احدهم فيحذف الموصوف
ويقام الصفة التي هو يود احدهم لو يعمر الف سنة مقامه فيصح على هذا تقدير الحذف ويستوي القولان
من حيث الصورة والصنعة ويختلفان من حيث المعنى ويكون من هنا هي الموصوفة لا الموصولة كما قدره الجبائي
وقوله يود احدهم لو يعمر الف ذكر الالف لانها نهاية ما كانت المجوس تدعوا به بعضهم لبعض وتحية الملوك
يقولون عش الف نوروز والف مهرجان قال ابن عباس هو قول احدهم لمن عطس هزار سال بزى يقول فهؤلاء
الذين يزعمون ان لهم الجنة لا يتمنون الموت وهم احرص ممن لا يؤمن بالبعث وكذلك يجب ان يكون هؤلاء لعلمهم
بما اعد الله لهم في الآخرة من الجحيم والعذاب الاليم على كفرهم وعنادهم ممن لا يقر به اهل الشرك فهم للموت اكره من اهل
الشرك من الذين لا يؤمنون بالبعث وعلى الحيوة احرص لهذه العلة وقوله وما هو بمزحزحه وما احدهم بمنجيه من
عذاب الله ولا مبعده منه تعميره لانه يطول له البقاء لانه لا بد للعمر من الفناء هذا احسن الوجوه التي تقدم ذكرها
والله بصير بما يعملون اي عليم باعمالهم لا يخفى عليه شيء منها بل هو محيط بجميعها حافظ لها حتى يذيقهم بها العذاب وفي
هذه الآية دلالة على ان الحرص على طول البقاء لطلب الدنيا ونحوه مذموم وانما المحمود طلب البقاء للازدياد في
الطاعة وتلافي الفايت بالتوبة والانابة ودرك السعادة بالاخلاص في العبادة والى هذا المعنى اشار امير المؤمنين
عليه السلام في قوله بقية عمر المؤمن لا قيمة له يدرك بها ما فات ويحيي بها ما امات قوله عز وجل قل من كان عدوا لجبريل
فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل
وميكال فان الله عدو للكافرين القراءة قرأ ابن كثير جبريل بفتح الجيم وكسر الراء من غير همز وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر
الا يحيى جبرئيل بفتح الجيم والراء مهموزا على زنة جبرعيل وروى يحيى كذلك الا انه حذف الياء بعد الهمزة
فصار مثل جبرعل والباقون بكسر الجيم والراء وبعدها ياء من غير همزة وقرأ اهل المدينة ميكائل بهمزة
مكسورة بعد الالف على زنة ميكاعل وقرأ اهل البصرة ميكال بغير همز ولا ياء والباقون باثبات ياء ساكنة
بعد الهمزة على زنة ميكاعيل الحجة قال ابو علي روينا عن ابي الحسن انه قال في جبريل ست لغات جبرئيل
وجبرئل وجبرائيل وجبرال وجبريل وجبرين فمن قال جبرئيل كان على لفظ عندليل وبرطيل ومن قال جبرئل
كان على وزن عندليب ومن قال جبريل كان على وزن جحمرش ومن قال ميكائيل كان على زنة قنطار وميكائيل
وجبرئيل خارج عن كلام العرب وهذه الاسماء معربة فاذا اتي بها على ما في ابنية العرب مثله كان اذهب في
باب التعريب وقد جاء في اشعارهم ما هو على لفظ التعريب وما هو خارج عن ذلك قال عبد الله الصلب وكذبوا
بمحمد وبجبريل وكذبوا ميكالا وقال حسان وجبريل رسول الله فينا وروح القدس ليس له كفاء اللغة جبرائيل
وميكائيل اسمان اعجميان عربا وقيل جبر في اللغة السريانية هو العبد وايل هو الله وميك عبيد فمعنى جبرئيل عبد الله
ومعنى ميكائيل عبيد الله قال ابو علي الفارسي هذا لا يستقيم من وجهين احدهما ان ايل لا يعرف من اسماء الله تعالى

في اللغة العربية والآخرة لو كان كذلك لكان آخر الاسم مجروراً ابداً كقولهم عبد الله والبشرى والبشارة الخبر السار
اول ما يرد فيظهر ذلك في بشرة الوجه الاعراب جواب الشرط محذوف تقديره من كان عدواً لجبريل فليمت غيظاً فانه
نزل بالوحي على قلبك باذن الله والهاء في قوله نزله تعود الى القرآن وان لم يجر له ذكر كما ان الهاء في قوله تعالى ما ترك
على ظهرها من دابة تعود الى الارض ويجوز ان يكون على فان الله نزل جبرئيل على قلبك لا انه نزل نفسه والاول اصح
ومصدقاً نصب على الحال والهاء في نزله وهو ضمير القرآن او جبرئيل النزول عن ابن عباس قال كان سبب نزول
هذه الآية ما روي ان ابن صوريا وجماعة من اليهود اهل فدك لما قدم النبي صلى الله عليه وآله المدينة سألوه
فقالوا يا محمد كيف نومك فقد اخبرنا عن نوم النبي الذي يأتي في آخر الزمان فقال تنام عيناي وقلبي يقظان
فقالوا صدقت يا محمد فاخبرنا عن الولد يكون من الرجل او المرأة فقال اما العظام والعصب والعروق فمن الرجل واما اللحم
والدم والظفر والشعر فمن المرأة قالوا صدقت يا محمد قالوا فما بال الولد يشبه اعمامه ليس فيه من شبه اخواله شيء او يشبه
اخواله ليس فيه من شبه اعمامه شيء فقال ايهما علا ماؤه كان الشبه له قالوا صدقت يا محمد قالوا فاخبرنا عن ربك ما هو
فانزل الله سبحانه قل هو الله احد الى آخر السورة فقال ابن صوريا خصلة واحدة ان قلتها آمنت بك واتبعتك
اي ملك يأتيك بما ينزل الله عليك قال فقال جبرئيل قال ذلك عدونا ينزل بالقتال والشدة والحرب وميكائيل
ينزل بالبشر والرخاء فلو كان ميكائيل هو الذي يأتيك لآمنا بك المعنى فانزل الله تعالى هذه الآية جواباً لليهود
ورداً عليهم فقال لهم قل يا محمد من كان عدواً لجبرئيل اذ كان هو المنزل للكتاب عليك فانه انما انزله على قلبك باذن الله
لا من تلقاء نفسه وانما اضافه الى قلبه لانه اذا انزل عليه كان يحفظ ويفهم بقلبه ومعنى باذن الله بامر الله وقيل اراد
بعلمه او باعلام الله اياه ما نزل على قلبك وقوله مصدقاً لما بين يديه معناه موافقاً لما بين يديه من الكتب
ومصدقاً له بانه حق وبانه من عند الله لا مكذباً لها وهدى وبشرى للمؤمنين معناه ان كان فيما انزله بالحرب
والشدة على الكافرين فانه هدى وبشرى للمؤمنين وانما خص الهدى من حيث كانوا هم المهتدين به العاملين
بما فيه وان كان هدى لغيرهم ايضاً وقيل اراد بالهدى الرحمة والثواب فلذلك خصه بالمؤمنين ومعنى البشرى
ان فيه البشارة لهم بالنعيم الدائم وان جعلت مصدقاً وهدى وبشرى حالاً لجبرئيل فالمعنى انه يصدق بكتب الله الاولى
ويأتي بالهدى والبشرى وانما قال سبحانه في الآية على قلبك ولم يقل على قلبي على العرف المألوف كما يقول المخاطب
ولا يقل للقوم ان الخبر عندك ويجوز ان تقول لا تعلمهم الخبر عندي وكما تقول قال القوم جبرئيل عدونا ويجوز
ان تقول كأنك تقل لهم ان الخبر عندي قالوا جبرئيل عدونا واما قوله تعالى من كان عدواً لله وملائكته ورسله معناه
من كان معادياً لله اي يفعل فعل المعادي من المخالفة والعصيان فان حقيقة العداوة طلب الاضرار به وهذا مستحيل
على الله تعالى وقيل المراد به معاداة اوليائه كقوله ان الذين يؤذون الله قوله وملائكته اي معادياً لملائكته
ورسله وجبرئيل وميكال فانما اعاد ذكرهما لفضيلتهما ومنزلتهما كقوله سبحانه فيهما فاكهة ونخل ورمان وقيل انما اعاد
ذكرهما لان اليهود قالت جبرئيل عدونا وميكائيل ولينا فخصهما الله بالذكر لان النزاع جرى فيهما فكان ذكرهما
اهم ولئلا يزعم اليهود انهما مخصوصان من جملة الملائكة وليسا بداخلين في جملتهم فنص الله عليهما ليبطل ما يتأولونه
من التخصيص ثم قال فان الله عدو للكافرين ولم يقل فانه وكرر اسم الله لئلا يظن ان الكناية راجعة الى جبرئيل
او ميكائيل ولم يقل لهم لانه قد يجوز ان ينتقلوا عن العداوة بالايمان وقد طعن بعض الملحدة في هذا فقال
كيف يجوز ان يقول عاقل انا عدو جبرئيل وليس هذا القول من اليهود بمستنكر ولا عجب مع ما اخبر الله تعالى
عن قولهم بعد مشاهدتهم فلق البحر والآيات الخارقة للعادة اجعل لنا الهاً كما لهم آلهة وقولهم ارنا الله جهرة وعبادتهم
العجل وغير ذلك من جهالاتهم قوله عز وجل ولقد انزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون الآية اللغة

العلامة التي فيها عبرة وقيل العلامة التي فيها الحجة والبينة الدلالة الفاصلة بين القضية الصادقة والكاذبة
مأخوذة من ابانة احد الشيئين من الآخر فيزول التباسه الاعراب قد يدخل في الكلام لاحد امرين احدهما لقوم
يتوقعون الخبر والآخر لتقريب الماضي من الحال تقول لقد خرجت وقد ركب الامير وهي ههنا مع لام القسم على تقدير يتوقعون
الخبر لان الكلام اذا خرج ذلك المخرج كان اوكد وابلغ النزول قال ابن عباس ان ابن صوريا قال لرسول الله صلى الله
عليه وآله ما جئتنا بشيء نعرفه وما انزل عليك من آية بينة فنتبعك لها فانزل الله هذه الآية تقول ولقد انزلنا
اليك يا محمد آيات يعني سائر المعجزات التي اعطيها النبي صلى الله عليه وآله عن البلخي وقيل هي القرآن وما فيها
من الدلالات عن ابي مسلم وابي علي وقيل هي علم التوراة والانجيل والاخبار عما غمض مما في كتب الله السالفة عن الاصم
لقوله تعالى يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب بينات اي واضحات تفصل بين الحق والباطل وما يكفر
بها الا الفاسقون معناه الكافرون وانما سمي الكفر فسقاً لان الفسق خروج شيء الى شيء واليهود خرجوا من دينهم
وهو دين موسى بتكذيب النبي صلى الله عليه وآله وانما لم يقل الكافرون وان كان الكفر اعظم من الفسق لاحد
امرين احدهما ان المراد انهم خرجوا من امر الله الى ما يعظم من معاصيه والثاني ان المراد به الفاسقون المتمردون
في كفرهم لان الفسق لا يكون الا اعظم الكبائر فان كان في الكفر فهو اعظم الكفر وان كان بما دون الكفر فهو اعظم
المعاصي قوله عز وجل اوكلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم بل اكثرهم لا يؤمنون اللغة النبذ
طرحك الشيء من يدك امامك او خلفك والمنابذة انباذ الفريقين للحرب ونابذتهم الحرب والمنبوذون هم الاولاد
الذين يطرحون والمنابذة في البيع منهي عنها وهو كالرمي كانه اذا رمى وجب البيع وسمي النبيذ نبيذاً لان التمر كان يلقى
في الجرة وغيرها وقيل معنى نبذه تركه وقيل القاه قال ابو الاسود الدؤلي نظرت الى عنوانه فنبذته كنبذك نعلاً
اخلقت من نعالكا الاعراب الواو في قوله اوكلما عند سيبويه واكثر النحويين واو العطف لان الف الاستفهام دخلت
عليها لان لها صدر الكلام وهي ام حروف الاستفهام بدلالة ان هذه الواو تدخل على هل تقول وهل زيد عالم لان الالف
اقوى منها وقال بعضهم يحتمل ان يكون زائدة كزيادة الفاء في قولك افالله لتفعلن والاول اصح لانه لا يحكم على الحرف بالزيادة
مع وجود معنى من غير ضرورة ونصب كلما على الظرف والعامل فيه نبذه ولا يجوز ان يعمل فيه عاهدوا لانه متمم لما اذ ما صلة او صفة
المعنى اخبر الله سبحانه عن اليهود انهم فقال اوكلما عاهدوا عهداً واراد به العهد الذي اخذه الانبياء عليهم ان يؤمنوا بالنبي الامي
عن ابن عباس وكلما لفظ يقتضي التكرير فيقتضي تكرر النقض منهم وقال عطاء هي العهود التي كانت بين رسول الله
وبين اليهود فنقضوها كفعل قريظة والنضير عاهدوا ان لا يعينوا عليه احداً فنقضوا ذلك واعانوا عليه قريشاً يوم الخندق
نبذه فريق منهم اي نقضه جماعة منهم بل اكثرهم اي اكثر المعاهدين لا يؤمنون ولا تعود الهاء الى الفريق اذ
كانوا كلهم غير مؤمنين اما المعاهدون فمنهم من آمن كعبد الله بن سلام وكعب الاحبار وغيرهما فاما وجه دخول
بل على قوله بل اكثرهم فانه لامرين احدهما انه لما نبذه فريق منهم دل على ان ذلك الفريق كفر بالنقض فقال بل اكثرهم
كفر بالنقض الذي فعلوه وان كان بعضهم نقضه جهلاً وبعضهم نقضه عناداً والثاني انه اراد كفر فريق
منهم بالنقض وكفر اكثرهم بالجحد وهذا امر النبي ص وما يلزم من اتباعه والتصديق قوله عز وجل ولما جاءهم
رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كانهم لا يعلمون
الاعراب لما في موضع نصب بانه ظرف ويقع به الشيء لوقوع غيره والعامل فيه نبذ ومصدق في رفع لانه صفة
لرسول لانهما نكرتان ولو نصب لكان جائزاً لان رسولاً قد وصف بقوله من عند الله فلذلك لم يحسن نصبه على الحال
الا انه لا يجوز في القراءة الا الرفع لان القراءة سنة متبعة ووصل ما جاء باللام ومع صلة لها والناصب لمع معنى
الاستقرار اذ المعنى لما استقر معهم المعنى ولما جاء اليهود الذين كانوا في عصر النبي صلى الله عليه وآله رسول من عند الله يعني محمد

بلبلى وما ارسلتهم برسول
عن اكثر المفسرين وقيل اراد بالرسول الرسالة كما قال كثير لقد كذب الواشون ما فهت عندهم
قال علي بن عيسى وهذا ضعيف لانه خلاف الظاهر قليل في الاستعمال قوله مصدق لما معهم يحتمل امرين احدهما
انه مصدق لكتبهم من التوراة والانجيل لانه جاء على الصفة التي تقدمت بها البشارة والثاني انه مصدق
للتوراة بانها حق من عند الله لان الاخبار هنا انما هو عن اليهود دون النصارى والاول احسن لان فيه حجة عليهم وقوله
نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب اي ترك والقى طائفة منهم وانما قال من الذين اوتوا الكتاب ولم يقل منهم
وقد تقدم ذكرهم لانه يريد به علماء اليهود فاعاد ذكرهم لاختلاف ذكرهم لاختلاف المعنى وقيل انه لم يكن عنهم
للبيان لما طال الكلام وقوله كتاب الله يحتمل ان يريد به التوراة ويحتمل ان يريد به القران وقوله وراء ظهورهم
كناية عن تركهم العمل به قال الشعبي هو بين ايديهم يقراونه ولكن انبذوا العمل به وقال سفيان بن عيينة ادرجوه
في الحرير والديباج وحلوه بالذهب والفضة ولم يحلوا حلاله ولم يحرموا حرامه فذلك النبذ هذا اذا حمل الكتاب
على التوراة وقال ابو مسلم لما جاءهم الرسول بهذا الكتاب فلم يقبلوه صاروا نابذين للكتاب الاول ايضا الذي فيه
البشارة به وقال السدي نبذوا التوراة واخذوا بكتاب اصف وسحر هاروت وماروت بمعنى انهم تركوا ما
يدل عليه التوراة من صفة النبي صلعم وقال قتادة وجماعة من اهل العلم ان ذلك الفريق كانوا معاندين واعاد
عد
ويقال انهم لان الجمع العظيم والجم الغفير والعدد الكثير لا يجوز عليهم كتمان ما علموه مع اختلاف الهمم وتشتت الاراء وتباين
الاهواء لانه خلاف المالوف من العادات الا اذا كانوا تواعدوا وتجوز على مثلهم التواطؤ على الكتمان وقوله
عليهم
كانهم لا يعلمون اي لا يعلمون انه صدق وحق والمراد انهم علموا وكتموا بغيا وعنادا وقيل المراد كانهم لا يعلمون ما
من ذلك من العقاب وقيل المراد كانهم لا يعلمون ما في كتابهم اي جهلوا عن الجاهل بالكتاب قوله عز وجل واتبعوا ما تتلو
الشياطين على ملك سليمن وما كفر سليمن ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما انزل على الملكين
ببابل هروت وماروت وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون
بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من احد الا باذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا
لمن اشتراه ما له في الاخرة من خلاق ولبئس ما شروا به انفسهم لو كانوا يعلمون
آية القراءة قرا ابن عامر وحمزة والكسائي ولكن الشياطين كفروا ولكن الله قتلهم ولكن الله رمى بتخفيف النون من لكن
ورفع الاسم بعدها والباقون بالتشديد وروي في الشواذ على الملكين بكسر اللام عن ابن عباس والحسن الحجة
قال ابو علي اعلم ان لكن لا نعلم شيئا على مثاله في الاسماء والافعال وهو يشبه ان في انها مثلها لم يخفف الا ان
وان اذا خففتا فقد تنصب بهما كما تنصب مثقلتين وان كان غير الاعمال اكثر ولم نعلم ان احدا حكى النصب بلكن اذا
خففت فيشبه ان النصب لم يجز في هذا الحرف مخففا ليكون ذلك دلالة على ان الاصل في هذه الحروف ان لا يعمل اذا خفف
لزوال اللفظ الذي شابه الفعل في التخفيف ولكن وان لم يشابه الفعل فان فيها ما يشابه الفعل اذا فصلته كقولهم اراك
منتفخا اريد ان نخشى كيف وعمر منفصلا ثم خفف لذلك يقدر في لكن الانفصال فيشبه ليت وان اللغة ابتعه
اصدقه وتلو معناه تبع لان التالي تابع وقيل معناه تقرا من تلوت كتاب الله اي قراته قال الله تعالى هنالك
تبلو كل نفس ما اسلفت اي تتبع وقال حسان بن ثابت نبي يرى ما لا يرى الناس حوله ويتلو كتاب الله في كل مشهد السحر
والكهانة والحيلة نظائر يقال سحره يسحره سحرا وقال صاحب العين السحر عمل تقرب الى الشيطان ومن السحر الاخذة التي تاخذ
العين حتى يظن ان الامر كما ترى وليس الامر كما ترى والجمع الاخذات فالسحر عمل خفي لخفاء سببه يصور الشيء بخلاف صورته
ويقلبه عن جنسه في الظاهر ولا يقلبه عن جنسه في الحقيقة الا ترى الى قوله يخيل اليه من سحرهم انها تسعى والسحر الغذاء
قال امرؤ القيس ارانا موضعين لحتم غيب ونسحر بالطعام وبالشراب وفي السحر الرية يقال للجبان انتفخ سحره والامتحان والاختبار

نظائر يقال فتنته فتنة وافتنه قال اعشى همدان لئن فتنتني لهي بالامس افتنت سعيدا وامسى قد قلا
كل مسلم وفتنت الذهب بالنار اذا اختبرته ليتميز الخالص من المشوب فقيل لكل ما احميته في النار فتنته ومنه الخبر
في النار المحماة وهي قوله يوم هم على النار يفتنون اي يسوون ويعلم قد يكون بمعنى اعلم كما قيل علمت واعلمت بمعنى وكذلك
نبئت وانبئت قال كعب بن زهير يعلم رسول الله انك مدركي وان وعيدا منك كالاخذ باليد وقيل ان بينهما فرقا لان
معنى نعلم نسبب الى ما به يعلم من النظر في الادلة وليس في اعلم هذا المعنى فقد يقال ذلك لما يعلم بلا تامل كقولك اعلم
الفعل يدل على الفاعل وان ما لم يسبق المحدث محدث وتقول في الاول تعلم النحو والفقه والمرء تانيثه المراة
ويقال مرة بلا الف والضرر والالم والاذى نظائر والضر نقيض النفع يقال ضره يضره ضرا واضر به اضرارا واضطره اليه
اضطرارا قال صاحب العين الضر والضر لغتان فاذا ضممت اليه النفع فتحت الضاد والضرير الذاهب البصر من الناس فقال
رجل ضرير بين الضرارة وفي الحديث لا ضرر ولا اضرار وضريرا الوادي جانباه وكل شيء دنا منك حتى يزحمك فقد اضر بك
واصل الباب الانتقاص والاذن في اللغة على ثلاثة اقسام احدها بمعنى العلم كقوله فاذنوا بحرب من الله اي فاعلموا وقال
الحطيئة الا هندان جددت وصلا والا فاذني عاجلا بانصرام والثاني الاباحة والاطلاق كقوله تعالى فانكحوهن
باذن اهلهن والثالث بمعنى الامر كقوله نزله على قلبك باذن الله والنفع والمنفعة واللذة نظائر وحد النفع
هو كل ما يكون به الحيوان ملتذا اما بانه لذة او يؤدي الى لذة وحد الالم كل ما يكون به الحيوان الما اما لانه الم او يؤدي الى
الم والخلاق النصيب من الخير قال امية بن ابي الصلت يدعون بالويل فيها لا خلاق لهم الا سرابيل من قطر واغلال الاعراب
قوله ما تتلو فيه وجهان احدهما ان يكون يتلو بمعنى تلت وانما جاز ذلك لما علم من اتصال الكلام بعهد سليمن فمن قال
المراد على عهد سليمن او في زمن ملك سليمن او سليمن فيمن لم يعد حذف المضاف فدل ذلك على ان امثال المضارع
اريد به الماضي قال سيبويه قد يقع يفعل في موضع فعل كقول الشاعر ولقد امر على اللئيم يسبني فمضيت ثمت قلت لا يعنيني
والوجه الاخر ان يكون يفعل على بابه لا يريد به فعل ولكنه حكاية حال وان كان ماضيا كقوله واذ نجيناكم من ال فرعون
يسومونكم سوء العذاب فيسومونكم حكاية الحال في الوقت الذي كانت فيه وان كان ال فرعون منقوصين في وقت
هذا الكتاب ومن هذا ما انشده ابن الاعرابي جارية في رمضان الماضي تقطع الحديث بالايماض وقوله وما انزل
ذكر فيها ثلاثة اقوال احدها انه بمعنى الذي وانزل صلته وموضعه نصب بكونه معطوفا على السحر وقيل انه
معطوف على قوله ما تتلو الشياطين وثانيها انه بمعنى الذي ايضا وموضعه جر ويكون معطوفا بالواو على ملك سليمن
وثالثها انه بمعنى الجحد والنفي ويقدره وما كفر سليمن ولم ينزل الله السحر على الملكين وبابل اسم بلد لا ينصرف
للتعريف والتانيث قوله فيتعلمون لا يخلو من احد امرين اما ان يكون الفعل معطوفا بالفاعل على فعل قبله
او يكون خبر مبتدا محذوف والفعل الذي قبله لا يخلو اما ان يكون كفروا من قوله ولكن الشياطين كفروا يجوز
ان يكون فيتعلمون معطوفا عليه لان كفروا في موضع رفع بكونه خبر لكن وعطف عليه بالمرفوع وهو قول سيبويه
واما يعلمون فيجوز ان يكون في موضع نصب على الحال من كفروا اي في تعليمهم ويجوز ان يكون بدلا من كفروا لان تعليم
الشياطين كفر في المعنى واذا كان كذلك جاز البدل فيه اذ كان اياه في المعنى كما كان مضاعفة العذاب لما كان
لقي الاثام في قوله ومن يفعل ذلك يلق اثاما يضاعف له العذاب جاز ابداله منه ولان ما يكون الفعل الذي عطف
خاصة
عليه يتعلمون قوله تعلمون وهو قول الفراء وانكر الزجاج هذا القول تارة لان قوله منهما دليل على التعلم من الملكين
قال ابو علي فهذا يدخل على قول سيبويه ايضا كما يدخل على قول الفراء لانهما جميعا قالا نعطفه على فعل الشياطين وهذا
عطفا
الاعتراض ساقط من جهتين احدهما ان التعلم وان كان من الملكين خاصة فلا يمتنع ان يكون قوله فيتعلمون
ويسوغ
على كفروا او على يعلمون وان كان متعلقا بهما وكان الضمير في منهما راجعا الى الملكين فان قلت كيف يجوز هذا

ان بعد هذا التقدير ويلزمك ان يكون النظم ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر فيتعلمون منهما فيتم الملكين قبل ذكرهما والاضمار قبل الذكر غير جائز واذا الزمك في هذا القول الاضمار قبل الذكر وكان ذلك غير جائز لزم ان لا يحمل العطف على احد من الفعلين اللذين هما كفروا ويعلمون بل يعطف على فعل مذكور بعد ذكر الملكين كما ذهب اليه ابو اسحق الزجاج فانه عطف على ما يوجبه معنى الكلام عند قوله فلا تكفر اي فيأبون فيتعلمون او على يعلمان من احد لانهما فعلان مذكوران بعد الملكين فالجواب اما النظم فانه على ما ذكرته فهو غير صحيح واما الاضمار قبل الذكر فان منهما في قوله فيتعلمون منهما اذا كان ضميرا عائدا الى الملكين فان اضمارهما بعد تقدير ذكرهما وذلك سائغ جائز ونظيره قوله واذا ابتلى ابرهيم ربه لما تقدم ذكره اضمر اسمه ولو قال ابتلى ربه ابرهيم لم يجز لكونه اضمارا قبل الذكر وهذا بين جدا فالاعتراض على سيبويه والفراء ساقط واما الجملة الاخرى التي منها ذلك فهي انه قد قيل في قوله وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر ثلاثة اقوال ياتي شرحها في المعنى قوله ولكن الشياطين هاروت وماروت منهما تعلم السحر فيهما من الملكين وقوله منهما تعلمه من الشياطين فيكون نظم الكلام على هذا ولكن الشياطين هاروت وماروت كفروا يعلمون الناس السحر فيتعلمون منهما وما انزل على الملكين ببابل اي لم ينزل وما يعلمان من احد اي ما يعلم هاروت وماروت الذين هما الشياطين في المعنى فاما حمل الكلام على التثنية والشياطين جمع فسائغ يجوز ان يحمل على المعنى فيجمع وعلى اللفظ هاروت وماروت فيثنى ونظيره قوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا ثم قال فاصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى ويجوز ان يكون يتعلمون معطوفا على يعلمان من قوله وما يعلمان من احد فيكون الضمير الذي في يتعلمون لاحد الا انه جمعه لما حمل على المعنى كقوله فما منكم من احد عنه حاجزين فاما جواز عطفه على ما ذكره الزجاج من قوله وهل ان يتعلمون عطف على ما يوجبه معنى الكلام لان المعنى انما نحن فتنة فلا تكفر فيأبون فيتعلمون وهذا قول حسن فهو قول الفراء قال ابو علي وهو عندي جائز لانه من المضمر الذي فهم للدلالة عليه واما كونه خبر المبتدأ المحذوف فعلى ان تقديره فهم يتعلمون منهما وذلك غير ممتنع وقد قيل في قوله منهما ان الضمير عائد الى السحر والكفر قال ابو مسلم قال لانه تقدم الدليل عليهما في قوله كفروا وهذا كقوله سيذكر من يخشى ويتجنبها اي يتجنب الذكرى وقوله ولقد علموا لمن اشتراه قال الزجاج دخول اللام على لقد على جهة القسم والتوكيد وقال النحويون في قوله لمن اشتراه قولين جعل بعضهم من بمعنى الشرط وجعل الجواب ما له في الآخرة من خلاق وهذا ليس بموضع شرط وجزاء ولكن المعنى ولقد علموا الذي اشتراه ما له في الآخرة من خلاق كما يقول والله لقد علمت للذي جاءك ما له من عقل انتهى كلام الزجاج فموضع من رفع بالابتداء وموضع ما له في الآخرة من خلاق رفع على انه خبر الابتداء فهذا قول سيبويه فاللام في قوله لمن اشتراه لام الابتداء دون القسم لان هذه اللام قد تكون تاكيدا لغير القسم واللام مع الجملة التي بعدها في موضع نصب بعلموا كما ان الاستفهام كذلك في نحو علمت ازيد في الدار ام عمرو وهذا هو المسمى تعليقا قال ابو علي فقول من قال ان من جزاء بعيد لانه اذا كان جزاء كان اللام في لمن اشتراه سبب دخول القسم كالتي في قوله ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا ولئن شئنا لنذهبن فيقتضي ذلك قسما والقسم الذي يقتضيه قوله لمن اشتراه اذا حملت من على انه جزاء لا يخلو من ان يكون علموا لان العلم والظن قد يقامان مقام القسم كما في قوله ولقد علمت لتاتين وقوله وظنوا ما لهم من محيص ويكون علموا لان العلم والظن قد يقامان مقام القسم مضمرا من قوله علموا وقوله لمن اشتراه ويبعد ان يكون علموا قسما وقوله لمن اشتراه جوابه لانه في هذا الموضع محلوف عليه بقسم والمقسم عليه لا يكون قسما وهو المضمر الجالب للام في لقد فهذا هو القسم الاول والثاني هو الذي يدخل عليه هذا القسم الاول المضمر هو قوله قد علموا اذا احسن بالام فمن جعله ابتداء وبالنفي من جعل من جزاء ودخول القسم على القسم عند سيبويه لا يسوغ فمن اجل هذا يبعد عنده ان يكون علموا ههنا بمنزلة القسم وان يجاب بجوابه قال سيبويه والخليل لا نرى ان تقول وحقك وحق زيد لافعلن والواو الثاني واو القسم لا يجوز الا مستكرها اي لا يجوز هذا في محلوف عليه

الا ان يضم الآخر الى الاول ويحلف بهما على المحلوف عليه ولهذا جعل هو والخليل الحرف في قوله والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى وما خلق الذكر والانثى للعطف دون القسم فلهذا احمل اللام في لمن اشتراه على انها لام الابتداء دون قسم وليست كاللام الاخرى فانها تقتضي قسما لا محالة في نحو قولهم لعمرك لافعلن فلا يلزم على ما تأول دخول قسم على قسم ويجب ايضا ان يكون القسم مضمرا من قوله علموا ولمن اشتراه لان علموا يقتضي مفعولين واذا وقع قسم بينه وبين مفعوليه لم يجب كان لغوا كانه في نحو قولك زيد والله منطلق وان تأتني والله اتك لغو لا جواب له ولانه لو اجيب للزم اعتماد علمت عليه وذلك يمتنع لانك لو جعلته في موضع مفعول لاخرجته عما وضع له لانه اذا وضع ليؤكد به غيره فلو جعلته في موضع المفعول لاخرجته عن ان يكون تاكيدا لغيره وجعلته قائما بنفسه ولو جاز ان يكون في موضع مفعول علمت لجاز ان يوصل به ويوصف به النكرة وهذا ممتنع معلوم اذا ان القسم بعد علمت لا يلزم ان يكون له جواب فاضمار القسم بعد علموا غير جائز لانه ليس يجوز الا ان يكون له جواب يدل عليه اذا حذف كما يدل ليفعلن ونحوه من الجواب على القسم المحذوف فاذا لم يجز ان يكون له جواب لم يجز حذفه وارادته فقد وجب ايضا ان يكون القسم مضمرا بعد علمت فلما كان مقسما عليه في هذا الموضع واذا جعلت من بغير معنى الذي لزمك ان يكون علمت قسما ليكون قوله ما له في الآخرة من خلاق جوابه وكان دخول القسم على القسم غير سائغ عند سيبويه حمل اللام في لمن على انه لام الابتداء ومن بمعنى الذي لئلا يلزم ما لا يستحسنه ولا يستجيزه من دخول قسم على قسم فمذهب سيبويه في هذا هو البين المعنى ثم عطف سبحانه على ما تقدم من انه نبذ فريق من اليهود كتاب الله فانبذوه وراء ظهورهم فقال واتبعوا ما تتلو الشياطين واختلف في المعنى بقوله واتبعوا على ثلاثة اقوال احدها انهم اليهود الذين كانوا على عهد النبي صلى الله عليه وآله عن الربيع وابن اسحق والسدي وثانيها انهم اليهود الذين كانوا على عهد النبي في زمن سليمن عن ابن عباس وابن جريج وثالثها ان المراد به الجميع لان متبعي السحر لم يزالوا منذ عهد سليمن الى ان بعث محمد صلى الله عليه وآله وروي عن الربيع ان اليهود سألوا محمدا صلى الله عليه وآله زمانا عن امور من التوراة لا يسألونه عن شيء من ذلك الا انزل الله عليه ما سألوا عنه فخصمهم فلما راوا ذلك قالوا هذا اعلم بما انزل علينا منا وانهم سألوه عن السحر وخاصموه به فانزل الله عليه ما سألوا عنه واتبعوا ما تتلو الشياطين الآية اي اقتدوا بما كانت تتلو الشياطين اي يتبع ويعمل به عن ابن عباس وقيل معناه تقرأه عن عطاء وقتادة وقيل معناه تكذب عن ابي مسلم يقال تلا عليه اذا كذب قال سبحانه ويقولون على الله الكذب ويقولون على الله ما لا تعلمون فاذا اصدق قيل تلا عنه واذا ابهم جاز الامران واختلف في قوله الشياطين فقيل هم شياطين الجن لانه المستفاد من اطلاق هذه اللفظة وقيل هم شياطين الانس المتمردون في الضلالة كما قال جرير ايام يدعونني الشيطان من غزل ولم يهوونني اذ كنت شيطانا وقيل هم شياطين الجن والانس وقوله على ملك سليمن قيل معناه في ملك سليمن كقول ابي النجم على الافق كعين الاحول اي في الافق ع ان هذا يحتمل معنيين احدهما في عهد ملك سليمن والثاني في نفس ملك سليمن كما يقال فلان [illegible] في ملك فلان وفي نفس فلان وفي معناه على عهد ملك سليمن وقال ابو مسلم معناه ما كانت تكذب الشياطين على ملك سليمن وعلى ما انزل على الملكين وقوله وما كفر سليمن ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر بين ان ما كانت تتلوه الشياطين وتأتوه وترويه كان كفرا اذ برأ سليمن عليه السلام منه ولم يبين سبحانه بقوله ما تتلو الشياطين على ملك سليمن انما اي شيء كانت تتلوه ثم لم يبين بقوله سبحانه وما كفر سليمن ان ذلك الكفر اي نوع كان من انواع الكفر حتى قال ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر فبين سبحانه ان ذلك الكفر كان من نوع السحر فان اليهود اضافوا الى سليمن السحر وزعموا ان ملكه كان به فبرأه الله منه

وهو قول ابن عباس وابن جبير وقتاده واختلف في السبب الذي لاجله اضافت اليهود السحر الى سليمن عليه السلم
فقيل ان سليمن عليه السلم كان قد جمع كتب السحر ووضعها في خزاينه وقيل كتمها تحت كرسيه لئلا يطلع عليه الناس ولا
يعملون بها فلما مات سليمن استخرجت السحرة تلك الكتب وقالوا انما تم ملك سليمن بالسحر وبه سخر الجن والانس والطير
وزين السحر في اعين الناس بالنسبة الى سليمن عليه السلم وشاع ذلك في اليهود وقبلوه لعداوتهم لسليمن عليه السلم
عن السدي وروى العياشي باسناده عن ابي بصير عن ابي جعفر عليه السلم قال لما هلك سليمن عم وضع ابليس
السحر ثم كتبه في كتاب وطواه وكتب على ظهره هذا ما وضع اصف بن برخيا من ملك سليمن بن داود
من ذخاير كنوز العلم من اراد كذا وكذا فليقل كذا وكذا ثم دفنه تحت السرير ثم استثاره لهم فقال الكافرون ما كان يغلبنا
سليمن الا بهذا وقال المومنون هو عبد الله ونبيه فقال الله في كتابه واتبعوا ما تتلوا الشياطين الآية وفي قوله ولكن
الشياطين كفروا ثلاثة اقوال احدها انهم كفروا بما استخرجوه من السحر وثانيها انهم كفروا بما نسبوه الى سليمن من السحر
وثالثها انهم سحروا فعبر عن السحر بالكفر وفي قوله يعلمون الناس السحر قولان احدهما انهم القوا السحر اليهم فتعلموه
والثاني انهم دلوهم على استخراجه من تحت الكرسي فتعلموه وقوله وما انزل على الملكين ببابل هاروت وماروت فيه
وجوه احدها ان المراد ان الشياطين يعلمون الناس السحر والذي انزل على الملكين وصف السحر وماهيته وكيفية الاحتيال
فيه لتعرفا ذلك وتعرفاه الناس فيجتنبوه غير ان الشياطين لما عرفوه واستعملوه وان كان المومنون اذا عرفوه
اجتنبوه وانتفعوا بالاطلاع على كيفيته وثانيها ان يكون المراد على ما ذكرناه قبل من ان معناه واتبعوا ما كذبت
به الشياطين على ملك سليمن وعلى ما انزل على الملكين اي معهما وعلى السنتهما كما قال سبحانه وما وعدتنا على
رسلك اي معهم وعلى السنتهم وثالثها ان يكون ما بمعنى النفي والمراد ما كفر سليمن ولا انزل الله السحر على الملكين
ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هروت وماروت ويكون قوله ببابل هروت وماروت من المؤخر
الذي معناه التقديم ويكون في هذا التاويل هروت وماروت رجلين من جملة الناس ويكون الملكان اللذان
نفي عنهما السحر جبرئيل وميكائيل عم لان سحرة اليهود فيما ذكر كانت تدعي ان الله سبحانه انزل السحر على لسان جبرئيل وميكائيل
على سليمن فاكذبهم الله في ذلك ويجوز ان يكون هروت وماروت كفروا ويسوغ ذلك كما ساغ في قوله وكنا
لحكمهم شاهدين يعني حكم داود وسليمن ويكون على هذا قوله وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة راجعا الى
هروت وماروت ومعنى قولهما انما نحن فتنة فلا تكفر يكون على طريق الاستهزاء والتماجن لا على سبيل النصيحة والتحذير
ويجوز على هذا التاويل ايضا الذي يتضمن النفي والجحد ان يكون هروت وماروت اسمين للملكين ونفي عنهما
انزال السحر ويكون قوله وما يعلمان راجعا الى قبيلتين من الجن والانس فيحسن التثنية لهذا وهذا
التاويل في حمل ما على النفي عن ابن عباس وغيره من المفسرين وحكي عنه ايضا انه كان يقرء على الملكين بكسر اللام
ويقول متى كان العلجان ملكين وانما كانا ملكين وعلى هذا لا ينكر ان يرجع قوله وما يعلمان من احد اليهما ويمكن
على هذه القراءة في الآية وجه اخر وان لم يحمل قوله وما انزل على الملكين على الجحد والنفي وهو ان يكون هولاء
الذين اخبر عنهم اتبعوا ما تتلوا الشياطين وتدعيه على ملك سليمن واتبعوا ما انزل على الملكين من السحر ولا يكون
الانزال مضافا الى الله تعالى وان اطلق لانه جل وعز لا ينزل السحر ويكون انزاله اليهما بمعنى الضلال ويكون معنى
انزل وان كان من الارض حمل اليهما لا من السماء انه اتي به من نجود البلاد واعاليها فان من هبط من النجد
الى الغور يقال نزل واختلف في بابل اي بلد هو من نجود البلاد فقيل هي بابل العراق لانه تبلبلت به الالسن عن ابن مسعود
وقيل هي بابل دماوند عن السدي وقيل هي من نصيبين الى راس العين وهاروت وماروت قيل هما رجلان على ما قدمنا
بيانه وقيل هما ملكان من الملائكة اهبطهما الله الى الارض على صورة الانس لئلا ينفر الناس عنهما اذا كانا على صورة

الملائكة واختلف في سبب هبوطهما فقيل ان الله اهبطهما ليامرا بالدين ويعظا وينهيا عن السحر ويفرقا بينه وبين المعجز لان
السحر كان كثيرا في ذلك الوقت ثم اختلف في ذلك فقال قوم كانا يعلمان الناس كيفية السحر وينهيان عن فعله ليكون النهي عنه
بعد العلم فان من لا يعرف الشيء لا يمكنه اجتنابه وقال اخرون لم يكن لهما تعليم السحر لما في ذلك من الاغراء بفعله وانما اهبطا
لمجرد النهي اذ كان السحر فاشيا وقيل ايضا في سبب هبوطهما ان الملائكة تعجبت من معاصي بني ادم مع كثرة نعم الله عليهم
فقالت طائفة منهم يا ربنا اما تغضب مما يعمل خلقك في ارضك ومما يفترون عليك من الكذب والزور ويركبونه
من المعاصي وقد نهيتهم عنها وهم في قبضتك وتحت قدرتك فاحب الله سبحانه ان يعرفهم ما من به عليهم من عجيب
خلقهم وما طبعهم عليه من الطاعة وعصمهم به من الذنوب فقال لهم اندبوا منكم ملكين حتى اهبطهما الى الارض واجعل
فيهما من طبايع المطعم والمشرب والشهوة والحرص والامل مثل ما جعلت في ولد بني آدم ثم اختبرهما في الطاعة قال
فندبوا لذلك هاروت وماروت وكانا من اشد الملائكة قولا في العيب لولد ادم واستجرار عيب الله عليهم قال فاوحى الله
اليهما ان اهبطا الى الارض فقد جعلت فيكما من طبايع المطعم والمشرب والشهوة والحرص والامل مثل ما جعلت في
ولد آدم وانظرا ان لا تشركا بي شيئا ولا تقتلا النفس التي حرمت ولا تزنيا ولا تشربا الخمر ثم اهبطهما الى الارض
على صورة البشر ولباسهم فرفع لهما بناء مشرف فاقبلا نحوه فاذا امراة جميلة حسناء مقبلة نحوهما فوقعت
في قلوبهما موقعا شديدا ثم انهما ذكرا ما نهيا عنه من الزنا فمضيا ثم حركتهما الشهوة فرجعا اليها فراوداها عن نفسها
فقالت ان لي دينا ادين به ولست اقدر في ديني على ان اجيبكما الى ما تريدان الا ان تدخلا في ديني فقالا وما
دينك فقالت لي اله من عبده وسجد له كان لي السبيل الى ان اجيبه الى ما سالني فقالا وما الهك قالت هذا
الصنم فاستراب بينهما فغلبتهما الشهوة التي جعلت فيهما فقالا لها نجيبك الى ما سالت قالت فدونكما شرب
الخمر فانه قربان لكما عنده وبه تصلان الى ما تريدان فقالا هذه ثلاث خصال قد نهانا ربنا عنها الشرك والزنا
وشرب الخمر فاستراب بينهما ثم قالا لها ما اعظم البلية بك قد اجبناك فشربا الخمر وسجدا للصنم ثم راوداها عن نفسها
فلما تهيات لهما دخل عليهما سائل يسال فلما ان راياه ذعرا منه فقال لهما انكما لمريبان قد خلوتما بهذه المراة الحسناء
انكما لرجلا سوء وخرج عنهما فقالت لهما بادرا الى هذا الرجل فاقتلاه قبل ان يفضحكما ويفضحني ثم دونكما فاقضيا حاجتكما
وانتما مطمئنان امنان قال فقاما الى الرجل فادركاه فقتلاه ثم رجعا اليها فلم يرياها وبدت لهما سوآتهما ونزع عنهما
رياشهما وسقط في ايديهما فاوحى الله تعالى اليهما انما اهبطتكما الى الارض ساعة من نهار فعصيتماني باربع معاص
قد نهيتكما عنها وتقدمت اليكما فيهما فلم تراقباني ولم تستحياني وقد كنتما اشد من نقم على اهل الارض من المعاصي
فاختارا عذاب الدنيا او عذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا فكانا يعلمان السحر بارض بابل ثم لما علما الناس
رفعا من الارض الى الهواء فهما معذبان منكسان معلقان في الهواء الى يوم القيمة هذا الخبر رواه العياشي رفعه الى
ابي جعفر الباقر عليه السلم ومن قال بعصمة الملائكة عم لم يجز هذا الوجه قوله وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة
فلا تكفر يعني الملكين ما يعلمان احدا والعرب تستعمل لفظ اعلم بمعنى اعلم اي انهما لا يعرفان صفات السحر وكيفيته حتى يقولا
الا بعد ان يقولا انما نحن فتنة اي محنة لان الفتنة بمعنى الامتحان والاختبار والابتلاء وانما كانا محنة من حيث القيا
الى المكلفين امرا ليمتحنوا به وليمتنعوا من مواقعته وهم اذا عرفوه امكن ان يستعملوه ويرتكبوه فقالا لمن يطلعانه
على هذا التاويل تعلم السحر كفر ومعصية كما ان من عرف الزنا لم ياثم بانه عرفه وانما ياثم بالعمل وقيل ان المراد به
لا يعلمان السحر والتفريق ولا يعلمان احدا السحر فيقولا انما نحن فتنة فعلى هذا يكون تعليم السحر من الشياطين والنهي
عنه من الملكين وقوله فلا تكفر يعني به احد ثلاثة اشياء احدها فلا تكفر بالعمل بالسحر والثاني فلا تكفر بتعليم
السحر ويكون مما امتحن الله عز وجل بالملكين الناس في ذلك الوقت وجعل المحنة في الكفر والايمان ان يقبل القابل

تعلم السحر فيكون معلمه كافرا ويكون المتعلم مؤمنا لان السحر كان قد كثر وهذا ممكن ان يمتحن الله به كما امتحن بالنهر في قوله فمن
شرب منه فليس مني والثالث فلا تكفر بكليهما وقوله فيتعلمون منهما اي من هاروت وماروت وقيل من السحر والكفر
وقيل اراد بدلا مما علماهم فيكون المعنى انهم يعدلون عما علمهم الملكان من النهي عن السحر الى تعلمه واستعماله كما يقال ليت لنا
من كذا وكذا اي بدلا منه كقول الشاعر جمعت من الخيرات وطبا وعلبة وصرا لاخلاف المزممة البزل ومن
كل اخلاق الكرام نميمة وسعيا على الجار المجاور بالمحل وقوله ما يفرقون به بين المرء وزوجه فيه وجوه احدها
يوجدون احدهما على صاحبه ويبغضونه اليه فيؤدي ذلك الى الفرقة عن قتادة والثاني انهم يغوون احد الزوجين
ويحملونه على الكفر والشرك بالله سبحانه فيكون قد فارق الملة والثالث انهم يسعون بين الزوجين بالنميمة والوشاية
حتى يؤول امرهما الى الفرقة والمباينة وقوله وما هم بضارين به من احد الا باذن الله اي لا يلحقون بغيرهم ضررا الا بعلم الله
فيكون على وجه التهديد وقيل معناه لا يخليه الله عن الحسن قال من شاء الله منعه فلا يضر احدا السحر ومن شاء
خلى بينه وبينه فضره وقوله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم معناه يضرهم في الآخرة ولا ينفعهم وان كان ينفعهم في
الدنيا لانهم لما قصدوا بتعلمه ان يعملوه ويرتكبوه لا ان يجتنبوه صار ذلك لسوء اختيارهم ضررا عليهم وقوله ولقد
علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق يعني اليهود الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم علموا لمن استبدل
السحر بدين الله والهاء في اشتراه كناية عن السحر عن قتادة وجماعة فما له في الآخرة من خلاق من نصيب وقوله
ولبئس ما شروا به انفسهم لو كانوا يعلمون يعني بئس ما باعوا به حظ انفسهم حيث اختاروا التكسب بالسحر وقوله لو كانوا
يعلمون بعد قوله ولقد علموا ذكر فيها وجوه احدها ان يكون الذين علموا غير الذين لم يعلموا ويكون الذين علموا
الشياطين او الذين خبرهم بانهم نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم والذين لم يعلموا هم الذين تعلموا السحر والثاني ان
يكون الذين علموا هم الذين لم يعلموا الا انهم لم يعملوا شيئا لم يعلموا غيره فكانه تعالى وصفهم بانهم عالمون بانه لا نصيب
لمن اشترى ذلك ووصفهم لنفسه على الجملة ولم يعلموا كنه ما يصيرون اليه من العقاب الدائم والثالث ان يكون الغاية في
نفي العلم بعد اثباته انهم لم يعملوا بما علموا فكانهم لم يعلموا كما قال كعب بن زهير يصف ذئبا وغرابا يتبعانه لينالا من زاده
اذا حضراني قلت لو تعلمانه ألم تعلما اني من الزاد مرمل فنفى عنهما العلم ثم اثبته والمعنى في نفيه العلم عنهما انهما لم يعملا بما
علماه فكانهما لم يعلماه وفي هذه الآية دلالة على ان الافعال تختلف باختلاف المقاصد ولذلك كان تعلم السحر
لازالة الشبهة والتحرز منه واجتنابه ايمانا وللتصديق به واستعماله كفرا واختلف في ماهية السحر على اقوال فقيل انه
ضرب من الحيل وضعوه من لطيف الصنائع وقد امر الله تعالى بالتعوذ منه وجعل التحرز بكتابه وقاية وانزل فيه
سورة الفلق وهو قول الشيخ المفيد ابي عبد الله من اصحابنا وقيل انه خدع ومخاريق وتمويهات لا حقيقة
لها يخيل الى المسحور ان لها حقيقة وقيل انه يمكن الساحر ان يقلب الانسان حمارا او يقلبه من صورة الى صورة
وينشئ الحيوان على وجه الاختراع وهذا لا يجوز ومن صدق به فهو لا يعرف النبوة ولا يأمن ان يكون معجزات
الانبياء من هذا النوع ولو ان الساحر والمعزم قدرا على نفع او ضر وعلما الغيب لقدرا على ازالة الممالك
واستخراج الكنوز من معادنها والغلبة على البلاد ان تقتل الملوك من غير ان ينالهم مكروه وضرر فلما رأيناهم
اسوأ الناس حالا واكثرهم مكيدة واحتيالا علمنا انهم لا يقدرون على شيء من ذلك فاما ما روي في الاخبار ان النبي
صلى الله عليه واله سحر فكان يرى انه فعل ما لم يفعله او انه لم يفعل ما فعله فاخبار مفتعلة لا يلتفت اليها وقد قال الله
سبحانه حكاية عن الكفار ان تتبعون الا رجلا مسحورا فلو كان السحر عمل فيه لكان الكفار صادقين في مقالهم
حاشى النبي صلى الله عليه واله من كل صفة نقص تنفر عن قبول قوله فانه حجة الله على خلقه وصفوته على
بريته قوله عز وجل ولو انهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون آية اللغة

المثوبة والثواب والاجر نظائر ونقيض المثوبة العقوبة يقال ثاب يثوب ثوبا واثابه يثيبه اثابة وثوابا ومثوبة
والاصل في الثواب ما رجع اليك من شيء يقال اعترت الرجل غشية ثم ثاب اليه نفسه ولذلك سمي الثواب لانه العائد
على صاحبه مكافاة ما فعل ومنه التثويب في الاذان وهو ترجيع الصوت يقال ثوب الداعي اذا كرر دعاءه
الى الحرب او الى غيرها ويقال انهزم القوم ثم ثابوا اي رجعوا والثوب مشتق من هذا ايضا لانه ثاب لابسه بعد ان
كان قطنا او غزلا والمثابة الموضع يثوب اليه الناس وفي الشواذ قرأ قتادة مثوبة بسكون الثاء وفتح الواو
وهي لغة كما قالوا مسورة ومشورة واجمع العرب على قولهم هذا خير منه وهذا شر منه الا بعض بني عامر فانهم يقولون
هذا اخير من هذا واشر من ذا الاعراب اللام في لمثوبة لام الابتداء وهي في موضع جواب لو لانها تنبئ عن قولك لاثيبوا
والضمير في انهم عائد الى الذين يتعلمون السحر المعنى قال سبحانه ولو انهم يعني الذين يتعلمون السحر ويعلمونه وقيل هم
اليهود آمنوا اي صدقوا بمحمد والقرآن واتقوا السحر والكفر وقيل جميع المعاصي لمثوبة من عند الله خير اي
لاثيبوا وثواب الله خير لو كانوا يعلمون اي لو كانوا يستعملون ما يعلمونه ليس انهم كانوا يجهلون ذلك كما يقول
الانسان لصاحبه وهو ينظر ما ادعوك اليه خير لك لو كنت تعقل او تنظر في العواقب وفي قوله لو كانوا يعلمون
وهو خير علموا او لم يعلموا وجهان احدهما ان معناه لو يعلمون لظهر لهم بالعلم ذلك اي لعلموا ان ثواب الله خير من السحر كانوا
والآخر ان المعنى فيه الدلالة على جهلهم وترغيبهم في ان يعلموا ذلك وان يطلبوا ما هو خير لهم من السحر وهو ثواب
الله الذي ينال بطاعته واتباع مرضاته وفي هذه الآية دلالة على بطلان قول اصحاب المعارف لانه نفى ذلك
عنهم قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب اليم آية اللغة
المراعاة التفقد للشيء في نفسه واحواله والمراعاة والمحافظة والمراقبة نظائر ونقيض المراعاة الاغفال ورعى الله
فلانا اي حفظه ورعيت له حقه وعهده فيمن خلفه وارعيته سمعي اذا اصغيت اليه وراعيته بعيني اذا لاحظته
وجمع الراعي رعاء ورعاة ورعيان وكل من ولي قوما فهو راعيهم وهم رعيته والمرعي من الناس المسوس
والراعي السائس واسترعاه الله خلقه اي ولاه امرهم ليرعاهم والارعاء الابقاء على اخيك والاسم الرعوى والرعيا وارعني
سمعك اي اسمع ورجل ترعية للذي صنعته وصنعه ابانة الرعاية قال الشاعر يسوسها ترعية جاف فضل واصل الباب
الحفظ ونظرت الرجل انظره نظرة بمعنى انتظرته وارتقبته المعنى لما قدم سبحانه نهي اليهود عن السحر عقبه النهي عن اطلاق
هذه اللفظة فقال سبحانه يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا كان المسلمون يقولون راعنا اي استمع منا فحرفت اليهود
يا رسول الله
هذه اللفظة فقالوا يا محمد راعنا وهم يلحدون الى الرعونة يريدون به النقيصة والوقيعة فلما عوتبوا قالوا نقول
كما يقول المسلمون فنهى الله عن ذلك بقوله لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا وقال قتادة انها كلمة كانت تقولها اليهود
على وجه الاستهزاء وقال عطاء هي كلمة كانت الانصار تقولها في الجاهلية فنهوا عنها في الاسلام وقال السدي كان ذلك
كلام يهودي بعينه يقال له رفاعة بن زيد يريد بذلك الرعونة فنهي المسلمون عن ذلك وقال الباقر عليه السلم هذه الكلمة
سب بالعبرانية اليه كانوا يذهبون وقيل كان معناه عندهم اسمع لا سمعت وروي عن الحسن انه كان يقرأ راعنا
بالتنوين وهو شاذ لا يؤخذ به ومعنى انظرنا يحتمل وجوها احدها انتظرنا نفهم ونتبين ما تعلمناه والآخر فقهنا
وبين لنا يا محمد والثالث اقبل علينا ويجوز ان يكون معناه انظر الينا فحذف حرف الجر قوله واسمعوا يحتمل امرين
احدهما ان معناه اقبلوا ما يأمركم به من قولهم سمع الله لمن حمده وسمع الله دعاءك اي قبله والثاني ان معناه استمعوا
ما يأمركم به الرسول عن الحسن وللكافرين بمحمد والقرآن عذاب اليم اي موجع قال الحسن والضحاك كلما في القرآن يا ايها
الذين آمنوا فانه نزل بالمدينة قوله عز وجل ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم
من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم آية

المودة المحبة والاختصاص بالشيء هو الانفراد به وضد الاختصاص الاشتراك ويقال اختص بالشيء يختص خصا اذا فضله
والخصاص الفرج والخصوص من قصب او شجر وانما سمي خصا لانه يرى ما فيه من خصاصه وكل خلل او خرق يكون في
السحاب والمنخل فهي الخصاصة واصل الباب الانفراد بالشيء ومنه يقال للفرج الخصايص لانفراد كل واحد من الآخر
من غير جمع بينهما ويقال اختصصته بالفايدة واختصصت انا بها كما يقال افردته بها وانفردت انا بها الاعراب الذين كفروا
في موضع رفع لانه فاعل يود والمشركين في موضع جر بالعطف على اهل الكتاب وتقديره ولا من المشركين وقوله
ان ينزل في موضع نصب لانه مفعول يود ومن في قوله من ربكم لابتداء الغاية والتي في قوله من اهل الكتاب للتبعيض للتبيين
والتبيين مثل التي في قوله واجتنبوا الرجس من الاوثان المعنى واخبر ايضا عن اليهود فقال ما يود الذين كفروا من
اهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم معناه ما يحب الكافرون من اهل الكتاب ولا من المشركين
بالله من عبدة الاوثان ان ينزل عليكم شيئا من الخير الذي عنده والخير الذي تمنوا ان لا ينزل عليهم ما اوحى الله اليه
وانزل عليه من القرآن والشرائع بغيا منهم وحسدا والله يختص برحمته من يشاء وروي عن امير المؤمنين وعن
ابي جعفر الباقر عليه السلام المراد برحمته هنا النبوة وبه قال ابو الحسن وابو علي والرماني وغيرهم من المفسرين قالوا يختص
بالنبوة من يشاء من عباده والله ذو الفضل العظيم هذا خبر منه سبحانه ان كل خير نال عباده في دينهم او دنياهم فانه
من عنده ابتداء منه اليهم وتفضلا عليهم من غير استحقاق منهم لذلك عليه فهو عظيم الفضل ذو المن والطول قوله
عز وجل ما ننسخ من آية او ننسها نأت بخير منها او مثلها الم تعلم ان الله على كل شيء قدير آية القراءة قرأ ابن عامر ننسخ
بضم النون وكسر السين والباقون بفتحهما وقرأ ابن كثير وابو عمرو او ننسأها بفتح النون والسين واثبات الهمزة والباقون
بضم النون وكسر السين بلا همز الحجة اما قراءة ابن عامر ننسخ فلا يخلو اما ان يكون افعل لغة في فعلت نحو بدأه
وابدأ وحل من احرامه واحل او يكون الهمزة للنقل نحو ضربت واضربته ونسخ الكتاب وانتسخ الكتاب او يكون
المعنى في ننسخ الآية نجدها منسوخة كقولهم احمدت زيدا وابخلته والوجه الصحيح الاول وهو ان يكون ننسخ وانسخ لغتان
متفقتان في المعنى وان اختلفا في اللفظ وقول من فتح النون ابين واوضح واما ننسأها فهو من النسء وهو التأخير
يقال نسأت الابل عن الحوض انسأها اي اخرتها عنه وانتسأت انا اي تأخرت ومنه قولهم انسأ الله اجلك ونسأ في
اجلك واما القراءة الاخرى فمن النسيان الذي هو بمعنى السهو وبمعنى الترك اللغة النسخ في اللغة ابطال الشيء
واقامة آخر مقامه يقال نسخت الشمس الظل اي اذهبته وحلت محله وقال ابن دريد كل شيء خلف
شيئا فقد انتسخه وانتسخ الشيب الشباب وتناسخ الورثة ان يموت ورثة بعد ورثة واصل الميراث قائم لم يقسم
ولذلك تناسخ الازمنة والقرون بعد القرون الماضية واصل الباب الابدال من الشيء غيره وقال علي بن عيسى النسخ الرفع
لشيء قد كان يلزم العمل به الى بدل وذلك كنسخ الشمس بالظل لانه يصير بدلا منها في مكانها وهذا الحد يصح لانه
ينتقض بمن يلزمه الصلاة قائما فيعجز عن القيام فانه يسقط عنه القيام لعجزه ولم يسم العجز ناسخا ولا القيام منسوخا وينقض
ايضا بنسخ الشيء بحكم العقل وورود الشرع خطاء فانه لا يقال ان الشرع نسخ حكم العقل ولا ان حكم العقل منسوخ
واولى ما يحد به النسخ ان يقال هو كل دليل شرعي دل على ان مثل الحكم الثابت بالنص الاول غير ثابت في المستقبل على
وجه لولاه لكان ثابتا بالنص الاول مع تراخيه عنه والنسخ في القرآن على ضروب منها ان يرفع حكم الآية وتلاوتها
كما روي عن ابي بكر انه قال كنا نقرأ لا ترغبوا عن آبائكم فانه كفر بكم ومنها ان تثبت الآية في الخط ويرفع حكمها كقوله
وان فاتكم شيء من ازواجكم الى الكفار فعاقبتم الآية فهذه ثابتة اللفظ في الخط مرتفعة الحكم ومنها ما يرتفع اللفظ
ويثبت الحكم كآية الرجم فقد قيل انها كانت منزلة فرفع لفظها وقد جاءت اخبار كثيرة بان اشياء كانت في القرآن
فنسخ تلاوتها فمنها ما روي عن ابي موسى انهم كانوا يقرأون لو ان لابن آدم واديين من مال لابتغى لهما ثالثا ولا يملأ جوف

ومن في قوله من خير زائدة مؤكدة كقولك ما جاءني من احد وموضع من خير رفع صح

ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب ثم رفع وعن انس ان السبعين من الانصار الذين قتلوا ببئر معونة قرأنا فيهم
كتابا بلغوا عنا قومنا انا لقينا ربنا فرضي عنا وارضانا ثم ان ذلك رفع وقال ابو عبيدة معنى ننسأها اي نمضها فلا
ننسخها قال طرفة امون كالواح الاران نسأتها على لاحب كأنه ظهر برجد اي امضيتها وقال غيره نسأت الابل في ظمئها
انسأها نسأ اذا زدتها في ظمئها يوما او يومين وظمؤها منعها الماء ونسأت الماشية ايضا انسأ اذا سمنت
وكل سمين ناس قال الزجاج رواه ثعلب ان انسأت اي اخرت عن عطائها وقال غيره وانما قيل ذلك لانها امرت جلودها
في المرعى حتى سمنت ويقال للعصا المنسأة لانها ينسأ بها اي يؤخر بها ما يساق عن مكانه او يدفع بها الانسان عن نفسه
الاذى ونسأت ناقتي اذا دفعتها في السير واصل الباب التأخير الاعراب قوله ما ننسخ ما اسم نائب مناب ان وهو في موضع نصب
بننسخ وانما لزمه التقديم وان كان مفعولا ومرتبة المفعول ان يكون بعد الفاعل لنيابته عن حرف الشرط الذي له صدر الكلام
وننسخ مجزوم بالشرط وننسها جزم لانه معطوف عليه ونأت مجزوم لانه جزاء ومن في قوله من آية للتبعيض وقيل مزيدة ولفظ الم هنا
لفظ الاستفهام ومعناه التقرير وتعلم مجزوم بلم لان حرف الاستفهام لا يغير العامل عن عمله المعنى ما ننسخ من آية قد ذكرنا
حقيقة النسخ عند المحققين وقيل معناه ما نرفع من آية او حكم آية وقيل معناه ما نبدل من آية عن ابن عباس ومن قرأ او ننسها
فمعناه على وجهين فانه لفظ نسي المنقول منه انسي على ضربين احدهما بمعنى النسيان الذي هو خلاف الذكر نحو قوله
واذكر ربك اذا نسيت والآخر بمعنى الترك نحو قوله نسوا الله فنسيهم اي تركوا طاعة الله فتركهم رحمته او ترك تخليصهم فالوجه
الاول في الآية روي عن قتادة وهو ان يكون محمولا على النسيان الذي هو مقابل الذكر ويجوز ذلك على الامة بان
يأمرهم بترك قراءتها فينسونها على طول الايام ولا يجوز ذلك على النبي صلى الله عليه وآله قالوا لانه لا يؤدي الى التنفير كذا ذكر
الشيخ ابو جعفر رحمه الله في تفسيره وقد جوز جماعة من المحققين ذلك على النبي صلى الله عليه وآله وقالوا انه لا يؤدي
الى التنفير لتعلقه بالمصلحة ويجوز ايضا ان ينسيهم الله تعالى ذلك على الحقيقة وان كانوا جمعا كثيرا او جما غفيرا بان يفعل
النسيان به في قلوب الجميع وان كان ذلك خارقا للعادة ويكون معجزا للنبي ص واستدل من حمل الآية على النسيان
الذي هو خلاف الذكر وجوز كون النبي مرادا به بقوله سبحانه سنقرئك فلا تنسى الا ما شاء الله اي ما شاء الله ان ينسيك
قال والى هذا ذهب ابو الحسن فقال ان ينسيكم اي القرآن ثم نسيه وانكر الزجاج هذا القول فقال ان الله تعالى
قد انبأ النبي في قوله ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك فانه لا يشاء ان يذهب بما اوحى الى النبي صلى الله عليه وآله
قال ابو علي الفارسي هذا الذي احتج به على من ذهب الى ان ينسيها من النسيان لا يدل على فساد ما ذهبوا اليه وذلك
ان قوله ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك انما هو على ما لا يجوز عليه النسخ والتبديل والذي ينساه النبي
هو ما يجوز ان ينسخ من الاوامر والنواهي الموقوفة على المصلحة في الاوقات التي يكون فيها ذلك اصلح ويدل على
ان ينسها من النسيان الذي هو خلاف الذكر قراءة من قرأ او ننسها وهو قراءة سعد بن ابي وقاص وقراءة من
قرأ او ننسكها وهو المروي عن سالم مولى ابي حذيفة وقراءة من قرأ او ننسها وهو المروي عن سعد بن مالك
فالمفعول المراد المحذوف في قراءة من قرأ او ننسها يظهر في قراءة من قرأ ننسكها ويبينه ما روي عن الضحاك
انه قرأ ننسها ويؤكده ما روي ايضا من قراءة ابن مسعود ما ننسك من آية او ننسخها وبه قرأ الاعمش
وروي عن مجاهد انه قال قراءة ابي ما ننسخ من آية او ننسك فهذا كله يثبت قراءة من جعل ننسها من النسيان ويؤكد
ذلك ما روي عن قتادة انه قال كانت الآية تنسخ بالآية وينسي الله نبيه من ذلك شيئا والوجه الثاني وهو ان المراد
بالنسيان الترك في الآية روي عن ابن عباس فعلى هذا يكون المراد ننسها نأمركم بتركها اي بترك العمل بها قال الزجاج
انما يقال في هذا انسيت اذا تركت ولا يقال نسيت تركت وانما معنى او ننسها او نتركها اي نأمركم بتركها قال ابو علي من قرأ
تركت لا يكون مخطئا لانك اذا انسيت فقد نسيت ومن هذا قال علي بن عيسى انما فسره المفسرون على ما يؤول اليه المعنى

لانه اذا امر بتركها فقد تركها فان قيل اذا كان نسخ الاية رفعها وتركها ان لا ينزل فما معنى ذلك ولم جمع بينهما قيل ليس
معنى تركها ان لا ينزل وقد غلط الزجاج في توهمه ذلك انما معناه اقرارها فلا ترفع كما قال ابن عباس نتركها فلا نبدلها
واضاف الترك الى نفسه سبحانه في نحو هذا اتساع كقوله تعالى وتركهم في ظلمات لا يبصرون وتركنا بعضهم يومئذ
يموج في بعض اي خليناهم وذاك واما من قرأ او ننسأها على معنى التأخير فقد قيل فيه وجوه احدها ان معناه ان
نؤخرها فلا ننزلها وننزل بدلا منها ما يقوم مقامها في المصلحة او يكون اصلح للعباد منها وثانيها ان معناه نؤخرها الى وقت
ثان ونأتي بدلا منها في الوقت المتقدم بما يقوم مقامها وثالثها ان يكون معنى التأخير ان يترك القرآن فيعمل به
ويتلى ثم يؤخر بعد ذلك بان ينسخ فترفع تلاوته البتة ويمحى فلا ينسأ ولا يعمل بتأويله مثل ما روي عن زر بن حبيش
ان ابيا قال له كم تقرؤون الاحزاب قال بضعا وسبعين آية قال قد قرأتها ونحن مع رسول الله اطول من سورة البقرة
اورده ابو علي في كتاب الحجة ورابعها ان يؤخر العمل بالتأويل لانه نسخ ويترك خطه مثبتا وتلاوته قرآن يتلى وهو
وهو ما حكي عن مجاهد تثبت خطها ويبدل حكمها والوجهان الاولان عليهما الاعتماد لان الوجهين الاخيرين يرجع
معناهما الى معنى النسخ فلا يحسن ان يكون في التقدير بمحصوله ما ننسخ من آية او ننسخها وهذا لا يصح على ان الوجه
الاول فيه ايضا ضعف لانه لا فائدة في تأخير ما لم يعرفه العباد ولا علموه ولا سمعوه فالاقوى هذا الوجه الثاني وقوله
نأت بخير منها او مثلها فيه قولان احدهما نأت بخير منها لكم في التسهيل والتيسير كالامر بالقتال الذي يسهل على
المسلمين بقوله الآن خفف الله عنكم او مثلها في السهولة كالعبادة بالتوجه الى الكعبة بعد ان كانت الى بيت المقدس
عن ابن عباس والثاني نأت بخير منها في الوقت الثاني اي هي لكم في الوقت الثاني خير لكم من الاولى في الوقت الاول
في باب المصلحة او مثلها في ذلك عن الحسن وقوله الم تعلم ان الله على كل شيء قدير قيل هو خطاب للنبي صلى الله عليه وآله
وقيل هو خطاب لجميع المكلفين والمراد الم تعلم ان الله على كل شيء قدير ايها السامع وايها الانسان ان الله تعالى قادر
على آيات وسور مثل القرآن ينسخ بها ما امر فيقوم في النفع مقام المنسوخ وعلى القول الاول الم تعلم يا محمد انه سبحانه قادر
على نصرك والانتصار لك من اعدائك وقيل هو عام في كل شيء واستدل من زعم انه لا يجوز نسخ القرآن بالسنة المعلومة
بهذه الآية قال اضافة الاتيان بخير منها الى نفسه والسنة ولا تضاف اليه حقيقة قال بعد ذلك الم تعلم ان الله على كل شيء
قدير فلا بد ان يكون اراد ما يختص سبحانه بالقدرة عليه من القرآن المعجز والصحيح ان القرآن يجوز ان ينسخ بالسنة المقطوع
عليها ومعنى خير منها اي اصلح لنا منها في ديننا وانفع لنا بان يستحق به مزيد الثواب فاما اضافة ذلك الى الله فصحيح فان
السنة انما هي بوحيه تعالى وامره فاضافتها اليه كاضافة كلامه وظاهر الآية انما يدل على انه قادر على ان ينسخ الآية بما هو
اصلح وانفع سواء كان بقرآن او سنة وفي هذه الآية دلالة على ان القرآن محدث وانه غير الله تعالى لان القديم
لا يصح نسخه ولانه اثبت له مثلا وانه سبحانه قادر عليه وما كان داخلا تحت القدرة فهو فعل والفعل لا يكون الا محدثا

النظم لما قال سبحانه في الآية الاولى ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم دل
بهذه الآية على انه سبحانه لا يخليهم من انزال الخير لهم بخلاف ما شاء اعداؤهم فيهم وانه ابدا ينزل عليهم ما هو اصلح لهم
عن علي بن عيسى وقيل انه سبحانه لما عاب اليهود باشياء وذكر عليهم ما اوجب الطعن في امر نبيهم وكان مما
طعنوا به فيه ان يقول بنسخ كل شريعة تقدمت شريعته فبين الله سبحانه جواز ذلك ردا عليهم عن ابي مسلم قوله عز وجل

الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض يحيي ويميت وما لكم من دون الله من
ولي ولا نصير آية اللغة الولي هو القيم بالامر ومنه ولي عهد المسلمين ودون اخذ سوى الله ولي امر من
الي الصلت يا نفس ما لك من دون الله من واق وما على حدثان الدهر من باق والنصير الناصر وهو المؤيد والمقوي
الاعراب والمعنى الم تعلم استفهام تقرير وتنبيه ويؤول في المعنى الى الايجاب فكانه يقول قد علمت حقيقة كما قال جرير

الستم خير من ركب المطايا فلهذا خاطب به النبي صلى الله عليه وآله وقيل ان الايرادان كان خطابا للنبي صلى الله عليه وآله فالمراد به
امته كقوله يا ايها النبي اذا طلقتم النساء ومثله قول الكميت في مدح النبي صلى الله عليه وآله يرتجي بتفضيلك اللسان ولو
اكثر فيك الضجاج واللجب وقيل افرطت بل قصدت ولو عنفني القائلون او يكثر والنت المصفى المهذب المحض في النسبة
ان نص قومك النسب فاخرج الكلام مخرج الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله واراد به اهل بيته لان احدا من المسلمين يصف مادح
النبي ولا يكثر الضجاج واللجب في المناقب العقول فيه مكانه قال الم تعلم ايها الانسان ان الله له ملك السموات والارض
انه خلقهما وما فيهما وقوله وما لكم من قال ان الآية خطاب للنبي صلى الله عليه وآله قال اتى بضمير الجمع والخطاب بعضها الامرة وتعظيما
لقدره ومن قال هي خطاب له وللمؤمنين او لهم خاصة فالمعنى الم تعلموا ما لكم ايها الناس من دون الله اي سوى الله من ولي
يقوم بامركم ولا نصير ناصر ينصركم قوله عز وجل ام تريدون ان تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ومن
يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل آية اللغة السؤال هو ان يطلب احد ممن يعلم معنى الطلب وسواء يأتي
على ثلثة اوجه بمعنى قصد وعدل ومعنى وسط في قوله الى سواء الجحيم وبمعنى غير في قوله اتيت سواك اي غيرك ومعنى
ضل ههنا ذهب عن الاستقامة قال الاخطل كنت القذى في الموج اكدر مزبد قذف الاتي به فضل ضلالا اي ذهب
عينا وشمالا والسبيل والطريق والمذهب نظاير والجمع السبل الاعراب ام هنا منقطعة فان ام على ضربين متصلة ومنقطعة
فالمتصلة عديلة الالف وهي مفرقة لما جمعته اي كما ان او مفرقة لما جمعته احد تقول اضرب ايهم شئت زيدا ام عمرا
ام بكرا كما تقول اضرب احدهم زيدا او عمرا او بكرا والمنقطعة لا يكون الا بعد كلام لانها بمعنى بل وهي همزة الاستفهام
كقول العرب انها لابل ام شاء كانه قال بل اهي شاء فقوله ام تريدون تقديره بل اتريدون ومثله قول الاخطل كذبتك عينك ام رأيت
بواسط غلس الظلام من الرباب خيالا اي تسألوا موصول وصلة في محل النصب لانه مفعول تريدون كما الكاف حرف جر
ما موصول سئل موسى جملة فعلية هي صلة ما والموصول والصلة في محل الجر بالكاف والكاف يتعلق بسال والجار
والمجرور في محل النصب على المصدر ومن قبل في محل النصب لانه ظرف قوله سئل ومن اسم للشرط في محل الرفع بالابتداء
والفاء في قوله فقد ضل سواء السبيل في محل الجزم لانه جواب الشرط ومعنى حرف الشرط الذي تضمنه مع الجملتين في محل
الرفع لانه خبر المبتدأ النزول اختلف في سبب نزول الآية فروي عن ابن عباس انه قال ان رافع بن حريملة ووهب
بن زيد قالا لرسول الله صلى الله عليه وآله ائتنا بكتاب تنزله علينا من السماء نقرؤه وفجر لنا انهارا نتبعك ونصدقك
فانزل الله هذه الآية وقال الحسن عنى بذلك مشركي العرب وقد سألوا فقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض
الى قوله او تأتي بالله والملائكة قبيلا وقالوا لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا وقال السدي سألت العرب محمدا
صلى الله عليه وآله ان يأتيهم بالله فيروه جهرة وقال مجاهد سألت قريش محمدا ان يجعل لهم الصفا ذهبا فقال نعم ولكن
ليكون لكم كالمائدة لقوم عيسى فرجعوا وقال ابو علي الجبائي روي ان رسول الله صلى الله عليه وآله سأله قوم ان يجعل
لهم ذات انواط كما كان للمشركين ذات انواط وهي شجرة كان المشركون يعبدونها ويعلقون عليها الثمر وغيره
من المأكولات كما سألوا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة المعنى ام تريدون اي بل اتريدون ان تسألوا رسولكم
يعني النبي محمدا كما سأل قوم موسى من قبل من الاقتراحات والمحالات ومن يتبدل الكفر بالايمان اي من استبدل
الجحود بالله وبآياته بالتصديق بالله والاقرار به وبآياته واقتراح المحالات على النبي صلى الله عليه وآله والسؤال عما لا يعنيه
بعد وضوح الحق بالبراهين فقد ضل سواء السبيل اي ذهب عن قصد الطريق الاستقامة وقيل عن وسط الطريق
لان وسط الطريق خير من اطرافه النظم وجه اتصال هذه الآية بما قبلها انه لما دل الله بما تقدم على تدبيره لهم فيما
يأتي من الآيات وما ينسخ واختياره لهم ما هو الاصلح في كل حال فقال اما ترضون بذلك وكيف تتخيرون محالات
مع اختيار الله لكم ما يعلم فيه من المصلحة فاذا اتى بآية تقوم بها الحجة فليس لاحد الاعتراض عليها والاقتراح غيرها

لان ذلك بعد تمة البرهان بما يكون هنا قوله عز وجل ودّ كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا
حسدا من عند انفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بامره ان الله
على كل شيء قدير آية اللغة الحسد ارادة زوال نعمة المحسود اليه او كراهة النعمة التي هو فيها
وارادة ان يصير تلك النعمة بعينها له وقد يكون بتمني زوال النعمة الغير حسدا وان لم يطمع الحاسد في تحول تلك النعمة اليه واشد
الحسد التعرض للاغتمام بكون الخير لاحد واما الغبطة فهو ان يريد مثل النعمة التي فيها الغير وان لم يرد زوالها عنه والغبطة
كونها غير مذموم والحسد مذموم يقال حسده على الشيء احسده حسدا وحسدته الشيء بمعنى واحد ومنه قول
الشاعر يحسد الناس الطعاما والصفح العفو والتجاوز عن الذنب بمعنى ويقال لظاهر جلد الانسان صفحه وكذا هو التي م
من كل شيء ومنه صافحته اي لقيت صفحة كفه كفي وقولهم صفحت فيه قولان احدهما ان معناه اني لم اواخذه بذنبه وابديت
له مني صفحة جميلة والآخر انه لم يرني ما ينقبض صفحته ويقال صفحت الورقة اي تجاوزتها الى غيرها ومنه تصفحت الكتاب وقد
يتصفح الكتاب من لا يحسن ان يقرأه الاعراب من في قوله من اهل الكتاب يتعلق بمحذوف وتقديره فريق كائنون
من اهل الكتاب فيكون صفة لكثير من بعد في محل النصب على الظرف والعامل فيه يود وكفارا مفعول ثان ليردونكم ومفعوله
الاول كم من يردونكم وفي انتصاب قوله حسدا قولان احدهما ان الجملة التي قبله تدل على الفعل الذي هو مصدره
وتقديره حسدوكم حسدا كما تقول فلان يتمنى لك الشر حسدا فكانه قال يحسدك حسدا والآخر ان يكون مفعولا له
فكانه قال يردونكم كفارا لاجل الحسد كما تقول جئته خوفا منه وقوله من عند انفسهم يتعلق بقوله ودّ كثير لا بقوله حسدا قولهم
لان حسد الانسان لا يكون من غير نفسه قال الزجاج وقال غيره يجوز ان يتعلق بقوله حسدا على التوكيد كقوله عز وجل ولا طائر
يطير بجناحيه ويحتمل وجها آخر وهو ان يكون اليهود قد اضافوا الكفر والمعاصي الى الله تعالى فقال سبحانه تكذيبا لهم ان
ذلك من عند انفسهم وقوله ما تبين ما حرف موصول وتبين الحق صلته والموصول والصلة في محل الجر باضافة بعد اليه حتى
يأتي الله بامره يأتي منصوب باضمار ان وهما في محل الجر بحتى والجار والمجرور مفعول فاعفوا واصفحوا النزول نزلت الآية
في حيي بن اخطب واخيه ابي ياسر بن اخطب وقد دخلا على النبي صلى الله عليه وآله حين قدم المدينة فلما خرجا قيل لحيي اهو نبي
قال هو هو فقيل له فما له عندك قال العداوة الى الموت وهو الذي نقض العهد واثار الحرب يوم الاحزاب عن ابن
عباس وقيل نزلت في كعب بن الاشرف عن الزهري وقيل في جماعة اليهود عن الحسن المعنى اخبر الله تعالى عن
سراير اليهود فقال ودّ اي تمنى كثير من اهل الكتاب كحيي بن اخطب وكعب بن الاشرف وامثالهما لو يردونكم اي يردونكم
يا معشر المؤمنين اي يرجعونكم بعد ايمانكم كفارا حسدا منهم لكم بما اعد الله لكم من الثواب والخير وانما قال كثير من اهل
الكتاب لانه انما آمن منهم الا القليل كعبد الله بن سلام وكعب الاحبار وقيل انما حسد اليهود المسلمين على وضع النبوة
فيهم وذهاب اتباعهم وزوال الرياسة اليهم وقوله من عند انفسهم قد بينا ما فيه من الاعراب وقوله من بعد ما
تبين لهم الحق اي بعد ما تبين لهم ان محمدا صلى الله عليه وآله رسول الله والاسلام دين الله عن ابن عباس وقتادة والسدي
وقوله فاعفوا واصفحوا اي تجاوزوا عنهم وقيل ارسلوهم فانهم لا يعجزون الله وانما امرهم بالعفو والصفح
وان كانوا مضطهدين مقهورين من حيث ان كثيرا من المسلمين كانوا عزيزين في عشايرهم واقوامهم يقدرون على
الانتقام من الكفار وامرهم بالعفو وان كانوا قادرين على الانتصار حتى يأتي الله بامره اي يأمركم بعقابهم
او يعاقبهم هو على ذلك ثم اتاهم بامره فقال قاتلوا الذين لا يؤمنون الآية عن ابي علي وقيل بامره اي بآية القتل
والسبي لبني قريظة والجلاء لبني النضير عن ابن عباس وقيل بامره بالقتال عن قتادة فانه قال هذه الآية منسوخة
بقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر الآية وبه قال الربيع والسدي وقيل نسخ بقوله اقتلوا
المشركين حيث وجدتموهم وروي عن الباقر عليه السلام انه قال لم يؤمر رسول الله صلى الله عليه وآله بقتال ولا اذن له فيه

حتى نزل جبرئيل بهذه الآية اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وقلده
وقوله ان الله على كل شيء قدير فيه ثلثة اقوال احدها انه قدير على عقابهم اذ هو على كل شيء قدير عن ابي علي وثانيها انه قدير على ان يدعو الى دينه بما احب
مما هو الاليق بالحكمة فيأمر بالصفح تارة وبالعقاب اخرى على حسب المصلحة عن الزجاج والثالث انه لما امرهم بالامهال
والتاخير في قوله فاعفوا واصفحوا قال انه قادر على عقوبتهم بان يامرك بقتالهم ويعاقبهم في الآخرة بنفسه
قوله عز وجل واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله ان الله بما تعملون بصير
آية الاعراب ما اسم للشرط في موضع رفع بالابتداء وتقدموا شرط من جزم من زائدة والجار والمجرور مفعول تقدموا
وتجدوه مجزوم لانه جزاء وعلامة الجزم في الشرط والجزاء سقوط النون ومعنى حرف الشرط الذي تضمنه ما مع الشرط
والجزاء في محل الرفع لانه خبر المبتدأ وما في قوله بما تعملون اسم موصول او حرف موصول والموصول والصلة في
موضع جر بالباء والباء متعلق ببصير الذي هو خبر ان المعنى لما امر الله سبحانه المسلمين بالصفح عن الكفار والتجاوز
علم انه يشق عليهم ذلك مع شدة عداوة اليهود وغيرهم لهم فامرهم بالاستعانة على ذلك بالصلوة والزكوة فان في
ذلك معونة لهم على الصبر مع ما يحوزون لهما من الثواب والاجر كما قال في موضع آخر واستعينوا بالصبر والصلوة وقوله وما
تقدموا لانفسكم من خير تجدوه اي من طاعة واحسان وعمل صالح تجدوه اي ثوابه معدا لكم عند الله وقيل معناه تجدوه
مكتوبا محفوظا عند الله ليجازيكم به وفي هذه دلالة على ان ثواب الخيرات والطاعات لا يضيع ولا يبطل ولا يحبط لانه
اذا احبط لا يجدونه وقوله ان الله بما تعملون بصير اي لا يخفى عليه شيء من اعمالكم يجازيكم على الاحسان بما تستحقونه من الثواب
وعلى الاساءة بما تستحقونه من العقاب فاعملوا عمل من يتيقن انه يجازيه على ذلك من لا يخفى عليه شيء من عمله ففي
هذه دلالة على الوعد والوعيد والامر والزجر وان كان خبرا عن غير ذلك في اللفظ قوله عز وجل وقالوا لن يدخل
الجنة الا من كان هودا او نصارى تلك امانيهم قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين آية اللغة
في هود ثلثة اقوال احدها انه جمع هائد كعائذ وعوذ وعائط وعوط وهو جمع للمذكر والمؤنث على لفظ واحد
والهائد التائب الراجع الى الحق وثانيها ان يكون مصدرا يصلح للواحد والجمع كما يقال رجل فطر وقوم فطر وقوم صوم ورجل
صوم وثالثها ان يكون معناه الا من كان يهودا فحذفت الياء الزائدة والبرهان والحجة والدلالة والبيان بمعنى واحد وهو
ما امكن الاستدلال به على ما هو دلالة عليه مع قصد فاعله الى ذلك وفرق علي بن عيسى بين الدلالة والبرهان
بان قال الدلالة قد تنبئ عن معنى فقط لا تشهد بمعنى آخر وقد تنبئ على معنى تشهد والبرهان ليس كذلك لانه بيان
عن معنى ينبئ عن معنى آخر وقد نوزع في هذا الفرق وقيل انه محض الدعوى الاعراب ها لواحد فعليه والجمع هاتوا
مكان لم يدخل والا ههنا لنقض النفي ومن موصول وهو مع صلته مرفوع الموضع بانه فاعل يدخل ولن يدخل
مع ما بعده معمول قالوا وان حرف شرط وجوابه محذوف تقديره ان كنتم صادقين فهاتوا برهانكم المعنى ثم
حكى سبحانه عن اهل الكتاب اقوال اليهود ودعاويهم الباطلة فقال وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى
وهذا على الايجاز وتقديره وقالت اليهود لن يدخل الجنة الا من كان يهوديا وقالت النصارى لن يدخل الجنة
الا من كان نصرانيا ووحد كان لان لفظ من قد يكون للواحد وقد يكون للجماعة وانما قلنا ان الكلام مقدر
هذا التقدير لان من المعلوم ان اليهود لا يشهدون للنصارى بالجنة ولا النصارى لليهود فعلمنا انه ادرج الخبر عنهما
للايجاز من غير اخلال بشيء من المعنى فان شهرة الحال تغني عن البيان الذي ذكرناه ومثله قول حسان بن ثابت امن يهجو
رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء وتقديره ومن يمدحه وينصره غير انه لما كان اللفظ واحدا جمع مع الاول
وصار كانه اخبار عن جملة واحدة وانما حقيقته عن بعضين متفرقين وقوله تلك امانيهم اي تلك المقالة امانيّ كاذبة يتمنونها
على الله عن قتادة والربيع وقيل امانيهم اباطيلهم بلغة قريش عن المؤرج وقيل معناه تلك تأويلهم وتلاوتهم من قولهم

عيني اي تلاوة وقد يجوز في العربية اما نيهم بالتخفيف والتثقيل اجود قل يا محمد هاتوا احضروا وليس بإجبار هو تعجيز
وانكار يعني اذ لم يمكنهم الاتيان ببرهان يصحح مقالتهم فاعلموا انه باطل فاسد برهانكم اي حجتكم عن الحسن ومجاهد
والسدي ان كنتم صادقين في قولكم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وفي هذه الآية دلالة على
فساد التقليد الا ترى انه لو جاز التقليد لما امروا بان ياتوا فيما قالوه ببرهان وفيها ايضا دلالة على جواز المحاجة
في الدين قوله عز وجل بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن فله اجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون آية
اللغة اسلم يستعمل في شيئين احدهما اسلم الى كذا اي صرفه اليه تقول اسلمت الثوب اليه والثاني
اسلم له بمعنى خلص له ومثله قوله ورجلا سلما لرجل اي خالصا وقال زيد بن عمرو بن نفيل اسلمت وجهي لمن اسلمت
له الارض تحمل صخرا ثقالا واسلمت وجهي لمن اسلمت له المزن تحمل عذبا زلالا واسلمت نفسي للوجه مستقبل
كل شيء ووجه الانسان محياه ووجه الكلام تشبيها بوجه الانسان لانه اول ما يبدو منه ويعرف به والوجه من كل شيء
اول ما يبدو منه ويعرف به وفي هذا وجه الراي اي الذي يبدو منه ويعرف به والوجه اول ما يبدو واظهر ما يظهر
ما يعده ونحا استعملت العرب لفظ وجه الشيء وهم يريدون نفسه الا انهم ذكروه باللفظ الاشرف الانبه ودلوا
عليه كما قال سبحانه كل شيء هالك الا وجهه اي الا هو ويبقى وجه ربك اي ربك وقال الاعشى واول الحكم على وجهه
ليس قضائي بالهوى الجائر اي على ما هو به من الصواب وقال ذو الرمة فطاوعت همي وانجلى وجه بازل من الامر لم يترك
خلاجا بزولها يريد وانجلى البازل من الامر الاعراب بلى تدخل في جواب الاستفهام مثل قوله الست بربكم قالوا بلى ويصلح
ان يكون تقديره هنا اما يدخل الجنة احد فقيل بلى من اسلم وجهه لله لانه تقدم ما يقتضي هذا السؤال ويصلح ان يكون
جوابا للجحد على التكذيب كقولك ما قام زيد فتقول بلى قد قام ويكون التقدير هنا ليس الامر كما قال الزاعمون لن يدخل
الجنة الا من كان هودا او نصارى ولكن من اسلم وجهه لله وهو محسن فهو يدخلها ومن اسلم يجوز ان يكون من موصولا
ويجوز ان يكون للشرط فيكون اسم اما صلته له اما مجزوم الموضع بكونه شرطا ويكون من مبتدأ والفاء في قوله فله اجره
للجزاء واللام تتعلق بمحذوف في محل الرفع لانه خبر لقوله اجره والمبتدأ مع خبره في محل الرفع لوقوعه بعد الفاء والفاء
مع ما دخل فيه في محل الجزم ومعنى حرف الشرط الذي يتضمنه من مع الشرط والجزاء في محل الرفع بانه خبر مبتدأ وان كان
من موصولا فمن مع اسمه مبتدأ والفاء مع الجملة بعدها خبره وعند ربه ظرف مكان في موضع النصب على الحال تقديره
كائنا عند ربه والعامل فيه المحذوف الذي تعلق به اللام وذو الحال الضمير المستكن فيه وقوله وهو محسن
في موضع نصب على الحال وانما قال فله اجره على التوحيد ثم قال ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون لان من مفرد اللفظ
مجموع المعنى فحمل على اللفظ مرة وعلى المعنى اخرى المعنى ثم رد الله عليهم مقالتهم فقال بلى من اسلم وجهه لله قيل
معناه من اخلص نفسه لله بان سلك طريق مرضاته عن ابن عباس وقيل وجه وجهه لطاعة الله وقيل فوض
امره الى الله وقيل استسلم لامر الله وخضع وتواضع لله لان اصل الاسلام الخضوع والانقياد وقيل انما خص الوجه لانه
اذا جاد بوجهه في السجود لم يبخل بسائر جوارحه وهو محسن في عمله وقيل هو مؤمن وقيل مخلص فله اجره عند ربه معناه
فله جزاء عمله عند الله تعالى ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون في الآخرة وهذا ظاهر على قول من يقول انه لا يكون
على اهل الجنة خوف ولا حزن في الآخرة واما على قول من قال ان بعضهم يخاف ثم يامن فمعناه انهم لا يخافون
فوت جزاء اعمالهم لانهم يكونون على ثقة بان ذلك لا يفوتهم قوله عز وجل وقالت اليهود ليست النصارى على شيء
وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم
بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون آية اللغة القيمة مصدر الا انه صار كالعلم على وقت بعينه
وهو الوقت الذي يبعث الله عز وجل فيه الخلق فيقومون من قبورهم الى محشرهم تقول قام يقوم قياما وقيامة

76

مثل عاد وثمود عاد او عبادة الاعراب وهم يتلون جملة من مبتدأ وخبر منصوبة الموضع على الحال والعامل قالت وذو الحال اليهود
والنصارى والكاف في كذلك يتعلق بيتلون او بقال الذين وتقديره وهم يتلون الكتاب كتلاوتهم او قال الذين لا يعلمون
وهم المشركون كقول اليهود والنصارى ومثل صفة مصدر محذوف وفي تقديره قولا مثل قولهم النزول قال ابن عباس انه — سيعلق ع
لما قدم وفد نجران من النصارى على رسول الله صلى الله عليه وآله اتتهم احبار اليهود فتنازعوا عند رسول الله صلى الله
عليه وآله فقال رافع بن حريملة ما انتم على شيء وجحد نبوة عيسى وكفر بالانجيل فقال رجل من نجران ليست اليهود على
شيء وجحد نبوة موسى وكفر بالتوراة فانزل الله هذه الآية المعنى ثم بين سبحانه ما بين اهل الكتاب من الاختلاف
مع تلاوة الكتاب فقال وقالت اليهود ليست النصارى على شيء يعني في تدينهم بالنصرانية وقالت النصارى ليست
اليهود على شيء في تدينهم باليهودية وهم يتلون الكتاب اي يقرؤنه وذكر فيه وجهان احدهما ان فيه حل الشبهة في انه
ليس في تلاوة الكتاب معتبر في الانكار لما لم يؤت على انكاره ببرهان فلا ينبغي ان يدخل الشبهة بانكار اهل الكتاب
لملة الاسلام اذ كل فريق من اهل الكتاب قد انكر ما عليه الآخر ثم بين ان سبيلهم كسبيل من لا يعلم الكتاب من مشركي
العرب وغيرهم ممن لا كتاب لهم في الانكار لدين الاسلام والوجه الآخر الذم لمن انكر ذلك من اهل الكتاب على جهة العناد
اذ قد يساوي المعاند منهم للحق الجاهل به في الدفع له فلم ينفعهم علمه وقوله كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم
معناه ان مشركي العرب الذين هم جهال وليس لهم كتاب هكذا قالوا لمحمد صلى الله عليه وآله واصحابه انهم ليسوا على شيء من الدين
مثل ما قال اليهود والنصارى بعضهم لبعض عن السدي ومقاتل وقيل معناه ان مشركي العرب قالوا ان جميع الانبياء
واممهم لم يكونوا على شيء وكانوا على خطأ اي فقد ساووكم يا معشر اليهود في الانكار وهم لا يعلمون وقيل ان هؤلاء الذين
لا يعلمون امم كانت قبل اليهود والنصارى وقبل الانجيل والتوراة كقوم نوح وعاد وثمود قالوا لانبيائهم لستم على شيء عن
عطا وقيل ان الاصح ان المراد بقوله كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم اسلاف اليهود والمراد بقوله وقالت اليهود
ليست النصارى على شيء هؤلاء الذين كانوا على عهد النبي صلى الله عليه وآله لانه حكى قول المبطل فلا يجوز ان يعطف عليه — لمبطل ع
قول مبطل يحق وقوله فالله يحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون فيه وجوه احدها ان حكمه بينهم ان يكذبهم جميعا
ويدخلهم النار عن الحسن وثانيها ان حكمه فيه الانتصاف من الظالم المكذب بغير حجة ولا برهان للمظلوم المكذب
عن ابي علي وثالثها ان حكمه ان يريهم من يدخل الجنة عيانا ومن يدخل النار عيانا وهذا هو الحكم الفصل في الآخرة — الحق ص
عما يصير اليه كل فرقة فاما الحكم بينهم في العقد فقد بينه جل وعز فيما اظهر من حجج المسلمين وفي عجز الخلق عن ان ياتوا
بمثل هذا القرآن عن الزجاج قوله عز وجل ومن اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه وسعى
في خرابها اولئك ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم
آيتان بصري آية واحدة عند غيرهم عند اهل البصرة خمس آية اللغة المنع والصد والحيلولة نظائر وضد المنع
الاطلاق يقال امتنعته فامتنع ورجل منيع لا يخلص اليه وهو في عز ومنعة يخفف ويثقل وامرأة منيعة لا تواتي
فاحشة والسعي والركض والعدو نظائر وضد السعي الوقوف وفلان يسعى على عياله اي يكسب لهم عليهم وسعى السلطان — والعقال صدقة عام وساعي الرجل
اذا ولي امر الصدقة وقال الشاعر سعى عقالا فلم يترك لنا سبدا فكيف لو قد سعى عمرو عقالين في الاما والخراب — الامة اذا فجر بها لا يحو
والهدم والنقض نظائر والخربة سعة خرق الاذن وكل ثقب مستدير والخارب اللص قال الاصمعي يختص بسارق الابل
والخرابة سرقة الابل الاعراب موضع من رفع وهو استفهام واظلم رفع لانه خبر الابتداء وموضع ان نصب على البدل
من مساجد وهو بدل الاشتمال والتقدير ومن اظلم ممن منع ان يذكر في مساجد الله اسمه ويجوز ان يكون موضع
ان نصبا على انه مفعول له فيكون تقديره كراهة ان يذكر فيها اسمه ويجوز ان يكون على حذف من وتقديره من ان يذكر
وان يدخلوها في موضع رفع بانه اسم كان وقيل ان كان هنا مزيدة وتقديره ما لهم ان يدخلوها فعلى هذا يكون موضع

ان يدخلوها رفعا بالابتداء والا حرف الاستثناء وهو هنا لنقض النفي وخائفين منصوب على الحال وقوله خزي
مرفوع من وجهين احدهما الابتداء والاخر ان يكون مرفوعا بالظرف وقوله لهم في الدنيا خزي الجار والمجرور في موضع نصب
على الحال وذو الحال الضمير المستكن في لهم وكذلك في الآخرة النزول اختلفوا في المعني بهذه الآية فقال ابن عباس وابن
مجاهد انهم الروم غزوا بيت المقدس وسعوا في خرابه حتى كان في ايام عمر فاظهر الله المسلمين عليهم وصاروا لا يدخلونه الا
خائفين وقال الحسن وقتادة هو بخت نصر خرب بيت المقدس واعانه عليه النصارى وروي عن ابي عبد الله عم
انهم قريش حين منعوا رسول الله صلى الله عليه وآله دخول مكة والمسجد الحرام وبه قال البلخي والرماني والجبائي وضعف
الطبري هذا الوجه بانه قال ان مشركي قريش لم يسعوا في تخريب مسجد الحرام وقوله يفسد بان عمارة المساجد انما
تكون بالصلوة فيها وخرابها بالمنع من الصلوة فيها وقد وردت الرواية بانهم هدموا مساجد كان اصحاب
النبي صلى الله عليه وآله يصلون فيها بمكة لما هاجر النبي صلى الله عليه وآله الى المدينة وقال هو ايضا لا يتعلق بما قبله من
ذم اهل الكتاب كما يتعلق به اذا عني به النصارى وبيت المقدس وجوابه انه قد مضى ايضا ذكر غير اهل الكتاب في قوله
كذلك قال الذين لا يعلمون وهذا اقرب لان الكلام خرج مخرج الذم فمرة توجه الذم الى اليهود ومرة الى النصارى
ومرة الى عبدة الاصنام والمشركين المعنى ومن اظلم اي احد اشد واعظم ظلما ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها
اسمه ويكون معناه لا احد اظلم ممن منع ان يذكر في مساجد الله سبحانه وعمل في المنع من اقامة الجماعة والعبادة
فان حمل فيها قوله مساجد الله على بيت المقدس او الكعبة فانما جاز جمعه على احد وجهين اما ان يكون مواضع السجود
من المسجد العظيم يقال لكل موضع منه مسجد ويقال للجملة مسجد واما ان يدخل في هذه اللفظة المساجد التي بناها المسلمون
للصلوة وروي عن زيد بن علي عن ابائه عن علي عليه السلام انه اراد جميع الارض لقول النبي صلى الله عليه وآله جعلت لي الارض
مسجدا وترابها طهورا وقوله وسعى في خرابها اي عمل في تخريبها والتخريب اخراجهم اهل الايمان منها عند الهجرة وقيل هو صدهم
عنها ويجوز حمله على الامرين وقيل المراد عن الصلوة والطاعة فيها وهو السعي في خرابها وقوله اولئك ما كان لهم ان يدخلوها
الا خائفين فيه خلاف قال ابن عباس معناه ان لا يدخل نصراني بيت المقدس الا نهك ضربا وابلغ عقوبة وهو كذلك اليوم
ومن قال المراد به المسجد الحرام قال لما نزلت هذه الآية امر النبي عم مناديا فنادى الا لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوفن
بهذا البيت عريان فكانوا لا يدخلونه بعد ذلك قال الجبائي بين الله سبحانه انه ليس لهؤلاء المشركين دخول المسجد الحرام
ولا دخول غيره من المساجد فان دخل منهم داخل الى بعض المساجد كان على المسلمين اخراجه منه الا ان يدخل الى بعض الحكام
لخصومة بينه وبين غيره فيكون في دخوله خائفا من الاخراج على وجه الطرد بعد انفصال خصومته ولا يقعد فيه مطمئنا
كما يقعد المسلم قال الشيخ ابو جعفر قدس الله روحه وهذا يليق بمذهبنا ويمكن الاستدلال بهذه الآية على ان الكفار
لا يجوز ان يمكنوا من المساجد على كل حال فاما المسجد الحرام خاصة فيستدل على ان المشركين يمنعون من دخوله ولا يمكنون
منه لحكومة ولا غيرها بان الله قد امر بمنعهم من دخوله بقوله ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله شاهدين على انفسهم
بالكفر يعني المسجد الحرام وقوله فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وقال الزجاج اعلم الله سبحانه في هذه الآية ان امر المسلمين
يظهر على جميع من خالفهم حتى لا يمكن من دخول مخالف الى مساجدهم الا خائفا وهذا كقوله سبحانه ليظهره على الدين
كله ولو كره المشركون فكانه قيل اولئك ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين لاعزاز الله الدين واظهار الاسلام وقوله
لهم في الدنيا خزي قيل فيه وجوه احدها ان يراد بالخزي انهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون عن قتادة وثانيها
ان المراد به القتل وسبي الذراري والنساء ان كانوا حربا واعطاء الجزية ان كانوا ذمة عن الزجاج وثالثها ان
المراد خزيهم في الدنيا انه اذا قام المهدي وفتح القسطنطينية فحينئذ يقتلهم عن السدي ورابعها ان المراد بالخزي
طردهم عن دخول المساجد عن ابي علي وقوله ولهم في الآخرة عذاب عظيم يعني يوم القيمة يعذبهم الله في نار جهنم بالعذاب الاعظم

اذ كانوا من كل ظالم اظلم قوله عز وجل ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله ان الله واسع عليم
آية اللغة المشرق والشرق اسمان لمطلع الشمس والقمر وشرقت الشمس اذا طلعت واشرقت اضاءت ويقال لا افعل
ذلك ما ذر شارق اي ما طلع قرن الشمس وايام التشريق ايام تشريق اللحم في الشمس ومنه الحديث لا تشريق الا في مصر او مسجد
جامع اي لا صلوة عيد الا ... والمغرب والمغيب بمعنى وهو موضع غروب يقال غربت الشمس تغرب اذا
غابت واصل الغرب الحد والتباعد وغربة النوى بعد الشقة وغرب السيف حده تسمى بذلك لانه يمضي فلا يرد فهو
ماخوذ من الابعاد والواسع الغني سمي به لسعة مقدوره وقيل هو الكثير الرحمة والسعة والفسحة نظاير وضد
السعة الضيق فقال وسع يسع سعة اذا صار ذا سعة في المال الاعراب اللام في قوله ولله المشرق والمغرب لام الملك
وانما وحد المشرق والمغرب لانه اخرج ذلك مخرج الجنس فدل على الجميع كما يقال اهلك الناس الدينار والدرهم واين
بني لتضمنه معنى الحرف وانما بني على الفتح لالتقاء الساكنين وفيه معنى الشرط وتولوا مجزوم بالشرط وجوابه فثم
وجه الله وعلامة الجزم في تولوا سقوط النون واين في موضع نصب لانه ظرف لقوله تولوا وما في قوله اينما هي
التي تسمى الكافة لعمل الجزم ولذلك لم يجاز باذ وحيث حتى يضم اليهما ما فيقال حيثما تكن اكن واذ ما تفعل افعل
ولا يقال حيث تكن اكن واذ تفعل افعل ويجوز في اين الجزم وان لم يدخل عليها ما كقول الشاعر اين تصرف بها
العداة تجدنا نصرف العيس نحوها للتلاقي وثم موضعه نصب لانه ظرف مكان وبني على الفتح لالتقاء الساكنين
وانما بني في الاصل لانه معرفة وحكم الاسماء المعرفة ان يكون بحرف فبني لتضمنه معنى الحرف الذي يكون به التعريف
والعهد الاخرى انه لا يستعمل الا في مكان معهود معروف للمخاطب النزول اختلف في نزول الآية فقيل ان
اليهود انكروا تحويل القبلة الى الكعبة من بيت المقدس فنزلت الآية ردا عليهم عن ابن عباس واختاره الجبائي قال
بين سبحانه انه ليس في جهة كما يقول المجسمة وقيل كان للمسلمين التوجه حيث شاؤوا في صلاتهم وفيه نزلت الآية
ثم نسخ ذلك بقوله فول وجهك شطر المسجد الحرام عن قتادة قال كان النبي صلى الله عليه وآله قد اختار التوجه الى بيت
المقدس وكان له ان يتوجه حيث شاء وقيل نزلت في صلوة التطوع على الراحلة تصليها حيث ما توجهت اذا كنت
في سفر واما الفرائض فلا تصليها الا الى القبلة وهذا هو المروي عن ائمتنا عم قالوا وصلى رسول الله صلى الله عليه وآله
ايماء على راحلته اينما توجهت حيث خرج الى خيبر وحين رجع من مكة وجعل الكعبة خلف ظهره وروي عن جابر
قال بعث رسول الله صلى الله عليه وآله سرية كنت فيها فاصابتنا ظلمة فلم نعرف القبلة فقالت طائفة منا قد عرفنا
القبلة هي هاهنا قبل الشمال فصلوا وخطوا خطوطا وقال بعضنا القبلة هاهنا قبل الجنوب وخطوا خطوطا فلما
اصبحوا وطلعت الشمس اصبحت تلك الخطوط لغير القبلة فلما ... من سفرنا سألنا النبي صلى الله عليه وآله عن ذلك فسكت
فانزل الله تعالى هذه الآية المعنى ولله المشرق والمغرب اراد ان المشرق والمغرب لله ملكا وقيل اراد خالقهما
وصانعهما وقيل معناه ان الله تعالى يتولى اشراق الشمس من مشرقها واغرابها من مغربها فاينما تولوا فثم وجه الله
معناه فاينما تولوا وجوهكم فحذف المفعول للعلم به فثم اي فهناك وجه الله اي قبلة الله عن الحسن ومجاهد وقتادة
والوجه والجهة والوجهة القبلة ومثله الوزن والزنة والعرب تسمي القصد الذي تتوجه اليه وجها قال الشاعر استغفر الله
ذنبا لست محصيه رب العباد اليه الوجه والعمل معناه اليه القصد بالعبادة وقيل معناه فثم الله يعلم ويرى فادعوه كيف
توجهتم كقوله تعالى يريدون وجهه اي يريدونه بالدعاء وبقي لما قرب من المكان هنا ولما تراخى ثم وهناك
وقوله كل شيء هالك الا وجهه اي الا هو ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام اي ويبقى ربك عن الكلبي وقيل معناه
فثم رضوان الله يعني الوجه الذي يؤدي الى رضوانه كما يقال هذا وجه الصواب عن ابي علي والرماني ان الله واسع اي غني
عن ابي عبيدة وتقديره غني عن طاعتكم وانما تريد منافعكم وقيل واسع الرحمة فلذلك رخص في الشريعة عن الزجاج

وقيل واسع المقدرة يفعل ما يشاء عليم اى عالم بوجوه الحكمة وقيل عالم بنياتكم حيث ما صليتم ودعوتم النظم ووجه اتصال
الآية بما قبلها ان التقدير لا يمنعكم تخريب من خرب المساجد ان يذكروه حيث كنتم من ارضه فلله المشرق والمغرب
والجهات كلها عن علي بن عيسى وقيل لما تقدم ذكر الصلوة والمساجد عقبه بذكر القبلة وسايرها قوله عز وجل وقالوا
اتخذ الله ولدا سبحانه بل له ما في السموات والارض كل له قانتون آية القراءة قرأ ابن عامر قالوا بغير
واو والباقون بالواو الحجة حذف الواو ههنا يجوز من وجهين احدهما ان يستانف الجملة فلا يعطفها على ما تقدم والاخر
ان الجملة التي قالوا اتخذ الله ولدا ملابسة بما قبلها من قوله ومن اظلم ممن منع مساجد الله الآية قال الذين قالوا
اتخذ الله ولدا من جملة هؤلاء الذين تقدم ذكرهم فيستغنى عن الواو لالتباس ما قبلها كما استغني عنها في نحو قوله
والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ولو كان وهم فيها خالدون كان حسنا اللغة
الاصل في القنوت الدوام ثم يستعمل على وجوه منها ان يكون بمعنى الطاعة كقوله كل له قانتون اى مطيعون ومنها
ان يكون بمعنى الصلوة كقوله يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي ومعنى طول القيام وروى جابر بن عبد الله
قال سئل النبي صلى الله عليه وآله اى الصلوة افضل قال طول القنوت اى طول القيام ويكون بمعنى
الدعاء قال صاحب العين القنوت في الصلوة دعاء بعد القراءة في آخر الوتر يدعو قائما ومنه قوله امن هو قانت آناء
الليل ساجدا وقائما ويكون بمعنى السكوت قال زيد بن ارقم كنا نتكلم في الصلوة حتى نزلت وقوموا لله قانتين
فامسكنا عن الكلام النزول نزلت الآية في النصارى حيث قالوا المسيح ابن الله وقيل نزلت فيهم وفي مشركي
العرب حيث قالوا الملائكة بنات الله المعنى لما حكى الله سبحانه قول اليهود في امر القبلة وطعنهم قولهم ذكر مقالتهم
في التوحيد رادا عليهم فقال وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه اى اجلالا له عن اتخاذ الولد وتنزيها عن القبايح والسوء والصفات
التي لا تليق به وروى عن طلحة بن عبيد الله انه سال النبي صلى الله عليه وآله عن معنى قوله سبحانه فقال تنزيها لله عن كل سوء بل له
ما في السموات والارض ملكا والولد لا يكون ملكا للاب لان البنوة والملك لا يجتمعان فكيف يكون الملائكة الذين
هم في السماء والمسيح الذي هو في الارض ولدا له فنبه بذلك على ان المسيح وغيره عبيد له مخلوقون مملوكون فهم بمنزلة
ساير الخلق وقيل معناه بل له ما في السموات والارض فعلا والفعل لا يكون من جنس الفاعل والولد لا يكون الا من جنس
ابيه قال من سمى انسانا ان الذي سماه لا بد ان يكون من جنسه وقوله كل له قانتون قال مجاهد وابن عباس معناه
مطيعون وقال السدي كل له مطيع يوم القيمة وقال الحسن كل قائم له بالشهادة انه عبده وقال الجبائي كل دائم على حالة
واحدة بالشهادة بما فيه من اثار الصنعة والدلالة على الربوبية وقال ابو مسلم كل في ملكه وقهره يتصرف فيه كيف
شاء لا يمتنع عليه قوله عز وجل بديع السموات والارض واذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون آية
القراءة قرأ ابن عامر فيكون نصبا والباقون بالرفع الحجة قال ابو علي وجه النصب في قوله فيكون ان قوله
كن وان كان على لفظ الامر فليس بامر لكن المراد به الخبر ان الذي ليس بكائن يكون ولا يخاطب بالتقدير يكون
فيكون اللفظ لفظ الامر والمراد الخبر كقولهم في التعجب اكرم بزيد فاذا لم يكن قوله كن امرا في المعنى وان كان على لفظه
لم يحسن نصب الفعل بعد الفاء فانه جواب كما لم يجز النصب في الفعل الذي يدخل الفاء فانه لم يجز بعد الايجاب نحو
اتيك فاحدثك الا ان يكون في شعر نحو قوله لنا هضبة لا ينزل الذل وسطها ويأوي اليها المستجير فيعصما وقد ابن
على امتناع النصب فيه ان الجواب بالفاء مضارع للجزاء فلا يجوز اذهب فيذهب على قياس قراءة ابن
عامر لان المعنى يصير ان ذهبت ذهبت وهذا كلام لا يفيد وانما يفيد اذا اختلف الفاعلان والفعلان نحو قم فاعطيك
لان المعنى ان قمت اعطيتك واذا كان الامر على هذا لم يكن ما روى عنهم من نصبه يكون متجها ويمكن ان يقال فيه ان
اللفظ لما كان على لفظ الامر حمله على اللفظ كما حمل ابو الحسن نحو قوله قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلوة على انه جرى

يجري جواب الامر وان لم يكن جوابا له على الحقيقة فالوجه في يكون الرفع على ان يكون معطوفا على كن لان المراد به يكون
فيكون او يكون خبر مبتدأ محذوف كأنه قال فهو يكون اللغة البديع بمعنى المبدع مثل السميع بمعنى المسمع وبينهما فرق
من حيث ان في البديع مبالغة ليست في المبدع ويستحق الوصف في غير حال الفعل على الحقيقة بمعنى ان من شأنه انشاء
الاشياء على غير مثال واحتذاء والابداع والاختراع والانشاء نظاير وكل من احدث شيئا فقد ابدعه والاسم
البدعة وفي الحديث كل بدعة ضلالة وكل ضلالة سبيلها الى النار القضاء والحكم من النظاير واصل
القضاء الفصل في احكام الشيء قال ابو ذويب وعليهما مسرودتان قضاهما داود او صنع السوابغ تبع اى
احكمهما ثم يتصرف على وجوه منها الامر والوصية كقوله تعالى وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه اى وصى ربك وامر ومنها
ان يكون بمعنى الاخبار والاعلام كقوله وقضينا الى بني اسرائيل اى اخبرناهم وقوله وقضينا اليه ذلك الامر اى عهدنا
الى لوط ومنها ان يكون بمعنى الفراغ كقوله فاذا قضيتم مناسككم اى فرغتم من امر المناسك وقوله فاذا قضيتم
الصلوة ومما رواه علي بن موسى الرضا عليه السلم عن ابيه عن جده الصادق عليه السلم قال القضاء على عشرة اوجه ذكر
منها الوجوه الثلاثة التي ذكرناها والرابع بمعنى العلم الفعل في قوله فاقض ما انت قاض اى فافعل ما انت فاعل
ومنه قوله اذا قضى امرا يعني اذا فعل امرا كان في علمه ان يفعله انما يقول له كن فيكون ومنه اذا قضى الله ورسوله امرا
ان يكون لهم الخيرة من امرهم والخامس قوله ليقض علينا ربك اى لينزل علينا الموت وقوله لا يقضى عليهم فيموتوا اى
لا ينزل بهم الموت وقوله فوكزه موسى فقضى عليه اى فانزل به الموت والسادس من قوله وانذرهم يوم الحسرة
اذ قضي الامر اى فوجب العذاب ووقع باهل النار وكذا قوله وقال الشيطان لما قضي الامر والسابع قوله وكان امرا مقضيا
اى مكتوبا في اللوح المحفوظ انه يكون والثامن بمعنى الاتمام في نحو قوله فلما قضى موسى الاجل وايما الاجلين قضيت
وقوله من قبل ان يقضى اليك وحيه يعني من قبل ان يتم جبريل اليك الوحي والتاسع بمعنى الحكم والفصل كقوله وقضي بينهم
بالحق وان ربك يقضي بينهم اى يفصل وفي الانعام يقضي الحق اى يفصل الامر بيني وبينكم العذاب والعاشر بمعنى الخلق في قوله فقضاهن
سبع سموات اى خلقهن المعنى لما نزه سبحانه نفسه عن اتخاذ الولد الاولاد ودل عليه بان له ما في السموات والارض
اكد ذلك بقوله بديع السموات والارض اى منشئ السموات والارض على غير مثال امتثله ولا احتذاه من صنع خالق كان
قبله واذا قضى امرا قيل معناه واذا فعل امرا اى اذا اراد احداث امر كقوله تعالى واذا قرأت القرآن فاستعذ بالله اى اذا اردت
قراءة القرآن وقيل معناه اذا احكم امرا وقيل معناه حكم وحتم بانه يفعل امرا والاول اوجه وقوله فانما يقول له كن فيكون
اختلف فيه على وجوه احدها انه بمنزلة التمثيل لان المعدوم لا يصح ان يخاطب ولا يؤمر وحقيقة معناه ان منزلة
الفعل في تسهيله وتيسره عليه وانتفاء التعذر منه كمنزلة ما يقال له كن فيكون كما يقال قال فلان برأسه او بيده
كذا اذا حرك راسه او اومى بيده ولم يقل شيئا على الحقيقة وكما قال ابو النجم قالت الانساع للبطن الحق قدما فامست كالعنق
المعنق وقال العجاج يصف ثورا وفيه كالاعراض للعكور فكره ثم قال في التفكر ان الحياة اليوم في الكرور وقال
عمرو بن حممة الدوسي فاصبحت مثل النسر طارت فراخه اذا رام تطيارا يقال له قع وقال آخر وقالت له العينان سمعا وطاعة
وحدرتا كالدر لما يثقب والمشهور فيه قول الشاعر امتلأ الحوض وقال قطني وهو قول ابي علي وجماعة من المفسرين وثانيها
انه علامة جعلها الله تعالى للملائكة اذا سمعوها علموا انه احدث امرا وهذا هو المحكي عن ابي علي هذيل وثالثها
ما قال بعضهم ان الاشياء المعدومة لما كانت معلومة عند الله تعالى صارت كالموجود فصح ان يخاطبها ويقول لها كن
ايجاده منها كن فيكون والاصح من الاقوال الاول وهو الاشبه بكلام العرب ويؤيده قوله تعالى فقال لها وللارض ائتيا
طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين وان حمل على القول الثاني والمراد ان يقول للملائكة على جهة الاعلام منه لهم واخبارا
اياهم عن الغيب كن اى يقول اكون فيكون فاعل كن اسم وهو في معنى الخبر وان كان اللفظ لفظ الامر على ما تقدم بيانه

ويجوز على هذا ان يكون فاعل كن الشي المعدوم المراد كونه وتقديره يقول من اجله للملائكة يكون شي كذا فيكون ذلك
على ما يجري به لا خلف له ولا تبديل عما يجري به واما القول الثالث فبعيد لان المعدوم لا يصح خطابه ولا امره بالكون والوجود
فيخرج بهذا الامر الى الوجود لان ذلك لامتثال الامر وتلقيه بالقبول والطاعة وهذا انما يتصور من المامور الموجود
دون المعدوم ولو صح ذلك لوجب ان يكون المامور المعدوم فاعلا لنفسه كما يكون المتلقي لما يومر به بالقبول فاعلا
لما امر به وهذا فاسد ظاهر البطلان وقال بعضهم انه يقول كن عند وجود الاشياء لا قبلها ولا بعدها كقوله تعالى
ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون وانما اراد به يدعوهم في حال خروجهم لا قبله ولا بعده وهذا الوجه
ايضا ضعيف لان من شرط حسن الامر ان يتقدم المامور به وكذلك الدعاء وفي هذه الآية دلالة على انه سبحانه
لا يجوز ان يتخذ ولدا لانه اذا ثبت انه منشئ السموات والارض ثبت انه سبحانه ليس بصفة الاجسام والجواهر
لان الجسم يتعذر عليه فعل الاجسام ومن كان بهذه الصفة لم يجز عليه اتخاذ الولد ولانه سبحانه قد انشا من
غير اب من حيث انه مبدع الاشياء فجل عن اتخاذ الابناء وتعالى علوا كبيرا قوله عز وجل وقال الذين لا يعلمون
لولا يكلمنا الله او تاتينا آية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم قد بينا الآيات
لقوم يوقنون آية اللغة اليقين والعلم والمعرفة نظاير في اللغة ونقيضه الشك والجهل وايقن ويتقن واستيقن
بمعنى وقال صاحب العين اليقين التيقن وقال وما الذي ابرته العيون من قطع ياس ولا من ظن فاليقين علم
يثلج به الصدر ولذلك يقال وجدت برد اليقين ولا يقال وجدت برد العلم الاعراب لولا بمعنى هلا ولا يدخل
الا على الفعل ومعناها التحضيض قال جرير تعدون عقر النيب افضل مجدكم بني ضوطرى لولا الكمي المقنعا اي هلا
تعدون الكمي المقنع والكاف في كذلك يتعلق والجار والمجرور في موضع نصب على المصدر اي كقولهم المعنى لما بين
سبحانه حالهم في انكارهم التوحيد وادعائهم عليه اتخاذ الاولاد عقبه بذكر جهلهم في النبوات وسلوكهم في ذلك
طريق التعنت والعناد فقال وقال الذين لا يعلمون وهم النصارى عن مجاهد واليهود عن ابن عباس مشركوا
العرب عن الحسن وقتادة وهو الاقرب لانهم سالوا المحالات ولم يقتصروا على ما ظهر واتضح من المعجزات وقالوا
لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الآيات الى اخرها ولانه وصفهم بانهم لا يعلمون فبين انهم ليسوا اهل
الكتاب ومن قال ان المراد به النصارى قال لانه قال قبلها وقالوا اتخذ الله ولدا وهم الذين قالوا المسيح ابن الله
وهذا لا دلالة فيه لانه يجوز ان يذكر قوما ثم يستانف فيخبر عن قوم اخرين عن ان مشركي العرب ايضا اضافوا
الى الله سبحانه البنات فدخلوا في جملة من قال اتخذ الله ولدا وقوله لولا يكلمنا الله اي لا يكلمنا الله معاينة
فيخبرنا بانك نبي وقيل معناه هلا يكلمنا الله بكلامه كما كلم موسى وغيره من الانبياء وقوله او تاتينا آية موافقة
لدعوتنا كما جاءت به الانبياء آيات موافقة لدعوتهم ولم يريدوا انهم لم ياتهم آية لانه قد جاءتهم الآيات المعجزات
وقوله كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم هم اليهود من حيث اقترحوا الآيات على موسى عن مجاهد
الآية تحمل قوله الذين لا يعلمون على النصارى وقيل هم اليهود والنصارى جميعا عن قتادة والسدي وقيل هم
الكفار الذين كانوا قبل الاسلام عن ابي مسلم تشابهت قلوبهم اي اشبه بعضها بعضا في الكفر والفسق والاعتراض
على الانبياء من غير حجة والتعنت والعناد كقول اليهود لموسى ارنا الله جهرة وقول النصارى للمسيح انزل علينا
مائدة من السماء وقول العرب لنبينا صلى الله عليه وآله حول لنا الصفا ذهبا وكذلك قال سبحانه اتواصوا به
وقوله قد بينا الآيات يعني الحجج والمعجزات التي يعلم بها صحة نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وآله يوقنون اي يتيقنون
بها من الوجه الذي يجب الاستدلال به فايقنوا لذلك وكذلك تا ستدلوا لو انهم حتى يوقنوا الا ايقنوا وليكن
والمعنى فيه ان فيما ظهر من الآيات الباهرات الدالة على صدقه كفاية لمن ترك التعنت والعناد فان قيل لم لم يوتوا الا آيات

التي اقترحوها لتكون الحجة عليهم اكد قلنا الاعتبار كفاية لمن ترك التعنت والعناد فان قيل لم في ذلك بالمصلحة لو
علم الله سبحانه ان في اظهار ما اقترحوه من الآيات مصلحة لاظهرها فلما لم يظهرها علمنا انه لم يكن في اظهارها مصلحة لهم قوله
عز وجل انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسال عن اصحاب الجحيم آية القراءة قرا نافع ولا تسال
بفتح التاء والجزم على النهي وروى ذلك عن ابي جعفر عليه السلم وابن عباس ذكر ذلك الفراء وابو القاسم البلخي
والباقون على لفظ الخبر على ما لم يسم فاعله الحجة الرفع في تسال يحتمل وجهين احدهما ان يكون حالا فيكون
مثل ما عطف عليه من قوله بشيرا ونذيرا اي وغير مسؤول ويكون ذكر الجملة بعد المفرد الذي هو قوله بشيرا
ونذيرا كذكر الجملة في قوله ويكلم الناس في المهد بعد ما تقدم من المفرد وكذلك قوله ومن المقربين وهو مما
يجري مجرى الحال والآخر ان يكون منقطعا من الاول مستانفا به كانه قيل ولست تسال عن اصحاب الجحيم
واما قراءة نافع ولا تسال بالجزم ففيه قولان احدهما ان يكون على النهي لفظا والمعنى على تفخيم ما اعد لهم من العقاب
كقول القائل لا تسال عن حال فلان اي قد صار الى اكثر مما تريده وسالت تتعدى الى مفعولين مثل اعطيت قال
الشاعر سالتاني الطلاق اذ راتاني قل مالي قد جئتماني بنكر ويجوز ان تقتصر على مفعول واحد ثم يكون
على ضربين احدهما ان تتعدى بغير حرف كقوله تعالى واسالوا ما انفقتم واسالوا اهل الذكر والآخر ان تتعدى
بحرف كقوله تعالى سال سائل بعذاب واقع وقولهم سالت عن زيد واذا تعدى الى مفعولين كان على ضربين
احدهما ان يكون بمنزلة اعطيت كقولهم سالت عمرا بعد بكر حقا ومعنى هذا استعطيته اي سالته ان يفعل ذلك
والآخر ان يكون بمنزلة اخترت الرجال زيدا وذلك قوله تعالى ولا يسال حميم حميما اي لا يسال حميم عن حميمه والثاني
ان تتعدى الى مفعولين فيقع موقع المفعول الثاني منهما استفهام وذلك كقوله تعالى سل بني اسرائيل كم آتيناهم
ومثل من ارسلنا من قبلك من رسلنا الجحيم النار بعينها اذا شب وقودها وصار كالعلم على جهنم كقول امية بن ابي الصلت
اذا شبت جهنم ثم زادت واعرض عن قوابسها الجحيم وجحمت النار تجحم جحما اذا اضطربت والجحمة العين بلغة حمير قال
ابا حجمي بكي على ام واهب اكيلة قلوب باحدى المذانب وجحمنا الاسد عيناه وجاحم الحرب شدة القتل في معركتها
قال سعد بن مالك بن ضبيعة والحرب لا يبقى لجاحمها التخيل والمراح الا الفتى الصبار في النجدات والفرس الوقاح
بين سبحانه في هذه الآية ما ايد به نبيه محمدا من الحجج وبعثه بالحق فقال انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا اي بالقرآن
عن ابن عباس وقيل بالاسلام عن الاصم وقيل على الحق اي بعثناك على الحق كقوله سبحانه خلق الله السموات والارض
بالحق على انها حق لا باطل وقوله بشيرا ونذيرا اي بشيرا لمن اتبعك بالثواب ونذيرا لمن خالفك بالعقاب وقوله
ولا تسال عن اصحاب الجحيم اي لا تسال عن احوالهم وفيه تسلية للنبي ع اذ قيل له انما انت بشير ونذير ولست
تسال عن اصحاب الجحيم وليس عليك اجبارهم على القبول منك ومثله قوله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات
وقوله ليس عليك هداهم وقيل معناه لا تواخذ بذنبهم وهو كقوله سبحانه عليه ما حمل وعليكم ما حملتم اي فعليه الابلاغ وعليكم
القبول قوله عز وجل ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل ان هدى الله هو الهدى ولئن
اتبعت اهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير آية اللغة الرضى والمحبة نظاير وضد الرضا الغضب والرضى اسم بمعنى الرضى
وهو من بنات الواو بدلالة قولهم الرضوان ويقال رجل رضى وامراة رضى ورجال رضى ونساء رضى والملة والنحلة والمودة
والديانة نظاير وملة رسول الله صلى الله عليه وآله الامر الذي اوضحه وامل الرجل اذا اخذ في ملة الاسلام اي يصلي
او مل منه واملال الكتاب ليكتب الاعراب ينبغي نصب بحتى قال سيبويه والخليل ان الفاعل الناصب للفعل بعد حتى
ان الا انها لا تظهر بعد حتى ويدل على ان حتى لا ينصب بنفسها انها تجر الاسم في قوله حتى مطلع الفجر ولا نعرف في العربية حرف
يعمل في اسم يعمل في فعل ولا حرف جار يكون ناصبا للفعل فصار مثل في قولك ما كان زيد ليضربك في انها جارة والنا

والنصب بمعنى ان المضمرة ولا يجوز اظهارها مع هذه اللام ايضا هو مبتدأ المرفوع بالابتداء وفصل والهدى خبر المبتدأ
او خبر ان وقوله من العلم يتعلق بمحذوف في موضع الحال وذو الحال الموصوف المحذوف الذي قوله الذي جاءك صفته
وكذلك من الله في موضع الحال ومن ولي في موضع رفع بالابتداء ومن مزيدة وقوله ما لك من الله من ولي ولا نصير في موضع
الجزاء للشرط ولكن الجزاء اذا قدر فيه القسم لا يجزم فلذلك في موضع جزم ولا بد ان يكون فيه احد الحروف الدالة
على القسم بحرف ما ههنا تدل على القسم فلذلك لم يجزم المعنى كانت اليهود والنصارى يسألون النبي صلى الله
عليه وآله الهدنة ويرونه انهم ان هادنهم وامهلهم اتبعوه فآيسهم الله تعالى من موافقتهم فقال ولن ترضى
عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم وقيل ان النبي صلى الله عليه وآله كان مجتهدا في طلب ما يرضيهم ليدخلوا
في الاسلام فقيل له دع ما يرضيهم الى ما امرك الله به من مجاهدتهم وهذا يدل على انه لا يصح ارضاء اليهود والنصارى
على حال لانه تعالى علق رضاهم بان يصير يهوديا او نصرانيا واذا استحال ذلك استحال الرضا وهم يعني انه لا يرضى
كل فريق منهم الا ان يتبع ملتهم وقيل قل لهم قل ان هدى الله هو الهدى اي قل يا محمد ان دين الله الذي رضاه
هو الهدى اي الدين الذي انت عليه عن ابن عباس وقيل معناه ان هدى الله يعني القرآن هو الذي يهدي الى
الجنة لا طريقة اليهود والنصارى وقيل معناه ان دلالة الله هي الدلالة وهدى الله هو الحق كما يقال طريقة
فلان هي الطريقة وقوله ولئن اتبعت اهواءهم اي مراداتهم وقال ابن عباس معناه ان صليت الى قبلتهم بعد الذي
جاءك من العلم اي بالبيان من الله وقيل من الدين ما لك من الله يا محمد من ولي يحفظك عن عقابه ولا نصير اي معين
وظهير يعينك عليه ويدفع بنصره عقابه عنك وهذه الآية تدل على ان من علم الله تعالى منه انه لا يعصي يصح وعيده
لانه علم ان النبي لا يتبع هواهم فجرى مجرى قوله لئن اشركت ليحبطن عملك والمقصود منه التنبيه على ان حال امته فيه
اغلظ من حاله لان منزلتهم دون منزلته وقيل الخطاب للنبي والمراد امته قوله عز وجل الذين آتيناهم الكتاب يتلونه
حق تلاوته اولئك يؤمنون به ومن يكفر به فاولئك هم الخاسرون آية الاعراب الذين آتيناهم رفع بالابتداء
ويتلونه في موضع خبره اولئك ابتداء ثان ويؤمنون خبره وان شئت كان اولئك يؤمنون به في موضع خبر المبتدأ
الذي هو الذين ويتلونه في موضع نصب على الحال وان شئت كان خبر الابتداء يتلونه واولئك جميعا فيكون للابتداء
خبران كما تقول هذا حلو حامض وحق تلاوته منصوب على المصدر النزول قيل نزلت في اهل السفينة الذين قدموا
مع جعفر بن ابي طالب من الحبشة وكانوا اربعين رجلا اثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية من اهل الشام منهم بحيرا
عن ابن عباس وقيل هم من آمن من اليهود كعبد الله بن سلام وسعية بن عمرو وتمام بن يهودا واسد واسيد ابني كعب
وابن يامين وابن صوريا عن الضحاك وقيل هم اصحاب محمد عن قتادة وعكرمة فعلى القولين الاولين يكون المراد
بالكتاب التوراة وعلى القول الآخر المراد به القرآن المعنى الذين آتيناهم اي اعطيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته
اختلف في معناه على وجوه احدها انهم يتبعونه يعني بالتوراة حق اتباعه ولا يحرفونه ثم يعملون بحلاله ويقفون
عند حرامه ومنه قوله والقمر اذا تلاها اي تبعها روي ذلك عن ابن مسعود ومجاهد وقتادة الا ان المراد به القرآن
عندهم وثانيها ان المراد به يصفونه حق صفته في كتبهم لمن سألهم من الناس عن الكلبي وعلى هذا تكون الهاء راجعة
الى محمد وثالثها ما روي عن ابي عبد الله عليه السلام ان حق تلاوته هو الوقوف عند ذكر الجنة والنار يسأل في الاولى ويستعيذ
من الاخرى ورابعها ان المراد يقرؤونه حق قراءته يرتلون الفاظه ويفهمون معانيه وخامسها ان المراد يعملون
حق العمل به فيعملون بمحكمه ويؤمنون بمتشابهه ويكلون ما اشكل عليهم الى عالمه عن الحسن وقوله اولئك يؤمنون به
اي بالكتاب عن اكثر المفسرين وقيل بالنبي عن الكلبي ومن يكفر به وهم اليهود وقيل هم جميع الكفار وهو
الاولى للعموم فاولئك هم الخاسرون خسروا انفسهم واعمالهم وقيل خسروا في الدنيا الظفر والنصرة وفي الآخرة ما اعد الله

للمؤمنين من نعيم الجنة قوله عز وجل يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين
الآية قد تقدم مثلها في راس نيف واربعين آية ومعنى تفسيرها وقيل في سبب تكريرها ثلاثة اقوال احدها ان نعم
الله سبحانه لما كانت اصول كل نعمة كرر التذكير بها مبالغة في استدعائهم الى ما يلزمهم من شكرها ليقبلوا على طاعة
ربهم المظاهر بنعمه عليهم وثانيها انه لما باعد بين الكلامين حسن التنبيه والتذكير والاعادة والتكرير لابلاغ
الحجة وتاكيد التذكرة وثالثها انه سبحانه لما ذكر التوراة وفيها الدلالة على شان عيسى ومحمد عليهما السلام في النبوة والبشارة
ذكر نعمته عليهم بذلك وما فضلهم به كما عدد النعم في سورة الرحمن وكرر قوله تعالى فبأي آلاء ربكما تكذبان فكل تقريع
ما بعد تقريع فانما هو موصول بتذكير نعمة غير الاولى وثالثة غير الثانية الى آخر السورة وكذلك الوعيد في سورة
المرسلات في قوله ويل يومئذ للمكذبين انما هو بعد الدلالة على اعمال اعظم التكذيب عما تدعو اليه الادلة قوله عز وجل واتقوا
يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون آية القراءة قرأ ابن عامر ابراهام
وابراهيم ههنا وفي مواضع من القرآن والباقون ابراهيم وقرأ حمزة وحفص عهدي بارسال الياء والباقون
بفتحها الحجة في ابراهيم خمس لغات ابراهيم وابراهام وابراهم حذفت الالف استخفافا قال الشاعر عذت بما عاذ به
ابراهم وابراهم قال مسيمع ابراهيم هم النفر وموسى وابرهم قال نحن آل الله في كعبة لم يزل ذاك على عهد ابرهم
والوجه في هذه التغيرات ما تقدم ذكره من قولهم ان العرب اذا نطقت بالاعجمي خلطت فيه ولعبت بحروفه معربها
واما قوله عهدي فانما فتح هذه الياء اذا تحرك ما قبلها لان اصل هذه الياء في الكلام كما كرهت الحركتان الاخريان
فيها الا ترى انهم قد اسكنوها في حال السعة اذا لزم تحريكها بالفتحة كما اسكنوها اذا لزم تحريكها بالحركتين الاخريين
وذلك قولهم قالي قلا وبادي بدا ومعدي كرب فالياء في هذه المواضع في موضع الفتحة التي في آخر اول الاسمين نحو
حضرموت وقد اسكنت كما اسكنت في الجر والرفع اللغة الابتلاء الاختبار والتمام والكمال والوفاء نظائر وضد التمام
النقصان يقال تم تماما وتمه وتممه تتميما وتتمة والتم الشيء ولكل حاملة تمام بفتح التاء وكسرها وليل تمام وليل
تمام بالكسر والذرية والنسل والولد نظائر وبعض العرب يكسر منها الذال فيقول ذرية وروي انه قرأ زيد بن ثابت
وبعضهم فتحها فقال ذرية وفي اصل الكلمة اربعة مذاهب من الذرء والذر والذرو والذرى فان جعلته من الذرء فوزنه
فعلية ذرئية فلم تهمز ولزمت التخفيف او البدل كما في اكثر اللغة والبرية وان اخذته من الذر فوزنه فعلية كعمرية او فعلة
نحو ذرورة فلما كثرت الراءات ابدلت الاخيرة ياء وادغمت الياء الاولى فيها نحو سرية ممن اخذها من السر وهو النكاح
او فعولة نحو ذرورة فابدلت الياء الاخيرة كما ذكرنا فصار ذروية ثم ادغمت فصار ذرية وان اخذته من الذرو او الذرى
فوزنه فعيلة او فعولة وفيه كلام كثير يطول بها الكتاب ذكره ابن جني في المحتسب والنيل والنجاح والادراك نظائر والنيل
والنوال ما ناله من معروف انسان واناله معروفه وقوله اعطاه قال طرفة ان تنوله فقد تمنعه وتريه النجم يجري
بالظهر وقولهم نولك ان تفعل كذا حقك ان تفعل الاعراب اللام في قوله للناس يتعلق بمحذوف تقديره اماما مستقر
للناس فهو صفة لامام فلما قدمه انتصب على الحال ويجوز ان يتعلق بجاعلك وقوله اماما مفعول ثان لجاعل ومن
ذريتي يتعلق بمحذوف وتقديره واجعل من ذريتي المعنى واذكروا اذ ابتلى ابراهيم ربه اي اختبره وهو مجاز وحقيقته
انه امر ابراهيم ربه وكلفه وسمى ذلك اختبارا لان ما يستعمل الامر منا في مثل ذلك يجري على جهة الاختبار والامتحان
فاجري على امره اسم امور العباد على طريق الاتساع ايضا فان الله سبحانه لما عامل عبده معاملة المبتلى المختبر لا يجازيهم على ما
يعلمه منهم انهم سيفعلونه قبل ان يقع ذلك الفعل منهم كما لا يجازي المختبر للعبد ما لم يقع الفعل منه سمى امره ابتلاء وحقيقته الا
تشديد التكليف وقوله بكلمات فيه خلاف وروي عن الصادق عليه السلام انه ما ابتلاه الله في نومه في ذبح ولده اسماعيل
الى العرب فاسماه ابراهيم وعزم عليها وسلم لامر الله فلما عزم قال الله تعالى ثوابا له لما صدق وعمل بما امره قال

انى جاعلك للناس اماما ثم انزل الله عليه الحنيفية وهي الطهارة وهي عشرة اشياء خمسة في الراس وخمسة في البدن
فاما التي في الراس فاخذ الشارب واعفاء اللحى وطم الشعر والسواك والخلال واما التي في البدن فحلق الشعر
من البدن والختان وتقليم الاظفار والغسل من الجنابة والطهور بالماء فهذه الحنيفية الطاهرة التي جاء بها ابرهيم
فلم ينسخ ولا ينسخ الى يوم القيمة وهو قوله واتبع ملة ابرهيم حنيفا ذكره علي بن ابرهيم بن هاشم رحمه الله في تفسيره
وقال قتادة وهو احدى الروايتين عن ابن عباس ابتلاه بعشر خصال كانت فرضا في شرعه سنة في شريعتنا المضمضة
والاستنشاق وفرق الراس وقص الشارب والسواك في الراس والختان وحلق العانة ونتف الابط وتقليم
الاظفار والاستنجاء بالماء في البدن وفي الرواية الاخرى عن ابن عباس انه ابتلاه بثلثين خصلة من شرايع الاسلام
لم يبتل احدا بها فاقامها كلها الا ابرهيم اتمهن فكتب له البراءة فقال وابرهيم الذي وفى وهي عشر في سورة
براءة التائبون العابدون الى اخرها وعشر في الاحزاب ان المسلمين والمسلمات الى اخرها وعشر في سورة سال سايل
الى قوله والذين على صلواتهم يحافظون فجعلها اربعين وفي رواية ثالثة عن ابن عباس انه امره بمناسك الحج وقال الحسن
ابتلاه الله بالكوكب وبالقمر والشمس وبالختان وبذبح ابنه وبالنار وبالهجرة فكلهن وفى لله تعالى بهن وقال مجاهد
ابتلاه الله بالآيات التي بعدها وهي قوله انى جاعلك للناس اماما الى اخر القصة وقال ابو علي الجبائي اراد بذلك
كلما كلفه من الطاعات العقلية والشرعية والآية محتملة لجميع هذه الاقاويل التي ذكرناها وكان سعيد بن المسيب يقول
كان ابرهيم اول الناس اضاف الضيف واول الناس اختتن واول الناس قص شاربه واستحد واول الناس راى الشيب
فلما راه قال يا رب ما هذا قال هذا الوقار قال يا رب فزدني وقارا وهذا ايضا رواه السكوني عن ابي عبد الله عليه السلم
ولم يذكر واول من قص شاربه واستحد وزاد فيه اول من قاتل في سبيل الله ابرهيم واول من اخرج الخمس ابرهيم واول
من اتخذ النعلين ابرهيم واول من اتخذ الرايات ابرهيم وروى الشيخ ابو جعفر بن بابويه رحمه الله في كتاب النبوة
باسناده مرفوعا الى المفضل بن عمر عن الصادق عليه السلم قال سالته عن قول الله عز وجل واذ ابتلى ابرهيم ربه بكلمات
ما هذه الكلمات قال هي الكلمات التي تلقاها ادم عم من ربه فتاب عليه وهو انه قال يا رب اسالك بحق محمد وعلي
وفاطمة والحسن والحسين الا تبت علي فتاب عليه انه هو التواب الرحيم فقلت يا ابن رسول الله فما يعني بقوله فاتمهن قال
اتمهن الى القايم اثني عشر اماما تسعة من ولد الحسين قال المفضل فقلت له يا ابن رسول الله فاخبرني عن قوله فجعلها كلمة
كلمة باقية في عقبه قال يعني بذلك الامامة جعلها الله في عقب الحسين الى يوم القيمة فقلت يا ابن رسول الله فكيف
صارت الامامة في ولد الحسين عم دون ولد الحسن وهما جميعا ولدا رسول الله صلعم وسبطاه وسيدا شباب
اهل الجنة فقال ان موسى وهرون كانا نبيين مرسلين اخوين فجعل الله النبوة في ولد هرون دون صلب موسى ولم يكن
لاحد ان يقول لم فعل ذلك وان الامامة خلافة الله عز وجل ليس لاحد ان يقول لم جعلها في صلب الحسين دون صلب
الحسن لان الله عز وجل هو الحكيم في افعاله لا يسال عما يفعل وهم يسالون وقال الشيخ ابو جعفر بن بابويه رحمه الله
ولقوله تعالى واذ ابتلى ابرهيم ربه بكلمات وجه اخر ان الابتلاء على ضربين احدهما مستحيل على الله تعالى والاخر جايز
فالمستحيل هو ان يختبره ما يكشف الايام عنه وهذا ما لا يصح لانه سبحانه علام الغيوب والاخر ان يبتليه حتى يصبر
فيما يبتليه به فيكون ما يعطيه من العطاء على سبيل الاستحقاق ولينظر اليه الناظر فيقتدي به فيعلم من حكمة الله عز وجل
انه لم يكل اسباب الامامة الى الكافي المستقل وكشفت الايام عنه واما الكلمات فمنها ما ذكرناه ومنها اليقين وذلك قول
الله عز وجل وليكون من الموقنين ومنها المعرفة بالتوحيد والتنزيه عن التشبيه حين نظر الى الكوكب والقمر والشمس ومنها
الشجاعة وبدلالة قوله فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم ومقاومته وهو واحد الوفا من اعداء الله تعالى ومنها الحلم وقد
تضمنه قول الله عز وجل ان ابرهيم لاواه منيب ومنها السخاء ويدل عليه قوله هل اتاك حديث ضيف ابرهيم المكرمين

ثم العزلة عن العشيرة وقد تضمنه قوله واعتزلكم وما تدعون من دون الله ثم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وبيان
ذلك في قوله يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا الآيات ثم دفع السيئة بالحسنة في جوابه
لئن لم تنته لارجمنك واهجرني مليا قال سلام عليك ساستغفر لك ربي انه كان بي حفيا ثم التوكل وبيان ذلك
في قوله الذي خلقني فهو يهدين الى اخر الآيات ثم المحنة في النفس حين جعل في المنجنيق وقذف به في النار ثم المحنة في
الولد حين امر بذبح ابنه اسمعيل عم ثم المحنة في الاهل حين خلص الله حرمته من عبا القبطي في الخبر المشهور ثم
الصبر على سوء خلق سارة ثم استقصار النفس في الطاعة بقوله ولا تخزني يوم يبعثون ثم النزاهة في قوله ما كان
ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا الآية ثم الجمع لشروط الطاعات في قوله ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي الى قوله
وانا من المسلمين ثم استجابة الله دعوته حين قال رب ارني كيف تحيي الموتى الآية ثم اصطفاه الله سبحانه اياه في
الدنيا ثم شهادته له في العاقبة انه من الصالحين في قوله ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الاخرة لمن الصالحين
ثم اقتداء من بعده من الانبياء في قوله ووصى بها ابرهيم بنيه ويعقوب يا بني ان الله اصطفى لكم الدين الآية وفي
قوله ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابرهيم حنيفا انتهى كلام الشيخ ابي جعفر رحمه الله تعالى فاتمهن معناه وفى بهن
في قول الحسن وعمل بهن على التمام في قول قتادة والضمير في اتمهن عايد الى الله في قول ابي القاسم البلخي وهو اختيار
الحسين بن علي المغربي وقال البلخي الكلمات هي الامامة على ما قال مجاهد قال لان الكلام متصل ولم يفصل بين
قوله اني جاعلك للناس اماما وبين ما تقدمه بواو العطف واتمهن الله بان اوجب بها الامامة له بطاعته
واضطلاعه بما ابتلاه وقوله قال اني جاعلك للناس اماما معناه قال الله اني جاعلك للناس اماما يهتدى بك
في افعالك واقوالك لان المستفاد من لفظ الامام امران احدهما انه المقتدى في افعاله واقواله والثاني انه الذي
يقوم بتدبير الامة وسياستها والقيام بامورها وتاديب جناتها وتولية ولاتها واقامة الحدود على مستحقيها ومحاربة
من يكيدها ويعاديها فعلى الوجه الاول لا يكون نبي الا وهو امام وعلى الوجه الثاني لا يجب في كل نبي ان يكون اماما ويجوز
ان لا يكون مامورا بتاديب الجناة ومحاربة العداة والدفاع عن حوزة الدين ومجاهدة الكافرين فلما ابتلى الله
سبحانه ابرهيم بالكلمات فاتمهن جعله اماما للانام جزاء له على ذلك والدليل عليه ان قوله جاعلك عمل في قوله اماما
واسم الفاعل اذا كان بمعنى الماضي لا يعمل عمل الفعل ولو قلت انا ضارب زيد امس لم يجز فوجب ان يكون المراد انه جعله
اماما اما في الحال او الاستقبال والنبوة كانت حاصلة له قبل ذلك وقوله قال ومن ذريتي اي واجعل من
ذريتي من يوشح بالامامة ويرشح بهذه الكرامة وقيل انما قال ذلك على جهة التعرف ليعلم هل يكون في عقبه ائمة
يهتدى بهم والاولى ان يكون على وجه السؤال من الله تعالى ان يجعلهم كذلك وقوله قال لا ينال عهدي الظالمين
قال مجاهد العهد هو الامامة وهو المروي عن الباقر عم وابي عبد الله عم اي لا يكون الظالم اماما للناس فهذا
يدل على انه يجوز ان يعطى ذلك بعض ولده اذا لم يكن ظالما لانه لو لم يكن اماما للناس لوجب ان يقول في الجواب
لا او لا ينال عهدي الظالمون لان ما قيد بالنية فقد تلته وروى ذلك في قراءة ابن مسعود واستدل اصحابنا بهذه
الآية على ان الامام لا يكون الا معصوما عن القبايح لان الله سبحانه نفى ان ينال عهده الذي هو الامامة ظالم ومن ليس
بمعصوم فقد يكون ظالما اما لنفسه واما لغيره فان قيل انما نفى ان يناله ظالم في حال ظلمه واذا تاب لا يسمى ظالما فيصح
ان يناله فالجواب ان الظالم وان تاب فلا يخرج من ان يكون الآية قد تناولته في حال كونه ظالما فاذا نفى ان
يناله فقد حكم عليه بانه لا ينالها والآية مطلقة غير مقيدة بوقت دون وقت فيجب ان تكون محمولة على الاوقات كلها فلا
ينالها الظالم وان تاب فيما بعد قوله عز وجل واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا واتخذوا من مقام ابرهيم
مصلى وعهدنا الى ابرهيم واسمعيل ان طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود الآية القراءة قرء

نافع وابن عامر واتخذوا مفتوحة الخاء وقرأ الباقون واتخذوا مكسورة الخاء الحجة من قرأ بكسر الخاء فانه على الامر والالزام
ويكون عطفا على قوله يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي ويجوز ان يكون عطفا على قوله واذ جعلنا البيت مثابة للناس
من طريق المعنى لان معناه ثوبوا واتخذوا ومن قرأ بالفتح عطفه على ما تقدم من الفعل الذي اضيف اليه
اذ فكانه قال واذ اتخذوا اللغة البيت والماوى والمنزل نظائر والبيت من ابيات الشعر سمي بذلك
لضمه الحروف والكلام كما يضم البيت من بيوت الناس اهله والبيت من بيوتات العرب وهي احياؤها
وامراة الرجل بيته قال الراجز ما لي اذا اجذبها صأيت اكبر قد عالني ام بيت الاعراب المثابة هاهنا الموضع الذي
يثاب اليه من ثاب يثوب مثابة ومثابا وثوبا اذا رجع قال ورقة بن نوفل في صفة الحرم مثاب لافناء القبائل
كلها تخب اليها اليعملات الطلائح ومنه ثاب اليه عقله اذا رجع بعد عزوبه واصل مثابة مثوبة نقلت حركة
الواو الى الثاء ثم قلبت الفا على ما قبلها وقيل ان التاء فيه للمبالغة كما قيل نسابة وقيل ان معناهما واحد كمقام
ومقامة قال زهير وفيهم مقامات حسان وجوهها واندية ينتابها القول والفعل وجمع المقام مقاوم قال الشاعر
واني لقوام مقاوم لم يكن جرير ولا مولى جرير يقومها والطائف والحائل والدائر نظائر ويقال طاف يطوف طوفا
اذا دار حول الشيء واطاف اطافة اذا الم به واطاف اذا احاط به والطائف العاس والطوافون المماليك
والطائف طائف الجن والشيطان وهو كل شيء يغشى القلب من وسواسه وهو طيف ايضا والعاكف المقيم على
شيء اللازم له وعكف يعكف عكفا وعكوفا قال النابغة عكوف على ابياتهم يثمدونها رمى الله في تلك الاكف الكوانع
والعاكف المعتكف في المسجد وقل ما يقولون عكف وانما يقولون اعتكف والركع جمع الراكع والسجود
جمع الساجد وكل فعل مصدره على فعول جار في جمع الفاعل منه ان يكون على فعول كالركوع والقعود والسجود
ونحوها المعنى واذ جعلنا عطف على قوله واذ ابتلى وذلك معطوف على قوله يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي و البيت
الذي جعله مثابة هو البيت الحرام وهو الكعبة وروي انه انما سمي البيت الحرام لانه حرم على المشركين ان يدخلوه
وسمي الكعبة لانها مربعة وصارت مربعة لانها بحذاء البيت المعمور وهو مربع وصار البيت المعمور مربعا لانه
بحذاء العرش وهو مربع وصار العرش مربعا لان الكلمات التي بني عليها الاسلام اربع وهي سبحان الله والحمد لله
ولا اله الا الله والله اكبر وقوله مثابة للناس ذكر فيه وجوه فقيل ان الناس يثوبون اليه كل عام اي ليس هو مرة
في الزمان فقط على الناس عن الحسن وقيل معناه لا ينصرف عنه احد وهو يرى انه قد قضى منه وطره فهم يعودون
اليه عن ابن عباس وقد ورد في الخبر ان من رجع من مكة وهو ينوي الحج من قابل زيد في عمره ومن خرج من مكة
وهو لا ينوي العود اليها فقد قرب اجله وقيل معناه يحجون اليه فيثابون عليه وقيل مثابة معاذا وملجأ وقيل
مجمعا والمعنى في الكل يؤول الى انهم يرجعون اليه مرة بعد مرة وقوله وامنا اراد موضع امن وانما جعله
الله امنا بان حكم بان من عاذ به والتجأ اليه لا يخاف على نفسه ما دام فيه وبما جعل في نفوس العرب من تعظيمه
حتى كانوا لا يتعرضون من فيه فهو امن على نفسه وماله وان كانوا يتخطفون الناس من حوله ولعظم حرمته
لا يقام في الشرع الحد على جان جنى جناية فالتجأ اليه والى الحرم ولكن يضيق عليه في المطعم والمشرب والبيع والشراء
حتى يخرج فيقام عليه الحد فان احدث فيه ما يوجب الحد اقيم عليه الحد فيه لانه هتك حرمة الحرم فهو
امن من هذا الوجه وكان قبل الاسلام يرى الرجل قاتل ابيه في الحرم فلا يتعرض له وهذا شيء كانوا قد توارثوه
من دين اسماعيل ع فبقوا عليه الى ايام الاسلام وقوله واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى قال ابن عباس
الحج كله مقام ابرهيم وقال عطا مقام ابرهيم عرفة والمزدلفة والجمار وقال مجاهد الحرم كله مقام ابرهيم
وقال الحسن وقتادة والسدي هو الصلوة عند مقام ابرهيم امرنا بالصلوة عنده بعد الطواف وهو

المروي عن الصادق ع وقد سئل عن الرجل يطوف بالبيت طواف الفريضة وقد نسي ان يصلي ركعتين عند
مقام ابرهيم ع فقال يصليهما ولو بعد ايام ان الله تعالى قال واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى وهذا هو الظاهر لان
مقام ابرهيم ان اطلق لا يفهم منه الا المقام المعروف الذي هو في المسجد الحرام وفي المقام دلالة ظاهرة
على نبوة ابرهيم ع فان الله جعل الحجر تحت قدمه كالطين حتى دخلت قدمه فيه فكان في ذلك معجزة له وروي
عن ابي جعفر الباقر ع انه قال نزلت ثلاثة احجار من الجنة مقام ابرهيم وحجر بني اسرائيل والحجر الاسود استودعه
الله ابرهيم ع حجرا ابيض وكان اشد بياضا من القراطيس فاسود من خطايا بني آدم القصة قال ابن عباس
قال لما اتى ابرهيم ع باسمعيل وهاجر فوضعهما بمكة واتت على ذلك مدة ونزلها الجرهميون وتزوج اسمعيل
امراة منهم وماتت هاجر واستاذن ابرهيم ع سارة ان ياتي هاجر فاذنت له وشرطت عليه ان لا ينزل فقدم
ابرهيم ع وقد ماتت هاجر فذهب الى بيت اسماعيل فقال لامراته اين صاحبك قالت ليس هنا ذهب يتصيد
وكان اسماعيل يخرج من الحرم فيتصيد ثم يرجع فقال لها ابرهيم هل عندك ضيافة قالت ليس عندي
شيء وما عندي احد فقال لها ابرهيم اذا جاء زوجك فاقرئيه السلام وقولي له فليغير عتبة بابه فذهب
ابرهيم ع فجاء اسماعيل فوجد ريح ابيه فقال لامراته هل جاءك احد قالت جاءني شيخ صفته كذا وكذا كالمستخفة
بشانه قال فما قال لك قالت قال لي اقرئي زوجك السلام وقولي له فليغير عتبة بابه فطلقها وتزوج اخرى
فلبث ابرهيم ما شاء الله ان يلبث ثم استاذن سارة ان يزور اسماعيل فاذنت له وشرطت عليه ان لا ينزل
فجاء ابرهيم حتى انتهى الى باب اسمعيل فقال لامراته اين صاحبك قالت ذهب يتصيد وهو يجيء الآن ان شاء الله
فانزل يرحمك الله فقال لها هل عندك ضيافة قالت نعم فجاءت باللبن واللحم فدعا لهما بالبركة فلو جاءت يومئذ
بخبز او بر او شعير او تمر لكان اكثر ارض الله برا وشعيرا وتمرا فقالت له انزل حتى اغسل راسك فلم ينزل فجاءت بالمقام
فوضعته عن شقه الايمن فوضع قدمه عليه فبقي اثر قدمه عليه فغسلت شق راسه الايمن ثم حولت المقام
الى شقه الايسر فغسلت شق راسه الايسر فبقي اثر قدمه عليه فقال لها اذا جاء زوجك فاقرئيه السلام وقولي
له قد استقامت عتبة بابك فلما جاء اسمعيل ع وجد ريح ابيه فقال لامراته هل جاءك احد قالت نعم شيخ احسن الناس
وجها واطيبهم ريحا فقال لي كذا وكذا وقلت له كذا وكذا وغسلت راسه وهذا موضع قدميه على المقام قال لها
اسمعيل ذاك ابرهيم ع وقد روى هذه القصة بعينها علي بن ابرهيم عن ابن ابي عمير عن الصادق ع وان اختلف
بعض الفاظه وقال في آخرها اذا جاء زوجك فقولي له قد جاء هاهنا شيخ وهو يوصيك بعتبة بابك خيرا قال فاكب
اسمعيل على المقام يبكي ويقبله وفي رواية اخرى عنهم ان ابرهيم استاذن سارة ان يزور اسمعيل فاذنت له ان
لا يلبث عنها ولا ينزل عن حماره فقيل له كيف كان ذلك فقال ان الارض طويت له وروى عبد الله بن عمر عن
النبي صلى الله عليه وآله قال الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله نورهما ولولا ان نورهما
طمس لاضاءا ما بين المشرق والمغرب وقوله مصلى فيه اقوال قيل مدعى من صليت اي دعوت عن مجاهد
وقيل مصلى عن الحسن وقيل موضع صلوة امرنا ان نصلي عنده عن قتادة والسدي وهذا هو المروي عن ائمتنا ع
واستدل اصحابنا به على ان الصلوة الطواف فريضة مثل الطواف لان الله تعالى امر به وظاهر الامر يقتضي
الوجوب ولا صلوة واجبة عند مقام ابرهيم غير صلوة الطواف بلا خلاف وقوله وعهدنا الى ابرهيم واسمعيل اي
امرناهما والزمناهما ان طهرا بيتي اي قلنا لهما طهرا بيتي لان هذه المفسرة التي تكون عبارة عن القول اذ صاحب
من الالفاظ ما يتضمن معنى القول كقوله سبحانه هاهنا وذكر في التطهير هنا وجوه احدها ان المراد طهراه من
الفرث والدم الذي كان يطرحه المشركون عند البيت قبل ان يصير في يد ابرهيم واسمعيل عن الجبائي وثانيها ان

ان المراد طهراه من الاصنام التي كانوا يعلقونها على باب البيت قبل ابرهيم ع عن مجاهد وقتاده وثالثها
ان المراد طهر ابنياه بناءا على الطهارة كما قال سبحانه افمن اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خ واما اضاف
البيت الى نفسه تفضيلا له على ساير البقاع وتمييزا وتخصيصا وقوله للطائفين والعاكفين اكثر المفسرين على
ان الطائفين هم الدائرون حول البيت والعاكفون هم المجاورون للبيت وقال سعيد بن جبير ان الطائفين
الطارئون على مكة من الآفاق والعاكفين هم المقيمون فيها وقال ابن عباس العاكفون المصلون والاول اصح
لانه المفهوم من اطلاق اللفظ وقوله والركع السجود قيل هم المصلون عند البيت يركعون ويسجدون عن
قتاده وقيل هم المسلمون لان من شان المسلمين الركوع وعن الحسن وعطا اذا طاف به فهو من الطائفين
واذا جلس فهو من العاكفين واذا صلى فهو من الركع السجود وقال رسول الله صلى الله عليه وآله ان لله عز وجل في
كل يوم وليلة عشرين ومائة رحمة ينزل على هذا البيت ستون منها للطائفين واربعون للمصلين وعشرون
للناظرين قوله عز وجل واذ قال ابرهيم رب اجعل هذا البلد آمنا وارزق اهله من الثمرات من آمن
منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار وبئس المصير آية
القراءة قرا ابن عامر فامتعه بسكون الميم خفيفة من امتعت والباقون بالتشديد وفتح الميم من متعت وروي
في الشواذ عن ابن عباس فامتعه قليلا ثم اضطره على الدعاء من ابرهيم ع وعن ابن محيصن ثم اطره بادغام الضاد
في الطاء الحجة قال ابو علي التشديد في امتعه اولى لان التنزيل عليه قال سبحانه متعناهم متاعا حسنا وكمن متعناه متاع
الحيوة الدنيا ووجه قراءة ابن عامر ان امتع لغة قال الراعي خليلين من شعبين شتى تجاورا قديما وكانا
بالتفرق امتعا قال ابو زيد امتعت بالشيء اذا تمتعت به فاما قراءة ابن عباس فامتعه فيحتمل امرين عن ابن جني احدهما ان
يكون الضمير في قال لابرهيم اي قال ابرهيم ايضا ومن كفر فامتعه يا رب وحسن اعادة قال لطول الكلام وثم
انتقل من الدعاء لقوم الى الدعاء على آخرين والآخر ان يكون الضمير في قال لله تعالى اي فامتعه يا خالق او يا اله
خاطب بذلك نفسه عز وجل فجرى ذلك على ما يعتاده العرب من امر الانسان نفسه كقول الاعشى ودع هريرة
ان الركب مرتحل وهل تطيق وداعا ايها الرجل اللغة البلد والمصر والمدينة نظاير واصله من قولهم للبعير
بلدة كركرة لانه اذا برك تأثرت والاضطرار هو الفعل في الغير على وجه لا يمكنه الانفكاك منه اذا كان من جنس مقدوره
ولهذا لا يقال فلان مضطر الى لونه وان كان لا يمكنه دفعه عن نفسه لما لم يكن اللون من جنس مقدوره
ويقال هو مضطر الى حركة الفالج وحركة العروق لما كانت الحركة من جنس مقدوره والمصير الحال التي يؤدي اليها اولها
وصار وحال وآل نظاير وصير كل امر مصيره وصير الباب شقه وفي الحديث من نظر في صير باب فقد دمر وصيور
الامر آخره الاعراب قوله من آمن محله نصب لانه بدل من اهله وهو بدل البعض من الكل كما تقول اخذت المال ثلثه
وجعلت متاعك بعضه على بعض وقوله ومن كفر يجوز ان يكون موصولا وصلته في موضع الرفع على الابتداء
ويجوز ان يكون من اسماء الشرط في موضع رفع بالابتداء وكفر شرطه فامتعه الفاء وما بعده جزاء ومعنى حرف
الشرط الذي يتضمنه من مع الشرط والجزاء في موضع خبر المبتدا وعلى القول الاول فالفاء وما بعده خبر المبتدا وبئس المصير
وفاعله في موضع الرفع لانه خبر مبتدا محذوف تقديره وبئس المصير النار او العذاب وانتصب قليلا على وجهين
احدهما ان يكون صفة للمصدر نحو قوله متاعا حسنا قال سيبويه ترى الرجل يعالج شيئا فتقول رويدا اي علاجا
رويدا وانما وصفه بالقلة مع ان التمتع يدل على التكثير من حيث كان الى نفاد ونقص وتناه لقوله سبحانه قل متاع
الدنيا قليل والثاني ان يكون وصفا للزمان اي زمانا قليلا ويدل عليه قوله سبحانه عما قليل ليصبحن نادمين وتقديره
بعد زمان قليل كما تقول عرق عن الحمى واطعم عن جوع اي بعد الحمى وبعد الجوع المعنى واذكر اذ قال ابرهيم رب

رب اجعل هذا اي هذا البلد يعني مكة بلدا آمنا اي ذا امن كما يقال بلد اهل اي ذو اهل وقيل معناه يامنون فيه
كما يقال ليل نائم اي ينام فيه قال ابن عباس يريد حرما محرما لا يصاد طيره ولا يقطع شجره ولا يختلى خلاه والى هذا
المعنى يؤول ما روي عن الصادق ع من قوله من دخل المسجد الحرام مستجيرا به فهو آمن من سخط الله عز وجل
ومن دخله من الطير فهو آمن من ان يهاج او يؤذى حتى يخرج من الحرم وقال رسول الله صلى الله عليه وآله
يوم فتح مكة ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض فهي حرام الى ان تقوم الساعة لم تحل لاحد من
بعدي ولم تحل لي الا ساعة من النهار فهذا الخبر وامثاله المشهورة في روايات اصحابنا يدل على ان الحرم
كان آمنا قبل دعوة ابرهيم ع وانما تاكدت حرمته بدعائه ع وقيل قبل ذلك كان كساير البلاد واستدل
عليه بقول النبي صلى الله عليه وآله ان ابرهيم حرم مكة واني حرمت المدينة وقيل كانت مكة حراما قبل الدعوة
بوجه غير الوجه الذي صارت به حراما بعد الدعوة فالاول بمنع الله اياها من الاصطلام والانتفال كما لحق ذلك
غيرها من البلاد وبما جعل في النفوس من تعظيمها والهيبة لها والثاني بالامر بتعظيمها على السنة
الرسل فاجابه الله تعالى الى ما سال وانما سال ان يجعلها آمنا من الجدب والقحط لانه اسكن اهله بواد غير ذي
زرع ولا ضرع ولم يسأله امنها من الانتفال والخسف الذي كان حاصلا لها وقيل انه ع سال الامرين
على ان يديمهما وان كان احدهما مستأنفا والآخر قد كان قبل وقوله وارزق اهله من الثمرات اي اعط من
انواع الرزق والثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر سال لهم الثمرات ليجتمع لهم الامن والخصب فيكونوا
في رغد من العيش وروي عن ابي جعفر ع ان المراد بذلك ان الثمرات تحمل اليهم من الآفاق وروي عن الصادق ع
قال انما هي ثمرات القلوب اي حببهم الى الناس ليثوبوا اليهم وانما خص بذلك من آمن بالله لان الله تعالى
قد اعلمه انه يكون في ذريته الظالمون في جواب مسئلته اياه لذريته الامامة بقوله لا ينال عهدي الظالمين
فخص بالدعاء في الرزق المؤمنين تادبا بادب الله تعالى وقيل انه ع ظن انه اذا دعا للكفار بالرزق يكثرون
بمكة ويفسدون فربما يصدون الناس عن الحج فخص الدعاء باهل الايمان وقوله قال ومن كفر فامتعه قليلا
اي قال الله سبحانه قد استجيبت دعوتك فيمن آمن منهم ومن كفر فامتعه بالرزق الذي ارزقه الى وقت
مماته وقيل معناه فامتعه بالبقاء في الدنيا وقيل فامتعه بالامن والرزق الى خروج محمد صلعم فيقتله ان اقام
على كفره او يجليه عن مكة عن الحسن ثم اضطره الى عذاب النار اي ادفعه الى النار واسوقه اليها وبئس
المصير اي المرجع والماوى والمآل قوله عز وجل واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت واسمعيل ربنا تقبل منا انك انت
السميع العليم آية اللغة الرفع والاعلاء والاصعاد نظاير ونقيض الرفع الوضع ونقيض الاصعاد الاحدار
تقول رفع يرفع رفعا وارتفع الشيء نفسه والمرفوع من عدو الفرس دون الحضر وفوق الموضوع تقول
ارفع من دابتك والرفع نقيض الخفض في كل شيء والرفعة نقيض الذلة والقواعد والاساس والاركان
نظاير وواحد القواعد قاعدة واصله في اللغة الثبوت والاستقرار ومن ذلك القاعدة من الجبل وهي
اصله وقاعدة البنا اساسه الذي بني عليه وامراة قاعدة اذا اتت عليها ستون سنة لم تتزوج واذا اريد
المراة والنخلة قد قعدت فهي قاعدة وجمعها قواعد وتاويله انها قد نسبت على ترك الحمل واذا قعدت
عن الحيض فهي قاعد بغير هاء لانه لاحظ لها في قعودها عن الحيض وقعدت المرأة اذا اتت باولاد لئام فهي
قاعدة وقيل في ان واحدة النساء القواعد قاعد قولان احدهما انه من الصفات المختصة بالمؤنث نحو
الطالق والحايض فلم يحتج الى علامة التانيث والآخر هو الصحيح ان ذلك على معنى النسبة اي ذات قعود كما يقال
نابل ودارع اي ذو نبل وذو درع ولا يراد بذلك بناء الفعل الاعراب من البيت الجار والمجرور يتعلق بيرفع والحذو

فيكون في محل النصب على الحال وذو الحال القواعد موضع الجملة من قوله ربنا تقبل منا نصب بقول محذوف
كانه قال يقولان ربنا تقبل منا واتصل بما قبله لانه تمام الحال يقولان في موضع الحال المعنى ثم بين سبحانه كيف
بنى ابرهيم البيت فقال واذ يرفع ابرهيم القواعد وتقديره واذكر اذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت اى اصول
البيت التى كانت قبل ذلك عن ابن عباس وعطا قالا قد كان آدم ع قد بناها ثم عفى اثره فجدده ابرهيم
وهذا هو المروى عن ائمتنا ع وقال مجاهد بل انشاه ابرهيم بامر الله عز وجل وكان الحسن يقول اول من حج
البيت ابرهيم وفى روايات اصحابنا اول من حج البيت آدم وذلك يدل على انه كان قبل ابرهيم ع وروى عن الباقر ع
انه قال ان الله تع وضع تحت العرش اربع اساطين وسماه الضراح وقال للملائكة طوفوا به ثم بعث ملائكة فقال ابنوا
فى الارض بناء بمثاله وقدره وامر من فى الارض ان يطوفوا بالبيت وفى كتاب العياشى باسناده عن الصادق ع
قال ان الله انزل الحجر الاسود من الجنة لآدم ع وكان البيت درة بيضاء فرفعه الله الى السماء وبقى اساسه وهو
حيال هذا البيت وقال يدخله كل يوم سبعون الف ملك لا يرجعون اليه ابدا فامر الله سبحانه ابرهيم واسمعيل
ان يبنيا البيت على القواعد وعن امير المومنين ع ان اول شى نزل من السما الى الارض هو البيت الذى
بمكة انزله الله ياقوتة حمراء ففسق قوم نوح فى الارض فرفعه وقوله اسمعيل اى يرفع ابرهيم واسمعيل اساس
الكعبة يقولان ربنا تقبل منا وفى حرف عبد الله بن مسعود يقولان تقبل منا ومثل قوله سبحانه والملائكة
يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم اى يقولون سلام عليكم والملائكة باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم
اى يقولون وقال بعضهم تقديره يقول ربنا انزل برده الى ابرهيم ع قال كان ابرهيم وحده رفع القواعد من
البيت وكان اسمعيل صغيرا فى وقت رفعها وهو شاذ غير مقبول لشذوذه فان الصحيح ان ابرهيم واسمعيل
كانا بنيا الكعبة جميعا وقيل كان ابرهيم يبنى واسمعيل يناوله الحجر فوصفا بانهما رفعا البيت عن ابن
عباس وفى قوله ربنا تقبل منا دليل على انهما بنيا الكعبة مسجدا لا مسكنا لانهما التمسا الثواب عليه والثواب
انما يطلب على الطاعة ومعنى تقبل منا اثبنا على عمله وهو شبه بقبول الهداية فان الملك اذا قبل الهدية
من انسان اثابه على ذلك وقوله انك انت السميع العليم اى انت السميع لدعائنا العليم بنا وبما يصلحنا وروى عن
الباقر ع ان اسمعيل اول من شق لسانه بالعربية وكان ابوه يقول له وهما يبنيان البيت يا اسمعيل هابى ابن اى
اعطنى حجرا فيقول له اسمعيل بالعربية يا ابه هاك حجرا فابرهيم يبنى واسمعيل يناوله وفى هذه دلالة على ان الدعاء
عند الفراغ من العبادة مرغب مندوب اليه كما فعله ابرهيم واسمعيل قصه هاجر واسمعيل و هما روى على بن
ابرهيم بن هاشم عن ابيه عن النضر بن سويد عن هشام عن الصادق عليه السلم قال ان ابرهيم كان
نازلا فى بادية الشام فلما ولد من هاجر اسمعيل غمت ساره من ذلك غما شديدا لانه لم يكن منها ولد
فكانت تؤذى ابرهيم فى هاجر وتغمه فشكا ابرهيم ذلك الى الله عز وجل فاوحى الله اليه انما مثل المراة
مثل الضلع المعوج ان تركته استمتعت به وان رمت ان تقيمه كسرته وقد قال القايل فى ذلك هى الضلع
العوجاء لست تقيمها الا ان تقويم الضلوع انكسارها ثم امره ان يخرج اسمعيل وامه عنها فقال اى رب
الى اى مكان قال الى حرمى وامنى واول بقعة خلقتها من ارضى وهى حرم مكة وانزل عليه جبرئيل بالبراق
فحمل هاجر واسمعيل وابرهيم فكان ابرهيم لا يمر بموضع حسن فيه شجر ونخل وزرع الا قال يا جبرئيل الى هاهنا
فيقول جبرئيل لا امض حتى وافى مكة فى موضع البيت وقد كان ابرهيم عاهد ساره ان لا ينزل حتى يرجع اليها
فلما نزلوا فى ذلك المكان كان فيه شجر فالقت هاجر على ذلك الشجر كساء كان معها فاستظلت تحته فلما
سرحهم ابرهيم واراد الانصراف عنهم الى ساره قالت له هاجر لم تدعنا فى هذا الموضع الذى ليس فيه انيس

ولا ماء ولا شجر ولا زرع فقال ابرهيم ع ربى الذى امرنى ان اضعكم فى هذا المكان ثم انصرف عنهم فلما بلغ كدى
وهو جبل بذى طوى التفت اليهم ابرهيم فقال رب انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع الى قوله يشكرون ثم
مضى وبقيت هاجر فلما ارتفع النهار عطش اسمعيل فقامت هاجر فى الوادى حتى صارت فى موضع المسعى
فنادت هل فى الوادى من انيس فغاب عنها اسمعيل فصعدت على الصفا ولمع لها السراب فى الوادى فظنت
انه ماء فنزلت فى بطن الوادى وسعت فلما بلغت المسعى غاب عنها اسمعيل ثم لمع لها السراب فى ناحية الصفا
وهبطت الى الوادى تطلب الماء فلما غاب عنها اسمعيل عادت حتى بلغت الصفا فنظرت الى اسمعيل حتى فعلت
ذلك سبع مرات فلما كان فى الشوط السابع وهى على المروة نظرت الى اسمعيل وقد ظهر الماء من تحت
رجليه فعدت حتى جمعت حوله رملا وانه كان سائلا فزمته بما جعلت حوله فلذلك سميت زمزم وكانت
جرهم نازلة بذى المجاز وعرفات فلما ظهر الماء بمكة عطفت الطير والوحوش على الماء فنظرت جرهم الى تعكف
الطير على ذلك المكان فاتبعوها حتى نظروا الى امراة وصبى نزول فى ذلك الموضع قد استظلوا بالشجرة قد ظهر
الماء فقالوا لهاجر من انت وما شانك وشان هذا الصبى قالت انا ام ولد ابرهيم خليل الرحمن وهذا ابنه امره
الله ان نزلنا هاهنا اتاذنين ان نكون بالقرب منكم قالت حتى اسال ابرهيم فلما زارها ابرهيم يوم الثالث فقالت
له هاجر يا خليل الله ان هاهنا قوما من جرهم يسالونك ان تاذن لهم حتى يكونوا بالقرب منا افتاذن لهم فى ذلك
فقال ابرهيم نعم فاذنت هاجر لجرهم فنزلوا بالقرب منهم وضربوا خيامهم وانست هاجر واسمعيل بهم فلما زارهم
ابرهيم فى المرة الثانية ونظر الى كثرة الناس حولهم سر بذلك سرورا شديدا فلما تحرك اسمعيل وكانت جرهم
قد وهبوا الى اسمعيل كل واحد منهم شاة وشاتين فكانت هاجر واسمعيل يعيشان بها فلما بلغ مبلغ الرجال امر الله
تعالى ابرهيم ان يبنى البيت فقال يا رب فى اى بقعة قال فى البقعة التى انزلت على آدم القبة فاضاءت
الحرم قال ولم تزل القبة التى انزلها الله تع على آدم قائمة حتى كان ايام الطوفان فى زمن نوح ع فلما غرقت
الدنيا رفع الله تلك القبة فغرقت الدنيا ولم تغرق مكة فسمى البيت العتيق لانه اعتق من الغرق فلما امر الله عز وجل
ابرهيم ان يبنى البيت لم يدر فى اى مكان يبنيه فبعث الله عز وجل جبرئيل فخط له موضع البيت وانزل عليه القواعد
من الجنة وكان الحجر الذى انزله الله تع على آدم اشد بياضا من الثلج فلما مسته الكفار اسود قال فبنى ابرهيم البيت
ونقل اسمعيل الحجر من ذى طوى فرفعه فى السماء تسعة اذرع ثم دله على موضع الحجر فاستخرجه فوضعه ابرهيم فى الموضع
الذى هو فيه وجعل له بابين بابا الى المشرق وبابا الى المغرب فالباب الذى الى المغرب يسمى المستجار ثم القى
عليه الشجر والاذخر وعلقت هاجر على بابه كساء كان معها وكانوا يكونون تحته فلما بناه فرغ حج ابرهيم واسمعيل
ونزل عليهما جبرئيل يوم التروية لثمان خلت من ذى الحجة فقال يا ابرهيم قم فارتو من الماء لانه لم يكن بمنى وعرفات
ماء فسميت التروية لذلك ثم اخرجه الى منى فبات بها ففعل به مثل ما فعل بآدم فقال ابرهيم ع لما فرغ
من بناء البيت رب اجعل هذا البلد آمنا وارزق اهله من الثمرات الآية قوله عز وجل ربنا واجعلنا مسلمين
لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك وارنا مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم آية القراءة قرا ابن كثير ارنا با سكان
الراء كل القرآن وافقه ابن عامر وابو بكر عن عاصم فى السجدة ربنا ارنا اللذين وقرا ابو عمرو باختلاس
كسرة الراء من غير اشباع كل القرآن والباقون بالكسر الحجة الا حتيار كسرة الراء لان كسرة الهمزة حولت
الى الراء لان اصله ارئنا فنقلت الكسرة الى الراء وسقطت الهمزة ولان فى اسكان الراء بعد سقوط الهمزة
اجحافا بالكلمة وابطالا للدلالة على الهمزة ومن سكنه فعلى وجه التشبيه بما يسكن فى مثل فخذ وكبد ونحو قول
الشاعر لو عصر منه البان والمسك انعصر قالت سليمى اشتر لنا سويقا واشتر وعجل خادما لبقا واما

الاختلاس فلطلب الخفة وبقاء الدلالة على حذف الهمزة اللغة الاسلام هو الانقياد لامر الله تعالى بالخضوع والاقرار
بجميع ما اوجب الله وهو والايمان واحد عندنا وعند المعتزلة وفي الناس من قال بينهما فرق ويبطله قوله سبحانه ان الدين
عند الله الاسلام ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه والمناسك ههنا المتعبدات قال الزجاج كل متعبد منسك
والنسك في اللغة العبادة ورجل ناسك عابد وقد نسك نسكا والنسك تعالى من فعل كذا فعليه نسك اي دم يهريقه
والنسيكة الذبيحة والمنسك الذي يذبح فيه النسائك والمنسك ايضا هو النسك قال الله سبحانه لكل امة جعلنا
منسكا قال ابن دريد النسك اصله ذبائح كانت تذبح في الجاهلية والنسيكة شاة كانوا يذبحونها في المحرم في الاسلام
ثم نسخ ذلك بالاضاحي قال الاعشى وذا النصب المنصوب لا تنسكنه ولا تعبد الشيطان والله فاعبدا قال ابو علي
الفسوي المناسك جمع منسك وهو المصدر جمع لاختلاف ضروبه الاعراب اللام في لك يتعلق بمسلمين ومن
ذريتنا من فيه يتعلق بمحذوف تقديره واجعل من ذريتنا الجار والمجرور مفعول اجعل وامة مفعول ثان لاجعل
وارنا يحتمل وجهين احدهما ان يكون منقولا من رايت الذي هو بمعنى ادراك البصر نقلت الهمزة فعدت
الى مفعولين والتقدير حذف المضاف لانه ارنا مواضع مناسكنا اي عرفناها المعنى نسكنا فيها وذلك نحو
محل الاحرام والموقف بالعرفات وموضع الطواف فهذا من رايت الموضع وارينه اياه والآخر ان يكون منقولا
من نحو قولهم فلان يرى راي الخوارج فيكون معناه علمنا مناسكنا ومثله قول الشاعر اريني جوادا مات
هزلا لعلني ارى ما ترين او بخيلا مخلدا اراد دلني ولم يرد به العين المعنى ثم ذكر تمام دعائهما عليهما السلام
فقال سبحانه ربنا واجعلنا مسلمين لك اي قالا ربنا واجعلنا مسلمين لك في مستقبل عمرنا كما جعلتنا مسلمين
في ماضي عمرنا بان توفقنا وتفعل بنا الالطاف التي تدعونا الى الثبات على الاسلام ويجري ذلك مجرى ان يؤدب
احد ولده ويعرضه لذلك حتى صار اديبا فيجوز ان يقال جعل ولده اديبا وعكس ذلك اذا عرضه للبلاء
والفساد جاز ان يقال جعله ظالما فاسدا وقيل ان معنى مسلمين موحدين مخلصين لك لان الاسلام هو الطاعة
والانقياد والخضوع وترك الامتناع وقوله ومن ذريتنا امة مسلمة لك اي واجعل من ذريتنا اي من اولادنا
ومن للتبعيض وانما خصا بعضهم لان الله تعالى اعلم ابرهيم عليه السلام ان في ذريته من لا ينال عهده لما يرتكبه
من الظلم وقال السدي اراد بذلك العرب والصحيح الاول امة مسلمة لك اي جماعة موحدة منقادة لك يعني امة
محمد ص بدلالة قوله وابعث فيهم رسولا منهم وروي عن الصادق ع ان المراد بالامة بنو هاشم خاصة وقوله ارنا مناسكنا
اي عرفنا هذه المواضع التي تتعلق النسك بها لنفعله عندنا ونقضي عباداتنا على حد ما يقتضيه توقيفك علينا
قال قتادة فاراهما الله مناسكهما الطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة والافاضة من عرفات ومن جمع
ورمي الجمار حتى اكمل بها الدين وقال عطاء ومجاهد معنى مناسكنا مذابحنا والاول اقوى وقوله وتب علينا
فيه وجوه احدها انهما قالا هذه الكلمة على وجه التسبيح والتعبد والانقطاع الى الله سبحانه ليقتدي بهما الناس
فيها وهذا هو الصحيح وثانيها انهما سالاه التوبة على ظلمة ذريتهما وثالثها ان معناه ارجع علينا بالمغفرة والرحمة
وليس فيه دلالة على جواز الصغيرة عليهم وارتكاب القبيح منهم لان الدلائل القاهرة قد دلت على ان الانبياء معصومون
منزهون عن الكبائر والصغائر وليس هنا موضع بسط الكلام في ذلك انك انت التواب اي القابل للتوبة من
عظائم الذنوب وقيل الكثير القبول للتوبة مرة بعد اخرى الرحيم بعباده المنعم عليهم بالنعم العظام وتكفير السيئات
والآثام وفي هذه الآية دلالة على انه يحسن الدعاء بما يعلم الداعي انه يفعل لا محالة لانهما كانا عالمين بانهما
لا يقارفان الذنوب والآثام ولا يفارقان الاسلام قوله عز وجل ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم
آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم آية اللغة العزيز القدير
الذي لا يغالب وقيل هو القادر الذي لا يمتنع عليه شيء اراده فعله ونقيض العز الذل وعز يعز عزة وعزا

اذا صار عزيزا وعز يعز عزا اذا قهر ومنه قولهم من عز بز اي من غلب سلب واعز الشيء اذا اصلب وهو
وهو من العزاز من الارض وهو من الطين الصلب الذي لا يبلغ ان يكون حجارة وعز الشيء اذا قل حتى لا يكاد يوجد
واعز فلان بفلان اذا تشرف به والحكيم معناه المدبر الذي يحكم الصنع ويحسن التدبير فعلى هذا يكون
من صفات الفعل ويكون بمعنى العليم فيكون من صفات الذات الاعراب ابعث جملة فعلية معطوفة على
منهم يتعلق به وعليهم يتعلق بيتلوا المعنى الضمير في قوله منهم يرجع الى الامة المسلمة التي سال الله ابرهيم ان يجعلها
من ذريته والمعنى بقوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم هو نبينا محمد ص لما روي عنه عم انه قال انا دعوة ابرهيم وبشارة
عيسى يعني قوله ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه احمد وهو قول الحسن وقتادة وجماعة من العلماء ويدل على ذلك
انه دعا بذلك لذريته الذين يكونون بمكة وما حولها على ما تضمنته الآية في قوله ربنا وابعث فيهم اي في هذه
الذرية رسولا منهم ولم يبعث الله من هذه صورته الا محمدا صلى الله عليه وآله وقوله يتلو عليهم آياتك اي يقرأ
عليهم آياتك التي يوحى بها اليه ويعلمهم الكتاب اي القرآن وهذا لا يعد من التكرار لانه خص الاول بالتلاوة
ليعلموا انه لك انه معجز دال على صدقه ونبوته وخص الثاني بالتعليم وليعرفوا ما تضمنه من التوحيد وادلته
وما يشتمل عليه من احكام شريعته وقوله والحكمة قيل هنا السنة عن قتادة وقيل المعرفة بالدين والفقه في
التاويل عن مالك بن انس وقيل العلم بالاحكام التي لا يدرك علمها الا من قبل الرسل عن ابن زيد وقيل انه صفة
للكتاب كانه وصفه بانه كتاب وانه حكمة وانه آيات وقيل الحكمة شيء يجعله الله في القلب ينوره به كما ينور البصر
فيدرك المبصر وقيل هي مواعظ القرآن وحرامه وحلاله عن مقاتل وكل حسن قوله ويزكيهم اي يجعلهم مطيعين
مخلصين والزكا الى فعل ما يزكون به من الايمان والصلاح عن الجبائي وقيل يشهد لهم بانهم ازكياء يوم القيمة اذا شهد على
كل نفس بما كسبت عن الاصم وقوله انك انت العزيز الحكيم اي القوي في كل قدرتك المنيع في جلال عظمتك المحكم
لبدائع صنعتك وانما ذكر هاتين الصفتين لاتصالهما بالدعاء فكانه قال فرغبنا اليك في دعائنا لانك القادر
على اجابتنا العالم بما في ضمائرنا وما هو اصلح لنا مما لا يبلغه كنه علمنا ونصاب بصائرنا وفي هذه الآية دلالة على ان ابرهيم
واسمعيل عليهما السلام دعوا للنبي صلى الله عليه وآله بجميع شرايط النبوة لان تحت التلاوة الاداء وتحت التعليم البيان
وتحت الحكمة السنة ودعوا للامة باللطف الذي لاجله يتمسكوا بالكتاب وشرعه فيصيروا ازكياء وهذا لان الدعاء صدر من
اسمعيل عم فعلم بذلك ان النبي المدعو به من ولده لا من ولد اسحاق ولم يكن في ولد اسمعيل نبي غيره وساير
الانبياء قوله عز وجل ومن يرغب عن ملة ابرهيم الا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا والاخرة لمن الصالحين آية
اللغة الرغبة المحبة لما فيه للنفس منفعة ورغبت فيه ضد رغبت عنه والرغبة والمحبة والارادة نظائر
ونقيض الرغبة الرهبة ونقيض المحبة البغضة ونقيض الارادة الكراهة وتقول رغبت فيه رغبة ورغبا ورغبا
ورغبى اذا ملت اليه ورغبت عنه اذا صددت عنه ورجل رغيب بين شديد الاكل وفرس رغيب السحو
اي كثير الاخذ بقوائمه من الارض وموضع رغيب واسع والرغيبة العطاء الكثير الذي يرغب في مثله والاصطفاء
والاجتباء والاختيار نظائر والصفاء والنقاء والخلوص نظائر والصفو نقيض الكدر وصفوة كل شيء خالصه
وصفي الانسان اخوه الذي يصافيه المودة وناقة صفي كثيرة اللبن ونخلة صفية كثيرة الحمل والجمع الصفايا واصطفى
على وزن افتعل من الصفو وانما قلبت التاء طاء لانها اشبه بالصاد بالاستعلاء والاطباق وهي
من مخرج التاء فاتي بحرف وسط بين الحرفين الاعراب من يرغب لفظه للاستفهام ومعناه الجحد فكانه قال
ما يرغب عن ملة ابرهيم ولا يزهد فيها الا من سفه نفسه اي الذي سفه نفسه فمن الاولى على الاستفهام والثانية
بمعنى الذي والا حرف الاستثناء ويجوز ان يكون لنفي النقض وهي اسم موصول وسفه نفسه صلته والموصول

بالمعنى ويجوز ان يتعلق بمحذوف تقديره فيكون في موضع نصب على الحال وتقديمه يكونه صفة فقوله رسولا اي كائنا

واصطفيت

والصلة والثانية بمعنى الذي والحرف الاستثناء ويجوز ان يكون لنفي النقص في محل النصب على الاستثناء او في محل
الرفع بكونه بدلا من الضمير الذي في يرغب وفي انتصاب نفسه خلاف قال الاخفش معناه سفه نفسه وقال
يونس اراها لغة قال الزجاج اراد ان فعل لغة في المبالغة فكان ان فعل كذلك ويجوز على هذا القول سفهت زيدا بمعنى
سفهت زيدا وقال ابو عبيدة معناه اهلك نفسه واوبق نفسه فهذا كله وجه واحد والوجه الثاني ان يكون على التفسير
كقوله فان طبن لكم عن شيء منه نفسا وهو قول الفراء قال ان العرب توقع سفه على نفسه وهي معرفة وكذلك بطرت
معيشتها وانكر الزجاج هذا الوجه قال ان معنى التمييز لا يحتمل التعريف لان التمييز انما هو واحد يدل على جنس وخلة
تخلص من خلل اذا اعرضه صار مقصورا لقصده وهذا لم يقله احد ممن تقدم من النحويين والوجه الثالث ان يكون
على التمييز والاضافة على تقدير الانفصال كما تقول مررت برجل مثله اي مثل له والوجه الرابع ان يكون على حذف
الجار فمعنى سفه في نفسه في قول سيبويه ولا جناح عليكم ان تسترضعوا اولادكم اي لاولادكم فحذف حرف الجر
من غير ظرف ومثله ولا تعزموا عقدة النكاح اي على عقدة النكاح ومثله قول الشاعر نغالي اللحم للاضياف نيئا
ونبذله اذا نضج القدور والمعنى نغالي باللحم قال الزجاج وهو مذهب صحيح والوجه الخامس ما اختاره الزجاج
وهو ان سفه بمعنى جهل وهو موافق في المعنى لما قاله السراج في قوله بطرت معيشتها ان البطر مستعمل للنعمة غير
راض بها فعلى هذا يكون نفسه مفعولا به وانه في الآخرة في يتعلق بمحذوف فهو منصوب الموضع على الحال وذو الحال
الضمير المستكن في قوله من الصالحين النزول روي ان عبد الله بن سلام دعا ابني اخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام فقال
لقد علمتم ان صفة محمد في التوراة فاسلم سلمة وابى مهاجر ان يسلم فانزل الله هذه الآية المعنى لما بين سبحانه قصة
ابرهيم وان ملته ملة محمد عقبه بذكر الحث على اتباعها فقال ومن يرغب عن ملة ابرهيم الا من سفه نفسه اي ترك
دين ابرهيم وشريعته الا من اهلك نفسه واوبقها وقيل اضل نفسه عن الحسن وقيل جهل قدره لان من جهل خالقه
فهو جاهل بنفسه عن الاصم وقيل جهل نفسه بما فيها من الآيات الدالة على ان لها صانعا ليس كمثله شيء عن ابي مسلم وقوله
ولقد اصطفيناه في الدنيا اي اخترناه بالرسالة واجتبيناه وانه في الآخرة لمن الصالحين اي من الفائزين عن الزجاج وقيل
معناه لمع الصالحين اي مع آبائه الانبياء في الجنة عن ابن عباس وقيل انما خص الآخرة بالذكر وان كان في الدنيا
كذلك لان المعنى من الذين يستوجبون على الله سبحانه الكرامة وحسن الثواب فلما كان خلوص الثواب في الآخرة دون
الدنيا وصفه فيها بما ينبئ عن ذلك في قوله سبحانه ومن يرغب عن ملة ابرهيم الا من سفه نفسه دلالة على ان ملة ابرهيم
هي ملة نبينا لان ملة ابرهيم داخلة في ملة محمد مع زيادات في ملة محمد فبين ان الذين يرغبون من الكتاب
عن ملة محمد التي هي ملة ابرهيم قد سفهوا انفسهم وهذا معنى قول قتادة والربيع ويدل عليه قوله ملة ابيكم ابرهيم
قوله عز وجل اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين آية الاعراب اذ ظرف وله جار ومجرور واللام تتعلق بقال وقال
ربه مجرور الموضع باضافة اذا اليه واللام في لرب العالمين تتعلق باسلمت المعنى هذا متصل بقوله ولقد اصطفيناه
وموضع اذ نصب باصطفيناه وتقديره ولقد اصطفيناه حين قال له ربه اسلم واختلف في انه متى قيل له ذلك فقال
الحسن كان هذا حين افلت الشمس ورأى ابرهيم تلك الآيات والادلة فاستدل بها على وحدانية الله
سبحانه وقال يا قوم اني بريء مما تشركون اني وجهت وجهي الآية وانه اسلم حينئذ وهذا يدل على انه كان ذلك قبل النبوة
وانه قال له ذلك الهاما فاستدعاه الى الاسلام فاسلم حينئذ لما وضح له دليل الاسلام لا انه كان ما رآه من الآيات
ولا يصح ان يوحي الله اليه قبل اسلامه بانه نبي لان النبوة حال اجلال واعظام ولا يكون ذلك قبل الاسلام
وقال ابن عباس انما قال ذلك لابرهيم حين خرج من السرب وقيل انما ذلك بعد النبوة ومعنى اسلم استقم على
الاسلام واثبت على التوحيد كقوله سبحانه فاعلم انه لا اله الا الله وقيل ان معنى اسلم اخلص دينك بالتوحيد

وقوله اسلمت لرب العالمين اي اخلصت الدين لله رب العالمين قوله عز وجل ووصى بها ابرهيم بنيه ويعقوب يا بني
ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون آية القراءة قرأ اهل المدينة والشام واوصى بهمزة بين الواوين
وتخفيف الصاد وقرأ الباقون ووصى بتشديد الصاد الحجة حجة من قرأ وصى قوله تعالى فلا يستطيعون توصية
فتوصية مصدر وصى مثل قطع تقطيعه ولا يكون منه تفعيل لانك لو قلت في مصدر حملت تحميل لكان يجمع ثلاث
ياآت فرفض ذلك وحجة من قرأ واوصى بها ابرهيم قوله يوصيكم الله ومن بعد وصية يوصى بها واوصى
وامر وعهد بمعنى وقد قالوا وصى النبت اذا اتصل بعضه ببعض فالوصية كان الموصي بالوصية وصل حال امره بالموصى
اليه الاعراب يعقوب رفع لانه عطف على ابرهيم والتقدير ووصى ابرهيم ويعقوب وهذا معنى قول ابن عباس
وقتادة وقيل انه على الاستئناف كأنه قال ووصى يعقوب ان يا بني ان الله اصطفى لكم الدين والاول اظهر والفرق
بين التقديرين ان الاول لا اضمار فيه لانه معطوف والثاني فيه اضمار والهاء في بها يعود الى الملة وقد تقدم
ذكرها وهو قول الزجاج وقيل انها تعود الى الكلمة التي هي اسلمت لرب العالمين والالف واللام في الدين
للعهد دون الاستغراق لانه اراد دين الاسلام وقوله ولا يموتن وان كان على النهي لهم عن الموت فالنهي في الحقيقة
عن ترك الاسلام لئلا يصادفهم الموت عليه ومثله من كلام العرب لا ارينك ههنا فالنهي هنا فالنهي في اللفظ
للمتكلم وانما هو في الحقيقة للمخاطب فكأنه قال لا تتعرض لان اراك بكونك ههنا وقوله وانتم مسلمون جملة في موضع
الحال وتقديره لا تموتوا الا مسلمين وذو الحال الواو في تموتوا ومعناه لياتكم الموت وانتم مسلمون المعنى لما
بين عز اسمه دعاء ابرهيم لذريته وحكم بالسفه على من رغب عن ملته ذكر اهتمامه بامر الدين وعهده الى بنيه
في وصيته فقال واوصى بها اي بالملة او بالكلمة التي هي قوله اسلمت لرب العالمين ويقوي هذا قوله وجعلها كلمة
باقية في عقبه وقيل بكلمة الاخلاص وهي قول لا اله الا الله ابرهيم بنيه انما خص البنين لان اشفاقه عليهم اكثر وهم بقبول
وصيته اجدر والا فمن المعلوم انه كان يدعو جميع الانام الى الاسلام ويعقوب وهو ابن اسحق وانما سمي يعقوب
لانه وعيصا كانا توأمين فتقدم عيص وخرج يعقوب على اثره آخذا بعقبه عن ابن عباس والمعنى ووصى يعقوب بنيه الاثني
عشر وهم الاسباط يا بني ان الله اصطفى لكم الدين اي فقالا جميعا يا بني ان الله اختار لكم دين الاسلام فلا تموتن
الا وانتم مسلمون اي لا تتركوا الاسلام فيصادفكم على ترككم الموت او لا تتعرضوا للموت على ترك الاسلام بفعل الكفر وقال
الزجاج الزموا الاسلام فاذا ادرككم الموت على ترك الاسلام صادفكم مسلمين وفي هذه الآية دلالة على الترغيب
في الوصية عند الموت وانه ينبغي ان يوصي الانسان من يخلف بعده من اهله بتقوى الله ولزوم الدين والطاعة قوله عز وجل
ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد الهك واله
آبائك ابرهيم واسماعيل واسحق الها واحدا ونحن له مسلمون آية اللغة الشهداء جمع شهيد والشاهد والحاضر
من النظائر يقال حضرت القوم احضرهم حضورا اذا شهدتهم والحظيرة الجماعة من الناس ما بين الخمسة الى العشرة واحضر
الفرس احضارا اذا عدا عدوا شديدا وحاضرت الرجل اذا عدوت معه وحاضرته اذا جاثيته عند السلطان
او في خصومة وحضرة الرجل فناؤه واصل الباب الحضور خلاف الغيبة الاعراب ام ههنا منقطعة وهي تجيء الا وقد
تقدمها كلام لانها التي تكون بمعنى بل وهمزة الاستفهام كأنه قيل بل أكنتم شهداء ومعناها ههنا الجحد اي ما كنتم
شهداء وانما كان اللفظ على الاستفهام والمعنى على خلافه لان اخراجه مخرج الاستفهام ابلغ في الكلام واشد مظاهرة
في الحجاج اذ يخرج الكلام مخرج التقرير بالحق فيلزم الحجة او الانكار له فيظهر الفضيحة واذ الاولى ظرف من قوله شهداء
واذ الثانية بدل من اذ الاولى وقيل العامل في الثانية حضر وكلاهما جائز وما للاستفهام وهو منصوب الموضع لانه
مفعول تعبدون ومن بعدي الجار والمجرور في موضع النصب على الظرف وقوله الها منصوب على احد وجهين

ان يكون حالا كانه قال نعبد الهك في حال وحدانيته او يكون بدلا من الهك ويكون الفائدة فيه ذكر التوحيد ونحن له
مسلمون جملة في موضع الحال ويجوز ان يكون على الاستئناف فلا يكون لها موضع من الاعراب وابرهيم واسمعيل واسحق
في موضع جر على البدل من ابائك كما تقول مررت بالقوم اخيك وغلامك وصاحبك المعنى خاطب سبحانه اهل
الكتاب فقال ام كنتم شهداء اى ما كنتم حضورا اذ حضر يعقوب الموت وما كنتم حضورا اذ قال يعقوب لبنيه ما تعبدون
من بعدى ومعناه انكم لم تحضروا ذلك فلا تدعوا على انبيائى ورسلى الاباطيل بنسبتكم اياهم الى اليهودية والنصرانية
فانى ما بعثتهم الا بالحنيفية وذلك ان اليهود قالوا ان يعقوب يوم مات اوصى بنيه باليهودية فرد الله عليهم
قولهم وانما قال ما تعبدون ولم يقل من تعبدون لان اهل الناس كانوا يعبدون الاصنام فقال اى الاشياء تعبدون
من بعدى قالوا نعبد الهك واله ابائك ابرهيم واسمعيل واسحق وانما قدم ذكر اسمعيل على اسحق لانه كان اكبر
منه واسمعيل كان عم يعقوب وجعله ابا له لان العرب يسمى العم ابا كما يسمى الجد ابا وذلك لانه يجب تعظيمهما كتعظيم
الاب ولهذا قال النبي صلى الله عليه وآله ردوا على ابى يعنى العباس عمه الها واحدا ونحن له مسلمون اى نحن مقرون بالعبودية
وقيل خاضعون منقادون مستسلمون لامره قوله عز وجل تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم
ولا تسئلون عما كانوا يعملون آية اللغة الامة على وجوه الاول الجماعة كما في الآية والثاني القدوة
والامام في قوله ان ابرهيم كان امة والثالث القامة في قول الاعشى وان معاوية الاكرمين حسان الوجوه طوال الامم
والرابع الاستقامة في الدين والدنيا قال النابغة حلفت فلم اترك لنفسك ريبة وهل ياثمن ذو امة وهو طايع اى ذو ملة
ودين والخامس الحين في قوله وادكر بعد امة والسادس اهل الملة الواحدة في قولهم امة موسى وامة عيسى وامة محمد
واصل الباب القصد من امه يؤمه اما اذا قصده وخلت اى مضت واصله الانفراد يقال خلا الرجل بنفسه اذا انفرد وخلا
المكان من اهله اذا انفرد منهم والفرق بين الخلو والفراغ ان الخلو اذا لم يكن مع الشيء غيره وقد تفرغ من الشيء وهو معه
يقال فرغ من البناء وهو معه فاذا قيل خلا منه فليس معه والكسب العمل الذي يجلب به نفع او يدفع به ضرر عن نفسه
وكسب لاهله اذا احتلب ذلك لهم بعلاج ومراس ولذلك لا يطلق الكسب في صفة الله تعالى الاعراب قوله لها ما كسبت
يحتمل ان يكون في موضع نصب على الحال كانه قيل لزمها ما يستحقه بعملها ويجوز ان لا يكون لها موضع لانه مستانف فلا يكون
جزا من الجملة الاولى لكن يكون متصلة به في المعنى وان لم يكن جزا منه لانها يجوز ان لا يكون لها موضع لانها مستانفة
ان في المعنى عن شيء واحد فكانه قيل الجماعة قد خلت والجماعة لها ما كسبت عما كانوا يعملون ما اسم موصول وكانوا
يعملون صلته والموصول والصلة في موضع الجر بعن وعن يتعلق بيسئلون المعنى تلك امة قد خلت اى جماعة
قد مضت يعنى ابرهيم واولاده لها ما كسبت اى ما عملت من طاعة او معصية ولكم يا معشر اليهود والنصارى ما كسبتم
اى عملتم من طاعة او معصية ولا تسئلون عما كانوا يعملون اى لا يقال لكم لم عملوا كذا وكذا على جهة المطالبة بما يلزمهم
من الوجل الاعمال كما لا يقال لهم لم عملتم انتم كذا وكذا وانما يطالب كل انسان بعمله دون عمل غيره كما قال سبحانه ولا تزر
وازرة وزر اخرى وفي الآية دلالة على بطلان قول المجبرة ان الابناء يوخذون بذنوب الاباء وان ذنوب
المسلمين تحمل على الكفار لان الله تعالى قد نفى ذلك قوله عز وجل وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا قل بل
ملة ابرهيم حنيفا وما كان من المشركين آية اللغة الحنيف المايل عن الاديان الباطلة الى الدين الحق وقال ابن دريد
الحنيف العادل عن دين الى دين وبه سميت الحنيفية لانها مالت عن اليهودية والنصرانية وقيل الحنيف الثابت
على الدين المستقيم والحنيفية الاستقامة على دين ابرهيم وانما قيل للذى يمشي احدى قدميه على الاخرى احنف
تفاولا بالسلامة كما قيل للمهلكة مفازة تفاولا بالفوز والنجاة وهو قول كثير من المفسرين واهل اللغة وقال الزجاج
اصله من الحنف وهو ميل في صدر القدم وسمي الاحنف احنف لحنف كانت به وقالت حاضنته وهي ترقصه والله لولا حنف

87

برجله ما كان في صبيانكم مثله وفي الحديث احب الاديان الى الله تعالى الحنيفية السمحة وهي ملة النبي صلى الله عليه
وآله لا حرج فيها ولا ضيق الاعراب جزم تهتدوا على الجواب للامر ومعنى الشرط قايم في الكلمة ان تكونوا على هذه الملة
تهتدوا وانما الجزم تهتدوا على الحقيقة بالجزاء وقوله ملة ابرهيم في انتصابه وجوه احدها ان تقديره بل اتبعوا ملة
ابرهيم لان قوله كونوا هودا او نصارى تضمن معنى اتبعوا اليهودية والنصرانية وتقديره قالوا اتبعوا اليهودية قل
بل اتبعوا ملة ابرهيم فهذا عطف على المعنى والثاني ان يكون على الحذف كانه قيل بل نتبع ملة ابرهيم فالاول واعطف
والثاني حذف والثالث ان ينتصب على تقدير بل نكون اهل ملة ابرهيم فحذف المضاف واقام المضاف
اليه مقامه كقوله وسئل القرية فهذا عطف على اللفظ وهو قول الكوفيين حنيفا نصب على الحال اى في حال
حنيفيته النزول عن ابن عباس ان عبد الله بن صوريا وكعب بن الاشرف ومالك بن الصيف وجماعة من اليهود
ونصارى اهل نجران خاصموا اهل الاسلام كل فرقة تزعم انها احق بدين الله من غيرها فقالت اليهود نبينا
موسى افضل الانبياء وكتابنا التوراة افضل الكتب وقالت النصارى نبينا عيسى افضل الانبياء وكتابنا الانجيل
افضل الكتب وكل فريق منهما قالوا للمؤمنين كونوا على ديننا فانزل الله هذه الآية وقيل ان ابن صوريا قال لرسول الله
صلى الله عليه وآله ما الهدى الا ما نحن عليه فاتبعنا يا محمد تهتد وقالت النصارى مثل ذلك فانزل الله تعالى
هذه الآية المعنى وقالوا الضمير يرجع الى اليهود والنصارى اى قالت اليهود كونوا هودا وقالت النصارى
كونوا نصارى كل فريق منهم دعا الى ما هو عليه ومعنى تهتدوا اى تصيبوا طريق الحق كانهم قالوا تهتدوا الى الحق
اى اذا فعلتم ذلك كنتم قد اهتديتم ورجعتم على سنن الاستقامة قل يا محمد بل ملة ابرهيم اى بل نتبع دين ابرهيم
وعلى الوجه الآخر بل اتبعوا دين ابرهيم وقد عرفت الوجوه الثلاثة في الاعراب فلا معنى لاعادتها حنيفا مسلما
وقيل مايلا الى دين الاسلام وفي الحنيفية اربعة اقوال احدها انها حج البيت عن ابن عباس والحسن ومجاهد وثانيها
انها اتباع الحق عن مجاهد وثالثها انه اتباع ابرهيم فيما اتى به من الشريعة التي صار بها اماما للناس بعده من الحج والختان
وغير ذلك من شرايع الاسلام والرابع انها الاخلاص بتوحيده في الاقرار بالربوبية والاذعان بالعبودية وكل
هذه الاقوال ترجع الى ما قلناه من معنى الاستقامة والميل الى ما اتى به ابرهيم عم من الملة وما كان من المشركين اى وما كان
ابرهيم من المشركين نفى الشرك عن نبيه واثبته في اليهود والنصارى حيث قالوا عزير ابن الله والمسيح ابن الله
وقوله سبحانه بل ملة ابرهيم حجة على وجوب الاتباع ملة ابرهيم عم لسلامتها من التناقض ولوجود التناقض
في اليهودية والنصرانية فلذلك صارت ملة ابرهيم احرى بالاتباع من غيرها فمن التناقض في اليهودية
منعهم من جواز النسخ مع ما في التوراة من الدلالات على جوازه وامتناعهم من العمل بما تقدمت به البشارة في
التوراة من اتباع النبي الامي مع اظهارهم التمسك بها وامتناعهم من الاذعان لما دل عليه الآيات الظاهرة
والمعجزات الباهرة من نبوة عيسى ومحمد مع اقرارهم بنبوة موسى لدلالة المعجزات عليها الى غير ذلك من انواع
التناقض ومن التناقض في قول النصارى قولهم الاب والابن وروح القدس اله واحد مع زعمهم ان الاب ليس هو الابن
وان الاب اله وان الابن اله وروح القدس اله وامتناعهم من ان يقولوا ثلاثة الهة الى غير ذلك من مناقضاتهم المذكورة
في الكتب قوله عز وجل قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط
وما اوتي موسى وعيسى وما اوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون آية اللغة
الاسباط واحدهم سبط وهم اولاد اسرائيل وهو يعقوب بن اسحق بن ابرهيم وهم اثنا عشر سبطا من اثنى عشر ابنا
وقيل الحسن والحسين سبطا رسول الله اى ولداه والاسباط في بني اسرائيل بمنزلة القبائل في ولد اسمعيل وقال الزجاج
السبط الجماعة يرجعون الى اب واحد والسبط في اللغة الشجرة فالسبط الذين هم من شجرة واحدة وقيل [illegible]

او الضرب اذا تابع عليه حتى يصل بعضه ببعض وانشد الثوري في ظبع نفر كانه سبط من الاسباط شبهه بالجماعة من الناس
والفرق بين التفريق والفرق ان التفريق جعل الشيء مفارقا لغيره والفرق
شاهدون في امر ومن تاويل لولد يعقوب اسباط والفرق بالحجة هو البيان الذي يشهد ان الحكم لاحد الشيئين
نقيض الجمع والجمع جعل الشيء مع غيره والفرق جعل الشيء لا مع غيره والفرق ومن في قوله من ربهم يتعلق باوتي ويحتمل ان
دون الآخر الاعراب بما اوتي تقديره ما اوتيه حذف الهاء العائد الى الموصول والعامل اوتي او يكون العامل فيه انزل
فيكون مع المحذوف في موضع نصب على الحال وذو الحال الضمير المستكن في اوتي والعامل فيه آمن ومنهم يتعلق بمحذوف مجرور
وذو الحال ما اوتي لا نفرق جملة منفية منصوبة الموضع على الحال ونحن له ... تقديره لا نفرق بين احد واحد منهم المعنى قوله
الموضع لكونه صفة لاحد ومعنى احد منهم اي بين اسل وجماعة ... امرهم الله تعالى باظهار ما يدينون به على
آمنا بالله خطاب للمسلمين وقيل خطاب للنبي صلى الله عليه وآله والمؤمنين امرهم الله تعالى باظهار ما يدينون به على
الشرح فبدا بالايمان بالله لانه اول الواجبات ولانه تقدم معرفته يصح معرفة النبوات والشرايع وما انزل
السابعي القران نؤمن بانه حق وصدق وواجب اتباعه في الحال وان تقدمت كتب وما انزل الى ابرهيم واسمعيل
واسحق ويعقوب والاسباط قال قتادة هم يوسف واخوته بنو يعقوب ولد لكل واحد منهم امة من الناس فسموا
الاسباط وقال السدي والربيع ومحمد بن اسحق وذكروا اسماء الاثنى عشر يوسف وابن يامين ورد يبل ويهودا وشمعون
ولاوي ودان وقهات ... وتعالى وجادو ... فهؤلاء ولد يعقوب لا خلاف بين المفسرين فيه وقال كثير من المفسرين
انهم كانوا انبياء والذي نقتضيه مذهبنا انهم لم يكونوا انبياء باجمعهم لان ما وقع منهم من المعصية فيما فعلوه بيوسف
لا تخفى والنبي عندنا معصوم من القبايح صغيرها وكبيرها وليس في ظاهر القران ما يدل على انهم كانوا انبياء وقوله وما
انزل اليهم لا يدل على انهم كانوا انبياء لان الانزال يجوز ان يكون على بعضهم ممن كان نبيا ولم يقع منه ما ذكرناه
من الافعال القبيحة ويحتمل ان يكون مثل قوله وما انزل الينا وان كان المنزل على النبي صلى الله عليه وآله خاصة لكن
المسلمين لما كانوا مامورين بما تضمنه الانزال اليهم وقد روى العياشي في تفسيره عن حنان بن سدير عن ابيه
عن ابي جعفر عليه السلام قال قلت له اكان ولد يعقوب انبياء قال لا ولكن كانوا اسباطا اولاد الانبياء ولم يكن فارقوا الدنيا الا سعداء
تابوا وتذكروا ما صنعوا وقوله وما اوتي موسى وعيسى اي اعطيا وخصهما بالذكر لانه احتجاج على اليهود والنصارى
كقرب اليهود بعيسى ومحمد وكفرت النصارى بمحمد صلى الله عليه وآله ونحن له مسلمون اي نحن لما تقدم
ذكره وقيل لله تعالى خاضعون بالطاعة مذعنون بالعبودية وقيل منقادون لامره ونهيه وقد مضى هذا
مستوفى فيما قبل وفايدة الآية الامر بالايمان بالله تعالى والاقرار بالنبيين وما انزل اليهم من الكتب والشرايع
والرد على من فرق بينهم فيما جمعهم الله عليه من النبوة وان كانت شرايعهم غير لازمة لنا فان الايمان بهم لا يقتضي
لزوم شرايعهم وروى عن الضحاك انه قال علموا اولادكم واهاليكم وخدمكم اسماء الانبياء الذين ذكرهم الله في
كتابه حتى يؤمنوا بهم ويصدقوا بما جاءوا به فان الله تعالى يقول قولوا آمنا بالله الآية قوله عز وجل **فان آمنوا بمثل**
ما آمنتم به فقد اهتدوا وان تولوا فانما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم آية **اللغة** الشقاق
المنازعة والمحاربة ويحتمل ان يكون اصله ماخوذا من الشق لانه صار في شق غير شق صاحبه للعداوة والمباينة
ويحتمل ان يكون ماخوذا من المشقة لان كل واحد منهما يحرص على ما يشق على صاحبه ويؤذيه والكفاية بلوغ الغاية
يقال يكفي ويجزي ويغني بمعنى واحد وكفى يكفي كفاية اذا قام بالامر وكفاك هذا الامر اي حسبك ورايت رجلا
كافيك من رجل اي كفاك به رجلا **الاعراب** الباء في قوله بمثل ما آمنتم يحتمل ثلاثة اشياء احدها ان يكون زايدة والتقدير
فان آمنوا مثل ما آمنتم به اي مثل ايمانكم به كما يقال كفى بالله اي كفى الله قال الشاعر كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا
والثاني ان يكون المعنى مثل هذا ولا يكون زايدة كانه قال فان آمنوا على مثل ايمانكم كما تقول كتبت على مثل ما كتبت

88

ويمثل ما كتبت كانك جعلت المثل الة توصلت به الى العمل وهذا اجود من الاول والثالث ان يلغى كما الغيت الكاف في قوله ليس كـ
مثله كعصف ماكول وهذا اضعف الوجوه لانه اذا امكن حمل كلام الله على فايدة فلا يجوز حمله على الزيادة وزيادة الاسم
اضعف من زيادة الحرف نحو ما ولا وما اشبه ذلك وقوله فقد اهتدوا في محل الجزم او في محل الرفع لانه جواب شرط
معنى وكذلك قوله فانما هم في شقاق وانما حرف لاثبات الشيء ونفي غيره وهم مبتدا وفي شقاق في موضع خبره
النزول لما انزل الله قوله تعالى آمنا بالله الآية قراها النبي عليه السلام على اليهود والنصارى فلما سمع اليهود ذكر عيسى
انكروا وكفروا وقالت النصارى ان عيسى ليس كسائر الانبياء لانه ابن الله فنزلت الآية **المعنى** فان آمنوا اخبر الله
سبحانه ان هؤلاء الكفار متى آمنوا على حد ما آمن به المؤمنون فقد اهتدوا الى طريق الجنة وقيل سلكوا طريق
الاستقامة والهداية وقيل كان ابن عباس يقول آمنوا بما آمنتم به فليس لله مثل وهذا محمول على انه فسر الكلام
لانه انكر القراءة الظاهرة مع صحة المعنى وقوله فان تولوا اي اعرضوا عن الايمان وجحدوه ولم يعترفوا به فانما هم
في شقاق اي في ضلال قد فارقوا الحق وتمسكوا بالباطل فصاروا مخالفين لله سبحانه عن ابن عباس وقريب
منه ما روي عن الصادق عليه السلام انه قال يعني في كفر وقيل في ضلال عن ابي عبيدة وقيل في منازعة ومحاربة
عن ابن زيد وقيل في عداوة عن الحسن فسيكفيكهم الله وعد الله سبحانه رسوله بالنصر وكفاية من معاداه
من اليهود والنصارى الذين شاقوه وفي هذا دلالة بينة على نبوته وصدقه صلى الله عليه وآله والمعنى
ان الله سبحانه يكفيك امرهم وهو السميع لاقوالهم العليم باعمالهم في ابطال امرك ولن يصلوا اليك قوله **صبغة**
الله ومن احسن من الله صبغة ونحن له عابدون آية **اللغة** صبغة الله ماخوذ من الصبغ لان بعض النصارى كانوا اذا
ولد لهم مولود غمسوه في ماء يكون لهم يسمونه المعمودية يجعلون ذلك تطهيرا له فقيل صبغة الله تطهير الله لا تطهيركم
بتلك الصبغة وهو قول الفراء وقيل ان اليهود تصبغ ابناءها يهودا والنصارى تصبغ ابناءها نصارى اي
يلقنون اولادهم اي يلقنونهم اليهودية والنصرانية لكن تبعوا بهم حتى يبلغوا فيختاروا لانفسهم ما شاؤوا من الاديان
وقيل سمي الدين صبغة لانه هيئة تظهر بالمشاهدة من اثر الطهارة والصلوة وغير ذلك من الآثار الجميلة التي هي كالصبغ
عن الجبائي قال امية في صبغة الله كان اذ نسي العهد وخلى الصواب اذ عرفا ويقال صبغ الثوب يصبغه بفتح الباء وضمها
وكسرها صبغا بكسر الصاد وفتحها **الاعراب** نصب صبغة على انه بدل من قوله ملة ابرهيم وتفسير من الاخفش وقيل
انه نصب على الاغراء تقديره اتبعوا صبغة الله او الزموا صبغة الله ومن استفهام وهو مبتدا واحسن خبره
وصبغة نصب على التمييز **المعنى** معنى صبغة الله اي اتبعوا دين الله عن ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد
ويقرب منه ما روي عن الصادق عليه السلام قال يعني به الاسلام وقيل شريعة الله التي هي الختان الذي هو تطهير عن
الفراء والبلخي وقيل فطرة الله التي فطر الناس عليها عن ابي العالية وغيره ومن احسن من الله صبغة اي لا احد
احسن من الله صبغة اي دينا لفظه لفظ الاستفهام ومعناه الجحد عن الحسن وغيره ونحن له عابدون اي
نحن له عابدون ولا يجب ان نتبع صبغة لاما نصبغ عليه الاباء والاجداد وقيل ونحن له عابدون في اتباع
ملة ابرهيم صبغة قوله عز وجل **قوله صبغة الله ومن احسن من الله صبغة ونحن له عابدون** آية
اللغة الحجاج والجدال والخصام نظاير والاعمال والاحداث والافعال نظاير والافراد والاخلاص والاختصاص
نظاير وضده الخالص المشوب **الاعراب** وهو ربنا وربكم المبتدا او خبره في موضع النصب على الحال والعامل فيه
تحاجون وذو الحال الواو ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم مبتدآن وخبران والجملتان في موضع نصب على الحال بالعطف
على وهو ربنا وربكم ونحن له مخلصون كذلك **المعنى** امر الله سبحانه نبيه في هذه الآية ان يقول لهؤلاء اليهود وغيرهم اتحاجوننا
في الله ومعناه في دين الله اي اتخاصموننا وتجادلوننا فيه وهو سبحانه خالقنا والمنعم علينا وخالقكم والمنعم عليكم واختلف

قل اتحاجوننا في الله وهو ربنا وربكم ولنا اعمالنا
ولكم اعمالكم ونحن له مخلصون

في محاجتهم كيف كان نفس محاجتهم للنبي انهم يزعمون انهم اولى بالحق لتقدم النبوة فيهم والكتاب وقيل بل
كانت محاجتهم انهم قالوا نحن احق من العرب بالايمان الذين عبدوا الاوثان وقيل كانت محاجتهم انهم قالوا
يا محمد ان الانبياء كانوا منا ولم يكن من العرب نبي فلو كنت نبيا لكنت منا وقال الحسن كانت محاجتهم ان قالوا
نحن اولى بالله منكم وقالوا نحن ابناء الله واحباؤه وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وكان غرضهم
بذلك ان الدين يلتمس من جهتهم وان النبوة اولى ان تكون فيهم فبين سبحانه بطلان ذلك بقوله وهو ربنا وربكم
اي خالقنا وخالقكم فهو اعلم حيث يجعل رسالاته ومن الذي يقوم باعبائها ويحملها على وجه يكون اصلح للخلق
اولى به يريهم وقوله ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم اي لنا ديننا ولكم دينكم وقيل معناه ما علينا مضرة من اعمالكم
وما لكم منفعة باعمالنا فضرر اعمالكم عليكم ونفع اعمالنا لنا وقيل انه انكار لقولهم ان العرب يعبد الاوثان وبيان
لان الحجة فيها اذ كل ماخوذ بما كسبت يداه ولا يؤخذ احد بجرم غيره وقوله ونحن له مخلصون اي موحدون
والمراد بذلك ان المخلص اولى بالحق من المشرك وقيل معناه الرد عليهم بما احتجوا به من عبادة العرب للاوثان
وكانه قال لا عتب لنا في ذلك اذا كنا موحدين كما لا عيب عليكم بفعل من عبد العجل من اسلافكم اذا اعتقدتم
الانكار عليهم ذلك فصل في الاخلاص روي عن حذيفة بن اليمان قال سالت النبي صلى الله عليه وآله عن الاخلاص
ما هو قال سالت جبرئيل عن ذلك فقال سالت رب العزة عن ذلك قال هو سر من سري استودعته قلب
من احببت من عبادي وروي عن ابي ادريس الخولاني عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال لكل حق حقيقة الاخلاص
حتى لا يحب ان يحمد على شيء من عمل الله وقال سعيد بن جبير الاخلاص ان يخلص العبد دينه وعمله لله ولا يشرك
به في دينه ولا يرائي بعمله احدا وقيل الاخلاص ان تستوي افعال العبد في الظاهر والباطن وقيل هو ما استتر
من الخلائق واستصفي من العلائق وقيل هو ان يكتم حسناته كما يكتم سيئاته قوله عز وجل ام تقولون ان ابرهيم
واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى قل ءانتم اعلم ام الله ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده
من الله وما الله بغافل عما تعملون آية القراءة قرا اهل الكوفة عن ابي بكر وابن عامر ام تقولون بالتاء والباقون بالياء
الاول على الخطاب فيكون ام متصلة بما قبلها من الاستفهام كانه قال اتحاجوننا في الله ام تقولون ان الانبياء كانوا
على دينكم والتقدير باي الحجتين تتعلقون في امرنا بالتوحيد فنحن موحدون ام باتباع دين الانبياء فنحن لهم متبعون
والثاني وهو القراءة بالياء على العدول من الحجاج الاول الى حجاج آخر فكانه قال بل يقولون ان الانبياء من قبل ان
نزل التوراة والانجيل كانوا هودا او نصارى ويكون ام هذه منقطعة قد اعرض عن خطابهم استجهالا لهم بما
كان منهم كما يقبل العالم على من بحضرته بعد ارتكاب مخاطبه جهالة شنيعة فيقول قد قامت عليه الحجة
او يقول بابطال النظر المؤدي الى المعرفة اللغة الاعلم والاعرف والادرى بمعنى واحد والاظلم والاجور
والاعتى نظائر وافعل هذه يستعمل بمعنى الزيادة وانما يجيء معناه فيما يقع فيه التزايد كقولهم افضل واطول
واكثر واحسن واستروا حد الغفلة والسهو والنسيان نظائر وهو ذهاب المعنى عن النفس الصحيح ان السهو ليس
بمعنى وانما هو فقد علوم مخصوصة فان استمر به السهو مع صحة سمي جنونا واذا قارنه ضرب من الضعف سمي
اغماء واذا قارنه من الاسترخاء سمي نوما وان قارنه نوع من الطرب سمي سكرا واذا حصل السهو بعد علم سمي
نسيانا الاعراب ام الله مبتدا وخبره محذوف تقديره ام الله اعلم وعنده ظرف مكان لكتم او يكون صفة
لشهادة تقديره شهادة كائنة عنده ومن الله صفة لشهادة ايضا وهو صفة بعد صفة المعنى قد ذكرنا الفرق
في المعنى من قرا ام يقولون على المخاطبة وقوله ام يقولون بالياء على ان يكون المعنى لليهود والنصارى وهم غيب
وفي هذا احتجاج عليهم في قولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى من وجوه احدها ما اخبر به الانبياء

من ظهور المعجز الدال على صدقه والآخر ما في التوراة والانجيل من ان هؤلاء الانبياء كانوا الحنيفية والثالث ان
عندهم انما يقع اسم اليهودية على من تمسك بشريعة التوراة واسم النصرانية على من تمسك بشريعة الانجيل والكتابان
انزلا بعدهم كما قال سبحانه وما انزلت التوراة والانجيل الا من بعده والرابع انهم ادعوا ذلك من غير برهان فوبخهم سبحانه
بهذه الوجوه وقوله قل ءانتم اعلم ام الله صورته صورة الاستفهام والمراد به التوبيخ ومثله قوله ءانتم اشد خلقا ام
السماء بناها ومعناه قل يا محمد لهم ءانتم اعلم ام الله وقد اخبر الله سبحانه انهم كانوا هودا او نصارى فيلزمكم انكم
تدعوا انكم اعلم ام الله وهذا غاية الخزي فان قيل لم قال ءانتم اعلم ام الله وقد كانوا يعلمونه فكتموه وانما ظاهر
هذا الخطاب لمن لا يعلم فالجواب ان من قال انهم كانوا على ظن وتوهم فوجه الكلام على قوله واضح ومن قال انهم
كانوا يعلمون ذلك فانما كانوا يجحدونه فمعناه ان منزلتكم منزلة المعترض على ما يعلم ان الله اخبر به فما ينفعه ذلك
مع اقراره بان الله اعلم منه وانه لا يخفى عليه شيء لان ما دل على انه اعلم هو الدال على انه لا يخفى عليه شيء وهو انه
عالم لذاته يعلم جميع المعلومات قوله ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله فيه اقوال احدها ان
من في قوله من الله لابتداء الغاية وهو متصل بالشهادة لا بالكتمان ومعناه وما احد اظلم ممن يكون عنده
شهادة من الله فيكتمها والمراد بهذه الشهادة ان الله تعالى بين في كتابهم صحة نبوة محمد صلى الله عليه وآله والبشارة
به عن الحسن وقتادة وقيل المراد بها ان ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب واولاده كانوا حنفاء مسلمين فكتموا
هذه الشهادة وادعوا انهم كانوا على دينهم عن مجاهد فهذه شهادة من الله عندهم فكتموها والثاني ان
من متصل بالكتمان اي من اظلم ممن كتم ما في التوراة من امر محمد عبد الله او كتم شهادة ان يؤديها الى الله
والثالث ان المراد من اظلم في كتمان الشهادة من الله لو كتموها وفي ذلك تخويفهم من الظلم ممن يجيز على
الفقير الضعيف من السلطان الغني القوي والمعنى انه يلزمكم ان لا احد اظلم من الله اذ كتم شهادة عنده ليوقع
عباده في الضلال وهو الغني عن ذلك المتعالي اي لو كان هودا او نصارى لاخبر بذلك وهذا معنى قول البلخي
وابي مسلم وقوله وما الله بغافل عما تعملون اوعدهم سبحانه بما يجمع كل وعيد اي ليس الله بساه عن كتمان الشهادة
التي لزمكم القيام بها لله تعالى فنبه على عمومه اي لا يخفى على الله شيء من المعلومات فكونوا على حذر من الجزاء
على اعمالكم بما تستحقونه من العقاب قوله عز وجل تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون
آية قد مضى تفسير هذه الآية وقيل في وجه تكرارها انه عنى بالاولى ابرهيم ومن ذكر معه من الانبياء وبالثانية
اسلاف اليهود وقيل انه اذا اختلفت الاوقات في المواطن لم يكن التكرير ووجه اتصال الآية بما قبلها انه يقول
اذا سلم لكم ما ادعيتم من ان الانبياء كانوا على دين اليهودية او النصرانية فليس لكم فيه حجة لانه لا يمتنع اختلاف
الشرايع والمصالح لله سبحانه ان ينسخ من الشرايع ما شاء ويقر منها ما شاء على حسب ما تقتضيه الحكمة وقيل ان ذلك
ورد مورد الوعظ لهم والزجر حتى لا يتكلوا على فضل الآباء والاجداد فان ذلك لا ينفعهم اذا خالفوا امر الله قوله عز وجل
جزء سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء الى صراط مستقيم
آية اللغة السفيه والجاهل والغبي نظاير وقد ذكرنا معنى السفه والسفيه فيما مضى وولاه عنه اي صرفه وصله واشتقاقه
من الولي وهو القرب وهو حصول الثاني بعد الاول من غير فصل والثاني يلي الاول والثالث يلي الثاني ثم هكذا
ابدا وولى عنه خلاف ولي اليه مثل قولك عدل عنه وعدل اليه وانصرف عنه وانصرف اليه فاذا كان الذي يليه متوجها
اليه فهو متول اليه واذا كان متوجها الى خلاف جهته فهو متول عنه والقبلة مثل الجلسة للحال التي يقابل الشيء غيره
عليها كما ان الجلسة للحال التي يجلس عليها وكان يقال فيما حكي هو لي قبلة وانا له قبلة ثم صار علما على الجهة التي
يستقبل في الصلوة الاعراب من الناس في محل النصب حال من السفهاء ما استفهام وهو مبتدا ولاهم خبره وعن قبلتهم متعلق

ثم ذكر سبحانه الذين عابوا المسلمين بالانصراف عن قبلة بيت المقدس الى الكعبة فقال سيقول السفهاء
من الناس اى سوف يقول الجهال وهم الكفار الذين هم بعض الناس ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها اى
اى شىء حولهم وصرفهم يعنى المسلمين عن بيت المقدس الى الكعبة فقال سيقول السفهاء من الناس اى سوف يقول
الجهال وهم الكفار الذين هم بعض الناس ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها اى شىء حولهم وصرفهم يعنى المسلمين
عن بيت المقدس الذى كانوا يتوجهون اليها فى صلاتهم واختلف فى الذين قالوا ذلك فقال ابن عباس وغيره
هم اليهود وقال الحسن هم مشركوا العرب وان رسول الله لما حول الى الكعبة من بيت المقدس قالوا يا محمد رغبت عن قبلة
آبائك ثم رجعت اليها فلترجعن الى دينهم وقال السدى هم المنافقون قالوا ذلك استهزاء بالاسلام واختلف
فى سبب مقالتهم ذلك فقيل انهم قالوا ذلك على وجه الانكار للفسخ عن ابن عباس وقيل انهم قالوا يا محمد ما ولاك عن
قبلتك التى كنت عليها ارجع الى قبلتنا نتبعك ونؤمن بك ارادوا بذلك فتنته عن ابن عباس ايضا وقيل انما
قال مشركوا العرب ليوهموا ان الحق ما هم عليه واما الوجه فى الصرف عن القبلة ففيه قولان احدهما انه لما علم الله
فى ذلك من تغير المصلحة والآخر لما بينه سبحانه ممن يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه لانهم كانوا بمكة امروا ان يتوجهوا
الى بيت المقدس ليتميزوا من المشركين الذين كانوا يتوجهون الى الكعبة فلما انتقل رسول الله صلى الله عليه وآله الى المدينة
كانت اليهود يتوجهون الى بيت المقدس فامروا ان يتوجهوا الى الكعبة ليتميزوا من اولئك قل لله المشرق والمغرب
هو امر من الله سبحانه لنبيه ان يقول لهؤلاء الذين عابوا انتقالهم من بيت المقدس الى الكعبة المشرق والمغرب ملك لله
سبحانه يتصرف فيهما كيف يشاء على ما تقتضيه حكمته وفى هذا ابطال لقول من زعم ان الارض المقدسة اولى
بالتوجه اليها لانها مواطن الانبياء عم وقد شرفها الله وعظمها فلا وجه للتولية عنها فرد الله سبحانه عليهم بان المواطن
كلها لله يشرف منها ما يشاء فى كل زمان على ما يعلمه من مصالح العباد وعن ابن عباس كانت الصلوة الى بيت المقدس
بعد مقام النبى عم بالمدينة سبعة عشر شهرا وعن البراء بن عازب قال صليت مع رسول الله صلى الله عليه وآله نحو بيت المقدس
ستة عشر شهرا او سبعة عشر شهرا ثم صرفنا نحو الكعبة اورده مسلم فى الصحيح وعن انس بن مالك انما كان ذلك تسعة اشهر
او عشرة اشهر وعن معاذ بن جبل ثلاثة عشر شهرا ورواه على بن ابرهيم باسناده عن الصادق عليه السلام تحولت القبلة
الى الكعبة بعد ما صلى النبى صلى الله عليه وآله بمكة ثلاث عشرة سنة الى بيت المقدس وبعد مهاجرته الى المدينة صلى الى بيت المقدس
سبعة اشهر قال ثم وجهه الله الى الكعبة وذلك ان اليهود كانوا يعيرون رسول الله صلى الله عليه وآله ويقولون
انت تابع لنا تصلى الى قبلتنا فاغتم رسول الله صلى الله عليه وآله من ذلك غما شديدا وخرج فى جوف الليل
ينظر الى آفاق السماء ينتظر من الله تعالى فى ذلك امرا فلما اصبح وحضر وقت صلوة الظهر كان فى مسجد بنى سالم قد صلى
من الظهر ركعتين فنزل عليه جبرئيل عم فاخذ بعضديه وحوله الى الكعبة وانزل عليه قد نرى تقلب وجهك فى
السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام فكان صلى ركعتين الى بيت المقدس وركعتين الى
الكعبة فقالت اليهود والسفهاء ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها قال الزجاج انما امر بالصلوة الى بيت المقدس
لان مكة وبيت الله الحرام كانت العرب آلفة لحجه فاحب الله ان يمتحن القوم بغير ما ألفوه ليظهر من يتبع الرسول ممن
لا يتبعه وقوله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم اى يدله ويرشده الى الدين وانما سماه الصراط لانه طريق الجنة المؤدى
اليها كما يؤدى الطريق الى المقصد وصل الى طريق الجنة قوله عز وجل وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على
الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وما جعلنا القبلة التى كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب
على عقبيه وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع ايمانكم ان الله بالناس لرؤف رحيم
آية القراءة قرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وحفص عن عاصم لرؤف على وزن رعوف وقرأ ابو جعفر لروف مثقل بغير همز

والباقون لرؤف على وزن رعوف الحجة من قرأ رؤف فلانه بناء فعول اكثر فى كلامهم من فعل الا ترى ان باب
ضروب وصبور افضل من باب يقظ وحذر وقد جاء على هذه الزنة من صفات الله تعالى نحو غفور وشكور
وودود ولا نعلم فيها فعلا وقال كعب بن مالك الانصارى نطيع نبينا ونطيع ربا هو الرحمن كان بنا رؤفا ومن قرأ رؤفا
قال ان ذلك الغالب على اهل الحجاز قال الوليد بن عقبة لمعوية وشر الطالبين فلا تكنه يقاتل عمه الرؤف الرحيم
وقال جرير يرى للمسلمين عليك حقا كفعل الوالد الرؤف الرحيم اللغة الوسط العدل وقيل الخيار ومعناهما واحد
لان الخير لعدل والخير عدل واصل ذلك من المكان الذى تعدل المسافة منه الى اطرافه وقيل بل اخذ من التوسط
بين المقصر والغالى والحق معه قال مؤرج اى وسطا بين الناس وبين انبيائهم قال زهير هم وسط يرضى الانام بحكمهم
اذا طرقت احدى الليالى بمعظم قال صاحب العين الوسط من كل شىء اعدله وافضله وقيل الواسط والوسط كاليبس
واليبس وقيل فى صفة النبى صلى الله عليه وآله كان من اوسط قومه اى من خيارهم والعقب مؤخر القدم
وعقب الانسان نسله قال نقلب نرد على اعقابنا اى نعقب الشر بعد الخير وكذلك رجع على عقبيه والعقبة الكرة بعد
الكرة فى الركوب والمشى والتعقب والرجوع الى الامر يريده ومنه ولم يعقب وعقب الليل النهار يعقبه والاضاعة
مصدر اضاع يضيع وضاع الشىء ضياعا وضيع الشىء تضييعا وقال صاحب العين ضيعة الرجل حرفته تقول ما ضيعتك
اى حرفتك ومنه كل رجل وضيعته وترك عياله ضيعة ومضيعة والضيعة والضياع معروف واصل الضياع
الهلاك قال ابو زيد رأفت الرجل ارأف به رأفة ورآفة ورؤفت به ارؤف به بمعنى الاعراب فى الآية ثلاث
لامات مختلفات فاللام فى قوله لتكونوا اللام كى وتكونوا فى موضع نصب باضمار ان وتقديره لان تكونوا وان تكونوا
يكونوا فى موضع جر باللام لانها اللام الجارة فى الاصل واللام فى قوله وان كانت لكبيرة لام تاكيد وهى لام الابتداء
فصلت بينها وبين ان لئلا يجتمع حرفان متفقان فى المعنى وهى تلزم ان المخففة من الثقيلة لئلا تلتبس بان النافية
التى هى بمعنى ما فى مثل قوله ان الكافرون الا فى غرور وقال الكوفيون ان فى هذا الموضع بمعنى ما واللام
بمعنى الا تقديره وما كانت الا كبيرة وانكر البصريون ذلك لانه لو كان كذلك لجاز ان يقال جاء القوم لزيد
بمعنى الا زيدا واما اللام فى قوله وما كان الله ليضيع ايمانكم فلام النفى واصلها لام الجر فى الاضافة وينتصب
الفعل بعدها باضمار ان ايضا الا انه لا يجوز اظهار ان بعدها لان التقدير ما كان الله مضيعا ايمانكم
فلما حمل معناه على التأويل حمل لفظه ايضا على التأويل من غير تصريح باظهار ان ويجوز اظهار ان بعد لام
كى كما ذكرناه والكاف فى قوله وكذلك كاف التشبيه وهو فى موضع النصب بالمصدر وذلك اشارة الى الهداية
فى قوله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم والتقدير انعمنا عليكم بالعدالة كما انعمنا عليكم بالهداية والعامل
فى الكاف جعلناكم كانه قيل يهدى من يشاء الى صراط مستقيم فقد انعمنا عليكم كذلك وجعلناكم امة وسطا فان
مثل ذلك الانعام الآن جعلناكم بدل على انعمنا وهدى الله صلة الذين والضمير العائد الى الموصول محذوف تقديره
على الذين هداهم الله والجار والمجرور فى محل النصب على الاستثناء تقديره ان كانت لكبيرة على الكل الا على الذين
هداهم الله المعنى ثم بين سبحانه فضل هذه الامة على سائر الامم فقال سبحانه وكذلك جعلناكم امة وسطا وقد ذكرنا
تعلق الكاف بالمضاف الى ذلك بما تقدم اخبر عز اسمه بان جعل امة وسطا بينهم عدلا وواسطة بين الرسول والناس
ومتى قيل اذا كان فى الامة من ليس هذه صفته فكيف وصفت جماعتهم بذلك فالجواب ان المراد به من كان بتلك
الصفة ولان كل عصر لا يخلو من جماعة هذه صفتهم وروى بريد بن معوية العجلى عن الباقر عليه السلام قال نحن الامة
الوسط ونحن شهداء الله على خلقه وحجته فى ارضه وفى رواية اخرى قال الينا يرجع الغالى وبنا يلحق المقصر وروى
الحاكم ابو القاسم الحسكانى فى كتاب شواهد التنزيل باسناده عن سليم بن قيس الهلالى عن على عليه السلام ان الله

ايانا عنى الله بقوله لتكونوا شهداء على الناس فرسول الله شاهد علينا ونحن شهداء الله على خلقه وحجته في ارضه
ونحن الذين قال الله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا وقوله لتكونوا شهداء على الناس فيه ثلاثة اقوال احدها
ان المعنى لتشهدوا على الناس باعمالهم التي خالفوا فيها الحق في الدنيا وفي الآخرة كما قال وجيء بالنبيين والشهداء
وقال ويوم يقوم الاشهاد وقال ابن زيد الاشهاد اربعة الملائكة والانبياء وامة محمد صلى الله عليه وآله والجوارح
كما قال يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم الآية والثاني ان المعنى لتكونوا حجة على الناس فتبينوا لهم الحق
والدين ويكون الرسول شهيدا مؤديا للدين اليكم وسمي الشاهد شاهدا لانه يبين ولذلك قال الشهادة والبينة
والثالث انهم يشهدون للانبياء على اممهم المكذبين لهم بانهم قد بلغوا وجاز ذلك لاعلام النبي صلى الله عليه وآله
اياهم بذلك وقوله ويكون الرسول عليكم شهيدا اي شاهدا عليكم بما يكون من اعمالكم وقيل حجة عليكم
وقيل شهيدا لكم بانكم قد صدقتم يوم القيمة فيما تشهدون به ويكون على بمعنى اللام كقوله وما ذبح على النصب
اي للنصب وقوله وما جعلنا القبلة التي كنت عليها قيل يعني كنت عليها اي صرت عليها وانت عليها يعني الكعبة كما
كقوله سبحانه كنتم خير امة اي انتم خير امة وقيل وهو الاصح يعني بيت المقدس الذي كانوا يصلون اليها اي ما امرنا
عن القبلة التي كنت عليها الا لنعلم او ما جعلنا القبلة التي كنت عليها فصرفناك عنها الا لنعلم وحذفت لدلالة
الكلام عليه وفي قوله الا لنعلم اقوال اولها ان معناه لنعلم حزبنا من النبي والمؤمنين كما يقول الملك فتحنا بلد كذا وفعلنا
كذا اي فتح اولياؤنا والثاني ان معناه لنحصل المعلوم موجودا وتقديره لنعلم انه موجود فلا يصح وصفه بانه
عالم بوجود المعلوم قبل وجوده والثالث ان معناه لنعاملكم معاملة المختبر الممتحن لانه لا يعدل اذ العدل
يوجب ذلك من حيث لو عاملهم بما يعلم انه يكون منهم قبل وقوعه كان ظلما والرابع ما قاله علم الهدى المرتضى
قدس الله روحه وهو ان قوله لنعلم يقتضي حقيقة ان يعلم هو وغيره ولا يحصل علمه مع علم غيره الا بعد حصول الاتباع واما
قبل حصوله فيكون العالم به سبحانه هو المنفرد بالعلم به فصح ظاهر الآية وقوله من يتبع الرسول اي من يؤمن به ويتبعه
في اقواله وافعاله ممن ينقلب على عقبيه فيه قولان احدهما ان قوما ارتدوا عن الاسلام لما حولت القبلة جهلا
منهم بما فيها من وجوه الحكمة والآخر ان المراد به كل مقيم على كفره لان جهة الاستقامة اقبال وخلافها ادبار ولذلك
وصف الكافر بانه ادبر واستكبر وانه كذب وتولى اي عن الحق وقوله وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله
الضمير في كانت يعود الى القبلة على قول ابي العالية اي وقد كانت القبلة كبيرة وقيل الضمير يرجع الى التحويل ومفارقة
القبلة الاولى عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وهو الاقوى لان القوم انما ثقل عليهم التحول لا نفس القبلة
وقيل الضمير يرجع الى الصلوة عن ابن زيد وقوله لكبيرة قال الحسن معناه ثقيلة يعني التحويلة الى بيت المقدس لان العرب
لم يكن قبلة احب اليهم من الكعبة وقيل معناه عظيمة على من لا يعرف من وجه الحكمة فاما الذين هداهم الله لذلك
فلا يعظم عليهم وهم الذين صدقوا الرسول في التحول الى الكعبة وانما خص المؤمنين بانه هداهم الله وان كان قد
هدى جميع الخلق لانه ذكرهم على طريق المدح ولانهم الذين انتفعوا بهدى الله وغيرهم كانه لم يعتد بهم وقوله
وما كان الله ليضيع ايمانكم قيل فيه اقوال احدها انه لما حولت القبلة قالت ناس باعمالنا التي كنا نعمل في قبلتنا
الاولى فانزل الله وما كان الله ليضيع ايمانكم عن ابن عباس وقتاده وقيل انهم قالوا كيف بمن مات من اخواننا
قبل ذلك وكان مات سعد بن زرارة والبراء بن معرور وكانا من النقباء فقال الله وما كان الله ليضيع ايمانكم اي صلاتكم
الى بيت المقدس ويمكن على هذا ان يحمل الايمان على اصله في التصديق اي لا يضيع تصديقكم بامر تلك القبلة
وثانيها انه لما ذكر ما عليهم من المشقة في التحويلة اتبعه بذكر ما لهم عنده بذلك من المثوبة وانه لا يضيع ما عملوه
من الكلفة فيه لان التذكير به يبعث على ملازمة الحق والرضا به عن الحسن وثالثها انه لما ذكر انعامه عليهم بالتولية

الى الكعبة ذكر السبب الذي يستحقون به ذلك الانعام وهو ايمانهم بما عملوه اولا فقال وما كان الله ليضيع ايمانكم الذي استحققتم
به تبليغ محبتكم في التوجه الى الكعبة عن ابي القاسم البلخي وقوله ان الله بالناس لرؤف رحيم رؤف بهم لا يضيع عنده
عمل عامل منهم والرافة شدة الرحمة وقال سبحانه بالرافة والرحمة على انه يوفر عليهم ما استحقوه من الثواب من غير تضييع شيء
منه وقيل انه سبحانه ذكر بقوله رؤف رحيم انه منعم على الناس بتحويل القبلة واستدل كثير من العلماء بهذه الآية
على ان اجماع الامة حجة من حيث انه وصفهم بانهم عدول فاذا عدلهم الله سبحانه لم يجز ان يكون شهادتهم مردودة والصحيح
انها لا تدل على ذلك لان ظاهر الآية يقتضي ان يكون كل احد من الامة بهذه الصفة ومعلوم خلاف ذلك ومتى حملوا
الآية على بعض الامة لم يكونوا باولى ممن حملها على المعصومين والائمة من آل الرسول عليهم السلام وفي هذه الآية دلالة على
جواز النسخ في الشريعة بل على وقوعه لانه قال وما جعلنا القبلة التي كنت عليها واخبر انه سبحانه هو الجاعل لتلك القبلة
وانه هو الذي نقلنا عنها وذلك هو النسخ قوله عز وجل **قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضيها
فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق
من ربهم وما الله بغافل عما يعملون** آية **اللغة** الرؤية هو ادراك الشيء بالبصر ونظيره الاحساس ويستعمل بمعنى
العلم والتقلب والتحول والتصرف نظائر وهو التحرك في الجهات ويقال ولاه تلك القبلة اي صيره يستقبلها بوجهه
وليس هذا المعنى في فعلت منه لانك تقول وليت الدار فلا يكون فيه دلالة على انك وليتها وجهها ففعلت في هذه
الكلمة ليس بمعنى فعلت الذي وليت وقد جاءت هذه الكلمة مستعملة على خلاف المقابلة والمواجهة
في نحو قوله يولون الدبر وقوله يولوكم الادبار فهذا منقول من قولهم داري بحذاء داره تقول وليت ميامنه ولا
في مياسره مثل فرحته والرضا ضده السخط وهو يرجع الى الارادة فاذا قيل رضي عنه فكانه اراد تعظيمه وثوابه
واذا قيل رضي عمله فكانه اراد ذلك والسخط ارادة الانتقام وشطر المسجد الحرام اي نحوه وتلقاه قال الشاعر
وقد اظلكم من شطر ثغركم هول له ظلم تغشاكم قطعا اي من نحو ثغركم وقال ان العسير بها داء مخامرها فشطرها
نظر العينين محسور اي نحوها قال الزجاج يقال هؤلاء القوم مشاطرونا اي دورهم تتصل بدورنا كما يقال هؤلاء
يناحونا اي نحن نحوهم وهم نحونا وقال صاحب العين شطر كل شيء نصفه وشطره نحوه وقصده ومنه المثل احلب
حلبا لك شطره اي نصفه وشطرت الشيء جعلته نصفين والحرام المحرم كما ان الكتاب بمعنى المكتوب والحساب بمعنى
المحسوب والحق وضع الشيء في موضعه اذا لم يكن فيه وجه من وجوه القبح والغفلة هي السهو عن بعض الاشياء خاصة واذا
كان السهو عاما فهو فوق الغفلة لان النائم لا يقال له غافل الا مجازا **الاعراب** حيثما كنتم موضع كنتم جزم بالشرط وتقديره
وحيثما تكونوا والفاء وما بعده في موضع الجزاء ولا تجازي بحيث واذ حتى يكف كل واحد منهما بما وذلك
لانهما لا يكونان الا مضافين الى ما بعدهما في الجملة قبل المجازاة بهما فالزمان في المجازاة ما يكفهما عن الاضافة
لان الاضافة تمنع الجزاء بهما وذلك لان الفعل اذا وقع في موضع اسم ارتفع والمضاف اليه في موضع اسم مجرور
وموضعه جر بالاضافة فيمتنع جزمه بالجزاء مع وجود شرط الرفع فيه فلما كان كذلك كفا بما ليتمكن جزم فعل الشرط
والفاء مع ما بعده في محل الجزم وشطر منصوب على الظرف **النزول** قال المفسرون ان الكعبة احب القبلتين الى
رسول الله صلى الله عليه وآله فقال لجبرئيل وددت ان الله صرفني عن قبلة اليهودي الى غيرها فقال له جبرئيل
انما انا عبد مثلك وانت كريم على ربك فادع ربك وسله ثم ارتفع جبرئيل وجعل رسول الله صلى الله عليه وآله
يديم النظر الى السماء رجاء ان ياتيه جبرئيل بالذي سال ربه فانزل الله تعالى هذه الآية **المعنى** قد نرى تقلب
وجهك يا محمد في السماء لانتظار الوحي في امر القبلة وقيل في تقلب النبي وجهه في السماء وجهان احدهما انه كان
قد وعد بتحويل القبلة عن بيت المقدس فكان يفعل ذلك انتظارا وتوقعا للموعود كما ان من انتظر شيئا فانه يجعل نظره

الى الجهة التي يتوقع وروده منها والثاني انه كره بيت المقدس ويهوى قبلة الكعبة وكان لا يسال الله تعالى
ذلك لانه لا يجوز للانبياء ان يسألوا الله تعالى شيئا من غير ان يؤذن لهم وفيه انه يجوز ان لا يكون فيه مصلحة
فلا يجابون الى ذلك فيكون فتنة لقومهم واختلف في سبب ارادته عم تحويل القبلة الى الكعبة فقيل لان الكعبة
كانت قبلة ابيه ابرهيم عم وقبلة ابائه عن ابن عباس وقيل لان اليهود قالوا يخالفنا محمد في ديننا ويتبع قبلتنا
عن مجاهد وقيل ان اليهود قالوا ما درى محمد واصحابه اين قبلتهم حتى هديناهم عن ابن زيد وقيل كانت
العرب يحبون الكعبة ويعظمونها غاية التعظيم وكان في التوجه اليها استمالة لقلوبهم ليكونوا احرص على الصلوة
اليها وكان عم حريصا على استدعائهم الى الدين ويحتمل ان يكون عم انما احب ذلك لجميع هذه الوجوه اذ لا تنافي
بينها وقوله فلنولينك قبلة ترضاها اي فلنصرفنك الى قبلة تريدها وتحبها وانما اراد به محبة الطباع لانه
كان يسخط القبلة الاولى فول وجهك شطر المسجد الحرام اي حول نفسك نحو المسجد الحرام لان وجه
الشيء نفسه وقيل انما ذكر الوجه لان به تظهر التوجه وقال ابو علي الجبائي اراد بالشطر النصف فامر الله
بالتوجه الى نصف المسجد الحرام حتى يكون مقابل الكعبة وهذا خطأ لانه خلاف اقوال المفسرين وحيثما
كنتم فولوا وجوهكم شطره اي اينما كنتم من الارض في بر او بحر او سهل او جبل فحولوا وجوهكم نحوه فالاول
خطاب للنبي واهل المدينة والثاني خطاب لجميع الامة اهل الآفاق ولو اقتصر على الاول لجاز ان يظن
ان ذلك قبلتهم حسب فبين سبحانه انه قبلة لجميع المسلمين في مشارق الارض ومغاربها وذكر ابو اسحق
الثعلبي في كتابه عن ابن عباس انه قال البيت كله قبلة وقبلة البيت الباب والبيت قبلة اهل المسجد والمسجد
قبلة اهل الحرم والحرم قبلة اهل الارض كلها وهذا موافق لما قاله اصحابنا ان الحرم قبلة من نأى عن الحرم
عن الآفاق وان الذين اوتوا الكتاب اراد به علماء اليهود وقيل علماء اليهود والنصارى ليعلمون انه
الحق من ربهم اي يعلمون ان تحويل القبلة الى الكعبة حق مامور به من ربهم وانما علموا ذلك لانه كان
في بشارة الانبياء لهم انه يكون نبي من صفاته كذا وكذا وكان في صفاته انه يصلي الى القبلتين وروي انهم قالوا
عند التحويل ما امرت بهذا يا محمد وانما هو شيء تبتدعه من تلقاء نفسك مرة الى هنا ومرة الى هنا فانزل الله
تعالى هذه الآية وبين انهم يعلمون خلاف ما يقولون وما الله بغافل عما يعملون اي ليس الله بغافل عما يعمل هؤلاء
من كتمان نبوة محمد والمعاندة ودل ذلك على ان المراد بالآية قوم معدودون يجوز على مثلهم التواطؤ على
الكذب وعلى ان يظهروا خلاف ما يبطنون واما الجمع العظيم فلا يجوز عليهم التواطؤ على الكذب ولا يتأتى
فيهم كلهم ان يظهروا خلاف ما يعلمون وهذه الآية ناسخة لفرض التوجه الى بيت المقدس وقال ابن عباس
اول ما نسخ من القران فيما ذكر لنا شان القبلة وقال قتادة نسخت هذه الآية ما قبلها وقال جعفر بن مبشر
هذا مما نسخ من السنة بالقران وهذا هو الاقوى لانه ليس في القران ما يدل على التعبد بالتوجه الى بيت المقدس
ومن قال انها نسخت قوله فاينما تولوا فثم وجه الله قال هذه الآية عندنا مخصوصة بالنوافل في حال السفر وروي
ذلك عن ابي جعفر وابي عبد الله عم وليست بمنسوخة واختلف الناس في صلوة النبي صلعم الى بيت المقدس
فقال قوم كان عليه السلم يصلي بمكة الى الكعبة فلما هاجر الى المدينة امره الله تعالى ان يصلي الى بيت المقدس
ثم اعيد الى الكعبة وقال قوم كان يصلي بمكة الى بيت المقدس الا انه كان يجعل الكعبة بينه وبينها ولا يصلي في
غير المكان الذي يمكن هذا فيه وقال قوم بل كان يصلي بمكة وبعد قدومه المدينة الى بيت المقدس ولم
يكن عليه ان يجعل الكعبة بينه وبينها ثم امره الله بالتوجه الى الكعبة قوله عز وجل ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل آية
ما تبعوا قبلتك وما انت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك

من العلم انك اذا لمن الظالمين
آية الاعراب اختلف النحويون في ان لئن لم اجيبت بجواب
لو فقال الاخفش اجيبت بجواب لو لان الماضي وليها كما يلي لو فدخلت كل واحدة منهما على صاحبتها قال سبحانه
ولئن ارسلنا ريحا فراوه مصفرا لظلوا فاجرى لئن مجرى لو وقال ولو انهم آمنوا واتقوا ثم قال لمثوبة فاجرى
لو مجرى لئن وقال سيبويه واصحابه ان معنى لظلوا ليظلن لان لئن غير معنى لو وكل واحد منهما على حقيقته
معنى لو انها يمتنع بها الشيء لامتناع غيره كقولك لو اتيتني لاكرمتك فامتنع الاكرام لامتناع الاتيان ومعنى
ان ان يقع بها الشيء لوقوع غيره تقول ان تأتني اكرمك فالاكرام يقع بوقوع الاتيان ولو للماضي وان للمستقبل
مستقبل وانما وقع في الجواب هذا التداخل لدلالة اللام على معنى القسم فيجيء جواب القسم اعني جواب الشرط
لدلالته عليه وكذلك قوله انك اذا لمن الظالمين ليس بجواب للشرط على الحقيقة ولكنه جواب القسم وقد اغنى
عن الجزاء لدلالته عليه وانما يجاب الشرط بالفعل او بالفاء او باذا على ما هو مشروح في مواضعه المعنى ولئن
اتيت الذين اوتوا الكتاب في الكلام معنى القسم اي والله لئن اتيت الذين اعطوا الكتاب يعني اهل العناد من علماء
اليهود والنصارى عن الزجاج والبلخي وقيل المعني به جميع اهل الكتاب عن الحسن وابي علي بكل آية اي بكل حجة
ودلالة ما تبعوا قبلتك اي لا يجتمعون على اتباع قبلتك على القول الثاني وعلى القول الاول لا يؤمن به احد
لان المعاند لا ينفعه الدلالة وانما ينفع الجاهل الذي يعلم وما انت بتابع قبلتهم في معناه اربعة اقوال
احدها انه دفع لتجويز النسخ وبيان ان هذه القبلة لا تنسخ وثانيها انه على وجه المقابلة لقوله ما تبعوا قبلتك
كما تقول ما هم بتاركي انكار الحق وما انت بتارك الاعتراف به فيكون الذي جرى الكلام الثاني هو المقابل
للكلام الاول وثالثها ان المراد ليس عليك استصلاحهم باتباع قبلتهم لاختلاف وجهتهم لان النصارى يتوجه
الى جهة المشرق الموضع الذي ولد فيه عيسى عم واليهود الى بيت المقدس فبين الله سبحانه ان ارضاء الفريقين محال
ورابعها ان المراد حسم اطماع اهل الكتاب من اليهود اذ كانوا طمعوا في ذلك وظنوا انه يرجع الى الصلوة الى بيت
المقدس وقوله وما بعضهم بتابع قبلة بعض في معناه قولان احدهما انه لا تصير النصارى كلهم يهودا ولا تصير اليهود كلهم نصارى
ابدا كما لا يتبع جميعهم الاسلام وهذا من الاخبار بالغيب قال الحسن والسدي والآخر ان معناه اسقاط اعتلالهم بانه لا يجوز
مخالفة اهل الكتاب فيما اورثوه من انبياء الله وان بيت المقدس لم يزل كان قبلة للانبياء فهو اولى ان يكون قبلة
اي فكما جاز ان يخالف من جهتهم للاستصلاح جاز ان يخالف بوجهه ثالثة في زمان آخر للاستصلاح ويحتمل ايضا
ان يجري الكلام على الظاهر لانه لم يثبت ان يهوديا تنصر ولا ان نصرانيا تهود فلا ضرورة بنا الى العدول عن الظاهر
الى التاويل وهذا قول القاضي وقوله ولئن اتبعت اهواءهم الخطاب للنبي صم وفيه اقوال اولها ان المراد به
غيره من امته وان كان الخطاب له والمراد الدلالة على ان الوعيد يستحق باتباع اهوائهم وان اتباعهم ذنب
عن الحسن والزجاج وثانيها ان المراد ان اتبعت اهواءهم في المداراة لهم حرصا على ان يؤمنوا انك اذا لمن الظالمين
لنفسك مع اعلامنا اياك انهم لا يؤمنون عن الجبائي وثالثها ان معناه الدلالة على فساد مذاهبهم وتبكيتهم بها وان
من تبعهم كان ظالما ورابعها انه على سبيل الزجر عن الركون اليهم ومقاربتهم [illegible]
على عادته ثم عن الماضي من بعد ما جاءك من العلم اي من الآيات والوحي الذي هو طريق العلم وقيل من بعد
علمت ان الحق ما انت عليه من القبلة والدين انك اذا لمن الظالمين قد مضى معناه وهو مثل قوله لئن اشركت
ليحبطن عملك وفي هذه الآية دلالة على فساد قول من قال انه لا يصح الوعيد بشرط وان من علم الله سبحانه انه لن يؤمن
لا يستحق العقاب اصلا لان الله تعالى علق الوعيد بشرط يوجب انه متى حصل الشرط حصل استحقاق العقاب ومنها
دلالة على فساد قول من زعم ان في المقدور لطفا لو فعل الله تعالى بالكافر لامن لا محالة لقوله ولئن اتيتهم بكل آية

مالبعوا قبلتك فعلى قول من قال المراد به المعاند لا ينفعه شيء من الآيات وعلى قول من قال المراد به جميع الكفار فلا لطف
لهم اذ يؤمنون عنده فعلى الوجهين معا يبطل قولهم وفيها دلالة ايضا على ان جميع الكفار لا يؤمنون قوله عز وجل الذين آتيناهم
الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون المعنى اخبر الله سبحانه انهم يعرفون النبي صلى الله عليه وآله وصحة نبوته
فقال الذين آتيناهم اي اعطيناهم الكتاب وهم العلماء منهم يعرفونه اي يعرفون محمدا وانه حق كما يعرفون ابناءهم والضمير في
يعرفونه يعود الى العلم من قوله من العلم يعني النبوة وقيل الضمير يعود الى امر القبلة عن ابن عباس فان قيل كيف قال
يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وهم كانوا يعرفون ابناءهم من جهة الحكم ويعرفون امر النبي صلى الله عليه وآله من جهة الحقيقة
قيل انه شبه المعرفة بالمعرفة ولم يشبه طريق المعرفة بطريق المعرفة وكل واحد من
المعرفتين كالاخرى وان اختلف الطريقان وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون ... الفريق منهم لان من
اهل الكتاب من اسلم كعبد الله بن سلام وكعب ... وغيرهما قوله عز وجل الحق من ربك فلا تكونن من الممترين
آية اللغة الامتراء الاستخراج وقيل الاستدرار قال الاعشى ... على سوق الممترين وكذا اذا ما السحاب ...
يعني الشاكين في ... لطول سيرها وقيل المستخرج ما عندها قال صاحب العين المري مسح ضرع الناقة يمريها
بيدك لتسكن للحلب والريح والسحاب ... المرية من ذلك والمرية الشك ومنه الامتراء والتمادي والمماراة والمراء الجدال
واصل الباب الاستدرار يقال بالشكر تمترى النعم اي تستدر الاعراب الحق رفع باضمار مبتدأ محذوف وتقديره هذا
الحق او هو الحق ومثله مررت برجل كريم زيد اي هو زيد ولو نصب لجاز في العربية على تقدير اعلم الحق من ربك او
الزم الحق والنون في تكونن نون التأكيد يؤكد بها الامر والنهي ولا يؤكد بها الخبر لما كان الخبر يدل على كون المخبر به وليس
كذلك الامر والنهي والاستخبار ... لزم الخبر التأكيد بالقسم وجوابه واختصت هذه الاشياء بنون التأكيد ليدل على
اختلاف المعنى في المؤكد ولما كان الخبر اصل الجمل اكد بما يبلغ التأكيد وهو القسم المعنى هو الحق من ربك وهو
ما اتاه امر من الوحي والكتاب والشرائع فلا تكونن من الممترين من الشاكين في الحق الذي تقدم اخبار الله تعالى به
وفي عناد من كتم النبوة وامتناعهم من الاجتماع على ما قامت به الحجة وقيل من الممترين في شيء يلزمك العلم به وهذا اولى لانه
اعم والخطاب وان كان متوجها الى النبي صلى الله عليه وآله فالمراد به الامة كقوله عز اسمه يا ايها النبي اذا طلقتم وامثاله
وقيل الخطاب له لانه انما يجوز عليه ذلك ... امر الله سبحانه ... لو لم يكن هناك امر لم تصح الملازمة وفي هذا دلالة
على جواز ثبوت القدرة على خلاف المعلوم خلافا لقول المجبرة قوله عز وجل ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا
الخيرات اينما تكونوا يأت بكم الله جميعا ان الله على كل شيء قدير آية القراءة قرأ ابن عامر وابو بكر عن عاصم هو مولاها
وروى ذلك عن ابن عباس ومحمد بن علي الباقر والباقون موليها الحجة من قرأ هو موليها فالضمير الذي في
هو يعني الله عز وجل والتقدير موليها اياه حذف المفعول الثاني بجري ذكره المظهر وهو كل في قوله ولكل وجهة
وهو مبتدأ وموليها خبره والجملة التي هي موليها في موضع رفع لكونها وصفا لوجهة ومن قرأ هو مولاها فالضمير
الذي هو لكل وقد جرى ذكره وقد استوفى الاسم الجاري على الفعل المبني للمفعول مفعوليه اللذين يقتضيهما
احدهما الضمير المرفوع من مولى والآخر ضمير المؤنث ويجوز ان يكون الضمير الذي هو في قوله هو موليها عائدا الى كل وفي التقدير
ولكل وجهة هو موليها وجهه اي لكل اهل وجهة هم الذين ولوا وجوههم الى تلك الجهة اللغة واختلف اهل العربية
في وجهة فبعضهم يذهب الى انه مصدر ... القياس فجاء مصححا ومنهم من يقول هو اسم ليس بمصدر فجاء
على اصله وانه لو كان مصدرا لصحح الانزال هذا المصدر انما اعتل على الفعل حيث كان عاملا ... وكان
على حركاته وسكونه فلو صح لصح الفعل لان هذه الافعال المعتلة اذا صحت في موضع تبعها ما في ذلك فوجهة اسم للمتوجه
والجهة المصدر قال الواحدي الجهة ما ... المصدر ... ولذلك في موضع الصفة للنكرة والاستباق

والاسراع والابتداء نظاير وله في هذا الامر سبقة وسابقة وسبق اي سبق الناس اليه المعنى هذا بيان كلام القبلة
ايضا وقوله ولكل وجهة فيه اقوال احدها ان معناه لكل اهل ملة من اليهود والنصارى قبلة عن مجاهد واكثر
المفسرين وثانيها ان لكل نبي وصاحب ملة وجهة اي طريقة وهي الاسلام وان اختلفت الاحكام لقوله سبحانه
لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا يعني شرائع الانبياء عن الحسن وثالثها ان لكل من المسلمين واهل الكتاب قبلة
يعني صلواتهم الى بيت المقدس وصلاتهم الى الكعبة عن قتادة ورابعها ان لكل قوم من المسلمين وجهة من
كان منهم وراء الكعبة او قدامها او عن يمينها او عن شمالها وهو اختيار الجبائي هو موليها اي الله موليها اياهم
ومعنى توليتهم لهم اياها انه امرهم بالتوجه نحوها في صلواتهم اليها ويدل على ذلك قوله فلنولينك قبلة ترضاها
وقيل معناها لكل مولى لوجهه فهو وجهه او نفسه الا انه استغنى عن ذكر النفس والوجه وكل وان كان مجموع المعنى
فهو موحد اللفظ فجاء البناء على لفظه فلذلك قال هو في الكناية عنه وان كان المراد به الجميع والمعنى كل جماعة
منهم يولونها وجوههم ويستقبلونها وقوله فاستبقوا الخيرات معناه سارعوا الى الخيرات عن الربيع والخيرات هي
الطاعة لله تعالى وقيل معناه بادروا الى القبول من الله عز وجل فيما امركم به مبادرة من يطلب السبق اليه عن
الزجاج وقيل معناه تنافسوا فيما دعيتم فيه الى الخير فلكل عندي ثوابه عن ابن عباس وقوله اينما تكونوا يأت
بكم الله جميعا اي حيثما متم من بلاد الله يأت بكم الله الى المحشر يوم القيامة وروى في اخبار اهل البيت عليهم السلم
انه المراد به اصحاب المهدي في آخر الزمان قال الرضا ع وذلك والله لو قام قائمنا يجمع الله اليه جميع شيعتنا من جميع
البلدان ان الله على كل شيء قدير اي هو قادر على جمعكم وحشركم وعلى كل شيء قوله عز وجل ومن حيث خرجت فول وجهك
شطر المسجد الحرام وانه للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون آية المعنى ومن حيث خرجت من البلاد فول وجهك شطر المسجد الحرام اي استقبل
بوجهك تلك المسجد الحرام وقيل في تكراره وجوه احدها انه لما كان فرضا نسخ ما قبله كان من مواضع التأكيد والتبيين
لينصرف الخلق الى الحال الثانية من الحال الاولى على تعين وثانيها انه مقدم لما يأتي بعده ويتصل به فاشبه الاسم الذي
تكرر ليخبر عنه باخبار كثيرة كما تقول زيد كريم زيد عالم وزيد فاضل وما اشبه ذلك مما يذكر ليعلق الفائدة به وثالثها
انه في الاول بيان لحال الحضر وفي الثاني لحال السفر وقوله انه للحق من ربك معناه ان التوجه الى الكعبة الحق المأمور به
من ربك ويحتمل ان يراد بالحق الثابت الذي لا يزول بنسخ كما يوصف القديم سبحانه بانه الحق اي الثابت الذي لا يزول
وما الله بغافل عما تعملون معناه هنا التهديد كما يقول الملك لعبيده ليس يخفى علي ما انتم فيه ومثله قوله ان ربك
لبالمرصاد قوله عز وجل ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون
للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشوني ولأتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون
الاعراب لئلا يكون هو لام كي ... الهمزة ياء لكسرة ما قبلها وترك نافع همزها تخفيفا وادغمت النون في اللام
وموضع اللام من لئلا نصب والعامل فيه فولوا وقال الزجاج العامل فيه ما دخل من معنى عرفتكم ذلك لئلا يكون ولكم
قوله ولأتم نعمتي عليكم اللام متعلق بقوله ولوا وتقديره لأن اتم وقوله الا الذين ظلموا فيه اقوال احدها انه استثناء
منقطع كقولهم ما لهم به من علم الا اتباع الظن وتقول ما له علي الا التعدي والظلم يعني لكنه يتعدى ويظلم وقال النابغة
ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب فكانه يقول ان كان فيهم عيب فهذا وهذا ليس بعيب فاذا ليس
فيهم عيب وهكذا في الآية ان كان على المؤمنين حجة فللظالم في احتجاجه وليس للظالم حجة فاذا ليس عليهم حجة والثاني
ان يكون الحجة بمعنى المحاجة فكانه قال لئلا يكون للناس عليكم حجاج الا الذين ظلموا فانهم يحاجونكم بالباطل
فعلى هذا يكون الاستثناء متصلا والثالث ما قال ابو عبيدة ان الا ههنا بمعنى الواو اي ولا الذين ظلموا وانكر عليه الفراء
والمبرد قال الفراء الواو لا يأتي بمعنى الا الا ان يتقدمه استثناء كما قال الشاعر ما بالمدينة دار غير واحدة دار الخليفة

ودار مروان وانشد الاخفش وارى لها دارا باغدرة السيدان لم يدرس لها رسم الا رمادا هامدا دفعت عنه الرياح خوالد سحم اى ارى لها دارا ورمادا وقال المبرد لا يجوز ان لا تكون الا بمعنى الواو واصلا الرابع ان فيه اضمار على تقدير الا الذين ظلموا منهم وكانه قيل لئلا تكون عليكم حجة الا الذين ظلموا فانه تكون الحجة عليهم وهم الكفار عن قطرب وهو اختيار الازهرى قال على بن عيسى هذان الوجهان بعيدان فالاختيار القول الاول **المعنى** قد مضى الكلام فى معنى اول الكلام وقيل فى تكراره وجوه احدها انه لاختلاف المعنى وان اتفق اللفظ لان المراد بالاول من حيث خرجت منصرفا عن التوجه الى بيت المقدس فول وجهك شطر المسجد الحرام والمراد بالثانى اين كنت من البلاد فتوجه نحوه من كل جهات الكعبة وساير الاقطار وثانيها ان هذه مواضع التاكيد لما جرى من النسخ ليثبت فى القلوب وثالثها انه لاختلاف المواطن والاوقات التى يحتاج الى هذا المعنى فيها وهو قوله لئلا يكون للناس عليكم حجة قيل فيه وجوه احدها ان معناه لئلا يكون لاهل الكتاب عليكم حجة اذا لم تصلوا نحو المسجد الحرام بان يقولوا ليس هذا هو النبى المبشر به اذ ذاك نبى يصلى بالقبلتين وثانيها ان معناه لا تعدلوا عما امركم الله به من التوجه الى الكعبة فتكون لهم عليكم حجة بان يقولوا لو كنتم تعلمون انه من عند الله لما عدلتم عنه عن الجبائى وثالثها ما قاله ابو روق ان حجة اليهود انهم كانوا قد عرفوا ان النبى المبعوث فى اخر الزمان قبلته الكعبة فلما راوا محمدا يصلى الى الصخرة احتجوا بذلك فصرفت قبلته الى الكعبة لئلا يكون لهم عليه حجة الا الذين ظلموا منهم يريد الا الظالمين الذين يكتمون ما عرفوا من انه يتحول الى الكعبة وعلى هذا يكون الاستثناء متصلا وقد بينا معنى ذكر ما فيه من الاقوال فى الاعراب انما اختلف العلماء فى وجه الاستثناء لان الظالم لا يكون له حجة لكنه يورد ما هو فى اعتقاده حجة وان كانت باطلة كما قال الله سبحانه حجتهم داحضة وقيل المراد بالذين ظلموا قريش واليهود فاما قريش فقالوا قد علم انها على هدى فرجع الى قبلتنا وسيرجع الى ديننا واما اليهود فقالوا لم ينصرف عن قبلتنا عن علم وانما فعل برايه وزعم انه قد امر به وقيل المراد بالذين ظلموا القوم الذين يظلمونكم بالمقاتلة وذلك الاستماع وقوله فلا تخشوهم واخشونى لما ذكرهم بالظلم والخصومة والمحاجة طيب نفوس المؤمنين فقال لا تخافوهم ولا تلتفتوا الى ما يكون منهم فان عاقبة السوء عليهم ولا حجة لاحد منهم عليكم ولا لله وقيل لا تخشوهم فى استقبال الكعبة واخشوا عقابى فى ترك استقبالها فانى احفظكم من كيدهم وقوله ولاتم نعمتى عليكم عطف على قوله لئلا وتقديره لئلا يكون لاحد عليكم حجة ولاتم نعمتى عليكم بهدايتى اياكم الى قبلة ابراهيم عليه السلم بين سبحانه انه حول القبلة لهذين الغرضين زوال القالة وتمام النعمة وروى عن ابن عباس قال ولاتم نعمتى عليكم فى الدنيا والآخرة اما فى الدنيا فانصركم على اعدائكم واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم واما فى الآخرة فجنتى ورحمتى وروى عن على عليه السلم قال النعم ستة الاسلام والقرآن ومحمد صلى الله عليه واله والستر والعافية والغنى عما فى ايدى الناس ولعلكم تهتدون اى لكى تهتدوا ولعل من الله واجب عن الحسن وجماعة وقيل تهتدوا الى ثوابها وقيل الى التمسك بها قوله عز وجل **كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يتلوا عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون** آية **اللغة** الارسال التوجيه بالرسالة والتحميل لها بالتوجه الى من قصد والتلاوة ذكر الكلمة بعد الكلمة على نظام متسق واصله من الاتباع ومنه تلاه اى تبعه والتزكية النسبة الى الازدياد من الافعال الحسنة التى ليست بمنسوبة ويقال ايضا على معنى التعريض لذلك بالاستدعاء اليه واللطف فيه يقال زكى فلان فلانا اذا اطراه ومدحه وزكاه حمله على ما يرى الزكاء والنماء والطهارة والقدس والحكمة هى العلم الذى يمكن به الافعال المستقيمة **الاعراب** ما فى قوله كما ارسلنا مصدرية كانه قال كارسالنا فيكم ويحتمل ان يكون كافة كما قال الشاعر اعلاقة ام الوليد بعدما افنان راسك كالثغام المخلس فانه بمنزلة قال كما رسالنا فيكم ويحتمل ان يكون كافة كما قال الشاعر كما يحسن اليك فاحسن الى احسانه والعامل فى الكاف من قوله كما يجوز ان يكون الفعل الذى قبله وهو قوله ولاتم نعمتى عليكم فعلى هذا لا يوقف عند قوله ولعلكم تهتدون ويكون الوقف عند قوله ما لم تكونوا تعلمون ويجوز

ان يكون الفعل بعده وهو قوله فاذكرونى اذكركم وعلى هذا يوقف عند قوله تهتدون ويبتدى بقوله كما ارسلنا ولا يوقف عند قوله تعلمون والاول احد قولى الزجاج واختيار الجبائى والثانى قول مجاهد والحسن واحد قولى الزجاج وقوله منكم فى موضع نصب لانه صفة لقوله رسولا وكذلك قوله يتلو وما بعده فى موضع الصفة **المعنى** قوله كما ارسلنا التشبيه فيه على القول الاول معناه اتمم النعمة فى امر القبلة كالنعمة بالرسالة لان الله تعالى لطف لعباده بهما على ما يعلم من المصلحة ومحمود العاقبة واما على قول الثانى فمعناه ان فى بعثة الرسول منكم العلم نعمة عليكم لانه يحصل لكم به نفع الرسالة فكما انعمت عليكم بهذه النعمة العظيمة فاذكرونى واشكروا الى واعبدونى انعم عليكم بالجزاء والثواب والخطاب للعرب على قول جميع المفسرين وقوله رسولا يعنى محمدا صلى الله عليه وآله منكم بالنسب لانه من العرب ووجه النعمة عليهم بكونه من العرب ما حصل لهم من الشرف والذكر لان العرب لم يكن لها قط رسولا لا يبعث اليهم من غيرهم ليحوزهم وعز بهم فى نفوسهم فيكون الرسول منهم يكون ادعى لهم الى الايمان به وباتباعه وقوله يتلوا عليكم آياتنا اراد بها القرآن ويزكيكم ويعرضكم لما تكونون به ازكياء من الامر بطاعة الله واتباع مرضاته ويحتمل ان يكون معناه ينسبكم الى انكم ازكياء بشهادته لكم بذلك ليعرفكم الناس به ويعلمكم الكتاب والحكمة الكتاب القرآن والحكمة هو القرآن ايضا جمع بين الصفتين لاختلاف فايدتهما كما تقول الله العالم بالامور كلها القادر عليها وقيل اراد بالكتاب القرآن وبالحكمة الوحى من السنة وما لا يعلم الا من جهته من الاحكام وقوله ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون اى ما لا سبيل لكم الى علمه الا من جهة السمع فذكرهم الله بالنعمة فيه ويكون التعليم لما عليه دليل من جهة العقل تابعا للنعمة فيه ولا سيما اذا وقع موقع اللطف قوله عز وجل **فاذكرونى اذكركم واشكروا لى ولا تكفرون** آية **اللغة** الذكر حضور المعنى للنفس وقد يكون بالقلب وقد يكون بالقول وكلاهما يحضر به المعنى للنفس وفى اكثر الاستعمال يقال الذكر بعد النسيان وليس ذلك موجب الا يكون الا بعد النسيان لان كل من حضره المعنى بالقول او العقد او الخطور بالبال ذاكر له واصله التنبيه على الشىء فمن ذكرك شيئا فقد نبهك عليه واذا ذكرته بنفسك فقد نبهت عليه والذكر الشرف والنباهة والفرق بين الذكر والخاطر ان الخاطر ما يمر بالقلب والذكر قد يكون بالقول ايضا وفى قوله اشكروا لى وجحد وف اى اشكروا لى نعمتى لان حقيقة الشكر الاعتراف بالنعمة وفى قوله ولا تكفرون ايضا محذوف لان الكفر هو ستر النعمة وجحدها لا يسمى شكر المنعم وقولهم حمدت زيدا وذممته احذف فيه وان كنت انما تحمد او تذم من اجل الفعل كما انه ليس فى قولك زيد متحرك حذف وان كان انما يحرك لاجل الحركة فليس كل كلام دل على معنى غيره مذكور يكون فيه حذف الا ترى ان قولك زيد ضارب دل على مضروب وليس بمحذوف فالحمد للشىء دلالة على انه محسن والذم دلالة على انه مسىء كقولك نعم الرجل زيد وبئس الرجل عمرو وقالوا شكرتك وشكرت لك وانما قيل شكرتك لايقاع اسم المنعم موقع النعمة يتعدى الفعل بغير واسطة والاجود شكرت لك النعمة لانه الاصل فى الكلام قال الشاعر هم جمعوا بؤسى ونعمى عليكم فهلا شكرت القوم اذ لم تقابل ومثل ذلك نصحتك ونصحت لك وذكرنا الوجه فى حذف الباء فى مثل ولا تكفرون فيما مضى **المعنى** فاذكرونى اذكركم معناه اذكرونى بطاعتى اذكركم برحمتى عن سعيد بن جبير بيانه قوله سبحانه اطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون وقيل اذكرونى بطاعتى اذكركم بمعونتى عن ابن عباس وبيانه قوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقيل اذكرونى بالشكر اذكركم بالزيادة عن ابن كيسان بيانه قوله لئن شكرتم لازيدنكم وقيل اذكرونى على ظهر الارض اذكركم فى بطنها وقد جاء اذكرونى عند البلاء اذا نسينى الناس من الورى وقيل اذكرونى فى الدنيا اذكركم فى العقبى وقيل اذكرونى فى النعمة والرخاء اذكركم فى الشدة والبلاء وبيانه قوله فلولا انه كان من المسبحين للبث فى بطنه الى يوم يبعثون وفى الخبر تعرف الى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة وقيل اذكرونى بالدعاء اذكركم بالاجابة بيانه قوله ادعونى استجب لكم وروى عن ابى جعفر الباقر عليه السلم قال النبى صلى الله عليه

وآن الملك ينزل الصحيفة من اول النهار واول الليل يكتب فيها عمل ابن آدم فالوا في اولها خيرا وفي آخرها ان الله يغفر لكم
ما بين ذلك ان شاء الله قال الله تعالى يقول اذكروني اذكركم وقال الربيع في هذه الآية ان الله عز وجل ذاكر من ذكره وزائد من شكره
ومعذب من كفره وقوله واشكروا لي اي اشكروا نعمتي واظهروها واعترفوا بها ولا تكفرون اي ولا تستروا نعمتي بالجحود يعني بالنعمة
قوله كما ارسلنا فيكم رسولا منكم قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلوة ان الله مع الصابرين آية
اللغة الذين آمنوا موضعه رفع بانه صفة لاي كما ان الناس في قوله يا ايها الناس وقد ذكرناه فيما مضى وهو قول جميع
النحويين الا الاخفش فانه يجعل صلة لاي ويرفعه بانه خبر مبتدا محذوف كانه قيل يا من هم الذين آمنوا الا انه لا يظهر
المحذوف معاي وانما حمله على ذلك لزوم البيان لاي فجعله للصفة لا يلزم وانما يلزم الصلة قال علي بن عيسى الوجه عندي
ان يكون صفة بمنزلة الصلة في اللزوم وقد ذكرنا الوجه في لزومها ايضا عند قوله سبحانه يا ايها الناس اعبدوا ربكم وقال
ابو علي لا يجوز ان يكون اي في النداء موصولة لانها لو كانت موصولة لوصلت كل واحدة من الجمل الاربعة ولم يقتصر على
ضرب واحد منها لان ذلك لم يفعل بشيء من الاسماء الموصولة في موضع ولجاز ايضا ان يقال يا ايها جل لان خبر المبتدا لا يجب
ان يكون مقصورا على المعرفة بالالف واللام لا تعريفه وفي امتناع جميع النحويين من اجازة ذلك ما يدل على فساد هذا
القول وايضا فلو كانت موصولة للزم جواز اظهار المبتدا الحذوف من الصلة فكان يجوز يا ايها هو الرجل ويا ايها هو المرأة
ولا خلاف في انه لا يجوز ذلك المعنى قد مضى تفسير قوله استعينوا بالصبر والصلوة فيما مضى خاطب المؤمنين فقال استعينوا
بالصبر الذي هو حبس النفس عما تشتهيه من القبائح وحملها على ما تنفر عنه من الطاعات والى هذا المعنى اشار امير المؤمنين عليه السلم
في قوله الصبر صبران صبر على ما تكره وصبر عما تحب وبالصلوة لما فيها من الذكر والخشوع فيه
وتلاوة القرآن الذي يتضمن ذكر الوعد والوعيد والهدى والبيان وما هذه صفته يدعو الى الحسنات ويزجر عن
السيئات واختلف في ان الاستعانة بهما على ماذا فقيل على جميع الطاعات وكانه قال استعينوا بهذا الضرب
من الطاعة على غيره من الطاعات وقيل على الجهاد في سبيل الله وقوله ان الله مع الصابرين فيه وجهان احدهما ان
معناه هو معهم بالمعونة والنصر كما تقول السلطان معك فلا تبال بمن لقيت والاخر ان المراد هو معهم بالتوفيق والتسديد
اي يسهل عليهم اداء العبادات والاجتناب من المقبحات ونظيره قوله سبحانه ويزيد الله الذين اهتدوا هدى ولا يجوز
ان يكون مع ههنا بمعنى الاجتماع في المكان لان ذلك من صفات الاجسام تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وفي الآية
دلالة على ان في الصلوة لطفا للعبد لانه سبحانه امرنا بالاستعانة بها ويؤيده قوله سبحانه ان الصلوة تنهى عن الفحشاء
والمنكر قوله عز وجل ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات بل احياء ولكن لا تشعرون آية اللغة السبيل الطريق
وسبيل الله طريق مرضاته وانما قيل للجهاد سبيل الله لانه طريق الى ثواب الله عز وجل والقتل هو نقض بنية الحياة
والموت عند من قال انه معنى عرض ينافي الحياة منافاة التعاقب ومن قال انه ليس بمعنى قال هو عبارة عن بطلان
الحيوة وهو الصحيح فاما الحياة فلا خلاف في انها معنى وهو عرض يصير الجملة كالشيء الواحد حتى يصير قادرا واحدا عالما
واحدا مريدا واحدا ولا يقدر على فعل الحيوة الا الله سبحانه والشعور هو ابتداء العلم بالشيء من جهة المشاعر وهي الحواس
ولذلك لا يوصف الله بانه شاعر ولا بانه يشعر وانما يوصف بانه عالم ويعلم وقيل ان الشعور هو ادراك ما دق
للطف الحس ماخوذ من الشعر لدقته ومنه الشاعر لفطنته لاقامة الوزن وحسن النظم لما لا يفطن له غيره الاعراب
قوله اموات مرفوع بانه خبر مبتدا محذوف لا تقولوا هم اموات ولا يجوز فيه النصب كما يجوز قلت حسنا في موضع
المصدر كانه قال قلت قولا حسنا واما قوله ويقولون طاعة فيجوز فيه النصب في العربية على تقدير يطيعون طاعة
والفرق بين بل ولكن ان لكن نفي لاحد الشيئين واثبات للآخر كقولك ما قام زيد ولكن عمرو وليس كذلك بل
لانها اضراب عن الاول واثبات للثاني ولذلك وقعت في الايجاب كقولك قام زيد بل عمرو النزول عن ابن عباس

انها نزلت في قتلى بدر وقتل من المسلمين يومئذ اربعة عشر رجلا ستة من المهاجرين وثمانية من الانصار وكانوا
يقولون مات فلان فانزل الله تعالى هذه الآية المعنى لما امر الله سبحانه بالصبر والصلوة للاستعداد بالقوم منهما على الجهاد
قال ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات نهاهم ان يسموا من قتل في سبيل الله اموات بل احياء اي بل هم احياء وقيل فيه
اقوال احدها وهو الصحيح انهم احياء على الحقيقة الى ان تقوم الساعة وهو قول ابن عباس وقتادة ومجاهد
واليه ذهب الحسن وعمرو بن عبيد وواصل بن عطا واختاره الجبائي والرماني وجميع المفسرين والثاني ان المشركين
كانوا يقولون ان اصحاب محمد يقتلون انفسهم في الحروب بغير سبب ويموتون فيذهبون فاعلمهم الله انه ليس الامر
على ما قالوه وانهم سيحيون يوم القيمة ويثابون عن البلخي ولم يذكر ذلك غيره والثالث معناه لا تقولوا هم اموات
في الدين بل هم احياء بالطاعة والهدى ومثله قوله سبحانه او من كان ميتا فاحييناه فجعل الضلال موتا والهداية
حيوة عن الاصم والرابع ان المراد انهم احياء لما نالوا من جميل الذكر والثناء كما روي عن امير المؤمنين عم من قوله
هلك خزان الاموال والعلماء باقون ما بقي الدهر اعيانهم مفقودة وآثارهم في القلوب موجودة والمعتمد هو
القول الاول لان عليه اجماع المفسرين ولان الخطاب للمؤمنين وكانوا يعلمون ان الشهداء على الحق والهدى وانهم
ينشرون ويحيون يوم القيمة فلا يجوز ان يقال لهم ولكن لا تشعرون من حيث انهم كانوا يشعرون ذلك ويقرون
به ولان حمله على ذلك يبطل فائدة تخصيصهم بالذكر ولو كانوا انفسهم احياء بما حصل لهم من جميل الثناء لما قيل ايضا ولكن
لا تشعرون لانهم كانوا يشعرون ذلك ووجه تخصيص الشهداء بكونهم احياء وان كان غيرهم من المؤمنين قد يكونون
احياء في البرزخ انه على جهة التقديم بالبشارة بذكر حالهم ثم البيان لما يختصون به من انهم يرزقون كما في الآية الاخرى
فرحين بما آتاهم الله من فضله وان قيل نحن نرى جثث الشهداء مطروحة على الارض لا تتصرف ولا يرى فيها شيء من
علامات الاحياء فالجواب ان على مذهب من يقول بالانسان من اصحابنا ان الله تعالى يجعل لهم اجساما كاجسامهم
في دار الدنيا يتنعمون فيها دون اجسامهم التي في القبور فان النعيم والعذاب انما يصل عنده الى النفس التي هي الانسان
المكلف عنده دون الجثة ويؤيد ذلك ما رواه الشيخ ابو جعفر في كتاب تهذيب الاحكام مسندا الى علي بن مهزيار عن
القاسم بن محمد عن الحسين بن احمد عن يونس بن ظبيان قال كنت عند ابي عبد الله عم جالسا فقال ما يقول الناس في
ارواح المؤمنين قلت يقولون في حواصل طير خضر في قناديل تحت العرش فقال ابو عبد الله سبحان الله المؤمن اكرم على الله
ان يجعل روحه في حوصلة طير اخضر يا يونس المؤمن اذا قبضه الله تعالى صير روحه في قالب كقالبه في الدنيا فيأكلون
ويشربون فاذا قدم عليهم القادم عرفوه بتلك الصورة التي كانت في الدنيا وعنه عن ابن ابي عمير عن حماد عن ابي بصير
قال سألت ابا عبد الله عليه السلم عن ارواح المؤمنين فقال في الجنة على صورة ابدانهم لو رأيته لقلت فلان واما على
مذهب من قال من اصحابنا ان الانسان هذه الجملة المشاهدة وان الروح هو النفس المتردد في مخارق الحيوان وهو اجزاء
الجو فالقول انه يلطف اجزاء من الانسان لا يمكن ان يكون الحي حيا باقل منها توصل اليها النعيم وان لم تكن تلك
الجملة بكمالها لانه لا يعتبر بالاطراف واجزاء السمن في كون الحي حيا فان الحي لا يخرج بمفارقتها من كونه حيا وربما قيل
ان الجثة يجوز ان تكون مطروحة في الصورة ولا تكون ميتة فتصل اليها اللذات كما ان النائم حي وتصل اليه اللذات
مع انه لا يحس ولا يشعر بشيء من ذلك فيرى في النوم ما يجد به السرور والالتذاذ حتى انه يود ان يطول نومه
فلا ينتبه وقد جاء في الحديث انه يفسح له مد بصره ويقال له نم نومة العروس وقوله ولكن لا تشعرون اي لا تعلمون انهم
احياء وفي هذه الآية دلالة على صحة مذهبنا في سؤال القبر واثابة المؤمن فيه وعقاب العصاة على ما تظاهرت
به الاخبار وانما حمل البلخي الآية على حياة الحشر لانكاره عذاب القبر قوله عز وجل ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع
ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر آية اللغة البلا الاختبار ويكون بالخير والشر والخوف وانزعاج النفس

الصابرين

لما يتوقع من الفرج الجوع ضد الشبع وهو المخمصة والمجاعة عام فيه جوع وحقيقة الجوع الشهوة الغالبة الى الطعام
والشبع زوال الشهوة ولا خلاف ان الشهوة معنى في القلب لا يقدر عليه غير الله تعالى والجوع منه واما الشبع فهو
معنى عند ابي علي الجبائي وهو فعله تعالى وعند ابي هاشم ليس بمعنى وهكذا القول في العطش والري والنقيض
نقيض الزيادة والنقصان يكون مصدرا واسما نقص الشي ونقصته لازم ومتعد ودخل عليه نقص في عقله
ودينه ولا يقال نقصان والنقيصة الوقيعة في الناس والنقيصة انتقاص الحق وتنقصه تناول عرضه واصل النقص
الحظ التمام والمال المعروف واموال العرب انعامهم ورجل مال اي ذو مال والثمرة افضل ما تحمله الشجرة **الاعراب** فتحت
الواو في لنبلونكم كما فتحت الراء في لتنصرنكم وهو انه بني على الفتحة لانها اخف اذ استحق البناء على الحركة كما استحق باد
حكم في المثال البناء على الحركة من الخوف والجوع والجاد والمجرور صفة لشيء **المعنى** لما بين سبحانه ما كلف عبادة من
العبادات عقب ببيان ما امتحنهم به من فنون المشقات فقال ولنبلونكم اي لنختبرنكم ومعناه نعاملكم معاملة المختبر ليظهر
المعلوم منكم والخطاب لاصحاب النبي ع عن عطا والربيع ولو قيل انه خطاب لجميع الخلق لكان ايضا صحيحا بشيء من الخوف
والجوع وبعض من الاموال اي بشيء من الخوف وشيء من الجوع وشيء من نقص الاموال فاوجز وانما قال من الخوف
على وجه التبعيض لانه لم يكن مؤبدا وانما عرفهم سبحانه ذلك ليوطنوا انفسهم على المكاره التي تلحقهم في نصرة النبي
صلى الله عليه وآله لما لهم فيه من المصلحة ما ماس الخوف فكان قصد المشركين لهم بالعداوة وسبب الجوع تشاغلهم
بالجهاد في سبيل الله عن المعاش واحتياجهم الى الانفاق فيه وقيل للقحط الذي لزمهم والجدب الذي اصابهم
وسبب نقص الاموال الانقطاع بالجهاد عن العمارة ونقص الانفس بالقتل في الحروب مع رسول الله صلى الله عليه وآله
وقيل نقص الاموال اهلاك المواشي والانفس بالموت وقوله والثمرات قيل اراد ذهاب حمل الاشجار بالجوائح وقلة
النبات وارتفاع البركة وقيل اراد به الاولاد لان الولد ثمرة القلب وانما فعل ذلك لاشتغالهم بالقتال عن عمارة البساتين
وعن مالكة النبات فيقل نزل البساتين وحمل النبات والنخيل وجه الابتلاء بهذه الاشياء ما تقتضيه الحكمة من الالطاف
ودقائق المصالح والاعواض فمدحهم سبحانه لهم بما يرضيهم به من جلائل الاعواض وقيل في وجه اللطف في ذلك
وجهان احدهما ان من جاء من بعدهم اذا اصابتهم مثل هذه الامور علموا انه لا يصيبهم ذلك النقصان درجة
وحطا من رتبة فانه قد اصاب ذلك من هو اعلى درجة منهم وهم اصحاب النبي صلى الله عليه وآله والاخيار الكبار اذا شاهدوا
المؤمنين يحلون المشاق في نصرة الرسول ع وموافقته وينالهم هذه المكاره فلا يعسرون في قوة المفرج وبقاء
السريرة علموا انهم انما فعلوا ذلك لعلمهم بصحة هذا الدين وكونهم من معرفة صدقه على اليقين فيكون
ذلك داعيا لهم الى قبول الاسلام والدخول في جملة المسلمين وقوله وبشر الصابرين اي اخبرهم بما لهم على الصبر في تلك الشدائد
والمكاره من المثوبة الجزيلة والعاقبة الحميدة بقوله عز وجل **الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون**
اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون ايتان **القراءة** امال الكسائي في بعض الروايات النون
من انا واللام من لله والباقون بالتفخيم   وانما جازت الامالة في هذه الالف مع اسم الله للكسرة مع كثرة
الاستعمال حتى صارت بمنزلة الكلمة الواحدة قال الفراء لا يجوز امالة انا مع غير اسم الله تعالى مثل قولك انا لزيد
وانما لم يجز ذلك لان الاصل في الحروف وما جرى مجراها امتناع الامالة فيها فلا يجوز امالة حتى ولكن وما اشبه
ذلك لان الحروف بمنزلة بعض الكلمة من حيث امتنع منها التصرف الذي يكون في الاسماء والافعال **اللغة** المصيبة
المشقة الداخلة على النفس لما يلحقها من المضرة وهو من الاصابة كانها تصيبها بالنكبة والرجوع مصير الشيء الى ما كان يقال
رجعت الدار الى فلان اذا ملكها مرة ثانية وهو نظير العود والمصير والاهتداء الاصابة بطريق الحق **المعنى** ثم وصف
عز اسمه الصابرين بقوله الذين اذا اصابتهم مصيبة اي نالتهم نكبة في النفس او المال فوطنوا انفسهم على ذلك احتسابا

لله وقالوا انا لله هذا اقرار بالعبودية اي نحن عبيد الله وملكه وانا اليه راجعون وهذا اقرار بالبعث والنشور اي نحن الى حكمه
نصير ولهذا قال امير المؤمنين عليه السلم ان قولنا انا لله اقرار على انفسنا بالملك وقولنا انا اليه راجعون اقرار على انفسنا بالهلك
وانما كانت هذه اللفظة تعزية عن المصيبة لما فيها من الدلالة على ان الله تعالى يجبرها ان كانت عدلا وينصف من فاعلها
ان كانت ظلما وتقديره انا لله تسليما لامره ورضاه بتدبيره وانا اليه راجعون ثقة بانا نصير الى عدله وانفراده بالحكم
في اموره وفي الحديث من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته واحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه وقال عليه السلم
من اصيب بمصيبة فاحدث استرجاعا وان تقدم عهدها كتب الله له من الاجر مثله يوم اصيب وروى الصادق ع
عن ابائه عن النبي صلى الله عليه وآله قال اربع من كن فيه كتبه الله من اهل الجنة شهادة ان لا اله الا الله ومن اذا
انعم عليه النعمة قال الحمد لله ومن اذا اذنب ذنبا قال استغفر الله ومن اذا اصابته مصيبة قال انا لله وانا اليه راجعون
وقوله اولئك اشارة الى الذين وصفهم من الصابرين عليهم صلوات من ربهم عليهم ثناء جميل من ربهم وبركة وهو
بمعنى الدعاء لان الثناء يستحق دائما ففيه معنى اللزوم كما ان الدعاء يدعا به مرة بعد مرة ففيه معنى اللزوم وقيل بركات
من ربهم وعن ابن عباس مغفرة من ربهم ورحمة اي نعمة عاجلا وآجلا فالرحمة النعمة على المحتاج وكل احد محتاج الى
نعمة الله في دنياه وعقباه واولئك هم المهتدون اي المصيبون طريق الجنة في الاسترجاع وقيل الى الجنة والثواب
وكان عمر بن الخطاب اذا قرء هذه الآية قال نعم العدلان ونعمت العلاوة قوله عز وجل **ان الصفا والمروة من شعائر الله**
فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم آية **القراءة** قرء اهل الكوفة
عن عاصم من يطوع بالياء وتشديد الطاء والواو وكذلك ما بعده الا في زيد وروى عن يعقوب في الاول
والباقون تطوع على انه فعل ماض وروى في الشواذ عن علي ع وابن عباس وانس وسعيد بن جبير وابي بن كعب
وابن مسعود الا يطوف بها   لكن ان يكون لا على هذه القراءة زائدة كما في قوله لئلا يعلم اهل الكتاب اي ليعلم كقوله
من غير لا عصف ولا اصطراف الى من غير عصف ليطوع تقديره يتطوع الا انه ادغم التاء في الطاء لتقاربهما **اللغة** الصفا
في الاصل الحجر الاملس ماخوذ من الصفو واحده صفاة قال امرء القيس كما كل الصفاة المسيل ابن عنها جانب مضر
فهو مثل حصاة وحصى ونواة ونوى وقيل ان الصفا واحد قال المبرد الصفا كل حجر لا يخالطه غيره من طين او تراب
وانما اشتقاقه من صفا يصفو اذا خلص واصله من الواو لانك تقول في تثنيته صفوان ولا يجوز امالته والمروة
في الاصل الحجارة الصلبة وقيل الحصاة الصغيرة والمرو والجمع وقيل هو جمع مثل تمرة وتمر قال ابو ذويب حتى كاني للحوادث
مروة بصفا المشرق كل يوم تقرع المرو نبت واصله الصلابة والنبت المسمى به لذلك الصلابة بذره وقد صار
اسمين لجبلين معروفين بمكة والالف واللام فيهما للتعريف لا للجنس والشعائر المعالم للاعمال وشعائر الله
معالمه التي جعلها مواطن العبادة وكل معلم لعبادة من دعاء او صلاة او غيرهما فهو مشعر لتلك العبادة وواحد الشعائر
شعيرة التي فشعائر الله اعلام متعبداته من موقف او مسعى او منحر من شعرت به اي علمت قال الكميت نقتلهم جيلا
فجيلا تراهم شعائر قربان بهم يتقرب والحج في اللغة هو القصد على وجه التكرار وفي الشريعة عبارة عن قصد البيت
للعمل المشروع من الاحرام والطواف والسعي والوقوف بالموقفين وغير ذلك قال الشاعر واشهد من عوف
حلولا كثيرة يحجون سب الزبرقان المزعفرا يعني يكثرون التردد اليه لسودده والعمرة هي الزيادة اخذت من العمارة لان الزائر
لا كثيرة يعمر المكان بزيارته وهي في الشرع زيارة البيت للعمل المشروع والجناح الميل عن الحق وجنح اليه جنوحا
اذا مال فاجنحه ناجحه جنح اي ملت فمال وجناحا الطائر يداه ويد الانسان جناحاه وجناحا العسكر جانباه والطوف
الدوران حول الشيء ومنه الطائف وفي عرف الشرع الدوران حول البيت والطائفة الجماعة كالحلقة الدائرة واصله تطوف
ومثله يطوع والفرق بين الطاعة والتطوع ان الطاعة موافقة الارادة في الفريضة والنافلة والتطوع التبرع بالنافلة

خاصة واصلها من الطوع الذى هو الانقياد و الشاكر فاعل الشكر وانما يوصف سبحانه بانه شاكر مجازا توسعا لانه
فى الاصل هو المظهر للانعام عليه و الله تعالى لا ان يكون عليه نعم لاحد الاعراب قوله من حج او من تطوع يحتمل امرين احدهما
ان يكون موصولا بمنزلة الذى و الاعراب ان يكون للجزاء فان كان موصولا فلا موضع للفعل الذى بعده وهو صلته وموضع الموصول
فى موضع رفع بالابتداء و الفاعل هنا مع ما بعده فى قوله فلا جناح عليه فان الله شاكر فى موضع رفع بانه خبر المبتدأ الموصول
وان كان للجزاء دون كان الفعل بعده فى موضع جزم وكانت الفاء مع ما بعدها ايضا فى موضع جزم لوقوعهما موقع
الفعل المجزوم الذى والفعل الذى هو حج او تطوع على لفظ الماضى والتقدير به المستقبل كما ان ذلك فى قوله ان اكرمتنى
اكرمتك كذلك وقوله فان الله شاكر فانما يصح ان يقع موقع الجزاء او موقع خبر المبتدأ وان لم يكن فيه ضمير عائد الى
تقديره فان الله تعالى يعامله معاملة الشاكر بحسن المجازاة وايجاب المكافاة وانما دخلت الفاء فى خبر المبتدأ الموصول
لما فيه من معنى الجزاء وان لم يكن فى موضع الجزم الا ترى ان هذه الفاء تؤذن بان الثانى وجب لوجوب الاول المعنى
لما ذكر سبحانه امتحانه العباد بالتكليف والالام مرة بالمصايب والاكرام اخرى بين سبحانه ان من جملة ذلك امر الحج فقال ان
الصفا والمروة من شعاير الله اى من اعلام متعبداته وقيل من مواضع نسكه وطاعاته عن ابن عباس وقيل
من دين الله عن الحسن وقيل فيه حذف وتقديره الطواف من الصفا والمروة من شعاير الله وروى عن الصادق ع
انه قال نزل ادم على الصفا ونزلت حواء على المروة فسمى الصفا باسم ادم المصطفى وسميت المروة باسم المرأة قوله فمن
حج البيت اى قصده بالافعال المشروعة او اعتمر اى اتى بالعمرة بالمناسك المشروعة قوله فلا جناح عليه اى فلا حرج عليه
ان يطوف بهما عن الصادق عليه السلم كان المسلمون يرون ان الصفا والمروة مما ابتدع اهل الجاهلية فانزل الله هذه
الآية وانما قال فلا جناح عليه ان يطوف بهما وهو واجب او طاعة على الخلاف فيه لانه كان على الصفا صنم يقال له
إساف وعلى المروة صنم يقال له نايلة وكان المشركون اذا طافوا بهما مسحوهما فتحرج المسلمون عن الطواف بهما لاجل
الصنمين فانزل الله تعالى هذه الآية عن الشعبى وكثير من العلماء فرجع رفع الجناح عن الطواف بهما الى تحرجهم بالطواف
بهما لاجل الصنمين الى الطواف كما لو كان الانسان محبوسا فى موضع لا يمكنه الصلوة الا بالتوجه الى ما يكره التوجه اليه من الحجر
وغيره فيقال له لا جناح عليك فى الصلوة فى هذا المكان فلا يرجع رفع الجناح الى عين الصلوة لان عين الصلوة واجب
وانما يرجع الى التوجه الى ذلك المكان وروينا رواية اخرى عن ابى عبد الله ع انه كان ذلك فى عمرة القضاء وذلك
ان رسول الله صلى الله عليه واله شرط عليهم ان يرفعوا الاصنام فتشاغل رجل من اصحابه حتى اعيدت الاصنام
فجاؤوا الى رسول الله ص فقيل له ان فلانا لم يطف وقد اعيدت الاصنام فنزلت هذه الآية فلا جناح عليه ان يطوف
بهما اى والاصنام عليهما قال فكان الناس يسعون والاصنام على حالها فلما حج النبى صلى الله عليه واله رمى بها
قوله ومن تطوع خيرا فيه اقوال احدها ان من تبرع بالطواف والسعى بين الصفا والمروة بعدما ادى الواجب
من ذلك عن ابن عباس وغيره وثانيها ان معناه من تطوع بالحج والعمرة بعد اداء الحج والعمرة المفروضين عن الاصم
وثالثها ان معناه من تطوع بالخيرات وانواع الطاعات عن الحسن ومن قال ان السعى ليس بواجب قال من تبرع
بالسعى بين الصفا والمروة وقوله فان الله شاكر اى مجازيه على ذلك وانما ذكر لفظ الشاكر تلطفا ومظاهرة فى الاحسان
والانعام عليهم كما قال من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا والله سبحانه لا يستقرض عن عوز ولكنه ذكر هذا اللفظ
على طريق التلطف اى يعامل عباده معاملة المستقرض من حيث ان العبد ينفق فى حال غناه فيأخذ اضعاف
ذلك فى حال فقره وحاجته فكذلك لما كان يعامل عباده معاملة الشاكر من حيث انه يوجب الثناء له والثواب سمى
نفسه شاكرا وقوله عليم اى بما يفعلونه من الافعال فيجازيكم عليها وقيل عليم بقدر الجزاء فلا يبخس احدا حقه وفى هذه
الآية دلالة على ان السعى بين الصفا والمروة عبادة والاختلاف فى ذلك وهو عندنا فرض واجب فى الحج وفى العمرة

وبه قال الحسن وعايشة وهو مذهب الشافعى واصحابه وقال ان السنة اوجبت السعى وهو قوله صلى الله عليه واله
كتب عليكم السعى فاسعوا فاما ظاهر الآية فانما يدل على اباحة ما كرهوه من السعى وعند ابى حنيفة واصحابه هو تطوع وهو اختيار
الجبائى وروى ذلك عن انس وابن عباس وعندنا وعند الشافعى من تركه متعمدا فلا حج له قوله عز وجل ان الذين يكتمون
ما انزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون آية النزول المعنى بالآية
اليهود والنصارى مثل كعب بن الاشرف وكعب بن اسيد وابن صوريا وزيد بن التابوه وغيرهم من علماء النصارى
الذين كتموا امر محمد صلى الله عليه واله وهم يجدونه مكتوبا عندهم فى التورية والانجيل مثبتا فيهما عن ابن عباس ومجاهد
والحسن وقتادة واكثر اهل العلم وقيل انه متناول لكل من كتم ما انزل الله وهو اختيار البلخى وهو الاقوى لانه اعم
فيدخل فيه اولئك وغيرهم المعنى ثم حث الله سبحانه على اظهار الحق وبيانه ونهى عن اخفائه وكتمانه فقال ان الذين
يكتمون اى يخفون ما انزلنا من البينات اى من الحجج المنزلة فى الكتب والهدى الدلايل فالاول علوم الشرع والثانى
ادلة العقل فعم بالوعيد فى كتمان جميعها وقيل اراد بالبينات الحجج الدالة على نبوته صلى الله عليه واله وبالهدى ما يؤدى
الى الحق من الشرايع وقيل البينات والهدى هى الادلة وهما بمعنى واحد وانما كرر لاختلاف لفظهما من بعد ما بيناه للناس
فى التورية يعنى التورية والانجيل من صفاته ومن الاحكام وقيل الكتب المنزلة من عند الله وقيل اراد بقوله ما انزلنا
من البينات الكتب المتقدمة وبالكتاب القرآن اولئك يلعنهم الله اى يبعدهم من رحمته بايجاب العقوبة والدعاء
لعن من لا يستحق العقوبة ويلعنهم اللاعنون وقيل الملائكة والمؤمنون عن قتادة والربيع اذ هو الصحيح لقوله سبحانه عليهم لعنة الله
والملائكة والناس اجمعين وقيل دواب الارض وهوامها تقول منعنا القطر بمعاصى بنى ادم عن مجاهد وعكرمة وقيل
كل شىء سوى الثقلين الجن والانس عن ابن عباس وقيل اذا تلاعن اثنان رجلان رجعت اللعنة على المستحق لها فان
لم يستحقها واحد منهما رجعت على اليهود الذين يكتمون ما انزل الله عن ابن مسعود فان قيل كيف يصح ذلك على
قول من قال المراد باللاعنين البهايم وهذا الجمع لا يكون الا للعقلاء قيل لما اضيف اليها فعل ما يعقل عوملت معاملة
من يعقل كقوله سبحانه والشمس والقمر رايتهم لى ساجدين وانما اضيف اللعن الى من لا يعقل لان الله يلهمهم اللعن عليهم
لما فى ذلك من الزجر عن المعاصى لان الناس اذا علموا انهم اذا عملوا هذه المعاصى استحقوا اللعن حتى انه يلعنهم الدواب
والهوام كان لهم فى ذلك ابلغ الزجر وقيل انما يكون ذلك فى الآخرة ويكمل الله عقولها فيلعنهم وفى هذه الآية دلالة على
ان كتمان الحق مع الحاجة الى اظهاره من اعظم الكباير وان من كتم شيئا من علوم الدين وفعل مثل فعلهم فهو مثلهم
فى عظم الجرم ويلزمه ما لزمهم الوعيد وقد روى عن النبى صلى الله عليه واله انه قال من سئل عن علم يعلمه فكتمه الجم
يوم القيمة بلجام من نار وفيها ايضا دلالة على وجوب الدعاء الى التوحيد والعدل لان فى كتاب الله تعالى
ما يدل عليهما تاكيدا لما فى العقول من الادلة قوله عز وجل الا الذين تابوا ~~من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم~~ واصلحوا وبينوا فاولئك اتوب عليهم وانا التواب الرحيم
آية اللغة التوبة هى الندم الذى يقع موقع التنصل من الشىء وذلك بالتحسر على مواقعته والعزم على ترك معاودته
ان امكنت المعاودة واعتبر قوم ترك المعاودة على مثله فى القبح وهذا اقوى لان الامة اجمعت على سقوط
العقاب عند هذه التوبة وفيما عداها خلاف واصلاح العمل هو اخلاصه من قبيح يشوبه والبيان هو التعريض
للعلم الذى يمكن به صحة التمييز والتبيين الذى هو القطع الاعراب موضع الذين نصب على الاستثناء من الكلام
الموجب ومعنى الاستثناء الاختصاص بالشىء دون غيره فاذا قلت جاءنى القوم الا زيدا فقد خصصت زيدا بانه
لم يجئ واذا قلت ما جاءنى الا زيد فقد خصصته بالمجىء واذا قلت ما جاءنى زيد الا راكبا فقد خصصته بهذه الحالة
دون غيرها من المشى والعدو وغيرهما المعنى ثم استثنى الله سبحانه فى هذه الآية من تاب واصلح وبين من جملة
من يستحق اللعنة فقال الا الذين تابوا اى ندموا على ما قدموا واصلحوا نياتهم فيما يستقبل من الاوقات وبينوا ما

ثم فقال الا المقرين سوا ما كتموا من البشارة بالنبي صلى الله عليه وآله وعملوا سوا بالتوبة واصلاح السريرة بالاظهار
لذلك فان من ارتكب المعصية القاه الله التوبة سرا ومن اظهر المعصية يجب عليه ان يظهر التوبة وبينوا التوبة
باصلاح العمل فاولئك اتوب عليهم اي اقبل توبتهم والاصل في اتوب افعل التوبة الا انه لما وصل بحرف الاضافة دل
على ان معناه اقبل التوبة وانما كان لفظه مشتركا بين الفاعل للتوبة والقابل لها للترغيب في صفة التوبة اذ وصف
بها القابل لها وهو الله عز اسمه وذلك من انعام الله على عباده لئلا يتوهم بما فيها من الدلالة على مفارقة الذنب ان الوصف
بها عيب فلذلك جعلت في اعلى صفات المدح وانا التواب هذه اللفظة للمبالغة اما لكثرة ما يقبل التوبة واما
لانه لا يرد تائبا منيبا اصلا ووصفه سبحانه نفسه بالرحيم عقيب قوله التواب يدل على ان اسقاط العقاب بعد التوبة
تفضل من الله سبحانه ورحمة من جهته على ما قاله اصحابنا وانه غير واجب عقلا على ما ذهب اليه المعتزلة فان قالوا قد يكون
الفعل الواجب نعمة اذا كان منعما بسببه كالثواب والعوض لما كان منعما بالتكليف وبالآلام التي يستحق بها الاعواض
جاز ان يطلق عليها اسم النعمة فالجواب ان ذلك انما قلناه في الثواب والعوض ضرورة ولا ضرورة هنا تدعو الى
ارتكابه قوله عز وجل ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار اولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين خالدين فيها
لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون اللغة واحد الناس انسان في المعنى فاما في اللفظ فلا واحد له وهو كنفر ورهط فانهما
اسم للجمع والخلود اللزوم ابدا والبقاء الوجود وقتين فصاعدا وذلك لم يجز في صفات الله خالد وجاز باق
وكذلك يقال اخلد الى قومه اي لزم معنى ما اتى به ومنه قوله ولكنه اخلد الى الارض اي مال اليها سكن اللازم
لها والفرق بين الخلود والدوام ان الدوام هو الوجود في الازل والاجزال فاذا قيل دام المطر فهو على المبالغة وحقيقته
لم يزل من وقت كذا الى وقت كذا والخلود هو اللزوم ابدا والتخفيف هو النقصان من المقدار الذي له والعذاب الاليم
الذي له امتداد والانظار الامهال وقد يقع النظر في الخلاص واصل النظر الطلب فالنظر بالعين هو الطلب بالعين
وكذلك النظر بالقلب او باليد او بغيرها من الحواس يقول انظر الثوب ان هو اي اطلبه اين هو والفرق بين العذاب
والايلام ان الايلام قد يكون بجزء من الالم في الوقت الواحد مقدار ما تالم به والعذاب الالم المستمر في اوقات
ومنه العذب لاستمراره في الحلق والعذبة لاستمرارها بالحركة الاعراب وهم كفار جملة في موضع الحال واجمعين تاكيد
وانما اكد به ليرتفع الابهام والاحتمال بين ان ينظر في تحقيق الاستدلال وهذا لم يجز الحفش رايت احد الرجلين
كليهما واجاز رايتهما كليهما لانك اذا ذكرت الحكم مقرونا بالدليل ازلت الابهام للفساد واذا ذكرته واحدة فقد يتوهم
عليك الغلط في المقصد وانت لما ذكرت البعض في قولك احد الرجلين وذكرت احد المنزلتين ذكر الحكم والدليل
عليه فاما ذكر المبني في رايتهما بمنزلة ذكر الحكم وحده وخالدين منصوب على الحال والعامل فيه الظرف من قوله
عليهم لان فيه معنى الاستقرار للعنة وذو الحال الهاء والميم من عليهم كقولك عليهم المال صاغرين وقوله فيها
الها يعود الى اللعنة في قول الزجاج والى النار في قول ابي العالية لا يخفف عنهم العذاب جملة في موضع الحال ولا هم
ينظرون كذلك وهم تاكيد للضمير في فعل مقدم تفسيره هذا الظاهر تقديره ولا ينظرون هم المعنى لما بين سبحانه حال
من كتم الحق وحال من تاب منهم عقب بحال من يموت من غير توبة منهم او من الكفار جميعا فقال ان الذين كفروا
وماتوا وهم كفار اي ماتوا مصرين على الكفر وانما قال وماتوا وهم كفار مع ان كافره ملعون في حال كفره ليصير الوعيد فيه
غير مشروط لان بالموت يفوت التلافي بالتوبة فلذلك شرط سبحانه بين ان الكفار لو لم يموتوا على كفرهم لم يكن هذه
حالهم وقيل ان هذا الشرط انما هو في خلود اللعنة لهم كقوله خالدين فيها اولئك عليهم لعنة الله اي ابعاده من رحمته
وعقابه والملائكة والناس اجمعين في الناس من لا يلعن الكافر فالجواب من وجوه احدها ان كل احد من الناس
يلعن الكافر اما في الدنيا او في الآخرة او فيهما جميعا كما قال يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا

عن ابي العالية وثانيها انه اراد به المؤمنين كانه لم يعتد بغيرهم كما يقال المؤمنون هم الناس عن قتادة والربيع وثالثها
انه لا يمتنع احد من لعن الظالمين فيدخل في ذلك الكافر لانه ظالم عن السدي واللعنة انما تكون من الناس على
وجه الدعاء ومن الله سبحانه على وجه الحكم وقوله خالدين فيها اي دائمين فيها اي في تلك اللعنة عن الزجاج والجبائي
وقيل في النار لانه كالمذكور لشهرته في حال المعذبين ولان اللعن ابعاد من الرحمة وايجاب للعقاب والعقاب يكون
في النار واما الخلود في اللعنة فيحتمل امرين احدهما الاستحقاق اللعنة بمعنى انها الحق عليهم ابدا او انها في عاقبة
اللعنة وهي النار التي لا تفنى ابدا وقوله لا يخفف عنهم العذاب اي يكون عذابهم على وتيرة واحدة فلا يخفف احيانا
ويشتد احيانا ولا هم ينظرون اي لا يمهلون للاعتذار كما قال سبحانه ولا يؤذن لهم فيعتذرون دون قطعا الطمع في التوبة
عن ابي العالية وقيل معناه لا يؤخر العذاب عنهم بل عذابهم حاضر قوله عز وجل والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم
آية اللغة الواحد لا ينقسم عددا كان او غيره ويجري على وجهين على الحكم وعلى جهة الوصف والحكم كقولك جزء
واحد فانه لا ينقسم من جهة انه جزء والوصف كقولك انسان واحد ودار واحدة فانه لا ينقسم من جهة انه انسان
الاعراب هو من قوله لا اله الا الله في موضع رفع على البدل من موضع لا مع الاسم كقولك لا رجل الا زيد كانك
قلت ليس الا زيد فيما تريد من المعنى اذ لم يعتد بغيره ولا يجوز النصب على قولك ما قام احد الا زيد لان البدل
يدل على ان الاعتماد على الثاني والمعنى ذلك والنصب يدل على ان الاعتماد في الاخبار انما هو على الاول والعبارة الواضحة
هو بدل من محل اسم لا مع التركيب وقيل لا اله الا هو هو اثبات لله سبحانه وهو بمنزلة قولك الله لا اله الا هو وانما كان
كذلك لان القادر على ما يستحق العبادة ولم يدل على النفي في هذا الخبر من قبل انه لم يدل على اله موجود ولا معدوم
سوى الله لكنه نقيض لقول من ادعى الها مع الله وانما النفي اخبار بعدم شيء كما ان الاثبات اخبار بوجوده النزول ابن عباس
قال ان كفار قريش قالوا يا محمد صف لنا وانسب لنا ربك فانزل الله هذه الآية وسورة الاخلاص المعنى والهكم اي
خالقكم والمنعم عليكم بالنعم التي لا يقدر عليها غيره والذي يحق له العبادة وقال علي بن عيسى معنى اله هو المستحق العبادة
وهذا غلط لانه لو كان كذلك لما كان القديم سبحانه الها فيما لم يزل لانه لم يفعل في الازل ما يستحق به العبادة ومعنى قولنا
انه يحق له العبادة انه قادر على ما اذا فعله استحق به العبادة وقوله اله واحد وصفه سبحانه بانه واحد على اربعة اوجه احدها
انه ليس بذي ابعاض ولا يجوز عليه الانقسام ولا يحتمل التجزية والثاني انه واحد لا نظير له ولا شبيه والثالث انه واحد
في الالهية واستحقاق العبادة والرابع انه واحد في صفاته التي يستحقها لنفسه فان معنى وصفنا الله تعالى
بانه قديم انه المختص بهذه الصفة لا يشاركه فيه غيره ووصفنا له بانه عالم قادر انه المختص بكيفية استحقاق
هاتين الصفتين لان المراد به انه عالم بجميع المعلومات لا يجوز عليه الجهل وقادر على الاجناس كلها لا يجوز عليه
العجز ووصفنا له بانه حي باق انه لا يجوز عليه الموت والفناء فصار الاختصاص بكيفية الصفات كالاختصاص بنفس
الصفات فكل هذه الصفات يستحقها سبحانه وحده على وجه لا يشاركه فيه غيره وقوله لا اله الا هو هذه كلمة اثبات الا
تعالى وحده ومعناه الله هو الاله وحده واختلف في هل فيها نفي المثل عن الله سبحانه فقال المحققون ليس فيها نفي المثل
عنه لان النفي انما يصح موجودا ومعدوما والله تعالى ليس له مثل موجود ولا معدوم وقال بعضهم فيها نفي المثل المنفي
عن الله سبحانه وقوله الرحمن الرحيم انما ذكر الرحمن بقوله لا اله الا هو لانه بين به سبب استحقاق العبادة على عباده
وهو ما انعم عليهم من النعم العظام التي لا يقدر عليها احد غيره فان الرحمة هي النعمة على المحتاج اليها وقد ذكرنا معنى الرحمن
والرحيم فيما مضى النظم الآية متصلة بما قبلها وبما بعدها فاتصالها بما قبلها كاتصال الحسنة بالسيئة لتمحو اثرها
وتحذر من مواقعتها لانه لما ذكر الشرك واحكامه اتبع ذلك بذكر التوحيد واحكامه واتصاله بما بعدها كاتصال
الحكم بالدلالة على صحتها لان ما ذكر في الآية التي بعدها هي الحجج على صحة التوحيد قوله عز وجل ان في خلق السموات

والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء
من ماء فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب
المسخر بين السماء والارض لايات لقوم يعقلون آية القراءة قرء حمزة والكسائي الريح على التوحيد والباقون على
الجمع ولم يختلفوا في توحيد ما ليس فيه الف ولام وقرء ابو جعفر الرياح كل ما في القرآن على الجمع الا في الذاريات وقرء ابو عمرو
ويعقوب وابن عامر وعاصم الرياح في عشرة مواضع في البقرة والاعراف والحجر والكهف والفرقان والنمل والروم
في موضعين وفاطر والجاثية وقرء نافع اثنا عشر موضعا هذه العشرة وابرهيم وعسق وقرء ابن كثير في خمسة
مواضع البقرة والحجر والكهف واول الروم والجاثية وقرء الكسائي الرياح في ثلاثة مواضع في الحجر والفرقان
واول الروم ووافقه حمزة الا في الحجر الحجة قال ابن عباس الرياح للرحمة والريح للعذاب وروي ان النبي صلى الله
عليه وآله كان اذا هبت الريح قال اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا ويقوي هذا الخبر قوله ومن آياته ان يرسل
الرياح مبشرات ويشبه ان يكون النبي صلى الله عليه وآله انما قصد بقوله هذا الموضع ويقوله لا تجعلها ريحا قوله
سبحانه وفي عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم وقد يخص اللفظ في التنزيل بشيء فيكون امارة له فمن ذلك ان عامة
ما جاء في القرآن في قوله وما يدريك مبهم غير مبين وما كان من لفظ ما ادراك مفسر كقوله وما ادراك ما
الحاقة وما القارعة وما يدريك لعل الساعة قريب قال ابو علي ومن وحد الرياح على الجمع اولى لان كل واحدة
من الرياح مثل الاخرى في دلالتها على التوحيد ومن وحد فانه اراد الجنس كما قالوا اهلك الناس الدينار
والدرهم واما قوله ولسليمان الريح فان كانت الرياح كلها سخرت له فالمراد بها الجنس والكثرة وان كانت قد سخرت
له ريح بعينها كان كقولك الرجل وانت تريد العهد واما قوله وفي عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم فهي واحدة
تدلك عليه قوله فارسلنا عليهم ريحا صرصرا وفي الحديث نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور فهذا يدل
على انها واحدة اللغة الخلق هو الاحداث للشيء على تقدير من غير احتذاء على مثال ولذلك لا يجوز اطلاقه
الا في صفات الله سبحانه لانه لا احد سوى الله يكون جميع افعاله على ترتيب من غير احتذاء على مثال وقد يستعمل
الخلق بمعنى المخلوق كما استعمل الرضا بمعنى المرضي وهو بمنزلة المصدر وليس معنى المصدر معنى المخلوق واختلف
اهل العلم فيه اذا كان بمعنى المصدر فقال قوم هو الارادة له وقال آخرون انما هو على معنى مقدر كقولك
وجود وعدم وحدوث وعلم وهذه الاسماء تدل على معنى مقدر التباس المعاني المختلفة والا فالمعني بها
هذا الموصوف في الحقيقة فالسموات جمع سماء وكل سقف سماء غير انه اذا اطلق لم يفهم منه غير السموات
السبع وانما جمعت السموات ووحدت الارض لانه لما ذكر السماء بانها سبع في قوله فسواهن سبع سموات جمع
لئلا يتوهم التوحيد بمعنى الواحدة من هذه السبع وقوله ومن الارض مثلهن وان دل على معنى السبع فانه لم يجر على جهة
الافصاح بالتفصيل في اللفظ وايضا فان الارض لتشاكلها تشبه الجنس الواحد الذي لا يجوز جمعه الا ان يراد الاختلاف
وليس تجري السموات مجرى الجنس لانه دبر في كل سماء امرها التدبير الذي هو حقها والاختلاف نقيض الاتفاق
واختلاف الليل والنهار اخذ من الخلف لان كل واحد منهما يخلف صاحبه على وجه المعاقبة وقيل هو من اختلاف
الجنس كاختلاف السواد والبياض لان احدهما يضاد الآخر في الادراك والمختلفان ما لا يسد احدهما مسد الآخر
فيما يرجع الى ذاته والليل هو الظلام المعاقب للنهار وواحده ليلة مثل ثمرة وتمر والنهار هو الضياء المتسع
واصله الاتساع ومنه قول الشاعر ملكت بها كفي فانهرت فتقها يرى قائم من دونها ما وراءها اي اوسعت وانما
جمعت الليلة ولم يجمع النهار لان النهار بمنزلة المصدر كقولك الضياء يقع على الكثير والقليل على انه قد جاء
جمع النهار على وجه الشذوذ قال الشاعر لولا الثريدان هلكنا بالضمر ثريد ليل وثريد بالنهر والفلك السفن

يقع على الواحد والجمع والفلك فلك السماء وكل مستدير فلك وقال صاحب العين قيل هو اسم للدوران خاصة وقيل
بل اسم للاطباق سبعة فيها النجوم وفلكت الجارية اذا استدار ثديها واصل الباب الدور [illegible] السماء
في قعر السماء يقع على السحاب لان كل شيء علا شيئا فهو سماء له وقال علي بن عيسى قيل ان السحاب بخار يصعد
من الارض وذلك جائز لا نقطع به ولا نمنع من صحته من دليل عقل ولا سمع والسماء السقف قال سبحانه وجعلنا
السماء سقفا محفوظا والسماء المعروفة سقف الارض واصله من السمو وهو العلو والسماء الطبقة العالية
على الطبقة السافلة والارض الطبقة السافلة ويقال ارض البيت وارض الغرفة فهو سماء لما تحته من الطبقة
السافلة والارض لما فوقها الا انه صار ذلك الاسم بمنزلة الصفة العالية على السماء المعروفة فهذا الاسم كالعلم
على الارض المعروفة والبحر هو الخرق الواسع للماء الذي يزيد على سعة النهر والمنفعة والسرور وما ادى اليهما
او الى واحد منهما والنفع والخير والحسن نظائر وقد تكون المنفعة بالالام اذا ادت الى ذات والاحياء فعل الحيوة
وحيوة الارض عمارتها بالنبات وموتها خرابها بالجفاف الذي يمنع من النبات والبث التفريق وكل شيء بثثته
فقد فرقته ويسمى الغم لتسم القلب به والدابة من الدبيب وكل شيء خلقه الله مما يدب فهو دابة وصار بالعرف اسما
لما يركب والتصريف التقليب ومنه صرف الدهر تقليبه وجمعه صروف ومنه السحاب مشتق من السحب وهو جر الشيء على
وجه الارض كما تسحب المراة ذيلها وكل شيء منسحب ويسمى سحابا لانجراره في السماء والتسخير والتذليل والتمهيد نظائر
يقال سخر الله لفلان كذا اذا سهله له وسخرت الرجل اذا كلفته عملا بلا اجرة وهي السخرة وسخر منه اذا استهزأ به والرياح
اربع الشمال والجنوب والصبا والدبور فالشمال عن يمين القبلة والجنوب عن يسارها والصبا والدبور متقابلان
فالصبا من قبل المشرق والدبور من قبل المغرب انشد ابو زيد اذا قلت هذا حين اسلو يهيجني نسيم الصبا
من حيث يطلع الفجر واذا جاءت الريح بين الصبا والشمال فهي النكباء والتي بين الجنوب والصبا الجربياء والصبا هي
القبول والجنوب يسمى الازيب ويسمى النعامى والشمال تسمى محوة لانها تمحو وتسمى مسعا ونسعا وتسمى الجنوب لاقحا
والشمال حائلا قال ابو داود يصف سحابا تمري صحاه كما تلقح الجنوب فاضحى يسح سجال الحياء قوله تلقح الجنوب اي لاقح
الجنوب وقال زهير جرت سنحا فقلت لها اجيزي نوى مشمولة فمتى اللقاء مشمولة اي مكروهة لانهم يكرهون الشمال
لبردها وذهابها بالغيم فصار كل مكروه عندهم مشمولا المعنى لما اخبر الله سبحانه الكفار بان الههم اله واحد لا ثاني له قالوا
ما الدلالة على ذلك قال سبحانه ان في خلق السموات والارض اي في انشائهما مقدرين على سبيل الاختراع واختلاف
الليل والنهار كل واحد منهما يخلف صاحبه اذا ذهب احدهما جاء الآخر على وجه المعاقبة او اختلافهما في الجنس
واللون والطول والقصر والفلك التي تجري في البحر السفن التي تحمل الاحمال بما ينفع الناس خص النفع بالذكر
وان كان فيه نفع وضرر لان المراد هنا عد النعم ولان الضار غيره انما يقصد منفعة نفسه والنفع بها يكون بركوبها
والحمل عليها في التجارات وفي المكاسب وما انزل الله من السماء عند جميع المفسرين وقيل يريد به السحاب من ماء
يعني المطر فاحيا به الارض بعد موتها اي فعمر به الارض بعد خرابها لان الارض اذا وقع عليها المطر انبتت واذا
لم يصبها مطر لم تنبت ولم يتم نباتها فكانت من هذا الوجه كالميت وقيل اراد به احياء اهل الارض باخراج الاقوات
وغيرها مما يحيا به نفوسهم وبث فيها من كل دابة اي فرق في الارض من كل حيوان يدب واراد بذلك
خلقها في مواضع متفرقة وتصريف الرياح اي تقليبها بان جعل بعضها ياتي بالرحمة وبعضها ياتي بالعذاب عن قتادة
وروي ان الريح هاجت على عهد ابن عباس فجعل بعضهم يسب الريح فقال لا تسبوا الريح ولكن قولوا اللهم اجعلها
رحمة ولا تجعلها عذابا والسحاب المسخر اي المذلل بين السماء والارض يصرفها كما يشاء من بلد الى بلد ومن موضع
الى موضع لايات اي حججا ودلالات لقوم يعقلون قيل انه عام في العقلاء من استدل منهم ومن لم يستدل

ومثل الاشخاص لمن استدل لانه من لم ينتفع بتلك الدلالات ولم يستدل بها صار كانه لا عقل له فيكون مثل الانعام
منذر من يخشاها وقوله هدى للمتقين وذكر سبحانه الآيات والدلالات ولم يذكر على ما يدل لحذف وقد دلالة الكلام عليه
وقد بين العلماء تفصيل ما يدل عليه فقالوا اما السموات والارض فيدل اعتراض لهما الزيادة والنقصان وانهما من الحوادث
لا ينفكان عن حدوثهما وخلقهما يدل على ان لهما خالقا لا يشبههما ولا يشبهانه لانه لا يقدر على خلق الاجسام الا
القديم القادر بنفسه الذي ليس بجسم ولا عرض اذ هو جميع ما نصفه الاجسام والاعراض محدث ولابد لمن
محدث ليس بمحدث لاستحالة ويدل كونهما على حد الاتقان والاحكام والاتساق والانتظام على كونه فاعلهما
عالما حكيما واما اختلاف الليل والنهار وجريهما على وتيرة واحدة واخذ احدهما من صاحبه الزيادة والنقصان
وتعلق ذلك بمجاري الشمس والقمر فيدل على عالم مدبر يدبرهما على هذا الحد لا يسهو ولا يغفل من جهة ان
افعال محكمة واقعة على نظام وترتيب لا يتخللها تفاوت ولا اختلال واما الفلك الذي يجري في البحر بما ينفع
الناس فيدل لحصول الماء على ما يداه من الرقة واللطافة التي لولاها لما امكن جري السفن عليه وتسخير الرياح
لاجرائها على خلاف الوجه الذي يجري الماء اليه على منعم مدبر لذلك لمنافع خلقه ليس من جنس البشر ولا من
قبيل الاجسام لان الاجسام يتعذر عليها فعل ذلك واما الماء الذي نزل من السماء فيدل انشاؤه وانزاله
قطرة لا يلتقي اجزاؤه ولا يلتئم في الجو فيترك مثل السيل فيخرب البلاد والعباد وامساكه في الهواء مع ان
من طبع الماء الانحدار الى وقت نزوله بقدر الحاجة وفي اوقاتها على ان مدبره قادر على ما يشاء من الامور حكيم
خبير عالم واما احياء الارض بعد موتها فيدل لظهور الثمار وانواع النبات وما يحصل به من اقوات الخلق وارزاق
الحيوانات واختلاف طعومها والوانها وروايحها واختلاف مضارها ومنافعها في الاغذية والادوية على كمال قدرته
وبدايع حكمته سبحانه من عليم حكيم ما اعظم شانه وما بث كل دابة فيها فيدل على ان لها صانعا مخالفا لها منعما
بانواع النعم خالقا للدواب المختلفة في التراكيب المتفرعة من اللحم والعظم والاعصاب والعروق وغير ذلك من الاعضاء
والاجزاء المتضمنة لبدايع الفطرة وغرايب الحكمة الدالة على عظيم قدرته وجسيم نعمته واما الرياح فيدل تصريفها
بتحريكها وتفريقها في الجهات مرة حارة ومرة باردة ومرة لينة ومرة عاصفة وطورا عقيما وطورا لاقحة على ان
مصرفها قادر على ما لا يقدر عليه سواه اذ لو اجتمع الخلايق كلهم على ان يجعل الصبا دبورا او الشمال جنوبا لما
امكنهم ذلك واما السحاب المسخر فيدل على ان ممسكه هو القادر الذي لا يشبهه شيء ولا نظير له لانه لا يقدر على تسكين
الاجسام بغير علاقة ولا عماد الا الله سبحانه وتعالى القادر لذاته الذي لا نهاية لمقدوراته فهذه هي
الآيات الدالة على انه سبحانه صانع غير مصنوع قادر لا يعجزه شيء عالم لا يخفى عليه شيء وحي لا تلحقه الآفات ولا يغيره
الحادثات لا يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء وهو السميع البصير سبحانه يشهد وجود هذه
الاشياء على قدمه وازليته وعجز ما سواه عن العجز والتسخير على كمال قدرته وعما ضمنها من البدايع على عجايب
حكمته وفيها ايضا اوضح دلالة على انه سبحانه المنان على عباده بفوايد النعم المنعم عليهم بما لا يقدر غيره على الانعام
بمثله من جزيل القسم فيعلم بذلك انه سبحانه الاله الذي لا يستحق العبادة سواه وفي هذه الآية دلالة ايضا على وجوب
النظر والاستدلال وان ذلك هو الطريق الى معرفته وفيها البيان لما يجب فيه النظر وابطال التقليد قوله عز وجل ومن
الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا اشد حبا لله ولو
يرى الذين ظلموا اذ يرون العذاب ان القوة لله جميعا وان الله شديد العذاب آية القراءة قرأ نافع وابن عامر
ويعقوب ولو ترى الذين ظلموا بالتاء على الخطاب وقرأ الباقون بالياء وكلهم قرأ اذ يرون العذاب بفتح الياء
الا ابن عامر فانه قرأ اذ يرون بضمها وقرأ ابو جعفر ويعقوب ان القوة لله وان الله بكسر الهمزة فيهما والباقون بفتحها الحجة

قال ابو علي الجبائي حجة من قرأ ولو يرى الذين ظلموا بالياء ان لفظ الغيبة اولى من لفظ الخطاب من حيث انه
يكون اشبه بما قبله من قوله ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا وهو ايضا اشبه بما بعده من قوله كذلك
يريهم الله اعمالهم حسرات وحجة من قرأ ولو ترى بجعل الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله لكثرة ما جاء في التنزيل من قوله ولو
ترى ويكون الخطاب للنبي والمراد به الكافة واما فتح ان القوة فمن قرأ بالياء فلا يخلو من ان يكون يرى من رؤية البصر
او المتعدية الى مفعولين فان جعلته من رؤية البصر لم يجز ان يتعدى الى ان لانه قد استوفت مفعولها الذي يقتضيه
وهو الذين ظلموا ولا يجوز ان يكون المتعدية الى مفعولين لان المفعول الثاني في هذا الباب هو المفعول الاول
في المعنى وقوله ان القوة لله لا يكون الذين ظلموا فاذن يجب ان يكون منتصبا بفعل آخر غير يرى وذلك الفعل الذي
يقدر جوابا للو كانه ولو يرى الذين ظلموا اذ يرون العذاب لراوا ان القوة لله جميعا والمعنى انهم شاهدوا من قدرته
سبحانه ما تيقنوا معه انه قوي عزيز وان الامر ليس على ما كانوا عليه من جحودهم لذلك او شكهم فيه ومذهب من قرأ
بالياء ابين لانهم ينصبون ان بالفعل الظاهر دون المضمر والجواب في هذا النحو يجيء محذوفا واذا اعمل الجواب في شيء
صار بمنزلة الاشياء المذكورة في اللفظ فيحمل المفعول اليه فيخالف ما عليه ساير هذا النحو من الآي التي حذفت الاجوبة
معها ليكون ابلغ في باب الوعيد هذا كلام ابي علي الفارسي ونحن نذكر ما قاله غيره في كسر ان القوة وفتحها في الاعراب
وحجة من قرأ اذ يرون العذاب قوله وراوا العذاب وقوله واذا راى الذين ظلموا العذاب وحجة ابن عامر قوله كذلك
يريهم الله اعمالهم حسرات لانك اذا بنيت هذا الفعل للمفعول به قلت يرون اعمالهم حسرات اللغة الانداد الاشباه والامثال
نظائرها احدها ند وقيل هي الاضداد واصل الند المناوي والحب خلاف البغض والمحبة هي الارادة الا ان فيها حذفا
لا يكون في الارادة فاذا قلت احب زيدا فالمعنى اني اريد منافعه او مدحه واذا قلت احب الله زيدا فالمعنى انه يريد
ثوابه وتعظيمه واذا قلت احب الله فالمعنى اريد طاعته واتباع اوامره ولا يقال اريد زيدا ولا ان الله يريد المؤمن ولا ان
اريد الله فاعتبر الحذف في المحبة ولم يعتبر في الارادة وقيل ان المحبة ليست من جنس الارادة بل هي من جنس ميل الطبع تقول
احب ولدي اي يميل طبعي اليه وهذا من المجاز لان اهل اللغة يقولون احببت ان افعل بمعنى اردت ان افعل ويقال احبه
احبابا وحبه حبا ومحبة واحب البعير احبابا اذا برك فلا يثور وهو كالحران في الخيل قال ابو عبيدة ومنه قوله احببت
حب الخير عن ذكر ربي اي لصقت بالارض لحب الخيل حتى فاتتني الصلاة وقال ابو علي الفارسي هو من رؤية
العين يدل على ذلك تعديه الى مفعول واحد بتقديره ولو يرون ان القوة لله اي لو يرى الكفار ذلك ويدل
عليه قوله اذ يرون العذاب والشدة فوق المعتاد وهو ضد الرخاوة والقوة والقدرة واحدة الاعراب يجوز فتح ان
من ثلاثة اوجه وكسرها من ثلاثة اوجه مع القراءة بالياء فاما الفتح فالاول ان يفتح بايقاع الفعل عليها بمعنى المصدر
وتقديره ولو يرى الذين ظلموا اذ يرون العذاب قوة الله وشدة عذابه والثاني ان يفتح على حذف اللام
كقولك لان القوة لله والثالث على تقدير لراوا ان القوة لله وان الله شديد العذاب على الاتصال بما حذف
من الجواب واما الوجه الاول في الكسر فعلى الاستيناف والثاني على الحكاية مما حذف من الجواب كانه قيل لقالوا
ان القوة لله والثالث على الاتصال بما حذف من الحال كانه قيل يقولون ان القوة لله واما مع القراءة
بالتاء فيجوز ايضا كسر ان من ثلاثة اوجه وفتحها من ثلاثة اوجه فاولها ان يكون على البدل كقولك ولو ترى الذين
ظلموا ان القوة لله عليهم عن الفراء وقال ابو علي هذا لا يجوز لان قوله ان القوة ليس الذين ظلموا ولا بعضهم ولا مشتملا
عليه والثاني ان يفتح على حذف اللام كقولك لان القوة والثالث لرايت ان القوة لله واما الكسر مع التاء
فكالكسر مع الياء في القراءة والاعتبار مع الياء الفتح ومع التاء الكسر لان الرؤية قد وقعت على الذين وجواب
لو محذوف كانه قيل لراوا مضرة اتخاذهم للانداد ولراوا امرا عظيما لا يحصر بالاوهام وحذف الجواب يدل على المبالغة

كقولك لو رأيت السياط تأخذ فلانا لأن المحذوف يحتمل كل امر ومن قرأ ولو يرى بالياء فالذين ظلموا في موضع
رفع بانه الفاعلون ومن قرأ بالتاء فالذين ظلموا في موضع نصب وقوله جميعا نصب على الحال كانه قال ان القوة ثابتة
له في حال اجتماعها وهو صفة مبالغة بمعنى اذا رأوا مقدورات الله فيما تقدم الوعيد علموا ان الله سبحانه قادر لا يعجزه شيء
وقوله يحبونهم في موضع نصب على الحال من الضمير في يتخذ وان كان الضمير في يتخذ على التوحيد لانه يعود الى من ويجوز
ان يعود اليه الضمير على اللفظ مرة وعلى المعنى اخرى ويجوز ان يكون يحبونهم صفة لقوله انداد اقال ابو علي لو قلت
كيف جاء اذ في قوله اذ يرون العذاب وهذا امر مستقبل واذ لما مضى فالقول انه جاء على لفظ المضي لارادة التقريب في
ذلك كما جاء وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب وان الساعة قريب وعلى هذا قوله ونادى اصحاب الجنة اصحاب
النار ومن هذا الضرب ما جاء في التنزيل من قوله ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت ولو ترى اذ وقفوا على النار
ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم **المعنى** ومن الناس من للتبعيض ههنا اي بعض الناس من يتخذ
من دون الله اندادا يعني الهتهم من الاوثان التي كانوا يعبدونها عن قتادة ومجاهد واكثر المفسرين وقيل
رؤساءهم الذين يطيعونهم طاعة الارباب من الرجال عن السدي وعلى هذا المعنى روي جابر عن ابي جعفر ع
انه قال هم ائمة الظلمة واشياعهم وقوله يحبونهم كحب الله على هذا القول الاخير ادل لانه يبعد ان يحبوا الاوثان
كحب الله مع علمهم بانها لا تنفع ولا تضر ويدل عليه ايضا قوله اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ومعنى يحبونهم يحبون
عبادتهم او التقرب اليهم او الانقياد لهم او جميع ذلك كحب الله فيه ثلاثة اقوال احدها كحبكم الله اي كحب المؤمنين الله عن
ابن عباس والحسن والثاني كحبهم الله يعني الذين اتخذوا الانداد فيكون المعنى به من يعرف الله من المشركين ويعبد معه
الاوثان ويسوي بينهما في المحبة عن ابي علي وعن ابي مسلم والثالث كحب الله اي كالحب الواجب عليهم اللازم لهم لا الواقع والذين
آمنوا اشد حبا لله يعني حب المؤمنين فوق حب هؤلاء وحبهم اشد من وجوه احدها اخلاصهم العبادة والتعظيم له والثناء
عليه من الاشراك وثانيها انهم يحبونه عن علم بانه المنعم ابدا وانه يفعل بهم في جميع احوالهم ما هو الاصلح لهم في التدبير وقد
انعم عليهم بالكثير فيعبدونه عبادة الشاكرين ويرجون رحمته على يقين فلا بد ان يكون حبهم له اشد وثالثها انهم يعلمون
ان له الصفات العليا والاسماء الحسنى وانه الحكيم الخبير الذي لا مثل له ولا نظير يملك النفع والضر والثواب والعقاب
واختلف في معنى قوله اشد فقيل اثبت وادوم لان المشرك ينتقل من صنم الى صنم عن ابن عباس وقيل لان المؤمن
يعبده بلا واسطة والمشرك يعبده بواسطة عن الحسن وقوله ولو يرى الذين ظلموا تقديره ولو يرى الظالمون اي
يبصرون وقيل لو يعلم هؤلاء الظالمون حين يرون العذاب والصحيح الاول كما تقدم بيانه هذا على قراءة من قرأ
بالياء ومن قرأ بالتاء فمعناه لو ترى يا محمد والخطاب له والمراد غيره وقيل معناه ولو ترى ايها السامع او ايها الانسان
الظالمين اذ يرون العذاب قوله ان القوة لله جميعا فيه حذف اي لرأيت ان القوة لله جميعا فعلى هذا يكون متصلا
بجواب لو ومن قرأ بالياء فمعناه ولو يرى الظالمون ان القوة لله جميعا لرأوا امرا فظيعا وسوء عاقبتهم ومعنى
قوله ان القوة لله جميعا ان الله سبحانه قادر على اخذهم وعقوبتهم وفي هذا وعيد واشارة الى ان هؤلاء الجبابرة
مع تعززهم اذا حشروا ذلوا وتخاذلوا وقد بينا الوجوه في فتح ان وكسرها والمعنى تابع لها ودائر عليها وجواب لو محذوف
على جميع الوجوه وان الله شديد العقاب وصف العذاب بالشديد توسع ومبالغة في الوصف وان الشدة من
صفات الاجسام **النظم** وجه اتصال هذه الاية بما قبلها ان الله سبحانه اخبر ان مع وضوح هذه الايات والدلالات
التي سبق ذكرها ان قوما على الباطل وانكار الحق فكانه قال بعد هذا البيان وظهور البرهان يتخذون من دون الله
اندادا ثم قال عز وجل **اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الاسباب**
وقال الذين اتبعوا لو ان لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا كذلك يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار
آيتان

101

اللغة التبرؤ في اللغة والتفصي والتزيل نظائر واصل التبرؤ التولي بالتباعد والعداوة واذا قيل تبرأ الله من المشركين
فكانه باعدهم عن رحمته للعداوة التي استحقوها بمعصيته واصل برئ الانفصال ومنه برئ من مرضه وبرئ يبرأ
براءة وبرأ من الدين براءة الاتباع طلب الاتفاق في مقال او فعال او مكان واذا قيل اتبعه ليلحقه فالمراد السبق
معه في المكان والتقطع التباعد بعد الاتصال والسبب الوصلة الى المتعذر بما يصلح من الطلب والاسباب الوصلات
واحدها سبب ومنه يسمى الحبل سببا لانك تتوصل به الى ما انقطع عنك من ماء او بئر او غيره ومضت سبة من
الدهر اي ملاوة والكرة الرجعة قال الاخطل ولقد عطفن على فزارة عطفة كر المنيح وجلن ثم مجالا والكر نقيض
الفر قال صاحب العين الرجوع عن الشيء والكر الحبل الغليظ وقيل الشديد الفتل والحسرات هي الحسرة وهي
اشد الندامة والفرق بينها وبين الارادة ان الحسرة تتعلق بالماضي خاصة والارادة تتعلق بالمستقبل
لان الحسرة انما هي على ما فات بوقوعه او بمضي وقته والحسرة والندامة نظائر يقال حسر يحسر حسرا وحسرة
اذا كمد على الشيء الغائب وتلهف عليه واصل الحسرة الكشف تقول حسرت العمامة عن رأسي اذا كشفتها
وحسر عن ذراعه حسرا والحاسر الذي لا درع عليه ولا مغفر **الاعراب** العامل في اذ قوله شديد العذاب اي وقت
التبرؤ انتصب فنتبرأ على انه جواب التمني بالفاء كانه قال لو ان لنا رجوعا فتبرؤا وكلما عطف الفعل على ما تأويله
تأويل المصدر نصب باضمار ان ولا يجوز اظهارها فيما لا يفصح بلفظ المصدر قيل لانه لما حمل الاول على التأويل
حمل الثاني على التأويل ايضا ويجوز فيه الرفع على الاستئناف اي فنحن نتبرأ منهم على كل حال واما قوله لو ان لنا كرة
في موضع الرفع لفعل محذوف تقديره لو صح ان لنا كرة لان لو في التمني وفي غيره تطلب الفعل وان شئت قلت تقديره
لو ثبت ان لنا كرة واقول ان جواب لو ههنا ايضا في التقدير محذوف ولذلك افادت في الكلام معنى التمني تقديره
لو ثبت ان لنا كرة فنتبرأ منهم لسعدنا بذلك وجازيناهم صاعا بصاع وهذا شيء اخرجه الى الاعتبار ولم اره في الامور
وهو الصحيح الذي لا غبار عليه وبالله التوفيق واما العامل في الكاف من ذلك فقوله يريهم الله اعمالهم حسرات كذلك اي
مثل تبرؤ بعضهم من بعض وذلك لانقطاع الرجاء من كل واحد منهما وقيل تقديره يريهم الله اعمالهم حسرات كاراءتهم العذاب
وذلك لانهم ايقنوا بالهلاك في كل واحد منهما **المعنى** لما ذكر الذين اتخذوا الانداد من حالهم في المعاد قال سبحانه
اذ تبرأ الذين اتبعوا وهم القادة الرؤساء من مشركي الجن والانس عن قتادة والربيع وعطاء وقيل هم الشياطين
الذين اتبعوا بالوسوسة عن الحسن والسدي وقيل هم شياطين الجن والانس والاظهر هو الاول من الذين
اتبعوا اي من الاتباع السفلة ورأوا اي رأى التابعون والمتبوعون العذاب اي عاينوه حين دخلوا النار وتقطعت
بهم الاسباب فيه وجوه احدها الوصلات التي كانوا يتواصلون عليها عن مجاهد وقتادة والربيع والثاني
الارحام التي يتعاطفون بها عن ابن عباس والثالث العهود التي كانت بينهم يتوادون عليها عن ابن عباس ايضا
الرابع تقطعت بهم الاسباب اعمالهم التي كانوا يوصلونها عن ابن زيد والسدي والخامس تقطعت اسباب النجاة
عن ابي علي وظاهر الاية يحتمل الكل فينبغي ان يحمل على عمومه فكانه قد قيل قد زال عنهم كل سبب يمكن ان يتعلق
به فلا ينتفعون بالاسباب على اختلافها من منزلة او قرابة او مودة او حلف او عهد على ما كانوا ينتفعون بها
في الدنيا وذلك نهاية في الاياس وقال الذين اتبعوا يعني الاتباع لو ان لنا كرة اي عودة الى دار الدنيا وحال
التكليف فنتبرأ منهم اي من القادة في الدنيا كما تبرءوا منا في الاخرة كذلك يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم فيه اقوال
احدها ان المراد المعاصي يتحسرون عليها لم عملوها عن الربيع وابن زيد وهو اختيار الجبائي والبلخي والثاني ان المراد
الطاعات يتحسرون عليها لم لم يعملوها وضيعوها عن السدي والثالث ما رواه اصحابنا عن ابي جعفر عليه السلام انه قال
هو الرجل يكتسب المال ولا يعمل فيه خيرا فيرثه من يعمل فيه عملا صالحا فيرى الاول ما كسبه حسرة في ميزان غيره

والرابع ان الله سبحانه يريهم مقادير الثواب التي عرضهم لها لو فعلوا الطاعات فيتحسرون عليها لم فرطوا او الآية تحتمل
لجميع هذه الوجوه فالاولى الحمل على العموم وما هم بخارجين من النار اي مخلدون فيها بين سبحانه في الآية انهم يتحسرون
في وقت لا ينفعهم الحسرة وذلك ترغيب في التحسر في وقت ينفع فيه الحسرة واكثر المفسرين على ان الآية واردة في الكفار
كابن عباس وغيره وهذه الآية دالة على انهم كانوا قادرين على الطاعة والمعصية لانه ليس في المعقول ان يتحسر
الانسان على ترك ما كان لا يمكنه الانفكاك عنه او في على فعل ما كان لا يمكنه الاتيان به الا ترى انه لا يتحسر
الانسان على انه لم يصعد السماء لما لم يكن قادرا على الصعود الى السماء قوله عز وجل يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين
آية القراءة قرء نافع وابو عمرو وحمزة وابو بكر الا البرجمي خطوات بسكون الطاء حيث
وقع الباقون بضمها وروي في الشواذ عن علي ع خطؤات بضمتين وهمزة وعن ابي السماك بفتح الخاء والطاء
الحجة ما كان على فعلة من الاسماء فالاصل في جمعه التثقيل نحو غرفة وغرفات وحجرة وحجرات لان التحريك
فاصل بين الاسم والصفة ومن اسكنه فقال خطوات فانه كره الضمة واسكن الكلمة عنها طلبا للخفة ومن ضم
الخاء والطاء مع الهمزة فكانه ذهب بها مذهب الخطيئة فجعل ذلك على مثال فعلة من الخطأ هذا قول الاخفش
وقال ابو حاتم ارادوا اشباع الفتحة في الواو فانقلبت همزة ومن فتح الخاء والطاء فهو جمع خطوة فيكون مثل ثمرة
وثمرات اللغة الاكل هو البلع عن مضغ وبلع الذهب واللؤلؤ وما اشبهه ليس باكل في الحقيقة وقد [illegible]
ياكل الخمر فاجريه مجرى اكل الطعام والحلال هو الجائز من افعال العباد ونظيره المباح واصل الحل نقيض العقد
وانما سمي المباح حلالا لانحلال عقد الحظر عنه ولا يسمى كل حسن حلالا لان افعاله تعالى كلها حسنة ولا يقال انها حلال
اذ الحلال اطلاق في الفعل لمن يجوز عليه المنع يقال حل يحل حلالا وحل يحل حلولا وحل العقد يحله حلا واحل
من احرامه وحل فهو محل وحلال وحلت عليه العقوبة وجبت والطيب هو الخالص من شايب ينغصه وهو على ثلاثة
اقسام الطيب المستلذ والطيب الجائز والطيب الطاهر والاصل هو المستلذ الا انه وصف الطاهر والجائز تشبيها
اذ ما يزجر عنه العقل او الشرع كالذي تكرهه النفس في الصرف عنه وما يدعوا اليه بخلاف ذلك والطيب الحلال
والطيب النظيف واصل الباب خلاف الخبيث والخطوة بعد ما بين قدمي الماشي والخطوة المرة من الخطو يقال
خطوت خطوة واحدة وتجمع الخطوة خطى واصل الخطو نقل القدم وخطوات الشيطان اثاره والعدو المتباعد
عن الخير الى الشر والولي نقيضه الاعراب حلالا صفة مصدر محذوف اي كلوا شيئا حلالا او من هي في قوله مما في الارض
يتعلق بكلوا والمحذوف تكون معه في محل النصب على الحال والعامل فيه كلوا وذو الحال قوله حلالا وقوله طيبا صفة
بعد صفة النزول عن ابن عباس انها نزلت في ثقيف وخزاعة وبني عامر وصعصعة وبني مدلج لما حرموا على انفسهم
من الحرث والانعام والبحيرة والسائبة والوصيلة فنهاهم الله عن ذلك المعنى لما قدم سبحانه ذكر التوحيد واهله
والشرك واهله واتبع ذلك بذكر ما تابع منه سبحانه على الفريقين من ذكر النعم والاحسان ثم نهاهم عن اتباع الشيطان
لما في ذلك من الجحود لنعمته والكفران فقال يا ايها الناس وهذا الخطاب عام لجميع المكلفين من بني ادم كلوا لفظه
لفظ الامر ومعناه الاباحة مما في الارض حلالا طيبا لما اباح الاكل مما يجب ان يكون عليه من الصفة لان في الماكول
ما يحرم ومنه ما يحل فالحرام يعقب الهلكة والحلال يقوي على العبادة وانما يكون حلالا بان لا يكون مما تناوله
الحظر ولا يكون لغير الاكل فيه حق وهو مبينا لجميع المحللات واما الطيب فقيل هو الحلال ايضا جمع بينهما لاختلاف
اللفظين تاكيدا وقيل معناه ما تستطيبونه وتستلذونه في العاجل والآجل ولا تتبعوا خطوات الشيطان اختلف
في معناه فقيل اعماله عن ابن عباس وقيل خطاياه عن مجاهد وقتاده وقيل طاعتكم اياه عن السدي وقيل
آثاره عن الخليل وروي عن ابي جعفر وابي عبد الله ع ان من خطوات الشيطان الحلف والطلاق والنذر

في المعاصي وكل عمل بغير الله تعالى وعن القاضي يريد وساوس الشيطان وخواطره وعن الماوردي هو ما يتعلق به
من معصية الله الى معصية حتى يستوعبوا جميع المعاصي ماخوذ من خطو القدم نقلها من مكان الى مكان حتى يبلغ مقصده
انه لكم عدو مبين اي مظهر للعداوة بما يدعو اليه من خلاف الطاعة لله تعالى واختلف الناس في الماكل والمنافع
التي لا ضرر على احد فيها فمنهم من ذهب الى انها على الحظر ومنهم من ذهب الى انها على الاباحة واختاره المرتضى
قدس سره ومنهم من وقف بين الامرين وجوز كل واحد منهما وهذه الآية دالة على اباحة الماكل الا ما دل الدليل
على حظره فجاءت موكدة لما في العقل قوله عز وجل انما يامركم بالسوء والفحشاء وان تقولوا على الله ما لا تعلمون
آية اللغة الامر من الشيطان هو دعاؤه الى الفعل فاما الامر في اللغة فهو قول القائل لمن دونه افعل اذا كان الامر
مريدا للمامور به وقيل هو الدعاء الى الفعل بصيغة افعل والسوء كل فعل قبيح تزجر عنه العقل والشرع او يسمى سوءا لما
تنفر عنه النفس يقال ساءني كذا يسوءني سوءا وانما سمي القبيح سوءا لسوء عاقبته لان بليته في العاجل
والفحشاء الفاحشة والقبيحة والسيئة نظاير وهي مصدر نحو السراء والضراء يقال فحش فحشا وفحشاء وكل من تجاوز
قدره فهو فاحش وافحش الرجل اذا اتى بالفحشاء وكلما لا يوافق الحق فهو فاحشة وقوله الا ان ياتين بفاحشة مبينة
معناه خروجها من بيتها بغير اذن زوجها المطلق لها والقول كلام له عبارة تنبئ عن الحكاية وذلك كالكلام زيد يحكي
ان ياتي عمرو وبعبارة عنه تنبئ عن الحكاية له مقول قال زيد كذا وكذا فيكون قوله قال زيد يوذن بانه يحكي بعده كلام
وليس كذلك اذا قال تكلم زيد لانه لا يوذن بالحكاية والعلم ما اقتضى سكون النفس وقيل هو تبين الشيء على ما هو به للمدرك
له المعنى لما قدم سبحانه ذكر الشيطان عقبه ببيان ما يدعو اليه من مخالفة الدين فقال انما يامركم بالسوء والفحشاء اي
المعاصي عن السدي وقتاده وقيل ما يسوء فاعله اي يضره وهو في المعنى مثل الاول والفحشاء وقيل المراد به الزنا
وقيل السوء ما لا حد له والفحشاء ما فيه حد عن ابن عباس وان تقولوا على الله ما لا تعلمون قيل هو دعواهم له الانداد
والاولاد ونسبتهم اليه الفواحش عن ابي مسلم وقيل اراد جميع المذاهب الفاسدة والاعتقادات الباطلة ومما يسال
على هذا ان يقال كيف يامر الشيطان ونحن لا نشاهده ولا نسمع كلامه فالجواب ان معنى امره هو دعاؤه اليه كما تقول نفسي امرتني
بكذا اي تدعوني اليه وقيل انه يامرنا بالمعاصي حقيقة وقد يعرف ذلك الانسان من نفسه متى تثقل بعض الطاعات عليه
وتميل نفسه الى بعض المعاصي والوسوسة هي الصوت الخفي ومنه وساوس الحلي فيلقي اليه الشيطان شيئا بصوت
خفي في اذنه ومتى قيل كيف يميز الانسان بين ما يلقي اليه الشيطان وبين ما تدعو اليه النفس فالقول انه لا يصح عليه
ذلك لم يحرر بينهما فانه اذا ثبت عنده ان الشيطان قد يامره بالمعاصي جوز في كل ما كان من هذا الجنس ان يكون
من قبل الشيطان الذي لا يعد اونه فيكون ارغب في فعل الطاعة مع ثقلها عليه وفي ترك المعاصي مع ميل النفس اليها
مخالفة للشيطان الذي هو عدوه قوله عز وجل واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا اولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون
آية اللغة الفينا اي صادفنا ووجدنا والاب والوالد واحد والاهتداء الاصابة لطريق الحق بالعلم الاعراب
الواو حرف العطف دخلت عليه همزة الاستفهام والمراد به التوبيخ والتقريع ومثل هذه الواو اسم وثم اذا ما وقع
افلم يسيروا وانما جعلت همزة الاستفهام للتوبيخ لانهما الاقرار فيصح عليه كما تقتضي الاستفهام الاخبار عما يحتاج
اليه وانما دخلت الواو في مثل هذا الكلام لانك اذا قلت اسمعه ولو جزت شتمناه اسمعه على كل حال وليس كذلك
اسمعه ولو جرك لان هذا خاص وهذا عام فدخلت الواو لهذا المعنى النزول ابن عباس قال دعا النبي صلى الله عليه وآله
اليهود الى الاسلام فقالوا بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا فانهم كانوا اعلم منا فنزلت هذه الآية
وفي رواية الضحاك انها نزلت في قبايل قريش المعنى لما تقدم ذكر الكفار بين سبحانه حالهم في التقليد وترك الاجابة
الى الاقرار بصدق النبي صلى الله عليه وآله مما جاء به في كتاب المجيد فقال واذا قيل لهم واختلف في الضمير فقيل يعود الى من في قوله

من يتخذ من دون الله اندادا وهم مشركو العرب وقيل يعود الى الناس من قوله يا ايها الناس فعدل عن المخاطبة الى الغيبة
كما قال حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم وقيل يعود الى الكتاب اذ تقدم ذكرهم ويصلح ايضا ان يعود الى اليهود وان لم يجر
ذكرهم وان الضمير يعود الى المعلوم كما يعود الى المذكور والقائل لهم هو النبي والمسلمون اتبعوا ما انزل الله من القرآن وشرايع
الاسلام وقيل في التحليل والتحريم قالوا اي الكفار بل نتبع ما الفينا اي وجدنا عليه آباءنا من عبادة الاصنام اذا
كان الخطاب للمشركين او بالتمسك باليهودية اذا كان الخطاب لليهود اولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا من امور الدين
ولا يهتدون اي لا يصيبون طريق الحق ومعناه لو ظهر لكم انهم لا يعلمون شيئا ما لزمهم معرفته السمتم تتبعونهم لم كنتم تنصرفون
عن اتباعهم فاذا صح انه يجب الانصراف عن اتباعهم فقد بين ان الواجب اتباع الدليل دون اتباع هؤلاء قوله عز وجل ومثل
الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون آية اللغة المثل قول سائر يدل على ان سبيل الثاني
سبيل الاول نعق الراعي بالغنم ينعق نعقا اذا صاح بها زجرا قال الاخطل فانعق بضأنك يا جرير فانما منتك نفسك في
الخلاء ضلالا ونعق الغراب نواقا ونعيقا اذا صوت من غير ان يمد عنقه ويحركها ونغق بالغين بمعناه فاذا مد عنقه
وحركها ثم صاح قيل نعب والناعقان كوكبان من كواكب الجوزاء رجلها اليسرى ومنكبها الايمن وهو الذي يسمى الهنعة
وهما اضوأ كواكب الجوزاء والدعاء طلب الفعل من المدعو ونظيره الامر والفرق بينهما يظهر بالرتبة والنداء مصدر نادى
مناداة ونداء والدعاء والسؤال بمعناه والندى لا يرجع في المعنى يقال ندى الماء وندى الخير والشيء وندى الصوت
وندى الحضر فالندى ماء هو البلل وندى الخير هو المعروف يقال اندى فلان ندى كثيرا ويده ندية بالمعروف وندى الصوت
بعد مذهبه وندى الحضر مدى جريه واشتق النداء من ندى الصوت ناداه اي دعاه بارفع صوته ثم ضرب الله مثلا للكفار
في تركهم اجابة من يدعوهم الى التوحيد وركونهم الى التقليد فقال مثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق اي يصوت بما
لا يسمع من البهائم الا دعاء ونداء واختلف في تقدير الكلام وتأويله على وجوه اولها ان المعنى مثل الذين كفروا في دعائك
اياهم اي مثل الداعي لهم الى الايمان كمثل الناعق في دعائه المنعوق به من البهائم التي لا تفهم وانما تسمع الصوت
فكما ان الانعام لا يحصل لها من دعاء الداعي الا السماع فكذلك الكفار لا يحصل لهم من دعائك لهم الى الايمان الا السماع
من دون تفهم المعنى لانهم يعرضون عن قبول قولك وينصرفون عن تأمله فيكونون بمنزلة من لم يعقله ولم يفهمه وهذا
كما تقول العرب فلان يخافك كخوف الاسد والمعنى كخوفه من الاسد فاضاف الخوف الى الاسد وهو في المعنى مضاف
الى الرجل قال الشاعر فلست مسلما ما دمت حيا على زيد بتسليم الامير اراد بتسليمي على الامير وهذا هو معنى قول
ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وهو المروي عن ابي جعفر ع وهو اختيار الجبائي والرماني والطبري وثانيها ان
يكون المعنى مثل الذين كفروا ومثلنا او مثل الذين كفروا ومثلك يا محمد كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء
اي كمثل الانعام المنعوق بها والناعق الراعي الذي يكلمها وهي لا تعقل فحذف المثل الثاني اكتفاء بالاول ومثله
قوله سرابيل تقيكم الحر واراد الحر والبرد وقال ابو ذؤيب عصيت اليها القلب اني لامرها مطيع فما ادري
ارشد طلابها اراد ارشد ام غي فاكتفى بذكر الرشد لوضوح الامر وهو قول الاخفش والزجاج وهذا لان في الآية
تشبيه شيئين بشيئين تشبيه الداعي الى الايمان بالراعي وتشبيه المدعوين من الكفار بالانعام فحذف ما حذف
في الايجاز وابقى في الاول ذكر المدعو وفي الثاني ذكر الداعي وفيما ابقى دليل على ما القى وثالثها ان مثل الذين
كفروا في دعائهم الاصنام كمثل الداعي في دعاء الانعام بنعاق وما جرى مجراه في الكلام فكما ان من ادعى البهائم
تعنيه جاهلا فداعي الحجارة اشد جهلا منه لان البهائم تسمع الدعاء وان لم تفهم والاصنام لا يحصل لها السماع ايضا
عن ابي القاسم البلخي وغيره ورابعها ان مثل الذين كفروا في دعائهم الاصنام وهي لا تعقل ولا تفهم كمثل الذي ينعق دعاء ونداء
بما لا يسمع صوته جملة ويكون مصروفا الى غير الغنم وما اشبهها مما يسمع وان لم يفهم وعلى هذا الوجه ينتصب دعاء ونداء

ينعق والا ملغاة لتوكيد الكلام كما في قول الفرزدق هم القوم الا حيث سلوا سيوفهم وضحوا بلحم من محل ومحرم والمعنى
هم القوم حيث سلوا سيوفهم وخامسها ان يكون المعنى ومثل الذين كفروا كمثل الغنم الذي لا يفهم دعاء الناعق فاضاف
سبحانه المثل الثاني الى الناعق وهو في المعنى مضاف الى المنعوق به على مذهب العرب في القلب نحو قولهم طلعت
الشعرى وانتصب العود على الحرباء والمعنى انتصب الحرباء على العود وانشد الفراء ان سراجا لكريم مفخره تحلى به العين
اذا ما تجهره وانشد ايضا كانت فريضة ما تقول كما كان الزناء فريضة الرجم والمعنى كما كان الرجم فريضة الزناء وانشد وقد
خفت حتى ما تزيد مخافتي على وعل في ذي المطارة عاقل اي ما تزيد مخافة وعل على مخافتي وقال العباس بن مرداس
فديت بنفسي نفسه ومالي وما آلوك الا ما اطيق اراد فديت بنفسه نفسي ثم وصفهم سبحانه بما يجري مجرى التهجين والتوبيخ
فقال صم بكم عمي اي صم عن استماع الحجة بكم عن التكلم بها عمي عن الابصار لها وهو قول ابن عباس وقتادة والسدي
وقد مر بيانه في اول السورة ابسط من هذا فهم لا يعقلون اي هم بمنزلة من لا عقل له اذ لم ينتفعوا بعقولهم قوله عز وجل
يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون آية اللغة الشكر هو الاعتراف بالنعمة مع ضرب من التعظيم
ويكون على وجهين احدهما الاعتراف بالنعمة متى ذكرها المنعم عليه بالاعتقاد والثاني الطاعة بحسب جلالة النعمة فالاول لازم
في كل حال من احوال الذكر والثاني انما يلزم في الحال التي يحتاج فيها الى القيام بالحق واما العبادة فهي ضرب من الشكر
الا انها غاية فيه ليس وراءها شكر ويقترن به ضرب من الخشوع ولا يستحق العبادة الا الله سبحانه باختصاصها الاعراب ما رزقناكم موصول
وصلة والعائد من الصلة الى الموصول محذوف وتقديره ما رزقناكموه وجواب الشرط محذوف وتقديره ان كنتم اياه تعبدون
فكلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا الله المعنى ثم خاطب سبحانه المؤمنين وذكر نعمه الظاهرة عليهم واحسانه المبين فقال
يا ايها الذين آمنوا كلوا ظاهره الامر والمراد به الاباحة لان تناول المشتهى لا يدخل في التعبد وقيل انه امر من وجهين
احدهما بأكل الحلال والآخر بالاكل وقت الحاجة دفعا للضرر عن النفس قال القاضي وهذا يعرض في بعض الاوقات والآية
غير مقصورة عليه فيحمل على الاباحة من طيبات ما رزقناكم اي مما تستلذونه وتستطيبونه من الرزق وفيه دلالة على النهي عن
اكل الخبيث في قول البلخي وغيره كانه قيل كلوا من الطيب دون الخبيث كما انه لو قال كلوا من الحلال لكان ذلك دالا على حظر الحرام
وهذا صحيح فيما له ضد قبيح مفهوم واما غير ذلك فلا يدل على تحريمه لان قول القائل كل من مال زيد لا يدل على انه
اراد تحريم ما عداه لانه قد يكون الغرض البيان لهذا خاصة وما عداه موقوف على بيان آخر وليس كذلك ما ضده قبيح لانه
ما يكون من البيان بقبح ضده واشكروا الله لما به سبحانه على انعامه علينا بما جعله لنا من اللذة والرزق امرنا بالشكر لان
الانعام يقتضي الشكر وقوله ان كنتم اياه تعبدون اي كنتم تعبدونه عن علم بكونه منعما عليكم وقيل ان كنتم مخلصين له في العبادة
وذكر الشرط ههنا انما هو على وجه الظاهر في الحجاج ولما فيه من حسن البيان وتلخيص الكلام ان كانت العبادة لله سبحانه
واجبة عليكم بانه الهكم فالشكر له واجب عليكم بانه محسن اليكم قوله عز وجل انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل به
لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه ان الله غفور رحيم آية القراءة قرأ ابو جعفر الميتة مشددة كل القرآن وقرأ اهل الحجاز والشام
والكسائي فمن اضطر بضم النون وابو جعفر منهم بكسر الطاء من اضطر والباقون بكسر النون الحجة الميتة اصلها الميتة
حذف الياء الثانية استخفافا لثقل الياءين والكسرة والاجود في القراءة المستمرة التخفيف وقوله فمن اضطر بالضم فهو للاتباع
كما ضمت همزة الوصل في انظر واما الكسر فعلى اصل الحركة لالتقاء الساكنين واما قراءة ابي جعفر فمن اضطر فلان الاصل اضطرر
فسكنت الراء الاولى للادغام ونقلت حركتها الى الحرف الذي قبلها فصار اضطر والاصل ان لا ينقل حركة الراء عند اسكانها
لان الطاء على حركتها الاصلية اللغة الاهلال في الذبيحة رفع الصوت بالتسمية وكان المشركون يسمون الاوثان والمسلمون
يسمون الله والاهلال المطر الصائب والهلال غرة القمر لرفع الناس اصواتهم عند رؤيته بالتكبير والمحرم يهل بالاحرام وهو ان
يرفع صوته بالتلبية واستهل الصبي اذا بكى وقت الولادة والاضطرار كل فعل لا يمكن المفعول به الامتناع منه وذلك كالجوع الذي

حدث بالانطار فلا يمكن الامتناع منه والفرق بين الاضطرار والالجاء ان الالجاء قد يتوفر معه الداعي الى الفعل من جهة
الضرر والنفع وليس كذلك الاضطرار قال صاحب العين رجل لحم اذا كان اكولا للحم ولحمت القوم اذا قتلتهم وصاروا لحما والملحمة
الحرب ذات القتل الشديد واستلحم الطريق اذا اتسع واللحمة قرابة النسب واصل الباب اللزوم بعضه بعضا واصل البغي الطلب
من قولهم بغى الرجل حاجته يبغي بغا قال الشاعر لا يمنعك من بغا الخير تعقاد التمائم ان الاشائم كالايامن والايامن كالاشائم
والبغا طلب الزنا والعادي المتعدي الاعراب انما تفيد اثبات الشيء الذي يذكر بعدها ونفي ما عداه قال الشاعر وانما
يدافع عن احسابهم انا ومثلي وانما كانت لاثبات الشيء ونفي ما سواه من قبل ان ان لما كانت للتوكيد واضاف اليها
ما للتوكيد ايضا اكدت من جهة التحقيق للنفي واكدت ما من جهة نفي ما عداه فاذا قلت ما انا الا بشر ولو كانت ما بمعنى
الذي لكتبت مفصولة مثل قوله ان ما امركم واحد انما الله اله واحد ومثله انما انت نذير اي منذر اي لا نذير الا انت
فاذا ثبت ذلك فلا يجوز في الميتة الا النصب لان ما كافة ولو كانت ما بمعنى الذي لجاز في الميتة الرفع وغير باغ منصوب
على الحال وتقديره لا باغيا ولا عاديا ولا يجوز ان تقع الا ههنا في موضع غير لما قلناه انه لمعنى النفي ولذلك عطف عليها
بلا واما الا فهنا في الاصل الاختصاص لبعض من كل وليس ههنا كل يصلح ان يخص منه المعنى لما ذكر سبحانه اباحة الطيبات
عقب بتحريم المحرمات فقال انما حرم عليكم الميتة وهو ما يموت من الحيوان والدم ولحم الخنزير وخص اللحم لانه المعظم
والمقصود والا فجملته محرمة وما اهل به لغير الله قيل فيه قولان احدهما انه ما ذكر غير اسم الله سبحانه عليه عن الربيع وجماعة
من المفسرين والآخر انه ما ذبح لغير الله عن مجاهد وقتاده والاول اوجه فمن اضطر الى اكل هذه الاشياء ضرورة مجاعة
عن اكثر المفسرين وقيل ضرورة اكراه عن مجاهد وتقديره فمن خاف على النفس من الجوع ولا يجد ماكولا يسد به الرمق
وقوله غير باغ ولا عاد فيه ثلاثة اقوال احدها غير باغ اللذة ولا عاد سد الجوع عن الحسن وقتاده ومجاهد والثاني غير باغ
في الافراط ولا عاد في التقصير عن الزجاج والثالث غير باغ على امام المسلمين ولا عاد بالمعصية طريقة المحقين وهو المروي
عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام وعن مجاهد وسعيد بن جبير واعترض علي بن عيسى على هذا القول بان قال ان الله سبحانه لم يبح
لاحد قتل نفسه والتعرض للقتل في حكم الدين لان الرخصة لاجل المجاعة لا لاجل سفر الطاعة وهذا فاسد لان الباغي على الامام
معرض نفسه للقتل فلا يجوز لذلك استباحة ما حرم الله كما لا يجوز ان يستبقي نفسه بقتل غيره من المسلمين وقوله لان الرخصة
لاجل المجاعة غير مسلم على الاطلاق بل هو مخصوص لم يعرض نفسه لها فلا اثم عليه اي لا حرج عليه انما ذكر هذا اللفظ ليبين انه
ليس بمباح في الاصل وانما رفع الحرج لاجل الضرورة ان الله غفور رحيم انما ذكر المغفرة لاحد امرين اما ليبين انه اذا كان
يغفر المعصية فانه لا ياخذ بما رخص فيه واما انه وعد بالمغفرة عند الانابة الى طاعة الله مما كانوا عليه من تحريم ما لم يحرمه الله
من السائبة وغيرها قوله عز وجل ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا اولئك
ما ياكلون في بطونهم الا النار ولا يكلمهم الله يوم القيمة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم آية اللغة البطن خلاف الظهر
والبطن الغامض من الارض والبطن من العرب دون القبيلة الاعراب الذين مع صلته منصوب بان واولئك رفع بالابتداء
وخبره ما ياكلون في بطونهم الا النار والمبتدأ وخبره جملة في موضع الرفع بكونها خبر ان والنار نصب بياكلون النزول
المعني بهذه الآية اهل الكتاب باجماع المفسرين الا انها متوجهة على قول اكثرهم الى جماعة قليلة من اليهود وهم علماؤهم ككعب
بن الاشرف وحيي بن اخطب وكعب بن اسد وكانوا يصيبون من سفلتهم الهدايا ويرجون كون النبي منهم فلما بعث من غيرهم
خافوا زوال ماكلتهم فغيروا صفته فانزل الله هذه الآية المعنى ثم عاد الكلام الى ذكر اليهود الذين تقدم ذكرهم فقال سبحانه
الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب اي صفة محمد والبشارة به عن ابن عباس وقتاده والسدي وقيل كتموا الاحكام
عن الحسن والكتاب على القول الاول هو التوراة وعلى الثاني يجوز ان يحمل على القرآن وعلى سائر الكتاب ويشترون
به ثمنا قليلا اي يستبدلون به عوضا قليلا وليس المراد انهم اذا اشتروا به ثمنا كثيرا كان جائزا بل الافادة فيه ان كل ما ياخذونه

في مقابلة ذلك من حطام الدنيا فهو قليل وللعرب في ذلك عادة معروفة ومذهب مشهور ومثله في القرآن كثير قال ومن
يدع مع الله الها آخر لا برهان له به ويقتلون النبيين بغير حق وفيه دلالة على من ادعى ان مع الله الها آخر لا يقوم على قوله برهان
وان قتل الانبياء لا يكون الا بغير حق وذلك بان الوصف الشيء بما لا بد ان يكون عليه من الصفة ومثله في الشعر قول
النابغة يحفه جانبا نيق ويتبعه مثل الزجاجة لم يكحل من الرمد اي ليس بها رمد فيكتحل له وقول الآخر لا يغمز الساق
من اين ولا وصب ولا يعض على شرسوفه الصفر اي ليس بساقه اين ولا وصب فيغمزها من اجلها وقول سويد بن كاهل
من اناس ليس في اخلاقهم عاجل الفحش ولا سوء الجزع ولم يرد ان في اخلاقهم فحشا آجلا او جزعا غير سيء بل نفى الفحش
والجزع عن اخلاقهم ونظائر هذا كثيرة اولئك يعني الذين كتموا ذلك واخذوا الاجر على الكتمان ما ياكلون في بطونهم
الا النار معناه ان اكلهم في الدنيا وان كان طيبا في الحال فكانهم لم ياكلوا الا النار لان ذلك يؤديهم الى النار كقوله سبحانه
في اكل مال اليتيم انما ياكلون في بطونهم نارا عن الحسن والربيع واكثر المفسرين وقيل انهم ياكلون النار حقيقة في جهنم عقوبة
لهم بكتمانهم فيصير ما اكلوا في بطونهم نارا يوم القيمة فسماه في الحال بما يصير اليه في المال وانما ذكر الاكل لا يكون الا في البطن
لوجهين احدهما ان العرب تقول جعت في غير بطني وشبعت في غير بطني اذا جاع من يجري جوعه مجرى جوعه وشبعه مجرى
شبعه فذكر ذلك لازالة اللبس والثاني انه لما استعمل المجاز بان اجرى على الرشوة اسم النار حقق بذكر البطن ليدل على ان
النار يدخل اجوافهم ولا يكلمهم الله يوم القيمة فيه وجهان احدهما انه لا يكلمهم بما يحبون وفي ذلك دليل على غضبه عليهم
وان كان يكلمهم بالسؤال والتوبيخ وبما يغمهم كما قال فلنسئلن الذين ارسل اليهم وقال اخسئوا فيها ولا تكلمون وهذا قول
الحسن والجبائي والثاني انه لا يكلمهم اصلا فيحمل ايات المسئلة على ان الملائكة تسالهم عن الله وبامره وتاول قوله
فيها على دلالة الحال وانما يدل نفي الكلام على الغضب في الوجه الاول من حيث ان الكلام وضع في الاصل للفائدة
فلما انتفى على جهة الحرمان دل على الغضب فاما الكلام على وجه الغم والايلام فخارج عن ذلك ولا يزكيهم معناه لا يثني
عليهم ولا يصفهم بانهم ازكياء ومن لا يثني الله عليه فهو معذب وقيل لا يصلح اعمالهم كما تصلح اعمال الازكياء وقيل معناه لا يطهرهم
من خبث اعمالهم بالمغفرة ولهم عذاب اليم اي موجع مولم قوله عز وجل اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب
بالمغفرة فما اصبرهم على النار ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق وان الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد آية اللغة ما اصبرهم قيل ما للتعجب كالذي
في قوله قتل الانسان ما اكفره اي قد حل محل ما يتعجب منه وحكي عن بعض العرب انه قال لخصمه ما اصبرك
على الله اي ما اصبرك على عذاب الله وقيل انه للاستفهام على معنى اي شيء اصبرهم يقال اصبرت السبع او الرجل ونحوه
اذا نصبته لما يكره قال الحطيئة قلت لها اصبرها دائبا امثال بسطة يحلف اي الزمها واضطرها المعنى اولئك
اشارة الى من تقدم ذكرهم الذين اشتروا الضلالة بالهدى اي استبدلوا الكفر بالنبي صلى الله عليه وآله بالايمان
به فصاروا بمنزلة من يشتري السلعة بالثمن وقيل المراد بالضلالة كتمان امره مع علمهم وبالهدى اظهاره وقيل المراد
بالضلالة العذاب وبالهدى الثواب وطريق الجنة اي استبدلوا النار بالجنة وقوله والعذاب بالمغفرة قيل انه
تاكيد لما تقدم عن ابي مسلم وقيل كانهم اشتروا العذاب بالمغفرة لما عرفوا ان الله يعاقب من عصاه بالعذاب ولمن
اطاعه بالثواب واقاموا على ما هم من المعصية مصرين عن القاضي وهذا اولى لانه اذا امكن حمل الكلام على زيادة
فائدة كان اولى فكان اشتراؤهم الضلالة يرجع الى العقد وعدولهم عن طريق الحق واشتراؤهم العذاب بالمغفرة يرجع الى
عدولهم عما يوجب الجنة الى ما يوجب النار وقوله فما اصبرهم على النار فيه وجوه احدها ان معناه ما اجرأهم على النار ذهب اليه
الحسن وقتاده ورواه علي بن ابرهيم باسناده عن ابي عبد الله عليه السلام والثاني ما اعملهم باعمال اهل النار عن مجاهد وهو
المروي عن ابي عبد الله عليه السلام والثالث ما ابقاهم على النار كما يقال ما اصبر فلانا على الحبس عن الزجاج والرابع ما
ادومهم على النار اي ما ادومهم على عمل اهل النار كما يقال ما اشبه سخاك بحاتم اي بسخاء حاتم عن الكسائي وقطرب

وعلى هذه الوجوه ظاهر الكلام التعجب والتعجب لا يجوز على القديم سبحانه لانه عالم بجميع الاشياء لا يخفى عليه شيء والتعجب انما يكون فيما لا يعرف سببه واذا ثبت ذلك فالغرض انه يدلنا على ان الكفار حلوا محل من يتعجب منه فهو تعجيب لنا منهم والخامس ما روي عن ابن عباس ان المراد اي شيء اصبرهم على النار اي حبسهم وعلى هذا يكون للاستفهام ويكون على الوجوه الثلاثة المتقدم على الاستفهام ايضا فيكون المعنى اي شيء اجراهم على النار ودعاهم الى الاعمال لاهل النار وابقاهم على النار وقال الكسائي هو استفهام على وجه التعجب وقال المبرد هذا حسن لانه كالتوبيخ لهم والتعجيب لنا كما تقول لمن وقع في ورطة ما اضطرك الى هذا اذا كان غنيا عن التعرض للوقوع في مثلها والمراد به الانكار والتقريع على اكتساب سبب الهلاك وتعجيب المؤمنين ومن قال معناه ما اجراهم فانه عندهم من الصبر الذي هو الحبس ايضا لان بالجرأة يصبر على الشدة قوله عز وجل **ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق وان الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد** آية **اللغة** الاختلاف الذهاب على جهة التفريق في الجهات واصله من اختلاف الطريق تقول اختلفا في الطريق لما جاء هذا من هنا وجاء ذاك من هنالك واستعمل الاختلاف في المذاهب تشبيها بالاختلاف في الطريق من حيث ان كل واحد منهم على نقيض ما عليه الآخر من الاعتقاد فاما اختلاف الاجناس فهو ما لا يسد احدهما مسد الآخر فيما يرجع الى ذاته كالسواد والبياض والشقاق والمشاقة انحياز كل واحد عن شق صاحبه للعداوة له وهو طلب كل واحد منهما ما يشق على الآخر لاجل العداوة **الاعراب** قال الزجاج ذلك مرفوع بالابتداء والخبر محذوف اي ذلك الامر ويجوز ان يكون مرفوعا بخبر الابتداء اي الامر ذلك ويجوز ان يكون موضعا بخبر الابتداء ويحتمل ان يكون موضع ذلك نصبا على تقدير فعلنا ذلك لان في الكلام ما يدل على فعلنا **المعنى** ذلك اشارة الى احد ثلاثة اشياء اولها ذلك الحكم بالنار عن الحسن وثانيها ذلك العذاب وثالثها ذلك الضلال وفي تقدير خبره ثلاثة وجوه احدها ما ذكرناه من قول الزجاج وثانيها ان تقديره ذلك الحكم فيهم او وصل بهم من العذاب وذلك الضلال معلوم بان الله تعالى نزل الكتاب بالحق فحذف لدلالة ما تقدم الكلام عليه والثالث ذلك العذاب لهم بان الله نزل الكتاب بالحق ويكون الباء مع ما بعده في موضع الجر ومن ذهب الى ان المعنى ذلك الحكم بالنار لان الله نزل الكتاب بالحق من الكلام محذوف وتقديره فكفروا به والمراد بالكتاب ههنا التوراة وقال الجبائي هو القرآن وغيره وقال بعضهم المراد بالاول التوراة وبالثاني القرآن وان الذين اختلفوا في الكتاب قيل هم الكفار اجمع عند اكثر المفسرين واختلفوا في القرآن على اقوال فمنهم من قال هو كلام السحر ومنهم من قال كلام يعلمه ومنهم من قال كلام تقوله وقيل هم اهل الكتاب من اليهود والنصارى عن السدي اختلفوا في التأويل والتنزيل من التوراة والانجيل لانهم حرفوا الكتاب وكتموا صفة النبي محمد صلى الله عليه وآله وجحدت اليهود الانجيل والقرآن وقوله لفي شقاق بعيد اي بعيد من الالفة بالاجتماع على الصواب وقيل بعيد في الشقاق بشهادة كل واحد على صاحبه بالضلال وكلاهما عادل عن الحق والسداد وقيل في اختلاف شديد فيما يتصل باحكام التوراة والانجيل قوله عز وجل **ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب واقام الصلوة وآتى الزكوة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون** آية ٥ ٥ ٥ ٥ **القراءة** قرأ حفص عن عاصم وحمزة ليس البر بنصب الراء والباقون بالرفع وروي في الشواذ عن ابن مسعود وابي ليس البر بان تولوا بالباء وقرأ نافع وابن عامر ولكن البر بالتخفيف والرفع والباقون ولكن البر بالتشديد والنصب **الحجة** قال ابو علي حجة من رفع البر ان ليس يشبه الفعل وكون الفاعل بعد الفعل اولى من كون المفعول بعده وحجة من نصب البر انه قد حكي عن شيوخنا انه قال في هذا النحو ان يكون الاسم ان وصلتها اولى لشبهها بالمضمر في انها لا توصف كما لا يوصف المضمر فكانه اجتمع مضمر ومظهر والاولى اذا اجتمعا ان يكون المضمر الاسم من حيث كان اذهب في الاختصاص من المظهر

قال ابن جني يجوز ان يكون انما نصب البر مع الباء لان جعل الباء زائدة كقولهم بالله وكيلا **اللغة** البر العطف والاحسان مصدر ويجوز ان يكون بمعنى البار اي الواسع الاحسان والبر الصدق والبر الايمان والتقوى واصله من الاتساع ومنه البر خلاف البحر لاتساعه واختلف اهل اللغة والفقهاء في المسكين والفقير ايهما اشد فقال جماعة المسكين الذي لا شيء له والفقير الذي له ما لا يكفيه وهو قول يونس وابن دريد وقول ابي حنيفة وقال آخرون الفقير الذي لا شيء له والمسكين من له شيء يسير وهو قول الشافعي والسبيل الطريق وابن السبيل هو المنقطع به اذا كان في سفره محتاجا وان كان في بلده ذا يسار ولزومه الطريق كما قيل للطير ابن الماء قال ذو الرمة وردت اعتسافا والثريا كانها على قمة الراس ابن ماء محلق والرقاب جمع رقبة وهو اصل العنق ويعبر به عن جميع البدن كما يقال اعتق الله الرقبة ومنه قوله فتحرير رقبة والبأساء البؤس والفقر والضراء السقم والوجع وهما مصدران بنيا على فعلاء وليس لهما افعل لان افعل وفعلاء في الصفات والنعوت ولم يأتيا في الاسماء التي ليست بنعوت **الاعراب** من نصب البر جعل ان مع صلتها اسم ليس اي ليس توليتكم وجوهكم البر كله ومن رفع البر فالمعنى ليس البر كله توليتكم وكلا المذهبين حسن لان كل واحد من اسم ليس وخبرها معرفة واذا اجتمعا في التعريف تكافئا في كون احدهما اسما والآخر خبرا كما تكافأ في النكرتين وقد ذكرنا الوجه في ترجيح احد المذهبين على الآخر ولكن البر اذا شددت لكن نصبت البر واذا خففت رفعت البر وكسرت النون مع التخفيف لالتقاء الساكنين واما الاختيار في البر من آمن ففيه وجوه ثلاثة احدها ان يكون البر بمعنى البار فيجعل المصدر في موضع اسم الفاعل كما يقال ماء غور اي غائر ورجل صوم اي صائم ومنه قول الخنساء ترتع ما رتعت حتى اذا ادكرت فانما هي اقبال وادبار اي انها مقبلة ومدبرة ومثله نظل جيادهم نوحا عليهم مقلدة اعنتها صفونا اي نائحة وثانيها ان معناها ولكن ذا البر من آمن بالله فحذف المضاف من الاسم وثالثها ان يكون التقدير ولكن البر بر من آمن بالله فحذف المضاف من الخبر واقام المضاف اليه مقامه كقول الشاعر وكيف تواصل من اصبحت خلالته كابي مرحب وقول النابغة وقد خفت حتى ما تزيد مخافتي على وعل في ذي المطارة عاقل اي على مخافة وعل ومثله قوله تعالى اجعلتم سقاية الحاج الآية كمن آمن اي كايمان من آمن وقوله والموفون بعهدهم في رفعه قولان احدهما ان يكون مرفوعا على المدح لان النعت اذا طال وكثر رفع بعضه ونصب على المدح والمعنى هم الموفون والآخر ان يكون معطوفا على من آمن والمعنى ولكن ذا البر وذوي البر المؤمنون والموفون بعهدهم واما قوله والصابرين فهو منصوب على المدح ايضا لان مذهبهم في الصفات والنعوت اذا طالت ان يعترضوا بينها بالمدح او الذم ليميزوا الممدوح والمذموم وتقديره اعني الصابرين قال ابو علي والاحسن في هذه الاوصاف ان يقطع للرفع في موصوفها المدح او النقص منهم والذم ان يخالف باعرابها ولا يجعل كلها جارية على موصوفها ليكون ذلك دلالة على هذا المعنى والفصل لما يذكر للتنويه او التبيين او النقص والغض مما يذكر للتخليص والتمييز بين الموصوفين المشتبهين في الاسم المختلفين في المعنى ومن ذلك قول الشاعر انشده الفراء الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم وذا الراي حين تعم الامور بذات الصليل وذات اللجم فنصب ليث الكتيبة وذا الراي على المدح وانشد ايضا فليت التي فيها النجوم تواضعت على كل غث منهم وسمين غيوث الحيا في كل محل ولزبة اسود الشرى يحمين كل عرين ومما نصب على الذم سقوني الخمر ثم تكنفوني عداة الله من كذب وزور وشيء آخر وهو ان هذا الموضع من مواضع الاطناب في الوصف واذا خولف باعراب الالفاظ كان اشد وادخل فيما يقصد ويعرض لضروب الكلام وكونه بذلك ضروبا وجملا وكونه في الاجراء على الاول وجها واحدا وجملة واحدة فلذلك تستحسنه قول سيبويه في قوله والمقيمين الصلوة انه محمول على المدح وقال آخر قال انه محمول على قوله بما انزل اليك والمقيمين الصلوة وان كان هذا غير ممتنع وقال بعض النحويين ان الصابرين معطوف على ذوي القربى قال الزجاج وهذا لا يصلح الا ان يكون والموفون رفعا على المدح للمضمرين لان ما في الصلة لا يعطف عليه بعد المعطوف على الموصول قال ابو علي لا وجه لهذا القول لان والصابرين لا يجوز حمله على وآتى المال على حبه سواء كان قوله

والموفون عطفا على الموصول او مدحا لان الفصل بين الصلة تقع به اذا كان مدحا كما تقع به اذا كان مفرد امقطوعا
على الموصول بل الفصل بينهما والمدح اشنع لكون المدح جملة والجمل ينبغي ان تكون في الفصل اشنع واقبح لحسب زيادتها على
المفرد وان كان الجميع من ذلك ممتنع النزول لما حولت الكعبة وكثر الخوض في نسخها وصار كانه لا يراعى بطاعة الله الا التوجه
للصلوة واكثر اليهود والنصارى ذكرها انزل الله تعالى هذه الآية عن القاسم البلخي وعن قتادة انها نزلت في اليهود
المعنى ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب بين سبحانه ان البر كله ليس في الصلوة وان الصلوة انما امر بها لكونها
مصلحة في الايمان وصارفة عن الفحشاء وكذلك العبادات الشرعية انما امر بها لما فيها من الالطاف والمصالح الدينية وذلك
يختلف بالازمان والاوقات فقال ليس البر كله في التوجه الى الصلوة حتى يضاف الى ذلك غيره الى الطاعات التي امر بها
عن ابن عباس ومجاهد واختاره ابو مسلم وقيل معناه ليس البر ما عليه النصارى من التوجه الى المشرق ولا ما عليه اليهود
من التوجه الى المغرب عن قتادة والربيع واختاره الجبائي والبلخي ولكن البر من آمن بالله اي لكن البر بر من امن بالله
كقولهم السخاء حاتم والشعر زهير اي السخاء سخاء حاتم والشعر شعر زهير عن قطرب والزجاج والفراء واختاره الجبائي
وقيل ولكن البار او ذا البر من امن بالله يعني صدق بالله ويدخل فيه جميع ما لا يتم معرفة الله سبحانه الا به كمعرفة حدوث
العالم واثبات المحدث وصفاته الواجبة والجائزة وما يستحيل عليه سبحانه ومعرفة عدله وحكمته واليوم الآخر يعني القيمة
ويدخل فيه التصديق بالبعث والحساب والثواب والعقاب والملائكة اي بانهم عباد الله المكرمون لا يسبقونه بالقول
وهم بامره يعملون والكتاب اي وبالكتب المنزلة من عند الله الى انبيائه والنبيين بالانبياء كلهم وانهم معصومون مطهرون
وفيما ادوه الى الخلق هم صادقون وان سيدهم وخاتمهم محمد صلى الله عليه وآله وان شريعته ناسخة لجميع الشرائع والتمسك
بها لازم لجميع المكلفين الى يوم القيمة وآتى المال اي واعطى المال على حبه فيه وجوه احدها ان الكناية راجعة الى المال اي على
حبه المال فيكون المصدر مضافا الى المفعول وهو معنى قول ابن عباس وابن مسعود قال هو ان تعطيه وانت صحيح تامل
العيش وتخشى الفقر ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وثانيها ان يكون الهاء راجعة الى من
آمن فيكون المصدر مضافا الى الفاعل ولم يذكر المفعول لظهور المعنى ووضوحه وهو مثل الوجه الاول سواء في المعنى وثالثها
ان يكون الهاء راجعة الى الايتاء الذي دل قوله آتى عليه والمعنى على حب الاعطاء ويجري ذلك مجرى قول القطامي
هم الملوك وابناء الملوك لهم والآخذون به والساسة الاول فكنى بالهاء عن الملك بدلالة قوله الملوك عليه ورابعها
ان الهاء راجعة الى الله لان ذكره سبحانه قد تقدم اي يعطون المال على حب الله وخالصا لوجهه قال المرتضى قدس سره لم يسبق
الى هذه الوجه في هذه الآية وهو احسن ما قيل فيها لان تاثير ذلك ابلغ من تاثير حب المال لان المحب للمال الضنين به متى
بذله واعطاه ولم يقصد به القربة الى الله تعالى لم يستحق شيئا من الثواب وانما يؤثر حبه للمال في زيادة الثواب متى حصل
قصد القربة والطاعة ولو تعرى بالعطية وهو غير ضنين بالمال ولا بخيل لا يستحق الثواب ذوي القربى اراد به قرابة المعطي
كما روي عن النبي صلى الله عليه وآله انه سئل عن افضل الصدقة فقال جهد المقل على ذي الرحم الكاشح وقوله لفاطمة بنت قيس
لما قالت يا رسول الله ان لي سبعين مثقالا من الذهب اجعلها في قرابتك ويحتمل ان يكون اراد به قرابة النبي صلى الله عليه وآله كما في قوله قل لا اسئلكم
عليه اجرا الا المودة في القربى وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله واليتامى اليتيم من لا اب له مع الصغر قيل اراد يعطيهم
انفسهم المال وقيل اراد ذوي اليتامى اي يعطى من يكفل بهم لانه لا يصح ايصال المال الى من لا يعقل فعلى هذا يكون اليتامى
في موضع جر عطفا على القربى وعلى القول الاول يكون في موضع نصب عطفا على ذوي القربى والمساكين يعني اهل الحاجة وابن
السبيل يعني المنقطع به عن ابي جعفر عليه السلم ومجاهد وقيل الضيف عن ابن عباس وقتادة وابن جبير والسائلين
اي الطالبين للصدقة لانه ليس كل مسكين يطلب وفي الرقاب فيه وجهان احدهما عتق الرقاب بان يشترى
ويعتق والآخر في رقاب المكاتبين والآية محتملة للامرين فينبغي ان يحمل عليهما وهو اختيار الجبائي والرماني وفي هذه

الآية دلالة على وجوب اعطاء المال الزكاة المفروضة بلا خلاف وقال ابن عباس في المال حقوق واجبة سوى الزكاة وقال
الشعبي هي محمولة على وجوب حقوق في مال الانسان غير الزكوة مما سبب وجوب كالانفاق على من يجب عليه نفقته
اذا خاف عليه التلف وما يلزمه من النذور والكفارات ويدخل فيه ايضا ما يخرجه الانسان على وجه التطوع والقربة الى الله
لان ذلك كله من البر واختاره الجبائي قالوا ولا يجوز على الزكوة المفروضة لانه عطف عليه الزكوة وانما حض هؤلاء لان الفاء
انه لا يجب الا مضطرا الا في هولاء واقام الصلوة اي اداها لميقاتها على حدودها وآتى الزكوة اي اعطى زكوة ماله والموفون
بعهدهم اذا عاهدوا اي والذين اذا عاهدوا عاهدوا او وعدوا وفوا يعني العهود والنذور التي بينهم وبين الله تعالى والعقود
التي بينهم وبين الناس وكلاهما يلزم الوفاء به والصابرين في البأساء والضراء يريد بالبأساء الفقر والضراء الوجع والعلة
عن ابن مسعود وقتادة وجماعة من المفسرين وحين البأس يريد البوس وقت القتال وجهاد العدو وروي عن علي عليه السلم
قال كنا اذا احمر البأس اتقينا برسول الله فلم يكن احد منا اقرب الى العدو منه يريد اذا اشتد الحرب اولئك اشارة
الى من تقدم الذين صدقوا اي صدقوا الله فيما قبلوا منه والتزموه علما وتمسكوا به عملا عن ابن عباس والحسن وقيل الذين
صدقت نياتهم لاعمالهم على الحقيقة واولئك هم المتقون اي اتقوا بفعل هذه الخصال نار جهنم واستدل اصحابنا بهذه الآية
على ان المعني بها امير المؤمنين عم لانه لا خلاف بين الامة انه كان جامعا لهذه الخصال فهو مراد بها قطعا ولا قطع على كون
غيره جامعا لها ولا قطع على كون غيره جامعا لها ولهذا قال الزجاج والفراء انها مخصوصة بالانبياء المعصومين لان هذه الاشياء
لا يؤديها بكليتها على حق الواجب فيها الا الانبياء عليهم السلم قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى
الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى فمن عفي له من اخيه شيء فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان
ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب اليم آية اللغة كتب فرض واصل الكتابة الخط الدال على معنى
يسمى به ما دل على الفرض قال الشاعر كتب القتل والقتال علينا وعلى الغانيات جر الذيول والقصاص والمقاصة والمعاوضة
والمبادلة نظائر يقال قص اثره اي تلاه شيئا بعد شيء ومنه القصاص لانه يتلو اصل الجناية ويتبعه وقيل هو ان يفعل بالثاني
مثل ما يفعله هو بالاول مع مراعاة المماثلة ومنه اخذ القصص كانه يتبع آثارهم شيئا بعد شيء والحر نقيض العبد والحر من كل
شيء اكرمه واحرار البقول ما يؤكل غير مطبوخ وتحرير الكتابة اقامة حروفها والعفو الترك وعفت الدار اي تركت
حتى درست والعفو عن المعصية ترك العقاب عليها وقيل معنى العفو ههنا ترك القود بقبول الدية من اخيه وجمع الاخ
الاخوة اذا كانوا لاب واذا لم يكونوا لاب فهم اخوان ذكر ذلك صاحب العين والتادية والاداء تبليغ الغاية يقال
ادى فلان ما عليه فلان وفلان اي ادى الامانة عن غيره الاعراب فاتباع خبره مبتدأ وخبره محذوف اي فعليه
اتباع وخبر لمبتدأ محذوف اي فحكمه اتباع ولو كان في غير القرآن لجاز فاتباعا بالمعروف واداء اليه باحسان
على معنى فليتبع اتباعا وليؤد اداء ولكن الرفع عليه اجماع القراء وهو الاجود في العربية النزول نزلت هذه الآية في حيين
من العرب لاحدهما طول على الآخر فكانوا يتزوجون نساءهم بغير مهور واقسموا لنقتلن بالعبد منا الحر منهم وبالمرأة منا
الرجل منهم وبالرجل منا الرجلين منهم وجعلوا جراحاتهم على الضعف من جراحات اولئك حتى جاء الاسلام فانزل
الله هذه الآية المعنى لما بين سبحانه ان البر لا يتم الا بالايمان والتمسك بالشرائع بين الشرائع وبدأ بالدماء والجراح
لانه الاهم فقال كتب عليكم اي فرض عليكم واوجب وقيل كتب عليكم في ام الكتاب وهو اللوح المحفوظ على جهة الفرض
القصاص في القتلى المساواة في القتل اي يفعل بالقاتل مثل ما فعله بالمقتول ولا خلاف ان المراد به قتل العمد لان العمد
هو الذي يجب فيه القصاص دون الخطاء المحض وشبيه العمد ومتى قيل كيف قال كتب عليكم القصاص في القتلى والاولياء
مخيرون بين القصاص والعفو واخذ الدية او المقتص منه لا فعل له فيه فلا وجوب عليه فالجواب من وجهين احدهما
انه فرض عليكم ذلك ان اختار اولياء المقتول القصاص والفرض قد يكون مضيقا وقد يكون مخيرا فيه والثاني انه

فرض عليكم التمسك بما حد عليكم وترك مجاوزته الى ما لم يجعل لكم واما من يتولى القصاص فهو امام المسلمين ومن
يجري مجراه فيجب عليه استيفاء القصاص عند مطالبة الولي لانه حق الآدمي ويجب على القاتل تسليم الحر بالحر والعبد بالعبد
والانثى بالانثى عن الصادق ع لا يقتل حر بعبد ولكن يضرب ضربا شديدا ويغرم دية العبد وهذا مذهب الشافعي
وقال ان قتل رجل امرأة واراد اولياء المقتول ان يقتلوا ادوا نصف ديته الى اهل الرجل وهذا هو حقيقة المساواة
فان نفس المرأة لا تساوي نفس الرجل بل هي على النصف فيجب اذا اخذت النفس الكاملة بالناقصة ان يرد فضل ما بينهما
وكذلك رواه الطبري في تفسيره عن علي عليه السلم ويجوز قتل العبد بالحر والانثى بالذكر اجماعا وليس في الآية ما يمنع من
من ذلك لانه لم يقل ولا تقتل الانثى بالذكر ولا العبد بالحر فما تضمنته الآية معمول به وما قلناه مثبت بالاجماع وبقوله
سبحانه النفس بالنفس وقوله فمن عفي له من اخيه شيء فيه قولان احدهما ان معناه من ترك له وصفح عنه من الواجب
عليه وهو القصاص في قتل العمد من اخيه اي من دم اخيه فحذف المضاف للعلم به واراد بالاخ المقتول سماه اخا للقاتل
فدل على اخوة الاسلام بينهما لم تنقطع فان القاتل لم يخرج عن الايمان بقتله وقيل اراد بالاخ العافي الذي هو ولي الدم
سماه اخا للقاتل وقوله شيء دليل على ان بعض الاولياء اذا عفى سقط القود لان شيئا من الدم قد بطل
بعفو البعض والله تعالى قال فمن عفي له من اخيه شيء والضمير في قوله وفي اخيه كلاهما يرجع الى من وهو القاتل اي من
ترك له القتل ورضي منه بالدية وهذا قول اكثر المفسرين قالوا العفو ان يقبل الدية في قتل العمد ولم يذكر سبحانه العافي لكنه
معلوم ان المراد به من له القصاص في المطالبة وهو ولي الدم والقول الآخر ان المراد بعفي بذل وهو ولي الدم والهاء
في اخيه يرجع اليه وتقديره فمن بذل له من اخيه يعني اخ الولي وهو المقتول الدية ويكون الباذل معطي المال ذكر ذلك عن
مالك ونصر هذا القول قال علي ابن عيسى لفظ شيء منكر والقود معلوم فلا يجوز ان يكنى عنه بلفظ النكرة فيكون المعنى فمن
بذل له من اخيه مال وذلك يجوز ان يكون مجهولا لا يدرى ايعطيه الدية او حاجا آخر ومقطع الدية او اقل او اكثر
فصح ان يقال فيه شيء وهذا اضعف والقول الاول اظهر وقد ذكرنا الوجه في تنكير قوله شيء هناك واما العفو
عن القصاص فكل من يرث الدية الا الزوج والزوجة عندنا واما عند اصحابنا من العلماء فلا يسقط حقهما وقوله فاتباع
بالمعروف اي فعلى العافي اتباع اي ان لا يشدد في الطلب وينظره ان كان معسرا ولا يطالبه بالزيادة على حقه وعلى
المعفو له اداء اليه باحسان اي الدفع عند الامكان من غير مطل ودية قال ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد وهو
المروي عن ابي عبد الله عليه السلم وقيل المراد فعلى المعفو عنه الاتباع والاداء وقوله ذلك اشارة الى جميع ما تقدم تخفيف
من ربكم ورحمة معناه اي جعل لكم القصاص او الدية او العفو وخيركم بينها وكان لاهل التوراة القصاص او العفو
ولاهل الانجيل العفو او الدية وقوله فمن اعتدى بعد ذلك اي ان قتل بعد قبول الدية والعفو عن ابن عباس والحسن
وقتادة ومجاهد وهو المروي عن ابي جعفر الباقر عليه السلم وابي عبد الله وقيل ان من عفى ثم قتل او طلب اكثر مما وجب
له من الدية وقيل بان جاوز الحد بعد ما بين له كيفية القصاص قال القاضي ويجب حمله على الجميع لعموم اللفظ فله عذاب
اليم في الآخرة قوله عز وجل ولكم في القصاص حيوة يا اولي الالباب لعلكم تتقون آية اللغة الالباب العقول واحدها لب مأخوذ
من لب النخلة ولب بالمكان والب اذا اقام واللب المال المعنى ثم بين سبحانه وجه الحكمة في ايجاب القصاص فقال ولكم
ايها المخاطبون في القصاص حيوة فيه قولان احدهما ان معناه في ايجاب القصاص حيوة لان من هم بالقتل فذكر
القصاص ارتدع فكان ذلك سببا في الحيوة عن مجاهد وقتادة واكثر اهل العلم والثاني ان معناه لكم في وقوع
القتل لانه لا يقتل الا القاتل دون غيره بخلاف ما كان يفعله اهل الجاهلية الذين كانوا يتفانون بالطوائل عن السدي
والمعنيان جميعا حسنان ونظيره من كلام العرب القتل انفى للقتل الا ان ما في القرآن اكثر فائدة واوجز في العبارة
وابعد من الكلفة بتكرير الجملة واحسن تاليفا بالحروف المتلائمة واما كثرة الفائدة فان فيه جميع ما في قولهم القتل

انفى للقتل وزيادة معان منها ابانة العدل لذكره القصاص ومنها ابانة الغرض المرغوب فيه وهو الحيوة ومنها
الاستدعاء بالرغبة والرهبة وحكم الله به واما الايجاز في العبارة فان الذي هو نظير القتل انفى للقتل قوله القصاص
حيوة وهو عشرة احرف وذاك اربعة عشر حرفا واما بعده من الكلفة فهو ان في قولهم انفى للقتل تكريرا غيره ابلغ
منه واما الحسن بتاليف الحروف المتلائمة فانه مدرك بالحس وموجود باللفظ فان الخروج من الفاء الى اللام
اعدل من الخروج من اللام الى الهمزة لبعد الهمزة من اللام وكذلك الخروج من الصاد الى الحاء اعدل من
الخروج من الالف الى اللام فباجتماع هذه الامور التي ذكرناها كان ابلغ منه واحسن وان كان الاول حسنا بليغا
وقد اخذه الشاعر فقال ابلغ ابا مسمع عني مغلغلة وفي العتاب حيوة بين اقوام وهذا وان كان حسنا فبينه وبين لفظ
القرآن ما بين اعلى الطبقة وادناها واول ما فيه ان ذلك استدعاء الى العتاب وهذا استدعاء الى العدل وفي ذلك
ابهام وفي الآية بيان عجيب وقوله يا اولي الالباب معناه يا ذوي العقول لانهم الذين يعرفون العواقب ويتصورون
ذلك فلذلك خصهم لعلكم تتقون في لعل ثلاثة اقوال احدها انه بمعنى اللام اي لتتقوا والثاني انه للرجاء والطمع
كانه قال على رجائكم وطمعكم في التقوى والثالث بمعنى التعرض اي على تعرضكم للتقوى وفي تتقون قولان احدهما
لعلكم تتقون القتل بالخوف من القصاص عن ابن عباس والحسن وابن زيد والثاني لعلكم تتقون ربكم باجتناب معاصيه
وهذا اعم قوله عز وجل كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيرا الوصية للوالدين والاقربين بالمعروف حقا على المتقين آية
اللغة المعروف هو العدل الذي لا يجوز ان ينكر ولا حيف فيه ولا جور والحضور وجود الشيء بحيث يمكن ان يدرك
والحق هو الفعل الذي لا يجوز انكاره وقيل هو ما علم صحته سواء كان قولا او فعلا او اعتقادا وهو مصدر حق يحق حقا
الاعراب قوله كتب عليكم والمعنى وكتب عليكم الا ان الكلام اذا طال استغنى عن العطف بالواو وعلم ان معناه معنى الواو
لان القصة الاولى قد استتمت وفي القصة الثانية ذكرها في الاولى فاتصلت هذه بتلك لاجل الذكر والوصية ارتفعت
لاحد وجهين اما بانه اسم ما لم يسم فاعله وهو كتب واما بانه مبتدء وقوله للوالدين خبره والجملة في موضع رفع على الحكاية
لان معنى كتب عليكم قيل لكم الوصية للوالدين واما العامل في اذا ففيه وجهان احدهما كتب فكانه قيل كتب عليكم الوصية وقت
المرض والآخر ما قاله الزجاج وهو ان الوصية معنيها في حال الصحة فتقديره كتب عليكم ان توصوا وانتم قادرون
على الوصية قائلين اذا حضرنا الموت فلفلان كذا وحقا نصب على المصدر وتقديره احق ذلك حقا وقد
استعمل على وجه الصفة بمعنى ذلك شريعة اخرى وهو الوصية فقال كتب عليكم اي فرض عليكم اذا حضر احدكم الموت
اي اسباب الموت من مرض ونحوه من الهرم ولم يرد اذا عاين الناس ملك الموت لان تلك الحالة تشغل عن
الوصية وقيل فرض عليكم الوصية في حال الصحة ان تقولوا اذا حضرنا الموت فافعلوا كذا ان ترك خيرا اي مالا
واختلف في المقدار الذي تجب الوصية عنده فقال الزهري في القليل والكثير مما يقع عليه اسم المال وقال ابرهيم
النخعي من الف درهم الى خمسمائة وقال ابن عباس ثمانمائة درهم وروي عن علي عليه السلم انه دخل على مولى له في مرضه وله
سبعمائة درهم او ستمائة فقال الا اوصي فقال لا انما قال الله سبحانه ان ترك خيرا وليس لك كثير مال وهذا هو المأخوذ
به عندنا لان قوله حجة الوصية للوالدين والاقربين اي الوصية لوالديه وقرابته بالمعروف اي بالشيء الذي يعرف
اهل التمييز انه لا جور فيه ولا حيف ويحتمل ان يرجع ذلك الى قدر ما يوصي لان من ترك المال الكثير اذا اوصى بدرهم
فلم يوص بالمعروف ويحتمل ان يرجع الى الموصى لهم فكانه امر بالطريقة الجميلة في الوصية فليس من المعروف ان
يوصي للغني ويترك الفقير ويوصي للقريب ويترك الاقرب منه ويجب حمله على كلا الوجهين حقا على المتقين اي حقا واجبا
على من اثر التقوى وهذا تاكيد في الوجوب واختلف في هذه الآية فقيل انها منسوخة وقيل انها منسوخة في الوارث
ثابتة في غير الوارث وقيل انها غير منسوخة اصلا وهو الصحيح عند المحققين من اصحابنا لان من قال انها منسوخة بآية

المواريث فقوله باطل بان النسخ بين الخبرين انما يكون اذا تنافى العمل بموجبهما ولا تنافى بين آية المواريث وبين آية الوصية
فكيف تكون هذه ناسخة لتلك مع فقد التنافي ومن قال انها منسوخة بقوله عليه السلم لا وصية لوارث فقد ابعد لان الخبر لو
سلم من كل قدح لكان يقتضي الظن ولا يجوز ان ينسخ كتاب الله تعالى الذي يوجب العلم اليقين بما يقتضي الظن ولو سلمنا
الخبر مع ما ورد من الطعن على راويه خصصنا عموم الآية وحملناها على انها لا وصية لوارث بما يزيد على الثلث لان ظاهر
الآية يقتضي ان الوصية جائزة لهم بجميع ما يملك وقول من قال بحصول الاجماع على ان الوصية ليست بفرض يدل على
انها منسوخة بعيد لان الاجماع انما هو على انها لا تفيد الفرض وذلك لا يمنع من كونها مندوبا اليها مرغبا فيها وقد
روى اصحابنا عن ابي جعفر عليه السلم انه سئل هل تجوز الوصية للوارث فقال نعم وتلا هذه الآية وروى السكوني
عن ابي عبد الله عليه السلم عن ابيه عن علي بن ابي طالب عليه السلم قال من لم يوص عند موته لذوي قرابته ممن لا يرث
فقد ختم عمله بمعصية ومما يؤيد ما ذكرناه ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال من مات بغير وصية مات ميتة
جاهلية وعنه ع قال من لم يحسن وصيته عند موته كان نقصا في مروته وعقله وروي عن ابي عبد الله عليه السلم
انه قال ما ينبغي لمؤمن مسلم ان يبيت الا ووصيته تحت رأسه قوله عز وجل فمن بدله بعدما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه ان الله سميع عليم
آية المعنى ثم اوعد سبحانه على تغيير الوصية فقال فمن بدله اي بدل الوصية وغيرها من الاوصياء والاولياء والشهود
وانما ذكرها على الايصاء لقوله فمن جاءه موعظة من ربه اي وعظ والتبديل تغيير الشيء عن الحق فيه بان يوضع غيره في
موضعه بعدما سمعه من الموصي الميت وانما ذكر السماع ليدل على ان الوعيد لا يلزم الا بعد العلم والسماع فانما اثمه
اي اثم التبديل على الذين يبدلونه اي على من بدل الوصية وبرئ الميت ان الله سميع عليم اي سميع لما قاله الموصي من العدل
او الحيف عليم بما يفعله الوصي من التصحيح او التبديل وقيل سميع لوصاياكم عليم بنياتكم وقيل سميع لجميع المسموعات
عليم بجميع المعلومات وفي هذه الآية دلالة على ان الوصي والوارث اذا فرط في الوصية او غيرها لا يأثم الموصي بذلك
ولم ينقص من اجره شيء وانه لا يجازى احد على عمل غيره وفيه ايضا دلالة على بطلان قول ان الوارث اذا لم يقض دين الميت
فانه يؤخذ به في قبره او في الآخرة لما قلناه من انه يدل على ان العبد لا يؤاخذ بجرم اذ لا اثم عليه بتبديل غيره وكذلك
لو قضى عنه الوارث من غير ان يوصي به لم يزل ذلك عقابه الا ان يتفضل الله باسقاطه عنه قوله عز وجل فمن خاف
من موص جنفا او اثما فاصلح بينهم فلا اثم عليه ان الله غفور رحيم آية القراءة قرأ ابو جعفر اهل الكوفة غير حفص ويعقوب موص بالتشديد وقرأ الباقون موص
بالتخفيف اللغة الجنف الجور وهو الميل عن الحق وقال صاحب العين هو الميل في الكلام وفي الامور كلها يقال جنف علينا
فلان واجنف في حكمه وهو مثل الحيف الا ان الحيف في الحكم خاصة والجنف عام ورجل اجنف في احد شقيه ميل
على الآخر قال الشاعر في الجنف اني امرؤ منعت ارومة عامر ضيمي وقد جنفت علي خصوم الاعراب من في قوله من موص
يتعلق بمحذوف تقديره فمن خاف جنفا كائنا من موص فموضع الجار والمجرور مع المحذوف نصب على الحال وذو الحال قوله
جنفا ومن ظرف مكان لا محل والضمير في بينهم عائد الى معلوم فالدلالة عليه عند ذكر الموصي والاصلاح لا يدل على الموصى
لهم ومن يتبعهم وانشد الفراء في مثله اعمى اذا ما جارتي خرجت حتى يواري جارتي الخدر ويصم عما كان بينهما سمعي
وما بي غيره وقر اراد بينها وبين زوجها وانما ذكرها وحدها المعنى لما تقدم الوعيد لمن بدل الوصية بين في هذه الآية
ان ذلك يلزم من غير حقا بباطل فاما من غيره باطلا بحق فهو محسن فقال ومن خاف اي خشي وقيل علم لان
في الخوف طرفا من العلم وذلك ان القائل اذا قال اخاف ان يقع امر كذا فكانه يقول اعلم وانما يخاف لعلمه بوقوعه
ومنه قوله وانذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم وقوله الا ان يخافا الا يقيما حدود الله من موص جنفا اي ميلا
عن الحق فيما يوصي به فان قيل كيف قال فمن خاف لما قد وقع والخوف انما يكون مما لم يقع قيل ان فيه قولين احدهما
انه خاف ان يكون قد زل في وصيته والخوف يكون للمستقبل وهو من ان يظهر ما يدل على انه قد زل لانه من جهة

غالب الظن والثاني انه لما اشتمل على الواقع وعلى ما لم يقع جاز فيه خاف فيأمره بما فيه من الصلاح فيما لم يقع وما وقع
رده الى العدل بعد موته وقال الحسن الجنف هو ان يوصي في غير القرابة وانما قال ذلك لان عنده ان الوصية
للقرابة واجبة والامر بخلافه وقيل المراد فمن خاف من موص في حال مرضه الذي يريد ان يوصي فيه جنفا وهو
ان يعطي بعضا ويضر ببعض فلا اثم عليه ان يشير عليه بالحق ويرده الى الصواب ويصلح بين الموصي والورثة والموصى له
حتى يكون الكل راضين ولا يحصل جنف ولا اثم او يكون قوله فاصلح بينهم اي فيما يخاف من حدوث الخلاف فيه
فيما بعد ويكون قوله فمن خاف على ظاهره ويكون الخوف مترقبا غير واقع وهذا قريب غير ان يكون الاول عليه
اكثر المفسرين وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله ع وقوله او اثما الاثم ان يكون الميل عن الحق على وجه العمد والجنف
ان يكون على جهة الخطاء من حيث لا يدري انه يجوز وهو معنى قول ابن عباس والحسن وروي ذلك عن ابي جعفر ع
فاصلح بينهم اي بين الورثة والمختلفين في الوصية وهم الموصى لهم فلا اثم عليه لانه متوسط ومريد للاصلاح وانما قال لا اثم
عليه ولم يقل يستحق الاجر لان المتوسط انما يجري امره في الغالب على ان ينقص صاحب الحق بعض حقه بسؤاله اياه فبين
سبحانه لنا انه لا اثم عليه في ذلك اذا قصد الاصلاح وقيل انه لما بين اثم المبدل وهذا ايضا ضرب من التبديل بين مخالفته
للاول بلزومه غير ما يلزم من رد الوصية الى العدل فان الله غفور رحيم يعني اذا كان يغفر الذنوب ويرحم المذنب فاولى واحرى
ان يكون كذلك ولا ذنب وروي عن الصادق عليه السلم في قوله جنفا او اثما يعني انه اذا اعتدى في الوصية وزاد على الثلث [illegible]
وروي ذلك عن ابن عباس وروي عن رسول الله انه قال من حضره الموت فوضع وصيته على كتاب الله كان ذلك كفارة

تم المجلد الاول ويتلوه ان شاء الله تعالى في المجلد الثاني قوله عز وجل
يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون
فرغ مؤلفه ومصنفه من تأليفه يوم السبت لثلاث بقين من شعبان
سنة ثلاثين وخمسمائة وفرغ عبد المعبود ابن شيخ يوسف مسعود
من كتابته يوم الاثنين الثاني من شهر ربيع الثاني سنة ١٠٥٨
اللهم اجعل هذا سببا للنجاة يوم الحساب
بحق محمد وآله عليهم السلام الوهاب
م م م
م
م م
م

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر

قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون آية اللغة الصوم في اللغة هو الامساك ومنه يقال للصمت صوم لانه امساك عن الكلام قال ابن دريد كل شي سكنت حركته فقد صام صوما قال النابغة خيل صيام وخيل غير صايمة تحت العجاج واخرى تعلك اللجما اى قيام وصامت الريح ركدت وصامت الشمس اذا استوت في منتصف النهار وصام النهار ... بمعناه قال امرؤ القيس فدعها وسل الهم عنك بجسرة ذمول اذا صام النهار وهجرا والصوم ذرق النعام واصل الباب الامساك وهو في الشرع امساك عن اشياء مخصوصة على وجه مخصوص ممن هو على صفات مخصوصة في زمان مخصوص والاسم شرعي فيه معنى اللغة والصيام بمعنى الصوم يقال صمت صوما وصياما الاعراب الصيام رفع بما لم يسم فاعله وقوله كما كتب اى مثل ما كتب فما هاهنا مصدرية وتقدير الكلام كتب عليكم الصيام كتابة مثل كتابته على الذين من قبلكم فحذف المصدر واقيم صفته مقامه ويحتمل ان يكون موضع الكاف نصبا على الحال من الصيام وتقديره كتب عليكم الصيام مفروضا اى في هذه الحال المعنى ثم بين سبحانه فرضا اخرى فقال يا ايها الذين آمنوا اى يا ايها المصدقون روي عن الصادق ع انه قال لذة ما في النداء ازال تعب العبادة والعناء وقال الحسن اذا سمعت الله عز وجل يقول يا ايها الذين آمنوا فارع لها سمعك فانها لامر تؤمر به او لنهي تنهى عنه كتب عليكم الصيام اى فرض عليكم العبادة المعروفة في الشرع وانما خص المؤمنين بالخطاب لقبولهم لذلك ولان العبادة لا تصح الا منهم ووجوبه عليهم لا ينافي وجوبه على غيرهم وقوله كما كتب على الذين من قبلكم فيه اقوال احدها انه تشبيه فرض صومنا بفرض صوم من تقدمنا من الامم اى كتب عليكم صيام ايام كما كتب عليهم صيام ايام وليس فيه تشبيه عدد الصوم المفروض علينا ولا وقته بعدد الصوم المفروض عليهم او وقته وهو اختيار ابي مسلم والجبائي وثانيها انه فرض علينا صوم شهر رمضان كما كان فرض صوم شهر رمضان على النصارى وكان يتفق ذلك في الحر الشديد والبرد الشديد فحولوه الى الربيع وزادوا في عدده عن الشعبي والحسن وقيل كان الصوم علينا من العتمة الى العتمة ثم اختلف فيه فقال بعضهم كان يحرم الطعام والشراب من وقت صلوة العتمة الى وقت صلوة العتمة وقال بعضهم كان يحرم من وقت النوم الى وقت النوم ثم نسخ ذلك فالمراد بقوله الذين من قبلكم النصارى على قول الحسن والشعبي واهل الكتاب من اليهود والنصارى على قول غيرهما وقوله لعلكم تتقون اى لكي تتقوا المعاصي بفعل الصوم عن الجبائي وقيل ليكونوا اتقياء بما لطف لكم في الصيام فانه اقوى الوسائل والوصل الى الكف عن المعاصي كما روي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال خصاء امتي الصوم وسال هشام بن الحكم ابا عبد الله ع عن علة الصيام فقال انما فرض الصيام ليستوي به الغني والفقير وذلك ان الغني لم يكن ليجد مس الجوع فيرحم الفقير فاراد الله سبحانه ان يذيق الغني مس الجوع ليرق على الضعيف ويرحم الجايع قوله عز وجل اياما معدودات فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وان تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون آية القراءة قرا ابو جعفر ونافع وابن عامر فدية طعام مساكين على اضافة فدية الى طعام وجمع المساكين وقرا الباقون فدية منونة ورفع مسكين موحد مجرور وقرا حمزة والكسائي ومن يطوع خيرا والباقون تطوع وقد مضى ذكره وروي في الشواذ يطوقونه عن ابن عباس بخلاف وعايشة وسعيد بن المسيب وعكرمة وعطا ويطوقونه على معنى يتطوقونه عن مجاهد وعن ابن عباس الحجة من قرا فدية طعام مسكين فطعام مسكين عطف بيان للفدية وافراد مسكين جايز وان كان المعنى على الكثرة لان المعنى على كل واحد طعام مسكين قال ابو زيد يقال اتينا الامير فكسانا

كلنا حلة واعطانا كلنا مائة واما من اضاف الفدية الى طعام كاضافة البعض الى ما هو بعض له فانه سمى الطعام الذي يفدى به فدية ثم اضاف الفدية الى الطعام الذي يعم الفدية وغيرها وهو على هذا من باب خاتم حديد واما من قرا يطوقونه فانه يتعلقونه من الطاقة فهو كقولك يجشمونه ويكلفونه ويجعل لهم كالطوق في اعناقهم ويطوقونه كقولك يتجشمونه ويتكلفونه واما من يطيقونه فانه يطيقونه يتفعلونه الا ان العين بدلت ياء كما قالوا في تحير الجرف تهير ويطيقونه يفعلونه منه اللغة السفر اصله من السفر الذي هو الكشف تقول سفر يسفر سفرا وانسفرت الابل اذا انكشفت ذاهبة وسفرت الريح السحاب قال العجاج سفر الشمال الزبرج المزبرجا الزبرج السحاب الرقيق وفي السفر يظهر ما لا يظهر الا به وينكشف من اخلاق الناس ما لا ينكشف الا به والعدة فعلة من العد وهو بمعنى المعدودة كالطحن بمعنى المطحون والحمل بمعنى المحمول والطوق الطاقة وهي القوة يقال طاق الشي يطوق طوقا وطاقة واطاق اطاقة اذا قوي عليه وطوقه تطويقا البسه الطوق وهو معروف من ذهب كان او من فضة لانه يكسبه قوة بما يعطيه من الجلالة وكل شي استدار فهو طوق وطوقه الامر اى جعله كالطوق في عنقه الاعراب اياما قال الزجاج يجوز في انتصابه وجهان احدهما ان يكون ظرفا كانه كتب عليكم الصيام في ايام والعامل فيه الصيام كان المعنى كتب عليكم ان تصوموا اياما وقال بعض النحويين انه مفعول ما لم يسم فاعله نحو قولك اعطي زيد المال قال وليس هذا بشي لان الايام هاهنا متعلقة بالصوم وزيد والمال مفعولان لاعطي فلك ان تقيم ايهما شئت مقام الفاعل وليس في هذا الا نصب ايام بالصيام قال ابو علي اياما يجوز في انتصابه وجهان احدهما ان ينتصب على الظرف والآخر ان ينتصب انتصاب المفعول به على السعة واذا انتصب على انه ظرف جاز ان يكون العامل فيه كتب فيكون التقدير كتب عليكم الصيام في ايام وان شئت اتسعت فنصبته نصب المفعول به فتقول على هذا يا مكتوب ايام عليه او يا كاتب ايام الصيام وانما جاز اضافة اسم الفاعل او المفعول الى ايام لاخراجك اياه عن ان يكون ظرفا واتساعك فيه بتقديره اسما واذا كان الامر على ما ذكرناه كان ما منعه ابو اسحق من اجازته من ان كتب عليكم الصيام اياما بمنزلة اعطي زيد المال جائز غير ممتنع قال ولا يستقيم ان ينتصب اياما بالصيام على ان يكون المعنى كتب عليكم الصيام في ايام لان ذلك وان كان مستقيما في المعنى فهو في اللفظ ليس كذلك الا ترى انك حملته على ذلك فصلت بين الصلة والموصول باجنبي منهما وذلك ان اياما يصير من صلة الصيام وقد فصلت بينهما بمصدر كتب لان التقدير كتب عليكم الصيام كتابة مثل كتابته على من كان قبلكم فالكاف كما متعلقة بكتب وقد فصل بها بين المصدر وصلته وليس منها وليس من واحد منهما واقول انه يستقيم ان ينتصب اياما بالصيام اذا جعلت الكاف من قوله كما كتب على الذين من قبلكم في موضع نصب على الحال اى مفروضا مثل ما فرض عليهم فيكون ما موصولا وكتب صلته وفي كتب ضمير يعود الى ما والموصول وصلته في موضع جر باضافة الكاف اليه والكاف في موضع نصب بانه صفة للمحذوف الذي هو الحال من الصيام فعلى هذا لم يفصل بين الصلة والموصول ما هو اجنبي على ما ذكره الشيخ ابو علي وقوله فعدة من ايام اخر تقديره فعليه عدة فيكون ارتفاع عدة على الابتداء على قول سيبويه وعلى قول الاخفش يكون مرتفعا بالظرف على ما تقدم بيانه ويجوز ان يكون تقديره فالذي ينوب عن صومه في وقت الصوم عدة من ايام اخر فيكون عدة خبر الابتداء واخر لا ينصرف لانه وصف معدول عن الالف واللام لان نظايرها من الصغر والكبر لا تستعمل الا بالالف واللام لا يجوز نسوة صغر وان تصوموا في موضع رفع بالابتداء وخير لكم خبره المعنى اياما معدودات اى معلومات محصورات مضبوطات كما يقال اعطيت مالا معدودا اى محصورا متعينا ويجوز ان يريد بقوله معدودات انها قلايل كما قال سبحانه دراهم معدودة يريد انها قليلة واختلف في هذه الايام على قولين احدهما انها غير شهر رمضان وكانت ثلثة ايام من كل شهر ثم نسخ عن معاذ وعطا عن ابن عباس وروي ثلثة ايام من كل شهر وصوم عاشورا عن قتادة ثم قيل انه كان تطوعا وقيل بل كان واجبا واتفق هؤلاء على ان ذلك منسوخ بصوم

رمضان والآخر ان المعنى بالمعدودات شهر رمضان عن ابن عباس والحسن واختاره الجبائي وابو مسلم وعليه اكثر المفسرين
قالوا اوجب سبحانه الصوم اولا فاجمله ولم يبين انها يوم او يومان او اكثر ثم بين انها ايام معلومات وابهم ثم بينه بقوله شهر
رمضان الذي انزل فيه القرآن قال القاضي وهذا اولى لانه اذا امكن حمله على معنى من غير اثبات نسخ كان اولى ولان ما
قالوه زيادة لا دليل عليها فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر عطف على قوله على سفر وهو ظرف على قوله مريضا
وهو اسم مع ان الظرف لا يعطف على الاسم لانه وان كان ظرفا فهو بمعنى الاسم وتقديره فمن كان مريضا او مسافرا فالذي
ينوب مناب صومه عدة من ايام اخر وفيه دلالة على ان المسافر والمريض يجب عليهما الافطار لان الله سبحانه اوجب القضاء بنفس
السفر والمرض ومن قدر في الآية فافطر فقد خالف الظاهر وقد ذهب الى وجوب الافطار في السفر جماعة من الصحابة
كعمر بن الخطاب وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وعبد الرحمن بن عوف وابي هريرة وعروة بن الزبير وهو المروي
عن ائمتنا عليهم السلام فقد روي ان عمر بن الخطاب امر رجلا صام في السفر ان يعيد صومه وروى يوسف بن الحكم قال سالت
ابن عمر عن الصوم في السفر فقال ارأيت لو تصدقت على رجل صدقة فردها عليك الا تغضب فانها صدقة من الله تصدق بها
عليكم وروى عبد الرحمن بن عوف قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله الصائم في السفر كالمفطر في الحضر وروي عن ابن عباس
انه قال الافطار في السفر عزيمة وروى اصحابنا عن ابي عبد الله عليه السلام انه قال الصائم في شهر رمضان في السفر كالمفطر
فيه في الحضر وعنه ع قال لو ان رجلا مات صائما في السفر لما صليت عليه وعنه ع قال من سافر افطر وقصر الا ان يكون
سفره الى صيد او في معصية الله وروى العياشي باسناده مرفوعا الى محمد بن مسلم عن ابي عبد الله ع قال لم يكن رسول الله
صلى الله عليه وآله يصوم في السفر تطوعا ولا فريضة نزلت هذه الآية بكراع الغميم عند صلاة الهجير فدعا رسول الله ص
باناء فشرب وامر الناس ان يفطروا فقال قوم قد توجه النهار ولو تممنا يومنا هذا فسماهم رسول الله صلى الله عليه وآله
العصاة فلم يزالوا يسمون بذلك الاسم حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى الذين يطيقونه الهاء يعود الى الصوم
عند اكثر اهل العلم اي يطيقون الصوم خير الله المطيقين الصوم من الناس كلهم بين ان يصوموا ولا يكفروا وبين ان يفطروا
ويكفروا عن كل يوم باطعام مسكين لانهم كانوا لم يتعودوا الصوم ثم نسخ ذلك بقوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه وقيل
ان الهاء يعود الى الفداء عن الحسن وابي مسلم واما المعني بقوله الذين يطيقونه ففيه ثلاثة اقوال اولها انه سائر الناس
كما قدمنا ذكره من التخيير والنسخ بعده وهو قول ابن عباس والشعبي وثانيها ان هذه الرخصة كانت للحوامل والمراضع
والشيخ الفاني ثم نسخ من الآية الحامل والمرضع وبقي الشيخ الكبير عن الحسن وعطا وثالثها ان معناه وعلى الذين كانوا
يطيقونه ثم صاروا بحيث لا يطيقونه ولا نسخ فيه عن السدي وقد رواه بعض اصحابنا عن ابي عبد الله عليه السلام قال
معناه وعلى الذين كانوا يطيقون الصوم ثم اصابهم كبر او عطاش وشبه ذلك فعليهم كل يوم مد وروى علي بن ابرهيم
باسناده عن الصادق عليه السلام قال وعلى الذين يطيقونه فدية من مرض في شهر رمضان فافطر ثم صح فلم يقض ما فاته
حتى جاءه شهر رمضان آخر فعليه ان يقضي ويتصدق لكل يوم مد من طعام وقوله فدية طعام مسكين اختلف
في مقدار الفدية فقال اهل العراق نصف صاع عن كل يوم وقال الشافعي مد عن كل يوم وعندنا ان كان قادرا
فمدان وان لم يقدر اجزاه مد واحد وقوله ومن تطوع خيرا فهو خير له قيل معناه من اطعم اكثر من مسكين واحد
عن عطا وطاوس وقيل اطعم المسكين الواحد اكثر من قدر الكفاية حتى يزيده على نصف صاع عن مجاهد
ويجمع بين القولين قول ابن عباس من تطوع بزيادة الاطعام وقيل معناه من عمل برا في جميع الدين فهو خير له عن
الحسن وقيل من صام مع الفدية عن الزهري وقوله وان تصوموا خير لكم اي وصومكم خير لكم من الافطار والفدية
فاما بعد النسخ فلا يجوز ان يقال الصوم خير من الفدية مع ان الافطار لا يجوز اصلا وقيل معناه الصوم خير للمطيق
وافضل ثوابا من التكفير لمن افطر بالعجز ان كنتم تعلمون ان الصوم خير لكم من الفدية وقيل ان كنتم تعلمون فضل اعمالكم

وفي قوله سبحانه وعلى الذين يطيقونه دلالة على ان الاستطاعة قبل الفعل قوله عز وجل شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن
هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا او على سفر فعدة من ايام
اخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون
آية القراءة قرأ ابو بكر عن عاصم ولتكملوا بالتشديد والباقون بالتخفيف وقرأ ابو جعفر اليسر والعسر بالتثقيل فيهما والباقون
بالتخفيف الحجة حجة من قرأ ولتكملوا قوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم ومن قرأ ولتكملوا فلان فعل وافعل كثيرا ما
يستعمل احدهما موضع الآخر قال النابغة فكملت مائة فيها حمامتها واسرعت حسبة في ذلك العدد اللغة الشهر معروف
وجمعه في القلة اشهر وفي الكثرة شهور واصله من اشتهاره بالهلال يقال اشهرت الحديث اظهرته وشهرت السيف
انتضيته واتان شهيرة عريضة ضخمة واصل الباب الظهور واصل رمضان من الرمض وهو شدة وقع الشمس
على الرمل وغيره وانما سموه رمضان لانهم سموا الشهور بالازمنة التي وقعت فيها فوافق رمضان ايام رمض الحر وقد
جمعوا على رمضانات وقيل ان رمضان اسم من اسماء الله تعالى وروي عن مجاهد لا تقل رمضان ولكن قل شهر
رمضان فانك لا تدري ما رمضان وقد جاء في الاخبار عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال من صام رمضان ايمانا
واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وقيل انه سمي رمضان لانه يرمض الذنوب اي يحرقها والقرآن اصله الجمع لقولهم
ما قرأت الناقة سلا قط اي ما جمعت رحمها على سلا ومنه القراءة والقارئ لانه يجمع الحروف والفرقان الذي يفرق
بين الحق والباطل والارادة اصلها الواو لانك تقول راودته على ان يفعل كذا مراودة ومنه راد يرود رودا فهو رائد وفي المثل
الرائد لا يكذب اهله واصل الباب الطلب والارادة بمعنى الطلب للمراد لانها كالسبب له واليسر ضد العسر واليسار الغنى
والسعة واليسار اليد اليسرى والياسر الجماعة يجتمعون على الجزور في الميسر والجمع الايسار واصل الباب السهولة واصل
العسر الصلابة يقال عسر الشيء عسرا ورجل اعسر الشيء اعسرا ورجل اعسر يعمل بشماله واعسر الرجل افتقر وضده ايسر ويقال
كمل الشيء واكملته وكملته اي تممته الاعراب شهر رمضان في ارتفاعه ثلاثة اوجه احدها ان يكون خبر مبتدء محذوف يدل
عليه قوله اياما اي هي شهر رمضان والثاني ان يكون بدلا من الصيام فكأنه قال كتب عليكم شهر رمضان والثالث ان
يرتفع بالابتداء ويكون خبره الذي انزل فيه القرآن وان شئت جعلت الذي انزل فيه القرآن صفة له واضمرت الخبر
حتى كأنه قال وفيما كتب عليكم شهر رمضان اي صيام شهر رمضان ولا ينصرف رمضان للتعريف وزيادة الالف
والنون المضارعتين لالفي التأنيث وجوز في العربية شهر رمضان بالنصب من وجهين احدهما صوموا شهر رمضان
والآخر على البدل من قوله اياما وقوله هدى في نصب على الحال اي هاديا وقوله فمن شهد منكم الشهر فالشهر ينتصب على انه
ظرف لا على انه مفعول به لانه لو كان مفعولا به للزم الصيام المسافر كما يلزم المقيم من حيث ان المسافر يشهد
الشهر شهادة المقيم فلما لم يلزم المسافر علمنا ان معناه فمن شهد منكم المصر في الشهر ولا يكون مفعولا به كالو قلت
احمد شهر رمضان يكون مفعولا به فان قلت كيف جاء ضميره متصلا في قوله فليصمه اذ لم يكن مفعولا به قلنا
لان الاتساع وقع فيه بعد ان استعمل ظرفا على ما تقدم بيان امثاله وانما عطف الظرف على الاسم في قوله ومن
كان مريضا او على سفر لانه بمعنى الاسم فكأنه قال او مسافرا كقوله سبحانه دعانا لجنبه او قاعدا او قائما اي دعانا مضطجعا
واما العطف باللام في قوله ولتكملوا العدة ففيه وجهان احدهما انه عطف جملة على جملة لان بعده محذوفا وتقديره
ولتكملوا العدة شرع ذلك او اريد ذلك ومثله قوله وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين
اي وليكون من الموقنين اريناه ذلك والثاني ان يكون عطفا على تاويل محذوف دل عليه ما تقدم من الكلام لانه لما
قال يريد الله بكم اليسر دل على انه قد فعل ذلك ليسهل عليكم فجاز ولتكملوا العدة عطفا عليه قال الشاعر بادت وغير آيهن
مع البلى الا رواكد جمرهن هباء ومشجج اما سواء قذاله فبدا وغيب ساره المعزاء شاد عطف على تاويل الكلام الاول كانه

قال بهار واكل خرس هباء ومتيح اما سواء فذاله قبلا وعيب ساده المعزاى سايره فعطف على تاويل ا هذا قول الزجاج
والاول قول الفراء المعنى ثم بين سبحانه وقت الصوم فقال شهر رمضان اى هذه الايام المعدودات شهر رمضان او كتب عليكم
شهر رمضان او شهر رمضان هو الشهر الذى انزل فيه القرآن فبين انه خصه بالصوم فيه لاختصاصه بالفضائل المذكورة
وهو انه انزل فيه القرآن الذى عليه مدار الدين والايمان ثم اختلف فى قوله انزل فيه القرآن فقيل ان الله تعالى انزل جميع
القرآن فى ليلة القدر الى السماء الدنيا ثم انزل على النبى صلى الله عليه وآله بعد ذلك نجوما فى طول عشرين سنة عن ابن عباس
وسعيد بن جبير والحسن وهو المروى عن ابى عبد الله عليه السلم وقيل انه ابتدئ انزاله فى ليلة القدر من شهر رمضان
عن ابن اسحق وقيل انه كان ينزل الى السماء الدنيا فى ليلة القدر ما يحتاج اليه فى تلك السنة جملة واحدة ثم ينزل على
مواقع النجوم ارسالا فى الشهور والايام عن السدى باسناده الى ابن عباس وروى الثعلبى باسناده عن ابى ذر الغفارى
عن النبى صلى الله عليه وآله انه قال انزلت صحف ابرهيم لثلث مضين من شهر رمضان وفى رواية الواحدى فى اول
ليلة منه وانزلت التورية لست مضين من رمضان وانزل الانجيل على عيسى لثلث عشرة ليلة خلت من رمضان وانزل زبور
داود لثمان عشرة ليلة مضت من رمضان وانزل الفرقان على محمد لاربع وعشرين من شهر رمضان وهذا بعينه رواه العياشى
عن ابى عبد الله عن آبائه عن النبى صلى الله عليه وآله وقيل المراد بقوله انزل فيه القرآن انه انزل فى فرضه
وايجاب صومه على الخلق القرآن فيكون فيه بمعنى فى فرضه كما يقول القائل انزل الله فى الزكوة كذا يريد فى فرضها
ثم وصف سبحانه القرآن بقوله هدى للناس اى هاديا للناس ودالا لهم على ما كلفهم من العلوم وبينات من الهدى
اى ودلالات من الهدى قيل المراد بالهدى الاول الهدى من الضلالة وبالثانى بيان الحلال والحرام عن ابن عباس وقيل
اراد بالاول ما كلف من العلوم وبالثانى ما يشتمل عليه من ذكر الانبياء وشرايعهم واخبارهم لانها لا تدرك الا بالقرآن عن
الاصم والقاضى وقوله والفرقان اى مما يفرق بين الحق والباطل وروى عن ابى عبد الله عليه السلم انه قال القرآن جملة الكتاب
والفرقان المحكم الواجب العمل به وروى الحسن بن محبوب عن ابى ايوب عن ابى الورد عن ابى جعفر عم قال خطب رسول الله
صلى الله عليه وآله الناس فى آخر جمعة من شعبان فحمد الله واثنى عليه ثم قال يا ايها الناس انه قد اظلكم شهر فيه ليلة خير
من الف شهر وهو شهر رمضان فرض الله صيامه وجعل قيام ليلة فيه بتطوع صلوة لمن تطوع بصلوة سبعين ليلة
فيما سواه من الشهور وجعل لمن تطوع بصلوة سبعين ليلة فيما سواه من الشهور وجعل لمن تطوع بخصلة من خصال
الخير والبر كاجر من ادى فريضة من فرائض الله فيما سواه ومن ادى فيه فريضة من فرائض الله كان كمن ادى
سبعين فريضة فيما سواه من الشهور وهو شهر الصبر وان الصبر ثوابه الجنة وهو شهر المواساة وهو شهر يزيد الله فيه
من رزق المومن ومن افطر فيه مومنا صايما كان له بذلك عند الله عتق رقبة ومغفرة لذنوبه فيما مضى فقيل له
يا رسول الله ليس كلنا نقدر على ان يفطر صايما فقال ان الله تعالى كريم يعطى هذا الثواب من لم يقدر منكم الا على
مذقة من لبن يفطر بها صايما او شربة ماء عذب او تميرات لا يقدر على اكثر من ذلك ومن خفف فيه عن مملوكه خفف الله
عليه حسابه وهو شهر اوله رحمة ووسطه مغفرة وآخره اجابة والعتق من النار ولا غنى بكم فيه عن اربع خصال خصلتين ترضون
الله بهما وخصلتين لا غنى بكم عنهما اما اللتان ترضون الله بهما فشهادة ان لا اله الا الله وانى رسول الله واما اللتان لا غنى بكم
عنهما فتسالون الله فيه حوائجكم والجنة وتسالون الله فيه العافية وتتعوذون به من النار وفى رواية سلمان الفارسى فاستكثروا
فيه من اربع خصال خصلتان ترضون بهما ربكم وخصلتان لا غنى بكم عنهما فتسالون الله الجنة وتتعوذون به من النار وقال
رسول الله صلى الله عليه وآله نوم الصايم عبادة وصمته تسبيح ودعاؤه مستجاب وعمله مضاعف وقوله فمن شهد منكم الشهر
فليصمه فيه وجهان احدهما فمن شهد منكم المصر وحضر ولم يغب فى الشهر والالف واللام فى الشهر للعهد والمراد به شهر رمضان
فليصم جميعه وهذا معنى ما رواه زرارة عن ابى جعفر عليه السلم انه قال لما سئل عن هذه ما ابينها لمن عقلها قال من شهد

شهر رمضان فليصمه ومن سافر فليفطر وقد روى ايضا عن على عليه السلم وابن عباس ومجاهد وجماعة من المفسرين
انهم قالوا من شهد الشهر بان دخل عليه الشهر وهو حاضر فعليه ان يصوم الشهر كله والثانى من شاهد منكم الشهر
مقيما مكلفا فليصم الشهر بعينه وهذا نسخ للتخيير بين الصوم والفدية وان كان موصولا به فى التلاوة لان الانفصال لا يعتبر
عن التلاوة بل بعد الانزال والاول اقوى وقوله ومن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر قد مضى تفسيره فى
الآية المتقدمة وحد المرض الذى يوجب الافطار ما يخاف معه الزيادة المفرطة فى مرضه وروى ابو بصير قال سالت
ابا عبد الله عليه السلم عن حد المرض الذى على صاحبه فيه الافطار فقال هو مؤتمن عليه مفوض اليه فان وجد ضعفا فليفطر
وان وجد قوة فليصم كان المرض على ما كان وروى ايضا ان ذلك كل مرض لا يقدر معه على القيام بمقدار زمان
صلوته وبه قال الحسن وفى ذلك اختلاف بين الفقهاء واما السفر الذى يوجب الافطار عندنا ما كان مباحا او طاعة
وكانت المسافة ثمانية فراسخ اربعة وعشرين ميلا وعند الشافعى ستة عشر فرسخا وعن ابى حنيفة اربعة وعشرين
فرسخا واختلف فى العدة من الايام الاخر فقال الحسن وجماعة هى على التضييق اذا برء المريض او قدم المسافر وقال ابو حنيفة
موسع فيها وعندنا موقت ما بين رمضانين ويجوز متتابعا ومتفرقا والتتابع افضل فان فرط حتى لحقه رمضان آخر
لزمته الفدية والقضاء وبه قال الشافعى وقوله يريد الله بكم اليسر فى جميع اموركم ولا يريد بكم العسر اى التضييق عليكم
وفيه دلالة على بطلان قول المجبرة لانه بين ان فى افعال المكلفين ما يريده سبحانه وهو اليسر وفيها ما لا يريده وهو العسر
كان لا يريد تكليف ما لا يطاق اولى وقوله ولتكملوا العدة تقديره يريد الله ان يسهل عليكم ولتكملوا اى لتتموا عدة ما افطرتم
فيه وهى ايام السفر والمرض بالقضاء اذا اقمتم وبرأتم فتصوموا للقضاء بعدد ايام الافطار وعلى القول الاخر فتقديره لاكمال
العدة شرع الرخصة فى الافطار ويحتمل ان يكون معناه ولتكملوا عدة الشهر لانه مع الطاقة وعدم العذر يسهل عليه
اكمال العدة والمريض والمسافر يتعسر عليهما ذلك فيكملان العدة فى وقت آخر ومن قال ان شهر رمضان لا ينقص ابدا
استدل بقوله ولتكملوا العدة قال بين سبحانه ان عدة شهر رمضان محصورة يجب صيامها على الكمال ولا يتخللها نقصان
ولا اخلال والجواب عنه من وجهين احدهما ان المراد اكملوا العدة التى وجب عليكم صيامها وقد يجوز ان يكون هذه العدة
تارة ثلثين وتارة تسعة وعشرين والآخر ما ذكرناه من ان المراد راجع الى القضاء ويدل عليه انه سبحانه
ذكره عقيب ذكر السفر والمرض وقوله ولتكبروا الله على ما هداكم المراد به تكبير ليلة الفطر عقيب اربع صلوات المغرب
والعشاء الآخرة والغداة وصلوة العيد على مذهبنا وقال ابن عباس وجماعة التكبير يوم الفطر وقيل المراد به ولتعظموا الله
على ما ارشدكم من شرايع الدين ولعلكم تشكرون اى ولتشكروا الله على نعمه قوله عز وجل واذا سالك عبادى عنى فانى
قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون آية اللغة اجاب واستجاب
بمعنى قال الشاعر وداع دعا يا من يجيب الى الندى فلم يستجبه عند ذاك مجيب اى لم يجبه وقال المبرد بينهما فرق وهو ان فى الاستجابة
معنى الاذعان وليس ذلك فى الاجابة واصله من الجوب وهو القطع يقال جاب البلاد يجوبها جوبا اذا قطعها واجتاب الظلام
بمعناه والجابة والاجابة بمعنى الصحيح ان الجابة الطاعة والطاقة ونحوها اسماء بمعنى المصادر واجاب عن السؤال
جوابا واجاب السحاب اذا انقشع واصل الباب القطع فاجابة السائل القطع بما سال لان سؤاله على الوقف ايكون
ام لا يكون والرشد نقيض الغى رشد يرشد رشدا ورشد يرشد رشدا ورجل رشيد وولد فلان لرشدة خلاف
لزنية واصل الباب اصابة الخير ومنه الارشاد وهو الدلالة على وجه الاصابة للخير الاعراب اذا ظرف زمان والفعل الذى
يدل عليه قوله فانى قريب اجيب دعوة تقديره فاخبرهم بانى بهذه الصفة ولا يجوز ان يعمل فيه قريب او اجيب
لان معموله لا يجوز ان يعمل فيما قبل ان لما ليس فى موضعه وقوله اجيب فى موضع رفع بانه خبر ان ايضا فهو خبر بعد خبر
النزول روى عن الحسن ان سائلا سال النبى صلى الله عليه وآله اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزلت الآية وقال

المعنى لما ذكر سبحانه الصوم عقبه بذكر الدعاء ومكانه منه واجابته
قتادة نزلت جوابا لقوم سألوا النبي صلى الله عليه وآله كيف ندعوا
اياه فقال واذا سألك عبادي عني الاقربان يكون السؤال عن صفته سبحانه لا عن نعله بقوله سبحانه فاني قريب وفيه حذف
اي فقل اني قريب فدل بهذا على انه سبحانه لا مكان له اذ لو كان له مكان لم يكن قريبا من كل من يناجيه وقيل معناه اني سريع
الاجابة الى دعاء الداعي لان السريع والقريب متقاربان وقيل معناه اني اسمع دعاء الداعي كما يسمعه القريب المسافة
منهم فجازت لفظ قريب لحسن البيان بها فاما قرب المسافة فلا يجوز عليه سبحانه لان ذلك انما يتصور فيمن كان
متمكنا في مكان وذلك من صفات المحدثات وقوله اجيب دعوة الداع اذا دعان مفهوم المعنى وقوله فليستجيبوا
لي قال ابو عبيدة معناه فليجيبوني فيما دعوتهم اليه وقال المبرد والسراج معناه فليذعنوا للحق بطلب موافقة
ما امر به ونهيتم عنه قال مجاهد معناه فليستجيبوا الي بالطاعة وقيل معناه فليدعوني وروي عن النبي صلى الله
عليه وآله اعجز الناس من عجز عن الدعاء وابخل الناس من بخل بالسلام وليؤمنوا بي اي وليصدقوا بجميع ما انزلته وروي
عن ابي عبد الله عليه السلام انه قال وليؤمنوا بي اي وليتحققوا اني قادر على اعطائهم ما سألوه لعلهم يرشدون اي لعلهم يصيبوا
الحق ويهتدوا اليه واذا سئل فقيل نحن نرى كثيرا من الناس يدعون الله فلا يجيبهم فما معنى قوله اجيب دعوة الداع
اذا دعان فالجواب انه ليس احد يدعوا الله سبحانه على ما توجبه الحكمة الا اجابه الله فان الداعي اذا دعا يجب ان يسأل ما فيه
صلاح له في دينه ولا يكون فيه مفسدة له ولا لغيره ويشترط ذلك بلسانه او ينويه بقلبه فالله سبحانه يجيبه اذا اقتضت
المصلحة اجابته او يوخر الاجابة ان كانت المصلحة في التاخير واذا كان ما يقتضيه الحكمة لا بد ان يفعله سبحانه فما معنى
الدعاء واجابته فجوابه ان الدعاء عبادة في نفسها يعبد الله سبحانه بها لما في ذلك من اظهار الخضوع والانقطاع اليه
سبحانه وايضا فانه لا يمتنع ان يكون وقوع ما سأله انما صار مصلحة بعد الدعاء ولا يكون مصلحة قبل الدعاء ففي الدعاء هذه
الفائدة ويؤيد ذلك ما روي عن ابي سعيد الخدري قال قال النبي صلى الله عليه وآله ما من مسلم دعا الله سبحانه بدعوة ليس فيها قطيعة
رحم ولا اثم الا اعطاه بها احدى خصال ثلث اما ان يعجل دعوته واما ان يدخر له في الآخرة واما ان يدفع عنه من
السوء مثلها قالوا يا رسول الله اذا نكثر قال الله اكبر وفي رواية وفي رواية انس بن مالك الله اكثر واطيب ثلث مرات
وروي عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله ان العبد ليدعو الله وهو يحبه فيقول
يا جبرئيل اقض لعبدي هذا حاجته واخرها فاني احب ان لا ازال اسمع صوته وان العبد ليدعو الله تعالى وهو
يبغضه فيقول يا جبرئيل اقض لعبدي هذا حاجته باخلاصه وعجلها فاني اكره ان اسمع صوته وروي عن امير المؤمنين عليه السلام
انه قال ربما اخرت عن العبد اجابة الدعاء ليكون اعظم لاجر السائل واجزل لعطاء الامل وقيل لابراهيم بن ادهم
ما بالنا ندعوا الله سبحانه فلا يستجيب لنا فقال لانكم عرفتم الله تعالى فلم تطيعوه وعرفتم الرسول فلم تتبعوا سنته
وعرفتم القرآن فلم تعملوا بما فيه واكلتم نعمة الله فلم تؤدوا شكرها وعرفتم الجنة فلم تطلبوها وعرفتم النار فلم تهربوا
منها وعرفتم الشيطان فلم تحاربوه ووافقتموه وعرفتم الموت فلم تستعدوا له ودفنتم الاموات فلم تعتبروا بهم وتركتم
عيوبكم واشتغلتم بعيوب الناس قوله عز وجل احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم هن لباس لكم وانتم لباس لهن
علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا
حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ثم اتموا الصيام الى الليل ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد
تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون
آية اللغة الرفث الجماع ههنا بلا خلاف وقيل ان اصله القول الفاحش فكني به عن الجماع وقال العجاج عن اللغا ورفث
التكلم قال الاخفش انما عداه بالى في الآية لانه بمعنى الافضاء واللباس الثياب التي من شأنها ان تستر الابدان وتشبه
به الاغشية فيقال لبس السيف بالحلية والعرب تسمي المرأة لباسا وازارا قال اذا ما الضجيع ثنى عطفها تثنت فكانت

عليه لباسا وقال الابلغ ابا حفص رسولا فدى لك من اخي ثقة ازاري قال اهل اللغة معناه امراتي والاختيان
الخيانة ويقال خانه يخونه خونا وخيانة واختانه اختيانا وخائنة الاعين مسارقة النظر الى ما لا يحل واصل الباب
منع الحق والمباشرة الصاق البشرة بالبشرة وهي ظاهر الجلد والابتغاء طلب البغية والخيط الابيض بياض
الفجر والخيط الاسود سواد الليل واول النهار طلوع الفجر الثاني لانه اوسع ضياء قال ابو داود فلما اضاءت
لنا غدوة ولاح من الصبح خيط انارا والخيط في اللغة معروف يقال خاط يخيط خيطا وخياطة
والخيط القطيع من النعام ونعامة خيطاء قيل خيطها طول قصبها وعنقها وقيل اختلاط سوادها ببياضها
والسواد والبياض لونان كل واحد منهما اصل بنفسه وبيضة الاسلام مجتمعه وابياضوهم اي استأصلوهم يعني
استلبوا بيضتهم والسواد والمساودة المسارة لان الخفاء فيه كخفاء الشخص في سواد الليل وسواد العرب سمي به
لكثرة الماء والشجر الذي يسود به الارض وسواد كل شيء شخصه وسويداء القلب وسواده الذي فيه وقيل
فيه حبة القلب والعكوف والاعتكاف اصله اللزوم يقال عكفت بالمكان اي اقمت به ملازما له قال الطرماح
فبات بنات الليل حولي عكفا عكوف البواكي بينهن صريع وهو في الشرع عبارة عن اللبث في مكان مخصوص
للعبادة والحد على وجوه الحد المنع وحدود الله فرائضه قال الزجاج هي ما منع الله عز وجل من مخالفتها والحد
حد الزاني وغيره والحد حد السيف ونحوه والحد حد الدار والحد الفرق بين الشيئين والحد نهاية الشيء التي
تمنع ان يدخله ما ليس منه او ان يخرج عنه ما هو منه قال الخليل الحد المانع الجامع والحداد البواب قال الاعشى
فقمنا ولما يصح ديكنا الى جونة عند حدادها يعني صاحبها الذي يحفظها ويمنعها وكل من منع شيئا فهو حداد ومن ذلك
احدت المرأة على زوجها معناه امتنعت من الزينة والحديد انما سمي حديدا لانه يمتنع من الاعداد واصل الباب
المنع النزول روى علي بن ابراهيم بن هاشم عن ابيه رفعه الى ابي عبد الله عليه السلام قال كان الاكل محرما في شهر رمضان بالليل
بعد النوم وكان النكاح حراما بالليل والنهار في شهر رمضان وكان رجل من اصحاب الرسول صلى الله عليه وآله يقال
له مطعم بن جبير اخو عبد الله بن جبير الذي كان رسول الله صلى الله عليه وآله وكله بفم الشعب يوم احد في خمسين
من الرماة ففارقه اصحابه وبقي في اثني عشر رجلا فقتل على باب الشعب وكان اخوه هذا مطعم بن جبير شيخا ضعيفا
وكان ضعيفا وكان صائما فابطات عليه اهله بالطعام فنام قبل ان يفطر فلما انتبه قال لاهله قد حرم علي
الاكل في هذه الليلة فلما اصبح حضر حفر الخندق فاغمي عليه فرآه رسول الله صلى الله عليه وآله فرق له وكان قوم
من الشباب ينكحون بالليل سرا في شهر رمضان فانزل الله هذه الآية واحل النكاح بالليل في شهر رمضان والاكل
بعد النوم الى طلوع الفجر واختلف العامة في اسم هذا الرجل من الانصار فقال بعضهم قيس بن صرمة وقيل
ابو صرمة وقيل صرمة بن اناس وقالوا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال عملت في النخل نهاري
اجمع حتى امسيت فاتيت اهلي لتطعمني فابطات فنمت فايقظوني وقد حرم علي الاكل وقد امسيت
وقد جهدني الصوم فقال عمر يا رسول الله اعتذر اليك من مثله رجعت الى اهلي بعد ما صليت العشاء
فاتيت امراتي وقام رجال فاعترفوا بمثل الذي سمعوا فنزلت الآية عن ابن عباس والسدي المعنى ثم بين
سبحانه وقت الصيام وما يتعلق به من الاحكام فقال احل لكم ليلة الصيام الرفث اي الجماع قال ابن عباس ان
الله سبحانه حيي يكني بما يشاء ان الرفث واللباس والمباشرة والافضاء هو الجماع قال الزجاج الرفث كلمة جامعة
لكل ما يريد الرجل من المرأة وهذا يقتضي تحريما متقدما ازال عنهم والمراد بليلة الصيام الليلة التي يكون
في غدها الصوم وروي عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام كراهة الجماع في اول ليلة من كل شهر الا اول ليلة من شهر
رمضان فانه يستحب ذلك لمكان الآية والاشبه ان يكون المراد به ليالي الشهر كله وانما وحد لانه اسم جنس يدل على الكثرة

لباس لكم وانتم لباس لهن اى هن سكن لكم وانتم سكن لهن كما قال وجعلنا الليل لباسا اى سكنا عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والمعنى تلابسونهن وتخالطونهن بالمساكنة اى قل ما يصبر احد الزوجين عن الآخر وقيل انما جعل كل واحد منهما لباسا لصاحبه لانضمام جسد كل واحد الى جسد صاحبه حتى يصير كل واحد منهما لصاحبه كالثوب الذى يلبسه فلما كانا يتلابسان عند الجماع سمى كل واحد منهما لباسا لصاحبه وقال الربيع هن فراش لكم وانتم لحاف لهن علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم لما حرم عليهم قضاء الجماع والاكل بعد النوم وخالفوا فى ذلك ذكرهم الله بالنعمة فى الرخصة التى نسخت تلك التحريمة فقال علم الله انكم تختانون انفسكم بالمعصية اى لا تؤدون الامانة بالامتناع عن المباشرة وقيل معنى تختانون تنقصون انفسكم من شهواتها وتمنعون من لذاتها باجتناب ما نهيتم عنه فخففه الله عنكم فتاب عليكم اى قبل توبتكم وقيل معناه فرخص لكم وازال التشديد عنكم وعفا عنكم فيه وجهان احدهما غفر ذنبكم والآخر ازال تحريم ذلك عنكم عفو عن تحريمه عليهم فالآن باشروهن بالليل اى جامعوهن لفظه امر ومعناه الاباحة وابتغوا ما كتب الله لكم فيه قولان احدهما اطلبوا ما قضى الله لكم من الولد عن الحسن واكثر المفسرين وهو ان يجامع الرجل اهله رجاء ان يرزقه الله تعالى ولدا يعبده ويسبح الله والآخر اطلبوا ما كتب الله لكم من الحلال الذى بينه فى كتابه فان الله يحب ان يؤخذ برخصه كما يحب ان يؤخذ بعزائمه وقوله وكلوا واشربوا اباحة الاكل والشرب حتى يتبين لكم اى يظهر ويتميز لكم على التحقيق الخيط الابيض من الخيط الاسود اى النهار من الليل فاول النهار طلوع الفجر الثانى وقيل بياض الفجر من سواد الليل وقيل بياض اول النهار من سواد آخر الليل وانما شبه ذلك بالخيط لان القدر الذى يحرم الافطار من البياض يشبه الخيط فيزول به مثله من السواد ولا اعتبار بالانتشار ومن الفجر يحتمل معنيين احدهما ان يكون بمعنى التبعيض لان المعنى من بعض الفجر وليس الفجر كله والآخر انه للتبيين لانه بين الخيط الابيض فكانه قال الخيط الابيض الذى هو الفجر وروى ان عدى بن حاتم قال للنبى صلى الله عليه وآله انى وضعت خيطين من شعر ابيض واسود فكنت انظر فيهما فلا يتبين لى فضحك رسول الله صلى الله عليه وآله حتى رئى نواجذه ثم قال يا ابن حاتم انما ذلك بياض النهار وسواد الليل فابتداء الصوم من هذا الوقت ثم بين سبحانه الانتهاء فقال ثم اتموا الصيام الى الليل اى من وقت طلوع الفجر الثانى وهو المستطير المعترض الذى يأخذ الافق وهو الفجر الصادق الذى يجب عنده الصلوة الى وقت دخول الليل وهو بعد غروب الشمس وعلامة دخوله على الاستظهار سقوط الحمرة من جانب المشرق واقبال السواد منه والا فاذا غابت الشمس مع ظهور الآفاق فى الارض المبسوطة وعدم الجبال والروابى فقد دخل الليل وقوله ولا تباشروهن فى معناه قولان احدهما ان المراد به الجماع عن ابن عباس والحسن وقتادة والثانى انه اراد الجماع وكل ما دونه من قبلة وغيرها عن مالك وابن زيد وهو مذهبنا وقوله وانتم عاكفون فى المساجد اى معتكفون اى لا تباشروهن فى حال اعتكافكم فى المساجد والاعتكاف عندنا لا يصح الا فى احد المساجد الاربعة المسجد الحرام ومسجد النبى صلى الله عليه وآله ومسجد الكوفة ومسجد البصرة وعند سائر الفقهاء يجوز فى سائر المساجد الا ان مالكا قال انه يختص بالجامع ولا يصح الاعتكاف عندنا الا بصوم وبه قال ابو حنيفة ومالك وعند الشافعى يصح بغير صوم وعندنا لا يكون الا ثلثة ايام وعند ابى حنيفة يوم واحد وعند مالك عشرة ايام لا يجوز اقل منه وعند الشافعى ما شاء ولو ساعة واحدة وفى الآية دلالة على تحريم المباشرة فى الاعتكاف ليلا ونهارا لانه علق المباشرة بحالة الاعتكاف وقوله تلك حدود الله تلك اشارة الى الاحكام المذكورة فى الآية حدود الله حرمات الله عن الحسن وقيل معاصى الله عن الضحاك وقيل ما منع الله منه عن الزجاج فلا تقربوها اى فلا تأتوها وقيل معناه تلك فرائض الله فلا تقربوها بالمخالفة كذلك اى مثل هذا البيان الذى ذكر بين الله آياته للناس اى حججه وادلته على ما امرهم به ونهاهم عنه لعلهم يتقون اى لكى يتقوا معاصيه وتعدى حدوده فيما امرهم به ونهاهم عنه واباحهم اياه وفى هذا دلالة على ان الله سبحانه اراد التقوى من جميع الناس قوله عز وجل **ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل**

وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقا من اموال الناس بالاثم وانتم تعلمون آية **اللغة** الباطل الذاهب الزائل يقال بطل اذا ذهب وقيل الباطل هو ما تعلق بالشىء على خلاف ما هو به خبرا كان او اعتقادا او ظنا او خيالا والحكم هو الخبر الذى يفصل بين الخصمين بمنع كل واحد من منازعة يقال ادلى فلان بحجته اذا اقامها وهو من قولهم ادليت الدلو فى البئر اذا ارسلتها ودلوتها اذا اخرجتها ومعنى قولهم ادلى فلان بحجته ارسلها واتى بها على صحة وفى تشبيه الخصومة بارسال الدلو فى البئر وجهان احدهما انه تعلق بسبب الحكم كتعلق الدلو بالسبب الذى هو الحبل والثانى انه يمضى فيه من غير تثبت كمضى الدلو فى الارسال من غير تثبت والفريق القطعة المعزولة من الجملة سواء كان من الناس او من غيرهم والاثم الفعل الذى يستحق به الذم **الاعراب** وتدلوا محله جزم على النهى عطفا على قوله ولا تأكلوا ويحتمل ان يكون نصبا على الصرف ويكون نصبه باضمار ان كقول الشاعر لا تنه عن خلق وتأتى مثله عار عليك اذا فعلت عظيم اى لا تجمع بينهما **المعنى** ثم بين سبحانه شيئا من شرايع الاسلام نسقا على ما تقدم من بيان الحلال والحرام فقال ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل اى لا يأكل بعضكم مال بعضكم بالظلم والغصب والوجوه التى لا تحل كقوله سبحانه ولا تقتلوا انفسكم اى ولا يقتل بعضكم بعضا وقيل معناه ولا تأكلوا اموالكم باللهو واللعب مثل ما يؤخذ فى القمار والملاهى لان كل ذلك من الباطل وروى عن ابى جعفر عليه السلام انه يعنى بالباطل اليمين الكاذبة يقتطع بها الاموال وروى عن ابى عبد الله عليه السلام قال كانت قريش تقامر الرجل فى اهله وماله فنهاهم الله والاولى حمله على الجميع لان الآية تحتمل الكل وتدلوا بها الى الحكام وتلقوا بها الى القضاة وقيل فيه اقوال احدها انها الودائع وما لا تقوم عليه بينة عن ابن عباس والحسن وقتادة وثانيها انه مال اليتيم فى يد الاوصياء لانهم يدفعونه الى الحاكم اذا طولبوا به ليقتطعوا بعضه ويقوم لهم فى الظاهر حجة عن الجبائى وثالثها انه ما يؤخذ بشهادة الزور عن الكلبى والاولى ان يحمل على الجميع لتأكلوا فريقا من اموال الناس بالاثم اى لتأكلوا طائفة من اموال الناس بالفعل الموجب للاثم بان يحكم الحاكم بالظاهر وكان الامر فى الباطن بخلافه وانتم تعلمون ان ذلك الفريق من المال ليس بحق لكم وانتم مبطلون وهذا اشد فى الزجر وقال ابو عبد الله عليه السلام علم الله سبحانه ان سيكون فى هذه الامة حكام يحكمون بخلاف الحق فنهى الله تعالى المؤمنين ان يتحاكموا اليهم وهم يعلمون انهم لا يحكمون بالحق وهذه الآية تدل على ان الاقدام على المعصية مع العلم او مع التمكن من العلم اعظم قوله عز وجل **يسألونك عن الاهلة قل هى مواقيت للناس والحج وليس البر بان تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من ابوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون** آية **القراءة** قرأ ابن كثير وابن ذكوان والكسائى البيوت والشيوخ واخواتها بكسر اوائلها الا الغيوب وقرأ حمزة وحماد ويحيى عن عاصم كلها بالكسر الا الجيوب وقالون يكسر ههنا البيوت فقط والباقون بالضم **الحجة** من كسر اوائل هذه الكلمات انما فعل ذلك لاجل الياء ابدل من الضمة الكسرة لان الياء اشد موافقة للياء من الضمة لها كما كسر الفاء من عيينة وشييب فى تصغير عين وناب وان لم يكن فى ابنية التصغير على هذا الوزن لتقريب الحركة مما بعدها ومن ضمها فعلى الاصل لانها فعول **اللغة** الاهلة جمع هلال واشتقاقه من قولهم استهل الصبى اذا بكى حين يولد او صاح وقولهم اهل القوم بالحج اذا رفعوا اصواتهم بالتلبية وانما قيل هلال لانه حين يرى يهل الناس بذكره يقال اهل الهلال واستهل ولا يقال اهل ويقال اهللنا الهلال واهللنا شهر كذا اى دخلنا فيه وقد اختلف فى تسمية هلالا كم يسمى ومتى يسمى قمرا فقال بعضهم يسمى هلالا ليلتين من الشهر ثم لا يسمى هلالا الى ان يعود فى الشهر الثانى وقال آخرون يسمى هلالا ثلث ليال ثم يسمى قمرا وقال بعضهم يسمى هلالا حتى يحجر وتحجيره ان يستدير بخط دقيقة وهذا قول الاصمعى وقال بعضهم يسمى هلالا الى ان يبهر ضوؤه سواد الليل ثم يقال قمر وهذا يكون الليلة السابعة واسم القمر عند العرب الزبرقان واسم دارته الهالة واسم ضوئه الفخت والميقات مقدار من الزمان جعل علما لما يقدر من العمل والتوقيت تقدير الوقت وكلما قدرت غايته فهو موقت والميقات منتهى الوقت والآخرة ميقات الخلق والاهلة ميقات الشهور والحج ذكرنا معناه فيما مضى والبر النفع الحسن والظهر الصفحة المقابلة لصفحة الوجه والباب المدخل يقال بوبته تبويبا اذا جعلته ابوابا والبواب

الحاجب لانه يلزم الباب والسابه القطعة من الشي كالباب من الجملة الاعراب قوله للناس في موضع رفع صفة لمواقيت تقديره مواقيت
كائنة للناس والباء في قوله بان تاتوا مزيدة لتاكيد النفي وان تاتوا في موضع الجر بالباء والجار والمجرور في موضع النصب بانه خبر
ليس قوله ولكن البر من اتقى قيل فيه وجهان احدهما ان تقديره ولكن البر بر من اتقى كما قلناه في قوله ولكن البر من آمن بالله واليوم
الآخر ان تقديره ولكن البار من اتقى وضع المصدر موضع الصفة النزول روى ان معاذ بن جبل قال يا رسول الله ان اليهود
تكثرون مسئلتنا عن الاهلة فانزل الله هذه الآية وقال قتاده ذكر لنا انهم سالوا رسول الله لم خلقت هذه الاهلة فانزل
الله هذه الآية المعنى ثم بين سبحانه شريعة اخرى فقال يسالونك عن الاهلة اي احوال الاهلة في زيادتها ونقصانها ووجه
الحكمة في ذلك قل يا محمد هي مواقيت للناس والحج اي هي مواقيت يحتاج الناس اليها في مقاديرها في صومهم وفطرهم
وعدد نسائهم ومحل ديونهم وحجهم فبين سبحانه وجه الحكمة في زيادة القمر ونقصانه ما تعلق بذلك من مصالح الدين والدنيا
لان الهلال لو كان مدورا ابدا مثل الشمس لم يمكن التوقيت به وفيه اوضح دلالة على ان الصوم لا يثبت بالعدد وانه يثبت
بالهلال لانه سبحانه نص على ان الاهلة هي المعتبرة في المواقيت فلو كانت الشهور انما تعرف بطريق العدد لحصل التوقيت بالعدد
دون رؤية الاهلة لان اصحاب العدد لا يعتبرون رؤية الاهلة في معرفة المواقيت وقوله وليس البر بان تاتوا البيوت من
ظهورها فيه وجوه احدها انه كان المحرمون لا يدخلون بيوتهم من ابوابها ولكنهم كانوا ينقبون في ظهر بيوتهم اي في مؤخرها
نقبا يدخلون ويخرجون منه فنهوا عن التدين بذلك عن ابن عباس وقتاده وعطاء ورواه ابو الجارود عن ابي جعفر عليه السلم
وقيل الا ان الحمس وهم قريش وكنانة وخزاعة وثقيف وجشم وبنو عامر بن صعصعة كانوا لا يفعلون ذلك وانما سموا
حمسا لتشددهم في دينهم والحماسة الشدة وقيل بل انما كانت الحمس تفعل ذلك وانما فعلوا ذلك حتى لا يحول بينهم وبين
السماء شي وثانيها ان معناه ليس البر ان تاتوا الامور من غير جهاتها وينبغي ان تاتوا الامور من جهاتها اي الامور
كان والمروي عن جابر عن ابي جعفر عليه السلم وثالثها ان معناه ليس البر طلب المعروف من غير اهله وانما البر طلب
المعروف من اهله ولكن البر من اتقى قد مضى معناه واتوا البيوت من ابوابها قد مضى معناه وقال ابو جعفر عليه السلم
آل محمد عليهم السلم ابواب الله وسبيله والدعاة الى الجنة والقادة اليها والادلاء عليها الى يوم القيمة وقال النبي صلى الله عليه وآله
انا مدينة العلم وعلي بابها ولا يؤتى المدينة الا من بابها ويروى انا مدينة الحكمة واتقوا الله لعلكم تفلحون معناه واتقوا
ما نهاكم الله عنه وزهدكم فيه لكي تفلحوا بالوصول الى ثوابه الذي ضمنه للمتقين النظم وجه اتصال قوله ليس البر بان تاتوا
البيوت من ظهورها بقوله يسالونك عن الاهلة انه لما بين ان الاهلة مواقيت للناس والحج وكانوا اذا احرموا لا يدخلون
البيوت من ورائها عطف عليه قوله وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها وقيل انه سبحانه لما بين ان امورنا مقدرة
باوقات قرن به قوله وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها اي كما ان اموركم مقدرة باوقات فليكن افعالكم
جارية على الاستقامة باتباع ما امر الله به والانتهاء عما نهى عنه لان اتباع ما امر به خير من ابتداع ما لم يؤمر به قوله
عزوجل وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين آية اللغة القتال والمقاتلة محاولة القتل
ممن يحاول قتله والتقاتل محاولة كل واحد من المتعاديين قتل الآخر والاعتداء مجاوزة الحد يقال عدا طوره
اذا جاوزه النزول عن ابن عباس نزلت هذه الآية في صلح الحديبية وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وآله لما
خرج هو واصحابه في العام الذي ارادوا فيه العمرة وكانوا الفا واربعمائة فساروا حتى نزلوا الحديبية فصدهم المشركون
عن البيت الحرام فنحروا الهدي بالحديبية ثم صالحهم المشركون على ان يرجع من عامه ويعود العام القابل ويخلوا له مكة
ثلثة ايام فيطوف بالبيت ويفعل ما يشاء فرجع الى المدينة من فوره فلما كان العام المقبل تجهز النبي صلى الله عليه وآله
واصحابه لعمرة القضاء وخافوا ان لا تفي لهم قريش بذلك وان يصدوهم عن البيت الحرام ويقاتلوهم وكره رسول الله
صلى الله عليه وآله قتالهم في الشهر الحرام في الحرم فانزل الله تعالى هذه الآية وعن الربيع بن انس وعبد الرحمن بن زيد بن اسلم

هذه اول آية نزلت في القتال فلما نزلت كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقاتل من يقاتله
ويكف عمن كف عنه حتى نزلت اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم فنسخت هذه الآية المعنى ثم بين سبحانه امر الجهاد فقال مخاطبا
للمومنين وقاتلوا اي مع الكفار في سبيل الله اي دين الله وهو الطريق الذي بينه للعباد ليسلكوه على ما امرهم به ودعاهم
الذين يقاتلونكم قيل امروا بقتال المقاتلين دون النساء وقيل انهم امروا بقتال اهل مكة والاولى حمل الآية على العموم الا
من اخرجه الدليل ولا تعتدوا اي لا تجاوزوا من قتال من هو من اهل القتال الى قتال من لا يجوز قتاله وقيل معناه
لا تعتدوا بقتال من لم يبدءكم بقتال ان الله لا يحب المعتدين ظاهره انه يبغضهم لانه على جهة الذم وقد ذكرنا معنى المحبة
فيما مضى واختلف في الآية هل هي منسوخة ام لا فقال بعضهم منسوخة على ما ذكرناه وروى عن ابن عباس ومجاهد
انها غير منسوخة بل هي خاصة في النساء والذراري وقيل امر بقتال اهل مكة وروى عن ائمتنا عليهم السلم ان هذه
الآية ناسخة لقوله كفوا ايديكم واقيموا الصلوة وكذلك قوله واقتلوهم حيث ثقفتموهم ناسخ لقوله ولا تطع الكافرين والمنافقين
ودع اذاهم قوله عزوجل واقتلوهم حيث ثقفتموهم واخرجوهم من حيث اخرجوكم والفتنة اشد من القتل ولا تقاتلوهم
عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين آية القراءة قرأ حمزة والكسائي
ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فان قتلوكم كله بغير الف والباقون بالف في جميع ذلك الحجة من قراها بغير الف تابع
اتبع المصحف لانه كتب في المصاحف بغير الف ومن قرا بالالف قال انما يحذف الالف في الخط كما في الرحمن اللغة
ثقفته اثقفه ثقفا وثقافة اي وجدته ومنه قولهم رجل ثقيف ثقف اي يجد ما يطلبه وثقف الرجل ثقافة
فهو ثقف وثقف ثقفا بالتحريك فهو ثقف وقولهم رجل ثقيف لقف اذا كان سريع التعلم والثقاف حديدة تقوم بها
الرماح المعوجة والتثقيف التقويم والفتنة اصلها الاختبار ثم تنصرف الى معان منها الابتلاء نحو قوله وفتناك فتونا
اي ابتليناك ابتلاء على اثر ابتلاء ومنها العذاب كقوله وجعل فتنة الناس كعذاب الله ومنها الصد عن الدين
نحو قوله تعالى واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك والمراد بها في الآية الشرك بالله وبرسوله الاعراب حيث فيه
ثلث لغات ضم الثاء وفتحها وكسرها فالضم لشبهها بالغاية نحو قبل وبعد لانه منع الاضافة الى المفرد مع لزوم معنى الاضافة
اياه فجرى لذلك مجرى قبل وبعد في البناء على الضم والفتح لاجل البناء كما فتح اين وكيف والكسر لاجل انه الاصل في التحريك
لالتقاء الساكنين والجملة بعد حيث في موضع جر باضافة حيث اليها في الموضعين ويقاتلوا منصوب باضمار ان وهو
صلة ان والموصول والصلة في محل جر بحتى وحتى متعلق بتقاتلوا النزول نزلت في سبب رجل من الصحابة قتل رجلا
من الكفار في الشهر الحرام فعابوا المومنين بذلك فبين الله سبحانه ان الفتنة في الدين وهو الشرك اعظم من قتل المشركين
في الشهر الحرام وان كان غير جائز المعنى ثم خاطب سبحانه المومنين مبينا لهم كيفية القتال مع الكافرين فقال واقتلوهم
اي الكفار حيث ثقفتموهم اي وجدتموهم واخرجوهم من حيث اخرجوكم يعني اخرجوهم من مكة كما اخرجوكم منها والفتنة
اشد من القتل اي شركهم بالله وبرسوله اعظم من القتل في الشهر الحرام وسمى الكفر فتنة لان الكفر يؤدي الى الهلاك
كما ان الفتنة تؤدي الى الهلاك وقيل لان الكفر فساد يظهر عند الاختبار وقوله ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى
يقاتلوكم فيه اي لا تبتدؤهم بقتال في الحرم حتى يبتدي المشركون بذلك فان قاتلوكم اي بدؤكم بذلك فاقتلوهم
كذلك جزاء الكافرين اي تقتلوا حيث ما وجدوا وفي الآية دلالة على وجوب اخراج الكفار من مكة لقوله حتى لا تكون فتنة
والسنة قد وردت ايضا بذلك وهو قوله عم لا يجتمع في جزيرة العرب دينان قوله عزوجل فان انتهوا فان الله غفور رحيم
آية اللغة الانتهاء الامتناع والنهي الزجر عن الفعل بصيغة لا تفعل مع كراهة الناهي لذلك الفعل والامر الدعاء
الى الفعل بصيغة افعل مع ارادة الامر لذلك والنهي الغدير لمنعه الماء ان يمضي والنهي بمنزلة المنع ونهاية الشي
غايته والنهى جمع نهية وهي العقل والتناهي المواضع التي ينهبط فيتناهى اليها ماء السماء واحدها تنهية والانتهاء

ابلاغ الشئ نهايته والمغفرة تغطية الذنب بما يصيره بمنزلة غير الواقع في الحكم المعنى فان انتهوا اى امتنعوا من كفرهم بالتوبة منه عن مجاهد وغيره فان الله غفور رحيم بهم فاقتصر الكلام لدلالة ما تقدم من الشرط عليه وفيه دلالة على انه تقبل توبة القاتل عمدا لانه بين انه يقبل توبة المشرك والشرك اعظم من القتل قوله عز وجل وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين آية اللغة الدين ههنا الاذعان بالطاعة كما في قول الاعشى هو دان الرباب اذ كرهوا الدين دراكا بغزوة وصيال وقيل هو الاسلام واصل الدين العادة قال الشاعر تقول اذا درأت لها وضيني أهذا دينه ابدا وديني وقد استعمل بمعنى الطاعة في قوله ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك وبمعنى الاسلام في قوله ان الدين عند الله الاسلام لان الشريعة يجب ان يجري على عادة مستمرة المعنى ثم بين سبحانه غاية وجوب القتال فقال يخاطب المؤمنين وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة اى شرك عن ابن عباس وقتاده وهو المروي عن الصادق ع ويكون الدين لله اى وحتى يكون الطاعة لله والانقياد لامر الله وقيل حتى يكون الاسلام لله اى حتى لا يبقى الكفر ويظهر الاسلام على الاديان كلها فان انتهوا اى امتنعوا عن الكفر واذعنوا الى الاسلام فلا عدوان الا على الظالمين اى فلا عقوبة عليهم وانما العقوبة بالقتل على الكافرين المقيمين على الكفر فسمى القتل عدوانا من حيث كان عقوبة على العدوان وهو الظلم كما قال فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه وجزاء سيئة سيئة مثلها وان عاقبتم فعاقبوا وحسن ذلك لازدواج الكلام والمزاوجة هنا انما حصلت في المعنى لان التقدير فان انتهوا عن العدوان فلا عدوان الا على الظالمين وهذا الوجه مروي عن قتاده والربيع وعكرمة وقيل معنى العدوان الابتداء بالقتال عن مجاهد والسدي وهذه الآية ناسخة للاولى التي تضمنت النهي عن القتال في المسجد حتى يبدؤا بالقتال فيه لان فيها ايجاب قتالهم على كل حال حتى يدخلوا في الاسلام عن الحسن والجبائي وعلى ما ذكرناه في الآية الاولى عن ابن عباس انها غير منسوخة فلا يكون هذه الآية ناسخة بل يكون مؤكدة بل المراد بها انهم اذا ابتدؤا اوبالقتال في الحرم يجب مقاتلتهم حتى يزول الكفر قوله عز وجل الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا ان الله مع المتقين آية اللغة انما سمي الشهر الحرام لانه يحرم فيه ما يحل في غيره من القتال ونحوه والحرمات جمع حرمة وهي ما يجب حفظه ويحرم هتكه والحرام هو القبيح الممنوع من فعله والحلال المطلق المأذون فيه والقصاص الاخذ للمظلوم من الظالم من اجل ظلمه اياه واعتدى عليه وعدا عليه بمعنى مثل قرب واقترب وجلب واجتلب وصال في افتعل مبالغة ليست في فعل المعنى ثم بين سبحانه القتال في الشهر الحرام فقال الشهر الحرام بالشهر الحرام المراد به ههنا ذو القعدة وهو شهر الصد عام الحديبية والاشهر الحرم ثلاثة ذو القعدة وذو الحجة والمحرم سرد وواحد فرد وهو رجب كانوا يحرمون فيه عن القتال فيها القتال حتى لو ان رجلا لقي قاتل ابيه واخيه لم يتعرض له بسوء وانما قيل ذو القعدة لقعودهم وقيل في تقديره وجهان احدهما انه قتال الشهر الحرام اى في الشهر الحرام بقتال الشهر الحرام فحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه وقيل انه الشهر الحرام على جهة العوض لما فات في السنة الاولى ومعناه الشهر الحرام ذو القعدة الذي دخلتم فيه مكة واعتمرتم وقضيتم منها وطركم في سنة سبع بالشهر الحرام ذي القعدة الذي صددتم فيه عن البيت ومنعتم من مرادكم في سنة ست والحرمات قصاص قيل فيه قولان احدهما ان الحرمات قصاص بالمراغمة بدخول البيت في الشهر الحرام قال مجاهد لان قريشا فخرت بردها رسول الله صلى الله عليه وآله عام الحديبية محرما في ذي القعدة عن البلد الحرام فادخله الله عز وجل مكة في العام المقبل في ذي القعدة فقضى عمرته واقصه مما حيل بينه وبينه وهو معنى قول قتاده والضحاك والربيع وعبد الرحمن بن زيد وروي عن ابن عباس وابي جعفر الباقر عليه السلام مثله والثاني ان الحرمات قصاص بالقتال في الشهر الحرام اى لا يجوز للمسلمين الا قصاصا وقال الحسن ان مشركي العرب قالوا لرسول الله انهيت عن قتالنا في الشهر الحرام قال نعم وانما اراد المشركون ان يغزوه في الشهر الحرام فيقاتلوه فانزل الله سبحانه هذا اى ان استحلوا منكم في الشهر الحرام شيئا فاستحلوا منهم مثل ما استحلوا منكم وبه قال الزجاج والجبائي وانما جمع الحرمات لانه اراد حرمة الشهر

والبلد وحرمة الاحرام وقيل لان كل حرمة تستحل فلا يجوز الا على وجه المجازاة فمن اعتدى عليكم اى ظلمكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم اى جازوه باعتدائه وقاتلوه بمثله والثاني ليس باعتداء على الحقيقة ولكن سماه اعتداء لانه مجازاة اعتداء وجعله مثله وان كان ذلك جورا وهذا عدل لانه مثله في الجنس وفي مقدار الاستحقاق ولانه ضرر كما ان ذاك ضرر فهو مثله في الجنس والمقدار والصفة فاتقوا الله فيما امركم ونهاكم عنه واعلموا ان الله مع المتقين بالنصرة لهم او يريد ان نصرة الله معهم واصل مع المصاحبة في المكان او الزمان وفي هذه الآية دلالة على ان من غصب شيئا واتلفه يلزمه رد مثله ثم ان المثل قد يكون من طريق الصورة في ذوات الامثال ومن طريق المعنى كالقيمة فيما لا مثل له قوله عز وجل وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة واحسنوا ان الله يحب المحسنين آية اللغة الانفاق اخراج الشئ عن ملكه الى ملك غيره لانه لو اخرجه الى هلاكه لم يسم انفاقا والالقاء تصيير الشئ الى جهة السفل وقد يقال القى عليه مسألة مجازا كما يقال طرح عليه مسألة ويقال لكل من اخذ في عمل القى يديه اليه وفيه قال لبيد حتى اذا القت يدا في كافر واجن عورات الثغور ظلامها يعني الشمس اى بدأت في المغيب والتهلكة والهلاك واحد وقيل التهلكة مصدر بمعنى الاهلاك وليس في كلام العرب مصدر على تفعلة بضم العين الا هذا وقيل التهلكة كل شئ تصير عاقبته الى الهلاك واصل الهلاك الضياع وهو مصير الشئ بحيث لا يدرى اين هو ومنه يقال للكافر هالك وللميت هالك وللمعذب هالك والهلوك الفاجرة والهالكي الحداد واصله ان بني الهالك بن عمرو كانوا قيونا فنسب كل قين والاحسان هو ايصال النفع الحسن الى الغير دون المحسن من فعل الحسن لان مستوفي الدين لا يسمى محسنا وان كان فعل حسنا ولا يقال ان القديم سبحانه بفعل العقاب محسن وان كان العقاب حسنا انما النفع الحسن لان من اوصل نفعا قبيحا الى غيره لا يقال محسن اليه الاعراب الباء في قوله بايديكم زائدة كما يقال جذبت الثوب وبالثوب وعلمته وعلمت به قال الشاعر ولقد ملأت على نصيب جلده بمساءة ان الصديق يعاتب اى ملأت جلده مساءة وقيل ليست الباء زائدة ولكنها على اصل الكلام من وجهين احدهما ان كل فعل متعد اذا كني عنه او قدر على المصدر دخلته الباء تقول ضربته ثم تكني فتقول فعلت به وتقول اوقعت الضرب به فهما على اصل الافعال المتعدية والآخر انه لما كان معناه لا تهلكوا انفسكم بايديكم دخلت الباء ليدل على هذا المعنى وهو خلاف اهلك نفسه بيد غيره المعنى لما اوجب سبحانه القتال في سبيل الله عقبه بذكر الانفاق فيه فقال وانفقوا في سبيل الله معناه وانفقوا من اموالكم في الجهاد وطريق الدين وكل ما امر الله سبحانه من الخير وابواب البر فهو سبيل الله لان السبيل هو الطريق فسبيل الله الطريق الى الله والى رحمته وثوابه الا انه كثر استعماله في الجهاد لان الجود بالنفس اقصى غاية الجود والجهاد هو الامر الذي يخاطر فيه الروح فكانت له مزية ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة قيل في معناه وجوه احدها انه لا تهلكوا انفسكم بايديكم بترك الانفاق في سبيل الله فيغلب عليكم العدو عن ابن عباس وجماعة من المفسرين وثانيها انه عني به لا تركبوا المعاصي باليأس من المغفرة عن البراء بن عازب وعبيدة السلماني وثالثها ان المراد ولا تتقحموا الحرب من غير نكاية في العدو ولا قدرة على دفاعهم عن الثوري واختاره البلخي ورابعها ان المراد لا تسرفوا في الانفاق في سبيل الله الذي يأتي على النفس عن الجبائي ويقرب منه ما روي عن ابي عبد الله ع لو ان رجلا انفق ما في يديه في سبيل من سبيل الله ما كان احسن ولا وفق لقوله سبحانه ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة واحسنوا ان الله يحب المحسنين يعني المقتصدين وقال عكرمة معناه احسنوا الظن بالله يبر بكم وقال عبد الرحمن بن زيد احسنوا بالعود على المحتاج والاولى حمل الآية على جميع هذه الوجوه فلا تنافي فيها وفي هذه الآية دلالة على تحريم الاقدام على ما يخاف منه على النفس وعلى جواز ترك الامر بالمعروف عند الخوف لان في ذلك القاء النفس الى التهلكة وفيها دلالة على جواز الصلح مع الكفار والبغاة اذا خاف الامام على نفسه او على المسلمين كما فعله رسول الله صلى الله عليه وآله عام الحديبية وفعله امير المؤمنين ع بصفين وفعله الحسن ع مع معاوية من المصالحة لما تشتت امره وخاف على نفسه وشيعته فان عورضنا بان الحسين ع قاتل وحده فالجواب ان فعله يحتمل وجهين احدهما

لكن انهم لا يقتلونه لمكانه من رسول الله صلى الله عليه وآله والآخر انه غلب على ظننا انه لو ترك فقاتلهم فقتله الملعون بن زياد صبرا كما قتل
ابن عمه مسلم فكان القتل مع عز النفس والجهاد اهون عليه فقوله عز وجل واتموا الحج والعمرة لله فان احصرتم فما استيسر
من الهدي ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدي محله فمن كان منكم مريضا او به اذى من راسه ففدية من صيام
او صدقة او نسك فاذا امنتم فمن تمتع بالعمرة الى الهدي فمن لم يجد فصيام ثلثة ايام في الحج وسبعة اذا رجعتم
تلك عشرة كاملة ذلك لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام واتقوا الله واعلموا ان الله
شديد العقاب آية اللغة قد ذكرنا حقيقة الحج والعمرة فيما مضى عند قوله فمن حج البيت او اعتمر فلا معنى
لاعادته والاحصار المنع يقال للرجل الذي قد منعه الخوف او المرض من التصرف قد احصر فهو محصر ويقال للرجل الذي
حبس قد حصر فهو محصور وقال الفراء يجوز ان يقوم كل واحد منهما مقام الآخر وخالفه فيه ابو العباس المبرد والزجاج
قال المبرد ونظيره حبسه جعله في الحبس واحبسه عرضه للحبس واقتله عرضه للقتل وكذلك حصره حبسه اي اوقع به الحصر
واحصره عرضه للحصر وحصر حصرا اذا عيي في الكلام والحصر البخيل الحبيس لما فيه والحصير الذي لا يبوح بسره لانه قد حبس نفسه
عن البوح به والحصير الحبس في الحصير الملك والحصور الهيوب المحجم عن الشيء والحصور الذي لا ارب له في النساء واصل الباب
الحبس والهدي في اصل الهدي قولان احدهما انه من الهدية يقال اهديت الهدية اهداء واهديت الهدي الى بيت الله
اهداء فعلى هذا انما يكون هديا لاجل التقرب به الى الله تعالى والآخر انه من هداه اذا ساقه الى الرشاد فسمي هديا لانه
يساق الى الحرم الذي هو موضع الرشاد وواحد الهدي هدية كما يقال شرية وشري وتمرة وتمر وجمع الهدي هدي على زنة
فعيل كما يقال عبد وعبيد وكلب وكليب وقيل واحدة الهدي هدية مثل مطية ومطي قال الفرزدق حلفت برب مكة
والمصلى واعناق الهدي مقلدات والحلق حلق الراس يقال حلق وحلّق والمحلق موضع الحلق بمنى والمحلق الحلاق وحلق
الطير في الهواء اذا ارتفع وحلق ضرع الناقة اذا ارتفع لبنها والحلق مجرى الطعام والشراب في المري وحلوق الارض
مجاريها في اوديتها وحلاق المنية واصل الباب الاستدارة والراس اعلى كل شيء والاذى كل ما تاذيت به ورجل اذ اذا كان شديد
التاذي واصله الضرر بالشيء والنسك جمع نسيكة وهي الذبيحة ويجمع ايضا نسائك كصحيفة وصحائف وصحف وكل ما ذبح لله فهو
نسيكة والنسك العبادة ومنه رجل ناسك اي عابد والتمتع اصله التلذذ والاستمتاع ومتعة الحج هو ان يعتمر في اشهر الحج ثم
يحل ويتمتع بالاحلال بان يفعل ما يفعله الحلال ثم يحرم بالحج من غير رجوع الى الميقات فهو احلال بين احرامين واهل
الرجل زوجته والتاهل التزوج واهل الرجل اخص الناس به واهل البيت سكانه واهل الاسلام من يدين به واهل القرآن
من يقراه ويقوم بحقوقه واهلته لهذا الامر اي جعلته اهلا له وقولهم اهلا ومرحبا اي اختصاصا بالتحية والتكرمة والعقاب
مصدر عاقبه عقابا وعقب الانسان نسله وعقبه مؤخر قدمه الاعراب قوله فما استيسر من الهدي موضع ما رفع كانه قال
فعليه ما استيسر ويجوز ان يكون موضعه نصبا وتقديره فاهدوا ما استيسر والرفع اولى لكثرة نظائره كقوله ففدية من
صيام فصيام ثلثة ايام في الحج وقوله في الحج يتعلق بالمصدر وليس في موضع جر فهذا النحو قد جاء مرفوعا على تقدير اضمار خبر
ثم بين سبحانه فرض الحج والعمرة على العباد بعد بيانه فريضة الجهاد فقال واتموا الحج والعمرة لله اي اتموهما بمناسكهما وحدودهما
وتاديه كل ما فيهما عن ابن عباس ومجاهد وقيل معناها اقيموهما الى آخر ما فيهما وهو المروي عن امير المؤمنين وعلي
بن الحسين وعن سعيد بن جبير ومسروق والسدي وقوله لله اي اقصدوا بهما التقرب الى الله والعمرة واجبة عندنا مثل
الحج وبه قال الشافعي في الجديد وقال اهل العراق انها مسنونة واركان افعال الحج النية والاحرام والوقوف بعرفة والوقوف
بالمشعر وطواف الزيارة والسعي بين الصفا والمروة واما الفرائض التي ليست باركان فالتلبية وركعتا الطواف وطواف النساء
وركعتا الطواف له واما المسنونات من افعال الحج فمذكورة في الكتب المصنفة فيه واركان فرائض العمرة النية والاحرام وطواف
الزيارة والسعي واما ما ليس بركن من فرائضها فالتلبية وركعتا الطواف وطواف النساء وركعتا الطواف له وقوله فان احصرتم

فيه قولان احدهما معناه ان منعكم خوف او عدو او مرض فامتنعتم لذلك عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وعطا وهو المروي
عن ائمتنا عليهم السلم والثاني ان معناه ان منعكم حابس قاهر عن مالك فما استيسر من الهدي فعليكم ما استيسر من الهدي او
فاهدوا ما تيسر من الهدي اذا اردتم الاحلال والهدي يكون من ثلثة انواع جزور او بقرة او شاة واكثرها شاة وهو المروي
عن علي وابن عباس والحسن وقتادة وروي عن ابن عمر وعايشة انه ما كان من الابل والبقر دون غيرهما والاول هو الصحيح ولا
تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدي محله اي لا تحلوا من احرامكم حتى يبلغ الهدي محله وينحر او يذبح واختلف في محل الهدي
على قولين احدهما انه الحرم فاذا ذبح به يوم النحر احل عن ابن عباس وابن مسعود والحسن وعطا والثاني انه الموضع
الذي يصد فيه لان النبي صلى الله عليه وآله نحر هديه بالحديبية وامر اصحابه ففعلوا مثل ذلك وليست الحديبية من
الحرم عن مالك واما على مذهبنا فالاول حكم المحصر بالمرض والثاني حكم المصدود بالعدو وان كان الاحرام بالحج فمحله
منى يوم النحر وان كان الاحرام بالعمرة فمحله مكة فمن كان منكم مريضا او به اذى من راسه اي من مرض منكم مرضا يحتاج فيه
الحلق للمداواة او تاذى بهوام راسه ابيح له الحلق بشرط الفدية وروى اصحابنا ان هذه نزلت في انسان يعرف بكعب بن
عجرة وانه كان قد قمل راسه وقوله ففدية اي فحلق لذلك العذر فعليه فدية اي بدل وجزاء يقوم مقام ذلك من
صيام او صدقة او نسك المروي عن ائمتنا عليهم السلم ان الصيام ثلثة ايام والصدقة على ستة مساكين وروي عشرة
مساكين والنسك شاة وهو مخير فيها وقوله فاذا امنتم معناه فاذا امنتم الموانع من العدو والمرض وكل مانع فمن تمتع
بالعمرة الى الحج فما استيسر من الهدي اي فعليه ما تيسر من الهدي والتمتع عندنا هو الفرض اللازم لمن لم يكن من حاضري المسجد
الحرام وحاضر المسجد الحرام هو من كان على اثني عشر ميلا من كل جانب الى مكة فمن كان خارجا عن هذا الحد فليس من
الحاضرين وصفة التمتع بالعمرة الى الحج ان ينشئ الاحرام في اشهر الحج ثم يدخل الى مكة فيطوف بالبيت ويسعى بين الصفا والمروة
ويقصر ويحل من احرامه ثم ينشئ احراما آخر للحج من المسجد الحرام ويخرج الى عرفات ثم يفيض الى المشعر ويأتي بافعال الحج على ما هو
مذكور في الكتب وفي بعض ذلك خلاف بين الفقهاء والهدي واجب على المتمتع بلا خلاف لظاهر التنزيل على خلاف
في انه نسك او جبران وعندنا انه نسك فمن لم يجد فصيام ثلثة ايام في الحج فمن لم يجد الهدي ولا ثمنه فعليه صيام ثلثة
ايام في الحج وعندنا ان هذه الايام الثلثة يوم قبل التروية ويوم التروية ويوم عرفة وان صام في اول العشر جاز ذلك
رخصة وان كان صام يوم التروية ويوم عرفة قضى يوما آخر بعد انقضاء ايام التشريق وان فاته يوم التروية ايضا صام
الثلثة بعد ايام التشريق متتابعات وقوله وسبعة اذا رجعتم اي وسبعة ايام اذا رجعتم الى بلادكم وبه قال عطا
وقتادة وقيل معناه اذا رجعتم من منى وصمتموها في الطريق عن مجاهد والاول هو الصحيح عندنا وقوله تلك عشرة
كاملة فيه اقوال احدها ان المعنى كاملة من الهدي اي اذا وقعت بدلا منه استكملت عن الحسن وهو المروي عن
ابي جعفر عليه السلم واختاره الجبائي وثانيها انه لازالة الابهام لئلا يظن ان الواو بمعنى او فيكون كانه قال فصيام ثلثة
ايام في الحج او سبعة اذا رجعتم لانه اذا استعمل او بمعنى الواو جاز ان يستعمل الواو بمعنى او فيكون كانه قال فصيام ثلثة ايام
في الحج او سبعة اذا رجعتم لانه اذا استعمل او بمعنى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فالواو هنا بمعنى
او فذكر ذلك لارتفاع اللبس عن الزجاج وابي القسم البلخي وثالثها انما قال كاملة للتوكيد كما قال جرير ثلث واثنتان
فهن خمس وسادسة تميل الى شمام وقوله ذلك لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام اي ما تقدم ذكره من التمتع بالعمرة الى الحج
ليس لاهل مكة ومن يجري مجراهم وانما هو لمن لم يكن من حاضري مكة وهو من يكون بينه وبينها اكثر من اثني عشر ميلا من
كل جانب واتقوا الله فيما امركم به ونهاكم عنه واعلموا ان الله شديد العقاب لمن عصاه الحجة روى معوية بن عمار
عن الصادق ان رسول الله صلى الله عليه وآله اقام بالمدينة عشر سنين لم يحج ثم انزل الله عليه واذن في الناس بالحج الآية

أمر المؤذنين أن يؤذنوا بأعلى أصواتهم بأن رسول الله صلى الله عليه وآله يحج من عامه هذا فعلم به من حضر المدينة وأهل العوالي والأعراب
فاجتمعوا فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله في أربع بقين من ذي القعدة فلما انتهى إلى ذي الحليفة فزالت الشمس اغتسل ثم خرج حتى أتى
المسجد الذي عند الشجرة فصلى فيه الظهر وأحرم بالحج ثم ساق الحديث إلى أن قال فلما وقف رسول الله صلى الله عليه وآله بالمروة بعد فراغه
من السعي أقبل على الناس بوجهه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال إن هذا جبرئيل وأومى بيده إلى خلفه يأمرني أن آمر من لم يسق هديا أن يحل
فلو استقبلت من أمري ما استدبرت لصنعت مثل ما أمرتكم ولكني سقت الهدي ولا ينبغي لسائق الهدي أن يحل حتى يبلغ الهدي
محله فقال رجل من القوم لنخرج حجاجا ورؤوسنا تقطر فقال إنك لن تؤمن بها أبدا فقام إليه سراقة بن مالك بن جعشم
الكناني فقال يا رسول الله علمتنا ديننا فكأنما خلقنا اليوم فهذا الذي أمرتنا به لعامنا هذا أو لما يستقبل فقال له رسول الله
بل هو للأبد إلى يوم القيامة ثم شبك أصابعه بعضها في بعض وقال دخلت العمرة في الحج إلى يوم القيامة وقدم علي من اليمن إلى رسول الله
وهو بمكة فدخل على فاطمة عليها السلام وهي قد أحلت فوجد ريحا طيبة ووجد عليها ثيابا مصبوغة فقال ما هذا يا فاطمة
فقالت أمرنا بهذا رسول الله صلى الله عليه وآله فخرج علي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله مستفتيا محرشا على فاطمة فقال
يا رسول الله إني رأيت فاطمة قد أحلت وعليها الثياب مصبوغة فقال رسول الله أنا أمرت الناس بذلك وأنت يا علي
بم أهللت فقال قلت يا رسول الله إهلالا كإهلال النبي ص فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله كن على إحرامك مثلي وأنت
شريكي في هديي قال ونزل رسول الله بمكة بالبطحاء هو وأصحابه ولم ينزل الدور فلما كان يوم التروية عند زوال
الشمس أمر الناس أن يغتسلوا ويهلوا بالحج فخرج النبي صلى الله عليه وآله وأصحابه مهلين بالحج حتى أتى منى فصلى الظهر والعصر
والمغرب والعشاء الآخرة والفجر ثم غدا والناس معه وكانت قريش تفيض من المزدلفة وهي جمع ويمنعون الناس أن يفيضوا
منها فأنزل الله على نبيه ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس يعني إبراهيم وإسماعيل وإسحاق في إفاضتهم منها ومن كان بعدهم فلما
رأت قريش أن قبة رسول الله صلى الله عليه وآله قد مضت كأنه دخل في أنفسهم شيء للذي كانوا يرجون من الإفاضة من
مكانهم حتى انتهى إلى نمرة وهي بطن عرنة بحيال الأراك فضرب قبته وضرب الناس أخبيتهم عندها فلما زالت الشمس
خرج رسول الله ص ومعه قريش وقد اغتسل وقطع التلبية حتى وقف بالمسجد فوعظ الناس وأمرهم ونهاهم ثم صلى الظهر والعصر
بأذان وإقامتين وقد اغتسل وقطع التلبية حتى وقف بالمسجد فوعظ الناس وأمرهم ونهاهم ثم صلى الظهر والعصر بأذان
وإقامتين ثم مضى إلى الموقف فوقف فجعل الناس يبتدرون أخفاف ناقته يقفون إلى جانبها فنحاها ففعلوا مثل ذلك
فقال أيها الناس إنه ليس موضع أخفاف ناقتي الموقف ولكن هذا كله موقف وأومى بيده إلى الموقف فتفرق الناس
وفعل مثل ذلك بالمزدلفة فوقف حتى وقع القرص قرص الشمس ثم أفاض وأمر الناس بالدعة حتى إذا انتهى إلى المزدلفة
وهي المشعر الحرام فصلى المغرب والعشاء الآخرة بأذان واحد وإقامتين ثم أقام حتى صلى فيها الفجر وعجل ضعفاء بني هاشم
بالليل فأمرهم أن لا يرموا الجمرة جمرة العقبة حتى تطلع الشمس فلما أضاء له النهار أفاض حتى انتهى إلى منى فرمى جمرة العقبة
وكان الهدي الذي جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله أربعا وستين أو ستا وستين وجاء علي بأربع وثلاثين أو ست
وثلاثين فنحر رسول الله ص ستا وستين بدنة ونحر علي أربعا وثلاثين بدنة وأمر رسول الله ص أن يؤخذ من كل بدنة منها
جذوة من لحم ثم تطرح في برمة ثم تطبخ فأكل رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي وحسيا من مرقها ولم يعط الجزارين جلودها
ولا جلالها ولا قلائدها وتصدق بها وحلق وزار البيت ورجع إلى منى فأقام بها حتى كان يوم الثالث من
آخر أيام التشريق ثم رمى الجمار ونفر حتى انتهى إلى الأبطح فقالت عائشة يا رسول الله ترجع نساؤك بحجة وعمرة معا وأرجع
بحجة فأقام بالأبطح وبعث معها عبد الرحمن بن أبي بكر إلى التنعيم فأهلت بعمرة ثم جاءت فطافت بالبيت وصلت ركعتين
عند مقام إبراهيم وسعت بين الصفا والمروة ثم أتت النبي صلى الله عليه وآله فارتحل من يومه ولم يدخل المسجد ولم يطف بالبيت

ودخل من أعلى مكة من عقبة المدنيين وخرج من أسفل مكة من ذي طوى قوله عز وجل **الحج أشهر معلومات فمن فرض
فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى
واتقون يا أولي الألباب** آية **القراءة** قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب فلا رفثٌ ولا فسوقٌ ولا جدال بالفتح
وقرأ أبو جعفر جميع ذلك بالرفع والتنوين وقرأ أبو جعفر جميع ذلك بالرفع والتنوين وقرأ الباقون الجميع بالفتح **الحجة**
حجة من فتح الجميع أن يقول إنه أشد مطابقة للمعنى المقصود ألا ترى أنه إذا فتح فقد نفى جميع الرفث والفسوق كما أنه
إذا قال لا ريب فقد نفى جميع هذا الجنس فإذا رفع ونون فكأن النفي لواحد منه ألا ترى أن سيبويه يرى أنه إذا قال لا غلام عندك
ولا جارية فهو جواب من سأل فقال أغلام عندك أم جارية فالفتح أولى لأن النفي قد عم والمعنى عليه وحجة من رفع أنه يعلم
من الفحوى أنه ليس المنفي رفثا واحدا ولكنه جميع ضروبه وأن النفي قد يقع فيه الواحد موقع الجميع وإن لم يبن الاسم
مع لا نحو ما رجل في الدار **اللغة** الرفث في اللغة أصله الإفحاش في النطق قال العجاج عن اللغا ورفث التكلم وقيل الرفث
بالفرج الجماع وباللسان المواعدة للجماع وبالعين الغمز للجماع والفسوق الخروج من الطاعة والجدال في اللغة الجدال
والمنازعة والمشاجرة والمخاصمة نظائر وجدلت الحبل فتلته والجديل زمام البعير فعيل بمعنى مفعول والجدل القصير
والجدالة الأرض ذات الرمل الرقيق وغلام جادل إذا ترعرع واشتد والزاد الطعام الذي يتخذ للسفر والمزود وعاء
يجعل فيه الزاد وكل من انتقل بخير من عمل أو كسب فقد تزود منه تزودا واللب العقل سمي بذلك لأنه أفضل ما في الإنسان
وأفضل كل شيء لبه **الإعراب** الحج مبتدأ وأشهر خبره وتقديره أشهر الحج أشهر معلومات ليكون الأول في المعنى والحج حج أشهر
معلومات فحذف المضاف أي لا حج إلا في هذه الأشهر والأشهر هنا متسع فيها مخبر عن المحذوف والمعنى على ذلك
ألا ترى أن الحج في الأشهر فقد يجوز أن يجعل الحج الأشهر على الاتساع لكونه فيها ولكثرته من الفاعلين كما قالت الخنساء ترتع
ما رتعت حتى إذا ادكرت فإنما هي إقبال وإدبار جعلتها الإقبال والإدبار لكثرتهما منها وقوله فلا رفث إذا فتح على ما ذكرنا فقد
تقدم بيانه فيما مضى إذا رفعت على الابتداء ويكون في الحج خبر لهذه المرفوعات وإذا فتحت ما قبل المرفوع وأثبت ما بعده مرفوعا
جاز أن يكون عطفا على الموضع وجاز أن يكون بمعنى ليس كما في قوله من فر عن نيرانها فأنا ابن قيس لا براح وما بعد الفاء في موضع
الرفع لوقوعه موقع الفعل المضارع بعد الفاء والفاء وما بعده في محل الجزم أو في محل الرفع لأنه جواب شرط مبني **المعنى** الحج أي
أشهر معلومات أي أشهر موقتة معينة لا يجوز فيها التبديل والتغيير بالتقديم والتأخير اللذين كانا يفعلهما النساة الذين
أنزل فيهم إنما النسيء زيادة في الكفر الآية وأشهر الحج عندنا شوال وذو القعدة وذو الحجة عن عطاء والربيع وطاووس
وروي ذلك في أخبارنا وإنما صارت هذه أشهر الحج لأنه لا يصح الإحرام بالحج إلا فيها ومن قال إن جميع ذي الحجة من أشهر الحج قال
لأنه يصح أن يقع فيها بعض أفعال الحج مثل صوم الأيام الثلاثة وذبح الهدي ومتى قيل كيف سمي الشهرين وبعض الثالث
أشهر فالجواب أن الاثنين قد يقع عليه لفظ الجمع كما في قوله ظهراهما مثل ظهور الترسين وأيضا فقد يضاف الفعل إلى الوقت
وإن وقع في بعضه ويضاف الوقت إليه كذلك تقول صليت صلاة يوم الجمعة وصلاة يوم العيد وإن كانت الصلاة في بعضه
وقدم زيد يوم كذا وإن كان قدم في بعضه فلذلك جاز أن يقال أشهر الحج ذو الحجة وإن وقع الحج في بعضه فمن فرض فيهن
الحج معناه فمن أوجب على نفسه فيهن الحج أي فمن أحرم فيهن بالحج بلا خلاف أو بالعمرة التي يتمتع بها إلى الحج على مذهبنا
فلا رفث كنى بالرفث عن الجماع هنا عند أصحابنا وهو قول ابن مسعود وقتادة وقيل هو مواعدة الجماع والتعريض
للنساء عن ابن عباس وابن عمر وعطاء وقيل هو الجماع والتعريض لمداعبة أو مواعدة عن الحسن ولا فسوق روى أصحابنا
أنه الكذب وقيل معاصي الله كلها عن ابن عباس والحسن وقتادة وهذا أعم ويدخل فيه الكذب وقيل هو التنابز بالألقاب
لقوله بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان عن الضحاك وقيل هو السباب لقوله ع سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر عن
إبراهيم ومجاهد وقال بعضهم لا يجوز أن يراد به هنا إلا ما نهي المحرم عنه مما يكون حلالا له إذا أحل لاختصاصه بالنهي

عنه وهذا تخصيص للعموم بلا دليل وقد يقول القائل ينبغي ان يصد لسانك في غير منفعة ليصم سمعك وقد جاء في الحديث اذا احرمت فليصم سمعك وبصرك ولا يكون يوم صومك كيوم فطرك فانما خص بذلك لعظم حرمته ولا جدال في الحج روى اصحابنا انه قول لا والله وبلى والله صادقا وكاذبا وللمفسرين فيه قولان احدهما انه المراء والسباب والاغضاب على جهة المحك واللجاج عن ابن عباس وابن مسعود والحسن والثاني ان معناه لا جدال في ان الحج قد استدار في ذي الحجة لانهم كانوا ينسئون الشهور فيقدمون ويؤخرون وربما اتفق في غيره عن مجاهد والسدي وما تفعلوا من خير يعلمه الله معناه وما تفعلوا من خير يجازكم الله العالم به لان الله تعالى عالم بجميع المعلومات على كل حال الا انه جعل يعلمه في موضع يجازه للمبالغة في صفة العدل اي انه يعاملكم معاملة من يعلمه اذا ظهر منكم فيجازي وذلك تأكيد ان الجزاء لا يكون الا بالفعل دون ما يعلم انه يكون منهم قبل ان يفعلوه وتزودوا فان خير الزاد التقوى فيه قولان احدهما ان معناه ان قوما كانوا يرمون ازوادهم ويسمون انفسهم المتوكلة فقيل لهم تزودوا من الطعام ولا تلقوا كلكم على الناس وخير الزاد مع ذلك التقوى عن الحسن وقتادة ومجاهد والثاني ان معناه تزودوا من الاعمال الصالحة فان خير الزاد التقوى وذكر لكم في اثناء افعال الحج لانه احق شيء بالاستكثار من اعمال البر فيه واتقون فيما امرتكم به ونهيتكم عنه يا اولي الالباب يا ذوي العقول قوله عز وجل

ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وان كنتم من قبله لمن الضالين آية

اللغة

الجناح الحرج في الدين وهو الميل عن الطريق المستقيم والابتغاء الطلب والافاضة مأخوذ من فيض الاناء عن امتلائه فمعنى افضتم دفعتم من عرفات الى المزدلفة عن اجتماع وكثرة ويقال افاض القوم في الحديث اذا اندفعوا فيه واكثروا التصرف وافاض الرجل اناءه اذا صبه وافاض الرجل بالقداح اذا ضرب بها لانها تقع متفرقة قال ابو ذؤيب وكأنهن ربابة وكأنه يسر يفيض على القداح ويصدع وافاض البعير بجرته اذا رمى بها متفرقة كثيرة قال الراعي وافضن بعد كظومهن بجرة من ذي الابارق اذ رعين حقيلا والافاضة في اللغة لا تكون الا عن تفرق او كثرة وعرفات اسم للبقعة المعروفة يجب الوقوف بها في الحج ويوم عرفة يوم الوقوف بها واختلف في سبب تسميتها بعرفات فقيل لان ابرهيم عليه السلام عرفها بما تقدم له من النعت لها والوصف روي عن علي عليه السلام وابن عباس وقيل انما سميت بذلك لان آدم وحوا اجتمعا فيها فتعارفا بعد ان كانا افترقا عن الضحاك والسدي وقد رواه اصحابنا ايضا وقيل سميت بذلك لعلوها وارتفاعها ومنه عرف الديك وقيل سميت بذلك لان ابرهيم عم كان يريه جبرئيل المناسك فيقول عرفت عرفت عن عطا وروي عن ابن عباس ان ابرهيم عم رأى في المنام انه يذبح ابنه فاصبح يروي يومه اجمع اي يفكر اهو امر من الله ام لا فسمي يوم التروية ثم رأى في الليلة فلما اصبح عرف انه من الله فسمي يوم عرفة وروي ان جبرئيل عم قال لآدم عم هنا لك اعترف بذنبك واعرف مناسكك فقال ربنا ظلمنا انفسنا الآية فلذلك سميت عرفة والمشعر الحرام هو المزدلفة سميت مشعرا لانه معلم للحج والصلوة والمقام والمبيت والدعاء عنده لانه من اعمال الحج وانما سمي المشعر مزدلفة لان جبرئيل قال لابرهيم عليه السلام بعرفات ازدلف الى المشعر الحرام فسمي المزدلفة وسمي جمعا لانه يجمع به بين المغرب والعشاء الآخرة باذان واحد واقامتين وسميت منى لان ابرهيم عم تمنى هناك ان يجعل الله مكان ابنه كبشا يأمره بذبحه فدية له

الاعراب

جناح اسم ليس وخبره عليكم وموضع ان تبتغوا نصب على تقدير ليس عليكم جناح في ان تبتغوا فلما سقط في عمل فيها معنى جناح المعنى لستم تأثمون في ان تبتغوا وعرفات اسم معرفة لمواضع جرت مجرى موضع واحد لاتصال بعضها ببعض وانما صرفت وان كان فيها سببان من اسباب منع الصرف وهو التعريف والتأنيث لانها على حكاية الجمع فالتنوين فيها بازاء النون في مسلمون ولو سميت امرأة بمسلمون لم تحذف هذه النون وتقول اقبلت مسلمون ورأيت مسلمين ويجوز في عرفات حذف التنوين اذا شبهتها بالواحد اذا كان اسم الواحد الا انه لا يكون الا مكسورا وان اسقطت التنوين ومثلها اذرعات في قول امرئ القيس تنورتها من اذرعات

واهلها بيثرب ادنى دارها نظر عال اكثر الرواية بالتنوين وقد انشد بالكسر بغير تنوين والاول اختيار النحويين لما ذكرناه من اجرائهم اياه مجرى مسلمون واما فتح التاء فخطأ وان كنتم ان هنا هي المخففة من الثقيلة بدلالة لزوم اللام الابتداء معها اذا خففت لم تعمل وكنتم من قبله لمن الضالين لا موضع له من الاعراب لانه وقع بعد حرف غير عامل وانما هذه الواو عطفت جملة على جملة

المعنى

ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم قيل كانوا يتأثمون بالتجارة في الحج فرفع الله سبحانه بهذه اللفظة الاثم عمن يتجر في الحج عن ابن عباس ومجاهد والحسن وعطا وفي هذا تصريح بالاذن في التجارة وهو المروي عن ائمتنا عليهم السلام وقيل كان في الحج اجراء ومكارون وكان الناس يقولون انه لا حج لهم فبين سبحانه انه لا اثم على الحاج في ان يكون اجير الغيره او مكاريا وقيل لا جناح عليكم ان تطلبوا المغفرة من ربكم رواه جابر عن ابي جعفر عم فاذا افضتم من عرفات اي دفعتم عنها بعد الاجتماع فيها فاذكروا الله عند المشعر الحرام وفي هذا دلالة على ان الوقوف بالمشعر الحرام فريضة كما ذهبنا اليه لان ظاهر الامر على الوجوب فقد اوجب الله سبحانه الذكر فيه ولا يجب الذكر فيه الا وقد وجب الكون فيه ولان كل من اوجب الذكر فقد اوجب الوقوف وتقدير الكلام فاذا افضتم من عرفات فكونوا بالمشعر الحرام واذكروا الله فيه واذكروه كما هداكم معناه واذكروه بالثناء والشكر حسب نعمته عليكم بالهداية فان الشكر يجب ان يكون على حسب النعمة في عظم المنزلة كما يجب ان يكون على مقدارها لو صغرت النعمة ولا يجوز التسوية بين من عظمت نعمته وبين من صغرت نعمته وتقدير الكلام واذكروه ذكرا مثل هدايته اياكم وان كنتم اي وانكم كنتم من قبله اي من قبل الهدى وقيل من قبل محمد صلى الله عليه وآله فتكون الهاء كناية عن غير مذكور لمن الضالين عن النبوة والشريعة فهداكم اليه قوله عز وجل

ثم افيضوا من حيث افاض الناس واستغفروا الله ان الله غفور رحيم آية

اللغة

الاستغفار طلب المغفرة والمغفرة التغطية للذنب والفرق بين غفور وغافر ان في غفور مبالغة لكثرة المغفرة فاما غافر فيستحق الوصف به من وقع منه الغفران والعفو هو المغفرة وقد فرق بينهما بان العفو ترك العقاب على الذنب والمغفرة تغطية الذنب بايجاب المثوبة ولذلك كثرت المغفرة في صفات الله دون صفات العباد فلا يقال استغفر السلطان كما يقال استغفر الله

المعنى

ثم افيضوا من حيث افاض الناس قيل فيه قولان احدهما ان المراد به الافاضة من عرفات واراد بالناس سائر العرب وانه امر لقريش وحلفائها وهم الحمس لانهم كانوا لا يقفون مع الناس بعرفة ولا يفيضون منها ويقولون نحن اهل حرم الله فلا نخرج منه وكانوا يقفون بالمزدلفة ويفيضون منها فامرهم الله بالوقوف بعرفة والافاضة منها كما يفيض الناس واراد بالناس سائر العرب عن ابن عباس وعائشة وعطا ومجاهد والحسن وقتادة وهو المروي عن الباقر عم وقال الضحاك انه امر لجميع الحاج ان يفيضوا من حيث افاض ابرهيم عن الضحاك قال لما كان ابرهيم اماما كان بمنزلة الامة فسماه وحده ناسا والثاني ان المراد به الافاضة من المزدلفة الى منى يوم النحر قبل طلوع الشمس للرمي والنحر عن الجبائي وقال لانه يدل عليه لانه قال فاذا افضتم من عرفات ثم افيضوا فوجب ان تكون افاضة ثانية فدل ذلك على ان الافاضتين واجبتان والناس المراد به ابرهيم كانه في قوله الذين قال لهم الناس نعيم بن مسعود الاشجعي وقيل الناس ابرهيم واسمعيل واسحق عليهم السلام ومن بعدهم من الانبياء عن ابي عبد الله عم وحملنا على القول الاول ان يقال اذا كان ثم للترتيب فما معنى الترتيب ههنا وقد روى اصحابنا في جوابه ان ههنا تقديما وتأخيرا وتقديره ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم ثم افيضوا من حيث افاض الناس فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واستغفروا الله ان الله غفور رحيم وقيل اراد بالناس آدم عن سعيد بن جبير والزهري وقيل هم اهل اليمن وربيعة عن الكلبي وقيل هم العلماء الذين يعلمون الدين ويعلمونه الناس واستغفروا الله اي اطلبوا المغفرة منه بالندم على ما سلف من المعاصي ان الله غفور اي كثير المغفرة رحيم واسع الرحمة قوله عز وجل

فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم او اشد ذكرا فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق آية

اللغة القضاء

فصل الامر على احكام وقد تفصل بالفراغ كقضاء المناسك وقد يفصل بان يعمل على تمام كقوله فقضيهن سبع سموات وقد يفصل بالاخبار على القطع كقوله وقضينا الى بنى اسرائيل وقد تفصل بالحكم كقضاء القاضى على وجه الالزام والخلاق النصيب من الخير واصله التقدير فهو النصيب من الخير على وجه الاستحقاق وقيل انه من الخلق فهو نصيب مما يوجبه الخلق الكريم

الاعراب اشد فى موضع جر ولكنه لا ينصرف لانه على وزن افعل وهو صفة ويجوز ان يكون منصوبا على المصدر على واشد ذكرا منصوب على التمييز فى الآخرة الجار والمجرور يتعلق بما يتعلق اللام فى قوله فى موضع خبر المبتدا الذى هو من خلاق فان من مزيدة والجار والمجرور فى موضع رفع بالابتداء ويجوز ان يكون فى الآخرة فى موضع نصب على الحال والعامل فيه ما فى لهم من الفعل

المعنى فاذا قضيتم مناسككم معناه فاذا اديتم مناسككم وقيل فاذا فرغتم من مناسككم والمناسك جمع المنسك والمنسك يجوز ان يكون موضع النسك ويجوز ان يكون مصدرا فان كان موضعا فالمعنى اذا قضيتم ما وجب عليكم ايقاعه فى متعبداتكم وان كان بمعنى المصدر فانما جمع لانه يشتمل على افعال واذكار فجاز جمعه كالاصوات اى فاذا قضيتم افعال الحج فاذكروا الله اختلف فى الذكر على قولين احدهما ان المراد به التكبير المختص بايام منى لانه الذكر فيه المندوب اليه فى هذه الايام والآخر ان المراد به سائر الادعية فى تلك المواطن لان الدعاء فيها افضل منه فى غيرها كذكركم اباءكم معناه ما روى عن ابى جعفر الباقر انهم كانوا اذا فرغوا من الحج يجتمعون هناك يعدون مفاخر اباءهم وماثرهم ويذكرون ايامهم القديمة واياديهم الجسيمة فامرهم الله سبحانه ان يذكروه مكان ذكرهم اباءهم فى هذا الموضع او اشد ذكرا ويزيدوا على ذلك بان يذكروا نعم الله سبحانه ويعدوا آلاءه ويشكروا نعماءه لان اباءهم وان كانت لهم عليهم ايادى ونعم فنعم الله سبحانه عليهم اعظم واياديه عندهم افخم ولانه سبحانه المنعم بتلك المآثر والمفاخر على ابائهم وعليهم هذا هو الوجه فى تشبيه هذا الذكر الواجب بذلك الذكر الذى هو دونه فى الوجوب وهو قول الحسن وقتادة وقيل معناه فاستعينوا بالله وافزعوا اليه كما يفزع الصبى الى ابيه فى جميع اموره ويلهج بذكره فيقول يا ابه عن عطا والاول اصح

وقوله فمن الناس من يقول ربنا آتنا فى الدنيا بين سبحانه ان الناس فى تلك المواطن اصناف فمنهم من يسال نعيم الدنيا ولا يسال النعيم الآخرة لانه غير مؤمن بالبعث والنشور وما له فى الآخرة من خلاق اى نصيب من الخير موفور وقوله عز وجل ومنهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة آية

اللغة الفرق بين القول والكلام ان القول يدل على الحكاية وليس كذلك الكلام نحو قال الحمد لله فاذا اخبرت عنها بالكلام قلت تكلم بالحق والحكاية على ثلثة اوجه احدها حكاية على اللفظ والمعنى نحو قال آتوني افرغ عليه قطرا اذا حكاه من يعرف لفظه ومعناه وحكاية على اللفظ اذا حكاه من يعرف لفظه دون معناه وحكاية على المعنى نحو ان يقال قال خالد ابن زيد قطعوا الابناء العظاء واصل الاتى مجيئ الحى فاتى اذا كان المجيئ واتى غيره حمله على المجيئ فقال آتاه ماء صاحب وفى اصله من وقى يقى وقاية ووقاء والوقاء اصله الحجز بين الشيئين والحاجز الذى يسلم به من الضرر

المعنى لما ذكر سبحانه دعاء من سال امور الدنيا فى تلك المواقف الشريفة ما لا ينبغى عقبه بما يسال المؤمنون فيها من الدعاء الذى يرغب فيه فقال ومنهم من يقول ربنا آتنا اى اعطنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة اى نعم الدنيا ونعم الآخرة عن انس وقتادة وروى عن ابى عبد الله ع انها السعة فى الرزق والمعاش وحسن الخلق فى الدنيا ورضوان الله والجنة فى الآخرة وقيل العلم والعبادة فى الدنيا والجنة فى الآخرة عن الحسن وقتادة وقيل هى المال فى الدنيا وفى الآخرة الجنة عن ابن زيد والسدى وقيل هى المراة الصالحة فى الدنيا وفى الآخرة الجنة عن على ع وروى عن النبى صلى الله عليه وآله انه قال من اوتى قلبا شاكرا ولسانا ذاكرا وزوجة مؤمنة تعينه على دنياه واخرته فقد اوتى فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة ووقى عذاب النار وقوله عز وجل اولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب آية

وقنا عذاب النار

اللغة النصيب الحظ وجمعه انصباء وانصبة وحد النصيب الجزء الذى يختص به البعض من خير او شر والكسب الفعل الذى يجتلب به نفع او يدفع به ضرر والسريع من العمل هو القصير المدة تقول سرع سرعة وسرعا فهو سريع واقبل فلان

نصف الجزء

فى سرعان قومه اى فى اوائلهم المسرعين والحساب مصدر كالمحاسبة

المعنى اولئك لهم نصيب مما كسبوا اى حظ من كسبهم باستحقاقهم الثواب عليه والله سريع الحساب ذكر فيه وجوه احدها ان معناه سريع المجازاة للعباد على اعمالهم وان وقت الجزاء قريب ويجرى مجرى قوله سبحانه وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب وعبر عن الجزاء بالحساب لان الجزاء كفاء للعمل وبمقداره فهو حساب له يقال احسبنى الشىء كفانى وثانيها ان يكون المراد به انه يحاسب اهل الموقف فى اوقات يسيرة لا يشغله حساب احد عن حساب غيره كما لا يشغله شان عن شان وورد فى الخبر انه سبحانه يحاسب الخلائق كلهم فى مقدار لمح البصر وروى بقدر حلب شاة وهذا احد ما يدل على انه سبحانه ليس بجسم وانه لا يحتاج فى فعل الكلام الى آلة لانه لو كان كذلك لما جاز ان يخاطب اثنين فى وقت واحد بخطابين مختلفين ولكان يشغله خطاب بعض الخلق عن خطاب غيره ولكانت مدة محاسبته للخلق على اعمالهم طويلة وروى عن امير المؤمنين ع انه قال معناه انه يحاسب الخلق دفعة كما يرزقهم دفعة وثالثها ان معناه انه سبحانه سريع القبول لدعاء هؤلاء والاجابة لهم من غير احتباس فيه وبحث عن المقدار الذى يستحقه كل داع كما يحتبس المخلوقون للاحصاء والاحتساب ويقرب منه ما روى عن ابن عباس انه قال يريد انه لا حساب على هؤلاء انما يعطون كتبهم بايمانهم فيقال لهم هذه سيئاتكم قد تجاوزت بها عنكم وهذه حسناتكم قد ضعفتها لكم قوله عز وجل واذكروا الله فى ايام معدودات فمن تعجل فى يومين فلا اثم عليه ومن تاخر فلا اثم عليه لمن اتقى واتقوا الله واعلموا انكم اليه تحشرون آية

اللغة المعدودات تستعمل كثيرا فى اللغة للشىء القليل وكل عدد قل او كثر فهو معدود ولكن معدودات ادل على القلة لان كل قليل يجمع بالالف والتاء والحشر جمع القوم من كل ناحية الى مكان والمحشر المكان الذى يحشرون فيه وحشرتهم السنة اذا اجحفت بهم لانها تضمهم من النواحى الى المصر وسهم حشر خفيف لطيف لانه ضامر باجتماعه واذن حشرة لطيفة ضامرة وحشرات الارض دوابها الصغار لاجتماعها من كل ناحية فاصل الباب الاجتماع

الاعراب العامل فى اللام من قوله لمن اتقى فيه قولان احدهما ان تقديره ذلك لمن اتقى فيكون الجار والمجرور فى موضع خبر المبتدا واغا حذف ذلك لان الكلام الاول دل عليه والثانى ان يكون العامل فيه معنى لا اثم عليه لانه قد تضمن معنى جعلناه لمن اتقى

المعنى واذكروا الله فى ايام معدودات هذا امر من الله تعالى للمكلفين اى يذكروه فى ايام معدودات وهى ايام التشريق ثلثة ايام بعد النحر والايام المعلومات عشر ذى الحجة عن ابن عباس والحسن واكثر اهل العلم وهو المروى عن ائمتنا عليهم السلام وذكر الفراء ان المعلومات ايام التشريق والمعدودات العشر والذكر المامور به ان يقول عقيب عشر صلوات الله اكبر الله اكبر لا اله الا الله والله اكبر الله اكبر ولله الحمد الله اكبر على ما هدانا والحمد لله على ما ابلانا والله اكبر على ما رزقنا من بهيمة الانعام واول التكبير عندنا عقيب الظهر من يوم النحر وآخره عقيب صلوة الفجر من اليوم الرابع هذا لمن كان بمنى ومن كان بغير منى من الامصار يكبر عقيب عشر صلوات اولها صلوة الظهر من يوم النحر ايضا هذا هو المروى عن الصادق ع وفى ذلك اختلاف بين الفقهاء وافقنا فى ابتداء التكبير من صلوة الظهر يوم النحر ابن عباس وابن عمر وقوله فمن تعجل فى يومين فلا اثم عليه ومن تاخر فلا اثم عليه المعنى ذلك الرخصة فى جواز النفر فى يوم الثانى من التشريق والافضل ان يقيم الى النفر الاخير وهو الثالث من التشريق واذا نفر فى الاول نفر بعد الزوال الى غروب الشمس فان غربت فليس له ان ينفر الى اليوم الثالث وقوله فلا اثم عليه فيه قولان احدهما ان معناه لا اثم عليه لان سيئاته صارت مكفرة بما كان من حجه المبرور وهو معنى قول ابن مسعود والثانى ان معناه لا اثم عليه فى التعجل والتاخر وانما نفى الاثم لئلا يتوهم متوهم ان فى التعجل اثما وانما قال فلا اثم عليه فى التاخير على جهة المزاوجة كما يقال ان اعلنت الصدقة فحسن وان اسررت فحسن وان كان الاسرار احسن وافضل عن الحسن وقوله لمن اتقى فيه قولان احدهما ان الحج مبرور مكفر السيئات اذا اتقى ما نهى الله عنه والآخر ما رواه اصحابنا ان قوله لمن اتقى متعلق بالتعجل فى يومين وتقديره لمن تعجل فى يومين فلا اثم عليه لمن اتقى الصيد الى انقضاء النفر الاخير وما بقى من احرامه ومن لم يتقهما فلا يجوز له النفر فى الاول وهو المروى عن ابن عباس واختيار الفراء وقد روى ايضا عن ابى عبد الله ع فى قوله فمن تعجل فى يومين اى من مات فى هذين

اليومين فقد كفر عنه عن كل ذنب ومن تاخر اى من اتقى احله فلا اثم عليه بعدها اذا اتقى الكبائر وقوله واتقوا الله اى اجتنبوا
معاصى الله واعلموا انكم اليه تحشرون اى تجمعون انكم بعد موتكم تجمعون الى الموضع الذى يحكم بينكم ويجازيكم على اعمالكم قوله عز وجل
ومن الناس من يعجبك قوله فى الحيوة الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه وهو الد الخصام واذا تولى سعى فى الارض
ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد آية اللغة الاعجاب هو سرور المعجب بما يستحسن ومنه
العجب بالنفس هو السرور بها وسرور المعجب من الشئ استحسانا له وذلك اذا تعجب من شئ فتحسنه تقول عجب يعجب
عجبا واعجبه واستعجب الرجل اذا اشتد تعجبه قال الازهرى العجب كل شئ غير مالوف والالد الشديد الخصومة يقال منه لددت
تلد لددا ولدده يلده اذا غلبه فى الخصومة ولد الدواء فى الحلق اذا اوجره فى احد شقى فمه واللديدان جانبا الوادى ولديدا
كل شئ جانباه والالد الملتفت عن تحرى الخصام قيل انه جمع الخصم عن الزجاج وفعل اذا كان صفة فانه يجمع على فعال نحو صعب
وصعاب واذا كان اسما يجمع فى القلة على افعل وفى الكثرة على فعال كفرخ وافرخ وفراخ وقيل الخصام مصدر كالمخاصمة
عن الخليل والتولى هو الانحراف والزوال عن الشئ الى خلاف جهته وقوله سعى قد يكون بمعنى عمل ويكون بمعنى اسرع
قال الاعشى وسعى لكيد سعى غير واكل فنسى فزعدوها وبنى لها اى عمل بكيده والافساد هو عمل الضرر بغير استحقاق
ولا وجه من وجوه المصلحة والاهلاك العمل الذى ينفى الانتفاع والحرث الزرع والنسل العقب من الولد وقيل الحرث
كل نبات والنسل كل ذات روح فيقال نسل ينسل نسولا اذا خرج فسقط ومنه نسل وبر البعير وريش الطائر والناس نسل آدم
لخروجهم من ظهره واصل الباب النسول الخروج الاعراب ليفسد نصب باضمار ان ويجوز اظهارها بان يقال لان يفسد ولا يجوز
اظهار ان فى قوله لم يكن ما كان الله ليذر المؤمنين والفرق بينهما ان اللام فى ليفسد على اصل الاضافة فى الكلام واللام
فى ليذر لتاكيد النفى كما دخلت الباء فى ليس بقايم قال ابن عباس نزلت الآيات الثلث فى المراى لانه يظهر خلاف
ما يبطن وهو المروى عن الصادق عليه السلام انه غير المعنى وقال الحسن نزلت فى المنافقين وقال السدى نزلت فى الاخنس بن شريق
وكان يظهر الجميل بالنبى صلى الله عليه وآله والمحبة له والرغبة فى دينه ويبطن خلاف ذلك المعنى ثم بين سبحانه حال المنافقين بعد ذكر احوال
المؤمنين والكافرين فقال ومن الناس من يعجبك قوله اى يستحسن كلامه يا محمد ويعظم موقعه من قلبك فى الحيوة الدنيا
اى يقول آمنت بك وانا لك مصاحب ونحو ذلك ويشهد الله على ما فى قلبه اى يحلف بالله ويشهده على انه مضمر ما يقول
فيقول اللهم اشهد على به وضميره على خلافه وهو الد الخصام اى وهو اشد المخاصمين خصومة ومن قال ان الخصام مصدر
فمعناه وهو شديد الخصومة عند المخاصمة لجدل مبطل واذا تولى اى اعرض عن الحسن وقيل معناه ملك الامر وصار واليا
عن الضحاك معناه اذا ولى سلطانا جار وقيل تولى عن قوله الذى اعطاه عن ابن جريج سعى فى الارض اى اسرع فى المشى
من عندك وقيل عمل فى الارض ليفسد فيها مثل ليقطع الرحم ويسفك الدماء عن ابن جريج وقيل ليظهر الفساد ويعمل
بالمعاصى ويهلك الحرث والنسل اى البنات والاولاد وذكر الازهرى ان الحرث النساء والنسل الاولاد لقوله تعالى
نساؤكم حرث لكم وروى عن الصادق عليه السلام ان الحرث فى هذا الموضع الدين والنسل الناس والله لا يحب الفساد اى العمل بالفساد
وقيل اهل الفساد وفيه دلالة على بطلان قول المجبرة ان الله سبحانه نفى عن نفسه محبة الفساد والمحبة هى الارادة لان كل
ما احب الله ان يكون فقد اراد ان يكون وما لا يحب ان يكون لا يريد ان يكون قوله عز وجل واذا قيل له اتق الله اخذته
العزة بالاثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد آية اللغة الاتقاء طلب السلامة بما يحجز من المخافة واتقاء الله انما هو اتقاء عذابه
والاخذ ضد الاعطاء والعزة القوة التى يمتنع بها من الذلة والمهاد الوطاء من كل شئ وكل شئ وطاته فقد مهدته
المعنى ثم بين سبحانه صفة من تقدم من المنافقين فقال واذا قيل له اتق الله اى واذا قيل لهذا المنافق اتق الله فيما نهاك عنه من السعى فى الارض فسادا واهلاك الحرث والنسل اخذته العزة
بالاثم قيل فى معناه قولان احدهما حملته العزة وحمية الجاهلية على فعل الاثم ودعته اليه كما تقول اخذته بكذا اى الزمته

ذلك واخذته الحمى اى لزمته والثانى اخذته العزة من اجل الاثم الذى فى قلبه من الكفر عن الحسن فحسبه جهنم
اى فكفاه عقوبته من ضلاله ان يصلى نار جهنم ولبئس المهاد اى القرار عن الحسن كما قال فى موضع آخر وبئس القرار
كالوطاء فى الثبوت عليه وقيل انما سميت جهنم مهادا لانها بدل من المهاد كما قال سبحانه فبشرهم بعذاب اليم لانه موضع
البشرى بالنعيم على جهة البدل منه وفى هذه الآية دلالة على ان من تكبر عن قبول الحق كان مرتكبا اعظم كبيرة ولذلك
قال ابن مسعود ان من الذنوب التى لا تغفر ان يقال للرجل اتق الله فيقول عليك نفسك قوله عز وجل ومن الناس
من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤف بالعباد آية اللغة الشراء من الاضداد يقال شرى اذا باع وشرى اذا اشترى وقوله
وشروه بثمن بخس اى باعوه والمرضاة والرضا ضد السخط وقد تقدم معنى الرؤف الاعراب ابتغاء نصب لانه مفعول له كقول الشاعر
واغفر عوراء الكريم ادخاره واعرض عن شتم اللئيم تكرما النزول روى السدى عن ابن عباس قال نزلت هذه
الآية فى على بن ابى طالب عليه السلام حين هرب النبى صلى الله عليه وآله من المشركين الى الغار ونام على على فراش النبى صلى الله عليه وآله
ونزلت الآية بين مكة والمدينة وروى انه لما نام على فراشه قام جبرئيل عند راسه وميكائيل عند رجليه وجبرئيل
ينادى بخ بخ من مثلك يا ابن ابى طالب يباهى الله تعالى بك الملائكة وقال عكرمة نزلت فى ابى ذر الغفارى
جندب بن السكن وصهيب بن سنان لان اهل ابى ذر اخذوا ابا ذر فانفلت منهم فقدم على النبى صلى الله عليه وآله
فلما رجع مهاجرا عرضوا عنه فانفلت حتى نزلت على النبى صلى الله عليه وآله واما صهيب فانه اخذه المشركون من اهله
فافتدى منهم بماله ثم خرج مهاجرا وروى عن على عليه السلام وابن عباس ان المراد بالآية الرجل يقتل على الامر بالمعروف
والنهى عن المنكر وقال قتادة نزلت فى المهاجرين والانصار وقال الحسن هى عامة فى كل مجاهد فى سبيل الله
المعنى ثم عاد سبحانه الى وصف المؤمن الآمر بالمعروف فى قوله واذا قيل له اتق الله اى هذا القايل امر بالخير والمعروف
فقال ومن الناس من يشرى اى يبيع نفسه ابتغاء مرضات الله اى لابتغاء رضاء الله وانما اطلق عليه اسم البيع لانه انما
فعل المطلب رضاء الله كما ان البايع يطلب الثمن بالمبيع والله رؤف بالعباد اى واسع الرحمة بعبيده ويسلم ما حاولوه
من مرضاته وثوابه قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين آية القراءة
قرا اهل الحجاز والكسائى السلم بفتح السين والباقون بكسرها الحجة قال الاخفش السلم بكسر السين الصلح وفيه
ثلث لغات السلم والسلم والسلم وانشد انائل انى سلم لاهلك فاقبلى سلمى قال ابو عبيدة السلم بكسر السين والاسلام
واحد وهو فى موضع آخر المسالمة والصلح والسلم الاستسلام ومنه قوله تعالى ورجلا سلما لرجل اى مستسلما
له منقادا لما يريده منه فيكون مصدرا وصف به ويحتمل ايضا ان يكون فعلا بمعنى فاعل مثل بطل وحسن ونظيره
نكس ونقض وواسط ووسط الاعراب كافة معناه جميعا واشتقاقه فى اللغة مما يكف الشئ فى آخره ومن ذلك كفة
القميص لحاشيته لانها تمنعه من ان ينتشر وكل مستطيل فحرفه كفة وكل مستدير كفة نحو كفة الميزان واستكف
السايل وتكفف اذا بسط كفه للسوال وكل شئ جمعته فقد كففته واستكف القوم بالشئ اذا احدقوا به الاعراب
كافة منصوب على الحال من الواو فى ادخلوا وقيل هو حال من السلم ولكم يتعلق بمحذوف فهو فى موضع نصب على الحال
من عدو المعنى لما قدم سبحانه ذكر الفرق الثلث من العباد دعا جميعهم الى الطاعة والانقياد فقال يا ايها الذين آمنوا
اى صدقوا الله ورسوله ادخلوا فى السلم اى فى الاسلام اى دوموا فيما دخلتم فيه كقوله يا ايها الذين آمنوا بالله ورسوله
عن ابن عباس والسدى والضحاك ومجاهد وقيل معناه ادخلوا فى الطاعة عن الربيع وهو اختيار البلخى والكلام
يحتمل للامرين وحملها على الطاعة اعم ويدخل فيه ما رواه اصحابنا من ان المراد به الدخول فى الولاية كافة اى جميعا اى
ادخلوا جميعا فى الاسلام والطاعة والاستسلام وقيل معناه ادخلوا فى السلم اى فى جميع شرايع الاسلام ولا
بعضه ويؤيد هذا القول ما روى ان قوما من اليهود اسلموا وسالوا النبى صلى الله عليه وآله ان يبقى عليهم تحريم السبت وتحريم

لحم الابل فامرهم ان يلتزموا جميع احكام الاسلام ولا تتبعوا خطوات الشيطان اي آثاره ونزغاته لان ترككم شيئا من شرايع
الاسلام اتباع للشيطان انه لكم عدو مبين اي ظاهر العداوة بامتناعه من السجود لآدم بقوله لاحتنكن ذريته الا قليلا
قوله عز وجل فان زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا ان الله عزيز حكيم آية اللغة يقال زل الرجل يزل زللا وزلا
ومزلة اذا اذنب وزل في الطريق زليلا واصله من الزوال ومعنى الزلة الزوال عن الاستقامة والعزيز هو القادر
المنيع الذي لا يعجزه شيء واصل العزة الامتناع ومنه ارض عزاز اي شديدة بالشدة وقد ذكرنا معنى الحكيم فيما سبق
الاعراب ما حرف موصول جاءتكم صلته واعلموا جملة في محل الرفع لانها بعد الفاء في جواب الشرط الفاء مع الجملة في
محل الجزم او محل الرفع لانه جواب شرط مبني المعنى لما امر سبحانه عباده بالطاعة عقبه بالوعيد على تركها فقال فان زللتم
اي تنحيتم عن القصد وعدلتم عن الطريق القوي الذي امركم الله سبحانه بسلوكه من بعد ما جاءتكم البينات اي الحجج
والمعجزات فاعلموا ان الله سبحانه عزيز في نقمته لا يمنع شيء من بطشه وعقوبته حكيم في ما شرع من احكام دينه لكم
وفيما يفعله بكم من العقاب على معاصيكم بعد اقامة الحجة عليكم قوله عز وجل هل ينظرون الا ان يأتيهم الله في
ظلل من الغمام والملائكة وقضي الامر والى الله ترجع الامور آية القراءة قرأ ابو جعفر والملائكة بالجر والباقون بالرفع
وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي ترجع الامور بفتح التاء والباقون بضمها من قرأ الملائكة بالجر فانه عطفها
وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي ترجع الامور بفتح التاء والباقون بضمها الحجة من قرأ الملائكة بالجر فانه عطفها على الغمام
اي في ظلل الغمام وفي ظلل من الملائكة اي جماعة من الملائكة وقرأ السبعة بالرفع عطفا على قوله الله الا ان يأتيهم
الملائكة وحجة من قرأ ترجع الامور على بناء الفعل للمفعول به قوله ثم ردوا الى الله ولئن رددت الى ربي وحجة من قرأ ترجع
على بناء الفعل للفاعل الا الى الله تصير الامور اليه مرجعكم اللغة النظر هنا بمعنى الانتظار كما في قول الشاعر فبينا نحن ننظره اتانا
معلق شكوة وزناد راع اي ننتظره واصل النظر الطلب لادراك الشيء واذا استعمل بمعنى الانتظار فلان المنتظر يطلب ادراك
ما يتوقع واذا كان بمعنى الفكر بالقلب فلان المتفكر يطلب به المعرفة واذا كان بالعين فلان الناظر يطلب رؤية المرئي
والظلل جمع ظلة وهي ما يستظل به والشمس وسمي به السحاب ظلة لانه يستظل به والغمام السحاب الابيض الرقيق سمي بذلك
لانه يغم اي يستر الاعراب هل حرف استفهام بمعنى النفي الا هنا استثناء النفي ان يأتيهم الله في موضع نصب بينظرون من الغمام
يتعلق بمحذوف فهو جملة ظرفية في موضع الجر صفة لظلل المعنى ثم عقب سبحانه ما تقدم من الوعيد بوعيد آخر فقال
هل ينظرون الا ان يأتيهم في ظلل من الغمام اي هل ينتظر هؤلاء المكذبون بآيات الله الا ان يأتيهم امر الله عذابا
امر الله وما توعدهم به على معصيته في ستر من السحاب وقيل في قطع من السحاب وهذا كما يقال قتل الامير فلانا وضربه
واعطاه وان لم يتول شيئا من ذلك بنفسه بل فعل بامره فاسند اليه لامره به وقيل معناه ما ينتظرون الا ان يأتيهم
جلائل آيات الله غير انه ذكر نفسه تفخيما للآيات كما يقال دخل الامير البلد ويراد بذلك جنده وانما ذكر الغمام ليكون
اهول فان الاهوال تشبه بظلل الغمام كما قال سبحانه واذا غشيهم موج كالظلل وقال الزجاج معناه يأتيهم الله بما وعدهم
من العذاب والحساب كما قال فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا اي اتاهم بخذلانه اياهم هذه والاقوال المتقاربة
المعنى بل المعنى الجميع واحد اي هل ينتظرون الا يوم القيامة وهو استفهام يراد به النفي والانكار اي ما ينتظرون
كما يقال هل يطالب بمثل هذا الا متعنت اي ما يطالب ومثله في التنزيل هل ينظرون الا ان تأتيهم الملائكة او يأتي
امر ربك وقد يقال اتى وجاء فيما لا يجوز عليه المجيء والذهاب يقولون اتاني وعيد فلان وجاءني كلام فلان واتاني
حديثه ولا يراد به الاتيان الحقيقي قال الشاعر اتاني فلم اسر به حين جاءني حديث باعلى القنتين عجيب وقال آخر اتاني
نصرهم وهم بعيد بلادهم بارض انا حران واما قوله والملائكة فقد ذكرنا الوجه في رفعه وجره وقيل معنى الآية
الا ان يأتيهم الله بظلل من الغمام اي بجلائل آياته وبالملائكة وقوله وقضي الامر معناه وجب العذاب اي عذاب

الاستئصال وهذا في الدنيا والى الله ترجع الامور اي اليه ترد الامور في سؤاله عنها ومجازاته عليها وكانت الامور كلها في الابتداء
فملك بعضها في الدنيا غيره ثم يصير كلها منها في الحشر لا يملك احد هناك شيئا وقيل اليه يرجع الامور الدنيا والآخرة قوله عز وجل سل بني اسرائيل
كم في موضع نصب ... مفعول ثان لآتينا وانما وجب ... كم آتيناهم من آية بينة ومن يبدل نعمة الله من آية الاعراب
بعد ما جاءته فان الله شديد العقاب
كم في موضع نصب لانه مفعول ثان لآتينا وانما وجب صدر الكلام لتضمنه معنى الاستفهام ثم ان هذه الجملة التي هي كم آتيناهم من آية
قد وقعت موقع المفعول الثاني كقولك سل من آية يتعلق بآتينا ايضا وما حرف موصول جاءته صلته والموصول والصلة
في موضع جر باضافة بعد اليه المعنى سل يا محمد بني اسرائيل اي اولاد يعقوب وهم اليهود الذين كانوا حول المدينة
والمراد به علماؤهم وهو سؤال تقريع لتأكيد الحجة عليهم كم آتيناهم اعطيناهم من آية بينة من حجة واضحة ظاهرة مثل
اليد البيضاء وقلب العصا حية وفلق البحر وتظليل الغمام عليهم وانزال المن والسلوى عن الحسن ومجاهد وقيل كم من حجة
واضحة لمحمد دالة على صدقه عن الجبائي ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته في الكلام حذف وتقديره فبدلوا نعمة الله وكفروا
بآياته وخالفوه فضلوا واضلوا ومن يبدل الشكر عليها بالكفران وقيل من يصرف ادلة الله عن وجوهها بالتأويلات الفاسدة
الخالية من البرهان فان الله شديد العقاب له وقيل شديد العقاب لمن عصاه فيدخل فيه هذا المذكور وفي الآية دلالة على
فساد قول المجبرة في انه ليس لله سبحانه على الكافر نعمة لانه حكم عليهم بتبديل نعم الله كما قال في موضع آخر يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها
ونحو ذلك ومن وجه آخر وهو انه اضاف التبديل اليهم واوعدهم عليه بالعقوبة فلو لم يكن فعلهم لما استحقوا العقوبة والتبديل
هو ان يحرف او يكتم او يتأول على خلاف جهته كما فعلوه في التوراة والانجيل كما فعله مبتدعة الامة في القرآن النظم لما بين سبحانه
شرايع وان الناس فيها ثلث فرق مؤمن وكافر ومنافق ثم وعد واوعد بين ذلك ان ترك الايمان ليس لتقصير في الحجج ولكن
لسوء طباعهم وخبث افعالهم فقد فعلوا قبلك يا محمد هذا الصنع فقال سل بني اسرائيل قوله عز وجل زين للذين كفروا الحيوة
الدنيا ويسخرون من الذين آمنوا والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة والله يرزق من يشاء بغير حساب آية اللغة التزيين والتحسين
واحد وزين خلاف شين والزينة اسم جامع لكل ما يتزين به الاعراب الدنيا صفة الحيوة بغير حساب جار ومجرور الجار والمجرور في
محل النصب على الحال والعامل فيه يرزق وذو الحال الضمير في يرزق او الموصول الذي هو من يشاء وتقديره غير محاسب اي
غير محاسب النزول نزلت الآية في ابي جهل وغيره من رؤساء قريش بسطت لهم الدنيا وكانوا يسخرون من قوم من المؤمنين
فقراء مثل عبد الله بن مسعود وعمار وبلال وخباب ويقولون لو كان محمد نبيا لاتبعه اشرافنا عن ابن عباس وقيل نزلت في عبد الله
بن ابي واصحابه وكانوا يسخرون من ضعفاء المؤمنين عن مقاتل وقيل نزلت في رؤساء اليهود وعلمائهم سخروا من فقراء المهاجرين عن عطا
ولا مانع من نزولها في جميعهم المعنى ثم بين سبحانه ان علتهم عن الايمان انما هو الايثار لنعيم الحيوة الدنيا فقال زين للذين كفروا الحيوة
الدنيا وفيه قولان احدهما ان الشيطان زينها لهم بان قوى دواعيهم وحسن فعل القبيح والاخلال بالواجب اليهم فاما الله سبحانه
لا يجوز ان يكون مزينا لهم اياها لانه زهدهم فيها واعلم انها متاع الغرور وقال قل متاع الدنيا قليل عن الحسن
والجبائي والآخر ان الله سبحانه زينها لهم بان خلق فيها الاشياء المعجبة المحبوبة وبما خلق لهم من الشهوة لها كما قال زين للناس حب الشهوات
من النساء والبنين وانما كان كذلك لان التكليف لا يتم الا مع الشهوة فان الانسان انما يكلف بان يدعي الحق بنفسه
عنه او يزجر عن شيء تتوق نفسه اليه وهذا معنى قول النبي صلى الله عليه حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات وانما ذكر الفعل
وهو مسند الى الحيوة لان تأنيث الحيوة غير حقيقي وهي بمعنى العيش والبقاء ونحوهما ولانه فصل بين الفعل والفاعل
بقوله للذين كفروا واذا قالوا في التأنيث الحقيقي حضر القاضي اليوم امرأة وجوزوا التذكير فيه فهو في التأنيث غير
حقيقي اجوز ويسخرون من الذين آمنوا اي ويهزؤن من المؤمنين لفقرهم وقيل لايمانهم بالبعث وجدهم في ذلك
وقيل لزهدهم في الدنيا ويمكن حمله على الجميع اذ لا تنافي بين هذه الاقوال والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة اي الذين
اجتنبوا الكفر فوق الكفار في الدرجات وقيل اراد ان نعيم هؤلاء في الآخرة اكثر من استمتاع هؤلاء بنعيم الدنيا وقيل اراد ان حالهم

في الآخرة فوق هولاء الكفار لانهم في عليين وهولاء في سجين وهذا كقوله اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا
وقيل انه اراد ان حال المومنين في الهزء بالكفار والضحك منهم في الآخرة فوق
حال هولاء في الدنيا ويدل على ذلك قوله سبحانه ان الذين اجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون الى قوله فاليوم الذين
آمنوا من الكفار يضحكون والله يرزق من يشاء بغير حساب قيل فيه اقوال احدها ان معناه يعطيهم الكثير الواسع الذي
لا يدخله الحساب من كثرته وثانيها انه لا يرزق الناس في الدنيا على مقابلة اعمالهم وايمانهم وكفرهم فلا يدل بسط الرزق
للكافر على منزلته عند الله وان قلنا ان المراد به في الآخرة فمعناه ان الله لا يثيب المومنين في الآخرة على قدر اعمالهم
التي سلفت منهم بل يزيدهم فضلا وثالثها انه يعطيه عطاء لا يأخذه بذلك احد ولا يسأله عنه سائل ولا يطلب عليه جزاء
ولا مكافاة ورابعها انه يعطي العدد من الشيء لا يضبط بالحساب ولا يأتي عليه العدد لان ما لا نهاية عليه عنده ولا يحصى
فهو يعطي الشيء لا من عدد اكثر منه فينقص منه كمن يعطي الالف من الالفين والعشرة من المائة عن قطرب وخامسها ان
معناه يعطي اهل الجنة ما لا يتناهى ولا يأتي عليه الحساب وكل هذه الوجوه جائز حسن قوله عز وجل كان الناس امة
واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه
وما اختلف فيه الا الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين
آمنوا لما اختلفوا فيه باذنه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم آية قرا ابو جعفر
القاري وحده ليحكم بضم الياء وفتح الكاف والباقون بفتح الياء وضم الكاف القراءة وجه القراءة الظاهرة ان الكتاب
يحكم ويكون على التوسع كقوله سبحانه هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق ويجوز ان يكون فاعل يحكم الله اي ليحكم الله في عباده ووجه
قراءة ابي جعفر ظاهر اللغة الامة على وجوه ذكرناها عند قوله تلك امة قد خلت ونعني ههنا معنى الملة والدين الاعراب
مبشرين ومنذرين نصب على الحال وبغيا بينهم نصب على انه مفعول له اي لم يوقعوا الاختلاف الا للبغي ويجوز ان يكون مصدرا
وقع موقع الحال وما اسم موصول واختلفوا صلته واللام تتعلق بهدى ومن الحق في موضع الحال من الموصول والعامل
فيه هدى والباء في باذنه يتعلق بهدى المعنى ثم بين سبحانه احوال من تقدم من الكفار تسلية للنبي ص فقال كان الناس
امة واحدة اي ذوي امة واحدة اي اهل ملة واحدة وعلى دين واحد فحذف المضاف واختلف في انهم على اي دين كانوا
فقال قوم انهم كانوا على الكفر وهو المروي عن ابن عباس في احدى الروايتين والحسن واختاره الجبائي ثم اختلفوا في
اي وقت كانوا كفارا فقال الحسن كانوا كفارا بين آدم ونوح عليهما السلام وقال بعضهم كانوا كفارا بعد نوح الى
ان بعث الله ابرهيم والنبيين بعده وقال بعضهم كانوا كفارا عند مبعث كل نبي وهذا غير صحيح لان الله تعالى بعث
كثيرا من الانبياء الى المومنين فان قيل كيف يجوز ان يكون الناس كلهم كفارا والله سبحانه لا يجوز ان يخلي الارض من
حجة له على خلقه قلنا يجوز ان يكون الحق هناك في واحد او جماعة قليلة لم يمكنهم اظهار الدين خوفا وتقية فلم يعتد
بهم اذ كانت الغلبة للكفار وقال آخرون انهم كانوا على الحق وهو المروي عن قتادة ومجاهد وعكرمة والضحاك
وابن عباس في الرواية الاخرى ثم اختلفوا فقال ابن عباس وقتادة هم كانوا بين آدم ونوح وهم عشرة قرون كانوا على شريعة
من الحق واختلفوا بعد ذلك وقال الواقدي والكلبي هم اهل سفينة نوح حين غرق الله الخلق ثم اختلفوا بعد ذلك
فالمعنى على قول هولاء كان الناس امة واحدة فاختلفوا فبعث الله النبيين وقال مجاهد المراد بالناس آدم كان على الحق اماما
لذريته فبعث الله النبيين في ولده وروي عن ابي جعفر الباقر ع انه قال كانوا قبل نوح امة واحدة على فطرة الله لا مهتدين
ولا ضلالا فبعث الله النبيين وعلى هذا فالمعنى انهم كانوا متعبدين بما في عقولهم غير مهتدين الى نبوة ولا شريعة ثم بعث
النبيين بالشرائع لما علم ان مصالحهم فيها فبعث الله اي ارسل الله النبيين مبشرين لمن اطاعهم بالجنة ومنذرين لمن عصاهم
بالنار وانزل معهم الكتاب اي انزل مع كل واحد منهم الكتاب وقيل معناه وانزل مع بعضهم الكتاب لان الانبياء لم يكونوا

منزلين حتى نزل معهم وانما اراد به من بعضهم لانه لم ينزل مع كل نبي كتاب وقيل المراد به الكتب لان الكتاب اسم الجنس فمعناه الجمع
وقوله بالحق اي بالصدق والعدل وقيل معناه ما دل الكتاب بانه حق وانه من عند الله تعالى وقيل معناه وانزل الكتاب بما
فيه من بيان الحق وقوله ليحكم بين الناس الضمير في يحكم يرجع الى الله اي ليحكم الله منزل الكتاب وقيل يرجع الى الكتاب اي ليحكم
الكتاب فاضاف الحكم الى الكتاب وان كان الله هو الذي يحكم على جهة التفخيم لامر الكتاب فيما اختلفوا فيه من الحق قبل
انزال الكتاب ومتى سأل سائل عن هذا فقيل اذا كانوا مختلفين في الحق فكيف عمهم الكفر في قول من قال انهم كانوا كلهم كفارا
فجوابه انه لا يمتنع ان يكونوا كفارا وبعضهم يكفر من جهة الغلو وبعضهم من جهة التقصير كما كفرت اليهود والنصارى في
المسيح ع فقالت النصارى هو رب وقالت اليهود هو كاذب وقوله وما اختلف فيه الا الذين
اوتوه معناه وما اختلف في الحق الا الذين اعطوا العلم به كاليهود فانهم كتموا صفة النبي ص بعد ما اعطوا العلم به من
بعد ما جاءتهم البينات اي الادلة والحجج الواضحة وقيل التوراة والانجيل وقيل معجزات محمد ص بغيا بينهم اي ظلما وحسدا
وطلبا للرياسة وقوله فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه معناه فهدى الله الذين آمنوا للحق مما اختلفوا
فيه بعلمه والاذن بمعنى العلم مشهور في اللغة قال الحارث بن حلزة آذنتنا ببينها اسماء اي اعلمتنا وانما خص المومنين لانهم اختصوا
بالاهتداء وقيل ان معنى باذنه بلطفه فعلى هذا يكون في الكلام محذوف اي فاهتدوا باذنه وانما قال هداهم لما اختلفوا
فيه من الحق ولم يقل هداهم للحق فيما اختلفوا فيه لانه لما كانت العناية بذكر الاختلاف كان اولى بالتقديم ثم
فسره بمن والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم فيه اقوال احدها ان المراد به البيان والدلالة والصراط المستقيم
هو الاسلام وخص به المكلفين دون غيرهم ممن لا يحتمل التكليف عن الجبائي وثانيها ان المراد به يهديهم باللطف فيكون
خاصا بمن علم من حاله انه يصلح به عن البلخي وابن الاخشيد وثالثها ان المراد به يهديهم الى طريق الجنة اي يدخلهم على طريقها
فيكون مخصوصا بالمومنين قوله تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء
والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله الا ان نصر الله قريب
آية القراءة قرأ نافع وحده حتى يقول بالرفع والباقون بالنصب الحجة من نصب فالمعنى وزلزلوا الى ان قال الرسول
وما ينتصب بعد حتى من الافعال على ضربين احدهما ان يكون بمعنى الى كما في الآية والآخر ان يكون بمعنى كي كما تقول
اسلمت حتى ادخل الجنة فهذا تقديره اسلمت كي ادخل الجنة فالاسلام قد كان والدخول لم يكن وفي الوجه الاول
كلا الفعلين السبب والمسبب قد مضى واما من قرأ بالرفع فالفعل الواقع بعد حتى لا يكون الا فعل حال ويجيء ايضا
على ضربين احدهما ان يكون الفعل الاول الذي هو السبب قد مضى والفعل الثاني المسبب لم يمض كما تقول مرض حتى لا يرجونه
ووجه الآية على هذا الوجه لان المعنى زلزلوا فيما مضى حتى ان الرسول يقول الآن متى نصر الله وحكيت الحال التي كانوا
عليها كما حكيت الحال في قوله هذا من شيعته وهذا من عدوه والثاني ان يكون الفعلان جميعا قد مضيا نحو سرت
حتى ادخلها فالدخول متصل بالسير بلا فصل بينهما والحال محكية عما كانت في الوجه الاول الا انه في ماضي لا يكون حالا
وحتى اذا رفع الفعل بعدها حرف يستأنف الكلام بعدها وليست العاطفة ولا الجارة واذا انتصب الفعل بعدها
فهي الجارة وينتصب باضمار ان كما ينتصب بعد اللام والفعل وان المضمر معها في موضع جر بحتى اللغة الزلزلة شدة الحركة
والزلزال الثلاثة المعجمة بشدة الحركة والجمع زلازل واصله من قولك زال الشيء عن مكانه ضوعف لفظه بمضاعفة
معناه نحو صر وصرصر وصل وصلصل فاذا قلت زلزلته فتأويله كررت تحريكه عن مكانه الاعراب ام هذه هي المنقطعة ومعناه
بل احسبتم والعرف ام احسبتم واحسبتم ان ام لا يكون الاستئناف كلام والالف يكون مستأنفا ان تدخلوا موصول
وصلة في موضع نصب بانه مفعول حسبتم وقد سد اسد مفعوليه وقيل مفعول الثاني محذوف وتقديره ام حسبتم
دخولكم الجنة واقعا والجنة ظرف مكان لدخل ولما اصلها لم زيد عليها ما فغيرت معناها كما غيرت معنى لو اذا قلت لوما

فيه يعني هل ام الفرق بين لم ولما ان لما يصح ان يوقف عليها مثل قولك في جواب من يقول اقدم الامير لما يركب ولا يجوز ان يقول
لم … لما تتوقع لانها عقيبه قد اذا انتظر قوم ركوب الامير قلت قد ركب فان نفيت هذا قلت لما يركب وليس كذلك لم وجميعها
نفي الماضي النزول قيل نزلت يوم الخندق لما اشتدت المخافة وحصر المسلمون في المدينة فدعاهم الله تعالى الى
الصبر ووعدهم بالنصر عن قتاده والسدي وقيل نزلت في حرب احد لما قال عبد الله بن ابي لاصحاب النبي صلى الله عليه واله الى متى تقتلون
انفسكم لو كان محمد نبيا ما سلط الله عليه الاسر والقتل وقيل نزلت في المهاجرين من اصحاب النبي الى المدينة اذ تركوا
ديارهم واموالهم ومسهم الضر عن عطا المعنى ثم ذكر سبحانه ما جرى على المؤمنين من الامم الخالية تسلية لنبيه وللمؤمنين فقال ام حسبتم
من المؤمنين وايناسا لهم لان سماع اخبار الصالحين يرغب في مثل احوالهم فقال ام حسبتم معناه بل ظننتم وخلتم ايها المؤمنون
ان تدخلوا الجنة فلما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم معناه ولما يجيئوا ويصيبكم مثل ما امتحنوا به فتصبروا كما صبروا
وهذا استدعاء الى الصبر وبعده الوعد بالنصر والمثل والمثل مثل الشبه والشبه اي يصيبكم شبه الذين خلوا
اي مضوا من قبلكم من النبيين والمؤمنين وفي الكلام حذف وتقديره مثل محنة الذين او مصيبة الذين مضوا ثم ذكر
سبحانه ما اصاب اولئك فقال مستهم الباساء والضراء والمس واللمس واحد والباساء نقيض النعماء والضراء نقيض
السراء وقيل الباساء القتل والضراء الفقر وقيل هو ما يتعلق بمضار الدين من حرب وخروج من الاهل والمال واخراج
… وزلزلوا اي حركوا بانواع البلايا وقيل معناه هنا ازعجوا بالمخافة من العدو
وذلك لفرط الحيرة حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله قيل هذا استعجال للموعود كما يفعله الممتحن وانما قاله
الرسول استبطاء للنصر على جهة التمني وقيل ان معناه الدعاء لله بالنصر ولا يجوز ان يكون على جهة الاستبطاء لنصر الله
لان رسول الله يعلم ان الله لا يؤخره عن الوقت الذي توجبه الحكمة ثم اخبر سبحانه بانه ناصر اوليائه لا محالة فقال الا ان
نصر الله قريب وقيل انه … هذا من كلامهم بانهم قالوا عند الاياس متى نصر الله ثم تفكروا فعلموا ان الله سبحانه منجز وعده
فقالوا الا ان نصر الله قريب وقيل انه ذكر كلام الرسول والمؤمنين جملة وتفصيله وقال المؤمنون متى نصر الله وقال الرسول
الا ان نصر الله قريب كقوله سبحانه جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله اي لتسكنوا بالليل ولتبتغوا من
فضله بالنهار قوله تعالى يسالونك ماذا ينفقون قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل
وما تفعلوا من خير فان الله به عليم آية اللغة النفقة اخراج الشيء من الملك ببيع او هبة او صلة او غير ذلك وقد غلب
في العرف على اخراج ما كان من المال من عين او ورق والسؤال طلب الجواب بصيغة مخصوصة من الكلام الاعراب
موضع ما من قوله ماذا ينفقون يحتمل الرفع والنصب فاما الرفع فيكون على تقدير ما الذي ينفقون اي اي الشيء الذي
ينفقونه والعائد الى الصلة محذوف ويكون ذا موصولا بمنزلة الذي وينفقوا صلته والنصب على تقدير اي شيء ينفقون
فيكون ماذا بمنزلة الذي شيئا واحدا ويكون ذا لغوا لان ما مفيد للمعنى وما اسم للشرط في محل الرفع بالابتداء وانفقتم في
محل الجزم جزاء ومجرور في موضع الحال … من للتبيين وتقديره ما انفقتموه كائنا من خير … والحال والضمير المحذوف
من الصلة وللوالدين الجار والمجرور خبر مبتدا محذوف والمبتدا والخبر في محل الرفع لوقوعهما بعد الفاء التي
مع ما بعده جواب للشرط ومعنى حرف الشرط الذي يتضمنه ما مع الشرط والجزاء في موضع رفع لانها خبر المبتدا الاول وما تفعلوا
ما اسم شرط في محل النصب بتفعلوا ويجوز ان يكون ما في ما انفقتم منصوب الموضع بانفقتم فيكون مفعولا النزول
نزلت في عمرو بن الجموح وكان شيخا كبيرا ذا مال كثير فقال يا رسول الله ماذا اتصدق وعلى من اتصدق فانزل الله هذه الآية
المعنى يسالونك يا محمد اي شيء ينفقون والسؤال عن الانفاق يتضمن السؤال عن المنفق عليه لانهم قد علموا ان الامر في الانفاق
المال فجاء الجواب ببيان كيفية النفقة وعلى من ينفق فقال قل يا محمد ما انفقتم من خير اي مال فدل على ان ليس الا
وانه مما ينتفع به لان ما لا ينتفع به لا يسمى خيرا فللوالدين والاقربين والمراد بالوالدين الاب والام والجد والجدة وان علوا

123

يدخلون في اسم الوالدين والمراد بالاقربين اقارب المعطي واليتامى اي كل من لا اب له مع صغره والمساكين الفقراء وابن السبيل المنقطع
به واختلفوا في هذه النفقة فقال الحسن المراد به نفقة التطوع على من لا يجوز وضع الزكوة عنده والزكوة لمن يجوز وضع الزكوة
عنده والزكوة لمن يجوز وضع الزكوة عنده فهي عامة في الزكوة المفروضة وفي التطوع وقال السدي الآية واردة في الزكوة ثم نسخت
ببيان مصارف الزكوة والاول اظهر لانه لا دليل على نسخها واتفق العلماء على انه لا يجوز دفع الزكوة الى الاب والام والجد والجدة
والاولاد فاما النفقة فلا خلاف ان النفقة على الوالدين اذا كانا فقيرين واجبة اما النفقة على ذوي الرحم فلا تجب عندنا وعند
الشافعي وتجب عند ابي حنيفة وقوله وما تفعلوا من خير اي من عمل صالح يقربكم الى الله فان الله به عليم يجازيكم به ومن عز ان
يضيع منه شيء لانه سبحانه لا يخفى عليه شيء النظم ووجه اتصال هذه الآية بما قبلها ان الآية الاولى حثت على الصبر على الجهاد
في سبيل الله وفي هذا بيان لوجوب النفقة في سبيل الله وكل ذلك دعاء الى فعل البر والطاعة قوله عز وجل كتب عليكم القتال
وهو كره لكم وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم
وانتم لا تعلمون آية اللغة الكره بالفتح المشقة التي تحمل على النفس والكره بالضم المشقة حمل على النفس
او لم يحمل وقيل الكره الكراهة والكره المشقة وقد يكره الانسان ما لا يشق عليه وقد يشق عليه ما لا يكرهه
وقيل الكره لغتان مثل الضعف والضعف والخير نقيض الشر والخير النفع الحسن والشر الضرر القبيح وهذا هو الاصل ثم يستعملان في غير
ذلك توسعا ويقال شيء يشر بشارة وشرر النار وشررها لهبها وشرة الشباب نشاطها وتشرير اللحم او الثوب ان يبسطه
ليجف والاشرار الاظهار الاعراب وهو كره لكم فيه حذف وتقديره وهو ذو كره لكم ويجوز ان يكون معناه وهو مكروه لكم
فوقع المصدر موقع المفعول ومثله رجل رضا اي ذو رضا ويجوز ان يكون بمعنى مرضي وعسى ان تكرهوا رفع بانه فاعل عسى
وعسى هذه تامة لانها تمت بالفاعل ولم يحتج الى خبر المعنى هذه الآية بيان لكون الجهاد مصلحة لمن امر به فقال سبحانه كتب عليكم
القتال اي فرض عليكم الجهاد في سبيل الله فهو كره لكم اي شاق عليكم تكرهونه كراهة طباع لا على وجه السخط وقد يكون الشيء
مكروها عند الانسان طبعه ومن حيث تنفر نفسه عنه وان كان يريده لان الله تعالى امره بذلك كالصوم في الصيف وقيل معناه
انه مكروه لكم قبل ان يكتب عليكم لان المؤمنين لا يكرهون ما كتب الله عليهم وعسى ان تكرهوا شيئا معناه وقد تكرهون شيئا في الحال
وهو خير لكم في عاقبة اموركم كما تكرهون القتال لما فيه من المخاطرة بالروح وهو خير لكم لان لكم في الجهاد احدى الحسنيين اما الظفر
والغنيمة واما الشهادة والجنة وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم اي وتحبون ما هو شر لكم وهو القعود عن الجهاد
لمحبة الحيوة وهو شر لما فيه من الذل والفقر في الدنيا وحرمان الغنيمة والاجر في العقبى والله يعلم اي يعلم ما فيه من مصالحكم
ومنافعكم وما هو خير لكم في عاقبة امركم وانتم لا تعلمون ذلك فبادروا الى ما يامركم به وان شق عليكم واجمع المفسرون
الا عطاء ان هذه الآية دالة على وجوب الجهاد وفرضه غير انه فرض على الكفاية حتى لو قعد جميع الناس عنه اثموا به
وان قام به من في قيامه كفاية وغناء سقط عن الباقين وقال عطاء ان ذلك كان واجبا على الصحابة ولم يجب على غيرهم
وقوله شاذ عن الاجماع قوله عز وجل يسالونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به
والمسجد الحرام واخراج اهله منه اكبر عند الله والفتنة اكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا ومن يرتدد منكم عن
دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون
آية اللغة الصد المنع والصرف نظائر يقال صد عن الشيء يصد صدا وصدودا اذا اعرض عنه وعدل وصد غيره يصده
صدا اذا عدل به عنه ومنعه والصدد ما استقبلك وصار في قبالتك لانه يعدل الى مواجهتك والصدان ناحية
الشعب والوادي والصدا … الجدار … ذلك … والصدا الموضع لانه يعدل … الرواحل
… العدو ولا يزال اصله من الزوال وهو العدول ومعنى لا يزال يدوم موجودا او ما زال اي دام وحمل على الرجل حبطا
وحبوطا واحبطه الله ابطله والحبط … الماشية في بطونها لاكل الخباط وهو ضرب من الكلأ يقال حبطت الابل تحبط
حبطا اذا اصابها ذلك وسمي الهلاك حبطا وفي الحديث ان مما ينبت الربيع ما يقتل حبطا او يلم الاعراب مالهم مجرور على البدل

من الشهر وهو بدل الاشتمال لان الزمان يشتمل على ما يقع فيه ومثله في المكان قوله قتل اصحاب الاخدود النار وقال الاعشى لقد كان
في حول ثواء ثويته تقضى لبانات ويسأم سائم وقال الكوفيون هو مجرور باضمار عن وقال بعضهم هو على التكرير وهذه الفاظ متقاربة
في العبارة وان اختلفت في العبارة عنه وقوله قتال مرفوع بالابتداء وكبير خبره وصد عن سبيل الله مبتدأ وكفر به معطوف عليه
واخراج اهله منه معطوف ايضا وخبره اكبر عند الله اي هذه الاشياء اكبر عند الله اي اعظم اثما واجاز الفراء صد على وجهين احدهما
انه مردود على كبير اي قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به اي القتال قد جمع انه كبير وانه صد عن سبيل الله وكفر والآخر
ان يجعل الصد كبيرا اي القتال فيه كبير والصد عن سبيل الله كبير فيكون مرتفعا بالابتداء وخبره محذوف وخطأه العلماء بالنحو
قالوا لانه يصير المعنى في التقدير الاول قتل القتال في الشهر الحرام كفر بالله وهذا خطأ بالاجماع وللفراء ان يقول هذا المعنى
واخراج اهله منه اكبر من القتل فيه لا من الكفر لان المعنى في اخراج اهله منه اخراج النبي والمؤمنين منه فالوجه
الاول لانه يخلص للفراء منه والمسجد الحرام مجرور عطف على سبيل الله كانه قال وصد عن سبيل الله وعن المسجد الحرام وهو
قول المبرد وقيل انه عطف على الشهر الحرام كانه قال يسألونك عن القتال في الشهر الحرام والمسجد الحرام وهو قول الفراء ولا يجوز
حمله على الباء في قوله وكفر به لانه لا يعطف على المضمر المجرور الا باعادة الجار الا في ضرورة الشعر ومن يرتدد على اظهار التضعيف
بسكون الثاني وحرك يرتد بفتح الدال عن التحريك لالتقاء الساكنين باخف الحركات ويجوز بكسر الدال على اصل التحريك لالتقاء
الساكنين والفتح اجود النزول قال المفسرون بعث رسول الله ص سرية من المسلمين وامر عليهم عبد الله بن جحش الاسدي وهو ابن
عمة النبي ص وذلك قبل قتال بدر بشهرين على راس سبعة وعشرين شهرا من مقدمه المدينة فانطلقوا حتى هبطوا نخلة فوجدوا
فيها عمرو بن الحضرمي في تجارة لقريش في آخر يوم من جمادى الآخرة وكانوا يرون انه من جمادى وهو رجب فاختصم المسلمون فقال قايل
منهم هذه غرة من عدو وغنم رزقتموه ولا ندري امن الشهر الحرام هذا اليوم ام لا فقال قايل منهم لا نعلم هذا اليوم
الا من الشهر الحرام ولا نرى ان تستحلوه لطمع اشفيتم عليه فغلب على الامر الذين يريدون عرض الدنيا فشدوا على ابن الحضرمي
فقتلوه وغنموا عيره فبلغ ذلك كفار قريش وكان ابن الحضرمي اول قتيل قتل بين المسلمين والمشركين وذلك اول فيء اصابه المسلمون
فركب وفد كفار قريش حتى قدموا على النبي ص فقالوا ايحل القتال في الشهر الحرام فانزل الله هذه الآية المعنى يسألونك يا محمد
والسائلون اهل الشرك على جهة العيب للمسلمين باستحلالهم القتال في الشهر الحرام عن الحسن واكثر المفسرين وقيل السائلون اهل الاسلام
سألوا عن ذلك ليعلموا كيف الحكم فيه عن الشهر الحرام قتال فيه يعني عن قتال في الشهر الحرام وهو رجب سمي بذلك لتحريم القتال
فيه ولعظم حرمته ولذلك كان يسمى في الجاهلية منزع الاسنة ومنصل الآل لانهم كانوا ينزعون الاسنة والنصال عند دخوله
انطواء على ترك القتال فيه وكان يسمى الاصم لانه لا يسمع فيه قعقعة السلاح فنسب الصمم اليه كما قيل ليل نائم وسر كاتم فكان
الناس لا يخاف بعضهم بعضا ويامن السبيل الى ان ينقضي الشهر قل يا محمد قتال فيه اي في الشهر الحرام كبير اي ذنب عظيم ثم استانف
فقال وصد عن سبيل الله وكفر به اي والصد عن سبيل الله والكفر بالله والمسجد الحرام والصد عن المسجد الحرام وعلى القول الآخر
معناه يسألونك عن قتال في الشهر الحرام وعند المسجد الحرام منه اي من المسجد اكبر اي اعظم وزرا عند الله يعني اخراجهم المسلمين
لاخراجهم المسلمين من مكة حتى هاجروا الى المدينة والظاهر يدل على ان القتال في الشهر الحرام كان محرما لقوله قل قتال فيه كبير وذلك
لا يقال الا فيما هو محرم محظور وقيل ان النبي ص قتل ابن الحضرمي وقوله والفتنة اكبر من القتل معناه الفتنة في الدين وهو الكفر
اعظم من القتل في الشهر الحرام يعني قتل ابن الحضرمي وقال قتادة وغيره ان تحريم القتال في الشهر الحرام وعند المسجد الحرام منسوخ
بقوله وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة وبقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقال عطاء هو باق على التحريم وعندنا انه على التحريم فيمن
يرى لهذه الاشهر حرمة ولا يبتدؤن فيها بالقتال وكذلك في الحرم وانما اباح الله للنبي ص قتال اهل مكة عام الفتح فقال ص
ان الله احلها لي في هذه الساعة ولا يحلها لاحد من بعدي الى يوم القيامة ومن لا يرى منهم حرمة الحرم وحرمة هذه الاشهر جاز قتاله
اي وقت كان والتحريم منسوخ في حقه وقوله ولا يزالون يقاتلونكم يعني اهل مكة يقاتلونكم يا معشر المسلمين حتى يردوكم عن دينكم
اي يصرفونكم عن دين الاسلام ويلجؤكم الى الارتداد ان استطاعوا اي ان قدروا على ذلك ومن يرتدد منكم عن دينه

هذا تحذير عن الارتداد ببيان استحقاق العقاب عليه فيمت وهو كافر يعني يموت على كفره فاولئك حبطت اعمالهم في الدنيا
والآخرة معناه وذلك انها صارت بمنزلة ما لم يكن لايقاعهم اياها على خلاف الوجه المامور به لان احباط العمل وابطاله
عبارة عن وقوعه على خلاف الوجه الذي يستحق عليه الثواب وليس المراد انهم استحقوا على اعمالهم الثواب ثم انحبط لانه قد دل
الدليل على ان الاحباط على هذا الوجه لا يجوز واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون اي دائمون النظم ونظم الآية يتعلق بما
يسألونك في الشهر الحرام وعند المسجد الحرام فقيل ذلك كبير ولكن الكفر بالله وصد المسلمين عن بيت الله ودينه واخراجهم
عن اوطانهم اعظم عند الله واكبر وزرا وهؤلاء الكفار مع هذه الافعال يقاتلونكم ليردوكم عن الدين فكل واحد من هذا
اعظم جرما والوعيد قوله عز وجل ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله والله غفور
رحيم آية اللغة الهجر ضد الوصل تقول هجره يهجره هجرا وهجرانا وهاجر مهاجرة اذا قطع مواصلته وهجر المريض يهجر هجرا اذا قال ما لا ينبغي ان
ان الهجر من الكلام وسمي المهاجرون لهجرتهم قومهم وارضهم وانما اطلق على هؤلاء اللفظ الذي يقع على الاثنين لان كل
واحد من هؤلاء فعل مثل فعل صاحبه وترك ما ترك احباء الصحبة للنبي وجاهدت العدو مجاهدة وجهادا اذا حملت
نفسك على المشقة في قتاله والرجاء الامل وقوله ما لكم لا ترجون لله وقارا اي لا تخافون وقال ابو ذؤيب اذا لسعته النحل لم
يرج لسعها وخالفها في بيت نوب عوامل اي لم يخف وذلك ان الراجي للشيء معه الخوف من ان لا يكون فلذلك سمي الخوف باسم الرجاء
النزول نزلت في قصة عبد الله بن جحش واصحابه لما قاتلوا في رجب وقتل واقد السهمي ابن الحضرمي فظن قوم انهم ان سلموا من الاثم
فليس لهم اجر فانزل الله الآية فيهم بالوعد المعنى ان الذين آمنوا صدقوا بالله ورسوله والذين هاجروا اي قطعوا عشائرهم
وفارقوا منازلهم وتركوا اموالهم وجاهدوا في سبيل الله اي قاتلوا الكفار في طاعة الله التي هي سبيله المشروعة لعباده وانما جمع
بين هذه الاشياء لبيان فضلها والترغيب فيها لان الثواب لا يستحق على واحد منها على الانفراد اولئك يرجون رحمة الله اي
يأملون نعمة الله في الدنيا والعقبى وهي النصرة في الدنيا والمثوبة في العقبى والله غفور يغفر ذنوبهم رحيم يرحمهم وانما ذكر
لفظ الرجاء للمؤمنين وان كانوا يستحقون الثواب قطعا ويقينا لانهم لا يدرون ما يكون منهم في المستقبل الاقامة على طاعة الله
او الانقلاب عنها الى معصية ووجه آخر وهو الصحيح وهو ان يرجوا رحمة الله في غفران معاصيهم التي لم يتفق لهم التوبة منها
واخترموا دونها فهم يرجون ان يسقط الله عقابها عنهم تفضلا فاما الوجه الاول فانما يصح على مذهب من يجيز ان يكفر
المؤمن بعد ايمانه او يفعل في المستقبل كبيرة تحبط ثواب ايمانه وهذا لا يصح على مذهبنا في الموافاة وقال الحسن اراد به ايجاب
الرجاء الدائم على المؤمنين لان رجاء رحمة الله من اركان الدين واليأس من رحمة الله كفر كما قال ولا ييأس من روح الله الا
القوم الكافرون والامن من عذابه خسران كما قال ولا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون فمن الواجب على المؤمن ان لا ييأس
من رحمته ولا يأمن عقوبته ويؤيده قوله سبحانه يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه وقوله يدعون ربهم خوفا وطمعا وليس في الآية
دلالة على ان من مات مصرا على كبيرة لا يرجو رحمة الله لا من وجهين احدهما ان دليل المفهوم غير صحيح عند اكثر المحصلين والآخر انه قد
يجتمع الايمان والهجرة والجهاد مع ارتكاب الكبيرة ولا يخرج من هذه صورته عن تناول الآية له النظم وجه اتصال هذه الآية بما
قبلها انه لما ذكر في الاولى العذاب ذكر بعدها الثواب ليكون العبد بين الخوف والرجاء اذ ذاك احرى به عند الحكماء واولى في
الاستدعاء قوله عز وجل يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما اكبر من نفعهما ويسألونك
ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة ويسألونك عن اليتامى قل
اصلاح لهم خير وان تخالطوهم فاخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح ولو شاء الله لاعنتكم ان الله عزيز حكيم
آيتان في الكوفي وآية واحدة فيما عداه عد الكوفي تتفكرون آية وتركها غيره القراءة قرأ اهل الكوفة غير عاصم اثم كثير بالثاء وقرأ الباقون
بالباء وقرأ ابو عمرو وحده قل العفو بالرفع والباقون بالنصب الحجة قال ابو علي حجة من قرأ بالباء ان يقول الكبر مثل
العظم ومقابله الصغر قال سبحانه وكل صغير وكبير مستطر وقد استعملوا في الذنب اذا كان موبقا الكبير كقوله كبائر ما تنهون عنه وكبائر

يقولوا
الاثم فلذلك ينبغي ان يكون قوله قل فيهما اثم كبير بالباء لان شرب الخمر والميسر من الكبير وقالوا في غير الموثق صغير وصغيرة ولم
قليل ومقابل الكبير هو القليل كما ان مقابل الكبير الصغير ويدل على ذلك ايضا قوله واثمهما اكبر من نفعهما واتفاقهم هنا على الكبير فقط
لا كثير وحجة من قرأ بالثاء انه قد جاء فيهما انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله
وعن الصلوة وفي الحديث لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخمرة عشرة شاربها والمشتراة له وعاصرها والمعصورة له وساقيها والمستقاها
وحاملها والمحمولة اليه وآكل ثمنها فهذا يقوى قراءة من قرأ كثير واما وجه قول من نصب العفو فهو ان قولهم ماذا استعمل على ضربين
احدهما ان يكون ما مع ذا اسما واحدا والآخر ان يكون ذا بمعنى الذي فالاول قول العرب عماذا تسال اثبتوا الالف في ما لما كان
ما مع ذا بمنزلة اسم واحد فان ما تحذف الفها انما يقع اذا كانت الالف آخرا ومن ذلك قول الشاعر يا خزر تغلب ماذا بال نسوتكم
لا يستفيق الى الديرين تحنانا اي ما بال نسوتكم فاذا كان مع ماذا بمنزلة اسم واحد كان قوله ماذا ينفقون في موضع نصب
بمنزلة ما ينفقون اي ايا ينفقون فجواب هذا العفو بالنصب واما وجه قول من رفع فهو انه جعل ماذا على الضرب الآخر فيكون
تقديره ما الذي ينفقون فجوابه العفو على ان يكون خبر مبتدأ محذوف اي الذي ينفقون العفو ومثله في التنزيل واذا قيل
لهم ماذا انزل ربكم قالوا اساطير الاولين وعلى ان سيبويه لا يجيز ان يكون ذا بمنزلة الذي الا في هذا الموضع لما قامت الدلالة
على ذلك والكوفيون يجيزون في غير هذا الموضع ويحتجون بقول الشاعر عدس ما لعباد عليك امارة نجوت وهذا تحملين طليق
وبقوله سبحانه وما تلك بيمينك ولا دلالة لهم في الآية فان قوله بيمينك يجوز ان يكون ظرفا في موضع الحال فلا يكون صلة وكذلك
تحملين في البيت والعامل في الحال في الموضعين ما في الاسم من معنى الفعل **اللغة** الخمر اصله الستر والخمر ما واراك من الشجر وغيره من
الجبال والخمار للمقنعة ودخل في خمار الناس اي في الكثير الذي يستغرقهم ويقال خامره الداء اذا خالطه قال كثير هنيئا مريئا غير داء مخامر
لعزة من اعراضنا ما استحلت وخمرت الاناء اي غطيته وفي الحديث كان يسجد على الخمرة وهي السجادة الصغيرة من الحصير سميت بذلك
لانها تستر الوجه عن الارض قال الزجاج وقد لبس على ابي الاسود الدؤلي فقيل له ان هذا المسكر الذي سموه نبيذ الخمر حلال فظن ذلك كما قيل
ثم رده طبعه الى ان حكم بانهما واحد فقال دع الخمر يشربها الغواة فانني رايت اخاها مغنيا بمكانها فان لا يكنها او تكنه فانه اخوها
غذته امه بلبانها واصل الباب الستر والميسر القمار اشتق من اليسر وهو وجوب الشيء لصاحبه من قولك يسر لي هذا الشيء ييسر يسرا
وميسرا اذا وجب ذلك والياسر الواجب بقدح وجب لك او غيره وقيل للقامر ياسر ويسر قال النابغة او ياسر ذهب القداح
بوفره اسف باكل والصديق مخالع اي قامر وقيل اخذ من التجزئة لان كل شيء جزاته فقد يسرته والياسر الجازر والميسر
الجزور وقيل اخذ من اليسر وهو السهولة لانهم كانوا يشتركون في الجزور ليسهل امرها الا انه على جهة القمار والعفو ماخوذ
من الزيادة ومنه حتى عفوا اي زادوا على ما كانوا عليه من العدد قال الشاعر ولكنا بعض السيف منها باسوق عافيات الشحم
كوم اي زائدات الشحم وقيل هو ماخوذ من الترك من قولهم عفي له من اخيه شيء اي ترك ومنه قوله عفوت لكم عن صدقة الخيل
اي تركتها فيكون العفو المتروك على هيئته والمخالطة مجامعة يتعذر معها التمييز كمخالطة الخل للماء وما اشبهه والخليطان
الشريكان لاختلاط اموالهما والخليط القوم امرهم واحد والاعنات الحمل على مشقة لا تطاق وعنت العظم عنتا اصابه وهن او
كسر بعد جبره وعنت عنتا اذا اكتسب ماثما ويقال عنتا اذا لبس عليه في سؤاله والاكمة العقبة الطويلة واصل الباب
المشقة والشدة **الاعراب** العامل في الظرف من قوله في الدنيا والآخرة قوله يبين لكم الآيات في امر الدنيا والآخرة ويجوز ان يكون
تتفكرون اي في امر الدنيا وامر الآخرة وقوله فاخوانكم رفع على انه خبر مبتدأ محذوف وتقديره فهم اخوانكم ويجوز في العربية
فاخوانكم على النصب على تقدير فتخالطون اخوانكم على الوجه الاول **النزول** نزلت في جماعة من الصحابة اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا افتنا
في الخمر والميسر فانها مذهبة للعقل مسلبة للمال فنزلت الآية **المعنى** ثم عاد سبحانه الى بيان شرايع الاحكام فقال يسالونك يا محمد
عن الخمر وهو كل شراب يخالط العقل فيغطي عليه وما اسكر كثيره فقليله خمر هذا هو الظاهر في روايات اصحابنا وهو مذهب الشافعي
وقيل الخمر عصير العنب اذا اشتد وغلا وهو مذهب ابي حنيفة والميسر وهو القمار كله عن ابن عباس وابن مسعود ومجاهد وقتادة

والحسن وهو المروي عن ائمتنا عليهم السلام حتى قالوا ان لعب الصبيان بالجوز هو القمار قل فيهما اي في الخمر والميسر اثم كبير اي وزر عظيم
وكبير من الكثرة ومنافع للناس منفعة الخمر ما كانوا ياخذون في اثمانها وما يحصل من اللذة والطرب والقوة لشربها ومنفعة
القمار هو انه يفوز الرجل بمال صاحبه من غير كد ولا مشقة وما ينفق به على الفقراء واثمهما اكبر من نفعهما اي ما فيهما من الاثم اكبر
مما فيهما من النفع لان نفعهما في الدنيا وما يحصل من الاثم بهما يوجب سخط الله في الآخرة ولا يبقى في جنبه نفع قليل
قال الحسن في الآية تحريم الخمر من وجهين احدهما قوله واثمهما اكبر فانا اذا رأينا زادت مضرة الشيء على منفعته اقتضى العقل الامتناع
عنه والثاني انه بين ان فيهما الاثم وقد حرم في آية اخرى الاثم فقال قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم
وقيل ان الخمر يسمى اثما في اللغة في قول الشاعر شربت الاثم حتى ضل عقلي كذاك الاثم يذهب بالعقول على انه قد وصف الاثم بانه
كبير والكبير محرم بلا خلاف وقال الضحاك معناه اثمهما بعد تحريمهما اكبر من نفعهما قبل تحريمهما وقال سعيد بن جبير كلاهما
قبل التحريم يعني ان الاثم الذي يحدث باسبابهما اكبر من نفعهما وقال قتادة وهذه الآية تدل على تحريمهما وانما دلت الآية التي في
المائدة من قوله انما الخمر والميسر الى آخرها وقوله يسالونك ماذا ينفقون اي اي شيء ينفقون والسائل عمرو بن الجموح سال
عن النفقة في الجهاد وقيل في الصدقات قل العفو فيه اقوال احدها انه ما فضل عن الاهل والعيال او الفضل عن الغنى عن ابن عباس
وقتادة وثانيها ان العفو الوسط من غير اسراف ولا اقتار عن الحسن وعطا وهو المروي عن ابي عبد الله عليه السلام وثالثها ان العفو ما
فضل عن قوت السنة عن الباقر عليه السلام قال ونسخ ذلك باية الزكوة وبه قال السدي ورابعها ان العفو اطيب المال وافضله
وقوله كذلك انما وحد الكاف لان الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ويدخل فيه الامة وقيل ان تقديره كذلك ايها القبيل يبين الله لكم
في الدنيا والآخرة اي في امر الدنيا وامر الآخرة فتعلموا ان الدنيا دار بلاء وفناء والآخرة دار جزاء وبقاء فتزهدوا في هذه
وترغبوا في تلك وقيل انه من صلة يبين اي كما يبين لكم الآيات في الخمر والميسر يبين لكم الآيات في امور الدنيا والآخرة لعلكم تتفكروا
وفي ذلك دلالة على ان الله سبحانه اراد منهم التفكر سواء تفكروا او لم يتفكروا ويسالونك عن اليتامى قال ابن عباس لما انزل الله تعالى
ولا تقربوا مال اليتيم الآية وان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انطلق كل من كان عنده يتيم فعزل طعامه من طعامه وشرابه
من شرابه واشتد ذلك عليهم فسالوا عنه فنزلت الآية ولا بد من اضمار في الكلام لان السؤال لم يقع عن اشخاص اليتامى ولا ورد الجواب
عنها فالمعنى يسالونك عن القيام على اليتامى او التصرف في اموال اليتامى قل يا محمد اصلاح لهم خير يعني اصلاح اموالهم من غير اجرة
ولا اخذ عوض منهم خير واعظم اجرا وان تخالطوهم اي تشاركوهم في اموالهم ولا اخذ عوض وتخلطوها باموالكم فتصيبوا من اموالهم
عوضا من قيامكم باموره فاخوانكم اي فهم اخوانكم والاخوان يعين بعضهم بعضا ويصيب بعضهم من مال البعض وهذا اذن لهم
فيما كانوا يتحرجون منه من مخالطة الايتام في الاموال من المأكل والمشرب والمسكن ونحو ذلك ورخصة لهم في ذلك اذا تحروا الصلاح
بالتوفر على الايتام عن الحسن وغيره وهو المروي في اخبارنا والله يعلم المفسد من المصلح معناه والله يعلم من كان غرضه في مخالطة
اليتامى افساد اموالهم او اصلاح مالهم ولو شاء الله لاعنتكم اي لضيق عليكم في امر اليتامى ومخالطتهم والزمكم ما كنتم تجتنبونه من
مشاركتهم وقال الزجاج معناه لكلفكم ما يشتد عليكم فتعنتون ولكنه لم يفعل وفي هذه دلالة على بطلان مذهب المجبرة لانه
سبحانه اذا لم يشأ اعناتهم ولو اعنتهم لكان جائزا حسنا لكنه وسع عليهم لما في التوسعة من النعمة فكيف يصح ان يشاء ويكلفهم ما لا
وكيف يكلف ما لا سبيل للمكلف اليه ويامره بما لا يقدر على احداثه من جهته واي عيب اعظم من هذا في البلوى وفيه ايضا دلالة
على فساد مذهب من قال انه تعالى لا يقدر على الظلم لان الاعنات بتكليف ما لا يجوز في الحكمة مقدور ولو شاء لفعل ان الله عزيز
يفعل بعزته ما يحب لا يدفعه عنه دافع حكيم في تدبيره وفعاله لا يتجاوز عما توجب الحكمة قوله عز وجل ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولامة
مؤمنة خير من مشركة ولو اعجبتكم ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو اعجبكم اولئك يدعون
الى النار والله يدعوا الى الجنة والمغفرة باذنه ويبين آياته للناس لعلهم
يتذكرون آية **اللغة** النكاح اسم يقع على العقد والوطي وقيل ان اصله الوطي ثم كثر حتى قيل للعقد نكاح كان الحدث يسمى عقده باسمه

للفناء ويسمى غائطا وهو اسم للمكان المطمئن تقول نكح ينكح نكاحا اذا تزوج وانكحه غيره زوجه والامة المملوكة يقال امة بينة الاموة
واميت فلانة وتاميتها اذا جعلتها امة واصل امة فعلة بدلالة قولهم في جمعها اماء مثل اكمة واكام **الاعراب** مومن في محل النصب
بانه مفعول به ان مضمرة وان تومن في موضع جر بحتى وحتى متعلق بتنكح من مشركة من يتعلق بخير الجار والمجرور في محل النصب بانه مفعول به
ولو اعجبتكم جواب لو محذوف تقديره ولو اعجبتكم امة مشركة لامة مومنة خير منها ولا تنكحوا المشركين المفعول الثاني محذوف تقديره
ولا تنكحوا المشركين الازواج حتى يومنوا اعراب قوله حتى يومنوا وقوله ولو اعجبكم مثل ما تقدم في حتى يومن وقوله ولو اعجبتكم
النزول نزلت في مرثد بن ابي مرثد الغنوي بعثه رسول الله الى مكة ليخرج منها ناسا من المسلمين وكان قويا شجاعا فدعته
امراة يقال لها عناق الى نفسها فابى وكانت خلة في الجاهلية فقالت هل لك ان تتزوج بي فقال حتى استاذن رسول الله
فلما رجع استاذن في التزوج بها فنزلت الآية **المعنى** لما تقدم ذكر المخالطة بين سبحانه من يجوز مخالطته بالنكاح فقال ولا تنكحوا المشركات
اي لا تتزوجوا النساء الكافرات حتى يومن اي يصدقن بالله ورسوله وهي عامة عندنا في تحريم مناكحة جميع الكفار اهل الكتاب
وغيرهم وليست بمنسوخة ولا مخصوصة واختلفوا فيه فقال بعضهم لا يقع اسم المشركات على اهل الكتاب وقد فصل سبحانه بينهما
فقال لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين وما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين وعطف احدهما على
الآخر فلا نسخ في الآية ولا تخصيص وقال بعضهم الآية متناولة جميع الكفار والشرك يطلق على الكل ومن جحد نبوة نبينا
فقد انكر معجزته واضافها الى غير الله وهذا هو الشرك بعينه لان المعجز شهادة من الله له بالنبوة ثم اختلف هولاء فمنهم من قال
منسوخة في الكتابيات بالآية في المائدة والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب عن ابن عباس والحسن ومجاهد ومنهم من قال
انها مخصوصة بغير الكتابيات عن قتادة وسعيد بن جبير ومنهم من قال انها على ظاهرها في تحريم نكاح كل كافرة كتابية
كانت او مشركة عن ابن عمر وبعض الزيدية وهو مذهبنا وسيأتي بيان آية المائدة في موضعها ان شاء الله تعالى ولامة مومنة
خير من مشركة معناه مملوكة مصدقة مسلمة خير من حرة مشركة ولو اعجبتكم بمالها او حسنها او جمالها وظاهر هذا يدل على انه يجوز
نكاح الامة المومنة مع وجود الطول واما قوله ومن لم يستطع منكم طولا الآية فانما هي على التنزيه دون التحريم ولا تنكحوا المشركين
حتى يومنوا معناه ولا تنكحوا النساء المسلمات جميع الكفار من اهل الكتاب وغيرهم حتى يومنوا وهذا يويد قول من قال ان قوله
ولا تنكحوا المشركات يتناول جميع الكافرات وقوله ولعبد مومن خير من مشرك اي عبد مصدق مسلم خير من حر مشرك ولو
اعجبكم بماله او حاله او جماله والفرق بين ولو اعجبتكم وبين وان اعجبتكم ان لو للماضي وان للمستقبل وكلاهما يصح في معنى
الآية وهذا العجب الذي هو بمعنى الاستعظام وليس من التعجب اولئك يعني المشركين يدعون الى النار يعني الى الكفر والمعاصي
التي هي سبب دخول النار وهذا مثل التعليل لان الزوج يدعو زوجته الى دينه والله يدعو الى الجنة اي الى فعل
ما يوجب الجنة والمغفرة من الايمان والطاعة باذنه اي بامره يعني بما يامر ويأذن فيه من الشرائع والاحكام على الحسن والجبائي
وقيل باعلامه وقوله ويبين آياته اي حججه وقيل اوامره ونواهيه وما يحظره ويبيحه للناس لعلهم يتذكرون اي لكي يتذكرون
او يتعظوا قوله عز وجل **ويسألونك عن المحيض قل هو اذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن
حتى يطهرن فاذا تطهرن فأتوهن من حيث امركم الله ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين** آية **القراءة** قرا اهل
الكوفة غير حفص حتى يطهرن بتشديد الطاء والهاء والباقون يطهرن بالتخفيف **الحجة** من قرا يطهرن فانه من
طهرت المراة وطهرت طهرا وطهارة وطهرت بالفتح اقيس لانه خلاف طمثت فينبغي ان يكون على بنائه والضم فيه طهر طاهر
يدل على انه مثل قعد فهو قاعد ومن قرا يطهرن ادغم التاء في الطاء **اللغة** حاضت المراة تحيض حيضا ومحيضا ومحاضا والمحيض
من هذا الباب المفعل والمفعل جائز فيه قال الراعي بنيت مرافقهن فوق مزلة لا يستطيع بها القراد مقيلا اي قيلولة وامراة
حائض ونساء حيض والاعتزال التنحي عن الشيء وكل شيء نحيته عن موضعه فقد عزلته عنه ومنه عزل الوالي انه على هذا بمعزل
اي متنح وعزلاء المزادة مخرج الماء من احد جانبيها والمعزال من الناس الذي لا ينزل مع القوم في السفر لكنه ينزل ناحية

126

والطهر خلاف الحيض والطهور يكون اسما ويكون صفة فاذا كان اسما كان على ضربين احدهما ان يكون مصدرا كما حكاه سيبويه
تطهرت طهورا حسنا وتوضأت وضوءا والاحسن ان يكون اسما ليس بمصدر كما جاء في الخبر طهور اناء احدكم كذا وهو اسم لما يتطهر به
كالفطور والوجور والسعوط والسحور واما كونه صفة فهو في قوله وانزلنا من السماء ماء طهورا فهذا كالرسول والصبور ونحو ذلك
من الصفات التي جاءت على فعول ولا دلالة فيه على التكثير لما لم يكن متعديا نحو ضروب الاخرى ان فعلت غير متعد
كما يتعدى ضربت ومن الصفة قولهم هو الطهور ماؤه لانه لا ينتفع به الماء كما يرتفع الاسم بالصفات التي تنعت من حيث
جار ومجرور وحيث مبني لا يظهر فيه الاعراب وانما بني لمشابهته الحرف بانه لا يفيد الا مع غيره كالحرف ومن يتعلق بقوله
فأتوهن **الاعراب** امركم الله جملة في محل الجر باضافة حيث اليه **النزول** قيل كانوا في الجاهلية يتجنبون مواكلة الحائض ومشاربتها
ومجالستها فسألوا عن ذلك فنزلت الآية عن الحسن وقتادة والربيع وقيل كانوا يستحلون اتيان النساء في ادبارهن ايام الحيض
فلما سألوا عنه بين تحريمه عن مجاهد والاول اصح **المعنى** ثم بين سبحانه حكما آخر فقال ويسألونك يا محمد والسائل
ابو الدحداح فيما قيل عن المحيض اي عن الحيض واحواله قل يا محمد هو اذى معناه قذر ونجس عن قتادة والسدي وقيل دم
عن مجاهد وقيل هو اذى لهن وعليهن لما فيه من المشقة قال القاضي فاعتزلوا النساء في المحيض اي اجتنبوا مجامعتهن في
الفرج عن ابن عباس وعائشة والحسن وقتادة ومجاهد وهو قول محمد بن الحسن ويوافق مذهبنا انه لا يحرم منها غير موضع
الدم فقط وقيل يحرم ما دون الازار ويحل ما فوقه عن شريح وسعيد بن المسيب وهو قول ابي حنيفة والشافعي ولا تقربوهن
بالجماع او ما دون الازار على الخلاف فيه حتى يطهرن بالتخفيف معناه حتى ينقطع الدم عنهن وبالتشديد معناه يغتسلن عن الحسن
وشعبان عن مجاهد وطاوس وهو مذهبنا فاذا تطهرن اي اغتسلن وقيل توضأن وقيل غسلن الفرج فأتوهن فجامعوهن
وهو اباحة وان كانت صورته صورة الامر كقوله واذا حللتم فاصطادوا من حيث امركم الله بتجنبه في حالة الحيض وهو الفرج
عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والربيع وقيل من قبل الطهر دون الحيض عن السدي والضحاك وقيل من قبل النكاح
دون الفجور عن ابن الحنفية والاول اليق بالظاهر قال الزجاج معناه من الجهات التي يحل فيها ان تقرب المراة ولا تقربوهن
من حيث لا يحل اي لا تقربوهن وهن صائمات او محرمات او معتكفات وقال الفراء ولو اراد الفرج لقال في حيث
فلما قال من حيث علمنا انه اراد من الجهة التي امركم الله بها وغيره انما قال من حيث لان من لابتداء الغاية في الفعل
نحو قولك ائت زيدا من مأتاه اي من الوجه الذي يوتى منه ان الله يحب التوابين من الذنوب ويحب المتطهرين قيل معناه
المتطهرين بالماء عن عطاء وقد رواه من اصحابنا ايضا في سبب نزول هذه الآية وقيل يحب المتطهرين من الذنوب عن سعيد بن
جبير ولم يقل المتطهرات لان المونث يدخل في المذكر وقيل التوابين من الكبائر والمتطهرين من الصغائر وفي هذه الآية
دلالة على وجوب اعتزال المراة في حال الحيض وفيها ذكر غاية التحريم ويشتمل ذلك على فصول احدها ذكر الحيض واقله واكثره
وعندنا اقله ثلاثة ايام واكثره عشرة ايام وهو قول اهل العراق وعند الشافعي واكثر اهل المدينة اقله يوم وليلة واكثره خمسة
عشر يوما وثانيها حكم الوطء في حال الحيض فان عندنا ان كان في اوله يلزمه دينار وان كان في اوسطه فنصف دينار وان كان في آخره فربع
دينار وقال ابن عباس عليه دينار ولم يفصل وقال الحسن يلزمه بدنة او رقبة او عشرون صاعا وثالثها غاية تحريم الوطء واختلف فيه
فمنهم من جعل الغاية انقطاع الدم ومنهم من قال اذا توضأت او غسلت فرجها حل وطؤها عن عطاء وطاوس وهو مذهبنا
وان كان المستحب ان لا يقربها الا بعد الغسل ومنهم من قال اذا انقطع دمها واغتسلت حل وطؤها عن الشافعي ومنهم من قال اذا كان
عشرا فمتى انقطع الدم حلها للزوج وان كان دون العشرة فلا يحل وطؤها الا بعد الغسل او التيمم او مضي وقت صلاة عليها
عن ابي حنيفة قوله عز وجل **نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم انى شئتم وقدموا لانفسكم واتقوا الله واعلموا انكم ملاقوه وبشر
المومنين** الآية **الاعراب** انى في محل النصب لانها ظرف مكان اذا كان بمعنى حيث او اين او ظرف زمان اذا كان بمعنى متى والعامل فيه فأتوا
وشئتم جملة فعلية في موضع الجر باضافة الظرف اليها واذا كان انى بمعنى كيف فهو في محل النصب على المصدر ولا محل لشئتم وتقديره

فأتوا حرثكم أي نوع شئتم النزول قيل نزلت ردا على اليهود اذ قالوا ان الرجل اذا اتى المراة من خلفها في قبلها خرج الولد احول فأكذبهم
الله تعالى عن ابن عباس وجابر وقيل انكرت اليهود اتيان المراة قائمة وباركة فانزل الله اباحته عن الحسن المعنى لما تقدم
ذكر احوال النساء في الطهر والحيض عقب ذلك بقوله نساؤكم حرث لكم وفيه وجهان احدهما ان معناه مزدرع لكم ومحترث
لكم عن ابن عباس والسدي والثاني معناه ذوات حرث لكم منهن يحرثون الولد واللذة فحذف المضاف وهذا في المعنى
مثل الاول عن الزجاج وقال ابو عبيدة كنى بالحرث عن الجماع وثانيها معناه كحرث لكم فحذف كاف التشبيه قال الشاعر النشر
مسك والوجوه دنانير واطراف الاكف عنم وقد سمى العرب النساء حرثا قال المفضل بن سلمة السدي انشدني ابي اذا اكل الجراد حروث
قوم فحرثي همه اكل الجراد يريد امراتي فأتوا حرثكم اي موضع حرثكم انى شئتم معناه من اين شئتم عن قتادة والربيع
وقيل كيف شئتم عن مجاهد وقيل متى شئتم عن الضحاك وهذا خطأ عند اهل اللغة لان انى لا يكون الا بمعنى من اين كما
قال انى لك هذا وقيل معناه من اي جهة واستشهد بقول الكميت انى ومن اين آبك الطرب من حيث لا صبوة ولا ريب
وليس في البيت شاهد لانه يجوز ان يكون انى بمعنى يكون لاختلاف اللفظين كما يقولون متى كان هذا واي وقت كان ويجوز ان
يكون بمعنى كيف واستدل مالك بقوله انى شئتم على جواز اتيان المراة في دبرها ورواه عن نافع عن ابن عمر وحكاه زيد
بن اسلم عن محمد بن المنكدر وبه قال كثير من اصحابنا وخالف في ذلك جميع الفقهاء وقالوا ان الحرث لا يكون الا بحيث
النسل فيجب ان يكون الوطي حيث يكون النسل واجيبوا عن ذلك بان النساء وان كن لنا حرثا فقد ابيح لنا وطيهن بلا
خلاف في غير موضع الحرث كالوطي فيما دون الفرج وما اشبهه وقوله وقدموا لانفسكم معناه قدموا الاعمال الصالحة التي امرتم بها
ورغبتم فيها ليكون ذخرا لكم عند الله تعالى ووجه اتصاله بما قبله انه لما قدم الامر بعدة اشياء قال بعدها قدموا لانفسكم
بالطاعة فيما امرتم به واتقوا الله اي واتقوا عقاب الله بترك مجاوزة الحد فيما بين لكم وفي ذلك الحث على العمل الواجب
الذي عرفوه والتحذير من مخالفة ما الزموه وقيل معنى التقديم هنا طلب الولد فان في اقتناء الولد الصالح تكون بها
عظم القرابة اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا عن ثلث ولد صالح يدعو له وصدقة جارية وعلم ينتفع به بعد موته وقيل هو
الافراط لقوله صلى الله عليه وآله من قدم ثلثة من الولد لم يبلغوا الحنث لم تمسه النار الا تحلة القسم فقيل يا رسول الله واثنان
قال واثنان وقيل هو التسمية عند الجماع عن عطا وقيل هو الدعاء عند الجماع عن مجاهد ويؤيده ما روي عن ابن عباس قال قال
النبي صلى الله عليه وآله اذا اراد احدكم ان ياتي اهله فليقل بسم الله اللهم جنبني الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فان قدر بينهما ولد
لم يضره شيطان وقيل هو التزوج بالعفايف ليكون الولد صالحا طاهرا واعلموا انكم ملاقوه اي ملاقو جزائه يعني ثوابه ان اطعتموه
وعقابه ان عصيتموه وانما اضافه اليه على ضرب من المجاز وبشر المؤمنين بالثواب الجزيل ولا يصح حمل اللقاء على الرؤية لان لفظ
اللقاء يقع على معاني مختلفة يقال لقي جهدا ولقي حمامه ولان في الآية اثبات اللقاء لجميع العباد وهذا خلاف ما ذهب اليه
اهل التشبيه قوله عز وجل ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس والله سميع عليم
آية اللغة يقال لكل شيء من يصلح لشيء هو عرضة له والمراة عرضة النكاح والدابة المعدة للسفر عرضة قال الشاعر فهذي
لايام الحروب وهذه للهو وهذي عرضة لارتحالها اي عدة وقال ابو العباس العرضة الاعتراض في الخير والشر واليمين والقسم
والحلف واحد قيل اخذ من القوة لانه يتقوى به على ما يحلف عليه ومنه قوله تلقاها عرابة باليمين وقيل اخذ من الجارحة
لانهم كانوا عند الايمان يضربون ايديهم على ايديهم فسمي الحلف بذلك وقيل اخذ من اليمن الذي هو البركة لانه يعقد لخير وبر
يذكر المتاكيد الاعراب قوله ان تبروا في موضعه ثلثة اقوال احدها ان موضعه جر بحذف اللام عن الخليل وقال ابو علي جاز ان يكون
المصدر الذي هو ان مع الفعل في موضع جر وان لم يجز ذلك في غيره لامرين احدهما ان الكلام قد طال بالصلة فحسن الحذف والآخر
ان ان حرف واذا حذفت اللام صار كان حرفا قد اقيم مقام الحرف فعاقبه فلهذا حسن حذف اللام مع ان دون المصدر غير
الموصول في اللفظ بالفعل ولو قلت عنيت لك انك اذا قلت جئتك لان تضرب زيدا جاز ان تخفف اللام فيقول جئتك

زيدا جاز ان تخفف اللام فيقول جئتك ان تضرب زيدا والثاني ان موضعه النصب لانه لما حذف الجار وصل الفعل
وهو قول سيبويه وهو القياس وعلى القولين جميعا فيكون تقديره لان لا تبروا على النفي ولان تبروا على الاثبات فعلى القول
الاول وهو النفي يكون في محل النصب بانه مفعول له وعلى القول الثاني وهو الاثبات يجوز ان يكون مفعولا له ويجوز ان يكون
في محل النصب على الحال والعامل فيه ما في قوله لايمانكم من معنى الفعل تقديره ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم كاينة لان تبروا
اي لبركم وذوي الحالين الايمان والثالث ما قاله قوم ان موضعه رفع تقديره ان تبروا وتتقوا اولى فحذف الخبر الذي هو اولى
لانه معلوم النزول نزلت في عبد الله بن رواحة حين حلف ان لا يدخل على ختنه ولا يكلمه ولا يصلح بينه وبين امراته فكان
يقول اني حلفت بهذا فلا يحل لي ان افعله فنزلت الآية المعنى لما بين سبحانه احوال النساء وما يحل منهن عقبه بذكر الايلاء وهي
اليمين التي يحرم الزوجة فابتدأ بذكر الايمان اولا تاسيسا لحكم الايلاء فقال ولا تجعلوا عرضة لايمانكم وفي معناه ثلثة اقوال
احدها ان معناه لا تجعلوا اليمين بالله علة مانعة لكم من البر والتقوى من حيث تتعمدوها لتعتلوا بها ويقولوا حلفنا
بالله ولم يحلفوا به عن الحسن وطاوس وقتادة واصله في هذا الوجه الاعتراض الذي هو المانع الذي بين البر والتقوى لان
المعترض بين الشيئين يكون مانعا من وصول احدهما الى الآخر فالعلة مانعة لهذا المعترض والثاني ان عرضة معناه حجة فكانه
قال فلا تجعلوا اليمين بالله حجة في المنع من البر والتقوى فان كان قد سلف منكم يمين ثم ظهر ان غيرها خير فافعلوا الذي هو خير
ولا تحتجوا بما سلف من اليمين عن ابن عباس ومجاهد والربيع واصله في هذا القول والاول واحد لانه يمنع من جهة الاعتراض
لعلة او حجة والثالث ان معناه لا تجعلوا اليمين بالله عدة مبتذلة في كل حق وباطل لان تبروا في الحلف بها وتتقوا المأثم
فيها عن عائشة لانها قالت لا تحلفوا به وان بررتم وبه قال الجبائي ونحوه ما رواه عثمن بن عيسى عن ابي ايوب الخزاز قال سمعت ابا عبد الله عليه السلم
يقول لا تحلفوا بالله صادقين ولا كاذبين فانه يقول سبحانه ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم وهو المروي عن ائمتنا عليهم السلم وابي مسلم قال
ابو مسلم ومن اكثر ذكر شيء فقد جعله عرضة له ويقول جعلتني عرضة للومك قال الشاعر ولا تجعلني عرضة للوائم وتقديره
على الوجه الاول والثاني لا تجعل الله مانعا من البر والتقوى باعتراضك به حالفا وعلى الوجه الثالث لا تجعل الله مما تحلف به دائما
باعتراضك بالحلف به في كل حق وباطل وقوله ان تبروا قيل في معناه اقوال الاول لان تبروا على معنى الاثبات لان تكونوا بررة اتقياء
فان من قلت يمينه كان اقرب الى البر ممن كثرت يمينه وقيل لان تبروا في اليمين والثاني ان المعنى دفع ان تبروا او لترك
ان تبروا او لترك ان تبروا فحذف المضاف عن المبرد والثالث ان معناه ان لا تبروا فحذف لا عن ابي عبيدة قال وحذف
لا لانه في معنى القسم كقول امرء القيس فقلت يمين الله ابرح قاعدا اي لا ابرح وانكر المبرد هذا الا على انه لا يجوز ان يكون
جوابا للقسم وانما يجوز في والله اقوم في القسم بمعنى لا اقوم لانه لو كان اثباتا لقال لاقومن باللام والنون والمعنى في
قول ابي العباس وابي عبيدة واحد والتقدير مختلف وتتقوا اي تتقوا الاثم والمعاصي في الايمان وتصلحوا بين الناس عطف
على ما سبق ومعناه لا تجعلوا الحلف بالله علة او حجة في ان لا تبروا ولا تتقوا ولا تصلحوا بين الناس او لدفع ان تبروا وتتقوا
او تصلحوا وعلى الوجه الثالث لا تجعلوا اليمين بالله مبتذلة لان تبروا وتتقوا وتصلحوا اي لكي تكونوا من البررة والاتقياء
والمصلحين بين الناس فان من كثرت يمينه لا يوثق بحلفه ومن قلت يمينه فهو اقرب الى التقوى والاصلاح بين الناس
والله سميع لاقوالكم عليم بما في ضمايركم لا يخفى عليه من ذلك خافية وفي هذه الآية دلالة على ان من حلف على شيء فراى غيره
خيرا منه فله ان يترك يمينه ويفعل الذي هو خير وهل يجب عليه الكفارة فيه خلاف فعند اكثر الفقهاء تجب عليه الكفارة
ولا كفارة عليه عندنا ومن اقسم على غيره ليفعل فلانا او ليمتنع عن فعل فلا يأثم بذلك قال بعضهم ان المقسم عليه لا يأثم
بذلك والصحيح ان المقسم عليه يأثم لقول النبي صلى الله عليه وآله من سألكم بالله فاعطوه ومن استعاذ بكم فاعيذوه قوله عز وجل لا يؤاخذكم
الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والله غفور حليم آية اللغة اصل اللغو الكلام

الكلمة القبيحة
التي لا فائدة فيها يقال لغا يلغو لغوا اذا اتى بكلام لا فائدة فيه واللغا الكلمة اذا المرحلة لانه لا فائدة فيها واللاغية الكلمة
الفاحشة ومنه اشتقاق اللغة لانها كلام لا فائدة فيه عند غير اهله ولغو الطائر منطقه قال ثعلبة بن صعير المازني باكرتهم
بسباء جون ذارع قبل الصباح وقبل لغو الطائر واللغا الذكر بالكلام القبيح لغى يلغى لغى واصل الحلم الاناة وهو في صفته تعالى
الامهال بتأخير العقاب على الذنب الاعراب في ايمانكم في موضع الحال والعامل فيه يؤاخذ وذو الحال اللغو بما كسبت يجوز ان يكون
ما اسما موصولا ويجوز ان يكون حرفا موصولا المعنى ثم بين سبحانه اقسام اليمين فقال لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم اختلفوا في يمين
اللغو فقيل هو ما يجري على عادة اللسان من قول لا والله وبلى والله من غير عقد على يمين يقتطع بها مال ولا يظلم بها احد
عن ابن عباس وعائشة والشعبي وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله وهو قول الشافعي وقيل هو ان يحلف وهو يرى
انه صادق ثم تبين انه كاذب فلا اثم عليه ولا كفارة عن الحسن ومجاهد وقتادة وغيرهم وهو قول ابي حنيفة واصحابه وقيل
هو يمين الغضبان لا يؤاخذ بالحنث فيها عن ابن عباس وطاوس وبه قال سعيد بن جبير الا انه اوجب فيها الكفارة وقال مسروق
كل يمين ليس له الوفاء بها فهي لغو ولا يجب فيها كفارة ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم اي بما عزمتم وقصدتم لان كسب
القلب العقد والنية وفيه خلاف اي من ايمانكم وقيل ان تحلفوا كاذبين او على باطل عن ابراهيم والله غفور يغفر الذنوب حليم
يمهل العقوبة على الذنب ولا يعجل بها قوله عز وجل للذين يؤلون من نسائهم تربص اربعة اشهر فان فاؤا فان الله غفور رحيم وان عزموا الطلاق فان الله
سميع عليم آية اللغة آلى الرجل من امرأته يولي ايلاء والالوة وهي الحلف قال الشاعر كفينا من تغيب من نزار واحنثنا اليه
مقسمينا وايتلى وتألى بمعناه وفي التنزيل ولا يأتل اولوا الفضل وقرئ ولا يتأل وجمع الألية الايا والاليات كعشية
وعشايا وعشيات وجمع الالوة الايا كركوبة وركائب والتربص الانتظار يقال تربصت به قال الشاعر تربص بها ريب المنون
لعلها تطلق يوما او يموت خليلها والفيء الرجوع تقول فاء يفيء فيئا اذا رجع وفاء الفيء اذا تحول عن جهة الغداة برجوع الشمس عنه
والفرق بين الفيء والظل ما قال المبرد ان الفيء ما نسخ الشمس لانه هو الراجع والظل ما لا شمس فيه وكل فيء ظل فلهذا اهل الجنة
في ظل لا فيء لان الجنة لا شمس فيها وفي التنزيل وظل ممدود وجمع الفيء افياء والفيء غنائم المشركين افاء الله علينا منهم
وهو من رجوع الشيء الى حقه وفلان سريع الفيء من غضبه اي الرجوع والعزم هو العقد على فعل شيء في مستقبل الاوقات وهو
ارادة متقدمة للفعل باكثر من وقت واحد متعلق بفعل العازم يقال عزم على الشيء عزما واعتزم وعزمت عليك لتفعلن
اي اقسمت وعزم الراقي كانه اقسم على الداء وما لفلان عزيمة اي ما يثبت على شيء لتلونه وعزائم القرآن التي تقرأ على ذوي
الآفات لما يرجى من البرء بها والطلاق حل عقد النكاح بسبب من جهة الرجل وامرأة طالق زعم قوم ان تاء التأنيث
لانه لا حظ فيه للمذكر وهذا ليس بشيء لان في الكلام اشياء كثيرة يشترك فيها المذكر والمؤنث لا يثبت فيها الهاء في المؤنث
يقال بعير ضامر وناقة ضامر وامرأة مرضع وقال سيبويه انه وقع على لفظ التذكير صفة للمؤنث لان المعنى شيء طالق
وحقيقته انه على جهة النسب نحو قولهم امرأة مطفل اي ذات طفل وطالق اي ذات طلاق فاذا اجريته على الفعل قلت
طالقة قال الاعشى ايا جارتي بيني فانك طالقة كذاك امور الناس غاد وطارقة واصل الطلاق من الانطلاق وطلقت
المرأة عند الولادة فهي مطلوقة اذا مخضت والطلق الشوط من الجري والطلق الحبل الشديد الفتل والسميع من كان
على صفة يجب لاجلها ان يدرك المسموعات اذا وجدت وهي ترجع الى كونه حيا لا آفة به والسامع المدرك ويوصف القديم
سبحانه في الازل بانه سميع وانما يوصف به اذا وجدت المسموعات الاعراب يجوز في اربعة اشهر ثلثة اوجه الجر على الاضافة وعليه
القراءة وهذه الاضافة غير حقيقية فان الاربعة في محل النصب وان كان مجرور اللفظ ويجوز في العربية الرفع والنصب
فالرفع تربص اربعة اشهر كقوله فشهادة احدهم اربع شهادات والنصب تربص اربعة اشهر كقوله الم نجعل
الارض كفاتا احياء وامواتا اي تكفتهم احياء وامواتا المعنى ثم بين سبحانه حكم الايلاء لانه من جملة الايمان والاقسام وشبهه

128
من شرايع الاسلام للذين يؤلون اي يحلفون وفيه حذف اي يعتزلون عن وطء نسائهم على وجه الاضرار بهن تربص اربعة اشهر
اي التوقف والتثبت في اربعة اشهر اي التوقف والتثبت في اربعة اشهر واليمين التي يكون الرجل بها موليا هي اليمين بالله عز وجل
او باسم من صفاته التي لا يشركه فيها غيره على وجه لا يقع موقع اللغو الذي لا فائدة فيه ويكون الحلف على الامتناع من الجماع
على وجه الغضب والضرار وهو المروي عن علي وابن عباس والحسن وقيل في الغضب والرضا عن ابراهيم والشعبي وجماعة من
الفقهاء وقيل هو في الجماع وغيره من الضرار نحو ان يحلف لا يكلمها عن سعيد بن المسيب فان فاؤا اي رجعوا الى امر الله
بان يجامعوا عند القدرة عليه او يراجعوا بالقول عند العجز عن الجماع عن ابن عباس ومسروق وسعيد بن المسيب
وهو مذهبنا وبه قال ابو حنيفة واصحابه وقيل يكون فائيا بالعزم في حال العذر الا انه ينبغي ان يشهد على فيئه عن الحسن
وابراهيم وعلقمة وهذا يكون عندنا للعاجز عن الجماع ويجب على الفائي عندنا الكفارة ولا عقوبة عليه وبه قال ابن عباس
وسعيد بن المسيب وقتادة وقال الحسن وابراهيم لا كفارة عليه ولا عقوبة لقوله فان الله غفور رحيم ومعنى غفور عندنا
انه لا يتبعه بعقوبة ومن حلف ان لا يجامع اقل من اربعة اشهر لم يكن موليا ومن حلف ان لا يقربها وهي مرضع مخافة
ان يحمل فيضر ذلك بولدها لا يلزمه حكم الايلاء واذا مضت اربعة اشهر ولم يجامع الحاكم اما الرجوع والكفارة واما الطلاق
فان امتنع حبسه حتى يفيء او يطلق وقوله وان عزموا الطلاق عزيمة الطلاق عندنا ان يعزم ثم يتلفظ بالطلاق ومتى
لم يتلفظ بالطلاق على الوجه المشروع فان المرأة لا تبين منه الا ان تستعدي فان استعدت وانظره اربعة اشهر فانه
يوقف بعد الاشهر الاربعة فيقال له فيء او طلق فان لم يفعل حبسه حتى يطلق وبه قال الشافعي الا انه قال متى امتنع من الطلاق
والفيئة يطلق عنه الحاكم طلقة رجعية وقال ابو حنيفة واصحابه اذا مضت اربعة اشهر ولم يف بانت منه بتطليقة ولا
رجعة له عليها وعليها العدة يخطبها في العدة ولا يخطبها غيره فان الله سميع عليم يسمع قوله ويعلم ضميره ايلاءه ويعلم نيته وانما ذكر
عقيب الاول فان الله غفور رحيم لانه لما اخبر عن المولى انه يلزمه الفيء او الطلاق بين انه ان فاء فان الله غفور رحيم بان يقبل
رجوعه ولا يتبعه بعقاب ما ارتكبه وذكر هاهنا انه سميع عليم لما اخبر عنه بايقاع الطلاق وكان ذلك مما يسمع اخبر بانه
لا يخفى عليه وانه يسمعه فكل لا يليق الا بموضعه وذلك من عظيم فصاحة القرآن قوله عز وجل والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلثة
قروء ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر وبعولتهن احق بردهن
في ذلك ان ارادوا اصلاحا ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن
درجة والله عزيز حكيم آية اللغة القرء جمع قروء وجمع القليل اقرؤ
والكثير اقراء وقروء وصار بناء الكثير فيه اغلب في الاستعمال يقال ثلثة قروء مثل ثلثة شسوع استغني ببناء الكثير عن بناء
القليل ووجه آخر هو انه لما كانت كل مطلقة يلزمها هذا دخله معنى الكثرة فاتي ببناء الكثرة للاشعار بذلك
فالقروء كثيرة الا انها ثلثة في القسمة وهذا الحرف من الاضداد واصله في اللغة يحتمل وجهين احدهما الاجتماع
ومنه قرأت القرآن لاجتماع حروفه وما قرأت الناقة سلا قط اي لم يجتمع رحمها على ولد قط قال عمرو بن كلثوم ذراعي
عيطل ادماء بكر هجان اللون لم تقرأ جنينا فعلى هذا يقال اقرأت المرأة فهي مقرئ اذا حاضت وانشد لها قرء كقرء الحائض
وذلك لاجتماع الدم في الرحم ويجيء على هذا ان يكون القرء الطهر لاجتماع الدم في جملة البدن والوجه الثاني ان اصل القرء
الوقت الجاري في الفعل على عادة وهو يصلح للحيض والطهر يقال هذا قارئ الرياح اي وقت هبوبها قال الشاعر شنئت
العقر عقر بني شليل اذا هبت لقارئها الرياح اي لوقت هبوبها وشدة بردها والذي يقوي ان القرء الطهر قول الاعشى
وفي كل عام انت جاشم غزوة تشد لاقصاها عزيم عزائكا مورثة مالا وفي الاصل رفعة لما ضاع فيها من قروء نسائكا
والذي ضاع هاهنا الاطهار لا الحيض والبعولة جمع بعل ويقال بعل يبعل بعولة وهو بعل ويسمى الزوج بعلا لانه عال
على المرأة بملكه لزوجتها وقوله اتدعون بعلا اي ربا وقيل انه صنم والبعل النخل يشرب بعروقه لانه مستعل على شربه وبعل

الرجل بامره اذا صار به ذا علا لانه علاه منه ما صار به درجه ويقال الرجل بطوله لانه استعلى بكرا او امراة تبلغ الحسن
لبن الباب لان الجيرة يستعلى عليها فتدهشا والرجال جمع رجل من الرجلة اى القوة وهو ارجل الرجلين اى اقواهما وفرس
رجيل قوى على المشي وسميت الرجل لقوتها على المشي ورجل من جراد قطعة منه تشبيها بالرجل لانها قطعة من الجملة والراجل
الذي يمشي على رجليه وارتجل الكلام ارتجالا لانه قوى عليه من غير ركوب فكر ورجل البناء لانه قوى سياوه بزوال
الشمس الى الارض ورجل شعره اذا طال واصل الباب القوة والدرجة المنزلة الاعراب ان كن يؤمن بالله جواب الشرط
محذوف وتقديره ان كن يؤمن لا يلمون لذلك جواب الشرط من قوله ان ارادوا اصلاحا محذوف وتقديره ان ارادوا
اصلاحا فبعولتهن احق بردهن مثل الذي عليهن اضافة غير حقيقية لان الذي عليهن مفعول المعنى ثم بين سبحانه
حكم المطلقات والطلاق فقال والمطلقات اى المخليات عن حبال الازواج بالطلاق وانما يعني المطلقات المدخول
بهن من ذوات الحيض غير الحوامل لان في الآية بيان عدتهن يتربصن بانفسهن ثلثة قروء ومعناه ينتظرن بانفسهن
انقضاء ثلثة قروء فلا يتزوجن لفظه خبر ومعناه امر والمراد بالقروء الاطهار عندنا وبه قال زيد بن ثابت وعايشة
وابن عمر ومالك والشافعي واهل المدينة وقال ابن شهاب ما رايت احدا من اهل بلدنا الا وهو يقول الاقراء
الاطهار الا سعيد بن المسيب والمروي عن ابن عباس وابن مسعود والحسن ومجاهد وروي ايضا عن علي ع
ان القرء الحيض والمراد ثلثة قروء ثلث حيض وهو مذهب ابي حنيفة واصحابه واستشهدوا بقوله للمستحاضة
دعي الصلاة ايام اقرائك والصلوة انما تترك في ايام الحيض واستشهد من ذهب الى ان القرء الطهر بقوله تعالى فطلقوهن
لعدتهن اى في طهر لم يجامع فيه كما يقال لغرة الشهر وبقول النبي ص لما طلق ابن عمر زوجته وهي حائض مره فليراجعها
فاذا طهرت فليطلق او ليمسك وتلا النبي ص واذا طلقتم النساء فطلقوهن لقبل عدتهن فاخبر ان العدة الطهر
دون الحيض لانها تستقبل عدتها ولو طلقت حائضا لم تكن مستقبلة عدتها الا بعد الحيض وروى اصحابنا عن زرارة
قال سمعت ربيعة الراى يقول ان من رأيى ان الاقراء التي سمى الله في القرآن انما هي الطهر فيما بين الحيضتين وليس بالحيض
قال فدخلت على ابي جعفر ع فحدثته بما قال ربيعة فقال كذب لم يقل برايه وانما بلغه عن علي ع فقلت اصلحك الله اكان علي ع
يقول ذلك قال نعم كان يقول انما القرء الطهر يقرء فيه الدم فيجمعه فاذا جاء الحيض قذفته قلت اصلحك الله رجل طلق امراته
طاهرا من غير جماع بشهادة عدلين قال اذا دخلت في الحيضة الثالثة فقد انقضت عدتها وحلت للازواج قال قلت
ان اهل العراق يروون عن علي ع انه قال كان يقول هو احق برجعتها ما لم تغتسل من الحيضة الثالثة فقال كذبوا ولا يحل
لهن اى للمطلقات اللاتي يجب عليهن العدة ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن قيل اراد به الحيض عن ابراهيم وعكرمة
وقيل اراد به الحبل عن ابن عباس وقتاده وقيل اراد الحيض والحبل عن ابن عمر والحسن وهو المروي عن الصادق ع
قال قد فوض الله الى النساء ثلثة اشياء الحيض والطهر والحبل وهذا القول اعم فالاخذ به اولى وانما لم يحل لهن
الكتمان لئلا يبطلن حق الزوج بمنع المراجعة عن ابن عباس وقيل لنسبة الولد الى غيره كفعل الجاهلية عن قتاده وقوله
ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر يعني من كان منهن يؤمن بالله واليوم الآخر يعني من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فهذه
صفته وحليته وليس هذا بشرط حتى انها اذا لم تكن مؤمنة يحل لها الكتمان ولكن المراد ان الايمان يمنع من ارتكاب
هذه المعصية كما يقول الرجل لصاحبه ان كنت مؤمنا فلا تظلم وهذا على وجه الوعيد وبعولتهن احق بردهن في ذلك
يعني ان ازواجهن اولى برجعتهن وهو ردهن الى الحالة الاولى وذلك الاجل الذي هو لهن في مدة العدة فانه
ما دامت تلك المدة باقية كان للزوج حق المراجعة ويفوت بانقضائها وفي هذا دلالة على ان الزوج يتفرد بالمراجعة
ولا يحتاج في ذلك الى رضا المرأة ولا الى عقد جديد واشهاد وفي هذا تخصيص وان كان اول الآية عاما
في جميع المطلقات الرجعية والبائنة ان ارادوا اصلاحا لا اضرارا وذلك ان الرجل كان اذا اراد الاضرار بامراته

طلقها واحدة وتركها حتى اذا قرب انقضاء عدتها راجعها وتركها مدة ثم طلقها اخرى وتركها كما فعل في الاولى ثم راجعها
وتركها كما فعل في الاولى ثم راجعها وتركها مدة ثم طلقها فجعل الله الزوج احق بالمراجعة على وجه الاصلاح لا على وجه الاضرار
قوله ولهن اى للنساء على ازواجهن مثل الذي لهم عليهن من الحق بالمعروف وهذه من الكلمات العجيبة الجامعة للفوائد الجمة
وانما اراد بذلك ما يرجع الى حسن العشرة وترك المضارة والتسوية في القسم والنفقة والكسوة كما ان للزوج حقوقا
عليها مثل الطاعة التي اوجبها الله عليها له وان لا يدخل فراشه غيره وان يحفظ ماءه فلا تحتال في اسقاطه وروي ان
امرأة معاذ قالت يا رسول الله ما حق الزوجة على زوجها قال ان لا يضرب وجهها ولا يقبحها وان يطعمها مما ياكل ويلبسها
مما يلبس ولا يهجرها وعنه ص انه قال اتقوا الله في النساء فانكم اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ومن
حقكم عليهن ان لا يوطئن فرشكم من تكرهونه فان فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مبرح ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن
بالمعروف وللرجال عليهن درجة قيل معناه فضيلة منها الطاعة ومنها ان يملك التخلية ومنها زيادة الميراث
على قسم المرأة والجهاد هذا قول مجاهد وقتاده وقيل معناه منزلة في الاخذ عليها بالفضل في المعاملة حتى يقول ما احب
ان استوفي منها جميع حقي ليكون لي عليها الفضيلة عن ابن عباس وقيل معناه ان المرأة تنال اللذة من الرجل كما ينال
الرجل منها وله الفضل بنفقته وقيامه عليها عن الزجاج وفي تفسير علي بن ابراهيم بن هاشم قال حق الرجال على النساء افضل
من حق النساء على الرجال وفي كتاب من لا يحضره الفقيه روي عن [illegible] ولا تصدق من بيتها الا باذنه
ولا تصوم تطوعا الا باذنه ولا تمنعه نفسها وان كانت على ظهر قتب ولا تخرج من بيتها الا باذنه فان خرجت بغير اذنه لعنتها
ملائكة السموات والارض وملائكة الغضب وملائكة الرحمة حتى ترجع الى بيتها فقالت يا رسول الله من اعظم الناس حقا على
المرأة قال زوجها قالت فما لي من الحق عليه مثل ما له علي قال لا ولا من كل مائة واحدة فقالت والذي بعثك بالحق لا يملك
رقبتي رجل ابدا وقال ع لو كنت امرا احدا ان يسجد لاحد لامرت المرأة لزوجها والله عزيز حكيم اى قادر على ما يشاء يمنع ولا يمنع ويقهر
ولا يقهر فاعل لما يدعو اليه الحكمة وقد قيل في الآيتين ان المطلقة قبل الدخول والمطلقة الحامل منسوختان من هذه الآية بقوله فما
لكم عليهن من عدة تعتدونها وقوله واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن وقيل انهما مخصوصتان من الآية كما ذكرناه قوله تعالى
قوله عز وجل الطلاق مرتان فامساك بمعروف او تسريح باحسان ولا يحل لكم ان تاخذوا مما آتيتموهن شيئا الا ان يخافا
ان لا يقيما حدود الله فان خفتم ان لا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به تلك حدود الله فلا تعتدوها
ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمين آية القراءة قرأ ابو جعفر وحمزة الا ان يخافا بضم الياء والباقون بفتحها
الحجة خاف فعل يتعدى الى مفعول واحد وذلك المفعول يكون ان وصلتها نحو قوله يخافون ان يتخطفكم الناس ويكون
غيرها نحو قوله يخافون يوما وجه قراءة حمزة الا ان يخافا انه لما بنى الفعل للمفعول به اسند الفعل اليه فلم يبق شيء يتعدى
اليه فاما ان من قوله ان لا يقيما فان الفعل يتعدى اليه بالجار كما يتعدى بالجار في قوله لو خافك الله عليه حرمه وموضع
ان في الآية جر بالجار المقدر على قول الخليل والكسائي ونصب في قول سيبويه واصحابه الا انه لما حذف الجار وصل
الفعل الى المفعول الثاني مثل استغفر الله ذنبا وامرتك الخير فقراءته مستقيمة كما ترى قال ابو علي لو كان يخافا كان الكلام
ينبغي ان يكون فان خيفا قيل لا يلزم هذا السؤال من خالفه في قراءته لانهم قد قرأوا الا ان يخافا فلم يقولوا فان خافا
وليس يلزمه هذا السؤال جميعهم لامرين احدهما انه انصرف من الغيبة الى الخطاب كما قال الحمد لله ثم قال اياك نعبد وما اتيتم
من زكوة تريدون وجه الله فاولئك هم المضعفون وهذا النحو كثير في التنزيل وغيره والاخر ان يكون الخطاب في قوله
فان خفتم مصروفا الى الولاة والفقهاء الذين يقومون بامور الكافة وجاز ان يكون الخطاب للكثرة فمن جعله انصرافا
من الغيبة الى الخطاب لان ضمير الاثنين في يخافا ليس يراد به اثنان مخصوصان انما يراد به ان كل من كان هذا شانه فهذا
حكمه فاما من قرأ الا ان يخافا بفتح الياء فالمعنى انه اذا خاف كل واحد من الزوج والمرأة ان لا يقيما حدود الله حل الافتداء اللغة

المرة والمرتان كالكرة والكرتين واصل المرة المرور خلاف الوقوف والمرة شدة الفتل لاستمراره على الاحكام والامساك
خلاف الاطلاق ومانع ان مسك وتماسك اذا لم يكن فيه خير والممسك البخيل والمسك الاهاب لانه يمسك البدن
باحتوائه عليه والمسك السوار لاستمساكه في اليد والتسريح مأخوذ من السرح وهو الاطلاق وسرح الماشية
في المرعى سرحا اذا اطلقها ترعى وسرحت الماشية انطلقت في المرعى والسرحان الذئب لانه ينبعث السرح والشجرة العظيمة
لانطلاقها في جهة الطول والمسرح المشط لاطلاق الشعر به والسرياح الجراد لانطلاقه في البلاد وان يخافا معناه
ان يظنا قال الشاعر اتاني كلام عن نصيب يقوله وما خفت يا سلام انك عائبي وانشد الفراء اذا مت فادفني
الى جنب كرمة تروي عظامي بعد موتي عروقها ولا تدفنني في الفلاة فانني اخاف اذا ما مت ان لا اذوقها وقال
ابو عبيدة الا ان يخافا معناه يوقنا قال خفتم هنا فان ... الاعراب الطلاق رفع بالابتداء ومرتان الخبر وقوله فامساك
خبر مبتدأ محذوف تقديره فالواجب عليكم امساك ولو كان في الكلام فامساكا بالنصب لكان جائزا فامسكوهن
امساكا بمعروف كما قال فامسكوهن بمعروف فان يخافا موصول وصلته موضعهما نصب بانه مفعول له تقديره لمخافتهما
وان لا يقيما في موضع نصب بانه مفعول يخافا فتقديره يخافا تركهما اقامة حدود الله النزول روى هشام بن عروة
عن ابيه عن عائشة ان امرأة اتتها فشكت ان زوجها يطلقها ويسترجعها يضارها بذلك وكان الرجل في الجاهلية
اذا طلق امرأته ثم راجعها قبل ان تنقضي عدتها كان له ذلك وان طلقها الف مرة لم يكن للطلاق عندهم حد فذكرت
ذلك لرسول الله ص فنزلت الطلاق مرتان فجعل حد الطلاق ثلاثا والطلاق الثالث قوله فان طلقها فلا تحل له من بعد
حتى تنكح زوجا غيره وروي انه قيل للنبي ص الطلاق مرتان فاين الثالثة قال امساك بمعروف او تسريح باحسان
وقوله الا ان يخافا نزل في ثابت بن قيس بن شماس وزوجته جميلة بنت عبد الله بن ابي وكان يحبها وتبغضه فقال لها
اتردين عليه حديقته قالت نعم وازيده قال لا حديقته فقط فردت عليه حديقته فقال يا ثابت خذ منها ما اعطيتها
وخل سبيلها ففعل فكان اول خلع في الاسلام المعنى ثم بين سبحانه عدد الطلاق فقال الطلاق مرتان اي الطلاق الذي يملك فيه
الرجعة مرتان وفي معناه قولان احدهما انه بيان لتفصيل طلاق السنة وهو انه اذا اراد طلاقها ينبغي ان يطلقها في طهر لم يقربها
فيه بجماع تطليقة واحدة ثم يتركها حتى تخرج من العدة او حتى تحيض وتطهر ثم يطلقها ثانية عن ابن عباس ومجاهد والثاني
ان معناه البيان عن عدد الطلاق الذي يوجب البينونة مما لا يوجبها وفي الآية دفعتين وقوله فامساك بمعروف
تقديره فالواجب اذا راجعها بعد الطلقتين امساك بمعروف اي على وجه جميل سائغ في الشريعة لا على وجه الاضرار
بهن او تسريح باحسان فيه قولان احدهما ان الطلقة الثالثة والثاني ترك المعتدة حتى تبين بانقضاء العدة عن
السدي والضحاك وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام ولا يحل لكم خطاب للازواج ان تأخذوا
في حال الطلاق والاستبدال مما آتيتموهن اي اعطيتموهن من المهر شيئا ثم استثنى حال الخلع فقال الا ان يخافا الا
يقيما حدود الله ومعناه الا ان يغلب على ظنهما ان لا يقيما حدود الله لما بينهما من اسباب التباعد والتباغض
وقال ابن عباس هو ان يظهر من المرأة النشوز وسوء الخلق بغضا للزوج وقال ابو عبد الله اذا قالت المرأة لا اغتسل لك
من جنابة ولا ابر لك قسما ولاوطئن فراشك ولادخلن عليك بغير اذنك اذا قالت له هذا حل له ان يخلعها وحل له ما اخذ
منها وعلى الجملة اذا خافت ان تعصي الله فيه بارتكاب محظور او اخلال بواجب وان لا تطيعه فيما يجب عليها فحينئذ يحل له ان
يخلعها وروي مثل ذلك عن الحسن وقال الشعبي هو نشوزها ونشوزه فان خفتم ان لا يقيما حدود الله فان ظننتم
ان لا يكون بينهما صلاح في المقام فلا جناح عليهما اي فلا حرج ولا اثم عليهما وهذا يفيد الاباحة وفي قوله عليهما وان
كانت الاباحة للزوج وجهان احدهما ان الزوج لو خص بالذكر لاوهم انها عاصية وان كانت الفدية لها جائزة فبين الاذن
لهما في ذلك لئلا يوهم الابهام عن علي بن عيسى والآخر ان المراد به الزوج وانما ذكر المرأة معه لاقترانهما كقوله نسيا حوتهما

وقوله ومنهما اللؤلؤ والمرجان وانما هو من الملح دون العذب مجاز للاتساع قال الشيخ ابو جعفر محمد بن الحسن قدس الله روحه
وهذا الوجه ليس بشيء لان الذي يبيح الخلع عندنا هو ما لولاه لكانت المرأة عاصية واقول ان عندي في ذلك ان جواز وقوع
العصيان منها هو السبب في اباحة الخلع ورفع الجناح انما يتعلق بالخلع لا باسبابه فالوجه الاول اولى بالاختيار واشد ملائمة لظاهر
الآية فالوجه الاخير يعود عنه لعدوله عن سنن الاستقامة اذ لا يكون الاتيان واحدا في الحقيقة فيما افتدت به اي بذلت من المال واختلف
في ذلك فعندنا ان كان البغض منها وحدها وخاف منها العصيان جاز ان يأخذ المهر وزيادة عليه وان كان منهما فدون المهر وقيل
يجوز الزيادة على المهر والنقصان من غير تفصيل عن ابن عباس وابن عمر ورجاء بن حيوة وابراهيم ومجاهد وقيل المهر فقط عن الربيع وعطا
والزهري والشعبي وروي عن علي ع والخلع بالفدية على ثلاثة اوجه احدها ان تكون المرأة عجوزا او ذميمة فيضار بها الزوج
لتفتدي نفسها فهذا لا يحل له الفداء لقوله وان اردتم استبدال زوج مكان زوج الآية والثاني ان يرى الرجل امرأته على فاحشة
فيضار بها لتفتدي منه فهذا جائز وهو معنى قوله ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن الا ان يأتين بفاحشة مبينة
والثالث ان يخافا ان لا يقيما حدود الله لسوء خلق او قلة نفقة من غير ظلم او نحو ذلك فيجوز لهما جميعا الفدية على ما تفصيله
تلك حدود الله اي اوامره ونواهيه وما نصبه من الآيات في الخلع والطلاق والرجعة والعدة فلا تعتدوها اي فلا تجاوزوها
بالمخالفة ومن يتعد حدود الله اي يجاوزها بان يخالف ما حد له فاولئك هم الظالمون واستدل اصحابنا بهذه الآية على ان الطلاق
الثلاث بلفظ واحد لا يقع لانه قال الطلاق مرتان ثم ذكر الثالثة على الخلاف في انها قوله او تسريح باحسان او قوله فان طلقها فمن
طلق ثلاثا بلفظ واحد فانه لم يأت بالمرتين ولا بالثالثة كما انه لما اوجب في اللعان اربع شهادات فلو اتى باربع بلفظ واحد لما
اتى بالمشروع ولم يحصل حكم اللعان وكذلك من رمى في الجمار بسبع حصيات دفعة واحدة لم يجزه بلا خلاف فكذلك الطلاق قوله عز وجل
فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره فان طلقها فلا جناح عليهما ان يتراجعا ان ظنا ان يقيما حدود الله
وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون آية الاعراب موضع ان في قوله فلا جناح عليهما ان يتراجعا جر باضمار الجار وتقديره في
ان يتراجعا عن الخليل والكسائي والزجاج وقيل موضعه نصب وهو اختيار الزجاج وباقي النحويين وموضع ان الثانية وهو ان يقيما
حدود الله نصب بلا خلاف بظنا وانما حذف الجار من يتراجعا ولم يحذف من المصدر الذي هو الرجوع لطول ان بالصلة كما
جاز الذي ضربت زيد لطول الذي بالصلة ولم يجز في المصدر كما لم يجز في اسم الفاعل نحو زيد ضارب عمرو بزيد ضاربه النزول
الزهري عن عروة عن عائشة قال جاءت امرأة رفاعة بن وهب القرظي الى رسول الله ص فقالت اني كنت عند رفاعة فطلقني
فبت طلاقي فتزوجت بعده عبد الرحمن بن الزبير وما معه مثل هدبة الثوب وانه طلقني قبل ان يمسني افارجع الى
ابن عمي فتبسم رسول الله ص وقال اتريدين ان ترجعي الى رفاعة لا حتى تذوقي عسيلته وفي قصة رفاعة وزوجته نزل فان طلقها
فلا تحل له يعني التطليقة الثالثة على ما روي عن ابي جعفر ع وبه قال السدي والضحاك وقيل هو تفسير قوله او تسريح باحسان
عن مجاهد وهذا على مذهب من جعل التسريح طلاقا فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره اي لا تحل هذه المرأة اي الزوج
نكاحا لهذا الرجل الذي طلقها حتى تتزوج زوجا غيره ويجامعها واختلف في ذلك فقيل العقد علم بالكتاب والوطي بالسنة
عن الجبائي وقيل بل كلاهما علم بالكتاب لان لفظ النكاح يطلق عليهما فكانه قيل حتى تتزوج ويجامعها الزوج ولان
العقد مستفاد بقوله زوجا والنكاح مستفاد بقوله حتى تنكح وانما اوجب الله ذلك لعلمه بصعوبة تزوج المرأة على الرجل حتى
لا يعجلوا بالطلاق وان يتثبتوا قال ابو مسلم وهذا من الكنايات الفصيحة والايجاز العجيب فان طلقها الزوج الثاني فلا جناح
عليهما ان يتراجعا اي فلا جناح على الزوج وعلى المرأة ان يتراجعا بعقد النكاح ويعودا الى الحالة الاولى فذكر النكاح
بلفظ التراجع ان ظنا ان رجوا وقيل علما وقيل اعتقدا ان يقيما حدود الله من حسن الصحبة والمعاشرة وان يكون بينهما
الصلاح وذلك اشارة الى الامور التي بينها في النكاح والطلاق والرجعة حدود الله اوامره ونواهيه يبينها يفصلها
لقوم يعلمون خص العالمين بذكر البيان لانهم هم الذين ينتفعون ببيان الآيات فصار غيرهم بمنزلة من لا يعتد به ويجوز ان

ان يكونوا خصوا بالذكر تشريفا لهم كما خص جبرئيل وميكائيل بالذكر من بين الملائكة وتدل الآية على انه اذا طلقها الثالثة فلا تحل له الا بعد شرائط الزوج الثاني ووطيه وفرقته وانقضاء عدته وصفة الزوج الذي يحل المراة للزوج الاول ان يكون بالغا ويعقد عليها عقدا صحيحا دائما واختلف في التحليل على ثلثة اقاويل فمنهم من قال اذا نوى المحلل فسد النكاح ولا تحل للاول عن مالك والاوزاعي والثوري وروي نحوه عن ابي يوسف واحتجوا بقوله لعن الله المحلل والمحلل له ومنهم من قال اذا لم يشرط في العقد حل واذا شرطه فسد ولا يحل عن الشافعي ومنهم من قال لا يصح العقد ويبطل الشرط ويحل للاول ويكره ذلك وهو الظاهر من مذهب ابي حنيفة واهل العراق وقال محمد يصح النكاح ولا يحل للاول وفي قوله فلا تحل حتى تنكح زوجا غيره دلالة على ان النكاح بغير ولي جائز وان المراة يجوز لها ان يعقد على نفسها لانه اضاف العقد اليها دونه وليها قوله عز وجل **واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ولا تتخذوا آيات الله هزوا واذكروا نعمة الله عليكم وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به واتقوا الله واعلموا ان الله بكل شيء عليم** آية

اللغة الاجل آخر المدة وعاقبة الامور والمراد بالمعروف هنا الحق الذي يدعو اليه العقل والشرع وللمعرفة بصحته خلاف المنكر الذي يزجر عنه العقل والسمع لاستحالة المعرفة بصحته مما يجوز المعرفة بصحته معروف وما لا يجوز المعرفة بصحته منكر **الاعراب** فبلغن اجلهن في موضع جر بالعطف على الجملة قبلها وهي طلقتم النساء المجرورة الموضع باضافة اذا اليها وضرارا نصب على الحال من الواو في تمسكوهن مضارين واللام في لتعتدوا يتعلق بتمسكوهن او ضرارا وهزوا مفعول ثان لتتخذوا وما انزل موصول وصلة في محل النصب بالعطف على نعمة من الكتاب في محل النصب على الحال والعامل فيه اذكروا وذو الحال ما انزل ويجوز ان يكون بمعنى التبيين يعظكم جملة في موضع الحال والعامل فيه انزل **المعنى** ثم بين سبحانه ما يفعل بعد الطلاق فقال واذا طلقتم النساء هذا خطاب للازواج فبلغن اجلهن بالبلوغ هنا بلوغ مقاربة اي قاربن انقضاء العدة لانه بعد انقضاء العدة ليس للزوج الامساك فهذا كما تقول بلغت البلد اذا قربت منه فامسكوهن بمعروف اي راجعوهن قبل انقضاء العدة بما يتعارفه الناس بينهم مما تقبله النفوس ولا تنكره العقول والمراد بالمعروف هنا هو ان لا يمسكها على الوجه الذي اباحه الله من القيام بما يجب لها من النفقة وحسن العشرة وغير ذلك او سرحوهن بمعروف اي اتركوهن حتى تنقضي عدتهن فيكن املك بانفسهن ولا تمسكوهن ضرارا اي لا تراجعوهن لا لرغبة فيهن بل لطلب الاضرار بهن اما في تطويل العدة او تضييق النفقة في العدة لتعتدوا اي لتظلموهن ومن يفعل ذلك اي الامساك للمضارة فقد ظلم نفسه فقد اضر بنفسه وعرضها للعقاب ولا تتخذوا آيات الله هزوا اي لا تستخفوا باوامره ونواهيه وقيل آيات الله قوله فامساك بمعروف او تسريح باحسان واذكروا نعمة الله عليكم فيما اباحه لكم من الازواج والاموال وما بين من الحلال والحرام وما انزل عليكم من الكتاب يعني القرآن والحكمة يعني العلوم التي دل عليها والشرايع التي بينها يعظكم به ليعظكم فرجع به الى فعل ما امركم به وترك ما نهاكم عنه واتقوا الله اي معاصيه التي تؤدي الى عقابه وقيل اتقوا عذابه باتقاء معاصيه واعلموا ان الله بكل شيء عليم من افعالكم وغيرها قوله عز وجل **واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن اذا تراضوا بينهم بالمعروف ذلك يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ذلكم ازكى لكم واطهر والله يعلم وانتم لا تعلمون** آية

اللغة العضل الحبس وقيل هو ماخوذ من المنع وقيل ماخوذ من الضيق والشدة والامر المعضل الممتنع بصعوبته وعضلت الناقة فهي معضل اذا احتبس ولدها في بطنها وعضلت الدجاجة اذا احتبس بيضها ويقول عضل المراة يعضلها ويعضلها عضلا اذا منعها من التزويج ظلما واعضل الداء الاطباء اذا اعياهم ان يقوموا به وامتنع عليهم لشدته وداء عضال ولا عضل من العضل اي داهية من الدواهي **الاعراب** موضع ان من قوله ان ينكحن ازواجهن جر عند الخليل والكسائي وتقديره من ان ونصب عند غيرهما بوصول الفعل ذلك يوعظ به مبتدأ وخبر وقوله من كان يؤمن بالله في موضع رفع بيوعظ ومنكم في موضع الحال من الضمير في يؤمن **النزول** نزلت في معقل بن يسار حين عضل اخته جملا ان ترجع الى الزوج الاول وهو

عاصم بن عدي فانه كان طلقها وخرجت من العدة ثم اراد ان يجتمعا بعقد آخر فمنعها من ذلك الآية عن قتادة والحسن وجماعة وقيل نزلت في جابر بن عبد الله عضل بنت عم له عن السدي والوجهان لا يصحان على مذهبنا لانه لا ولاية للاخ وابن العم عندنا ولا باس بعضلهما فالوجه في ذلك ان تحمل الآية على المطلقين كما في الطلقة الثانية قال لا تعضلوهن اي لا تراجعوهن عند قرب انقضاء عدتهن اضرارا بهن لا رغبة فيهن فان ذلك لا يسوغ في الدين ويجوز ان يكون العضل محمولا على الجبر والحيلولة بينهن وبين التزويج دون ما يتعلق بالولاية واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن اي انقضت عدتهن فلا تعضلوهن اي لا تمنعوهن ظلما عن التزوج وقيل المراد به التخلية وهو خطاب للاولياء ومنع لهم عن عضلهن وقيل خطاب للازواج يعني ان تطلقوهن في السر ولا تظهروا طلاقهن لئلا يتزوجن غيركم فيبقين لا ممسكات امساك الازواج ولا مخليات تخلية المطلقات او يطول العدة عليهن ان ينكحن ازواجهن اي من يرضين بهم ازواجا لهن وقيل الذين كانوا ازواجا لهن من قبل اذا تراضوا بينهم بالمعروف اي لا يكون مستنكرا في عادة ولا خلق ولا عقل وقيل اذا تراضى الزوجان بالنكاح الصحيح عن السدي وقيل اذا تراضيا بالمهر قليلا كان او كثيرا ذلك اشارة الى ما سبق من الامر والنهي يوعظ به يزجر ويخوف به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر انما خصهم بالذكر لانهم الذين انتفعوا به ولانهم اولى بالاتعاظ به وقيل لان الكافر انما يلزمه الوعظ بعد قبوله الايمان والاعتراف بالله تعالى ذلكم ازكى لكم اي خير لكم وافضل واعظم بركة واحرى ان يجعلكم ازكياء واطهر اي اطهر لقلوبكم من الريبة فانه لعل في قلبيهما حبا فاذا منعا من التزوج لم يؤمن ان يتجاوز الى ما حرم الله وقيل اطهر لكم من الذنوب والله يعلم ما لكم فيه الصلاح في العاجل والآجل وانتم لا تعلمون وانتم غير عالمين بما اعلمكم وليس لاحد ان يستدل بالآية على ان العقد لا يصح الا بولي لانا قد بينا ان المراد بالعضل المنع واذا حملنا الآية على انها خطاب للازواج سقط قولهم وهذا اولى لانه لم يجر للاولياء ذكر وانما جرى ذكر المطلقين قوله عز وجل **والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لا تكلف نفس الا وسعها لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده وعلى الوارث مثل ذلك فان ارادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم فلا جناح عليكم اذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف واتقوا الله واعلموا ان الله بما تعملون بصير** آية

القراءة قرا اهل البصرة وابن كثير وقتيبة عن الكسائي لا تضار بالرفع وشدد الراء وقرا ابو جعفر وحده بتخفيف الراء وسكونها والباقون بتشديدها وفتحها وقرا ابن كثير وحده ما اتيتم مقصورة الالف والباقون ما آتيتم وكذلك في الروم **الحجة** من رفع فلان قبله لا تكلف فاتبعه ما قبله ليكون احسن لتشابه اللفظ فان قلت ان ذلك خبر وهذا امر قيل ان الامر قد يجيء على لفظ الخبر في التنزيل الا ترى الى قوله والمطلقات يتربصن بانفسهن ويؤكد ذلك ان ما بعده على لفظ الخبر وهو قوله وعلى الوارث مثل ذلك والمعنى ينبغي ذلك فلما وقع موقعه صار في لفظه ومن فتح جعله امرا وفتح الراء لتكون حركته موافقة لما قبلها وهو الالف فاما قراءة ابي جعفر لا تضار فينبغي ان يكون اراد لا تضار ايضا كما روي في الشواذ عن ابان عن عاصم الا انه حذف احدى الراءين تخفيفا كما قالوا في احسست احست وظلت ومست في ظللت ومسست ومن قرا اتيتم فالمراد اتيتموه كقوله وآتيتم احداهن قنطارا وقوله اذا آتيتموهن اجورهن واما قول ابن كثير فتقديره اذا سلمتم ما اتيتم نقده اذا اتيتم سوقه فحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه ثم حذف الهاء من الصلة فكانه قال اتيت نقد الف اي بذلته كما تقول اتيت جميلا اي فعلته ويؤيده قول زهير فما يك من خير اتوه فانما توارثه آباء آبائهم قبل ويقال اتيت خيرا فلك نقد الف وقد رفع اتيت موقع اتيت ويجوز ان يكون ما في الآية مصدرا ويكون في التقدير اذا سلمتم الاتيان والاتيان الماتي مما يليه لسبق او نقد كقولك ضرب الامير اي مضروبه **اللغة** الرضع مص الثدي لشرب اللبن منه يقال رضع يرضع والمصدر الرضع والرضع والرضاع والرضاع والرضاعة ولئيم راضع يرضع لبن ناقته من لؤمه لئلا يسمع الضيف

الشئ
ذات رضاع والحول السنة ماخوذ من الانقلاب في حال
صوت الشجي واوضعت المراة فهي موضعة وقولهم موضع بعيرها
عما كان عليه بحول ومنه الاستحالة في الكلام لانقلابه عن الصواب وقيل احد من الاستقل من قولك تحول عن المكان والكسوة
مصدر كسوته ثوبا اي البسته والكسى اي لبس والكسوة اللباس والتكليف الزام الشاق واصله من الكلف ظهور الاثر لانه
يلزمه ما يظهر عنه اثره وتكلف اي تحمل والكلف بالشئ الابلاغ والوسع الطاقة ماخوذ من سعة المسلك الى الغرض فتمكن
لذلك بحجة عنه والسعة منه بمنزلة القدرة فلذلك قيل الوسع بمعنى الطاقة والفصال الفطام لانفصال المولود عن الاغتذاء
بثدي امه الى غيره من الاقوات وفصيلة الرجل هو اسبه لانفصالهم من اصل واحد والفصل الفرق والفصال ماخوذ من
الشور وهو اجتناء العسل يقول شرت العسل اشوره شورا اذا اخذته من مكانه والمشورة استخراج الرأي من
المستشار لانها تجتنى منه واشار اليه اشاره اومى اليه والمشيرة الاصبع التي يسمى السبابة لانه يشار بها والشارة الهيئة واللباس
الحسن لانه مما يشار اليه لحسنه والتشاور استخراج سر الغاية كالاجتناء **الاعراب** عن تراض في موضع الحال تقديره فان ارادا
متراضيين منها في موضع جر صفة لفصال ان يسترضعوا اولادكم معناه لاولادكم فحذفت اللام لدلالة الاسترضاع عليه
من حيث انه لا يكون الا للاولاد ولا يجوز دعوت زيدا تقدير فلا يجوز الا ثبات وقوله بالمعروف جار ان يتعلق بسلمتم كانه
قال اذا سلمتم بالمعروف ما اتيتم ويجوز ان يتعلق باسم على حد قولك الاسد زيد **المعنى** لما بين سبحانه حكم الطلاق عقبه
ببيان احكام الاولاد الصغار في الرضاع والتربية وما يجب في ذلك من الكسوة والنفقة فقال والوالدات اي الامهات يرضعن
اولادهن صيغته صيغة الخبر والمراد الامر اي ليرضعن اولادهن كقوله يتربصن بانفسهن وجاز التصرف في الكلام مع دفع الاشكال
اذ لو كان خبر الكان كذبا لجواز ان يرضع اكثر من حولين واقل وقولك حسبك درهم معناه اكتف بدرهم وقيل هو خبر بمعنى
الامر وتقديره والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين في حكم الله تعالى او حجبه لعباده فحذفت الدلالة عليه وهذا امر
استحباب لا امر ايجاب والمعنى انهن احق برضاعهن من غيرهن بدليل قوله وان تعاسرتم فسترضع له اخرى ثم بين مدة الرضاع
فقال حولين كاملين اي عامين باسقاط اربعة وعشرين شهرا وانما ذكر كاملين وان كانت التثنية تاتي على استيفاء العدد لرفع
الابهام الذي يعرض في الكلام فان الرجل يقول سرت شهرا واقمت عند فلان سنة وان كان قد سار قريبا من شهر واقام
قريبا من سنة وفي هذا بيان لامرين احدهما مندوب والثاني فرض فالمندوب هو ان يجعل الرضاع تمام الحولين
والمفروض هو ان المرضعة تستحق الاجرة في مدة الحولين ولا تستحق فيما زاد عليه واختلف في هذا الحد فقيل هو لكل مولود
او للبعض فقال ابن عباس ليس لكل مولود ولكن لمن ولدت لستة اشهر وان ولدت لسبعة اشهر فثلاثة وعشرون وان ولدت
لتسعة فاحد وعشرون تطلبت بذلك تكملة ثلثين شهرا في الحمل والفصال وعلى هذا يدل ما رواه اصحابنا في هذا الباب
لانهم رووا ان ما نقص عن احد وعشرين شهرا فهو جور على الصبي وقال الثوري وجماعة هو لازم في كل ولد اذا اختلف
والداه رجعا الى الحولين من غير نقصان ولا زيادة ولا يجوز لهما غير ذلك والرضاع بعد الحولين لا حكم له في التحريم عندنا
وبه قال ابن عباس وابن مسعود واكثر العلماء قالوا المراد بالآية ان التحريم الواقع بالرضاع فهي الحولين يحرم وما بعده لا يحرم
وقوله لمن اراد ان يتم الرضاعة اي لمن اراد ان يتم الرضاعة المفروضة عليه وهذا يدل على ان الارضاع غير مستحق على الام
لانه علقه بالارادة ويدل عليه قوله وان تعاسرتم فسترضع له اخرى وقال قتادة والربيع فرض الله على الوالدات ان يرضعن
اولادهن حولين ثم انزل الرخصة بعد ذلك فقال ان اردتم الرضاعة يعني ان هذا منتهى الرضاع وليس فيما دون ذلك
حد محدود وانما هو على مقدار صلاح الصبي ما يعيش به وعلى المولود له يعني الاب رزقهن يعني الطعام والادام وكسوتهن
يعني لباسهن والمراد رزق الام وكسوتها ما دامت في الرضاعة اللازمة وذلك في المطلقة عن الثوري والضحاك واكثر
المفسرين بالمعروف يعني على قدر الميسار ولانه تعالى علم احوال الناس في الغنى والفقر وجعل حق الحضانة للام والنفقة
على الاب على قدر الغنى ولم يرد به نفقة الزوجات لانه قابلها بالارضاع ونفقة الزوج لا تجب بسبب الارضاع وانما..

122
بسبب الزوجية وقال بعضهم اراد به نفقات الزوجات وقوله لا تكلف نفس الا وسعها اي لا يلزم الا دون طاقتها لا تضار
والدة بولدها اي لا تترك الوالدة ارضاع ولدها غيظا على ابيه فتضر به لان الوالدة اشفق عليه من الاجنبية ولا مولود له بولده
اي باخذه من امه طلبا للاضرار بها فيضر بولده فيكون المضارة على هذا المعنى الاضرار اي لا يضر الوالدة ولا الوالد وانما قال
تضار والفعل من واحد لانه لما كان معناه المبالغة كان بمنزلة ان يكون الفعل من اثنين وقيل الضرر يرجع الى الولد كانه
يقول لا يضار كل واحد من الام والاب بالصبي الام بان لا ترضعه والاب بان لا ينفق او بان ينزعه من الام والباء زائدة
والمعنى لا تضار والدة ولدها ولا والد ولده وقيل بعناه لا تضار والدة الزوج بولده ولو قيل في ولدها لجاز في
المعنى وروي عن السيدين الباقر والصادق لا تضار والدة بان يترك جماعها خوف الحمل لاجل ولدها المرتضع ولا مولود
له بولده اي لا تمنع نفسها من الاب خوف الحمل فيضر ذلك بالاب وقيل لا تضار والدة بولدها بان ينزع الولد منها ويسترضع
امراة غيرها مع اجابتها الى الرضاع باجرة المثل فعلى هذا يكون معنى بولدها بسبب ولدها ولا مولود له اي لا تمتنع هي من الارضاع
اذا اعطيت اجرة مثلها فان فعلت استاجر الاب مرضعة غيرها ولا تمنعه من روية الولد فيكون فيه مضارة بالوالد
وقوله بولده بسبب ولده ايضا وليس بين هذه الاقوال تناف فالاولى حمل الآية على جميعها وقوله وعلى الوارث قيل معناه
وارث الولد عن الحسن وقتادة والسدي وهو من يرثه اذا مات وقيل وارث الولد عن قبيصة بن ذويب والاقوى
مثل ذلك اي مثل ما كان على الوالد من النفقة والرضاع عن الحسن وقتادة وقيل مثل ما كان على الوالد من ترك المضارة عن
الضحاك والمفهوم عند اكثر العلماء الامران معا وهو الذي بالعموم واختلفوا في ان النفقة على كل وارث او على بعضهم فقيل
هي على العصبات دون اصحاب الفرائض من الام والاخوة من الام عن عمر بن الخطاب والحسن وقيل على وارث الصبي
من الرجال والنساء على قدر النصيب من الميراث عن قتادة وقيل على الوارث ممن كان ذا رحم محرم دون من كان ذا رحم
ليس بمحرم كابن العم وابن الاخت يجب على ابن الاخت ولم يجب على ابن العم وان كان وارثه في تلك الحال عن ابي حنيفة وصاحبه
وقيل على الوارث اي الباقي من ابويه عن سفين وهو الصحيح عندنا وهو مذهب الشافعي ايضا لان عنده لا اجر على نفقة الرضاع
الا الوالدان فقط وقد روي ايضا في اخبارنا ان على الوارث كائنا من كان النفقة وهذا يوافق الظاهر وبه قال قتادة واحمد
واسحق وقوله فان ارادا فصالا اي قبل الحولين عن مجاهد وقتادة وهو المروي عن ابي عبد الله وقيل قبل الحولين او بعدهما
عن ابن عباس عن تراض منهما اي من الاب والام وتشاور يعني اتفاقا منهما ومشاورة وانما شرط تراضيهما وتشاورهما
مصلحة للولد لان الوالدة تعلم من تربية الصبي ما لا يعلمه الوالد فلو لم يتفكرا ويتشاورا في ذلك ادى الى ضرر الصبي
فلا جناح عليهما اي لا حرج عليهما اذا امسك الولد فان تنازعا رجعا الى الحولين قوله وان اردتم خطاب للاباء ان
تسترضعوا اولادكم اي لاولادكم ان تطلبوا مرضعا لهم غير امهاتهم لاباء امهاتهم الرضاعة او لعلة بهن من انقطاع لبن او غيره
فلا جناح عليكم اي لا حرج ولا ضيق في ذلك اذا سلمتم ما اتيتم بالمعروف اي سلمتم الى الام اجرة المثل بمقدار ما ارضعت
عن مجاهد والسدي وقيل اذا سلمتم الاسترضاع عن تراض واتفاق دون الضرار عن ابن شهاب وهذا معنى قول ابن عباس
في رواية عطا قال اذا سلمت امه ورضي ابوه لعل له غنى يشتري له مرضعا وقيل اذا سلمتم اجرة المسترضعة عن الثوري وقيل
اذا سلمتم اجرة الام او الظئر عن ابن جريج ومعنى قوله اتيتم ضمنتم والتزمتم ثم امر بالتقوى فقال سبحانه واتقوا الله يعني معاصيه
او عذابه في مجاوزة ما حده للعباد واعلموا ان الله بما تعملون اي باعمالكم بصير اي عليم لا يخفى عليه شئ منها وفي قوله سبحانه
لا يكلف نفس الا وسعها دلالة على افساد قول المجبرة في حسن تكليف ما لا يطاق لانه اذا لم يجز ان يكلف مع عدم الجدة
فان لا يكلف مع عدم القدرة اخرى فان الحالين لا سبيل له الى اداء ما كلف فظاهر جلي والذين يتوفون منكم
ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا فاذا بلغن اجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن
بالمعروف والله بما تعملون خبير آية **القراءة** روي في الشواذ عن علي ع يتوفون بفتح الياء قال ابن جني هو على حذف المفعول

اى الذين يتوفون آجالهم او اعمارهم وحذف المفعول به كثير في القرآن وفصيح في الكلام اذا كان هناك دليل عليه
قال الشنفرى واوليت من كل شيء اي شاء الى الحطيئة منعة يعنون الليث منها كصوبل رد ابن غنى اى تصور الكلام منها
وتوفيت الشيء استوفيته اخذته وافيا ويدع يترك الماضي استغنى عنه بترك والعلة في ذلك انهم تركوا الواوات
في اول الكلمة حتى انهم لم يلحقوها اولا على جهة الزيادة اصلا الاجل غاية الوقت في محل الدين ونحوه لتاخره الى ذلك الوقت
والاجل نقيض العاجل التاخر عن وقت غيره وفعلته من اجل كذا اي لعاقبة كذا وهي متاخرة عن وقت الفعل والقطيع من
بقر الوحش يسمى اجلا وقد تأجل الصوار اي صار اجلا اجلالا لتاخر بعضه عن بعض واجل عليهم شرا اجلا اي جناه لانه يعقبه
شرا والآجلة الآخرة والعاجلة الدنيا والخبر العلم بمخبر الخبر واصله من السهولة والخبار الارض السهلة واخبرت بالشيء عنه
لانه تسهيل الطريق العلم به والخبير الاكار والمخابرة المواكرة وهو ان يزرع على النصف او الثلث او نحو ذلك لتسهيل الزراع احكاما
الاعراب الذين موضعه رفع بالابتداء ويتوفون صلته ومنكم في موضع النصب على الحالية من الواو في يتوفون ويذرون ازواجا
عطف على الصلة فهو ايضا من الصلة ويتربصن وما بعده خبر المبتدا واذا كان خبر المبتدا لا يخلو من ان يكون هو او يكون
له فيه ذكر فلا يجوز ان يكون هذا الظاهر على الذي هو عليه لخلوه من ضربي خبر الابتداء وقد قيل فيه اقوال احدها ان
تقديره خبر المبتدا يتربصن بعدهم لان المعنى يتربصن ازواجهم بعدهم اربعة اشهر وعشرا وجاز حذف هذا على الذي يتعلق
به الى المبتدا كما جاز ذلك في قولهم السمن منوان بدرهم والمعنى منوان منه بدرهم عن الاخفش والثاني ان يكون تقديره
ازواجهم يتربصن عن ابي العباس المبرد فالمحذوف على هذا هو المبتدا الذي هو ازواجهم وساغ هذا الحذف لقيام الدلالة
عليه كما يسوغ حذف المفرد اذا قامت الدلالة عليه وقيام الدلالة على المضاف ان الازواج قد تقدم ذكرهن فساغ
اضمارهن وحسن واما حذف المضاف اليه فلاقتضاء المبتدا الراجع اليه وقد جاء المبتدا المضاف محذوفا كما جاء
المفرد في ذلك قوله عز اسمه لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل اي تقلبهم متاع قليل والثالث ان يكون تقديره
ويتربصن ازواجهم ثم كنى عن الازواج عن الكسائي والفراء وعشرا بالتانيث تغليبا لليالي على الايام اذا اجتمعت في التاريخ
لان ليل كل يوم قبله كاملا لخمس بقين وقد علم المخاطب ان الايام داخلة مع الليالي وانشد سيبويه فطافت ثلاثا
بين يوم وليلة يكون النكير ان تضيف وتجارا فيما فعلن ما مع صلته في موضع الجر بفي وقوله بالمعروف والجار والمجرور
في موضع النصب على الحال المعنى ثم بين سبحانه عدة المطلقات بين عدة الوفاة فقال والذين يتوفون منكم اي يقبضون
ويموتون منكم ويذرون اي يتركون ازواجا اي نساء يتربصن بانفسهن اي ينتظرن انقضاء العدة ويحبسن انفسهن
عن التزوج معتدات اربعة اشهر وعشرا اي وعشر ليال عشرة ايام وهذه عدة المتوفى عنها زوجها سواء كانت مدخولا
بها او غير مدخول بها حرة كانت او امة فان كانت حبلى فعدتها ابعد الاجلين من وضع الحمل او مضي اربعة اشهر
وعشر ووافقنا في عدة الامة الاصم وخالف باقي الفقهاء في ذلك فقالوا عدتها نصف عدة الحرة شهران وخمسة ايام
والذي ذهب قوم من اصحابنا وقالوا في عدة الحامل انها بوضع الحمل وان يعتبر بالمغتسل روى ذلك عمر بن الخطاب
وابو مسعود البدري وابو هريرة وعندنا ان وضع الحمل يخص عدة المطلقة والذي يجب على المعتدة عدة الوفاة
اجتنابه هو الزينة والكحل وترك النقلة عن المنزل عن ابن عباس والزهري والامتناع من التزوج لا غير عن الحسن
واحدى الروايتين عن ابن عباس وعندنا ان جميع ذلك واجب فاذا بلغن اجلهن اي آخر العدة بانقضائها فلا جناح
عليكم قيل انه خطاب للاولياء وقيل لجميع المسلمين لانه يلزمهم منعها عن التزوج في العدة وقيل معناه لا جناح على النساء
وعليكم فيما فعلن في انفسهن من النكاح والزينة التي لا ينكر مثلها وهذا معنى قوله بالمعروف وقيل معنى قوله بالمعروف
ما يكون جائزا وقيل معناه النكاح الحلال عن مجاهد والله بما تعملون خبير اي عليم وهذه الآية ناسخة لقوله والذين
يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول غير اخراج وان كانت مقدمة عليه في التلاوة قوله عز وجل

ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء او اكننتم في انفسكم علم الله انكم ستذكرونهن ولكن لا تواعدوهن
سرا الا ان تقولوا قولا معروفا ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب اجله واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه
واعلموا ان الله غفور حليم آية في الكوفي آيتان في غيرهم ترك قولا معروفا كوفي اللغة التعريض ضد التصريح وهو ان يضمن
الكلام دلالة على ما يريد واصله من العرض للشيء الذي هو جانب وناحية منه وفي الحديث من عرض عرضنا له ومن مشى
على الكلاء القيناه في النهر ومعناه من عرض بالقذف عرضنا له بتاديب لا يبلغ الحد ومن صرح القيناه في نهر الحد والفرق
بين التعريض والكناية ان التعريض تضمين الكلام دلالة على شيء ليس فيه ذكر له والكناية العدول عن الذكر الاخص باسمه
الى ذكر يدل عليه فالاول كقول القائل ما اقبح البخل تعرض بان المخاطب بخيل والثاني كقولك زيد ضربته كنيت عنه بالهاء
والخطبة الذكر الذي يستدعى به الى عقدة النكاح اخذ من الخطاب وهو توجيه الكلام للافهام والخطبة الوعظ
المتسق على ضرب من التاليف وقيل الخطبة ما له اول وآخر مثل الرسالة والخطبة للحال نحو الجلسة والقعدة والاكنان الستر
للشيء تقول اكننت الشيء اذا سترته والفرق بين الاكنان والكن ان الاكنان الاضمار في النفس ولا يقال كننته في النفس والكنانة
الجعبة الصغيرة تتخذ للنبل والسر في اللغة على ثلاثة اوجه الاخفاء في النفس والشرف في الحسب يقال فلان في سر قومه
اي في صميمهم والجماع في الفرج قال امرؤ القيس الا زعمت بسباسة اليوم انني كبرت وان لا يشهد السر امثالي والاعشى قال
ولا تنكحن جارة ان سرها عليك حرام فانكحن او تابدا والعزم عقد القلب على امر يفعله وفي الحديث خير الامور عوازمها يعني
ما وكدت عزمك عليه والعقدة من العقد وهو شد المثل باعاقد اذ كر حلا وعقد اليمين خلاف اللغو الاعراب
فيما عرضتم الجار والمجرور في موضع الحال وكذا في قوله من خطبة النساء ان تقولوا في موضع نصب بدلا من سرا وتقديره الا ان تقولوا
الا قولا معروفا ولا تعزموا عقدة النكاح اي على عقدة النكاح فحذف على استخفافا كما قالوا ضرب زيد الظهر والبطن معناه على الظهر
والبطن قال سيبويه ان الحذف في هذه الاشياء لا يقاس عليه المعنى لما تقدم ذكر عدة النساء وجواز الرجعة فيها للازواج عقبه ببيان
حال غير الازواج فقال ولا جناح عليكم اي لا حرج ولا ضيق عليكم يا معشر الرجال فيما عرضتم به من خطبة النساء المعتدات
ولا تصرحوا به وذلك بان تذكروا ما يدل على رغبتكم فيها واختلف في معناه وقيل التعريض هو ان يقول الرجل للمعتدة اني
اريد النكاح واني احب امراة من صفتها كذا وكذا ويذكر بعض الصفات التي هي عليها عن ابن عباس وقيل هو ان
يقول انك لنافقة وانك لموافقة لي وانك لمعجبة جميلة وان قضى الله شيئا كان عن القسم بن محمد والشعبي وقيل هو كل
ما كان من الكلام دون عقد النكاح عن ابن زيد او اكننتم في انفسكم اي اسررتم واضمرتم في انفسكم من نكاحهن بعد
مضي عدتهن وقيل هو اسرار العزم دون اظهاره والتعريض اظهاره عن مجاهد وابن زيد علم الله انكم ستذكرونهن
برغبتكم فيهن خوفا منكم ان يسبقكم اليهن غيركم فاباح لكم ذلك ولكن لا تواعدوهن سرا فيه اقوال احدها ان معناه لا تواعدوهن
في السر لانها اجنبية والمواعدة في السر تدعو الى ما لا يحل وثانيها ان معناه الزنا عن الحسن وابراهيم وقتادة وقالوا
كان الرجل يدخل على المرأة من اجل الزنية وهو معرض بالنكاح فنهوا عن ذلك وثالثها ان العهد على امتناع من تزوج
غيره عن ابن عباس وسعيد بن جبير ورابعها هو ان يقول لها اني ناكحك فلا تفوتيني نفسك عن مجاهد وخامسها ان السر
الجماع ومعناه لا تصفوا انفسكم بكثرة الجماع ولا تذكروه عن جماعة وسادسها انه اسرار عقدة النكاح في السر عن عبد بن زيد وجميع
هذه الاقوال ما روي عن الصادق انه قال لا تصرحوا لهن النكاح والتزويج قال ومن السر ان تقول لها موعدك بيت فلان
الا ان تقولوا قولا معروفا يعني التعريض الذي اباحه الله تعالى والاستثناء منقطع لان ما قبله هو المنهي عنه وما بعده هو المأذون
فيه وتقديره ولكن قولوا قولا معروفا ولا تعزموا عقدة النكاح اي على عقدة النكاح بمعنى لا تبتدوا ذلك النكاح ولا تعقدوا عقدة
النكاح في العدة ولم يرد به النهي عن العزم على النكاح بعد العدة لانه اباح ذلك وقوله او اكننتم حتى يبلغ الكتاب اجله معناه
حتى تنقضي العدة بلا خلاف ومثل الكتاب هو القرآن والمعنى حتى يبلغ فرض الكتاب اي ما فرض في القرآن من العدة

والاجل المضروب لها وقيل معناه حتى يبلغ العرض اجله وعبر بالكتاب عن الفرض كما تقول كتب اي فرض وهذا لان
ماكتب فقد اثبت فقد اجتمعا في معنى الثبوت وقيل هذا تشبيه للعدة بالدين الموجل المكتوب اجله في كتاب فكما يتأخر
المطالبة بذلك الدين حتى يبلغ اجله كذلك يتأخر خطبة النكاح في العدة الى انقضاء العدة واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم
من اسراركم وضمايركم فاحذروه فاتقوا عقابه ولا تخالفوا امره واعلموا ان الله غفور لعباده حليم يمهل العقوبة المستحقة
فلا يعجل بها قوله عز وجل لا جناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن او تفرضوا لهن فريضة ومتعوهن على الموسع
قدره وعلى المقتر قدره متاعا بالمعروف حقا على المحسنين آية القراءة قرأ حمزة والكسائي تماسوهن بضم التاء وبالف
هنا في موضعين وفي الاحزاب وقرأ الباقون تمسوهن وقرأ ابو جعفر واهل الكوفة الا ابا بكر وابن ذكوان قدره
بفتح الدال في الموضعين والباقون باسكانها الحجة حجة من قرأ تمسوهن قوله ولم يمسسني بشر ولم يطمثهن والكناية عن النكاح
عبارة عن الوطء قال جرير التاركون على طهر نساءهم والناكحون بشطي دجلة البقرا وحجة من قرأ تماسوهن ان فاعل
وفعل قد يراد بكل منها ما يراد بالاخر وذلك نحو طارقت النعل وعاقبت اللص قال ابو الحسن يقال هو القدر والقدر
وهم يختصمون في القدر والقدر قال الشاعر الا يا لقوم للنوايب والقدر وحد منه بعد كذا وقد ترك العثمان في كتاب
الله تعالى فسالت اودية بقدرها وقدرها وعلى الموسع قدره وقدره وما قدروا الله حق قدره ولو حركت كان جايزا
وكذلك انا كل شيء خلقناه بقدر لو خففت جاز الا ان رؤس الآي كلها متحركة فيلزم الفتح لان ما قبلها مفتوح اللغة الموسع
الذي يكون في سعة لغناه والمقتر الذي يكون في ضيق لفقره يقال اوسع الرجل اذا كثر ماله واتسعت حاله واقتر اذا افتقر
وقترت الشيء اقتره قترا وقترته تقتيرا اذا ضيقت الانفاق منه والقتار دخان الشحم على النار لقلته بالاضافة الى نفعه
والقتر الغبار والقتير مسامير الدرع لقلتها وصغرها والقتير ابتداء الشيب لقلته ويجوز ان يكون شبهها بالدخان او [illegible]
والقترة ناموس الصايد لانها كالقتار واصل الباب الاقلال وقدرت الشيء قدرا واقدره وقدرت على الشيء اقدر عليه
قدرة وقدرا الاعراب ما لم تمسوهن موصول وصلة في موضع نصب تقديره مدة ترك المس فحذف المضاف واقيم المضاف
اليه مقامه والعامل في الظرف طلق وجواب الشرط محذوف وتقديره ان طلقتم النساء فلا جناح عليكم متاعا نصب على احد
الوجهين اما ان يكون حالا من قدره والعامل فيه الظرف اي ثبت متاعا واما على المصدر اي متعوهن متاعا وحقا ينتصب
ايضا على احد وجهين اما ان يكون حالا من قوله بالمعروف والعامل فيه معنى عرف حقا واما ان يكون على التاكيد بجملة الخبر كما
قال اخبركم به حقا او احقه حقا او حق ذلك عليهم حقا كانه قال ايجابا على المحسنين المعنى ثم بين سبحانه حكم الطلاق قبل المسيس
وفرض المهر فرفع الاثم عن الطلاق قبل الدخول لئلا يتوهم احد ان الطلاق في هذه الحالة محظور والمس كناية عن الوطء والمفروض
صداقها داخلة في دلالة الآية وان لم يذكر لان التقدير ما لم تمسوهن فرضتم لهن ولم تفرضوا لهن فريضة لان او تنبي عن ذلك
اذ لو كان على الجمع لكان بالواو الصداق بلا خلاف يجب بالعقد للمرأة مفوضا فرض لوجوبه بالعقد ومعناه او لم تفرضوا
لهن مهرا مقدرا وانما خص التي لم يدخل بها بالذكر في رفع الجناح دون المدخول بها وان كان حكمها واحدا لامرين
احدهما لازالة الشك على ما قدمنا ذكره والثاني لازالة ان يطلق التي لم يدخل بها اي وقت شاء بخلاف المدخول
فانه لا يجوز ان يطلقها الا في طهر لم يجامعها فيه ومتعوهن اي اعطوهن ما لكم ما يتمتعن به والمتعة والمتاع ما يتمتع
به على الموسع قدره اي على الغني الذي هو في سعة لغناه على قدر حاله وعلى المقتر قدره اي على الفقير الذي هو في ضيق
بقدر امكانه وطاقته والمتعة خادم او كسوة او ورق عن ابن عباس والشعبي والربيع وهو المروي عن الباقر والصادق ع
وهو مذهب الشافعي وقيل هي مثل نصف صداق تلك المرأة المنكوحة عن ابي حنيفة واصحابه ثم اختلف في ذلك فقيل
انما تجب المتعة على التي لم يسم لها صداق خاصة عن سعيد بن المسيب وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله وهو مذهب
ابي حنيفة واصحابه وقيل المتعة لكل مطلقة الا المختلعة والمبارئة والملاعنة عن الزهري وسعيد بن جبير وابي العالية

134

وقيل المتعة لكل مطلقة سوى المطلقة المفروض لها اذا طلقت قبل الدخول فانما لها نصف الصداق ولا متعة لها
عن ابن عمر ونافع وعطاء وهو مذهب الشافعي ورواه اصحابنا ايضا وذلك محمول على الاستحباب وقوله متاعا اي ومتعوهن
متاعا بالمعروف اي وسطا ليس فيه اسراف ولا تقتير وقيل متاع معتبر بحال الرجل في اليسار والاقتار وقيل معتبر بحالهما
جميعا لانه لا يسوى بين حرة شريفة وبين معتقة لكون ذلك خارجا عن المتعارف عن القاضي وقال اهل المدينة يؤمر
الزوج به من غير ان يجبر عليه وعندنا يجبر عليه وبه قال اهل العراق حقا على المحسنين اي واجبا على الذين يحسنون الطاعة
ويجتنبون المعصية وانما خص المحسنين بذلك تشريفا لهم لا انه لا يجب على غيرهم ودل ذلك على وجوب الاحسان على جميعهم
لان على كل انسان ان يكون محسنا وهو كقوله هدى للمتقين وقيل معناه من اراد ان يحسن فهذا حقه وحكمه والوجه
عن ابي مسلم هذا كله في المطلقة فاما المتوفى عنها زوجها اذا لم يفرض لها صداق فلها الميراث وعليها العدة اجماعا وقال
اكثر الفقهاء لها صداق مثلها وحكى ابو علي الجبائي عن بعض الفقهاء انه قال لا مهر لها وهو الذي يليق بمذهبنا لانه
لا نص لاصحابنا في ذلك قوله عز وجل وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم الا
ان يعفون او يعفو الذي بيده عقدة النكاح وان تعفوا اقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم ان الله بما تعملون
بصير آية القراءة روي في الشواذ عن الحسن او يعفو الذي بيده بسكون الواو وعن علي ع ولا تناسوا الفضل الحجة قال
ابن جني سكون الواو من المضارع في موضع النصب قليل وسكون الياء فيه اكثر واصل السكون في هذا انما هو
للالف نحو ان يسعى ثم شبهت الياء بالالف لقربها منها نحو قوله كان ايديهن بالموماة ايدي جوار بتن ناعمات وقوله كان
ايديهن بالقاع القرق ثم شبهت الواو في ذلك بالياء وقال الاخطل اذا شئت ان تلهو ببعض حديثها رفعن وانزلن القطين المولدا
وقال ابى الله ان اسمو بام ولا اب واما قوله تناسوا فانما هي نهي عن فعلهم الذي اختاروه وتظاهروا به كما تقول تغافل وتصامم
وتحسن هذه القراءة انك انما تنهى الانسان عن فعله والنسيان ظاهره ان يكون من فعل غيره كانه انسي نفسه قال الله سبحانه
وما انسانيه الا الشيطان الاعراب فنصف ما فرضتم رفع تقديره فعليكم نصف ما فرضتم وقوله يعفون في موضع نصب بان
الا ان فعل المضارع اذا اتصل به نون جماعة المؤنث بني فيستوي في الرفع والنصب والجزم وان يعفون موصول
وصلة في محل النصب على الاستثناء او يعفو تقديره او ان يعفو وهو في محل النصب بالعطف على الموصول والصلة قبلها وان تعفوا
في موضع رفع بالابتداء وتقديره والعفو اقرب للتقوى اللام يتعلق باقرب وهو بمعنى من او الى والالف واللام
في النكاح بدل من الاضافة اذ المعنى او يعفو الذي بيده عقدة نكاحه ومثله قوله فان الجنة هي المأوى ومعناه هي مأواه
المعنى ثم بين سبحانه حكم الطلاق قبل المسيس بعد الفرض فقال وان طلقتموهن يعني ان طلقتم ايها الرجال النساء من قبل
ان تمسوهن اي تجامعوهن وقد فرضتم لهن فريضة اي اوجبتم لهن صداقا وقدرتم مهرا فنصف ما فرضتم اي فعليكم نصف
نصف ما قدرتم وهو المهر المسمى الا ان يعفون يعني الحراير البالغات غير المولى عليهن لفساد عقولهن اي تركن ما يجب لهن
من نصف الصداق فلا يطالبن الازواج بذلك عن ابن عباس ومجاهد وساير اهل العلم او يعفو اي يترك او يهب الذي بيده عقدة
النكاح قيل هو الولي عن مجاهد وعلقمة والحسن وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله وهو مذهب الشافعي غير ان عندنا الولي
هو الاب والجد مع وجود الاب الادنى على البكر غير البالغ فاما من عداهما فلا ولاية له الا بتوليتها اياه وقيل هو الزوج ورووه
عن علي وسعيد بن المسيب وشريح وابراهيم وقتادة والضحاك وهو مذهب ابي حنيفة ورووه ايضا اصحابنا غير ان الاول
اظهر وعليه المذهب ومن جعل العفو للزوج قال له ان يعفو جميع النصف ومن جعله للولي من اصحابنا قال له ان يعفو عن
بعضه وليس له ان يعفو عن جميعه فان امتنعت المرأة عن ذلك لم يكن لها ذلك اذا اقتضته المصلحة عن ابي عبد الله وان تعفوا
اقرب للتقوى خطاب للزوج والمرأة جميعا عن ابن عباس وللزوج وحده عن الشعبي قال وانما جمع لانه خطاب لكل زوج وقول
ابن عباس اقوى لعمومه وانما كان العفو اقرب للتقوى من وجهين احدهما ان معناه اقرب الى اتقاء احدهما ظلم صاحبه

لان من ترك لغيره حق نفسه كان اقرب الى ان لا يظلم غيره بطلب ما ليس له والثاني معناه اقرب الى اتقاء معصية الله تعالى لان من
ترك حق نفسه كان اقرب الى ان لا يعصي الله تعالى بما ليس له ولا تنسوا الفضل بينكم اي لا تتركوا الاخذ بالفضل والاحسان بينكم والافضال
فيأخذ واتمام الحكم واستيفاء الحقوق على الكمال بين سبحانه في هذه الاية الحكم الذي لا يعذر احد في تركه وهو انه ليس للزوج
ان ينقص من نصف المهر وللمرأة ان يطلبه بالزيادة ثم بين طريق الفضل من الجانبين وندب اليه وحث عليه ان الله بما
تعملون اي باعمالكم بصير اي عليم وروي عن سعيد بن المسيب ان هذه الاية ناسخة لحكم المتعة في الاية الاولى قال
ابو القسم البلخي وهذا ليس بصحيح لان الاية تضمنت حكم من لم يدخل بها ولم يسم لها مهرا اذا طلقها وهذه تضمنت حكم التي
فرض لها المهر ولم يدخل بها اذا طلقها واحد الحكمين غير الاخر واقول اذا ساغ في الاية الاولى ان تتناول المطلقات
غير المدخول بهن سواء فرض لهن المهر او لم يفرض وقلنا ان متعوهن لا يحمل على العموم اذ لا متعة لمن فرض لها المهر
وان لم يدخل بها فلا بد من تخصيص فيه وتقدير حذف اي متعوا من طلقتم منهن ولم تفرضوا لهن فريضة وانما جاز
هذا الحذف لدلالة ذكر من فرض لها المهر وحكمها في الاية الاخرى عليه وهذا ما سنح لي هنا ولم ار احدا من المفسرين تعرض
لذكره وبالله التوفيق قوله عز وجل حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وقوموا لله قانتين آية اللغة الحفظ
ضبط الشيء في النفس ثم يشبه به ضبط بالمنع من الذهاب والحفظ خلاف النسيان واحفظه اغضبه لانه حفظ عليه
ما يكرهه ومنه الحفيظة الحمية والحفاظ المحافظة الوسطى تأنيث الاوسط وهو الشيء بين الشيئين على جهة الاعتدال واصل القنوت
الدوام على امر واحد وقيل اصله الطاعة وقيل اصله الدعاء في حال القيام قال علي بن عيسى والاول احسن لحسن تصرفه في الباب
لان المداوم على الطاعة قانت وكذلك المداوم في صلوته على السكوت الا عن الذكر المشروع وكذلك المداوم على الدعاء
ويقال فلان يقنت عليه اي يدعو عليه دائما النزول عن زيد بن ثابت ان النبي صلى الله عليه وآله كان يصلي بالهاجرة وكانت اثقل الصلوات
على اصحابه فلا يكون وراءه الا الصف والصفان فقال لقد هممت ان احرق على قوم لا يشهدون الصلوة بيوتهم فنزلت
هذه الاية المعنى لما حث سبحانه على الطاعة خص الصلوة بالمحافظة عليها لانها اعظم الطاعات فقال لقد هممت ان احرق على قوم
لا يشهدون الصلوة بيوتهم فنزلت هذه الاية حافظوا على الصلوات اي داوموا على الصلوات المكتوبات في مواقيتها بتمام
اركانها ثم خص الوسطى تفخيما لشأنها فقال والصلوة الوسطى كقوله سبحانه من كان عدوا لله وملائكته ثم قال وجبريل
وميكال اي والصلوة الوسطى خاصة فقوموا عليها ثم اختلف في الصلوة الوسطى على اقوال احدها انها صلوة الظهر عن زيد
بن ثابت وابن عمر وابي سعيد الخدري واسامة وعائشة وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله وهو قول ابي حنيفة
واصحابه وذكر بعض ائمة الزيدية انها الجمعة يوم الجمعة والظهر سائر الايام ورواه عن علي ويدل عليه سبب نزول الآية وانها وسط
النهار واول صلوة فرضت وروي عن علي بن ابي طالب ان لله في السماء الدنيا حلقة تزول فيها الشمس فاذا زالت الشمس
سبح كل شيء لربنا فامر الله تعالى بالصلوة في تلك الساعة وهي الساعة التي تفتح فيها ابواب السماء فلا تغلق حتى يصلى الظهر
ويستجاب فيها الدعاء وثانيها انها صلوة العصر عن ابن عباس والحسن وروي ذلك عن علي وابن مسعود وقتادة والضحاك
وروي ذلك عن ابي حنيفة وروي مرفوعا الى النبي قالوا لانها بين صلوتي النهار وصلوتي الليل وانما خصت بالذكر
لانها تقع في وقت اشتغال الناس في غالب الامر وروي عن النبي انه قال الذي تفوته صلوة العصر كانما وتر اهله وماله
وروي عن بريدة قال قال رسول الله بكروا بالصلوة في يوم الغيم فان من فاتته صلوة العصر حبط عمله وثالثها انها
المغرب عن قبيصة بن ذؤيب قال لانها وسط في الطول والقصر من الصلوات وروى الثعلبي باسناده عن عائشة قالت
قال رسول الله ان افضل الصلوة عند الله صلوة المغرب لم يحطها الله عن مسافر ولا مقيم فتح الله بها صلوة الليل وختم
بها صلوة النهار فمن صلى المغرب وصلى بعدها ركعتين بنى الله له قصرا في الجنة ومن صلى المغرب وصلى بعدها
اربع ركعات غفر الله له ذنب عشرين او اربعين سنة ورابعها انها صلوة العشاء الآخرة عن بعضهم قال لانها بين صلوتين

لا تقصران وروي عن النبي انه قال من صلى العشاء الآخرة عن بعضهم قال لانها في جماعة كان كقيام نصف ليلة ومن صلى
الفجر في جماعة كان كقيام نصف ليلة ومن صلى الفجر في جماعة كان كقيام ليلة وخامسها انها صلوة الفجر عن معاذ وعن ابن عباس
وجابر بن عبد الله وعطاء وعكرمة ومجاهد وهو قول الشافعي لانها بين صلوتي الليل والنهار وبين الظلام والضياء ولانها
صلوة لا تجمع مع غيرها فهي منفردة من مجتمعتين ويدل عليه من التنزيل قوله وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا يعني تشهده
ملائكة الليل والنهار وهو مكتوب في ديوان الليل وديوان النهار قالوا ويدل عليه آخر الآية وقوموا لله قانتين يعني وقوموا
فيها لله قانتين قال ابو رجاء العطاردي صلى ابن عباس في مسجد البصرة صلوة الغداة فقنت بنا قبل الركوع ورفع يديه
فلما فرغ قال هذه الصلوة الوسطى التي امرنا ان نقوم فيها قانتين اورده الثعلبي في تفسيره وروى باسناده مرفوعا
الى انس بن مالك قال ما زال رسول الله يقنت في صلوة الغداة حتى فارق الدنيا وسادسها انها احدى الصلوات
الخمس لم يعينها الله سبحانه واخفاها في جملة الصلوات المكتوبة ليحافظوا على جميعها كما اخفى ليلة القدر في ليالي شهر رمضان
واسمه الاعظم في جميع الاسماء وساعة الاجابة في ساعات الجمعة عن الربيع بن خيثم وابي بكر الوراق وقوموا لله قانتين
قال ابن عباس معناه داعين والقنوت هو الدعاء في الصلوات في حال القيام وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله
وقيل معناه طائعين عن الحسن وسعيد بن جبير وقتادة والضحاك وطاوس واحدى الروايتين عن ابن عباس
وقيل معناه خاشعين عن مجاهد قال نهوا عن العبث والالتفات في الصلوة وقيل ساكتين عن ابن مسعود وقيل في
في سائر الطاعات فانه وان لم يكن فيه القيام الحقيقي فان فيه القيام بالعبادة قوله عز وجل فان خفتم فرجالا او ركبانا فاذا
امنتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون آية اللغة الرجال جمع راجل مثل تجار وصحاب وقيام في جمع تاجر وصاحب وقائم
والراجل هو الكائن على رجله واقفا كان او ماشيا والركبان جمع راكب كالفرسان جمع فارس وكل من علا شيئا فقد ركبه
والركاب المطي وركبت الرجل اركبه ركبا اي ضربته بركبتي واصبت ركبته ايضا وهذا قياس في جميع الاعضاء نحو راسه
وبطنه وظهره الاعراب فرجالا منصوب على الحال تقديره فصلوا رجالا كما علمكم الكاف تتعلق باذكروا وما مصدرية في
ما علمكم قوله ما لم تكونوا تعلمون منصوب موصول وصلة في موضع المفعول الثاني لعلم المعنى لما قدم سبحانه وجوب المحافظة
على الصلوة عقبه بذكر الرخصة عند المخاوف فقال فان خفتم اي ان لم يمكنكم ان تقوموا قانتين موفين للصلوة حقها لخوف
عرض لكم فرجالا اي فصلوا رجالا على ارجلكم وقيل مشاة او ركبانا اي على ظهور دوابكم يعني به صلوة الخوف من العدو
ركعتان ركعتان في السفر والحضر الا المغرب فانها ثلث ركعات وروي ان عليا صلى ليلة الهرير خمس صلوات بالايماء
وقيل بالتكبير وان النبي صلى يوم الاحزاب ايماء فاذا امنتم من الخوف فاذكروا الله اي فصلوا صلوة الامن وقيل اذكروا الله
بالثناء عليه والحمد له كما علمكم من امور دينكم وغير ذلك من امور دنياكم ما لم تكونوا تعلمون قوله عز وجل والذين يتوفون منكم ويذرون
ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول غير اخراج فان خرجن فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن من معروف
والله عزيز حكيم آية القراءة قرا اهل المدينة وابن كثير والكسائي وابو بكر عن عاصم وصية بالرفع والباقون بالنصب الحجة
قال ابو علي من قرا وصية بالرفع انه يجوز ان يرتفع من وجهين احدهما ان يكون مبتدأ والظرف خبره وحسن الابتداء بالنكرة
لانه موضع تخصيص كما حسن ان يرتفع سلام عليكم وخير بين يديك وقوله شعر لملتمس المعروف اهل ومرحب لانها في موضع دعاء
فجاز فيها الابتداء بالنكرة لما كان معناها كمعنى المنصوب والآخر ان يضمر له خبر فيكون لازواجهم صفة وتقدير الخبر المضمر
فعليهم وصية لازواجهم ومن نصب وصية حمله على الفعل اي ليوصوا وصية ويكون قوله لازواجهم صفة كما كان في قول من رفع
الخبر كذلك ومن حجتهم ان الظرف اذا تأخر عن النكرة كان استعماله صفة اكثر واذا كان خبرا تقدم على النكرة اذا لم يكن في
معنى المنصوب كقوله تعالى ولهم اعمال من دون ذلك ولدينا مزيد فاذا تأخر فالاكثر فيها ان يكون صفات وقال بعضهم لا يجوز

غير اخراج لانه لا يمكن الوصية بعد الوفاة ولان فرض النفقة كان لهن اذا لم يوص قال علي بن عيسى وهذا غلط لان المعنى والذين
يحضرهم الوفاة منكم فكذلك قال يتوفون على لفظ الحاضر الذي يطاول كقولك الذين يصلون … الفكر فيما يتعلم
فاما قوله ان الفرض كان لهن وان لم يوصوا فهو صحيح لان الزوج اذا فرط في الوصية فلا ينكر ان يوجبه الله على الورثة وقال قتادة
والسدي كان يجب على الزوج الوصية لها كما اوجب الوصية للوالدين والاقربين وقوله متاعا نصب على وجهين احدهما ان يكون
صفة لمتاع والثاني ان يكون مصدرا وضع موضع الحال قال الفراء هو كقولك حسبك عن غيره اليك فكانه قال متعوهن
متاعا في مساكنهن والاول ان تقديره غير مخرجات اخراجا فيكون ذو الحال من متعوهن ويجوز ان يكون تقديره
غير مخرج الزوار من متعوهن المعنى والذين يتوفون منكم الذين تقاربوا الوفاة منكم المتوفى لا يوصي ولا ينهي ويذرون
ازواجا وصية لازواجهم او عليهم وصية لهن متاعا الى الحول اي ما ينتفعن به حولا من النفقة والكسوة والسكنى وقيل
هو مثل المتعة في المطلقات وكان واجبا في المتوفى عنها زوجها بالوصية من مال الزوج غير اخراج اي لا يخرجن من بيوت
الازواج فان خرجن بانفسهن قبل الحول من غير ان يخرجهن الورثة وقيل ان المراد اذا خرجن بعد مضي الحول وقد مضت
العدة وان معنى اذ لعن القاضي وغيره فلا جناح عليكم يا معشر اولياء الميت فيما فعلن في انفسهن من معروف اختلفوا
في رفع الجناح فقيل لا جناح في قطع النفقة والسكنى عنهن عن الحسن والسدي قالا وهذا دليل على سقوط النفقة بالخروج
وان ذلك كان واجبا لهن بالاقامة الى الحول فان خرجن قبل ذلك بطل الحق الذي وجب لهن بالاقامة وقيل لا جناح عليكم في
ترك منعهن من الخروج لان مقامها سنة في البيت غير واجب ولكن قد خيرها الله في ذلك عن الجبائي وقيل لا جناح
عليكم ان تزوجن بعد انقضاء العدة وهذا وجه وتقديره اذا خرجن من العدة انقضاء السنة فلا حرج ان تزوجن وقوله
من معروف يعني طلب النكاح والتزين والله عزيز قادر لا يعجزه شيء حكيم لا يصدر منه الا ما تقتضيه الحكمة واتفق العلماء
على ان هذه الآية منسوخة وقال ابو عبد الله عم كان الرجل اذا مات انفق على امراته من صلب المال حولا ثم اخرجت بلا ميراث
ثم نسختها آية الربع والثمن فالمراة ينفق عليها من نصيبها وعنه عم قال نسختها يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا ونسختها آية
المواريث قوله عز وجل وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين كذلك يبين الله لكم اياته لعلكم تعقلون آيتان الاعراب
الوجه في انتصاب قوله حقا مثل ما قلناه فيما قبل في قوله حقا على المحسنين كذلك الكاف يتعلق بيبين اي مثل هذا البيان
يبين لكم   قيل لما نزلت ومتعوهن على الموسع قدره الى قوله حقا على المحسنين قال بعضهم ان احببت فعلت وان لم ارد
ذلك لم افعل فانزل الله سبحانه هذه الآية عن عبد الرحمن بن زيد بن اسلم   لما قدم سبحانه بيان احوال المعتدات عقبه ببيان
ما يجب لهن من المتعة فقال وللمطلقات متاع بالمعروف اختلف فيه فقال سعيد بن جبير وابو العالية والزهري ان المراد
بهذا المتاع المتعة وان المتعة واجبة لكل مطلقة وقال ابو علي الجبائي المراد به النفقة وهو المتاع المذكور في قوله متاعا الى الحول
وقال سعيد بن المسيب الآية منسوخة بقوله فنصف ما فرضتم وعندنا انها مخصوصة بتلك الآية ان نزلتا معا وان كانت
تلك متاخرة فمنسوخة لان عندنا لا تجب المتعة الا للمطلقة التي لم يدخل بها ولم يفرض لها مهر فاما المدخول بها فلها مهر
مثلها ان لم يسم لها شيء وان سمي لها مهر فما سمي لها وغير المدخول بها المفروض مهرها لها نصف المهر ولا متعة في هذه الاحوال
وبه قال الحسن فلا بد من تخصيص هذه الآية وذكرنا الكلام في المتعة عند قوله ومتعوهن وقوله بالمعروف حقا على
المتقين مثل تفسير معنى المتقين هنا مثل معنى المحسنين هناك كذلك يبين الله لكم اياته كما بين الله لكم الاحكام والآداب
التي مضت مما تحتاجون الى معرفتها في دينكم يبين لكم هذه الاحكام في المستقبل الذي ياتي بالبيان الماضي والبيان هو الادلة
التي يفرق بها بين الحق والباطل لعلكم تعقلون معناه لكي تعقلوا آيات الله وقيل معناه لعلكم تكملوا عقولكم لان العقل
الغريزي انما يكمل بالعقل المكتسب والمراد به استعمال العقل مع العلم به ومن لم يستعمل العقل فكانه لا عقل له وهذا كقوله انما

على الله على الذين يعملون السوء بجهالة … جهالا لانهم اثروا اهواءهم على ما علموا انه الحق قوله عز وجل الم تر الى الذين خرجوا
من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون آية
اللغة الرؤية هنا بمعنى العلم ومعنى الم تر الم تعلم وهذه الالف الف التوقيف وتوثر ترك الهمزة واصله الم ترء من راى
يرى مثل نأى ينأى الا انهم على اسقاط الهمزة هنا للتخفيف الاعراب حذر الموت نصب لانه مفعول له ويجوز ان يكون نصبه
على المصدر لان خروجهم يدل على حذرهم حذرا الموت حذرا المعنى لما ذكر قوله سبحانه ايات الناس عقبه بذكر آية من اياته
فقال الم تر اي الم تعلم يا محمد او ايها السامع والم ينته علمك الى خبر هؤلاء الذين خرجوا من ديارهم قيل هم قوم من بني اسرائيل
فروا من طاعون وقع بارضهم عن الحسن وقيل فروا من الجهاد وقد كتب عليهم عن الضحاك ومقاتل واحتجا بقوله عقيبه وقاتلوا
في سبيل الله وقيل هم قوم حزقيل وهو ثالث خلفاء بني اسرائيل بعد موسى وذلك ان القيم بامر بني اسرائيل بعد موسى كان
يوشع بن نون ثم كالب بن يوقنا ثم حزقيل وكان يقال له ابن العجوز وذلك ان امه كانت عجوزا فسالت الله الولد وقد كبرت
وعقمت فوهبه الله تعالى لها وقال الحسن هو ذو الكفل لانه كفل سبعين نبيا نجاهم من القتل وقال لهم اذهبوا فاني ان قتلت
كان خيرا من ان تقتلوا جميعا فلما جاء اليهود وسالوا حزقيل عن الانبياء السبعين قال انهم ذهبوا ولا ادري اين هم ومنع الله
سبحانه ذا الكفل منهم وهم الوف اجمع اهل التفسير على ان المراد بالوف هنا كثرة العدد الا ابن زيد فانه قال معناه خرجوا
وهم مؤتلفو القلوب لم يخرجوا عن تباغض فجعله جمع الف مثل قاعد وقعود وشاهد وشهود واختلف من قال به العدد الكثير
فقالوا كانوا ثلاثة الاف عن عطاء الخراساني وقيل ثمانية الاف عن مقاتل والكلبي وقيل عشرة الاف عن ابي روق وقيل
بضعة وثلاثين الفا عن السدي وقيل اربعين الفا عن ابن عباس وابن جريج وقيل سبعين الفا عن عطاء بن ابي رباح
وقيل كانوا عددا كثيرا عن الضحاك والذي يقتضيه الظاهر انهم كانوا اكثر من عشرة الاف لان بناء فعول للكثرة وهو ما زاد على
العشرة وما نقص عنها يقال فيه عشرة الاف ولا يقال عشرة الوف حذر الموت اي من خوف الموت فقال لهم الله موتوا قيل في
معناه قولان احدهما ان معناه اماتهم الله كما يقال قالت السماء فهطلت السماء وقلت براسي وقلت بيدي ومعناه اشرت براسي
وبيدي وذلك لما كان القول في الاكثر استفتاحا للفعل كالقول الذي هو تسمية وما يجري مجراها مما كان يستفتح به الفعل صار
معنى قالت السماء فهطلت اي استفتحت بالهطل كذلك معناه هاهنا فاستفتح الله باماتتهم والثاني ان معناه اماتهم
بقول سمعته الملائكة لضرب من العبرة ثم احياهم قيل احياهم الله بدعاء نبيهم حزقيل عن ابن عباس وقيل انه شمعون
نبي من انبياء بني اسرائيل ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون لما ذكر النعمة عليهم بما اراهم
من الآية العظيمة في انفسهم ليلتزموا سبيل الهدى ويجتنبوا طريق الردى ذكر بعده ما له عليهم من الانعام والاحسان
مع ما هم عليه من الكفران وفي هذه الآية حجة على من انكر عذاب القبر والرجعة معا لان احياء اولئك مثل احياء هؤلاء
الذين احياهم الله للاعتبار القصة قيل ان اسم القرية التي خرجوا منها هو داوردان وقيل واسط قال الكلبي
والضحاك ومقاتل ان ملكا من ملوك بني اسرائيل امرهم ان يخرجوا الى قتال عدو فخرجوا فعسكروا ثم جبنوا
وكرهوا الموت فاعتلوا وقالوا ان الارض التي ناتيها بها الوباء فلا ناتيها حتى ينقطع منها الوباء فارسل الله عليهم الموت
فلما راوا ان الموت كثر فيهم خرجوا من ديارهم فرارا من الموت فلما راى الملك ذلك قال اللهم رب يعقوب واله موسى قد ترى
معصية عبادك فارهم آية في انفسهم حتى يعلموا انهم لا يستطيعون الفرار منك فاماتهم الله جميعا وماتت دوابهم واتى عليهم ثمانية
ايام حتى انتفخوا واروحت اجسادهم فخرج اليهم الناس فعجزوا عن دفنهم فحظروا عليهم حظيرة دون السباع وتركوهم فيها واتى
عليهم بعد ذلك مدة حتى بليت اجسادهم وعريت عظامهم وتقطعت اوصالهم فمر عليهم حزقيل وجعل يتفكر فيهم متعجبا منهم
فاوحى الله سبحانه اليه يا حزقيل تريد ان اريك آية واريك كيف احيي الموتى قال نعم فاحياهم الله عز وجل وقيل انهم كانوا قوم
حزقيل فاحياهم الله بعد ثمانية ايام وذلك انه لما اصابهم ذلك خرج حزقيل في طلبهم فوجدهم موتى فبكى وقال يا رب كنت في قوم

يحزنونك ويسوؤنك ويفسدون عليك معيشتك وجهد الا يوم لي فاوحى الله عز وجل اليه قد جعلت حتوفهم اليك فقال حزقيل احيوا باذن
الله فعاشوا وسأل زرارة بن اعين ابا جعفر عليه السلام عن هؤلاء القوم الذين قال لهم الله موتوا ثم احياهم حتى نظر الناس اليهم ثم اماتهم
ام ردهم الى الدنيا حتى سكنوا الدور واكلوا الطعام قال لا بل ردهم الله حتى سكنوا الدور واكلوا الطعام ونكحوا النساء ومكثوا بذلك
ما شاء الله ثم ماتوا باجالهم قوله عز وجل وقاتلوا في سبيل الله واعلموا ان الله سميع عليم آية المعنى اختلف في المخاطب بقوله
وقاتلوا في سبيل الله فقيل توجه الخطاب الى الصحابة بعد ما ذكرهم بحال من فر من الموت فلم ينفعه الفرار حضهم على الجهاد لئلا
يسلكوا في الفرار من الجهاد سبيل اولئك الذين خرجوا من الديار وقيل انه خطاب للذين جرى ذكرهم على تقدير وقيل
لهم قاتلوا في سبيل الله واعلموا ان الله سميع عليم اي سميع لما يقوله المنافق عليم بما يجنه فاحذروا حاله قوله عز وجل من ذا
الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة والله يقبض ويبسط واليه ترجعون آية القراءة
فيضاعفه فيه اربع قراآت قرا ابو عمرو ونافع وحمزة والكسائي فيضاعفه بالالف والرفع وقرا عاصم بالالف والنصب
وقرا ابن كثير وابو جعفر فيضعفه بالتشديد والرفع وقرا ابن عامر ويعقوب بالتشديد والنصب وقرا ابو عمرو وحمزة الكسائي في
يبسط وبسطة في الاعراف بالسين وروى ابن عيثم بالصاد ويعقوب وهشام بالسين والباقون مختلف عنهم
قال ابو علي الرفع في قوله فيضاعفه وجهان احدهما ان يعطف على ما في الصلة والاخر ان يستانفه فاما في يضاعفه
فان الرفع احسن منه لانه ان الاستفهام انما هو عن فاعل الاقراض واذا كان كذلك كان بمثل قولك اتقرضني فاشكرك
لان الاستفهام هنا عن الاقراض ووجه قول ابن عامر وعاصم في النصب من فيضاعفه انه حمل الكلام على المعنى وذلك
انه لما كان المعنى ليكون قرض حمل قوله فيضاعفه على ذلك كما ان من قرا من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم وجزم وقوله
ويذرهم لما كان معنى قوله فلا هادي له لا يهده ونحو ذلك مما يحمل فيه الكلام على المعنى دون اللفظ كثير فاما القول في يضاعف
ويضعف فكل واحد منهما في معنى الآخر وقوله اضعافا منصوب على الحال فيضاعفه مكثرة فاذا هي اضعاف فيكون حالا بعد
الفراغ من الفعل ووجه قراءة من ابدل من السين الصاد في هذه المواضع التي ذكرت ان الطاء حرف مستعل متصعد من مخرجها
الى الحنك ولم يتصعد السين تصعدها فكره التصعد عن التسفل فابدل من السين حرفا في مخرجها في تصعد فلاءم الحرفان
وصار كل واحد منهما وفق صاحبه في التصعد فزال بالابدال ما كان يكره من التصعد عن التسفل ولو كان اجتماع الحرفين
على عكس ما ذكرناه وهو ان يكون التصعد قبل التسفل لم يكره ذلك ولم يبدلوا الا ترى انهم قالوا طسم الطريق وصرت
وقست فلم يكره هو التسفل عن تصعد كما كرهوا يسبط حتى قالوا يصط فابدلوا واما من لم يبدل السين في بسطة ونحو السين
فلانه الاصل لان ما بين الحرفين من الخلاف يسير فاحتمل الخلاف لقلته اللغة القرض هو قطع جزء من المال بالاعطاء
على ان يرد بعينه ويرد مثله بدلا منه واصل القرض هو القطع بالناب يقال قرض الشيء يقرضه اذا قطعه بنابه واقرض فلان
فلانا اذا اعطاه ما يجازه منه والاسم منه القرض والتضعيف والمضاعفة والاضعاف بمعنى وهو الزيادة على
اصل الشيء حتى يصير مثلين او اكثر وتقول ضعفت القوم اضعفهم ضعفا اذا كثرتهم فصرت مع اصحابك على الضعف منه
وضعف الشيء ضعفا والضعف خلاف القوة والقبض خلاف البسط يقال قبضه يقبضه قبضا والقبض ضم الكف على الشيء
وانقبض الشيء وتقبض عنه اذا اشمازت عنه لانه ضم نفسه عن الانبساط اليه وقبض الانسان اذا مات والملك قابض
الارواح وبسط يبسط بسطا والبساط ما بسطته والبساط بفتح الباء الارض الواسعة وكثير يبسط بالسين ويصطه
بالصاد لان القلب على الساكن اقوى منه على المتحرك المعنى لما حث سبحانه على الجهاد وذلك يكون بالنفس والمال عقبه بالتلطف
في الاستدعاء الى اعمال البر والانفاق في سبيل الخير فقال من ذا الذي يقرض الله اي ينفق في سبيله وطاعته والمراد به
الامر وليس هذا بقرض حاجة على ما ظنه اليهود فقالوا انما يستقرض منا ربنا عن عوز فانما هو فقير ونحن اغنياء فانزل الله سبحانه
لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء بل سمى سبحانه الانفاق قرضا تلطفا للدعاء الى فعله وتاكيدا للجزاء عليه

فان القرض يوجب الجزاء قرضا والقرض الحسن ان ينفق من حلال ولا يفسده بمن ولا اذى وقيل هو ان يكون محتسبا طيبا به نفسه
عن الواقدي وقيل هو ان يكون حسن الموقع عند الانفاق فلا يكون خسيسا والاولى ان يكون جامعا لهذه الوجوه كلها فلا تنافي
بينها فيضاعفه له اضعافا كثيرة اي فيزيده له اي يعطيه ما لا يعلمه الا الله سبحانه وهو مثل قوله ويؤت من لدنه اجرا عظيما عن السدي
وروي عن الصادق عليه السلام انه لما نزلت هذه الآية من جاء بالحسنة فله خير منها قال رسول الله صلى الله عليه وآله رب زدني فانزل الله سبحانه من جاء
بالحسنة فله عشر امثالها فقال رسول الله صلى الله عليه وآله رب زدني فانزل الله سبحانه من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا
كثيرة والكثير عند الله لا يحصى والله يقبض ويبسط معناه الله يقبض الرزق عن قوم بان يقتره عليهم ويبسط عليهم بان يوسعه
عليهم عن الحسن وابن زيد وقيل معناه يقبض الصدقات ويبسط الجزاء عليها عاجلا او آجلا او كلاهما عن الاصم والزجاج
وقيل يقبض الورث بموت واحد ويبسط لوارثه واليه ترجعون وهذا تاكيد للجزاء قال الكلبي في نزول هذه الآية ان النبي
قال من تصدق بصدقة فله مثلاها في الجنة فقال ابو الدحداح الانصاري واسمه عمرو بن الدحداح يا رسول الله
ان لي حديقتين ان تصدقت باحداهما فان لي مثليها في الجنة قال نعم قال وام الدحداح معي قال نعم قال والصبية معي
قال نعم فتصدق بافضل حديقتيه فدفعها الى رسول الله صلى الله عليه وآله فنزلت الآية فضاعف الله صدقته الفي الف وذلك
قوله اضعافا كثيرة قال فرجع ابو الدحداح فوجد ام الدحداح والصبية في الحديقة التي جعلها صدقة فقام على باب الحديقة وتحرج ان يدخلها
فنادى يا ام الدحداح قالت لبيك يا ابا الدحداح قال اني جعلت حديقتي هذه صدقة واشتريت مثليها في الجنة وام
الدحداح معي والصبية معي فقالت بارك الله لك فيما شريت وفيما اشتريت فخرجوا منها واسلموا الحديقة الى النبي صلى الله عليه وآله فقال النبي
كم نخلة متدل عذوقها لابي الدحداح في الجنة قوله عز وجل الم تر الى الملأ من بني اسرائيل من بعد موسى اذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله
قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا قالوا وما لنا الا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا فلما
كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم والله عليم بالظالمين آية القراءة قرا نافع وحده عسيتم بكسر السين والباقون بفتحها الحجة
عسيت بفتح السين ووجه قراءة نافع انهم قالوا هو عس بذلك وما اعساه واعس به حكاه ابن الاعرابي وهذا يقوي قراءة نافع لان
عس مثل حر وشج وقد جاء فعل وفعل مثل نقم ونقم ووريت بك زنادي ووريت فكذلك عسيت فان اسند الفعل الى
ظاهر فقياس عسيتم ان يقول عسى زيد مثل رضي فان قاله فهو قياس قوله وان لم يقله فسائغ ان يأخذ باللغتين فيستعمل
احدهما في موضع والاخرى في موضع آخر كما فعل ذلك غيره اللغة الملأ الجماعة الاشراف من الناس وروي ان رجلا من الانصار
قال يوم بدر ان قتلنا الا عجائز صلعا فقال النبي صلى الله عليه وآله اولئك الملأ من قريش لو رأيتهم في انديتهم لهبتهم ولو امروك لاطعتهم ولاحتقرت فعالك عند فعالهم
وملأت الاناء اي غمرته لانه تجتمع فيه ما لا يكون فيه زائدا عليه وملأت الرجل عاونته وتمالوا عليه اذا تعاونوا وملؤ الرجل ملاءة فهو
مليء بالامر اذا امكنه القيام به والملأ الخلق لان جميع افعال صاحبه تجري عليه يقال احسنوا املاءكم اي اخلاقكم قال الشاعر تنادوا يال بهثة
اذ رأونا فقلنا احسني ملأ جهينا واصل الباب الاجتماع فيما لا يحتمل المزيد وانما سمي الاشراف ملأ لانه لا مزيد على شرفهم
وقيل لان هيبتهم تملأ الصدور والملا مقصورا المتسع من الارض قال الشاعر الاغساني وارفع الصوت بالملا فان الملا
عندي يزيد المدى بعيد الاعراب من بني اسرائيل الجار والمجرور في محل النصب على الحال والعامل فيه تزود والحال الاولى من بعد موسى
في موضع من الحال ايضا فهو حال بعد حال او حال من الضمير في الجار والمجرور قبله وقوله نقاتل جزم على الجواب للمسالة التي هي
على لفظ الامر اي ان تبعث لنا ملكا نقاتل ولو كان بالياء لجاز الرفع على ان يكون صفة للملك قال الزجاج والرفع في نقاتل بعيد
يجوز على معنى فانا نقاتل في سبيل الله وكثير من النحويين لا يجيز الرفع فيه قوله ان لا تقاتلوا في موضع نصب لانه خبر عسى وقوله
وما لنا ان لا نقاتل قال ابو الحسن الاخفش ان فيه وفي قوله وما لكم ان لا تاكلوا ان زائدة كانه قال وما لنا لا نقاتل وما لكم
لا تنطقون وما لكم لا تناصرون فالفعل المنفي موضع الحال كما وقع الموجب في موضعه في قولك ما لك تفعل وقد قال ايضا في نحو
ذلك ان المعنى وما لنا في ان لا نقاتل وما لكم في ان لا تاكلوا فكانه حمل الآية على وجهين قال ابو علي والقول الثاني اوضح

بالحال كقوله سبحانه فما لهم عن التذكرة معرضين ونحو ذلك ثم حذف الجار فسد ان وصلنا ذلك
ان مع حرف الجر في موضع نصب
والحال في الاصل هو الجالب للحرف المقدر الا انه ترك اظهاره لدلالة المنصوب عليه ومثله في وقوع الظرف موقع الحال
قول ابي ذويب يعثرني في حد الظباة كانما كسيت برود بني تزيد الاذرع وكذا كما تقول خرجت في ثيابي اي خرجت لابسا وجه
ثالث ذكره المبرد وهو ان يكون ما جحدا وتقديره وما لنا نترك القتال على الوجهين الاولين يكون ما استفهاما وقد اخرجنا جملة
في موضع الحال وتقديره وما لنا الا نقاتل مخرجين من ديارنا وذو الحال الضمير في لا نقاتل وقيل انه منصوب على الاستثناء من الموجب
المعنى لما تقدم سبحانه ذكر الجهاد عقبه بقصة مشهورة في بني اسرائيل تضمنت شرح ما نالهم في قعودهم عنه تحذيرا من سلوك
طريقهم فيه فقال الم تر اي الم ينته علمك يا محمد الى الملا اي جماعة الاشراف من بني اسرائيل من بعد موسى اي من بعد وفاته
اذ قالوا لنبي لهم اختلف في ذلك النبي فقيل اسمه شمعون سمته امه بذلك لان امه دعت الله ان يرزقها غلاما فسمع الله دعاها
وهو شمعون بن صفية من ولد لاوي بن يعقوب عن السدي وقيل هو يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف بن يعقوب
عن قتادة وقيل هو اشمويل وهو بالعربية اسمعيل عن اكثر المفسرين وهو المروي عن ابي جعفر عم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله
اختلف في سبب سؤالهم ذلك فقيل كان سبب سؤالهم ذلك استذلال الجبابرة لهم لما ظهروا على بني اسرائيل وغلبوهم على كثير من ديارهم
وسبوا الكثير من ذراريهم بعد ان كانت الخطايا قد كثرت في بني اسرائيل وعظمت فيهم الاحداث ونسوا عهد الله عز وجل ولم يكن
لهم نبي يدبر امرهم فبعث الله اليهم اشمويل نبيا فقالوا له ان كنت صادقا فابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله آية من نبوتك عن الربيع
والكلبي وقيل ارادوا قتال العمالقة فسالوا ملكا يكون اميرا عليهم تنتظم به كلمتهم ويجتمع امرهم ويستقيم حالهم في جهاد عدوهم
عن السدي وقيل بعث الله اشمويل نبيا فلبثوا اربعين سنة باحسن حال ثم كان من امر جالوت والعمالقة ما كان فقالوا لاشمويل
ابعث لنا ملكا عن وهب وقال ابو عبد الله عم كان الملك في ذلك الزمان هو الذي يسير بالجنود والنبي يقيم له امره وينبئه بالخبر
من عند ربه فاجابهم نبيهم فقال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال اي لعلكم ان فرض عليكم المحاربة مع ذلك الملك ان لا تقاتلوا
ان لا تفوا بما تقولون وتجبنوا فلا تقاتلوا وانما سالهم عن ذلك ليعرف ما عندهم من الحرص على القتال وهذا كاخذ العهد عليهم
ومعنى عسيتم قاربتم فاذا قلت عسيت ان افعل كذا فمعناه قاربت فعله قالوا يعني قال الملا وما لنا ان لا نقاتل في سبيل الله معناه
واي شيء لنا في ترك القتال وقيل معناه ليس لنا ترك القتال وقد اخرجنا لفظه عام ومعناه خاص اي قد اخرج بعضنا من ديارنا
وابنائنا اي من اوطاننا واهالينا بالسبي والقهر على نواحيها والمعنى انهم اجابوا نبيهم بان قالوا انما كنا نزهد في القتال اذ كنا في اعزة لا يطمع
علينا عدونا فاما اذا بلغ الامر هذا المبلغ فلا بد من الجهاد فلما كتب عليهم القتال فيه حذف تقديره فسال النبي الله سبحانه ان يبعث لهم
ملكا يجاهد معه اعداءهم فسمع الله سبحانه دعوته واجاب مسألته فبعث لهم ملكا وكتب عليهم القتال اي فرض فلما كتب القتال عليهم تولوا
اي اعرضوا عن القيام به وضيعوا امر الله الا قليلا منهم وهم الذين عبروا النهر على ما سيذكر من بعد والله عليم بالظالمين هذا تهديد
لمن تولى عن القتال لانه ظلموا انفسهم بمعصية الله تعالى قوله عز وجل وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا انى
يكون له الملك علينا ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم
والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم آية اللغة اصطفاه اختاره واستصفاه بمعناه واصل اصتفاه لان الباء
ابدلت طاء لان التاء تخرج الطاء والطاء مطبقة كما ان الصاد مطبقة فابدلوها منها ليسهل النطق بها بعد الصاد والبسطة
الفضيلة في الجسم والمال والجسيم الطويل العريض العميق بدلالة قولهم جسم جسامة اي عظم وهذا اذا زاد عليه في الطول والعرض
والعمق وقيل الجسم هو المؤلف وقيل هو القائم بنفسه والصحيح الاول الاعراب طالوت وداود وجالوت لا ينصرف لانها اسماء اعجمية وفيها سببان
التعريف والعجمة فاما جاموس فلو سميت به رجلا لانصرف وان كان اعجميا لانه قد تمكن في العربية لانك تدخل عليه الالف واللام وقوله
الجاموس ملكا نصب على الحال والعامل فيه بعث وذو الحال طالوت وانى في موضع نصب لانه خبر يكون والملك اسمه وله في موضع الحال
وذو الحال الملك تقديره اي يكون الملك مستقرا علينا ويجوز ان يكون هنا تامة فيتعلق اللام بيكون وانى في موضع نصب

على الحال من يكون وعلينا يتعلق بالملك ونحن احق في محل النصب على الحال ايضا عطفا على نحن احق والعامل فيه الملك وذو الحال
الضمير في ان عليك وتقديره ان يملك علينا غير مولى سعتنا اليه المعنى وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا اي
جعله ملكا وكان طالوت من ولد بنيامين بن يعقوب ولم يكن من سبط النبوة ولا من سبط المملكة وسمي طالوت لطوله
وقيل كان سقاء وصل كلل جوهر جالوت وقيل كان دباغا وكانت النبوة في سبط لاوي بن يعقوب وكانت المملكة
في سبط يهودا بن يعقوب وقيل في سبط يوسف وقوله ملكا يعني اميرا على الجيش عن مجاهد وقيل بعثه نبيا بعد
ان جعله ملكا قالوا انى يكون له الملك علينا اي من اين يكون له الملك وهذا اعتراض منهم اذ انكروا الملك ونحن
احق اي اولى بالملك منه لانا من سبط النبوة وبالمملكة واوتينا المال ولم يؤت سعة من المال اي لم يعط ما يملك به
الناس وهو المال اذ لا بد للملك من مال يحصل به المماليك وقيل معناه لم يؤت سعة من المال فنشرف به ونجبر
نقصا لو كان فيه حتى يساوي اهل الانساب فاعلمهم الله تعالى انه اعرف بوجوه الحكمة منهم وان المقصود في الملك
والرياسة هو العلم والشجاعة واخبرهم بذلك على لسان نبيهم وقال ان الله اصطفاه اي اختاره عن ابن عباس وزاده بسطة
اي فضيلة وسعة في العلم والجسم وكان اعلم بني اسرائيل في وقته واجملهم واتمهم واعظمهم جسما واقواهم شجاعة
وقيل كان اذا قام الرجل فبسط يده رافعا لها نال راسه قال وهب كان ذلك فيه قبل الملك وزاده ذلك بعد
الملك والله يؤتي ملكه من يشاء اي لا تنكروا ملكه وان لم يكن من اهل بيت الملك فان الله سبحانه مالك الملك
يؤتي الملك من يشاء والله واسع قيل في معناه ثلثة اقوال احدها انه واسع الفضل فحذف كما يقال فلان كبير
اي كبير القدر والثاني ان الواسع بمعنى الموسع اي يوسع على من يشاء من نعمه كما جاء اليم بمعنى مولم وسميع بمعنى مسمع
والثالث ان معناه ذو سعة نحو عيشة راضية اي ذات رضا ودجل تامر اي ذو تمر ولابن اي ذو لبن وقوله عليم اي علم من
ينبغي ان يؤتيه الفضل والمملكة اما للاستصلاح او للامتحان وفي هذه الآية دلالة على ان الملك يضاف اليه سبحانه وذلك
بان ينصب الملك للتدبير ويعطيه آلات الملك ويامر الخلق بالانقياد له فعند ذلك يجوز ان يقال بعثه الله ملكا وان
لم يكن في البعثة كالانبياء عليهم السلم ويقال في ملكه ايضا آية من جهة الله سبحانه لان وصف صادر عنه سبحانه
وفيها دلالة ايضا ان الملك ليس بواجب ان يكون وراثة وانما هو بحسب ما يعلمه الله من المصلحة وفيها دلالة انه على ان من
شرط الامام ان يكون اعلم من رعيته واكمل وافضل في خصال الفضل والشجاعة لان الله سبحانه علل تقديم طالوت عليهم
بكونه اعلم واقوى فلولا ان ذلك شرط لم يكن له معنى قوله عز وجل وقال لهم نبيهم ان آية ملكه ان ياتيكم التابوت فيه
سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون تحمله الملائكة ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين آية
اللغة التابوت بالتاء لغة جمهور العرب والتابوه بالهاء لغة الانصار والسكينة مصدر وقع موقع الاسم
نحو القضية والبقية والعزيمة واصلها السكون الاعراب موضع ان ياتيكم رفع المعنى ان آية ملكه اتيان التابوت
اياكم فيه سكينة من ربكم مبتدا وخبر في موضع النصب على الحال من التابوت مما ترك الجار والمجرور في موضع الصفة
لبقية المعنى وقال لهم نبيهم ان آية ملكه اي علامة تمليك الله اياه وحجة صحة ملكه ان ياتيكم التابوت وفي هذا دليل على
انهم قالوا لرسولهم ان كان هذا ملكه بامر من الله ومن عنده فائتنا بعلامة تدل على ذلك فاجابهم بهذا وروى علي بن ابراهيم
في تفسيره عن ابي جعفر عم ان التابوت كان الذي انزله الله على ام موسى فوضعته فيه ابنها والقته في البحر كان في بني اسرائيل
يتبركون به فلما حضر موسى الوفاة وضع فيه الالواح ودرعه وما كان عنده من آيات النبوة واودعه اياه عند وصيه يوشع
بن نون فلم يزل التابوت بينهم وبنو اسرائيل في عز وشرف ما دام فيهم حتى استخفوا به وكان الصبيان يلعبون به في الطرقات فلما
عملوا المعاصي واستخفوا به رفعه الله عنهم فلما سالوا نبيهم ان يبعث لهم ملكا بعث الله لهم طالوت ورد عليهم التابوت وقيل كان في
ايدي اعداء بني اسرائيل من العمالقة غلبوهم عليه لما مرج امر بني اسرائيل وحدث فيهم الاحداث ثم انتزعه الله من ايديهم

ورده على بني اسرائيل تحمله الملائكة عن ابن عباس ووهب وروي ذلك عن ابي عبد الله ع وقيل كان التابوت انزله الله
على آدم فيه صور الانبياء فتوارثه اولاد آدم وكان في بني اسرائيل يستفتحون به على عدوهم وقال قتادة وكان في برية
التيه خلفه هناك يوشع بن نون فحملته الملائكة الى بني اسرائيل وقيل كان قدر التابوت ثلثة اذرع في ذراعين عليه
صفائح الذهب وكان من شمشاد وكانوا يقدمونه في الحروب ويجعلونه امام جندهم فاذا سمع من جوفه انين زف التابوت
اي سار فكان الناس يسيرون خلفه فاذا سكن الانين وقف فوقف الناس بوقوفه فيه سكينة من ربكم قيل في التابوت
نفسه وقيل فيما في التابوت واختلف في السكينة التي كانت فيه ريح هفافة من الجنة لها وجه كوجه الانسان عن علي عليه
السلام وقيل كان لها جناحان ورأس كرأس الهرة من الزبرجد والزمرد عن مجاهد وروي ذلك في اخبارنا وقيل فيه ما يسكنون
اليها عن عطا وقيل روح من الله يكلمهم بالبيان عند وقوع الاختلاف عن وهب وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون قيل
انها عصا موسى ورضاض الالواح عن ابن عباس وقتادة والسدي وهو المروي عن ابي جعفر ع وقيل هي التورية وشيء
من ثياب موسى عن الحسن وقيل وكان فيه ايضا لوحان من التورية وقفيز من المن الذي كان ينزل عليهم ونعلا موسى وعمامة
هرون وعصاه وهذه اقوال اهل التفسير في السكينة والبقية والظاهر ان السكينة امنة وطمانينة من علامات
الانبياء جعلها الله سبحانه ليسكن اليه بنو اسرائيل والبقية جايز ان يكون بقية من العلم او شيئا من علامات الانبياء
وجايز ان يتضمنهما جميعا على ما قاله الزجاج وقيل اراد بالموسى والهرون موسى وهرون نفسهما يعني مما ترك موسى وهرون
تقول العرب هو آل فلان يريدون نفسه انشد ابو عبيدة فلا تبك ميتا بعد ميت احبه علي وعباس وآل ابي بكر يريد
ابا بكر نفسه وقال الجبائي انثى من آل النساء وانما هي لا ادلى لا وصال الغائب اي من النساء تحمله الملائكة قيل حملته
الملائكة من السماء والارض حتى رآه بنو اسرائيل عيانا عن ابن عباس والحسن وقيل لما غلبت العمالقة على التابوت ادخلوه
بيت الاصنام فاصبحت اصنامهم منكبة فاخرجوه ووضعوه ناحية من المدينة فاخذهم وجع في اعناقهم وكل موضع وضعوه
فيه ظهر فيه بلاء وموت ووباء فاشير عليهم بان ياخذوا التابوت فاجمع رايهم على ان ياتوا به ويحملوه على عجلة ويشدوها
الى ثورين ففعلوا ذلك وارسلوا الثورين فجاءت الملائكة وساقوا الثورين الى بني اسرائيل فعلى هذا يكون معنى تحمله
الملائكة تسوقه كما تقول حملت متاعي الى مكة ومعناه كنت سببا لحمله الى مكة ان في ذلك لآية لكم اي في رجوع التابوت اليكم
علامة ان الله سبحانه ملك طالوت عليكم ان كنتم مؤمنين مصدقين ولا يجوز ان يكون على شبيه الايمان لانهم قد كفروا حين
ردوا على نبيهم وقيل ان كنتم كما تزعمون قوله عز وجل فلما فصل طالوت بالجنود قال ان الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني
ومن لم يطعمه فانه مني الا من اغترف غرفة بيده فشربوا منه الا قليلا منهم فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا
لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين قليلة غلبت فئة
آية القراءة قرأ ابن كثير وابو عمرو واهل المدينة غرفة بالفتح والباقون بالضم الحجة قال ابو علي من فتح الغين عدى الفعل
الى المصدر والمفعول في قوله محذوف والمعنى الا من اغترف ماء غرفة ومن ضم العين عدى الفعل الى المفعول به ولم
الى المصدر لان الغرفة العين المغترفة فهو بمنزلة الا من اغترف ماء والبغداديون يجعلون هذه الاسماء المشتقة
من المصادر بمنزلة المصادر يعملونها كما يعملون المصادر فيقولون عجبت من دهنك لحيتك وقد جاء عن العرب
ما يدل عليه وهو قول الشاعر وبعد عطائك المائة الرتاعا واشياء من هذا النحو فعلى هذا يجوز ان ينتصب الغرفة نصب
الغرفة وقد ذكر سيبويه في نحو الجلسة والركبة انه قد يستغنى بها عن المصادر اذا وقعت مواقعها فهذا كالمقارب لقولهم
ولو قيل ان الضم هنا اوجه لقوله تعالى فشربوا منه والمشروب منه الغرفة لكان قولا اللغة الفصل القطع وبالجنود اي سار بهم
وقطع بهم عن موضعهم وفصل الصبي فصالا قطعه عن اللبن والجنود جمع جند وجند الجنود اي جمعهم وفي الحديث الارواح جنود
مجندة واصل الباب الجند الغليظ من الارض يقال طعم الماء كما طعم طعاما اذا ذاقه قال فان شئت حرمت النساء سواكم وان

لم اطعم نقاخا ولا بردا اراد لم اذق والنقاخ العذب وغرف الماء يغرف غرفا واغترف بمعنى والمغرفة الآلة التي يغترف بها وغرب
غروف كبير والمجاوزة من الجواز يقال جاز الشيء يجوزه اذا قطعه واجازه اجازة اذا استصوبه الشيء يجوز اذا لم يمنع منه دليل
وجوز كل شيء يجوزه اذا قطعه اجازه اجازة اذا استصوبه وسطه ومنه مجاز الطريق وهو وسط الذي يجاز به وقيل ان اشتقاق
الجوزاء منه لانها معترضة في جوز السماء والمجاز في الكلام لانه خروج عن الاصل الى ما يجوز في الاستعمال واصل الباب الجواز هو
المرور من غير شيء بعيد ومنه التجاوز عن الذنب لانه المرور عليه بالصفح والطاقة القوة يقال اطقت الشيء اطاقة وطاقة
وطوقا مثل اطعته اطاعة وطاعة وطوعا والفئة الطائفة من الناس والجمع فئون وفئات ولا يجوز في عدة الاعداد لان نقص
عدة من اوله وليس كذلك فيه وجاء نقص من اطه يجمع في الباب على الاطراد بمنزلة غير المنقوص فاما قرة ومائة وعزة ثان
النقص فيه على غير اطراد وتقول فاوت راسه بالسيف اذا قطعته وانفاى الشيء انفاء اذا انقطع واصل الباب القطع ومنه
الفئة لانهم قطعة من الناس الاعراب قوله بيده من فتح تاء غرفة جاز ان يتعلق بالمصدر عنده وجاز ان يتعلقه بالفعل ايضا ومن
اعمل الغرفة اعمال المصدر جاز ان يتعلق الباء بها في قوله وكلا الامرين مذهب ومن اغترف في موضع نصب بالاستثناء
وكره خبرية وهي في رفع بالابتداء المعنى فلما فصل طالوت الجنود في الكلام حذف لدلالة ما بقي عليه وهو فاتاهم التابوت
بالصفة التي وعد واتبها وصدقوا وانقادوا الطالوت فلما فصل طالوت اي خرج من مكانه وقطع الطريق بالجنود اي العسكر
واختلف في عددهم فقيل كانوا ثمانين الف مقاتل عن السدي وقيل سبعين الفا عن مقاتل وذلك انهم لما راوا التابوت ايقنوا
بالنصر فتبادروا الى الجهاد يعني طالوت ان الله مبتليكم بنهر اي مختبركم وممتحنكم معنى الابتلاء ههنا ليميز الصادق من الكاذب
في قوله عن الحسن وكان سبب ابتلائهم بالنهر شكايتهم قلة المبالاة وخوف التلف من العطش عن وهب وقيل انما ابتلوا
بذلك ليصبروا عليه فيكثر ثوابهم ويستحقوا به النصر على عدوهم وليتعودوا الصبر على الشدائد فينصروا عند المحاربة ولانهم
واختلف في النهر الذي ابتلوا به فقيل هو نهر بين الاردن وفلسطين عن قتادة والربيع وقيل هو نهر فلسطين عن ابن
عباس والسدي وقوله فمن شرب منه المراد كناية عن النهر في اللفظ وهو في المعنى للماء فالمراد شرب نهر كذا ويراد به الماء
فليس مني معناه ليس من اهل ولايتي وليس من اصحابي وممن يتبعني ومن لم يطعمه من ذلك الماء فانه مني اي من اهل
ولايتي واوليائي وهو من الطعم الذي هو ما يؤديه الذوق اي لم يجد طعمه لا من الطعام والطعم يوجد في الماء وفي الطعام
جميعا الا من اغترف غرفة بيده الا من اخذ الماء مرة واحدة باليد ومن قرأ بضم الغين فمعناه الا من شرب مقدار ملء كف
فشربوا منه اي شرب كلهم الكثير من غرفة الا قليلا منهم وقيل ان الذين شربوا منه غرفة كانوا ثلثمائة وبضعة عشر رجلا
عن الحسن وقتادة وجماعة وقيل اربعة آلاف رجل ونافق ستة وسبعون الفا ثم نافق الاربعة الالف الا ثلثمائة
وبضعة عشر عن السدي وصار من استكثر من ذلك الماء عطشى ومن لم يشرب الا غرفة روي وذهب عطشه
وورد طالوت عند ذلك العصاة منهم فلم يقطعوا معه وهم اصحاب معه النهار فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه
معناه فلما تخطى النهر طالوت والمؤمنون معه هم اصحابه وروي عن البراء بن عازب وقتادة والحسن انه انما جاز
معه المؤمنون خاصة كانوا مثل عدد اهل بدر وقيل بل جاوز المؤمنون والكافرون الا ان الكافرين انخزلوا وبقي المؤمنون
على عدد اهل بدر عن ابن عباس والسدي وهذا اقوى لقوله سبحانه فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه فلما راوا كثرة
جنود جالوت قال الكفار منهم لا طاقة لنا اليوم بجالوت فقال المؤمنون منهم الذين عددهم عدد اهل بدر
كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة وقال ابو القاسم البلخي ويجوز ان يكون كلهم مؤمنين غير ان بعضهم اشد ايقانا واقوى
اعتقادا وهم الذين قالوا كم من فئة قليلة الى آخره قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله اي راجعون الى الله تعالى والى
جزائه وقيل في يظنون ثلثة اقوال احدها ان معنى يستيقنون عن السدي كقول دريد بن الصمة فقلت لهم ظنوا
بالفي مدجج سراتهم في الفارسي المسرد اي استيقنوا والثاني ان معناه يحدثون نفوسهم وهو اصل الظن لان حديث النفس

والثالث يظنون انهم ملاقوا الله بالقتل والظن بالشيء قد يكون مع الشك وقد يكون مع العلم الا انه قد كثر على ما كان مع الشك في تلك الواقعة كم فئة قليلة اي فرقة قليلة غلبت فئة اي فرقة كثيرة باذن الله اي بنصره عن الحسن لانه اذا اذن في القتال نصر على الوجه الذي اذن فيه والله مع الصابرين بالنصرة لهم على اعدائهم قوله عز وجل ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين آية اللغة البروز اصله الظهور ومنه البراز وهي الارض الفضاء ورجل برز وامراة برزة اي ذو عفة وفضل لظهور ذلك فيهما والافراغ الصب لسيال على جهة اخلاء المكان منه يقال فرغ تفريغا وافرغ افراغا وفرغ فراغا واصبح فؤاد ام موسى فارغا اي خاليا من الصبر واصل الفراغ الخلو والتثبيت تمكين الشيء مكانه بلزومه اياه وقد يقال ثبته بمعنى حكم بوجوده ورجل ثبت المقام اذا كان شجاعا لا يبرح موقفه وطعنة ثابتة الرمح اي نفذت فيه لا تزايله ورجل ثبت اي ثقة مأمون فيما روى والنصر هو المعونة على العدو ويكون ذلك باشياء منها زيادة القوة ومنها بالرعب من الملاقاة ومنها الاطلاع على العورة ومنها بتخييل الكثرة ومنها باختلاف الكلمة والفرق بين النصر واللطف ان كل نصر من الله هو لطف وليس كل لطف نصرا لان اللطف يكون في احد طاعة بدلا من معصية وقد يكون في فعل طاعة من النوافل والنصر فعل الله تعالى والصبر من فعل العبد لانه يجازى عليه وهو حبس النفس عما ينازع اليه من الفعل وهو هاهنا حبسها عما ينازع اليه من الفرار من الاهوال المعنى ولما برزوا اي ظهر طالوت والمؤمنون معه لمحاربة جالوت وجنوده قالوا ربنا افرغ اصبب علينا صبرا اي وفقنا للصبر على الجهاد شبهه بتفريغ الاناء من جهة انه نهاية ما يوجبه الحكمة كما انه نهاية ما في الواحد من الاناء وثبت اقدامنا اي وفقنا للثبوت حتى لا نفر وانصرنا على جهاد القوم الكافرين قوله عز وجل فهزموهم باذن الله وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين آية القراءة قرا ابو جعفر ونافع ويعقوب دفاع بالالف وفي الحج مثله وقرا الباقون بغير الف الحجة قال ابو علي دفاع يحتمل امرين احدهما ان يكون مصدر الفعل كالكتاب واللقاء ونحو ذلك والثاني ان يكون مصدر فاعل ويدل عليه قراءة من قرا ان الله يدافع عن الذين آمنوا وكان معنى دفع ودافع سواء الا ترى الى قوله ولقد حرصت بان ادافع عنهم فاذا المنية اقبلت لا تدفع كان المعنى حرصت بان ادفع عنهم المنية فاذا المنية لا يدفع بوضع ادافع موضع ادفع واذا كان كذلك فيدفع ويدافع متقاربان اللغة الهزم الدفع يقال هزم القوم في الحرب يهزمهم هزما اذا دفعهم بالقتال عن اماكنهم فانهزموا انهزاما وتهزم السقاء اذا يبس فتصدع لانه دفع بعضه عن بعض والاهتزام الذبح يقال اهتزم شاتك قبل ان تهزل فتهلك لانه دفع ضياعها بتذكيتها والهزيمة الصوت عن الشيء الذي يخرج السيل والدفعة اندفاع الشيء جملة المعنى ثم ذكر سبحانه تمام القصة فقال فهزموهم ولا بد من حذف هاهنا كانه لما قالوا ربنا افرغ علينا صبرا انما استجاب لهم ربهم فهزموهم بنصره اي دفعوهم كسروهم لان ذكر الهزيمة بعد سؤال النصرة دليل على معنى الاجابة ومعنى هزموهم سببوا الهزيمة بان فعلوا ما الجاتهم اليها فعلى هذا يكون حقيقة قال ابو علي الجبائي ذلك مجاز لانهم لم يفعلوا هزيمتهم كما يقال اخرجه من منزله اذا الجاه الى الخروج ولم يفعل خروجه والصحيح الاول وقوله باذن الله اي بامر الله وقتل داود جالوت القصة وكان من قصة داود ما رواه علي بن ابراهيم بن هاشم عن الصادق ع ان الله تعالى اوحى الى نبيهم ان جالوت يقتله من يستوي عليه درع موسى وهو رجل من ولد لاوي بن يعقوب واسمه داود بن ايشا وكان لايشا عشرة بنين اصغرهم داود فلما بعث الله طالوت الى بني اسرائيل وجمعهم لحرب جالوت بعث الى ايشا ان احضر واحضر ولدك فلما حضروا دعا واحدا واحدا من ولده فالبسه درع موسى فمنهم من طالت عليه ومنهم من قصرت عنه فقال لايشا هل خلفت من ولدك احدا قال نعم اصغرهم تركته في الغنم يرعاها فبعث اليه فجاء به فلما دعي اقبل ومعه مقلاع قال فنادته ثلاث صخرات في طريقه يا داود خذنا واحدها في مخلاته

وكان جبار القبوط وكان داود شديد البطش شجاعا قويا في بدنه فلما جاء الى طالوت البسه درع موسى فاستوت عليه قال فجاء داود فوقف بحذاء جالوت وكان جالوت على الفيل وعلى راسه التاج وفي جبهته ياقوتة يلمع نورها وجنوده بين يديه فاخذ داود من تلك الاحجار حجرا فرمى به في ميمنة جالوت فوقع عليهم فانهزموا واخذ حجرا آخر فرمى به في ميسرة جالوت فانهزموا ورمى بالثالث الى جالوت فاصاب موضع الياقوتة في جبهته ووصلت الى دماغه ووقع الى الارض ميتا وقيل ان جالوت طلب البراز فخرج اليه داود فرماه بحجر من مقلاع فوقع بين عينيه وخرج من قفاه واصاب جماعة كثيرة من اهل عسكره فقتلهم وانهزم القوم عن آخرهم عن وهب وغيره من المفسرين وآتاه الله الملك اي اعطاه الملك بعد قتل جالوت بسبع سنين عن الضحاك والحكمة قيل النبوة ولم يكن نبيا قبل قتل جالوت فجمع الله الملك والنبوة عند موت طالوت في حالة واحدة ولا يجوز ان يتولاهن من ليس بنبي على نبي لانه قلب ما يوجبه تدبير الحكمة لان النبي موثوق بظاهره وباطنه ولا يجري الا بالحق ولا يدعو الا الى حق وليس كذلك من ليس بنبي عن الحسن وقيل يجوز ذلك اذا كان يفعل ما يفعل بامره ومشورته وعلمه مما يشاء معناه علمه امور الدين ومما شاء من امور الدنيا منها صنعة الدروع فانه كان يلين له الحديد كالشمع وقيل الزبور والحكم بين الناس وكلام الطير والنمل وقيل الصوت الطيب والالحان ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض قيل فيه ثلاثة اقوال احدها لولا دفع الله بجنود المسلمين الكفار ومعرتهم لغلبوا وخربوا البلاد عن ابن عباس ومجاهد والثاني ان معناه يدفع الله بالبر عن الفاجر الهلاك عن علي ع وقتادة وجماعة من المفسرين ومثله ما رواه جميل عن ابي عبد الله ع قال ان الله يدفع بمن يصلي من شيعتنا عمن لا يصلي منهم ولو اجتمعوا على ترك الصلاة لهلكوا وان الله ليدفع بمن يزكي من شيعتنا عمن لا يزكي منهم ولو اجتمعوا على ترك الزكوة لهلكوا وان الله ليدفع بمن يحج من شيعتنا عمن لا يحج وقريب من معناه ما روي عن النبي ص انه قال لولا عباد ركع وصبيان رضع وبهائم رتع لصب عليهم العذاب صبا وروى جابر بن عبد الله قال قال رسول الله ص ان الله ليصلح بصلاح الرجل المسلم ولده وولد ولده واهل دويرته ودويرات حوله ولا يزالون في حفظ الله ما كان فيهم ولو اجتمعوا على ترك الحج لهلكوا منهم والثالث ان في معنى قول الحسن ما يزع الله بالسلطان اكثر مما يزع بالقرآن لان من يمتنع عن الفساد لخوف السلطان اكثر ممن يمتنع منه لاجل الوعد والوعيد الذي في القرآن ولكن الله ذو فضل على العالمين اي ذو نعمة عليهم في دينهم ودنياهم قوله عز وجل تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وانك لمن المرسلين آية اللغة التلاوة ذكر الكلمة من غير فاصل لان التالي للشيء يليه من غير فصل بغيره واصل التلو اتباع الشيء بعد الشيء الذي يليه والجوهر فرع الشيء موقعه الذي هو له من غير تعريفه بما لا يجوز فيه والرسالة تحمل جملة من الكلام لها فائدة الى المقصود بالدلالة الاعراب نتلوها جملة في موضع الحال والعامل فيه معنى الاشارة في تلك وذو الحال آيات الله اي نتلو عليك والباء في بالحق يتعلق بنتلوا ايضا المعنى تلك اشارة الى ما تقدم من اماتة الوف من الناس دفعة واحدة واحيائهم دفعة واحدة بدعاء نبيهم وتمليك طالوت وهو من اهل الخمول الذي لا ينقاد لمثله الناس بما جعل الله من الآية علما على تمليكه ونصر اصحاب طالوت مع قلة عددهم وضعفهم على جالوت واصحابه مع قوتهم وشوكتهم آيات الله اي دلالات الله على قدرته نتلوها عليك نقرؤها عليك يا محمد بالحق بالصدق وقيل نقرؤها بجبريل عليك بالحق بامرنا وانك لمن المرسلين معناه وانك لمن المرسلين بدلالة اخبارك هذه الآيات مع انك لم تشاهدها ولم تخالط اهلها ولا تعلم ذلك مع عدم المشاهدة ومخالطة اهلها الا بوحي من جهة الله تعالى والله تعالى لا يوحي الا الى انبيائه قوله عز وجل تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى بن مريم البينات وايدناه بروح القدس ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد آية الاعراب درجات منصوبة على الحال والعامل فيه رفع

وذو الحال بعضهم وتقديره ورفع بعضهم ذوي درجات فحذف المضاف ويجوز ان يكون حالا بعد الفراغ من الفعل تقديره
ورفع بعضهم فاذا هم ذوو درجات ويجوز ان يكون ظرف مكان ويجوز ان يكون اسما وضع موضع المصدر تقديره ورفع بعضهم
رفعا المعنى تلك يعني اولئك الا انه اراد به الاشارة الى الجماعة فاتى بلفظ الافراد الذي يكون للمؤنث المفرد كما يقال القوم
خرجت اي اولئك الذين تقدم ذكرهم من الانبياء في الكتاب فضلنا بعضهم على بعض انما ذكر الله تفضيل بعض
الرسل على بعض لامور احدها ان لا يغلط غالط فيسوي بينهم في الفضل كما استووا في الرسالة وثانيها ان يبين ان
تفضيل محمد عليهم كتفضيل من مضى من الانبياء بعضهم على بعض وثالثها ان الفضيلة قد يكون بعد اداء الفريضة وهذه
الفريضة المذكورة هنا هي ما خص كل واحد منهم من المنازل الجليلة نحو كلام موسى ع بلا سفير وكان سالة محمد ص الى الكافة
من الجن والانس وقيل اراد التفضيل في الآخرة لتفاضلهم في الاعمال وتحمل الاثقال وقيل بالشرائع فمنهم من شرع ومنهم من لم يشرع
والفرق بين الابتداء بالفضيلة وبين المحاباة ان المحاباة اختصاص البعض بالنفع على ما يوجبه الشهوة دون الحكمة
وليس كذلك الابتداء بالفضيلة لانه قد يكون للمصلحة التي لولاها لفسد التدبير وادى الى حرمان الثواب الجسيم فمن
حسن النظر لهذا الانسان تفضيل غيره عليه اذا كان في ذلك مصلحة فهذا وجه تدعو اليه الحكمة وليس كالوجه الاول الذي
انما تدعو اليه الشهوة منهم من كلم الله اي كلمه الله وهو موسى ع ورفع بعضهم درجات قال مجاهد اراد به محمدا صلى الله
عليه وآله فانه فضله على جميع انبيائه بان بعثه الى جميع المكلفين من جميع الانس والجن وبان اعطاه جميع الآيات التي
اعطاها من قبله من الانبياء وبان خصه بالقرآن الذي لم يعطه غيره وهو المعجزة القائمة الى يوم القيمة بخلاف
ساير المعجزات فانها قد مضت وانقضت وبان جعله خاتم النبيين والحكمة تقتضي باجراء اشرف الرسل لاعظم الامور
وآتينا عيسى بن مريم البينات اي الدلالات كابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى والاخبار عما كانوا ياكلونه
ويدخرونه في بيوتهم وايدناه بروح القدس قد مر تفسيره في الآية الخامسة والثمانين من هذه السورة ولو شاء الله
ما اقتتل الذين من بعدهم اي من بعد الرسل وقال قتادة والربيع من بعد موسى وعيسى واتى بلفظ الجمع لان ذكرهما
ذكر المتبعين لهما كما يقال حج الامير فتكون الفائدة ونكاية عظيمة معناه ولو شاء الله لم يقتتل الذين من بعد الانبياء
بان كان يلجئهم الى الايمان ويمنعهم عن الكفر الا انه لم يلجئهم الى ذلك لان التكليف لا يحسن مع الضرورة والالجاء
لا يحل الا مع التخلية والاختيار عن الحسن وقيل معناه لو شاء الله ما امرهم بالقتال بعدما جاءتهم البينات من بعد
وضوح الحجة فان المقصود من بعثة الرسل قد حصل بايمان من آمن قبل القتال ولكن اختلفوا فمنهم من آمن بتوفيق
الله ولطفه وحسن اختياره ومنهم من كفر بسوء اختياره ولو شاء الله ما اقتتلوا كرر ذلك تاكيدا وتنبيها وقيل ولا
مشية الاكراه اي لو شاء لاضطرهم الى حال يرتفع معها التكليف والثاني لامر المؤمنين بالكف عن قتالهم ولكن الله يفعل
ما يريد مما تقتضيه المصلحة وتوجبه الحكمة قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم من قبل ان ياتي
يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون آية القراءة قرا ابن كثير وابو عمرو ويعقوب
لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة بالفتح فيها اجمع وفي سورة ابراهيم لا بيع فيه ولا خلال وفي الطور لا لغو فيها
ولا تاثيم وقرا الباقون جميعا بالرفع الحجة قال ابو علي اما من فتح بلا تنوين فانه جعله جواب هل فيها من لغو او تاثيم
ومن رفع جعله جواب ا لغو فيها او تاثيم وقد ذكرنا صدر امثال القول على النفي فيما تقدم والمعنيان متقاربان
فان النفي يراد به العموم والكثرة في القرائتين يدل على ذلك قوله فلا لغو ولا تاثيم فيها الا ترى انه يريد من نفي
اللغو ان كان قد رفعه ما يريد بنفي التاثيم الذي فتحه ولم ينونه فان جعلت قوله فيها خبرا اضمرت للاول خبرا وان
جعلته صفة اضمرت لكل واحد من الاثنين صفة خبرا اللغة البيع هذا استبدال المتاع بالثمن والبيع نقيض الشراء
والبيع ايضا الشراء لانه تارة عقد على الاستبدال بالثمن وتارة على الاستبدال بالمتاع والبيعة الصفقة على ايجاب البيع

والبيعة الصفقة على ايجاب الطاعة والبيعان البائع والمشتري والخلة خالص المودة والخلل الانفراج بين الشيئين وخللته
بالخلال اخله خلا اذا شككته به واختلال الحال انخراقها بالفقر والخليل الخالص المودة من الخلة لتخلل الاسرار بينهما وقيل
لانه يمتنع من الشوب في المودة بالنقيصة والخليل ايضا المحتاج من الخلة والخل معروف والمحلة بحلته والطفه ما سافيه والخل
الرجل الخفيف الجسم والخل الطريق في الرمل وفي فلان خلة رائعة اي خصلة والخلة جفن السيف وقد ذكرنا معنى الشفاعة
عند قوله ولا يقبل منها شفاعة المعنى لما قص الله سبحانه اخبار الامم السالفة وثبت رسالة نبينا عقبه بالحث على الطاعة
فقال يا ايها الذين آمنوا اي صدقوا محمدا فيما جاء به انفقوا مما رزقكم الله قيل اراد به الفرض كالزكوات ونحوها دون
النفل لاقتران الوعيد به عن الحسن ولان ظاهر الامر يقتضي الايجاب وقيل يدخل فيه النفل والفرض عن ابن جريج
واختاره البلخي وهو الاقوى لانه اعم ولان الآية ليس فيها وعيد على ترك النفقة وانما فيها اخبار عن عظم اهوال يوم القيمة
وشدائدها من قبل ان ياتي يوم القيمة لا بيع فيه اي لا تجارة ولا خلة اي لا صداقة لانهم بالمعاصي يصيرون اعداء
وقيل لان شغله بنفسه يمنعه من صداقة غيره وهذا كقوله سبحانه الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين ولا شفاعة
اي لغير المؤمنين مطلقا فاما المؤمنون فقد يشفع بعضهم لبعض ويشفع لهم انبياؤهم كما قال سبحانه ولا يشفعون الا لمن ارتضى
ومن ذا الذي يشفع عنده الا باذنه والكافرون هم الظالمون انما ذم الله الكافر بالظلم وان كان الكفر اعظم منه لامرين
احدهما الدلالة على ان الكافر ضر نفسه بالخلود في النار فقد ظلم نفسه والآخر انه لما نفى البيع في ذلك اليوم والخلة والشفاعة
اخبر انه قد حرم الكافر هذه الامور وليس ذلك بظلم منا بل الكافرون هم الظالمون لانهم عملوا بانفسهم ما استحقوا به حرمان هذه
الامور ووجه آخر في فائدة تخصيص الكافر بالظلم هو ان ظلم الكافر هو غاية الظلم وليس يبلغ ظلم المؤمنين لانفسهم وغيرهم
مبلغ ظلم الكافرين ونظيره قول القائل فلان هو الفقيه في البلد وفلان هو الفاضل ويراد به تقدمه على غيره فيما اضيف
اليه قوله عز وجل الله لا اله الا هو الحي القيوم لا تاخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الارض من ذا الذي يشفع
عنده الا باذنه يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء وسع كرسيه السموات والارض
ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم آيتان بصري آية واحدة عند غيرهم عد البصري الحي القيوم آية فضل الآية ذكر ابو
[illegible] الفسوي في كتاب الترغيب باسناد متصل عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله يا ابا المنذر اي
آية في كتاب الله اعظم فقلت الله لا اله الا هو الحي القيوم قال فضرب في صدري ثم قال ليهنك العلم والذي نفس محمد بيده
ان لهذه الآية للسانا وشفتين تقدس الملك عند ساق العرش وروى الثعلبي باسناده عن عبد الله بن عمر قال قال
النبي صلى الله عليه وآله من قرا آية الكرسي في دبر كل صلوة مكتوبة كان الذي يتولى نفسه ذو الجلال والاكرام وكان كمن قاتل مع
انبياء الله حتى استشهد وباسناده عن علي ع قال سمعت نبيكم على اعواد المنبر وهو يقول من قرا آية الكرسي في دبر كل صلوة
مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق او عابد ومن قراها اذا اخذ مضجعه آمنه الله على
نفسه وجاره وجار جاره وعنه قال سمعت رسول الله ص يقول يا علي سيد البشر آدم وسيد العرب محمد ولا فخر وسيد
الفرس سلمان وسيد الروم صهيب وسيد الحبش بلال وسيد الجبال الطور وسيد الشجر السدر وسيد الشهور الاشهر
الحرم وسيد الايام يوم الجمعة وسيد الكلام القرآن وسيد القرآن البقرة وسيد البقرة آية الكرسي يا علي ان فيها
لخمسين كلمة في كل كلمة خمسون بركة وروي عن عبد الله بن مسعود قال من قرا عشر آيات من سورة البقرة في ليلة في بيت
لم يدخل ذلك البيت شيطان حتى يصبح اربع آيات من اولها وآية الكرسي واثنين بعدها وخواتيمها وروي عن ابي جعفر ع
قال من قرا آية الكرسي مرة صرف الله عنه الف مكروه من مكاره الدنيا والف مكروه من مكاره الآخرة ايسر مكروه
الدنيا الفقر وايسر مكروه الآخرة عذاب القبر وعن ابي عبد الله ع قال ان لكل شيء ذروة وذروة القرآن آية الكرسي اللغة
الحي من كان على صفة لا يستحيل معها ان يكون عالما قادرا وان شئت قلت هو من كان على صفة يجب لها ان يدرك المدركات

اذا وجبت والقيوم اصله قيووم على وزن فيعول الا ان الياء والواو اذا اجتمعتا واولاهما ساكنة قلبت الواو ياء وادغمت
الاولى في الثانية قياسا مطردا والقيام اصله قيوام على وزن فيعال ففعل به ما ذكرناه وقال امية بن ابي الصلت لم تخلق
السماء والنجوم والشمس معها قمر يعوم قدره المهيمن القيوم والحشر والجنة والنعيم الا لامر شانه عظيم والسنة الفتور الخفيف
وهو النعاس قال عدي بن الرقاع وسنان اقصده النعاس فرنقت في عينه سنة وليس بنائم وهو مصدر وسن يوسن
وسنا وسنة وقال المفضل السنة في الراس والنوم خلاف اليقظة يقال نام نوما واستنام اليه اي استانس اليه واطمان اليه
ناحيته وقال الليث لكل من احرز شيئا او بلغ علمه اقصاه قد احاط به ويقال وسع فلان الشي يسعه سعة اذا احتمله واطاقه
وامكنه القيام به ويقال لا يسعك هذا اي لا تطيقه ولا تحتمله والكرسي كل اصل يعتمد عليه وقال الشاعر يحف بهم بيض الوجوه وعصبة
كراسي بالاحداث حين تنوب اي علماء بالحوادث الامور وقال الاخر نحن الكراسي لا تعد هوازن امثالنا في النائبات ولا اسد وقال
اخر ما لي بامرك كرسي اكاتمه وهل بكرسي على الغيب مخلوق فكل شي تراكب فقد تكارس ومنه الكراسة لتراكب بعض
ورقها على بعض ورجل كروس عظيم الراس ويقال كرسي الملك من مكان كذا اي ملكه تشبيها بالكرسي المعروف واصل الباب
الكرس وهو تراكب الشي بعضه على بعض واده يؤده اودا اثقله وجهده وادت العود اوده اودا اذا عوجته فانعاج
والاود والاوداء على وزن الاعوج والعوجاء والمعنى واحد والجمع الاود كالعوج والعلي اصله من العلو وهو يجي
علي بالاقتدار ونفوذ السلطان ولا يقال رفيع بالاقتدار لان الرفعة في المكان والعلو منقول الى معنى الاقتدار
يقال فلان يعلو علوا فهو عال على قرنه بمعنى اقتدر ولا يقال ارتفع عليه بمعناه وكذلك يقال استعلى عليه
بالحجة ولا يقال ارتفع عليه بالحجة والعلو نقيض السفل وكسرها خلاف السفل وعلا في الارض علوا اذا تجبر ومنه قوله
ان فرعون علا في الارض ويوصف الله تعالى بالعالي والمتعالي اي القادر القاهر لا يعجزه شي وفلان من علية
الناس اي من اشرافهم والعظيم معناه العظيم الشان وقيل العظيم بمعنى المعظم كما قالوا في الخمر العتيق اي المعتقة والا
اقوى الاعراب الله رفع بالابتداء وما بعده خبره والكلام مخرج مخرج النفي ان يصح اله سوى الله وحقيقته الاثبات لاله
واحد هو الله فكانه قيل الله هو الاله دون غيره وارتفع هو في لا اله الا هو على احد وجهين احدهما بالابتداء كانه قال
ما اله الا الله والثاني ان يكون بدلا كانه قال ما اله ثابتا او موجودا الا الله ويجوز في العربية نصبه في قولك لا اله الا الله على
الاستثناء المعنى لما قدم سبحانه ذكر الامم واختلافهم على انبيائهم في التوحيد وغيره عقبه بذكر التوحيد فقال الله اي
من يحق له العبادة القادر على اصول النعم وقد ذكرنا اختلاف الاقوال في اصله وفي معناه في تفسير سورة الفاتحة لا اله الا هو
اي لا احد يحق له العبادة او يستحق الالهية غيره الحي قد ذكرنا معناه القيوم القائم بتدبير خلقه من انشائهم ابتداء وايصال
ارزاقهم اليهم كما قال وما من دابة في الارض الا على الله رزقها عن قتادة وقيل القيوم هو العالم بالامور من قولهم هو
يقوم بهذا الكتاب اي يعلم ما فيه وقيل معناه الدائم الوجود عن سعيد بن جبير والضحاك وقيل معناه القائم على كل
نفس بما كسبت حتى يجازيها من حيث هو عالم بها عن الحسن واللفظ يحتمل جميع هذه الوجوه لا تاخذه سنة اي نعاس
ولا نوم ثقيل مزيل للقوة وقيل معناه لا يغفل عن الخلق ولا يسهو كما يقال للغافل انت نائم وانت وسنان له ما في السموات
وما في الارض معناه له ملك ما فيهما وله التصرف فيهما من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه هو استفهام معناه الانكار
والنفي اي لا يشفع يوم القيمة احد الا باذنه وامره وذلك ان المشركين كانوا يزعمون ان الاصنام تشفع لهم
فاخبر الله سبحانه ان احدا من الشفعاء لا يشفع الا فيمن يأذن الله في ذلك ويامره به يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم
قيل فيه وجوه احدها ان معناه يعلم ما بين ايديهم ما مضى من الدنيا وما خلفهم من الاخرة عن مجاهد والسدي
والثاني معناه يعلم الغيب الذي تقدمهم من قولك بين يديه اي قدامه وما مضى فهو قدام الشي فيحمل عليه على هذا
المقدر لان هذا اللفظ حقيقة في الماضي وما خلفهم يعني الغيب الذي ياتي بعدهم عن ابن جريج والثالث ان

ما بين ايديهم عبارة عما لم يات كما يقال رمضان بين ايدينا وما خلفهم عبارة عما مضى كما يقال في شوال قد خلفنا رمضان
عن الضحاك ولا يحيطون بشي من علمه معناه من معلومه كما يقال اللهم اغفر لنا علمك فينا اي معلومك ويقال اذا ظهرت آية
انه هذه قدرة الله اي مقدوره والاحاطة بالشي علما ان يعلمه كما هو على الحقيقة الا بما شاء يعني بما شاء ان يعلمهم ودلهم عليه
وسع كرسيه السموات والارض اختلف فيه على اقوال احدها وسع علمه السموات والارض عن ابن عباس ومجاهد وهو المروي
عن ابي جعفر وابي عبد الله ع ويقال للعلماء كراسي كما يقال اوتاد الارض لان بهم قوام الدين والدنيا وثانيها ان الكرسي
هنا العرش وانما سمي كرسيا لتركب بعضه على بعض وثالثها ان المراد بالكرسي هنا الملك والسلطان والقدرة كما تقول
اجعل لهذا الحائط كرسيا اي عمادا يعمد به حتى لا يقع ولا يميل فيكون معناه احاط قدرته بالسموات والارض وما فيهما ورابعها
ان الكرسي سرير دون العرش وقد روي ذلك عن ابي عبد الله ع وقريب منه ما روي عن عطا انه قال ما السموات
والارض جميعا على الكرسي والكرسي تحت الارض كالعرش فوق السماء وروى الاصبغ بن نباتة ان عليا ع قال السموات
والارض وما فيهما من مخلوق في جوف الكرسي وله اربعة املاك يحملونه باذن الله ملك منهم في صورة الادميين
وهي اكرم الصور على الله وهو يدعو الله ويتضرع اليه ويطلب الشفاعة والرزق لبني آدم والملك الثاني في صورة الثور
وهو سيد البهائم وهو يدعو الله ويتضرع اليه ويطلب الشفاعة والرزق للبهائم والملك الثالث في صورة النسر
والملك الرابع في صورة الاسد وهو سيد السباع وهو يدعو الله ويتضرع اليه ويطلب الشفاعة والرزق لجميع السباع
قال ولم يكن في جميع الصور صورة احسن من صورة الثور ولا اشد انتصابا منه حتى اتخذ الملا من بني اسرائيل العجل وعبدوه
فخفض الملك الذي في صورة الثور راسه استحياء من الله ان عبد من دون الله شي يشبهه وتخوف ان ينزل به العذاب
ولا يؤده حفظهما اي لا يشق على الله سبحانه ولا يثقله حفظ السموات والارض وقيل الهاء في يؤده يعود الى الكرسي هذا على
قول من يقول ان السموات والارض على الكرسي وهو العلي عن الاشباه والامثال والاضداد والانداد وعن امارات النقص
ودلالات الحدث وقيل هو من العلو الذي هو بمعنى القدرة والسلطان والملك وعلو الشان والقهر والاعتلاء والجلال
والكبرياء العظيم اي عظيم الشان القادر الذي لا يعجزه شي العالم الذي لا يخفى عليه شي لا نهاية لمقدوراته ولا لمعلوماته وروى
علي بن ابراهيم عن ابيه عن الحسين بن خالد انه قرا ابو الحسن الرضا ع الله لا اله الا هو الحي القيوم لا تاخذه سنة ولا نوم له
ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه
قوله عز وجل لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى
لا انفصام لها والله سميع عليم آية اللغة الرشد نقيض الغي وهو الرشد والرشد ويقال غوى يغوي غيا وغواية اذا سلك
طريق الهلاك وغوى اذا خاب قال الشاعر ومن يغو لا يعدم على الغي لائما وغوي الفصيل يغوى غوى اذا قطع عن اللبن
حتى يكاد يهلك والطاغوت وزنه في الاصل فعلوت وهو مصدر مثل الرغبوت والرهبوت والرحموت ويدل على
انه مصدر وقوعها على الواحد والجماعة بلفظ واحد واصلها طغيوت لانها من الياء يدل على ذلك قولهم في طغيانهم
ان اللام قدمت الى موضع العين فصار طيغوت ثم قلبت الياء الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها فصار طاغوت فوزنها
الآن بعد القلب فلعوت وجمع طاغوت طواغيت وطواغ على حذف الزيادة وطواغي على العوض من المحذوف والعروة
عروة الدلو ونحوه لانها متعلقة وعروت الرجل اعروه عروا اذا الممت به متعلقا بسبب منه واعتراه هم اذا تعلق به
وعرته الحمى تعروه اذا علقت به والاصل في الباب التعلق وقال الازهري العروة كل نبات له اصل ثابت كالشيح والقيصوم
وغيره شبهت عرى الاشياء في لزومها والوثقى تانيث الاوثق والانفصام والانقطاع والانصداع نظائر قال الاعشى يصفهما
عن شبيث النبات عن الحس ولا ينفصم يقال فصمته فانفصم النزول نزلت الآية في رجل من الانصار وكان له غلام اسود
يقال له صبيح وكان يكرهه على الاسلام عن مجاهد وقيل نزلت في رجل من الانصار يدعى ابا الحصين وكان له ابنان فقدم

فقدم تجار الشام الى المدينة يحملون الزيت فلما ارادوا الرجوع من المدينة اتاهم ابنا ابي الحصين فدعوهما الى النصرانية فتنصرا وخرجا
الى الشام فاخبر ابو الحصين رسول الله ص فانزل الله سبحانه لا اكراه في الدين فقال رسول الله ص ابعدهما الله هما اول من كفر فوجد ابو الحصين
في نفسه على النبي ص حين لم يبعث في طلبهما فانزل الله سبحانه فلا وربك لا يؤمنون الآية قال وكان هذا قبل ان يؤمر النبي ص بقتال
اهل الكتاب ثم نسخ وامر بقتال اهل الكتاب في سورة براءة عن السدي وهكذا قال ابن مسعود وابن زيد انها منسوخة باية
السيف وقال الباقون هي محكمة وقيل كانت المرأة من الانصار تكون مقلاة فترضع اولاد اليهود فجاء الاسلام وفيهم جماعة
منهم فلما اجليت بنو النضير اذا فيهم اناس من الانصار فقالوا يا رسول الله ابناؤنا واخواننا فنزلت لا اكراه في الدين فقال
لما تقدم ذكر اختلاف الامم وانه لو شاء الله
خيروا اصحابكم فان اختاروكم فهم منكم وان اختاروهم فاجلوهم عن ابن عباس
لاكرههم على الدين ثم بين دين الحق والتوحيد عقيبه بان الحق قد ظهر والعبد قد تحير فلا اكراه بقوله لا اكراه في الدين وفيه
عدة اقوال احدها انه في اهل الكتاب خاصة الذين يؤخذ منهم الجزية عن الحسن وقتادة والضحاك وثانيها انه في جميع الكفار
ثم نسخ كما تقدم ذكره عن السدي وغيره وثالثها ان المراد لا تقولوا لمن دخل في الدين بعد الحرب انه دخل مكرها لانه اذا رضي
بعد الحرب وصح اسلامه فليس بمكره عن الزجاج ورابعها انها نزلت في قوم خاص من الانصار كما ذكرناه في النزول عن ابن عباس
وغيره وخامسها ان المراد ليس في الدين اكراه من الله سبحانه ولكن العبد مخير فيه لان ما هو دين في الحقيقة من افعال القلوب
اذا فعل لوجه وجوبه فاما ما يكره عليه من اظهار الشهادتين فليس بدين حقيقة كما ان من اكره على كلمة الكفر لم يكن كافرا
والمراد الدين المعروف وهو الاسلام ودين الله الذي ارتضاه قد تبين الرشد من الغي قد ظهر الايمان من الكفر والحق من
الباطل بكثرة الحجج والآيات الدالة عقلا وسمعا والمعجزات التي ظهرت على يد النبي ص فمن يكفر بالطاغوت فيه اقوال احدها
انه الشيطان عن مجاهد وقتادة وهو المروي عن ابي عبد الله ع وثانيها انه الكاهن عن سعيد بن جبير وثالثها انه
الساحر عن ابي العالية ورابعها انه مردة الجن والانس وكل ما يطغى وخامسها انه الاصنام وما عبد من دون الله
وعلى الجملة فالمراد من كفر بما خالف امر الله ويؤمن بالله اي يصدق بالله وبما جاءت به رسله فقد استمسك اي تمسك
واعتصم بالعروة الوثقى اي بالعصمة الوثيقة وعقد لنفسه من الدين عقدا وثيقا لا يحله شبهة وعن مجاهد بالايمان
بالله ورسوله وجرى هذا مجرى المثل لحسن البيان باخراج ما لا يقع به الاحساس الى ما يقع به لا انفصام لها اي لا انقطاع لها
يعني كما لا ينقطع من تمسك بالعروة كذلك لا ينقطع امر من تمسك بالايمان والله سميع لاقوالكم عليم بضمائركم قوله عز وجل
الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات
اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون آية اللغة الولي هو الذي على القرب من غير فصل وهو الذي يكون اولى
بالغير واحق بتدبيره ومنه الوالي لانه يلي القوم بالتدبير وبالامر والنهي ومنه المولى من فوق لانه يلي امر العبد بسد
الخلة وما به اليه الحاجة ومنه المولى من اسفل لانه يلي امر المالك بالطاعة ومنه المولى ابن العم لانه يلي امره بالنصرة
لتلك القرابة ومنه ولي اليتيم لانه يلي امر ماله بالحفظ له والقيام عليه والولي في الدين وغيره لانه يلي امره بالنصرة والمعونة
لما يوجب الحكمة من المعاقدة فجميع هذه المواضع الاولى والاحق بالحظ فيها وولى عن الشيء اذا ادبر عنه لانه ترك ان يليه بوجهه
واستولى على الشيء اذا احتوى عليه لانه وليه بالقهر والله سبحانه ولي المؤمنين على ثلاثة اوجه احدها انه يتولاهم بالمعونة
على اقامة الحجة والبرهان لهم في هدايتهم كقوله والذين اهتدوا زادهم هدى وثانيها انه وليهم في نصرهم على عدوهم واظهار
دينهم على دين مخالفيهم وثالثها انه وليهم يتولاهم بالمثوبة على الطاعة والمجازاة على الاعمال الصالحة المعنى لما ذكر سبحانه
المؤمن والكافر بين ولي كل واحد منهما فقال الله ولي الذين آمنوا اي نصيرهم ومعينهم في كل ما بهم اليه الحاجة وما فيه لهم الصلاح
من امور دينهم ودنياهم وآخرتهم يخرجهم من الظلمات الى النور اي من ظلمات الضلالة والكفر الى نور الهدى
والايمان لان الضلال والكفر في المنع من ادراك الحق كالظلمة في المنع من ادراك المبصرات ووجه اخراج الله تعالى المؤمنين

من ظلمات الكفر والضلال الى نور الايمان والطاعة هو انه هداهم اليه ونصب الادلة لهم عليه ورغبهم فيه وفعل بهم
من الالطاف ما يقوي دواعيهم الى فعله لانا قد علمنا انه لولا هذه الامور لم يخرجوا من الكفر الى الايمان فصح اضافة
الاخراج اليه سبحانه لكون هذه الامور التي عددناها من جهة الله تعالى كما يصح من احدنا اذا اشار على غيره بدخول
البلدان ورغبه فيه وعرفه ما له فيه من الصلاح ان يقول انا ادخلت فلانا البلد الفلاني وانا اخرجته من كذا وكذا والذين
كفروا اولياؤهم الطاغوت يتولى امورهم وانصارهم الطاغوت والطاغوت هنا واحد اريد به الجمع وهذا جائز في اللغة
اذا كان في الكلام دليل على الجماعة وقال الشاعر بها جيف الحسرى فاما عظامها فبيض واما جلدها فصليب وجلدها يعني جلودها
وقال العباس بن مرداس فقلنا اسلموا انا اخوكم فقد برئت من الاحن الصدور والمراد به الشياطين عن ابن عباس
وقيل رؤساء الضلالة عن مقاتل يخرجونهم من النور الى الظلمات اي من نور الايمان والطاعة والهدى الى ظلمات الكفر
والمعصية والضلال واضاف اخراجهم من النور الى الظلمات الى الطواغيت على ما تقدم ذكره من انهم يغوونهم ويدعونهم
الى ذلك ويزينون فعلهم فصح اضافته اليهم وهذا يدل على بطلان قول من قال ان الاضافة الاولى تقتضي ان الايمان
من فعل الله تعالى في المؤمن لانه لو كان كذلك لاقتضت الاضافة الثانية ان الكفر من فعل الشياطين وعندهم
لا فرق بين الامرين في انهما من فعله تعالى عن ذلك ايضا فلو كان الامر على ما ظنوه لما صار الله سبحانه وليا للمؤمنين وناصرا
لهم على ما اقتضته الآية والايمان من فعله لا من فعلهم ولما كان خاذلا للكفار ومضيفا لولايتهم الى الطاغوت والكفر
من فعله فيهم ولم يفصل بين الكافر والمؤمن وهو المتولي لفعل الامرين فيهما ومثل هذا لا يخفى على منصف فان قيل
كيف يخرجونهم من النور ولم يدخلوا فيه قلنا قد ذكر فيه وجهان ان ذلك يجري مجرى قول القائل اخرجني والدي
من ميراثه فمنعه من الدخول فيه اخراج ومثله قوله سبحانه في قصة يوسف اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله ولم يكن
فيه قط وقوله ومنكم من يرد الى ارذل العمر وقال الشاعر فان يكن الايام احسن مرة الي فقد عادت لهن ذنوب ولم يكن
لها ذنوب قبل ذلك والوجه الآخر انه في قوم ارتدوا عن الاسلام عن مجاهد والاول اقوى وقوله اولئك اصحاب
النار الى آخره قد مضى تفسيره قوله عز وجل الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه ان آتاه الله الملك اذ قال ابراهيم
ربي الذي يحيي ويميت قال انا احيي واميت قال ابراهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب
فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين آية القراءة قرأ اهل المدينة انا احيي باثبات الالف في انا
اذا كان بعدها همزة مضمومة او مفتوحة نحو انا اخوك وان كان بعدها همزة مكسورة نحو ان انا الا نذير حذفوا
الالف اجماعا الحجة الاصل في انا الهمزة والنون وانما يلحقها الالف في الوقف كما ان الهاء يلحق للوقف في سلطانيه وكما ان
الهاء التي يلحق للوقف تسقط في الوصل كذلك هذه الالف تسقط في الوصل وقد جاءت الالف مثبتة في الوصل
في الشعر نحو قول الاعشى فكيف انا وانتحالي القوافي بعد المشيب كفى ذاك عارا وقول الآخر انا سيف العشيرة فاعرفوني
حميدا قد تذريت السناما قال ابو علي ما روي من اثبات الالف في انا اذا كان بعد الالف همزة فاني لا اعلم بين الهمزة
وغيرها من الحروف فصلا ولا شيئا يجب من اجله اثبات الالف التي حكمها ان تثبت في الوقف اللغة في بهت اربع لغات
بهت على وزن شرف وبهت على وزن خدر وبهت على وزن ذهب وبهت على ما لم يسم فاعله وهذا هو الافصح
وعليه القراءة يقال بهت الرجل يبهت بهتا اذا انقطع وتحير ويقال بهته بهتا اذا قابلته بكذب
والبهت الحيرة عند استيلاء الحجة لانها كالحيرة للواجه بالكذب لان تحير المكذوب عليه منه
قولك انا بهتنا فاته قال انا احق به ادعى الكذب فيه الاعراب الم تر الى الذي انما دخلت الى في الكلام للتعجب من حال
الكافر المحاج بالباطل كما تقول اما ترى الى فلان كيف يصنع ومنه معنى هل رأيت لفلان في صنعه كذا وانما دخلت الى من بين
حروف الجر لهذا المعنى لانها لما كانت بمعنى الغاية والنهاية صار الكلام بمنزلة هل انتهت رؤيتك الى من هذه صفته بعد ليدل على

ويجوز ان يكون هما اسمين سبيه ولم يجر العادة به فصارت الى ههنا بمنزلة كاف التشبيه لما بينا
وموضع تنبيه على التعجب منه لان التعجب انما يكون مما استبهم سببه ولم يجر العادة به فصارت الى ههنا بمنزلة كاف التشبيه لما بينا
من العلة من العلة اذ كان مانده مثل كالذى يجد وقوعه المعنى لما بين سبحانه انه ولى المومنين والكفار لا ولى لهم سوى الطاغوت
تسلية لنبيه ص قص عليه بعث قصة ابرهيم ونمرود فقال الم تر يا محمد اى الم ينته علمك ورويتك الى الذى حاج ابرهيم اى الى
من كان كالذى حاج فكانه قال رايت كالذى حاج اى خاصم وجادل ابرهيم وهو نمرود بن كنعان وهو اول من تجبر
وادعى الربوبية عن مجاهد وغيره وانما اطلق لفظ المحاجة وكانت مجادلة بالباطل ولم يكن حجة لان فى زعم ان له
حجة واختلف فى وقت هذه المحاجة فقيل عند كسر الاصنام قبل القائه فى النار عن مقاتل وقيل بعد القائه فى النار
وجعلها عليه بردا وسلاما عن الصادق ع فى ربه اى فى رب ابرهيم الذى يدعو الى توحيده وعبادته ان آتاه الله
الملك الهاء من آتاه يعود الى المحاج لابرهيم اى اعطاه الله الملك وهو نعيم الدنيا وسعة المال فبطر الملك
لان آتاه الله الملك
حمله على محاجة ابرهيم عن الحسن الجبائى والملك على هذا الوجه جائز ان ينعم الله سبحانه على كل احد فاما الملك بتمليك الامر
والنهى وتدبير امور الناس وايجاب الطاعة على الخلق فلا يجوز ان يوتيه الله الا من يعلم انه يدعو الى الصلاح والسداد
والرشاد دون من يدعوا الى الكفر والفساد ولا يصح منه لعلمه بالغيوب والسرائر تفويض الولاية الى من هذا سبيله لما
فى ذلك من الاستفساد وقيل ان الهاء يعود الى ابرهيم ع عن ابى القسم البلخى وسال على هذا الفهم فقال كيف يكون
الملك لابرهيم والحبس والاطلاق الى نمرود وجوابه ان الحبس والاطلاق والامر والنهى كان من جهة الله تعالى الى ابرهيم
وانما يفعل ذلك نمرود على وجه القهر والغلبة لا من جهة ولاية شرعية اذ قال ابرهيم ربى الذى يحيى ويميت فى الكلام
حذف وهو اذ قال نمرود من ربك فقال ربى الذى يحيى ويميت بدا بذكر الحيوة لانها اول نعمة ينعم الله سبحانه على خلقه ثم
يميتهم وهذا لا يقدر عليه احد الا الله تعالى لان الاماتة هى ان يخرج الروح من بدن الحى من غير جرح ولا نقض بنية ولا احداث
فعل يتصل بالبدن من جهته وهذا خارج عن قدرة البشر قال انا احيى واميت اى قال نمرود انا احيى بالتخلية من الحبس
من وجب عليه القتل واميت بالقتل من شئت ممن هو حى وهذا جهل من الكافر لانه اعتمد فى المعارضة على العبارة فقط
دون المعنى عادلا عن وجه الحجة بفعل الحيوة للميت او الموت للحى على سبيل الاختراع الذى ينفرد سبحانه به ولا يقدر عليه سواه
قال ابرهيم فان الله ياتى بالشمس من المشرق فات بها من المغرب قيل فى انتقاله من حجة الى حجة اخرى وجهان احدهما ان
ذلك لم يكن انتقالا وانقطاعا من ابرهيم ع فانه يجوز من كل حكيم ايراد حجة اخرى على سبيل التاكيد بعد تمام ما ابتدء
به من الحجاج وعلامة تمام ظهوره من غير اعتراض عليه بشبهة لها تاثير عند التامل والتدبر لموقعها من الحجة المعتمد عليها
والثانى ان ابرهيم انما قال ذلك ليبين ان من شان من يقدر على احياء الاموات واماتة الاحياء ان يقدر على
اتيان الشمس من المغرب فان كنت قادرا على ذلك فات بها من المغرب وانما فعل ذلك لانه لو تشاغل معه بانى اخترع الحيوة
والموت من غير سبب ولا علاج لاشتبه على كثير ممن حضر فعدل الى ما هو اوضح لان الانبياء ع انما بعثوا للبيان والايضاح وليست
امورهم مبنية على لجاج الخصمين وطلب كل واحد منهما غلبة خصمه وقد روى عن الصادق ع ان ابرهيم ع قال له احى من
قتلته ان كنت صادقا ثم استظهر عليه بما قاله ثانيا فبهت الذى كفر اى تحير عند الانقطاع فيما بان من ظهور الحجة فان قيل فهلا قال
نمرود فليات بها ربك من المغرب قيل عن ذلك جوابان احدهما انه علم بما راى من الآيات انه لو اقترح ذلك لاتى به الله
تصديقا لابرهيم فكان يزداد بذلك فضيحة عدل عن ذلك والثانى ان الله تعالى خذله ولطف لابرهيم ع حتى انه لم يات
بشبهة ولم يلبس والله لا يهدى القوم الظالمين بالمعونة على بلوغ البغية من الفساد وقيل معناه لا يهديهم الى المحاجة كما يهدى
انبياءه وقيل معناه لا يهديهم بالطافه وتاييدهم تاييده اذ اعلم انه لا لطف لهم وقيل لا يهديهم الى الجنة وهذا لا يعارض
قوله سبحانه واما ثمود فهديناهم لانا نذهب بالمعانى الهداية وجوها فيما قيل عند قوله يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا فبعضها عام
لجميع المكلفين وبعضها خاص بالمومنين وفى هذه الآية دلالة على ان المعارف غير ضرورية اذ لو كانت كذلك لما صحت المحاجة

فى اثبات الصانع ومنها دلالة على فساد التقليد وحسن الحجاج وانه سبحانه انما يعلم بافعاله التى لا يقدر عليها غيره وفى تفسير ابن عباس
ان الله تعالى سلط على نمرود بعوضة فعضت شفته فاهوى اليها بيده ليأخذها فطارت فى منخره فذهب يستخرجها فطارت
فى دماغه فعذبه الله تعالى بها اربعين ليلة ثم اهلكه قوله عز وجل او كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها قال انى يحيى
هذه الله بعد موتها فاماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما او بعض يوم قال بل لبثت
مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر الى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر الى العظام كيف
ننشزها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال اعلم ان الله على كل شىء قدير آية القراءة قرا ابو عمرو وابن عامر وحمزة
والكسائى لبثت بالادغام والباقون بالاظهار وقرا اهل العراق غير ابى عمرو وعاصم لم يتسن واقتده بحذف الهاء وصلا
والباقون باثبات الهاء فى الوصل ولم يختلفوا فى اثباتها فى الوقف وقرا اهل الحجاز والبصرة ننشرها بضم النون
الاولى وبالراء وقرا اهل الكوفة والشام ننشزها بالزاى وروى ابان عن عاصم ننشرها بفتح النون وضم الشين والراء
وقرا حمزة والكسائى قال اعلم موصولة الالف ساكنة الميم والباقون اعلم مقطوعة الالف مرفوعة الحجة قال ابو على من ادغم
لبثت اجرى التاء والثاء مجرى المثلين من حيث اتفق الحرفان فى انهما من طرف اللسان واصول الثنايا واتفقا فى الهمس
ومن بين ولم يدغم فلتباين المخرجين لان الطاء والتاء والدال من حيز والظاء والذال والثاء من حيز ومن قرا لم يتسنه
بالهاء فى الوصل فيحتمل ضربين احدهما ان تكون الهاء لاما من السنة فمن قرا سنيهة فكون سكون الهاء للجزم
والاخر ان يكون من السنة فيمن قال سنوات وسنوات ويكون معنى المسنون الذى يراد به المتغير فى نفسه على هذين
القولين يكون للوقف فينبغى ان يلحق فى الوقف ويسقط فى الدرج واما قوله اقتده فانه يجوز ان تكون الهاء كناية
عن المصدر ولا يكون التى للوقف ولكن لما ذكر الفعل على مصدره فاضمره كما اضمر فى قوله ولا يحسبن الذين يبخلون
بما آتيهم الله من فضله هو خيرا لهم قال الشاعر غدا سراقة للقرآن مدرسه والمرء عند الرشا ان يلقها ذيب فالهاء
فى يدرسه للمصدر ولا يجوز ان يكون للمفعول لان الفعل قد تعدى الى المفعول اللام فلا يجوز ان يتعدى اليه مرة
ثانية فلذلك قوله فبهديهم اقتده ويكون اقتد الاقتداء فيضمر لدلالة الفعل عليه ومن قرا كيف ننشزها فمعناه كيف
نحييها قال تعالى ثم اذا شاء انشره وقد وصفت العظام بالاحياء قال سبحانه قال من يحيى العظام وهى رميم قل يحييها
الذى انشاها اول مرة وكذلك فى قوله كيف ننشرها ومن قرا كيف ننشزها بالزاى فالنشز الارتفاع قال ابو الحسن
نشزته ونشزته فتقدير ننشزها نرفع بعضها الى بعض للاحياء ومن هذا النشوز من المراة وهو ان تنبو عن الزوج
فى العشرة فلا يلائمه ومن قرا قال اعلم على لفظ الخبر فلانه لما شاهد من احياء الله تعالى وبعثه اياه بعد وفاته
شاهدا خبر عما تبينه وتيقنه اى اعلم هذا الضرب من العلم الذى لم اكن علمته قبل ومن قرا اعلم على لفظ الامر فالمعنى
يؤل الى الخبر وذلك لانه لما تبين له من الامر الذى لا يحتاج المشتبه عليه نزل نفسه منزلة غيره فخاطبها كما يخاطب سواها
كقول الاعشى ارى بها البيداء اذا هجرت وانت بين القرو والعاصر فقال انت وهو يريد نفسه ومثله قوله ودع هريرة
ان الركب مرتحل وهل تطيق وداعا ايها الرجل فخاطب نفسه كما يخاطب غيره قال ابو الحسن وهو اجود فى المعنى اللغة الخواء
الخلاء قال الراجز يبيد واخواء الارض هى خاوية والخواء الفرجة بين الشيئين لخلو ما بينهما وخوت الدار تخوى خواء
فهى خاوية اذا باد اهلها لخلوها منهم والخوى الجوع خوى يخوى خوى لخلو البطن من الغذاء والتخوية التفريج بين
العضدين والجنبين لخلو ما بينهما بتباعدهما على عروشها اى على ابنيتها قال ابو عبيدة هى الخيام وهى بيوت الاعراب
وقال غيره خاوية على عروشها اى بقيت حيطانها لا سقوف عليها وكل بناء عرش وعرش يعرش اى بنى وعرش يعرش
عرشا اذا بنى والعريش البيت لارتفاع ابنيته والعرش السرير لارتفاعه عن غيره وعرش الرجل قوام امره وعرش البيت
سقفه والتعريش جعل الخشب تحت الكرم ليمتد عليه يقال عرشه وعرشه واصل القرية الجمع من قريت الماء جمعت

قرية لاجتماع الناس للاقامة بها وانى يحيى اى من اين يحيى او كيف يحيى والعام الحول وجمعه الاعوام وهو حول ياتى بعد شتوة
وصيفة لان فيه سبحا طويلا ربما يمكن التصرف فيه والعوم السباحة والسفينة تعوم في جريها والابل تعوم في سيرها والاماتة
اصطفاء لخيار مال الرجل لانه يجرى فى لحمه شيئا بعد شى كالسابح فى الماء الجارى فى اعتام الموت النفوس اوكلا ولا لذ
واصل الباب السح واللبث والمكث يقال لبث يلبث لبثا وتلبث تلبثا اذا مكث والحمار يقال للوحشى والاهلى واصله
من الحمرة لان الحمرة اغلب عليه وحمارة القيظ شدة حره وحمر فى العين احمر اذا انتن وموت احمر شديد بمنزلة جمرة
الناس الاسود والاحمر العرب والعجم لان السواد اغلب على الوان العرب كما ان الحمرة اغلب على الوان العجم ومنه قول الاشعث
لعلى غلبتنا عليك هذه الحمراء يعنى العجم والنشر خلاف الطى والنشر ادلغة الحديث وحك العود بالمنشار والنشر الرائحة
الطيبة ورهابيل فى الجنية والنشز الرفيقة بالزاى المرتفع من الارض الاعراب او حرف عطف وهو عطف على معنى
الكلام الاول وتقديره ارايت كالذى حاج ابرهيم فى ربه او كالذى مر على قرية وموضع الكاف نصب برى ومعناه التعجب
منه لان كل ما خرج فى بابه بعظمه عن حد نظائره فهو مما يتعجب منه تقول ما اجهله اى قد خرج بجهله عن نظائره ولذلك
لو قلت هل رايت لزيد الجاهل لدللت على مثل الاول فى التعجب لما بينا ان ما افعله صيغة وضعت للتعجب وليس
كذلك هل رايت لانها فى الاصل الاستفهام وقيل الكاف زائدة للتوكيد كما زيدت فى قوله ليس كمثله شئ والاول
اجود لانه لا يحكم بالزيادة الا للضرورة وقوله انى استفهام فى موضع نصب على الحال من يحيى وتقديره اماتا يحيى
ويجوز ان يكون مصدر يحيى وتقديره اى نوع يحيى اى احياء يحيى وهذا اولى لانه يكون سؤالا عن كيفية
الاحياء وموضع كم نصب بلبثت كانه قيل امائة سنة لبثت ام اقل ام اكثر وقوله ولنجعلك دخلت الواو لاتصال اللام
بفعل محذوف كانه قال ولنجعلك آية للناس فعلنا ذاك لان الواو لو سقطت اتصلت اللام بالفعل المتقدم كيف
فى محل النصب على الحال من ننشرها او ننشزها او على المصدر وننشزها جملة فى موضع الحال من انظر وذو الحال العظام
المعنى او كالذى مر اى او هل رايت كالذى مر ومعناه ان شئت فانظر فى قصة الذى حاج وان شئت فانظر
فى قصة الذى مر على قرية وهو عزير عن قتادة وعكرمة والسدى وهو المروى عن ابى عبد الله ع وقيل هو ارميا عن
وهب وهو المروى عن ابى جعفر ع وقيل هو الخضر عن ابى اسحق والقرية التى مر عليها هو بيت المقدس لما خربه بخت
نصر عن وهب وقتادة والربيع وعكرمة وقيل هى الارض المقدسة عن الضحاك وقيل هى القرية التى خرج منها الالوف
حذر الموت عن ابن زيد وهى خاوية على عروشها اى خالية وقيل خراب عن ابن عباس والربيع والضحاك وقيل ساقطة
من اصلها وسقوفها كان السقوف قد سقطت ووقعت البنيان عليها قال انى يحيى هذه الله بعد موتها اى كيف يعمر الله هذه
القرية بعد خرابها وقيل يحيى الله اهلها بعدما ماتوا واطلق لفظ القرية والمراد به اهلها كقوله سبحانه واسأل القرية
ولم يقل ذلك انكارا ولا تعجبا ولا ارتيابا ولكنه احب ان يريه الله تعالى احياها مشاهدة كما يقول الواحد منا كيف
يكون حال اهل الجنة فى الجنة وكيف حال اهل النار فى النار وكقول ابرهيم رب ارنى كيف تحيى الموتى احب ان
يريه الله تعالى احياء الموتى مشاهدة ليحصل له العلم ضرورة بما حصل له العلم به دلالة لان العلم بالاستدلال ربما اعترته
الشبهة فاماته الله مائة عام اى اماته مائة سنة ثم بعثه اى احياه قال كم لبثت والتقدير انه سمع نداء من السماء يا عزير كم لبثت
فى مبيتك ومنامك وقيل ان القائل هو نبى وقيل ملك وقال بعض المفسرين من شاهده عند موته واحيائه قال لبثت
يوما او بعض يوم لان الله تعالى اماته فى اول النهار واحياه بعد مائة سنة فى آخر النهار فقال يوما ثم التفت فراى بقية
من الشمس فقال او بعض يوم فقال بل لبثت مائة عام معناه بل مكثت فى مكانك مائة عام سنة فانظر الى طعامك
لم يتسنه اى لم تغيره السنون وانما لم يثنه على الواحد لانه اراد جنس الطعام والشراب اى انظر الى ما تركته انه لم
وقيل اراد به الشراب لانه اقرب المذكورين اليه وقيل كان زاده عصيرا وتينا وهذه الثلاثة اسرع الاشياء تغيرا

وفسادا فوجد العصير حلوا والتين والعنب كما جنيا لم يتغير وانظر الى حمارك معناه انظر اليه كيف تفرق اجزاؤه وتبدد عظامه
ثم انظر كيف يحييه الله وانما قال ذلك ليستدل بذلك على طول مماته ولنجعلك آية للناس اى حجة للناس فى البعث وانظر
الى العظام كيف ننشرها كيف نحييها وبالزاى كيف نرفعها من الارض فنردها الى اماكنها فى الجسد ونركب بعضها على بعض
ثم نكسوها لحما اى نلبسها لحما واختلف فيه فقيل اراد عظام الحمار عن السدى وغيره فعلى هذا يكون تقديره وانظر الى عظام حمارك
وقيل اراد عظامه عن الضحاك وقتادة والربيع قالوا اول ما احياه الله منه عينه وهو مثل غرقى البيض فجعل ينظر الى
العظام البالية المتفرقة تجتمع اليه والى اللحم الذى قد اكلته السباع يأتلف الى العظام من ههنا ومن ههنا ويلتزم ويلتزق
بها حتى قام وقام حماره فلما تبين له يعنى ظهر له علم وانما علم انه مات سنين لاحدهما باحيائه حتى راى الاية
المعجزة فى نفسه وحماره وطعامه وشرابه وتقطع اوصاله ثم اتصال بعضها ببعض حتى رجع الى حالته التى
كان عليها فى اول امره والآخر انه علم ذلك بالاثار الدالة على ذلك لما رجع الى وطنه فراى ولده وولد ولده شيوخا وقد كان خلف
اباهم شابا الى غير ذلك من الامور التى تغيرت والاحوال التى تقلبت وروى عن على ع ان عزيرا خرج من اهله وامراته
حامل وله خمسون سنة فاماته الله مائة سنة ثم بعثه فرجع الى اهله ابن خمسين وله ابن له مائة سنة فكان
ابنه اكبر منه فذلك من آيات الله وقيل انه رجع وقد احرق بخت نصر التوراة فاملاها عليهم من ظهر قلبه فقال رجل منهم
حدثنى ابى عن جدى انه دفن التوراة فى كرم فان اريتمونى كرم جدى اخرجتها لكم فاروه فاخرجها فعارضوا ذلك
بما املى فما اختلفا فى حرف فقالوا ما جعل الله التوراة فى قلبه الا وهو ابنه فقالوا عزير ابن الله فقال اى المار
على القرية اعلم اى استيقن ومن قرأ اعلم فمعناه على ما تقدم ذكره فى انه يخاطب الله نفسه وقيل انه امر من الله سبحانه
له ان الله على كل شئ قدير اى لم اقل ما قلت عن شك وارتياب ويحتمل انه انما قال ذلك لانه ازداد بما شاهده وعاين
يقينا وعلما اذ كان قبل ذلك علم استدلال فصار علمه ضرورة ومعاينة قوله تعالى واذ قال ابرهيم رب ارنى كيف
تحيى الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى قال فخذ اربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل على كل جبل
منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم ان الله عزيز حكيم آية القراءة قرأ ابو جعفر وحمزة وخلف ورويس عن يعقوب
فصرهن بكسر الصاد والباقون فصرهن بضمها وروى فى الشواذ عن ابن عباس فصرّهن بضم الصاد وتشديد الراء وفتحها
عكرمة فصرهن بفتح الصاد وتشديدها وقرأ عاصم فى رواية ابى بكر جزؤا واشتقاقه مهموز حيث وقع وقرأ ابو جعفر جزا
مشددا والباقون بالهمز والتخفيف الحجة قال صرته اصوره اى املته ومنه قول الشاعر يصور عنوقها احوى زنيم
عيون هذه الغنم ... وصرته اصوره قطعته قال ابو عبيدة فصرهن فى الصور هو القطع قال ابو الحسن قد
قالوا بمعنى القطع صار الصرح قال الشاعر وفرع يصير الجيد وحف كانه على الليت قنوان الكروم الدوالح ومعنى
هذا يميل الجيد من كثرته فقد ثبت ان الميل والقطع به يقال فى كل واحد منهما ايضا صار يصير فمن جعل فصرهن
اليك بمعنى املهن اليك حذف فى الكلام والمعنى املهن اليك فقطعهن ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا فحذف
الجملة لدلالة الكلام عليها كما فى قوله اضرب بعصاك البحر فانفلق اى فضرب فانفلق ومن فسر فصرهن على معنى
فقطعهن يحتج الى اضمار ويحتمل كلا الوجهين كل واحد فى القراءتين على ما ذكرناه وقوله اليك ان جعلت صرهن بمعنى
اقطعهن كان اليك متعلقا بخذ اى خذ اليك اربعة من الطير ثم اجعل وان جعلته بمعنى املهن احتمل ان يكون
متعلقا بخذ وان يكون متعلقا بصرهن وقياس قول سيبويه ان يكون متعلقا بقوله فصرهن لانه اليه اقرب
ومن قرأ فصرّهن بكسر الصاد وتشديد الراء فانه يكون من صره يصره اى قطعه والمتعدى من هذا الباب قليل
وقد روى عن عكرمة ايضا صرّهن بضم الصاد يكون من صره يصره وهذا على هذا القياس ومن قرأ فصرهن
فهو فعلى من صرى يصرى تصرية اذا حبس وقطع قال الشاعر رب غلام قد صرى فى فقرته كالشباب عنفوان ...

ومنه الشاة المصراة اي المحبوسة اللبن المقطوعة ضرعها عن الخروج واما الوجه في قراءة من قرا جزوا بالتثقيل فقد ذكرنا
عند قوله سبحانه اتتخذنا هزوا ومن قرا جزا بالتشديد فاصله جزءا ثم خففت همزته ثم انك اذا خففت كان لك
السكون وان شئت الاشمام ومنزل الجر وان شئت التشديد فقد لا بحزم ثم انه وصل على قوة فقال جز وكما جاء في الشعر
بنازل وحيا او سهل كان مهواها على الكلكل فاجرى الوصل مجرى الوقف **اللغة** اطمان يطمئن اطمينانا اذا انوطا والمطمئن
من الارض ما انخفض وتطامن واطمان اليه اذا وثق به وسكون نفسه اليه وليوطي حاله بالامانة عنده واصل الباب
لتوطئة والطير معروف وطار يطير طيرانا وطيرورة والباب يدل على خفة الشي في القوام ويستعار ذلك في غيره في كل
سرعة وتطير من الطير وهو زجر الطير بما يكره وطار الانسان عمله الذي قلده من خير او شر لانه بمنزلة طائر الطير في البركة والشوم
وفجر مستطير منتشر في الارض وعياد مستطار وفرس مطار وحديد الفواد لانه طيار في جريه والجبل وتد من اوتاد
الارض وجبل فلان على كذا اي طبع وجبله رجل جبل اذا كان غليظ الجسم والجبلة الامة من الناس واجبل الحافر
اذا بلغ الى صلابة لا يمكنه الحفر عندها ومنه اجبل الشاعر اذا صعب عليه القول والجزء بعض الشي وجزاته بعضته والفرق بين
الجزء والسهم ان السهم من الجملة ما ينقسم عليه نحو الاثنين من العشرة وقد يقع الجزء لما لا ينقسم عليه نحو الثلاثة من العشرة
لا ينقسم العشرة عليها وان كان الثلاثة جزءا من العشرة **الاعراب** العامل في اذ في المعنى اذكر اي واذكر هذه القصة عن الزجاج
ويجوز ان يكون عطفا على قوله الم تر الى الذي حاج ابرهيم اي ولم تر اذ قال وموضع كيف نصب بقوله يحيي الموتى والمعنى باي
حال يحيي الموتى وقوله ليطمئن قلبي اللام يتعلق بمحذوف تقديره اريتني ليطمئن قلبي في الطير صفة لاربعة وعلى هذا
يكون من للتبعيض وللتبيين فيجوز ان يتعلق بخذ على هذا لا يكون الا للتبيين منهن اي جزءا في كل واحد منهن فلما
قدم على جزء وقع موقع النصب على الحال من جزء وقوله سعيا مصدر وقع موقع الحال فكانه قال يسعين سعيا او ساعيات
سعيا **المعنى** ثم ذكر سبحانه ما اراه ابرهيم عيانا في احياء الموتى فقال واذ قال ابرهيم رب ارني كيف تحيي الموتى اختلف في سبب
سوال ابرهيم هذا على وجوه احدها ما قال الحسن والضحاك وقتادة وهو المروي عن ابي عبد الله عليه السلم انه راى جيفة
تمزقها السباع فياكل منه سباع البر وسباع الهواء ودواب البحر فسال الله تعالى ابرهيم عليه السلام فقال يارب قد علمت
انك تجمعها في بطون السباع والطيور ودواب البحر فارني كيف تحييها لاعاين ذلك وثانيها ما روي عن ابن عباس وسعيد بن جبير
والسدي ان الملك بشر ابرهيم عليه السلم بان الله قد اتخذه خليلا وانه يجيب دعوته ويحيي الموتى بدعائه فسال الله سبحانه ان يفعل
ذلك ليطمئن قلبه بانه قد اجاب دعوته واتخذه خليلا وثالثها ان سبب السوال منازعة نمرود اياه في الاحياء قال انا احيي
واميت واطلق محبوسا وقتل انسانا فقال ابرهيم ليس هذا باحياء فقال يارب ارني كيف تحيي الموتى ليعلم نمرود ذلك
وروي ان نمرود توعده بالقتل ان لم يحي الله الميت بحيث يشاهده فلذلك قال ليطمئن قلبي اي بان لا يقتلني الجبار عن محمد بن
اسحق بن يسار ورابعها انه احب ان يعلم ذلك علم عيان بعد ان كان عالما به من جهة الاستدلال والبرهان ليزول الخواطر
ووساوس الشيطان وهذا اقوى الوجوه قال اولم تؤمن هذه الالف استفهام يراد به التقرير كقول الشاعر الستم خير من ركب المطايا واندى
العالمين بطون راح اي انتم كذلك لا محالة فلم قال هذا وهذه الالف اذا دخلت على الاثبات فالمراد النفي كقوله سبحانه ءانت
قلت للناس اي لم تقل قال بلى ولكن ليطمئن قلبي اي بلى انا مؤمن ولكن سالت ذلك لازداد يقينا اي يقينا عن الحسن
وقتادة ومجاهد وابن جبير وقيل لاعاين ذلك ويسكن قلبي الى علم العيان بعد علم الاستدلال وقيل ليطمئن قلبي بانك قد
اجبت مسالتي واتخذتني خليلا كما وعدتني قال فخذ اربعة من الطير مختلفة الاجناس وانما خص الطير من بين سائر الحيوانات
لخاصية الطيران وقيل انها الطاووس والديك والغراب والحمام امره ان يخلط ريشها بدمها هذا قول مجاهد وابن جريج وعطا
وابن زيد وهو المروي عن ابي عبد الله عليه السلم فصرهن اليك اي قطعهن عن ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن وقيل معناه
اضممهن اليك عن عطا وابن زيد وقد تقدم بيانه في وجه القراءة ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن ياتينك سعيا

146

روي عن ابي عبد الله عليه السلم فصرهن اليك معناه فرقهن على كل جبل وكانت عشرة اجبل ففعل ابرهيم ذلك
ووضع على عشرة اجبل ثم دعاهن فقال اجيبيني باذن الله فكانت تجتمع وتاتلف لحم كل واحد وعظمه الى راسه وطارت
الى ابرهيم عليه السلم وقيل ان الجبال كانت سبعة عن ابن جريج والسدي وقيل كانت اربعة عن ابن عباس وقتادة
والحسن وقيل كل جبل على العموم بحسب الامكان كانه قال فرقهن على كل جبل يمكنك التفرقة عليه عن مجاهد والضحاك
وقيل انه لما قال كيف قال ثم ادعهن ودعاء الجماد قبيح وجوابه انه اراد به الاشارة اليها والايماء ليقبل عليه الحيات
امره وقيل معنى الدعاء هنا الاخبار عن تكوينها احياء كقوله سبحانه كونوا قردة خاسئين وقوله ائتيا طوعا او كرها على الطريق
قول من قال انه جعل على كل جبل منهن جزءا ثم دعاهن فبعثهن من الصواب في الغاية لانه انما طلب بالعلم كونه قادرا على
احياء الموتى عيانا وليس في لياليه طابق حاله بالاحياء فائدة على ذلك وفي الكلام حذف فكانه قال فقطعهن ثم اجعل
على كل جبل من كل واحد منهن جزءا ثم ادعهن فاذا احياهن فادعهن يقبلن الايماء اليها بعد ان صارت
احياء ففعل ابرهيم ذلك فنظر الى الريش يسعى بعضها الى بعض وكذلك العظام واللحم ثم اتينه مشيا على ارجلهن فتلقى
كل طائر راسه وذلك قوله ياتينك سعيا هل يقال للطائر اذا طار سعى فقال لا انما معناه قال معناه ياتينك
وانت تسعى سعيا واعلم ان الله عزيز اي قوي لا يعجز عن شي حكيم في افعاله واقواله وقيل عزيز لا الاشياء لذلا يمتنع عليه
شي حكيم افعاله كلها حكمة وصواب ومما قيل في هذه الاية ان قال كيف اجيب ابرهيم عليه السلم الى الاية الاخرة دون موسى عليه السلم
من وقوع الصورة التي لا يعرفها السلوك بوجه وابرهيم عليه السلم انما هنالك في شي خاص يصح معه التكليف والاخرى كلا
فلا يختلف فيكون الاصلح في بعض الاحوال الاجابة وفي بعضها المنع فيما لم يتقدم فيه اذن قوله عز وجل مثل الذين ينفقون
اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم
اية **اللغة** النبت الحشيش وكل ما ينبت من الارض يقال نبت نبتا ونباتا وانبته الله نباتا والنبوت شجر الخشخاش
وانبت الغلام اذا راهق واستبان شعر عانته والسنبلة على وزن فنعلة لقولهم اسبل الزرع بمعنى سنبل اذا صار فيه السنبل
والاصل فيه الاسبال وهو ارسال الستر ونحوه فكانما يسبل الستر بالاسبال يسترسل الزرع بالسنبل ولانه صار فيه حب مستور
بالاسبال والمائة معروف يقال امات للغنم اذا بلغت مائة وامايتها انا اي وفيتها مائة والمائي الامتلاء القوم **المعنى** مثل الذين
ينفقون اموالهم في سبيل الله فيه تقديره مثل صدقات الذين ينفقون كمثل زارع حبة وسبيل الله هو الجهاد وغيره من
ابواب البر كلها على ما تقدم بيانه فالاية عامة في النفقة في جميع ذلك وهو المروي عن ابي عبد الله عليه السلم واختاره ابو علي الجبائي
وقيل هي خاصة بالانفاق في الجهاد فاما غيره من الطاعات فانما يجزى بالواحد عشرة امثالها كمثل حبة انبتت
اي اخرجت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة يعني ان النفقة في سبيل الله سبعمائة ضعف ومتى قيل هل ثمة اي
في سنبلة مائة حبة حتى يضرب المثل بها فجوابه ان ذلك متصور وان لم ير كقول امرئ القيس ومسنونة زرق كانياب
اغوال وقوله طلعها كانه رؤس الشياطين وايضا فقد روي ذلك في الجاورس ونحوه والله يضاعف لمن يشاء وقيل معنا
يضاعف هذه المضاعفة لمن يشاء وروي عن ابن عمر انه قال لما نزلت هذه الاية قال رسول الله صلى الله عليه واله رب زد امتي فنزل
من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة فقال رب زد امتي فنزل انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب
وقوله واسع عليم اي واسع القدرة لا يضيق عنه ما يشاء في الزيادة وقيل واسع الرحمة لا يضيق عن المضاعف عليم
لمن يستحق الزيادة عن ابي زيد وقيل عليم لمن يستحق الزيادة عن ابي زيد وقيل عليم بما كان من النفقة وبمن ينفق وما
يتصدق في الانفاق **النظم** اتصلت هذه الاية بقوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا وما بين الايتين اعتراض
بالاستدعاء الى الحق وبيان الحجج والعبر عن علي بن عيسى وقيل لما قص سبحانه ما فيه البرهان على التوحيد وما اتى به رسله
بالبينات حث على الجهاد واعلم ان من عاند بعد هذه الدلالات يجب قتاله فحث على قتال من يصد هذه البراهين
وبين ان في جهادهم والنفقة فيه الثواب العظيم عن الزجاج قوله عز وجل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون

ما انفقوا منّا ولا اذى لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون آية اللغة المن هو ذكر ما ينغص المعروف كقول
القايل احسنت الى فلان ونعشته ونحو ذلك واصل المن القطع ومنه قوله لهم اجر غير ممنون اى غير مقطوع وقيل ذلك
قولهم حبل منين اى ضعيف لانه منقطع وسمى ما يكدر المعروف ما يمنه لانه تقطع على مقدار مخصوص والمنة النعمة العظيمة
سميت بذلك لانها تعلو عن قطع الحق بها لعظمها والمنة القوة فى القلب والمن الذى يقع فى السماء والمن الذى يوزن
به تقطع على مقدار مخصوص والاذى ضرر يتجلل وقوله الى المضرور والخوف توقع الضرر وهو موجع الى الاعقال والحزن
الغم الذى يغلظ على النفس المعنى لما امر سبحانه بالانفاق عقبه ببيان كيفية الانفاق فقال الذين ينفقون اى
يخرجون اموالهم فى سبيل الله وقد تقدم بيانه ثم لا يتبعون ما انفقوا اى نفقاتهم منّا اى منة على المعطى ولا اذى
له والمن هو ان يقول الم اعطك الم احسن اليك الم اغنك ونحوها والاذى ان يقول اراحنى الله منك وفى ابتلانى بك
ويحتمل ان يكون معنى الاذى ان يعبس وجهه عليه او يتغير لونه او يؤذيه بما يدفعه اليه او يصرفه فى بعض اشغاله بسبب
انفاقه عليه فكل هذا من المن والاذى الذى يكدر الصنيعة ويبغض النعمة ويبطل الاجر والمثوبة وقوله لهم اجرهم عند
ربهم الى آخره قد مر تفسيره وقيل معناه لهم اعمالهم عند ربهم وانما قال عند ربهم لتكون النفس اسكن اليه واوثق به
لان ما عنده ما لا يخاف عليه فوت ولا نقص ولا خوف عليهم من فوت الاجر يوم القيمة ولا هم يحزنون لفوته ونقصانه
وفى هذه الآية دلالة على ان يصح الوعد بشرط لان مفهوم الكلام ان يقدر فى المعنى ان لم يتبعوا ما انفقوا منا ولا اذى
فلهم من الاجر كذا والوعد اذا كان مشروطا متى لم يحصل استحقاق الثواب وقد روى عن النبى صلعم انه قال المنان بما يعطى
لا يكلمه الله ولا ينظر اليه ولا يزكيه وله عذاب اليم قوله تعالى قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها اذى والله غنى حليم
آية اللغة الغنى الواسع الملك والله غنى بانه مالك لجميع الاشياء لانه قادر عليها لا يتعذر عليه شى منها والغنى ضد الحاجة
يقال غنى يغنى واستغنى واغناه الله والغناء الكفاية للغنى به من غيره والغنا الاستغناء وقد غنى القوم اذا نزلوا فى مكان
يغنيهم والمكان الذى ينزلون به مغنى وقد غنى فلان غناء اذا بالغ فى التطريب فى الانشاد حتى يستغنى الشعر ان يزاد فى نغمه وقد
غنيت المرأة غنيا قال قيس بن حطيم اجد بعمرة غنيانها فتهجر ام شاننا شانها غنيانها اغتناؤها والغوانى النساء لانهن غنين
بالحسن وقيل بازواجهن والحليم مر ذكره المعنى قول معروف اى كلام حسن جميل لا وجه فيه من وجوه القبح يرد به السايل وقيل معناه
دعاء صالح ان يقول رزقك الله بك واغناك الله عن المسئلة واوسع الله عليك الرزق واشباه ذلك وقيل معناه عدة حسنة
وقيل قول فى اصلاح ذات البين عن الضحاك ومغفرة قيل فيه اقوال احدها ان معناه سلامة فى المعصية لان
حالها كالمغفرة فى الامان من العقوبة عن الجبائى وثانيها ان معناه ستر على السايل وسايله وثالثها ان معناه عفو
المسئول عن ظلم السايل ان يسال فى غير وقته او يعنف فى سؤاله ومن اراد ان يفتح الباب او يدخل الدار بغير اذن
فالعفو عن ظلمه خير من صدقة يتبعها اذى لان صاحب هذه الصدقة لا يحصل على خير لا على عين ماله فى دنياه ولا على
ثوابه فى عقباه والقول بالمعروف والعفو طاعتان يستحق الثواب عليهما وقد روى عن النبى صلى الله عليه وآله انه قال
اذا سال السايل فلا تقطعوا عليه مسئلته حتى يفرغ منها ثم ردوا عليه بوقار ولين اما ببذل يسير او رد جميل فانه قد
ياتيكم من ليس بانس ولا جان ينظرون كيف صنعكم فيما خولكم الله تعالى والله غنى عن صدقاتكم وعن جميع طاعاتكم
لا يامركم بها لا شيء بحاجة منها اليه وانما امركم بها ودعاكم اليها لحاجتكم الى ثوابها حليم لا يعاجلكم بالعقوبة وقيل
لا يعجل بالعقوبة على من يمن ويؤذى بصدقته ولو وقع هنا موضع حميد حليم عليهم لم يحسن قوله عز وجل يا ايها الذين
آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل
صفوان عليه تراب فاصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شيء مما كسبوا والله لا يهدى القوم الكافرين آية
اللغة الرياء والمراءة اصله من الرؤية كانه يفعل ليرى غيره وجمع فى رئاء الناس بين همزتين لم يجمع فى ذواب واداب
بينهما الالف فى كلا الموضعين لخفة الواحد ولانهما مفترقان فى الواحد فهو اخف لهما والصفوان واحده صفوانه

مثل سعدانة وسعدان ومرجانة ومرجان وهو الحجر الاملس والصفا بمعنى الصفوان وذكر الكسائى فى جمع صفوان
صفى وانكر ذلك المبرد وقال انما هو جمع صفا مثل عصا وعصى وقفا وقفى والتراب والترب واحد وترب الرجل اذا
التصق بالتراب من الفقر ومنه قوله مسكينا ذا متربة لانه قعد على التراب للفقر واترب الرجل اذا صار ماله مثل التراب
والترب اللدة وقيل فيه اقوال منها ان للاتراب خرجوا الى التراب فى وقت من الزمان ومنها انهم صبيان يلعبون بالتراب
ومنها انهم فى الاشتباه كالتراب والترائب عظام الصدر لانها متشابهة والوابل المطر الشديد الوقع وبل السماء تبل
وبلا والوبيل الشديد والوبال سوء العاقبة واصل الباب الشدة والصلد الحجر الاملس قال الشاعر ولست بجلب جلب ريح وقرة
ولا بصفا صلد عن الخير معزل والصلد فى الارض ما لم ينبت شيئا لصلابته والصلد البخيل وصلد الزند يصلد صلودا اذا
لم يور نارا وفرس صلود اذا لم يعرق وقدر صلود اذا ابطأ غليها واصل الباب ملاسة فى صلابة الاعراب الكاف
فى قوله كالذى ينفق ماله فى موضع الحال من الواو فى تبطلوا رئاء الناس مصدر موضع الحال والضمير فى ينفق ماله
موضع الحال من الواو فى تبطلوا رئاء الناس مصدر موضع الحال مرائيا ويجوز ان يكون مفعولا له عليه تراب جملة فى موضع
الجر بكونه صفة صفوان وصلدا حال من تركه وذو الحال الهاء ولا يقدرون جملة فعلية فى موضع الحال والواو عايد الى
المعنى الذى لانه جنسه لا الى لفظه المعنى ثم اكد سبحانه ما قدمه بما ضرب فى الامثال فقال يا ايها الذين آمنوا اى
صدقوا الله ورسوله لا تبطلوا صدقاتكم بالمن اى بالمنة على السايل وقيل بالمنة على الله والاذى اى اذى صاحبها
ثم ضرب سبحانه مثلا لعمل المنان وعمل المنافق جميعا فانهما اذا فعلا الفعل على غير الوجه المامور به فانهما لا يستحقان
عليه ثوابا وهذا هو معنى الابطال وهو معنى ايقاع العمل على غير الوجه الذى يستحق عليه الثواب فقال كالذى
ينفق ماله رئاء الناس هذا يدخل فيه المومن والكافر اذا اخرجا المال للرياء ولا يومن بالله واليوم الآخر هذا للكافر
خاصة فمثله كمثل صفوان حجر املس عليه تراب فاصابه وابل اى مطر عظيم القطر شديد الوقع فتركه صلدا حجرا صلبا
املس شبه سبحانه فعل المنافق والمنان بالصفا الذى ازال المطر ما عليه من التراب فانه لا يقدر احد على رد ذلك
التراب عليه كذلك اذا دفع المنان صدقته وقرن بها المن فقد اوقعها على وجه لا طريق له الى استدراكه وتلافيه
لوقوعها على الوجه الذى لا يستحق عليه الثواب فان وجوه الافعال مانعة لحدوث الافعال فاذا وقعت فلا طريق
الى تلافيها وليس فى الآية ما يدل على ان الثواب الثابت المستقر يبطل ويزول بالمن فيما بعد ولا بالرياء الذى يحصل
فيما يستقبل فى الاوقات على ما قالوا اهل الوعيد لا يقدرون على شيء مما كسبوا اى لا يقدر هولاء على نفقتهم وعلى
ثوابها ولا يعلمون اين النفقة واين ثوابها ولا يحصلون منها على شيء كما لا يحصل احد على التراب اذهبه المطر فى الحجر
فقد تضمنت الآية والآى التى قبلها الحث على الصدقة وانفاق المال فى سبيل الخير وابواب البر ابتغاء مرضات الله
تعالى والنهى عن المن والاذى والرياء والسمعة والنفاق والخبر عن بطلان العمل بها وما جاء فى معناه فى الحديث
ما رواه ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وآله قال اذا كان يوم القيمة نادى مناد فاتى عمل خالطه شيء من الدنيا واهلها
وروى عن ابى عبد الله عم قال قال رسول الله صلعم من اسدى الى مومن معروفا ثم اذاه بالكلام او من عليه فقد ابطل
صدقته ثم ضرب فيه مثلا كالذى ينفق ماله رئاء الناس الى قوله الكافرين وقال ابو عبد الله عم ما من شيء احب
الىّ من رجل سلفت منى اليه يد اتبعتها اختها واحسنت ربها لانى رايت منع الاواخر يقطع لسان شكر الاوايل والله
لا يهدى القوم الكافرين اى لا يثيب الكافرين على اعمالهم اذا كان الكفر محبطا لها وما نفى استحقاق الثواب عليها
وانما يثيب المومنين يوقعون اعمالهم على الوجه التى يستحق بها الثواب وقيل معناه لا يهديهم الى الجنة باعمالهم
كما يهدى المومنين وقيل معناه لا يعطيهم ما يعطى المومنين من زيادة الالطاف والتوفيق قوله عز وجل ومثل الذين
ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من انفسهم كمثل جنة بربوة اصابها وابل فآتت اكلها ضعفين فان لم يصبها وابل فطل

والله بما تعملون بصير آية القراءة قرأ عاصم وابن عامر بربوة بفتح الراء والباقون بضمها ويروى في الشواذ عن ابن عباس
بربوة بكسر الراء وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو أكلها بالتخفيف والباقون بالتثقيل اللغة الرَّبوة والرُّبوة والرِّبوة والربا
والرابية قال ابو الحسن والذي نختاره ربوة بالضم ويؤيد هذا الاختيار قولهم ربى في الجمع والأكل المأكول يدل على
ذلك قوله تعالى أكلها كل حين بإذن ربها اي يؤكل منها قال الأعشى عندك البر والملطوف في الساذجات أهل
العقاب والآكال جمع أكل مثل عنق وأعناق والأكل الفعل والأكلة كالطعمة والأكلة الواحدة قال الشاعر ان
تليها بغيمة ولا جوعتان جمعها بفتح الالف من الصلة بدلالة قوله ولا جوعة ولئن شئت ضممت غيبت
الطعام قال ابو زيد انه لذو أكل اي له حظ ورزق في الدنيا وضعف الشيء زائد عليه وضعفناه مثلاه زائد
عليه وقال قوم ضعف الشيء مثلاه والطل المطر الصغار القطر يقال أطلت السماء وهي تطل وروضة طلة ندية والطل
إبطال الدم يقال الاشياء بصاحبه طل دمه فهو مطلول لانه بمنزلة ما جاء عليه الطل واذهب مكانه مثل غسله والطل
لمن شخص في الدار لانه كموضع الندى بالطل العمارة الناس خلاف المرى البقر لان اخصب حيث يكون الابنية
وصار الطل اسما لكل شخص والاطلال الاشراف على الشيء وما بالناقة اي بابها طرق وهو الصحيح وطلة الرجل
امرأته واصل الباب الطل المطر الإعراب ابتغاء مرضات الله مفعول له وتثبيتا معطوف عليه بربوة الجار والمجرور
في موضع الصفة لجنة واصابها وابل في موضع جر لانها صفة بعد صفة وضعفين حال من أكلها قال الزجاج
طل على معنى فان لم يصبها وابل فطل فالذي يصيبها طل فعلى هذا يكون خبر مبتدأ محذوف ويجوز ان يكون فاعل
فعل مقدر اي فيصيبها طل المعنى ومثل الذين ينفقون اي يخرجون اموالهم في ابواب البر ابتغاء مرضات الله اي
طلبا لرضاء الله وتثبيتا من انفسهم بقوة اليقين والبصيرة في الدين عن سعيد بن جبير والسدي والشعبي وقيل معناه
انهم يتثبتون اين يضعون صدقاتهم عن الحسن ومجاهد وقيل معناه وتوطينا للنفس منهم على الثبوت على طاعة الله عن
ابي علي الجبائي واعترض على الحسن ومجاهد بانه لم يقل وتثبتا وليس هذا بشيء لانهم اذا ثبتوا انفسهم فقد ثبتوا وقوله
كمثل جنة بربوة معناه كمثل بستان بموضع مرتفع من الارض وانما خص الربوة لان شجرها يكون احسن وريعها اكثر من المستفل
الذي يسيل الماء اليه ويجتمع فيه قال الأعشى ما روضة من رياض الحزن معشبة خضراء جاد
عليها مسبل هطل وخص بها الحزن للمعنى الذي ذكرناه اصابها وابل اي اصاب هذه الجنة مطر شديد فآتت
أكلها ضعفين اي فأعطت غلتها ضعفي ما يعطي اذا كانت بارض مستفلة ويحتمل ان يكون معناه مرتين في سنة
واحدة كما قال سبحانه تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ومعناه كل ستة اشهر فيما روي وقال ابو عبيدة اسمع معناه ضعف
ثمرها كما يضاعف اجر من انفق ماله ابتغاء مرضاة الله فان لم يصبها وابل اي مطر شديد فطل اي اصابها
مطر لين اراد به ان خيرها لا يخلف على كل حال ولا يرى الغبار عليها على كل حال وانما ارتفع فطل على تقدير فالذي
يصيبها طل والله بما تعملون بصير معناه عالم بافعالكم فيجازيكم بحسبها وقيل عالم بالمرائي والمخلص وفيه ترغيب وترهيب
قوله عز وجل أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات وأصابه
الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون آية
اللغة الجنة البستان الكثير الشجر يحجر بكثرة شجره والنخيل معروف وقيل انه ماخوذ من نخل المنخل لاستخلاصه كاستخلاص
اللباب بالنخل والنخل جمع نخلة وهي شجرة التمر ويذكر ويؤنث قال سبحانه كأنهم أعجاز نخل خاوية وأعجاز نخل منقعر
والانتحال الاختيار والنخيل الجمع واصل الباب النخل الدقيق والعنب ثمر الكرم ورجل عانب وعنب
ورجل عناب عظيم الانف ونحت نقيض فوق وفي الحديث لا تقوم الساعة حتى يظهر التحوت اي الذين كانوا تحت
اقدام الناس لا يشعر بهم ذلا والانهار جمع النهر وهو المجرى الواسع من مجاري الماء والاصابة الوقوع على القصد والكبر

148

حالة الهرم والضعيف جمع على ضعفاء وضعاف والإعصار غبار يلتف بين السماء والارض كالتفاف الثوب
في العصر قال الشاعر ان كنت ريحا فقد لاقيت اعصارا والمعصرات السحب والفكر جولان القلب بالخواطر يقال فكر
وفكر وتفكر بمعنى الإعراب قوله أيود أحدكم أن يكون عطف عليه ماض فقال اصابه الكبر قال الفراء يجوز ذلك
في يود لانها يتلقى مرة بلو ومرة بأن فجاز ان يقدر احدهما مكان الاخرى لاتفاق المعنى فكأنه قال أيود احدكم
لو كانت له جنة قال علي بن عيسى وعندي انه قد دل على الاستقبال وتضمن الكلام معنى لو على التمني كأنه قال
أيحب احدكم متمنيا والمعنى يقع على الماضي والمستقبل الاخرى انه يصح ان يتمنى ان كان له ولد ويصح المحبة لا تقع
الا على المستقبل والفرق بين المودة والمحبة ان المودة قد تكون بمعنى التمني نحو قولك اود لو قدم زيد بمعنى
اتمنى لو قدم ولا يجوز احب لو قدم ومن في قوله من نخيل للتبيين وهو في موضع صفة لجنة تجري من تحتها الانهار
جملة في موضع رفع لكونها صفة لجنة اذا اعادت الهاء الى الجنة او محل جر لكونها صفة لنخيل اذا اعادت الهاء
الى النخيل المعنى أيود احدكم ان تكون له جنة اي بستان من نخيل واعناب تجري من تحتها الانهار اي يشتمل على
النخيل والاعناب والانهار الجارية له فيها من كل الثمرات واصابه الكبر اي ولحقه الشيخوخة وطعن في السن
وله ذرية ضعفاء اي اولاد صغار ناقصوا القوة فاصابها اي اصاب تلك الجنة اعصار اي ريح شديدة تهب من
الارض نحو السماء مثل العمود ويسميها الناس الزوبعة فيه نار اي في ذلك الاعصار نار فاحترقت تلك الجنة
وهذا مثل ضربه الله تعالى في الحسرة بسلب النعمة واختلف فيه على وجوه احدها انه مثل للمرائي في النفقة
لانه ينتفع بها عاجلا وينقطع عنه آجلا احوج ما يكون اليه عن السدي وثانيها انه مثل للمفرط في طاعة الله تعالى
لملاذ الدنيا يحصل في الآخرة على الحسرة العظمى عن مجاهد والمراد به ان حاجته الى الاعمال الصالحة كحاجة هذا
الكبير الذي له ذرية ضعفاء الى ثمار الجنة وقد احترقت فيكون اعظم حسرة لان الكبير قد يئس من الشباب في كسبه
فكان اضعف املا واشد حسرة كذلك من لم يكن له في الآخرة عمل صالح يوصله الى الجنة تحسر مثل ذلك وثالثها
انه مثل الذي يختم عمله بفساد عن ابن عباس وكل هذه الوجوه يحتمل الآية كذلك اي كهذا البيان الذي بين
لكم في دار الصدقة وقصة ابراهيم والذي مر على قرية وجميع ما سلف يبين الله لكم الآيات اي الدلالات التي
تحتاجون اليها في امور دينكم لعلكم تتفكرون اي تنظرون وتفهمون قوله عز وجل يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من
طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه
واعلموا أن الله غني حميد آية القراءة قرأ ابن كثير غير القواس ولا تيمموا بتشديد التاء فيها وفي اخواتها وهي احد
وثلاثون موضعا في القرآن والباقون تيمموا بالتخفيف الحجة كلاهما بمعنى واحد كان ابن كثير رد الحرف الساقط
في القراءة الاخرى وادغم لانه كان في الاصل بتاءين تاء المخاطبة وتاء الفعل فخففت تاء الخطاب في قراءة العامة
لئلا يتكرر حرفان مثلان وتخف الكلمة اللغة التيمم التعمد قال خفاف فعمدا على عيني تيممت مالكا وقال الأعشى تيممت قيسا
وكم دونه من الارض من مهمه ذي شزن يقال أممت الشيء خففه وتيممته وأممته ويممته وتيممته بمعنى اي قصد
ومنه الامام لانه المقصود المعتمد والامام خيط البناء لانه يؤم ويعتمد بالبناء عليه والام [illegible] لانه يتعمد
البعيد من الارض والتمام الحمام لانها تتعمد الى اوكارها الحسن هدايتها والخبيث الردي من كل شيء وخبث الفضة
والحديد ما نفاه الكير لانه ينفي الردي واصله الرداءة والاغماض في البيع الحط من الثمن لعيب فيه وذلك لاغضاء
بعض الثمن بالحطيطة والغموض الخفاء غمض يغمض فهو غامض والتغميض اطباق الجفن والغمض النوم والغمض المطمئن
من الارض واصل الباب الخفاء والاغماض غض البصر واطباق جفن على جفن ومادته ارض عينه عن الاغماض في
سرى في غامض يتناهض ثم صار عبارة عن التسامح والتساهل في البيع الإعراب قال الفراء الاصل في ان تغمضوا ان

مكسورة الهمزة لان الكلام في معنى الجزاء وهو ان اغمضتم لبعض الاغماض اخذتموه ومثله الا ان يخافا الا يقيما حدود الله
وانكر ذلك المحققون قالوا ان هذه التي بمعنى المصدر تخول بانها خبر لكن والمعنى لستم بآخذيه الا لاغماضكم فيه النزول
روي عن ابي عبد الله عليه السلم انها نزلت في قوم لهم اموال من ربا الجاهلية وكانوا يتصدقون منها فنهاهم الله عن ذلك
وامر بالصدقة من الطيب الحلال وقيل انها نزلت في قوم كانوا يأتون بالحشف فيدخلونه في تمر الصدقة عن علي عليه السلم
والبراء بن عازب والحسن وقتادة المعنى لما تقدم ذكر الانفاق وبيان صفة المنفق انه تعالى يبين بالصدقة
والمتصدق عليه ليكون البيان جامعا فقال يا ايها الذين آمنوا خاطب المؤمنين انفقوا اي تصدقوا من طيبات
ما كسبتم اي من حلال ما كسبتم بالتجارة عن ابن مسعود ومجاهد وقيل من خياره وجياده ونظيره قوله لن تنالوا
البر حتى تنفقوا مما تحبون وروي عن عبيد بن رفاعة قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه واله فقال
يا معشر التجار انتم فجار الا من اتقى وبر وصدق وقال بالمال هكذا وهكذا وقال تسعة اعشار الرزق في التجارة
والجزء الباقي في السابياء وروت عائشة عنه قال اطيب ما اكل الرجل من كسبه وان ولده من كسبه وقيل
سعيد بن عمير سئل النبي صلى الله عليه وآله اي كسب الرجل اطيب قال عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور وقال علي عليه السلم من اتجر
بغير علم ارتطم في الربا ثم ارتطم واختلفوا في ذلك على وجوه فقيل هذا امر بالنفقة في الزكاة عن عبيدة السلماني
والحسن وقيل هو في الصدقة المتطوع بها لان المفروض من الصدقة له مقدار من القيمة ان قصر عنه كان دينا
عليه الى ان يؤديه بتمامه واذا كان مال المزكي كله رديا جاز له ان يعطي منه عن ابي علي الجبائي وقيل وهو الاصح
انه يدخل فيه الفرايض والنوافل والمواساة والانفاق في سبيل الخير واعمال البر على العموم وفيه دلالة على ان
ثواب الصدقة من الحلال المكتسب اعظم منه على الحلال غير المكتسب وانما كان ذلك لانه يكون اشق عليه ومما
اخرجنا لكم من الارض اي وانفقوا من الغلات والثمار مما يجب فيه الزكاة ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون اي لا تقصدوا
الردي من المال الذي مما كسبتم او اخرجه الله لكم من الارض تنفقون منه وقيل المراد بالخبيث هنا الحرام عن
القول الاول ولستم بآخذيه الا ان تغمضوا فيه لان الاغماض لا يكون الا في الشيء الردي دون ما هو حرام وفيه قولان احدهما ان
معناه لستم تقبلونه الا باخذ وبه من غرمايكم الا بالمسامحة والمساهلة فالاغماض هنا المساهلة عن البراء بن عازب
والآخر معناه لستم بآخذيه الا ان تحطوا من الثمن فيه عن ابن عباس والحسن وقتادة ومثله قول الزجاج ولستم
بآخذيه الا بوكس فكيف تعطونه في الصدقة واعلموا ان الله غني عن صدقاتكم حميد اي مستحق للحمد على نعمه وقيل محمد
للخلق بما يعطيهم من النعماء مستدع لهم الى ما يوجب لهم الحمد وقيل انه بمعنى الحامد اي انه غني عن عبادتكم وعن صدقاتكم
قبلها منكم ويحمدكم عليها وحميد بهذا الموضع اليق من حليم كما ان حليما بالآية المتقدمة اليق من حميد لانه سبحانه
لما امر بالانفاق من طيبات المكاسب بين انه غني عن ذلك وانه يحمد فاعله اذا فعله بامره به ومعناه انه يجازيه عليه
قوله عز وجل الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم آية
اللغة الفقر الحاجة وهو ضد الغنى والفقر لغة فيه تقول افقره الله افقارا وافتقر افتقارا لان الفقر بمنزلة كسر
الفقار في تعذر المراد والفقار عظام منتظمة في النخاع يسمى خرز الظهر واحدتها فقرة والافقار اعارة الدابة
ليركب ثم ترد والفاقرة الداهية لانها تكسر الفقار وتقول وعدته بالخير وعدا وعدة وموعدا وموعودا وموعدة
وموعودة والفرق بين الوعد والوعيد ان الوعيد في الشر خاصة والوعد يصلح بالتقييد للخير والشر معا غير انه
اذا اطلق اختص بالخير وكذلك اذا ابهم الوعيد كان للشر فاذا قال وعدته باشياء لانه بمنزلة المطلق والفحشاء الفحش
والفاحش البخيل قال طرفة ارى الدهر يعتام الكرام ويصطفي عقيلة مال الفاحش المتشدد قال علي بن عيسى الفحشاء
المعاصي وانما سمي البخيل فاحشا لانه يسمى بردة الاضياف والسؤال قال كعب اخي يا اخي لا فاحش عند بيته ولا برم

عند اللقاء هيوب المعنى ثم حذره سبحانه من الشيطان المانع من الصدقة فقال الشيطان يعدكم الفقر بالنفقة في وجوه
البر وبانفاق الجيد من المال وقيل بتادية الزكوة عليكم في اموالكم ويامركم بالفحشاء اي المعاصي وترك الطاعات
وقيل بالانفاق من الردي وسماه فحشاء لان فيه معصية لله تعالى فان الغني اذا ترك الانفاق على ذوي الحاجات
من اقاربه وجيرانه ادى ذلك الى التقاطع والله يعدكم مغفرة منه اي يعدكم بالانفاق من خيار المال ان يستر
عليكم ويصفح عن عقوبتكم وفضلا اي ويعدكم ان يخلف عليكم خيرا من صدقتكم ويتفضل عليكم بالزيادة في ارزاقكم
وروي عن ابن عباس انه قال اثنان من الله واثنان من الشيطان فاللذان من الله المغفرة على المعاصي والفضل
في الرزق واللذان من الشيطان الوعد بالفقر والامر بالفحشاء وروي عن ابن مسعود انه قال للشيطان لمة وللملك
لمة وروي مثله عن ابي عبد الله عليه السلم ثم قال فلمة الشيطان وعده بالفقر وامره بالفاحشة ولمة الملك امره بالانفاق
ونهيه عن المعصية والله واسع عليم ذكرنا معناه فيما تقدم وقيل واسع معناه يعطي عن سعة بمعنى ان عطيته لا تضره
ولا ينقص خزانه عليم بمن يستحق العطية ومن لا يستحقها قوله عز وجل يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتي
خيرا كثيرا وما يذكر الا اولوا الالباب آية القراءة قرأ يعقوب ومن يؤت بكسر التاء والباقون بفتحها الحجة من كسر
التاء فانه اراد ومن يؤته الله الحكمة ففاعل يؤتي الضمير المستكن فيه العائد الى الله سبحانه كما هو في قوله يؤتي الحكمة ويؤيد
هذه القراءة قراءة الاعمش ومن يؤته الله وحذف ضمير المفعول الذي هو الهاء العائد الى من الذي هو
للجزاء وهو في موضع الرفع بالابتداء كما حذف الضمير العائد الى الموصول في نحو قوله اهذا الذي بعث الله رسولا والاولى
ان يكون من على هذه القراءة موصولة فيكون بمعنى الذي لا بمعنى الجزاء والاولى بالله التوفيق بجواز ان يكون من
للجزاء ههنا ويكون في موضع نصب بكونه مفعولا ثانيا للؤتي ولزمه التقديم على الفعل مع كونه مفعولا لنيابته عن
حرف الشرط الذي له صدر الكلام ومثله من في قول زهير رايت المنايا خبط عشواء من تصب تمته ومن تخطئ يعمر
فيهرم ومن قرأ ومن يؤت بفتح التاء بناه لما لم يسم فاعله هو الضمير المستكن العائد الى من ويؤت مجزوم بمن والجزاء
فقد اوتي خيرا كثيرا المعنى ثم وصف سبحانه نفسه فقال يؤتي الحكمة اي يعطي الله الحكمة من يشاء قيل في معنى الحكمة وجوه
قيل انه علم القرآن ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وامثاله عن ابن عباس
وابن مسعود وقيل هو علم الدين عن ابن زيد وقيل هو النبوة عن السدي وقيل هو الاصابة في القول والفعل
عن مجاهد وقيل هو المعرفة بالله سبحانه عن عطا وقيل هو الفهم عن ابراهيم وقيل هو خشية الله عن الربيع وقيل هو
القرآن والفقه عن ابي عبد الله عليه السلم وروي الضحاك عن مجاهد وقيل هو العلم الذي تعظم منفعته وتجل فائدته
وهذا جامع للاقوال وقيل هو ما آتاه الله انبياءه واممهم من كتبه واياته ودلالاته التي يدلهم بها على معرفته
ومعرفته به وبدينه وذلك تفضل منه يؤتيه من يشاء عن ابي علي الجبائي وانما قيل للعلم حكمة لانه يمتنع به من القبيح لما فيه
من الدعاء الى الحسن والزجر عن القبيح وروي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال ان الله آتاني القرآن وآتاني من
الحكمة مثل القرآن وما من بيت ليس فيه شيء من الحكمة الا كان خرابا الا فتفقهوا وتعلموا ولا تموتوا جهالا ومن يؤت
الحكمة اي ومن يعطه ما ذكرناه فقد اوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا اولوا الالباب اي وما يتعظ بآيات الله الا ذووا العقول
فان قيل لم خص باولي الالباب التذكر وكل مكلف ذو لب قيل لم يطلق على جميع المكلفين هذه الصفة لما فيها من
المدحة فلذلك خص المتذكرين وهم الذين يستعملون ما يوجبه عقولهم من طاعة الله في كل ما امر به ودعا اليه وسمي العقل
لبا لانه انفس ما في الانسان كما ان لب الثمرة انفس ما فيها قوله عز وجل وما انفقتم من نفقة او نذرتم من نذر فان الله
يعلمه وما للظالمين من انصار آية اللغة النذر هو عقد المرء على نفسه فعل شيء من البر بشرط ولا ينعقد ذلك
الا بقوله لله علي كذا ولا يثبت بغير هذا اللفظ واصل النذر الخوف لانه يعقد ذلك على نفسه خوف التقصير في الامر

الدم وهو العقد على سفكه للخوف من مضرة صاحبه قال عمرو بن معدي كرب هم ينذرون دمي وانذر ان لقيت
بان اشدا يقال نذرت النذر انذره ومنه الانذار وهو الاعلام بموضع العدو والخوف لتتقى والانصار جمع نصير مثل شريف
واشراف والنصير هو المعين على العدو **المعنى** ما بمعنى الذي وما بعدها في صلتها والعائد اليها ضمير المفعول المحذوف من
انفقتم تقديره وما انفقتموه وهو في موضع رفع بالابتداء وخبره فان الله يعلمه والعائد الى المبتدأ من الخبر الهاء في
يعلمه ولا يجوز ان يعود الى النفقة لانها مؤنثة ولا الى النفقة والنذر لان ذلك يوجب التثنية في قوله ويجوز ان يكون ما للجزاء
فيكون منصوبا بانفقتم ولا يحتاج فيه الى حذف المفعول فيكون تقديره اي شيء انفقتم او نذرتم والفاء في موضع
الجزاء ومن نفقة الجار والمجرور في محل النصب على الحال من انفقتم وذو الحال ما **المعنى** ثم عاد سبحانه الى ذكر الانفاق
والترغيب فيه وما انفقتم من نفقة اي ما تصدقتم به من صدقة مما فرض الله عليكم وقيل معناه وما انفقتم
اي ما تصدقتم به من صدقة مما فرض الله عليكم وقيل ما انفقتم في وجوه الخير وسبيل البر من نفقة واجبة او مندوب
اليها او نذرتم من نذر اي ما اوجبتموه انتم على انفسكم بالنذر فوفيتم به من فعل بر مثل صلوة او صوم او صدقة
او نحو ذلك فان الله يعلمه معناه يجازي عليه لانه عالم وقيل ذكر العلم على تحقيق الجزاء ايجازا للكلام وما للظالمين
اي ليس للواضعين النفقة والنذر في غير موضعها مثل ان ينفق رياء او ضرارا او اسرافا او من مال مأخوذ
من غير حله او نذر في معصية او ترك الوفاء به مع القدرة عليه من انصار من اعوان يدفعون عذاب الله عنهم
قوله عز وجل **ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ونكفر عنكم من سيئاتكم
والله بما تعملون خبير** آية **القراءة** قرأ ابن عامر واهل الكوفة غير عاصم فنعما بفتح النون وكسر العين وقرأ اهل المدينة
غير ورش وابو عمرو ويحيى بكسر النون وسكون العين وقرأ الباقون نعما بكسر النون والعين وكذلك في النساء نعما
يعظكم به وقرأ اهل المدينة والكوفة غير عاصم ونكفر بالنون والجزم وقرأ ابن عامر وحفص بالياء والرفع والباقون
بالنون والرفع **الحجة** من قرأ فنعما فحجته ان اصل الكلمة نعم فجاء بالكلمة على اصلها كما قال نعم الساعون في الامر المبر
ومن قرأ نعما بسكون العين لم يكن قوله مستقيما عند النحويين لان فيه الجمع بين ساكنين الاول منهما ليس بحرف مد ولين
والتقاء الساكنين عندهم انما يجوز اذا كان هناك نحو دابة واصيم وتامروني لان ما في الحرف من المد يصير عوضا من
الحركة وقد انشد سيبويه شعرا قد اجتمع فيه الساكنان على حد ما اجتمعا في نعما وهو كانه بعد كلال الزاجر ومسحي
مر عقاب كاسر وانكره اصحابه ولعل ابا عمرو اخفى ذلك كاخفائه في نحو بارئكم فظن السامع الاخفاء اسكانا
للطف ذلك في السمع وخفائه ومن قرأ نعما فانه اتبع العين النون فرارا عن الجمع بين ساكنين واختاره ابو عبيدة
قراءة ابي عمرو وقال هو لغة النبي صلى الله عليه وآله في قوله لعمرو بن العاص نعما المال الصالح للرجل الصالح هكذا روي في الحديث
بسكون العين ومن قرأ ونكفر بالرفع فعلى وجهين احدهما ان يكون خبر مبتدأ محذوف وتقديره ونحن نكفر
عنكم والآخر ان يكون كلاما مستأنفا مقطوعا مما قبله ولا يكون الحرف العاطف للاشتراك ويكون العطف
جملة واما من جزم فانه حمله على موضع فهو خير لكم ومثله قراءة من قرأ من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم
لان قوله فلا هادي له في موضع جزم مثل قوله فهو خير لكم واما الياء والنون في قوله نكفر فمن قال نكفر فلانه
ما بعده على لفظ الافراد ومن قال ونكفر فانه اتى بلفظ الجمع ثم افرد كما اتى بلفظ الافراد ثم جمع في قوله سبحان الذي
اسرى ثم قوله باركنا حوله لنريه من آياتنا **اللغة** الفرق بين الصدقة والزكاة ان الزكاة لا تكون الا فرضا والصدقة
قد يكون فرضا وقد يكون نفلا والاخفاء الستر والخفي خلاف الظاهر تخفيه خفيا اي اظهره قال امرؤ القيس فان
تدفنوا الداء لا نخفه وان تبعثوا الحرب لا نقعد والخوافي من الريش ما دون القوادم لانها تخفى بها والخفية عريس
الاسد لانه يخفى فيها واصل الباب الستر والابداء والاظهار والاعلان نظاير والاخفاء والاسرار والاغماض نظاير

الاعراب قوله فنعما هي تقديره ان تبدوا الصدقات فنعم شيء ابداؤها فما ههنا نكرة وهي في موضع نصب لانه تفسير
الفاعل المضمر قبل الذكر في نعم والابداء هو المخصوص بالمدح فحذف المضاف الذي هو الابداء واقيم المضاف اليه الذي هو
ضمير الصدقات مقامه لما في الكلام من الدلالة عليه ولان الفعل المتقدم يدل على مصدره لان قوله ان تخفوها فهو خير
لكم اي الاخفاء خير لكم فكما ان هو ههنا ضمير الاخفاء كذلك يجب ان يكون ضمير الابداء مرادا هناك **المعنى** ثم ذكر سبحانه
صفة الانفاق ورغب فيه بقوله ان تبدوا الصدقات معناه ان تظهروها وتعلنوها فنعما هي اي فنعم الشيء هي اظهارها
واعلانها اي ليس في ابدائها كراهة وان تخفوها اي تسروها وتؤتوها الفقراء اي تعطوها الفقراء المحتاجين وتؤدوها
في السر فهو خير لكم اي الاخفاء خير لكم وابلغ في الثواب واختلفوا في الصدقة التي اخفاؤها افضل من ابدائها فقيل ان
صدقة التطوع اخفاؤها افضل لانه ابعد من الرياء فاما المفروض فلا يدخله الرياء ويلحقه تهمة المنع باخفائها فاظهارها
افضل عن ابن عباس والثوري وكذا رواه علي بن ابراهيم عن الصادق عليه السلام قال الزكاة المفروضة تخرج علانية وتدفع
علانية وغير الزكاة ان دفعه سرا فهو افضل وقيل الاخفاء في كل صدقة من زكاة وغيرها افضل عن الحسن وقتادة
وهو الاشبه بعموم الآية ونكفر عنكم من سيئاتكم معناه ونمحو عنكم من خطاياكم ونغفرها لكم ومن قرأ بالرفع فمعناه ويكفر
او يكفر الله عنكم من سيئاتكم ودخلت من للتبعيض واحتج به من قال المراد بالسيئات الصغائر فاما على مذهبنا
باسقاط العقاب تفضل من الله تعالى فله ان يتفضل باسقاط بعضه دون بعض فلو لم يدخل من لافاد انه يسقط
جميع العقاب وقال بعضهم ان من زائدة وهذا قول كل من لا يحقق وخطأ من قائله ما ثبت فيكون للتعميم والاول
اولى ومما جاء من الحديث في صدقة السر قوله صلى الله عليه وآله صدقة السر تطفئ غضب الرب وتطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء
النار وتدفع سبعين بابا من البلاء وقوله صلى الله عليه وآله سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله الامام العادل
وشاب نشأ في عبادة الله عز وجل ورجل قلبه معلق بالمساجد ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل
دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال اني اخاف الله عز وجل ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى لم يعلم يمينه ما ينفق
شماله ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه وقوله والله بما تعملون خبير معناه انه تعالى عالم بما تفعلونه في صدقاتكم
من اخفائها واعلانها لا يخفى عليه شيء من ذلك فيجازيكم على جميعه قوله عز وجل **ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي
من يشاء وما تنفقوا من خير فلانفسكم وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف اليكم وانتم لا تظلمون**
آية **الاعراب** ما تنفقوا من خير فلانفسكم شرط وجزاء وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله قيل لفظه نفي ومعناه
النهي اي لا تنفقوا كقوله سبحانه لا يمسه الا المطهرون وقيل هي جملة مفيدة بنفسها معطوفة على ما قبلها وهو خبر
على ظاهره وابتغاء نصب لانه مفعول له وما تنفقوا من خير يوف اليكم شرط كالاول ولذلك حذف النون في الموضعين
كان المسلمون يمتنعون عن على غير اهل دينهم فانزل الله هذه الآية عن ابن عباس وابن الحنفية وسعيد
بن جبير وقيل كانت اسماء بنت ابي بكر مع رسول الله صلى الله عليه وآله في عمرة القضاء فجاءتها امها قتيلة وجدتها تسألانها وهما مشركتان
فقالت لا اعطيكما شيئا حتى استأمر رسول الله صلى الله عليه وآله فانكما لستما على ديني فاستأمرته في ذلك فانزل الله
هذه الآية عن الكلبي ليس عليك هداهم قيل في وجه اتصاله بما قبله وجوه احدها ان معناه ليس عليك هداهم
بمنع الصدقة عنهم ليحملهم ذلك على الايمان وهو نظير قوله افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين عن ابن عباس وسعيد
بن جبير وعلى هذا يكون معناه الاباحة للتصدق عليهم بصدقة التطوع وثانيها ان معناه ليس عليك هداهم بالجبر
على النفقة في وجوه البر وسبيل الخير عن الحسن وابي علي الجبائي وتقديره ليس عليك ان تهدي الناس الى نيل الثواب
والجنة وانما عليك ان تهديهم الى الايمان بان تدلهم عليه وهذا تسلية للنبي صلى الله عليه وآله لانه كان يغتم بتركهم
قبولهم منه وامتناعهم عن الايمان لعلمه بما يؤول اليه امرهم من العقاب الدائم فسلاه الله تعالى بهذا القول وثالثها

ان المراد ليس عليك ان تهدي الناس بل بعد ان دعوتهم وانذرتهم وبلغتهم ما امرت بتبليغه ونظيره ان عليك الا البلاغ
وليس المعنى ليس عليك ان تهديهم الى الايمان والطاعة لانه ما بعث الا لذلك ولكن الله يهدي من يشاء انما علق الهداية
بالمشية لمن كان المعلوم منه انه يصلح باللطف اي بلطف الله بزيادة الهدى والتوفيق لمن يشاء عن الزجاج وابي القسم البلخي
واكثر اهل العلم وقيل معناه يهدي الى طريق الجنة عن الجبائي وما تنفقوا من خير فلانفسكم اي ما تنفقوا في وجوه البر من مال
فلانفسكم ثوابه والغرض فيه الترغيب في الانفاق لانه اذا علم الانسان ان منفعة انفاقه عائدة اليه مختصة به كان اسمح
بالانفاق وارغب فيه واحرص عليه وبذلك يفارق عطاء الله تعالى لان المنفعة في عطائه سبحانه عائدة الى المعطى
ويختص به دون الله تعالى ومعظم المنفعة في عطية العبد يرجع اليه ويختص به دون المعطى وما تنفقون الا ابتغاء
وجه الله اي الا طلب رضوان الله وهذا اخبار من الله تعالى عن صفة انفاق المؤمنين المخلصين المستجيبين لله ولرسوله
انهم لا ينفقون ما ينفقونه الا طلبا لرضاء الله سبحانه وقيل ان معناه النهي وان كان ظاهره الخبر اي لا تنفقوا الا ابتغاء
رضوان الله وفي ذكر الوجه هنا قولان احدهما ان المراد منه تحقيق الاضافة لان ذكر الوجه يرفع الابهام
انه له او لغيره وذلك انك لما ذكرت الوجه ومعناه النفس دل على انك تصرف الوهم عن الاشتراك الى الحقيقة والاختصاص
وكنت بذلك محققا للاضافة ومزيلا لايهام الشركة والثاني انك اذا قلت فعلته لوجه زيد كان اشرف في الذكر
من فعلته له لان وجه الشيء في الاصل اشرف ما فيه ثم كثر حتى صار يدل على شرف الذكر من غير تحقيق وجه والدري انك
تقول وجه الراي ووجه الامر ووجه الدليل فلا تريد تحقيق الوجه وانما تريد الشرف بما فيه من شدة ظهوره وحسن
بيانه وما تنفقوا من خير يوف اليكم اي يوفر وقيل معناه يعطون جزاءه وافرا وافيا عليكم
ثوابه وجزاؤه والتوفية اكمال الشيء وانما حسن اليكم مع التوفية لانها تضمنت معنى التادية وقيل معناه يعطون
جزاءه وافرا وافيا في الآخرة عن ابن عباس وانتم لا تظلمون بمنع ثوابه ولا بنقصان جزائه كقوله آتت اكلها ولم تظلم
منه شيئا اي لم تنقص قوله عز وجل للفقراء الذين احصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الارض يحسبهم الجاهل
اغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس الحافا وما تنفقوا من خير فان الله به عليم آية القراءة
قرا حمزة وعاصم وابو جعفر وابن عامر يحسبهم بفتح السين في كل القرآن والباقون بكسرها قال ابو زيد حسبت
الشيء احسبه واحسبه حسبانا وحسبت الشيء احسبه حسبانا وحسابا وحسبانا واحتسبت الرجل احتسابا
اذا اطعمته وسقيته حتى يشبع ويروى وتعطيه حتى يرضى والاحصار المنع عن التصرف لمرض او حاجة او مخافة
والحصر هو منع الغير وليس كالاول لانه منع النفس وقد تقدم تفسيره عند قوله فان احصرتم والضرب المشي في
الارض والسيماء العلامة التي يعرف بها الشيء واصلها الارتفاع لانه علامة رفعت للظهور ومنه السوم في البيع
وهو الزيادة في مقدار الثمن للارتفاع فيه عن الحد ومنه سوم الخسف للرفع فيه بحمل ما يشق ومنه سوم الماشية
ارسالها في المرعى والتعفف ترك السؤال تقول عف عن الشيء وتعفف عنه اذا تركه ومنه قول رؤبة فعف
عن اسرارها بعد العسق اي تركها والالحاف الالحاح في المسألة قال الزجاج معنى الحف شمل بالمسألة وهو مستغن
عنها واللحاف من هذا اشتقاقه لانه يشمل الانسان في التغطية العامل في قوله للفقراء محذوف وتقديره
النفقة للفقراء وقد تقدم ما يدل عليه وقال بعضهم هو مردود على اللام الاولى من قوله وما تنفقوا من خير فلانفسكم
قال علي بن عيسى هذا لا يجوز لان بدل الشيء من غيره لا يكون الا والمعنى يشتمل عليه وليس كذلك ذكر النفس
هنا لان الانفاق لها من حيث هو عائد عليها والفقراء من حيث هو اصل النعم وليس من باب ولله على الناس
حج البيت من استطاع اليه سبيلا لان الامر لازم للمستطيع خاصة ولا يجوز ان يكون العامل فيه تنفقوا الآية
لا يفصل بين العامل والمعمول فيه بالاجنبي كما لا يجوز كانت زيدا الحمى تأخذ لا يستطيعون ضربا في موضع الحال من احصروا

وضربا مفعول يستطيع يحسبهم الجاهل في موضع الحال وذو الحال الفقراء والحافا مصدر وضع موضع الحال من يسألون
اي لا يسألون ملحفين ويجوز ان يكون مصدرا لان الالحاف سؤال على صفة النزول قال ابو جعفر ع نزلت الآية
في اصحاب الصفة وكذلك رواه الكلبي عن ابن عباس وهم نحو من اربع مائة رجل لم يكن لهم مساكن بالمدينة ولا عشائر
يأوون اليهم فجعلوا انفسهم في المسجد وقالوا نخرج في كل سرية يبعثها رسول الله صلى الله عليه وآله فحث الناس عليهم
وكان الرجل اذا اكل وعنده فضل اتاهم به اذا امسى المعنى لما امر سبحانه بالنفقة ورغب فيها بالغ وجوه الترغيب
وبين ما يكمل ثوابها عقب ذلك ببيان افضل الفقراء الذين هم مصرف الصدقات فقال للفقراء الذين احصروا
في سبيل الله معناه النفقة المذكورة في هذه الآية وما قبلها للفقراء الذين حبسوا ومنعوا في طاعة الله اي منعوا
انفسهم من التصرف في التجارة للمعاش اما لخوف العدو من الكفار واما للمرض والفقر واما للاقبال على العبادة وقوله
في سبيل الله يدل على انهم حبسوا انفسهم عن التصرف لاشتغالهم بالطاعة والعبادة ولا يستطيعون ضربا اي ذهابا وتصرفا
في الارض لبعض ما ذكرناه من المعاني وقيل معناه منعوا انفسهم من التصرف في التجارة اي الزموا انفسهم الجهاد في سبيل الله
فلا يتفرغ التصرف منهم لغيره وليس معناه انهم لا يقدرون عليه كما تقول امرني الامير بالمقام في هذا الموضع فلا استطيع
ان ابرح منه اي لا ابرح منه لالزامي نفسي طاعة الامير يحسبهم الجاهل اي يظنهم الجاهل بحالهم وباطن امورهم اغنياء
من التعفف اي الامتناع من السؤال والتجمل في اللباس والستر لما هم فيه من الفقر وسوء الحال طلبا لرضوان الله
وطمعا في جزيل ثوابه تعرفهم بسيماهم اي تعرف حالهم بالنظر الى وجوههم لما ترى من علامة الفقر عن السدي
والربيع وقيل لما ترى من التخشع والخضوع الذي هو شعار الصالحين عن مجاهد لا يسألون الناس الحافا قيل
انهم لا يسألون الناس اصلا وليس معناه انهم يسألون من غير الحاف عن ابن عباس وهو قول الفراء والزجاج واكثر
ارباب المعاني وفي الآية ما يدل عليه وهو قوله يحسبهم الجاهل اغنياء لان السؤال في الغالب يدل على الفقر وقوله
انك تعرفهم بسيماهم ولو سألوا لعرفوا بالسؤال وانما هو كقولك ما رأيت مثله وانت لم ترد ان له مثلا ما رأيته
وانما تريد انه ليس له مثل فيرى ومعناه لم يكن سؤال فيكون الحاف كقول الاعشى لا يغمز الساق من اين ومن وصب
ولا يعض على شرسوفه الصفر ومعناه ليس بساقه اين ولا وصب فيغمزها السؤال هناك اينا ولا يغمزه وفي الحديث
ان الله يحب ان يرى اثر نعمته على عبده ويكره البؤس والتباؤس ويحب الحليم المتعفف من عباده ويبغض
الفاحش البذي السائل الملحف وعنه عليه السلم قال ان الله كره لكم ثلثا قيل وقال وكثرة السؤال واضاعة
المال ونهى عن عقوق الامهات ووأد البنات وعن منع وهات وقال عم الايدي ثلثة فيد الله العليا
ويد المعطي التي تليه ويد السائل السفلى الى يوم القيمة ومن سأل وله ما يغنيه جاءت مسألته يوم القيمة كدوحا
او خموشا او خدوشا في وجهه قيل وما غناه قال خمسون درهما او عدلها من الذهب وما تنفقوا من خير من مال
وقيل معناه في وجوه الخير فان الله به عليم يجازيكم عليه قوله تعالى الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية
فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون آية الاعراب سرا وعلانية حالان من ينفقون وتقديره
مسرين ومعلنين فيهما اسمان وضعا موضع المصدر عند ربهم ظرف مكان والعامل فيه ما يتعلق باللام من لهم
النزول قال ابن عباس نزلت الآية في علي ع كانت معه اربعة دراهم فتصدق بواحد
نهارا وبواحد ليلا وبواحد سرا وبواحد علانية وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلم وروي عن ابي ذر
والاوزاعي انها نزلت في النفقة على الخيل في سبيل الله وقيل هي في كل من انفق ماله في طاعة الله على هذه الصفة
فعلى هذا اذا قلنا ان الآية نزلت في علي ع فحكمها سائر في كل من فعل مثل فعله وله فضل السبق الى ذلك المعنى ثم بين
سبحانه كيفية الانفاق وثوابه فقال الذين ينفقون اموالهم في هذه الحالات اي ينفقون على الدوام لان هذه الاوقات

متعينة للصدقات ولا وقت لها سواها فلهم اجرهم عند ربهم اتى بالفاء ليدل على ان الجزاء والاجر انما هو من احل
الانفاق في طاعة الله ولا يجوز ان يقال زيد فله درهم لانه ليس فيه معنى الجزاء ولا خوف عليهم من اهوال يوم القيمة وافزاعها
ولا هم يحزنون منها وقيل لا خوف عليهم من فوت الاجر ونقصانه ولا هم يحزنون على ذلك قوله عز اسمه الذين يأكلون
الربوا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربوا واحل الله
البيع وحرم الربوا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وامره الى الله ومن عاد فاولئك اصحاب النار هم
فيها خالدون آية اللغة اصل الربا الزيادة من قولهم ربا الشيء يربوا اذا زاد والربا هو الزيادة على راس المال واربا
الرجل اذا عامل في الربوا ومنه الحديث من اجبى فقد اربى واصل التخبط الخبط وهو الضرب على غير استواء خبطه
اخبطه خبطا والخبط ضرب البعير الارض بيديه والتخبط ايضا بمعناه يقال تخبط البعير الارض اذا ضربها بقوائمه
ويقال للذي يتصرف في امر ولا يهتدي فيه هو يخبط خبط عشواء قال زهير رايت المنايا خبط عشواء من تصب تمته
ومن تخطئ يعمر فيهرم والتخبط المس بالجنون او التخبل لانه كالضرب على غير استواء في الادهاش والخباء داء كالجنون
لانه اضطراب في العقل يقال به خبطة من جنون ويقال بفلان مس من الشيطان واولق اي جنون والسلوف التقدم يقال
سلف يسلف سلوفا ومنه الامم السالفة اي الماضية والسالفة اعلى العنق والاسلاف الاعطاء قبل الاستحقاق
يقال اسلفته المال اسلافا وسلافة الخمر صفوتها لانه اول ما يخرج من عصيرها والعود الرجوع وعيادة المريض
المصير اليه لتعرف خبره والعود من العيدان لانه يعود اذا قطع ومنه العود الذي يتبخر به والمعاد كل شيء اليه المصير
والاخرة معاد الناس والعادة تكرر الشيء مرة بعد مرة والعيد كل يوم مجمع عظيم لانه يعود في السنة او الاسبوع
والعائدة الصلة لانها تعود بالنفع على صاحبها الاعراب كما تقدم الكاف في محل النصب على المصدر والموصوف محذوف
تقديره لا يقومون الا مثل قيام الذي يتخبطه الشيطان من المس يتعلق بيتخبط ومن للتبيين المعنى لما حث الله سبحانه
على الانفاق بين ما يحصل للمنفق فيه من الاجر العاجل والاجل عقبه بذكر الربوا الذي ظنه الجاهل زيادة في المال
وهو في الحقيقة محق في المال فقال الذين يأكلون الربوا في الدنيا لا يقومون يوم القيمة الا كما يقوم الذي
يتخبطه الشيطان من المس معناه الا مثل ما يقوم الذي يصرعه الشيطان من الجنون ويكون ذلك امارة لاهل
الموقف على انهم اكلة الربوا عن ابن عباس والحسن وابن جبير وقتادة ومجاهد وقيل ان هذا على وجه التشبيه
لان الشيطان لا يصرع الانسان على الحقيقة ولكن من غلب عليه المرة السوداء او ضعف ربما يخيل اليه الشيطان
امورا هائلة ويوسوس اليه فيقع الصرع عند ذلك من فعل الله تعالى ونسب ذلك الى الشيطان مجازا لما كان
عند وسوسته عن ابي علي الجبائي وقيل يجوز ان يكون الصرع من فعل الشيطان في بعض الناس دون بعض عن
ابي الهذيل وابن الاخشيد قالا لان الظاهر من القران يشهد به وليس في العقل ما يمنع منه ولا يمنع الله سبحانه
الشيطان عنه امتحانا لبعض الناس وعقوبة لبعضهم على ذنب الم به ولم يتب منه كما يتسلط بعض الناس على بعض
فيظلمه ويأخذ ماله ولا يمنعه الله سبحانه منه ويكون هذا علامة لأكلي الربوا يعرفون بها يوم القيمة كما ان على كل عاص
من معصية علامة تليق به فيعرف بها صاحبها وعلى كل مطيع من طاعة امارة تليق به يعرف بها صاحبها وذلك
معنى قوله فيومئذ لا يسال عن ذنبه انس ولا جان وقال النبي صلى الله عليه واله في الشهداء زملوهم بكلومهم وثيابهم
وقال ع يبعث امتي يوم القيمة غرا محجلين من آثار الوضوء وروي عنه ع انه قال لما اسري بي الى السماء رايت
رجالا بطونهم كالبيوت فيها الحيات ترى من خارج بطونهم فقلت من هؤلاء يا جبرئيل قال هؤلاء اكلة الربا وروى
اصحابنا عن ابي عبد الله عليه السلم قال قال رسول الله صلى الله عليه واله لما اسري بي الى السماء رايت قوما يريد احدهم
ان يقوم ولا يقدر عليه من عظم بطنه قال قلت من هؤلاء يا جبرئيل قال هؤلاء الذين يأكلون الربوا لا يقومون الا

كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس واذا هم بسبيل آل فرعون يعرضون على النار غدوا وعشيا يقولون ربنا متى تقوم الساعة
والوعيد في الآية متوجه الى كل من اربى وان لم ياكله ولكنه ينبه بذلك الاكل على سائر وجوه الانتفاع بمال الربوا
وانما خص الاكل لانه معظم المقاصد من المال ونظيره قوله سبحانه ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل وقوله ان الذين ياكلون
اموال اليتامى الآية والمراد بالاكل في الموضعين سائر وجوه الانتفاع دون حقيقة الاكل ذلك اي ذلك العقاب لهم
بانهم قالوا انما البيع مثل الربوا معناه بسبب قولهم انما البيع الذي فيه الربوا قال ابن عباس كان الرجل منهم اذا حل
دينه على غريمه فطالبه به قال المطلوب منه زدني في الاجل وازيدك في المال فيتراضيان عليه ويعملان به فاذا
قيل لهم هذا ربا قالوا هما سواء يعنون بذلك ان الزيادة في الثمن حال البيع والزيادة فيه بسبب الاجل عند محل الدين
سواء فذمهم الله به والحق الوعيد بهم وخطاهم في ذلك بقوله واحل الله البيع وحرم الربوا اي احل الله البيع الذي
لا ربوا فيه وحرم البيع الذي فيه الربوا والفرق بينهما ان الزيادة في احدهما لتاخير الدين وفي الآخر لاجل البيع
وايضا فان البيع بدل البدل لان الثمن فيه بدل المثمن والربوا زيادة من غير بدل للتاخير في الاجل وزيادة في
الجنس المنصوص عند النبي ص لتحريم التفاضل في ستة اشياء الذهب والفضة والحنطة والشعير والملح والتمر
وقيل الزبيب قال ع الا مثلا بمثل يدا بيد من زاد او استزاد فقد اربى والخلاف في حصول الربوا في هذه الاشياء الستة
وفي غيرها خلاف بين الفقهاء وهو مقيس عليها عندهم وعندنا ان الربوا لا يكون الا فيما يكال او يوزن واما
علة تحريم الربوا فقد قيل هي ان فيه تعطيل المعايش والاجلاب والمتاجر اذا وجد المربي من يعطيه دراهم وفضلا
بدراهم وقال الصادق ع انما شدد في تحريم الربوا لئلا يمتنع الناس من اصطناع المعروف قرضا او رفدا فمن جاءه موعظة
من ربه معناه فمن جاءه زجر ونهي وتذكير من ربه فانتهى اي فانزجر واعتبر وتذكر فله ما سلف معناه فله ما اخذ واكل
من الربوا قبل النهي لا يلزمه رده قال الباقر ع من ادرك الاسلام وتاب مما كان عمله في الجاهلية وضع الله عنه
ما سلف وقال السدي معناه ما اكل وليس عليه رد ما سلف فاما ما لم يقبض بعد فلا يجوز له اخذه وله
راس المال وقوله جاءه موعظة وقال في موضع آخر قد جاءتكم موعظة لان تانيثه غير حقيقي فان الموعظة والوعظ
بمعنى واحد وامره الى الله معناه امره بعد مجيء الموعظة والتحريم والانتهاء الى الله تعالى ان شاء عصمه عن اكله
وثبته في انتهائه عنه وان شاء خذله وقيل معناه امره في حكم الآخرة الى الله تعالى ان لم يتب وهو غير مستحل
ان شاء عذبه بعدله وان شاء عفا عنه بفضله وقيل معناه وامره الى الله فلا يؤاخذه بما سلف من الربوا ومن
عاد الى اكل الربوا بعد التحريم وقال ما كان يقوله قبل مجيء الموعظة من ان البيع مثل الربوا فاولئك اصحاب النار هم فيها
خالدون لان ذلك القول لا يصدر الا ممن كان مستحلا للربوا فلهذا توعد بعذاب الابد ولا خلاف بين الفقهاء
ان الربوا محرم في النقد والنسيئة وقال بعض من تقدم لا ربا الا في النسيئة واما اهل الجاهلية فانهم كانوا يربون بتاخير
الدين عن محله الى محل آخر بزيادة فيه ولا خلاف في تحريمه ومما جاء من الحديث في الربوا ما روي عن علي ع قال
لعن رسول الله ص في الربوا خمسة آكله وموكله وشاهده وكاتبه وعنه صلى الله عليه واله قال اذا اراد الله بقرية هلاكا
ظهر فيهم الربوا وعنه ع قال الربوا سبعون بابا اهونها عند الله عز وجل كالذي ينكح امه وروى جميل بن دراج
عن ابي عبد الله ع قال درهم ربا اعظم عند الله من سبعين زنية بذات محرم في بيت الله الحرام قوله عز وجل يمحق الله
الربوا ويربي الصدقات والله لا يحب كل كفار اثيم آية اللغة المحق نقصان الشيء حالا بعد حال يقال محقه
الله يمحقه محقا وامحق اي هلك وتلف ذهابه حالا بعد حال والمحاق آخر الشهر لانمحاق الهلال فيه
والاثيم المتمادي في الاثم والآثم الفاعل للاثم المعنى ثم اكد سبحانه ما تقدم بقوله يمحق الله اي ينقص الله الربوا
حالا بعد حال الى ان يتلف المال كله وقال ابن عباس معناه يهلكه ويذهب بركته وقال الصادق ع وقد ترى الرجل

الرجل الرجل يربي ميكن فقال يمحق الله دينه وان كثر ماله وقال ابو القسم البلخي يمحقه في الدنيا بسقوط عدالته والحكم
بفسقه وتسميته بالفسق ويربي الصدقات اي ينمي الصدقات ويزيدها بان يثمر المال في نفسه في العاجل وبان يجزل
عليه الثواب في الآجل والثواب في الآجل وذلك بحسب الانتفاع بها وحسن النية فيها وقد روي عن النبي صلى الله عليه انه قال
ان الله يقبل الصدقات ولا يقبل منها الا الطيب ويربيها لصاحبها كما يربي احدكم مهره او فصيله حتى ان اللقمة لتصير مثل
احد والنكتة في الآية ان المربي انما يطلب بالربوا زيادة المال ومانع الصدقة انما يمنعها لطلب زيادة المال فبين الله
سبحانه ان الربوا سبب النقصان دون النماء وان الصدقة سبب النماء دون النقصان والله لا يحب كل كفار اثيم الكفار
فعال من الكفر وهو المقيم عليه المتمسك به المعتاد له ومعناه والله يبغض كل كفار لنعمته باستحلال الربوا اثيم متماد في
غوايته متماد في اثمه باكله وانما لم يقل كل كافر لانه اذا استحل الربوا صار كافرا واذا اكثر اكله الربوا مع الاستحلال
فقد عظم كفره الى الكفر واذا استحل الربوا ولم يعقد عقد الربوا لم يلحقه من الذم ما يلحقه من جمع بين الامرين فالجامع
بين الامرين يستحق من غضب الله ما لا يستحقه احد الامرين وروي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال يأتي على الناس
من زمان لا يبقى احد الا اكل الربوا فان لم ياكله اصابه من غباره قوله عز وجل ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات
واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون آية المعنى هذه الآية
ظاهرة المراد قد تقدم تفسيرها فيما مضى وانما جمع بين هذه الخصال لا لان الثواب لا يستحق على كل واحدة
منها اذ لو كان كذلك لكان فيه تصغير امر كل واحدة منها ولكن جمع بينها للترغيب في الاعمال الصالحة والتفخيم
لامرها والتعظيم لشانها او لبيان ان الجمع بين هذه الخصال اجر من الافراد بواحدة منها ونظيره قوله سبحانه الذين
لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس الآية فجمع بين هذه الخصال في الوعيد ليبين ان الوعيد يستحق
بكل واحدة منها والمستحق يوعى عن كل خصلة منها لان من المعلوم ان من دعا مع الله الها آخر لا يحتاج الى
شرط عمل آخر في استحقاق الوعيد اذ لو كان الوعيد انما يستحق لمجموع تلك الخصال لكان فيه تسهيل لكل واحدة منها
وقد ذكرنا ان امثال هذه الآية يدل على ان الايمان ليس من افعال الجوارح ولا مشتملا عليها اذ لو كان كذلك
لما كان لعطفها عليه معنى لان الشيء لا يعطف على نفسه فان قالوا ان ذلك يجري مجرى قوله الذين كفروا وصدوا
عن سبيل الله والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فالقول ان الخلاف هنا كالخلاف هناك لان التكذيب عندنا
ليس بالكفر نفسه وانما هو دلالة على الكفر وكذلك الصد عن سبيل الله واستدل بهذه الآية وامثالها على بطلان
التحابط لانه سبحانه ضمن الثواب بنفس هذه الخصال ولم يشرط الا ان لا يؤتى بما يحبطها فان قالوا لابد من
هذا الشرط كما ان الوعيد على الكفر لابد من ان يكون مشروطا بارتفاع التوبة فالجواب ان التوبة انما صارت
شرطا هناك لمكان اجماع المسلمين لا لان التوبة تسقط العقاب وانما وعد الله سبحانه باسقاط العقاب عندها
تفضلا منه سبحانه ولا اجماع على ما ادعوه من الشرط في آيات الوعيد فبان الفرق بين الامرين قوله عز وجل
يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربوا ان كنتم مؤمنين فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله
ورسوله وان تبتم فلكم رؤوس اموالكم لا تظلمون ولا تظلمون آيتان القراءة قرأ عاصم برواية ابي بكر غير ابن غالب
والبرجمي وحمزة فآذنوا بمد الالف وكسر الذال والباقون فأذنوا وقرئ في الشواذ لا تظلمون ولا تظلمون
اللغة قال سيبويه آذنت اعلمت والتأذين النداء والتصويت بالاعلام قال وبعض العرب يجري آذنت مجرى
اذنت التي معناه التصويت والنداء قال ابو عبيدة آذنتك بحرب فأذنت به بآذن اذنا اي علمت ومن
قرأ فأذنوا بحرب من الله فتقديره فالمعنى اعلموا بحرب من الله والمعنى انكم في امتناعكم من وضع ذلك حرب لله
ورسوله ومن قرأ فآذنوا فتقديره فاعلموا من لم ينته عن ذلك بحرب فالمفعول محذوف على قوله واذا اذاروا

153

باعلام غيرهم ما يعلمون هم ايضا لا محالة ففي امرهم بالاعلام ما يعلمون هم ايضا فهم حرب انهم لم يمتنعوا عما نهوا عنه
وليس في علمهم دلالة على اعلام غيرهم فهو في الابلاغ اكثر الاعراب ان كنتم مؤمنين جواب الشرط محذوف تقديره
ان كنتم مؤمنين فذروا ما بقي من الربا وموضع لا تظلمون نصب على الحال من لكم وتقديره فلكم رؤوس اموالكم
غير ظالمين ولا مظلومين النزول روي عن ابي جعفر عليه السلام ان الوليد بن المغيرة كان يربي في الجاهلية وقد بقي له
بقايا على ثقيف واراد خالد بن الوليد المطالبة بها بعد ان اسلم فنزلت الآية وقال السدي وعكرمة نزلت
في بقية من الربوا كانت للعباس وخالد بن الوليد وكانا شريكين في الجاهلية يسلفان في الربوا الى بني عمرو بن
عمير ناس من ثقيف فجاء الاسلام ولهما اموال عظيمة في الربوا فانزل الله هذه الآية فقال النبي عليه السلام الا ان
كل ربوا من ربوا الجاهلية موضوع واول ربوا اضعه ربا العباس بن عبد المطلب وكل دم من دم الجاهلية
موضوع واول دم اضعه دم ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب كان مرضعا في بني ليث فقتله هذيل وقال مقاتل
نزلت في اربعة اخوة من ثقيف مسعود وعبد ياليل وحبيب وربيعة وهم بنو عمرو بن عوف الثقفي وكانوا
يداينون بني المغيرة وكانوا يربون فلما ظهر النبي صلى الله عليه وآله على الطائف وصالح ثقيفا اسلم هؤلاء الاخوة
الاربعة فطالبوا رباهم من بني المغيرة واختصموا الى عتاب بن اسيد عامل رسول الله صلى الله عليه وآله على مكة
فكتب عتاب الى النبي الحكم فانزل الله الآية المعنى ثم بين سبحانه حكم ما بقي من الربوا فقال يا ايها الذين آمنوا
اتقوا الله في امر الربوا وفي جميع ما نهاكم عنه وذروا ما بقي اي واتركوا ما بقي من الربوا فلا تأخذوه واقتصروا
على رؤوس اموالكم وقوله ان كنتم مؤمنين معناه من كان مؤمنا فهذا حكمه فاما من ليس بمؤمن فانه يكون حربا
وقيل معناه ان كنتم مؤمنين بتحريم الربوا مصدقين بها وبما فيه من المفسدة التي يعلمها الله سبحانه فان لم تفعلوا
اي فان لم تفعلوا ما امر الله سبحانه ولم تنقادوا له ولم تتركوا بقية الربوا بعد نزول الآية بتركه فأذنوا بحرب
من الله ورسوله اي فأيقنوا واعلموا بقتال من الله ورسوله والمعنى ايقنوا انكم تستحقون القتل في الدنيا
والنار في الآخرة للمخالفة امر الله ورسوله ومن قرأ فآذنوا فمعناه اعلموا من لم ينته عن ذلك بحرب ومعنى الحرب
عداوة الله وعداوة رسوله وهذا اخبار بعظم المعصية وروي عن ابن عباس وقتادة والربيع ان من عامل
بالربوا استتابه الامام فان تاب والا قتله وقال الصادق عليه السلام آكل الربوا بعد البينة يؤدب فان عاد ادب
فان عاد قتل وان تبتم من استحلال الربوا واقررتم بتحريمه فلكم رؤوس اموالكم دون الزيادة لا تظلمون باخذ
الزيادة على رأس المال ولا تظلمون بالنقصان من رأس المال قوله عز وجل وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة وان
تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون آية القراءة قرأ ابو جعفر وحده عسرة بضم السين والباقون عسرة باسكانها وهما لغتان
وقرأ نافع الى ميسرة بضم السين والباقون بفتحها وهما لغتان وقرأ زيد عن يعقوب ميسره بضم السين مضافا الى
الهاء وروي ذلك عن مجاهد وقرأ عاصم تصدقوا بتخفيف الصاد والباقون بتشديدها وقد تقدم الكلام
في العلل في القرائتين تصدقوا المخفف في احدهما حذف احدى التاءين وفي الاخرى بالادغام اللغة النظرة
التأخير وهو اسم قام مقام الانظار يقال انظره انظارا ونظرة مثل الاخير وتأخره اي بينته ورأيت فلانا تأخير
الناس اي اخرهم والميسرة والميسور بمعنى اليسار والغنى والسعة وما روي من قراءة من قرأ الى ميسرة فلم يجزه
البصريون لان مفعلا لا يجيء في الآحاد الا بالتاء وقد جاء في الجمع قال جميل بثين الزمي لا ان لا ان لزمته على كثرة
الواشين اي معون وروي ابلغ النعمان عني مالكا انه قد طال حبسي وانتظاري فلا وجمع معونة ومالكة
وهي الرسالة ومثل هذا الذي نقل لا يثبت به سيبويه فربما اطلق القول وقال ليس في الكلام مفعل وان كان
قد جاء عليه حرف او حرفان الاعراب كان هذه تامة وهي التي تتم بفاعلها ويكتفى به وتقديره وان وقع ذو عسرة وقيل

هى ناقصة محذوفة الخبر وتقديره وان كان ذو عسرة غرماكم وكان يجيز لو قرى وان كان ذا عسرة اى وان كان
الذى عليه الدين ذا عسرة وروى ذلك فى الشواذ عن ابى فنظرة مرفوعة لانها خبر مبتدا محذوف والفاء فيه للجزاء
وتقديره فالذى يعاملونه به نظرة وان تصدقوا فى موضع رفع لانه مبتدا وخير خبره لكم المعنى لما امر الله سبحانه
باخذ راس المال من المربى بعد حال المعسر فقال وان كان ذو عسرة معناه وان وقع فى غرمائكم ذو عسرة ويجوز
ان يكون تقديره وان كان من غرمائكم ذو عسرة فنظرة الى ميسرة اى فالذى تعاملونه به نظرة الى ميسرة اى الى وقت
اليسار او فالواجب نظره صيغته صيغة الخبر والمراد به الامر اى فانظروه الى وقت يساره واختلف فى حد الاعسار
فروى عن ابى عبد الله عليه السلم انه قال هو اذا لم يقدر على ما يفضل عن قوت عياله على الاقتصاد وقال ابو على
الجبائى هو التعذر بالاعدام او بكساد المتاع ونحوه واختلف فى وجوب انظار المعسر على ثلثة اقوال احدها انه واجب
فى كل دين عن ابن عباس والضحاك والحسن المروى عن ابى جعفر عليه السلم وابى عبد الله ع وثانيها انه واجب
فى دين الربوا خاصة عن شريح ابرهيم والنخعى وثالثها انه واجب فى دين الربوا بالاية وفى كل دين بالقياس
عليه وقال الباقر ع الى ميسرة معناه الى ان يبلغ خبره الامام فيقضى عنه من سهم الغارمين اذا كان انفقه فى معروف
وان تصدقوا خير لكم معناه وان تتصدقوا على المعسر بما عليه من الدين خير لكم ان كنتم تعلمون الخير والشر ومروة
مالكم وما عليكم ومما جاء فى معنى الآية من الحديث قوله صلى الله عليه وآله من انظر معسرا او وضع عنه اظله الله فى ظل
عرشه يوم لا ظل الا ظله وروى بريدة عن النبى قال من انظر معسرا كان له بكل يوم صدقة وفى هذه الآية
دلالة على ان الانسان اذا علم ان غريمه معسر حرم عليه حبسه وملازمته ومطالبته بما له عليه وانه يجب عليه انظاره الى
ايساره وان الصدقة براس المال على المعسر افضل من انظاره وروى عن ابن عباس وابن عمر ان آخر
ما نزل من القران اى الربوا قوله عز وجل واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم
لا يظلمون آية القراءة قرا ابو عمرو ويعقوب ترجعون بفتح التاء الباقون بضمها الحجة حجة ابى عمرو قوله سبحانه
ان الينا ايابهم فاضاف المصدر الى الفاعل فهذا بمنزلة يرجعون وان مثل رجع ومن حجته قوله انا اليه راجعون
والينا مرجعهم الاعراب يوما منصوب لانه مفعول به ولا ينتصب على الظرف لانه ليس المعنى اتقوا فى هذا اليوم
وقوله ترجعون فيه الى الله جملة فى موضع نصب لكونه صفة لقوله يوما وتوفى كل نفس ما كسبت فى موضع نصب
بانه عطف على صفة يوما الا انه حذف منه فيه لدلالة الاول عليه النزول هذه آخر آية نزلت من القران وقال
جبرئيل ضعها فى راس الثمانين والمائتين من البقرة عن ابن عباس السدى قال المفسرون لما نزلت هذه الآية
انك ميت وانهم ميتون قال رسول الله صلى الله عليه ليتنى اعلم متى يكون ذلك فانزل الله عز وجل سورة النصر
وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يسكت بين القراءة والتكبير بعد نزول هذه السورة فيقول سبحان الله وبحمده
استغفر الله واتوب اليه فقيل له انك لم تكن تقول قبل هذا قال ان نفسى نعيت الى ثم بكى بكاء شديدا فقيل يا رسول الله
او تبكى من الموت وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر قال فاين هول المطلع واين ضيق القبر وظلمة اللحد
واين القيمة والاهوال فعاش رسول الله صلى الله عليه وآله بعد نزول هذه الآية عاما ثم نزلت لقد جاءكم رسول
من انفسكم الى آخر السورة وهذه السورة آخر سورة كاملة نزلت من القران فعاش رسول الله صلى الله عليه وآله
بعدها ستة اشهر ثم لما خرج رسول الله الى حجة الوداع نزلت عليه فى الطريق يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة الى آخرها
فسميت آية الصيف ثم نزل عليه وهو واقف بعرفة اليوم اكملت لكم دينكم الاية فعاش بعدها احدا وثمانين يوما
ثم نزلت عليه آيات الربوا ثم نزلت بعدها واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله وهى آخر آية نزلت من السماء فعاش بعدها
رسول الله صلى الله عليه وآله بعدها احدا وعشرين يوما وقال ابن جريج تسع ليال وقال سعيد بن جبير ومقاتل سبع ليال

ثم مات يوم الاثنين لليلتين خلتا من شهر ربيع الاول حين زاغت الشمس وروى اصحابنا لليلتين بقيتا من صفر سنة
احدى عشرة من الهجرة ولسنة واحدة من ملك اردشير بن شيرويه بن ابرويز بن هرمز بن نوشيروان بنفسى
هو صلى الله عليه وآله حيا وميتا المعنى ثم حذر سبحانه المكلفين من بعد ما تقدم من امر الحدود والاحكام فقال واتقوا
يوما معناه واحذروا ايوما واجتنبوا الجد ويوما ترجعون فيه الى الله تردون جميعا الى جزاء الله وتعالى الى ملك الله
لنفعكم وضركم دون غيره ممن ملكه اياه فى دار الدنيا وهو المراد بكلما فى القران من هذا اللفظ لان الله سبحانه لا يعب
عن احد ولا يغيب احد عن علمه وملكه وسلطانه ويدل عليه قوله وهو معكم اينما كنتم وما يكون من نجوى ثلثة
الا هو رابعهم وانما خص يوم القيمة بهذه الصفة لان الناس اذا حشروا انقطع وبطل ملكهم ولا ينبغى لواحد منهم امر ونهى
كما قال سبحانه لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ثم توفى كل نفس ما كسبت قيل فيه وجهان احدهما توفى جزاء ما كسبت
من الاعمال والثانى توفى ما كسبت من الثواب او العقاب لان الكسب على وجهين كسب العبد لفعله وكسبه لما
ليس من فعله كما يكسب المال وهم لا يظلمون معناه لا ينقصون ما يستحقونه من الثواب ولا يزاد عليهم فيما يستحقونه
من العقاب قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل
ولا ياب كاتب ان يكتب كما علمه الله فليكتب وليملل الذى عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيا
فان كان الذى عليه الحق سفيها او ضعيفا او لا يستطيع ان يمل هو فليملل وليه بالعدل واستشهدوا شهيدين
من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامراتان ممن ترضون من الشهداء ان تضل احديهما فتذكر احديهما
الاخرى ولا ياب الشهداء اذا ما دعوا ولا تسأموا ان تكتبوه صغيرا
او كبيرا الى اجله ذلكم اقسط عند الله واقوم للشهادة وادنى ان لا ترتابوا الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها
بينكم فليس عليكم جناح الا تكتبوها واشهدوا اذا تبايعتم ولا يضار كاتب ولا شهيد وان تفعلوا فانه فسوق
بكم واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شئ عليم آية القراءة قرا حمزة وحده ان تضل بكسر الهمزة والباقون بفتحها
وقرا ابن كثير وابو عمرو وقتيبة فتذكر بالتخفيف والنصب وقرا حمزة فتذكر بالتشديد والرفع وقرا الباقون فتذكر
بالتشديد والنصب وقرا عاصم وحده تجارة حاضرة بالنصب وقرا الباقون بالرفع وقرا ابو جعفر ولا يضار بتشديد
الراء وتسكينها والباقون لا يضار بالتشديد والنصب الحجة الوجه فى قراءة حمزة ان تضل احديهما بكسر الالف
هو انه جعل ان للجزاء والفاء فى قوله فتذكر جواب الجزاء وموضع الشرط وجزائه رفع بكونهما وصفا للمنكورين وهما المراتان
فى قوله فرجل وامراتان ويجوز ان يكون رجل مرتفعا بالابتداء والمراتان معطوفتان عليه وخبر الابتداء محذوف
وتقديره فرجل وامراتان يشهدون وقوله ممن ترضون من الشهداء فيه هو دال على الموصوفين الذين هم رجل
وامراتان ولا يجوز ان يكون فيه ذكر لشهيدين المقدم ذكرهما لاختلاف اعراب الموصوفين لان الاول شهيدين
منصوبان ورجل وامراتان اعرابهما الرفع فاذا كان كذلك علمت الوصف الذى هو ظرف انما هو وصف لقوله
فرجل وامراتان دون من تقدم ذكرهما من الشهيدين والشرط وجزاؤه وصف لقوله وامراتان لان الشرط جملة
توصف بها فى نحو قوله الذين ان مكناهم فى الارض اقاموا الصلوة واللام التى هى لام تصل فى قوله ان تضل فى محل جعل
ان جزاء فى موضع جزم وانما حركت بالفتح لالتقاء الساكنين ولو كسرت للكسرة قبلها لكان جايزا فى القياس واما قوله
فتذكر فقياس قول سيبويه فى قوله تعالى ومن عاد فينتقم الله منه والآى التى تلاها معها ان يكون بعد الفاء فى
فتذكر مبتدا محذوف ولو اظهرته لكان فهما تذكر احديهما الاخرى فالذكر العايد الى المبتدا المحذوف الضمير
فى قوله احديهما واما الاصل فى تذكر فهو من الذكر الذى هو ضد النسيان واذا ذكرت فعل يتعدى الى مفعول واحد
فاذا نقلته بالهمزة او ضعفت العين تعدى الى مفعولين وذلك نحو فرحته وافرحته فمن قرا فتذكر كان ممن جعل
التعدية بالتضعيف ومن قرا فتذكر كان ممن نقل بالهمزة وكلاهما سايغ والمفعول الثانى فى قوله فتذكر احديهما

ان تضل احديهما فتذكر احديهما
الاخرى ولا ياب الشهداء

الاخرى محذوف والمعنى فتذكر احديهما الاخرى الشهادة التي تحملاها هذا اما قراءة الاكثرين وهو ان تضل بفتح الالف

بان يتعلق فيها بفعل مضمر دل عليها هذا الكلام وذلك احد ثلثة اشياء الاول ان يقول فان لم يكونا رجلين فرجل

وامراتان صدر على قولك فاستشهدوا رجلا وامراتين وعلى هذا فيكون تقديره فليشهد رجل وامراتان فيتعلق

ان انما هو بهذا الفعل والثاني ما قاله ابو الحسن وهو ان تقديره فلتكن رجل وامراتان وعلى هذا فيكون معناه فليحدث

شهادة رجل وامراتين فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه والثالث ان يضمر خبر المبتدا الذي هو فرجل وامراتان

اي فرجل وامراتان يشهدون فيكون يشهدون العامل في ان وموضع اضماره فيمن فتح الهمزة موانه تضل قبل ان وفيمن

كسر انه بعد انقضاء الشرط لحق جزائه واما موضع ان هذه فنصب وتقديره لان تضل احديهما فتذكر فان قيل فان

الشهادة انما وضعت للذكر والحفظ لا للضلال الذي هو النسيان فجوابه ان سيبويه قد قال امر بالاشهاد لان يذكر

احديهما الاخرى وانما ذكر ان تضل لانه سبب الاذكار كما يقول القائل اعددته ان يميل الحائط فادعمه وهو لا يطلب

بذلك ميلان الحائط ولكنه لغيره تعدله الدعم وسببه قوله فتذكر او فتذكر بالنصب معطوف على الفعل المنصوب

بان واما قراءة من قرا الا ان تكون تجارة حاضرة بالرفع فالوجه فيها ان يكون كان بمعنى وقع وحدث فكانه قال الا ان تقع

تجارة حاضرة مثل قوله وان كان ذو عسرة واما من نصب تجارة حاضرة فيكون على خبر كان ولم يخل اسم كان من

احد شيئين احدهما ان يكون ما تقتضيه الكلام من الاشهاد والارتهان فدعم من فحواه التبايع فاضمر التبايع

لدلالة الحال عليه كما قال اذا كان غدا فاتني والاخر ان يكون اضمر التجارة فكانه قال الا ان تكون التجارة تجارة حاضرة ومثل

ذلك قول الشاعر فدى لبني ذهل بن شيبان ناقتي اذا كان يوما ذا كواكب اشنعا اي اذا كان اليوم يوما واما قوله

لا يضار فيه فادغمت الراء في الراء وفتحت لالتقاء الساكنين فيكون معناه لا يكتب الكاتب الا بالحق ولا يشهد

الشاهد الا بالحق والثاني ان اصله الساكنين فيكون معناه لا يكتب الكاتب الا بالحق ولا يشهد الشاهد لا يضارر

بفتح الراء الاولى فادغمت فيكون المعنى لا يدع الكاتب على وجه يضر به ولا الشاهد والاول ابين واما قراءة ابي جعفر

بتسكين الراء مع التشديد ففيه نظر ووجهه انه اجرى الوصل مجرى الوقف كقولهم ببازل وجباء او عيهل قد تقدم

امثاله اللغة تقول داينت الرجل اذا عاملته بدين اخذت منه او اعطيته وتداين القوم او الرجلان اذا تعاملا

وانشد رؤبة داينت اروى والديون تقضى فمطلت بعضا وادت بعضا وتقول دنت وادنت اذا اقترضت وادنت اذا اقرضت

قال اداني وانباه الاولون بان المدان ملي وفي والاملال الاملاء يقال املى عليه واملّ عليه بمعنى والبخس

النقص ظلما يقال بخسه حقه يبخسه بخسا ومنه بخس بالوفي حقه والبخس فقء العين لانه ادخال نقص على صاحبها

والسفيه الجاهل واصل السفه الخفة قال الشاعر نخاف ان تسفه احلامنا فنجهل الدهر مع الجاهل وانما سمي الجاهل

بالسفيه لخفة عقله وتقول ابى الاباء الى يابى ولم يات مثله في اللغة لان فعل يفعل لا ياتي الا ان يكون في موضع

العين من الفعل او اللام حرف من حروف الحلق والقول فيه ان الالف من ابى اشبهت الهمزة فجاءت يفعل منه

مفتوحة لهذه العلة والضلال اصله الهلاك تقول العرب ضل الماء في اللبن ومنه قوله ان المجرمين في ضلال وسعر

وقيل اصله الذهاب بحيث لا يوجد ومنه اذا ضللنا في الارض والسام الملل يقال سام يسام ساما اذا مل

من الشيء وضجر منه قال زهير سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ثمانين حولا لا ابا لك يسام واقسط اذا اعدل والقسط

العدل تقول اقسط اذا عدل وقسط يقسط قسوطا اذا جار والقسط الحصة المعنى لما امر سبحانه بانظار المعسر وتاجيله

عقبه ببيان احكام الحقوق المؤجلة وعقود المداينة فقال يا ايها الذين آمنوا اي صدقوا الله ورسوله اذا تداينتم اي تعاملتم

وداين بعضكم بعضا بدين قيل فيه قولان احدهما انه على وجه التاكيد وتمكين المعنى في النفس كقوله ولا طائر يطير بجناحيه

والثاني انما قال بدين لان تداينتم قد يكون بمعنى تجازيتم من الدين الذي هو الجزاء وقد يكون بمعنى تعاملتم به

فقيده بالدين فتخليص اللفظ من الاشتراك اي اجل مسمى اي وقت مذكور معلوم بالتسمية قال ابن عباس ان الآية

وردت في السلم خاصة وكان يقول اشهد ان الله اباح السلم المضمون الى اجل معلوم وانزل فيه اطول آية في كتابه وتلا هذه

الآية وظاهر الآية يقع على كل دين مؤجل سلما كان او غيره وعليه اكثر المفسرين والفقهاء فاكتبوه معناه فاكتبوا الدين

في صك لئلا يقع فيه نسيان او جحود وليكون ذلك توثقة للحق ونظرا للذي له الحق وللذي عليه الحق وللشهود فوجه النظر للذي

له الحق ان يكون حقه موثقا بالصك والشهود فلا يضيع حقه ووجه النظر للذي عليه الحق ان يكون ابعد من الجحود فيستوجب

النقمة والعقوبة ووجه النظر للشهود انه اذا كتب خطه كان ذلك اقوم للشهادة وابعد من السهو واقرب الى الذكر واختلف

في هذا الامر فقيل هو مندوب اليه عن ابي سعيد الخدري والحسن والشعبي وهو الاصح وعليه الاكثر وقيل هو فرض عن الربيع

وكعب ويدل على صحة القول الاول قوله فان امن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن امانته والمفهوم من هذا الظاهر فان

ائتمنه على ماله ان ياتمنه عليه ثم بين كيفية الكتابة وليكتب بينكم كاتب بالعدل يعني وليكتب كتاب المداينة والبيع

بين المتعاقدين كاتب بالقسط والانصاف والحق لا يزيد فيه ولا ينقص منه في صفته ولا مقداره لا يبدل ولا يكتب

شيئا يضر باحدهما الا بعلمه ولا ياب كاتب اي لا يمتنع كاتب من ان يكتب الصك على الوجه المامور به كما علمه الله من

الكتابة والعدل وقيل كما فضله الله تعالى بتعليمه اياه فلا يبخل على غيره بالكتابة واختلف في الكتابة هل هي فرض ام لا

قيل هي فرض الكفاية كالجهاد ونحوه عن الشعبي وجماعة من المفسرين واختاره الرماني والجبائي وجوز الجبائي ان ياخذ

الكاتب والشاهد الاجرة وقال الشيخ ابو جعفر رحمه الله وعندنا لا يجوز ذلك والورق الذي يكتب فيه على

صاحب الدين دون من عليه الدين ويكون الكتاب في يده لانه واجب على الكاتب ان يكتب في حال فراغه عن الشغل وقيل

واجب عليه ان يكتب اذا امر عن مجاهد وعطا وقيل ان ذلك في موضع لا يقدر فيه على كاتب غيره فيضر بصاحب الدين

ان امتنع فاذا كان كذلك فهو فريضة وان قدر على كاتب غيره فهو في سعة اذا قام به غيره عن الحسن وقيل كان

واجبا فنسخ بقوله ولا يضار كاتب ولا شهيد عن الضحاك فليكتب امر للكاتب اي فليكتب الصك على الوجه المامور به وكما

الكتبة على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله قليلا فيهم فلذلك اكد بقوله فليكتب اذ الامر يقتضي الايجاب والنهي عن

تركه ادعى لفعله ثم منع من الاقتصار على احدهما ثم بين سبحانه كيفية الاملاء على الكاتب فقال سبحانه وليملل الذي عليه

الحق يعني المديون يقر على نفسه بلسانه ليعلم ما عليه فيكتب وليتق الله ربه الذي عليه الحق في الاملاء ولا يبخس

اي لا ينقص من الحق شيئا الا من قدره ولا من صفته ثم بين سبحانه حال من لا يصح منه الاملاء فقال فان كان الذي

عليه الحق سفيها اي جاهلا بالاملاء عن مجاهد وقيل صغيرا طفلا عن السدي والضحاك وقيل عاجزا احمق عن ابن زيد

او ضعيفا اي ضعيف العقل من عته او جنون وقيل شيخا خرفا او لا يستطيع ان يمل هو اي مجنونا وقيل عييا اخرس عن

ابن عباس وقيل الاقرب ان يحمل على ثلث صفات لكيلا يؤدي الى التكرار ثم اختلف في ذلك فقيل السفيه المجنون والضعيف

الصغير ومن لا يستطيع ان يمل الاخرس ونحوه فيدخل في كل واحد من هو في معناه وقيل السفيه المبذر والضعيف

الصبي المراهق ومن لا يستطيع ان يمل المجنون عن القاضي فليملل وليه بالعدل قيل معناه فليملل ولي الذي عليه الحق

اذا عجز عن الاملاء بنفسه عن الضحاك وابن زيد وقيل معناه ولي الحق وهو الذي له الحق عن ابن عباس لانه اعلم بدينه

فيملي بالحق والعدل ثم امر سبحانه بالاشهاد فقال واستشهدوا شهيدين من رجالكم يعني اطلبوا الشهود واشهدوا

على المكتوب رجلين من رجالكم اي من اهل دينكم وقال مجاهد معناه من الاحرار المسلمين دون العبيد والكفار

والحرية ليست بشرط عندنا في قبول الشهادة وانما الشرط الاسلام مع العدالة وبه قال شريح والبتي وابو ثور وقيل

هذا امر للقضاة بان يقضوا عند القضاء بالحق بشهيدين من المدعي عند انكار المدعى عليه فيكون البينة في الخبر

بين السؤال والطلب فان لم يكونا رجلين يعني فان لم يكن الشهيدان رجلين فرجل وامراتان اي فليشهد رجل

وامرأتان ممن ترضون من الشهداء عدالته وهذا يدل على ان العدالة شرط في الشهود ويدل ايضا على انا لم نتعبد بشهادة من ليس بمرضي
على الاطلاق لقوله ممن ترضون ولم يقل من المرضيين لانه لا طريق لنا الى معرفة من هو مرضي عند الله تعالى وانما تعبدنا بشهادة
من هو مرضي عندنا في الظاهر وهو من يرضى دينه وامانته ويعرف بالستر والصلاح ان تضل احداهما ان ينسى احدى
المرأتين فتذكر احداهما الاخرى قيل هو من الذكر الذي هو ضد النسيان عن الربيع والسدي والضحاك واكثر المفسرين والمعنى
فتذكر احداهما الاخرى الشهادة التي تحملناها ومن قرا فتذكر بالتخفيف من الاذكار فقصد هذا المعنى ايضا اي تقول لها هل
تذكرين يوم شهدنا في موضع كذا وبحضرتنا فلان او فلانة حتى تذكر الشهادة وهذا لان النسيان يغلب على النساء اكثر مما
يغلب على الرجال وقيل هو من الذكر اي تجعلها كالذكر من الرجال عن سفيان بن عيينة والاول اقوى فان قيل لم كرر لفظ
احداهما وهلا قال فتذكرها الاخرى فجوابه على وجهين احدهما انه انما كرر ليكون الفاعل مقدما على المفعول ولو قال
فتذكرها الاخرى لكان قد فصل بين الفاعل الفعل والفاعل بالمفعول وذلك مكروه والثاني ما قاله الحسين بن علي
المغربي ان معناه ان تضل احدى الشهادتين اي تضيع بالنسيان فتذكر احدى المرأتين الاخرى لئلا يتكرر لفظ احداهما
بلا معنى ويؤيد ذلك انه لا يسمى ناسي الشهادة ضالا ويقال ضلت الشهادة اذا ضاعت كما قال سبحانه قالوا ضلوا
عنا اي ضاعوا عنا ثم خاطب سبحانه الشهود فقال ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا وفي معناه ثلاثة اقوال احدها ان معناه
ولا يمتنع الشهداء اذا دعوا لاقامة الشهادة عن مجاهد وعطاء والشعبي وسعيد بن جبير وهذا اذا كانوا عالمين
بالشهادة على وجه لا يرتابون فيه ولم يخافوا من ادائها ضررا والثاني ان معناه اذا دعوا لاثبات الشهادة وتحملها
عن قتادة والربيع وثالثها ان معناه اذا دعوا الى اثبات الشهادة والى اقامتها عن ابن عباس والحسن وابي عبد الله ع
وهو اولى لانه اعم فائدة ولا تسأموا اي لا تضجروا ولا تملوا ان تكتبوه اي تكتبوا الحق صغيرا كان الحق او كبيرا وقيل
ان هذا خطاب للشاهد ومعناه لا تملوا ان تكتبوا الشهادة على الحق الى اجله اي الى اجل الدين وقيل معناه
الى اجل الشاهد اي الى الوقت الذي يجوز فيه الشهادة والاول اقوى ذلكم الكتاب او كتبة الشهادة في الصك اقسط
اي اعدل عند الله لانه سبحانه امر به واتباع امره اعدل من تركه واقوم للشهادة اي اصوب للشهادة وابعد من الزيادة
والنقصان والسهو والغلط والنسيان وقيل معناه احفظ للشهادة ماخوذ من القيام على الشيء بمعنى الحفظ وادنى
ان لا ترتابوا اي اقرب الى ان لا تشكوا في مبلغ الحق والاجل الا ان تكون تجارة معناه الا ان تقع تجارة اي مداينة
ومبايعة حاضرة حالة يدا بيد ومن قرا بالنصب فمعناه الا ان تكون التجارة تجارة حاضرة تديرونها
بينكم اي تتناولونها من يد الى يد نقدا لا نسيئة فليس عليكم جناح اي حرج وضيق ان لا تكتبوها ومعناه فليس عليكم
اثم في ترك كتابتها لان الكتبة للوثيقة ولا يحتاج الى الوثيقة الا في النسيئة دون النقد واشهدوا اذا تبايعتم اي
واشهدوا الشهود على بيعكم اذا تبايعتم وهذا امر على الاستحباب والندب عن الحسن وجميع الفقهاء وقال اصحاب الظاهر
الاشهاد فرض في التبايع ولا يضار كاتب ولا شهيد اصله يضارر بكسر الراء الاولى عن الحسن وقتادة وعطاء وابن
زيد فيكون النهي للكاتب والشاهد عن المضارة وعلى هذا فمعنى المضارة ان يكتب الكاتب ما لم يمل عليه ويشهد الشاهد
بما لم يستشهد فيه او بان يمتنع من اقامة الشهادة وقيل الاصل فيه لا يضارر بفتح الراء الاولى عن ابن مسعود ومجاهد
فيكون معناه لا يكلف الكاتب الكتبة في حال عذر لا يتفرغ اليها ولا يضيق الامر على الشاهد بان يدعى الى اثبات
الشهادة او اقامتها في حال عذر ولا يعنف عليهما قال الزجاج والاول ابين لقوله وان تفعلوا فانه فسوق بكم فالفاسق
اشبه بغير العدل ومن حرف الكتاب منه بالذي دعا شاهدا ليشهد او دعا كاتبا ليكتب وهو مشغول وقال غيره
وان تفعلوا مضارة الكاتب والشهيد فان المضارة في الكتابة والشهادة فسوق بكم اي خروج عما امر الله سبحانه به
واتقوا الله فيما امركم به ونهيكم عنه ويعلمكم الله ما تحتاجون اليه من امور دينكم والله بكل شيء عليم اي عليم بذلك وبكل ما

من المعلومات وذكر علي بن ابراهيم بن هاشم في تفسيره ان في البقرة خمسمائة حكم وفي هذه الآية خاصة خمسة عشر حكما قوله
عز وجل وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة فان امن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن امانته
وليتق الله ربه ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه والله بما تعملون عليم آية القراءة قرا ابن كثير وابو عمرو فرهن
على وزن فعل والباقون فرهان على وزن فعال الحجة قال ابو علي الرهن مصدر وللمفعول فسمي به كما يكثر الاسماء وجمع على
رهان من ابنية الجموع وهو فعل وفعال وكلاهما من ابنية الكثير وقد يخفف العين من رهن كما خفف في رسل
وكتب ومثل رهن ورهن سقف وسقف وقال الاعشى البيت لا اعطيه من ابنائنا رهنا فيفسدهم كمن قد افسدا
اللغة يقال رهنت عند الرجل رهنا ورهنته رهنا فانا ارهنه اذا وضعته عنده ورهنه صنعة وقالوا ارهنته
ايضا وقلت فيه اكثر قال يراهنني فيرهنني بنيه وارهنه بني بما اقول وقال الاصمعي من روى بيت ابن همام
فلما خشيت اظافيره نجوت وارهنتهم مالكا فقد اخطا انما الرواية وارهنهم مالكا كما تقول ونبت اليه واصلت
عليه ونضت اليه واختجت وتقول ارهنت لهم الطعام اي ادمته لهم وارهنته بمعناه والطعام راهن وراه
وقد ارهنت في السلعة اذا اسلفت فيها قال عدي ارهنت فيها الدنانير واما قولهم لا يغلق الرهن فمعناه ان
يقول الراهن ان جئت بفكاكه الى شهر والا فهو لك بالدين فهذا باطل بلا خلاف المعنى ثم ذكر سبحانه حكم الوثيقة
بالرهن عند عدم الوثيقة بالاشهاد فقال وان كنتم ايها المتداينون المتبايعون على سفر اي مسافرين ولم تجدوا
كاتبا للصك ولا شهودا تشهدونهم فرهن مقبوضة تقديره فالوثيقة رهن فيكون رهن خبر مبتدأ محذوف ويجوز
ان يكون المقدر فرهن مقبوضة تقوم مقام الوثيقة بالصك والشهود والقبض شرط في صحة الرهن فان لم
ينعقد الرهن بالاجماع فان امن بعضكم بعضا اي فان امن صاحب الحق الذي عليه ووثق به وامنه على حقه ولم
يرتهن منه ولم يكتب ولا رهن فليؤد الذي عليه الحق امانته بان لا يجحد حقه ولا يبخس منه شيئا ويؤديه وافيا وقت محله من غير
مطل ولا تسويف واراد بقوله امانته اي ما اؤتمن فيه فهو مصدر بمعنى المفعول وليتق الله ربه معناه وليتق الذي عليه
الحق عقوبة الله ربه فيما اؤتمن عليه بجحوده او الانتقاص منه ولا تكتموا الشهادة يعني بعد تحملها وهو خطاب للشهود
ونهي لهم عن كتمان الشهادة اذا دعوا اليها ومن يكتمها اي ومن يكتم الشهادة مع علمه بالمشهود به وعدم ارتيابه
فيه وتمكنه من ادائها من غير ضرر بعد ما دعي الى اقامتها فانه آثم قلبه اضاف الاثم الى القلب وان كان الآثم
هو الجملة لان اكتساب الاثم بكتمان الشهادة يقع بالقلب لان العزم على الكتمان انما يقع بالقلب ولان اضافة الاثم
الى القلب ابلغ في الذم كما ان اضافة الايمان الى القلب ابلغ في المدح قال سبحانه اولئك كتب في قلوبهم الايمان
والله بما تعملون اي بما تسرونه وتكتمونه عليم وروي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال لا ينقضي كلام شاهد
زور من بين يدي الحاكم حتى يتبوأ مقعده من النار وكذلك من كتم الشهادة وفي قوله سبحانه فان امن بعضكم بعضا
دلالة على ان الاشهاد والكتابة في المداينة ليسا بواجبين وانما هما على سبيل الاحتياط وتضمنت هذه الآية وما قبلها
من بدائع لطف الله تعالى ونظره لعباده في امر معاشهم ومعادهم وتعليمهم ما لا يسعهم جهله ما فيه لمن تبصر وكفاية لمن
تفكر قوله تعالى لله ما في السموات وما في الارض وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن
يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير آية القراءة قرا ابن عامر وعاصم وابو جعفر ويعقوب فيغفر ويعذب
بالرفع وقرا الباقون بالجزم فيهما الحجة قال ابو علي وجه قول من جزم انه اتبعه ما قبله ولم يقطعه منه وهذا اشبه بما عليه
كلامهم الا ترى انهم يطلبون المشاكلة ويلزمونها نحو ذلك ان كان ما معطوفا على جملة من فعل وفاعل واشتغل
عن الاسم الذي من الجملة التي يعطف عليها الفعل يختارون النصب ولو لم يكن قبله الفعل والفاعل لاختاروا الرفع
على هذا ما جاء في التنزيل نحو قوله تعالى وكلا ضربنا له الامثال وقوله فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة حكي لك

ينبغي ان يكون الجزم احسن ليكون مشاكلا لما قبله في اللفظ وهذا النحو من طلبهم المشاكلة كثير ومن لم يجزم قطعه من
الاول وقطعه منه على احد وجهين اما ان يجعل الفعل خبر المبتدأ محذوف واما ان يعطف جملة من فعل وفاعل على ما تقدم
المعنى لله ما في السموات وما في الارض اللام لام الملك اي له تصريف السموات والارض وما فيهما وتدبيرهما لقدرته
على ذلك ولانه الذي ابتدعهما وانشاهما فجميع ذلك ملكه وملكه يصرفه كيف يشاء وان تبدوا اي تظهروا ما في انفسكم
ويعلنون من الطاعة والمعصية او تخفوه اي تكتموه يحاسبكم به الله اي يعلم الله ذلك فيجازيكم عليه وقيل معناه ان
تظهروا الشهادة او تكتموها فان الله يعلم ذلك ويجازيكم عليه وقيل معناه ان تظهروا الشهادة او تكتموها فان الله يعلم
عن ابن عباس وجماعة وقيل انها عامة في الاحكام التي تقدم ذكرها في السورة خوفهم الله سبحانه من العمل بخلافها وقال
قوم ان هذه الآية منسوخة بقوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها ورووا في ذلك خبرا ضعيفا وهذا لا يصح لان تكليف ما ليس في
الوسع غير جائز فكيف ينسخ وانما المراد بالآية ما يتناوله الامر والنهي من الاعتقادات والارادات وغير ذلك مما هو مستور
عنا فاما ما لا يدخل في التكليف من الوساوس والهواجس مما لا يمكن التحفظ عنه من الخواطر فخارج عنه لدلالة العقل
ولقوله لم يجز لهذه الامة عن نسيانها وما حدثت به انفسها فعلى هذا يجوز ان تكون الآية الثانية بينت الاولى
وازالت توهم من صرف ذلك الى غير وجهه وظن به ما يخطر بالبال او يتحدث به النفس مما لا يتعلق بالتكليف فان الله تعالى
به ولا يخلو في ذلك وقوله فيغفر لمن يشاء منهم رحمة وفضلا ويعذب من يشاء ممن استحق العقاب عدلا والله على كل شيء
قدير من المغفرة والعذاب عن ابن عباس ولفظ الآية عام في جميع الاشياء والقول فيما يخطر بالبال من المعاصي ان الله
سبحانه لا يؤاخذ به وانما يؤاخذ بما يعزم الانسان ويعقد قلبه عليه مع امكان التحفظ عنه فيصير من افعال القلب
فيجازيه به كما يجازيه بافعال الجوارح وانما يجازيه جزاء العزم لا جزاء عين تلك المعصية لانه لم يباشرها وهذا بخلاف
العزم على الطاعة فان العازم على فعل الطاعات يجازى على عزمه ذلك جزاء تلك الطاعة كما جاء في الاخبار ان المنتظر
للصلوة في الصلوة ما دام ينتظرها وهذا من لطايف نعم الله تعالى على عباده النظم ذكر في كيفية اتصال هذه الآية
بما قبلها وجوه احدها انه لما فرغ من بيان الشرايع ختم السورة بالتوحيد والموعظة والاقرار بالجزاء والثاني انه
لما قال الله بكل شيء عليم اتبعه بانه لا يخفى عليه شيء لان له ملك السموات والارض عن ابي مسلم والثالث انه لما امر بهذه
الوثايق بين انه لما تعبد بها لامر يرجع الى المكلفين لا مر يرجع اليه فان له ما في السموات والارض قوله عز وجل من قائل آمن
الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله وقالوا
سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير آية القراءة قرا اهل الكوفة غير عاصم وكتابه والباقون وكتبه على الجمع وقرا
يعقوب لا يفرق بالياء والباقون بالنون الحجة من قرا وكتابه على الواحد ففيه وجهان احدهما يعني القرآن والثاني
انه يعني الجنس فيوافق القراءة الاخرى على الجمع وقد جاء المضاف الى المعرفة يراد به الكثرة نحو قوله وان تعدوا نعمة الله
لا تحصوها وفي الحديث منعت العراق درهمها وقفيزها فهذا يراد به الكثرة كما يراد به لام التعريف والاختيار فيه
الجمع ليشاكل ما قبله وما بعده ولان اكثر القراء عليه ومن قرا لا يفرق فالرسول او كل لا يفرق ومن قرا بالنون فعلى تقدير وقالوا
لا نفرق كقوله ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم ربنا ابصرنا اي يقولون ربنا الاعراب غفرانك نصب على انه بدل
من اللفظ بالفعل المأخوذ منه وكانه قال اللهم اغفر لنا غفرانك واستغنى بالمصدر عن الفعل في الدعاء وصار بدلا عنه معاقبا
المعنى لما ذكر الله سبحانه فرض الصلوة والزكوة واحكام الشرع وامر الانبياء ختم السورة بذكر تعظيمهم وتصديق المؤمنين
بجميع ذلك فقال آمن الرسول اي صدق محمد صلى الله عليه وآله بما انزل اليه من ربه من الاحكام المذكورة في هذه السورة وغيرها والمؤمنون
كل اي كل واحد منهم آمن بالله اي صدق باثباته وصفاته ونفي التشبيه عنه وتنزيهه عما لا يليق به وملائكته فانهم
معصومون مطهرون وكتبه وبان القرآن وجميع ما انزل من الكتب حق وصدق ورسله وبجميع انبيائه لا نفرق بين احد

من رسله اي ويقولون لا نفرق بين احد من رسل الله في الايمان بان نؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعله اهل الكتاب من اليهود والنصارى
وقالوا سمعنا واطعنا معناه سمعنا قولك واطعنا امرك اذا جعلته راجعا الى الله تعالى او سمعنا قولك واطعنا امره
اذا جعلته راجعا الى النبي وقيل معناه سمعنا قول الله وقول الرسول سماع القابلين المطيعين وذلك خلاف ما اخبر
تعالى عن الكفار حيث قالوا سمعنا وعصينا غفرانك ربنا اي يقولون اغفر لنا ربنا وقيل معناه يقولون نسألك غفرانك
واليك المصير معناه والى جزائك المصير فجعل مصيرهم الى جزائه مصيرا اليه كقول ابرهيم عليه السلام اني ذاهب الى ربي سيهدين ومعناه
الى ثواب ربي والى حيث امرني به وهذا هو اقرار بالبعث والنشور قوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت
وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولانا
فانصرنا على القوم الكافرين آية اللغة الوسع ما دون الطاقة وسمي بذلك لانه يسع الانسان ولا يضيق عنه قال الخطانا
اي كسبنا خطيئة وقال ابو عبيدة اخطا وخطا لغتان والفرق بين اخطا وخطئ ان اخطا يكون على وجه الاثم وغير الاثم واما خطئ
فانه لا يكون الا اثما قال الشاعر والناس يلحون الامير اذا هم خطئوا الصواب ولا يلام المرشد والاصر في اللغة الثقل قال النابغة
يا مانع الضيم ان يغشى سراتهم والحامل الاصر عنهم بعدما عرقوا وكل ما عطفك على شيء من عهد او رحم فهو اصر وجمعه اصار
ويقول اصره يأصره اصرا والاسم الاصر قال النابغة يا ابن الحواضن والحاضنات ان تنقض اصرك حالا فحالا اي عهدك والاصر
والآصرة صلة الرحم للعطف بها قال الكميت عطفت اواصر الدوبين وبينهم بآصرة الارحام لو يتبلل واصل الباب العطف
والامر الثقيل لانه يعطف حامله بثقله عليه المعنى ثم بين سبحانه فيما امر ونهى انه لا يكلف الا دون الطاقة فقال
لا يكلف الله نفسا الا وسعها اي لا يامر ولا ينهى احدا الا ما هو له مستطيع وقيل ان معنى قوله الا وسعها الا يسرها
لا عسرها ولم يكلفها طاقتها ولو كلفها طاقتها لبلغ المجهود ومعنا عن سفيان بن عيينة وهذا قول حسن وفي هذا دلالة
على بطلان قول المجبرة في تجويز تكليف العبد ما لا يطيقه لان الوسع ما يتسع له قدرة الانسان وهو فوق المجهود واستفراغ
القدرة وقال بعضهم ان معناه الا ما يسعها ويحل لها وهذا خطا لان من قال لعبده لا امرك بما اطلق لك ان تفعله
كان ذلك عبثا وخطا فان نفس الامر اطلاق فكانه قال لا اطلق لك الا ما اطلق لك وما امرك الا بما امرك وقوله
لها ما كسبت معناه لها ثواب ما كسبت من الطاعات وعليها جزاء ما اكتسبت من السيئات ويجوز ايضا ان يسمى الثواب
والعقاب كسبا من حيث حصلا بكسبه ربنا لا تؤاخذنا قيل تقديره قولوا ربنا على جهة التعليم للدعاء عن الحسن
وقيل تقديره ويقولون على جهة الحكاية والثناء ان نسينا او اخطانا قيل فيه وجوه احدها ان المراد بنسينا
تركنا كقوله سبحانه نسوا الله فنسيهم اي تركوا طاعته فتركهم من ثوابه وقوله وتنسون انفسكم ومنه قول الشاعر ولم اك
عند الجود للجود قاليا ولا كنت يوم الروع للطعن ناسيا اي تاركا والمراد باخطانا اذنبنا لان المعاصي توصف بالخطا
من حيث انها ضد الصواب وان كان فاعلها متعمدا فكانه سبحانه امرهم ان يستغفروا مما تركوه من الواجبات وما
فعلوه من المقبحات والثاني ان معنى قوله ان نسينا ان تعرضنا لاسباب يقع عندها النسيان عن الامر والفعل عن الواجب
او اخطانا اي تعرضنا لاسباب يقع عندها الخطا ويحسن الدعاء بذلك كما يحسن الاعتذار منه والثالث ان معناه لا تؤاخذنا
ان نسينا اي ان لم نفعل فعلا يجب فعله على سبيل السهو والغفلة او اخطانا اي فعلنا فعلا يجب تركه من غير قصد
ويحسن هذا في الدعاء على سبيل الانقطاع الى الله سبحانه واظهار الفقر الى مسالته والاستعانة وان كان مأمونا منه المؤاخذة
بمثله ويجري ذلك مجرى قوله فيما بعد ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به على احد الاجوبة وقوله قل رب احكم بالحق وما اشبه
ذلك امثاله والرابع ما روي عن ابن عباس وعطا ان معناه لا تعاقبنا ان عصيناك جاهلين او متعمدين وقوله ربنا
ولا تحمل علينا اصرا قيل فيه وجهان احدهما ان معناه لا تحمل علينا عهدا نعجز عن القيام به ولا تعذبنا بتركه ونقضه يعني
لا تشدد الامر علينا عن ابن عباس وقتادة ومجاهد والربيع والسدي والثاني ان معناه لا تحمل علينا ثقلا عن الربيع ومالك

ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على
الذين من قبلنا ربنا

وعطا يعني لا تشدد الامر علينا كما حملته على الذين من قبلنا اي على الامم الماضية والقرون السالفة لانهم كانوا اذا
ارتكبوا خطيئة عجلت عليهم عقوبتها وحرمت عليهم طيبات احلت لهم واخذ عليهم من العهود والمواثيق وكلفوا من انواع التكاليف
ما لم يكلف هذه الامة تخفيفا عنها ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به قيل فيه وجوه احدها ان معناه ما يثقل علينا تحمله
من انواع التكاليف والامتحان مثل قتل النفس عند التوبة وقد يقول الرجل لامر يصعب عليه اني لا اطيقه والثاني
معناه ما لا طاقة لنا من العذاب عاجلا وآجلا والثالث انه على سبيل التعبد وان كان سبحانه لا يكلف الا ما يحتمل
ما لا طاقة على ما ذكرناه قبل واعف عنا ذنوبنا واغفر لنا خطايانا اي استرها وارحمنا انعاما علينا في الدنيا والعفو
في الآخرة وادخال الجنة انت مولانا واولى بالتصرف فينا وناصرنا فانصرنا على القوم الكافرين اي اعنا عليهم بالقهر لهم والعلو
بالحجة عليهم وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله ان الله سبحانه قال عند كل فصل من الدعاء فعلت واستجبت ولهذا استحب
الاكثار من هذا الدعاء في الحديث المشهور عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال من قرا آيتين من آخر سورة البقرة
في ليلة كفتاه اي كفتاه قيام ليلة وعن عبد الله بن مسعود قال لما اسري برسول الله صلى الله عليه وآله انتهى الى السدرة المنتهى
فاعطي ثلاثا الصلوات الخمس وخواتيم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله من امته المقحمات وعن ابن المنكدر
رفعه الى النبي صلى الله عليه وآله قال في آخر سورة البقرة آيات انهن قرآن وانهن دعاء وانهن يرضين الرحمن وفي تفسير
الكلبي باسناده ذكره عن ابن عباس قال بينما رسول الله صلى الله عليه وآله اذ سمع نقيضا يعني صوتا فرفع راسه
فاذا باب من السماء قد فتح فنزل عليه ملك فقال ان الله يبشرك بنورين لم يعطهما نبيا قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم
سورة البقرة لا تقراهما احد الا اعطيته حاجته وروي عن عبد الله بن مسعود انه قال كان الرجل اذا تعلم سورة
البقرة جل فينا اي عظم هي مدنية كلها عن ابن عباس وقتادة ومجاهد وجميع المفسرين عدد آيها
مائتان الا آية شامي وما سواه عند الباقين خلافها في سبع آيات وعد الكوفي الم آية والانجيل الثاني آية وترك
انزل الفرقان وعد البصري ورسولا الى بني اسرائيل وترك الثاني الانجيل الاول وعد الشامي ابرهيم هو وابو جعفر
وترك ابو جعفر مما تحبون وعد اهل الحجاز حتى تنفقوا مما تحبون فضلها روى ابي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وآله
قال من قرا سورة آل عمران اعطي بكل آية منها امانا على جسر جهنم ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله من قرا سورة آل
عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تحجب الشمس بريدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله تعلموا سورة البقرة وسورة آل
عمران فانهما الزهراوان وانهما تظلان صاحبهما يوم القيامة كانهما غمامتان او غيايتان او فرقان من طير صواف
بسم الله الرحمن الرحيم الم الله لا اله الا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وانزل
التورية والانجيل من قبل هدى للناس وانزل الفرقان ان الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله
عزيز ذو انتقام ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء خمس آيات بلا خلاف الا ان الكوفي عد الم آية
وترك وانزل الفرقان وغيرهم بالعكس من ذلك القراءة قرا ابو جعفر والاعشى والبرجمي عن ابي بكر عن عاصم الم الله بسكون
الميم وقطع همزة الله وقرا الباقون موصولا وبفتح الميم وروي في الشواذ عن عمر بن الخطاب وابن مسعود وابرهيم
النخعي والاعمش عن زيد بن علي بن الحسين وجعفر بن محمد الصادق عن النبي صلى الله عليه وآله الحي القيام وروي عن
الحسن الانجيل بفتح الهمزة الاعراب قال ابو علي اتفق الجميع على اسقاط الالف الموصول في اسم الله تعالى ودل على ان الميم
ساكنة كما ان سائر حروف التهجي مبنية على الوقف فلما التقت الميم الساكنة ولام التعريف المدغم حرك بالفتح للساكن الثالث
الذي هو المعرف والدليل على ان التحريك للساكن الثالث وهو مذهب سيبويه ان حروف التهجي يجتمع فيها الساكنان
نحو حاميم عين سين قاف وذلك انها مبنية على الوقف كما ان اسماء العدد كذلك فحركت الميم للساكن الثالث
بالفتح كما حركت النون في قوله من الله بالفتح لالتقاء الساكنين واما من قطع الالف فكانه قدر الوقوف على الميم

واستانف فقطع الهمزة للابتداء بها واما القيام فقد قال ابن جني انه صفة على فيعال من قام يقوم وصلح من العقد
العدد واصله القيوام التقت الواو والياء وسبقت الاولى بالسكون فقلبت الواو ياء وادغمت فيها الياء وقراءة
الجماعة القيوم فيعول من هذا ايضا واما الانجيل بفتح الهمزة فمثال غير معروف النظير في كلامهم لانه ليس في كلامهم افعيل
بفتح الهمزة ولو كان اعجميا لكان فيه ضرب من الحجاج لكنه عندهم عربي وهو افعيل من نجل ينجل اذا استخرج منه
نجل الرجل لولده لانه استخرجهم من صلبه ومن بطن امراته قال الاعشى انجب ازمان والداه به اذ نجلاه فنعم ما نجلا
اي انجب والداه به زمان اذ نجلاه ففصل بين المضاف الذي هو ازمان وبين المضاف اليه الذي هو اذ كقولهم حينئذ ويومئذ
بالفاعل وقيل الانجيل لانه يستخرج علم الحلال والحرام كما قيل تورية وهي فوعلة من ورى الزند اذا قدح واصله
وورية فابدلت الواو التي هي الفاء تاء كما قالوا التجاه والتخمة والتكلان والتراث من الوجه والوخامة والوكل
والوراثة فهو من ورى الزند اذا ظهرت ناره وذلك من نجل ينجل اذا استخرج لما في الكتابين من معرفة الحلال
والحرام وكما قيل للكتاب الفرقان لانه فرق بين الحق والباطل فالمعاني كانت متفقة وكلها الاظهار
والابانة والفرق بين الاشياء وقال علي بن عيسى النجل الاصل فكان الانجيل اصلا من اصول العلم وقال غيره النجل الفرع
ومنه قيل النحل فكان الانجيل فرع على التورية ويستخرج منها قال ابن فضيل وهو من النجل وهو السعة يقال عين
نجلاء وطعنة نجلاء فكانه قد وسع عليهم في الانجيل ما ضيق على اهل التورية الاعراب مصدقا نصب
على الحال وقوله من قبل اي من قبل انزال الكتاب فلما اقتطعه عن الاضافة بناه على الضم وموضع هدى نصب
على الحال من التورية والانجيل اي هادين ويجوز ان يكون خبر مبتدا محذوف تقديره هما هدى النزول قال الكلبي
ومحمد بن اسحق والربيع بن انس نزلت اوايل السورة الى نيف وثمانين آية في وفد نجران وكانوا ستين راكبا قدموا
على رسول الله صلى الله عليه وآله وفيهم اربعة عشر رجلا من اشرافهم وفي الاربعة عشر ثلثة نفر اليهم يؤول امرهم العاقب
امير القوم وصاحب مشورتهم الذين لا يصدرون الا عن رايه واسمه عبد المسيح والسيد ثمالهم وصاحب رحلهم
واسمه الايهم وابو حارثة بن علقمة اسقفهم وحبرهم وامامهم وصاحب مدراسهم وكان قد شرف فيهم ودرس كتبهم وكانت
ملوك الروم قد شرفوه ومولوه وبنوا له الكنايس لعلمه واجتهاده فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وآله المدينة
ودخلوا مسجده حين صلى العصر عليهم ثياب الحبرات جبب واردية في جمال رجال بالحرث بن كعب يقول بعض من راهم
من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ما راينا وفدا مثلهم وقد حانت صلوتهم فاقبلوا يضربون بالناقوس
وقاموا فصلوا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت الصحابة يا رسول الله هذا في مسجدك فقال رسول الله دعوهم
اسلما قالا قد اسلمنا قبلك قال كذبتما يمنعكما من الاسلام دعاؤكما لله ولدا وعبادتكما الصليب واكلكما الخنزير
قالا ان لم يكن ولد الله فمن ابوه وخاصموه جميعا في عيسى فقال لهما النبي صلى الله عليه وآله الستم تعلمون انه لا يكون ولد الا ويشبه اباه
قالوا بلى قال الستم تعلمون ان ربنا حي لا يموت وان عيسى ياتي عليه الفناء قالوا بلى قال الستم تعلمون ان ربنا قيم على
كل شيء يحفظه ويرزقه قالوا بلى قال فهل يملك عيسى من ذلك شيئا قالوا لا قال الستم تعلمون ان الله لا يخفى عليه شيء
في الارض ولا في السماء قالوا بلى قال فهل يعلم عيسى من ذلك الا ما علم قالوا لا قال فان ربنا صور عيسى في الرحم كيف شاء
وربنا لا ياكل ولا يشرب ولا يحدث قالوا بلى قال الستم تعلمون ان عيسى حملته امه كما تحمل المراة ثم وضعته كما تضع المراة
ولدها ثم غذي كما يغذى الصبي ثم كان يطعم ويشرب ويحدث قالوا بلى قال فكيف يكون هذا كما زعمتم فسكتوا فانزل
الله عز وجل فيهم صدر سورة آل عمران الى بضع وثمانين آية المعنى ان الله سبحانه لما ختم سورة البقرة بذكر التوحيد والايمان
افتتح هذه السورة بالتوحيد والايمان ايضا فقال الم وقد ذكرنا الاختلاف فيه وفي معناه ومحله في اول السورة الله
لا اله الا هو الحي القيوم وقد ذكرنا ما فيه في تفسير آية الكرسي وروي عن ابن عباس انه قال الحي القيوم اسم الله الاعظم

وهو الذي رواية آصف بن برخيا صاحب سليمان ع في حمله عرش بلقيس من سبا الى سليمان قبل ان يرتد اليه طرفه نزل عليك يا محمد الكتاب يعني القرآن بالحق فيه قولان احدهما بالصدق في اخباره والثاني بالحق اي بما توجبه الحكمة من الارسال وهو حق من الوجهين مصدقا لما بين يديه اي لما قبله من كتاب ورسول عن مجاهد وقتاده والربيع وجميع المفسرين وانما قيل لما بين يديه لما قبله لانه ظاهر له كظهور الذي بين يديه وقيل في معنى مصدقا ههنا قولان احدهما ان معناه مصدق لما بين يديه وذلك لموافقته لما تقدم الخبر به وفيه دلالة على صحة نبوته من حيث لا يكون ذلك كذلك الا وهو من عند الله علام الغيوب والثاني ان معناه انه يخبر بصدق الانبياء وبما اتوا به من الكتب ولا يكون مصدقا للبعض ومكذبا للبعض وانزل التورية على موسى والانجيل على عيسى ع من قبل انزال القرآن هدى للناس مفعول له اي دلالة وبيانا قيل يعني به الكتب الثلثة اي ليهتدي اهل كل كتاب بكتابه واهل كل زمان بما انزل في زمانه وقيل ان هدى حال من الكتاب اي هاديا للناس وانزل الفرقان يعني به القرآن وانما كرر ذكره لما اختلفت دلالة صفاته وان كانت لموصوف واحد لان لكل صفة منها فائدة غير فائدة الاخرى فان الفرقان هو الذي يفرق بين الحق والباطل فيما يحتاج اليه من امور الدين في الحج وغيره من الاحكام وذلك كله في القرآن ووصفه بالكتاب يفيد ان من شانه ان يكتب وروي عن عبد الله بن سنان عن ابي عبد الله ع انه قال الفرقان هو كل آية محكمة في الكتاب وهو الذي يصدق فيه من كان قبله من الانبياء وقيل المراد به الحجة القاطعة لمحمد على من حاجه في امر عيسى وقيل المراد القرآن الذين كفروا بآيات الله اي بحجج دلالته لهم عذاب شديد بما بين بحجج الدالة على توحيده وصدق انبيائه اعقب ذلك بوعيد من خالف فيه وجحده ليتكامل به التكليف والله عزيز اي قادر لا يمكن احدا ان يمتنع عنه من عذاب من يريد عذابه واصل العز الامتناع ومنه ارض عزاز اي ممتنعة السلوك لصعوبتها ومنه يقال من عز بز اي من غلب سلب لان الغالب ممتنع على الخصم فالله سبحانه عزيز اي منيع من حيث انه قادر لنفسه لا يعجزه شيء ذو انتقام اي ذو قدرة على الانتقام من الكفار لا يتهيأ لاحد منعه والانتقام مجازاة للمسيء على اساءته ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء لما ذكر سبحانه الوعيد على الاخلال بمعرفته مع نصب الادلة على توحيده وصدق انبيائه اقتضى ان يذكر انه لا يخفى عليه شيء فيكون في ذلك تحذير من الاغترار بالاستسرار بمعصيته لان المجازي لا يخفى عليه خافية فان قيل لم لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء ولم يقل انه لا يخفى عليه شيء على وجه من الوجوه فيكون اشد مبالغة قلنا لان الغرض انما ان يعلمنا انه يعلم ما يستسر به في الارض او في السماء والافصاح بذكر ذلك اعظم في النفس واهول في الصدر مع الدلالة على انه عالم بكل شيء فان قيل لم يقل انه عالم بكل شيء في الارض والسماء قلنا لان الوصف بانه لا يخفى عليه شيء لانه عالم لنفسه فيجب ان يعلم كل ما يصح ان يكون معلوما وما يصح ان يكون معلوما لا نهاية له فلا يجوز عليه شيء بوجه من الوجوه قوله تعالى هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء لا اله الا هو العزيز الحكيم آية اللغة التصوير جعل الشيء على صورة لم يكن عليها والصورة هيئة يكون عليها الشيء بالتاليف واصلها من صاره يصوره اذا اماله لانها مائلة الى هيئة بالشبه لها والفرق بين الصورة والصيغة ان الصيغة عبارة عما وضع في اللغة ليدل على امر من الامور وليس كذلك الصورة لان دلالتها على جعل جاعل لها على بنيته والارحام جمع رحم واصله الرحمة وذلك لانهما يتراحمان ويتعاطفان يقولون وصلتك رحم والمشية هي الارادة الاعراب كيف في موضع نصب على المصدر تقديره اي نوع يشاء ان في موضع الحال من يصور اي يصوركم في الارحام شاءا مريدا اي نوع اراده المعنى هو الذي يصوركم اي يخلق صوركم في الارحام كيف يشاء على اي صورة شاء وعلى اي صفة شاء من ذكر او انثى او صبيح او دميم او طويل او قصير لا اله الا هو العزيز في سلطانه الحكيم في افعاله ودلت الآية على وحدانية الله سبحانه وكمال قدرته وتمام حكمته حيث صور الولد في رحم الام على هذه الصفة وركب فيه من انواع البدائع من غير آلة ولا كلفة وقد تقرر في عقل كل عاقل ان العالم لو اجتمعوا على ان يخلقوا من الماء

ويصوروا منه صورة في حال ما يشاهدونه ويصرفونه لم يقدروا على ذلك ولا وجدوا اليه سبيلا فكيف يقدرون على الخلق في الارحام فتبارك الله احسن الخالقين وهذا الاسناد لم يرو عن جعفر بن محمد ع قوله تعالى هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تاويله وما يعلم تاويله الا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا اولوا الالباب آية اللغة المحكم ماخوذ من قولك احكمت الشيء اذا اتقنته واحكمته وام الكتاب اصله ويقال لمعظم الجيش ام واصلها امهة ولذلك جمع امهات وقد يقال امات ايضا والمتشابه الذي يشبه بعضه بعضا فيغمض اخذ من الشبه لانه يشتبه به المراد والزيغ الميل وازاغه اماله والتزايغ التمايل في الاسنان والابتغاء الطلب والفتنة اصلها الاختبار من قولهم فتنت الذهب بالنار اي اختبرته وقيل معناه خلصته والتاويل التفسير واصله المرجع والمصير من قولهم آل امره الى كذا يؤول اولا اذا صار اليه واولته تاويلا اذا صيرته اليه قال الاعشى على انها كانت تاول حبها تاول ربعي السقاب فاصحبا اي كان حبها صغيرا فآل الى العظم كما آل السقب هو الصغير من اولاد النوق الى الكبر والراسخون الثابتون يقال رسخ رسوخا اذا ثبت في موضعه وارسخه غيره الاعراب منه آيات من جملة مبتدا وخبر في موضع النصب على الحال من انزل تقديره انزل الكتاب محكما ومتشابها هن ام الكتاب جملة في موضع الرفع لكونها من صفة لآيات واخر عطف على آيات وهو صفة مبتدا محذوف تقديره ومنه آيات اخر متشابهات ومتشابهات صفة بعد صفة واخر غير منصرف قال سيبويه ان اخر فارقت اخواتها والاصل الذي عليه بناء اخواتها لان اصلها ان يكون صفة بالالف واللام كما يقال الصغرى فلما عدل عن مجرى الالف واللام واصل افعل منك وهي مما لا تكون الا صفة منعت الصرف وقال الكسائي انما لم تنصرف لانه صفة وهذا غلط لان قولهم مالهم لبد وحطم ينصرفان مع كونهما صفة وابتغاء نصب لانه مفعول له في الموضعين وكل من عند ربنا مبتدا وخبر وهو اسم دال على المضاف اليه كثير في الكلام حذف المضاف اليه منه عند البصريين ولا يجرون اناكلا منها على الصفة واجاز الكوفيون لانه انما حذف عندهم لدلالته عليه اسما كان او صفة وانما بني قبل على الغاية ولم يبن كل وان حذف كل واحد منهما المضاف اليه لان قبل ظرف يعرف وينكر ففرق بين ذلك بالبناء الذي يدل على تعريفه بالمضاف اليه والاعراب الذي يدل على تنكيره بالانفصال وليس كذلك كل لانه معرفة في الافراد دون نكرة فاما ليس فيه فشبه بحسب ما فيه من معنى الغرض المعنى لما تقدم بيان انزال القرآن عقبه ببيان كيفية انزاله فقال هو الذي انزل عليك يا محمد الكتاب اي القرآن منه اي من الكتاب آيات محكمات هن ام الكتاب اي اصل الكتاب واخر متشابهات قيل في المحكم والمتشابه اقوال احدها ان المحكم ما علم المراد بظاهره من غير قرينة تقترن اليه ولا دلالة تدل على المراد به لوضوحه نحو قوله سبحانه ان الله لا يظلم الناس شيئا ولا يظلم مثقال ذرة ونحو ذلك مما لا يحتاج في معرفة المراد به الى دليل والمتشابه ما لا يعلم المراد بظاهره حتى يقترن به ما يدل على المراد منه لالتباسه نحو قوله واضله الله على علم فانه يفارق قوله واضلهم السامري لان اضلال السامري قبيح واضلال الله سبحانه حسن وهذا معنى قول مجاهد المحكم ما لم يشتبه معانيه والمتشابه ما اشتبهت معانيه وانما يقع الاشتباه في امور الدين كالتوحيد ونفي التشبيه والجور الا ترى ان قوله ثم استوى على العرش يحتمل في اللغة ان يكون كاستواء الجالس على سريره وان يكون بمعنى القهر والاستيلاء والوجه الاول لا يجوز عليه سبحانه وثانيها ان المحكم الناسخ والمتشابه المنسوخ عن ابن عباس وثالثها ان المحكم ما لا يحتمل من التاويل الا وجها واحدا والمتشابه ما يحتمل وجهين فصاعدا عن محمد بن جعفر بن الزبير وابي علي الجبائي ورابعها ان المحكم ما لم يتكرر الفاظه والمتشابه ما تكرر الفاظه كقصة موسى وغير ذلك عن ابي زيد وخامسها ان المحكم ما يعلم تعيين تاويله والمتشابه ما لا يعلم تعيين تاويله كقيام الساعة عن جابر بن عبد الله وانما وحد ام الكتاب ولم يقل هن امهات لوجهين احدهما انه على وجه الجواب

كانه قيل ما ام الكتاب فقال بين ام الكتاب كما يقال من نظير زيد فقال نحن نظيره والثاني ان الآيات كلها مجموعها اصل الكتاب وليست كل آية محكمة ام الكتاب واصله لانها تجري مجرى شيء واحد في البيان والحكمة ومثله قوله وجعلنا ابن مريم وامه آية ولم يقل آيتين لان شأنهما واحد في انها جاءت به من غير ذكر لم يكن الآية الا بهما ولو اراد ان كل واحد منهما آية على التفصيل لقال آيتين فاما الذين في قلوبهم زيغ اي ميل عن الحق وانما يحصل الزيغ بشك او جهل فيتبعون ما تشابه منه اي يحتجون على باطلهم ابتغاء الفتنة اي لطلب الضلال والاضلال او افساد الدين على الناس وقيل الطلب التلبيس على ضعفاء الخلق عن مجاهد وقيل الطلب شرف المال كما سمى الله سبحانه المال فتنة في مواضع من كتابه وقيل المراد بالفتنة هنا الكفر وهو المروي عن ابي عبد الله عليه السلم وقول الربيع والسدي وابتغاء تأويله وطلب تأويله على خلاف الحق وقيل لطلب مدة اكل محمد صلى الله عليه وآله من حساب الجمل وابتغاء عاقبته ويدل على ذلك قوله ذلك خير واحسن تأويلا اي عاقبة وقول العرب تأول الشيء اذا انتهى وقال الزجاج معنى ابتغائهم تأويله طلبوا تأويل بعثهم واحيائهم فاعلم الله ان ذلك لا يعلمه الا الله ويدل على ذلك قوله هل ينظرون الا تأويله واختلف في الذين عنوا بهذا فقيل عني به وفد نجران لما حاجوا النبي في امر عيسى عم وسألوه فقالوا اليس هو كلمة الله وروحا منه فقال بلى فقالوا حسبنا فانزل الله فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه يعني انهم قالوا ان الروح ما به البدن فاجروه على ظاهره والمسلمون يحملونه على ان بقاء الدين كان به كما ان بقاء البدن بالروح وقد قامت الدلالة على ان القديم سبحانه ليس بذي اجزاء واعضاء وانما يضاف الروح اليه تشريفا للروح كما يضاف البيت اليه ثم انزل ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب عن الربيع وقيل هم اليهود طلبوا علم اكل هذه الامة واستخراجه بحساب الجمل عن الكلبي وقيل هم المنافقون عن ابن جريج وقيل بل كل من احتج بالمتشابه لباطله فالآية فيه عامة كالحرورية والسبائية عن قتادة وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم اي الثابتون في العلم الضابطون له المتقنون فيه واختلف في نظمه وحكمه على قولين احدهما ان الراسخين معطوف على الله بالواو على معنى ان معنى المتشابه لا يعلمه الا الله والراسخون في العلم فانهم يعلمونه ويقولون على هذا في موضع نصب على الحال وتقديره قائلين آمنا به كل من عند ربنا كقول ابن المفرغ الحميري الريح تبكي شجوه والبرق يلمع في غمامه اي والبرق ايضا لامعا في غمامه وهذا قول ابن عباس ومجاهد والربيع ومحمد بن جعفر بن الزبير واختيار ابي مسلم وهو المروي عن ابي جعفر عم فانه قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله افضل الراسخين في العلم قد علم جميع ما انزل الله عليه من التنزيل والتأويل وما كان الله لينزل عليه شيئا لم يعلمه تأويله وهو واوصياؤه من بعده يعلمونه كله ومما يؤيد هذا القول ان الصحابة والتابعين اجمعوا على تفسير جميع آي القرآن ولم نرهم توقفوا على شيء منه فلم يفسروه بان قالوا هذا متشابه لا يعلمه الا الله وكان ابن عباس يقول في هذه الآية انا من الراسخين في العلم والقول الآخر ان الواو في قوله والراسخون في العلم واو الاستيناف فعلى هذا القول يكون تأويل المتشابه لا يعلمه الا الله تعالى والوقف عند قوله وما يعلم تأويله الا الله ويبتدئ والراسخون في العلم يقولون آمنا به فيكون مبتدأ وخبرا وهذا قول عائشة وعروة بن الزبير والحسن ومالك واختيار الكسائي والفراء والجبائي قالوا ان الراسخين لا يعلمون تأويله ولكنهم يؤمنون به والآية راجعة على هذا التأويل الى العلم بمدة اكل هذه الامة ووقت قيام الساعة وفناء الدنيا ووقت طلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى عم وخروج الدجال ونحو ذلك مما استأثر الله بعلمه ويكون التأويل على هذا القول بمعنى المتأول كقوله هل ينظرون الا تأويله يوم يأتي تأويله بمعنى الموعود وقوله كل من عند ربنا معناه المحكم والمتشابه جميعا من عند ربنا وما يذكر اي ما يتفكر في آيات الله ولا يرد المتشابه الى المحكم الا اولوا الالباب اي ذوو العقول فان قيل لم انزل الله سبحانه في القرآن المتشابه وهلا جعله كله محكما فالجواب

لو جعل كله محكما لاتكل الناس كلهم على الخبر واستغنوا عن النظر ولكان لا يتبين فضل العلماء على غيرهم ولكان لا يحصل لهم ثواب النظر واتعاب الخاطر في استنباط المعاني وقال القاضي الماوردي قد وصف الله سبحانه جميع القرآن بانه محكم بقوله الر كتاب احكمت آياته ووصف جميعه بانه متشابه بقوله الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها فمعنى الاحكام الاتقان والمنع اي هو ممنوع باتقانه واحكام معانيه عن اعتراض خلل فيه فالقرآن كله محكم من هذا الوجه وقوله متشابها اي يشبه بعضه بعضا في الحسن والصدق والصواب والبعد عن الخلل والتناقض فهو كله متشابه من هذا الوجه قوله عز وجل ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه ان الله لا يخلف الميعاد آيتان اللغة الهبة تمليك الشيء من غير مثامنة والهبة والعطية والصلة نظائر ولدن خمس لغات لدن ولدن بضم اللام والدال ولدن بفتح اللام والدال ولدن بسكون الدال وفتح اللام وكسر النون ولد بحذف النون والميعاد بمعنى الوعد كما ان الميقات بمعنى الوقت الاعراب اللام في قوله ليوم لا ريب فيه معناه في يوم وانما جاز ذلك لما دخل الكلام من اللام فان تقديره جامع الناس للجزاء في يوم لا ريب فيه فلما حذف لفظ الجزاء دخلت على ما يليه فاغنت عن في لان حروف الاضافة متواخية لما يجمعها من معنى الاضافة وقد كان يجوز فتح ان في قوله ان الله لا يخلف على تقدير جامع الناس ليوم لا ريب فيه لان الله لا يخلف الميعاد ولم يقرأ به المعنى ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا هذه حكاية عن قول الراسخين في العلم الذين ذكرهم الله في الآية الاولى وذكر في تأويله وجوه احدها ان معناه لا تمنعنا لطفك الذي معه تستقيم القلوب فتميل قلوبنا عن الايمان بعد اذ وفقتنا بالطافك حتى اهتدينا اليه وهذا دعاء بالتثبيت على الهداية والامداد بالالطاف والتوفيقات ويجري مجرى قولهم اللهم لا تسلط علينا من لا يرحمنا ومعناه لا تخل بيننا وبين من لا يرحمنا فيسلط علينا فكأنهم قالوا لا تخل بيننا وبين نفوسنا بمنعك التوفيق والالطاف عنا فنزيغ ونضل وانما منع ذلك بسبب ما يكسبه العبد من المعصية ويفرط فيه من التوبة كما قال فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم وثانيها ان معناه لا تكلفنا من الشدائد ما يصعب علينا فعله وتركه فتزيغ قلوبنا بعد الهداية ونظيره فلما كتب عليهم كما قال سبحانه فزادتهم رجسا الى رجسهم ولا تزدهم دعائي الا فرارا وثالثها ما قال ابو علي الجبائي ان المراد لا تزغ قلوبنا عن ثوابك ورحمتك وهو ما ذكره الله تعالى من الشرح والسعة بقوله يشرح صدره للاسلام وذكر ان ضد هذا الشرح هو الضيق والحرج اللذان يفعلان بالكفار عقوبة ومن ذلك التطهير الذي يفعل في قلوب المؤمنين ويمنعه الكافرين كما قال اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم ومن ذلك كتابة الايمان في قلوب المؤمنين كما قال اولئك كتب في قلوبهم الايمان وضد هذه الكتابة هي سمات الكفر التي في قلوب الكافرين فكأنهم سألوا الله تعالى ان لا يزيغ قلوبهم عن هذا الثواب الى ضده من العقاب ورابعها ان الآية محمولة على الدعاء بان لا يزيغ القلوب عن اليقين والايمان ولا يقتضي ذلك انه تعالى سئل عما لولا المسألة لجاز ان يفعله لانه غير ممتنع ان يدعوه على سبيل الانقطاع اليه والافتقار الى ما عنده بان يفعل ما يعلم انه يفعله وبان لا يفعل ما يعلم انه واجب ان لا يفعله اذا تعلق بذلك ضرب من المصلحة كما قال سبحانه قل رب احكم بالحق ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك وقال حاكيا عن ابراهيم عم ولا تخزني يوم يبعثون فان قيل هلا جاز على ان يقولوا ربنا لا تظلمنا ولا تجر علينا فالجواب انا لم نجز ذلك لان فيه تسخطا من السائل فانما يتملق لك ممن جرت عادته بالجور والظلم وليس كذلك ما نحن فيه وهب لنا من لدنك رحمة اي من عندك لطفا نتوصل به الى الثبات على الايمان اذ لا نتوصل به الى الثبات على الايمان الا بلطفك كما لا يتوصل الى ابتدائه الا به لك وقيل نعمة انك انت الوهاب المعطي للنعمة الذي شأنه الهبة والعطية ربنا اي يقولون يا سيدنا وخالقنا انك جامع الناس للجزاء في يوم لا ريب فيه اي ليس فيه موضع ريب وشك لوقوعه وهذا متضمن اقرارهم

بالبعث ان الله لا يخلف الميعاد اى لا يخلف الوعد وقيل هو متصل بما قبله من دعاء الراسخين فى العلم وان خالف
آخر الكلام اوله فى الخطاب والغيبة فيكون مثل قوله حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم وتقديره فاغفر لنا انك
لا تخلف الميعاد لما وعدته وقيل انه على الاستيناف وهو اختيار الجبائى فيكون اخبارا عن الله عز وجل قوله عز وجل ان
الذين كفروا لن تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا واولئك هم وقود النار آية اللغة الوقود الحطب
والوقود ايقاد النار المعنى ثم عقب سبحانه حال الذين فى قلوبهم زيغ فقال ان الذين كفروا بآيات الله ورسله
لن تغنى عنهم اى لن تدفع عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا قال ابو عبيدة من هنا بمعنى عند وقال المبرد هى
على اصلها لابتداء الغاية وتقديره لن تغنى عنهم غناء ابتداء وانتهاء وقيل معناه من عذاب الله شيئا واولئك
هم وقود النار اى حطب النار تتقد النار باجسامهم كما قال فى موضع آخر حصب جهنم قوله تعالى كداب آل فرعون
والذين من قبلهم كذبوا بآياتنا فاخذهم الله بذنوبهم والله شديد العقاب آية اللغة الداب العادة
يقال داب يداب دابا ودابا اذا اعتاد الشئ وتمرن عليه والداب الاجتهاد يقال داب فى كذا دابا ودءوبا
اذا اجتهد فيه وبالغ ونقل من هذا الى العادة لانه بالغ فيه حتى صار عادة له قال زهير لا رحلى بالحجر بعد
ابن الى الليل الا ان يعرج طفل والذنب والجرم واحد ويقال اذنب فهو مذنب والذنب التلو للشئ يقال ذنبه
يذنبه اذا تلاه والذنوب الدلو لانها تالية للحبل فى الجذب والذنوب النصيب لانه كالدلو فى الانعام والذنوب
الفرس الوافر شعر الذنب واصل الباب التلو فالذنب الجرم لما يتلوه من استحقاق الذم كما ان العقاب سمى بذلك
لانه يستحق عقيب الذنب الاعراب والكاف فى قوله كداب متصلة بمحذوف وتقديره عادتهم كعادة آل فرعون فيكون
الكاف فى موضع رفع بانها خبر المبتدا ولا يجوز ان يعمل فيها كفروا لان صلة الذين قد انقطعت بالخبر ويجوز
ان يكون فى موضع نصب بوقود النار لان فيه معنى الفعل على تقدير تتقد النار باجسامهم كما تتقد باجسام آل فرعون
كذبوا جملة فى موضع الحال والعامل فيه المعنى فى داب آل فرعون وقد مقدرة المعنى عادة هؤلاء الكفار فى التكذيب
بك وبما انزل اليك كداب آل فرعون اى كعادة آل فرعون فى التكذيب برسولهم وبما انزل اليه عن ابن عباس وعكرمة
ومجاهد والضحاك والسدى وقيل معناه اجتهاد هؤلاء الكفار فى قتالك وابطال امرك كاجتهاد آل فرعون
فى قهر موسى عن الاصم والزجاج وقيل كعادة الله فى آل فرعون فى انزال العذاب بهم بما سلف من اجرامهم وقيل
آل فرعون واشباههم عن الاخفش وقيل كحال آل فرعون عن قطرب والذين من قبلهم يعنى كفار الامم الماضية كذبوا
بآياتنا فاخذهم الله بذنوبهم اى لما عاقبهم الله بذنوبهم وسمى المعاقبة مواخذة لانها اخذ بالذنب
والاخذ بالذنب عقوبتها والله شديد العقاب قوله تعالى قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس
المهاد آية القراءة قرا اهل الكوفة غير عاصم سيغلبون ويحشرون بالياء فيهما والباقون بالتاء الحجة من اختار التاء فلقوله
قد كان لكم آية فاجرى الجميع على الخطاب ومن اختار الياء فللتصرف فى الكلام والانتقال من الخطاب المواجه الى الخبر بلفظ الغائب
ويقويه قوله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف ثم قل للذين آمنوا اغفروا وقيل ان الخطاب لليهود والضمير
فى سيغلبون للمشركين لان اليهود اظهروا السرور بما كان من المشركين يوم احد فعلى هذا لا يكون الا بالياء لان
المشركين غيب اللغة الحشر الجمع مع سوق ومنه قيل للنبى صلى الله عليه وآله الحاشر يحشر الناس على قدميه كانه تقدمهم
خلفه لانه آخر الانبياء فيحشر الناس فى زمانه وملته وجهنم اسم من اسماء النار وقيل اخذ من الجهام وهو البئر البعيدة
القعر المهاد الفراش وهو الموضع الذى يمهد فيه اى يوطا للنوم فيه مثل الفراش النزول روى محمد بن اسحق بن يسار عن رجاله
ان لما اصاب رسول الله صلى الله عليه وآله قريشا ببدر وقدم المدينة جمع اليهود فى سوق قينقاع فقال يا معشر اليهود
احذروا من الله مثل ما نزل بقريش يوم بدر واسلموا قبل ان ينزل بكم ما نزل بهم فقد عرفتم انى نبى مرسل تجدون ذلك

فى كتابكم فقالوا يا محمد لا يغرنك انك لقيت قوما اغمارا لا علم لهم بالحرب فاصبت منهم فرصة انا والله لو قاتلناك لعرفت
انا نحن الناس فانزل الله هذه الآية وروى ايضا عن عكرمة وسعيد بن جبير عن ابن عباس ورواه اصحابنا ايضا وقيل
نزلت فى مشركى مكة ستغلبون يوم بدر عن مقاتل وقيل بل نزلت فى اليهود لما قتل الكفار ببدر وهزموا قالت اليهود
انه النبى الامى الذى بشرنا به موسى ونجده فى كتابنا بنعته وصفته وانه لا ترد له راية ثم قال بعضهم لبعض لا تعجلوا حتى تنظروا
الى وقعة اخرى فلما كان يوم احد ونكب اصحابه رسول الله شكوا وقالوا لا والله ما هو هذا فغلب عليهم الشقاء فلم
يسلموا وقد كان بينهم وبين رسول الله عهد الى مدة لم تنقض فنقضوا ذلك العهد قبل اجله وانطلق كعب بن الاشرف
الى مكة فى ستين راكبا فوافقوهم واجمعوا امرهم على رسول الله صلى الله عليه وآله لتكونن كلمتنا واحدة ثم رجعوا
الى المدينة فانزل الله فيهم هذه الآية عن الكلبى عن ابى صالح عن ابن عباس المعنى لما تقدم ذكر ما اصاب القرون
الخالية بالتكذيب للرسل من العذاب حذر هؤلاء ان يحل بهم كما حل باولئك فقال سبحانه قل للذين كفروا اما
مشركى مكة او اليهود على ما تقدم ذكره ستغلبون اى ستهزمون وتصيرون مغلوبين فى الدنيا وتحشرون اى تجمعون
الى جهنم فى الآخرة وقد فعل الله ذلك بالفريقين فاليهود غلبوا بوضع الجزية عليهم والمشركون غلبوا بالسيف واذا قرئ
سيغلبون بالياء فقد يمكن ان يكونوا اياهم قال الفراء تقول قل لعبد الله انه قائم وانك قائم واذا قرئ بالتاء
فلا يجوز الا ان يكون هذا فلا يكونون غير المخاطبين وبئس المهاد اى بئس ما مهد لكم وبئس ما مهدتم لانفسكم عن ابن
عباس وقيل معناه بئس القرار عن الحسن وقيل بئس الفراش الممهد لهم وفى الآية دلالة على صحة نبوة نبينا صلى الله عليه
وآله لان مخبره قد خرج على وفق خبره فدل ذلك على صدقه ولا يكون ذلك على وجه الاتفاق لانه بين اخبار كثيرة
من الاستقبال فخرج الجميع كما قال فكان الكل واحد منها كان معجزا اذ الله لا يطلع على غيبه الا من ارتضى من رسول
فكذلك هذه الآية واذا ثبت صدقه على احد الخبرين وهو انهم سيغلبون ثبت صدقه فى الخبر الآخر وهو انهم يحشرون
الى جهنم قوله عز وجل قد كان لكم آية فى فئتين التقتا فئة تقاتل فى سبيل الله واخرى كافرة يرونهم مثليهم راى
العين والله يؤيد بنصره من يشاء ان فى ذلك لعبرة لاولى الابصار آية القراءة قرا اهل المدينة والبصرة
عن ابى عمرو وعاصم بالتاء والباقون بالياء وروى فى الشواذ عن ابن عباس يرونهم بضم الياء الحجة قال ابو على
من قرا يرونهم بالياء فلان قبله خطاب غيبة وهو قوله فئة تقاتل فى سبيل الله واخرى كافرة يرونهم اى يرى
الفئة المقاتلة فى سبيل الله الفئة الكافرة مثليهم ومما يقوى الياء قوله مثليهم ولو كان على التاء لكان مثليكم
وان كان قد جاء وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فاولئك هم المضعفون ورايت ههنا هى المتعدية الى مفعول
واحد يدلك على ذلك تقييده براى العين واذا كان كذلك كان انتصاب مثليهم على الحال لا على انه مفعول
ثان فاما مثل فقد تفرد فى موضع التثنية والجمع من الافراد فى التثنية قوله وسامعين مثل زيد وجعل من قراه
على الجمع قوله انكم اذا مثلهم ومن جمعه قوله ثم لا يكونوا امثالكم ومن قرا ترونهم فللخطاب الذى قبله وهو قوله قد كان
لكم آية ترونهم مثليهم فالضمير فى ترونهم للمسلمين والضمير المنصوب للمشركين اى ترون ايها المسلمون المشركين مثلى المسلمين
واما قراءة ابن عباس يرونهم فوجهه ما قال ابن جنى ان اريت واراه اقوى فى اليقين من رايت واراه ان سيكون كذا
اى هذا غالب ظنى وارى ان سيكون كذا اى اعلمه واتحققه اللغة قد ذكرنا معنى الفئة عند قوله كم من فئة قليلة
غلبت فئة كثيرة والالتقاء والتلاقى والاجتماع واحد والايد القوة ومنه قوله داود ذا الايد اى ذا القوة ايده الله
ايدا اى قواه ويقال ايده تاييدا بمعناه والعبرة الآية يقال اعتبرت بالشئ عبرة واعتبارا والعبور النفوذ من احد
الجانبين الى الآخر وسميت الآية عبرة لانه يعبر بها من منزل العلم الى منزل الجهل والمعتبر بالشئ تارك جهله وواصل
الى علمه بما راى والعبارة الكلام يعبر بالمعنى الى المخاطب والعبارة تفسير الرؤيا والتعبير وزن الدنانير وغيره والعبرة الدمعة

واصل الباب النفود الاعراب قوله فيه يحتمل ثلثة اوجه من الاعراب الرفع على الاستيناف فتقديره منهم فئة كذا
واخرى كذا والجر على البدل والنصب على الحال كقول كثير وكنت كذى رجلين رجل صحيحة ورجل رمى فيها الزمان
فشلت انشده بالرفع والجر وقال ابو مفرغ وكنت كذى رجلين رجل صحيحة ورجل رماها صائب الحدثان فاما التي
صحت فازد شنوءة واما التي شلت فازد عمان قال آخر اذا مت كان الناس نصفان شامت وآخر مثن بالذي كنت اصنع
ولا يجوز ان يقول مررت بثلثة صريع وجريح بالجر لانه لم يستوف العدة ويجوز بالرفع على تقدير منهم صريع ومنهم
جريح فان قلت مررت بثلثة صريع وجريح وسليم جاز الرفع والجر فان اردت فيه اقتلوا جاز الاوجه الثلثة
في القراءة بالرفع لا غير وقوله راى العين يجوز ان يكون مصدر الرؤية والعين في موضع الرفع لانه الفاعل ويجوز
ان يكون ظرفا للمكان كما تقول يرونهم امامكم النزول نزلت الآية في قصة بدر وكان المسلمون ثلثمائة وثلثة
عشر رجلا على عدة اصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر سبعة وسبعون رجلا من المهاجرين ومائتان وستة
وثلثون رجلا من الانصار وكان صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وآله والمهاجرين علي بن ابي طالب وصاحب
راية الانصار سعد بن عبادة وكانت الابل في جيش رسول الله صلعم سبعين بعيرا والخيل فرسين فرس للمقداد
بن عمرو وفرس لمرثد بن ابي مرثد وكان معهم من السلاح ستة ادرع وثمانية سيوف وجميع من استشهد يومئذ
اربعة عشر رجلا من المهاجرين ستة وثمانية من الانصار واختلف في عدة المشركين فروي عن علي عليه السلم وابن مسعود
انهم كانوا الفا وعن قتادة وعروة بن الزبير والربيع كانوا من تسعمائة الى الف وكانت خيلهم مائة فرس وراسهم
عتبة بن ربيعة بن عبد شمس وكان حرب بدر اول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وآله وكان سبب ذلك
عير ابي سفيان المعنى لما وعد الله سبحانه الظفر لاهل الايمان بين ما فعله يوم بدر باهل الكفر والعصيان فقال
قد كان لكم آية قيل الخطاب لليهود الذين نقضوا العهد اي كان لكم ايها اليهود دلالة ظاهرة وقيل الخطاب
للناس جميعا ممن حضر الوقعة من المؤمنين والمشركين واليهود آية اي حجة وعلامة ومعجزة دالة على صدق محمد صلى الله عليه
وآله في فئتين التقتا اي فرقتين اجتمعا ببدر المسلمون والكافرون فئة فرقة تقاتل تحارب في سبيل الله في دينه
وطاعته وهم الرسول واصحابه واخرى اي فرقة اخرى كافرة وهم المشركون من اهل مكة يرونهم مثليهم اي ضعفيهم
راى العين في ظاهر العين واختلف في معناه فقيل معناه يرى المسلمون المشركين مثل عددهم فقللهم الله في
اعينهم حتى راوهم ستمائة وستة وعشرين رجلا تقوية لقلوبهم وذلك ان المسلمين قد قيل لهم فان يكن منكم مائة
صابرة يغلبوا مائتين فاراهم الله عددهم حسب ما حد لهم من العدد الذي يلزمهم ان يقدموا عليهم ولا يحجموا عنهم
وقد كانوا ثلثة امثالهم ثم ظهر العدد القليل على العدد الكثير عن ابن مسعود وجماعة من العلماء وقيل ان الرؤية
للمشركين يعني يرى المشركون المسلمين ضعف ما هم عليه فان الله تعالى قلل المسلمين في اعينهم ليجترؤوا عليهم
ولا ينصرفوا فلما اخذوا في القتال كثرهم في اعينهم ليجبنوا وقلل المشركين في اعين المسلمين ليجترؤوا عليهم وتصديق ذلك
واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا الآية وذلك احسن اسباب النصر للمؤمنين واوكد لان للكافرين وهذا
قول السدي وانما يانى هذا القول على قراءة من قرا بالياء واما قول من قرا بالتاء فلا يحتمل الا القول
الاول على ان يكون الخطاب لليهود الذين لم يحضروا وهم المعنيون بقوله قل للذين كفروا ستغلبون وهم يهود
بني قينقاع قال فكانه ترون ايها اليهود المشركين مثلي المسلمين مع ان الله اظفرهم عليهم فلا تغتروا بكثرتكم واختار
البلخي هذا الوجه او يكون الخطاب للمسلمين الذين حضروا الوقعة اي ترون ايها المسلمون المشركين مثلي المسلمين
وقال الفراء يحتمل قوله يرونهم مثليهم يعني ثلثة امثالهم لانك اذا قلت عندي الف واحتاج الى مثليها فانت محتاج
الى الفين لانك تريد احتاج الى مثليها مضافا اليها لا بمعنى بدلا منها فكانك قلت احتاج الى مثليها واذا قلت احتاج

الى مثليها فانت محتاج الى ثلثة آلاف فكذلك في الآية المعنى يرونهم مثليهم مضافا اليهم فذلك ثلثة امثالهم قال المحققون انما
كان من جهة غلبة القليل للكثير وانكر هذا الوجه الزجاج لمخالفته لظاهر الكلام وما جاء في آية الانفال من تقليل الاعداد
فان قيل كيف يصح تقليل الاعداد مع حصول الرؤية وارتفاع الموانع وهل هذا الا قول من جوز ان يكون عنده اجسام
لا يدركها او يدرك بعضها دون بعض قلنا يحتمل ان يكون التقليل في اعين المؤمنين بان يظنونهم قليلي العدد لانهم ادركوا
بعضهم دون بعض لان العلم بما يدركه الانسان جملة غير العلم بما يدركه مفصلا ولهذا قد يدرك جمعا عظيما باسرهم ويشك
في اعدادهم حتى يقع الخلاف في حزر عددهم فعلى هذا الوجه يكون تقليل الاعداد وقوله والله يؤيد بنصره من يشاء النصر من الله
سبحانه على الاعداء يكون على وجهين نصر بالغلبة ونصر بالحجة والنصر بالغلبة انما كان بتغليب العدد القليل للعدد
الكثير على خلاف مجرى العادة وبما امدهم الله به من الملائكة وقوى به نفوسهم من تقليل العدة والنصر بالحجة
هو وعده المتقدم بالغلبة لاحدى الطائفتين لا محالة وهذا مما لا يعلمه الا علام الغيوب ان في ذلك اي في ظهور
المسلمين مع قلتهم على المشركين مع كثرتهم وتقليل المشركين في اعين المسلمين وتكثير المسلمين في اعين المشركين لعبرة
لاولي الابصار اي لذوي العقول كما يقال لفلان بصر بالامور ولا يراد به الابصار بالحواس التي يشرك به سائر الحيوان
قوله تعالى زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل
المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحيوة الدنيا والله عنده حسن المآب آية اللغة الشهوات جمع شهوة وهي
توقان النفس الى المشتهى يقال اشتهى يشتهي شهوة واشتهاء والشهوة من فعل الله تعالى لا يقدر عليها احد من
البشر وهي ضرورية فينا لا يمكننا دفعها عن نفوسنا والقناطير جمع قنطار وهو المال الكثير العظيم ماخوذ
من الاحكام يقال قنطرت الشيء احكمته والقنطرة الداهية وقيل اصله من القنطرة وهو البناء المعقود للعبور والمقنطرة
المحصلة قناطير كقولهم دراهم مدرهمة اي مجعولة لذلك تاتي مدبرة وقيل انما ذكروا المقنطرة للتاكيد وقد
يؤتى بالمفعول والفاعل تاكيدا فالمفعول مثل قولهم حجرا محجورا ونسيا منسيا والفاعل كقولهم شعر شاعر وموت
مائت والمراد بالجمع المبالغة والتاكيد وسميت الخيل خيلا لاختيالها في مشيها والاختيال من التخيل لانه
يتخيل به صاحبه في صورة من هو اعظم منه كبرا والمسومة من قولهم اسمت الماشية وسومتها اذا رعيتها وقيل اصله
الحسن والسيماء بمعناه في كلام ومنه الله بالحسن بامضاء السيماء لا يشق على البصر والسيماء العلامة وهو اصل
الباب والمآب المرجع من الاوب وهو الرجوع المعنى ثم اخبر الله سبحانه عما جرى به عن السبيل التي دعا الناس الى
الله وليس الحق والهدى والركون الى الدنيا فقال زين للناس حب الشهوات اي حب المشتهيات ولم يرد
نفس الشهوة ولهذا فسرها بالنساء والبنين وغيرهما ثم اختلف فيمن زينها لهم فقيل زينها الشيطان عن الحسن
قال والله ما احد اذم لها ممن خلقها وقيل زينها الله تعالى لهم بما جعل في الطباع من الميل اليها وبما خلق
فيها من الزينة محنة وتشديدا للتكليف كما قال انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا وقيل
زين الله سبحانه ما يحسن منه وزين الشيطان ما يقبح عن ابي علي الجبائي ثم قدم سبحانه ذكر النساء فقال من النساء
لان الفتنة بهن اعظم وقال النبي صلعم ما تركت بعدي فتنة اضر على الرجال من النساء وقيل النساء حبائل الشيطان وقال
امير المؤمنين عليه السلم المراة شر كلها وشر ما فيها انه لا بد منها وهي عقرب حلوة اللسبة ثم قال والبنين لان حبهم
يدعو الى جمع الحرام وروي ان النبي صلى الله عليه وآله قال للاشعث بن قيس هل لك من ابنة حمزة من ولد قال نعم لي منها غلام
ولوددت ان لي به جفنة من الطعام اطعمها من بقي من بني جبلة فقال النبي لئن قلت ذلك انهم لثمرة القلوب
وقرة الاعين انهم مع ذلك لمجبنة مبخلة محزنة والقناطير جمع قنطار واختلف في مقداره فقيل الف ومائتا اوقية عن
معاذ بن جبل وابي بن كعب وعبد الله بن عمر وقيل الف ومائتا مثقال عن ابن عباس والحسن والضحاك وقيل الف دينار

او اثنا عشر الف درهم عن الحسن بخلاف وقيل ثمانون الفا من الدراهم او مائة رطل عن قتاده وقيل سبعون الف
دينار عن مجاهد وعطاء وقيل هو ملء مسك ثور ذهبا عن ابي نضرة وبه قال الفراء وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله
عليهما السلم والمقنطرة المضاعفة عن قتاده وقيل هي تسعة قناطير عن الفراء وقيل هي الاموال المنضدة بعضها فوق
بعض عن الضحاك وقيل الكاملة المجتمعة وقيل هو من الذهب والفضة عن الزجاج والاصح قول من قال انه من الذهب
خاصة لان الله تعالى ذكر القنطار فيهما جميعا وجمع الانواع يرجع الى الكثرة والخيل المسومة قيل معناه والافراس الراعية
عن سعيد بن جبير وابن عباس والحسن والربيع وقيل هي الحسنة من السماء وهو الحسن عن مجاهد وعكرمة والسدي وقيل
هي المعلمة عن قتاده وفي رواية عن ابن عباس وقيل هي المعدة للجهاد عن ابن زيد والانعام وهي جمع النعم هي الابل والبقر
والغنم من الضان والمعز ولا يقال للجنس منفردا على الانفراد نعم الا للابل خاصة لانها تعلو عليه جملة وتفصيلا والحرث
معناه الزرع هذه كلها محببة الى الناس كما ذكر الله سبحانه ثم بين ان ذلك كله مما يتمتع به في الحيوة ثم يزول عن صاحبه
والمرجع الى الله سبحانه فاحذر بالانسان ان يزهد فيه ويرغب فيما عند ربه فقال ذلك متاع الحيوة الدنيا يعني كل
ما سبق ذكره به في الحيوة الدنيا ثم يفنى والله عنده حسن المآب اي حسن المرجع والمآب مصدر بمعنى موضع الاياب قوله
تعالى قل اؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وازواج
مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد آية القراءة قرا ابو بكر عن عاصم ورضوان بضم الراء كل القران والباقون
بكسر الراء الحجة الرضوان مصدر فمن كسر جعله كالرعيان والحرمان ومن ضم جعله كالرجحان والسكران والكفران
الاعراب معنى الاستفهام في اؤنبئكم عند قوله عند ربهم ثم استانف جنات على تقدير الجواب كانه قيل ما ذلك الخير فقال
هو جنات وقيل معنى الاستفهام عند قوله بخير من ذلكم ثم ابتدا فقال للذين اتقوا عند ربهم جنات ويجوز في العربية
في اعراب جنات الرفع والجر فالجر على ان يكون اخر الكلام عند ربهم ولا يجوز الجر على الوجه الاخر للفصل باللام كما
لا يجوز امرت لك بالفين ولا يحسن حتى يقول بمائتين ولو قدمت فقلت وبمائتين لاخيك جاز وخالدين نصب
على الحال المعنى لما صغر سبحانه متاع الدنيا وزهد فيها في الاية الاولى عظم الاخرة وشوق فيها ورغب فيها في هذه
الاية فقال قل يا محمد لامتك اؤنبئكم اخبركم بخير من ذلكم بانفع لكم مما سبق ذكره في الاية المتقدمة من شهوات
الدنيا ولذاتها وزهراتها للذين اتقوا ما حرم الله عليهم عند ربهم جنات تجري من تحتها اي من تحت اشجارها
الانهار وعلى القول الاخر احكم خبركم لا بخير مما سبق للذين اتقوا عند ربهم ثم ابتدا فقال جنات اي لكم جنات
جنات تجري من تحت اشجارها الانهار وبين الله سبحانه بهذا ان انهار الجنة جارية ابدا ليست كانهار الدنيا التي
تجري مياهها تارة وتنقطع اخرى خالدين فيها اي مقيمين في تلك الجنات وازواج مطهرة من الحيض والنفاس و
وجميع الاقذار والادناس والطباع الذميمة والاخلاق اللئيمة ورضوان من الله والله بصير بالعباد اي خبير باعمالهم
واحوالهم قوله تعالى الذين يقولون ربنا اننا امنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار الصابرين والصادقين
والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار آية اللغة المغفرة هي الستر للذنب برفع العقوبة والذنب والجرم
بمعنى واحد والفرق بينهما ان اصل الذنب الاتباع فهو ما يتبع عليه العبد من قبيح عمله كالتبعة والجرم اصله القطع
فهو القبيح الذي ينقطع به عن الواجب والفرق بين القول والكلام ان القول فيه معنى الحكاية وليس كذلك الكلام والصابر
الحابس نفسه عن جميع معاصي الله والمقيم على ما وجب عليه من العبادات والصادق المخبر بالشيء على ما هو به والقانت
المطيع والاسحار جمع سحر وهو الوقت الذي قبيل طلوع الفجر واصله الخفاء لخفاء الشخص في ذلك الوقت
والسحر ايضا لخفاء سببه والسحر الرية لخفائها موضعها الاعراب يجوز في موضع الذين الجر والرفع والنصب فالجر الاتباع
للذين اتقوا والرفع والنصب على المدح الصابرين نصب على المدح وكذلك باقي الصفات ويجوز ان يكون جر على الصفة

الذين اتقوا المعنى ثم وصف المتقين الذين سبق ذكرهم في قوله للذين اتقوا فقال الذين يقولون اي المتقين
القائلين ربنا اننا امنا اي صدقنا الله ورسوله فاغفر لنا ذنوبنا اي استرها علينا وتجاوز عنها وقنا اي وارفع
عنا عذاب النار ثم وصفهم بصفات اخرى مدحهم واثنى عليهم فقال الصابرين على فعل ما امرهم الله تعالى وترك ما نهاهم
عنه وان شئت قلت الصابرين على الطاعة وعن المعصية والصادقين في ايمانهم واقوالهم والقانتين قيل المطيعين
عن قتاده وقيل الدائمين على العبادة عن الزجاج وقيل القائمين بالواجبات عن القاضي والمنفقين اموالهم في
سبيل الخير ويدخل فيه الزكوة المفروضة والتطوع بالانفاق والمستغفرين بالاسحار المصلين وقت السحر عن قتاده
ورواه الرضا عليه السلم وقيل السائلين المغفرة وقت السحر عن انس وقيل المصلين صلوة الصبح في جماعة عن زيد بن
اسلم وقيل الذين ينتهي صلوتهم الى وقت السحر ثم يستغفرون ويدعون عن الحسن وروي عن ابي عبد الله ع ان
من استغفر الله سبعين مرة في وقت السحر فهو من اهل هذه الاية وروى انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه واله
قال ان الله عز وجل يقول اني لاهم باهل الارض عذابا فاذا نظرت الى عمار بيوتي والى المتهجدين في والى المستغفرين
بالاسحار صرفت عنهم قوله تعالى شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو
العزيز الحكيم ان الدين عند الله الاسلام وما اختلف الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم
بغيا بينهم ومن يكفر بايات الله فان الله سريع الحساب آية القراءة قرا الكسائي ان الدين بفتح الالف والباقون
بالكسر قال الزجاج وروي عن ابن عباس شهد الله انه لا اله الا هو بكسر الالف والقراءة بالفتح الحجة قال ابو علي الوجه الكسر
في ان لان الكلام الذي قبله قد تم ومن فتح ان جعله بدلا والبدل ان كان فيه حالتين فان العامل
[illegible] اشبه الصفة فاذا جعلته بدلا جاز ان يبدل من شيئين احدهما من قوله انه لا اله الا هو فكان التقدير
شهد الله ان الدين عند الله الاسلام فيكون البدل من الضرب الذي الشيء فيه هو هو وان شئت جعلته
من بدل الاشتمال لان الاسلام يشتمل على التوحيد والعدل وان شئت جعلته من القسط لان الدين الذي
هو الاسلام قسط وعدل فيكون من البدل الذي الشيء فيه هو هو وقال غيره ان الاولى والثانية يجوز في العربية
فتحهما جميعا وكسرهما جميعا وفتح الاولى وكسر الثانية وكسر الاولى وفتح الثانية فمن فتحهما اوقع الشهادة
على ان الثانية وحذف حرف الاضافة من الاولى وتقديره شهد الله انه لا اله الا هو ان الدين عند الله الاسلام
ومن كسرهما اعترض بالاولى على التعظيم لله عز وجل كما قيل لبيك ان الحمد والنعمة لك وكسر الثانية على الحكاية لانه
في معنى شهد معنى قال المورخ شهد بمعنى قال في لغة قيس عيلان ومن فتح الاولى وكسر الثانية وهو الاجود
وعليه اكثر القراء اوقع الشهادة على الاولى واستانف الثانية ومن كسر الاولى وفتح الثانية اعترض بالاولى
واوقع الشهادة على الثانية اللغة حقيقة الشهادة الاخبار بالشيء عن مشاهدة او ما يقوم مقام المشاهدة ومعنى
الدين هنا الطاعة واصله الجزاء وسميت الطاعة دينا لانها للجزاء ومنه الدين لانه كالجزاء في وجوب القضاء
والاسلام اصله السلم واسلم معناه دخل في السلم واصل السلم السلامة لانه انقياد على السلامة ويصلح ان يكون
اصله التسليم لانه تسليم لامر الله والتسليم من السلامة لانه تادية الشيء على السلامة من الفساد فالاسلام هو تادية
الطاعات على السلامة من الادغال والاسلام والايمان بمعنى واحد عندنا وعند المعتزلة غير ان عندهم الواجبات
من افعال الجوارح من الايمان وعندنا الايمان من افعال القلوب الواجبة وليس من افعال الجوارح وقد شرحنا
في اول البقرة والاسلام بمعنى الانقياد لكل ما جاء به النبي صلى الله عليه واله من العبادات الشرعية والاستسلام وترك
النكير عليه فاذا قلنا دين المؤمن هو الايمان وهو الاسلام والاسلام هو الايمان ونظير ذلك قولنا الانسان بشر
والانسان حيوان على الصورة الانسانية فالحيوان على الصورة الانسانية والاختلاف ذهاب احد النفسين الى خلاف

ماذهب اليه الآخر فهذا الاختلاف في الاديان فاما الاختلاف في الاجناس فهو امتناع احد الجنسين ان يريد مد الآخر فيما يرجع الى ذاته والبغي طلب الاستعلاء بالظلم واصله من بغت الحاجة اذا طلبتها **الاعراب** قيل في نصب قائما قولان احدهما انه حال من اسم الله تعالى مؤكدة لان الحال المؤكدة يقع موقع مع الاسماء في غير الاشارة تقول انه زيد معروفا وهو الحق مصدقا وشهد الله قائما بالقسط اي القائم بالعدل والثاني انه حال من قوله لا اله الا هو وينتصب على وجهين احدهما على انه مفعول له والمعنى وما اختلف الذين اوتوا الكتاب للبغي بينهم مثل جئته حذر الشر ونحو ذلك وقيل انه منصوب بما دل عليه وما اختلف كانه لما قيل وما اختلف الذين اوتوا الكتاب دل على ما فعل الذين اوتوا الكتاب فحمل بغيا عليه **المعنى** لما قدم سبحانه ذكر ارباب الدين اتبعه بذكر اوصاف الدين فقال شهد الله انه لا اله الا هو اي اخبر بما يقوم مقام الشهادة على وحدانيته من عجيب صنعته ولطيف حكمته وقيل معنى شهد الله قضى الله عن ابي عبيدة قال الزجاج وحقيقته علم الله وبين ذلك فان معنى الشاهد هو العالم الذي يبين ما علمه ومنه شهد فلان عند القاضي اي بين ما علمه وابداه وجل قد دل على توحيده بجميع ما خلق وبين انه لا يقدر احد ان ينشئ شيئا واحدا مما انشاه والملائكة اي وشهدت الملائكة بما عاينت من عظيم قدرته واولو العلم اي وشهد اولو العلم بما ثبت عندهم وتبين من صنعه الذي لا يقدر عليه غيره وروي عن الحسن ان في الآية تقديما وتاخيرا والتقدير شهد الله انه لا اله الا هو قائما بالقسط وشهد الملائكة انه لا اله الا هو قائما بالقسط وشهد اولو العلم انه لا اله الا هو قائما بالقسط والقسط العدل الذي قامت به السموات والارض ورواه ايضا اصحابنا في التفسير واولو العلم هم علماء المؤمنين عن السدي والكلبي وقيل معنى قوله قائما بالقسط انه يقوم باجراء الامور وتدبير الخلق في الاعمال كما يقال فلان قائم بالتدبير اي يجري افعاله على الاستقامة وانما كرر قوله لا اله الا الله لانه بين بالاول انه المستحق للتوحيد لا يستحقه سواه وبالثاني انه القائم بتدبير الخلق يدبرهم بالعدل لا الظلم في افعاله العزيز الحكيم في تدبيره وتضمنت الآية الابانة عن فضل العلم والعلماء لانه سبحانه قرن العلماء بالملائكة وشهادتهم بشهادة الملائكة وخصهم بالذكر كانه لم يعتد بغيرهم والمراد بهذا العلم التوحيد وما يتعلق به من علوم الدين لان الشهادة وقعت فيه ما رواه جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال ساعة من عالم يتكئ على فراشه ينظر في علمه خير من عبادة العابد سبعين عاما وروى انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وآله قال تعلموا العلم فان تعلمه لله حسنة ومدارسته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه من لا يعلمه صدقة وبذله لاهله قربة لانه معالم الحلال والحرام ومنار سبيل الجنة والنار والانيس في الوحشة والصاحب في الغربة والمحدث في الخلوة والدليل على السراء والضراء والسلاح على الاعداء والقرب عند الغرباء يرفع الله به اقواما فيجعلهم في الخير قادة تقتدى بهم ويقتص بآثارهم وينتهى الى رأيهم وترغب الملائكة في خلتهم وباجنحتها تمسحهم وفي صلاتهم تستغفر لهم وكل رطب ويابس يستغفر لهم حتى حيتان البحر وهوامها وسباع الارض وانعامها والسماء ونجومها الا ان العلم حياة القلب ونور الابصار وقوة الابدان يبلغ بالعبد منازل الاحرار ومجالس الملوك والفكر فيه يعدل بالصيام ومدارسته بالقيام وبه يعرف الحلال والحرام وبه توصل الارحام العلم امام العمل والعمل تابعه يلهمه السعداء ويحرم الاشقياء **ومما جاء في فضل هذه الآية** ما رواه انس عن النبي صلى الله عليه وآله قال من قرأ شهد الله انه عند منامه خلق الله منها سبعين الف خلق يستغفرون له الى يوم القيمة الزبير بن العوام قال قلت لادنون هذه العشية من رسول الله وهي عشية عرفة حتى اسمع ما يقول فحبست ناقتي بين ناقة رسول الله صلى الله عليه وآله وناقة رجل كان الى جنبه فسمعته يقول شهد الله انه لا اله الا هو الآية فما زال يرددها حتى رفع غالب القطان قال اتيت الكوفة في تجارة فنزلت قريبا من الاعمش فكنت اختلف اليه فلما كنت ذات ليلة اردت ان احدر

الى البصرة قام من الليل يتهجد فمر بهذه الآية شهد الله انه لا اله الا هو الآية قال الاعمش وانا اشهد بما شهد الله به واستودع الله هذه الشهادة وهي لي عند الله وديعة ان الدين عند الله الاسلام قالها مرارا فقلت لقد سمع فيها شيئا فصليت معه وودعته ثم قلت اني سمعتك ترددها قال والله لا احدثك بها الى سنة فلبثت على بابه ذلك اليوم واقمت سنة فلما مضت السنة قلت يا ابا محمد قد مضت السنة قال حدثني ابو وائل عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله يجاء بصاحبها يوم القيمة فيقول الله ان لعبدي هذا عندي عهدا وانا احق من وفى بالعهد ادخلوا عبدي الجنة وقال سعيد بن جبير كان حول الكعبة ثلثمائة وستون صنما فلما نزلت شهد الله انه لا اله الا هو خررن سجدا وقوله ان الدين اي الطاعة عند الله هي الاسلام وقيل المراد بالاسلام التسليم لله ولاوليائه وهو التصديق وروى ذلك عن امير المؤمنين عليه السلام في خطبة له انه قال لانسبن الاسلام نسبة لم ينسبها احد قبلي الاسلام هو التسليم والتسليم هو اليقين واليقين هو التصديق والتصديق هو الاقرار والاقرار هو الاداء والاداء هو العمل رواه علي بن ابرهيم في تفسيره قال ثم قال عليه السلام ان المؤمن اخذ دينه عن ربه ولم ياخذه عن رايه ان المؤمن يعرف ايمانه في عمله وان الكافر يعرف كفره بانكاره ايها الناس دينكم فان السيئة فيه خير من الحسنة في غيره ان السيئة فيه تغفر وان الحسنة في غيره لا تقبل وما اختلف الذين اوتوا الكتاب معناه وما اختلف اليهود والنصارى في صدق نبوة محمد لما كانوا يجدونه في كتبهم من نعته وصفته ووقت خروجه الا من بعد ما جاءهم العلم ثم اخبر عن علة اختلافهم فقال بغيا بينهم اي حسدا وتقديره وما اختلف الذين اوتوا الكتاب بغيا بينهم الا من بعد ما جاءهم العلم والعلم المذكور يجوز ان يراد به البينات التي هي طريق العلم فيدخل فيه المبطلون من اهل الكتاب علموا او لم يعلموا ويحتمل ان يراد نفس العلم فلا يدخل فيه الا من علم بصفة محمد وكتمه عنادا وقيل المراد بالذين اوتوا الكتاب اليهود والكتاب التورية لما عهد موسى ع الى يوشع اقام عليهم يوشع ومضى ثلثة قرون ثم اختلفوا عن الربيع وقيل المراد بالذين اوتوا الكتاب النصارى والكتاب الانجيل واختلفوا في امر عيسى ع عن محمد بن جعفر بن الزبير وقيل خرج مخرج الجنس ومعناه كتب الله المتقدمة واختلف بعدها في الدين عن الجبائي ومن يكفر بآيات الله اي يجحد بها وقيل بالتورية والانجيل وما فيهما من صفة محمد ص وقيل بالقرآن ومن دل عليه فان الله سريع الحساب لا يفوته شيء من اعمالهم وقيل معناه سريع المجازاة وحقيقة الحساب ان تاخذ ما لك وتعطي ما عليك قوله تعالى **فان حاجوك فقل اسلمت وجهي لله ومن اتبعن وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين أأسلمتم فان اسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ والله بصير بالعباد** آية **القراءة** حذف عاصم وحمزة والكسائي الياء من اتبعني اجتزاء بالكسرة واتباعا للمصحف واثبتها الباقون على الاصل **الحجة** حذف الياء في اواخر الآي احسن لانها تشبه القوافي ويجوز في وسط الاي ايضا واحسنها ان يكون ما قبلها نون مثل قوله ومن اتبعن فان لم يكن نون جاز ايضا نحو قولك هذا غلام وما اشبه ذلك والاجود اثبات الياء وان شئت اسكنت الياء وان شئت فتحتها **الاعراب** من اتبعن في محل الرفع عطفا على التاء في قولك اسلمت ولم يؤكد الضمير فلم يقل اسلمت انا ومن اتبعني ولو قلت اسلمت وزيد لم يجز الا ان تقول اسلمت انا وزيد وانما جاز هنا لطول الكلام فصار الطول عوضا من تاكيد الضمير المتصل بالمنفصل **المعنى** لما قدم سبحانه ذكر الايمان والاسلام خاطب نبيه ص فقال فان حاجوك المعنى فان حاجك وخاصمك فصارعوك فقل يا محمد اسلمت وجهي لله وفيه وجهان احدهما ان معناه انقدت لامر الله في اخلاص التوحيد له والحجة فيه انه الزمهم على ما اقروا من ان الله خالقهم اتباع امره في ان لا يعبدوا الا اياه والثاني ان معناه اعرضت عن كل معبود دون الله واخلصت قصدي بالعبادة اليه وذكر الاصل الذي يلزم جميع المكلفين الاقرار به لانه لا يسع فيما يحتاج الى العمل عليه في الدين الذي هو طريق النجاة من العذاب الى النعيم ومعنى وجهي هنا نفسي واضاف الاسلام الى الوجه لان وجه الشيء اشرف ما فيه لانه يجمع الحواس اي اعلمه بظاهره

الحزن والسرور فمن اسلم وجهه فقد اسلم كله ومنه قوله كل شي هالك الا وجهه ومن اتبعني يعني ومن اقتدى بي في الدين من المسلمين فقد اسلموا ايضا كما اسلمت وقل يا محمد للذين اوتوا الكتاب يعني اليهود والنصارى والاميين اي الذين لا كتاب لهم عن ابن عباس وغيره وهم مشركو العرب وقد بينا الامي واشتقاقه عند قوله ومنهم اميون أأسلمتم اي اخلصتم كما اخلصت لفظه لفظ الاستفهام وهو بمعنى التوقيف والتهديد فيكون متضمنا للامر فيكون معناه اسلموا كما قال تعالى بعد ازاحة العلل واوضح السبل ونظيره فهل انتم منتهون اي انتهوا وهذا كما يقول الانسان لغيره وقد وعظه بوعظ ابلغ وعظ ايعوده بذلك الى قبول الوعظ فان اسلموا فقد اهتدوا الى طريق الحق وان تولوا اي كفروا ولم يقبلوا واعرضوا عنه فانما عليك البلاغ معناه فانما عليك ان تبلغ وتقيم الحجة وليس عليك ان لا يتولوا والله بصير بالعباد معناه ههنا انه لا يفوته شي من اعمالهم التي يجازيهم بها لانه بصير بهم اي عالم بهم وبسرائرهم لا يخفى عليه خافية وقيل معناه عالم بما يكون منك في التبليغ ومنهم في الايمان والكفر قوله تعالى ان الذين يكفرون بايات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يامرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب اليم اولئك الذين حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين آيتان القراءة قرا حمزة يقاتلون بالالف وقيل انما قراها اتباعا لمصحف عبد الله لان فيه وقاتلوا الذين يامرون والباقون يقتلون وهي القراءة الظاهرة الاعراب انما دخلت الفاء في قوله فبشرهم لشبه الجزاء وانما لم يجز ليت الذي يقوم فيلزمك وجاز ان الذي يقوم فيلزمك لان الذي انما دخلت الفاء في خبرها لما في الكلام من معنى الجزاء وليت يبطل معنى الجزاء وليس كذلك ان لانها بمنزلة الابتداء المعنى لما تقدم سبحانه ذكر الاحتجاج على اهل الكتاب وحسن الوعد لهم ان اسلموا وشدة الوعيد ان تولوا فصل في هذه الآية كفرهم فقال ان الذين يكفرون بايات الله اي يجحدون حجج الله وبيناته ويقتلون النبيين يعني بهم اليهود فقد روي عن ابي عبيدة بن الجراح قال قلت يا رسول الله اي الناس اشد عذابا يوم القيمة قال رجل قتل نبيا او رجلا امر بمعروف او نهى عن منكر ثم قرا ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يامرون بالقسط من الناس ثم قال عليه السلم يا ابا عبيدة قتلت بنو اسرائيل ثلثة واربعين نبيا من اول النهار في ساعة واحدة فقام مائة رجل واثنا عشر رجلا من عباد بني اسرائيل فامروا من قتلهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعا من آخر النهار في ذلك اليوم وهو الذي ذكره الله تعالى فبشرهم بعذاب اليم اي اخبرهم بان لهم العذاب الاليم وانما قال بشرهم على طريق الاتساع عن الاستعارة والبشارة تكون بالخير دون الشر لان ذلك لهم مكان البشارة للمؤمنين ولانها ماخوذة من البشرة وبشرة الوجه تتغير بالسرور في الخير وبالغم في الشر ويقال كيف بشرهم وانما قتل الانبياء اسلافهم والجواب لانهم رضوا بافعالهم واقتدوا بهم فاجملوا معهم وقيل معناه بشر هؤلاء بالعذاب الاليم لاسلافهم وقوله بغير حق لا يدل على ان في قتل النبيين ما هو حق بل المراد بذلك ان قتلهم لا يكون الا بغير حق كقوله ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به والمراد بذلك تاكيد النفي والمبالغة فيه كما يقال فلان لا يرجى خيره والغرض في ذلك لا خير عنده على وجه من الوجوه وكما قال ابو ذؤيب متعلق انساؤها عن قاني كالقرط صاو غبره لا يرضع اي ليس له بقية لبن فيرضع وعلى هذا فقوله صفة القتل ههنا بالابدان يكون عليه من الصفة وهو وقوعه على خلاف الحق وكذلك الدعاء في قوله ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به وصفه بانه لا يكون الا من غير برهان وقد استدل علي بن عيسى بهذه الآية على جواز انكار المنكر مع خوف القتل وبالخبر الذي رواه الحسن عن النبي عليه السلم انه قال افضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر يقتل عليه وهذا فيه نظر لان من شرط حسن انكار المنكر ان لا يكون فيه مفسدة ومتى ادى الى القتل فقد انتفى عنه هذا الشرط فيكون قبيحا والوجه في الآية والاخبار التي جاءت في معناه ان يغلب على الظن ان انكار المنكر لا يؤدي الى مفسدة فيحسن ذلك بل يجب وان تعقبه القتل لانه ليس من شرطه ان يعلم ذلك بل يكفي غلبة الظن

اولئك الذين كفروا بايات الله وقتلوا الانبياء والآمرين بالمعروف حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة يريد باعمالهم ما هم عليه من ادعائهم التمسك بالتورية واقامة شريعة موسى واراد ببطلانها في الدنيا انها لم تحقن دماءهم ولا اموالهم ولم ينالوا بها الثناء والمدح وفي الآخرة انهم لم يستحقوا بها مثوبة فصارت كانها لم تكن لان حبوط العمل عبارة عن وقوعه على خلاف الوجه الذي يستحق عليه الثواب والاجر والمدح وحسن الذكر وانما تحبط الطاعة حتى تصير كانها لم تفعل اذا وقعت على خلاف الوجه المامور به وما لهم من ناصرين يدفعون عنهم العذاب قوله تعالى الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون ذلك بانهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون آيتان اللغة النصيب الحظ من الشي وهو القسم المجعول لمن اضيف اليه والدعاء استدعاء الفعل ثم قد يكون بصيغة الامر والخبر بالدلالة والحكم الخبر الذي يفصل الحق من الباطل ماخوذ من الحكمة وهي المنع والغرور الاطماع فيما لا يصح اغره يغره غرورا فهو مغرور والغرور الشيطان لانه يغر الناس والغار الغافل لانه كالمغتر والغرارة الدنيا تغر اهلها والغر الغمر الذي لم يجرب الامور ومصدره الغرارة لان من شانه ان يقبل الغرور والغرر الخطر اخذ منه والغر آثار طي الثوب لطوه على غره اي على آثار طيه والغر زق الطائر فراخه والافتراء الكذب وفرى فلان كذبا يفريه فرية والفري الشق وفريه مفرى اي مشقوقة وقد تفرى خرزها اي انشق وفرت الارض شربتها وقطعتها الاعراب يدعون جملة في موضع الحال من اوتوا ثم يتولى فريق جملة معطوفة على يدعون وهم معرضون في موضع نصب ايضا على الحال من يتولى اياما نصب على الظرف ان تمسنا ويكون في تلك الايام ومعدودات صفة لايام المعنى لما تقدم سبحانه ذكر الحجاج بين انهم اذا دعوا الى الحجة والى الصحيح عرضوا عن الحجة فقال الم تر معناه الم ينته علمك الى الذين اوتوا اي اعطوا نصيبا اي حظا من الكتاب يدعون الى كتاب الله اختلف فيه فقيل معناه التورية عن ابن عباس دعي اليها اليهود فابوا لعلمهم بلزوم الحجة لما فيها من الدلالة على نبوة محمد صلى الله عليه وآله وصدقه وانما قال اعطوا نصيبا من الكتاب لانهم كانوا يعرفون بعض ما فيه وقيل معناه القرآن عن الحسن وقتادة دعوا الى القرآن لان ما فيه موافق لما في التورية من اصول الديانة واركان الشريعة وفي الصفة التي تقدمت البشارة بها فيحكم بينهم يحتمل ثلثة اشياء احدها ان معناه ليحكم بينهم في نبوة النبي صلى الله عليه وآله عن ابي مسلم وجماعة والثاني ان معناه ليحكم بينهم في امر ابراهيم وان دينه الاسلام والثالث ان معناه ليحكم بينهم في امر الرجم فقد روي عن ابن عباس ان رجلا وامراة من اهل خيبر زنيا وكانا ذوي شرف فيهم وكان في كتابهم الرجم فكرهوا رجمهما لشرفهما ورجوا ان يكون عند رسول الله رخصة في امرهما فرفعوا امرهما الى رسول الله صلى الله عليه وآله فحكم عليهما بالرجم فقال له النعمان بن اوفى وبحري بن عمرو جرت علينا يا محمد ليس عليهما الرجم فقال رسول الله بيني وبينكم التورية قالوا قد انصفتنا قال فمن اعلمكم بالتورية قالوا رجل اعور يسكن فدك يقال له ابن صوريا فارسلوا اليه فقدم المدينة وكان جبرئيل قد وصفه لرسول الله فقال له رسول الله انت ابن صوريا قال نعم قال انت اعلم اليهود قال كذلك يزعمون قال فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله بشي من التورية فيها الرجم مكتوب فقال له اقرا فلما اتى على آية الرجم وضع كفه عليها وقرا ما بعدها فقال ابن سلام يا رسول الله قد جاوزها وقام الى ابن صوريا ورفع كفه عنها ثم قرا على رسول الله وعلى اليهود بان المحصن والمحصنة اذا زنيا وقامت عليهما البينة رجما وان كانت المراة حبلى تربص بها حتى تضع ما في بطنها فامر رسول الله صلى الله عليه وآله باليهوديين فرجما فغضب اليهود لذلك فنزلت هذه الآية ثم يتولى فريق منهم اي طائفة منهم عن الداعي وهم معرضون عن اتباع الحق ذلك معناه شانهم ذلك فهو خبر مبتدا محذوف فاخبر سبحانه بالعلة في اعراضهم عنه مع معرفتهم به والسبب الذي جراهم على الجحد والانكار بانهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات وفيه قولان احدهما انها الايام التي عبدوا فيها العجل وهي اربعون يوما عن الربيع وقتادة والحسن الا ان الحسن

قال سبعة ايام والثاني انهم ارادوا اياما منقطعة عن الجبائي وغرهم في دينهم اي اطمعهم في غير مطمع ما كانوا يفترون اي افتراؤهم
وكذبهم واختلفوا في الافتراء الذي غرهم على قولين احدهما قولهم نحن ابناء الله واحباؤه عن قتادة والآخر قولهم لن
تمسنا النار الا اياما معدودات عن مجاهد وهذه الآية تدل على خلاف ما ذهبنا اليه من جواز العفو واخراج المعاقبين
من اهل الصلوة من النار لانا نقول ان عقاب من ثبت دوام عقابه بايمانه لا يكون الا منقطعا وان لم يحط علما بمقداره
ولا نقول ايام اعقابه بعدد ايام عصيانه كان لو ادعى القولين بدون ظاهر قوله عز وجل **فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب**
فيه ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون آية **الاعراب** كيف موضوعة للسؤال عن الحال ومعناه هاهنا التنبيه بصيغة
السؤال على حال من يساق الى النار وفيه بلاغة واختصار شديد لان تقديره اي حال يكون من اغتر بالدعاوي الباطلة
حتى اداه ذلك الى الخلود في العقوبة ونظيره قول القائل انا اكرمك وان لم تجئني فكيف اذا جئتني معناه فكيف اكرامي لك
اذا جئتني يريد عظيم الاكرام والتقدير فكيف حالهم اذا جمعناهم لا تجد مبتدأ محذوف **المعنى** ثم اكد سبحانه ما تقدم فقال
فكيف حالهم اذا جمعناهم اي في وقت جمعهم وحشرهم ليوم اي لجزاء يوم لا ريب فيه لا شك فيه لمن نظر في الادلة اذ ليس
فيه موضع ريب وشك ولو قال جمعناهم في يوم لم يدل على الجزاء واللام يدل على ذلك كما يقال جئته ليوم الخميس اي لما يكون
في يوم الخميس ولا يعطي جئته في يوم الخميس هذا المعنى ووفيت كل نفس ما كسبت فيه قولان احدهما ان معناه ووفر
على كل نفس جزاء ما كسبت من ثواب او عقاب والثاني اعطيت ما كسبت اي اجتلبت بعملها من الثواب والعقاب
كما يقال كسب فلان المال بالتجارة والزراعة وهم لا يظلمون اي لا ينقصون عما استحقوه من الثواب ولا يزادون على
ما استحقوه من العقاب قوله تعالى **قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء**
وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل
وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب آيتان **فضلها** روى جعفر بن محمد عن ابيه
عن آبائه عن النبي صلى الله عليه وآله لما اراد الله عز وجل ان ينزل فاتحة الكتاب وآية الكرسي وشهد الله وقل اللهم
مالك الملك الى قوله بغير حساب تعلقن بالعرش وليس بينهن وبين الله حجاب وقلن يا رب تهبطنا دار الذنوب والى
من يعصيك ونحن معلقات بالطهور والقدس فقال تعالى وعزتي وجلالي ما من عبد قرأكن في دبر كل صلوة الا
اسكنته حظيرة القدس على ما كان فيه ونظرت اليه بعيني المكنونة في كل يوم سبعين نظرة والا قضيت له في
كل يوم سبعين حاجة ادناها المغفرة والا اعذته من كل عدو ونصرته عليه ولا يمنعه دخول الجنة الا ان يموت وعن
معاذ بن جبل احتبست عن رسول الله صلى الله عليه وآله يوما لم اصل معه الجمعة فقال يا معاذ ما منعك من صلوة
الجمعة قلت يا رسول الله كان ليوحنا اليهودي علي اوقية من تبر وكان على بابي يرصدني فاشفقت ان يحبسني دونك
قال اتحب يا معاذ ان يقضي الله دينك قلت نعم يا رسول الله قال قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء الى
قوله بغير حساب رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما تعطي منهما ما تشاء اقض عني ديني فان كان عليك ملء الارض
ذهبا لاداه الله عنك **القراءة** قرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص ويعقوب الميت بالتشديد والباقون بالتخفيف
الحجة قال المبرد لا خلاف بين علماء البصرة انهما سواء وانشد لابن الرعلاء الغساني ليس من مات فاستراح
بميت انما الميت ميت الاحياء انما الميت من يعيش كئيبا كاسفا باله قليل الرجاء فجمع بين اللغتين وما مات
وما لم يمت في هذا الباب يستويان في الاستعمال وقال بعضهم الميت بالتشديد الذي لم يمت بعد وبالتخفيف
الذي قد مات والصحيح الاول الا ترى انه قد جاء ومنهل فيه الغراب ميت سقيت منه القوم واستقيت فهذا قد مات
اللغة النزع القلع الشيء عن الشيء ويقال نزع فلان الى اخواله اي نزع اليهم بالشبه فصار واحدا منهم لشبهه بهم والنزاع
الحنين الى الشيء والنزوع عن الشيء الترك له والايلاج الادخال يقال ولج يلج ولوجا ولجة والوليجة بطانة الرجل

لانه يطلع على دخلة امره والتولج كناس الظبي لانه يدخله والولج والولجة شيء يكون بين فناء القوم **الاعراب** اللهم بمعنى يا الله
والميم المشددة عند سيبويه والخليل عوض من يا لان يا لا توجد مع الميم في كلامهم فعلم ان الميم في آخر الكلمة بمنزلة يا في
اولها والضمة في الهاء ضمة الاسم المنادى المفرد والميم مفتوحة لسكونها وسكون الميم التي قبلها وقال الفراء اصله يا الله
ام بخير فالقيت الهمزة وطرحت حركتها على ما قبلها وشبه هلم انما اصله هل ام واعترض على قول الخليل بان الميم انما ترد
مخففة في مثل فم وابنم وبانها اجتمعت مع يا في قول الشاعر وما عليك ان تقولي كلما سبحت او صليت يا اللهم
ما اردد علينا شيخنا مسلما قال علي بن عيسى هذا ليس بشيء لان الميم هاهنا عوض من حرفين فشددت كما قيل قمتن وضربتن
لما كانت النون عوضا من حرفين في قمتما وضربتما واما قمتن وضربتن ذهبن فالنون هناك عوض من حرف
واحد واما البيت فانما جاز ذلك فيه لضرورة الشعر واما هلم فان الاصل فيه ان حرف التنبيه وهي ها دخلت
على لم عند الخليل وقوله مالك الملك اكثر النحويين على انه منصوب بانه منادى مضاف وقال الزجاج ويحتمل
ان يكون صفة من اللهم لان اللهم بمنزلة يا الله مثل قولك يا زيد ذا الجمة تؤتي الملك فعل وفاعل ومفعول في موضع
النصب على الحال والعامل فيه حرف النداء وذو الحال اللهم او مالك ومن تشاء مفعول ثان والتقدير تؤتي الملك
من تشاء ان تؤتيه وتنزع الملك ممن تشاء ان تنزعه منه وكذا الباقي بيدك الخير مبتدأ وخبر في موضع الحال
ايضا والعامل فيه تؤتي وتنزع وتذل وذو الحال الضمير المستكن فيها **النزول** قيل لما فتح رسول الله صلى الله عليه وآله
مكة ووعد امته ملك فارس والروم قالت المنافقون واليهود هيهات من اين لمحمد ملك فارس والروم
الم يكفه المدينة ومكة حتى طمع في الروم وفارس فنزلت هذه الآية عن ابن عباس وانس بن مالك وقيل ان النبي
صلى الله عليه وآله خط الخندق عام الاحزاب وقطع لكل عشرة اربعين ذراعا فاحتج المهاجرون والانصار في سلمان
الفارسي وكان رجلا قويا فقال المهاجرون سلمان منا وقال الانصار سلمان منا فقال النبي صلى الله عليه وآله سلمان
منا اهل البيت قال عمرو بن عوف كنت انا وسلمان وحذيفة والنعمان بن مقرن المزني وستة من الانصار في
اربعين ذراعا فحفرنا حتى اذا كنا بجنب ذي حجر اخرج الله من بطن الخندق صخرة مروة كسرت حديدنا وشقت
علينا فقلنا يا سلمان ارق الى رسول الله واخبره خبر هذه الصخرة فاما ان يعدل عنها فان المعدل قريب واما ان
يأمرنا فيه بامره فانا لا نحب ان نجاوز خطه فرقى سلمان الى رسول الله وهو ضارب عليه قبة تركية فقال
يا رسول الله خرجت صخرة بيضاء مروة من بطن الخندق فكسرت حديدنا وشقت علينا حتى ما يحيك فيها قليل
ولا كثير فمرنا فيها بامرك فانا لا نحب ان نجاوز خطك قال فهبط رسول الله مع سلمان الخندق والتسعة على شفة
الخندق فاخذ رسول الله صلى الله عليه وآله المعول من يد سلمان فضربها ضربة صدعها وبرق منها برق اضاء
ما بين لابتيها حتى كان مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر رسول الله صلى الله عليه وآله تكبير فتح فكبر المسلمون ثم ضربها
رسول الله الثانية وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها حتى لكان مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر رسول الله صلى الله
عليه وآله تكبير فتح فكبر المسلمون رسول الله واخذ بيد سلمان ورقى فقال سلمان بابي انت وامي يا رسول الله
لقد رايت شيئا ما رايت منك قط فالتفت رسول الله الى القوم وقال رايتم ما يقول سلمان قالوا نعم يا رسول الله قال
ضربت ضربتي الاولى فبرق الذي رايتم اضاءت لي منها قصور الحيرة ومدائن كسرى كانها انياب الكلاب فاخبرني
جبرئيل ان امتي ظاهرة عليها ثم ضربت ضربتي الاولى فبرق الذي رايتم اضاءت لي منها قصور الحيرة ومدائن كسرى
كانها انياب الكلاب فاخبرني جبرئيل ان امتي ظاهرة عليها ثم ضربت ضربتي الثانية فبرق لي الذي رايتم اضاءت
لي منها قصور الحمر من ارض الروم كانها انياب الكلاب واخبرني جبرئيل ان امتي ظاهرة عليها ثم ضربت ضربتي
الثالثة فبرق الذي رايتم اضاءت لي منها قصور صنعاء فكانها انياب الكلاب واخبرني جبرئيل ان امتي ظاهرة عليها

يمينه فاخبروا فاستبشر المسلمون وقالوا الحمد لله موعد صدق وعدنا النصر بعد الحصر وقال المنافقون الا تعجبون
عنكم ويعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وانها تفتح لكم وانتم انما تحفرون الخندق من الفرق
لا تستطيعون ان تبرزوا فنزل القرآن واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا
غرورا وانزل الله تعالى في هذه القصة قل اللهم مالك الملك الآية رواه الثعلبي باسناده عن عمرو بن عوف المعنى
لما ذكر مكايد اهل الكتاب علم رسوله كيف يحاجهم وكيف يحتج اذا سالوا او اجابوا فقال يا محمد قل اللهم يا الله يا مالك
الملك مالك كل ملك وكل مالك ورب كل مالك وكل ملك ورب كل مملوك وقيل مالك العباد وما ملكوا عن الزجاج
وقيل مالك امر الدنيا والآخرة وقيل مالك النبوة عن مجاهد تؤتي الملك من تشاء وتعطي الملك من تشاء
ومنه محذوف اي من تشاء ان تؤتيه وتنزع الملك ممن تشاء ان تنزعه منه كما تقول خذ ما شئت ودع ما شئت
ومعناه وتقطع الملك عمن تشاء ان تقطعه عنه على ما يوجبه الحكمة وتقتضيه المصلحة واختلف في معناه
فقيل تؤتي الملك واسباب الدنيا محمدا واصحابه وامته وتنزعه من صناديد قريش ومن الروم وفارس
فلا تقوم الساعة حتى تفتحها اهل الاسلام عن الكلبي وقيل تؤتي النبوة والامامة من تشاء من عبادك
وتوليه التصرف في خلقك وبلادك وتنزع الملك على هذا الوجه من الجبارين بقهرهم وازالة ايديهم فان
الكافر والفاسق وان غلب او ملك فليس ذلك بملك يؤتيه الله لقوله سبحانه لا ينال عهدي الظالمين وكيف يكون
ذلك من ايتاء الله وقد امر بقهره عنه وازالة ملكه وتعز من تشاء بالايمان والطاعة وتذل من تشاء
بالكفر والمعاصي وقيل تعز المؤمن بتعظيمه والثناء عليه وتذل الكافر بالجزية والسبي وقيل تعز محمدا واصحابه
وتذل ابا جهل والمقتولين يوم بدر في القليب وقيل تعز من تشاء من اوليائك بانواع العز في الدنيا والدين
وتذل من تشاء من اعدائك في الدنيا والآخرة لانه سبحانه لا يذل اولياءه وان افقرهم وابتلاهم فان ذلك
ليس على سبيل الاذلال بل ليكرمهم بذلك في الآخرة ويعوضهم ويحلهم غاية الاعزاز والاجلال بيدك الخير اللام
للجنس اي الخير كله في الدنيا والآخرة من قبلك وانما قال بيدك الخير وان كان بيده كل شيء من خير او شر لان
الآية تضمنت ايجاب الرغبة اليه فلا يحسن هذه الحال الا ذكر الخير لان الترغيب لا يكون الا في الخير وهذا كما
يقال الامر بيد فلان انك على كل شيء قدير اي قادر على جميع الاشياء لا يعجزك شيء تقدر على ايجاد المعدوم
من افناء الموجود واعادة ما كان موجودا تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل قيل في معناه قولان
احدهما ان معناه تنقص من الليل فتجعل ذلك النقصان زيادة في النهار وتنقص من النهار فتجعل ذلك
النقصان زيادة في الليل على قدر طول النهار وقصره عن ابن عباس والحسن ومجاهد وعامة المفسرين والآخر
معناه يدخل احدهما في الآخر باتيانه بدلا منه في مكانه عن ابي علي الجبائي وتخرج الحي من الميت اي من النطفة
وهي ميتة بدليل قوله وكنتم امواتا فاحياكم وتخرج الميت من الحي اي النطفة من الحي وكذلك الدجاجة من البيضة
والبيضة من الدجاجة عن ابن عباس وابن مسعود ومجاهد وقتادة والسدي وقيل ان معناه ويخرج المؤمن
من الكافر والكافر من المؤمن عن الحسن ويروى ذلك عن ابي جعفر وابي عبد الله وترزق من تشاء بغير حساب معناه
بغير تقتير كما يقال فلان ينفق بغير حساب لان من عادة المقتر الا ينفق الا بحساب ذكره الزجاج وقيل معناه
بغير مخافة نقصان لما عنده فانه لا نهاية لمقدوراته فما يوجد منها لا ينقصها ولا هو على حساب جزء من كذا جزء
كما يعطي الواحد منا العشرة من المائة والمائة من الالف وقيل ان المراد من تشاء ان ترزقه اهل الجنة لانه يرزقهم
رزقا لا يتناوله الحساب ولا العد ولا الاحصاء من حيث انه لا نهاية له ومطابقه قوله فاولئك يدخلون الجنة يرزقون
فيها بغير حساب قوله تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء

الا ان تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه والى الله المصير آية القراءة قرا يعقوب وسهل تقية وهو قراءة الحسن
ومجاهد والباقون تقاة وامال الكسائي تقاة وقرا نافع وحمزة بين التفخيم والامالة والباقون بالتفخيم الحجة الاجود
في تقاة التفخيم من اجل الحرف المستعلي وهو القاف وانما جازت الامالة لان الالف منقلبة عن الياء
وتقاة وزنها فعلة نحو تؤدة وتخمة وهما جميعا مصدر اتقى تقاة وتقية واتقاء وتقوى واصلها وقاة الا ان الواو
المضمومة ابدلت تاء استثقالا لها فانها تعرف من ضمة الواو الى الهمزة والى التاء فاما التاء فلقربها من الواو
مع انها من حروف الزيادة واما الهمزة فلانها نظيرتها في الطرف الآخر من مخارج الحروف مع حسن زيادتها اولا
والتقية الاظهار باللسان خلاف ما ينطوي عليه القلب للخوف على النفس الاعراب معنى من ابتداء الغاية من قوله
من دون المؤمنين على تقدير لا تجعلوا ابتداء الولاية مكانا دون المؤمنين لان مكان المؤمن الاعلى ومكان الكافر
الادنى كما تقول زيد دونك ولست تريد انه في موضع مستفل وانك في موضع مرتفع لكن جعلت الشرف بمنزلة
الارتفاع والخسة كالاسفال وقوله فليس من الله في شيء من في من الله يتعلق بمحذوف هو حال والعامل
فيه ما يتعلق به في وتقديره وليس في شيء من الله فمن الله في موضع الصفة لشيء فلما تقدم عليه انتصب على الحال وقوله
ان تتقوا في محل الجر بباء محذوف اي في محل النصب بحذف الباء على ما مر مثاله المعنى لما بين سبحانه انه مالك
الدنيا والآخرة والقادر على الاعزاز والاذلال نهى المؤمنين عن موالاة من لا اعزاز عندهم ولا اذلال من اعدائه
ليكون الرغبة فيما عنده وعند اوليائه المؤمنين من اعدائه الكافرين فقال لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء
اي لا ينبغي للمؤمنين ان يتخذوا الكافرين اولياء لنفوسهم وان يستعينوا بهم ويلتجئوا اليهم ويظهروا المحبة لهم
كما قال في مواضع من القرآن نحو قوله لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر الآية وقوله لا تتخذوا اليهود والنصارى
اولياء ولا تتخذوا عدوي وعدوكم وقوله من دون المؤمنين معناه يجب ان يكون الموالاة مع المؤمنين وهذا
نهي عن موالاة الكفار ومعاونتهم على المؤمنين وقيل نهي عن ملاطفة الكفار عن ابن عباس والاولياء جمع الولي
وهو الذي يلي امر من ارتضى فعله بالمعونة والنصرة ويجري على وجهين احدهما المعين بالنصرة والآخر المعان
فقوله الله ولي الذين آمنوا معناه معينهم بنصرته ويقال المؤمن ولي الله اي معان بنصرة الله وقوله
ومن يفعل ذلك معناه من اتخذ الكافرين اولياء من دون المؤمنين فليس من الله في شيء اي ليس هو من
اولياء الله والله بريء منه وقيل ليس هو من ولاية الله في شيء وقيل ليس من دين الله في شيء ثم استثنى فقال
الا ان تتقوا منهم تقاة والمعنى الا ان يكون الكفار غالبين والمؤمنون مغلوبين فيخافهم المؤمن ان
لم يظهر موافقتهم ولم يحسن العشرة معهم فعند ذلك يجوز له اظهار مودتهم بلسانه ومداراتهم تقية منه
ودفعا عن نفسه من غير ان يعتقد ذلك وفي هذه الآية دلالة على ان التقية جائزة في الدين عند الخوف على النفس
وقال اصحابنا انها جائزة في الاحوال كلها عند الضرورة وربما وجبت فيها لضرب من اللطف والاستصلاح وليس
تجوز من الافعال في قتل المؤمن ولا فيما يعلم او يغلب على الظن انه استفساد في الدين قال المفيد رحمه الله انها
قد تجب احيانا وتكون فرضا وتجوز احيانا من غير وجوب وتكون في وقت افضل من تركها ويكون تركها افضل وان كان فاعلها
معذورا ومعفوا عنه متفضلا عليه بترك اللوم عليها وقال الشيخ ابو جعفر الطوسي رحمه الله ظاهر الروايات يدل
على انها واجبة عند الخوف على النفس وقد روي رخصة في جواز الافصاح بالحق عنده روى الحسن ان مسيلمة الكذاب
اخذ رجلين من اصحاب رسول الله فقال لاحدهما اتشهد ان محمدا رسول الله قال نعم قال افتشهد اني رسول الله
قال نعم ثم دعا بالآخر فقال اتشهد ان محمدا رسول الله قال نعم قال افتشهد اني رسول الله فقال اني اصم قالها ثلاثا
كل ذلك يجيبه بمثله فضرب عنقه فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله فقال اما هذا المقتول فمضى على صدقه

وتعينه واخذ بفضيلة فهنيئا له واما الآخر فقيل رخصة الله فلا اثم عليه وفعل هذا لكون التقية رخصة والافصاح
بالحق فضيلة وقوله ويحذركم الله نفسه يعني اياه ووضع نفسه مكان اياه ومعناه ويحذركم الله عقابه على اتخاذ الكافرين
اولياء وعلى سائر المعاصي وذكر نفسه لتحقيق الاضافة كما تقال احذر الاسد اي صولته وافتراسه دون عينه والى الله
المصير معناه الى جزاء الله المرجع وقيل الى حكمه قوله تعالى قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه يعلمه الله ويعلم ما
في السموات وما في الارض والله على كل شيء قدير آية اللغة الصدر معروف وهو اعلى مقدم كل شيء والصدر الانصراف
عن الماء بعد الري والتصدير حزام الرجل المائل الى الصدر والصدار شبيه بالبقيرة تلبسها المراة لانه قميص يغطي الصدر
وما حاذاه الاعراب يعلمه الله جزم لانه جواب الشرط وان كان الله يعلمه كان او لم يكن ومعناه ويعلمه كائنا ولا يصح
وصفه بذلك قبل ان يكون ورفع ويعلم ما في السموات على الاستيناف المعنى لما تقدم النهي عن اتخاذ الكفار
اولياء خوفوا من الابطان بخلاف الاظهار فيما نهوا عنه فقال سبحانه يا محمد ان تخفوا اي تسروا ما في صدوركم يعني
بما في قلوبكم وانما ذكر الصدور لانها محل القلب او تبدوه اي تظهروه يعلمه الله فلا ينفعكم اخفاؤه وهو مع ذلك
يعلم ما في السموات وما في الارض وانما قال ذلك لتذكر بعلومه على التفصيل فيتم التحذير اذا كان من يعلم من في
السموات وما في الارض على التفصيل يعلم الضمير والله على كل شيء قدير تهديد على الخلاف كم ومجازاتكم قوله عز وجل يوم
تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا ويحذركم الله نفسه
والله رؤوف بالعباد آية اللغة الامد الغاية التي ينتهي اليها والسابقة الامد سابق او من انت سابقه سبق
الجواد اذا استولى على الامد الاعراب في انتصاب يوم وجوه احدها انه منصوب بقوله ويحذركم اي يحذركم الله نفسه
يوم تجد والثاني بالمصير بتقدير الى الله المصير يوم تجد والثالث اذكر يوم تجد وقوله ما عملت ما هنا بمعنى الذي
لانه عمل فيها تجد وهي في موضع نصب ويحتمل ان تكون ما بعدها بمعنى المصدر وتقديره يوم تجد كل نفس
عملها بمعنى جزاء عملها محضرا منصوب على الحال من تجد اذا جعلته من الوجدان فان جعلته من العلم فمفعول ثان
وقوله وما عملت من سوء يصلح فيها معنى الذي ويقويه قوله تود بالرفع ولو كان بمعنى الجزاء لكان تود مفتوحا او
مكسورا والرفع جائز على ضعف المعنى لما حذر العقاب في الآية المتقدمة بين وقت العقاب فقال يوم
تجد كل نفس ما عملت في الدنيا من طاعة وخير محضرا ونظيره قوله ووجدوا ما عملوا حاضرا وعلمت نفس ما احضرت
ثم اختلف في كيفية وجود العمل محضرا فقيل صحائف الحسنات والسيئات عن ابي مسلم وغيره وهو اختيار
القاضي وقيل ترى جزاء عملها من الثواب او العقاب فاما اعمالهم فهي اعراض قد بطلت لا يجوز عليها الاعادة
فيستحيل ان ترى محضرة وما عملت من سوء معناه وتجد كل نفس الذي عملته من معصية محضرا تود لو ان بينها وبين
معصيتها امدا بعيد الغاية بعيدة اي تود انها لم تكن فعلتها وقيل معناه مكانا بعيدا عن السدي وقيل ما بين
المشرق والمغرب عن مقاتل ويحذركم الله نفسه مر ذكره والله رؤوف بالعباد اي رحيم بهم قال الحسن من تمام رافته
بهم ان حذرهم عقابه على معاصيه قوله عز وجل قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم
والله غفور رحيم قل اطيعوا الله والرسول فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين آيتان اللغة المحبة هي الارادة الا انها
تضاف الى المراد تارة والى متعلق المراد اخرى تقول احب زيدا واحب اكرام زيد ولا تقول في الارادة ذلك لانك
تقول اريد اكرام زيد ولا تقول اريد زيدا وانما كان كذلك لقوة تصرف المحبة في موضع ميل الطباع الذي يجري مجرى
الشهوة فعوملت تلك المعاملة في الاضافة ومحبة الله تعالى للعبد هي ارادة ثوابه ومحبة العبد لله هي ارادة
لطاعاته وقالوا احببت فلانا فهو محبوب استغنوا به عن محب كما استغنوا باحببت عن حببت وقد قال عنترة
نزلت فلا تظني غيره مني بمنزلة المحب المكرم فجاء به على الاصل وحكى الزجاج عن الكسائي حببت من الثلاثي وقوله

ويغفر لكم لا يجوز في القياس ادغام الراء في اللام كما جاز ادغام اللام في الراء في هل رايت لان الراء مكرورة ولا يدغم الزائد
في الناقص للاخلال به والطاعة اتباع الداعي فيما دعا اليه بامره وارادته ولذلك قد يكون ولا يدغم الزائد في الناقص
الانسان مطيعا للشيطان فيما يدعو اليه وان لم يقصد ان يطيعه لانه اذا مال مما يدعوه في نفسه من الدعاء
الى المعصية فقد اطاع الداعي اليها النزول قال محمد بن جعفر بن الزبير نزلت الآيات في وفد نجران من النصارى لما
قالوا انا نعظم المسيح حبا لله المعنى ثم بين سبحانه ان الايمان لا يكمل الا اذا قارنه الايمان برسوله فقال قل يا محمد ان كنتم
تحبون الله كما تزعمون فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم وقيل معناه ان كنتم تحبون دين الله فاتبعوا ديني يزدكم
حبا عن ابن عباس وقيل ان كنتم صادقين في دعوى محبة الله تعالى فاتبعوني فانكم ان فعلتم ذلك احبكم الله تعالى
ويغفر لكم والله غفور رحيم اي كثير المغفرة والرحمة قل اطيعوا الله والرسول اي قل يا محمد ان كنتم تحبون الله كما تدعون
فاظهروا دلالة صدقكم بطاعة الله وطاعة رسوله فذلك امارة صدق الدعوى فان تولوا فان اعرضوا عن طاعة الله
وطاعة رسوله فان الله لا يحب انه يبغضهم من وجه ويحبهم من وجه كما يجوز ان يعلم الشيء من وجه ويجهله من وجه
وفي هذا دلالة على بطلان مذهب المجبرة لانه اذا لم يحب الكافرين من اجل كفرهم ولم يرد ثوابهم لذلك فلا يريد
اذا كفرهم لانه لو اراده لم يكن نفي محبته لهم لكفرهم قوله تعالى ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران
على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم آيتان اللغة الاصطفاء الاجتباء والاختيار نظائر وهو افتعال
من الصفوة وهذا من حسن البيان الذي يمثل به المعلوم بالمرئي وذلك ان الصافي هو النقي من شائب الكدر
فيما يشاهد فمثل الله تعالى خلوص هؤلاء القوم من الفساد بخلوص الصافي من شائب الادناس وقد بينا
معنى الآل فيما مضى عند قوله واذ نجيناكم من آل فرعون ومعنى الذرية واصلها عند قوله ومن ذريتي الاعراب يحتمل
نصب ذرية وجهين احدهما ان تكون حالا والعامل فيها اصطفى والثاني ان يكون على البدل من مفعول اصطفى
المعنى ان الله اصطفى اي اختار واجتبى آدم ونوحا بالنبوة وآل ابراهيم وآل عمران على عالمي زمانهم بان جعل الانبياء
منهم وقيل اختار دينهم لقوله واسئل القرية عن الفراء وقيل اختارهم بالتفضيل على غيرهم بالنبوة وغيرها من الامور
الجليلة التي رتبها لهم لما في ذلك من مصالح الخلق وقيل اختار آدم بان خلقه من غير واسطة واسكنه جنته
واسجد له ملائكته وارسله الى الملائكة والانس واختار نوحا بالنبوة وطول العمر واجابة الدعاء وغرق قومه ونجاه
في السفينة واختار ابراهيم بالخلة وتبريد النار واهلاك نمرود وقوله وآل ابراهيم وآل عمران قيل ان نفس ابراهيم
ونفس عمران لقوله وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون يعني موسى وهرون وقيل اراد آل ابراهيم اولاده
اسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وفيهم داود وسليمان ويونس وذكريا ويحيى وعيسى وفيهم نبينا صلى الله عليه
وآله لانه من ولد اسمعيل وقيل آل ابراهيم هم المؤمنون المستمسكون بدينه وهو دين الاسلام عن ابن عباس والحسن
واما آل عمران فقيل هم آل ابراهيم ايضا كما قال ذرية بعضها من بعض فهم موسى وهرون ابنا عمران وهو عمران بن يصهر بن قاهث
بن لاوي بن يعقوب وقيل يعني بآل عمران مريم وعيسى وهو عمران بن اشهم من ولد سليمان بن داود وهو ابو
مريم لان آل الرجل اهل بيته الذي ينتسب اليه عن الحسن ووهب وفي قراءة اهل البيت عليهم السلم وآل محمد على العالمين
وقالوا ايضا ان آل ابراهيم هم آل محمد الذين هم اهله ويجب ان يكون الذين اصطفاهم الله تعالى مطهرين معصومين منزهين
عن القبائح لانه سبحانه لا يختار ولا يصطفي الا من كان كذلك ويكون ظاهره مثل باطنه في الطهارة والعصمة فعلى هذا
يختص الاصطفاء بمن كان معصوما من آل ابراهيم وآل عمران سواء كان نبيا او اماما ويقال الاصطفاء على وجهين
احدهما انه اصطفاه لنفسه اي جعله خالصا له يختص به والثاني انه اصطفاه على غيره اي اختصه بالتفضيل على غيره وعلى
هذا الوجه معنى الآية فان قيل كيف اختصهم الله بالتفضيل قبل العمل فالجواب انه اذا كان المعلوم ان صلاح المكلفين

لايتم بهم فلا بد من تقديم البشارة بهم والاخبار بما يكون من حسن شمائلهم وافعالهم والتشويق اليهم بما يكون من
خلال اقدامهم وزكاة خلالهم ليكون ذلك داعيا للناس الى القبول منهم والانقياد لهم وفي هذه الآية دلالة على تفضيل الانبياء
على الملائكة عليهم اجمعين السلم لان العالمين تعم الملائكة وغيرهم من المخلوقين وقد فضلهم سبحانه واختارهم على الكل وقوله
ذرية اي اولاد او اعقابا بعضها من بعض قيل معناه في التناصر في الدين وهو الاسلام اي دين بعضها من دين بعض كما قال
المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض اي في التناصر والتعاضد على الضلال وهو قول الحسن وقتاده
وقيل بعضها من بعض في التناسل والتوالد فانهم ذرية آدم ثم ذرية ابرهيم وهو المروي عن ابي عبد الله عليه السلم لانه قال
الذين اصطفاهم الله بعضهم من نسل بعض واختاره ابو علي الجبائي والله سميع عليم فيه قولان احدهما ان معناه
سميع لما تقول الذرية عليم بما يضمرونه فلذلك فضلهم على غيرهم لما في معلومه من استقامتهم في افعالهم واقوالهم
والثاني ان معناه سميع لما تقول امراة عمران من الندر عليم بما تضمره وتنبيه لك على اختصاص ذلك منهم النظم واتصال
الآية بما قبلها انه لما وقعت المنازعة في ابرهيم وعيسى واختلف اقوال اليهود والنصارى فيما بين سبحانه بان من
اطاع الرسول فيما مانقوله هو وقيل انه لما امر بطاعة نبيهم وابى ذلك المشركون بين سبحانه انه كما اصطفاه لرسالته
اصطفى من قبله من الانبياء فلا وجه لانكارهم رسالته قوله تعالى اذ قالت امرأة عمران رب اني نذرت
لك ما في بطني محررا فتقبل مني انك انت السميع العليم فلما وضعتها قالت رب اني وضعتها انثى والله اعلم
بما وضعت وليس الذكر كالانثى واني سميتها مريم واني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم آيتان القراءة
قرا ابن عامر وابو بكر عن عاصم ويعقوب بما وضعت بضم التاء وروي عن علي عليه السلم وقرا الباقون وضعت
على الحكاية الحجة من قرا بضم التاء جعله من كلام ام مريم ومن قرا باسكان التاء جعل ذلك من قول الله تعالى
ويقوي قول من اسكن التاء قوله والله اعلم ولو كان من قول ام مريم لقال وانت اعلم بما وضعت لانها تخاطب
الله سبحانه اللغة معنى المحرر في اللغة يحتمل امرين احدهما المعتوق من الحرية يقال حررته تحريرا اعتقته اي جعلته حرا
والآخر تحرير الكتاب يقال حررت الكتاب اي اخلصته من الفساد واصلحته والتقبل اخذ الشيء على الرضا كتقبل
الهدية واصل الوضع الحط وضعت الولد يعني ولدت والموضع مكان الوضع والضعة الخساسة لانها تضع من قدر
صاحبها والايضاع في السير الرفق فيه لانه حط عن شدة الاسراع والشيطان الرجيم مر تفسيرهما في اول الكتاب
الاعراب في موضع اذ قالت اقوال احدها انه نصب بـ اذكر عن الاخفش والمبرد والثاني انه متعلق باصطفى آل
عمران عن الزجاج الثالث انه متعلق بسميع عليم منحو فيه معنى الصفتين وتقديره والله مدرك لقولها وقولها اذ
قالت عن علي بن عيسى الرابع ان اذ زائدة فلا موضع لها من الاعراب عن ابي عبيدة وهذا خطأ عند البصريين
ومحررا نصب على الحال من ما وتقديره نذرت لك الذي في بطني محررا والعامل فيه نذرت وقوله انثى نصب على الحال
المعنى لما ذكر سبحانه اصطفاء آل عمران عقبه بذكر مريم بنت عمران فقال اذ قالت امرأة عمران وقد مضى القول فيه
واسمها حنة جدة عيسى وكانتا اختين احديهما عند عمران بن ماثان من ولد سليمان بن داود وقيل هو عمران بن ماثان
عن ابن عباس ومقاتل وليس بعمران ابي موسى وبينهما الف وثمانمائة سنة وكان بنو ماثان رؤوس بني اسرائيل والاخرى
كانت عند زكريا عليه السلم واسمها اشاع واسم ابيها فاقود بن قبيل فيحيى ومريم ابنا خالة رب اني نذرت لك ما في
بطني اوجبت لك ان اجعل الذي في بطني محررا اي خادما للبيعة يخدم في متعبد ابنا عن مجاهد وقيل محررا للعبادة
ومخلصا لها عن الشعبي وقيل عتيقا خالصا لطاعتك لا استعمله في منافعي ولا اصرفه في حوائجي عن محمد بن جعفر بن
الزبير قالوا وكان المحرر اذا حرر جعل في الكنيسة يقوم عليها ويكنسها ويخدمها لا يبرح حتى يبلغ الحلم ثم يخير
فان احب ان يقيم اقام وان احب ان يذهب ذهب حيث شاء قالوا وكانت حنة قد امسك عنها الولد اسنت

مما هي تحت شجرة اذ رات طيرا يزق فرخه فتحركت نفسها للولد فدعت الله تعالى ان يرزقها ولدا فحملت بمريم وروي
عن ابي عبد الله عليه السلم قال ان الله عز وجل اوحى الى عمران اني واهب لك ذكرا سويا مباركا يبرئ الاكمه والابرص ويحيي الموتى
باذن الله وجاعله رسولا الى بني اسرائيل فحدث امراته حنة بذلك وهي ام مريم عليها السلام فلما حملت بها قالت
رب اني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل مني اي نذري قبول رضاء انك انت السميع العليم لما اقول العليم بما
انوي فلهذا حسنت التثنية فلما وضعتها مات عمران هلك وهي حامل فوضعت بعد ذلك يعني ولدت مريم وكانت ترجوا
ان يكون غلاما فلما وضعتها خجلت واستحيت وقالت منكسرة راسها رب اني وضعتها انثى وقيل فيه قولان احدهما
ان المراد به الاعتذار من العدول الى النذر لانها انثى والآخر ان المراد تقديم الذكر في السؤال لها بانها انثى لان
سعيها اضعف وعقلها انقص فقدمت ذكرها ليصح القصد لها في السؤال بقولها واني اعيذها بك والله اعلم
بما وضعت اخبار منه بانه اعلم بوصفها لانه هو الذي خلقها وصورها وعلى القراءة الاخرى وانت يا رب اعلم
مني بما وضعت وليس الذكر كالانثى لانها لا تصلح لما يصلح له الذكر من التحرير لخدمة بيت المقدس لما يلحقها من
الحيض والنفاس والصيانة عن التبرج للناس وعن قتاده لم يكن التحرير الا في الغلمان فيما جرت به العادة وقيل
ارادت ان الذكر افضل من الانثى على العموم واصلح للاشياء والهاء في قوله وضعتها كناية عما في قوله ما في بطني
وجاز ذلك لوقوع ما على مؤنث ويحتمل ان يكون كناية عن معلوم دل عليه الكلام واني سميتها اي جعلت اسمها
مريم وهي بلغتهم العابدة والخادمة فيما قيل وكانت مريم افضل النساء في وقتها واجلهن وروى الثعلبي باسناده
عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال حسبك من نساء العالمين اربع مريم بنت عمران وآسية بنت
مزاحم امراة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد واني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم خافت عليها
ما يغلب على النساء من الآفات فقالت ذلك وقيل انما استعاذتها من طعنة الشيطان نخسها التي لها يستهل
الصبي صارخا فوقاها الله عز وجل وولدها عيسى منه بحجاب فقد روى ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وآله قال ما من
مولود الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا من مس الشيطان اياه الا مريم وابنها وقيل انما استعاذت
من اغواء الشيطان الرجيم اياها عن الحسن قوله تعالى فتقبلها ربها بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا وكفلها
زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم انى لك هذا قالت هو من عند الله
ان الله يرزق من يشاء بغير حساب آية القراءة قرا اهل الكوفة كفلها بالتشديد والباقون بالتخفيف وقرا اهل
الكوفة الا ابا بكر زكريا مقصورا والباقون بالمد ونصب زكريا مع المد ابو بكر وحده والباقون بالرفع الحجة
قال ابو علي حجة من خفف كفلها قوله تعالى ايهم يكفل مريم وزكريا مرتفع لان الكفالة مسندة اليه ومن شدد
كفلها فعدى الفعل العائد الى ربها من قوله فتقبلها ربها وصار زكريا مفعولا بعد تضعيف العين والمعنى وضمنها القيم
في زكريا القيام اللغة انما جاء مصدر فعلها على القبول دون التقبل لان فيه معنى قبلها كما يقال تكرم كرما لان فيه
معنى كرم ومثله وانبتها نباتا حسنا لان فيه معنى فنبتت قال ابو عمرو ولا نظير لقبول في المصادر بفتح فاء الفعل الا
كلمة مضموم الفاء كالدخول والخروج وقال سيبويه جاءت خمسة مصادر على فعول بالفتح قبول ووضوء وطهور ووقود وولوع
ووقود الا ان الاكثر في وقود الضم اذا اريد المصدر واجاز الزجاج في قبول الضم والقبيل الكفيل وهو الضامن
يقال كفلته اكفله كفلا وكفولا وكفالة فانا كافل اذا تكفلت مؤنته ومنه الحديث انا وكافل اليتيم كهاتين اي من
من كفل في صغره وارضع حتى نشا والمكفول عنه في الفقه هو الذي عليه الدين والمكفول له هو من له الدين والمكفول
به هو الدين والكفيل هو الذي ثبت عليه الدين والمحراب مقام الامام من المسجد واصله اكرم موضع في المجلس
واشرفه وقال الزجاج هو المكان العالي الشريف قال ربه محراب اذا احببتها لم القها او ارتقي سلما ويقال للمسجد ايضا محراب

ومنه ما فسرنا من محاريب اي من مساجد وقيل انه اشرف المجالس لانه يحارب فيه الشيطان **المعنى** فتقبلها ربها مع انوثتها
ورضي بها في النذر الذي نذرته حنة للعبادة في بيت المقدس ولم تقبل قبلها انثى في ذلك المعنى وقيل معناه تكفل
بها في تربيتها والقيام بشانها عن الحسن وقيل اراها انه ما مرت عليها ساعة من ليل او نهار بقبول حسن تقبل منها
ولكنه محمول على قوله فتقبلها بقبول حسن وقيل معناه سلك بها طريق السعداء عن ابن عباس وانبتها نباتا حسنا
اي جعل نشوها نشوا حسنا وقيل سوى خلقها فكانت تشب في يوم ما يشب غيرها في عام عن ابن عباس وقيل
انبتها في رزقها وغذائها حتى تمت امراة بالغة تامة عن ابن جريج قال ابن عباس لما بلغت تسع سنين صامت
النهار وقامت الليل وتبتلت حتى غلبت الاحبار وكفلها زكريا بالتشديد معناه ضمها الله عز اسمه الى زكريا
وجعله كفيلها القيوم بها وبالتخفيف معناه ضمها زكريا الى نفسه وضمن القيام بامرها قالوا ان ام مريم اتت بها
ملفوفة في خرقة الى المسجد وقالت دونكم النذيرة فتنافس فيها الاحبار لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم
فقال لهم زكريا انا احق بها لان خالتها عندي فقالت له الاحبار انها لو تركت لاحق الناس بها لتركت لامها ولكنا
ولكنا نقترع عليها فتكون عند من خرج سهمه فانطلقوا وهم تسعة وعشرون رجلا الى نهر جار قال فالقوا اقلامهم في
الماء فارتز قلم زكريا وارتفع فوق الماء ورسبت اقلامهم عن ابن اسحق وجماعة وقيل بل ثبت قلم زكريا وقام فوق
الماء كانه في طين وجرت اقلامهم مع جرية الماء فذهب بها الماء عن السدي فسهمهم زكريا وقرعهم وكان راس الاحبار
ونبيهم فذلك قوله وكفلها زكريا وكان زكريا من ولد سليمان بن داود وفيه ثلث لغات المد والقصر زكري مشدد
قال فلما ضم زكريا مريم الى نفسه بنى لها بيتا واسترضع لها وقال محمد بن اسحق ضمها الى خالتها ام يحيى حتى اذا شبت
وبلغت مبلغ النساء بنى لها محرابا في المسجد وجعل بابه في وسطها لا يرقى اليها الا بسلم مثل باب الكعبة ولا يصعد
اليها غيره وكان ياتيها بطعامها وشرابها ودهنها كل يوم كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا يعني
وجد زكريا عندها فاكهة في غير حينها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف غضا طريا عن ابن عباس
وقتادة ومجاهد والسدي وقيل انها لم ترضع قط وانما كان ياتيها رزقها من الجنة عن الحسن قال يا مريم
انى لك هذا قال لها زكريا كيف لك ومن اين لك هذا كالمتعجب منه قالت هو من عند الله اي من الجنة وهذه
تكرمة من الله تعالى لها وان كان ذلك خارقا للعادة فان عندنا يجوز ان تظهر الايات الخارقة للعادة على
غير الانبياء من الاولياء والاصفياء ومن منع ذلك من المعتزلة قالوا فيه قولين احدهما ان ذلك كان تاسيسا
لنبوة عيسى عن البلخي والاخر انه كان بدعاء زكريا عليه السلم لها بالرزق وفي الجملة وكانت معجزة له عن الجبائي
ان الله يرزق من يشاء بغير حساب قد مر تفسيره ووجه اتصاله بما تقدم ان يكون حكاية لقول مريم وعلى هذا يكون
معنى قوله بغير حساب الاستحقاق على العمل لانه تفضل منه يبتدي الله به من يشاء من خلقه ويحتمل ان يكون
اخبارا من الله تعالى على الاستيناف قوله تعالى **هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة**
انك سميع الدعاء فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب ان الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيدا
وحصورا ونبيا من الصالحين ايتان **القراءة** قرا اهل الكوفة غير عاصم فناديه الملائكة على التذكير والامالة والباقون
فنادته على التانيث وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي يبشرك بفتح الياء والتخفيف والباقون بضم الياء والتشديد
الحجة من قرا فنادته بالتاء فلموضع الجماعة كما تعود هي على الرجال ومن قرا فناديه فعلى المعنى ومن فتح ان كان المعنى
فنادته بان الله احذف الجار واوصل الفعل فان في موضع نصب وعلى قياس قول الخليل في موضع جر ومن كسر اضمر القول
كانه نادته فقالت ان الله او اجرى النداء مجرى القول كما حذف في قوله فدعا ربه اني مغلوب واضمار القول
كثير واما يبشرك فقال ابو عبيدة يبشرك ويبشرك واحد وقال الزجاج هذا من بشر يبشر اذا افرح واصل هذا

170

كله ان بشرة الانسان تنبسط عند السرور **اللغة** الهبة تمليك الشيء من غير ثمن والسيد ماخوذ من السواد وهو الذي يجب
طاعته لمالكه هذا اذا استعمل مضافا الى المسود فاما اذا اطلق فلا ينبغي الا لله تعالى والحصور الممتنع عن الجماع ومنه قيل
الذي يمتنع ان يخرج مع ندمانه شيئا للنفقة حصور وقال وشارب مربح بالكاس نادمني لا بالحصور ولا فيها بسوار
للذي يكتم سره حصور **الاعراب** هنالك الاصل فيه الظرف من المكان تقول اجلس هنا وهناك وهنالك والفرق ان هنا
للقريب وهنالك للبعيد وهناك لما بينهما قال الزجاج ويستعمل في الحال كقولك من هاهنا قلت كذا اي من هذا
الوجه وفيه معنى الاشارة كقولك ذا وذاك وذلك وزيدت اللام لتاكيد التعريف وكسرت لالتقاء الساكنين كما كسرت في ذلك
وانما بني لدن ولم يبن عند وان كان بمعناه لانه استبهم استبهام الحروف لانه لا يقع في جواب اين كما يقع عند في نحو
قولهم اين زيد فيقال عندك ولا تقول لدنك وهو جملة في موضع الحال من الهاء في نادته وقوله يصلي في المحراب جملة في
موضع الحال من الضمير في قائم وقوله مصدقا نصب على الحال من يحيى وقوله من الصالحين من هاهنا لتبيين الصفة
وليس المراد به التبعيض لان النبي لا يكون الا صالحا **المعنى** هنالك اي عند ذلك الذي راى من فاكهة الصيف في الشتاء
وفاكهة الشتاء في الصيف على خلاف ما جرت به العادة دعا زكريا ربه فقال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة اي طمع
في رزق الولد من العاقر على خلاف مجرى العادة فسال ذلك وقوله طيبة اي مباركة عن السدي وقيل صالحة تقية
نقية العمل وانما انث طيبة وانما سال ولدا ذكرا على لفظ الذرية كما قال الشاعر ابوك خليفة ولدته اخرى وانت خليفة
ذاك الكمال انك سميع الدعاء معناه سامع الدعاء بمعنى قابل الدعاء ومجيبه ومنه قول القايل سمع الله لمن حمده اي قبل الله
دعاه وانما قيل السامع للقابل المجيب لان من كان اهلا ان يسمع منه فهو اهل ان يقبل منه ومن لا يعتد بكلامه
فهو بمنزلة من لا يسمع فنادته الملائكة قيل ناداه جبرئيل ع عن السدي فعلى هذا يكون المعنى اتاه النداء من هذا الجنس
كما يقال ركب فلان في السفن وانما ركب سفينة واحدة والمراد جاءه النداء من جهة الملائكة وقيل ناداه جماعة من
الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب اي في المسجد وقيل في محراب المسجد ان الله يبشرك بيحيى سماه الله بهذا الاسم
قبل مولده واختلف فيه لم سمي يحيى فقيل لان الله احياه بعقر امه عن ابن عباس وقيل لان الله احياه بالايمان
عن قتادة وقيل لانه سبحانه احيا قلبه بالنبوة ولم يسم قبله احد بيحيى مصدقا بكلمة من الله اي مصدقا بعيسى عليه السلم
وعليه جميع المفسرين واهل التاويل الا ما حكي عن ابي عبيدة انه قال بكتاب الله كما يقولون انشدني كلمة فلان
اي قصيدته وان طالت وانما سمي المسيح كلمة الله لانه حصل بكلام الله من غير اب وقيل انما سمي به لان الناس يهتدون
به كما يهتدون بكلام الله كما سمي روح الله لان الناس كانوا يحيون به في اديانهم كما يحيون بارواحهم وكان يحيى اكبر سنا
من عيسى عليه السلم بستة اشهر وكلف بالتصديق به فكان اول من صدق وشهد انه كلمة الله وروحه وكان ذلك
احدى معجزات عيسى عليه السلم واقوى الاسباب لاظهار امره فان الناس كانوا يقبلون قول يحيى لمعرفتهم بصدقه
وزهده وسيدا في العلم والعبادة عن قتادة وقيل في الحلم والتقى وحسن الخلق عن الضحاك وقيل كريما على ربه عن ابن عباس
وقيل فقيها عالما عن سعيد بن المسيب وقال الجبائي والجميع يرجع الى اصل واحد وهو انه اهل لتمليكه تدبير من يجب عليه
طاعته لما هو عليه من هذه الاحوال وحصورا وهو الذي لا ياتي النساء عن ابن عباس وابن مسعود والحسن وقتادة
وهو المروي عن ابي عبد الله ومعناه انه يحصر نفسه عن الشهوات اي يمنعها وقيل الحصور الذي لا يدخل في اللعب والاباطيل
عن المبرد وقيل هو العنين عن ابن المسيب والضحاك وهذا لا يجوز على الانبياء لانه عيب وذم ولان الكلام خرج مخرج
المدح ونبيا من الصالحين اي رسولا شريفا رفيع المنزلة من جملة الانبياء لان الانبياء كلهم صالحون وفي هذه الاية
دلالة على ان زكريا انما طمع في الولد لما راى المعجزات وهو وان كان عالما بانه تعالى يقدر على ان يخلق الفاكهة في
غير حينها [illegible] وانه يفعل ذلك اذا اقتضت المصلحة كما ان ابرهيم عليه السلم وان كان عالما بانه تعالى يقدر على احياء

المبشرة بالولد الصالح نعمة من الله على العبد فلذلك بشر به
الميت سال ذلك مشاهدة لتلك معرفته ومبهلا لها على ان الولد الصالح نعمة من الله على العبد فلذلك بشر به
قوله تعالى قال رب انى يكون لى غلام وقد بلغنى الكبر وامراتى عاقر قال كذلك الله يفعل ما يشاء آية اللغة العاقر
من الرجال الذى لا يولد له من النساء التى لا تلد يقال عقرت تعقر عقرا فهى عاقر وعقر الفرس عقرا
ام علم مثل من يحسب والعقر دية فرج المراة اذا غصبت نفسها وبيضة العقر اخر بيضة والعقر محلة القوم والعقر اصل
كل شىء ويقال غلام بين الغلومية والغلومة وهو الشاب من الناس والغلمة والاغتلام شدة طلب النكاح وسمى الغلام
غلاما لانه فى حال يطلب فى مثلها النكاح والغيلم منبع الماء من الابار لانه يطلب الطهور المعنى قال زكريا يا رب الله
عز وجل لجبرئيل انى يكون اى من اين يكون وقيل كيف لى غلام اى ولد وقد بلغنى الكبر اى اصابنى الشيب ونالنى الهرم
وانما جاز ان يقول بلغنى الكبر لان الكبر بمنزلة الطالب له فهو ياتيه بحدوثه فيه والانسان ايضا ياتى الكبر بمرور السنين
عليه ولو قلت بلغنى البلد بمعنى بلغت البلد لم يجز لان الاماكن لا تاتى وقال ابن عباس كان زكريا يوم بشر بالولد
ابن عشرين ومائة سنة وكانت امراته بنت ثمان وتسعين سنة وامراتى عاقر اى عقيم لا تلد فان قيل لم راجع
زكريا هذه المراجعة وقد بشره الله تعالى بان يهب له ذرية طيبة بعد ان سال ذلك قيل انما قال ذلك على سبيل التعرف
عن كيفية حصول الولد اتعطيهما الله اياه وهما على ما كانا عليه من الشيب ام يصرفهما الى حال الشباب ثم يرزقهما الولد
عن الحسن ويحتمل ان يكون اشتبه الامر عليه ايعطيه الولد من امراته العجوز ام من امراة اخرى شابة فقال الله تعالى
كذلك وتقديره كذلك الامر الذى انتما عليه وعلى تلك الحال يفعل ما يشاء معناه يرزقك الله الولد منها فانه
هين عليه كما انشاكما ولم تكونا شيئا فانه سبحانه قادر يفعل ما يشاء وقيل فيه وجه آخر وهو انه انما قال ذلك على سبيل
الاستعظام لمقدور الله والتعجب الذى يحصل للانسان عند ظهور آية عظيمة كمن يقول لغيره كيف سمحت نفسك باخراج
ذلك الملك النفيس من يدك تعجبا من جوده وقيل انه قال ذلك على وجه التعجب من انه كيف اجابه الله سبحانه
الى مراده فيما دعا وكيف استحق ذلك ومن زعم انه انما قال ذلك للوسوسة التى خالجت قلبه من الشيطان
او خيلت اليه ان النداء كان من غير الملائكة فقد اخطا لان الانبياء لا بد ان يعرفوا الفرق بين كلام الملك
ووسوسة الشيطان ولا يجوز ان يتلاعب بهم الشيطان حتى يختلط عليهم طريق الافهام قوله تعالى قال رب
اجعل لى آية قال آيتك الا تكلم الناس ثلثة ايام الا رمزا واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشى والابكار آية اللغة
فى وزن آية ثلثة اقوال احدها فعلة الا انه شذ من اعلال العين مع سكون اللام حرف علة وانما القياس فى مثله
اعلال اللام نحو حياة ونواة ونظيره راية وغاية وطاية والثانى فعلة وتقديره آيية الا انها قلبت كراهة التضعيف
نحو طاى من طى والثالث فاعلة منقوصة قال على بن عيسى وهذا ضعيف لان تصغيرها اسية ولو كانت
فاعلة لقالوا ويسة الا انه يجوز على ترخيم التصغير نحو فطيمة والرمز الايماء بالشفتين وقد يستعمل فى الايماء بالحاجب
والعين واليد والاول اغلب قال جوبة بن عائذ كان تكلم الابطال رمزا وغمغمة لهم مثل الهدير والعشى من حين زوال
الشمس الى غروبها فى قول مجاهد قال الشاعر فلا الظل من برد الضحى تستطيعه ولا الفىء من برد العشى تذوق والعشاء
من لدن غروب الشمس الى ان يولى صدر الليل والعشاء طعام العشى والعشاء مقصور ضعف العين واصل الباب
الظلمة والابكار من حين طلوع الفجر الى وقت الضحى واصله التعجيل بالشىء ابكر وبكر بكورا ومنه الباكورة سال الله
سبحانه زكريا علامة يعرف بها وقت حمل امراته ليزيد فى العبادة شكرا وقيل ليتعجل السرور به عن الحسن فقال رب اجعل
لى آية اى علامة لوقت الحمل والولد فجعل الله سبحانه تلك العلامة فى امساك لسانه عن الكلام الا ايماء من غير آفة
حدثت فيه بقوله قال آيتك اى قال الله ويحتمل ان يكون المراد قال جبرئيل آيتك اى علامتك الا تكلم الناس ثلثة
ايام الا رمزا اى ايماء عن قتادة وقيل الرمز تحريك الشفتين عن مجاهد وقيل اراد به صوم ثلثة ايام لانهم كانوا

اذا صاموا لم يتكلموا الا رمزا عن عطا واذكر ربك كثيرا اى فى هذه الايام الثلثة ومعناه انه لما منع من الكلام عرف
انه لم يمنع من الذكر لله سبحانه والتسبيح وذلك ابلغ فى الاعجاز وسبح اى عظمه واراد التسبيح المعروف وقيل
معناه صل يقال فرغت من سبحتى اى صلاتى بالعشى والابكار فى آخر النهار واوله قوله عز وجل اذ قالت الملائكة
يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين يا مريم اقنتى لربك واسجدى واركعى
مع الراكعين آيتان المعنى قدم سبحانه ذكر امراة عمران وفضل بنتها على الجملة ثم ذكر تفصيل تلك الجملة فقال واذ
قالت الملائكة اذ هذه معطوفة على اذ فى قوله اذ قالت امراة عمران او يكون معناه واذكر اذ قالت الملائكة
وقيل يعنى جبرئيل وحده ان الله اصطفاك اى اختارك والطف لك حتى تفرغت لعبادته واتباع مرضاته وقيل
معناه اصطفاك لولادة المسيح عن الزجاج وطهرك بالايمان عن الكفر وبالطاعة عن المعصية عن الحسن وسعيد بن
جبير وقيل طهرك من الادناس والاقذار التى تعرض للنساء مثل الحيض والنفاس حتى صرت صالحة لخدمة المسجد عن الزجاج
وقيل طهرك عن الاخلاق الذميمة والطبائع الردية واصطفاك على نساء العالمين اى على نساء عالمى زمانك لان فاطمة
بنت رسول الله صلى الله عليه وآله سيدة نساء العالمين وهو قول ابى جعفر وقد روى عن النبى صلى الله عليه وآله
انه قال فضلت خديجة على نساء امتى كما فضلت مريم على نساء العالمين وقال ابو جعفر عليه السلم معنى الاية اصطفاك
لذرية الانبياء وطهرك من السفاح واصطفاك لولادة عيسى من غير فحل وخرج بهذا من ان يكون تكريرا اذ يكون الاصطفا
على معنيين مختلفين يا مريم اقنتى لربك اى اعبديه واخلصى له العبادة عن سعيد بن جبير وقيل معناه اديمى الطاعة
له عن قتادة وقيل اطيلى القيام فى الصلوة عن مجاهد واسجدى واركعى مع الراكعين كما يعمل الساجدون والراكعون
لا ان يكون ذلك امرا بان تعمل السجود والركوع معهم فى الجماعة وقدم السجود على الركوع لان الواو لا توجب الترتيب فانها
فى الاشياء المتغايرة نظيرة التثنية فى المتماثلة وانما توجب الجمع لا شتراك وقيل معناه واسجدى لله شكرا واركعى
اى وصلى اى صلى مع المصلين وقيل معناه صلى فى الجماعة عن الجبائى قوله عز وجل ذلك من انباء الغيب نوحيه
اليك وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم ايهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون آية اللغة الانباء الاخبار
الواحد نبا والايحاء الارسال من الانبياء تقول اوحى الله اليه اى ارسل اليه ملكا والايحاء الالهام ومنه قوله
واوحى ربك الى النحل وقوله بان ربك اوحى لها معناه القى اليها معنى ما اراد منها قال العجاج اوحى لها القرار فاستقرت
وشدها بالراسيات الثبت والايحاء الايماء قال واوحت اليها والانامل رسلها ومنه قوله فاوحى اليهم ان سبحوا
بكرة وعشيا اى اشار اليهم والوحى الكتابة قال روبة لقدر كان وحاها الواحى وقال فى سور من ربنا موحية والقلم
الذى يكتب به والقلم الذى يجال بين القوم كل انسان وقلمه وهو القدح والقلم قص الظفر ومقالم الرمح كعوبه
واصله قطع طرف الشىء الاعراب قال ابو على اذ فى قوله اذ يلقون متعلق بكنت كانه قال وما كنت لديهم واذ فى قوله اذ قالت
الملائكة وقد يختصمون متعلق بيختصمون ويجوز ايضا ان يكون متعلقا بكنت كانه قال وما كنت لديهم اذ قالت
الملائكة وهذا انما يجوز عندى اذا قدرت اذ الثانية بدلا من الاولى فان لم تقدر هذا التقدير لم يجز وانما يجوز
البدل فى هذا اذا كان وقت اختصامهم وقت قول الملائكة ليكون البدل المبدل منه فى المعنى المعنى ذلك اشارة الى
ما تقدم ذكره من حديث مريم وزكريا ويحيى من انباء الغيب اى من اخبار ما غاب عنك وعن قومك نوحيه اليك
اى نلقيه اليك مخرج لك ومذكرا تذكرة وموعظة وعبرة ووجه الاعجاز فيه ان ما غاب عن الانسان لا يمكن ان يعلم
الا بدرس الكتب او التعلم او الوحى والنبى صلى الله عليه وآله لم يشاهد هذه القصص ولا قراها من الكتب ولا تعلمها اذ كان نشوه
بين اهل مكة ولم يكونوا اهل كتاب فوضح ان الله سبحانه اوحى اليه بذلك فى ذلك صحة نبوته وما كنت يا محمد لديهم عندهم اذ يلقون
اقلامهم التى كانوا يكتبون بها التورية فى الماء على ما تقدم ذكره وقيل اقلامهم قداحهم للاقتراع جعلوا عليها علامات

تعرفون بها من يكفل مريم على جهة القرعة أيهم يكفل مريم وفيه حذف أي لينظروا أيهم يظفر فيخرج عليه ليكفل
مريم وهذا تعجيب من الله سبحانه نبيه من شدة حرصهم على كفالة مريم والقيام بأمرها عن قتادة وقيل هو تعجيب من
تراغبهم لكفالتها للشدة اللازمة التي لحقتهم حتى وفقوا لها خير الكفلاء لها زكريا عليه السلام وما كنت لديهم إذ يختصمون فيه
دلالة على أنهم قد بلغوا في التشاح عليها إلى حد الخصومة وفي وقت التشاح قولان أحدهما حين ولادتها وحمل أمها
إياها إلى الكنيسة تشاحوا في الذي يحضنها ويكفل تربيتها وهذا قول الأكثر وقال بعضهم كان ذلك وقت كبرها وعجز زكريا
عن تربيتها وفي هذه الآية دلالة على أن للقرعة مدخلا في تمييز الحقوق وقد قال الصادق ع ما تقارع قوم ففوضوا
أمورهم إلى الله عز وجل إلا خرج بينهم الحق وقال أي قضية أعدل من القرعة إذا فوض الأمر إلى الله عز وجل أليس الله يقول
فساهم فكان من المدحضين وقال الباقر ع أول من سوهم عليه مريم بنت عمران ثم تلا وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم
أيهم يكفل مريم والسهام ستة ثم استهموا في يونس عليه السلام ثم كان عبد المطلب ولد له تسعة بنين فنذر في العاشر
إن رزقه الله غلاما أن يذبحه فلما ولد عبد الله لم يقدر أن يذبحه ورسول الله في صلبه فجاء بعشر من الإبل فساهم
عليها وعلى عبد الله فخرجت السهام على عبد الله فزاد عشرا فلم تزل السهام تخرج على عبد الله ويزيد عشرا فلما أن
خرجت مائة خرجت السهام على الإبل فقال عبد المطلب ما أنصفت ربي فأعاد السهام ثلاثا فخرجت على الإبل فقال الآن
علمت أن ربي قد رضي فنحرها قوله عز وجل إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم
وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين آيتان القراءة ذكرنا القراءة في
يبشرك [illegible] اللغة المسيح فعيل بمعنى مفعول وأصله أنه مسح من الأقذار وطهر والمسيح الذي أحد شقي وجهه
ممسوح لا عين له ولا حاجب ولذلك سمي الدجال به وقيل المسيح عيسى بفتح الميم والتخفيف وهو الصديق والمسيح
الدجال بكسر الميم وتشديد السين نحو شريب عن إبراهيم النخعي وأنكره غيره قال الشاعر إذ المسيح يقتل المسيحا والوجيه
الكريم على من يسأله فلا يرده لكرم وجهه عنده خلاف من يبذل وجهه للمسألة فيرد يقال وجه الرجل يوجه وجاهة
وله جاه عند الناس وجاه أي منزلة رفيعة والكهل ما بين الشاب والشيخ ومنه اكتهل النبت إذا طال
وقوي والمرأة كهلة قال الشاعر ولا أعود بعدها كريا أمارس الكهلة والصبيا ومنه الكاهل ما فوق الظهر إلى ما يلي
العنق وقيل الكهولة بلوغ أربع وثلاثين سنة الإعراب وجيها منصوب على الحال المعنى يبشرك بهذا الولد وجيها
ويكلم في موضع نصب أيضا على الحال عطفا على وجيها وجائز أن يعطف بلفظ يفعل على فاعل لمضارعته فاعلا قال
بات يعشيها بعضب باتر يقصد في أسوقها وجائر أي قاصد في أسوقها وجائر وقوله وكهلا حال من يكلم المعنى
إذ قالت الملائكة قال ابن عباس جبرئيل عم يا مريم إن الله يبشرك يخبرك بما يسرك بكلمة منه فيه قولان أحدهما أنه المسيح
عليه السلام سماه كلمة عن ابن عباس وقتادة وجماعة من المفسرين وإنما سمي بذلك لأنه كان بكلمة من الله من غير والد
وهو قوله كن فيكون يدل عليه قوله إن مثل عيسى عند الله الآية وقيل سمي بذلك لأن الله تعالى بشر به في الكتب السالفة
كما يقول الذي يخبر بالأمر إذا خرج موافقا لأمره قد جاء كلامي ومما جاءت البشارة به في التوراة أتانا الله من سيناء وأشرق من ساعير
واستعلن من جبال فاران وساعير هو الموضع الذي بعث منه المسيح عليه السلام وقيل لأن الله يهدي به كما يهدي بكلمته
والقول الثاني أن الكلمة بمعنى البشارة كأنه قال ببشارة منه ولد اسمه المسيح والأول أقوى ويدل عليه قوله إنما المسيح عيسى بن مريم
رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وإنما ذكر الضمير في اسمه وهو عائد إلى الكلمة لأنه واقع على مذكر فذهب إلى المعنى
واختلف في أنه لم سمي بالمسيح فقيل لأنه مسح بالبركة عن الحسن وسعيد وقيل لأنه مسح بالتطهير من الذنوب وقيل
لأنه مسح بدهن زيت بورك فيه وكانت الأنبياء تمسح به عن الجبائي وقيل لأنه مسحه جبرئيل بجناحه وقت ولادته ليكون
عوذة من الشيطان وقيل لأنه كان يمسح رأس اليتامى لله وقيل لأنه يمسح رأس اليتامى وقيل لأنه يمسح عين الأعمى فيبصر

عن الكلبي وقيل لأنه كان لا يمسح ذا عاهة بيده إلا برأ عن ابن عباس في رواية عطاء والضحاك وقال أبو عبيدة هو بالسريانية
مسيحا فعربته العرب عيسى بن مريم نسبه إلى أمه ردا على النصارى قولهم إنه ابن الله وجيها ذا جاه وقدر وشرف في الدنيا
والآخرة ومن المقربين إلى ثواب الله وكرامته ويكلم الناس في المهد أي صغيرا والمهد الموضع الذي يمهد لنوم الصبي ويعني
بكلامه في المهد قوله إني عبد الله آتاني الكتاب إلى آخر الآية ووجه كلامه في المهد أنه تبرئة لأمه مما قذفت وجلالة بالمعجزة
التي ظهرت فيه وكهلا أي ويكلمهم كهلا بالوحي الذي يأتيه من الله أعلمها الله سبحانه أنه يبقى إلى حال الكهولة وفي ذلك إعجاز
لكون المخبر على وفق الخبر وقيل إن المراد به الرد على النصارى بما كان فيه من التقلب في الأحوال لأن ذلك مناف لصفة
الإله ومن الصالحين أي من النبيين مثل إبراهيم وموسى وقيل إن المراد بالآية يكلمهم في المهد دعاء إلى الله وكهلا بعد
بعد نزوله من السماء لقتل الدجال وذلك لأنه رفع إلى السماء وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وذلك قبل الكهولة عن
زيد بن أسلم وفي ظهور المعجزة في المهد قولان أحدهما أنها كانت مقرونة بنبوة المسيح لأنه سبحانه أكمل عقله في تلك
الحال وجعله نبيا وأوحى إليه بما تكلم به عن الجبائي وقيل كان ذلك على التأسيس والإرهاص لنبوته عن ابن
الإخشيد ويجوز عندنا الوجهان ويجوز أيضا أن يكون معجزة لمريم يدل على طهارتها وبراءة ساحتها إذ لا مانع من
ذلك وقد دلت الأدلة الواضحة على جوازه قوله عز وجل قالت رب أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك
الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون آية الإعراب فيكون هنا لا يجوز فيه غير الرفع لأنه لا يصلح
أن يكون جوابا للأمر الذي هو كن لأن الجواب يجب بوجوب الأول نحو آتني فأكرمك وقم فأقوم معك ولا يجوز
قم فيقوم لأنه يكون على تقدير قم فإنك إن تقم تقم وهذا لا معنى له ولكن الوجه الرفع على الاستئناف بأنه سيقوم
ويجوز في قوله أن نقول له كن فيكون النصب عطفا على نقول المعنى قالت مريم يا رب أنى يكون أي كيف يكون
لي ولد ولم يمسسني بشر لم تقل ذلك استبعادا واستنكارا بل إنما قالت استفهاما واستعظاما لقدرة الله تعالى
لأن في طبع البشر التعجب مما خرج عن المعتاد وقيل إنما قالت ذلك لتعلم أن الله سبحانه يرزقها الولد وهي
على حالتها لم يمسها بشر أو بعد أن يهيئ لها زوجا يرزقها الولد على مجرى العادة قال كذلك الله يخلق ما يشاء
أي يخلق ما يشاء مثل ذلك وهي حكاية قال لها الملك أي يرزقك الولد وأنت على هذه الحالة لم يمسسك
بشر إذا قضى أمرا أي خلق أمرا وقيل إذا قدر أمرا فإنما يقول له كن فيكون قيل في معناه أحدهما أنه إخبار بسرعة
حصول مراد الله تعالى في كل شيء أراد حصوله من غير مهلة ولا معاناة ولا تكلف سبب ولا أداة وإنما كنى بهذا
اللفظ لأنه لا يدخل في وهم العباد شيء أسرع من كن فيكون والآخر أن هذه كلمة جعلها الله علامة للملائكة فيما
يريد إحداثه وإيجاده لما فيه من المصلحة والاعتبار وإنما استعمل لفظ الأمر فيما ليس بأمر هاهنا ليدل ذلك على
أن فعله بمنزلة فعل المأمور في أنه لا كلفة فيه على الآمر قوله تعالى ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ورسولا
إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله
وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم إن في ذلك
لآية لكم إن كنتم مؤمنين آيتان عد أهل الكوفة التوراة والإنجيل آية ولم يعدوا بني إسرائيل لتكون الاستئناف
بأن المفتوحة وعد غيرهم بني إسرائيل ولم يعدوا الإنجيل طلبوا تمام صفة المسيح لأن بعده ومعلما رسولا القراءة قرأ أهل
المدينة وعاصم ويعقوب وسهل ويعلمه بالياء والباقون بالنون وقرأ نافع إني أخلق بكسر الألف والباقون أني بالفتح
وقرأ أهل المدينة ويعقوب طائرا ومثله في المائدة وأبو جعفر كهيئة الطائر والباقون طيرا بغير ألف الحجة من قرأ ويعلمه
عطفه على قوله إن الله يبشرك ومن قرأ ونعلمه جعله على نحو قد نبئتكم ومن فتح أني أخلق جعلها بدلا من آية كأنه
قال جئتكم بأني أخلق لكم ومن كسر احتمل وجهين أحدهما الاستئناف وقطع الكلام مما قبله والآخر أنه فسر الآية بقوله

اني اخلق كما فسر الوعد في قوله وعد الله الذين آمنوا لهم مغفرة وفسر المثل في قوله كمثل آدم بقوله خلقه من تراب وهذا
الوجه احسن كانه في المعنى كن فتح وابدل من آية ومن قرأ طائرا اراد فيكون ما انفخ فيه وما اخلقه طائرا فاذ ذلك
واراد يكون كل واحد من ذلك طائرا كما قال فاجلدوهم ثمانين جلدة اي اجلدوا كل واحد منهم اللغة الحكمة والحكم بمعنى
ونظير الذلة والذل الطير معروف وطين الكتاب جعلت عليه طينا لاختمه وطينت البيت تطيينا والهيئة الحال الظاهرة
هاء فلان يهاء هيئة والنفخ معروف نفخ ينفخ نفخا والنفاخة للماء والكمه الاعمى قال سويد بن ابي كاهل كمهت
عيناه حتى ابيضتا فهو يلحى نفسه لما نزع الادخار الافتعال من الذخر ودخر البحرين مدخرون بالذال الاعراب موضع
نعلمه يحتمل ان يكون نصبا بالعطف على وجيها ويحتمل ان يكون لا موضع له من الاعراب لانه عطف على جملة لا موضع لها
وهي قوله كذلك الله يخلق ما يشاء وقيل هو عطف على نوحيه اليك وهذا لا يجوز لانه يخرج من معنى البشارة
لمريم ورسولا نصب على تقدير ويجعله رسولا فحذف لدلالة البشارة عليه ويجوز ان يكون نصبا على الحال عطفا على
وجيها لانه في تلك الوقت يكون رسولا بل بمعنى انه يرسل رسولا وقال الزجاج المعنى ويكلمهم رسولا باني قد جئتكم ولو قرئ
بالكسر اني قد جئتكم لكان صوابا والمعنى يقول اني قد جئتكم وموضع اني اخلق يحتمل ان يكون خفضا ورفعا فالخفض
على البدل من آية والرفع على ما ذكرناه قيل وبما تاكلون جائز ان يكون ما هنا بمعنى الذي اي بما تاكلونه المعنى
ويعلمه الكتاب اراد الكتابة عن ابن جريج قال اعطى الله عيسى تسعة اجزاء من الخط وسائر الناس جزءا وقيل اراد به
بعض الكتب التي انزلها الله على انبيائه سوى التورية والانجيل مثل الزبور وغيره عن ابي علي الجبائي وهو اليق بالظاهر
والحكمة اي الفقه وعلم الحلال والحرام عن ابن عباس كما روي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال اوتيت القرآن
ومثله معه وقيل اراد به السنن وقيل اراد به تلك جميع ما علمه من امور الدين والتورية والانجيل ان قيل لم افردهما بالذكر
مع دخولهما في الحكمة قيل تنبيها على جلالة موقعهما كقوله وملائكته ورسله وجبريل وميكال وقطع هنا قصة مريم
وولادتها وياتي تمام قصتها في سورة مريم وابتداء · عيسى ع فقال ورسولا الى بني اسرائيل وقد ذكرنا تقديره ومعناه
ويدل عليه اني قد جئتكم اي قال لهم وكلمهم لما بعث اليهم باني قد جئتكم بآية اي بدلالة وحجة من ربكم دالة على نبوتي
ثم حذف الباء فوصل الفعل اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير معناه وهذه الآية اني اقدر لكم واصور لكم
من الطين مثل صورة الطير فانفخ فيه اي في الطير المقدر من الطين وقال في موضع آخر فيها اي في الهيئة المقدرة فيكون
طيرا باذن الله ما بعده لان تصوير الطين على هيئة الطير والنفخ فيه مما يدخل تحت مقدور العباد فاما جعل الطين
طيرا حتى يكون لحما ودما وخلق الحيوة فيه مما لا يقدر عليه غير الله سبحانه فقال باذن الله ليعلم انه فعله تعالى ليس
بفعل عيسى ع وفي التفسير انه صنع من الطين كهيئة الخفاش ونفخ فيه فصار طائرا وابرئ الاكمه اي الذي ولد اعمى عن ابن عباس
وقتادة وقيل هو الاعمى عن الحسن والسدي والابرص الذي به وضح قال وهب ربما اجتمع على عيسى من المرضى في اليوم
خمسون الفا من اطاق منهم ان يبلغه بلغه ومن لم يطق اتاه عيسى يمشي اليه وانما كان يداويهم بالدعاء على شرط
الايمان واحيي الموتى باذن الله انما اضاف الاحياء الى نفسه على وجه المجاز والتوسع ولان الله تعالى كان يحيي الموتى عند
دعائه وقيل انه احيا اربعة انفس عازر كان صديقا له وكان قد مات منذ ثلثة ايام فقال لاخته انطلقي بنا الى قبره
ثم قال اللهم رب السموات السبع ورب الارضين السبع انك ارسلتني الى بني اسرائيل ادعوهم الى دينك واخبرهم
اني احيي الموتى فاحي عازر فقام عازر يخرج من قبره وبقي وولد له وابن العجوز مر به ميتا على سريره فدعا الله عيسى
فجلس على سريره ونزل عن اعناق الرجال ولبس ثيابه ورجع الى اهله وبقي وولد له وابنة العاشر قيل له اتحييها وقد
ماتت امس فدعا الله عز وجل فعاشت وبقيت وولدت وسام بن نوح دعاه باسم الله الاعظم فخرج من قبره
وقد شاب نصف راسه فقال قد قامت القيامة قال لا ولكني دعوتك باسم الله الاعظم قال ولم يكونوا يشيبون

في ذلك الزمان وكان سام بن نوح قد عاش خمسمائة سنة وهو شاب ثم قال امت قال بشرط ان يعيذني الله من سكرات الموت فدعا الله
سبحانه ففعل وقال الكلبي كان عيسى عليه السلام يحيي الاموات بيا حي يا قيوم وانما خص عيسى بهذه المعجزات لان الغالب
لما كان في زمانه الطب فاراهم الله سبحانه الآيات من جنس ما هم عليه ليكون المعجز اظهر كما ان الغالب لما كان في زمان موسى عليه السلام
السحر اراهم من جنس ذلك ما اعجزهم عن الاتيان بمثله وكان الغالب في زمن نبينا صلى الله عليه وآله البيان والبلاغة والفصاحة
فاراهم الله سبحانه المعجز بالقرآن الذي بهرهم ما فيه من عجايب النظم وغرايب البيان ليكون ابلغ في باب الاعجاز لان ياتوا
من امم الانبياء بمثل ما هم عليه ويعجزون عن الاتيان بمثله اذ لو اتاهم بما لا يعرفونه لكان يجوز ان يخطر ببالهم ان ذلك مقدور للبشر
غير انهم لا يهتدون اليه وانبئكم اي اخبركم بما تاكلون اي بالذي تاكلونه وما تدخرون كان يقول للرجل تغديت بكذا
وكذا ورفعت الى بيتك كذا ان في ذلك اي فيما ذكرت لكم لآية لكم اي حجة ومعجزة ودلالة لكم ان كنتم مؤمنين بالله اذ كان
لا يصح العلم بمدلول المعجزة الا لمن آمن بالله لان العلم بالمرسل لا بد وان يكون قبل العلم بالرسول وفي الآية دلالة على ان
عيسى عليه السلام كان مبعوثا الى جميع بني اسرائيل وقوله اني اخلق يدل على ان العبد محدث ويفعل ويخلق خلافا لقول
المجبرة لكن الخالق على الاطلاق هو الله تعالى قوله عز وجل ومصدقا لما بين يدي من التورية ولاحل لكم بعض الذي
حرم عليكم وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله واطيعون ان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم آيتان اللغة
الفرق بين التصديق والتقليد ان التصديق لا يكون الا فيما يبرهن عند صاحبه والتقليد فيما لم يبرهن
ولهذا لا يكون مقلدين للنبي صلى الله عليه وآله كما نصدقه والاحلال الاطلاق في الفعل بتحسينه والتحريم
هو حظر الفعل بتقبيحه والاستقامة خلاف الاعوجاج الاعراب ومصدقا نصب على الحال وتقديره وجئتكم مصدقا
لان اول الكلام يدل عليه ونظيره جئته بما يحب ومعرفا له ولا يكون عطفا على وجيها ولا رسولا لقوله لما بين يدي
ولم يقل لما بين يديه وقال ابو عبيدة اراد بقوله بعض الذي حرم كل الذي حرم عليكم واستشهد بقول لبيد تراك
امكنة اذا لم ارضها او يعتلق بعض النفوس حمامها معناه او يعتلق كل النفوس وانكر الزجاج ذلك وقال معناه
او يعتلق نفسي حمامها وخطأ ابا عبيدة من وجهين احدهما ان البعض لا يكون بمعنى الكل والثاني انه لا يجوز تحليل جميع
المحرمات لانه يدخل الكذب والظلم والقتل في ذلك المعنى ومصدقا لما بين يدي اي جئتكم مصدقا لما انزل قبلي من التورية
ولما فيها من البشارة بي وبمن ارسل قبلي من الانبياء ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم هذا معطوف على معنى قوله
مصدقا وتقديره ولاصدق ما بين يدي من التورية ولاحل لكم كما تقول جئته معتذرا ولاجتلب عطفه وقيل ان
الذي احل لهم لحوم الابل والثروب وبعض الطيور والحيتان مما كان قد حرم على بني اسرائيل عن قتادة والربيع وابن
جريج ووهب وقيل احل لهم السبت عن الكلبي وجئتكم بآية من ربكم اي بحجة تشهد بصدقي فاتقوا الله في مخالفتي
وتكذيبي واطيعون كما امركم الله تعالى ان الله ربي وربكم اي مالكي ومالككم وانما قال ذلك ليكون حجة على النصارى
في قولهم المسيح ابن الله والمعنى لا تنسبوني اليه فانا عبد له كما انكم عبيد له فاعبدوه وحده هذا صراط مستقيم اي دين مستقيم
اي عبادته دين مستقيم وقد استوفينا الكلام في الرب والصراط المستقيم في سورة الحمد قوله تعالى فلما احس عيسى منهم الكفر
قال من انصاري الى الله قال الحواريون نحن انصار الله آمنا بالله واشهد بانا مسلمون ربنا آمنا بما انزلت واتبعنا
الرسول فاكتبنا مع الشاهدين ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين ثلث آيات اللغة الاحساس الادراك بالحاسة
والحس القتل لانه يحس بالبلاء والحس العطف لاحساس الرقة على صاحبه والانصار جمع نصير كالاشراف جمع شريف واصل
الحواري الحور وهو شدة البياض ومنه الحواري من الطعام لشدة بياضه قال الحرث بن حلزة فقل للحواريات يبكين
غيرنا ولا تبكنا الا الكلاب النوابح يعني الكلاب لبياضهن والشاهد هو المخبر بالشيء عن مشاهدة هذا حقيقته وقد
يصرف فيه فقال البرهان شاهد بحق اي هو بمنزلة المخبر به عن مشاهدة ويقال هذا شاهد اي معد للشهادة والمكر اصله

اصله الالتفات ومنه قولهم لضرب من الشجر مكر لالتفافه والممكورة من النساء الملتفة الخلق وحد المكر خب يجمع به
العبد لايقاعه في الضرر والفرق بين المكر والحيلة ان الحيلة قد يكون لاظهار ما يعسر من الفعل من غير قصد الى الاضرار بالعبد
والمكر حيلة على العبد توقعه في مثل الوهق الاعراب مر ان المعنى مع كقولهم الزود الى الزود ابل اي مع الزود وقال الزجاج
لا يجوز ان يقال ان بعض الحروف من حروف المعاني يجزي عن الآخر وانما معنى هذا ان اللفظ لو عبر عنه مع افاد هذا المعنى
لا ان الى بمعنى مع لو قلت ذهب زيد الى عمرو لم يجز ان تقول ذهب زيد مع عمرو لان الى غاية ومع تضم الشيء الى الشيء والحروف
قد تتقارب في الفائدة فيظن الضعيف العلم باللغة ان معناهما واحد من ذلك قوله تعالى ولاصلبنكم في جذوع النخل
ولو كانت على هنا لادت هذه الفائدة واصل في انما هو للوعاء واصل على لما علا الشيء فقولك التمر في الجراب لو قلت على الجراب
لم يصلح ذلك ولكن جاز في جذوع النخل لان الجذع مشتمل على المصلوب لانه قد اخذه من اقطاره ولو قلت زيد على
الجبل او في الجبل يصلح لان الجبل قد اشتمل على زيد فعلى هذا مجاز هذه الحروف المعنى فلما احس اي وجد وقيل
ابصر ورأى يقال علم عيسى منهم الكفر وانهم لا يزدادون الا اصرارا على الكفر بعد ظهور الآيات والمعجزات التمس
المؤمنين من قومه بالسؤال والتعرف عما في اعتقادهم من نصرته فقال من انصاري الى الله وقيل انه لما عرف منهم
العزم على قتله قال من انصاري الى الله وفيه اقوال احدها ان معناه من اعواني على هؤلاء الكفار مع معونة الله
تعالى عن السدي وابن جريج والثاني معناه من انصاري في السبيل الى الله عن الحسن لانه دعاهم الى سبيل الله
والثالث معناه من اعواني على اقامة الدين المؤدي الى الله اي الى نيل ثوابه كقوله اني ذاهب الى ربي وحاجيا
على هذا ان عيسى انما بعث للوعظ دون الحرب فلما استنصر عليهم فقال لهم للحماية من الكافرين الذين ارادوا
قتله عند اظهار الدعوة عن الحسن ومجاهد وقيل ايضا يجوز ان يكون طلب النصرة ليتمكن من اقامة الحجة وليتميز
الموافق من المخالف قال الحواريون واختلف في سبب تسميتهم بذلك على اقوال احدها انهم سموا بذلك لنقاء
ثيابهم عن سعيد بن جبير وثانيها انهم كانوا قصارين يبيضون الثياب عن ابي ارطاة وثالثها انهم كانوا صيادين
يصيدون السمك عن ابن عباس والسدي ورابعها انهم كانوا خاصة الانبياء عن قتادة والضحاك وهذا اقوى
لانهم مدحوا بهذا الاسم كانه ذهب الى نقاء قلوبهم كنقاء الثوب الابيض بالتحوير وروي عن النبي صلى الله عليه وآله
الانصار الحواريون انه قال الزبير ابن عمتي وحواريي من امتي وقال الحسن الحواري الناصر وقال الكلبي وابو روق
الحواريون اصفياء عيسى وكانوا اثني عشر رجلا وقال عبد الله بن مبارك سموا حواريين لانهم كانوا نورانيين عليهم اثر
العبادة ونورها وحسنها كما قال سيماهم في وجوههم من اثر السجود نحن انصار الله معناه نحن اعوان الله على الكافرين من
قومك اي اعوان رسول الله او اعوان دين الله آمنا بالله صدقنا انه واحد لا شريك له واشهد يا عيسى بانا مسلمون
اي كن شهيدا لنا عند الله استشهدوه على اسلامهم لان الانبياء شهداء الله على خلقه يوم القيمة كما قال سبحانه ويوم نبعث
من كل امة شهيدا ربنا اي يا ربنا آمنا بما انزلت على عيسى واتبعنا الرسول اي عيسى فاكتبنا مع الشاهدين اي في جملة الشاهدين
لجميع ما انزلت لنفوز بما فازوا به وننال ما نالوا من كرامتك وقيل معناه واجعلنا مع محمد وامته عن ابن عباس
وقد سماهم الله تعالى شهداء بقوله لتكونوا شهداء على الناس اي من الشاهدين بالحق عندك هذه كلها حكاية
قول الحواريين وروي انهم اتبعوا عيسى وكانوا اذا جاعوا قالوا يا روح الله جعنا فيضرب بيده الى الارض سهلا كان او جبلا
فيخرج لكل انسان منهم رغيفين ياكلهما واذا عطشوا قالوا يا روح الله عطشنا فيضرب بيده الى الارض سهلا كان او جبلا
فيخرج ماء فيشربون قالوا يا روح الله من افضل منا اذا شئنا اطعمتنا واذا شئنا سقيتنا وقد آمنا بك واتبعناك
قال افضل منكم من يعمل بيده وياكل من كسبه فصاروا يغسلون الثياب بالكراء قوله ومكروا يعني كفار بني اسرائيل
الذين عناهم بقوله فلما احس عيسى منهم الكفر ومعناه دبروا القتل بعيسى ع ومكر الله اي جازاهم على مكرهم وسمى الجزاء

على المكر مكرا كما قال الله يستهزئ بهم وجاء في التفسير ان عيسى ع بعد اخراج قومه اياه وامه من بين اظهرهم عاد اليهم مع
الحواريين وصاح فيهم بالدعوة فهموا بقتله وتواطؤا على الفتك به ولذلك مكروا به ومكر الله تعالى بهم القاءه الشبه على
صاحبهم الذي اراد قتل عيسى ع حتى قتل وصلب ورفع عيسى الى السماء وقال ابن عباس لما اراد ملك بني اسرائيل
قتل عيسى دخل خوخة وفيها كوة فرفعه جبرئيل من الكوة الى السماء فقال الملك لرجل منهم خبيث ادخل عليه فاقتله
فدخل الخوخة فالقى الله عليه شبه عيسى فخرج الى اصحابه يخبرهم انه ليس في البيت فقتلوه وصلبوه وظنوا انه عيسى
وقال وهب اسروه ونصبوا خشبة ليصلبوه فاظلمت الارض وارسل الله الملائكة فحالوا بينه وبينهم فاخذ واحدا
يقال له يهوذا وهو الذي دلهم على المسيح وذلك ان عيسى عليه السلم جمع الحواريين تلك الليلة واوصاهم ثم قال ليكفرن
بي احدكم قبل ان يصيح الديك ويبيعني بدراهم يسيرة وخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه فاتى احد الحواريين لهم
وقال ما تجعلون لي ان دللتكم عليه فجعلوا له ثلاثين درهما فاخذها ودلهم عليه فالقى الله عليه شبه عيسى لما دخل البيت ورفع
عيسى فاخذ فقال انا الذي دللتكم عليه فلم يلتفتوا الى قوله وصلبوه وهم يظنون انه عيسى فلما صلب شبه عيسى واتى
على ذلك سبعة ايام قال الله عز وجل لعيسى اهبط على مريم ثم اجمع لك الحواريين وبثهم في الارض دعاة فهبط عليها
واشتعل الجبل نورا فجمعت له الحواريين فبثهم في الارض دعاة ثم رفعه الله سبحانه وتلك الليلة هي الليلة التي يدخن
فيها النصارى فلما اصبح الحواريون حدث كل واحد منهم بلغة من ارسله عيسى اليهم فذلك قوله عز وجل ومكروا
ومكر الله والله خير الماكرين اي افضل المعاقبين وقيل انصف الماكرين واعدلهم لان مكرهم ظلم ومكره عدل وانصاف
وانما اضاف الله سبحانه المكر الى نفسه على مزاوجة الكلام كما قال فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى
عليكم والثاني ليس باعتداء وانما هو جزاء وهو احد وجوه البلاغة كالمجانسة والمطابقة والمقابلة والتجنيس
مثل قوله يتقلب فيه القلوب والمطابقة مثل قوله ماذا انزل ربكم قالوا خيرا بالنصب على مطابقة السؤال والمقابلة
نحو قوله وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ووجوه يومئذ باسرة تظن ان يفعل بها فاقرة قوله تعالى اذ قال الله
يا عيسى اني متوفيك ورافعك الي ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا
الى يوم القيمة ثم الي مرجعكم فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون آية الاعراب العامل في اذ قوله ومكروا ومكر الله
والله خير الماكرين اذ قال ويحتمل ان يكون وتقديره ذلك اذ قال الله وتقديره ذلك واذكر اذ قال الله ومن حذف
واقعا هو العامل في اذ واقيمت الصفة مقامه وعيسى في موضع الضم لانه منادى مفرد معرفة لكن لا يتبين فيه الاعراب
لانه منقوص وهو لا ينصرف لاجتماع العجمة والتعريف المعنى لما بين سبحانه ما هم به قوم عيسى من المكر به وما عقبه
بما انعم به عليه من لطف التدبير وحسن التقدير فقال اذ قال الله يا عيسى اني متوفيك قيل في معناه اقوال
احدها ان المراد به اني قابضك برفعك من الارض الى السماء من غير وفاة بموت عن الحسن وكعب وابن جريج
وابن زيد والكلبي وغيرهم وعلى هذا القول يكون للتوفي تاويلان احدهما اني رافعك الي وافيا لم ينالوا منك
شيئا من قولهم توفيت كذا واستوفيته اي اخذته تاما والآخر اني متسلمك من قولهم توفيت منه كذا اي تسلمته وثانيها
اني متوفيك وفاة نوم ورافعك الي في النوم عن الربيع قال رفعه نائما ويدل عليه قوله وهو الذي يتوفيكم بالليل
اي ينيمكم لان النوم اخو الموت وقوله الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها الآية وثالثها اني متوفيك
وفاة موت عن ابن عباس ووهب قالا اماته ثلث ساعات واما النحويون فيقولون هو على التقديم والتاخير
اي اني رافعك ومتوفيك لان الواو لا يوجب الترتيب بدلالة قوله فكيف كان عذابي ونذر والنذر قبل العذاب
بدلالة قوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وهذا مروي عن الضحاك ويدل عليه ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله
انه قال ان عيسى لم يمت وانه راجع اليكم قبل يوم القيمة وقد صح عنه صلى الله عليه وآله انه قال كيف انتم اذا نزل ابن مريم فيكم

وامامكم منكم رواه البخاري ومسلم في الصحيح فعلى هذا يكون تقديره اني قابضك بالموت بعد نزولك من السماء قوله
ورافعك الي فيه قولان احدهما رافعك الى سماى وسمى رفعه الى السماء رفعا اليه تفخيما لامر السماء يعني رافعك الى محل
كرامتي والآخر ان معناه رافعك الى كرامتي كما قال حكاية عن ابرهيم عليه السلم اني ذاهب الى ربي اي الى حيث
امرني ربي سمى ذهابه الى الشام ذهابا الى ربه وقوله ومطهرك من الذين كفروا فيه قولان احدهما مطهرك باخراجك من
بينهم وانجائك منهم فانهم رجاس فجعل مقامه فيما بينهم كملاقاة النجاسة من حيث كان يحتاج الى مجاورتهم ومخالطتهم
والآخر ان تطهيره منعهم من كفرهم بفعلونه بالقتل الذين كانوا هموا به لان ذلك رجس طهره الله منه عن الجبائي
وقوله وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيمة معناه وجاعل الذين آمنوا فوق الذين كذبوا
عليك وكذبوك في العز والغلبة والظفر والنصرة وقيل في البرهان والحجة والمعنى به النصارى عن ابن زيد وهذا
لاين اليهود حيث كانوا الا اذل من النصارى ولهذا زال الملك عنهم وان كان ثابتا في النصارى في بلاد الروم
وغيرها فهم اعز منهم وفوقهم الى يوم القيامة وقال الجبائي فيه دلالة على انه لا يكون لليهود مملكة الى يوم القيمة
كالروم وقيل المعنى به محمد صلى الله عليه وآله وامته وانما سماهم تبعا وان كانت لهم شريعة على حدة لانه وجد فيهم التبعة
صورة ومعنى اما الصورة فانه يقال فلان يتبع فلانا اذا جاء بعده واما المعنى فلان نبينا عليه السلم كان مصدقا
عيسى وكتابه ويقال لمن صدق غيره انه يتبعه على ان شريعة نبينا وسائر الانبياء عليهم السلم متحدة في ابواب التوحيد
فهي هذا هو متبع له اذا كان معتقدا اعتقاده وقائلا بقوله وهذا القول اوجه لان فيه ترغيبا في الاسلام ودلالة
على ان امة محمد تكون ظاهرة الى يوم القيامة ولان من دعاه الها لا يكون في الحقيقة تابعا له ثم الي مرجعكم اي
مصيركم فاحكم بينكم فاقضي فيما كنتم فيه تختلفون من امر عيسى ثم قوله تعالى فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا
شديدا في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين واما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم والله لا يحب
الظالمين ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم آية القراءة قرا حفص ورويس عن يعقوب فيوفيهم
بالياء والباقون بالنون الحجة من قرا بالنون فهو مثل فاعذبهم وحسنه قوله ذلك نتلوه ومن قرا بالياء فلان
ذكر الله قد تقدم في قوله اذ قال الله يا عيسى اني متوفيك او صار من لفظ الخطاب الى الغيبة كقوله حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم
المفعول بعد قوله وما آتيتم من زكوة الاعراب نتلوه عليك في موضع رفع بانه خبر ذلك ويجوز ان يكون صلة لذلك
ويكون ذلك بمعنى الذي فعلى هذا لا موضع لقوله نتلوه وتقديره الذي نتلوه وقوله من الآيات في موضع
رفع بانه خبره وانشد وانشد عدس ما لعباد عليك امارة امنت وهذا تحملين طليق تقديره والذي تحملين
طليق المعنى فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والآخرة عذابهم في الدنيا اذلالهم بالقتل والأسر
والسبي والخسف والجزية وكلما فعل بهم على وجه الاستخفاف والاهانة وفي الآخرة عذاب الابد في النار وما لهم من
ناصرين اي اعوان يدفعون عنهم عذاب الله واما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اي يوفر عليهم
ويتم اجورهم اي جزاء اعمالهم والله لا يحب الظالمين اي لا يريد تعظيمهم وثوابهم ولا يرحمهم ولا يثني عليهم وهذه الآية
حجة على من قال بالاحباط لانه سبحانه وعد بتوفية الاجر وهو الثواب والتوفية منافية للاحباط ذلك اشارة الى
الاخبار عن عيسى ويحيى بن زكريا وغيرهم نتلوه عليك نقرؤه عليك ونكلمك به وقيل نامر جبرئيل ان يتلوه عليك
عن الجبائي من الآيات اي من جملة الآيات والحجج الدالة على صدق نبوتك اذ اعلمتهم بما لا يعلمه الا قارئ كتاب
او معلم ولست بواحد منهما فلم يبق الا انك قد عرفته من طريق الوحي والذكر الحكيم القرآن المحكم وانما وصفه بانه
حكيم لانه بما فيه من الحكمة كانه ينطق بالحكمة كما يسمى الدلالة دليلا لانها بما فيها من البيان كانها تنطق بالبيان والبرهان
وان كان الدليل في الحقيقة هو الدال قوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون

الحق من ربك فلا تكونن من الممترين فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا
وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ثلث آيات اللغة المثل ذكر سابقا
يدل على ان سبيل الثاني سبيل الاول وتعالوا اصله من العلو فقولهم تعالى اعلى اي جئت واصله المجيء الى ارتفاع الا
انه كثر في الاستعمال حتى صار بمعنى هلم وقيل في الابتهال قولان احدهما انه بمعنى الالتعان فافتعلوا بمعنى تفاعلوا كقولهم
اشتوروا بمعنى تشاوروا وبهلة الله اي لعنة الله وعليه بهلة الله اي لعنة الله والآخر انه بمعنى الدعاء بالهلاك قال لبيد
نظر الدهر عليهم فابتهل اي دعا عليهم بالهلاك فالبهل كاللعن وهو المباعدة من رحمة الله عقابا على معصيته ولذلك لا يجوز
ان يلعن من ليس بعاص من طفل او بهيمة او نحوهما الاعراب قوله خلقه من تراب لا موضع له من الاعراب لانه لا يصلح
ان يكون صفة لآدم من حيث هو نكرة ولا يكون حالا لانه ماض فهو متصل في المعنى غير متصل في اللفظ لعلامة
من علامات الاتصال فيكون نصب على تقدير فهو يكون والحق رفع كانه خبر مبتدأ محذوف تقديره ذلك الاخبار في
امر عيسى الحق من ربك فحذف ذلك لدلالة شاهد الحال عليه كما تقول الهلال والله اي هذا الهلال وقيل الحق مبتدأ
وخبره في قوله من ربك النزول قيل نزلت الآيات في وفد نجران العاقب والسيد ومن معهما قالوا لرسول الله هل رايت
ولدا من غير ذكر فنزل ان مثل عيسى عند الله الآيات فقراها عليهم عن ابن عباس وقتادة والحسن فلما دعاهم رسول
الله الى المباهلة استنظروه الى صبيحة غد من يومهم ذلك فلما رجعوا الى رجالهم قال لهم الاسقف انظروا محمدا فان غدا بولده
واهله فاحذروا مباهلته وان غدا باصحابه فباهلوه فانه على غير شيء فلما كان من الغد جاء النبي صلى الله عليه وآله آخذا
بيد علي بن ابي طالب والحسن والحسين بين يديه يمشيان وفاطمة تمشي خلفه وخرج النصارى يقدمهم اسقفهم فلما راى
النبي صلى الله عليه وآله قد اقبل بمن معه سال عنهم فقيل له هذا ابن عمه وزوج ابنته واحب الخلق اليه وهذان ابنا بنته من علي
وهذه الجارية بنته فاطمة اعز الناس عليه واقربهم الى قلبه وتقدم رسول الله فجثا على ركبتيه فقال ابو حارثة الاسقف
والله جثا كما جثا الانبياء للمباهلة وكع ولم يقدم على المباهلة فقال السيد ادن يا ابا حارثة للمباهلة فقال لا اني
ارى رجلا جريا على المباهلة وانا اخاف ان يكون صادقا ولئن كان صادقا لم يحل الله علينا الحول وفي الدنيا نصراني
يطعم الماء فقال الاسقف يا ابا القسم انا لا نباهلك ولكن نصالحك فصالحنا على ما ننهض به فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وآله
على الفي حلة من حلل الاواقي قيمة كل حلة اربعون درهما فما زاد ونقص فعلى حساب ذلك وعلى عارية ثلثين درعا
وثلثين رمحا وثلثين فرسا ان كان باليمن كيد ورسول الله صلى الله عليه وآله ضامن حتى يؤديها وكتب لهم بذلك كتابا وروي ان الاسقف
قال لهم اني لارى وجوها لو سالوا الله ان يزيل جبلا من مكانه لازاله فلا تبتهلوا فتهلكوا ولا يبقى على الارض نصراني الى يوم
القيمة وقال النبي صلى الله عليه وآله والذي نفسي بيده لو لاعنوني لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم الوادي عليهم
نارا ولما حال الحول على النصارى حتى يهلكوا كلهم قالوا فلما رجع وفد نجران لم يلبث السيد والعاقب الا يسيرا حتى رجعا الى النبي
واهدى العاقب له حلة وعصا وقدحا ونعلين واسلما المعنى ثم رد الله سبحانه على النصارى قولهم في المسيح انه ابن الله فقال
ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم اي مثل عيسى في خلق الله اياه من غير اب كمثل آدم فليس هو بابدع واعجب من ذلك فكيف
انكروا هذا واقروا بذلك ثم بين كيفية خلقه فقال خلقه اي انشاه من تراب وهذا اخبار عن آدم ع ومعناه خلق عيسى
من الريح ولم يخلق احدا قبله من الريح كما خلق آدم من التراب ولم يخلق قبله احدا من التراب ثم قال له اي لآدم وقيل لعيسى
كن اي كن حيا بشرا سويا فيكون اي فكان في الحال على ما اراد وقد مر تفسير هذه الكلمة بما فيه في سورة البقرة مشروحا
وفي هذه الآية دلالة على صحة النظر والاستدلال لان الله تعالى احتج على النصارى ودل على جواز خلق عيسى من غير اب بخلقه آدم
من غير اب ولا ام الحق من ربك اي هذا هو الحق من ربك اضافه الى نفسه تاكيدا وتعليلا اي هو الحق لانه من ربك
فلا تكن ايها السامع من الممترين وقد مر تفسيره في سورة البقرة فمن حاجك فيه من جادلك وخاصمك يا محمد فيه

فيه اى في قصة عيسى من بعد ما جاءك من العلم اى من البرهان الواضح على انه عبدك ورسولك عن قتادة وقيل معناه
من حاجك في الحق والهاء في فيه عائد الى قوله الحق من ربك فقل يا محمد لهولاء النصارى تعالوا اى هلموا الى حجة اخرى
فاصلة بين الصادق من الكاذب ندع ابناءنا وابناءكم اجمع المفسرون على ان المراد بابنائنا الحسن والحسين قال
ابو بكر الرازي هذا يدل على ان الحسن والحسين ابنا رسول الله صلى الله عليه وآله وان ولد الابنة ابن على الحقيقة وقال
ابن ابي علان وهو احد ائمة المعتزلة هذا يدل على ان الحسن والحسين كانا مكلفين في تلك الحال لان المباهلة لا تجوز الا مع
البالغين وقال اصحابنا ان صغر السن ونقصانها عن حد بلوغ الحلم لا ينافي كمال العقل وانما جعل بلوغ الحلم حدا لتعلق
الاحكام الشرعية وقد كانت سنهما عليهما السلام في تلك الحال سنا لا يمتنع معها ان يكونا كاملي العقل على ان عندنا يجوز ان يخرق
العادات للائمة ويخصهم بما لا يشركهم فيه غيرهم فلو صح ان كمال العقل غير معتاد في تلك السن لجاز ذلك فيهم ابانة لهم عمن سواهم ودلالة
على مكانهم من الله واختصاصهم به ومما يؤيده من الاخبار قول النبي عليه السلام ابناي هذان امامان قاما او قعدا ونساءنا
اتفقوا ان المراد به فاطمة عليها السلام لانه لم يحضر المباهلة غيرها من النساء ونساءكم اى من شئتم من نسائكم وانفسنا
يعني عليا عليه السلام خاصة ولا يجوز ان يكون المعني به النبي صلى الله عليه وآله لانه هو الداعي ولا يجوز ان يدعو الانسان
نفسه وانما يصح ان يدعو غيره واذا كان قوله انفسنا لا بد ان يكون اشارة الى غير الرسول وجب ان يكون اشارة الى علي عليه السلام
لانه لا احد يدعي دخول غير امير المؤمنين عليه السلام وزوجته وولديه عليهم السلام في المباهلة وهذا يدل على غاية الفضل وعلو
الدرجة والبلوغ منه الى حيث لا يبلغه احد اذ جعله الله سبحانه نفس الرسول صلى الله عليه وآله وهذا ما لا يدانيه فيه احد
ولا يقاربه ومما يعضده من الروايات ما صح عن النبي صلى الله عليه وآله انه سئل عن بعض اصحابه فقال له قائل فعلي فقال
انما سألتني عن الناس ولم تسألني عن نفسي وقوله لبريدة الاسلمي يا بريدة لا تبغض عليا فانه مني وانا منه ان الناس
خلقوا من شجر شتى وخلقت انا وعلي من شجرة واحدة وقوله عم باحد وقد ظهر من نكايته في المشركين ووقايته اياه
بنفسه حين قال جبرئيل عم يا محمد ان هذه لهي المواساة فقال جبرئيل انه مني وانا منه فقال جبرئيل وانا منكما وانفسكم
يعني من شئتم من رجالكم ثم نبتهل اى نتضرع في الدعاء عن ابن عباس وقيل نلتعن فنقول لعن الله الكاذب فنجعل لعنة الله
على الكاذبين منا وفي هذه الآية دلالة على انهم علموا ان الحق مع النبي صلى الله عليه وآله لانهم امتنعوا من المباهلة واقروا بالذل
والخزي وانقادوا لقبول الجزية فلو لم يعلموا ذلك لباهلوه فكان يظهر ما زعموا من بطلان قوله في الحال ولو لم يكن النبي
متيقنا بنزول العقوبة بعدوه دونه لو باهلوه لما ادخل اولاده وخواص اهله في ذلك مع شدة اشفاقه عليهم قوله عز وجل
ان هذا لهو القصص الحق وما من اله الا الله وان الله لهو العزيز الحكيم فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين آية اللغة
القصص القصة فعل بمعنى مفعول كالنقض والقبض والقصص جمع القصة يقال اقتصصت الحديث وقصصته قصا
وقصصا رويته على جهته وهو من اقتصصت الاثر اتبعته ومنه اشتق القصاص والقصص الخبر الذي يتتابع فيه
المعاني والتولي عن الحق اعتقاد خلافه لانه كالادبار عنه بعد الاقبال عليه واصل التولي كون الشيء يلي غيره من غير فصل
بينه وبينه والافساد ايقاع الشيء على خلاف ما يوجبه الحكمة والاصلاح ايقاعه على ما يوجبه الحكمة والفرق بين الفساد
والقبح ان الفساد يعتبر عن المقدار الذي يدعو اليه الحكمة
الاصلاح ايقاعه على ما يوجبه الحكمة الفرق بين الفساد
الاعراب ما من اله الا الله من فيه لعموم النفي لكل اله غير الله وانما افادت هذا المعنى لان اصلها الابتداء الغاية
فدلت على استغراق النفي لكل اله غير الله الى انتهاء ولهو يجوز ان يكون هو فصلا وتسميه الكوفيون عمادا فلا يكون له
موضع ويكون القصص خبر ان ويجوز ان يكون مبتدأ والقصص خبره والجملة خبر ان المعنى ان هذا لهو القصص الحق
اى هذا الذي اوحينا اليك من اخبار عيسى وغيره لهو الحديث الصدق فمن خالفك فيه مع وضوح الامر فهو معاند وما من اله
الا الله اى ما لكم احد يستحق اطلاق اسم الالهية الا الله وان عيسى ليس باله كما زعموا وانما هو عبد الله ورسوله ولو كان الها

176

الا الله تعالى من لم يعبد هذا المعنى وان الله لهو العزيز اى القادر على الكمال الحكيم في الاقوال والافعال والتدبير
فان تولوا اى فان اعرضوا عن اتباعك وتصديقك وعما اتيت به من الدلالات والبينات فان الله عليم بالمفسدين
اى بمن يفسد من خلقه فيجازيهم على افسادهم وانما ذكر ذلك على جهة الوعيد والا فانه سبحانه عليم بالمصلح والمفسد جميعا
ونظيره قول القائل لغيره انا عالم بشرك وفسادك وقيل معناه انه عليم بهولاء المجادلين بغير حق وبانهم لا يقدمون
على مباهلتك لمعرفتهم بنبوتك قوله تعالى قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله
ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون آية اللغة
قال الزجاج يعني بكلمة كلام فيه شرح قصة وان طال لذلك تقول العرب للقصيدة كلمة روي ان حسان بن
ثابت كان اذا قيل له انشد قال هل انشدت كلمة الحويدرة يعني قصيدته التي اولها بكرت سمية غدوة فتمتع ومعنى سواء
اى عدل ومسوى وسوى بمعناه قال زهير ارونا خطة لا ضيم فيها يسوي بيننا فيها السواء فان ترك السواء فليس
بيني وبينكم بني حصن بقاء وقيل سواء مستو وهو مصدر وضع موضع اسم الفاعل ومعناه الى كلمة مستوية وهو عند
الزجاج اسم ليس بصفة وانما جر بتقدير ذات سواء وجوز نصبه على المصدر الاعراب موضع ان لا نعبد فيه وجهان
احدهما ان يكون في موضع جر على البدل من كلمة فكانه قال تعالوا الى ان لا نعبد الا الله والآخر ان يكون في موضع
رفع على هي ان لا نعبد ولو قرئ ان لا نعبد بالرفع كان ان هي المخففة من الثقيلة وكانه قال انه لا نعبد الا الله
كقوله افلا يرون ان لا يرجع اليهم قولا وعلى هذا لا يثبت النون في الخط ولو قرئ ان لا نعبد ويكون ان من العوامل
في الاسماء وعلى الاول يكون من العوامل في الافعال ولا يثبت النون في الخط ولو قرئ ان لا نعبد الا الله بالاسكان
كان مفسرة كالتي في قوله ان امشوا ولا نعبد نهي النزول قيل في سبب نزول هذه الآية اقوال احدها انها نزلت
في نصارى نجران عن الحسن والسدي وابن زيد ومحمد بن جعفر بن الزبير وثانيها انها نزلت في يهود المدينة عن
قتادة والربيع وابن جريج وقد رواه اصحابنا ايضا وثالثها انها في الفريقين من اهل الكتاب على الظاهر عن ابي علي
الجبائي وهذا اولى لعمومه المعنى لما تم الحجاج على القوم دعاهم سبحانه الى التوحيد والى الاقتداء بمن اتفقوا انه كان
على الحق فقال قل يا محمد يا اهل الكتاب تعالوا اى هلموا الى كلمة سواء اى عدل بيننا وبينكم يعني عادلة لا ميل فيها
كما قال جل ذكره الى عدل اى عادل لا ميل فيه وقيل معناه كلمة مستوية بيننا وبينكم فيها ترك العبادة لغير الله وهي
ان لا نعبد الا الله لان العبادة لا تحق الا له ولا نشرك به في العبادة شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله
اختلف في معناه فقيل معناه ولا يتخذ بعضنا عيسى ربا لانه كان بعض الناس وقيل ان معناه ولا نتخذ الاحبار
اربابا بان يطيعهم طاعة الارباب كقوله اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله وروي عن ابي عبد الله عليه السلام
انه قال ما عبدوهم من دون الله ولكنهم حرموا لهم حلالا واحلوا لهم حراما فكان ذلك اتخاذهم اربابا من دون الله
وقد روي ايضا انه لما نزلت هذه الآية قال عدي بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله فقال عم اما كانوا يحلون
لكم ويحرمون فتأخذون بقولهم فقال نعم فقال النبي صلى الله عليه وآله هو ذاك فان تولوا اى اعرضوا عن الاقرار له
بالعبودية وان احدا لا يستحق العبادة غيره فقولوا انتم ايها المسلمون مقابلة لاعراضهم عن الحق وتجديدا للاقرار
ومخالفة لهم اشهدوا بانا مسلمون اى مخلصون مقرون بالتوحيد وقيل مستسلمون منقادون لما اتى به النبي صلى
الله عليه وآله والانبياء من الله وقيل مقيمون على الاسلام وهذا تاديب من الله لعباده المؤمنين وتعليم لهم كيف يفعل
عند اعراض المخالف بعد ظهور الحجة ليعلم المبطل ان مخالفته لا تؤثر في حقه وليدل على ان الحق يجب اتباعه من غير
اعتبار بالقلة والكثرة قوله تعالى يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم وما انزلت التورية والانجيل الا من
بعده افلا تعقلون ها انتم هولاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وانتم لا تعلمون

آية القراءة قرأ اهل الكوفة ها انتم بالمد والهمز وقرأ اهل المدينة وابو عمرو بغير همز ولا مد الا بقدر خروج الالف الساكنة وقرأ ابن كثير ويعقوب بالهمز والقصر بغير مد في وزن سعنتم وقرأ ابن عامر بالمد دون الهمز الحجة الكلام في الهمز والمد كثير والوجه ان من حقق فعلى الاصل لانهما حرفان ها وانتم ومن لم يمد ولم يهمز فللتخفيف اللغة الفرق بين الحجاج والجدال ان الحجاج يتضمن اما حجة او شبهة في صورة الحجة والجدال هو فتل الخصم الى المذهب بحجة او شبهة واما في الحقيقة لا حجة من الجدل وهو شدة الفتل والحجة هي البيان الذي يشهد بصحة المقال وهو والدلالة بمعنى واحد المعنى ها انتم ها للتنبيه وقد كثر التنبيه في هذا ولم يكثر في هاانت لان ذا مبهم من حيث يصلح لكل حاضر والمعنى فيه على احد بعينه مما يصلح له فقوي بالتنبيه لتحريك النفس على طلبه بعينه وليس كذلك انت لانه لا يصلح لكل حاضر في الجملة وانما هو للمخاطب وخبر انتم يجوز ان يكون حاججتم على ان يكون هؤلاء عطف بيان ويجوز ان يكون خبره هؤلاء على ان اولاء بمعنى الذين وما بعده صلة

لم النزول قال ابن عباس والحسن وقتادة ان احبار اليهود ونصارى نجران اجتمعوا عند رسول الله فتنازعوا في ابرهيم فقالت اليهود ما كان الا يهوديا وقالت النصارى ما كان الا نصرانيا فانزل الله هذه الآية المعنى يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابرهيم اي لم تنازعون وتجادلون فيه وتدعون انه على دينكم وما انزلت التورية والانجيل الا من بعد ابرهيم افلا تعقلون ان الاقامة على الدعوى من غير برهان غير جائز في العقل فكيف يجوز الاقامة على الدعوى بما ظهر فساده فان قيل لو دل نزول التورية والانجيل بعد ابرهيم على انه لم يكن على اليهودية والنصرانية لوجب ان يدل نزول القرآن بعده على انه لم يكن على الاسلام فالجواب ان الكل متفقون على انه عم متسم باسم الاسلام غير ان اليهود ادعوا ان الاسلام هو اليهودية والنصارى ادعوا انه هو النصرانية والتورية والانجيل انزلتا بعد ابرهيم وليس فيهما اسم الاسلام وليس في واحد منهما انه على اليهودية او النصرانية فاما القرآن وان كان نزل بعده ففيه وصف ابرهيم بدين الاسلام ونفي اليهودية والنصرانية عنه ففي هذا اوضح حجة على انه كان مسلما وان محمدا وامته الذين لهم اسم الاسلام اولى به منهم وقيل ان اليهود اعتقد وان اليهودي اسم لمن تمسك بالتورية واعتقد شريعته والنصارى اعتقد وان النصراني اسم لمن تمسك بالانجيل واعتقد شريعته فرد الله سبحانه دعوى الفريقين واخبر ان التورية والانجيل ما انزلا الا من بعد ابرهيم وكيف يكون متمسكا بهما بحكمهما واما نحن فلم ندع ان المسلم هو المتمسك بحكم القرآن اذ الاسلام عبارة عن الدين دون احكام الشريعة فوصفناه بالاسلام كما وصفه الله تعالى فان قيل هل كان ابرهيم متمسكا بشرايع الاسلام كلها التي نحن عليها قلنا انه كان متمسكا بدين الاسلام وببعض احكام شريعة نبينا صلى الله عليه وآله لا بجميعها لان من حكم الشريعة قراءة القرآن في الصلوة ولم يكن ذلك في شريعته وانما قلنا انه مسلم وان كان متمسكا ببعض احكام الشريعة لان اصحاب النبي ص والاسلام كانوا مسلمين قبل استكمال الشرع وقبل تمام نزول القرآن والقائل منا مسلم على الحقيقة وان لم يعمل بجميع احكام الشريعة ها انتم يا معشر اليهود والنصارى وهو تنبيه على انفسهم والمراد به التنبيه على حالهم لان التنبيه انما يكون فيما قد يغفل عنه الانسان دون ما يعلمه حاججتم جادلتم وخاصمتم فيما لكم به علم معناه حاججتم في ابرهيم ولكم به علم لوجود اسمه في التورية والانجيل فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم اي علم تحاجون في دينه وشانه وليس لكم به علم لم ينكر الله سبحانه عليهم محاجتهم فيما علموا وانما انكر عليهم محاجتهم فيما لم يعلموا والله يعلم شان ابرهيم ودينه وكل ما لكم عليه دليل لانه العالم بجميع المعلومات وانتم لا تعلمون ذلك فلا تتكلموا فيه ولا تنسبوا اليه ما لا تعلمونه واطلبوا علم ذلك ممن يعلم قوله تعالى ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين ان اولى الناس بابرهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين آيتان اللغة قد ذكرنا الاصل في اليهود والنصارى والحنيف في سورة البقرة واولى الذي هو بمعنى احق من غيره لا يجمع والاولى لانه يتضمن معنى الفعل والمصدر على تقدير زيد وصله على فضله في سلب منه ومعنى قولنا هذا الفعل اولى من غيره اي بان يفعل

وقولنا زيد اولى من غيره معناه انه على حال هو احق بها من غيره والاتباع جريان الثاني على طريقة الاول من حيث هو عليه كالمدلول الذي يتبع الدليل في سلوك الطريق او في التصحيح لانه ان صح الدليل عليه صح المدلول عليه بصحته وكذلك المأموم الذي يتبع الامام المعنى ثم كذب الله سبحانه اليهود والنصارى فقال ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا نزه ابرهيم وبراه من اليهودية والنصرانية لانهما صفتا ذم قد دل القرآن والاجماع على ذلك وهذا يدل على ان موسى عم ايضا لم يكن يهوديا وعيسى نصرانيا فان الدين عند الله الاسلام واليهودية ملة محرفة عن شرع موسى والنصرانية ملة محرفة عن شرع عيسى فهما صفتا ذم جرتا على فرقتين ضالتين ولكن كان حنيفا اي مائلا عن الاديان كلها الى دين الاسلام وقيل معناه مستقيما في دينه مسلما اي كان على دين الاسلام وما كان من المشركين قيل ان هذا يتضمن ان اليهودية والنصرانية شرك وقيل ان معناه لم يكن مشركا على ما يدعيه مشركوا العرب ان اولى الناس بابرهيم يعني ان احق الناس بنصرة ابرهيم بالحجة او بالمعونة للذين اتبعوه في وقته وفي زمانه تولوه بالنصرة على عدوه حتى ظهر امره وعلت كلمته وهذا النبي والذين آمنوا يتولون نصرته بالحجة لما كان عليه من الحق وتنزيهه عن كل عيب اي هم الذين ينبغي لهم ان يقولوا انا على دين ابرهيم ولهم ولايته والله ولي المؤمنين لانه يتولى نصرتهم والمؤمن ولي الله لهذا المعنى بعينه وقيل لانه يتولى نصرة ما امره من الدين وانما افرد الله النبي ص بالذكر تعظيما له واجلالا لقدره كما افرد جبرئيل وميكائيل ومثل المدخل في الولاية ويعود الى الكتاب بان التعقيب الذين آمنوا به وفي هذه الآية دلالة على ان الولاية تثبت بالدين لا بالنسب ويعضد ذلك قول امير المؤمنين عليه السلام ان اولى الناس بالانبياء اعلمهم بما جاؤا به ثم تلا هذه الآية قال ان ولي محمد من اطاع الله وان بعدت لحمته وان عدو محمد من عصى الله وان قربت قرابته وروى عمر بن يزيد قال قال ابو عبد الله انتم والله من آل محمد قلت من انفسهم جعلت فداك قال نعم والله من انفسهم قالها ثلاثا ثم نظر الي ونظرت اليه فقال يا عمر ان الله يقول في كتابه ان اولى الناس بابرهيم الآية رواه علي بن ابرهيم عن ابيه عن ابن ابي عمير عن حريز عن منصور بن يونس عنه قوله عز وعلا ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون الا انفسهم وما يشعرون آية اللغة ودت بمعنى تمنت فلذلك كان بمعنى التمني صلح للماضي والحال والاستقبال فلذلك جاز لو ولم يكن كذلك المحبة والارادة لانهما لا يتعلقان الا بالمستقبل فلا يجوز ان يقال اراد لو يضلونكم لان الارادة تجري مجرى الاستدعاء الى الفعل او مجرى العلة في ترتيب الفعل فاما التمني فهو تقدير شيء في النفس يستمتع بتقديره والفرق بين ود لو يضلونكم وبين ود ان يضلونكم ان للاستقبال وليس كذلك لو المعنى ثم بين سبحانه ان هؤلاء كما ضلوا دعوا الى الضلال فقال ودت اي تمنت وقيل ارادت طائفة اي جماعة من اهل الكتاب اي من اليهود والنصارى وقيل من اليهود خاصة لو يضلونكم اي يهلكونكم بادخالكم في الضلال ودعائكم اليه ويستعمل الضلال بمعنى الهلاك نحو قوله اذا ضللنا في الارض ومعناه هلكنا وبطلت صورتنا وما يضلون الا انفسهم معناه لا يرجع وبال اضلالهم الا على انفسهم ولا يلحق ضرره الا بهم فان المسلمين لا يجيبونهم الى ما يدعونهم اليه من ترك الاسلام الى غيره من الاديان فيبقى عليهم اثم الكفر ووبال الدعاء الى الكفر وقيل معناه وما يهلكون الا انفسهم اي لا يعتد بما يحصل لغيرهم من الهلاك في جنب ما يحصل لهم وما يشعرون اي وما يعلمون ان وبال ذلك يعود اليهم وقيل وما يشعرون ان الله تعالى يدل المؤمنين على ضلالهم واضلالهم وقيل وما يشعرون انهم ضلال لجهلهم عن ابي علي الجبائي قوله عز وعلا يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وانتم تشهدون يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وانتم تعلمون آيتان الاعراب لم اصله لما فحذف الالف لاتصالها بالحرف الجار مع وقوعها طرفا ولدلالة الفتح عليها وكذلك بم وعم المعنى ثم خاطب الله سبحانه الفريقين فقال يا اهل الكتاب لم تكفرون بما يتلى عليكم من آيات الله يعني القرآن وانتم تشهدون اي تعلمون وتشاهدون ما يدل على صحتها ووجوب الاقرار بها.

من التورية والانجيل اذ فيهما ذكر النبي صلى الله عليه وآله والاخبار بصدق نبوته وبيان صفته وقيل يعني بالآيات ما في كتبهم من البشارة
بنبوته عليه السلام وانتم تشهدون الحجج الدالة على نبوته وقيل يعني بالآيات ما في كتبهم ان ابرهيم كان حنيفا مسلما وان الدين
هو الاسلام وانتم تشاهدون ذلك في كتبهم وقيل يعني بها ما يتلوه عليهم من غرايب اخبارهم التي علموا انها في كتبهم من غير
وقيل يعني بالآيات الحجج الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وآله وانتم تشهدون ان ظهور المعجزة يدل على صدق الرسالة والنبوة
النبوة وقيل وانتم تشهدون اذا خلوتم بصحة دين الاسلام يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل معناه لم تخلطون الحق
بالباطل وفيه اقوال احدها ان المراد باظهارهم الاسلام وابطانهم النفاق وفي قلوبهم من اليهودية والنصرانية لانهم
لانهم تداعوا الى اظهار الاسلام في صدر النهار والرجوع عنه في آخره تشكيكا للناس عن ابن عباس وقتادة وثانيها
ان المراد به الايمان بموسى وعيسى عليهما السلام والكفر بمحمد صلى الله عليه وآله وثالثها ان المراد ما يعلمونه في قلوبهم من ان محمدا
اصح مما يظهرونه من تكذيبه عن الجبائي وابي مسلم وتكتمون الحق اي نبوة محمد وما وجدتموه في كتبكم من نعته والبشارة
به وانتم تعلمون انه حق وانما انزلت هذه في الطائفة من علمائهم لان الكتمان لا يجوز على الطائفة القليلة دون الكثيرة
وقيل معناه وهم يعلمون الامور التي يصح بها التكليف والاول اصح لما في الآية من النص على الكتمان قوله عز وجل وقالت
طائفة من اهل الكتاب آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون ولا تؤمنوا الا لمن
اتبع دينكم قل ان الهدى هدى الله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم قل ان الفضل بيد الله يؤتيه
من يشاء والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم ثلث آيات القراءة قرا ابن كثير ان يؤتى احد ممدودا
والباقون ان يؤتى بغير مد واستفهام الحجة قال ابو علي من قرا ان يؤتى احد فتقديره لا تؤمنوا بان يؤتى احد مثل
ما اوتيتم الا لمن تبع دينكم وقوله ان الهدى هدى الله اعتراض بين المفعول وفعله واذا حذف الجار من ان كان
على الحذف يكون في قول الخليل جرا وفي قول سيبويه نصبا فاما اللام في قوله لمن تبع دينكم فلا يسهل ان يعلقه
بتؤمنوا وانت قد وصلته بحرف آخر جار فتعلق بالفعل جارين كما لا يستقيم ان تعديه الى مفعولين اذا كان متعديا
الى مفعول واحد الا ترى ان تعدي الفعل بالجار بمنزلة تعديه بالهمزة وتضعيف العين فكما لا يتكرر هنا كذلك لا يتكرر
الجار فاذا لم يسهل تعليق المفعولين به حملته على المعنى والمعنى لا تقروا بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا لمن تبع
دينكم كما تقول اقررت لزيد بالف فيكون اللام متعلقا بالمعنى ولا يكون زائدة على حد ان كنتم للرؤيا تعبرون ويكون متعلق
بالاقرار وان شئت حملت الكلام على معنى الجحود لان معنى لا تؤمنوا جحدا فكانه قال اجحدوا الناس الا لمن تبع دينكم
فيكون اللام على زائدة وقد يعدى آمن باللام في غير هذا قال الله تعالى فما آمن لموسى الا ذرية وقال آمنتم له قبل
ان آذن لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين فيتعدى مرة بالباء ومرة باللام ووجه قراءة ابن كثير ان ان في موضع رفع
بالابتداء لانه لا يجوز ان يحمل على ما قبله من الفعل لقطع الاستفهام بينهما وخبره يصدقون به ويعترفون به او نحو ذلك
مما دل عليه قوله ولا تؤمنوا الا لمن اتبع دينكم وهذا على قول من قال ازيد ضربته ومن قال ازيدا ضربته كان ان عنده
في موضع نصب ويجوز ان يكون موضع ان نصبا على معنى اتذكرون ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم او اتشيعون
ذلك فيما بينكم ويدل على ذلك قوله اتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم فجعل تحديثهم بذلك اشاعة منهم له وافشاء ودفع
بعضهم بعضا بالحديث بما علموه من امر النبي صلى الله عليه وآله وعرفوه من وصفه فهذه الآية في معنى قراءة ابن كثير
ولعلها العلة في اعتبارها في قراءته اللغة الطائفة الجماعة وفي اصلها قولان احدهما انه كالرفقة التي من شانها ان يكون
الطواف في السفر الذي عليه الاجتماع والآخر انها جماعة يستوي بها حلقة يطاف حولها وجه النهار اوله وسمي وجها لانه
اول ما يواجهك كما يقال لاول الثوب وقيل لانه كالوجه في انه اعلاه واشرف ما فيه قال الربيع بن زياد من كان مسرورا
بمقتل مالك فليات نسوتنا بوجه نهار النزول قال الحسن والسدي تواطأ اثنا عشر رجلا من احبار يهود خيبر وقرى عرينة

وقال بعضهم لبعض ادخلوا في دين محمد اول النهار باللسان دون الاعتقاد واكفروا آخر النهار وقولوا انا نظرنا في كتبنا وشاورنا
علماءنا فوجدنا محمدا ليس بذلك وظهر لنا كذبه وبطلان دينه فاذا فعلتم ذلك شك اصحابه في دينهم وقالوا انهم اهل الكتاب
وهم اعلم به منا فيرجعون عن دينهم الى دينكم وقال مجاهد ومقاتل والكلبي كان هذا في شأن القبلة لما حولت الى الكعبة شق ذلك
على اليهود فقال كعب بن الاشرف لاصحابه آمنوا بالذي انزل على محمد من امر الكعبة وصلوا اليها اول النهار وارجعوا
الى قبلتكم آخره لعلهم يشكون المعنى لما ذكر سبحانه من كيد القوم عقبه بذكر هذه المكيدة الشديدة فقال وقالت طائفة
اي جماعة من اهل الكتاب اي بعضهم لبعض آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا يعنون النبي واصحابه وجه النهار اي اول النهار
واكفروا آخره واختلف في معناه على اقوال احدها انهم اظهروا الايمان لهم اول النهار وارجعوا عنه في آخره فانه احرى ان ينقلبوا
عن دينهم عن الحسن وجماعة والثاني آمنوا بصلوتهم الى الكعبة اول النهار واكفروا آخره ليرجعوا بذلك عن دينهم عن مجاهد
وثالثها اظهروا الايمان في صدر النهار بما سلف لكم من الاقرار بصفة محمد ثم ارجعوا في آخره لتوهموهم انه قد وقع لكم
غلط في صفته لعلهم يرجعون عن دينهم الاسلام عن ابن عباس ومجاهد ولا تؤمنوا اي لا تصدقوا الا لمن تبع دينكم اليهودية
وقام بشرايعكم وهو عطف على ما مضى واختلف في معنى الآية على اقوال احدها ان معناه ولا تصدقوا بان يؤتى احد
مثل ما اوتيتم من العلم والحكمة والبيان والحجج الا لمن تبع دينكم من اهل الكتاب وقوله او يحاجوكم عطف على ان يؤتى
ولا تصدقوا بان يحاجوكم عند ربكم لانكم اصح دينا منهم فلا يكون لهم الحجة عليكم عند الله فيكون هذا كله من كلام اليهود
وقوله قل ان الهدى هدى الله وقل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء كلام الله تعالى جوابا لليهود ورد عليهم اي قل يا محمد
ان الهدى هدى الله وان الفضل بيد الله فلا ينبغي لهم ان ينكروا ان يؤتى احد مثل ما اوتوا وهذا معنى قول الحسن
والاخفش وابي علي الفارسي وثانيها ان يكون قوله ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم كلام اليهود وما بعده عن الله تعالى ويكون
المعنى قل ان الهدى هدى الله ان لا يؤتى احد مثل ما اوتيتم ايها المسلمون كقوله يبين الله لكم ان تضلوا اي لئلا تضلوا
وان لا يحاجوكم عند ربكم لانه لا حجة لهم ويكون هدى الله بدلا من الهدى والخبر ان لا يؤتى احد مثل ما اوتيتم هذا قول
السدي وابن جريج وقال ابو العباس المبرد ان لا ليست مما يحذف ههنا ولكن الاضافة ههنا معلومة فحذفت الاول واقيم
الثاني مقامه والمعنى قل ان الهدى هدى الله كراهة ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم اي ممن خالف دين الاسلام لان الله
لا يهدي من هو كاذب كفار فهدى الله بعيد من غير المؤمنين وكذلك تقدير قوله يبين الله لكم كراهة ان تضلوا وقال
قوم ان تقديره قل يا محمد ان الهدى الى الخير هدى الله فلا تجحدوا ايها اليهود ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم من النبوة وان
يحاجوكم بذلك عند ربكم ان لم تقبلوا ذلك منهم عن قتادة والربيع والجبائي وقيل ان الهدى هدى الله معناه
ان الحق ما امر الله به ثم فسر الهدى فقال ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم فالمؤمن هو المسيح وما يحاج به هو العقل
وتقدير الكلام ان هدى الله ما شرع او ما عهد به في العقل فهذه اربعة اقوال وثالثها ان يكون الكلام من اول الآية
الى آخرها لله تعالى وتقديره ولا تؤمنوا ايها المؤمنون الا لمن تبع دينكم وهو دين الاسلام ولا تصدقوا بان احدا مثل ما اوتيتم
من الدين فلا نبي بعد نبيكم ولا شريعة بعد شريعتكم الى يوم القيمة ولا تصدقوا بان يكون لاحد حجة عليكم عند ربكم لان
دينكم خير الاديان وان الهدى هدى الله والفضل بيد الله فتكون الآية كلها خطابا للمؤمنين من الله سبحانه عند تلبيس
اليهود عليهم لئلا يتزلزلوا عليه ما قاله الضحاك ان اليهود قالوا انا نحاج عند ربنا من خالفنا في ديننا فبين سبحانه
انهم هم المدحضون المغلوبون وان المؤمنين هم الغالبون وقوله قل ان الفضل بيد الله قيل يريد به النبوة وقيل الحجج
التي اوتيها محمد ومن معه وقيل النعم الدين والدنيا وقوله بيد الله اي في ملكه وهو القادر عليه العالم بمحله يؤتيه من يشاء
فتضمنت الآية دلالة على ان النبوة ليست بمستحقة وكذلك الامامة لان الله سبحانه علقه بالمشية والله واسع الرحمة جواد
وقيل واسع المقدور يفعل ما يشاء عليم بمصالح الخلق وقيل عليم حيث يجعل رسالاته يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم

مر تفسيره في سورة البقرة في العشر التي بعد المائة في هذه الآيات معجزة باهرة لنبينا صلى الله عليه وآله وسلم اذ اخبر
عن سر القوم التي لا يعلمها الا علام الغيوب وفيها ردع لمكايدهم ولطف للمؤمنين في الثبات على عقايدهم قوله تعالى
ومن اهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك الا ما دمت عليه
قائما ذلك بانهم قالوا ليس علينا في الاميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون بلى من اوفى بعهده واتقى
فان الله يحب المتقين آيتان القراءة قرا حمزة وابو بكر عن عاصم يؤده وبسكون الهاء وروي نحوه عن ابي عمرو وقرا
ابو جعفر ويعقوب بكسر الهاء مع الاختلاس وهو الصحيح من مذهب ابي عمرو والباقون بالكسر والاشباع الحجة اما
سكون الهاء فان اكثر النحويين على انه لا يجوز وغلط الزجاج الراوي فيه عن ابي عمرو قال وحكى سيبويه وهو ضابط
لمثل هذا انه كان يكسر كسرا خفيفا وقال الفراء هذا مذهب لبعض العرب يسكنون الهاء اذا تحرك ما قبلها يقولون
ضربته كما يسكنون ميم انتم وقمتم واما الاختلاس فانه للاكتفاء بالكسرة عن الياء واما الاشباع فعلى الاصل
اللغة القنطار وقد ذكرنا الخلاف في مقداره اول السورة والدينار اصله دنار فقلبت احدى النونين
بالياء لكثرة الاستعمال طلبا للخفة وجمعه دنانير ودمت تدوم ودمت لغتان مثل مت تموت ومت لكن من كسر الدال والميم قال في المضارع
تمات وتدام وهي لغة ازد السراة ووفى واوفى لغتان فاهل الحجاز يقولون اوفيت واهل نجد يقولون وفيت
الاعراب والفرق بين ان يقول تأمنه بقنطار وبين ان يقول على قنطار ان معنى الباء الصاق الامانة ومعنى
على استعلاء الامانة وهما يتعاقبان في هذا الموضع لتقارب المعنى كما تقول مررت به ومررت عليه وبلى يحتمل
معنيين احدهما الاضراب عن الاول على جهة الانكار للاول وعلى هذا الوجه يكون من اوفى بعهده ابتداء كلام
ما قدم ذكره فقال بلى اي بلى عليهم سبيل قال الزجاج هنا وقف تام ثم استانف من اوفى الى آخره الا انهم لما قالوا ليس
علينا في الاميين سبيل قيل بلى اي بلى عليهم سبيل والثاني الاضراب عن الاول والاعتماد على البيان الثاني وعلى هذا
الوجه لا يكون مكتفيا والفرق بين بلى ونعم ان بلى جواب النفي ونعم جواب الايجاب وانما جازت امالة بلى لمشابهتها الاسم
من وجهين احدهما انه يوقف عليها كما يوقف على الاسم والاخر انها على ثلاثة احرف فصارت لذلك كخالفت لا في امالة النزول
عن ابن عباس قال يعني بقوله من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك عبد الله بن سلام اودعه رجل الفا ومائتي اوقية من ذهب
فاداه اليه فمدحه الله سبحانه يعني بقوله ان تامنه بدينار لا يؤده اليك فنحاص بن عازورا وذلك ان رجلا من قريش استودعه
دينارا فخانه وفي بعض التفاسير الذي يؤدي الامانة في هذه الآية النصارى والذين لا يؤدونها اليهود المعنى
ثم ذكر سبحانه معايب القوم وان فيهم من يخرج عن العيب فقال ومن اهل الكتاب من ان تامنه اي تجعله امينا
على قنطار اي بالكثير على ما قيل فيه من الاقوال التي مضى ذكرها في اول السورة يؤده اليك اي يرده عند المطالبة
ولا يخون فيه ومنهم من ان تامنه بدينار اي على دينار والمراد تجعله امينا على قليل من المال لا يؤده اليك
عند المطالبة ثم كفر ... اليهود بالاجماع الا ما دمت عليه قائما معناه الا ان تلازمه وتقاضاه عن الحسن وابن زيد
وقيل الا ان تدوم قائما للتقاضي والمطالبة عن قتادة ومجاهد وقيل الا ما دمت عليه قائما بالاجتماع معه
والملازمة عن السدي قال ما دمت قائما على راسه وقيل قائما اي ملحا عن ابن عباس ذلك اي ذلك الاستحلال
والخيانة بانهم قالوا ليس علينا في الاميين سبيل هذا بيان العلة التي لاجلها كانوا لا يؤدون الامانة ويميلون
الى الخيانة اي قالت اليهود ليس علينا في اموال العرب التي اصبناها سبيل لانهم مشركون عن قتادة والسدي
وقيل لانهم تحولوا عن دينهم الذي عاملناهم عليه وذلك انهم عاملوا جماعة منهم ثم اسلم من له الحق فامتنع من عليه
الحق من اداء الحق وقالوا انا عاملناكم وانتم على ديننا فاذا اخترتموه سقط حقكم وادعوا ان ذلك في كتابهم فاكذبهم
الله تعالى في ذلك بقوله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون انهم يكذبون لان الله تعالى اخبرهم خلاف ما قالوا عن الحسن وابن جريج

وانما سموهم اميين لعدم كونهم من اهل الكتاب او لكونهم من مكة وهي ام القرى ثم رد سبحانه عليهم قولهم فقال بلى
وهي نفي لما قبله واثبات لما بعده كانه قال ما امر الله سبحانه بذلك ولا احبه ولا اراده بل اوجب الوفاء بالعهد واداء الامانة
من اوفى بعهده يحتمل ان يكون الهاء في بعهده عائدة الى اسم الله في قوله ويقولون على الله الكذب فيكون معناه بعهد
الله الى عباده امره ونهيه ويحتمل ان يكون عائدة الى من ومعناه من اوفى بعهد نفسه لان العهد يضاف
تارة الى المعاهد وتارة الى المعهود له واتقى الخيانة ونقض العهد فان الله يحب المتقين معناه فان الله يحبه الا انه عدل
الى ذكر المتقين ليبين الصفة التي تجب بها محبة الله وهذه صفة المؤمن فكانه قال والله يحب المؤمنين ولا يحب
اليهود وروي عن النبي صلى الله عليه وآله انه لما قرا هذه الآية قال كذب اعداء الله ما من شيء كان في الجاهلية
الا وهو تحت قدمي الا الامانة مؤداة الى البر والفاجر وعنه صلى الله عليه وآله قال ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صلى
وصام وزعم انه مؤمن اذا حدث كذب واذا وعد خلف واذا اؤتمن خان وعنه صلى الله عليه وآله قال من
ائتمن على امانة فاداها ولو شاء لم يؤدها زوجه الله من الحور العين ما شاء قوله تعالى ان الذين يشترون بعهد الله
وايمانهم ثمنا قليلا اولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيمة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم
آية النزول نزلت في جماعة من احبار اليهود ابي رافع وكنانة بن ابي الحقيق وحيي بن اخطب وكعب بن الاشرف
كتموا ما في التورية من امر محمد صلى الله عليه وآله وكتبوا بايديهم غيره وحلفوا انه من عند الله لئلا تفوتهم الرياسة
وما كان لهم على اتباعهم عن عكرمة وقيل نزلت في الاشعث بن قيس وخصم له في ارض قام ليحلف عند رسول الله صلى الله
عليه وآله فلما نزلت الآية نكل الاشعث واعترف بالحق ورد الارض عن ابن جريج وقيل نزلت في رجل حلف يمينا
فاجرة في تنفيق سلعته عن مجاهد المعنى ثم ذكر سبحانه الوعيد لهم على افعالهم الخبيثة فقال ان الذين يشترون اي يستبدلون
بعهد الله اي بامر الله سبحانه وما يلزمهم الوفاء به وقيل معناه ان الذين يحصلون بنكث عهد الله ونقضه وايمانهم اي
وبالايمان الكاذبة ثمنا قليلا اي عوضا نزرا وسماه قليلا لانه قليل في جنب ما يفوتهم من الثواب ويحصل لهم
من العقاب وقيل العهد ما اوجبه الله على الانسان من الطاعة والكف عن المعصية وقيل هو ما في عقل الانسان
من الزجر عن الباطل والانقياد للحق اولئك لا خلاق لهم اي لا نصيب وافر لهم في نعيم الآخرة ولا يكلمهم الله فيه
قولان احدهما انه لا يكلمهم بما يسرهم بل بما يسوؤهم وقت الحساب لهم عن الجبائي والاخر انه لا يكلمهم اصلا ويكون
المحاسبة بكلام الملائكة لهم بامر الله اياهم استهانة بهم ولا ينظر اليهم يوم القيمة معناه لا يعطف عليهم ولا يرحمهم كما تقول
القائل للغير انظر الي يريد ارحمني وفي هذا دلالة على ان النظر اذا عدي بحرف الى لا يفيد الرؤية لانه لا يجوز حمله
هنا على انه لا يراهم بلا اختلاف ولا يزكيهم اي لا يطهرهم وقيل لا ينزلهم منزلة الازكياء عن الجبائي وقيل لا يطهرهم من دنس
الذنوب والاوزار بالمغفرة بل يعاقبهم وقيل لا يحكم بانهم ازكياء ولا يسميهم بذلك بل يحكم بانهم كفرة فجرة عن القاضي
ولهم عذاب اليم موجع مولم وفي تفسير الكلبي عن ابن مسعود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول من
حلف على يمين كاذبة ليقطع بها مال اخيه المسلم لقي الله وهو عليه غضبان وتلا هذه الآية قوله عز وجل وان منهم
لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو
من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون آية اللغة اصل اللي الفتل من قولك لويت يده ليا
لويت الغريم ليا وليانا اذا مطلته حقه قال الشاعر تطيلين لياني وانت ملية واحسن يا ذات الوشاح التقاضيا

ومنه الحديث لي الواجد ظلم والالسنة جمع اللسان على التذكير كحمار واحمرة ويقال السن على التانيث
كعناق واعنق ولا فرق بين حسبت وزعمت ان زعمت يحتمل ان يكون يقينا وظنا وحسبت لا يحتمل
اليقين اصلا **الاعراب** لفريقا نصب بانه اسم ان واللام للتاكيد دخلت على اسم ان اذ كان موخرا ولا يجوز ان تزيد
في الدار لئلا يجتمع حرفا تاكيد كما لا يجوز دخول التعريف على التعريف فاما قولهم جاني القوم كلهم اجمعون فكل
تاكيد للقوم واجمعون تاكيد لكل **النزول** قيل نزلت في جماعة من احبار اليهود كتبوا بايديهم ما ليس في كتاب الله
من النبع وغيره واضافوه الى الكتاب وقيل نزلت في اليهود والنصارى حرفوا التورية والانجيل وضربوا
كتاب الله بعضه ببعض والحقوا به ما ليس منه واسقطوا منه الدين الحنيف عن ابن عباس **المعنى**
وان منهم اي من اهل الكتاب وهو عطف على قوله وان من اهل الكتاب من ان تامنه بقنطار لفريقا
اي طايفة يلوون السنتهم بالكتاب معناه يحرفون الكتاب عن جهته ويعدلون به عن القصد بالسنتهم
بتحريف الكتاب الجهة ليا باللسان ولتحسبوه ايها المسلمون من كتاب الله تعالى وهذا معنى قول
مجاهد وقتاده وابن جريج والربيع وقيل تفسرونه بخلاف الحق لتحسبوه من الكتاب اي لتظنوه
ايها المسلمون من كتاب الله تعالى وما هو من الكتاب المنزل على موسى ولكنهم يخترعونه ويتبدعونه
ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله وفي هذا دلالة على ان المعاصي ليست من
عند الله ولا من فعله لانها لو كانت من فعله لكانت من عنده بان قالوا انها من عنده خلقا وفعلا
وليست من عنده انزالا ولا امرا فالجواب لو كانت كذلك لكانت من عنده على كل الوجوه فلم يجز اطلاق
النفي بانها ليست من عنده كما لا يجوز ان يكون من الكتاب على وجه من الوجوه لاطلاق النفي بانه ليس
من الكتاب لا يجوز ان يكون من عند الله لاطلاق النفي بانه ليس من عند الله ويقولون الكذب
في نسبتهم ذلك الى الكتاب وهم يعلمون ان ذلك كذب وقيل وهم يعلمون ما عليهم في ذلك من العقاب
قوله تعالى **ما كان لبشر ان يوتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون
الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ولا يامركم ان تتخذوا الملائكة
والنبيين اربابا ايامركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون** آيتان **القراءة** قراءة اهل الكوفة وابن عامر
تعلمون بالتشديد والباقون تعلمون وقرا عاصم عن الاعشى والبرجمي ولا يامركم بنصب الراء والباقون
بالرفع **الحجة** حجة من قرا تعلمون بالتشديد ان التعليم ابلغ في هذا الموضع لانه اذا علم الناس
فما بلغهم كان مع استحقاق الذم من ترك عمله داخلا في جملة من وبخ بقوله اتامرون الناس بالبر وتنسون
انفسكم وحجة من قرا يعلمون ان العالم الدارس قد يدرك بعلمه ودرسه ما يكون داعيا الى التمسك
بعلمه والعمل به مما يدركه العالم المعلم في تعليمه ومن قرا يامركم فعلى القطع من الاول والمراد ولا يامركم الله
ومن نصبه فعلى قوله ما كان لبشر ان يامركم ان تتخذوا ومما يقوي الرفع ما روي في حرف ابن مسعود
ولن يامركم فهذا يدل على الانقطاع من الاول ومما يقوي النصب ما جاء في التفسير ان اليهود قالوا
للنبي صلى الله عليه وآله يا محمد اتريد ان نتخذك ربا فقال الله ما كان لبشر ان يوتيه الله الكتاب ولا ان يامركم
اللغة البشر يقع على القليل والكثير فهو بمنزلة المصدر مثل الخلق تقول هذا بشر وهولاء بشر كما تقول هذا
خلق وهولاء واما وقع المصدر على القليل والكثير لانه جنس الفعل فصار كاسماء الاجناس مثل الماء والتراب
ونحوه الرباني هو الذي يرب امر الناس بتدبيره له واصلاحه اياه يقال رب فلان امره ربابة وهو ربان اذا

دبره واصلحه ونظيره نعس نعسان واكثر ما يجي فعلان من فعل يفعل ويكون العالم ربانيا لانه بالعلم يدبر الامر
ويصلحه وقيل انه مضاف الى علم الرب وهو علم الدين الذي يامر به الا انه غير في الاضافة ليدل على هذا المعنى كما قيل في النسبة
الى البحرين بحراني وكما قيل لعظيم الرقبة رقباني ولعظيم اللحية لحياني فقيل لصاحب علم الدين الذي امر به الرب رباني **النزول**
قيل ان ابا رافع القرظي من اليهود ورئيس وفد نجران قالا يا محمد اتريد ان نعبدك ونتخذك الها فقال معاذ الله
ان اعبد غير الله او امر بعبادة غيره ما بذلك بعثني ولا بذلك امرني فانزل الله الآية عن ابن عباس وعطا وقيل نزلت
في نصارى نجران عن الضحاك ومقاتل وقيل ان رجلا قال يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض افلا نسجد
لك قال لا ينبغي ان يسجد لاحد من دون الله ولكن اكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله فانزل الله الآية **المعنى** لما تقدم
ذكر اهل الكتاب وانهم اضافوا ما ليس يدينون به الى الانبياء عليهم السلام نزههم الله تعالى عن ذلك فقال ما كان لبشر يعني لبشر ولا يحل
ان يوتيه الله اي يعطيه الله الكتاب والحكم والعلم والنبوة اي الرسالة الى الخلق ثم يقول للناس كونوا عبادا لي
من دون الله اي اعبدوني من دونه او اعبدوني معه عن الجبائي وقيل معناه ليس من صفة الانبياء الذين
خصهم الله برسالته واختصهم لنبوته وانزل عليهم الكتب وجعلهم حكماء علماء ان يدعوا الناس الى عبادتهم وانما قال
ذلك على جهة التنزيه للنبي من مثل هذا الوجه لا على وجه النهي وقوله عبادا هو من العبادة قال القاضي عبيد
خلافه لانه بمعنى العبودية ولا يمتنع ان يكونوا عبيدا لغير الله ويمتنع ان يكونوا عبادا لغيره ولكن كونوا ربانيين تقديره
حذف فاء لا ينبغي لهذا النبي ان يقول للناس اعبدوني ولكن ينبغي ان يقول لهم كونوا ربانيين واختلفوا في معناه فاحدها ان
معناه كونوا فقهاء علماء عن علي وابن عباس والحسن وثانيها كونوا حكماء علماء عن قتاده والسدي وابن
ابي رزين وثالثها كونوا حكماء اتقياء عن سعيد بن جبير ورابعها كونوا مدبري امر الناس في الولاية بالاصلاح
عن ابن زيد وخامسها كونوا معلمين للناس من علمكم كما يقال انفق بما لك اي مما لك عن الزجاج وروي عن النبي
انه قال ما من مومن ولا مومنة ولا حر ولا مملوك الا ولله عليه حق واجب ان يتعلم من العلم ويتفقه فيه وقال ابو عبيدة
سمعت رجلا يقول الرباني العالم بالحلال والحرام والامر والنهي وما كان وما يكون وقال ابو عبيدة لم يعرف العرب
الرباني وهذا فاسد لان القرآن نزل بلغتهم وروي عن محمد بن الحنفية انه قال يوم مات ابن عباس مات رباني
هذه الامة وقد ذكرنا اشتقاقه وقيل بما كنتم تعلمون الكتاب اي القرآن وبما كنتم تدرسون اي الفقه ومن قرا
بالتشديد اراد تعلمونه سواكم فيفيد انهم يعلمون ويعلمون غيرهم والتخفيف لا يفيد اكثر من كونهم عالمين ودخلت
الباء في قوله بما كنتم تعلمون لاحد ثلثة اشياء اما ان يريد كونوا معلمي الناس بعلمكم كما قال انفعهم بمالك او يريد كونوا
ربانيين في علمكم ودراستكم ووقعت الباء موقع في او يريد كونوا ممن يستحق ان يطلق له صفة عالم بعلمه
على جهة المدح بان تعملوا بما علمتم وذلك ان الانسان انما يستحق ان يوصف بانه عالم اذا عمل بعلمه ويدل عليه قوله
انما يخشى الله من عباده العلماء ولا يامركم اي ولا يامركم الله عن الزجاج وقيل ولا يامركم محمد عن ابن جريج وقيل
ولا يامركم عيسى ومن نصب الراء وعطفه على ان يوتيه الله معناه ولا كان لهذا النبي ان يامركم ان تتخذوا الملائكة
والنبيين اربابا الهة كما فعله الصابئون والنصارى ايامركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون الف استفهام للانكار اصله الاستفهام
وانما استعمل في الانكار لانه مما لو اقر به المخاطب لظهرت فضيحته فلذلك جاء على السوال وان لم يكن الغرض تعرف
الجواب ومعناه ان الله انما بعث النبي ليدعو الناس الى الايمان فلا يبعث من يدعو المسلمين الى الكفر قوله عز وعلا
**واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتومنن به
ولتنصرنه قال ااقررتم واخذتم على ذلكم اصري قالوا اقررنا قال فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين فمن
تولى بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون** آيتان **القراءة** قرا حمزة وحده لما بكسر اللام والباقون بفتحها وقرا نافع آتيناكم

على الجمع والباقون اتيتكم على التوحيد الحجة الوجه في قراءة حمزة وحده لما بكسر اللام والباقون بفتحها انه يتعلق بالاخذ
كان المعنى اخذ ميثاقهم لهذا ويكون ما على هذا موصولا والعائد الى الموصول من الجملة المعطوفة على الصلة وهي
قوله جاءكم رسول مصدق لما معكم فظهر بمنزلة المضمر وهو قوله لما معكم في معنى ما اوتوه من الكتاب والحكمة فصار بمنزلة
مثل قوله انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين لانه في معنى لا نضيع اجرهم ويحتمل ان يكون ما على هذه القراءة
حرفا فيكون بمعنى المصدر قال ابو علي ومن فتح اللام لما اتيتكم فان ما فيه يحتمل تاويلين احدهما ان يكون موصولة
والآخر ان يكون للجزاء فمن قدر ما موصولة فالقول فيما تقتضيه قوله ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم من الراجع
الى الموصول ما تقدم ذكره في قراءة حمزة واما الراجع الى الموصول من الجملة الاولى فالضمير المحذوف من الصلة تقديره
لما اتيتكموه واللام في لما اتيتكم لام الابتداء وهي المتلقية لما اجري مجرى القسم من قوله واذ
اخذ الله ميثاق النبيين وموضع ما رفع بالابتداء والخبر لتؤمنن به متعلق بقسم محذوف المعنى والله لتؤمنن به
والذكر الذي في به يعود على الذي اتيتكموه الذي هو المبتدأ ونحو قولك لعبد الله والله لتاتينه الذكر الذي
في لتنصرنه يعود على رسول المتقدم ذكره واذا قدرت ما للجزاء كانت ما في موضع نصب باتيتكم واتيتكم في موضع جزم
بالشرط وجاءكم في موضع جزم بالعطف على اتيتكم واللام الداخلة على ما لا تكون المتلقية للقسم ولا تكون بمنزلة
اللام في قوله لئن لم ينته المنافقون والمتلقية للقسم قوله لتؤمنن به كما انها في قوله لئن لم ينته المنافقون
قوله لنغرينك بهم وهذه اللام الداخلة على ان لا يعتمد القسم عليها فلذلك جاز حذفها تارة واثباتها كما قال
وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن فتلحق هذه اللام ان مرة ولا تلحق اخرى كما ان ان كذلك في قولك والله
ان لو فعلت لفعلت والله لو فعلت لفعلت المعنى لما تقدم ذكر النبيين عقبه سبحانه بذكر نبينا صلى الله عليه وآله
وما اخذ من عهده عليهم اجمعين فقال واذ اخذ الله ميثاق النبيين العامل في اذ محذوف وتقديره اذكر
اذ اخذ الله وقيل هو عطف على ما تقدم من قوله واذ قالت الملائكة وروي عن امير المؤمنين ع وابن عباس وقتادة
ان الله تعالى اخذ الميثاق على الانبياء قبل نبينا صلى الله عليه وآله ان يخبروا اممهم بمبعثه ونعته ويبشروهم به ويامروهم
بتصديقه وقال طاوس اخذ الله الميثاق على الانبياء على الاول والآخر وقال الصادق ع تقديره واذ اخذ الله ميثاق
امم النبيين بتصديق نبينا والعمل بما جاءهم به وانهم خالفوهم فيما بعد وما وفوا به وتركوا كثيرا من شريعته وحرفوا كثيرا
منها وقوله لما اتيتكم بفتح اللام اذا كانت ما موصولة فتقديره الذي اتيتكموه اي اعطيتكموه من كتاب وحكمة ثم جاءكم
رسول اي نبي وقيل يعني محمد مصدق لما معكم من الكتب لتؤمنن به اي لتؤمنن بالرسول اي لتصدقنه او يريد
لتؤمنن بالذي اتيتكموه ولتنصرن الرسول فعلى هذا يكون المعنى انما اخذ الميثاق على الانبياء ليصدق
بعضهم بعضا ويامر بعضهم بالايمان ببعض ويكون النصرة بالتصديق والحجة وهو المروي عن الحسن وسعيد بن جبير
وطاوس واذا كانت ما للجزاء فتقديره اي شيء اتيتكم ومهما اتيتكم من كتاب لتؤمنن به فالشرط قوله
اتيتكم الحكمة ومجيء الرسول والجزاء القسم والمقسم عليه وهو قوله ولتؤمنن به فاغنى جواب القسم عن الجزاء
كقوله لئن اشركت ليحبطن عملك وقوله من كتاب من هنا للتبيين لا للتخصيص كقولك ما عندك من ورق وعين
وهذا خاتم فضة ويكون على هذا تقديره ان الله سبحانه الزمهم مهما اوتيكم كتابا وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق
لما معكم من ذلك الكتاب والحكمة والله لتؤمنن به ولتنصرنه فاقروا بذلك واعطوا عليه مواثيقهم وهذا
اشبه بما ذكر ان الميثاق اخذ على الانبياء ليأخذوا على اممهم بتصديق محمد اذا بعث ويامروهم بنصرته على اعدائه
ان ادركوه وهو المروي عن علي وابن عباس وقتادة والسدي واختاره ابو علي الجبائي وابو مسلم ويكون بمعنى
قوله جاءكم جاء اممكم واتباعكم وانما خرج الكلام على النبيين لان ما الزمهم لزم اممهم ومن قرا لما اتيتكم بكسر اللام

فالمعنى اخذ الله ميثاقهم لما اوتوه اي لاخذ ما اوتوه من الكتاب والحكمة ولانهم الافاضل وخيار الناس ويكون اللام للتعليل
فيقتضي ان يكون الايتاء سابقا لاخذ الميثاق وقوله لتؤمنن به متعلق باخذ الميثاق وهو في الحاصل راجع الى معنى
الشرط والجزاء وقوله ولتنصرنه اي بالبشارة للامم به قال اي قال الله تعالى للانبياء اقررتم به وصدقتموه واخذتم على ذلكم
اصري معناه وقبلتم على ذلكم عهدي ونظيره فان اوتيتم هذا فخذوه وقيل معناه واخذتم العهد بذلك على اممكم
قالوا اي قال الانبياء واممهم اقررنا بما امرتنا بالاقرار به قال الله فاشهدوا بذلك على اممكم وانا معكم من الشاهدين
عليكم وعلى اممكم عن علي ع وقيل فاشهدوا اي فاعلموا ذلك وانا معكم اعلم عن ابن عباس وقيل اشهدوا بعضكم على بعض
وقيل قال الله للملائكة اشهدوا عليهم فيكون كناية عن غير مذكور عن سعيد بن المسيب وهذه الآية من مشكلات
آيات القرآن وقد غاص النحويون في وجوه اعرابها وتحقيقها وشقوا الشعر في تدقيقها ولا تراها في موضع احرى لفظا
واكثر فايدة واشد تهذيبا مما ذكرته هنا وبالله التوفيق فمن تولى بعد ذلك اي فمن اعرض عن الايمان لمحمد ص بعد هذه
الدلالات والحجج وبعد اخذ الميثاق على النبيين الذي سبق ذكره والمقصود به الامم دون النبيين لانهم قد مضى
دماهم وجاز ذلك لان اخذ الميثاق على النبيين يتضمن انه يجب لتؤمنن به ولتنصرنه وامره بان ياخذ العهد
بذلك على قومه فاولئك هم الفاسقون ولم يقل الكافرون لان المراد الخارجون في الكفر الى افحش مراتب الكفر
بتمردهم وذلك ان اصل الفسق الخروج عن امر الله الى حيث توبته وفي الكفر ما هو اكبر كما ان فيما دون الكفر من المعاصي
ما هو اكبر وما هو اصغر بالاضافة اليه قوله عز وجل افغير دين الله يبغون وله اسلم من في السموات والارض طوعا وكرها واليه
يرجعون قل آمنا بالله وما انزل علينا وما انزل على ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى
وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل
منه وهو في الآخرة من الخاسرين ثلث آيات القراءة قرا ابو عمرو يبغون بالتاء واليه يرجعون بالياء مضمومة وقرا
بالياء فيهما عن ابن عباس وحفص ويعقوب وسهل والباقون بالتاء فيهما الحجة من قرا بالتاء فيهما فلان
اول الآية خطاب للنبي صلى الله عليه وآله ومن قرا بالياء فعلى تقدير قل لهم افغير دين الله يبغون فجاء على لفظ الغيبة لانهم
غيب وقد تقدم القول في يرجعون وترجعون الاعراب افغير دين الله يبغون عطف جملة على جملة كانه قيل اوغير
دين الله يبغون الا ان الفاء رتبت فكانه قيل بعد تلك الآيات غير دين الله يبغون وطوعا وكرها مصدران وقعا
موقع الحال وتقديره طائعين وكارهين كما تقول اتاني ركضا اي راكضا ولا يجوز ان تقول اتاني كلاما اي متكلما لان
الكلام ليس بضرب من الاتيان والركض ضرب منه النزول عن ابن عباس قال اختصم اهل الكتاب الى رسول الله فيما اختلفوا
بينهم من دين ابرهيم عليه السلم كل فرقة زعمت انهم اولى بدينه فقال النبي صلى الله عليه وآله كلا الفريقين بري من دين
ابرهيم فغضبوا وقالوا والله ما نرضى بقضائك ولا ناخذ بدينك فانزل الله سبحانه افغير دين الله يبغون المعنى لما بين
سبحانه بطلان اليهودية وساير الملل غير الاسلام بين عقيبه ان من يبتغ غير دينه فحقيق ان لا يجوز القبول منه فقال ابعد
هذه الآيات والحجج تطلبون دينا غير دين الله وله اسلم من في السموات والارض طوعا وكرها فيه اقوال احدها ان معناه
اسلم من في السموات والارض بحال الناطقة عند الدلالة عليه عند اخذ الميثاق عليه عن ابن عباس وثانيها اسلم
اي اقر بالعبودية وان كان فيهم من اشرك في العبادة كقوله سبحانه ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله ومعناه ما ركب الله في عقول الخلق
من الدعاء الى الاقرار بالربوبية لينتبهوا على ما فيه من الدلالة عن مجاهد وابي العالية وثالثها اسلم المؤمن طوعا والكافر
كرها عند موته كقوله فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا عن قتادة واختاره البلخي ومعناه التخويف لهم والنا[illegible]
ورابعها ان معناه استسلم له بالانقياد والذل كقوله سبحانه قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا اي استسلمنا
عن الشعبي والجبائي وعن الزجاج وخامسها ان معناه اكره اقوام على الاسلام وجاء اقوام طائعين عن الحسن وهو المروي

عن ابي عبد الله عليه السلم قال كرها اي فرقا من السيف وقال الحسن والمفضل الطوع لاهل السموات والارض خاصة واما
اهل الارض فمنهم من اسلم طوعا واليه يرجعون اي الى جزائه يصيرون فبادروا الى دينه ولا تخالفوا الاسلام قل آمنا بالله خطاب
للنبي صلى الله عليه وآله وامر له بان يقول عن نفسه وعن امته آمنا بالله وما انزل علينا الآية كما يخاطب رئيس القوم بان يقول
عن نفسه وعن رعيته وقد سبق معنى الآية في سورة البقرة فان قيل فما معنى قوله ونحن له مسلمون بعد ما سبق الاقرار بالايمان
على التفصيل قلنا نحن له مستسلمون بالطاعة والانقياد في جميع ما امر به ونهى عنه ليفهم ان اهل الملل المخالفة للاسلام كانوا
يقرون كلهم بالايمان ولكن لم يقروا بلفظ الاسلام فلهذا قال ونحن له مسلمون ومن يبتغ اي يطلب غير الاسلام دينا يدين به
فلن يقبل منه بل يعاقب عليه ويدل عليه قوله وهو في الآخرة من الخاسرين اي من الهالكين لان الخسران ذهاب رأس
المال وفي هذه دلالة على ان من ابتغى الاسلام دينا قبل منه فدل ذلك على ان الدين والاسلام والايمان واحد وهي
عبارات عن معبر واحد قوله عز وجل كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم
البينات والله لا يهدي القوم الظالمين اولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين خالدين فيها لا يخفف
عنهم العذاب ولا هم ينظرون الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم اربع آيات اللغة الخلود في اللغة
طول المكث ولذلك يقال خلد فلان في السجن وقيل للاثافي خوالد ما دامت في مواضعها فاذا زالت لا تسمى خوالد والفرق
بين الخلود والدوام ان الخلود يقتضي طول المكث في نحو قولك خلد في الحبس ولا يقتضي ذلك الدوام ولذلك وصف
سبحانه بالدوام دون الخلود الا ان خلود الكفار المراد به التأبيد بلا خلاف بين الامة والانظار التأخير للعبد لينظر
في امره والفرق بينه وبين الامهال ان الامهال هو تأخيره لتسهيل ما يكلفه من عمله الاعراب كيف اصله الاستفهام والمراد
به هنا الانكار لان تقع هذه الهداية من الله اي لا يهديهم الله تعالى كقوله كيف يكون للمشركين عهد اي لا يكون قال
الشاعر كيف نومي على الفراش ولما يشمل الشام غارة شعواء وانما دخل معنى الانكار مع ان صيغة الاستفهام لان المسؤل
يسال عن اغراض مختلفة فقد يسال المتعجب عن اقامة البرهان وقد يسال للتوبيخ بما يظهر من معنى الجواب في السؤال وقد
يسال المناظر ونفي الانكار وانما عطف قوله وشهدوا وهو فعل على ايمانهم وهو اسم لان الايمان مصدر والمراد به الفعل
والتقدير بعد ان آمنوا وشهدوا واجمعين تأكيد للناس ودخلت الفاء في قوله فان الله غفور رحيم لانه يشبه الجزاء
اذ كان الكلام قد تضمن معنى ان تابوا فان الله يغفر لهم ولا يجوز ان يكون في موضع خبر الذين لان الذين في موضع نصب
بالاستثناء من الجملة التي هي قوله اولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله الى آخره ولا يحمل على المنقطع مع حسن الاتصال لانه
الاصل في الكلام والاسبق الى الافهام النزول قيل نزلت الآيات في رجل من الانصار يقال له الحرث بن سويد بن الصامت
وكان قتل المجذر بن زياد البلوي غدرا وهرب وارتد عن الاسلام ولحق بمكة ثم ندم فارسل الى قومه ان سلوا
رسول الله صلى الله عليه وآله هل لي من توبة فسالوا فنزلت الآيات الى قوله الا الذين تابوا فحملها اليه رجل من قومه فقال اني
لاعلم انك لصدوق ورسول الله اصدق منك وان الله تعالى اصدق الثلثة ورجع الى المدينة وتاب وحسن اسلامه عن
مجاهد والسدي وهو المروي عن ابي عبد الله عليه السلم وقيل نزلت في اهل الكتاب الذين كانوا يؤمنون بالنبي
قبل مبعثه ثم كفروا به بعد البعثة حسدا وبغيا عن الحسن والجبائي وابي مسلم المعنى لما بين سبحانه ان الاسلام هو الدين الذي
به النجاة بين حال من خالفه فقال كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم فيه وجوه احدها ان معناه كيف يسلك بهم
سبيل المهتدين بالاثابة لهم والثناء عليهم وقد كفروا بعد ايمانهم وثانيها انه على طريق التبعيد كما يقال كيف اهديك الى
الطريق وقد تركته اي لا طريق يهديهم به الى الايمان الا من الوجه الذي هداهم به وقد تركوه ولا طريق غيره وثالثها ان
المراد كيف يهديهم الله الى الجنة ويثيبهم والحال هذه وقوله وشهدوا ان الرسول حق عطف على قوله بعد ايمانهم ودل
قوله كفروا او تقديره بعد ان آمنوا وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات اي البراهين والحجج وقيل القران

وقد جاءهم ما في كتبهم من البشارة بمحمد صلى الله عليه وآله والله لا يهدي القوم الظالمين اي لا يسلك بالقوم الظالمين
مسلك المهتدين ولا يثيبهم ولا يهديهم الى طريق الجنة لان المراد به الهداية المختصة بالمؤمنين دون الهداية العامة
المراد في قوله واما ثمود فهديناهم والمراد بالايمان هنا اظهار الايمان دون الايمان الذي يستحق به الثواب وليس في الآية
ما يدل على انهم قد كانوا في باطنهم مؤمنين مستحقين للثواب ثم ازالوا ذلك بالكفر فلا تعلق للمخالف بها اولئك جزاؤهم على
اعمالهم ان عليهم لعنة الله وهي ابعاده اياهم من رحمته ومغفرته ولعنة الملائكة والناس وهي دعاؤهم عليهم باللعنة
وبان يبعدهم الله من رحمته خالدين فيها اي في اللعنة لخلودهم فيما استحقوا باللعنة وهو العذاب لا يخفف عنهم العذاب
لا يسهل عليهم ولا هم ينظرون اي ولا يمهلون للتوبة ولا يؤخر عنهم العذاب من وقت الى وقت آخر وانما نفي انظارهم للتوبة
والانابة لما علم من حالهم انهم لا ينيبون ولا يتوبون كما قال ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه على ان التبقية ليست بواجبة
وان علم انه لو بقاه لتاب واناب عند كثير من المتكلمين الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا اي تابوا من الكفر ورجعوا
الى الايمان واصلحوا ضمائرهم وعزموا على ان يثبتوا على الاسلام وهذا احسن من قول من قال واصلحوا اعمالهم بعد التوبة
وصلوا وصاموا فان ذلك ليس بشرط في صحة التوبة اذ لو مات قبل فعل الصالحات مات مؤمنا بالاجماع فان الله
غفور يغفر لهم ذنوبهم رحيم يوجب الجنة لهم وذكر المغفرة دليل على ان اسقاط العقاب بالتوبة تفضل منه سبحانه لانه لا يجوز
المؤاخذة به اصلا لا يجوز تعليقه بالمغفرة وانما يتعلق بالمغفرة ما يكون له المؤاخذة به قوله تعالى ان الذين كفروا بعد
ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم واولئك هم الضالون آية النزول قيل نزلت في اهل الكتاب الذين آمنوا
برسول الله قبل مبعثه ثم كفروا به بعد مبعثه عن الحسن وقيل نزلت في اليهود كفروا بعيسى والانجيل بعد ايمانهم بانبيائهم
وكتبهم ثم ازدادوا كفرا بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وآله والقران عن قتادة وعطا وقيل نزلت في الاحد عشر من اصحاب الحرث بن سويد
لما رجع الحرث قالوا نقيم بمكة على الكفر ما بدا لنا فمتى ما اردنا الرجعة رجعنا فينزل فينا ما نزل في الحرث فلما
افتتح رسول الله مكة دخل في الاسلام من دخل منهم فقبلت توبته فنزل فيمن مات منهم كافرا ان الذين كفروا
وماتوا وهم كفار الآية المعنى لما تقدم ذكر التوبة المقبولة عقبه سبحانه بما لا يقبل منها فقال ان الذين كفروا بعد
ايمانهم ثم ازدادوا كفرا قد ذكرنا الاختلاف في سبب نزوله وعلى ذلك يدور معناه وقيل كلما نزلت آية كفروا
بها وازدادوا كفرا الى كفرهم لن تقبل توبتهم لانها لم تقع على وجه الاخلاص ويدل عليه قوله واولئك هم الضالون
ولو حققوا في التوبة لكانوا مهتدين وقيل لن تقبل توبتهم عند رؤية البأس لانها تكون في حال الالجاء ومعناه انهم
لا يتوبون الا عند حضور الموت والمعاينة عن الحسن وقتادة والجبائي وقيل لانها اظهرت الاسلام تورية فاطلع
الله رسوله على سرائرهم عن ابن عباس وقد دل السمع على قبول التوبة اذا حصلت شرائطها وعليه اجماع الامة واولئك
هم الضالون عن الجنة والصواب وقيل الهالكون المعذبون قوله تعالى ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار
فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا ولو افتدى به اولئك لهم عذاب اليم وما لهم من ناصرين آية اللغة الملء
اسم المملوء وهو بطبع الاناء ومنه الملأ الاشراف لانهم يملؤون العين هيبة وجلالا ومنه رجل مليء بالامر وهو
املأ به من غيره فالملء اسم للمقدار الذي يملأ والملء المصدر والفدية البدل من الشيء في ازالة الاذية ومنه
فداء الاسير لانه بدل منه في ازالة القتل والاسر وفداء اذا كسرت مددت واذا فتحت قصرت تقول فداء لك وفدى لك
ويجوز قصر هذا الممدود للضرورة والافتداء افتعال من الفدية الاعراب ذهبا منصوب على التمييز وانما استحق النصب
لاشتغال العامل بالاضافة او ما عاقبها من النون الزائدة فجرى ذلك مجرى الحال في اشتغال العامل بصاحبها ومجرى
المفعول في اشتغال العامل عنه بالفاعل وقوله ولو افتدى به قال الفراء هذه الواو زائدة وغلطه الزجاج لان الكلام
اذا امكن حمله على فائدة يجب حمله عليها ولا يحمل على الزيادة وقال اذا دخلت الواو في مثل هذا كان ابلغ في التأكيد

الواو زائدة لاوهم ذلك لانه لا يقبل منه ملء الارض
لا اثيب وان اعطيتني لانها دخلت لتفصيل نفي القبول بعد الاجمال ولو جعلنا
ذهبا في الافتداء وقيل في غيره المعنى ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا اي مقدار ما يملأ
الارض من الذهب ولو افتدى به بدلا وعوضا ومعناه ان الكافر الذي يعتقد الكفر وان اظهر الايمان لا ينفعه الايمان
يعني لا يوجب له الثواب وقيل معناه انه لا يقبل منه في الآخرة ولو وجد اليه السبيل قال قتادة يجاء بالكافر يوم القيمة
فيقال له ارايت لو كان لك ملء الارض ذهبا اكنت تفتدي به فيقول نعم فيقال له لقد سئلت ايسر من ذلك فلم تفعل
ورواه انس عن النبي صلى الله عليه وآله اولئك لهم عذاب اليم وما لهم من ناصرين ذكرنا معناه قوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما
تحبون وما تنفقوا من شيء فان الله به عليم آية اللغة البر اصله من السعة ومنه البر خلاف البحر والفرق بين البر والخير
ان البر هو النفع الواصل الى الغير مع القصد الى ذلك والخير يكون خيرا وان وقع عن سهو وضد البر العقوق وضد الخير الشر
المعنى لن تنالوا اي لن تدركوا بر الله سبحانه باهل طاعته واختلف في البر هنا فقيل هو الجنة عن ابن عباس ومجاهد
وقيل هو الثواب في الجنة وقيل هو الطاعة والتقوى عن مقاتل وعطا وقيل معناه لن تكونوا ابرارا اي صالحين اتقياء
عن الحسن حتى تنفقوا مما تحبون اي حتى تنفقوا المال وانما كنى هذا اللفظ عن المال لان جميع الناس يحبون المال وقيل
معناه ما تحبون من نفايس اموالكم دون اراذلها كقوله سبحانه ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون وقيل هو الزكاة الواجبة
وما فرضه الله سبحانه في الاموال عن ابن عباس والحسن وقيل هو جميع ما ينفقه المرء في سبيل الخيرات عن مجاهد
وجماعة فقد روي عن ابي الطفيل قال اشترى علي ع ثوبا فاعجبه فتصدق به وقال سمعت رسول الله ص يقول
من آثر على نفسه آثره الله يوم القيمة بالجنة ومن احب شيئا فجعله لله قال الله يوم القيمة قد كان العباد يكافئون فيما بينهم
بالمعروف وانا اكافئك اليوم بالجنة وروي ان ابا طلحة قسم حائطا له في اقاربه عند نزول هذه الآية وكان احب
امواله اليه فقال رسول الله صلى الله عليه وآله بخ بخ ذلك مال رابح لك وجاء زيد بن حارثة بفرس له كان يحبها فقال هذه
في سبيل الله فحمل رسول الله صلى الله عليه وآله عليها اسامة بن زيد فكان زيد اوجد في نفسه وقال انما اردت ان اتصدق
به فقال رسول الله صلى الله عليه وآله اما ان الله قد قبلها منك واعتق ابن عمر جارية كان يحبها وتلا هذه الآية
وقال لولا اني لا اعود في شيء جعلته لله لنكحتها وضاف ابا ذر الغفاري ضيف فقال للضيف اني مشغول وان لي ابلا فاخرج
وائتني بخيرها فذهب وجاء بناقة مهزولة فقال له ابو ذر خنتني فقال وجدت خير الابل فحلها فذكرت يوم حاجتكم
اليه فقال ابو ذر ان يوم حاجتي اليه ليوم اوضع في حفرتي مع ان الله يقول لن تنالوا البر الآية وقال ابو ذر في المال ثلثة شركاء
القدر لا يستأمرك ان تذهب بخيرها او شرها من هلك او موت والوارث ينتظرك ان تضجع ليأخذها وانت الثالث فان استطعت
ان لا تكون اعجز الثلثة فلا تكن ان الله تعالى يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما
تحبون وان هذا الجمل كان مما احب من مالي فاحببت ان اقدمه لنفسي وقال بعضهم دلهم سبحانه بهذه الآية على الفتوة فقال
فقال لن تنالوا البر بكم الا ببركم باخوانكم والانفاق عليهم من مالكم وجاهكم وما تحبون فاذا فعلتم ذلك
نالكم بري وعطفي وما تنفقوا من شيء فان الله به عليم جازم بالفاء على جواب الشرط وان كان الله سبحانه يعلم ذلك على كل حال
وفيه وجهان احدهما ان تقديره وما تنفقوا من شيء فان الله يجازيكم به قل او كثر لانه عليم لا يخفى عليه شيء منه والآخر
ان تقديره فانه يعلمه الله موجودا على الحد الذي تفعلونه من حسن النية او قبحها فان قيل كيف قال سبحانه لن تنالوا البر
حتى تنفقوا مما تحبون والفقير ينال الجنة وان لم ينفق قيل الكلام خرج مخرج الحث على الانفاق وهو مقيد بالامكان
وانما اطلق على سبيل المبالغة في الترغيب والاولى ان تكون البر هنا البر الكامل الواقع على اشرف الوجوه حتى
ينفقوا مما تحبون وروي عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وآله سئل عن هذه الآية فقال هو ان ينفق العبد المال
وهو شحيح يأمل الدنيا ويخاف الفقر النظم وجه اتصال هذه الآية بما قبلها انه لما ذكر في الآية لن تقبل من احدهم

ملء الارض ذهبا وملء ذلك لن تنالوا البر حتى تنفقوا لئلا يؤدي امتناع الفدية الى الفتور في الصدقة وما جرى مجراها
من وجوه الطاعة قوله تعالى كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التورية
قل فأتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك فاولئك هم الظالمون
آيتان اللغة الافتراء افتراء الكذب واصله قطع ما قدر من الاديم يقال فرى الاديم يفريه فريا اذا قطعه وعلى
للاستعلاء ومعناه هنا اضافة الكذب الى الله من جهة انه امر بما لم يأمر به واوجب ما لم يوجبه الله وفرق بين كذب
عليه وكذبه لان كذب عليه يفيد انه كذب فما يكرهه وكذبه وبجوز ان يكون فيما يريده النزول انكر اليهود تحليل
النبي صلى الله عليه وآله لحوم الابل فقال عليه السلام كان ذلك حلالا لابرهيم فقالت اليهود كل شيء نحرمه فانه كان محرما
على نوح وابرهيم وهلم جرا حتى انتهى الينا فنزلت الآية عن الكلبي وابي روق المعنى كل الطعام اي كل الماكولات كان حلالا
اي حلالا لبني اسرائيل واسرائيل هو يعقوب بن اسحق بن ابرهيم الا ما حرم اسرائيل على نفسه اي يعقوب اختلفوا في ذلك
الطعام فقيل ان يعقوب اخذه وجع العرق الذي يقال له النساء فنذر ان شفاه الله ان يحرم العروق ولحم الابل
وهو احب الطعام اليه عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وقيل حرم اسرائيل على نفسه لحم الجزور تعبدا لله
وسأل الله ان يجيز له فحرم ذلك على ولده عن الحسن وقيل حرم زايد في الكبد والكليتين والشحم الا ما حملت الظهور
عن عكرمة واختلف في انه عليه السلام كيف حرمه على نفسه فقيل بالاجتهاد وقيل بالنذر بنص ورد عليه وقيل حرمه كما يحرم المستظهر
في دينه من الزهاد اللذة على نفسه من قبل ان تنزل التورية معناه ان كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل قبل ان تنزل
التورية على موسى فانها تضمنت تحريم بعض ما كان حلالا لبني اسرائيل واختلفوا فيما حرم عليهم وحالها بعد نزول
التورية فقيل انه حرم عليهم ما كانوا يحرمونه قبل نزولها اقتداء بابيهم يعقوب عن السدي وقيل لم يحرمه الله عليهم
في التورية وانما حرم عليهم بعد التورية بظلمهم وكفرهم وكانت بنو اسرائيل اذا اصابوا ذنبا عظيما حرم عليهم طعاما
طيبا وصب عليهم رجزا وهو الموت وذلك قوله فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم عن الكلبي
وقيل لم يكن شيء من ذلك حرام عليهم في التورية وانما هو شيء حرموه على انفسهم اتباعا لابيهم واضافوا تحريمه الى الله
عن الضحاك فكذبهم الله تعالى وقل يا محمد فأتوا بالتورية فاتلوها حتى يتبين انه كما قلت لا كما قلتم ان كنتم صادقين
في دعواكم واحتج عليهم بالتورية وامرهم بالاتيان بها وبان يقرؤا ما فيها فانه كان في التورية انها كانت حلالا للانبياء
وانما حرمها اسرائيل فلم يجسروا على اخراج التورية لعلمهم بصدق النبي صلى الله عليه وآله وكذبهم وكان ذلك دليلا
ظاهرا على صحة نبوة نبينا محمد ص اذ علم بان في التورية ما يدل على كذبهم من غير تعلم التورية وقراءتها فمن افترى على
الله الكذب بعد قيام الحجة وظهور البينة فاولئك المفترون على الله الكذب وهم ظالمون لانفسهم بفعل ما اوجب
العقاب عليهم وانما قال بعد ذلك مع انه يستحق الوعيد بالكذب على كل حال لانه اذا اراد انه انما يؤاخذ
به بعد اقامة الحجة عليه ومن كذب فيما ليس بمحجوج فيه جرى مجرى الصبي الذي لا يستحق الوعيد بكذبه النظم وجه
اتصال هذه الآية بما قبلها انها تفصيل للجملة المتقدمة فانه ذكر الترغيب في الانفاق من المحبوب والطعام مما يحب
وعن سعيد وذكر علي بن عيسى وقيل انه لما تقدم محاجتهم في ملة ابرهيم وكان مما انكروا على نبينا تحليل لحم
الجزور وادعوا تحريمه على ابرهيم وان ذلك مذكور في التورية فانزل الله هذه الآية تكذيبا لهم قوله تعالى قل صدق
الله فاتبعوا ملة ابرهيم حنيفا وما كان من المشركين آية اللغة الاتباع لحاق الثاني بالاول لما له من التعلق فالقفو
والاتباع والثاني سمة التابع تابع لان سمته برسمه برهمه الاول منصرف بتصرفه واصل الحنف الاستقامة وقيل اصله الميل فالحنيف هو المايل الى الحق فيما كان عليه ابرهيم من الشرع
القدم المايل بالاحنف لذلك وقيل اصله الميل فالحنيف هو المايل الى الحق فيما كان عليه ابرهيم من الشرع
المعنى ثم بين سبحانه الصدق فيما اخبر فقال قل صدق الله في كل الطعام كان حلالا لبني اسرائيل الا ما حرمه اسرائيل على نفسه

وفي ان محمدا على دين ابرهيم وان دينه الاسلام فاتبعوا ملة ابرهيم في استباحة لحوم الابل والبانها حنيفا اي مستقيما
على الدين الذي هو شي بعينه في حجه ونسكه وطيب ماكله وتلك الشريعة هي الحنيفية وقيل مايلا عن ساير الاديان
الباطلة الى الدين بالحق وما كان من المشركين برا الله سبحانه ابرهيم مما كان ينسبه اليهود والنصارى اليه من زعمهم انهم على دينه
وكذلك مشركو العرب واخبار ان ابرهيم كان بريا من المشركين ودينهم والصحيح ان نبينا عليه السلم لم يكن متعبدا بشريعة من
تقدم من الانبياء ولكن وافقت شريعته شريعة ابرهيم فلذلك قال فاتبعوا ملة ابرهيم والا فالله هو الذي اوحى بها
اليه واوجبها عليه فكانت شريعة له وانما رغب سبحانه في شريعة الاسلام بانها ملة ابرهيم لان المصالح اذا وافقت ما تميل
اليه النفس ويشهد العقل بصحته كانت احرى بالرغبة فيها وكان المشركون يميلون الى اتباع ملة ابرهيم فلذلك خوطبوا
بذلك قوله تعالى ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه ايات بينات مقام ابرهيم
ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين آيتان القراءة
قرا اهل الكوفة غير ابي بكر وابي جعفر حج البيت بكسر الحاء والباقون بفتحها الحجة قال سيبويه حج حجا مثل ذكر ذكرا فجعل هذا على
مصدر فقد يجي على كسر الحاء وقال ابو زيد الحج السنون واحدتها حجة قال ابو علي لعل ذلك قوله ثماني حجج فان الحجة
مع حج البيت الواحدة قال ابو زيد الحج السنون واحدتها حجة سيبويه قالوا حجة اراد عمل سنة ولم يجيبوا بها على الاصل
ولكنه اسم لضرب لم يجيبوا بها على الاصل واراد انه للمرة من الفعل ولكنهم كسروه فجعلوه اسما لهذا المعنى كما قالوا غزاة لعمل
وجه واحد لم يجي به الغزوة وكان القياس اللغة اول الشي ابتداوه ويجوز ان يكون المبتدا اول آخر ويجوز ان يكون
لا آخر له لان الواحد اول العدد ولا نهاية لآخره ونعيم اهل الجنة له اول ولا آخر له اصل بكة من البك وهو الزحم تقول بكه يبكه
اذا زحمه وتباك الناس اذا ازدحموا فبكة مزدحم الناس للطواف وهو ما حول الكعبة من داخل المسجد الحرام وقيل سميت بكة
لانها تبك اعناق الجبابرة اذا الحدوا فيها بظلم لم يمهلوا والبك دق العنق واما مكة فيجوز ان يكون اشتقاقها كاشتقاق
بكة وابدلت الميم من الباء كقولهم ضربة لازب ولازم ويجوز ان يكون من قولهم امتك الفصيل ما في ضرع الناقة اذا امتص
مصا شديدا حتى لا يبقى منه شيا ومك المشاش شيا اذا امتصه فسميت مكة بذلك لقلة مايها واصل البركة الثبوت
من قولهم برك بروكا وبركا اذا ثبت على حاله فالبركة ثبوت الخير بنموه ومنه البركة شبه حوض يمسك الماء لثبوته فيه ومنه قول
الناس تبارك الله لثبوته ولم يزل وحده الاعراب قوله مباركا نصب على الحال بالظرف من بكة على معنى الذي استقر ببكة مباركا
ويجوز ان يكون من الضمير في وضع كانه قيل وضع مباركا وعلى هذا يجوز ان يكون قد وضع قبله بيت ولا يجوز في التقدير
الاول فاما رفع مقام ابرهيم فانه خبر مبتدا محذوف وتقديره هي مقام ابرهيم وغير مقام ابرهيم عن الاخفش وقيل
هو بدل من ايات عن ابي مسلم ومن استطاع اليه سبيلا في موضع جر بدل من الناس وهو بدل البعض من الكل
النزول قال مجاهد تفاخر المسلمون واليهود فقالت اليهود بيت المقدس اعظم وافضل من الكعبة لانه مهاجر الانبياء في الارض المقدسة
فقال المسلمون بل الكعبة افضل فانزل الله ان اول بيت وضع للناس المعنى ان اول بيت وضع للناس اي هي للناس ذكر
يكن قبله بيت مبني وانما دحيت الارض من تحتها وهو اول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق الله سبحانه السماء والارض
خلقه الله قبل الارض بالفي عام وكانت زبدة بيضاء على الماء عن مجاهد وقتادة والسدي وروي عن ابي عبد الله عم
انها كانت مهاة بيضاء يعني درة وروى ابو خديجة عنه عليه السلم قال ان الله انزله لادم من الجنة وكان درة بيضاء
فرفعه الله الى السماء وبقي اسه وهو بحيال هذا البيت يدخله كل يوم سبعون الف ملك لا يرجعون اليه ابدا فامر الله
ابرهيم واسمعيل ببنيان البيت على القواعد وقيل معناه اول بيت وضع للحج للناس للعبادة ولم يكن قبله
بيت يحج اليه البيت الحرام وقد كانت قبله بيوت كثيرة ولكنه
وقيل اول بيت وضع وطلب منه البركة مكة عن الضحاك وروى بيت مبارك وهدى وضع للناس عن علي عم والحسن
انه اول شي خلق الله عز وجل موضع الكعبة ثم

الارض من تحتها وروى ابو ذر انه سئل عم عن اول مسجد وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم البيت المسجد المقدس الذي
ببكة وقيل بكة المسجد الحرام كله ومكة الحرم يدخل فيه البيوت عن الزهري وضمرة بن ربيعة وهو المروي عن ابي جعفر وقيل بكة بطن مكة عن
ابي عبيدة وقيل بكة موضع البيت والمطاف ومكة اسم البلد وعليه الاكثر وقيل بكة هي مكة والعرب تبدل الباء ميما مثل لازب
ولازم عن مجاهد والضحاك مباركا يعني كثير الخير والبركة وقيل مباركا لثبوت العبادة فيه دايما حتى يحكى ان الطواف لا ينقطع
منه ابدا وقيل لانه يضاعف فيه ثواب العبادة عن ابن عباس وروي انه حط الله خطايا وقيل لانه يغفر فيه الذنوب ويجوز
حمله على الجميع اذ لا تنافي وهدى للعالمين اي دلالة لهم على الله سبحانه باهلاكه كل من قصده من الجبابرة كاصحاب الفيل وغيرهم
وباجتماع الظبي في حرمه مع الكلب والذيب ولا ينفر عنه مع نفرته عنه في غيره من البلاد وبانمحاق الجمار على كثرة الرماة
فلولا انها موضع لكان يجتمع هناك من الحجارة مثل الجبال وباستيناس الطيور فيه بالناس وباستشفاء المريض بالبيت
وبانه لا يعلوه طير اعظاما له الى غير ذلك من الدلالات وقيل معناه انه يهتدى به الى جهة صلوتهم اي يهتدون
الى الجنة بحجه والطواف به فيه آيات بينات اي دلالات واضحات والهاء في فيه عايد الى البيت وروي عن ابن عباس
انه قرا فيه آية بينة مقام ابرهيم فجعل مقام ابرهيم وحده الآية وقيل اثر قدميه في المقام آية بينة الا اوعليه القراء المعروف
اراد مقام ابرهيم والحجر الاسود والحطيم وزمزم والمشاعر كلها واركان البيت وازدحام الناس عليها وتعظيمهم لها وقد
مضى ذكر مقام ابرهيم في سورة البقرة وسئل الصادق عليه السلم عن الحطيم فقال هو ما بين الحجر الاسود والباب وسمي
الحطيم لان الناس يحطم بعضهم بعضا وهو الموضع الذي فيه تاب الله على ادم وقال ان تهيا لك ان تصلي صلوتك
كلها الفرايض وغيرها عند الحطيم فافعل فانها افضل بقعة على وجه الارض وبعده الصلوة في الحجر افضل وروى عن ابي حمزة
الثمالي قال قال لنا علي بن الحسين عليه السلم اي البقاع افضل فقلنا الله ورسوله وابن رسوله اعلم فقال لنا افضل البقاع
ما بين الركن والمقام ولو ان رجلا عمر ما عمر نوح في قومه الف سنة الا خمسين عاما يصوم النهار ويقوم الليل
في ذلك المكان ثم لقي الله عز وجل بغير ولايتنا لم ينفعه ذلك شيا وقال الصادق عليه السلم الركن اليماني بابنا الذي
يدخل منه الجنة وروي انه من روي من ماء زمزم احدث له شفاء وصرف عنه داء وقال المفسرون ومن تلك الآيات مقام
ابرهيم وامن الداخل فيه وامن الوحوش من السباع الضارية وانه ما علا عبد على الكعبة الا عتق واذا كان الغيث من ناحية
الركن اليماني كان الخصب باليمن واذا كان من ناحية الركن الشامي كان الخصب بالشام واذا عم البيت كان في جميع
البلدان وساير ما ذكرناه قبل من الآيات وقوله ومن دخله كان آمنا عطف على مقام ابرهيم وفي مقام ابرهيم دلالة واضحة
لانه حجر صلد يرى فيه اثر قدميه ولا يقدر احد ان يجعل الحجر في لين الطين الا الله سبحانه وروي عن ابن عباس انه قال ان الحرم
كله مقام ابرهيم ومن دخله مقام ابرهيم يعني الحرم كان آمنا وقيل فيه اقوال احدها ان الله تعالى عطف قلوب العرب
في الجاهلية على ترك التعرض لمن لاذ بالحرم والتجا اليه وان كثرت جريمته ولم يزده الاسلام الا شدة عن الحسن
وثانيها انه خبر والمراد به الامر ومعناه ان من وجب عليه حد فلاذ بالحرم لا يبايع ولا يشارى ولا يعامل حتى يخرج
من الحرم فيقام عليه الحد عن ابن عباس وابن عمر وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله عم وعلى هذا يكون تقديره
من دخله فامنوه وثالثها ان معناه من دخله عارفا بجميع ما اوجبه الله عليه كان آمنا في الآخرة من العذاب الدايم
وهو المروي عن ابي جعفر واجمعت الامة على ان من اصاب فيه ما يوجب الحد اقيم عليه الحد فيه ثم لما بين سبحانه فضل
الحرام عقبه بذكر وجوب حجة الاسلام فقيل ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه ومعناه ولله على الناس حج
من استطاع الى حج البيت سبيلا من الناس حج البيت اي من وجد اليه طريقا بنفسه وماله واختلف في الاستطاعة
فقيل هي الزاد والراحلة عن ابن عباس وابن عمر وقيل ما يمكنه معه بلوغ مكة باي وجه يمكن عن الحسن ومعناه القدرة على الوصول

اليه والمروي عن ائمتنا عليهم السلم انه الزاد والراحلة ونفقة من يلزمه نفقته والرجوع الى كفاية اما من مال او ضياع او حرفة
مع الصحة في النفس وتخلية السرب من الموانع وامكان المسير ومن كفر معناه ومن جحد فرض الحج ولم يره واجبا عن ابن عباس
والحسن فان الله غني عن العالمين لم يتعبدهم بالعبادة لحاجته اليها وانما تعبدهم بها لما علم فيها من مصالحهم وقيل ان المعني
به اليهود فانه لما نزل قوله ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه قالوا نحن مسلمون فامروا بالحج فلم يحجوا فعلى هذا كان
معناه من كفر من ترك الحج من هولاء فهو كافر والله غني عن العالمين وقيل المراد به كفران النعمة لان الامتثال بامر الله شكر
لنعمته وترك المامور به كفران لنعمته وقد روي عن ابي امامة عن النبي صلى الله عليه واله انه قال من لم يحبسه حاجة ظاهرة او
مرض حابس او سلطان جائر فلم يحج فليمت ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا وروي عن ابي عبد الله عليه السلم قال
قال رسول الله صلى الله عليه واله الحج والعمرة ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد وفي هذه الآية دلالة
على فساد قول من قال ان الاستطاعة مع الفعل لان الله سبحانه انما اوجب الحج على المستطيع ولم يوجبه على غير المستطيع وذلك يقتضي تقدمها
قبل فعل الحج النظم وجه اتصال هذه الآية بما قبلها ان الله سبحانه امر اهل الكتاب باتباع ملة ابرهيم وعليه تعظيم
البيت الحرام فذكر الله سبحانه البيت وفضله وحرمته وما يتعلق به في قوله ان اول بيت وضع للناس قوله تعالى قل
يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون قل يا اهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله
من آمن تبغونها عوجا وانتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون آيتان اللغة البغية الطلب يقال بغيت الشيء ابغيه
قال عدي الحماس بغاك وما تبغيه حتى وجدته كانك قد واعدته امس موعدا اي طلبك وما تطلبه ويقال
ابغني كذا بكسر الهمزة اي اطلبه لي واصله ابغ لي فحذفت اللام لكثرة الاستعمال واذا قلت ابغني بفتح الهمزة فمعناه
اعني على طلبه ومثله احملني وحملني واحلبني واحلبني اي اعني على الحلب والعوج بفتح العين ميل كل شيء منتصب
نحو القناة والحائط وبكسر العين هو الميل عن طريق الاستواء في طريق الدين وفي القول وفي الارض ومنه قوله لا ترى
فيها عوجا الاعراب من آمن في موضع نصب بانه مفعول تصدون والكناية في قوله تبغونها راجعة الى السبيل
المعنى ثم عاد الكلام الى حجاج اهل الكتاب فقال سبحانه مخاطبا للنبي صلى الله عليه واله امره بخطاب اليهود والنصارى
وقيل اليهود خاصة قل يا اهل الكتاب قل يا محمد لهم لم تكفرون بآيات الله اي بالمعجزات التي اتى بها محمد صلى الله عليه واله
والعلامات التي وافقت في صفته ما تقدمت به البشارة وسماهم اهل الكتاب وان لم يعملوا به ولم يسمهم اهل القرآن
لوجهين احدهما ان القرآن اسم خاص لكتاب الله واما الكتاب فلا يمتنع من ذلك بل يجوز ان يراد باهل الكتاب المحرف
عن جهته والثاني الاحتجاج عليهم بالكتاب لاقرارهم به فكانه قيل يا من يقر بانه من اهل الكتاب لم تكفر بآيات الله
واللفظ لفظ الاستفهام والمراد التوبيخ وانما جاء التوبيخ على لفظ الاستفهام من حيث انه سوال التحير عن اقامة
العذر فكانه قال هاتوا العذر في ذلك ان امكنكم والله شهيد على ما تعملون اي حفيظ على اعمالكم محص لها ليجازيكم
عليها وقيل معناه مطلع عليها عالم بها مع قيام الحجة عليكم فيها وقال عز اسمه في هذا الموضع قل يا اهل الكتاب وفي
موضع آخر يا اهل الكتاب لانه سبحانه خاطبهم في موضع على جهة التلطف في استدعائهم الى الايمان والحض عن خطابهم
في موضع آخر وامر نبيه سبحانه بخطابهم استخفافا بهم لبعدهم عن الحق قل يا محمد يا اهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله
من آمن اي لم تمنعون المومنين عن دين الاسلام الذي هو دين الله وسبيله واختلف في كيفية صدهم عن سبيل الله
فقيل انهم كانوا يغرون بين الاوس والخزرج بتذكيرهم الحروب التي كانت بينهم في الجاهلية حتى تدخلهم الحمية والعصبية
فينسلخوا عن الدين عن زيد بن اسلم فعلى هذا يكون الآية في اليهود خاصة وقيل الآية في اليهود والنصارى ومعناها
لم تصدون بالتكذيب بالنبي وان صفته ليست في كتبكم عن الحسن وقيل بالتحريف والبهت عن الاصم تبغونها عوجا اي تطلبون

185

لسبيل الله عوجا عن سمت الحق وهو الضلال فكانه قال تبغون لها الاباطيل التي يختلقونها على الناس وقيل معناه تطلبون
ذلك السبيل على وجه الاستقامة على غير الوجه الذي ينبغي ان يطلب وقوله وانتم شهداء فيه قولان احدهما انتم شهداء بتقدم
البشارة بمحمد في كتبكم فكيف تصدون عنه من يطلبه وتريدون عدوله عنه والآخر ان المراد وانتم عقلاء كما قال سبحانه
او القى السمع وهو شهيد اي عاقل وذلك انه يشهد الدليل الذي يميز به بين الحق والباطل فيما يتعلق بالدين وما الله
بغافل عما تعملون هذا تهديد لهم على الكفر قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب
يردوكم بعد ايمانكم كافرين وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدي الى
صراط مستقيم آيتان اللغة الطاعة موافقة الارادة الجاذبة للفعل بالترغيب فيه والاجابة موافقة الارادة الداعية
الى الفعل ولذلك يجوز ان يكون سبحانه مجيبا لعبده اذا فعل ما دعا العبد به ولم يجز ان يكون مطيعا له واصل الاعتصام
الامتناع وعصمه يعصمه اذا منعه ولا عاصم اليوم من امر الله اي لا مانع والعصام الحبل لانه يعتصم به والعصم الاوعال
لامتناعها بالجبال النزول نزلت في الاوس والخزرج لما اغرى قوم من اليهود بينهم بذكر حروبهم في الجاهلية ليفتنوهم
عن دينهم عن زيد بن اسلم والسدي وقيل نزل قوله فكيف تكفرون في مشركي العرب عن الحسن المعنى ثم حذر
سبحانه المومنين عن قبول قولهم فقال يا ايها الذين آمنوا اي صدقوا الله ورسوله وهو خطاب للاوس والخزرج
ويدخل غيرهم من المومنين في عموم اللفظ ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب معناه ان تطيعوا هولاء اليهود
في قبول قولهم واحياء الضغائن التي كانت بينكم في الجاهلية يردوكم بعد ايمانكم كافرين اي يرجعوكم كفارا بعد
ايمانكم ثم اكد سبحانه الامر وعظم الشان فقال وكيف تكفرون اي على اي حال يقع منكم الكفر وانتم تتلى عليكم آيات الله
وهذا استبعاد ان يقع منهم الكفر مع معرفتهم آيات الله وفيهم داع يدعوهم الى الايمان وقيل على التعجب اي لا ينبغي
لكم ان تكفروا مع ما يقرا عليكم في القرآن من الآيات الدالة على وحدانية الله ونبوة نبيه صلى الله عليه واله وفيكم
رسوله يعني محمدا يرون معجزاته والكفر وان كان قبيحا في كل حال فهو في تلك الحالة اقبح ويجوز ان يكون
المراد بقوله وفيكم رسوله القوم الذين كان النبي بين اظهرهم خاصة ويجوز ان يكون المراد به جميع الامة لان
آثاره وعلاماته من القرآن وغيره فينا قائمة باقية وذلك بمنزلة وجوده فينا حيا ومن يعتصم بالله اي يتمسك
بكتابه وآياته ودينه وقيل من يمتنع بالله عمن سواه بان يعبده لا يشرك به شيئا وقيل من يمتنع عن الكفر والهلاك
بالايمان بالله ورسوله فقد هدي الى صراط مستقيم اي طريق واضح عن قتادة وفي هذه الآية علمان بينان كتاب الله
ونبي الله فاما نبي الله فقد مضى واما كتاب الله فابقاه الله بين اظهركم رحمة منه ونعمة فاحلوا حلاله وحرموا حرامه
وطاعته ومعصيته وقيل انهم قد شاهدوا في نفسه صلى الله عليه واله معجزات كثيرة منها انه يرى من خلفه كما يرى من قدامه ومنها
انه كان تنام عيناه ولا ينام قلبه ومنها ان ظله لم يقع على الارض ومنها ان الذباب لم يقع عليه ومنها ان الارض
كانت تبلع ما يخرج منه فكان لا يرى له بول ولا غائط ومنها انه كان لا يطاوله احد وان طال ومنها انه كان
بين كتفيه خاتم النبوة ومنها انه كان اذا مر بموضع يعلم الناس لطيبه ومنها انه كان يسطع نور من جبينه في الليلة
المظلمة ومنها انه قد ولد مختونا الى غير ذلك من الآيات قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن
الا وانتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم
بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون آيتان اللغة
تقاة من وقيت قال الزجاج يجوز فيه ثلاثة اوجه تقاة ووقاة واقاة حمله على قياس وجوه واجوه وان كان هذا
المثال لم يجئ منه شيء على الاصل نحو تخمة وتكاة غير انه حمله على الاكثر من نظائره الحبل السبب الذي يتوصل به الى البغية
كالحبل الذي يتمسك به للنجاة من بئر او نحوها ومنه الحبل الامان لانه سبب النجاة قال الاعشى واذا اجوزها حبال قبيلة

اخذت من الاخرى اليك حبالها ومنه الحبل للحمل في البطن واصله الحبل المستطيل وقال ذو الرمة هل حبل خرقاء بعد اليوم
مرموم ام هل لها آخر الايام تكليم وشفا الشيء حرفه ومثنى شفوان وجمعه اشفاء واشفى على الشيء اشرف عليه
واشفى المريض على الموت من ذلك الاعراب وقوله وانتم مسلمون في موضع الحال وقوله جميعا نصب على الحال ايضا
اي اعتصموا في حال اجتماعكم اي كونوا مجتمعين على الاعتصام ولا تفرقوا اصله لا تتفرقوا فحذفت احدى التائين كراهة
لاجتماع المثلين والمحذوفة التاء الثانية لان الاولى علامة الاستقبال وهو مجزوم بالنهي وعلامة الجزم سقوط النون
وقوله فانقذكم منها الكناية في منها عادت الى الحفرة ويجوز ان تكون الى النار وقال العجاج طول الليالي اسرعت في نقضي
طوين طولي وطوين عرضي فعاد الى الطول فاخبر عن الليالي النزول قال مقاتل افتخر رجلان من الاوس والخزرج ثعلبة
بن غنم من الاوس واسعد بن زرارة من الخزرج فقال الاوسي منا خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين ومنا حنظلة
غسيل الملائكة ومنا عاصم بن ثابت بن افلح حمي الدبر ومنا سعد بن معاذ الذي اهتز عرش الرحمن له ورضي الله
بحكمه في بني قريظة وقال الخزرجي منا اربعة احكموا القرآن ابي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وابو زيد ومنا
سعد بن عبادة خطيب الانصار ورئيسهم فجرى الحديث بينهما فغضبا وتفاخرا وناديا فجاء الاوسي الى الاوس والخزرجي
الى الخزرج ومعهم السلاح فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وآله فركب حمارا واتاهم فانزل الله الآيات فقرأها عليهم
فاصطلحوا المعنى لما نهى سبحانه عن قبول اقوال الكافرين بين في هذه الآيات ما يجب فعله فقال يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله
حق تقاته معناه اتقوا عذاب الله اي احترسوا وامتنعوا بالطاعة من عذاب الله كما يحق وكما يجب ان يتقى وينبغي ان
يحترس منه وذكر في قوله حق تقاته وجوه احدها ان معناه ان يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى
عن ابن مسعود والحسن وقتادة وهو المروي عن ابي عبد الله وثانيها انه اتقاء جميع معاصيه عن ابي علي الجبائي وثالثها
انه المجاهدة في الله وان لا تأخذه فيه لومة لائم وان يقام له بالقسط في الخوف والامن عن مجاهد ثم اختلف فيه
ايضا على قولين احدهما انه منسوخ بقوله ... والآخر انه غير منسوخ عن ابن عباس وطاوس وانكر الجبائي نسخ الآية لما فيه من اباحة بعض المعاصي
قال الرماني والذي عندي انه اذا وجه قوله تعالى اتقوا الله حق تقاته على ان تقوموا له بالحق في الخوف والامن
لم يدخل عليه ما ذكره ابو علي لانه لا يمتنع ان يكون اوجب عليهم ان يتقوا الله على كل حال ثم اباح ترك الواجب عند الخوف
على النفس كما قال الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان وقوله ولا تموتن الا وانتم مسلمون قد ذكرنا في سورة البقرة ان
معناه لا تتركوا الاسلام وكونوا عليه حتى اذا ورد عليكم الموت صادفكم عليه وانما قال بلفظ النهي عن الموت من حيث
ان الموت لا بد منه وانما النهي في الحقيقة عن ترك الاسلام لئلا يهلكوا بالانقطاع عن التمكن منه بالموت الا انه وضع
كلام موضع كلام على جهة تصرف الابدال الحسن الاستعارة وزوال اللبس وروي عن ابي عبد الله وانتم مسلمون بالتشديد
معناه مستسلمون لما اتى النبي به ومنقادون له واعتصموا بحبل الله اي تمسكوا به وقيل امتنعوا به من غيره وقيل في معنى
حبل الله اقوال احدها انه القرآن عن ابي سعيد الخدري وعبد الله وقتادة والسدي وروي مرفوعا وثانيها انه
دين الله والاسلام عن ابن عباس وابن زيد وثالثها ما رواه ابان بن تغلب عن جعفر بن محمد قال نحن حبل الله الذي
قال واعتصموا بحبل الله جميعا والاولى حمله على الجميع والذي يؤيده ما رواه ابو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله
انه قال يا ايها الناس اني قد تركت فيكم حبلين ان اخذتم بهما لن تضلوا بعدي احدهما اكبر من الآخر كتاب الله
حبل ممدود من السماء الى الارض وعترتي اهل بيتي الا وانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض ولا تفرقوا معناه ولا تتفرقوا
عن دين الله الذي امركم فيه بلزوم الجماعة والائتلاف على الطاعة واثبتوا عليه عن ابن مسعود وقتادة وقيل معناه
ولا تتفرقوا عن رسول الله عن الحسن وقيل عن القرآن بترك العمل به اذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين
قلوبكم قيل اراد ما كان بين الاوس والخزرج من الحروب التي تطاولت مائة وعشرين سنة الى ان الف الله بين قلوبهم

بالاسلام فزالت تلك الاحقاد عن ابن عباس وقيل هو ما كان بين مشركي العرب من الطوائل عن الحسن والمعنى احفظوا
نعمة الله ومنته عليكم بالاسلام والائتلاف ورفع ما بينكم من التنازع والاختلاف فهذا هو النفع الحاصل لكم في العاجل
مع ما اعد لكم من الثواب الجزيل في الآجل اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم بجمعكم على الاسلام ورفع البغضاء والشحناء عن
قلوبكم فاصبحتم بنعمة الله اخوانا متواصلين واحبابا متحابين بعد ان كنتم متعادين متحاربين وصرتم بحيث يقصد كل
واحد منكم مراد الآخر لان اصل الاخ من توخي الشيء اذا قصده وطلبه وكنتم على شفا حفرة من النار اي كنتم
يا اصحاب محمد على طرف حفرة من جهنم لم يكن بينكم وبينها الا الموت فانقذكم الله منها بان ارسل اليكم رسوله
للايمان ودعاكم اليه فاجبتم فنجاكم من النار وانما قال فانقذكم منها وان لم يكونوا فيها لانهم كانوا بمنزلة من هو فيها من حيث
كانوا مستحقين لدخولها قال ابو الجوزاء قرأ ابن عباس وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها واعرابي يسمع فقال
الاعرابي والله ما انقذهم منها وهو يريد ان يقحمهم فيها فقال ابن عباس اكتبوها من غير فقيه كذلك يبين الله اي مثل
البيان الذي تلي عليكم يبين الله لكم الدلالات والحجج فيما امركم به ونهاكم عنه لعلكم تهتدون اي لكي تهتدوا
الى الحق قوله تعالى ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون
ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات واولئك لهم عذاب عظيم آيتان اللغة الامة
اشتقاقها من الام الذي هو القصد وفي اللغة يستعمل على ثمانية اوجه منها الجماعة ومنها اتباع الانبياء لاجتماعهم
على مقصد واحد ومنها القدوة لانه يأتم به الجماعة ومنها الدين والملة كقوله انا وجدنا آباءنا على امة ومنها
الحين والزمان كقوله سبحانه الى امة معدودة ومنها القامة يقال رجل حسن الامة اي القامة ومنها النعمة ومنها
الامة بمعنى الام الاعراب منكم امة من هاهنا للتبعيض على قول اكثر المفسرين لان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
ليسا بفرضين على الاعيان وهما من فروض الكفايات فاي فرقة قامت بهما سقطا عن الباقين ومن قال
هما من فروض الاعيان قال من هنا للتبيين وتخصيص المخاطبين من بين سائر الاجناس كقوله فاجتنبوا الرجس
من الاوثان وقول الشاعر اخو رغائب يعطيها ويسألها يأبى الظلامة منه النوفل الزفر اي النوفل الزفر لانه وصفه
باعطاء الرغائب والنوفل الكثير الاعطاء والزفر الذي يحمل الاثقال المعنى ولتكن منكم امة اي جماعة يدعون الى الخير
اي الى الدين ويأمرون بالمعروف بالطاعة وينهون عن المنكر اي المعصية واولئك هم المفلحون اي الفائزون وقيل
كل ما امر الله ورسوله به فهو معروف وما نهى الله ورسوله عنه فهو منكر وقيل المعروف ما يعرف حسنه عقلا او شرعا
والمنكر ما ينكره العقل او الشرع وهذا يرجع الى معنى الاول وروي عن ابي عبد الله عليه السلم ولتكن منكم ائمة وكنتم
خير ائمة اخرجت للناس وفي هذه الآية دلالة على وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وعظم محلهما وموقعهما من الدين
لانه سبحانه علق الفلاح بهما واكثر المسلمين على انهما من فروض الكفاية ومنهم من قال هما من فروض الاعيان واختاره الشيخ
ابو جعفر قدس روحه والصحيح ان ذلك انما يجب بالسمع وليس في العقل ما يدل على ذلك الا اذا كان على سبيل دفع الضرر
وقال ابو علي الجبائي يجب عقلا والسمع يؤكده ثم امر سبحانه بالجماعة وترك الفرقة فقال سبحانه ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا
في الدين وهم اليهود والنصارى عن الحسن والربيع فكانه قال يا ايها المؤمنون لا تكونوا كاليهود والنصارى وقيل معناه كالذين
قيل معناه تفرقوا والضد ذكرهما للتأكيد واختلاف اللفظين كقول الشاعر متى ادن منه ينأ عني ويبعد وقيل معناه
تفرقوا بالعداوة واختلفوا في الديانة من بعد ما جاءهم البينات اي الحجج والكتب وبين لهم الطرق واولئك لهم عذاب عظيم
عقوبة على تفرقهم واختلافهم بعد مجيء الآيات والبينات وظاهر الآية يدل على تحريم الاختلاف في الدين وان ذلك
مذموم منهي عنه قوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا
العذاب بما كنتم تكفرون واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون آيتان الاعراب العامل في قوله يوم

قوله عظيم وتقديره عظيم عذابهم يوم تبيض وجوههم ولا يجوز ان يعمل فيه الجملة لانها في معنى بعد توليه كما تعمل المال الزيد يوم
الجمعة العامل الفعل والجملة حلت محله وجواب اما في قوله فاما الذين اسودت وجوههم محذوف وتقديره واما الذين
اسودت وجوههم فيقال لهم اكفرتم فحذفت لدلالة اسوداد الوجوه على حال التوبيخ حتى كانه ناطق به وقد يحذف القول
في مواضع كثيرة استغناء بما قبله من البيان كقوله ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم ربنا ابصرنا اي يقولون ربنا
لدلالة تنكيس الراس من المجرم على سؤال الاقالة ومثله كثير **المعنى** يوم تبيض وجوه وتسود وجوه اخبر تعالى بوقت ٨
ذلك العذاب اي يثبت لهم العذاب في يوم هذه صفته وانما تبيض هذه الوجوه للمؤمنين ثوابا لهم على الايمان والطاعة
وتسود الوجوه للكافرين عقوبة لهم على الكفر والسيئات بدلالة ما بعده وهو قوله واما الذين اسودت وجوههم اكفرتم
اي يقال لهم اكفرتم بعد ايمانكم واختلف فيمن عنى به على اقوال احدها انهم الذين كفروا بعد اظهارهم الايمان
بالنفاق عن الحسن وثانيها انهم جميع الكفار لاعراضهم عما وجب عليهم الاقرار به من التوحيد حين اشهدهم على انفسهم
الست بربكم قالوا بلى فيقول اكفرتم بعد ايمانكم يوم الميثاق عن ابي بن كعب وثالثها انهم اهل الكتاب كفروا بالنبي
صلى الله عليه وآله بعد ايمانهم به اي بنعته وصفته قبل مبعثه عن عكرمة واختاره الزجاج والجبائي ورابعها انهم
اهل البدع والاهواء من هذه الامة عن علي ومثله عن قتادة انهم الذين كفروا بالارتداد ويروى عن النبي صلى
الله عليه وآله انه قال والذي نفسي بيده ليردن على الحوض ممن صحبني اقوام حتى اذا رايتهم اختلجوا دوني فلاقولن اصحابي
اصحابي فيقال لي انك لا تدري ما احدثوا بعدك انهم ارتدوا على اعقابهم القهقرى ذكره الثعلبي في تفسيره وقال
ابو امامة الباهلي هم الخوارج ويروى عن النبي انهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية والالف في اكفرتم
اصله الاستفهام والمراد هنا التوبيخ اي لم كفرتم وقيل المراد التقرير اي قد كفرتم فذوقوا العذاب انما قال فذوقوا
على التوسع ومعناه انظروا ما صار اليه عاقبتكم من عذاب الله بما كنتم تكفرون اي بكفركم واما الذين ابيضت
وجوههم وهم المؤمنون ففي رحمة الله اي ثواب الله وقيل جنة الله هم فيها خالدون اعاد كلمة الظرف وهي في تاكيد
التمكين المعنى في النفس وقيل انما اعادها لانه دل بقوله ففي رحمة على ادخاله اياهم في الرحمة وبقوله هم فيها خالدون
على خلودهم فيها وسمى الله سبحانه الثواب رحمة والرحمة نعمة يستحق بها الشكر وكل نعمة تفضل والوجه في ذلك ان سبب
الثواب الذي هو التكليف فيكون على هذا الوجه تفضلا وانما جاز ان يكون تفضلا لانه بمنزلة انجاز الوعد
في انه تفضل مستحق لان المبتدئ به قد كان له ان لا يفعل فلما فعل وجب عليه الوفاء لان الخلف قبيح وهو مع ذلك
تفضل لانه جالبه تفضل وقال بعضهم المراد بابيضاض الوجوه واسودادها السرور وحصول البغية والظفر
بالمنية والاستبشار بما يصير اليه من الثواب كقوله وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة والمراد باسودادها
ظهور اثر الحزن عليها لما يصير اليه من العقاب كقوله ووجوه يومئذ باسرة ووجوه يومئذ عليها غبرة وفي هذا الكلام
عدول عن حقيقة اللفظ من غير ضرورة والاصح الاول قوله تعالى **تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وما الله**
يريد ظلما للعالمين ولله ما في السموات وما في الارض والى الله ترجع الامور آيتان **المعنى** تلك آيات الله اي تلك
التي جرى ذكرها حجج الله وعلاماته وبيناته نتلوها عليك نقرؤها عليك يا محمد وعلى امتك بذكرها
لك ونقرئك اياها ونقصها عليك بالحق اي بالحكمة والصواب وما الله يريد ظلما للعالمين معناه لا يظلمهم
بان يحملهم من العقاب ما لا يستحقونه او ينقصهم من الثواب عما استحقوه وانما يظلم من يظلم لجهله بقبح الظلم او
لحاجته اليه في دفع ضرر او جر نفع وتعالى الله عن صفة الجهل والحاجة وسائر صفات النقص علوا كبيرا وكيف
يجوز ان يظلم احدا وهو الذي خلقهم وانشاهم وابتدعهم وآتاهم من النعم ما لا تسمو اليه هممهم وعرضهم بها الى
اعظم منها خطرا واجل قدرا وهو نعيم الآخرة ثم ذكر سبحانه وجه غناه عن الظلم فقال ولله ما في السموات وما في الارض

187

ملكا وملكا وخلقا والى الله ترجع الامور اختلف في كيفية الرجوع الى الله تعالى فقيل ان الامور تذهب بالفناء ثم
يعيدها الله تعالى للمجازاة وقيل ان الله تعالى قد ملك عباده في الدنيا امورا وجعل لهم تصرفا وتزول جميع ذلك في
الآخرة ويرجع اليه كلها كما قال سبحانه لمن الملك اليوم وفي وضع المظهر في موضع المضمر في قوله والى الله ترجع الامور قولان احدهما
ليكون كل واحد من الكلامين مكتفيا بنفسه والآخر ليكون افخم في الذكر والموضع موضع تفخيم وليس كقول الشاعر
لا ارى الموت يسبق الموت شيء نغص الموت ذا الغنى والفقيرا لانه مفتقر الى الضمير لانه مستغن عنه قوله عز وجل **كنتم**
خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن اهل الكتاب لكان خيرا
لهم منهم المؤمنون واكثرهم الفاسقون آية **المعنى** لما تقدم ذكر الامر والنهي عقبه سبحانه بذكر من تصدى للقيام
بذلك ومدحهم ترغيبا في الاقتداء بهم فقال كنتم خير امة اخرجت للناس قيل فيه اقوال احدها ان معناه انتم
خير امة وانما قال كنتم لتقدم البشارة بهم في الكتب الماضية عن الحسن ويعضده ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله انه
قال انتم وفيتم سبعين امة انتم خيرها واكرمها على الله وثانيها ان المراد كنتم خير امة عند الله في اللوح المحفوظ عن
الفراء والزجاج وثالثها ان كان هنا تامة وخير امة نصب على الحال ومعناه وجدتم خير امة وخلقتم خير امة ورابعها
ان كان مزيدة دخولها كخروجها الا ان فيها تاكيد الوقوع لامحالة لانه بمنزلة ما كان في الحقيقة فهو عبارة قوله
واذكروا اذ انتم قليل وفي موضع آخر اذ كنتم قليلا فكثركم ونظيره قوله كان الله غفورا رحيما لان مغفرته المستانفة
كالماضية في تحقيق الوقوع وخامسها ان كان بمعنى صار كما في قول الشاعر فخر على الالاءة لم يوسد وقد كان الدماء
له خمارا ومعناه صرتم خير امة خلقت لامركم بالمعروف ونهيكم عن المنكر وايمانكم بالله فتصير هذه الخصال على هذا
القول شرطا في كونهم خيرا وقد روي عن بعض الصحابة انه قال من اراد ان يكون من خير هذه الامة فليؤد شرط الله تعالى
فيه الايمان بالله والامر بالمعروف والنهي عن المنكر واختلف في المعني بالخطاب فقيل هم المهاجرون خاصة عن ابن عباس
والسدي وقيل نزلت في ابن مسعود وابي بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى ابي حذيفة عن عكرمة وقيل هم
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله خاصة عن الضحاك وقيل هو خطاب للصحابة ولكنه يعم سائر الامة ثم ذكر ما به
فقال تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر عن المعاصي وسائل يقال ان القبيح انما يعرف انه قبيح فلم خص الحسن باسم
المعروف فالجواب ان القبيح جعل بمنزلة ما لا يعرف لخموله وسقوطه وجعل الحسن بمنزلة النبيه الجليل القدر يعرف لنباهته
وعلو قدره وتؤمنون بالله اي تصدقون بتوحيده وعدله ودينه ولو آمن اهل الكتاب اي لو صدقوا بالنبي صلى الله عليه وآله وبما جاء
به لكان خيرا لهم اي لكان ذلك الايمان خيرا لهم في الدنيا والآخرة لانهم ينجون بها في الدنيا من القتل وفي الآخرة من العذاب
ويفوزون بالجنة منهم اي من اهل الكتاب المؤمنون اي المعترفون بما دلت عليهم كتبهم من صفة نبينا صلى الله عليه وآله
والبشارة به كعبد الله بن سلام واصحابه من اليهود والنجاشي واصحابه من النصارى واكثرهم الفاسقون اي الخارجون
عن طاعة الله وانما وصفهم بالفسق دون الكفر الذي هو اعظم لان الغرض الاعلام بانهم خرجوا عما يوجبه كتابهم من الاقرار
بالحق في نبوة نبينا صلى الله عليه وآله وقيل لانهم في الكفار بمنزلة الفساق في العصاة بخروجهم الى الحال الفاحشة التي هي اشنع
واقطع قوله تعالى **لن يضروكم الا اذى وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ثم لا ينصرون ضربت عليهم الذلة اينما ثقفوا**
الا بحبل من الله وحبل من الناس وباؤوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله
ويقتلون الانبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون آيتان **الاعراب** الا اذى استثناء متصل وقيل الا اذى في
موضع النصب ومعناه لن يضروكم الا ضررا يسيرا فالاذى وقع موقع المصدر وقيل هو استثناء منقطع لان
الاذى ليس من الضرر كقوله لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا وقال علي بن عيسى هذا لا يصح
لان الكلام اذا امكن فيه الاستثناء الحقيقي لم يجز حمله على المنقطع ويقاتلوكم شرط ويولوكم جزاء وعلامة الجزم

سقوط النون وحده لانهم لا ينصرون رفع على الاستئناف ولم يجزم على العطف لان سبب التولية القتال وليس كذلك منع النصر لان
سببه الكفر ولان الرفع اشكل برؤوس الآي المتقدمة وهو مع ذلك عطف جملة على جملة والعامل في الباء من قوله بحبل من الله
ضربت على معنى ضربت عليهم الذلة بكل حال الا بحبل وقال الفراء والعامل فيه محذوف وتقديره الا ان يعتصموا بحبل من الله وانشد
رأتني بحبليها فصدت مخافة وفي الحبل روعاء الفؤاد فروق اراد وانى اقبلت بحبلها فحذف العامل في الباء وقال آخر قريب الخطو
يحسب من رآني ولست مقيدا اني بقيد اراد انني مقيد بقيد قال علي بن عيسى ما ذكره الفراء ضعيف من وجهين احدهما
ان حذف الموصول عند البصريين لا يجوز لانه اذا احتاج الى الصلة بين عنه فالحاجة الى البيان عنه بذكره اشد وانما يجوز
حذف الشيء للاستغناء عنه بدلالة غيره عليه فلو دل دليل عليه لحذف مع صلته لانهما بمنزلة شيء واحد والوجه الآخر
ان الكلام اذا صح معناه من غير حذف فلم يحتج تأويله على الحذف وقيل في هذا الاستثناء انه منقطع لان الذلة
لازمة لهم على كل حال فجرى مجرى قوله وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ فالعامل الاعراب موجود والمعنى على الانقطاع
وفيه ازالة الايهام الذي يلحق الكلام فقوله لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما فقيل لذلك الا سلاما وكذلك قوله وما كان لمؤمن
ان يقتل مؤمنا فلا يتوهم انه لا يقتل مؤمن مؤمنا على وجه فقيل لذلك الا خطأ وكذلك ضربت عليهم الذلة فلا يتوهم انه من
غير جواز موادعة فقيل الا بحبل من الله وقيل ان الاستثناء متصل لان عز المسلمين عز لهم بالذمة وهذا لا يخرجهم من الذلة
في انفسهم **النزول** قال مقاتل ان رؤوس اليهود مثل كعب وابي رافع وابي ياسر وكنانة وابن صوريا عمدوا الى مؤمنيهم كعبد الله بن
سلام واصحابه فانبوهم على اسلامهم فنزلت الآية **المعنى** لن يضروكم الا اذى وعد الله المؤمنين انهم منصورون وان اهل
الكتاب لا يقدرون عليهم ولا ينالهم من جهتهم مضرة الا اذى من القول ثم اختلف في هذا القول فقيل هو كذبهم على الله
وتحريفهم وقيل هو ما كانوا يسمعون المؤمنين من الكلام المؤذي وان يقاتلوكم اي وان تجاوزوا الاذى بالسب الى
القتال والمحاربة يولوكم الادبار منهزمين ثم لا ينصرون اي لا يعانون بكفهم عنكم وفي هذه الآية دلالة على صحة نبوة
نبينا لوقوع مخبره على وفق خبره لان اليهود المدينة من بني قريظة والنضير وبني قينقاع ويهود خيبر الذين حاربوا
النبي صلى الله عليه وآله والمسلمين لم يصبهم قط وانهزموا ولم ينالوا من المسلمين الا بالسب والطعن ضربت عليهم الذلة
اي الزمت عليهم الذلة ولزمت بهم وحلت محيطة بهم وهو استعارة من ضرب القباب والخيام عن ابي مسلم وقيل معناه
الزموا الذل اثبت فيهم من قولهم ضرب فلان الضريبة على عبده اي الزمها اياه عن الحسن ضربت الذلة على اليهود
فلا يكون لهم منعة ابدا وقيل معناه فرضت عليهم الجزية عن الحسن فلا يلقون في موضع الا بالجزية ولقد ادركهم الاسلام
وهم يؤدون الجزية الى المجوس اينما ثقفوا اي وجدوا ويقال اخذوا واي ظفر بهم الا بحبل من الله اي بعهد من الله وعهد
من الناس على وجه الذمة وغيرها من وجوه الامان عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وسمي العهد حبلا
لانه يعقد الامان كما يعقد الشيء بالحبل وباؤوا بغضب من الله اي رجعوا بغضب الله الذي هو عقابه ولعنه وقيل معناه
استوجبوا غضبا من الله وضربت عليهم المسكنة والذلة لان المسكين لا يكون الا ذليلا فسمي الذليل مسكينا عن ابي مسلم
وقيل المراد به الفقر لان اليهود ابدا يتفاقرون وان كانوا اغنياء وقد ذكرنا تفسير ما بقي من الآية في سورة البقرة **النظم**
ووجه اتصال الآية بما قبلها اتصال البشارة وبالظفر لما تقدم الامر بالجهاد لان الامر قد تقدم بانكار المنكر وقيل
لما تقدم ان اكثرهم فاسقون اتصل به ما يسكن قلوب المؤمنين من عداوتهم ويؤمن من معرتهم قوله عز وجل
ليسوا سواء من اهل الكتاب امة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات واولئك من الصالحين **اللغة** آناء الليل
في واحد الاناء اقوال احدها اني مثل نحي وانحاء والآخر اني مثل معي قال الشاعر حلو ومر كعطف القدح مرته بكل اني حذاه الله
ينتعل وحكى الاخفش انو بالواو والمسارعة المبادرة وهي من السرعة والفرق بين السرعة والعجلة ان السرعة هي التقدم فيما يجوز

ان يتقدم فيه وهي محمودة وضدها الابطاء وهو مذموم والعجلة هي التقدم فيما لا ينبغي ان يتقدم فيه وهي مذمومة
وضدها الاناة وهي محمودة **النزول** قيل سبب نزول الآية انه لما اسلم عبد الله بن سلام وجماعة قال احبار اليهود ما آمن
بمحمد الا اشرارنا فانزل الله ليسوا سواء الى قوله من الصالحين عن ابن عباس وقتادة وابن جريج وقيل انها نزلت في اربعين
من اهل نجران واثنين وثلثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على عهد عيسى وصدقوا محمدا عن عطاء **المعنى** ليسوا
سواء اختلف في تقديره والقول الصحيح ان هذا وقف تام وقوله من اهل الكتاب ابتداء كلام ومعناه ليس الذين ذكرنا من
اهل الكتاب سواء اي ليس الذين آمنوا من اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واصحابه والذين لم يؤمنوا سواء في الدرجة
والمنزلة ثم استأنف وبين افتراقهم فقال من اهل الكتاب امة قائمة فحذف لبيان الافتراق وهذا كما لو اخبر انسان
عن قوم بخصلة بانهم يعملون كذا وكذا فقال ليسوا سواء فان منهم من يفعل كذا وكذلك لو ذم قبيلة بالبخل والجبن فقال غيره
ليسوا سواء منهم الجواد ومنهم الشجاع فيكون منهم الجواد ومنهم الشجاع ابتداء كلام وقال ابو عبيدة هو على لغة اكلوني البراغيث
ومثله قوله ثم عموا وصموا كثير منهم وقول الشاعر رأين الغواني الشيب لاح بعارضي فاعرضن عني بالخدود النواضر وقال الزجاج
والرماني ليس الامر كما قال لان ذكر اهل الكتاب قد جرى فاخبر عنهم انهم غير متساوين لان هذه اللغة رديئة في القياس والاستعمال
وقال الفراء المعنى منهم امة قائمة وامة غير قائمة فحذف اكتفاء بذكر احد الفريقين كما قال ابو ذؤيب عصيت اليها القلب
اني لامرها مطيع فما ادري ارشد طلابها ولم يقل ام غي وقال آخر اراك فلا ادري اهم هممته وذو الهم قدما خاشع متضائل
ولم يقل ام غيره لان حال المتحير تدل على ان الهم او غيره ام غيره فعلى هذا يكون رفع امة على معنى الفعل وتقديره لا يستوي
امة هالكة وامة ضالة وعلى القول الاول رفع على الابتداء انكر الزجاج هذا القول وقال ليس بنا حاجة هنا الى
تقدير محذوف لان ذكر الفريقين قد جرى في قوله منهم المؤمنون واكثرهم الفاسقون ثم قال ليسوا سواء ولا يحتاج الى ان
يقدر وامة غير قائمة وقد تقدم صفتهم في قوله يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء وقوله امة قائمة فيه وجوه
احدها ان معناه جماعة ثابتة على امر الله تعالى عن ابن عباس وقتادة والربيع وثانيها عادلة عن الحسن ومجاهد وابن
جريج وثالثها قائمة بطاعة الله عن السدي ورابعها ان التقدير ذو امة قائمة اي ذو طريقة مستقيمة عن الزجاج وانشد
النابغة وهل يأثمن ذو امة وهو طائع اي ذو طريقة من طريق الدين قال علي بن عيسى وهذا القول ضعيف لانه عدول
عن الظاهر وحكم بالخلاف من غير دلالة يتلون آيات الله يقرؤون كتاب الله وهو القرآن آناء الليل ساعاته واوقاته
عن الحسن والربيع وقيل يعني جوف الليل عن السدي وقيل اراد به وقت صلاة العتمة لان اهل الكتاب لا يصلونها
يعني انهم يصلون صلاة العتمة عن ابن مسعود وقيل انه الصلاة ما بين المغرب والعشاء الآخرة عن الثوري وهي
الساعة التي تسمى ساعة الغفلة وهم يسجدون قيل اراد السجود المعروف في الصلاة وعلى هذا يكون معناه وهم مع
ذلك يسجدون ويكون الواو عطف جملة على جملة وقيل معناه يصلون فعبر بالسجود عن الصلاة لان السجود ابلغ
الاركان في التواضع عن الزجاج والفراء والبلخي قالوا لان القراءة لا تكون لا في السجود ولا في الركوع وعلى هذا
تكون الواو للحال اي يتلون آيات الله بالليل في صلاتهم وهو قول الجبائي انه يؤمنون بالله اي بتوحيده وصفاته
واليوم الآخر المتأخر عن الدنيا يعني بالبعث بيوم القيمة ويأمرون بالمعروف وبالاقرار بنبوة محمد صلى الله عليه وآله
وينهون عن المنكر عن انكار نبوته ويسارعون في الخيرات اي يبادرون الى فعل الخيرات والطاعات خوف الفوات
بالموت وقيل معناه يعملون الاعمال الصالحة غير متثاقلين فيها لعلمهم بجلالة موقعها وحسن عاقبتها واولئك من
الصالحين اي من جملتهم وفي عدادهم وهذا نفي لقولهم ما آمن به الا اشرارنا وفي هذه الآية دلالة على عظم موقع صلاة
الليل من الله سبحانه فقد صح عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال ركعتان يركعهما العبد في جوف الليل الآخر خير له من الدنيا
وما فيها ولولا اني اشق على امتي لفرضتهما عليهم وقال ابو عبد الله عليه السلام ان البيوت التي يصلى فيها بالليل بتلاوة القرآن

بقي لاهل السماء كما تبقى نجوم السماء لاهل الارض وفي عليكم بصلوة الليل فانها سنة نبيكم وآداب الصالحين قبلكم ومطردة الداء
عن اجسادكم قوله تعالى وما تفعلوا من خير فلن تكفروه والله عليم بالمتقين آية القراءة قرا اهل الكوفة الا ابا بكر بالياء فيهما
والباقون بالتاء الا ابا عمرو فانه يخير الحجة وجه القراءة بالياء ان يكون كناية عمن تقدم ذكره من اهل الكتاب فيكون
الكلام على طريقة واحدة ووجه التاء انه خاطبهم بغيرهم من المكلفين فيكون خطابا بالجميع في ان حكمهم واحد الاعراب وما تفعلوا
ما للمجازاة وتفعلوا مجزوم بالشرط وانما جوزي بما ولم يجاز بكيف لان ما امكن من كيف لانها تكون معرفة ونكرة لانها للجنس
وكيف لا تكون الا نكرة لانها للحال والحال لا يكون الا نكرة لانها للفائدة المعنى وما تفعلوا من خير اي طاعة فلن تكفروه اي
لن يمنع عنكم جزاؤه وسمي منع الجزاء كفرا على الامتناع لانه بمنزلة الجحد والستر ومعناه لا تجحد طاعتكم ولا تستر لمنع الجزاء وهذا
كما وصف الله سبحانه بانه شاكر وحقيقته انه يثيب على الطاعة ثواب الشكر على النعمة فلما استعير للثواب الشكر استعير
لنقيضه من منع الثواب الكفر لان الشكر في الاصل هو الاعتراف بالنعمة والكفر ستر النعمة من المنعم عليه بتضييع حقها والله
عليم بالمتقين اي باحوالهم فيجازيهم وانما خص المتقين بالذكر وان كان عليما بالكل لان الكلام اقتضى ذكر جزاء المتقين
فبين ذلك على انه لا يضيع شيء من عملهم قل ام كثر لان المجازي عليم بكل ذلك وهذه الآية تدل على ان شيئا من اعمال الخير
والطاعة لا يبطل البتة خلافا لما يقوله من قال بالاحباط قوله عز وجل ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم
من الله شيئا واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون مثل ما ينفقون في هذه الحيوة الدنيا كمثل ريح فيها صر
اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم فاهلكته وما ظلمهم الله ولكن انفسهم يظلمون آيتان اللغة يقال اغنى عنه اذا دفع
عنه ضرر الولاه(?) لنزل به واذا قيل اغناه كذا عن كذا فان احد الشيئين صار بدلا من الآخر في نفي الحاجة والغنى
الاختصاص بما ينفي الحاجة فان اختص بمال ينفي الحاجة فهو غني وكذلك الغنى بالجاه والاصحاب وغير ذلك
فاما الغنى في صفات الله سبحانه فهو اختصاصه بكونه قادرا على وجه لا يعجزه شيء وقولنا فيه انه غني معناه انه لا يجوز
عليه الحاجة اصحاب النار انما سموا بذلك لملازمتهم فيه كما يقال هؤلاء اصحاب الصحراء اذا كانوا ملازمين لها وقد يقال اصحاب
الصحراء بمعنى المالك(?) واصحاب الرجل اتباعه واعوانه واصحاب العالم المتعلمون منه فالاضافات تختلف واصل الصحبة
الملازمة والنار اصلها من النور وهو جسم لطيف فيه حرارة ونور ولعماد(?) علوي والريح واحدة الرياح واصله الروح
لدخول الريح الطيبة على النفس وكذلك الارياح والروح والراحة من التعب ومنه الروح لانها كالريح من اللطافة
ومنه الرائحة لان الريح يحملها الى الحس البصر(?) الصر البرد الشديد واصله من الصرير وهو الصوت وقال الزجاج الصر صوت
لهيب النار التي كانت في تلك الريح ويجوز ان يكون الصر صوت الريح الباردة الشديدة وذلك من صفات الشمال
فانها يوصف بان لها قعقعة والصرة شدة الصوت المعنى لما تقدم وصف المؤمنين عقبه سبحانه ببيان حال الكافرين
فقال ان الذين كفروا بالله وبرسوله لن تغني عنهم اي لن تدفع عنهم اموالهم ولا اولادهم من عذاب الله وانما خص الاموال
والاولاد بالذكر لان هذين معتمد الخلق واعز الاشياء عليهم فاذا لم يغنيا عن الاشقياء فغيرهما اولى
اولئك اصحاب النار اي ملازموها فيها خالدون اي دائمون ثم ضرب مثلا لانفاقهم فقال مثل ما ينفقون اي شبه
ما يخرجون من اموالهم في هذه الحيوة الدنيا فقيل هو ما ينفقون على الكفار في عداوة الرسول صلى الله عليه وآله
وقيل ما انفقه ابو سفيان واصحابه ببدر واحد لما تظاهروا على النبي صلى الله عليه وآله وقيل هو ما انفقه سفلة
اليهود على علمائهم وقيل هو جميع صدقات الكفار ونفقاتهم في الدنيا عن مجاهد وفي الآية حذف وتقديره مثل
اهلاك ما ينفقون كمثل اهلاك ريح فيها صر فحذف اهلاك لدلالة آخر الكلام عليه وفيه تقدير آخر مثل ما ينفقون
كمثل مهلك ريح فيكون تشبيه ذلك الاتلاف بالمهلك من الحرث بالرياح فيها صر قيل برد شديد عن ابن عباس والحسن
وقتادة وجماعة وقيل السموم الحارة القاتلة عن ابن عباس ايضا اصابت حرث قوم اي زرع قوم ظلموا انفسهم بالمعاصي

فظلمهم افضى الى هلاك حرثهم عقوبة لهم وقيل ظلموا انفسهم بان زرعوا في غير موضع الزراعة وفي غير وقتها فجاءت الريح فاهلكته
تاديبا من الله لهم في وضع الشيء غير موضعه الذي هو حقه وما ظلمهم الله في اهلاك زرعهم لانهم استحقوا ذلك بظلمهم وقيل في هلاكهم
ومنعهم لانهم استحقوها بكفرهم ولكن انفسهم يظلمون حيث فعلوا ما استحقوا به ذلك قوله عز وعلا يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا
بطانة من دونكم لا يالونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفي صدورهم اكبر قد بينا
لكم الآيات ان كنتم تعقلون آية اللغة البطانة خاصة الرجل الذين يستبطنون امره ماخوذ من بطانة الثوب
الذي يلي البدن لقربه منه وهي نقيض الظهارة ويسمى به الواحد والجمع والمذكر والمؤنث قال الشاعر اولئك خلصائي نعم
وبطانتي وهم عيبتي من دون كل قريب لا يالونكم اي لا يقصرون في امركم خبالا ولا يتركون جهدهم يقال الا يالو الوا
اذا فتر وضعف وقصر وما الوته خيرا وشرا اي ما قصرت في فعل ذلك قال امرؤ القيس وما المرء ما دامت حشاشة
نفسه بمدرك اطراف الخطوب ولا آل اي مقصر في الطلب والخبال النكال(?) والفساد ومنه الخبل بفتح الباء وسكونها الجنون
لانه فساد العقل ورجل مخبل الراي اي فاسد الراي ومنه الاستخبال طلب اعارة المال لفساد الزمان قال زهير هنالك
ان يستخبلوا المال يخبلوا وان يسالوا يعطوا وان ييسروا يغلوا واصل العنت المشقة عنت الرجل عنتا اذا دخلت عليه
المشقة واكمة عنوت صعبة المسلك لمشقة السلوك فيها واعنت فلان فلانا اذا حمله على المشقة الشديدة فيما يطلبه
ومنه قوله ولو شاء الله لاعنتكم الاعراب من دونكم من للتبعيض والتقدير لا تتخذوا بعض المخالفين في الدين بطانة
ويجوز ان يكون لتبيين الصفة فكانه قال لا تتخذوا بطانة من المشركين وهذا اولى لانه اعم ولا يجوز ان يتخذ
المؤمن كافرا بطانة على حال وقيل ان من هنا زائدة وهذا ضعيف لان الحرف اذا صح حمله على الفائدة لا يحكم فيه بالزيادة
وقوله خبالا انتصب لانه المفعول الثاني لان الالو يتعدى الى مفعولين ويجوز ان يكون مصدرا لان المعنى يخبلونكم خبالا
وموضع قوله ودوا ما عنتم يجوز ان يكون نصبا لانه صفة لبطانة ويجوز ان يكون لا موضع له من الاعراب لانه استئناف
جملة وما في قوله ما عنتم مصدرية وتقديره ودوا عنتكم النزول نزلت في رجال من المسلمين كانوا يواصلون رجالا من اليهود
لما كان بينهم من الصداقة والقرابة والجوار والحلف والرضاع عن ابن عباس وقيل نزلت في قوم من المؤمنين كانوا
يصافون المنافقين ويخالطونهم عن مجاهد المعنى نهى الله المؤمنين عن موالاة الكفار ومخالطتهم خوف الفتنة منهم
عليهم فقال يا ايها الذين آمنوا اي صدقوا لا تتخذوا بطانة من دونكم اي لا تتخذوا الكافرين اولياء وخواص من دون
المؤمنين يفشون اليهم اسراركم وقوله من دونكم اي من غير اهل ملتكم ثم بين سبحانه العلة في النهي عن مواصلتهم
فقال لا يالونكم خبالا اي لا يقصرون فيما يؤدي الى فساد امركم ولا يدعون جهدهم في مضرتكم وقال الزجاج لا يبقون
غاية في القائكم فيما يضركم قال واصل الخبال ذهاب الشيء وقوله ودوا ما عنتم معناه تمنوا دخول المشقة عليكم وقيل تمنوا اضلالكم
عن دينكم عن السدي وقيل تمنوا ان يعنتوكم في دينكم اي يحملوكم على المشقة فيه عن ابن جريج وقوله قد بدت البغضاء
من افواههم معناه ظهرت امارات العداوة لكم على السنتهم وفي فحوى اقوالهم وفلتات كلامهم وما تخفي صدورهم
من البغضاء اكبر مما يبدونه بالسنتهم قد بينا لكم الآيات اي اظهرنا لكم الدلالات الواضحات التي بها يتميز الولي من العدو
ان كنتم تعقلون اي تعلمون الفصل بين الولي والعدو وقيل ان كنتم تعقلون مواعظ الله ومنافعها وقيل ان كنتم عقلاء فقد
اتاكم من الله البيان قوله عز وجل ها انتم اولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله واذا لقوكم
قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور آية اللغة العض
بالاسنان معروف ومنه العض علف الامصار لان له مضغة في العض يسمى علفها المال(?) ورجل عض لزاز الخصم لانه يعضه
بالخصومة والانامل اطراف الاصابع واصلها النمل المعروف فهو مشبه به في الدقة والتصرف بالحركة ومنه رجل نمل اي
نمام لانه ينقل الاحاديث كنقل النملة في الخفاء والكثرة الاعراب قال الازهري يحتمل ان يكون اولاء منادى كانه قال يا اولاء

للشر وانتم تعبدون الله والاوضح ويحبونهم حال وقال الزجاج جايز ان يكون اولاء في معنى الذين كانه قال ثم ها انتم
الذين تحبونهم ولا يحبونكم وجايز ان يكون تحبونهم حالا وتومنون عطف على يحبون ولا يجوز ان يقول هاقومك اولاء
كما جاز ها انتم اولاء لان المضمر لحق بها التي للتنبيه لانه كالمبهم في عموم ما يصلح له وليس كذلك الظاهر **المعنى** ثم بين سبحانه ما هم
عليه من عداوة المومنين تاكيدا للنهي عن مصافاتهم فقال ها انتم اولاء تحبونهم قد مر ذكر معناه في الاعراب وتقديره
ها انتم الذين تحبونهم او ها انتم اولاء تحبونهم اذا قلنا انه بمعنى الحال اي ها انتم في حال محبتكم اياهم اولا ولا يحبونكم
هم لما بينكم من مخالفة الدين وقيل تحبونهم لانكم تريدون لهم الاسلام وتدعونهم الى الجنة ولا يحبونكم لانهم يريدون
لكم الكفر والضلال وفيه الهلاك وتومنون بالكتاب كله الكتاب واحد في موضع الجمع لانه اراد به الجنس كما تقول كثر الدرهم
في ايدي الناس ويجوز ان يكون مصدرا من قولك كتبت كتابا والمراد به كتب الله التي انزلها على انبيائه وفي افراده
ضرب من الايجاز واشعار بالتفصيل في الاعتقاد ومعناه انكم تصدقون بها في الجملة والتفصيل من حيث تومنون
بما انزل على ابرهيم وموسى وعيسى ومحمد وساير الانبياء عليهم السلم وهم لا يصدقون بكتابكم واذا لقوكم قالوا امنا
اذا راوكم قالوا صدقنا واذا خلوا مع انفسهم عضوا عليكم الانامل اي اطراف الاصابع من الغيظ اي من الغضب والحنق
لما يرون من ايتلاف المومنين واجتماع كلمتهم ونصرة الله اياهم وهذا مثل وليس هناك عض كقول الشاعر اذا راوني اطال الله
غيظهم عضوا من الغيظ اطراف الاباهيم وقول ابي طالب يعضون غيظا خلفنا بالانامل قل يا محمد موتوا بغيظكم وفيه
معنى الذم لهم لانه لا يجوز ان يدعو عليهم هذا الدعاء الا وقد استحقوه بما اتوه من القبيح وقيل معناه دام لكم هذا الغيظ
بما ترون من علو كلمة الاسلام الى ان تموتوا ان الله عليم بذات الصدور اي بما تضمرونه من النفاق والغيظ على المسلمين
قوله عز وجل **ان تمسسكم حسنة تسوهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا ان الله**
بما تعملون محيط آية **القراءة** قرا نافع وابن كثير وابو عمرو ويعقوب لا يضركم خفيفة مكسورة الضاد والباقون مشددة
مضمومة الضاد والراء وقرا الحسن وابو حاتم تعملون بالتاء على الخطاب والقراءة المشهورة بالياء **الحجة** من قرا لا يضركم
فهو من ضاره يضيره ضيرا ومن قرا لا يضركم فهو من ضره يضره ضرا والضير والضر بمعنى واحد وقد جاء في القران لا ضير واذا
مسكم الضر والاصل في لا يضركم لا يضرركم نقلت ضمة الراء الاولى الى الضاد وادغمت في الراء الثانية بعد ان ضمت اتباعا لاقرب
الحركات اليها والعرب تدغم في موضع الجزم واهل الحجاز يظهرون التضعيف قال الزجاج وهذه الآية جاء فيها اللغتان جميعا
قوله ان يمسسكم على لغة اهل الحجاز وقوله لا يضركم على لغة غيرهم من العرب ويجوز لا يضركم ولا يضركم فمن فتح فلان الفتح
خفيف مستعمل في التقاء الساكنين في التضعيف ومن كسر فلان الكسر على اصل التقاء الساكنين **اللغة** الكيد والمكيدة
المكر الذي يحتال به صاحبه من جهة حيلة عليه ليقع في مكروه به واصله المشقة يقال رايت فلانا يكيد بنفسه اي
يقاسي المشقة في سياق المنية ومنه المكايدة لايراد ما فيه المشقة **المعنى** ثم اخبر سبحانه عن حال من تقدم ذكرهم فقال ان
تمسسكم حسنة اي ان تصبكم ايها المومنون نعمة من الله تعالى عليكم بايلاف الفئة واجتماع كلمة او ظفر بالاعداء تسوهم اي تحزنهم
وان تصبكم سيئة اي محنة باصابة العدو منكم لاختلاف الكلمة وما يودي اليه من الفرقة يفرحوا بها هذا قول الحسن وقتاده
والربيع وجماعة المفسرين وان تصبروا على اذاهم وعلى طاعة الله وطاعة رسوله والجهاد في سبيله وتتقوا الله بالامتناع
من معاصيه وفعل طاعته لا يضركم ايها المومنون كيدهم اي مكر المنافقين وما يحتالون به عليكم شيئا معنى لا يضركم الا اذى
لانه سبحانه ينصركم ويدفع شرهم عنكم ان الله بما تعملون محيط اي عالم بجميع ذلك من جميع جهاته مقتدر عليه لان اصل المحيط
بالشيء هو المطيف به من حواليه وذلك من صفات الاجسام فلا يليق به سبحانه عز وعلا **واذ غدوت من اهلك تبوئ**
المومنين مقاعد للقتال والله سميع عليم اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل
المومنون آيتان **اللغة** التبوء اتخاذ المواضع للغير يقال بوات القوم منازلهم وبوات لهم اي وطنتهم واسكنتهم اياها

اي توطنوا ومنه المباءة المراح لانه رجوع الى المستقر المتخذ ومنه بوات بالذنب اي رجعت به محتملا له والفشل
الجبن يقال فشل يفشل فشلا وهو الفشل الرجل الضعيف **الاعراب** العامل في اذ محذوف وتقديره واذكر اذ غدوت
وقيل هو عطف على ما تقدم من السورة في قوله قد كان لكم آية في فئتين اي في نصر تلك الطائفة القليلة على الطائفة
الكثيرة اذ غدا النبي عن ابي مسلم وقيل العامل فيه قوله محيط وتقديره والله عالم باحوالكم واحوالهم اذ غدوت تبوئ
حال من غدوت **المعنى** واذكر يا محمد اذ غدوت من اهلك اي خرجت من المدينة غدوة تبوئ المومنين مقاعد
اي تهيئ للمومنين مواطن للقتال وقيل معناه تجلسهم وتقعدهم في مقاعد القتال ليقفوا فيها ولا يفارقوها
واختلف في اي يوم كان ذلك فقيل يوم احد عن ابن عباس وقتاده والربيع والسدي وابن اسحق وهو المروي
عن ابي جعفر عليه السلم وقيل كان يوم الاحزاب عن مقاتل وقيل يوم بدر عن الحسن والله سميع لما يقوله النبي عليهم بما
لانهم اختلفوا فمنهم من اشار بالخروج ومنهم من اشار بالمقام وفيه تزكية للزاكي وتهديد للغاوي وقيل سميع لما تقوله
المشير على النبي عليهم بضمائرهم وقيل سميع لجميع المسموعات بصير بجميع المبصرات اذ همت اي قصدت وعزمت طائفتان
فرقتان منكم من المسلمين ان تفشلا ان تجبنا والطائفتان هما بنو سلمة وبنو حارثة حيان من الانصار
عن ابن عباس وجابر بن عبد الله والحسن وقتاده ومجاهد والربيع وابي مجلز وابي عبد الله وقال الجبائي
نزلت في طائفة من المهاجرين وطائفة من الانصار وكانت سبب همهم بالفشل ان عبد الله بن ابي سلول دعاهم
الى الرجوع الى المدينة عن لقاء المشركين يوم احد فهما به ولم يفعلاه والله وليهما اي ناصرهما وروي عن جابر بن
عبد الله انه قال فينا نزلت وما احب انها لم تكن لقوله والله وليهما وقال بعض المحققين هذا الهم خطرة لا هم عزيمة
لان الله سبحانه مدحهما واخبر انه وليهما ولو كان هم عزيمة وقصد لكان ذمهم اولى من مدحهم وعلى الله فليتوكل
المومنون في جميع احوالهم وامورهم **ذكر غزاة احد** ما اصابهم من القتل والاسر لانه قتل منهم سبعون عن
ابي عبد الله عليه السلم انه كان سبب غزاة احد ان قريشا لما رجعت من بدر الى مكة وقد اصابهم ما اصابهم
من القتل والاسر لانه قتل منهم سبعون واسر سبعون قال ابو سفيان يا معشر قريش لا تدعوا نساءكم يبكين
على قتلاكم فان الدمعة اذا خرجت اذهبت الحزن والعداوة لمحمد فلما غزوا رسول الله صلى الله عليه وآله
يوم احد اذنوا نساءهم بالبكاء والنوح وخرجوا من مكة في ثلثة آلاف فارس والفي راجل واخرجوا معهم النساء
فلما بلغ رسول الله ذلك جمع اصحابه وحثهم على الجهاد فقال له عبد الله بن ابي يا رسول الله لا تخرج من
المدينة حتى نقاتل في ازقتها فيقاتل الرجل الضعيف والمراة والعبد والامة على افواه السكك وعلى السطوح فما ارادها
قوم قط فظفروا بنا ونحن في حصونها ودورها وما خرجنا الى عدو لنا قط الا كان لهم الظفر علينا فقام سعد بن
معاذ وغيره من الاوس فقالوا يا رسول الله ما طمع فينا احد من العرب ونحن مشركون نعبد الاصنام فكيف
يطمعون بنا وانت فينا لا حتى نخرج اليهم ونقاتلهم فمن قتل منا كان شهيدا ومن نجا منا كان مجاهدا في سبيل الله
فقبل رسول الله صلى الله عليه وآله رايه وخرج مع نفر من اصحابه يتبوون موضع القتال كما قال سبحانه واذ غدوت من
اهلك الآية وقعد عنه عبد الله بن ابي وجماعة من الخزرج اتبعوا رايه ووافت قريش الى احد وكان رسول الله
عبا اصحابه وكانوا سبع مائة رجل ووضع عبد الله بن جبير في خمسين من الرماة على باب الشعب واشفق ان ياتي
كمينهم من ذلك المكان فقال صلى الله عليه وآله لعبد الله بن جبير واصحابه ان رايتمونا قد هزمناهم حتى ادخلناهم
مكة فلا تبرحوا من هذا المكان وان رايتموهم قد هزمونا حتى ادخلونا المدينة فلا تبرحوا والزموا مراكزكم ووضع
ابو سفيان خالد بن الوليد في مائتي فارس كمينا وقال اذا رايتمونا قد اختلطنا فاخرجوا عليهم من هذا الشعب
حتى تكونوا وراءهم وعبا رسول الله اصحابه ودفع الراية الى امير المومنين عليه السلم فحمل الانصار على مشركي قريش وانهزموا

هزيمة قبيحة ووقع اصحاب رسول الله في سوادهم وانحط خالد بن الوليد في مائتي فارس على عبد الله بن جبير فاستقبلوهم
بالسهام فرجع ونظر اصحاب عبد الله بن جبير الى اصحاب رسول الله ينهبون سواد القوم فقالوا لعبد الله بن جبير قد غنم
اصحابنا ونبقى نحن بلا غنيمة فقال لهم عبد الله اتقوا الله فان رسول الله قد تقدم الينا ان لا نبرح فلم يقبلوا منه واقبلوا
ينسل رجل فرجل حتى اخلوا مراكزهم وبقي عبد الله بن جبير في اثني عشر رجلا وكانت راية قريش مع طلحة بن ابي طلحة
العبدري من بني عبد الدار فقتله علي عليه السلم فاخذ الراية ابو سعيد بن ابي طلحة فقتله علي وسقطت الراية فاخذها
مسافع بن ابي طلحة فقتله حتى قتل تسعة من بني عبد الدار حتى صار لواؤهم الى عبد لهم اسود يقال له صواب فانتهى اليه علي
فقطع يده فاخذ اللواء باليسرى فضرب يسراه فقطعها فاعتنقها بالجذماوين الى صدره ثم التفت الى ابي سفيان فقال هل
اعذرت في بني عبد الدار فضرب علي على راسه فقتله فسقط اللواء فاخذتها عمرة بنت علقمة الكنانية فرفعتها وانحط خالد
بن الوليد على عبد الله بن جبير وقد فر اصحابه وبقي في نفر قليل فقتلهم على باب الشعب ثم اتى المسلمين من ادبارهم ونظرت
قريش في هزيمتها الى الراية قد رفعت فلاذوا بها وانهزم اصحاب رسول الله هزيمة عظيمة واقبلوا يصعدون في الجبال
وفي كل وجه فلما راى رسول الله صلى الله عليه واله الهزيمة كشف البيضة عن راسه وقال اني انا رسول الله الى اين تفرون
عن الله وعن رسوله وكانت هند بنت عتبة في وسط العسكر فكلما انهزم رجل من قريش رفعت اليه ميلا ومكحلة
وقالت انما انت امراة فاكتحل بهذا وكان حمزة بن عبد المطلب يحمل على القوم فاذا راوه انهزموا ولم يثبت له احد
وكانت هند قد اعطت وحشيا عهدا لئن قتلت محمدا او عليا او حمزة لاعطينك كذا وكذا وكان وحشي عبدا لجبير
بن مطعم حبشيا فقال وحشي اما محمد فلا اقدر عليه واما علي فرايته حذرا كثير الالتفات فلا مطمع فيه فكمنت
لحمزة قال فرايته يهد الناس هدا فمر بي فوطئ على جرف نهر فسقط فاخذت حربتي فهززتها ورميته فوقعت
في خاصرته وخرجت من ثنته فسقط فاتيته فشققت بطنه فاخذت كبده وجئت به الى هند فقلت هذه
كبد حمزة فاخذتها في فمها فلاكتها فجعله الله في فمها مثل الداعضة وهي عظم راس الركبة فلفظتها ورمت بها فقال رسول الله
صلى الله عليه واله فبعث الله ملكا فحمله ورده الى موضعه فجاءت اليه فقطعت مذاكيره وقطعت اذنيه وقطعت يده
ورجله ولم يبق مع رسول الله صلى الله عليه واله الا ابو دجانة سماك بن خرشة وعلي فكلما حملت طائفة على رسول الله
صلى الله عليه واله استقبلهم علي فدفعهم عنه حتى انقطع سيفه فدفع اليه رسول الله صلى الله عليه واله سيفه ذا الفقار وانحاز رسول الله
صلى الله عليه واله الى ناحية احد فوقف وكان القتال من وجه واحد فلم يزل علي عليه السلم يقاتلهم حتى اصابه في وجهه
وراسه ويديه وبطنه ورجليه سبعون جراحة كذا اورده علي بن ابراهيم في تفسيره فقال جبرئيل عليه السلم ان هذه
لهي المواساة يا محمد فقال انه مني وانا منه فقال جبرئيل وانا منكما قال ابو عبد الله عليه السلام نظر رسول الله صلى الله عليه واله الى جبرئيل
بين السماء والارض على كرسي من ذهب وهو يقول لا سيف الا ذو الفقار ولا فتى الا علي وروى ابن اسحق
والسدي والواقدي وابن جرير وغيرهم قالوا كان المشركون نزلوا باحد يوم الاربعاء في شوال سنة ثلث من الهجرة
وخرج رسول الله اليهم يوم الجمعة وكان القتال يوم السبت للنصف من الشهر وكسرت رباعية رسول الله وشج في
وجهه ثم رجع المهاجرون والانصار بعد الهزيمة وقد قتل من المسلمين سبعون وشد رسول الله صلى الله عليه واله بمن
معه حتى كشفهم وكان الكفار مثلوا بجماعة وكان حمزة رضه اعظمهم مثلة وضربت يد طلحة فشلت وسعد بن ابي وقاص
كان يرمي بين يديه وهو يقول ارم فداك ابي وامي **النظم** لما امر الله سبحانه بالصبر في قوله وان تصبروا وتتقوا
عقبه بذكر نصر المسلمين يوم بدر وصبرهم على القتال ثم ذكر يوم احد لما تركوا الصبر فيه والمعنى ان تصبروا ينصركم كما نصركم
يوم بدر وان لم تصبروا اصابكم ما نزل بكم يوم احد حيث خالفتم امر رسول الله وذكر ابو مسلم انه متصل بقوله قد كان
لكم اية في فئتين كما تقدم ذكره قوله عز وعلا **ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون اذ**

**تقول للمؤمنين الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلثة الاف من الملئكة منزلين بلى ان تصبروا وتتقوا وياتوكم
من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملئكة مسومين وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم
به وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم** الحج اربع ايات **القراءة** قرا ابن عامر منزلين مشددة الزاي وقرا
الاخرون منزلين مخففة وقرا ابن كثير وابو عمرو وعاصم مسومين بكسر الواو وقرا الباقون بفتح الواو **الحجة** حجة من قرا
منزلين بالتخفيف قوله ولولا انزل عليه ملك ولو انزلنا ملكا ولان الانزال يعم التنزيل وغيره وحجة ابن عامر
ما ينزل الملئكة وتنزل الملئكة والروح فيها الا بامر ربك ومطاوع نزل ولو اننا نزلنا اليهم الملئكة وقال ابو الحسن من قرا
مسومين بالكسر فلانهم سوموا الخيل ومن قال مسومين فلانهم سوموا اي مسومين معلمين ويكون مرسلين من سوم
الخيل اذا ارسلها ومنه السائمة وقال علي بن عيسى ان الاختيار الكسر لتظاهر الاخبار انهم سوموا خيلهم بالعلامة وقال
رسول الله صلى الله عليه واله سوموا فان الملائكة قد سومت **اللغة** بدر ماء بين مكة والمدينة وقال الشعبي سمي
بدرا لان هناك ماء لرجل يسمى بدرا فسمي الموضع باسم صاحبه وقال الواقدي هو اسم للموضع وكل شيء تم فهو بدر وسمي
بدر السماء لتمامه وامتلائه وعين بدرة ممتلئة يقال استكفيت بالامر فكفاني وكفاك هذا الامر اي حسبك والفرق
بين الاكتفاء والاستغناء ان الاكتفاء الاقتصار على ما ينفي الحاجة والاستغناء الاتساع فيما ينفي الحاجة والامداد هو
اعطاء الشيء حالا بعد حال والمد في الشر هو الاستمرار عليه واستمد بهم السير اذا طال واستمر وامددت الجيش بمدد
واما الجرح فهو تمد اذا صارت فيه المدة ومد النهر ومده نهر اخر ويقال هذه في الشر وامدده في الخير واصل
الفور فور القدر وهو غليانها عند شدة الحمي ومنه فورة الغضب لانه كفور القدر ومنه فار الغيث بالماء
اذا جاشت به ومنه الفوارة لانه يفور بالماء كما يفور القدر بما فيها ومنه جاء على الفور اي ابتداء الحمي
قبل ان يبرد عنه نفسه وقيل الفور القصد الى الشيء **الاعراب** وانتم اذلة في موضع نصب على الحال ان يمدكم
ربكم في موضع رفع بانه فاعل يكفيكم وتقديره الن يكفيكم امداد ربكم وقوله من فورهم هذا اي من وجههم صفة لفعلهم
وقوله ولتطمئن قلوبكم به معطوف على قوله بشرى لكم لان تقديره لتبشروا به ولتطمئن **المعنى** ثم بين سبحانه ما فعل بهم من النصر
يوم بدر فقال ولقد نصركم الله ايها المؤمنون ببدر بتقوية قلوبكم وبما امدكم به من الملائكة وبالقاء الرعب في قلوب
اعدائكم وانتم اذلة اي ضعفاء عن المقاومة وقليلو العدد قليلو العدة جمع ذليل وروي عن ابن عباس انه قال كان
المهاجرون يوم بدر سبعة وسبعين رجلا وكان المشركون نحوا من الف رجل وروي عن الصادق عليه السلم انه قرا وانتم
ضعفاء وقال لا يجوز وصفهم بانهم اذلة وفيهم رسول الله وكان صاحب راية رسول الله يوم بدر امير المؤمنين علي بن ابي طالب
وصاحب راية الانصار سعد بن عبادة وقيل سعد بن معاذ فاتقوا الله اي اجتنبوا معاصيه واعملوا بطاعته لعلكم تشكرون
اي لتقوموا بشكر نعمته اذ تقول خطاب النبي اذ تقول يا محمد للمؤمنين من اصحابك الن يكفيكم ان يمدكم ربكم
بثلثة الاف من الملائكة هو اخبار بان النبي صلى الله عليه واله قال للمؤمنين الن يكفيكم يوم بدر ان جعل ربكم ثلثة الاف
من الملائكة مددا لكم بدلالة ابن عباس والحسن وقتادة وغيرهم ان الملائكة كان يوم بدر وقال ابن عباس لم تقاتل
الملئكة الا يوم بدر ثم غزوة الاسد ثم غزوة بني النضير ثم غزوة ذات الرقاع ثم غزوة بدر الاخرة ثم غزوة
دومة الجندل ثم غزوة الخندق ثم غزوة بني قريظة ثم غزوة بني لحيان ثم غزوة بني قرد ثم غزوة بني المصطلق ثم غزوة
الحديبية ثم غزوة خيبر ثم غزوة الفتح فتح مكة ثم غزوة حنين ثم غزوة الطائف ثم غزوة تبوك قاتل النبي منها في
تسع غزوات بدر الكبرى وهو يوم السابع عشر من شهر رمضان سنة اثنتين من الهجرة واحد في شوال سنة ثلث والخندق
وبني قريظة في شوال سنة اربع وبني المصطلق وبني لحيان في شعبان سنة خمس وخيبر سنة ست والفتح في رمضان سنة ثمان
وحنين والطائف في شوال سنة ثمان الغاو الغزو غزاها بنفسه فقاتل فيها تبوك واخرها تبوك واما عدد سراياه فست

ونظيره سرية على ما عدوا في مواضعه قوله عز وجل ليقطع طرفا من الذين كفروا او يكبتهم فينقلبوا خائبين ليس لك من الامر
شيء او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون آيتان اللغة الكبت الخزي وهو مصدر كبت الله العدو اذا اخزاه واذله
وقال الخليل الكبت صرع الشيء على وجهه كبتهم الله فانكبتوا وحقيقة الكبت شدة وهن تقع في القلب فربما صرع الانسان
لوجهه للخوف الذي يدخله والخائب المنقطع عما امل ولا يكون الخيبة الا بعد الامل لانها امتناع نيل ما امل واليأس قد
يكون قبل الامل وقد يكون بعده واليأس والرجاء نقيضان يتعاقبان كتعاقب الخيبة والظفر الاعراب نصب او يتوب
عليهم على ضربين احدهما ان يكون عطفا على ليقطع ويكون قوله ليس لك من الامر شيء اعتراضا بين المعطوف والمعطوف
عليه كما تقول ضربت زيدا فافهم ذلك وعمرا والآخر ان يكون بمعنى الا ان فكانه قال ليس لك من الامر شيء الا ان يتوب
الله عليهم او يعذبهم فيكون امرك تابعا لامر الله برضاك بتدبيره فيهم المعنى ليقطع طرفا من الذين كفروا اختلف
في وجه اتصاله بما قبله فقيل متصل بقوله وما النصر الا من عند الله ومعناه اعطاكم الله هذا النصر واختصكم به ليقطع
طائفة من الذين كفروا بالقتل والاسر وقيل هو متصل بقوله ولقد نصركم الله ببدر اي ولقد نصركم ببدر ليقطع طرفا
وقيل معناه ذلك التدبير ليقطع طرفا اي قطعة منهم والمعنى ليهلك طائفة منهم وقيل ليهدم ركنا من اركان الشرك
بالقتل والاسر واما اليوم الذي قطع الله فيه الطرف من الذين كفروا فيوم بدر قتل فيه صناديدهم ورؤساؤهم وقادتهم
الى الكفر في قول الحسن والربيع وقتادة وقيل يوم احد قتل منهم ثمانية عشر رجلا انما قال ليقطع طرفا منهم ولم يقل
ليقطع وسطا منهم لانه لا يوصل الى الوسط ولان الطرف اقرب الى المؤمنين فهو كما قال قاتلوا الذين يلونكم من الكفار
او يكبتهم معناه او يخزيهم بالخيبة مما املوا من الظفر بكم عن قتادة والربيع وقيل معناه يرده عنكم منهزمين عن الجبائي
والكلبي وقيل يصرعهم على وجوههم وقيل يظفر عليهم عن المبرد وقيل يلعنهم عن السدي وقيل يهلكهم عن ابي عبيدة
فينقلبوا خائبين لم ينالوا مما املوا ليس لك من الامر شيء قيل هو متصل بقوله وما النصر الا من عند الله فيكون معناه
ليقطع طرفا منهم او يكبتهم وليس لك ولا لغيرك من هذا النصر شيء عن ابي مسلم وقيل انه اعتراض بين الكلامين
وقوله او يتوب عليهم متصل بقوله ليقطع طرفا فيكون التقدير ليقطع طرفا منهم او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم
قد استحقوا العذاب وليس لك اي ليس اليك من هذه الاربعة شيء وذلك الى الله تعالى واختلف في سبب نزوله
فروي عن انس بن مالك وابن عباس والحسن وقتادة والربيع انه لما كان من المشركين يوم احد ما كان من كسر رباعية
النبي وشجه حتى جرت الدماء على وجهه قال كيف يفلح قوم نالوا هذا من نبيهم وهو مع ذلك حريص على دعائهم
الى ربهم فاعلمه الله سبحانه انه ليس اليه فلاحهم وانه ليس اليه الا ان يبلغ الرسالة ويجاهد حتى يظهر الدين وانما ذلك
الى الله تعالى وكان الذي كسر رباعيته وشجه في وجهه عتبة بن ابي وقاص فدعا النبي بان لا يحول عليه الحول حتى يموت
كافرا فمات كافرا قبل حول الحول وادمى وجهه رجل من هذيل يقال له عبد الله بن قمئة فدعا عليه فكان حتفه ان سلط
الله عليه تيسا فنطحه حتى قتله وروي انه كان عليه السلام يمسح الدم عن وجهه ويقول اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون فعلى
هذا يمكن ان يكون سعى على رجل من عنادهم واصرارهم على الكفر فاخبر سبحانه انه ليس اليه الا ما امر به من تبليغ الرسالة ودعائهم
الى الهدى وذلك مثل قوله فلعلك باخع نفسك على آثارهم الآية وقيل انه عليه السلام استأذن ربه تعالى يوم احد في
الدعاء عليهم فنزلت الآية فلم يدع عليهم بعذاب الاستئصال وانما لم يؤذن فيه لما كان في المعلوم من توبة بعضهم عن
ابي علي الجبائي وقيل اراد رسول الله صلى الله عليه وآله ان يدعو على المنهزمين عنه من اصحابه يوم احد فنهاه الله تعالى وتاب
عليهم ونزلت هذه الآية ليس لك من الامر شيء اي ليس لك ان تلعنهم وتدعو عليهم عن عبد الله بن مسعود وقيل لما رأى
رسول الله ما فعل باصحابه وبعمه حمزة من المثلة من جدع الانوف والآذان وقطع المذاكير قالوا لئن ادالنا الله
منهم لنفعلن بهم مثل ما فعلوا ولنمثلن بهم مثلة لم يمثلها احد من العرب باحد قط فنزلت الآية عن محمد بن اسحق والشعبي

وقيل نزلت في اهل بئر معونة وهم سبعون رجلا من قراء اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله اميرهم المنذر بن عمرو بعثهم
رسول الله الى بئر معونة في صفر سنة اربع من الهجرة على راس اربعة اشهر من احد ليعلموا الناس القرآن والعلم فقتلهم جميعا
عامر بن الطفيل وكان فيهم عامر بن فهيرة مولى ابي بكر فوجد رسول الله صلى الله عليه وآله من ذلك وجدا شديدا وقنت عليهم
شهرا فنزل ليس لك من الامر شيء عن مقاتل والاصح انها نزلت في احد لان اكثر العلماء عليه ويقتضيه سياق الكلام وانما قال
ليس لك من الامر شيء مع ان له عليه السلام ان يدعوهم الى الله ويؤدي اليهم امره بتبليغه لان معناه ليس لك شيء
من امر عقابهم واستئصالهم والدعاء عليهم او لعنهم حتى يقع انابتهم فجاء الكلام على الايجاز لان المعنى مفهوم لدلالة الكلام
عليه وايضا فانه لا يعتد بما له عليه السلام في تدبيرهم مع تدبير الله سبحانه لهم فكانه قال ليس لك من الامر شيء على وجه من الوجوه وقوله
او يتوب عليهم قيل في معناه وجهان احدهما او يلطف عليهم بما يقع معه توبتهم فيتوب عليهم بلطفه لهم والآخر او
يقبل توبتهم اذا تابوا فكانه سبحانه غافر الذنب وقابل التوب ولا يصح هذه الصفة الا لله عز وجل لانه يملك الجزاء بالثواب
والعقاب او يعذبهم اي يعذبهم الله ان لم يتوبوا فانهم ظالمون مستحقون للعقاب بظلمهم وفي هذه الآية دلالة على
ان ما يتعلق بالنصر والظفر وقبول التوبة والتعذيب فانما هو الى الله تعالى وليس الى النبي عليه السلام من ذلك شيء
وانما اليه الهداية والدعاء فكانه سبحانه قال لا ترفع عنهم السيف الى ان يتوبوا فيتوب عليهم او يقيموا على كفرهم فيعذبهم
بظلمهم قوله عز وجل ولله ما في السموات وما في الارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم آية الاعراب
انما ذكر لفظ ما لانها اعم من من فانها تتناول ما يعقل وما لا يعقل لانها تفيد الجنس ولو قال من في السموات لم يدخل
فيه الا العقلاء الا ان يحمل على التغليب وذلك ليس بحقيقة المعنى لما قال ليس لك من الامر شيء عقب ذلك بان
الامر كله له فقال ولله ما في السموات وما في الارض ملكا وملكا وخلقا واقتدارا على الجميع يصرفهم كيف يشاء ايجادا
وافناء واعادة يغفر لمن يشاء من المؤمنين ذنوبهم فلا يؤاخذهم بها ولا يعاقبهم عليها رحمة منه وفضلا ويعذب
من يشاء اي فيعذب الكافر ومن يشاء من مذنبي المؤمنين ان مات قبل التوبة عدلا ولا بد له عليه من تقدير قوله
ان الله لا يغفر ان يشرك به الآية لولا ذلك لكنا نجوز العفو عن الجميع عقلا وقيل انما ابهم الله سبحانه الامر في التعذيب
والمغفرة فلم يسم من يغفر له ومن يشاء تعذيبه ليقف المكلف بين الخوف والرجاء فلا يأمن من عذاب الله سبحانه
ولا ييأس من روح الله اذ الامن من عذاب الله خسر واليأس من رحمته كفر كما قال سبحانه ولا يأمن مكر الله الا القوم
الخاسرون ولا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ويلتفت الى هذا قول الصادق عليه السلام لو وزن رجاء المؤمن وخوفه
لاعتدلا وقيل انما علق الغفران والعذاب بالمشية لان مشيته مطابقة للحكمة فلا يشاء الا ما تقتضي الحكمة
منه وسئل الصادق عليه السلام بعضهم كيف يعذب الله تعالى عباده بالاجرام مع سعة رحمته فقال رحمته جل وعلا
برقة القلب كما تكون الرحمة منا وعن ابن عباس والحسن الآية يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ممن لم يتب قوله عز
يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا اضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون واتقوا النار التي اعدت للكافرين
واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون ثلث آيات المعنى لما ذكر سبحانه ان له التعذيب لمن يشاء والمغفرة لمن يشاء وصل
ذلك بالنهي عما لو فعلوه لاستحقوا عليه العقاب وهو الربا فقال سبحانه يا ايها الذين آمنوا اي صدقوا الله ورسوله
لا تأكلوا الربا ذكر الاكل لانه معظم الانتفاع وان كان غيره من التصرفات ايضا منهيا عنه والربا الزيادة على اصل
المال بالتأخير عن الاجل الحال وقيل هو ربا الجاهلية عن عطا ومجاهد اضعافا مضاعفة قيل في معناه قولان
احدهما ان يضاعف بالتأخير اجلا بعد اجل كلما اخر الى اجل اخر زيادة على المال والثاني معناه تضاعفون به
اموالكم ويدخل فيه كل زيادة محرمة في المعاملة من جهة المضاعفة ووجه تحريم الربا هو المصلحة التي علمها الله سبحانه
وذكر فيه وجوه على التقريب منها انه للفصل بينه وبين البيع ومنها انه يدعو الى العدل ويحض عليه ومنها ان يدعوا

الى مكارم الاخلاق بالقرض وانظار المعسر من غير زيادة وهو المروى عن ابى عبد الله عليه السلم وانما اعاد سبحانه تحريم الربوا
بعد ما سبق ذكره فى سورة البقرة لامرين احدهما التصريح بالنهى عنه بعد الاخبار بتحريمه لما فى ذلك من تصريف الخطاب وشدة
التحذير منه والثانى لتاكيد النهى عن هذا الضرب منه الذى يجرى على الاضعاف المضاعفة واتقوا الله معناه اتقوا
معاصيه وقيل اتقوا عقابه بترك معاصيه لعلكم تفلحون اى لكى تنجحوا بادراك ما تاملونه وتفوزوا بثواب الجنة واتقوا النار اى
اتقوا الافعال الموجبة للنار لدخول النار التى اعدت اى هيئت واتخذت للكافرين والوجه فى تخصيص الكفار باعداد
النار لهم انهم معظم اهل النار وهم العمدة فى اعداد النار لهم وغيرهم من الفاسقين يدخلونها على وجه التبع وهو كقوله
فى صفة الجنة اعدت للمتقين ومعلوم انه يدخلها غير المتقين من الاطفال والمجانين وقال الحسن تخصيص الكفار باعداد
النار لا يمنع من مشاركة غيرهم اياهم كما ان تخصيص المرتدين باسوداد الوجوه لا يمنع من مشاركة سائر الكفار اياهم ومثله
فى القرآن كثير والاصل ان تخصيص الشئ بالذكر لا يدل على ان ما عداه بخلافه واطيعوا الله فيما امركم به واطيعوا الرسول
فيما شرع لكم لعلكم ترحمون اى لكى ترحموا فلا يعذبكم ومما يسال على هذا ان يقال اذا كانت طاعة الرسول طاعة الله
فما وجه التكرار فالجواب عنه شيئان احدهما ان المقصد بها طاعة الرسول فيما دعا اليه مع القصد بطاعة الله تعالى والثانى
انما قال ذلك ليعلم ان من اطاع الرسول فيما دعا اليه فهو كمن اطاع الله فسارع الى ذلك بامر الله تعالى النظم وقد قيل فى وجه اتصال
الآية بما قبلها قولان احدهما اتصال الامر بالطاعة بالنهى عن اكل الربوا فكانه قال واطيعوا الله فيما نهاكم عنه من اكل
الربوا وغيره والثانى ما قاله محمد بن اسحق بن يسار انه معاتبة للذين عصوا رسول الله لما امرهم به يوم احد
من لزوم مراكزهم فخالفوا واشتغلوا بالغنيمة وكان ذلك سبب هزيمة رسول الله ص قوله تعالى وسارعوا الى
مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السموات والارض اعدت للمتقين الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين
الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين آيتان القراءة قرا اهل المدينة والشام سارعوا بغير واو
وكذلك هو فى مصاحفهم والباقون بالواو وكذلك هو فى مصاحف مكة والعراق الحجة الفرق بينهما استيناف
الكلام اذا كان بغير واو ووصله بما تقدم ويجوز ان يترك الواو لان الجملة الثانية ملتبسة بالاولى مستغنية بذلك
عن عطفها بالواو كما جاء فى التنزيل ثلثة رابعهم كلبهم وقال سبعة وثامنهم كلبهم اللغة اصل الكظم شد راس القربة عن
ملئها تقول كظمت القربة اذا ملاتها ماء ثم شددت راسها وفلان كظيم ومكظوم اذا كان ممتليا حزنا وكذلك اذا كان
ممتليا غضبا لم ينتقم وكظم البعير [illegible] اذا لم يجتر والكظامة القناة التى تجرى تحت الارض سميت بذلك لامتلائها
تحت الارض وفى غريب الحديث لابى عبيد عن اوس بن ابى اوس انه راى النبى صلى الله عليه وآله اتى كظامة قوم فتوضا
ومسح على قدميه ويقال اخذ بكظمه اى بمجرى نفسه لانه موضع الامتلاء بالنفس والفرق بين الغيظ والغضب ان الغضب
ضد الرضا وهو ارادة العقاب المستحق بالمعاصى ولعنه وليس كذلك الغيظ لانه هيجان الطبع بكره ما يكون من المعاصى
ولذلك يقال غضب الله على الكفار ولا يقال اغتاظ منهم المعنى لما حذر الله سبحانه عن الافعال الموجبة للعقاب عقبه
بالحث على الافعال الموجبة للثواب فقال وسارعوا اى بادروا الى المغفرة من ربكم باجتناب معاصيه ومعناه الى الاعمال
التى توجب المغفرة واختلف فى ذلك فقيل سارعوا الى الاسلام عن ابن عباس وقيل الى اداء الفرائض عن على بن ابى طالب
وقيل الى الهجرة عن ابى العالية وقيل الى التكبيرة الاولى عن انس بن مالك وقيل الى اداء الطاعات عن سعيد بن جبير
وقيل الى الصلوات الخمس عن يمان وقيل الى الجهاد عن الضحاك وقيل الى التوبة عن عكرمة وجنة اى والى جنة عرضها
السموات والارض اختلف فى معناه على اقوال احدها ان معناه عرضها كعرض السموات السبع والارضين السبع اذا ضم بعض
ذلك الى بعض عن ابن عباس والحسن واختاره الجبائى والبلخى وانما ذكر العرض بالعظم دون الطول لانه يدل على ان
الطول اعظم وليس كذلك لو ذكر الطول دون العرض ومثل الآية ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة معناه كخلق وبعث

نفس واحدة قال الشاعر كان عذيرهم بجنوب سلى نعام قاق فى بلد قفار اى عذير نعام وقال آخر حسبت بغام راحلتى
عناقا وما هى ويب غيرك بالعناق اى صوت عناق وثانيها ان معناه ثمنها لو بيعت كثمن السموات والارض لو بيعتا
كما يقال عرضت هذا المتاع للبيع والمراد بذلك عظم مقدارها وجلالة قدرها وانه لا يساويها شئ وان عظم عن ابى مسلم
الاصفهانى وهذا وجه مليح الا ان فيه تعسفا وثالثها ان عرضها لم يرد به العرض الذى هو خلاف الطول وانما اراد
سعتها وعظمها والعرب اذا وصفت الشئ بالسعة وصفته بالعرض قال امرؤ القيس بلاد عريضة وارض اريضة مدافع
غيث فى فضاء عريض وقال ذو الرمة فاعرض فى المكارم واستطالا اى توسع فيها ويسال فيقال اذا كانت الجنة عرضها
السموات والارض فاين تكون النار وجوابه انه روى ان النبى صلى الله عليه وآله سئل عن ذلك فقال سبحان الله اذا جاء النهار
فاين الليل وهذه معارضة فيها اسقاط المسئلة لان القادر على ان يذهب بالليل حيث شاء قادر على ان يخلق النار
حيث شاء ويسال ايضا فيقال اذا كانت الجنة فى السماء فكيف يكون لها هذا العرض والجواب انه قيل ان الجنة فوق السموات السبع
تحت العرش عن انس بن مالك وقيل ان الجنة فوق السموات السبع وان النار تحت الارضين السبع عن قتادة وقيل معنى
قولهم ان الجنة فى السماء اى انها فى ناحية السماء وجهة السماء لان السماء نحوها ولا يخفى ينكر ان يخلق الله فى العلو مثل
السموات والارضين وان صح الخبر انها فى السماء الرابعة كان كما يقال فى الدار بستان لاتصاله بها وكونه فى ناحية منها او يشرع
بابه اليها وان كان اضعاف الدار وقيل ان الله عز وجل يزيد فى عرضها يوم القيمة فيكون المراد عرضها السموات والارض
يوم القيمة لا فى الحال عن ابى بكر احمد بن على مع تسليمه انها فى السماء وقوله للمتقين اى المطيعين لله ولرسوله لاجتنابهم المقبحات
وفعلهم الطاعات ويجوز لاختصاصهم بالطاعة عن العقوبة وانما اضيفت الى المتقين وان دخلها
غيرهم من الاطفال والمجانين فعلى وجه التبع ولذلك حكم الفساق لو عفى عنهم وقيل معناه لولا المتقون لما خلقت الجنة كما يقال صفت
المائدة للامير وهذا يدل على ان الجنة مخلوقة اليوم لانها لا تكون معدة الا وهى مخلوقة الذين ينفقون فى السراء والضراء صفة للمتقين
وفى معنى السراء والضراء قولان احدهما ان معناه فى اليسر والعسر عن ابن عباس اى فى حال كثرة المال وقلته والثانى
فى حال السرور والاغتمام اى لا يقطعهم شئ عن ذلك عن انفاق المال فى وجوه البر والكاظمين الغيظ اى المتجرعين للغيظ
امتلاء نفوسهم منه فلا ينتقمون ممن يدخل عليهم الضرر بل يصبرون على ذلك والعافين عن الناس يعنى الصافحين عن الناس
عما يجوز العفو والتجاوز عنه مما لا يؤدى الى الاخلال بحق الله تعالى وقيل العافين عن المملوكين والله يحب المحسنين اى
من فعل ذلك فهو محسن والله يحبه بايجاب الثواب له ويحتمل ان يكون الاحسان شرطا مضموما الى هذه الشرائط قال الثورى
الاحسان ان تحسن الى من اساء اليك فاما الى من احسن اليك فانه متاجرة كنقد السوق خذ منى وهات فصل واول
ما عده الله سبحانه من اخلاق اهل الجنة السخاء ومما يؤيد ذلك ما رواه انس بن مالك عن النبى ص قال السخاء شجرة فى الجنة
اغصانها فى الدنيا من تعلق بغصن من اغصانها قادته الى الجنة والبخل شجرة فى النار اغصانها فى الدنيا من تعلق بغصن
من اغصانها قادته الى النار وقال ع الجنة دار الاسخياء وقال السخى قريب من الله قريب من الجنة قريب من الناس بعيد من
النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الجنة بعيد من الناس قريب من النار ثم عد سبحانه بعد ذلك من اخلاق اهل الجنة
كظم الغيظ ومما جاء فيه من الاخبار ما رواه ابو امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه
ملاه الله يوم القيمة رضا وفى خبر آخر ملاه الله يوم القيمة امنا وايمانا وعنه عليه السلم ليس الشديد بالصرعة ولكن الشديد
الذى يملك نفسه عند الغضب ثم ذكر سبحانه العافين عن الناس وروى ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال ان هؤلاء
فى امتى قليل الا من عصم الله وقد كانوا كثيرا فى الامم التى مضت وفى هذا دليل واضح على ان العفو عن العاصى مرغب فيه
مندوب اليه وان لم يكن واجبا وقال النبى عليه السلم ما عفا رجل عن مظلمة قط الا زاده الله بها عزا ثم ذكر سبحانه انه يحب المحسنين

والمحسن هو المنعم على غيره على وجه عار من وجوه القبح ويكون المحسن ايضا هو الفاعل للافعال الحسنة من وجوه الطاعات والقربات
وبالله التوفيق وروي ان جارية لعلي بن الحسين عليهما السلام جعلت تسكب عليه الماء ليتهيأ للصلاة فسقط الابريق من يدها فشج
فرفع راسه اليها فقالت له الجارية ان الله تعالى يقول والكاظمين الغيظ فقال قد كظمت غيظي قالت والعافين
عن الناس قال عفا الله عنك قالت والله يحب المحسنين قال اذهبي فانت حرة لوجه الله تعالى قوله عز وجل والذين اذا فعلوا
فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم
يعلمون اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ونعم اجر العاملين آيتان اللغة
اصل الفاحشة الفحش وهو الخروج الى عظم القبح او الى العيز فيه ولذلك قيل للطويل المفرط انه لفاحش الطول والفحش قد
اذا افصح كر الفحش والاصرار اصله الشد من الصرة والصر شدة البرد فكانما هو رباط الذنب بالاقامة عليه وقيل
اصله الثبات على الشيء ومن الحطيئة يصف الخيل عوابس يشعث الكماة اذا اسفعلا لنها بالمحصدات اصررن ابا الخسار
نفيه جرنها بالسياط تثب على جرنها الاعراب والذين عطف على المتقين وقيل رفع على الاستيناف كانه عطف جملة
على القول الاول هم فرقة واحدة وعلى الثاني هم فرقتان ويجوز ان يكون راجعا الى الاولين ويكون محله رفعا على الكل
وقوله الا الله رفع الله حملا على المعنى لا على اللفظ اذ ليس قبله جحد وتقديره وهل يغفر الذنوب الا الله لان الاستفهام
قد يقع موقع النفي ونعم اجر العاملين المخصوص بالمدح محذوف وتقديره نعم اجر العاملين اجرهم النزول
روي ان قوما من المؤمنين قالوا يا رسول الله بنو اسرائيل اكرم على الله منا كان احدهم اذا اذنب اصبحت كفارة ذنبه مكتوبة
على عتبة بابه اجدع انفك او اذنك افعل كذا فسكت رسول الله صلى الله عليه وآله فنزلت الآية فقال الا اخبركم بخير من
ذلكم وقرا عليهم هذه الآية عن ابن مسعود وفي ذلك لما كان قد شدد على بني اسرائيل اذ جعل الاستغفار بدلا منه قيل نزلت
في نبهان التمار اتته امراة تبتاع منه تمرا فقال لها هذا التمر ليس بجيد وفي البيت اجود منه فذهب بها الى بيته فضمها
الى نفسه وقبلها فقالت له اتق الله فتركها وندم واتى النبي صلى الله عليه وآله وذكر له ذلك فنزلت الآية عن عطا
المعنى والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم اختلفوا في الفاحشة وظلم النفس فقيل الفاحشة الزنا وظلم النفس سائر
المعاصي عن السدي وجابر وقيل الفاحشة الكبائر وظلم النفس الصغائر عن القاضي عبد الجبار بن احمد الهمداني وقيل الفاحشة
اسم لكل معصية ظاهرة او باطنة الا انها لا يكاد تقع الا على الكبيرة عن علي بن عيسى وقيل فعلوا فاحشة فعلا او ظلموا انفسهم
قولا ذكروا الله اي ذكروا وعيد الله فانزجروا عن المعصية واستغفروا لذنوبهم فيكون من المذكور بعد النسيان وانما مدحهم
لانهم يتعرضون للذكر وقيل ذكروا الله بان قالوا اللهم اغفر لنا ذنوبنا فانا تبنا نادمين عليها مقلعين عنها وقوله ومن يغفر الذنوب
الا الله من لطيف فضل الله سبحانه وبليغ كرمه وجزيل منته وهو الغاية في ترغيب العاصين في التوبة وطلب المغفرة والنهاية
في تحسين الظن للمذنبين وتقوية رجاء المجرمين وهذا كما يقول السيد لعبده وقد اذنب ربما اعتذر اليّ ومن يسأل عذرك سواك
واذا سئل ان العباد قد يغفر بعضهم لبعض الاساءة فالجواب ان الذنوب التي يستحق عليها العقاب لا يغفرها الا الله سبحانه فانه المالك
سبحانه غفران الكبائر العظام والاساءة من بعضنا الى بعض صغيرة بالاضافة اليها ولم يصروا على ما فعلوا اي لم يقيموا على المعصية
ولم يقيموا عليها ولم يلزموها وقال الحسن هو فعل الذنب من غير توبة وهو قريب من الاول وذلك لا يكفي في التوبة
مجرد الاستغفار مع الاصرار وذلك ان الاستغفار انما ينفع عند ترك الاصرار وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله قال لا صغيرة
مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار يعني لا يبقى كبيرة مع التوبة والاستغفار ولا يبقى الصغيرة صغيرة مع الاصرار وفي تفسير
ابن عباس الاصرار السكون على الذنب بترك التوبة والاستغفار منه وقوله وهم يعلمون يحتمل وجوها احدها ان معناه
وهم يعلمون الخطيئة ذاكرين لها غير ساهين ولا ناسين لانه تعالى يغفر للعبد ما نسيه من ذنبه وان لم يتب منه بعينه

عن الجبائي والسدي وثانيهما ان معناه يعلمون الحجة في انها خطيئة فاذا لم يعلموا ولا طريق لهم الى العلم به كان الاثم
موضوعا عنهم كمن تزوج امه من الرضاع او النسب وهو لا يعلم به فانه لا ياثم وهذا معنى قول ابن عباس والحسن
وثالثها ان المراد وهم يعلمون ان الله يملك مغفرة ذنوبهم عن الضحاك اولئك اشارة الى من تقدم وصفهم من المتقين
الذين ينفقون في السراء والضراء الى آخر الكلام اي هؤلاء جزاؤهم على اعمالهم ذنوبهم مغفرة من ربهم اي ستر لذنوبهم
وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وقد مر تفسيره في سورة البقرة ونعم اجر العاملين هذا معنى ما وصفه
من الجنات وانواع الثواب والمغفرة ستر الذنب حتى يصير كانه لم يعمل في زوال العار بها والعقوبة والله
سبحانه متفضل بذلك لان اسقاط العقاب عند التوبة تفضل منه سبحانه واما استحقاق الثواب بالتوبة واجب
لا محالة عقلا لانه لو لم يكن مستحقا للتوبة لقبح تكليف التوبة لما فيها من المشقة النظم فان الآية اتصلت بما قبلها
لانها من صفة المتقين وقيل بل هما فرقتان بين سبحانه ان الجنة للمتقين المنفقين في السراء والضراء الى آخر الآية وفي
عقبه باب ولم يصر قوله عز وجل قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين هذا
بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين آيتان اللغة السنة الطريقة المجعولة ليقتدى به ومن ذلك سنة رسول الله
قال لبيد من معشر سنت لهم آباؤهم ولكل قوم سنة وامامها وقال سليمان بن قتيبة وان الاولى بالطف من آل هاشم
تآسوا فسنوا للكرام التآسيا واصل السنة الاستمرار في جهة يقال سن الماء اذا صبه حتى يفيض من الاناء ويسمى السكين
بالمسن اذ امر عليها لتجد به ومنه السن واحد الاسنان لاستمرارها على منهاج والسنان لاستمرار الطعن
والسنن استمرار الطريق والعاقبة ما يؤدي اليها السبب المتقدم وليس كذلك الآخرة لانه كان يمكن ان يجعل
الاولى في العدة والموعظة ما يلين القلب ويدعو الى التمسك بما فيه من الزجر عن القبيح والدعاء الى الجميل وقيل الموعظة
هو ما يدعو بالرغبة والرهبة الى الحسنة بدلا من السيئة المعنى لما بين سبحانه ما يفعله بالمؤمن والكافر في الدنيا والآخرة
بين عادته سبحانه في خلقه فقال قد خلت اي قد مضت من قبلكم يا اصحاب محمد وقيل خطاب للمؤمنين انه يعم احد سنن
من الله تعالى في الامم السالفة اذا كذبوا رسلهم وجحدوا انبياءهم بالاستيصال وبقيت آثارهم في الديار للاتعاظ والاعتبار
عن الحسن وابن اسحق وقيل سنن اي امثال عن ابن زيد وقيل سنن امم والسنة الامة عن المفضل وقال الشاعر ما عاين
الناس من فضل كفضلكم ولا راوا مثلكم في سالف السنن وقيل معناه اهل سنن وقيل معناه قد مضت لكل امة سنة ومنهاج
اذا اتبعوها رضي الله عنهم عن الكلبي فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين اي تعرفوا اخبار المكذبين
وما نزل بهم لتتعظوا عن ذلك وينتهوا عن مثل ما فعلوه ولا تسلكوا في التكذيب والانكار طريقهم فيحل بكم من العذاب
ما حل بهم واراد بالمكذبين الجاحدين للبعث والنشور والثواب والعقاب جازاهم الله سبحانه في الدنيا بعذاب الاستيصال
وفي الآخرة يعاقب باليم العذاب وعظيم النكال وهذا اشارة الى القرآن بيان للناس اي حجة لهم كافة عن الحسن وقتادة
وقيل اشارة الى ما تقدم من قوله قد خلت من قبلكم اي هذا الذي عرفتكم بيان للناس عن ابن اسحق واختاره البلخي
والطبري وهدى قال علي بن عيسى الفرق بين البيان والهدى ان الظهر المعنى للنفس كائنا ما كان والهدى بيان طريق
الرشد ليسلك دون طريق الغي وموعظة للمتقين وانما خص المتقين به مع كونه بيانا وهدى وموعظة للناس كافة
لان المتقين هم المنتفعون به والمهتدون بهداه والمتعظون بمواعظه قوله عز وجل ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون
ان كنتم مؤمنين ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين
آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين آيتان القراءة قرا اهل الكوفة غير حفص قرح بضم القاف فيهما وكذلك
قرح بعدما اصابهم القرح والباقون بفتح القاف الحجة قال ابو علي قرح وقرح مثل ضعف وضعف والكره والكره
والدف والدف والشهد والشهد وقال ابو الحسن قرح يقرح قرحا وقرحا فهذا يدل على انهما مصدران ومن قال ان القرح

الجراحات باعيانها والقرح الم الجراحات قبل ذلك منه اذ الحق برواية لان ذلك مما لا يعلم بالقياس **اللغة** الوهن
الضعف والوهن والموهن ساعة تمضي من الليل الاعلون واحدهم الاعلى ومونثه العليا وجمعه العليات والعلى
والفرق بين المس واللمس ان اللمس لصوق باحساس والمس لصوق فقط والدولة الكرة لفريق بنيل المراد واداله الله
فلانا من فلان اذا جعل الكرة له عليه وتداول القوم الشي اذا صار من بعضهم الى بعض وضم الدال في الدولة وفتحها لغتان
وقيل الضم في المال والفتح في الحرب **الاعراب** وانتم الاعلون جملة في موضع الحال كانه قال لا تحزنوا عالين اي منصورين
على الاعداء ويحتمل ان يكون لا موضع لها من الاعراب لانها اعتراض بوعد موكد وتقديره ولا تهنوا ولا تحزنوا ان كنتم
مومنين وانتم الاعلون مع ذلك وقوله ليعلم الله العامل في اللام محذوف يدل عليه اول الكلام وتقديره وليعلم الله
الذين آمنوا نداولها ويجوز ان يعمل فيه نداولها الذي في اللفظ وتقديره نداولها بين الناس بضروب من التدبير
وليعلم الله الذين آمنوا **النزول** قيل نزلت الآية تسلية للمسلمين لما نالهم يوم احد من القتل والجراح عن الزهري وقتاده
وابن ابي نجيح وقيل لما انهزم المسلمون في الشعب واقبل خالد بن الوليد بخيل المشركين يريد ان يعلو عليهم الجبل فقال النبي
صلى الله عليه وآله اللهم لا يعلن علينا اللهم لا قوة لنا الا بك اللهم ليس يعبدك بهذه البلدة الا هولاء النفر فانزل الله الآية
وثاب نفر رماة فصعدوا الجبل ورموا خيل المشركين حتى هزموهم وعلا المسلمون الجبل فذلك قوله وانتم الاعلون عن
ابن عباس وقيل نزلت الآية بعد يوم احد حين امر رسول الله اصحابه بطلب القوم وقد اصابهم من الجراح ما اصابهم
وقال لا يخرج الا من شهد معنا بالامس فاشتد ذلك على المسلمين فانزل الله تعالى هذه الآية عن الكلبي ودليله
ولا تهنوا في ابتغاء القوم **المعنى** ثم حث الله المسلمين على النجدة ونهاهم عن الوهن والحزن ووعدهم الغلبة في الحال وحسن
العاقبة في المآل فقال ولا تهنوا اي لا تضعفوا عن قتال عدوكم ولا تحزنوا لما يصيبكم في اموالكم وابدانكم وقيل
لا تضعفوا لما نالكم من الجراح ولا تحزنوا على ما نالكم من المصائب بقتل الاخوان وقيل لا تهنوا بما نالكم من الهزيمة ولا تحزنوا
على ما فاتكم من الغنيمة وانتم الاعلون اي الظافرون المنصورون الغالبون عليهم في العاقبة وقيل اراد وانتم الاعلون
في المكان ان كنتم مومنين معناه ان كنتم مصدقين بوعدي لكم بالنصرة والظفر على عدوكم فلا تهنوا ولا تحزنوا ثم اخذ
سبحانه في تسلية المومنين فقال ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله معناه ان يصبكم جراح مثله عن ابن عباس وقيل
ان يصبكم الم وجراحة يوم احد اصاب القوم ذلك يوم بدر وعن الشعبي [illegible] مالك اتى رسول الله صلى الله عليه وآله
وعليه نيف وستون جراحة من طعنة وضربة ورمية فجعل رسول الله ص يمسحها وهي تلتئم باذن الله كان لم يكن وعن
ابن عباس قال لما كان يوم احد صعد ابو سفيان الجبل فقال رسول الله صلى الله عليه وآله اللهم ليس لهم ان يعلونا فمكث
ابو سفيان ساعة وقال يوم بيوم ان الايام دول وان الحرب سجال فقال ع اجيبوه فقالوا لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم
في النار فقال لنا عزى ولا عزى لكم فقال النبي ع الله مولانا ولا مولى لكم فقال ابو سفيان اعل هبل فقال ع الله اعلى واجل
وتلك الايام نداولها بين الناس اي نصرفها مرة لفرقة ومرة عليها عن الحسن وقتادة والربيع والسدي وابن اسحق
وانما يصرف الله الايام بين اعدائه وبين المسلمين وبين الكفار بتخفيف المحنة عن المسلمين احيانا وتشديدها عليهم
احيانا لا بنصرة الكفار عليهم لان الله سبحانه لا ينصر الكفار على المسلمين لان النصرة تدل على المحبة والله لا يحب الكافرين
وانما جعل الله سبحانه الدنيا متقلبة لكي لا يطمئن المسلم اليها ولتقل رغبته فيها وحرصه عليها اذ يفنى لذاتها ويظعن مقيمها
ويسعى للآخرة التي يدوم نعيمها وانما جعل الدولة مرة للمومنين ومرة عليهم ليدخل الناس في الايمان على الوجه الذي يجب
فيه ذلك وهو قيام الحجة فانه لو كانت الدولة ابدا للمومنين لكان الناس يدخلون في الايمان على سبيل اليمن والفال
على ان كل موضع حضره النبي صلى الله عليه وآله لم يخل من ظفر اما في ابتداء الامر واما في انتهائه وانما لم يستمر ذلك لما بيناه
وقوله وليعلم الله الذين آمنوا المفعول الثاني ليعلم محذوف وتقديره وتلك الايام نداولها بين الناس لوجوه من المصالح

194

وضروب من الحكمة وليعلم الله الذين آمنوا مميزين بالايمان عن غيرهم وعلى هذا لا يكون يعلم بمعنى يعرف لانه ليس
المعنى انه يعرف الذات بل المعنى انه يعلمهم بالايمان ويجوز ان يكون المعنى ليعلم الله الذين آمنوا بما يظهر من صبرهم
على جهاد عدوهم اي يعاملهم معاملة من يعرفهم بهذه الحال واذا كان الله تعالى يعلمهم قبل اظهارهم الايمان كما يعلمهم
بعده فانما يعلم قبل الاظهار انهم سيميزون فاذا اظهروه علمهم متميزين ويكون التغير حاصلا في المعلوم لا في العالم كما ان احدنا
يعلم الغد قبل مجيئه على معنى انه سيجي فاذا جاء علمه جائيا وعلمه يوما لا غدا واذا انقضى فانما يعلمه امسا لا يوما ولا غدا ويكون
التغير واقعا في المعلوم لا في العالم وقيل معناه وليعلم الذين آمنوا انما اسند الى نفسه تفخيما وقيل معناه ليظهر المعلوم
من صبر من يصبر وجزع من يجزع وايمان من يومن وقيل ليظهر المعلوم من الاخلاص والنفاق وتقديره ليعلم الله المومن
من المنافق فاستغنى بذكر احدهما عن الآخر وقوله ويتخذ منكم شهداء وقيل فيه قولان احدهما ان معناه ليكرم
بالشهادة من قتل يوم احد عن الحسن وقتادة وابن اسحق والآخر يتخذ منكم شهداء على الناس بما يكون منهم من
العصيان لما لكم في ذلك من جلالة القدر وعلو المرتبة والشهداء يكون جمع شاهد وشهيد عن ابي علي الجبائي
وانما سموا شهداء لمشاهدتهم الاعمال التي يشهدون بها واما في جمع الشهيد فلانهم بذلوا الروح عند شهود الحق
ولم يفروا والله لا يحب الظالمين ظاهر المعنى وفايدته انه تعالى بين انه لا يمكن الظالمين منهم لمحبته لهم ولكن لاحد المعاني
التي ذكرها من تمحيص ذنوب المومنين كما قاله فيما بعد قوله تعالى **وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين** آية **اللغة** اصل
التمحيص التخليص قال الخليل المحص الخلوص من العيب ومحصه تمحيصا اذا خلصه من كل عيب ويقال اللهم محص
عنا ذنوبنا اي اذهبها عنا والتمحيص التخليص للحسنات بتكفير السيئات واصل المحق فناء الشي حالا بعد حال ولهذا دخله معنى النقصان
والمحق المحاق وامحق الشي وانمحق اذا ذهبت بركته حالا بعد حال والمحاق آخر الشهر لذهاب ضوء الهلال حالا
بعد حال **المعنى** ثم بين سبحانه وجه المصلحة في مداولة الايام فقال وليمحص الله الذين آمنوا قيل في معنى الآية اقوال احدها
وليمحص الله اي ليبتلي الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين ينقصهم عن ابن عباس ومجاهد والسدي وثانيها ليخلص الله ذنوب
المومنين عن الزجاج وثالثها ينجي الله الذين آمنوا من الذنوب بالابتلاء ويهلك الكافرين بالذنوب عند الابتلاء عن علي
بن عيسى وانما قابل بين التمحيص والمحق لان محص هولاء باهلاك ذنوبهم نظير محق اولئك باهلاك انفسهم وهذه مقابلة
في المعنى وفي هذه الآية دلالة على ان الله سبحانه انما يداول بين الناس ليمحص ذنوب المومنين ويمحق الكافرين وانما يمحصهم
بالمداولة بشيئين احدهما ان في تخليتهم وتمكين الكافرين منهم تعريضا اياهم للصبر الذي يستحقون به عظيم الاجر ويحط به
عنهم كثير من اثقال الوزر والثاني ان في ذلك لطفا لهم يبعثهم عن اقتراف الاثم قوله عز وعلا **ام حسبتم ان تدخلوا
الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ولقد كنتم تمنون الموت من قبل ان تلقوه فقد رأيتموه
وانتم تنظرون** آيتان **اللغة** الفرق بين التمني والارادة ان الارادة من افعال القلوب والتمني قول القائل ليت كان كذا وليت
لم يكن وقيل ان التمني معنى في القلب يطابق هذا القول والصحيح هو الاول **الاعراب** ام في قوله ام حسبتم هي المنقطعة وتقديره
بل احسبتم وهو استفهام على وجه الانكار والفرق بين لم ولما ان لما جواب لقول القائل قد فعل فلان يريد به الحال واذا
قال فعل فجوابه لم يفعل لما كانت لما اصلها لم موكدة بحرف كانت جوابا لما هو موكد بحرف ويعلم الصابرين نصب على الصرف
عن العطف اذ ليس المعنى على نفي الثاني والاول انما هو على نفي اجتماع الثاني والاول تقديره وان لم يعلم يكون منصوبا
باضمار ان والمعنى ولما يقع العلم بالجهاد والعلم بصبر الصابرين وروي عن الحسن انه قرا ويعلم الصابرين بالكسر عطفا على الاول
المعنى ثم حث الله سبحانه على الجهاد ورغب فيه وزاد في البيان والاخبار بان الجنة لا تنال الا بالبلوى والاختبار فقال ام حسبتم
ان تدخلوا الجنة والمراد به الانكار اي اظننتم ايها المومنون انكم تدخلون الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم
ويعلم الصابرين اي ولما يجاهد المجاهدون منكم فيعلم الله جهادهم ويصبر الصابرون منكم فيعلم صبرهم على القتال ولقاء

والعلماء ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم على معنى نفي الجهاد دون العلم لما في ذلك من الايجاز في انتفاء جهادهم لانه
لو كان لعلمه وقدره ولما تكن المعلوم من الجهاد الذي اوجب عليكم لان المعنى مفهوم لا يشتبه ولقد كنتم يا اصحاب محمد
تمنون اي تتمنون الموت فحذف احدى التائين للتخفيف وذلك ان قوما ممن فاتهم شهود بدر كانوا يتمنون الموت
بالشهادة بعد بدر قبل احد فلما راوه يوم احد اعرض كثير منهم عنه فانهزموا فعاتبهم الله على ذلك عن الحسن ومجاهد والربيع
وقتادة والسدي من قبل ان تلقوه فقد رايتموه الهاء في تلقوه ورايتموه راجعة الى الموت اي من قبل ان تلقوه
اسباب الموت وهو الحرب فقد رايتموها لان الموت لا يرى ونحوه قول الشاعر والموت تحت لواء آل محمد اي اسباب
الموت وقيل الهاء راجعة الى الجهاد وانتم تنظرون قيل انه تاكيد للروية كما يقال رايته عيانا وسمعته باذني لئلا يتوهم
روية القلب وسمع العلم وقيل معناه وانتم تتاملون الحال في ذلك كيف هي فعلى هذا يكون النظر بمعنى الفكر
وقيل معناه وانتم تنظرون الى محمد صلى الله عليه وآله وفيه حذف اي فلم انهزمتم وهو موضع لان قتل المشركين لهم معصية
ولا يجوز تمني المعاصي كما لا يجوز ارادتها ولا الامر بها فاذا ثبت ذلك فانما تمنوا الشهادة بالصبر على الجهاد الى ان يقتلوا
قوله عز وعلا **وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على
عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين** آية **اللغة** محمد ماخوذ من الحمد والتحميد فوق الحمد ومعناه المستحق
لجميع المحامد لان التحميد لا يستوجبه الا المستولي على الامر الكامل فاكرم الله سبحانه نبيه وحبيبه باسمين مشتقين من اسمه
سبحانه محمد واحمد واليه اشار حسان بن ثابت في قوله الم تر ان الله ارسل عبده ببرهانه والله اعلى وامجد وشق له من
اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد نبي اتانا بعد ياس وفترة من الرسل والاوثان في الارض تعبد **الاعراب**
انما دخل حرف الاستفهام على حرف الشرط وتقديره اتنقلبون ان مات او قتل لان الشرط لما انعقد به صار جملة واحدة
وخبرا واحدا فكان بمنزلة تقديم الاسم على الفعل في الذكر اذا قيل ازيد قام فكذلك تقديمه في القسم والاكتفاء
بجواب الشرط عن جواب القسم كما قال الشاعر حلفت له ان تدلج الليل لا يزل امامك بيت من بيوتي سائر **النزول** قال اهل التفسير
سبب هذه الآية انه لما ارجف بان النبي صلى الله عليه وآله قد قتل يوم احد واشيع ذلك قال اناس لو كان نبيا لما قتل وقال
آخرون نقاتل على ما قاتل عليه حتى نلحق به وارتد بعضهم وانهزم بعضهم وكان سبب انهزامهم وتضعضعهم اخلال الرماة
لمكانهم من الشعب وكان رسول الله صلى الله عليه وآله نهاهم عن الاخلال به وامر عبد الله بن جبير وهو اخو خوات
بن جبير على الرماة وهم خمسون رجلا وقال لا تبرحوا مكانكم فانا لن نزال غالبين ما ثبتم بمكانكم وجاءت قريش
على ميمنتهم خالد بن الوليد وعلى ميسرتهم عكرمة بن ابي جهل ومعهم النساء يضربن بالدفوف وينشدن الاشعار
فقالت هند نحن بنات طارق نمشي على النمارق ان تقبلوا نعانق او تدبروا نفارق فراق غير وامق وكان ابو عامر
عبد عمرو بن الصيفي اول من لقيهم بالاحابيش وعبيد اهل مكة فقاتلهم قتالا شديدا وحمي القتل فقال رسول الله
من ياخذ هذا السيف بحقه ويضرب به العدو حتى ينحني فاخذه ابو دجانة سماك بن خرشة الانصاري فلما اخذ
السيف اعتم بعمامة حمراء وجعل يفتخر ويقول انا الذي عاهدني خليلي ان لا اقوم الدهر في الكيول اضرب بسيف الله
والرسول فقال رسول الله انها لمشية يبغضها الله الا في هذا الموضع ثم حمل النبي واصحابه على المشركين
فهزموهم وقتل علي بن ابي طالب اصحاب اللواء كما تقدم بيانه وانزل الله نصره على المسلمين قال الزبير فرايت هندا وصواحبها
هاربات مصعدات في الجبل بادية خدامهن ما دون اخذهن شيء فلما نظرت الرماة الى القوم قد انكشفوا وراوا النبي
واصحابه ينتهبون الغنيمة اقبلوا يريدون النهب واختلفوا فقال بعضهم لا نترك امر رسول الله صلى الله عليه وآله وقال
بعضهم ما بقي من الامر شيء ثم انطلق عامتهم ولحقوا بالعسكر فلما راى خالد بن الوليد قلة الرماة واشتغال المسلمين
بالغنيمة وراى ظهورهم خالية صاح في خيله من المشركين وحمل على اصحاب النبي صلى الله عليه وآله من خلفهم فهزموهم

وقتلوهم ورمى عبد الله بن قمئة الحارثي رسول الله صلى الله عليه وآله بحجر فكسر انفه ورباعيته وشجه في وجهه فاثقله وتفرق
عنه اصحابه واقبل يريد قتله فذب مصعب بن عمير وهو صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وآله يوم بدر ويوم احد
وكان اسم رايته العقاب عن رسول الله حتى قتل مصعب بن عمير قتله ابن قمئة فرجع وهو يرى انه قتل رسول الله صلى الله عليه وآله
وقال اني قتلت محمدا وصاح صائح الا ان محمدا قد قتل وقيل ان الصائح كان ابليس عليه اللعنة فانكفأ الناس وجعل رسول الله
يدعو الناس الى عباد الله الى عباد الله فاجتمع اليه ثلاثون رجلا فحموه حتى كشفوا عنه المشركين ورمى سعد بن ابي وقاص
حتى اندقت سية قوسه واصيبت يد طلحة بن عبيد الله فيبست واصيبت عين قتادة بن النعمان يومئذ حتى وقعت على
وجنته فردها رسول الله مكانها فعادت كاحسن ما كانت فلما انصرف رسول الله ادركه ابي بن خلف الجمحي وهو يقول
لا نجوت ان نجوت فقال القوم يا رسول الله الا يعطف عليه رجل منا فقال دعوه حتى اذا دنا منه وكان ابي قبل ذلك
يلقى رسول الله صلى الله عليه وآله فيقول عندي رمكة اعلفها كل يوم فرق ذرة اقتلك عليها فقال رسول الله بل انا اقتلك
ان شاء الله فلما كان يوم احد ودنا منه تناول رسول الله صلى الله عليه وآله الحربة من الحارث بن الصمة ثم استقبله فطعنه في عنقه
وخدشه خدشة فتدهدى عن فرسه وهو يخور كما يخور الثور ويقول قتلني محمد فاحتمله اصحابه وقالوا ليس عليك
باس قال بلى لو كانت هذه الطعنة بربيعة ومضر لقتلتهم اليس قال لي اقتلك فلو بزق علي بعد تلك المقالة لقتلني فلم يلبث
الا يوما حتى مات قال وفشا في الناس ان رسول الله صلى الله عليه وآله قد قتل فقال بعض المسلمين ليت لنا رسولا الى عبد الله
بن ابي فياخذ لنا امانا من ابي سفيان وبعضهم جلسوا والقوا بايديهم وقال اناس من اهل النفاق ان كان محمد قد قتل
فالحقوا بدينكم الاول فقال انس بن النضر عم انس بن مالك يا قوم ان كان قد قتل محمد فان رب محمد لم يقتل وما تصنعون
بالحياة بعد رسول الله فقاتلوا على ما قاتل عليه رسول الله وموتوا على ما مات عليه ثم قال اللهم اني اعتذر
اليك مما يقول هؤلاء يعني المسلمين وابرأ اليك مما جاء به هؤلاء يعني المنافقين ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل ثم ان رسول الله صلى الله عليه وآله
انطلق الى الصخرة وهو يدعو الناس فاول من عرف رسول الله كعب بن مالك قال عرفت عينيه تحت المغفر تزهران
فناديت باعلى صوتي يا معشر المسلمين ابشروا هذا رسول الله فاشار الي ان اسكت فانحاز اليه طائفة من اصحابه
فلامهم النبي صلى الله عليه وآله على الفرار فقالوا يا رسول الله فديناك بآبائنا وامهاتنا اتانا الخبر بانك قتلت فرعبت
قلوبنا فولينا مدبرين فانزل الله تعالى وما محمد الا رسول الآية **المعنى** ثم بين سبحانه انه لا ينبغي ان يتركوا امر الله تعالى
كان الرسول بين اظهرهم او لم يكن فقال وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل يعني انه بشر اختاره الله لرسالته
الى خلقه قد مضت قبله رسل بعثوا فادوا الرسالة ومضوا وماتوا وقتل بعضهم وانه يموت كما ماتت الرسل قبله فليس
الموت بمستحيل عليه ولا القتل وقيل اراد ان اصحاب الانبياء لم يرتدوا عند موتهم او قتلهم فاقتدوا بهم ثم انكر ذلك
فقال سبحانه افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم معناه افان اماته الله او قتله الكفار ارتددتم كفارا بعد ايمانكم
فسمى الارتداد انقلابا على العقب وهو الرجوع القهقرى لان الردة رجوع الى اقبح الاديان كما ان الانقلاب خروج الى اقبح
ما يكون من المشي والالف في قوله افان الف انكار في صورة الاستفهام ومثله اتختار الفساد على الصلاح
والخطأ على الصواب وفي قوله مات او قتل دلالة على ان الموت غير القتل لان الشيء لا يعطف على نفسه فالقتل هو نقض
بنية الحيوة والموت افساد البنية التي تحتاج الحيوة اليها فهو معنى يضاد المعاني التي تحتاج اليها الحيوة وقيل
الموت يضاد الحيوة والصحيح الاول ومن ينقلب على عقبيه يعني من يرتد عن دينه فلن يضر الله شيئا لانه لا يجوز عليه المضار
بل مضرته عائدة اليه لانه يستحق العقاب الدائم وسيجزي الله الشاكرين اي يثيب الله الشاكرين على شكرهم لنعم الله
تعالى واعترافهم بها وقيل اراد بالشاكرين المطيعين لان الطاعات هي شكر الله على نعمه وهذا يتصل بما قبله اتصال
الوعد بالوعيد لان قوله فلن يضر الله شيئا دليل على معنى الوعيد فكانه قال من يرتد عاد ضرره عليه ومن شكر اثيب فنفعه

بعود اليه **فصل** في ذكر ما جاء في اسم محمد صلى الله عليه وآله كانت كفار قريش يشتمون مذمما يعنون اسم النبي ص وروى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله الم تروا كيف صرف الله عني لعن قريش وشتمهم يشتمون مذمما وانا محمد وفي مسند علي بن موسى الرضا عن آبائه عن النبي ص انه قال اذا سميتم الولد محمدا فاكرموه واوسعوا له في المجلس ولا تقبحوا له وجها وما من قوم كانت لهم مشورة فحضر معهم من اسمه احمد او محمد فادخلوه في مشورتهم الا خير لهم وما من مائدة وضعت فحضرها من اسمه احمد او محمد الا قدس في كل يوم ذلك المنزل مرتين وعن انس بن مالك قال كان النبي في السوق فقال رجل يا ابا القسم فالتفت اليه رسول الله فقال الرجل انما ادعو ذاك فقال رسول الله تسموا باسمي ولا تكتنوا بكنيتي وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله لا تجمعوا بين اسمي وكنيتي انا ابو القسم الله يعطي وانا اقسم ثم رخص في ذلك لعلي وابنه وعن علي بن ابي طالب قال قال رسول الله ان ولد لك غلام نحلته اسمي وكنيتي قوله عز وجل **وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزي الشاكرين الاعراب** كتابا نصب على المصدر لفعل محذوف ولعل دليل الكلام مع العلم بان كل ما يكون فقد كتبه الله فمعناه كتب الله ذلك كتابا وقال الاخفش في قوله وما كان لنفس ان تموت مستقل منقول لما دخلت عليه كي غيره وتقديره وما كان نفس لتموت اي لان تموت **المعنى** وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله معناه ما كانت نفس لتموت الا باذن الله ومثله ما كان لله ان يتخذ ولدا اي ما كان الله ليتخذ ولدا وقوله ما كان لكم ان تنبتوا شجرها ومعناه ما كنتم لتنبتوا الشجر لان انبات الشجر لا يدخل تحت قدرة البشر ففي الآية اخبار ان الموت لا يكون الا باذن الله وهذا تسلية عما لحق النفوس بموت النبي من جهة انه باذن الله ومعناه انه ان كان مات فانما الموت بامر الله تعالى وعلمه كغيره من الناس فلا عذر لاحد في ترك دينه بعد موته وقيل ان فيه حضا على الجهاد من حيث لا يموت احد الا باذن الله اي فلا تتركوا الجهاد خشية القتل فان ذلك لا يؤخر اجلا قد حضر ولا يعدم ايضا اجلا لم يحضر فلا معنى للانهزام وقوله باذن الله يحتمل امرين احدهما بعلم الله والآخر بامر الله وقال ابو علي الجبائي فيه دلالة على انه لا يقدر على الموت غير الله كما لا يقدر على ضده من الحيوة غير الله ولو كان من مقدور غيره لم يكن باذن الله وقوله كتابا مؤجلا معناه كتب الله لكل حي اجلا وفناء لحيوته ووقتا لموته لا يتقدم ولا يتأخر وقيل حتما موقتا وحكما لازما مبرما ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها قيل في معناه اقوال احدها ان المراد من عمل للدنيا لم يحرم ما قسمنا له فيها من غير حظ في الآخرة عن ابن اسحق فلا يغتر بحاله في الدنيا وثانيها من اراد بجهاده ثواب الدنيا وهو النصيب من الغنيمة نؤته منها فبين ان حصول الدنيا للانسان ليس بموضع غبطة لانها مبذولة للبر والفاجر عن ابي علي الجبائي وثالثها من يرد بثواب الدنيا بعمل النوافل مع مواقعة الكبائر جوزي بها في الدنيا دون الآخرة لاحباط عمله بفسقه وهذا على مذهب من يقول بالاحباط ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها اي من يرد بالجهاد واعمال ثواب الآخرة نؤته منها فلا ينبغي لاحد ان يطلب بطاعته غير ثواب الله تعالى ومثله قوله من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه الآية وقريب منه قول النبي صلى الله عليه وآله من طلب الدنيا بعمل الآخرة فما له في الآخرة من نصيب ومن في قوله منها يحتمل ان يكون زائدة ويحتمل ان يكون للتبعيض لانه انما يستحق الثواب على قدر العمل وسنجزي الشاكرين اي سنعطيهم جزاء الشكر وفي تكراره قولان احدهما انه للتاكيد والتنبيه على عظم منزلة الشاكر والثاني ان معناه وسنجزي الشاكرين من الرزق في الدنيا لئلا يتوهم ان الشاكر يحرم ما يعطى الكافر من نعيم الدنيا عن ابن اسحق قال ابو علي الجبائي وفي هذه الآية دلالة على ان اجل الانسان انما هو اجل واحد وهو الوقت الذي يموت فيه لانه لا يقتطع بالقتل عن الاجل الذي اخبر الله تعالى بانه اجل لموته وقال ابن الاخشيد لا دليل فيه على ذلك لان للانسان اجلين اجلا يموت فيه لا محالة واجلا هو موهبة من الله تعالى له ومع ذلك فلن يموت الا عند الاجل الذي جعله الله اجلا لموته والاقوى الاول **النظم** اتصل قوله وما كان لنفس

ان تموت الا باذن الله بما قبله لانه حث على الجهاد وقيل لانه تسلية عما لحق النفس من الرجوف بموت النبي صلى الله عليه وآله وقيل للبيان بان حالهم لا يختلف في التكليف بان يموت النبي ع فينبغي ان يتمسك بامره في حيوته وبعد وفاته قوله تعالى **وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين** ثلث آيات **القراءة** قرأ ابن كثير كائن على وزن كاعن وابو جعفر بتليين الهمزة وهو قراءة الحسن والباقون كأين على وزن كعين وقرأ اهل البصرة وابن كثير ونافع قتل بضم القاف بغير الالف وهو قراءة ابن عباس والباقون قاتل بالالف وهو قراءة ابن مسعود **الحجة** اصل كأين اي دخل عليه كاف التشبيه كما دخلت على ذا من كذا وعلى ان من كأن وكثر استعمال الكلمة فصارت لهم ككلمة واحدة فقلبت قلب الكلمة الواحدة فصار كيان فخففت الياء الثانية كما حذفت في كينونة فصار كيأن مثل كيعن ثم ابدل من الياء الالف كما ابدلت من طائي فصار كائن ثم لينت الهمزة على قراءة ابي جعفر قال الشاعر وكائن رددنا عنكم من مدجج امام القوم يردى مقنعا وقال آخر وكائن اليكم قاد من رأس فتنة جنودا امثال الجبال كتائبه وفتحت النار من اي في قول الفرزدق تنظرت نصرا والسماكين ايهما علي من الغيث استهلت مواطره واما قتل فيجوز ان يكون مسندا الى ضمير نبي واذا اسند الى هذا الضمير احتمل قوله معه ربيون امرين احدهما ان يكون صفة لنبي فاذا قدرته هذا التقدير كان قوله ربيون مرتفعا بالظرف بلا خلاف لان الظرف اذا اعتمد على ما قبله جاز ان يرفع على مذهب سيبويه ايضا والآخر ان لا يجعله صفة ولكن حالا من الضمير في قتل والآخر ان يكون الاسم الذي اسند اليه قتل قوله ربيون فيكون على هذا القول قوله معه متعلقا بقتل وعلى القولين الاخيرين اللذين هما الصفة والحال متعلقا في الاصل بمحذوف وكذلك من قرأ قاتل معه فهو على هذه الوجوه فيما جاز في قراءة من قرأ قتل وحجة من قرأ قتل قوله افان مات او قتل وحجة من قرأ قاتل ان المقاتل قد مدح كما مدح المقتول قال مجاهد قاتلوا او قتلوا ومن جعل قوله معه ربيون صفة اضمر للمبتدأ الذي هو كأين خبرا وموضع الكاف الجار في كأين مع المجرور رفع كما ان موضع الكاف في قوله له كذا وكذا رفع ولا معنى للتشبيه فيها كما انه لا معنى للتشبيه في كذا وكذا **اللغة** الوهن الضعف وانما قال وما ضعفوا من حيث ان الوهن انكسار الجد بالخوف ونحوه والضعف نقصان القوة والاستكانة اصلها من الكينة وهي الحالة السيئة يقال فلان بكينة سوء وبحسا اي بحال سوء والاسراف مجاوزة المقدار ونقيضه التقتير ومثل الاسراف مجاوزة الحق الى الباطل بزيادة او نقصان والاول اظهر يقال سرفت الشيء اي نسيته لان مجاوزة الحيرة بالسهو عنه **المعنى** ثم اكد سبحانه ما تقدم بقوله وكأين من نبي اي كم من رسول قاتل اي حارب او قتل معه ربيون ذكرنا تقديره في الحجة وقيل في ربيون اقوال احدها انهم علماء فقهاء صبر عن ابن عباس والحسن وثانيها انهم جموع كثيرة عن مجاهد وقتادة وثالثها انهم منسوبون الى الرب ومعناه المتمسكون بعبادة الله عن الاخفش وقال غيره منسوبون الى علم الرب ورابعها ان الربيون عشرة آلاف عن الزجاج وهو المروي عن ابي جعفر ع وخامسها ان الربيون الاتباع والربانيون الولاة عن ابن زيد ومن اسند الضمير الذي في قتل الى نبي فالمعنى كم من نبي قتل ذلك النبي وكان معه جماعة كثيرة فقاتل اصحابه بعده فما وهنوا وما فتروا ومن اسند قتل الى الربيين دون ضمير نبي فالمعنى ما وهن ما بقي منهم بعد ما قتل كثير منهم في سبيل الله والى هذا ذهب الحسن لانه كان يقول لم يقتل نبي في معركة والى الاول ذهب ابن اسحق وقتادة والربيع والسدي فعلى هذا يكون النبي المقتول والذين معه لم يهنوا بين الله سبحانه انه لو كان قتل النبي صلى الله عليه وآله كما ارجف بذلك يوم احد لما اوجب ذلك ان يضعفوا ويهنوا كما لم يهن من كان مع الانبياء بقتلهم عن المروي عن ابي جعفر ع وقيل معناه فما وهنوا بقتل نبيهم ولا ضعفوا ع

علا وهم وما استكانوا لما اصابهم في الجهاد عن دينهم عن ابن اسحق فادهوا الى ما حسوا عن قتال عدوهم وما ضعفوا
اى ما فتروا وما استكانوا اى ما خضعوا لعدوهم عن الزجاج والله يحب الصابرين في الجهاد قال ابن الانبارى اى فهلا كان
واجبا عليكم ان تقاتلوا على امر نبيكم لو قتل كما قاتل امم الانبياء بعد قتلهم ولم يرجعوا عن دينهم وما كان قولهم عند لقاء
العدو الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا المعنى ما كان قولهم الا الاستغفار يعنى ان قولهم اغفر لنا وقولا ان قالوا اسم
كان وقولهم خبره والضمير يعود الى النبى ومن معه على احد القولين والى الربانيين في القول الآخر وقوله اغفر لنا
ذنوبنا اى استرها علينا بترك عقابنا ومجازاتنا عليها واسرافنا في امرنا اى تجاوزنا الحد وتفريطنا وتقصيرنا رغب الله
سبحانه اصحاب الرسول عليه السلم في ان يقولوا هذا القول ولا يقولوا قولا يدل على الضعف فيطمع الاعداء بينهم وثبت
اقدامنا في جهاد عدونا بتقوية القلوب وفعل الالطاف التى معها تثبت الاقدام فلا تزول للانهزام وقيل معناه ثبتنا
على الدين فيثبت به اقدامنا وانصرنا واعنا على القوم الكافرين بالقاء الرعب في قلوبهم وامدادنا بالملائكة
ثم بين سبحانه ما آتاهم عقيب دعائهم فقال فآتاهم الله يعنى الذين وصفهم اعطاهم الله ثواب الدنيا وهو نصرهم
على عدوهم حتى ظفروا بهم وقهروهم وغلبوهم ونالوا منهم الغنيمة وحسن ثواب الآخرة وهو الجنة والمغفرة ويجوز ان يكون
ما آتاهم في الدنيا من الظفر والفتح والنصر واخذ الغنيمة ثوابا يستحقونه على طاعاتهم لان في ذلك التعظيم لهم
على طاعاتهم لان في ذلك التعظيم لهم والاجلال ولذلك نقول ان المدح على فعل الطاعة والتسمية بالاسماء
الشريفة بعض الثواب ويجوز ان يكون الله سبحانه اعطاهم ذلك تفضلا منه تعالى او لما لهم فيه من اللطف فيكون
تسميته بانه ثواب مجازا لان حقيقة الثواب هو النفع المستحق المقارن للتعظيم والتبجيل والله يحب المحسنين في
اقوالهم وافعالهم والمحسن فاعل الحسن وقيل المحسن الذى يحسن الى نفسه بطاعة ربه وقيل الذى يحسن الى غيره
قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين بل الله مولاكم وهو
خير الناصرين آيتان اللغة الطاعة موافقة الارادة المرغبة في الفعل بالترغيب فيصل من الاجابة وان كانت موافقة
الارادة حاصلة ومن الناس من قال الطاعة هى موافقة الامر والاول اصح لان من فعل ما يقتضى العقل وجوبه
او حسنه كان مطيعا لله وان لم يكن هناك امر الاعراب يردوكم جزم لانه جواب الشرط فتنقلبوا عطف عليه وخاسرين
نصب على الحال وبل حقيقته الاضراب عن الاول الى الثانى النزول قيل نزلت في المنافقين اذ قالوا للمؤمنين يوم احد
عند الهزيمة ارجعوا الى اخوانكم وارجعوا الى دينكم عن على عم وقيل هم اليهود والنصارى عن الحسن وابن جريج المعنى
ثم امر سبحانه بترك الاستماع لمن يثبطهم عن الجهاد من الكفار فقال يا ايها الذين آمنوا اى صدقوا الله ورسوله ان تطيعوا
الذين كفروا اى ان اصغيتم الى قول اليهود والمنافقين ان محمدا قتل فارجعوا الى عشائركم يردوكم على اعقابكم
اى يرجعوكم كفارا كما كنتم فتنقلبوا اى ترجعوا خاسرين لانفسكم فلا خسران اعظم من ان يبدلوا الكفر بالايمان والنار
بالجنة بل الله مولاكم اى هو اولى بان تطيعوه وهو اولى بنصرتكم وهو خير الناصرين وانما قال ذلك وان كان
نصر غيره لا يعتد به مع نصره استظهارا في الحجة اى ان اعتد بنصر غيره فهو خير ناصر لانه لا يجوز ان يغلب وغيره يجوز
ان يغلب وان نصر فهو الناصر في الحقيقة ان شاء امدكم باهل السماء وان شاء امدكم باهل الارض وان شاء
نصركم بالقاء الرعب في قلوب اعدائكم قوله عز وجل سنلقى في قلوب الذين كفروا الرعب بما اشركوا بالله ما لم ينزل
به سلطانا ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين آية القراءة قرا ابن عامر وابو جعفر والكسائى ويعقوب
وابو حاتم الرعب بضمتين والآخرون بتسكين العين وقد تقدم القول في مثله اللغة السلطان معناه هنا
الحجة والبرهان واصل الباب القوة فسلطان الملك قوته والسلطان البرهان لقوته على دفع الباطل والتسلط
على الشىء التقوى عليه مع الاغراء به والسلاطة حدة اللسان مع شدة الصخب للقوة على ذلك مع ايثار فعله التسلط

الرتب لقوة استعماله بحدته والالقاء اصله في الاعيان يدل عليه قوله والقى الالواح فالقوا حبالهم ثم استعمل في غير
عين اتساعا اذ ليس الرعب بعين وكذلك قوله والقيت عليك محبة منى ومثل الالقاء في ذلك الرمى قال سبحانه
والذين يرمون ازواجهم اى بالزنا فهذا اتساع لانه ليس بعين وكذلك قوله وماني بامر كنت منه ووالدى بريا ومن اجل
الطوى رمانى والمثوى المنزل واصله من الثواء وهو طول الاقامة ومنه المثوى له البيت والثوى الضعيف لانه مقيم
مع القوم النزول قال السدى لما ارتحل ابو سفيان والمشركون يوم احد متوجهين الى مكة قالوا بئس ما صنعنا قتلناهم
حتى اذا لم يبق منهم الا الشريد تركناهم ارجعوا فاستأصلوهم فلما عزموا على ذلك القى الله في قلوبهم الرعب حتى رجعوا
عما هموا به وسيأتى هذه القصة فيما بعد فنزلت الآية المعنى ثم بين سبحانه ان من جملة نصرة المؤمنين القاء الرعب في
قلوب المشركين فقال سنلقى اى سنقذف في قلوب الذين كفروا الرعب اى الخوف بما اشركوا بالله اى بشركهم
بالله وقولهم عليه ما لا يجوز من الند والشريك ما لم ينزل به سلطانا اى برهانا وحجة يعنى لم يجعل لهم في ذلك حجة
ومأواهم اى مستقرهم النار يعذبون فيها وبئس مثوى الظالمين معناه وبئس مقام الظالمين النار وروى ان الكفار
دخلوا مكة كالمنهزمين مخافة ان يكون لرسول الله صلى الله عليه وآله واصحابه الكرة عليهم وقال رسول الله صلى الله عليه وآله
واصحابه الكرة عليهم وقال رسول الله نصرت بالرعب مسيرة شهر قوله عز وجل ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم
باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من
يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين آية اللغة الحس القتل على وجه
الاستيصال واصله من الاحساس ومنه هل تحس منهم من احد سمى القتل حسا لانه يبطل الحس بالقتل
الحس الاعراب صدق يتعدى الى مفعولين وجواب اذا في قوله حتى اذا فشلتم قيل فيه وجهان احدهما انه
محذوف وتقديره حتى اذا فشلتم امتحنتم والثانى انه على زيادة الواو والتقديم والتأخير وتقديره حتى
اذا تنازعتم في الامر فشلتم عن الفراء قال وهذا كقوله فلما اسلما وتله للجبين وناديناه معناه ناديناه فالواو زائدة
حتى اذا جاؤها وفتحت وانشد حتى اذا امتلأت بطونكم ورأيتم ابناءكم شبوا وقلبتم ظهر المجن لنا ان اللئيم العاجز الخب
والبصريون لا يجيزون هذا وتأولون جميع ما استشهد به على الحذف لانه ابلغ في الكلام واحسن النزول ذكر
ابن عباس والبراء بن عازب والحسن وقتادة ان الوعد المذكور في الآية كان يوم احد لان المسلمين كانوا
يقتلون المشركين حتى اخل الرماة بمكانهم الذى امرهم الرسول بالمقام عنده فاتاهم خالد بن الوليد من ورائهم وقتل عبد الله
بن جبير ومن معه وتراجع المشركون وقتل من المسلمين سبعون رجلا ونادى مناد قتل محمد ثم من الله على المسلمين
فرجعوا وفي ذلك نزلت الآية المعنى ثم بين سبحانه انه صدقهم وعده فقال ولقد صدقكم الله وعده معناه وفى
لكم بما وعدكم من النصر على عدوكم في قوله بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم الآية وقيل كان
الوعد قول رسول الله للرماة لا تبرحوا هذا المكان فانا لا نزال غالبين ما ثبتم في مكانكم اذ تحسونهم اى تقتلونهم
باذنه اى بعلمه وقيل بلطفه لان اصل الاذن هو الاطلاق في الفعل واللطف تيسير الفعل كما ان الاذن كذلك
فحسن اجراؤه اسما عليه حتى اذا فشلتم معناه جبنتم عن عدوكم وضعفتم وتنازعتم في الامر اى اختلفتم وعصيتم امر نبيكم
في حفظ المكان من بعد ما اراكم ما تحبون من النصرة على الكفار وهزيمتهم والظفر بهم والغنيمة وكسر المشركين على
ان المراد بالجميع يوم احد وقال ابو على الجبائى معناه اذ تحسونهم يوم بدر حتى اذا فشلتم يوم احد وتنازعتم وعصيتم
يوم احد من بعد ما اراكم ما تحبون يوم بدر والاولى ان يكون حكاية عن يوم احد على ما بيناه وجواب اذا هنا
محذوف ويدل عليه الكلام وتقديره حتى اذا فشلتم ذلك ابتلاكم وامتحنكم ورفع النصرة منكم من يريد الدنيا
يعنى الغنيمة هم الذين اخلوا المكان الذى رتبهم النبى فيه وامرهم بلزومه ومنكم من يريد الآخرة اراد عبد الله بن جبير

ومن يثبت مكانه اي نقصد بجهاده الى ما عند الله عز وجل وروى عن ابن مسعود قال ما كنت ادرى ان احدا
من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يريد الدنيا حتى نزلت هذه الآية فينا يوم احد ثم صرفكم عنهم فقد ذكر في اضافته الفعل
الى الله سبحانه وجوه احدها انهم كانوا فريقين منهم من عصى بانصرافه ومنهم من لم يعص لانهم قلوا بعد انهزام تلك الفرقة
فانصرفوا باذن الله لئلا يقتلوا ولان الله تعالى اوجب ثبات المائة للمائتين فاذا نقصوا لا يجب عليهم ذلك فجاز
ان يذكر الله سبحانه الفريقين بانه صرفهم وعفا عنهم يعني صرف بعضهم وعفا عن بعض عن الجبائي وثانيها ان معناه
دفع النصرة عنكم ووكلكم الى انفسكم لخلافكم للنبي عليه السلام فانهزمتم عن جعفر بن حرب وثالثها ان معناه لم يأمركم
بمعاودتهم من فورهم ليبتليكم بالمظاهرة في الانعام عليكم والتخفيف عنكم عن البلخي وقوله ليبتليكم معناه ليختبركم
اي يعاملكم معاملة المختبر مظاهرة في العدل وذلك انه سبحانه انما يجازي عباده على ما يعملونه دون ما يعلمه
منهم وقد عفا عنكم اي صفح عنكم بعد ان خالفتم امر الرسول وقيل عفا عنكم بتتبعهم بعد ان امركم بالتتبع لهم عن
البلخي قال انما يعود جزاء الاسد عفا عنهم من ذلك وقال ابو علي الجبائي هو خاص لمن لم يعص بانصرافه والاولى
ان يكون عاما في الجميع فانه لا يمتنع ان يكون الله سبحانه قد عفا لهم عن المعصية والله ذو فضل على المؤمنين اي ذو نعم
عليهم بنعم الدنيا والدين وقيل بغفران ذنوبهم وقيل بان لا يستأصلهم كما فعل بمن كان قبلهم وروى الواحدي
باسناده عن سهل بن سعد الساعدي قال جرح رسول الله يوم احد وكسرت رباعيته وهشمت البيضة على رأسه
وكانت فاطمة بنته تغسل عنه الدم وعلي بن ابي طالب يسكب عليها فما زاد الرمثة الجراح فاستمسك الدم قوله عز وجل

إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ
وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَىٰ طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ
يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ
لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ
مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ آيتان

القراءة قرأ اهل الكوفة غير عاصم تغشى طائفة بالتاء والباقون يغشى بالياء وقرأ اهل البصرة كله بالرفع والباقون بالنصب
الحجة قال ابو علي من قرأ يغشى بالياء فلقوله اذ يغشيكم النعاس امنة فالنعاس هو الغاشي ولان يغشى اقرب الى النعاس
فاسناد الفعل اليه اولى ويقال غشيني النعاس وغلب علي النعاس ولا يكاد يقال غشيني الامنة وحجة من قرأ بالتاء
ان النعاس وان كان بدلا من الامنة فليس المبدل منه في طريق ما يسقط من الكلام يدلك على ذلك قولهم
الذي مررت به زيد ابو عبد الله وقال وكان مخي المراة كانه ما حاجبيه معين بسواد فجعل الخبر على الذي ابدل منه
وحجة من نصب كله انه بمنزلة اجمعين في انه للاحاطة والعموم فالوجه ان لا يلي العوامل كما لا يليها اجمعون وحجة ابي عمرو في رفعه
كله وابتدائه به انه وان كان في اكثر الامر بمنزلة اجمعين لعمومها فقد ابتدئ بها كما ابتدئ بسائر الاسماء نحو قوله وكلهم
آتيه يوم القيامة فردا فابتدئ به في الآية اللغة الفرق بين الاصعاد والصعود ان الاصعاد في مستوى من الارض والصعود
في ارتفاع يقال صعد ناس مكة اذا ابتدأنا السفر منها ومنه قول الشاعر هواي مع الركب اليمانين مصعد جنيب
وجثماني بمكة موثق وروي عن الحسن انه قرأ تصعدون بفتح الياء والعين وقال انهم صعدوا في الجبل فرارا وقال الفراء
الاصعاد الابتداء في كل سفر والانحدار الرجوع عنه ولا تلوون اي لا تعرجون على احد كما يفعل المنهزم ولا يذكر هذا
الا في النفي ولا يقال لويت على كذا والنعاس الوسن وناقة نعوس توصف بالسماح في الدر الاعراب قوله اذ تصعدون
العامل في اذ قوله ولقد عفا عنكم واللام في قوله لكيلا تحزنوا يتعلق بأثابكم وقيل يتعلق بقوله فاثابكم ولا تحزنوا
منصوب بكي وامنة مفعول انزل ونعاسا بدل منها وطائفة الاولى مفعول يغشى وطائفة الثانية مرفوع بالابتداء وخبرها

يظنون وقد اهمتهم انفسهم في موضع رفع بالصفة ويجوز ان يكون قد اهمتهم انفسهم خبرا والواو في وطائفة واو
الحال على تقدير ويغشى النعاس طائفة في حال ما اهمت طائفة منهم انفسهم والجملة في موضع الحال ويجوز النصب
على ان يجعل الواو واو العطف كما تقول ضربت زيدا وعمرو اكرمته فيكون منصوبا على اضمار فعل الذي قد ظهر تفسيره
المعنى ثم ذكر سبحانه المنهزمين من اصحاب الرسول صلى الله عليه وآله يوم احد فقال اذ تصعدون ومعناه ولقد عفا
عنكم اذ تصعدون في وادي احد للانهزام او فرارا من العدو عن قتادة والربيع ولا تلوون على احد اي لا تقيمون
على من خلفكم في الحرب ولا تلتفتون اليهم ولا يقف احد منكم على احد والرسول يعني محمدا يدعوكم في اخراكم اي
يناديكم من ورائكم فيقول ارجعوا الى عباد الله ارجعوا انا رسول الله يقال جاء فلان في آخر الناس واخرة الناس
واخرى الناس اذا جاء خلفهم فاثابكم غما بغم اختلف فيه على اقوال احدها ان معناه جعل مكان ما ترجون من
الثواب ان غمكم بالهزيمة وظفر المشركين بكم بغمكم رسول الله اذ عصيتموه وضيعتم ما صنعتم امره فالغم الاول
لهم والثاني للنبي صلى الله عليه وآله واختاره الزجاج وثانيها ان معناه غما على غم او غما مع غم كما يقال نزلت
ببني فلان وعلى فلان حتى فعل كذا ويقال ما زلت تريد حتى مع ذلك واراد به كثرة الغم بالندم على ما فعلوا او بما
اصابهم من الشدائد وانهم لا يدرون ما استحقوا به من عقاب الله تعالى وثالثها ان الغم الاول القتل
والجراح والثاني الارجاف بقتل نبيهم عن قتادة والربيع ورابعها انما اثابكم غما يوم احد بغم الحقتموه المشركين
يوم بدر عن الحسن وفي هذا القول نظر لان ما الحقوا المشركين من الغم يوم بدر من جهة المسلمين انما يوجب المجازاة
بالكرامة دون الغم وخامسها ان المراد غم المشركين بما ظهر من قوة المسلمين على طلبهم وخروجهم الى حمراء الاسد
فجعل هذا الغم عوضا عن غم المسلمين بما نيل منهم عن الحسين بن علي المغربي وانما قيل في الغم ثواب لان اصله
ما يرجع الى المجازاة على الفعل طاعة كانت او معصية ثم كثر في جزاء الطاعة فهو كما قال الشاعر وان ابي حربا
فاثوى هم طرب الواله او كالمختبل وقيل انما وضع مكان غيره كقوله سبحانه فبشرهم بعذاب اليم اي ضعه موضع البشارة
فهو كما قال الشاعر اخاف زيادا ان يكون عطاؤه اداهم سودا او محدرجة سمرا لكيلا تحزنوا على ما فاتكم
ولا ما اصابكم معناه فعل بكم هذا الغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم من الغنيمة ولا تركوا امر النبي صلى الله عليه وآله ولكيلا
تحزنوا ايضا على ما اصابكم من الشدائد في سبيل الله وليكون غمكم ان خالفتم النبي صلى الله عليه وآله فقط وتقديره لشغلكم
حزنكم على سوء ما صنعتم عن الحزن على غيره وقيل معناه لقد عفا عنكم لكي لا تحزنوا على ما فاتكم فان عفو الله
تعالى يذهب كل حزن والله خبير بما تعملون فيه ترغيب في الطاعة وترهيب عن المعصية ثم ذكر سبحانه ما انعم به
عليهم بعد ذلك حتى تراجعوا واقبلوا يعتذرون الى رسول الله صلى الله عليه وآله فانزل النعاس عليهم في تلك الحال حتى
كانوا يسقطون على الارض وكان المنافقون لا يستقرون قد طارت عقولهم فقال ثم انزل عليكم من بعد الغم
امنة نعاسا لعطا الى الوسع ومعناه ثم وهب الله لكم ايها المؤمنون من بعد ما نالكم يوم احد من الغم امنة
يعني امنا نعاسا اي نوما وهو بدل الاشتمال عن الامنة لان النوم يشتمل على الامن فان الخائف لا ينام ثم
بين سبحانه ان تلك الامنة لم تكن عامة بل كانت لاهل الاخلاص وهي لاهل النفاق بالخوف والسهر فقال يغشى طائفة
منكم يعني المؤمنين الذين عليهم النوم وكان السبب في ذلك توعد المشركين لهم بالرجوع الى القتال فقعد المسلمون
تحت الحجف متهيئين للحرب فانزل الله الامنة على المؤمنين فناموا دون المنافقين الذين ازعجهم الخوف بان يرجع
الكفار عليهم او يغيروا على المدينة لسوء الظن فطار عنهم النوم عن ابن اسحق وابن زيد وقتادة والربيع وطائفة
قد اهمتهم انفسهم اي جماعة شغلتهم انفسهم وقيل حملتهم على الهم ومنه قول العرب همك ما اهمك معناه كان همهم
خلاص انفسهم والعرب تطلق هذا اللفظ على كل خائف وجل شغله هم نفسه عن غيره يظنون بالله غير الحق ظن

الجاهلية اي يتوهمون ان الله لا ينصر محمدا واصحابه كظنهم في الجاهلية كظن اهل الجاهلية وهم الكفار المكذبون
بوعد الله ووعيده وكان كظن المنافقين كظنهم وقيل ظنهم ما ذكر بعده من قوله يقولون هل لنا من الامر من شيء
فهذا تفسير ظنهم يعني يقول بعضهم لبعض هل لنا من النصر والفتح والظفر نصيب قالوا ذلك على سبيل التعجب والانكار
اي الطمع ان يكون لنا الغلبة على هؤلاء اي ليس لنا من ذلك شيء وقيل معناه انا اخرجنا كرها ولو كان الامر
الينا ما خرجنا عن الحسن وكان هذا القائل عبد الله بن ابي ومعتب بن قشير واصحابهما عن الزبير بن العوام
وابن جريج قل يا محمد ان الامر كله لله ينصر من يشاء ويخذل من يشاء لا خاذل لمن نصره ولا ناصر لمن خذله وربما عجل النصر وربما
اخره لضرب من الحكمة ولا يكون ما وعده خلف والمراد بالامر في الموضعين النصر يخفون في انفسهم ما لا يبدون
لك اي يخفون في انفسهم الشك والنفاق وما لا يستطيعون اظهاره لك يقولون لو كان لنا من الامر شيء ما
قتلنا هاهنا اي ما قتل اصحابنا شكا منهم فيما وعد الله نبيه من الاستعلاء على اهل
الشرك ويكذب ما سال يا محمد لهم في جواب ذلك لو كنتم في بيوتكم ومنازلكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى
مضاجعهم قيل فيه قولان احدهما ان معناه لو لزمتم منازلكم ايها المنافقون والمرتابون وتخلفتم عن القتال
لخرج الى البراز المؤمنون الذين فرض عليهم القتال صابرين محتسبين فيقتلون ويقتلون ولو تخلفتم
عن القتال لما تخلف المؤمنون والثاني ان معناه لو كنتم في منازلكم لخرج الذين كتب عليهم القتل اي اجالهم
وموتهم وقتلهم في اللوح المحفوظ في ذلك الوقت الى مصارعهم وذلك ان ما علم الله تعالى كونه فانه يكون كما علمه
لا محالة وليس في ذلك ان المؤمنين غير قادرين على ترك القتال من حيث علم الله تعالى ذلك منهم وكتبه كما علم
انهم لا يختارون ذلك مع انهم قادرون ولو وجب ذلك لوجب ان لا يكون تعالى قادرا على ما علم انه لا يفعله
وليبتلي الله ما في صدوركم اي ليختبر الله ما في صدوركم باعمالكم لانه قد علمه غيبا فيعلمه شهادة
لان المجازاة انما تقع على ما علم مشاهدة لا على ما هو معلوم منهم غير معمول عن الزجاج وقيل معناه ليعاملكم
معاملة المبتلين مظاهرة في العدل عليكم وقيل انه عطف على قوله ثم صرفكم عنهم ليبتليكم وليبتلي ما في
صدوركم وليمحص ما في قلوبكم اي ليخلص مثل هذا خطاب للمنافقين اي يامركم بالخروج فلا تخرجون
فيظهر للمسلمين معاداتكم لهم وينكشف اسراركم فلا يعدكم المسلمون من جملتهم وقيل معناه وليبتلي اولياء الله
ما في صدوركم كما في قوله الذين يحادون الله ورسوله ويؤذون الله ورسوله وقيل انه عطف على قوله امنة
نعاسا اي لينام عند هذه الاحوال موافقة باطنكم ظاهركم وليمحص ما في قلوبكم اي يطهرها من الشك بما يريكم
من عجايب صنعه وعلمه بنياتكم وهذا التمحيص خاص للمؤمنين دون المنافقين والله عليم بذات الصدور
ومعناه ان الله لا يبتليكم ليعلم ما في صدوركم فانه عليم بذلك وانما ابتلاكم ليظهر اسراركم فيقع الجزاء على
ما ظهر قوله عز وجل ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله
عنهم ان الله غفور رحيم آية المعنى ثم ذكر تعالى الذين انهزموا يوم احد ايضا فقال ان الذين تولوا منكم اي
الذين ولوا الدبر عن المشركين يا جماعة المسلمين عن قتادة والربيع وقيل هم الذين هربوا الى المدينة
وقت الهزيمة عن السدي يوم التقى الجمعان جمع المسلمين ورئيسهم رسول الله صلى الله عليه وآله وجمع المشركين
ورئيسهم ابو سفيان انما استزلهم الشيطان اي طلب زلتهم عن النبي وقيل ازل واستزل بمعنى ببعض ما كسبوا
من معاصيهم السالفة فلحقهم شؤمها وقيل استزلهم بمحبتهم الغنيمة مع حرصهم على تبقية الحيوة عن الجبائي فمنعهم
ذلك الرجوع عما يؤدي الى الثبوت فيما لزم من الامور وقيل استزلهم بذكر خطايا سلفت لهم فكرهوا القتل
قبل اخلاص التوبة منها والخروج من المظلمة فيها عن الزجاج ولقد عفا الله عنهم اعاد سبحانه ذكر العفو تاكيدا

المذنبين في العفو ويتعالى عن الناس ويحتمل المؤمنين ان الله غفور حليم قد تقدم معناه وذكر ابو القسم البلخي انه
لم يبق مع النبي صلى الله عليه وآله الا ثلثة عشر نفسا خمسة من المهاجرين وثمانية من الانصار فاما المهاجرون فعلي وابو بكر وطلحة
وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابي وقاص وقد اختلف في الجميع الا في علي وطلحة وقد روي عن عمر بن الخطاب انه قال رايتني
اصعد في الجبل كاني اروى ولم يرجع عثمن من الهزيمة الا بعد ثلث فقال النبي ع لقد ذهبت فيها عريضة قوله عز وجل يا ايها
الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا في الارض او كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا
ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم والله يحيي ويميت والله بما تعملون بصير ولئن قتلتم في سبيل الله او متم لمغفرة
من الله ورحمة خير مما يجمعون ولئن متم او قتلتم لالى الله تحشرون ثلث آيات القراءة قرا ابن كثير واهل الكوفة غير عاصم
بما يعملون بالياء والباقون بالتاء وقرا نافع واهل الكوفة غير عاصم متم بالكسر ووافقهم حفص في ساير المواضع الا هاهنا
والباقون يجمعون بالياء الحجة قال ابو علي حجة من قرا بالتاء قوله لا تكونوا كالذين كفروا وحجة من قرا بالياء ان قبلها
اسم غيبة وهو قوله وقالوا لاخوانهم وما بعده فحمل الكلام على الغيبة والاشهر الافصح في متم ضم الميم والكسر شاذ
في القياس ونحوه ما شذ فضل يفضل في الصحيح وانشدوا ذكرت ابن عباس بباب ابن عامر وما مر من عمري ذكرت وما
فضل واما يجمعون بالتاء فالمعنى على يجمعون ايها المقتولون في سبيل الله او المايتون ومعنى الياء انه لمغفرة من الله خير مما يجمعه
غيركم اللغة الضرب في الارض السير فيه واصل الضرب باليد وقيل هو الايقاع وغزى جمع غاز نحو ضارب وضرب وطالب
وطلب الاعراب قوله وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا في الارض وضع اذا موضع اذ لاحد امرين اما لانه متصل بلا تكونوا
كهؤلاء اذا ضرب اخوانهم في الارض واما لان الذي اذا كان مبهما غير موقت يجري مجرى ما الجزاء فيقع الماضي فيه موقع المستقبل
نحو ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله معناه يكفرون ويصدون ويجوز لاكرمن الذي اكرمك اذا زرته لابهام الذي
ولا يجوز لاكرمن هذا الذي اكرمك اذا زرته لتوقيت الذي من اجل الاشارة اليه بهذا وقوله ليجعل الله ذلك اللام فيه
يتعلق بلا تكونوا اي لا تكونوا كهؤلاء الكفار في هذا القول فيجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم دونكم وقيل انه متعلق
بقوله قالوا لاخوانهم فيكون لام العاقبة عن ابي علي الجبائي وقوله لئن قتلتم استغنى عن جواب الجزاء بجواب القسم في قوله
لمغفرة من الله ورحمة خير وقد اجتمع شيئان كل واحد منهما يحتاج الى جواب فكان القسم اولى بالذكر لان له صدر
الكلام مما يذكر في حشوه واللام في قوله لئن متم يحتمل امرين احدهما ان يكون خلفا من القسم ويكون اللام في نحو قوله
لالى الله جوابا كقولك والله لئن متم او قتلتم لتحشرون الى الله والثاني ان يكون مؤكدة لما بعدها كما يؤكد ان ما بعدها
ويكون الثاني جوابا لقسم محذوف والنون لا بد منها في فعل المضارع مع لام القسم لان القسم احق بالتاكيد من كل ما يدخله
النون من جهة ان ذكر القسم دليل على انه من مواضع التاكيد فاذا جازت في غيره من الامر والنهي والاستفهام
والعرض والجزاء مع ما الزيدت في القسم لانها احق بها من غيره والفرق بين لام القسم ولام الابتداء ان لام الابتداء انما
الاسم اليه فلا يعمل فيه ما قبلها نحو قد علمت لزيد خير منك وقد علمت ان زيدا لقوم وليس كذلك لام القسم لانها لا تدخل
على الاسم ولا يكسر لها ان نحو قد علمت ان زيدا ليقومن ويلزمها النون في المستقبل المعنى ثم نهى سبحانه المؤمنين عن الاقتداء
بالمنافقين في افعالهم واقوالهم فقال يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا اي يريد عبد الله بن ابي سلول واصحابه من المنافقين
عن السدي ومجاهد وقيل هو عام وقالوا لاخوانهم من اهل النفاق اذا ضربوا في الارض اي سافروا فيها للتجارة او طلب معاش
فماتوا عن السدي وابن اسحق وانما خص الارض بالذكر لان اكثر اسفارهم كان في البر وقيل الكناية بذكر البر عن ذكر البحر كقوله سرابيل
تقيكم الحر وقيل لان الارض يشتمل على البر والبحر او كانوا غزى اي غزاة محاربين للعدو فقتلوا لو كانوا مقيمين عندنا ما ماتوا
وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم معناه هذا القول ليثبطوا المؤمنين عن الجهاد فلم ينقل المؤمنون ذلك وخرجوا الى
ونالوا الغزو والغنيمة فصار حسرة في قلوبهم فاللام على هذا في ليجعل لام العاقبة وقيل معناه ولا تكونوا كهؤلاء الكفار في هذه المقالة

سبيلا لتزايد الحسرة والحزن في قلوبهم لما يحصل لهم من الخيبة فيما املوا من الموافقة ولما فاتهم من عز الظفر والغنيمة والله
يحيي ويميت اي هو الذي يحيي ويميت في الحضر والسفر عند حضور الاجل لا مؤخر لما قدم ولا مقدم لما اخر ولا راد لما قضى ولا محيص
عما قدر وهذا يتضمن منع الناس عن التخلف عن الجهاد خشية القتل فان الاحياء والاماتة بالله سبحانه فلا حيوة لمن قدر الله
موته ولا موت لمن قدر حيوته والله بما تعملون بصير اي مبصر وقيل عليم وهذا يتضمن الترغيب في الطاعة والترهيب عن المعصية
ثم حث الله سبحانه على الجهاد وبين ان الشهادة خير من اموال الدنيا المستفادة بان قال ولئن قتلتم ايها المؤمنون في سبيل الله
اي في الجهاد او متم قاصدين من مجاهدة الكفار استوجبتم مغفرة الله ورحمته والمغفرة الصفح عن الذنب والرحمة
الثواب والجنة وهاتان خير مما تجمعون من الاموال والمقاصد الدنيوية وهذا يتضمن تعزية المؤمنين وتسليتهم عن
ما اصابهم في سبيل الله وفيه تقوية لقلوبهم وتهوين للموت عليهم ثم قال ولئن متم او قتلتم لالى الله تحشرون اي
سواء متم او قتلتم فان مرجعكم الى الله تعالى فيجزي كلا منكم بما يستحقه المحسن على احسانه والمسيء على اساءته فاثروا ما
يقربكم منه ويوجب لكم رضاه من العمل بطاعته والجهاد في سبيله ولا تركنوا الى الدنيا وفي هذا المعنى البيت الذي ينسب
الى الحسين ع فان يكن الابدان للموت انشئت فقتل امرئ في الله بالسيف افضل سؤال ان قيل كيف عادل بين مغفرة الله ورحمته
وبين حطام الدنيا مع تفاوت ما بينهما ولا يقول احد الدرة خير من البعرة فجوابه ان الناس يؤثرون الدنيا على الاخرة حتى
انهم يكرهون الجهاد في سبيل الله محبة للاستكثار من الدنيا وايثار المقام فيها فعلى هذا جاز ذلك قوله عز وجل فبما رحمة
من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر فاذا عزمت
فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين آية اللغة الفظ الجافي القاسي القلب يقال منه فظظت تفظ فظاظة وفظظت
فظا على وزن فعل لانه ادغم كصب والفظاظة خشونة الكلام والافتظاظ شرب ماء الكرش لجفائه على الطباع فان اصل
الفظاظة الجفوة والفظ ماء الكرش والفض بالضاد تفريق الشيء والانفضاض التفرق وشاورت الرجل مشاورة وشوارا
والاسم المشورة وقيل المشورة وفلان حسن الشورة والصورة اي الهيئة واللباس وانه لصير شير وهو حسن الشارة ومعنى
قولهم شاورت فلانا اظهرت في الراي ما عندي وما عنده وشرت الدابة اشورها اذا امتحنتها فعرفت هيئتها في سيرها وشرت العسل
واشرته اذا اخذته من مواضع النحل وعسل مشور ومشار قال الاعشى كان القرنفل والزنجبيل باتا بفيها واريا مشورا وقال
عدي بن زيد وغناء باذن الشيخ له وحديث مثل ماذي مشار والعزم عقد القلب على الشيء تريد ان تفعله والعزيمة كذلك
قال ابن دريد يقال عزمت عليك بمعنى اقسمت عليك والتوكل اظهار العجز والاعتماد على الغير والتوكل على الله هو تفويض
الامر اليه والثقة بحسن تدبيره واصله الاتكال وهو الاكتفاء في فعل ما يحتاج اليه بمن يسند اليه ومنها الوكالة لانها عقد على
الكفاية بالنيابة والوكيل هو المتكل عليه بتفويض الامر اليه الاعراب فبما رحمة ما زائدة باجماع المفسرين ومثله عما قليل جاءت
ما مؤكدة للكلام ودخولها لحسن النظم كدخولها لاتزان الشعر في قول عنترة يا شاة ما قنص لمن حلت له حرمت علي وليتها
لم تحرم وقول الفرزدق نادبت انك ان نجوت فبعد ما تلقى وقد نظرت اليك شعوب وذلك لتمكين المعنى في النفس وجرى مجرى
التكرير المعنى ثم بين سبحانه ان مساهلة النبي اياهم ومجاوزته عنهم من رحمته سبحانه حيث جعله لين العطف حسن الخلق فقال
فبما رحمة اي برحمة من الله لنت لهم ومعناه ان لينك لهم مما يوجب دخولهم في الدين لانك تاتيهم مع سماحة اخلاقك وكرم سجيتك
بالحجج والبراهين ولو كنت يا محمد فظا اي جافيا سيء الخلق غليظ القلب اي قاسي الفؤاد غير ذي رحمة ولا رافة لانفضوا من حولك
اي لتفرق اصحابك عنك ونفروا منك وسئل عما جمع بين الفظاظة والغلظة وان كانتا متقاربتين لان الفظاظة في الكلام
فنفى الجفاء عن لسانه والقسوة عن قلبه فاعف عنهم ما بينك وبينهم واستغفر لهم ما بينهم وبيني وقيل معناه فاعف عنهم فرارهم
باحد واستغفر لهم من ذلك الذنب وشاورهم في الامر اي استخرج اراءهم واعلم ما عندهم واختلفوا في فائدة مشاورته اياهم مع استغنائه
بالوحي عن تعرف صواب الراي من العباد على اقوال احدها ان ذلك على وجه التطييب لنفوسهم والتالف لهم والرفع من اقدارهم

لسنا انهم ممن يوثق باقوالهم فيرجع الى ارائهم عن قتادة والربيع وابن اسحق وثانيها ان ذلك ليقتدى به امته في المشاورة
ولا يرونها نقيصة كما مدحوا بان امرهم شورى بينهم عن سفين بن عيينة وثالثها ان ذلك للامرين لاجلال اصحابه وليقتدي امته
به في ذلك عن الحسن والضحاك ورابعها ان ذلك ليمتحنهم بالمشاورة ليتميز الناصح من الغاش وخامسها ان ذلك في امور
الدنيا ومكايد الحرب ولقاء العدو وفي مثل ذلك يجوز ان يستعين بارائهم عن ابي علي الجبائي فاذا عزمت اي اذا عقدت قلبك على
الفعل وامضائه وروي عن جعفر بن محمد وعن جابر بن يزيد فاذا عزمت بالضم فعلى هذا يكون معناه فاذا عزمت لك ووفقتك
وارشدتك فتوكل على الله اي فاعتمد على الله وثق به وفوض امرك اليه ان الله يحب المتوكلين يعني الواثقين به والمعتمدين
عليه المنقطعين اليه الواكلين امورهم الى لطفه وتدبيره وفي هذه الاية دلالة على اختصاص نبينا صلى الله عليه واله بمكارم
الاخلاق ومحاسن الافعال ومن عجيب امره ص انه كان اجمع الناس لدواعي الترفع ثم كان ادناهم الى التواضع وذلك انه
كان اوسط الناس نسبا واوفرهم حسبا واسخاهم واشجعهم وازكاهم وافصحهم وهذه كلها من دواعي الترفع ثم كان من تواضعه
انه كان يرقع الثوب ويخصف النعل ويركب الحمار ويعلف الناضح ويجيب دعوة المملوك ويجلس بالارض ويأكل على الارض
وكان يدعو الى الله من غير زبر ولا كهر ولا زجر ولقد احسن من مدحه في قوله فما حملت من ناقة فوق ظهرها ابر واوفى
ذمة من محمد وفي الاية ترغيب للمؤمنين في العفو عن المسيء وحثهم على الاستغفار لمن يذنب منهم وعلى مشاورة
بعضهم بعضا فيما يعرض لهم من الامور ونهيهم عن الفظاظة في القول والغلظة والجفاء في الفعل ودعاؤهم الى التوكل عليه
وتفويض الامور اليه وفيها ايضا دلالة على ما نقوله في اللطف لانه سبحانه نبه على انه لولا رحمته لم يقع اللين والتواضع ولو لم
يكن لك لما اجابوه فبين ان الامور المنفرة منفية عنه وعن سائر الانبياء ومن يجري مجراهم في انه حجة على الخلق وهذا
يوجب تنزيههم ايضا عن الكبائر لان التنفير في ذلك اكثر قوله عز وجل ان ينصركم الله فلا غالب لكم فمن ذا الذي ينصركم
من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون آية المعنى لما امر الله سبحانه نبيه ع بالتوكل بين معنى وجوب عليه فقال ان ينصركم
الله على من ناواكم فلا غالب لكم اي فلا يغلبكم احد على غلبتكم وان كثر عددهم وقل عددكم وان يخذلكم
اي يمنعكم معونته ويخل بينكم وبين اعدائكم لمعصيتكم اياه فمن ذا الذي ينصركم من بعده الهاء يعود الى اسم الله تعالى
على الظاهر والمعنى على حذف المضاف فتقديره من بعد خذلانه يعني انه لا ناصر لكم ينصركم بعد خذلان الله اياكم
ومن هنا معناه التقريع بالنفي في صورة الاستفهام لا ينصركم احد من بعده وانما تضمن حرف الاستفهام معنى النفي
لان جوابه يجب ان يكون بالنفي فصار ذكره يغني عن ذكر جوابه كان ابلغ لتقرير المخاطب فيه وعلى الله فليتوكل المؤمنون
ظاهر المراد وتضمنت الاية الترغيب في طاعة الله التي يستحق بها النصرة والتحذير من معصيته التي يستحق بها الخذلان ومع
التوكل عليه الذي يوجب معه ان يكلهم الى انفسهم فيهلكوا قال ابو علي الجبائي وفي الاية دلالة على ان من غلبه العصاة
من الباغين لم ينصره الله لانه لو نصره لما غلبوه وذلك بحسب ما في المعلوم من مصالح العباد مع تعريض المؤمنين لمنازل
الابرار بالصبر على الجهاد مع خوف القتل من حيث لم يحصل على امان من غلبة الفجار وهذا انما هو في النصر بالغلبة فاما النصر
بالحجة فان الله تعالى خص المؤمنين من حيث هداهم الى الطريق الحق بما نصب لهم من الادلة الواضحة والبراهين الساطعة
ولولا ذلك لما حسن التكليف وقال ابو القسم البلخي المؤمنون المنصورون ابدا لانهم ان غلبوا فهم المنصورون بالحجج ويجوز ان يغلبهم
الكافر على وجه وقال الجبائي النصر بالغلبة ثواب لانه لا يجوز ان ينصر الله الظالمين من حيث لا يريد استعلاءهم بالظلم على
غيرهم وقال ابن الاخشيد ليس بثواب كيف تصرفت الحال لان الله تعالى قد امر بان ينصر الفئة الباغي عليها وقد لا يكون
مستحقة للثواب فاما الخذلان فلا خلاف انه عقاب والخذلان هو الامتناع من المعونة على العدو في وقت الحاجة
اليها لانه لو امتنع انسان من معونة من يستغني عن معونته لم يكن خاذلا له قوله عز وجل وما كان لنبي ان يغل ومن يغلل
يات بما غل يوم القيمة ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون آية القراءة قرا ابن كثير وابو عمرو وعاصم

ان يغل بفتح الياء وضم الغين وقرأ الباقون بضم الياء وفتح الغين **الحجة** من قرأ يغل فمعناه يخون تقول غل في الغنيمة يغل اذا خان
فيها واغل يغل معناه قال النمر بن تولب جزى الله عنا حمزة ابنة نوفل جزاء مغل بالامانة كاذب بما سألت عني الوشاة ليكذبوا
علي وقد اوليتها في الثواب ومن قرأ يغل فمعناه على وجهين احدهما ينسب الى الخيانة ما كان لنبي ان يخون اي ما كان
لنبي ان يخان بمعنى يسرق منه ويؤخذ من الغنيمة التي حازها ويكون تخصيص النبي بذلك تعظيما للذنب وقال ابو علي
الفسوي الحجة لمن قرأ يغل ان ما جاء في التنزيل من هذا النحو اسند الفعل فيه الى الفاعل نحو ما كان لنا ان نشرك بالله
وما كان ليأخذ اخاه وما كان الله ليضل قوما وما كان الله ليطلعكم على الغيب وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله
ولا يكاد يقال ما كان لزيد ان يضرب وما كان زيد ليضرب فيسند الفعل فيه الى المفعول به فكذلك قوله ما كان لنبي
ان يغل يسند الفعل فيه الى الفاعل وروي عن ابن عباس انه قرأ يغل فقيل له ان عبد الله قرأ يغل فقال ابن عباس
بلى والله ويقتل وروي عن ابن عباس ايضا انه قال قد كان النبي يقتل فكيف لا يخون واصل الغلول من الغلل
وهو دخول الماء في خلل الشجر يقال انغل الماء في اصول الشجر فالغلول الخيانة لانها تجري في الملك على خفاء من غير
الوجه الذي يحل له كالغل ومنه الغل الحقد لانه يجري في النفس كالغل ومنه الغليل حرارة العطش والغلة لانها
تجري في الملك من جهات مختلفة والغلالة لانها شعار تحت البدن **النزول** روي عن ابن عباس وسعيد بن جبير انها
نزلت في قطيفة حمراء فقدت يوم بدر من المغنم فقال بعضهم لعل النبي ص اخذها وفي رواية الضحاك عنه قال
ان رجلا غل بمخيط ابرة من غنائم هوازن يوم حنين فنزلت الآية وعن مقاتل انها نزلت في غنائم احد حين
ترك الرماة المركز طلبا للغنيمة وقالوا نخشى ان يقول رسول الله صلى الله عليه وآله من اخذ شيئا فهو له ولا يقسم
كما لم يقسم يوم بدر ووقعوا في الغنائم فقال صلى الله عليه وآله اظننتم انا نغل ولا نقسم لكم فانزل الله تعالى هذه
الآية وقيل انه قسم المغنم ولم يقسم للطلائع فلما قدمت الطلائع قالوا قسم الفيء ولم يقسم لنا فعرفه الله تعالى الحكم
فيه ونزلت الآية وقيل نزلت في اداء الوحي كان النبي صلى الله عليه وآله يقرأ القرآن وفيه عيب دينهم وسب آلهتهم
فسألوه ان يطوي ذلك فانزل الله الآية **المعنى** لما قدم سبحانه امر الجهاد وذكر بعده ما يتعلق به من حديث الغنائم
والنهي عن الخيانة فيها فقال وما كان لنبي ان يغل وتقديره وما كان لنبي الغلول لان ان مع الفعل بمعنى
المصدر اي لا يجتمع النبوة والخيانة وقيل معناه ما كان له ان يكتم شيئا من الوحي عن ابن اسحق وتقديره ما كان
له ان يغل امته فيما يؤديه اليهم وقيل اللام منقولة وتقديره ما كان النبي ليغل كقوله ما كان لله ان يتخذ ولدا
ومعناه ما كان الله ليتخذ ولدا هذا على القراءة الاخرى ما كان لنبي ان يخون اي تخونه اصحابه والمعنى يكتمونه شيئا
من المغنم على ما مضى القول فيه وخصه بالذكر وان كان لا يجوز ان يغل غيره من امام او امير للمسلمين لوجهين
احدهما ان الخيانة معه اعظم من خيانة غيره وهذا كقوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان وان كان اجتناب
جميع الارجاس واجبا والآخر ان النبي صلى الله عليه وآله انما خص بالذكر لانه القائم بامر الغنائم فاذا حرمت الخيانة
عليه وهو صاحب الامر فحرمتها على غيره اولى واجدر وقوله ومن يغلل يأت بما غل يوم القيمة معناه انه يأتي به
حاملا على ظهره كما روي في خبر طويل الا لا يغلن احد بعيرا فيأتي به على ظهره يوم القيامة له رغاء الا لا يغلن احد
فرسا فيأتي به على ظهره له حمحمة فيقول يا محمد يا محمد فاقول قد بلغت قد بلغت قد بلغت لا املك لك من الله شيئا
عن ابن عباس وابن حميد الساعدي وابن عمر وقتادة وقال الجبائي وذلك ليفتضح به على رؤوس الاشهاد
وقال البلخي يجوز ان يكون ما تضمنه الخبر على وجه المثل كأن الله تعالى اذا فضحه يوم القيمة جرى ذلك مجرى ان يكون
حاملا له وله صوت وقد روي في خبر آخر ان النبي صلى الله عليه وآله كان يأمر مناديا فينادي في الناس ردوا
الخيط والمخيط فان الغلول عار وشنار يوم القيمة فجاء رجل بكبة من شعر فقال اني اخذتها لاخيط بردعة بعير لي نقبت فقال

النبي صلى الله عليه وآله اما نصيبي منها فهو لك فقال الرجل اما اذا بلغ الامر هذا المبلغ فلا حاجة لي فيها والاولى ان يكون
معناه ومن يغلل يأت بما غل يوم القيمة فيكون حمل غلوله على عنقه امارة يعرف بها وذلك حكم الله تعالى في كل
من وافى القيامة بمعصية لم يتب منها او اراد سبحانه ان يشهره بالامر الذي ظهر عليه من معصيته علامة تليق بمعصيته ليعلمه
اهل القيمة بها ويعلموا سبب استحقاقه العقوبة كما قال سبحانه فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان وهكذا حكمه سبحانه
في كل من وافى القيامة بطاعة فانه سبحانه يظهر من طاعته علامة يعرف بها ثم توفى كل نفس ما كسبت اي يعطى
كل نفس جزاء ما عملت تاما وافيا وهم لا يظلمون اي لا ينقص احد عن مقدار ما استحقه من الثواب ولا يزاد احد على
مقدار ما استحقه من العقاب وفي هذه الآية دلالة على فساد قول المجبرة لان الله تعالى لو عذب اولياءه لم يكن
ذلك ظلما منه لانه قد بين انه لو لم يكن توفيها ما كسبت لكان ظلما قوله عز وجل افمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط
من الله ومأواه جهنم وبئس المصير هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون **اللغة** باء اي رجع يقال
باء بذنبه يبوء بوءا اذا رجع به وبوأته منزلا اي هيأته له لانه يرجع اليه والسخط من الله هو ارادة العقاب
لمستحقه ولعنه وهو مخالف للغيظ لان الغيظ هو هيجان الطبع وانزعاج النفس فلا يجوز اطلاقه على الله تعالى
والمصير المرجع ويفرق بينهما ان المرجع هو انقلاب الشيء الى حال قد كان عليها والمصير انقلاب الشيء الى خلاف
الحال التي هو عليها نحو مصير الطين خزفا ولا يقال رجع الطين خزفا لانه لم يكن قبل خزفا والدرجة الرتبة والدرجان
مشي الصبي لتقارب الرتب والترقي في العلم درجة بعد درجة اي منزلة بعد منزلة كالدرجة المعروفة **النزول**
لما امر رسول الله صلى الله عليه وآله بالخروج الى احد قعد عنه جماعة من المنافقين واتبعه المؤمنون فانزل الله
هذه الآية **المعنى** لما بين سبحانه ان كل نفس توفى جزاء ما كسبت من خير او شر عقبه ببيان من كسب الخير والشر فقال
افمن اتبع رضوان الله فيه اقوال احدها ان معناه افمن اتبع رضوان الله في العمل بطاعته كمن باء بسخط منه في العمل
بمعصيته عن ابن اسحق وثانيها افمن اتبع رضوان الله في ترك الغلول كمن باء بسخط من الله في فعل الغلول
عن الحسن والضحاك واختاره الطبري لانه اشبه بما تقدم وثالثها افمن اتبع رضوان الله بالجهاد في سبيله كمن باء
بسخط من الله في الفرار منه رغبة عنه عن الزجاج والجبائي وهذا الوجه يطابق ما سبق ذكره من سبب
النزول ومأواه جهنم اي مرجعه ومصيره ومرجعه جهنم وبئس المصير اي المكان الذي صار اليه والمستقر والآية
استفهام المراد به التقرير والفرق بين الفريقين الجليين من اتبع رضاء الله كمن باء بسخطه هم درجات اي هم ذوو درجات
عند الله فالمؤمنون ذو درجة رفيعة والكافرون ذوو درجة خسيسة وقيل في معناه قولان احدهما ان المراد
اختلاف مرتبتي اهل الثواب والعقاب بما لهؤلاء من النعم والكرامة ولهؤلاء من العقاب والمهانة وعبر
عن ذلك بدرجات مجازا وتوسعا والثاني ان المراد اختلاف مراتب كل من الفريقين فان الجنة طبقات بعضها اعلى
من بعض كما جاء في الخبر ان اهل الجنة ليرون اهل عليين كما يرى النجم في افق السماء والنار دركات اسفل من بعض ومثله
في حذف المضاف قول ابن هرمة انشده سيبويه انصب للمنية تعتريهم رجالي ام هم درج السيول اي هم ذوو درج
والله بصير بما يعملون اي عليم وفي هذا ترغيب للناس في اتباع مرضاة الله وترهيب عما يوجب سخطه واعلام
بان اسرار العباد عنده علانية ومنه توقيف بانه لا يضيع عمل عامل منهم اذ لا يخفى شيء من ذلك عليه فيثيب على الطاعة
ويعاقب على المعصية قوله عز وعلا لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم
ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين آية **اللغة** اصل المن القطع يقال منه يمنه اذا
قطعه والمن النعمة لانه يقطع بها عن البلية يقال من فلان على بكذا اي استنقذني منه والمن تكدير النعمة
لانه قطع لها عن وجوب الشكر وعليها المنة القوة لانه تقطع بها الاعمال **المعنى** ثم ذكر سبحانه عظيم نعمته على الخلق ببعثة نبينا

فقال لقد من الله اي انعم على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا منهم خص المؤمنين بالذكر وان كان صلى الله عليه وآله مبعوثا الى جميع الخلق لان النعمة عليهم اعظم لاهتدائهم به وانتفاعهم ببيانه ونظير ذلك ما تقدم بيانه من قوله هدى للمتقين وقوله من انفسهم فيه اقوال احدها ان المراد به من رهطهم يعرفون منشاه وصدقه وامانته وكونه اميا لم يكتب كتابا ولم يقرا ليعلموا ان ما ياتي به وحي منزل ويكون ذلك شرفا لهم وداعيا لهم الى الايمان وثانيها ان المراد به انه يتكلم بلسانهم فيسهل عليهم تعلم الحكمة منه فيكون خاصة بالعرب وثالثها انه عام لجميع المؤمنين والمراد بانفسهم انه من جنسهم لم يبعث ملكا ولا اشار موضع المنة فيه انه بعث فيهم من عرفوا امره وخبروا شانه وقوله يتلوا عليهم آياته يعني القرآن ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة مضى بيانه في سورة البقرة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين يعني انهم كانوا في ضلال ظاهر من اي كفار لو كفرهم ضلالهم فانقذهم الله بالنبي ص قوله عز وعلا اولما اصابتكم مصيبة قد اصبتم مثليها قلتم انى هذا قل هو من عند انفسكم ان الله على كل شيء قدير آية الاعراب انما دخلت الواو في اولما لعطف جملة على جملة الا انه تقدمها الف الاستفهام لان له صدر الكلام وانما وصلت هذه الواو الكلام الثاني بالاول ليدل على تعلقه به في المعنى وذلك انها وصلت التقريع على الخطيئة بالتذكير بالنعمة لفرقة واحدة المعنى ثم عاد الكلام الى ذكر الجهاد فقال اولما اصابتكم مصيبة قد اصبتم مثليها اي حين اصابكم القتل والجرح وذلك ما اصاب المسلمين يوم احد فانه قتل منهم سبعون رجلا وكانوا هم اصابوا من المشركين يوم بدر مثليها فانهم كانوا قتلوا من المشركين سبعين رجلا واسروا سبعين عن قتادة وعكرمة والربيع والسدي اي قد اصبتم ايها المسلمون يوم بدر مثليها وقيل قتلتم منهم ببدر سبعين وباحد سبعين عن الزجاج وهذا ضعيف لانه خلاف ما ذكره اهل التفسير فانه لا خلاف بينهم انه قتل منهم باحد نفر يسير فقوله خلاف الجمهور قلتم انى هذا اي من اي وجه اصابنا هذا ونحن مسلمون وفينا رسول الله وينزل علينا الوحي وهم مشركون قيل انما قالوا ذلك لانه وعدهم بالنصر من الله ان اطاعوه عن الجبائي وقوله قل هو من عند انفسكم اي قل يا محمد ما اصابكم من الهزيمة والقتل من عند انفسكم اي بخلافكم امر ربكم وترككم طاعة الرسول عم وفيه اقوال احدها ان ذلك بمخالفتهم الرسول في الخروج من المدينة للقتال يوم احد وكان النبي عم دعاهم الى ان يتحصنوا بها ويدعوا المشركين الى ان يقصدوهم فيها فقالوا كنا نمتنع من ذلك في الجاهلية ونحن الآن في الاسلام وانت يا رسول الله بيننا احق بالامتناع واعز عن قتاده والربيع وثانيها ان ذلك باختيارهم الفداء من الاسرى يوم بدر وكان الحكم فيهم القتل وشرط عليهم انكم ان قبلتم الفداء قتل منكم في القابل بعدتهم قالوا رضينا فانا ناخذ الفداء وننتفع به واذا قتل منا فيما بعد كنا شهداء عن علي عم وعبيدة السلماني وهو المروي عن الباقر عم وثالثها ان ذلك بخلاف الرماة يوم احد لما امرهم رسول الله به من ملازمة مركزهم ان الله على كل شيء قدير اي فهو قادر على نصركم فيما بعد وان لم ينصركم في الحال لمخالفتكم قوله عز وجل وما اصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله او ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم والله اعلم بما يكتمون آيتان الاعراب الفاء انما دخلت في قوله فباذن الله لان خبر ما بمعنى الذي يشبه جواب الجزاء لانه معلق بالفعل في الصلة كتعليقه بالفعل في الشرط كقولك الذي قام فمن اجل انه كريم اي لاجل ما صح انه كريم من اجل كرمه قام المعنى وما اصابكم ايها المؤمنون يوم التقى الجمعان جمع المسلمين وجمع المشركين يعني يوم احد من النكبة بقتل من قتل منكم فباذن الله اي بعلم الله ومنه قوله واذان من الله اي اعلام وقيل بتخلية الله بينكم وبينهم التي تقوم مقام الاطلاق في الفعل برفع الموانع والتمكين من الفعل الذي يصح معه التكليف وقيل بعقوبة الله فان الله تعالى جعل لكل ذنب عقوبة وكان ذلك عقوبة لهم على ترك امر الرسول ولا يجوز ان يكون المراد بالاذن هنا الاباحة والاطلاق كما يقتضيه ظاهر اللفظ لان الله تعالى لا يبيح المعاصي ولا يطلقها وقتل الكا

المسلم من اعظم المعاصي فكيف ياذن فيه وليعلم الذين نافقوا معناه ليميز المؤمنين من المنافقين لانه سبحانه عالم بالاشياء قبل كونها فلا يجوز ان يعلم عند ذلك ما لم يكن عالما به الا انه اجرى على المعلوم لفظ العلم مجازا اي ليظهر المعلوم من المؤمن والمنافق وقيل لهم اي للمنافقين تعالوا قاتلوا في سبيل الله قالوا ان عبد الله بن ابي سلول والمنافقين معه من اصحابه انخذلوا يوم احد نحو من ثلثمائة رجل وقالوا علام نقتل انفسنا وقال لهم عبد الله بن عمرو بن حرام الانصاري تعالوا قاتلوا في سبيل الله ولا تخذلوا نبيكم او ادفعوا عن حريمكم وانفسكم ان لم تقاتلوا في سبيل الله وقيل معناه او اقيموا معنا وكثروا سوادنا وهذا يدل على ان تكثير سواد المجاهدين معدود في الجهاد وعن ابن جريج القتال قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم يعني قال المنافقون لو علمنا قتالا لاتبعناكم قالوا ذلك ابلاء لعذرهم في ترك القتال والرجوع الى المدينة فقال لهم ابعدكم الله يغني عنكم وقيل انما القائل لذلك رسول الله صلى الله عليه وآله يدعوهم الى القتال عن الاصم هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان يعني باظهارهم بعض القول صاروا بالظاهر اقرب الى الكفر اذ كانوا قبل ذلك في ظاهر احوالهم اقرب الى الايمان حتى هتكوا الستر فعلم المؤمنون منهم ما يجهلوه واللام بمعنى الى يعني هم الى الكفر اقرب الى الايمان كقوله سبحانه الحمد لله الذي هدانا لهذا اي الى هذا يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم ذكر الافواه تاكيدا لان القول قد يضاف اليها وقيل انما ذكر الافواه فرقا بين قول اللسان وقول الكتاب والمراد به قولهم لو نعلم قتالا لاتبعناكم واضمارهم انه لو كان قتال لم يقاتلوا معهم ولم ينصروا النبي وقيل معناه يقولون بافواههم من التقرب الى الرسول عم والايمان ما ليس في قلوبهم فان في قلوبهم الكفر والله اعلم بما يكتمون اي بما يضمرونه من النفاق والشرك قوله عز وجل الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا لو اطاعونا ما قتلوا قل فادرءوا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين آية اللغة الدرء الدفع تقول درأ عنه اي دفع قال يقول اذا دارات لها وضيني اهذا دينه ابدا وديني الاعراب موضع الذين يحتمل ان يكون نصبا على البدل من الذين نافقوا ويحتمل ان يكون رفعا على البدل من الضمير في يكتمون ويحتمل ان يكون رفعا على خبر الابتداء على تقدير هم الذين قالوا المعنى الذين قالوا يعني المنافقين لاخوانهم في النسب لا في الدين يعني عبد الله بن ابي واصحابه قالوا في قتلى احد وقعدوا هم يعني لاخوانهم في النسب لا في الدين يعني عبد الله بن ابي واصحابه قالوا في قتلى احد وقعدوا هم يعني هؤلاء القائلون عن جابر وقتاده والسدي والربيع لو اطاعونا في القعود في البيت وترك الخروج الى القتال ما قتلوا قل يا محمد لهم فادرءوا اي ادفعوا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين في هذه المقالة ولا يمكنهم دفع الموت لانه يجوز ان يدخل عليهم العدو فيقتلونهم في عقر بيوتهم وانما الزمهم الله دفع الموت عن انفسهم بقولهم انهم لو لم يخرجوا لم يقتلوا لان من علم الغيب في السلامة من القتل يجب ان يمكنه ان يدفع عن نفسه الموت فينبغي ان يدفعه هذا القائل فانه احدى عليه وفي هذا ترغيب في الجهاد وبيان ان كل احد يموت باجله فلا ينبغي ان يجعل ذلك عذرا في القعود عن الجهاد لان المجاهد ربما يسلم والقاعد ربما يموت بحسب ما علم الله سبحانه التكلان به قوله عز وعلا ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما اتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله وفضل وان الله لا يضيع اجر المؤمنين ثلث ايات بلا خلاف يرزقون اية ويحزنون آية القراءة قرا ابن عامر وحده قتلوا بالتشديد والباقون بالتخفيف وقرا الكسائي وحده وان الله بكسر الالف والباقون بالفتح الحجة من قرا قتلوا بالتخفيف فالوجه فيه ان التخفيف يصلح للقليل والكثير يقول قتل القوم فيصلح للكثرة كما تقول ضربت زيدا ضربة فيصلح للقلة ووجه التثقيل ان المقتولين كثير وفعل يختص به الكثير دون القليل ووجه الفتح في ان ان المعنى يستبشرون ان الله لا يضيع اجرهم ويتوفر ذلك عليهم ويوصله اليهم من غير نقص وبخس والكسر على الاستئناف اللغة اصل البشارة من البشرة بظهور السرور

فيها منه البشر لظهوره في بشرة الوجه والمستبشر من طلب السرور في البشارة فوجده ولحقت الشيء والحقه غيري وقيل لحقت والحقت
لغتان بمعنى واحد وجاء في الدعاء ان عذابك بالكفار ملحق بكسر الحاء اي لاحق والنعمة هي المنفعة التي يستحق بها الشكر اذا
كانت خالية من وجوه القبح لان المنفعة على ضربين احدهما المنفعة اغترارا وحيلة والآخر منفعة خالصة من شائبة الاساءة
والنعمة يعظم بفعل غير المنعم كنعمة النبي عم على من دعاه الى الاسلام فاستجاب له لان دعاءه انفع من وجهين احدهما
حسن النية في دعائه الى الحق ليستجيب له والآخر حسن الدعاء الى الحق بعلم انه يستجيب له المدعو وانما يستدرك بفعل غير المنعم
على موضع النعمة في الجلالة وعظم المنزلة **الاعراب** احياء رفع لانه خبر مبتدأ محذوف اي بل هم احياء ولا يجوز
النصب فيه على الحال لانه يصير التقدير فيه بل احسبهم احياء بل والمراد بل اعلمهم احياء ويرزقون في موضع رفع صفة لاحياء
وفرحين نصب على الحال من يرزقون وهو اولى من ان ينصب على بل احياء لان النصب على اجتماع الرزق والفرح
في حال واحدة ولو رفع على الاستيناف لكان جائزا وقال الخليل موضع ان لا خوف عليهم جر بالرد على تقدير بان
لا خوف وقال غيره موضعه نصب على انه لما حذف حرف الجر وصل الفعل اليه فنصبه كما قيل امرتك الخير اي امرتك بالخير
وقيل موضع ان لا خوف عليهم الى آخره جر على انه بدل من قوله الذين لم يلحقوا وهو بدل الاشتمال مثل قوله عن الشهر
الحرام قتال فيه **النزول** قيل نزلت في شهداء بدر كانوا اربعة عشر رجلا ثمانية من الانصار وستة من المهاجرين
وقيل نزلت في شهداء احد وكانوا سبعين رجلا اربعة من المهاجرين حمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير
وعثمان بن شماس وعبد الله بن جحش وسايرهم من الانصار عن ابن مسعود وقتاده والربيع وقال الباقر عليه السلم
وكثير من المفسرين انها تتناول قتلى بدر واحد معا وقيل نزلت في شهداء بئر معونة وكان سبب ذلك على ما رواه
محمد بن اسحق بن يسار باسناده عن انس بن مالك وغيره قالوا قدم ابو براء عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الاسنة
وكان سيد بني عامر بن صعصعة على رسول الله صلى الله عليه وآله المدينة واهدى له هدية فابى رسول الله
ان يقبلها قال يا ابا براء لا اقبل هدية مشرك فاسلم ان اردت ان اقبل هديتك وقرأ عليه القرآن فلم يسلم ولم يبعد
وقال يا محمد ان امرك هذا الذي تدعو اليه حسن جميل فلو بعثت رجالا من اصحابك الى اهل نجد فدعوتهم الى امرك رجوت
ان يستجيبوا لك فقال رسول الله اني اخشى عليهم اهل نجد فقال ابو براء انا لهم جار فابعثهم فليدعوا الناس الى امرك
فبعث رسول الله المنذر بن عمرو اخا بني ساعدة في سبعين رجلا من خيار المسلمين منهم الحرث بن الصمة وحرام
بن ملحان وعروة بن اسماء بن الصلت السلمي ونافع بن بديل بن ورقاء الخزاعي وعامر بن فهيرة مولى ابي بكر وذلك
في صفر سنة اربع من الهجرة على راس اربعة اشهر من احد فساروا حتى نزلوا بئر معونة فلما نزلوا قال بعضهم لبعض
ايكم يبلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وآله اهل هذا الماء فقال حرام بن ملحان انا فخرج بكتاب رسول الله
الى عامر بن الطفيل فلما اتاهم لم ينظر عامر في كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله فقال حرام يا اهل بئر معونة اني
رسول رسول الله اليكم واني اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فآمنوا بالله ورسوله فخرج اليه رجل من كسر
البيت برمح فضرب به في جنبه حتى خرج من الشق الآخر فقال الله اكبر فزت ورب الكعبة ثم استصرخ عامر بن
الطفيل بني عامر على المسلمين فابوا ان يجيبوه الى ما دعاهم اليه وقالوا لن نخفر ابا براء وقد عقد لهم عقدا وجوارا فاستصرخ
عليهم قبائل بني سليم عصية ورعلا وذكوان فاجابوه الى ذلك فخرجوا حتى غشوا القوم فاحاطوا بهم في رحالهم
فلما راوهم اخذوا السيوف فقاتلوهم حتى قتلوا عن آخرهم الا كعب بن زيد فانهم تركوه وبه رمق فارتث من بين
القتلى فعاش حتى قتل يوم الخندق وكان في سرح عمرو بن امية الضمري ورجل من الانصار احد بني عمرو بن عوف
فلم ينبئهما بمصاب اصحابهما الا الطير تحوم حول العسكر فقالا والله ان لهذا الطير لشأنا فاقبلا لينظرا اليه فاذا القوم
في دمائهم واذا الخيل التي اصابتهم واقفة فقال الانصاري لعمرو بن امية ماذا ترى قال ارى ان نلحق برسول الله فنخبره

203

الخبر فقال الانصاري لكني ما كنت لارغب بنفسي عن موطن قتل فيه المنذر بن عمرو ثم قاتل القوم حتى قتل واخذ عمرو بن امية
اسيرا فلما اخبرهم انه من مضر اطلقه عامر بن الطفيل وجز ناصيته واعتقه عن رقبة زعم انها كانت على امه فقدم عمرو بن امية
على رسول الله صلى الله عليه وآله فاخبره الخبر فقال رسول الله هذا عمل ابي براء قد كنت لهذا كارها متخوفا فبلغ ذلك ابا براء
فشق عليه اخفار عامر اياه وما اصاب رسول الله بسببه فقال حسان بن ثابت يحرض ابا براء على عامر بن الطفيل بني ام البنين
الم يرعكم وانتم من ذوائب اهل نجد تهكم عامر بابي براء ليخفره وما خطأ كعمد الا ابلغ ربيعة ذا المساعي فما احدثت في الحدثان
بعدي ابوك ابو الحروب ابو براء وخالك ماجد حكم بن سعد وقال كعب بن مالك لقد طارت شعاعا كل وجه خفارة
ما اجار ابو براء بني ام البنين اما سمعتم دعاء المستغيث مع المساء وتنويه الصريخ بلى ولكن عرفتم انها صدق اللقاء
فلما بلغ ربيعة بن ابي البراء قول حسان وقول كعب حمل على عامر بن الطفيل وطعنه فخر على فرسه فقال هذا عمل ابي براء
ان مت فدمي لعمي ولا يتبعن سواي وان اعش فسارى فيه رأيي قال فانزل الله عز وجل في شهداء بئر معونة قرآنا
بلغوا عنا قومنا انا قد لقينا ربنا فرضي عنا ورضينا عنه ثم نسخت ورفعت بعدما قراناها وانزل الله عز وجل
ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله الآية **المعنى** لما حكى الله سبحانه قول المنافقين في المقتولين الشهداء تثبيطا
للمؤمنين عن جهاد الاعداء ذكر بعده ما اعد الله للشهداء من الكرامة وخصهم به من النعيم في دار المقامة
فقال ولا تحسبن والخطاب للنبي عم او يكون على معنى لا تحسبن ايها السامع او ايها الانسان الذين قتلوا في سبيل الله
اي في الجهاد وفي نصرة دين الله امواتا اي موتى كما مات من لم يقتل في سبيل الله امواتا الآية وقوله عند ربهم
فيه وجهان احدهما انهم بحيث لا يملك لهم احد نفعا ولا ضرا الا ربهم وليس المراد بذلك قرب المسافة لان ذلك
من صفة الاجسام وذلك مستحيل عليه سبحانه والآخر انهم عند ربهم احياء من حيث يعلمهم كذلك دون الناس عن ابي علي الجبائي
وروي عن ابن عباس وابن مسعود وجابر ان النبي صلعم قال لما اصيب اخوانكم باحد جعل الله ارواحهم في حواصل
طير خضر ترد انهار الجنة وتاكل من ثمارها وروي عنه ع انه قال لجعفر بن ابي طالب وقد استشهد في غزاة موته
والله له جناحان يطير بهما مع الملائكة في الجنة وانكر بعضهم حديث الارواح وقال ان الروح عرض لا يجوز ان ينعم
وهذا لا يصح لان الروح جسم رقيق هوائي ماخوذ من الريح ويدل على ذلك انه يخرج من البدن ويرد اليه وهي الحساسة
الفعالة دون البدن وليست من الحيوة في شيء لان ضد الحيوة الموت وليس كذلك الروح وهذا قول علي بن عيسى
مرزوقون من نعيم الجنة غدوا وعشيا وقيل يرزقون النعيم في قبورهم فرحين بما آتاهم الله من فضله اي مسرورين بما اعطاهم
الله من ضروب نعمه في الجنة وقيل في قبورهم وقيل معناه فرحين بما نالوا من الشهادة وجزائها ويستبشرون
بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم اي يسرون باخوانهم الذين فارقوهم وهم احياء في الدنيا على مناهجهم من الايمان والجهاد
لعلمهم بانهم ان استشهدوا ولحقوا بهم وصاروا من كرامة الله تعالى الى مثل ما صاروا اليه يقولون اخواننا يقتلون
كما قتلنا فيصيبون من النعيم ما اصبنا عن ابن جريج وقتاده وقيل انه يؤتى الشهيد بكتاب فيه ذكر من يقدم عليه
من اخوانه فيستبشر بذلك ويستبشرون كما يستبشر اهل الغايب بقدومه في الدنيا عن السدي وقيل معناه لم يلحقوا
بهم في الفضل الا ان لهم فضلا عظيما بتصديقهم وايمانهم عن الزجاج الا ان لا خوف عليهم ولا هم يحزنون اي يستبشرون
بان لا خوف عليهم وذلك لانه بدل من قوله الذين لم يلحقوا لان الذين يلحقون بهم مشتملون على عدم الحزن والاستبشار
هنا انما يقع بعدم خوف هؤلاء اللاحقين ومعناه لا خوف عليهم فيمن خلفوه من ذريتهم لان الله يتولاهم ولا هم
يحزنون على ما خلفوا من اموالهم لان الله قد اجزل لهم ما عوضهم وقيل معناه لا خوف عليهم فيما يقدمون عليه لان الله
سبحانه محص ذنوبهم بالشهادة ولا هم يحزنون على مفارقة الدنيا فرحا بالآخرة يستبشرون يعني هؤلاء الذين قتلوا في سبيل الله
الذين وصفهم بانهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله بنعمة من الله وفضل الفضل والنعمة والعبارتان تعبهما

عن معنى واحد وقيل في تكراره قولان احدهما ان المراد انها ليست نعمة على قدر الكفاية من غير مضاعفة السرور
واللذة والنعمة ما استحقوه بطاعتهم والفضل ما زادهم سبحانه من المضاعفة في الاجر والاخر انه للتاكيد وتمكين المعنى
في النفس والمبالغة ان الله لا يضيع اجر المومنين اي ثواب اجرهم وانما ذكر ذلك وان كان غيرهم يعلم ذلك لانهم يعلمونه
بعد الموت ضرورة وانما يعلم ذلك في دار التكليف استدلالا وليس الاستدلال كالمشاهدة ولا الخبر كالمعاينة
فان مع الضرورة والعيان تضاعف سرورهم وتشتد اغتباطهم وفيه دلالة على ان الثواب مستحق وان الله لا يبطله
البتة وان الاثابة لا تكون الا من قبله سبحانه ولذلك اضاف نفي الاضاعة الى نفسه وما روي من الاخبار في ثواب
الشهداء اكثر من ان يحصى فمن اعلاها اسنادا ما رواه علي بن موسى الرضا عن ابيه عن الحسين بن علي قال بينا امير المومنين عليه السلام
يخطب الناس ويحضهم على الجهاد اذ قام اليه شاب فقال يا امير المومنين اخبرني عن فضل الغزاة في سبيل الله تعالى
فقال كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وآله على ناقته العضباء ونحن منقلبون عن غزوة ذات السلاسل
فسألته عما سألتني فقال ان الغزاة اذا هموا بالغزو كتب الله لهم براءة من النار فاذا تجهزوا لغزوهم باهى الله بهم الملائكة
واذا ودعهم اهلوهم بكت عليهم الحيطان والبيوت ويخرجون من الذنوب كما تخرج الحية من سلخها ويوكل الله
عز وجل بكل رجل منهم اربعين ملكا يحفظونه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ولا يعمل حسنة الا ضعف
له ويكتب له كل يوم عبادة الف رجل يعبدون الله الف سنة كل سنة ثلثمائة وستون يوما اليوم مثل عمر الدنيا واذا
صاروا بحضرة عدوهم انقطع علم اهل الدنيا عن ثواب الله اياهم واذا برزوا لعدوهم واشرعت الاسنة وفوقت
السهام وتقدم الرجل الى الرجل حفتهم الملائكة باجنحتها يدعون بالنصر والتثبيت فينادي مناد الجنة تحت ظلال السيوف
فيكون تحت ظلال السيف فيكون الطعنة والضربة على الشهيد اهون من شرب الماء البارد في اليوم الصائف
واذا زال الشهيد عن فرسه بطعنة او ضربة لم يصل الى الارض حتى يبعث الله اليه زوجته من الحور العين فتبشره بما اعد الله
له من الكرامة فاذا وصل الى الارض تقول له الارض مرحبا بالروح الطيب الذي اخرج من البدن الطيب ابشر فان لك ما لا
عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ويقول الله عز وجل انا خليفته في اهله من ارضاهم فقد ارضاني ومن
اسخطهم فقد اسخطني ويجعل الله روحه في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث تشاء تاكل من ثمارها وتاوي الى قناديل
من ذهب معلقة بالعرش ويعطى الرجل منه سبعين غرفة من غرف الفردوس سلوك كل غرفة ما بين صنعاء والشام
يملا نورها ما بين الخافقين في كل غرفة سبعون بابا على كل باب سبعون مصراعا من ذهب على كل باب ستور
مسبلة في كل غرفة سبعون خيمة في كل خيمة سبعون سريرا من ذهب قوائمها الدر والزبرجد موصولة بقضبان
الزمرد على كل سرير اربعون فراشا غلظ كل فراش اربعون ذراعا على كل فراش زوجة من الحور العين عربا اترابا فقال
اخبرني يا امير المومنين عن العروبة قال هي الغنجة الرضية الشهية لها سبعون الف وصيف وسبعون الف وصيفة
صفر الحلي بيض الوجوه عليهن تيجان اللؤلؤ على رقابهم المناديل بايديهم الاكوبة والاباريق فاذا كان يوم
القيامة فوالذي نفسي بيده لو كان الانبياء على طريقهم لترجلوا لهم مما يرون من بهائهم حتى ياتوا الى موائد من الجوهر
فيقعدون عليها ويشفع الرجل منهم في سبعين الفا من اهل بيته وجيرته حتى ان الجارين يتخاصمان ايهما اقرب
جوارا فيقعدون معي ومع ابراهيم على مائدة الخلد فينظرون الى الله عز وجل في كل يوم بكرة وعشيا قوله عز وجل
الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم الذين قال
لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله
وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم ثلث آيات اللغة استجاب واجاب بمعنى وقيل
استجاب طلب الاجابة واجاب فعل الاجابة والقرح الجرح واصل الخلوص من الكدر ومنه ماء قراح اي خالص

والقراح من الارض ما خلص طينه من السبخ وغيره والقريحة خالص الطبيعة واقترحت عليه كذا اي اشتهيته عليه لخلوصه
على ما سوف تقسرا اليه كانه قال استخلصته وفرس قارح طلع نابه لخلوصه عن نقص الصغار ببلوغ تلك الحال والقرح الجراح
لخلوص الم الى النفس والاحسان هو النفع الحسن والافضال النفع الزائد على اقل المقدار وحسبنا الله كافينا الله واصله
من الحساب لان الكفاية بحسب الحاجة وبحساب الحاجة ومنه الحسيب وهو الكفي والوكيل الحفيظ وقيل هو الولي واصله القيام
بالتدبير فمعنى الوكيل في صفات الله هو المتولي للقيام بتدبير خلقه لانه مالكهم الرحيم بهم وهو في صفة غيره انما يعقد
بالتوكيل الاعراب موضع الذين يحتمل ثلثة اوجه من الاعراب الجر على ان يكون نعتا للمومنين والاحسن والاشبه بالآية
ان يكون الرفع على الابتداء وخبره الجملة التي هي للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم ويجوز النصب على المدح وتقديره
اعني الذين استجابوا اذا ذكر وكذلك القول في موضع نصب على الحال الذين في الآية الثانية لانهما نعت لموصوف
واحد وقوله لم يمسسهم سوء في موضع نصب على الحال وتقديره فانقلبوا بنعمة من الله وفضل سالمين والعامل فيه
فانقلبوا اذا ذكر النزول لما انصرف ابو سفيان واصحابه من احد فبلغوا الروحاء ندموا على انصرافهم عن المسلمين
فقالوا لا محمدا قتلتم ولا الكواعب اردفتم قتلتموهم حتى اذا لم يبق الا الشريد تركتموهم ارجعوا فاستاصلوهم فبلغ ذلك
الخبر رسول الله صلى الله عليه وآله فاراد ان يرهب العدو ويريهم من نفسه واصحابه قوة فندب اصحابه للخروج في طلب
ابي سفيان وقال الا عصابة تشدد لامر الله تطلب عدوها فانها انكى للعدو واسمع للسمع فانتدب عصابة منهم على ما
بهم من الجراح والقرح الذي اصابهم يوم احد ونادى منادي رسول الله الا لا يخرجن معنا احد الا من حضر يومنا
بالامس وانما خرج رسول الله صلى الله عليه وآله ليرهب العدو وليبلغهم انه خرج في طلبهم فيظنوا به قوة وان الذي اصابهم
لم يوهنهم عن عدوهم فخرجوا في سبعين رجلا حتى بلغ حمراء الاسد وهي من المدينة على ثمانية اميال وذكر
علي بن ابرهيم بن هاشم في تفسيره ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال هل من رجل ياتينا بخبر القوم فلم يجبه احد فقال امير المومنين عليه السلام انا اتيك
بخبرهم قال اذهب فان كانوا ركبوا الخيل وجنبوا الابل فانهم يريدون المدينة وان كانوا ركبوا الابل وجنبوا الخيل
فانهم يريدون مكة فمضى امير المومنين عليه السلام على ما به من الالم والجراح حتى كان قريبا من القوم فراهم قد ركبوا الابل وجنبوا
الخيل فرجع فاخبر رسول الله بذلك فقال صلى الله عليه وآله ارادوا مكة فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وآله المدينة نزل عليه جبرئيل
فقال يا محمد ان الله عز وجل يامرك ان تخرج ولا يخرج معك الا من به جراحة فاقبلوا يضمدون جراحاتهم ويداوونها
فانزل الله على نبيه ولا تهنوا في ابتغاء القوم ان تكونوا تالمون فانهم يالمون كما تالمون الآية فخرجوا على ما بهم من الالم
والجراح حتى بلغوا حمراء الاسد وروى محمد بن اسحق بن يسار عن عبد الله بن خارجة بن زيد بن ثابت عن ابي السائب
ان رجلا من اصحاب النبي صلى الله عليه وآله من بني عبد الاشهل كان شهد احدا قال شهدت احدا وانا واخ لي فرجعنا
جريحين فلما اذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وآله بالخروج في طلب العدو قلنا لا تفوتنا غزوة مع رسول الله والله ما لنا دابة
نركبها وما منا الا جريح ثقيل فخرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وكنت ايسر جرحا من اخي فكنت اذا غلب حملته عقبة
ومشى عقبة حتى انتهينا مع رسول الله الى حمراء الاسد فمر برسول الله معبد الخزاعي بحمراء الاسد وكانت خزاعة مسلمهم
وكافرهم عيبة رسول الله صلى الله عليه وآله بتهامة صفقتهم معه لا يخفون عنه شيئا ومعبد يومئذ مشرك فقال يا محمد والله لقد عز علينا
ما اصابك في اصحابك ولوددنا ان الله كان اعفاك فيهم ثم خرج من عند رسول الله حتى لقي ابا سفيان ومن معه
بالروحاء واجمعوا الرجعة الى رسول الله وقالوا قد اصبنا حد اصحابه وقادتهم واشرافهم ثم نرجع قبل ان نستاصلهم
فلما راى ابو سفيان معبدا قال ما وراءك يا معبد قال محمد قد خرج في اصحابه يطلبكم في جمع لم ار مثله قط يتحرقون عليكم تحرقا
وقد اجتمع اليه من كان تخلف عنه في يومكم وندموا على صنيعهم وفيهم من الحنق عليكم ما لم ار مثله قط قال ويلك ما تقول قال والله
ما ارى ان ترتحل حتى ترى نواصي الخيل قال فوالله لقد اجمعنا الكرة عليهم لنستاصلهم قال فاني والله انهاك عن ذلك فوالله

لقد حملني ما رايت على ان قلت ابياتا فيه من شعر قال وما قلت قال قلت كادت تهد من الاصوات راحلتي اذ سالت
الارض بالجرد الابابيل تردي باسد كرام لا تنابلة عند اللقاء ولا خرق معازيل فظلت عدوا اظن الارض مائلة
لما سموا برئيس غير مخذول فقلت ويل ابن حرب من لقائكم اذا تغطمطت البطحاء بالجيل اني نذير لاهل البسل ضاحية
لكل ذي اربة منهم ومعقول من جيش احمد لا وخش تنابلة وليس يوصف ما انذرت بالقيل فثنى ذلك ابا سفيان
ومن معه ومر به ركب من عبد القيس فقال اين تريدون قالوا نريد المدينة قال ولم قالوا نريد الميرة قال فهل انتم مبلغون
محمدا عني رسالة ارسلكم بها اليه واحمل لكم ابلكم هذه زبيبا بعكاظ غدا اذا وافيتموها قالوا نعم قال فاذا جئتموه فاخبروه
انا قد اجمعنا الكرة اليه والى اصحابه لنستاصل بقيتهم وانصرف ابو سفيان الى مكة ومر الركب برسول الله وهو بحمراء الاسد
فاخبروه بقول ابي سفيان فقال رسول الله ص واصحابه حسبنا الله ونعم الوكيل ثم انصرف رسول الله الى المدينة بعد الثالثة
وقد ظفر في وجهه ذلك بمعوية بن المغيرة بن العاص وبابي عزة الجمحي هذا قول اكثر المفسرين وقال مجاهد وعكرمة
نزلت هذه الآيات في غزوة بدر الصغرى وذلك ان ابا سفيان قال يوم احد حين اراد ان ينصرف يا محمد موعد
ما بيننا وبينك موسم بدر الصغرى لقابل ان شئت فقال رسول الله ذلك بيننا وبينك فلما كان العام المقبل خرج
ابو سفيان في اهل مكة حتى نزل مجنة من ناحية الظهران ثم القى الله عليه الرعب فبدا له الرجوع فلقي نعيم بن مسعود
الاشجعي وقد قدم معتمرا فقال له ابو سفيان اني واعدت محمدا واصحابه ان نلتقي بموسم بدر الصغرى وان هذه عام
جدب ولا يصلحنا الا عام نرعى فيه الشجر ونشرب فيه اللبن وقد بدا لي ان لا اخرج اليها واكره ان يخرج محمد ولا اخرج
فيزيدهم ذلك جراءة فالحق بالمدينة فثبطهم ولك عندي عشرة من الابل اضعها على يدي سهيل بن عمرو فاتى نعيم المدينة
فوجد الناس يتجهزون لميعاد ابي سفيان فقال لهم بئس الراي رايكم اتوكم في دياركم وقراركم فلم يفلت منكم احد فكره
اصحاب رسول الله الخروج فقال رسول الله ص والذي نفسي بيده لاخرجن ولو وحدي فاما الجبان فانه رجع واما الشجاع
فانه تاهب للقتال وقال حسبنا الله ونعم الوكيل فخرج رسول الله ص في اصحابه حتى وافوا بدر الصغرى وهو ماء لبني كنانة وكانت
موضع سوق لهم في الجاهلية يجتمعون اليها في كل عام ثمانية ايام فاقام ببدر ينتظر ابا سفيان وقد انصرف ابو سفيان من مجنة
الى مكة فسماهم اهل مكة جيش السويق ويقولون انما خرجتم تشربون السويق ولم يلق رسول الله واصحابه احدا من المشركين
ببدر ووافقوا السوق وكانت لهم تجارات فباعوا واصابوا للدرهم درهمين وانصرفوا الى المدينة سالمين غانمين وقد روى
ذلك ابو الجارود عن الباقر ع المعنى الذين استجابوا لله والرسول اي اطاعوا الله في امره واطاعوا رسوله من بعد
ما اصابهم القرح اي نالهم الجراح يوم احد للذين احسنوا منهم بطاعة رسول الله واجابته الى الغزو واتقوا معاصي الله
اجر عظيم اي ثواب جزيل الذين قال لهم الناس في المعنى بالناس الاول ثلاثة اقوال احدها انهم الركب الذين دسهم ابو سفيان
الى المسلمين ليجبنوهم عند منصرفهم من احد لما ارادوا الرجوع اليهم عن ابن عباس وابن اسحق وقد مضت قصتهم والثاني
انه نعيم بن مسعود الاشجعي وهو قول ابي جعفر وابي عبد الله ع والثالث انهم المنافقون عن السدي ان الناس
قد جمعوا لكم المعني ابو سفيان واصحابه عن اكثر المفسرين اي جمعوا جموعا كثيرة لكم وقيل جمعوا الآلات والرجال وانما عبر
بلفظ الواحد عن الجميع في قوله قال لهم الناس لامرين احدهما انه قد جاءهم من جهة الناس فاقيم كلامه مقام كلامهم
وسمي باسمهم والآخر انه لتفخيم الشان فاخشوهم اي خافوهم ثم بين سبحانه ان ذلك القول زادهم ايمانا وثباتا على دينهم
واقامة على نصرة نبيهم فقال فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله اي كافينا الله ووليّنا وحفيظنا والمتولي لامرنا ونعم الوكيل
اي نعم الكافي والمعتمد والملجا الذي يوكل اليه الامور فانقلبوا اي فرجع النبي صلى الله عليه ومن معه من اصحابه
بنعمة من الله وفضل اي بعافية من السوء وتجارة رابحة لم يمسسهم سوء اي قتل عن السدي ومجاهد وقيل النعمة هنا
الثبوت على الايمان في طاعة الله والفضل الربح في التجارة عن الزجاج وقيل ان اقل ما يفعل الله بالخلق فهو نعمة وما زاد

على ذلك فهو الموصوف لانه فضل والفرق بين النعمة والمنفعة ان النعمة لا تكون نعمة الا اذا كانت حسنة والمنفعة قد تكون
حسنة وقد تكون قبيحة وهذا لان النعمة يستحق بها الشكر ولا يستحق الشكر بالقبيح واتبعوا رضوان الله بالخروج الى لقاء العدو
والله ذو فضل عظيم على المؤمنين وقد تضمنت الآية التنبيه على ان كل من دهمه امر ينبغي ان يفزع الى هذه الكلمة وقد صحت
الرواية عن الصادق ع انه قال عجبت لمن خاف كيف لا يفزع الى قوله حسبنا الله ونعم الوكيل فاني سمعت الله يقول
بعقبها فانقلبوا بنعمة من الله وروي عن ابن عباس انه قال آخر كلام ابرهيم عليه السلم حين القي في النار حسبنا الله
ونعم الوكيل وقال نبيكم مثلها وتلا هذه الآية قوله عز وجل انما ذلكم الشيطان يخوف اولياءه فلا تخافوهم
وخافون ان كنتم مؤمنين . الاعراب كم من ذلكم للخطاب المحض لا للضمير فلا موضع له من الاعراب
وقوله يخوف يتعدى الى مفعولين يقال خاف زيد القتال وخوفته القتال المعنى ثم ذكر سبحانه ان ذلك التخويف
الذي كان من نعيم بن مسعود من فعل الشيطان وباغوائه وتسويله يخوف اولياءه المؤمنين قال ابن عباس
ومجاهد وقتادة يخوف المؤمنين بالكافرين وقال الزجاج وابو علي الفارسي وغيرهما ان تقديره يخوفكم اولياءه
اي من اوليائه بدلالة قوله فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين اي كنتم مصدقين بالله فقد اعلمتكم اني انصركم
عليهم ومثله قوله لينذر باسا شديدا اي لينذركم بباس شديد فلما حذف الجار نصبه وقيل معناه ان الشيطان
يخوف المنافقين الذين هم اولياؤه وانهم هم الذين يخافون من ذلك التخويف بان يوسوس اليهم ويرهبهم ويعظم
من العدد في قلوبهم فيقعدوا عن متابعة الرسول والمسلمون لا يخافونه لانهم يثقون بالنصر الموعود ونظيره قوله
سبحانه انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون والاول اصح قوله عز وجل ولا يحزنك الذين يسارعون
في الكفر انهم لن يضروا الله شيئا يريد الله الا يجعل لهم حظا في الآخرة ولهم عذاب اليم آيتان القراءة قرا نافع في
جميع القرآن يحزن بضم الياء وكسر الزاي الا قوله لا يحزنهم الفزع الاكبر فانه فتحها وضم الزاي وقرا الباقون في جميع
ذلك يحزن بفتح الياء وضم الزاي وقرا ابو جعفر عكس ما قرا نافع فانه فتح الياء في جميع القرآن الا قوله لا يحزنهم
فانه ضم الياء الحجة قال ابو علي قال سيبويه تقول فتن الرجل وفتنته وحزن الرجل وحزنته وزعم الخليل انك
حيث قلت فتنته وحزنته لم ترد ان تقول جعلته حزينا وجعلته فاتنا كما انك حين تقول ادخلته اردت جعلته
داخلا ولكنك اردت ان تقول جعلت فيه حزنا وفتنة كما تقول كحلته جعلت فيه كحلا ودهنته جعلت فيه دهنا
فجئت بفعلته على حدة ولم ترد بفعلته هاهنا تغيير قوله حزن وفتن ولو اردت ذلك لقلت احزنته وافتنته قال وقال
بعض العرب افتنت الرجل واحزنته اذا جعلته فاتنا وحزينا فغير وافعل قال ابو علي فهذا الذي حكاه عن بعض
العرب حجة نافع واما قراءته لا يحزنهم الفزع الاكبر فيشبه ان يكون اتبع فيها اثرا او احب الاخذ بالوجهين الاعراب
قوله شيئا نصب على انه مصدر وقع موقع المصدر ويحتمل ان يكون نصبا بحذف الباء كانه قال فلن يضروه بشيء كما تقول
ما ضررت زيدا شيئا من نقص مال ولا غيره المعنى لما علم سبحانه المؤمنين ما يعملونه عند تخويف الشيطان اياهم خاطب
رسوله بضرب من التعليم في هذه الآية فقال ولا يحزنك ايها الرسول الذين يسارعون في الكفر يعني المنافقين
عن مجاهد وابن اسحق وقوما من العرب ارتدوا عن الاسلام عن ابي علي الجبائي انهم لن يضروا الله شيئا بكفرهم ونفاقهم
وارتدادهم لان الله سبحانه لا يجوز عليه المنافع والمضار وانما قال ذلك على جهة التسلية لنبيه ع لانه كان يصعب عليه كفر
هؤلاء ويعظم عليه امتناعهم عن الايمان ولا يبعد انه ربما كان يخطر بباله ان مسارعتهم الى الكفر وامتناعهم من الايمان
لتفريط حصل من قبله فامنه الله تعالى من ذلك واخبر ان ضرر كفرهم راجع اليهم ومقصور عليهم يريد الله ان لا يجعل
لهم حظا في الآخرة اي نصيبا في الجنة واذا كانت الارادة تتعلق بما يصح حدوثه ولا تتعلق بان لا يكون الشيء فلا بد
من حذف في الكلام ومعناه انه يريد ان يحكم بحرمان ثوابهم الذي عرضوا له بتكليفهم وان يعاقبهم في الآخرة على سبيل الجزاء

كفرهم ونفاقهم ولهم عذاب طاهر المعنى وهذا يدل على بطلان مذهب المجبرة لانه سبحانه نسب اليهم المسارعة الى الكفر واذا كان
كذلك فلا خلقه فيهم فكيف يصح نسبته اليهم ثم استانف سبحانه الاخبار بان من اشترى الكفر بالايمان وهم جميع الكفار
بهذه الصفة فقال ان الذين اشتروا الكفر بالايمان اى استبدلوا الكفر بالايمان وقد بينا فيما تقدم ان اطلاق لفظ
الشراء على ذلك مجاز وتوسع وانما شبه استبدالهم الكفر بالايمان بشراء السلعة بالثمن لن يضروا الله شيئا انما كرر
هذه الاية لانه ذكر ذلك فى الاية الاولى على طريق العلة لما يجب من التسلية عن المسارعة الى الضلالة وذكره
فى هذه الاية على وجه العلة لاختصاص المضرة بالعاصى دون المعصى والفرق بين المضرة والاساءة ان الاساءة
لا تكون الا قبيحة والمضرة قد يكون حسنة اذا كانت مستحقة او على وجه اللطف او فيها نفع يوفى عليها او دفع
ضرر اعظم منها ولهم عذاب اليم اى مولم قوله تعالى ولا يحسبن الذين كفروا انما نملى لهم خير لانفسهم انما نملى
لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين آية القراءة قرا ابن كثير وابو عمرو ولا يحسبن الذين كفروا ولا يحسبن الذين يبخلون
ولا يحسبن الذين يفرحون كلهن بالياء وكسر السين وكذلك لا يحسبنهم بضم الباء وبالياء وكسر السين وقرا حمزة
كلها بالتاء الا قوله فلا تحسبنهم بالتاء وفتح الباء الا ان اهل المدينة ويعقوب كسروا السين وفتحها الشامى وقرا
عاصم والكسائى وخلف كلما فى هذه السورة بالتاء الا حرفين ولا يحسبن الذين كفروا ولا يحسبن الذين
فانهما بالياء غير ان عاصما فتح السين وكسرها الكسائى الحجة من قرا بالياء فالذين فى هذه الاية فى موضع الرفع
بانه فاعل واذا كان الذين فاعلا وتقتضى حسبت مفعولين او ما يسد مسد المفعولين نحو حسبت ان زيدا
منطلق وحسبت ان يقوم عمرو فقوله انما نملى لهم خير لانفسهم قد سد مسد المفعولين اللذين يقتضيهما حسب
ويحتمل امرين احدهما ان يكون بمعنى الذى فيكون التقدير لا يحسبن الذين كفروا ان الذى نمليه لهم
خير لانفسهم والاخر ان يكون ما نملى بمنزلة الاملاء فيكون مصدرا واذا كان مصدرا لم يقتض راجعا قال المبرد من
قرا يحسبن بالياء فتح ان وفتح الكسر مع الياء وهو جائز على قبح لان الحسبان ليس بفعل حقيقى فهو يبطل عمله مع
ان المكسورة كما يبطل مع اللام كما يجوز حسبت لعبد الله منطلق يجوز على بعد حسبت ان عبد الله منطلق وقال
ابو على الوجه فيه ان ان يتلقى بها القسم كما يتلقى بلام الابتداء ويدخل كل واحد منهما على الابتداء والخبر كانه
قال هنا لا يحسبن الذين كفروا اللاخرة خير لهم واما قراءة حمزة بالياء من يحسبن وفتح ان فقد خطاه البصريون
فى ذلك لانه يصير المعنى ولا تحسبن الذين كفروا املانا وذلك لا يصح غير ان الزجاج قال يجوز على البدل من
الذين والمعنى ولا تحسبن املانا للذين كفروا خيرا لهم وقد جاء مثله فى الشعر وما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان
قوم تهدما قال ابو على لا يجوز ذلك لانك اذا ابدلت ان من الذين كفروا لزمك ان ينصب خيرا من حيث كان المفعول
الثانى ولم ينصبه احد من القراء واذا لم يصح البدل لم يجز فيه الا كسر ان على ان يكون ان وخبرها فى موضع المفعول
الثانى من تحسبن اللغة الاملاء اطالة المدة والملى الحين الطويل والملا الدهر والملوان الليل والنهار
لطول تعاقبهما النزول نزلت فى مشركى مكة عن مقاتل وفى قريظة والنضير عن عطا المعنى ثم بين سبحانه ان امهال الكفار
لا ينفعهم اذا كان يؤدى الى العقاب فقال ولا يحسبن اى لا يظنن الذين كفروا انما نملى لهم خير لانفسهم ان اطالتنا
لاعمارهم وامهالنا اياهم خير لهم من القتل فى سبيل الله باحد لان قتل الشهداء اداهم الى الجنة وبقاؤهم فى الكفر يؤديهم
الى العقاب ثم ابتدا سبحانه فقال انما نملى لهم اى انما نطيل عمرهم ونترك المعاجلة لعقوبتهم ليزدادوا اثما اى ليكون
عاقبة امرهم ازدياد الاثم فتكون اللام لام العاقبة مثل اللام فى قوله فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وهم
انما اخذوه ليكون لهم سرورا وقرة عين ذلك لما علم الله انه يصير فى آخر امره عدوا وحزنا قال لذلك ومثله فى قول الشاعر
اموالنا لذى الميراث نجمعها ودورنا لخراب الدهر نبنيها وقول الاخر واسمال فلا تجزى فللموت ما تلد الوالده

وقول الاخر ام سماك فلا تجزعى فللموت ما تلد الوالده وقول الاخر وللموت تغذوا الوالدات سخالها كما لخراب الدور
تبنى المساكن وقول الاخر لدوا للموت وابنوا للخراب ولا يجوز ان يكون لام الارادة والغرض لوجهين احدهما ان ارادة القبيح
قبيحة وتلك عنه سبحانه منفية والاخر انها لو كانت لام الارادة لوجب ان يكون الكفار مطيعين لله سبحانه من حيث فعلوا
ما وافق ارادته وذلك خلاف الاجماع وقد قال عز اسمه وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وما ارسلنا من رسول
الا ليطاع باذن الله فهما امر الا ليعبد والله مخلصين له الدين والقران يصدق بعضه بعضا وعلى هذا فلا بد من تخصيص
الاية بمن علم منه انه لا يؤمن لانه لو كان فيهم من يؤمن لما توجه اليهم هذا الوعيد المخصوص وقال ابو القسم البلخى معناه
ولا يحسبن الذين كفروا ان املاءنا لهم رضا بافعالهم وقبول لها بل هو شر لهم لانا نملى لهم وهم يزدادون اثما يستحقون
به العذاب الاليم ومثله ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس اى ذرانا كثيرا من الخلق سيصيرون الى جهنم بسوء
افعالهم وقد يقول الرجل لغيره وقد نصحه فلم يقبل نصحه ما زادك نصحى الا شرا وعظى الا فسادا ونظيره قوله سبحانه حتى انسوكم
ذكرى ومعلوم ان الرسل ما انسوهم ذكر الله على الحقيقة وما بعثوا الا للتذكير والتنبيه دون الانساء مع ان الانساء
ليس من فعلهم فلا يجوز اضافته اليهم ولكنه انما اضيف اليهم لان دعاءهم اياهم لما كان لا يصح منه ولا يردهم عن معاصيهم
فاضيف الانساء اليهم وعلى هذا المعنى قوله سبحانه حكاية عن نوح فلم يزدهم دعاءى الا فرارا وروى عن ابى الحسن الاخفش
والاسكافى انهما قالا ان فى الاية تقديما وتاخيرا وتقديره ولا يحسبن الذين كفروا انما نملى لهم خير لانفسهم وهذا
بعيد لانه لو كان كذلك لوجب ان يكون انما الاخيرة مفتوحة الهمزة لانها معمول يحسبن على هذا القول وان يكون
انما الاولى مكسورة الهمزة لانها مبتدا على هذا والتقديم والتاخير لا يغير الاعراب عن استحقاقه وذلك خلاف
ما عليه القراءة لان القراء اجمعوا على كسر الثانية واكثرهم على فتح الاولى ولهم عذاب مهين يهينهم فى نار جهنم قوله عز وعلا
ماكان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله
يجتبى من رسله من يشاء فامنوا بالله ورسله وان تؤمنوا وتتقوا فلكم اجر عظيم آية القراءة قرا اهل الحجاز
والشام وابو عمرو وعاصم حتى يميز وليميز بالتخفيف والباقون بالتشديد وضم الياء الاولى الحجة ماز يميز
فعل متعد الى مفعول واحد فاذا كان ميز فعل متعد الى مفعول واحد قال عز وجل ثم يميزوا فلم يزل والتضعيف
فى ميز ليس للتعدى والنقل كما ان التضعيف فى عوض ليس للنقل من عاض لان عاض متعد الى مفعولين كما فى قول
الشاعر عاضها الله غلاما بعد ما شابت الاصداغ والضرس نقد فلو كان التضعيف فى عوض للنقل ليتعدى الى ثلثة
مفعولين فعوض وعاض لغتان فى معنى واحد وكذلك ميز وماز النزول قيل ان المشركين قالوا لابى طالب ان كان محمد صادقا
فليخبرنا من يؤمن منا ومن يكفر فان وجدنا مخبره كما اخبر امنا به فذكر ذلك للنبى فانزل الله تعالى هذه الاية عن
السدى والكلبى وقيل سال المؤمنون ان يعطوا علامة يفرقون بها بين المؤمن والمنافق فنزلت الاية عن ابى العالية
والضحاك المعنى ما كان الله ليذر اى ليدع ومعناه لا يدع الله المؤمنين على ما انتم عليه يا اهل الكفر من الكفر واشتباه
المخلص بالمنافق اى لم يكن يجوز فى حكم الله تعالى ان يذرهم على ما كنتم عليه قبل مبعث النبى صلى الله عليه وآله
بعد كم حتى يميز الخبيث من الطيب اى الكافر من المؤمن عن قتاده والسدى وقيل حتى يميز المنافق من المخلص يوم احد
على ما مضى شرحه عن مجاهد وابن اسحق وابن جريج وقيل هو خطاب للمؤمنين وتقديره ما كان الله ليذركم يا معشر المؤمنين
على ما انتم عليه من التباس المؤمن بالمنافق وعلى هذا فيكون قد رجع من الخبر الى الخطاب كقوله حتى اذا كنتم فى الفلك
وجرين بهم واختلف فى انه باى شيء ميز بين الخبيث والطيب فقيل بالامتحان وتكليف الجهاد ونحوه مما ظهر به الحال كما ظهر
يوم احد بان ثبت المؤمنون وتخلف المنافقون عن الجهاد وقيل بالآيات والدلالات التى يستدل بها عليهم مثل

بالآيات والدلالات التي يستدل بها عليهم وقيل بان ينصر سبحانه المؤمنين ويكثرهم ويعز الدين ويذل المنافقين الى
عن ابي مسلم وقيل بان تفرض الفرائض فيثبت المؤمن على ايمانه ويميز من ينقلب على عقبيه وما كان الله ليطلعكم على
الغيب اي ما كان الله ليطلع على غيبه احدا منكم فتعلموا ما في القلوب ان هذا مؤمن وهذا منافق ولكن الله يجتبي من رسله
من يشاء اي يختار لرسالته من يشاء فيطلعه على الغيب اي يوقفه على علم الغيب ويعرفه اياه فآمنوا بالله ورسله كما امركم
وان تؤمنوا اي تصدقوا وتتقوا عقابه بلزوم امره واجتناب نهيه فلكم في ذلكم اجر عظيم وقيل معنى يصطفي من رسله
من يشاء من يصلح له ولا يطلعه على الغيب عن السدي وفي هذه الآية دلالة على انه يجوز ان يصلح جماعة للرسالة فيختار
منهم من يشاء اما لانه اصلح وبالنادرة اقرب وعن المنفرات ابعد واما لانهم قد تساووا في جميع الوجوه فيختار
من يشاء من بينهم لان النبوة ليست مستحقة جزاء وفيها دلالة على ان الثواب يستحق بالايمان والتقوى خلافا لمن قال
انه تفضل ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة
ولله ميراث السموات والارض والله بما تعملون خبير حجة القراءة ذكرنا اختلاف القراءة فيه فمن قرأ يحسبن بالياء
فالذين يبخلون فاعل يحسبن والمفعول الاول محذوف من اللفظ لدلالة اللفظ عليه وهو مثل قولك من كذب
كان شرا له اي الكذب وكذلك في الآية لا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله البخل هو خيرا لهم فدخله
هو فصلا لان تقدم يبخلون بمنزلة تقدم البخل ومن قرأ بالتاء فالفاعل المخاطب وهو النبي صلى الله عليه وآله والذين
يبخلون مفعول اول لتحسبن وخيرا لهم المفعول الثاني وفي الكلام حذف تقديره ولا تحسبن يا محمد بخل الذين يبخلون
خيرا لهم وهو فصل وانما احتيج الى هذا المحذوف ليكون المفعول الثاني هو الاول في المعنى لان هذه الافعال انما تدخل
على المبتدأ والخبر واذا كان الخبر مفردا فيجب ان يكون هو المبتدأ في المعنى والبخل هو منع الواجب لانه تعالى توعد عليه
وذم به واصله في اللغة المشقة في الاعطاء وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب يعملون بالياء كناية عن الذين يبخلون
والباقون بالتاء على الخطاب المعنى لا يحسبن الباخلون الذين يبخلون بما آتاهم الله اي اعطاهم الله من فضله اي من الاموال
فيبخلون باخراج الحقوق الواجبة فيها ان ذلك البخل هو خير لهم وعلى القراءة الاخرى لا تحسبن ايها السامع ولا تظن
يا محمد فالخطاب له والمراد غيره بخل الذين يبخلون خيرا لهم بل هو شر لهم اي ليس ذلك كما يظنون بل ذلك البخل شر لهم سيطوقون
ما بخلوا به يوم القيامة اختلف في معناه فقيل يجعل ما بخل به من المال طوقا في عنقه والآية نزلت في مانعي الزكوة وهو
المروي عن ابي جعفر عليه السلام وهو قول ابن مسعود وابن عباس والسدي والشعبي وغيرهم وروي عن النبي صلى الله عليه وآله
انه قال ما من رجل لا يؤدي زكوة ماله الا جعل في عنقه شجاع يوم القيامة ثم تلا عليه السلام هذه الآية وقال عليه السلام ما من
ذي رحم يأتي ذا رحمه يسأله من فضل اعطاه الله اياه فيبخل به عليه الا اخرج الله له من جهنم شجاعا يتلمظ حتى يطوقه
وتلا هذه الآية وقيل معناه يجعل في عنقه يوم القيامة طوق من نار عن النخعي وقيل معناه يكلفون يوم القيامة ان يأتوا
بما بخلوا من اموالهم عن مجاهد وقيل هو كقوله يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم فمعناه انه
يجعل طوقا معذبا بها عن الجبائي وقيل معناه انه يعود عليهم وباله فيصير طوقا لاعناقهم كقوله وكل انسان الزمناه
طائره في عنقه عن ابي مسلم قال والعرب تعبر بالرقبة والعنق عن جميع البدن الا ترى الى قوله سبحانه فتحرير رقبة وروي
عن ابن عباس ايضا ان المراد بالآية الذين يبخلون ببيان صفة محمد وهو الفضل في التورية التي فيها صفته والاول اليق
بسياق الآية ولله ميراث السموات والارض معناه يموت من في السموات والارض ويبقى هو جل جلاله لم يزل ولا يزال
فيبطل ملك كل مالك الا ملكه وقد تضمنت الآية الحث على الانفاق والمنع عن الامساك من قبل ان الاموال اذا كانت
بعرض الزوال اما بالموت او لغيره من الآفات فاحرى بالعاقل ان لا يبخل بانفاقه ولا يحرص على امساكه فيكون عليه وزره

والله بما تعملون خبير هذا تأكيد للوعد والوعيد في انفاق المال لاحراز الثواب والاجر والسلامة
من الاثم والوزر النظم الوجه في اتصال الآية بما قبلها انهم كما بخلوا بالانفاق والزكوة عن علي بن عيسى وقيل انهم
مع ما تقدم من احوالهم كتموا امر محمد صلى الله عليه وآله وبخلوا ببيانه قوله عز وجل لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله
فقير ونحن اغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت
ايديكم وان الله ليس بظلام للعبيد آيتان القراءة قرأ حمزة سيكتب بضم الياء وقتلهم بالرفع ويقول بالياء وقرأ الباقون
سنكتب بالنون وقتلهم بالنصب ونقول بالنون الحجة الوجه في قراءة من قرأ سنكتب ان النون ههنا بعد الاسم
الموضوع للغيبة فهو مثل قوله بل الله مولاكم ثم قال سنلقي في قلوب الذين كفروا ولو قال سيكتب بالياء لكان
في الافراد كقوله وقذف في قلوبهم الرعب وقوله كتب الله لاغلبن انا ورسلي وقوله ونقول معطوف على سنكتب
والوجه في قراءة حمزة وقتلهم انه عطف على ما قالوا وهو في موضع رفع ومن قال وقتلهم فانه عطفه على ما قالوا
ايضا وهو في موضع نصب بانه مفعول به اللغة يقال سمع يسمع سمعا اذا ادرك بحاسة الاذن والله سبحانه سميع
من غير ادراك بحاسة والسميع من هو على حالة يسمع لاجلها المسموعات اذا وجدت والسامع المدرك لذلك
وقال المحققون ان الله سبحانه سميع فيما لم يزل وسامع عند وجود المسموع وكونه سميعا بصيرا ليس بصفة زائدة على كونه
مدركا صفة زائدة على كونه حيا عالما وكونه سامعا مبصرا معناه وقال ابو القسم البلخي فائدة كونه سميعا بصيرا انه
يعلم المسموعات والمبصرات وهو لا يثبت للقديم سبحانه صفة الادراك وقال الخليل كل ما نزل بانسان من مكروه فقد
ذاقه الا انه يوسع وجاء في الخبر حتى تذوقي من عسيلته ويذوق من عسيلتك كناية عن الجماع وهذا من
الكنايات المليحة والحريق النار وكذلك الحرق بفتح الراء والحرق بسكونها المصدر كقولهم حرقت الشيء موحرقه
بالمبرد الاعراب موضع الباء في قوله بما قدمت ايديكم رفع لانها في موضع خبر المبتدأ وهو ذلك وهي متصلة بالا انه
كانه قيل ذلك استحق بما قدمت ايديكم وان الله انما فتح ان لانه معطوف على ما عملت فيه الباء وتقديره وبان الله
موضعه جر النزول لما نزلت من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا قالت اليهود ان الله فقير يستقرض منا ونحن اغنياء
وقائله حيي بن اخطب عن الحسن ومجاهد وقيل كتب النبي عليه السلام مع ابي بكر الى يهود بني قينقاع يدعوهم الى اقام
الصلوة وايتاء الزكوة وان يقرضوا الله قرضا حسنا فدخل ابو بكر بيت مدارسهم فوجد ناسا كثيرا منهم اجتمعوا الى رجل
منهم يقال له فنحاص بن عازورا فدعاهم فدعاهم مدارسهم فوجد ناسا كثيرا منهم اجتمعوا الى رجل منهم فقال له
الى الاسلام والصلوة والزكوة فقال له فنحاص ان كان ما تقول حقا فان الله اذا لفقير ونحن اغنياء ولو كان غنيا
لما استقرضنا اموالنا فغضب ابو بكر وضرب وجه فنحاص فانزل الله تعالى هذه الآية عن عكرمة والسدي
ومقاتل ومحمد بن اسحق المعنى ثم ذكر سبحانه خصلة اخرى من خصالهم الذميمة فقال لقد سمع الله قول الذين قالوا
قيل معناه ادرك قولهم وقيل علم ذلك عن البلخي ان الله فقير اي ذو حاجة لانه يستقرض منا ونحن اغنياء عن الحاجة وقد
علموا ان الله لا يطلب القرض وانما ذلك تلطف في الاستدعاء الى الانفاق وانما قالوه تلبيسا على عوامهم وقيل انما
قالوا ان الله فقير لانه يضيق علينا الرزق ونحن اغنياء لانا نوسع الرزق على اهالينا سنكتب ما قالوا قيل معناه
سنحفظ ما قالوا وكنى بالكتابة عن الحفظ لانه طريق الى الحفظ وقيل نكتب ذلك في صحايف اعمالهم وانما يفعل
ذلك مبالغة في الزجر عن المعصية لان المكلف اذا علم ان افعاله واقواله مكتوبة في الصحايف وانه لا بد من عرضها
عليه ومن قرائتها على رؤس الاشهاد يوم التناد كان ذلك ابلغ له في الزجر عن الاثم والمنع عن ارتكاب الجرائم وقتلهم
الانبياء بغير حق اي وسنكتب قتل اسلافهم الانبياء ورضا هؤلاء به فيجازي كلا بفعله وفيه دلالة على ان الرضا بفعل
القبيح يجري مجراه في عظم الجرم لان اليهود الذين وصفوا بقتل الانبياء لم يتولوا ذلك بانفسهم وانما رضوا به فلذلك نسب اليهم

من تولاه في عظم الاثم ويقول ذوقوا عذاب الحريق يعني المحرق وانما الفائدة فيه ان يعلم ان العذاب بالنار التي تحرق وهي
الملتهبة لان ما لم يلتهب لا يسمى حريقا وقد يكون العذاب بغير النار ويفيد قوله ذوقوا انكم لا تتخلصون من ذلك يقال
ذق هذا البلاء اي انك لست بناج منه وذلك اشارة الى ما سبق اي ذلك العقاب بما قدمت ايديكم معناه ما كسبتم علموه
واجنيتموه على انفسكم وان الله ليس بظلام للعبيد اي وقال الله لا يظلم احدا من عبيده وانما اضافه الى اليد وان كانت
تكسب الذنوب بجميع الجوارح لان عامة ما يكسبه الانسان انما يكسبه بيده ولان العادة قد جرت باضافة الافعال
الى اليد لانها الانسان الى اليد وان كان اكتسبها بجارحة اخرى تجري خطاب القديم تعالى على عادتهم وفي هذا دلالة
على بطلان مذهب المجبرة لانه لو وقع العقاب بمن غير جرم سلف من العبد لكان ظلما وذلك على خلاف ما يذهبو
اليه من انه سبحانه يعذب الاطفال من غير جرم سلف فيهم وانه يخلق فيهم الكفر ثم يعذبهم عليه لانه لا ظلم اعظم من ذلك
وانما ذكر لفظ ظلام وهو للتكثير تاكيدا لنفي الظلم عنه قوله تعالى الذين قالوا ان الله عهد الينا الا نؤمن لرسول
حتى ياتينا بقربان تاكله النار قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم
صادقين فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاءوا بالبينات والزبر والكتاب المنير آيتان القراءة قرا
ابن عامر وحده بالزبر بالباء وكذلك هي في مصاحف الشام كما في … والباقون بغير باء اللغة القربان
مصدر على وزن عدوان وخسران تقول قربت قربانا وقد يكون اسما كالبرهان والسلطان وهو كل بر يتقرب
به العبد الى الله سبحانه والزبر جمع زبور وكل كتاب فيه حكمة زبور وقال امرؤ القيس لمن طلل ابصرته فشجاني كخط زبور
في عسيب يماني يقال زبرت الكتاب اذا كتبته وزبرت الرجل اذا زجرته والزبرة مجتمع الشعر على الاسد وزبرت
البئر اذا طويتها بالحجارة فهي مزبورة والزبر العقل وانما جمع بين الزبر والكتاب ومعناهما واحد لان اصلهما
مختلف فهو كتاب بضم حروف بعضها الى بعض وزبور لما فيه من الزجر عن خلاف الحق وانما سمي زبور داود لكثرة
ما فيه من المواعظ والزواجر الاعراب الذين قالوا محله جر ردا على الذين قالوا ان الله فقير على تقدير وسمع قول
الذين النزول قيل نزلت الآية في جماعة من اليهود منهم كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف ووهب بن يهودا
وفنحاص بن عازوراء قالوا يا محمد ان الله عهد الينا في التورية ان لا نؤمن لرسول حتى ياتينا بقربان تاكله النار
فان زعمت ان الله بعثك الينا فجئنا به نصدقك فانزل الله تعالى هذه الآية عن الكلبي وقيل ان الله امر بني
اسرائيل في التورية من جاءكم يزعم انه نبي فلا تصدقوه حتى ياتي بقربان تاكله النار حتى ياتيكم المسيح ومحمد فاذا اتياكم
فامنوا بهما فانهما ياتيان بغير قربان المعنى ثم ذكر سبحانه قولهم الآخر فقال الذين قالوا يعني اليهود ان الله عهد الينا اي امرنا وقيل اوصانا
في كتبه وعلى السن رسله ان لا نؤمن لرسول اي لا نصدق رسولا فيما يقول من انه جاء به من عند الله حتى ياتينا بقربان
اي حتى يجيئنا بما يتقرب به الى الله من صدقة او بر يفعل منه وقوله تاكله النار بيان لعلامة التقبل فانه كان علامة تقبلها
ان تنزل نار من السماء فتاكله وكان يكون ذلك دلالة على صدق المتقرب فيما ادعاه عن ابن عباس قل يا محمد لهؤلاء
اليهود قد جاءكم رسل من قبلي يعني جاء اسلافكم بالبينات يعني الحجج الدالة على صدقهم وصحة نبوتهم وحقيقة قولهم
كما تقترحون وتطلبون منهم وبالذي قلتم معناه وبالقربان الذي قلتم فلم قتلتموهم اراد بذلك زكريا ويحيى وجميع
من قتلهم اليهود من الانبياء يعني لم قتلتموهم وانتم مقرون بان الذي جاءكم به من ذلك كان حجة لهم عليكم ان كنتم
صادقين فيما عهد اليكم فيما ادعيتموه وهذا تكذيب لهم في قولهم ودلالة على عنادهم وعلى ان النبي صلى الله عليه وآله لو
اتاهم بالقربان المتقبل كما ارادوه لم يؤمنوا به كما لم يؤمن اباؤهم بالانبياء الذين اتوا بالقربان وغيره من المعجزات وانما لم يقطع
الله سبحانه عذرهم بما سالوه من القربان الذي تاكله النار لعلمه سبحانه بان في الاتيان به مفسدة لهم والمعجزات تابعة
للمصالح ولان ذلك اقتراح في الادلة على الله والذي يلزم في ذلك ان يزيح علتهم بنصب الادلة فقط فان كذبوك فقد

208

كذب رسل من قبلك هذا تسلية للنبي عم في تكذيب الكفار اياه وذلك انه سبحانه اخبره بانه ليس باول مكذب من الرسل
بل كذب قبله رسل جاءوا بالبينات اي بالمعجزات الباهرات وبالزبر اي بالكتب التي فيها الحكم والزواجر والكتاب
المنير قيل المراد به التورية والانجيل لان اليهود كذبت عيسى وما جاء به من الانجيل وحرفت ما جاء به موسى من صفة
النبي صلى الله وبدلت عهده والنصارى ايضا جحدت ما في الانجيل من نعته وغيرت ما امرهم به والمنير الذي ينير
الحق لمن اشتبه عليه وقيل المنير الهادي الى الحق قوله تعالى كل نفس ذائقة الموت وانما توفون اجوركم يوم القيمة فمن
زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور آية اللغة يقال لكل من نجا من هلكة
ولكل من لقي ما يغتبط به فقد فاز وتاويل فاز تباعد من المكروه ولقي ما يحب ومعنى قولهم مفازة للمهلكة التفاؤل
والمفازة المنجاة كما سموا اللديغ سليما والاعمى بصيرا المعنى ثم بين سبحانه ان مرجع الخلق اليه فيجازي المكذبين
بسوء اعمالهم من حيث حتم الموت على جميع خلقه فقال كل نفس ذائقة الموت لا محالة فكانها ذائقة وقيل معنا
كل نفس ذائقة مقدمات الموت وشدائده وسكراته كقوله سبحانه حتى اذا جاء احدهم الموت وعلى هذا جاء قوله عم
لقنوا موتاكم شهادة ان لا اله الا الله وهذا الظاهر يدل على ان كل نفس تذوق الموت وان كانت مقتولة وان
القتل لا ينفك من الموت الذي هو فعل الله تعالى وقيل ان المراد بالموت هنا انتفاء الحيوة والقتل قد انتفى الحيوة
عنه فهو داخل في الآية وانما توفون اجوركم معناه وانما تعطون جزاء اعمالكم وافيا يوم القيمة ان خيرا فخير وان
شرا فشر او عقابا فان الدنيا ليست بدار جزاء وانما هي دار عمل والآخرة دار جزاء وليست بدار عمل فمن زحزح عن
النار اي بوعد عن نار جهنم ونحي عنها وادخل الجنة فقد فاز اي نال المنية وظفر بالبغية ونجا من الهلكة وما
الحيوة الدنيا الا متاع الغرور معناه ما لذات الدنيا وشهواتها وزينتها الا متعة متعكموها الغرور والخداع المضمحل
الذي لا حقيقة له عند الاختبار لانكم تلتذون بها ثم انها تعود عليكم بالرزايا والفجائع فلا تركنوا اليها ولا تغتروا
بها فانما هي غرور صاحبها مغرور وقيل متاع الغرور القوارير وهو في الاصل ما لا بقاء له عن عكرمة وفي الآية
دلالة على ان نعيم من الآخرة خير من نعيم الدنيا باسره ولذلك قال صلى الله عليه وآله موضع سوط في الجنة خير من
الدنيا وما فيها وفيها دلالة على ان كل حي سيموت ولولا ورود السمع بذلك لكان يجوز في العقل ان يتصل حيوتهم
الى وقت المجازاة واذا قيل اليس من قولكم لا بد من قطع بين حال التكليف وحال المجازاة فجوابه ان ذلك
القطع يجوز ان يحصل مع بقاء الحيوة وفيها دلالة على ان المقتول يحصل فيه الموت وقد اختلف في الموت
فقال ابو علي وابو هاشم فعند ابي علي الموت يضاد الحيوة وعند ابي هاشم عدم الحيوة فعلى كلا المذهبين يجوز
حصوله في المقتول قوله عز وعلا لتبلون في اموالكم وانفسكم ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم
ومن الذين اشركوا اذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور آية الاعراب اللام في قوله لتبلون
لام التاكيد وتتضمن معنى القسم والنون تاكيد للقسم واعلمت الواو في لتبلون ولا تكسر لالتقاء الساكنين لانها واو
الضمير حركت بما كان يجب لما قبلها من الضم ومثله اشتروا الضلالة ولو كانت الواو حرف الاعراب لفتحت نحو هل
يغزون … النزول نزلت الآية في كعب بن الاشرف وكان يهجو النبي صلى الله عليه وآله والمؤمنين ويحرض المشركين
عليهم ويشبب بنساء المسلمين فقال من لي بابن الاشرف فقال محمد بن مسلمة انا يا رسول الله فخرج هو وابو نائلة مع جماعة
فقتلوه غيلة واتوا براسه الى النبي صلى الله عليه وآله آخر الليل وهو قائم يصلي عن الزهري وقيل نزلت في فنحاص اليهودي
سيد بني قينقاع لما بعث رسول الله ابا بكر اليه يستمده وكتب اليه كتابا فلما قراه قال قد احتاج ربكم الى ان نمده فهم ابو بكر
ان يضربه ثم ذكر قول النبي عم لا تفتات بشيء حتى ترجع عن عكرمة ومقاتل المعنى ثم بين سبحانه ان الدنيا دار محنة وابتلاء
وانها انما زويت عن المؤمنين ليصبروا فيوجروا فقال لتبلون اي لتوقع عليكم المحن وتلحقكم الشدائد في اموالكم بذهابها

ونقصانها في انفسكم ايها المومنون بالقتل والمصائب مثل ما نالكم يوم احد وقيل بفرض الجهاد وغيره من الفرائض
والقرب التي امرنا بها وانما سماه بلوى مجازا لان حقيقة الاختبار والتجربة لا يجوز على الله تعالى لانه العالم بالاشيا
قبل كونها وانما فعل ذلك ليتميز المحق من المبطل عن الجبائي ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم يعني اليهود
والنصارى ومن الذين اشركوا يعني كفار مكة وغيرهم اذى كثيرا يعني ما سمعوه من تكذيب النبي صلى الله عليه وآله ومن
الكلام الذي يغمهم وان تصبروا وتتقوا يعني ان صبرتم على ذلك وتمسكتم بالطاعة ولم تجزعوا عنده جزعا يبلغ الاثم
فان ذلك من عزم الامور اي مما بان رشده وصوابه ووجب على العاقل العزم عليه وقيل من محكم الامور قوله تعالى
واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا
به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون آية القراءة قرا ابن كثير وابو عمرو عن عاصم ليبيننه بالياء ولا يكتمونه ايضا بالياء
والباقون بالتاء فيهما الحجة حجة من قرا بالتاء قوله واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم والاتفاق عليه فكذلك
قوله واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله وقد تقدم القول في ذلك وحجة من قرا بالياء ان الكلام محمول
على الغيبة لانهم غيب المعنى ثم حكى سبحانه عنهم نقض المواثيق والعهود بعد حكايته عنهم التكذيب بالرسل فقال واذ
اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب قيل اراد به اليهود خاصة وقيل اليهود والنصارى وقيل اراد به كل من اوتي
علما بشي من الكتب لتبيننه للناس اي لتظهرنه للناس والهاء عائدة الى محمد صلى الله عليه وآله في قول سعيد بن جبير
والسدي لان في كتابهم ان محمدا رسول الله وان الدين الاسلام وقيل الهاء عائدة الى الكتاب فيدخل فيه بيان امر النبي
صلى الله عليه وآله لانه في الكتاب عن الحسن وقتادة ولا تكتمونه اي لا تخفونه عند الحاجة فنبذوه وراء ظهورهم
اي طرحوه خلف ظهورهم وهذا مثل ... وتركوه فلم يعملوا به وان كانوا مقرين به عن ابن عباس ويقال لمن يطرح
شيئا ولا يعبا به رماه بظهره قال الفرزدق تميم بن قيس لا تكونن حاجتي بظهر ولا يعيا علي جوابها واشتروا به ثمنا قليلا
اي استبدلوا بعهد الله عليهم ومخالفته ومشاقته عوضا قليلا من حطام الدنيا يعني ما حصلوه لانفسهم من المآكل
والرشا والهدايا التي اخذوها من سفلتهم وسعلتهم فبئس ما يشترون اي بئس الشي ذلك ان يستحقوا به العذاب
الاليم وان كان نفعا عاجلا ودلت الآية على وجوب اظهار الحق وتحريم كتمانه فيدخل فيه بيان الدين والاحكام
والفتاوى والشهادات وغير ذلك من الامور التي يختص بها العلماء وروى الثعلبي في تفسيره باسناده عن الحسن بن عمارة
قال اتيت الزهري بعد ان ترك الحديث فالفيته على بابه فقلت ان رايت ان تحدثني فقال اما علمت اني تركت
الحديث فقلت اما ان تحدثني واما ان احدثك فقال حدثني فقلت حدثني الحكم بن عتيبة عن نجم الجزار قال سمعت
علي بن ابي طالب يقول ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا قال فحدثني باربعين حديثا
قوله عز وعلا لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب
ولهم عذاب اليم آية القراءة قد ذكرنا اختلاف القراء في يحسبن وتحسبنهم فيما قبل الحجة قال ابو علي من قرا لا يحسبن
بالياء فلا يحسبنهم فالذين في موضع رفع بانه فاعل يحسبن ولم يوقع يحسبن على شي قال ابو الحسن لا يعجبني قراءة من
قرا الاولى بالياء لانه لم يوقعه على شي ... لانه لم يحسن ان لا يعدى حسب لانه قد جرى مجرى اليمين في نحو علم الله
لافعلن ولقد علمت لتاتين منيتي وظنوا ما لهم من محيص فكان القسم لا يتكلم به حتى يعلق بالمقسم عليه فكذلك
وعلمت في هذا الباب وايضا فقد جرى في كلامهم لغوا وما جرى لغوا لا يكون في حكم الجمل المفيدة ومن ثم جاء نحو وما خلت
ابقى بيننا من مودة عراض المذاكي المسنفات القلائصا وانما هو ما ابقى بيننا فالوجه في هذه القراءة انه لم يعد حسبت
الى مفعوليه اللذين يقتضيهما لان حسبت في قوله فلا يحسبنهم بمفازة من العذاب لما جعل بدلا من الاول وعدي حسبت
الى مفعوليه استغنى بهما عن تعديه الاول اليهما كما استغنى في قوله بالكتاب ام باي سنة ترى حبهم عارا علي وتحسب

يتعدى احد الفعلين الى المفعول من تعدية الآخر اليهما والفاء زائدة والتقدير لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا انفسهم
بمفازة من العذاب واما قراءة فلا تحسبنهم بضم الباء فان فعل الفاعل الذي هو يحسبن يتعدى الى ضميره وحذفت
واو الضمير لدخول النون الثقيلة فان قيل هلا لم تحذف الواو من يحسبون واثبتها كما ثبتت في نحو تمود الثوب واتحاجوني
ونحو ذلك مما ثبت فيه التقاء الساكنين لان الساكن الاول فيه زيادة المد التي تقوم مقام الحركة فالقول فيه انه حذف
كما حذف مع الخفيفة الا ترى انك لو قلت لا تحسبن زيدا ذاهبا لزمك الحذف فاجرى الثقيلة مجرى الخفيفة في هذا
وقوله بمفازة من العذاب في موضع المفعول الثاني وفيه ذكر للمفعول الاول وفعل الفاعل في هذا الباب يتعدى
الى ضمير نفسه نحو ظننتني اخاك لان هذه الافعال لما كانت تدخل على المبتدا والخبر اشبهت ان واخواتها في دخولهن
على المبتدا والخبر كدخول هذه الافعال عليهما في ذلك فقولك ظننتني ذاهبا كقولك انني ذاهب ومما يقوي ذلك
قبح دخول النفس عليها لو قلت اظن نفسي تفعل كذا لم يحسن كما يحسن اظنني فاعلا فاما قراءة نافع وابي جعفر وابن عامر
لا يحسبن بالياء فلا تحسبنهم بالتاء وفتح الباء فمثل قراءة ابن كثير وابي عمرو الا في قوله فلا تحسبنهم والمفعولان اللذان
يقتضيهما الحسبان في قوله لا يحسبن الذين يفرحون محذوفان لدلالة ما ذكر من بعد عليهما ولا يجوز البدل هنا كما جاز
هناك لاختلاف الفعلين باختلاف فاعليهما فاما قراءة حمزة بالتاء فيهما فحذف المفعول الثاني الذي يقتضيه تحسبن
لان ما يجي من بعد من قوله فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب يدل عليه ويجوز ان يجعل تحسبنهم بدلا من تحسبن والفاء
زائدة كما في قوله فاذا هلكت فعند ذلك فاجزعي النزول نزلت في اليهود حيث كانوا يفرحون باجلال الناس لهم
ونسبتهم اياهم الى العلم عن ابن عباس وقيل نزلت في اهل النفاق لانهم كانوا يجمعون على التخلف عن الجهاد مع رسول الله
فاذا رجعوا اعتذروا واحبوا ان يقبل منهم العذر ويحمدوا بما ليسوا عليه من الايمان عن ابي سعيد الخدري
وزيد بن ثابت وقيل ان يهود خيبر اتوا النبي صلى الله عليه وآله فقالوا نحن نعرفك ونؤمن بك وليس ذلك في
قلوبهم فحمدهم المسلمون فنزلت الآية عن قتادة المعنى ثم بين سبحانه خصلة اخرى ذميمة من خصال اليهود فقال
لا تحسبن الذين يفرحون اي الفارحين الذين يفرحون بالنفاق ويحبون ان يحمدوا بالايمان وقيل هم اليهود
الذين فرحوا بكتمان امر النبي صلى الله عليه وآله واحبوا ان يحمدوا بانهم ائمة وليسوا كذلك وقد عرفت المعنى في القراءة
بالتاء والياء في الحجة فلا معنى لاعادته وقال ابو القاسم البلخي ان اليهود قالوا نحن ابناء الله واحباؤه واهل
الصلوة والصوم وليسوا اولياء الله ولا احباءه ولا اهل الصلوة والصيام ولكنهم اهل شرك ونفاق وهو المروي
عن ابي جعفر الباقر عليه السلام وقيل معناه انهم يحبون ان يحمدوا على ابطالهم امر محمد وتكذيبهم به والاقوى
ان يكون المعني بالآية من اخبر الله عنهم انه اخذ ميثاقهم في ان يبينوا امر محمد ولا يكتموه وعليه اكثر اهل التاويل
وقوله فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب اي لا تظنهم بمنجاة ومبعد من النار ولهم عذاب اليم اي مولم موجع قوله عز وعلا
ولله ملك السموات والارض والله على كل شي قدير آية المعنى لما ذكر سبحانه في الآية المتقدمة من فرح بمعصية
ركبها واحب ان يحمد بما لم يفعله واخبر انه لا نجاة لهم من عذابه قال ولله ملك السموات والارض اي هو مالك ما في السموات
وما في الارض بمعنى انه يملك تدبيرهما وتصريفهما على ما شاء من جميع الوجوه وليس لخلقه الاعتراض عليه فكيف يطمع والحال هذه
في الخلاص منه والله على كل شي قدير فيه تنبيه على انه قادر على اهلاك من اراد اهلاكه وعلى الانشاء والافناء كما يشاء
قوله عز وجل ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الالباب الذين يذكرون الله قياما
وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ربنا
انك من تدخل النار فقد اخزيته وما للظالمين من انصار ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان ان آمنوا بربكم فآمنا ربنا

ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الابرار ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد

خمس آيات فضلها روى الثعلبي في تفسيره باسناده عن محمد بن الحنفية عن علي بن ابي طالب عليه السلم ان رسول الله صلى الله عليه وآله كان اذا قام من الليل يتسوك ثم ينظر الى السماء ثم يقول ان في خلق السموات والارض الى قوله فقنا عذاب النار وقد اشتهرت الرواية عن النبي صلى الله عليه وآله انه لما نزلت هذه الآيات قال ويل لمن لاكها بين فكيه ولم يتأمل ما فيها وورد عن الائمة عليهم السلم الامر بقراءة هذه الآيات الخمس وقت القيام بالليل للصلوة وفي الضجعة بعد ركعتي الفجر وروى محمد بن علي بن محبوب عن العباس عن المعروف عن عبد الله بن مغيرة عن معوية بن وهب قال سمعت ابا عبد الله وذكر النبي صلى الله عليه وآله قال كان يؤتى بطهور فيخمر عند راسه ويوضع سواكه تحت فراشه ثم ينام ما شاء الله فاذا استيقظ جلس ثم قلب بصره في السماء وتلا الآيات من آل عمران ان في خلق السموات الآيات ثم يستن ويتطهر ثم يقوم الى المسجد فيركع اربع ركعات على قدر قراءته ركوعه وسجوده على قدر ركوعه يركع حتى يقال متى يرفع راسه ويسجد حتى يقال متى يرفع راسه ثم يعود الى فراشه فينام ما شاء الله ثم يستيقظ فيجلس فيتلو الآيات من آل عمران ويقلب بصره في السماء ثم يستن ويتطهر ويقوم الى المسجد فيصلي اربع ركعات كما ركع قبل ذلك ثم يعود الى فراشه فينام ما شاء الله ثم يستيقظ فيجلس ويتلو الآيات من آل عمران ويقلب بصره في السماء ثم يستن ويتطهر ويقوم الى المسجد فيوتر ويصلي الركعتين ثم يخرج الى الصلوة

اللغة اللب العقل سمي به لانه خير ما في الانسان واللب من كل شيء خيره وخالصه سبحانك معناه تنزيها لك من ان يكون خلقتها باطلا وبراءة مما لا يليق بصفاتك قال الشاعر سبحانه ثم سبحانا نعوذ له وقبلنا سبح الجودي والجمد والابرار جمع بر وهو الذي بر الله بطاعته اياه حتى ارضاه واصل البر الاتساع فالبر الواسع من الارض خلاف البحر والبر صلة الرحم والبر العمل الصالح والبر الحنطة وابر الرجل على اصحابه اي زاد عليهم

الاعراب الذين يذكرون في موضع جر صفة لاولي الالباب قياما وقعودا نصب على الحال وعلى جنوبهم ايضا في موضع نصب على الحال ولذلك عطف على قياما وقعودا اي مضطجعين لان الظرف يكون حالا للمعرفة كما يكون نعتا للنكرة لما فيه من معنى الاستقرار تقول مررت برجل على الحائط اي مستقر على الحائط وكذا مررت برجل في الدار وتقول انا اصير ماشيا الى فلان وعلى الفرس فيكون موضع على الفرس نصبا على الحال من الضمير في اصير وقوله ما خلقت هذا باطلا اي يقولون ما خلقت هذا الخلق ولذلك لم يقل هذه ولا هؤلاء وباطلا نصب على انه المفعول الثاني وقيل تقديره بالباطل او للباطل ثم نزع الحرف فوصل الفعل وجزاؤه في قوله من تدخل النار فقد اخزيته جملة مركبة من الشرط والجزاء والاصل فيهما جملتان كل واحد منهما من فعل وفاعل وان موضع من نصب بتدخل على انه مفعول به وقوله ان آمنوا يحتمل ان يكون هذه هي المفسرة بمعنى اي ويحتمل ان يكون الناصبة للفعل لانه يصلح في مثله دخول الباء ينادي بان آمنوا

المعنى لما بين سبحانه ان له ملك السموات والارض عقبه ببيان الدلالة على ذلك فقال ان في خلق السموات والارض اي في انشائهما بما فيهما من العجائب والبدائع واختلاف الليل والنهار اي تعاقبهما ومجي كل منهما خلف الآخر لآيات اي دلالات على توحيد الله وصفاته العلى لاولي الالباب اي لذوي البصائر والعقول ووجه الدلالة في خلق السموات والارض ان في وجودهما متضمن لاعراض حادثة وما لا ينفك عن حادث فهو حادث مثله والمحدث لابد له من محدث يحدثه وموجد يوجده فدل وجودهما وحدوثهما على ان لهما محدثا قادرا ودل ابداعهما مع ما فيهما من البدائع والامور الجارية على غاية الانتظام والاتساق على ان مبدعهما عالم لان الفعل المحكم المنتظم لا يصح الا من عالم كما ان الايجاد لا يصح الا من قادر ودل ذلك ايضا على انه قديم لم يزل لانه لو كان محدثا لاحتاج الى محدث فيؤدي الى التسلسل ووجه الدلالة في تعاقب الليل والنهار انهما

على مقدار معلوم لا يزيدان عليه ولا ينقصان منه ونقصان كل واحد منهما على الآخر في حال وزيادته عليه في حال وازدياد احدهما بقدر نقصان الآخر دلالة ظاهرة على ان لهما صانعا قادرا حكيما لا يدركه عجز ولا يلحقه سهو ثم وصف سبحانه ذوي الالباب فقال الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم اي هؤلاء الذين يستدلون على توحيد الله بخلقه السموات والارض هم الذين يذكرون الله قائمين وقاعدين ومضطجعين اي في سائر الاحوال لان احوال المكلفين لا يخلو من هذه الاحوال الثلاثة وقد امرهم الله بذكره سبحانه في جميعها وقيل معناه يصلون لله على قدر امكانهم في صحتهم وسقمهم فالصحيح يصلي قائما والمريض جالسا وعلى جنبه اي مضطجعا فسمى الصلوة ذكرا ورواه علي بن ابرهيم في تفسيره ولا ينافي من التفسير لانه غير ممتنع وصفهم بالذكر في هذه الاحوال وهم في الصلوة وهو قول ابن جريج وقتادة ويتفكرون في خلق السموات والارض اي ومن صفة اولي الالباب ان يتفكروا في خلق السموات والارض ويتدبروا في ذلك ليستدلوا به على وحدانية الله تعالى وكمال قدرته وعلمه وحكمته ثم يقولون ربنا ما خلقت هذا باطلا اي ما خلقت هذا الخلق عبثا وقيل بالباطل وللباطل بل خلقته لغرض صحيح وحكمة ومصلحة ليكون دليلا على وحدانيتك وحجة على كمال حكمتك ثم ينزهونه عن كل ما لا يليق بصفاته او يلحق نقصا بذاته فيقولون سبحانك اي تنزيها لك عما لا يجوز عليك فلم تخلقنا عبثا ولا لعبا بل عرضتنا للثواب بلا من العقاب فقنا عذاب النار بلطفك الذي يتمسك معه بطاعتك وفي هذه الآية دلالة على ان الكفر والضلال والقبائح ليست خلقا لله تعالى لان هذه الاشياء كلها باطلة بلا خلاف وقد نفى الله سبحانه ذلك بحكايته عن اولي الالباب الذين رضي اقوالهم بانه ما خلق سبحانه فيجب بذلك القطع على ان القبائح كلها غير مضافة اليه سبحانه ومنفية عنه تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا ثم حكى عن اولي الالباب الذين وصفهم بانهم يقولون ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته قيل فيه وجوه احدها ان معناه فضحته واهنته فيكون منقولا من الخزي ونظيره قوله ولا تخزون في ضيفي وثانيها قال المفضل معناه اهلكته وانشد اخزى الاله من الصليب الهه واللابسين ملابس الرهبان وثالثها ان معناه احللته محلا ووقفته موقفا يستحيا منه فيكون منقولا من الخزاية التي معناها الاستحياء قال ذو الرمة خزاية ادركته بعد جولته من جانب الحبل مخلوطا بها الغضب واختلف اهل التاويل في المعنى بهذه الآية فروي عن انس بن مالك وسعيد بن المسيب وقتادة وابن جريج ان الاخزاء يكون بالتابيد في النار وهي خاصة لمن لا يخرج منها قال جابر بن عبد الله ان الخزي يكون بالدخول فيها وروي عن عمرو بن دينار وعطا انه قال وما اخزاه حين احرقه بالنار ان دون ذلك لخزيا وهذا هو الاقوى لان الخزي انما هو هتك المخزي وفضيحته ومن عاقبه الله على ذنوبه فقد فضحه وهذا غير مناف لما نذهب اليه من جواز العفو عن المذنبين لا على قول من قال الخزي هو الخلود في النار فمن عفا الله عنه لا يكون اخزاه وان دخله النار ثم اخرجه منها بعد استيفاء العقاب وعلى قول من ابطل الخزي بنفس الدخول فانه وان كان خزيا فليس كمثل خزي الكفار ويجوز حمل قوله يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه على كلا الوجهين وعلى من جعله من الخزاية التي هي الاستحياء فيكون اخزاء المؤمنين محمولا على الحياء واخزاء الكافرين على الاهانة والخلود في النار وقوله وما للظالمين من انصار اي ليس لهم من يدفع عنهم عذاب الله على وجه المغالبة والقهر لان الناصر هو الذي يدفع عن المنصور على وجه المغالبة ولا ينافي ذلك ما صح من شفاعة النبي صلى الله عليه وآله والاولياء لاهل الكبائر لان الشفاعة هي المسألة والخضوع والتضرع الى الله تعالى وليست من النصرة في شيء وصح عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال ليصيبن اقواما سفع من نار بذنوب اصابوها ثم يخرجون فيسميهم اهل ورواه البخاري في الصحيح عن انس بن مالك وفيما رواه ابو سعيد الخدري قال عنه ع ليخرجون بعدما امتحشوا وعادوا

كما قال فيلقون في نهر يقال له نهر الحيوة قال فينبتون منه كما ينبت الحبة في حميل السيل واما البخاري وابو مسلم ايضا
في الصحيح وما روي في ذلك من الاخبار لا يحصى وهذا كما تراه صريح في وقوع العفو عن مرتكبي الكبائر ربنا اننا سمعنا مناديا
قيل المنادي محمد صلى الله عليه وآله عن ابن مسعود وابن عباس وابن جريج واختاره الجبائي وقيل انه القران عن
محمد بن كعب القرظي وقتادة واختاره الطبري قال لانه ليس يسمع كل احد قول النبي صلى الله عليه وآله ولا يراه والقران
يسمعه من رآه ومن لم يره كما قال سبحانه حكاية عن الجن انا سمعنا قرانا عجبا يهدي الى الرشد ولمن نصر القول الاول
ان يقول من بلغه قول النبي ودعوته جاز ان يقول سمعنا مناديا وان كان فيه ضرب من التجوز ومعنى قوله سمعنا
مناديا ينادي سمعنا نداء منادي لان المنادي لا يسمع وقوله ينادي للايمان معناه الى الايمان كقوله سبحانه الحمد لله الذي هدانا لهذا
ومعناه الى هذا وكقول الراجز اوحى لها القرار فاستقرت وشدها بالراسيات الثبت ومثله قوله بان ربك
اوحى لها القرار فاستقرت ما لمعنى ربنا اننا سمعنا داعيا يدعو الى الايمان والتصديق بك والاقرار بوحدانيتك
واتباع رسولك واتباع امره ونهيه وقوله ان آمنوا بربكم معناه بان آمنوا بربكم فحذف الباء وقيل معناه قائلا
آمنوا بربكم فآمنا اي فصدقنا الداعي فيما دعا اليه من التوحيد والدين واجبناه ربنا فاغفر لنا ذنوبنا معناه
استرها علينا ولا تفضحنا بها في القيامة على رؤوس الاشهاد بعقوبتك وكفر عنا سيئاتنا معناه امحها بفضلك ورحمتك
ايانا وتوفنا مع الابرار معناه واقبضنا اليك في جملة الابرار واحشرنا معهم فان قيل ما معنى قوله كفر عنا وقد اغنى عنه
قوله فاغفر لنا فالجواب عنه من وجهين احدهما ان معناه اغفر لنا ذنوبنا ابتداء بلا توبة وكفر عنا ان تبنا والثاني
ان معناه اغفر لنا ذنوبنا بالتوبة وكفر عنا باجتناب الكبائر السيئات لان الغفران قد يكون ابتداء ومن سبب
والتكفير لا يكون الا عند فعل من العبد والاول اليق بمذهبنا ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك هذه حكاية
انه عمن تقدم وصفهم بانهم يقولون اعطنا ما وعدتنا على لسان رسلك من الثواب ولا تخزنا اي لا تفضحنا
او لا تهلكنا يوم القيمة انك لا تخلف الميعاد هو كلام مستانف دلالة انه كان والمعنى انك وعدت الجنة
لمن آمن بك انك لا تخلف الميعاد فان قيل ما وجه المسئلة في انجاز الوعد والمعلوم انه يفعله لا محالة فالجواب
عنه من وجوه احدها ان ذلك على وجه الانقطاع الى الله والتضرع له والتعبد كما قال سبحانه رب احكم بالحق واختاره
علي بن عيسى الجبائي والثاني ان الكلام خرج مخرج المسئلة والمراد الخبر اي توفنا مع الابرار لتؤتينا ما وعدتنا به
على رسلك ولا تخزنا يوم القيمة لانهم علموا ان ما وعد الله حق ولا بد ان ينجز والثالث ان معناه السؤال والدعاء
بان يجعلهم ممن اتاهم ما وعدهم من الكرامة على السن رسله لا انهم كانوا قد استحقوا منزلة الكرامة عند الله في انفسهم
ثم سالوه ان يوفيهم ما وعدهم ثم يعلمهم باستحقاقهم عند انفسهم لانه لو كان كذا لكانوا قد زكوا انفسهم واثنوا
بانها تستوجب كرامة الله ولا يليق ذلك بصفة اهل الفضل من المومنين والرابع انهم انما سالوا ذلك على وجه الرغبة
منهم الى الله في تعجيل ما وعدهم من النصر على اعدائهم من اهل الكفر واعلاء كلمة الحق على الباطل بتعجيل ذلك لهم
لانه لا يجوز ان يكونوا مع ما وصفهم الله به غير واثقين ولا على غير يقين ان الله لا يخلف الميعاد فرغبوا اليه في
تعجيل ذلك ولكنهم كانوا وعدوا النصر ولم يوقت لهم في ذلك وقت فرغبوا في تعجيل ذلك لهم لما في ذلك من
السرور بالظفر وهو اختيار الطبري وقال الآية مختصة بمن هاجر من اصحاب النبي صلى الله عليه وآله الذين رغبوا في
تعجيل النصر على اعدائهم وقالوا ولا صبر لنا على اناتك وحلمك وقوى ذلك بما بعد هذه الآية من قوله فاستجاب
لهم ربهم الآيات والجهد ادى ابو القسم البلخي قوله عز وعلا فاستجاب لهم ربهم اني لا اضيع عمل عامل منكم
من ذكر او انثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا واخرجوا من ديارهم واوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا

لاكفرن عنهم سيئاتهم ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن
الثواب آية القراءة قرا حمزة والكسائي وخلف وقتلوا وقاتلوا بتقديم الفعل المبني للمفعول به على الفعل المبني
للفاعل والتخفيف وقرا الباقون بتقديم قاتلوا على قتلوا وشدد التاء من قتلوا ابن كثير وابن عامر الحجة اما تقديم
قاتلوا على قتلوا فلان القتال قبل القتل وحسن التشديد لتكرر الفعل فهو مثل مفتحة لهم الابواب ومن خفف
فلان فعلوا يقع على الكثير والقليل والتشديد يختص بالكثير واما تقديم قتلوا على قاتلوا فلان المعطوف بالواو يجوز ان يكون
اولا في المعنى وان كان مؤخرا في اللفظ ويمكن ان يكون الوجه فيه ان يكون المراد قتل منهم فالموا لم يهنوا ولم يضعفوا للقتل
الذي وقع بهم كقوله سبحانه فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله اللغة الاضاعة الاهلاك ضاع الشيء يضيع ضياعا اذا هلك
واضاعه وضيعه بمعنى وضد الضيعة القرية واما قولهم كل رجل وضيعته فان الضيعة بمعنى الحرفة هاجر فاعل من الهجر
وهو ضد الوصل وهاجر القوم من دار الى دار اي تركوا الاولى للثانية ومنه المهاجرة بالمهاجرين الاعراب من في قوله
من ذكر او انثى للتبيين والتبعيض في قوله منكم بمعنى لا اضيع عمل عامل منكم من الذكور والاناث فهو بيان بجنس من اضيف
العمل اليه وقال انها مؤكدة بمعنى النفي اي لا اضيع اي لا اضيع عمل ذكر او انثى منكم وبعضكم مبتدأ وقوله من بعض في موضع رفع
بانه خبره وثوابا مصدر مؤكد لان معنى ولادخلنهم جنات لاثيبنهم ومثله قوله كتاب الله عليكم لان معنى قوله حرمت عليكم امهاتكم
كتب الله عليكم هذا فكتاب الله مصدر مؤكد النزول روي ان ام سلمة قالت يا رسول الله ما بال الرجال يذكرون في الهجرة
دون النساء فانزل الله تعالى هذه الآية قال البلخي نزلت الاية وما قبلها في المتبعين للنبي صلى الله عليه وآله والمهاجرين
معه ثم هي في جميع من سلك سبيلهم وحذا حذوهم من المسلمين المعنى ثم عقب سبحانه دعوة المومنين بذكر الاجابة
فقال فاستجاب لهم ربهم اي اجاب المومنين الذين تقدم الخبر عنهم اني لا اضيع اي باني لا ابطل عمل عامل منكم من ذكر او انثى
رجل او امراة بعضكم من بعض في النصرة والدين والموالاة تحكمي في الجميع حكم واحد فلا اضيع عمل واحد منكم لاتفاقكم
في صفة الايمان وهذا يتضمن الحث على مواطن الادعية التي في الآيات المتقدمة والاشارة اليها في ما سهل الله
ويذهب اليها وذلك لانه يتضمن الاجابة لمن دعا بها فالذين هاجروا الى المدينة وفارقوا قومهم من اهل الكفر واخرجوا
من ديارهم اخرجهم المشركون من مكة واوذوا في سبيلي في طاعتي وديني وعبادتي وذلك هو سبيل الله فحملوا الاذى
لاجل الدين وقاتلوا في سبيل الله وقتلوا فيها لاكفرن عنهم سيئاتهم لاغفرنها ولامحونها عنهم ولا تفضلن عليهم بعفوي ومغفرتي
ورحمتي وهذا يدل على ان اسقاط العقاب تفضل من الله تعالى ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار اي
من تحت ابنيتها واشجارها الانهار ثوابا اي جزاء لهم من عند الله على اعمالهم والله عنده حسن الثواب اي عنده من
حسن الجزاء على الاعمال ما لا يبلغه وصف واصف ولا يدرك نعت ناعت مما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر
على قلب بشر وقيل حسن الثواب في دوامه وسلامته عن كل شوب من النقصان والتكدير قوله عز وجل لا يغرنك
تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل ثم ماويهم جهنم وبئس المهاد لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله وما عند الله خير للابرار آيتان القراءة قرا يعقوب برواية رويس وزيد لا يغرنك
ولا يحطمنكم ولا يستخفنك فاما نذهبن بك او نرينك خفيفة النون في الجميع والباقون بالتشديد فيها وقرا ابو جعفر
لكن الذين اتقوا بتشديد النون والباقون لكن بالتخفيف اللغة الغرور ايهام حال السرور فيما الامر بخلافه في المعلوم
وليس كل ايهام غرورا لانه قد يتوهم مخوفا فيحذر منه فلا يقال غره والغرر نظير الخطر والفرق بينهما ان الغرر يقبح كله
لانه ترك الحزم فيما يمكن ان يتوثق منه والخطر قد يحسن على بعض الوجوه لانه من العظم ومن قولهم رجل خطير اي عظيم والمتاع
النفع العاجل يتعجل به اللذة اما بوجود اللذة او بما يكون مع اللذة في امال الجليل والملك والاولاد والاخوان والمهاد
الذي يسكن فيه الانسان وواحد الابرار بر وبار وتقول بررت والذي فاناب واصله برر ولكن الراء ادغمت للتضعيف

الاعراب بني المضارع مع نون التاكيد لانه بمنزلة ضم اسم الى اسم كخمسة عشر ونحوه ومتاع متاع خبر مبتدا محذوف تقديره
تقلبهم متاع قليل حذف المبتدا لدلالة ما تقدم عليه وبئس المهاد حذف المخصوص بالذم من الكلام لدلالة ما تقدم
عليه تقديره وبئس المهاد جهنم نزلا مصدر مؤكد مثل ما تقدم ذكره في قوله ثوابا من عند الله لان خلودهم في الجنة انزالهم
فيها فصار كانه قال انزلوها نزلا وهو بمعنى انزلوها انزالا وقيل هو نصب على التفسير كما تقول هو لك هبة وصدقة عن الفراء
وخالدين منصوب على الحال التي هي مقدرة لهم الخلود النزول نزلت في مشركي العرب كانوا يتجرون ويتنعمون فقال
بعض المسلمين ان اعداء الله في العيش الرخي وقد هلكنا فنزلت لا يغرنك الآية المعنى لا يغرنك يا محمد الخطاب له والمراد غيره
وقيل معناه لا يغرنك ايها الانسان او السامع تقلب الذين كفروا اي تصرفهم في البلاد سالمين غانمين آخذين
باجرامهم اعلم الله سبحانه ان ذلك مما لا ينبغي ان يغبطوا به لان مأواهم ومصيرهم بكفرهم الى النار ولا خير بخير بعده النار وقوله
متاع قليل معناه تصرفهم في النعم متاع قليل اي يتمتعون بذلك قليلا لانه زائل وسماه متاعا لانهم متعوا به في الدنيا
ثم مأواهم اي مصيرهم ومرجعهم جهنم وبئس المهاد اي ساء المستقر هي ثم اعلم سبحانه ان من اراد الله وابتغاه فله الجنة فقال
لكن الذين اتقوا ربهم ولفظ لكن للاستدراك فيكون بخلاف المعنى المتقدم فمعناه ليس للكفار ما قدم خيرا انما
هي للمتقين المؤمنين الذين اتقوا ربهم بفعل الطاعات وترك المعاصي لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها نزلا من عند الله بين سبحانه ما يصير اليهم من النعيم المقيم في دار القرار المعدة للابرار والنزل ما يعد
للضيف من الكرامة والبر والطعام والشراب وما عند الله من الثواب والكرامة خير للابرار مما يتقلب فيه الذين كفروا
لان ذلك عن قريب سيزول وما عند الله دائم لا يزول وروي عن عبد الله بن مسعود انه قال ما من نفس برة ولا فاجرة
الا والموت خير لها من الحيوة فاما الابرار فقد قال الله تعالى وما عند الله خير للابرار واما الفجار فقد قال تعالى
ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم الآية وقوله في الفاجرة ان الموت خير لها انما يعني بذلك
اذا كانت تدوم على فجورها قوله عز وجل وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم وما انزل اليهم
خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا اولئك لهم اجرهم عند ربهم ان الله سريع الحساب آية واحدة
اللغة اصل الخشوع السهولة قولهم الخشعة وهي سهولة في الرمل كالربوة والخاشع من الارض الذي لا يهتدي
له لان الرمل يعفي آثاره والخاشع الخاضع ببصره والخشوع هو التذلل خلاف الصعف خاشعين نصب على الحال
من الضمير في يؤمن وهو عائد الى من وقيل هو حال من الضمير في انزل اليهم المجرور بالى والاول احسن النزول
في نزولها قيل نزلت في النجاشي ملك الحبشة واسمه اصحمة وهو بالعربية عطية وذلك انه لما مات نعاه جبرئيل
لرسول الله في اليوم الذي مات فيه فقال رسول الله صلى الله عليه وآله اخرجوا فصلوا على اخ لكم مات بغير ارضكم
قالوا ومن قال النجاشي فخرج رسول الله ص الى البقيع وكشف له من المدينة الى ارض الحبشة فابصر سرير
النجاشي وصلى عليه فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلي على علج نصراني حبشي لم يره قط وليس على دينه فانزل
الله تعالى هذه الآية عن جابر بن عبد الله وابن عباس وانس وقتادة وقيل نزلت في اربعين رجلا من اهل
نجران من بني الحرث بن كعب واثنين وثلثين من ارض الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى فآمنوا
بالنبي عليه السلم عن عطا وقيل نزلت في جماعة من اليهود كانوا اسلموا منهم عبد الله بن سلام ومن معه عن ابن جريج
وابن زيد وابن اسحق وقيل نزلت في مؤمني اهل الكتاب كلهم عن مجاهد لان الآية قد تنزل عن سبب وتكون
عامة في كل ما تناوله وعن مجاهد المعنى لما ذم سبحانه اهل الكتاب فيما تقدم وصف طائفة منهم بالايمان واظهار
الحق والصدق فقال وان من اهل الكتاب اي من اليهود والنصارى لمن يؤمن بالله اي يصدق بالله ويقر بوحدانيته
وما انزل اليكم ايها المؤمنون وهو القرآن وما انزل اليهم وهو التورية والانجيل خاشعين لله اي خاضعين لله

مستكينين بالطاعة متذللين بها قال ابن زيد الخاشع المتذلل الخائف وقال الحسن الخشوع الخوف اللازم للقلب من الله
لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا اي لا يأخذون عوضا يسيرا على تحريف الكتاب وكتمان الحق من الرشى والمأكل كما فعل
غيرهم ممن وصفهم سبحانه بقوله اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى لكن ينقادون للحق ويعملون بما امرهم الله
وينتهون عما نهاهم عنه ثم قال اولئك يعني هؤلاء الذين وصفناهم لهم اجرهم عند ربهم معناه لهم ثواب اعمالهم واجر طاعاتهم
عند الله مدخر حتى يوفيهم يوم القيامة ان الله سريع الحساب وصف الحساب بالسرعة لانه سبحانه لا يؤخر الجزاء عمن
يستحقه بطول الحساب لانه لا يخفى عليه شيء من اعمالهم قبل ان عملوها وبعد ان عملوها فلا حاجة به الى احصاء عدد فيقع
في الاحصاء ابطاء وقيل معناه انه يحاسب كل الخلق معا فاذا حاسب واحدا فقد حاسب الجميع لانه قادر على ان يكلمهم
في حال واحدة كل واحد بكلام يخصه لانه القادر بنفسه عن ابي علي الجبائي وانما خص الله سبحانه هذه الطائفة بالوعد
لئلا يظن ان جزاء اعمالهم موفر عليهم ولا يضر كفر من كفر منهم قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا
واتقوا الله لعلكم تفلحون آية اللغة اصل الرباط ارتباط الخيل للعدو والربط الشد ومنه قولهم ربط الله على
قلبه بالصبر ثم استعمل في كل مقيم في ثغر يدفع عمن وراءه من اراده بسوء والرباط ايضا اسم لما يشد به المعنى لما حكى
سبحانه احوال المؤمنين والكافرين فيما تقدم حث بعد ذلك على الصبر على الطاعة ولزوم الدين والجهاد في سبيله
فقال يا ايها الذين آمنوا اي صدقوا الله ورسوله اصبروا وصابروا ورابطوا اختلف في معناها على وجوه احدها
ان المعنى اصبروا على دينكم اي اثبتوا عليه وصابروا الكفار ورابطوهم في سبيل الله عن الحسن وقتادة وابن جريج
والضحاك فعلى هذا يكون معناه اصبروا على طاعة الله سبحانه وعن معاصيه وقاتلوا العدو واصبروا على قتالهم
في الحق كما يصبرون على قتالكم في الباطل وانما اتى بلفظ صابروا هنا لان فاعل انما يأتي لما يكون بين اثنين والرباط هو
المرابطة فيكون بين اثنين ايضا يعني اعدوا لهم الخيل كما يعدون لكم كقوله سبحانه واعدوا لهم ما استطعتم من قوة وثانيها
ان المراد اصبروا على دينكم وصابروا وعدي اياكم ورابطوا عدوي وعدوكم عن محمد بن كعب القرظي وثالثها ان
المراد اصبروا على الجهاد عن زيد بن اسلم وقيل معنى رابطوا اي رابطوا الصلوات ومعناه انتظروها واحدة بعد واحدة
لان المرابطة لم تكن حينئذ روي ذلك عن علي عليه السلم وعن جابر بن عبد الله وابي سلمة بن عبد الرحمن وروي
عن النبي صلى الله عليه وآله انه سئل عن افضل الاعمال فقال اسباغ الوضوء في السبرات ونقل الاقدام الى الجماعات وانتظار
الصلوة بعد الصلوة فذلكم الرباط وروي عن ابي جعفر ع انه قال معناه اصبروا على المصائب وصابروا على عدوكم ورابطوا
عدوكم وهو قريب من القول الاول وقوله واتقوا الله لعلكم تفلحون معناه واتقوا ان تخالفوا الله فيما يامركم به لكي تفلحوا بنعيم
الابد وقيل معناه واتقوا الله بلزوم امره واجتناب نهيه لكي تظفروا وتفوزوا بنيل المنية ودرك البغية والوصول
الى النجح في الطلبة وذلك حقيقة الفلاح وهذه الآية تتناول ما يتصل بالغير كمجاهدة الجن والانس وما هو اعظم منها من جهاد
النفس ورابطوا ايضا يدخل فيه الدفاع عن المسلمين والذب عن الدين واتقوا الله تتناول الانتهاء عن جميع المناهي والزواجر
والائتمار بجميع الاوامر ثم يتبع جميع ذلك الفلاح والنجاح وبالله التوفيق ههه وافق الفراغ عن اتمام تفسير هذه السورة
يوم الثلثا لست خلون من شهر الله الاصم رجب عظم الله بركته من سنة احدى وثلثين وخمسمائة والله عز اسمه المأمول المسئول
في تيسير اتمام جميعه والتوفيق لتهذيبه وتوضيحه وان يجعله وقفا لما يحبه ويرضاه ويجزل عليه اجره ويهنيه انه على
ما يشاء قدير وهو ولي التسهيل والتيسير بمنه ولطفه وحسبنا الله ونعم الوكيل والحمد لله رب العالمين

قد فرغ من كتابة هذا المجلد ... الثاني في يوم الخميس منتصف شهر رجب المرجب
سنة ثمان وخمسين والف من الهجرة ...
الى رحمة الله مسعود بن ... اللهم اجعل كتابه
سببا للنجاة يوم الحساب بحق محمد وآله
الطيبين الطاهرين

بسم الله الرحمن الرحيم رب وفقني على الإتمام

رب اشرح لي صدري ويسر لي امري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي سورة النساء هي مدنية كلها وقيل انها
مدنية الا قوله ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها الآية وقوله ويستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة
الى آخرها فان الآيتين نزلتا بمكة عدد آيها مائة وسبع وسبعون آية شامي ست كوفي خمس في الباقين اختلافها
آيتان ان تضلوا السبيل كوفي شامي فيعذبهم عذابا اليما شامي فضلها أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله قال من
قرأها فكأنما تصدق على كل من ورث ميراثا واعطي من الاجر كمن اشترى محررا وبرئ من الشرك وكان في مشية الله
من الذين يتجاوز عنهم وروى عمر بن الخطاب انه قال تعلموا سورة البقرة وسورة النساء وسورة المائدة
وسورة الحج وسورة النور فان فيهن الفرائض وروى العياشي باسناده عن امير المؤمنين علي عليه السلام قال من قرأ
سورة النساء في كل جمعة أمن من ضغطة القبر اذا ادخل في قبره تفسيرها لما ختم الله سبحانه السورة التي يذكر فيها
آل عمران بالامر بالتقوى افتتح ايضا هذه السورة الا ان هناك خص به المؤمنين وعم بها هنا سائر المكلفين فقال
بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما
رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا آية القراءة قرأ اهل الكوفة
تساءلون بتخفيف السين والباقون بتشديدها وقرأ حمزة والارحام بالجر والباقون بالنصب وقرئ في الشواذ
والارحام بالرفع الحجة من خفف تساءلون اراد تتساءلون فحذف التاء من تتفاعلون لاجتماع حروف متقاربة
ومن شدد فقال تساءلون فانه ادغم التاء في السين وحسن ذلك في انهما من حروف طرف اللسان واصول
الثنايا واجتماعهما في الهمس فخفف هنا بالادغام كما خفف هناك بالحذف وقال ابو علي من نصب الارحام احتمل
انتصابه وجهين احدهما ان يكون معطوفا على موضع الجار والمجرور والآخر ان يكون معطوفا على اتقوا تقديره
واتقوا الله واتقوا الارحام فصلوها ولا تقطعوها واما من جر فانه عطف على الضمير المجرور بالباء وهذا ضعيف
في القياس وقليل في الاستعمال وما كان كذلك فترك الاخذ به احسن وانما ضعف في القياس لان الضمير قد صار
عوضا عما كان متصلا بالاسم من التنوين فقبح ان يعطف عليه كما لا يعطف الظاهر على التنوين ويدلك على انه
جرى عندهم مجرى التنوين حذفهم الياء من المنادى المضاف اليها كحذفهم التنوين وذلك قولهم يا غلام وهو الاكثر
من غيره وجه الشبه بينهما انه على حرف كما ان التنوين كذلك واجتماعهما في السكون وانه لا يوقف على الاسم
منفصلا منه كما ان التنوين كذلك والمضمر اذهب في مشابهة التنوين من المظهر لانه قد ينفصل من المضاف
اليه اذا كان ظاهرا بالظروف وبغيرها كقول الشاعر كأن اصوات من ايغالهن بنا اواخر الميس اصوات الفراريج
وقول الآخر من فرع النبع الكنانة فليس المضمر في هذا كان ظاهرا فلما كان كذلك لم يستجز عطف الظاهر عليه
لان المعطوف ينبغي ان يكون مشاكلا للمعطوف عليه وقد جاء ذلك في ضرورة الشعر انشد سيبويه فاليوم قربت
تهجونا وتشتمنا فاذهب فما بك والايام من عجب فعطف الايام على موضع الكاف وقال آخر تعلق في مثل السواري
سيوفنا وما بينها والكعب غوط نفانف فعطف بالكعب على الهاء فالاول مثلها ومثل ذلك لا يجوز في القرآن
والكلام الفصيح قال المازني وذلك لان الثاني في العطف شريك للاول فان كان الاول يصلح ان يكون شريكا للثاني
والا لم يصلح ان يكون الثاني شريكا له فكما لا تقول مررت بزيد وك كذلك لا تقول مررت بك وزيد واما القراءة الشاذة
في رفع الارحام فالوجه فيه حمله على الابتداء اي والارحام مما يجب ان تتقوه حذف الخبر للعلم به اللغة البث النشر يقال

بث الله الخلق ومنه قوله كالفراش المبثوث وبعضهم يقول ابث بمعناه ويقال بثثتك السر وابثثتك سري لغتان
واصل الرقيب من الترقب وهو الانتظار ومنه الرقبى لان كل واحد منهما ينتظر موت صاحبه تقول رقب يرقب رقوبا ورقبة
ورقبا فعلى هذا يكون الرقيب فعيلا بمعنى الفاعل وهو الحافظ الذي لا يغيب عنه شيء المعنى ابتدأ الله سبحانه هذه
السورة بالموعظة والامر بالتقوى فقال يا ايها الناس وهو خطاب للمكلفين من جميع البشر وقيل النداء انما كان في سائر
كتب الله السالفة بيا ايها المساكين واما في القرآن فما نزل بمكة فالنداء بيا ايها الناس وما نزل بالمدينة فمرة بيا ايها الذين
آمنوا ومرة بيا ايها الناس اتقوا ربكم معناه اتقوا معصية ربكم او مخالفة ربكم بترك ما امر به وارتكاب ما نهى عنه وقيل معناه
اتقوا ان تعصوه وقيل اتقوا عقابه فكأنه قال الحق عليكم ان تتقوا من انعم عليكم باعظم النعم وهي خلقكم من
نفس واحدة ووجدكم ومن عظمت عنده النعم فهو بالتقوى اولى وقيل ان المراد به بيان كمال قدرته فكأنه قال
الذي قدر على ان خلقكم من نفس واحدة فهو على عقابكم اقدر فيحق عليكم ان تتركوا مخالفته وتتقوا عقوبته وقوله
الذي خلقكم من نفس واحدة المراد بالنفس ههنا آدم عند جميع المفسرين وانما لم يقل من نفس واحد بالتذكير
وان كان المراد آدم لان لفظ النفس مؤنث بالصيغة فهو كقول الشاعر ابوك خليفة ولدته اخرى وانت خليفة
ذاك الكمال فأنث على اللفظ ولو قال من نفس واحد لجاز وخلق منها زوجها يعني حوا عليها السلام ذهب اكثر المفسرين
الى انها خلقت من ضلع من اضلاع آدم ورووا عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال خلقت المرأة من ضلع ان اقمتها كسرتها
وان تركتها وفيها عوج استمتعت بها وروى عن ابي جعفر الباقر عم ان الله خلق حوا من فضل الطينة التي خلق
منها آدم وبث منهما رجالا كثيرا ونساء اي نشر وفرق من هاتين النفسين على وجه التناسل رجالا كثيرا ونساء
وانما من علينا بان خلقنا من نفس واحدة لانه اقرب الى ان يعطف بعضنا على بعض ويرحم بعضنا على بعض
لرجوعنا جميعا الى اصل واحد ولان ذلك ابلغ في القدرة وادل على العلم والحكمة وقوله واتقوا الله الذي تساءلون
به والارحام قيل في معناه قولان احدهما انه من قولهم اسألك بالله ان تفعل كذا وانشدك بالله ونشدتك
الله والرحم وكذا كانت العرب تقول عن الحسن وابراهيم وعلى هذا يكون قوله والارحام عطفا على موضع قوله به
والمعنى انكم كما تعظمون الله باقوالكم فعظموه بطاعتكم اياه والآخر ان معنى تساءلون به تطلبون حقوقكم وحقكم
الحكم فيما بينكم وبه والارحام معناه واتقوا الارحام ان تقطعوها عن ابن عباس وقتادة ومجاهد والضحاك
والربيع وهو المروي عن ابي جعفر عليه السلام فعلى هذا يكون منصوبا عطفا على اسم الله وهذا يدل على وجوب
صلة الرحم ويؤيده ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال قال الله تعالى انا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها
اسما من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته وفي هذا اشارة الى هذا الحديث وصلة الرحم قد تكون بقبول النسب
وقد تكون بالانفاق على ذي الرحم وما يجري مجراه وروى الاصبغ بن نباتة عن امير المؤمنين عليه السلام قال ان
احدكم ليغضب فما يرضى حتى يدخل به النار فايما رجل غضب على ذي رحمه فليمسه فان الرحم اذا مستها الرحم استقرت
وانها متعلقة بالعرش ينادي اللهم صل من وصلني واقطع من قطعني ان الله كان عليكم رقيبا اي حافظا عن مجاهد
وقيل رقيب عالم عن ابن زيد والمعنى متقارب وانما اتى بلفظ كان المفيدة للماضي لانه اراد انه كان حفيظا
على من تقدم زمانه من عهد آدم وولده الى زمان المخاطبين وعالما بما في ضمائرهم لم يعزب عنه من ذلك شيء
وآتوا اليتامى اموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم انه كان حوبا كبيرا آية اللغة حاب يحوب
ذهب الى المصيبة وتحوب فلان من كذا اذا تحرج منه ونزلنا بحوبة من الارض اي بموضع سوء والحوبة الحزن
والتحوب التحزن والحوباء الروح المعنى لما امر سبحانه بالتقوى وصلة الارحام عقبه بباب آخر من التقوى وهو
توفير حقوق اليتامى فقال وآتوا اليتامى اموالهم وهذا خطاب للاوصياء اليتامى اي اعطوهم اموالهم بالانفاق عليهم

في حالة الصغر وبالتسليم اليهم عند البلوغ منهم اذا انس منهم الرشد سماهم يتامى بعد البلوغ مجازا لان النبي
صلى الله عليه وآله لا يتم بعد احتلام كما قالوا للنبي يتيم ابي طالب بعد كبره يظنون انه رباه وكقوله سبحانه والقي السحرة
ساجدين اي الذين كانوا سحرة ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب معناه لا تستبدلوا ما حرمه الله عليكم من اموال اليتامى
بما احله الله لكم من اموالكم واختلف في صفة التبديل فقيل كان اوصياء اليتامى يأخذون الجيد من مال اليتيم
والرفيع منه ويجعلون مكانه الخسيس والردي عن ابرهيم النخعي والسدي وسعيد بن المسيب والزهري والضحاك
وقيل معناه لا تستبدلوا الخبيث بالطيب بان تجعلوا الحرام بدل ان ياتيكم الرزق الحلال الذي قدر لكم عن ابي صالح
ومجاهد وقيل ما كان اهل الجاهلية يفعلونه من انهم لم يكونوا يورثون النساء اولا الصغار ويأخذه الكبار عن
ابن زيد واقوى الوجوه الاول لانه انما ذكر عقيب اموال اليتامى فيكون معناه لا تأخذوا السمين والجيد
من اموالهم وتحيفون بهم في صفاتها ومعاينها وقوله ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم اي مع اموالكم ومعناه لا تضموا
اموالهم الى اموالكم وتاكلوهما جميعا ويحتمل ان يكون معناه لا تخلطوا الجيد من اموالهم بالردي من اموالكم فتاكلوها
فان في ذلك اجحافا واضرارا بهم فاما اذا لم يكن في ذلك اضرار ولا ظلم فلا بأس بخلط مال اليتيم بماله فقد روي انه
لما نزلت هذه الآية كرهوا مخالطة اليتامى فشق ذلك فشكوا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وآله فانزل الله سبحانه
ويسئلونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير وان تخالطوهم فاخوانكم الآية عن الحسن وهو المروي عن السيدين عن الباقر
والصادق عليهما السلام انه كان حوبا اي اثما عظيما قوله عز وجل وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب
لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم الا تعدلوا فواحدة او ما ملكت ايمانكم ذلك ادنى الا تعولوا
وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا آيتان بق الا تعولوا آية
بالاتفاق وهذا مما يشكل ونقل القراءة قرا ابو جعفر فواحدة رفع والباقون بالنصب الحجة القراءة بالنصب على
انه مفعول به وتقديره فانكحوا واحدة ومن رفع فعلى انه واحدة كافية او فواحدة مجزية كقوله فان لم يكونا
رجلين فرجل وامراتان اللغة الاقساط العدل والانصاف والقسط الجور ويقال ثنى ومثنى وثلث وثلاث
ورباع ومربع ولم يسمع فيما زاد عليه مثل خماس ومخمس الا عشار في بيت الكميت وهو قوله فلم يستريثوك
حتى رميت فوق الرجال خصالا عشارا وقال صخر الغي ولقد قتلتكم ثناء وموحدا وتركت مرة مثل امس الدابر
وعال الرجل يعول عولا وعيالة اي مال وجار ومنه عول الفرائض لان سهامها اذا زادت دخلها النقص قال ابو طالب
بميزان قسط وزنه غير عائل وعال يعيل عيلة اذا احتاج قال الشاعر فما يدري الفقير متى غناه وما يدري الغني
متى يعيل اي يفتقر فمن قال معنى قوله الا تعولوا الا تفتقروا فقد اخطأ لانه من باب الياء كما ترى ومن قال ان معناه
الا تكثر عيالكم فقد اخطأ ايضا لان ذلك يكون من الاعالة يقال اعال الرجل يعيل فهو معيل اذا كثر عياله وعال
العيال اذا مانهم ومنه قوله صلى الله عليه وآله ابدأ بمن تعول وقد حكى الكسائي عال الرجل يعول اذا كثر عياله
والصداق والصداق والصدقة والصدقة المهر والنحلة العطية تكون عن غير جهة المثامنة يقال نحلت الرجل اذا
وهبت له نحلة ونحلا وسمي النحل نحلا لان الله تعالى نحل منها الناس العسل الذي في بطونها وهنأ من هنأت
البعير بالقطران قالوا هي شفاء من المرض كما ان الهناء الذي هو القطران شفاء من الجرب قال الا ان رايت ولا سمعت
به كاليوم هاني انيق جرب متبذلا تبدو محاسنه يضع الهناء مواضع النقب يقال هناني الطعام ومراني اي صار
لي دواء وعلاجا شافيا وهنئني ومرئني بالكسر وهي قليلة ويقولون في المستقبل يهنأني ويمرأني وبمرئني واذا
افردوا قالوا امراني ولا يقولون اهناني وقد مرؤ هذا الطعام مراءة ويقال هنأت القوم اذا علتهم وهنأت
فلانا المال اذا وهبته له اهنأه هنأ ومنه المثل انما سميت هانئا لتهنأ اي لتعطي الاعراب قوله ما طاب ما هنا

مصدرية عن الفراء اي فانكحوا الحلال وروي عن مجاهد ايضا فانكحوا النساء نكاحا طيبا قال المبرد ما هاهنا للجنس كقولك
ما عندك فالجواب رجل او امراة وقيل لما كان المكان مكان ابهام جاءت ما لما فيها من الابهام كقول العرب خذ من عبيدي
ما شئت وقوله مثنى وثلاث ورباع بدل مما طاب وموضعه النصب وتقديره اثنتين اثنتين وثلثا وثلثا واربعا
واربعا الا انه لا ينصرف لعلتين العدل والوصف قال الزجاج لا ينصرف لجهتين لا اعلم احدا من النحويين ذكرهما غيره وهو انه
معدول عن اثنين اثنين وثلاث ثلاث وانه عدل عن التأنيث وخطأه ابو علي الفارسي في ذلك واورد عليه كلاما
كثيرا ابطل به ذكره الكتاب ثم قال ولو جاز ان يقول قائل ان مثنى وثلاث معدول عن مؤنث لما جرى على النساء وما
بهن لجاز ان يقول انه معدول عن مذكر لانه جرى على صفة اجنحة واحدها مذكر وانما جرى على النساء من حيث
كان تأنيثها تأنيث الجمع وهذا الضرب من التأنيث ليس بحقيقي انما هو من اجل اللفظ فهو مثل النار والدار وما اشبه
ذلك وقد جرت هذه الاسماء على المذكر الحقيقي قال صخر الغي منيت بان يلاقيني المنايا احاد احاد في شهر حلال
وبعد الكتاب ولكنما اهلي بواد انيسه ذئاب تبغي الناس مثنى وموحد جرى فيه مثنى وموحد على ذئاب وهو جمع مذكر
وقال تميم بن ابي مقبل ترى النعرات الزرق تحت لبانه احاد ومثنى اصعقتها صواهله فاحاد ومثنى هنا حال من النعرات
قال ابو علي في الفضليات ان مثنى وثلاث ورباع حال من قوله ما طاب لكم من النساء فهو كقولك جئتك ماشيا
وراكبا ومنحدرا وصاعدا اذا اردت انك جئته في كل حال من الاحوال لك في وقت واحد ومن قدرها على البدل من
ما فقد اخطأ انما جاءت الواو هاهنا ولم يات او لانه على طريق البدل كانه قال وثلاث بدلا من مثنى ورباع بدلا من
ثلاث ولو جاء باو لكان لا يجوز لصاحب المثنى ثلاث ولا لصاحب الثلاث رباع وقوله نحلة نصب على المصدر
وقوله نفسا نصب على التمييز كما يقال ضقت بهذا الامر ذرعا وقررت به عينا والمعنى ضاق به ذرعي وقرت عيني
وكذلك وحد النفس لما كانت مفسرة والنفس المراد به الجنس على الواحد والجمع كقول الشاعر بها جيف الحسرى
فاما عظامها فبيض واما جلدها فصليب ولم يقل وجلودها ولو قال فان طبن لكم انفسا لجاز وقوله بالحسرى
اعالا وانما جمع لئلا يتوهم انه مضاف الى الجمع كما يضاف القتل الى الجماعة اذا رضوا به ومن في قوله عن شيء منه للتبيين
لا للتبعيض لانها لو وهبت المهر كله لجاز بالاجماع وهنيئا مريئا نصب على الحال النزول اختلف في نزوله وكيفية
نظمه وحصوله واتصال فصوله على اقوال احدها انها نزلت في اليتيمة يكون في حجر وليها فيرغب في مالها وجمالها ويريد
ان ينكحها بدون صداق مثلها فنهوا عن ان ينكحوهن الا ان يقسطوا لهن في اكمال مهور امثالهن وامروا ان ينكحوا
ما سواهن من النساء الى اربع عن عائشة وروي ذلك في تفسير اصحابنا وقالوا انها متصلة بقوله ويستفتونك في
النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون
ان تنكحوهن فان خفتم الا تقسطوا في اليتامى فانكحوا الآية وبه قال الحسن والجبائي والمبرد والثاني انها نزلت في الرجل
منهم كان يتزوج الاربع والخمس والست والعشر ويقول ما يمنعني ان اتزوج كما يتزوج فلان فاذا فني ماله مال على مال
اليتيم الذي في حجره فانفقه فنهاهم الله ان يتجاوزوا الاربع لئلا يحتاجوا الى اخذ مال اليتيم وان خافوا ذلك مع الاربع
اي اقتصروا على واحدة عن ابن عباس وعكرمة وثالثها انهم كانوا يتشددون في اموال اليتامى ولا يتشددون في النساء
ينكح احدهم النسوة فلا يعدل بينهن فقال سبحانه فان خفتم الا تعدلوا في اليتامى فخافوا في النساء فانكحوا واحدة
الى اربع عن سعيد بن جبير والسدي وقتادة والربيع والضحاك واحدى الروايات عن ابن عباس ورابعها انهم كانوا
يتحرجون من ولاية اليتامى واكل اموالهم ايمانا وتصديقا فقال سبحانه ان تحرجتم من ذلك فكذلك فتحرجوا من الزنا
وانكحوا النكاح المباح من واحدة الى اربع عن مجاهد وخامسها ما قال الحسن ان خفتم الا تقسطوا في اليتيمة المرباة في
حجركم فانكحوا ما طاب لكم من النساء مما احل لكم من يتامى قراباتكم مثنى وثلاث ورباع وبه قال الجبائي وقال الخطاب
متوجه الى الولي اذا اراد ان يتزوجها وسادسها ما قاله الفراء ان كنتم تتحرجون من مواكلة اليتامى فتحرجوا من الجمع بين النساء

ألا تعدلوا بينهن ولا تزوجوا منهن إلا من تأمنون معه الجور قال القاضي أبو عاصم القول الأول أولى وأقرب إلى نظم
الآية ولفظها المعنى فإن خفتم ألا تقسطوا أي لا تنصفوا وألا تعدلوا يا معشر أولياء اليتامى في اليتامى وذكرنا معناه
والاختلاف فيه في النزول فانكحوا ما طاب لكم أي ما حل لكم ولم يقل من طاب لكم لأن معناه فانكحوا الطيب من النساء أو الحلال
منهن أي من اللاتي يحل نكاحهن دون المحرمات اللاتي ذكرنا في قوله حرمت عليكم أمهاتكم الآية ويكون تقديره على
القول الأول إن خفتم ألا تعدلوا في نكاح اليتامى أن تنكحوهن فانكحوا البوالغ من النساء وذلك أنه إن وقع حيف
في حق البوالغ أمكن طلب المخلص منه بتطييب نفوسهن والتماس تحليلهن لأنهن من أهل التحليل وإسقاط الحقوق
بخلاف الثاني فإنه إن وقع حيف في حقهن لم يمكن المخلص منه لأنهن ليس من أهل التحليل ولا من أهل إسقاط
الحقوق وقوله مثنى وثلاث ورباع معناه اثنين اثنين وثلاثا ثلاثا وأربعا أربعا فلا يقال إن هذا يؤدي إلى
نكاح التسع فإن اثنين وثلاثا وأربعا تسعة لما ذكرناه فإن من قال دخل القوم البلد مثنى وثلاث ورباع لا يقتضي
اجتماع الأعداد في الدخول ولأن لهذا العدد لفظا موضوعا وهو تسع فالعدول عنه إلى مثنى وثلاث ورباع نوع
من العي جل كلامه سبحانه عن ذلك وتعالى وقال الصادق عليه السلم لا يحل لماء الرجل أن يجري في أكثر من أربعة
أرحام من الحرائر فإن خفتم ألا تعدلوا بين الأربع أو الثلاث في القسم والنفقة وسائر وجوه التسوية فواحدة أي
فتزوجوا واحدة أو ما ملكت أيمانكم أي واقتصروا على الإماء حتى لا تحتاجوا إلى القسم بينهن لأنهن لا حق لهن في القسم
ذلك إشارة إلى العقد على الواحدة مع الخوف من الجور فيما زاد عليها أدنى ألا تعولوا أي أقرب أن لا تميلوا وتجوروا
عن الحسن وابن عباس وقتادة ومن قال معناه أدنى ألا تكثر عيالكم لأنه مع ضعفه في اللغة ففي الآية ما يبطله وهو قوله
أو ما ملكت أيمانكم ومعلوم أن ما يحتاج إليه من النفقة عند كثرة الجواري من النساء مثل ما يحتاج إليه عند كثرة الحرائر
وقيل كان الرجل قبل نزول هذه الآية يتزوج ما شاء من النساء وقوله وآتوا النساء صدقاتهن نحلة أعطوا النساء مهورهن
عطية من الله تعالى وذلك أن الله سبحانه جعل الاستمتاع مشتركا بين الزوجين ثم أوجب لها بإزاء الاستمتاع مهرا على زوجها
فذلك عطية من الله تعالى للنساء وقيل أراد نحلة فريضة مسماة عن قتادة وابن جريج وقيل أراد بالنحلة الدين كما يقال فلان
ينتحل كذا أي يتدين به ذكره الزجاج وابن خالويه واختلف فيمن خوطب بقوله وآتوا النساء فقيل هم الأزواج
أمرهم الله بإعطاء المهر للمدخول بها كاملا ولغير المدخول بها على النصف على ما مر شرحه من غير مطالبة منهن ولا مخاصمة
لأن ما يؤخذ بالمحاكمة لا يقال له نحلة وهو قول ابن عباس وقتادة وجريج واختاره الطبري والجبائي والرماني
والزجاج وقيل هم الأولياء لأن الرجل منهم كان إذا زوج أيمة أخذ صداقها دونها فنهاهم الله عن ذلك عن أبي صالح
وهو المروي عن الباقر عليه السلم رواه أبو الجارود عنه والأول أشبه بالظاهر فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا خطاب
للأزواج معناه فإن طابت نفوسهن بهبة شيء من الصداق فكلوه أي فكلوا الموهوب لكم هنيئا مريئا الهنيء
الطيب المساغ الذي لا ينغصه شيء والمريء المحمود العاقبة التام الهضم الذي لا يضر ولا يؤذي وفي كتاب العياشي
مرفوعا إلى أمير المؤمنين عليه السلم أنه جاءه رجل فقال يا أمير المؤمنين أبي يوجع بطني فقال ألك زوجة فقال نعم
فقال استوهب منها شيئا طيبة به نفسها من مالها ثم اشتر به عسلا ثم اسكب عليه من ماء السماء ثم
اشربه فإني سمعت الله سبحانه يقول في كتابه ونزلنا من السماء ماء مباركا وقال يخرج من بطونها شراب مختلف
ألوانه فيه شفاء للناس وقال فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا فإذا اجتمع البركة والشفاء والهنيء والمريء
شفيت إن شاء الله تعالى قال ففعل الرجل فشفي وقد استدل بعض الناس على وجوب التزويج بقوله فانكحوا ما طاب
لكم من النساء من حيث أن ظاهر الأمر يقتضي الوجوب وهذا خطأ لأنه يجوز العدول عن الظاهر بدليل وقد قام الدليل
على أن التزويج غير واجب قوله عز وجل ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم
وقولوا لهم قولا معروفا آية القراءة قرأ نافع وابن عامر قيما بغير ألف والباقون قياما بالألف الحجة قال أبو الحسن قيما

ثلاث لغات قيام وقيم وقوام وهو الذي يقيمك قال لبيد أفتلك أم وحشية مسبوعة خذلت وهادية الصوار
قوامها قال أبو علي ليس قول من قال إن القيم جمع قيمة بشيء إنما القيم بمعنى القيام وهو مصدر قوله دينا قيما والقيمة التي هي معادلة
الشيء ومقاومته لا مذهب لها ههنا إنما المعنى دينا دائما ثابتا لا ينسخ كما نسخت الشرائع التي قبله فيكون مصدرا وصف
الدين به ولا وجه للجمع هنا ولا للصفة لعله يجيء هذا البناء في الصفة الأعرابية إنما جاء في قولهم قوم عدى ومكانا سوى
وقل في المصادر كالشبع والسمع والرضى ونحوها وامتنع من الوصف فإذا كان كذلك حمل على الأكثر المعنى لما أمر سبحانه
فيما تقدم بدفع مال الأيتام إليهم عقبه بذكر من لا يجوز الدفع إليهم فقال ولا تؤتوا السفهاء أموالكم أي لا تعطوا
السفهاء أموالكم اختلف في المعني بالسفهاء على أقوال أحدها أن النساء والصبيان عن ابن عباس وسعيد بن جبير
والحسن والضحاك وأبي مالك وقتادة ورواه أبو الجارود عن أبي جعفر ع قال ابن عباس إذا علم الرجل أن امرأة
سفيهة مفسدة للمال لم ينبغ له أن يسلطها على ماله وثانيها أن المراد به النساء خاصة عن مجاهد وابن عمر وروي عن
أنس بن مالك قال جاءت امرأة سوداء جريئة المنطق ذات ملح إلى رسول الله فقالت بأبي أنت وأمي يا رسول الله
قل فينا خيرا مرة واحدة فإنه بلغني أنك تقول فينا كل شر قال أي شيء قلت قالت سميتنا السفهاء فقال الله عز وجل
سماكن السفهاء في كتابه فقالت وسميتنا النواقص فقال وكفى نقصا أن تدعين من كل شهر خمسة أيام لا تصلين
فيها ثم قال أما يكفي إحداكن أنها إذا حملت كان لها كأجر المرابط في سبيل الله فإذا وضعت كانت كالمتشحط بدمه
في سبيل الله فإذا أرضعت كان لها بكل جرعة كعتق رقبة من ولد إسمعيل فإذا سهرت كان لها بكل سهرة تسهرها
كعتق رقبة من ولد إسمعيل وذلك للمؤمنات الخاشعات الصابرات اللاتي لا يكلفن العشير قال فقالت السوداء
ما له فضلا لولا ما يتبعه من الشرط وثالثها أنه عام في كل سفيه من صبي أو مجنون أو محجور عليه للتبذير وقريب منه
ما روي عن أبي عبد الله عليه السلم أنه قال إن السفيه شارب الخمر ومن جرى مجراه وهذا القول أولى لعمومه وقوله
التي جعل الله لكم قياما أي أموالكم التي جعلها الله قواما لمعايشكم ومعادكم يقيمكم فتقومون بها قياما وقيل معناه
ما تعطي السفيه من مالك الذي جعله الله قوام عيشك فيفسده عليك ويضطرك إليه ويصير عليك ينفق بالملك
وارزقوهم فيها واكسوهم واختلف في معناه فقيل يريد لا تؤتوهم أموالكم التي تملكونها ولكن ارزقوهم منها إن كان
ممن يلزمكم النفقة واكسوهم الآية عن ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد وقيل أراد لا تعطي امرأتك وولدك مالك
فيكونوا هم الذين ينفقون وأطعمهم من مالك واكسهم عن السدي وابن زيد وهذا أمر بإحراز المال وحسن سياسته
كقوله سبحانه ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ويلتفت إليه قوله صلى الله عليه وآله نعم المال الصالح للرجل الصالح وقيل
عنى بقوله أموالكم أموالهم كما قال ولا تقتلوا أنفسكم أي لا تؤتوا اليتامى أموالهم وارزقوهم منها واكسوهم عن سعيد
بن جبير والأولى حمل الآية على العموم فلا يجوز أن يعطى المال السفيه الذي يفسده ولا اليتيم الذي لم يبلغ ولا الذي
بلغ ولم يؤنس منه الرشد والمكروه إضافة مال اليتيم إلى من له القيام بأمرهم ضربا من المجاز أو يكون التقدير لا تؤتوا
السفهاء أموالكم التي بعضها لكم وبعضها لهم فيضيعوها وقد روي أنه سئل الصادق عليه السلم عن هذا فقيل كيف يكون أموالهم
أموالنا فقال إذا كنت أنت الوارث له وقولوا لهم قولا معروفا أي تلطفوا لهم في القول ولا تخشنوا لهم وقولوا لهم ما سرهم
على الرشد والصلاح من أمر المعاش والمعاد حتى إذا بلغوا كانوا على بصيرة من ذلك وفي هذه الآية دلالة على جواز الحجر
على اليتيم إذا بلغ ولم يؤنس منه الرشد لأن الله تعالى منع من دفع المال إلى السفهاء وفيها أيضا دلالة على وجوب الوصية
إذا كانت الورثة سفهاء لأن ترك الوصية والحال هذه بمنزلة إعطاء المال أهل السفه وإنما سمي الناقص العقل سفيها لأن السفه
خفة الحلم ولذلك سمي الفاسق أيضا سفيها لأنه لا وزن له عند أهل الدين قوله عز وجل وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح
فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم ولا تأكلوها إسرافا وبدارا أن يكبروا ومن كان غنيا فليستعفف

ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم وكفى بالله حسيبا آية اللغة
الايناس الابصار ومنه قوله آنس من جانب الطور نارا واحدى انسان العين وهو حدقتها التي يبصر بها وآنست
بها انسا السرور وفي قراءة عبد الله فان احستم اي احسستم بمعنى وجدتم وحذف احدى السينين مثل فظلتم تفكهون
واصل الاسراف تجاوز الحد المباح الى ما لم يبح وربما كان ذلك في الافراط وربما كان في التقصير غير انه اذا كان في الافراط
يقال منه اسرف يسرف اسرافا واذا كان في التقصير يقال سرف يسرف سرفا ويقال مررت بكم فسرفتكم يراد به سهوت عنكم
واخطأتكم وقال الشاعر اعطوا هنيدة يحدوها ثمانية ما في عطائهم من ولا سرف يريد انهم يصيبون مواضع العطاء
فلا يخطئونها والبدار المبادرة واصل ذلك الامتلاء ومنه البدر لامتلائه نورا والبدرة لامتلائها بالمال والبيدر
لامتلائه بالطعام وعين حدرة بدرة مكتنزة والحسيب الكافي من قولهم احسبني الشيء اذا كفاني والحسيب
المرتفع النسب وقيل الحسيب بمعنى المحاسب الاعراب قوله اسرافا مصدر وضع موضع الحال وكذلك قوله بدارا وموضع
ان يكبروا نصب بالمبادرة اي لا تأكلوها مسرفين ومبادرين كبرهم قوله بالمعروف الجار والمجرور هنا في موضع رفع بانه فاعل
كفى وحسيبا منصوب على الحال او التمييز وتقديره كفى الله في حال الحساب المعنى لما امر الله سبحانه بايتاء الايتام اموالهم ومنع
من دفع المال الى السفهاء بين هنا الحد الفاصل بين ما يحل من ذلك للولي وما لا يحل فقال وابتلوا اليتامى هذا خطاب
للاولياء اليتامى امرهم الله ان يختبروا عقول اليتامى في افهامهم وصلاحهم في اديانهم واصلاحهم اموالهم وهو قول قتادة والحسن
والسدي ومجاهد وابن عباس حتى اذا بلغوا النكاح معناه حتى يبلغوا الحد الذي يقدرون معه على المواقعة ويولدوا
وليس المراد بالبلوغ الاحتلام لان في الناس من لا يحتلم او يتأخر احتلامه وهو قول اكثر المفسرين ومنهم من قال اذا كمل عقله
واونس منه الرشد سلم اليه ماله وهو الاولى ومنهم من قال لا يسلم اليه ماله وان كان عاقلا حتى يبلغ خمس عشرة سنة
وقال اصحابنا حد البلوغ اما كمال خمس عشرة سنة او بلوغ النكاح او الانبات وقوله فان آنستم منهم رشدا معناه فان وجدتم
منهم رشدا اي عرفتموه واختلف في معنى قوله رشدا فقيل عقلا ودينا وصلاحا عن قتادة والسدي وقيل صلاحا في الدين
واصلاحا للمال عن الحسن وابن عباس وقيل عقلا عن مجاهد والشعبي قالا لا يدفع الى اليتيم ماله وان اخذ بلحيته وان كان
شيخا حتى يؤنس منه رشد العقل والاقوى ان يحمل على ان المراد به العقل واصلاح المال على ما قاله ابن عباس والحسن
وهو المروي عن الباقر عليه السلم للاجماع على ان من يكون كذلك لا يجوز عليه الحجر في ماله وان كان فاجرا في دينه فكذلك
اذا بلغ وهو بهذه الصفة وجب تسليم ماله اليه وفيه دلالة على ان جواز الحجر على العاقل اذا كان مفسدا لماله من حيث
انه اذا جاز ان يمنع المال عند البلوغ اذا كان مفسدا له وكذلك يجوز الحجر عليه اذا كان مفسدا له بعد البلوغ وهو
المشهور في اخبارنا وقوله فادفعوا اليهم اموالهم خطاب لاولياء اليتيم وهو يتعلق بجواز الدفع بالشرطين البلوغ وايناس الرشد
فلا يجوز الدفع قبلهما ولا تأكلوها اسرافا اي بغير ما اباحه الله لكم وقيل معناه لا تأكلوا اموال اليتيم فوق ما يحتاجون اليه فان
لولي اليتيم ان يتناول من ماله قدر القوت اذا كان محتاجا على وجه الاجرة على عمله في مال اليتيم فهو الاكل على وجه
الاسراف والاول اليق بمذهبنا فقد روى محمد بن مسلم عن احدهما ع قال سألته عن رجل بيده ماشية لابن اخ له يتيم
في حجره ايخلط امرها بامر ماشيته قال ان كان يليط حياضها ويقوم على مهنتها ويرد نادتها فليشرب من البانها غير منهك
للحلاب ولا مضر بالولد وقوله بدارا ان يكبروا اي مبادرة كبرهم ومعناه لا تبادروا باكل مالهم كبرهم ورشدهم حذرا ان
يبلغوا فيلزمكم تسليم المال اليهم ومن كان غنيا فليستعفف اي من كان غنيا من الاولياء فليستعفف بماله عن اكل
مال اليتيم قدر الحاجة والكفاية على جهة القرض ثم يرد عليه ما اخذ اذا وجد عن سعيد بن جبير ومجاهد وابي العالية
والزهري وعبيدة السلماني وهو المروي عن الباقر عليه السلم وقيل معناه يأخذ ما يسد به جوعته ويستر عورته لا على جهة
القرض عن عطاء بن ابي رباح وقتادة وجماعة ولم يوجبوا اجرة المثل لان اجرة المثل ربما كان اكثر من قدر الحاجة والظاهر

في روايات اصحابنا ان له اجرة المثل سواء كان قدر كفايته او لم يكن وسئل ابن عباس عن ولي يتيم له ابل هل له ان يصيب
من البانها فقال ان كنت تلوط حوضها وتهنأ جرباها فاصب من رسلها غير مضر بنسل ولا ناهك للحلب الرسل اللبن والنهك
المبالغة في الحلب فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم هذا امر خطاب لاولياء اليتيم اي اذا دفعتم الى اليتامى اموالهم بعد
البلوغ فاحتاطوا لانفسكم بالاشهاد عليهم كيلا يقع منهم جحود وتكونوا ابعد من التهمة ثم انظر الى حسن نظر الله سبحانه لليتامى ولان
وكمال لطفه لهم ورحمته لهم وانعامه عليهم وكذلك نظره ولطفه لجميع عباده في امور معاشهم ومعادهم وكفى بالله حسيبا اي
شاهدا على دفع المال اليهم وكفى بعلمه وثقة وقيل محاسبا فاحذروا محاسبته في الآخرة كما تحذرون محاسبة اليتيم بعد البلوغ
قوله عز وجل للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه
او كثر نصيبا مفروضا آية اللغة الفرق بين المفروض والواجب ان الفرض يقتضي فارضا فرضه وليس كذلك الواجب
لانه قد يجب الشيء في نفسه من غير ايجاب ولذلك صح وجوب الثواب والعوض عليه سبحانه ولم يجز ان يقال انه فرض
ومفروض واصل الفرض الثبوت والفرض الحز في سية القوس حيث يثبت الوتر والفرض ما انعمت على غيرك من هبة
او صلة والفرض ما اعطيت من غير قرض لثبوت تمليكه واصل الوجوب الوقوع يقال وجب الحائط وجوبا اذا وقع
وسمعت وجبة اي وقعة كالهدة ووجب الحق وجوبا اذا وقع سببه ووجب القلب وجيبا اذا خفق من فزع وقعه الاعراب
نصيبا مفروضا نصب على الحال لان المعنى فرض للرجال نصيب ثم قال نصيبا مفروضا حالا موكدا وقيل هو اسم وضع موضع المصدر
كقولك قسما واجبا وفرضا لازما ولو كان اسما لا شائبة للمصدر فيه لم يجز لا تقول عندي حق درهما ونحو ذلك
عندي درهم هبة مقبوضة النزول قيل كانت العرب في الجاهلية يورثون الذكور دون الاناث فنزلت الآية ردا لقولهم
عن قتادة وابن جريج وابن زيد وقيل كانوا لا يورثون الا من طاعن بالرماح وذاد عن الحريم والمال فقال سبحانه مبطلا لحكمهم
اموال الناس بعد موتهم بعد ان بين حكمها في حال حياتهم المعنى للرجال نصيب اي حظ وسهم مما ترك الوالدان والاقربون
اي من تركة الوالدين والاقربين وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون اي وللنساء منهن حظ من ميراث الميت وحصة
وسهم من تركته مما قل منه او كثر اي من قليل التركة وكثيرها نصيبا مفروضا اي حظا فرض تسليمه الى مستحقيه
ومحقه لا محالة وهذه الآية تدل على بطلان القول بالعصبة لان الله تعالى فرض الميراث للرجال والنساء
فلو جاز منع النساء من الميراث في موضع لجاز ان يجري الرجال مجراهن في المنع من الميراث وتدل ايضا على ان ذوي
الارحام يرثون لانهم من جملة الرجال والنساء الذين مات عنهم الاقربون على ما ذهب اليه وهو مذهب ابي حنيفة
ايضا وتدل بعموم اللفظ انه الانبياء وغير الانبياء فدل على ان الانبياء يورثون خلاف ما ذهبت اليه الفرقة المجبرة قوله عز وجل
واذا حضر القسمة اولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا آية المعنى لما بين سبحانه
ما تقدم حال من يرث بين هنا حال من لا يرث واختلف الناس في هذه الآية على قولين احدهما انها محكمة غير منسوخة
عن ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن وابراهيم ومجاهد والشعبي والزهري والسدي وهو المروي عن الباقر ع
واختاره البلخي والجبائي والزجاج واكثر المفسرين والفقهاء والآخر انها منسوخة باي المواريث واختلف من قال انها محكمة
على قولين احدهما ان الامر فيها على الوجوب واللزوم عن مجاهد وقال هو ما طابت به نفس الورثة وقال الآخرون
ان الامر فيها على الندب قوله واذا حضر القسمة معناه اذا شهد قسمة المواريث اولوا القربى اي فقراء قرابة الميت واليتامى
والمساكين اي يتاماهم ومساكينهم يرجون ان يعودوا عليهم فارزقوهم منه اي اعطوهم من التركة قبل القسمة شيئا واختلف
في المخاطبين بقوله فارزقوهم على قولين احدهما ان المخاطب بذلك الورثة امروا بان يرزقوا المذكورين لا سهم
لهم في الميراث عن ابن عباس وابن الزبير والحسن وسعيد بن جبير واكثر المفسرين والآخر ان المخاطب بذلك من حضرته
الوفاة واراد الوصية فقد امر بان يوصي لمن لا يرث من المذكورين اي من ماله عن ابن عباس وسعيد بن المسيب واختاره الطبري

قولا معروفا حسنا غير خشن واختلف فيه فقال سعيد بن جبير امر الله الولي ان يقول للذي لا يرث من المذكورين قولا معروفا
اذا كان الورثة صغارا فيقول ان هذا لليتامى صغار ليس لكم فيه حق ولسنا نملك ان نعطيكم منه وقيل المامور بذلك الرجل
الذي يوصي في ماله والقول المعروف ان يدعو لهم بالرزق والغنى وما اشبه ذلك وقيل الآية في الوصية على ان يوصي للقرابة
ويقول لغيرهم قولا معروفا عن ابن عباس وسعيد بن المسيب وقد دلت الآية على ان الانسان قد يرزق غيره على معنى
التمليك فهي حجة على المجبرة قوله عز وجل وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا
قولا سديدا ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انما ياكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا آية القراءة قرا ابن
عامر وابو بكر عن عاصم سيصلون بضم الياء والباقون بفتحها الحجة قال ابو علي حجة من فتح الياء قوله تعالى اصلوها فاصبروا
وجهنم يصلونها ولا يصلاها الا من هو صال الجحيم وحجة من ضم الياء انه من اصلاه الله النار كقوله فسوف نصليه نارا اللغة ضعاف جمع
ضعيف وضعيفة والسديد السليم من خلل الفساد واصله من سد الخلل تقول سددته اسده سدا والسداد
الصواب ومنه سداد من عوز بالكسر وسدد السهم اذا قومه والسد الردم وصلي الرجل النار يصلاها صليا وصلاء وصليا
اي لزمها واصلاه الله اصلاء وهو صالي النار من قوم صلي وصالين ويقال صلي بالامر اذا قاسى حره وشدته قال العجاج
وصليات للصلى صلي وقال الفرزدق وقاتل كلب الحي عن نار اهله ليربض فيها والصلاء مكنف
وسعير بمعنى مسعور مثل كف خضيب والسعر اسعار النار ومنه استعرت النار في الحطب ومنه سعر السوق لاستعاره
في النفاق الاعراب ظلما نصب على المصدر لان معنى قوله ياكلون اموال اليتامى يظلمونهم ويجوز ان يكون في موضع الحال
كقولهم جاءني فلان ركضا اي يركض المعنى لما امر سبحانه بالقول المعروف نهاهم عن خلافه وامر بالقول السديد في الوصية
فقال وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا فيه اقوال احدها ان الرجل كان اذا حضرته الوفاة قعد عنده
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا انظر لنفسك فان اولادك لا يغنون عنك من الله شيئا فيقدم جل ماله
فقال وليخش الذين لو تركوا من خلفهم من بعدهم اولادا صغارا لخافوا عليهم الفقر وهذا نهي عن الوصية بما يجحف بالورثة
وامر لمن حضر الميت عند الوصية ان يامره بان يبقي لورثته ولا يزيد وصيته على الثلث كما ان هذا القائل لو كان هو
الموصي لاحب ان يحثه على حفظ ماله لورثته ولا يدعهم عالة ... وهذا معنى قول ابن عباس
وسعيد بن جبير والحسن وقتادة ومجاهد والضحاك وثانيها ان الامر في الآية لولي مال اليتيم يامره باداء الامانة
فيه والقيام بحفظه كما لو خاف على مخلفيه اذا كانوا ضعافا واحب ان يفعل بهم عن ابن عباس ايضا فيكون معناه
من كان في حجره يتيم فليفعل به ما يحب ان يفعل بذريته من بعده والى هذا المعنى يؤول ما روي عن موسى بن جعفر عليه السلم
قال ان الله اوعد في مال اليتيم عقوبتين اما احدهما فعقوبة الدنيا وليخش الذين لو تركوا الآية قال يعني بذلك ليخش
ان اخلفه في ذريته كما صنع بهؤلاء اليتامى وثالثها انها وردت في حرمان ذوي القربى ان يوصي لهم بان يقول الحاضر
لا توص لاقاربك ووفر على ورثتك وقوله خافوا عليهم يعني خافوا ان يلحقهم اذى او ظلم يصيبهم او ضياعا وسخطا فليتقوا الله
اي فليتق كل واحد من هؤلاء في شان غيره ان يحضرهم ويظلمهم وليعاملهم بما يحب ان يعامل به ايتامه بعد موته وقيل
فليتقوا الله في الاضرار بالمؤمنين وليقولوا قولا سديدا اي مصيبا عدلا موافقا للشرع والحق وقيل انه يريد قولا لا خلل
فيه وقيل معناه فليخاطبوا اليتامى بخطاب حسن وقول جميل وفي معنى الآية ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله قال من
سره ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتاته منيته وهو يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ويحب ان
ياتي الى الناس ما يحب ان يؤتى اليه ونهى رسول الله ان يوصي باكثر من الثلث وقال والثلث كثير وقال لسعد لئن تدع ورثتك
اغنياء احب من ان تدعهم عالة يتكففون الناس ثم اوعد الله سبحانه آكلي مال اليتيم نار جهنم فقال ان الذين ياكلون
اموال اليتامى ظلما اي ينتفعون باموال اليتامى وياخذونها ظلما بغير حق ولم يرد به قصر الحكم على الاكل الذي هو

عن المضغ والابتلاع وفائدة تخصيص الاكل بالذكر انه معظم منافع المال المقصودة فذكر الله سبحانه ليدل على ما في معناه من وجوه
الانتفاع وكذلك معنى قوله ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل ولا تاكلوا الربوا وانما علق الوعيد
بكونه ظلما لانه قد ياكله الانسان على وجه الاستحقاق بان ياخذ منه اجرة المثل او ياكل بالمعروف او ياخذه قرضا على نفسه على ما تقدم
القول في ذلك فلا يكون ظلما فان قيل اذا اخذه قرضا او اجرة المثل فانما اكل مال نفسه ولم ياكل مال اليتيم قيل بل يكون
آكلا مال اليتيم لكن على وجه لا يكون ظلما بان يلزم عوضه على نفسه او استحقه بالعمل ولو سلمنا ذلك لجاز ان يكون انما ذكر كونه
ظلما للثبوت من التاكيد والبيان لان اكل مال اليتيم لا يكون الا ظلما وسئل الرضا عليه السلم ادنى ما يدخل به اكل مال اليتيم
تحت الوعيد في هذه الآية فقال قليله وكثيره واحد اذا كان من نيته ان لا يرده اليهم وقوله انما ياكلون في بطونهم نارا
قيل فيه وجهان احدهما ان النار تلتهب من افواههم واسماعهم وآنافهم يوم القيمة ليعلم اهل الموقف انهم اكلة اموال اليتامى
عن السدي وروي عن الباقر عليه السلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله يبعث ناس من قبورهم يوم القيمة تاجج افواههم
نارا فقيل يا رسول الله من هؤلاء فقرا هذه الآية والآخر انه ذكر ذلك على وجه المثل من حيث ان من فعل ذلك يصير الى
جهنم فيمتلي بالنار اجوافهم على اكلهم مال اليتيم كما قال الشاعر وان الذي اصبحتم تحلبونه دم غير ان اللون ليس باحمر يصف
اقواما اخذوا الابل في الدية يقول انما تحلبون دم القتيل منها لا اللبن وسيصلون سعيرا اي سيلزمون النار المسعرة
للاحراق وانما ذكر البطون تاكيدا كما تقول نظرت بعيني وقلت بلساني واخذت بيدي ومشيت برجلي وروى الحلبي عن
الصادق عليه السلم قال ان في كتاب علي بن ابي طالب ان اكل مال اليتيم ظلما سيدركه وبال ذلك في عقبه من بعده ويلحقه
وبال ذلك في الآخرة اما في الدنيا فان الله يقول وليخش الذين لو تركوا الآية واما في الآخرة فان الله يقول ان الذين ياكلون
اموال اليتامى ظلما الآية قوله عز وجل يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين فان كن نساء فوق اثنتين فلهن
ثلثا ما ترك وان كانت واحدة فلها النصف ولابويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان
له ولد فان لم يكن له ولد وورثه ابواه فلامه الثلث فان كان له اخوة فلامه السدس من بعد وصية يوصي بها او
دين آباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا فريضة من الله ان الله كان عليما حكيما آية القراءة قرا اهل المدينة
فان كانت واحدة بالرفع والباقون بالنصب وقرا حمزة والكسائي فلامه وفي امها ونحوها بكسر الهمزة والميم وحمزة
بطون امهاتكم بكسرهما والكسائي بكسر الهمزة وفتح الميم والباقون بضم الهمزة في الجميع وقرا ابن عامر وابن كثير وابو بكر عن
عاصم يوصى بفتح الصاد في الموضعين وقرا حفص الاولى بكسر الصاد والثانية بالفتح والباقون بكسرهما الحجة الاختيار في
الواحدة النصب لان التي قبلها لها خبر منصوب وهو قوله فان كن نساء اي وان كانت الوارثة واحدة ووجه الرفع
ان وقعت واحدة او وجدت واحدة اي ان حدث حكم واحدة لان المراد حكمها لا ذاتها ووجه قراءة حمزة والكسائي
فلامه بكسر الهمزة حرف مستثقل بدلالة تخصيصهم لها باتباعهم ما قبلها من الكسرة والياء ليكون العمل فيهما من وجه واحد
ويقوي ذلك انها تقارب الهاء وقد فعلوا ذلك بالهاء نحو عليهم وبه ومن قرا يوصي فلان ذكر الميت قد تقدم في قوله
فان كان له اخوة فلامه السدس ومن قرا يوصى بها فلانه ليس لميت معين انما هو شايع في الجميع فحسن المعنى يؤول
الى الجميع الاعراب للذكر مثل حظ الانثيين جملة من مبتدا وخبر تفسير لقوله يوصيكم الله انما لم يعمل للذكر مثل
حظ الانثيين يعمل الكلام مثل معنى قوله يوصيكم اليه لانه في تقدير القول في حكاية الجملة بعده فكانه قال قال الله
في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين وقوله الثلث والسدس والربع ونحوها يجوز فيها التخفيف لثقل الضم فيقال
ثلث وسدس وربع قال الزجاج ومن زعم ان الاصل التخفيف فيها فثقل فقد غلط لان الكلام موضوع على الايجاز على
التثقيل وانما قيل للاب والام ابوان تغليبا للفظ الاب ولا يلزم ان يقال في ابن وابنة ابنان لانه يوهم فان لم يوهم
جاز ذلك ذكره الزجاج وفريضة منصوب على التوكيد والحال من قوله لابويه ولهؤلاء الورثة ما ذكرنا مفروضا ففريضة
مؤكدة لقوله يوصيكم الله ويجوز ان يكون نصبا على المصدر من يوصيكم الله لان معناه يفرض عليكم فريضة النزول روى محمد بن

المنكدر عن جابر بن عبد الله انه قال مرضت فعادني رسول الله صلى الله عليه وآله وابو بكر وهما ماشيان فاغمي علي فدعا
بماء فتوضى ثم صبه علي فافقت فقلت يا رسول الله كيف اصنع في مالي فسكت رسول الله فنزلت في آية المواريث وقيل
نزلت في عبد الرحمن اخ حسان الشاعر وذلك انه مات وترك امراة وخمس اخوات فجاءت الورثة فاخذوا ماله ولم يعطوا
امراته شيا فشكت ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وآله فانزل الله سبحانه آية المواريث عن السدي وقيل كانت
المواريث للاولاد وكانت الوصية للوالدين والاقربين فنسخ الله ذلك وانزل آية المواريث فقال رسول الله صلى
عليه وآله ان الله تعالى لم يرض بملك مقرب ولا نبي مرسل حتى تولى قسم التركات واعطى كل ذي حق حقه عن ابن عباس
المعنى ثم بين سبحانه ما اجمله فيما تقدم من قوله للرجال نصيب مما ترك الوالدان الآية بما فصله في هذه الآية فقال
يوصيكم الله اي يامركم ويفرض عليكم لان الوصية منه سبحانه امر وفرض ويدل على ذلك قوله ولا تقتلوا النفس التي حرم الله
الا بالحق ذلكم وصاكم به وهذا من الفرض المحكم علينا في اولادكم اي في ميراث اولادكم او في توريث اولادكم وقيل
في امر اولادكم اذا متم ثم بين ما اوصى به فقال للذكر مثل حظ الانثيين اي للابن من الميراث مثل نصيب البنتين
ثم ذكر نصيب الاناث من الاولاد فقال فان كن نساء فوق اثنتين اي فان كانت المتروكات او الاولاد نساء فوق
اثنتين فلهن ثلثا ما ترك من الميراث ظاهر الكلام يقتضي ان البنتين لا تستحقان الثلثين لكن الامة اجمعت على ان حكم
البنتين حكم البنات فما فوقهما لان معناه فان كن نساء اثنتين فما فوقهما فلهن ثلثا ما ترك الا انه قدم ذكر الفوق على الاثنتين
كما روي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال لا تسافر المراة سفرا فوق ثلاثة ايام الا ومعها زوجها او ذو محرم لها معناه لا تسافر
سفرا ثلاثة ايام فما فوقها وتابعنا ما قاله ابو العباس المبرد في الآية دلالة على ان للبنتين الثلثين لانه اذا قال للذكر
مثل حظ الانثيين وكان اول العدد ذكرا وانثى وللذكر الثلثان وللانثى الثلث علم من ذلك ان للبنتين الثلثين
ثم اعلم الله تعالى بان ما فوق البنتين لهن الثلثان وثانيها ان البنتين اعطيتا الثلثين بدليل لا فرض لهما مسمى
والدليل قوله سبحانه يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك فقد
للاخت النصف كما ان للبنت النصف فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان فاعطيت الاختان الثلثين كما اعطيت البنتان
الثلثين واعطيت جملة الاخوات الثلثين كما اعطيت البنات الثلثين ويدل عليه ايضا الاجماع على ان حكم البنتين حكم
البنات في استحقاق الثلثين الا ما روي عن ابن عباس للبنتين النصف وان الثلثين فرض الثلاث وحكى النظام
في كتاب النكت عن ابن عباس انه قال للبنتين نصف وقيراط لان للواحدة النصف وللثلاث الثلثين فينبغي
ان يكون للبنتين ما بينهما وان كانت واحدة اي ان كانت المولودة او المتروكة واحدة فلها النصف اي نصف ما ترك
الميت ثم ذكر ميراث الوالدين فقال ولابويه يعني لابوي الميت الاب والام والهاء الذي اضيف اليه الابوان كناية
عن غير مذكور تقديره ولابوي الميت لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد فلاب السدس مع الولد
وكذلك الام لها السدس معه ذكرا كان او انثى واحدا كان ام اكثر ثم ان كان الولد ذكرا كان الباقي له وان كانوا
ذكورا فالباقي لهم بالسوية وان كانوا ذكورا واناثا فللذكر مثل حظ الانثيين وان كانت بنتا فلها النصف وللابوين السدسان والباقي عندنا مردود على البنت او على احد الابوين او عليهما على قدر سهامهم
بدلالة قوله تعالى واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله وقد ثبت ان قرابة الوالدين وقرابة الولد متساوية
لان الولد يتقرب الى الميت بنفسه كما ان الوالدين يتقربان اليه بانفسهما وولد الولد يقوم مقام الولد للصلب مع الوالدين
كل منهم يقوم مقام من يتقرب به وفي بعض هذه المسائل خلاف بين الفقهاء فان لم يكن له يعني للميت ولد اي ابن او ابنة
ولا ولد ولد لان اسم الولد يعم الجميع وورثه ابواه فلامه الثلث وظاهر هذا يدل على ان الباقي للاب وفيه اجماع فان
كان في الفريضة زوج فان للزوج النصف وللام الثلث والباقي للاب وهو مذهب ابن عباس وائمتنا عليهم السلام من قال
في هذه المسالة ان للام ثلث ما يبقى فقد ترك الظاهر كذلك ان كان بدل الزوج زوجة فلها الربع وللام الثلث والباقي

للاب وقوله فان كان له اخوة فلامه السدس قال اصحابنا انما يكون لها السدس اذا كان هناك اب ويدل عليه ما تقدمه
من قوله وورثه ابواه فان هذه الجملة معطوفة على قوله فان لم يكن له ولد وورثه ابواه فلامه السدس وقال بعض اصحابنا
ان لها السدس مع وجود الاخوة وان لم يكن هناك اب وبه قال جميع الفقهاء واتفقوا على ان الاخوة يحجبون الام من الثلث
الى السدس وقد روي عن ابن عباس انه قال لا تحجب الام من الثلث الى السدس باقل من ثلاثة من الاخوة والاخوات
كما يقتضيه ظاهر الآية واصحابنا يقولون لا تحجب الام عن الثلث الى السدس الا باخوين او اخ واختين او اربع اخوات من
قبل الاب والام او من قبل الاب خاصة دون الام وفي ذلك خلاف بين الفقهاء قالوا والعرب تسمي الاثنين بلفظ الجمع
في كثير من كلامهم حكى سيبويه انهم يقولون وضعا رحالهما يريد رحلي راحلتيهما قال سبحانه وكنا لحكمهم شاهدين يعني
حكم داود وسليمن وقال قتادة انما تحجب الاخوة الام مع انهم لا يرثون من المال شيئا للاب لان الاب يقوم بنفقتهم ونكاحهم
دون الام وهذا يدل على انه ذهب الى ان الاخوة للام لا يحجبون على ما ذهب اليه اصحابنا لان الاب لا يلزمهم نفقته بلا خلاف
من بعد وصية يوصي بها او دين اي تقسم التركة على ما ذكرنا بعد قضاء الديون وانفاذ الوصية ولا خلاف في ان الدين
مقدم على الوصية والميراث وقيل بل الموصى له شريك الوارث له الثلث ولهما الثلثان وقد روي عن امير المؤمنين
عليه السلم انه قال انكم تقرءون في هذه الوصية قبل الدين وان الرسول قضى بالدين قبل الوصية والوجه في تقديم ذكر
الوصية في الآية ان لفظة او انما هي لاحد الشيئين او الاشياء ولا توجب الترتيب فكانه قال من بعد احد هذين
مفردا او مضموما الى الآخر وهذا كقولهم جالس الحسن او ابن سيرين اي جالس احدهما مفردا او مضموما الى الآخر اباؤكم
وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا ذكر فيه وجوه احدها ان معناه لا تدرون اي هؤلاء انفع لكم في الدنيا فتعطوه
من الميراث ما يستحق ولكن الله سبحانه قد فرض الفرائض على ما هو عنده حكمة عن مجاهد وثانيها ان معناه لا تدرون
بانهم اسعد في الدنيا والدين والله يعلمه فاقسموه على ما بينه من يعلم المصلحة فيه عن الحسن وثالثها ان معناه لا تدرون
ان نفعكم بتربية ابائكم لكم اكثر ام نفع ابائكم بخدمتكم اياه وانفاقكم عليه عند كبره اكثر عن الجبائي ورابعها ان المعنى لا تدرون
عز وجل من الابناء ارفعكم درجة يوم القيمة لان الله تعالى يشفع المؤمنين بعضهم في بعض فان كان الوالد ارفع درجة
في الجنة من ولده رفع الله اليه ولده في درجته لتقر بذلك اعينهم عن ابن عباس وخامسها ان المراد لا تدرون اي الوارثين
والموروثين اسرع موتا فيرثه صاحبه فلا تتمنوا موت الموروث ولا تستعجلوا عن ابي مسلم فريضة من الله اي فرض الله
فريضة او كما ذكرناه في ان الله كان عليما حكيما اي لم يزل عليما بما يصلحكم حكيما فيما يحكم به عليكم من هذه الاموال وغيرها
قال الزجاج في كان هنا ثلاثة اقوال قال سيبويه كان القوم شاهدوا علما وحكمة ومغفرة وتفضلا فقيل لهم ان الله
كان كذلك لم يزل الله على ما شاهدتم وقال الحسن كان عليما بالاشياء قبل خلقها حكيما فيما يقدره تدبيرا منها وقال
بعضهم الخبر عن الله سبحانه في هذه الاشياء بالمضي كالخبر بالاستقبال والحال لان الاشياء عند الله في حال واحدة ما مضى
وما يكون وما هو كائن قوله عز وجل ولكم نصف ما ترك ازواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن
من بعد وصية يوصين بها او دين ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما
تركتم من بعد وصية توصون بها او دين وان كان رجل يورث كلالة او امراة وله اخ او اخت فلكل واحد منهما
السدس م — السدس فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث من بعد وصية يوصى بها او دين غير مضار وصية من الله
والله عليم حليم آية القراءة روي في الشواذ قراءة الحسن يورث كلالة بكسر الراء وقرا عيسى بن عمر الثقفي يورث وقرا
الحسن ايضا غير مضار وصية مضاف الحجة كلاهما منقول من ورث وفي كلتي القراءتين المفعولان محذوفان فكانه قال
يورث وارثه ماله وقد جاء حذف المفعولين جميعا قال الكميت باي كتاب ام باية سنة ترى حبهم عارا علي وتحسب فلم
يعد تحسب واما قوله غير مضار وصية فمعناه غير مضار من جهة الوصية او عند الوصية كقول طرفة بضة المتجرد اي بضة عند

يحدها وهذا كما يقال شجاع حرب وكريم سلم اي شجاع عند الحرب وكريم عند المسالمة **اللغة** اصل الكلام الاحاطة
ومنه الاكليل لاحاطته بالراس ومنه الكل لاحاطته بالعدد فالكلام يحيط باصل النسب الذي هو الولد والوالد وقال
ابو مسلم اصلها من كل اي اعيا فكان الكلالة تناول الميراث من بعد على كلال واعياء وقال الحسين بن علي المغربي
اصله عندي ما تركه الانسان وراء ظهره ماخوذ من الكل وهو الظهر تقول العرب ولاني فلان كله على اذا
اي ولاني ظهره والعرب تخرج بعض الاسم عن جملة النسب والوراثة قال عامر بن الطفيل واني وان كنت ابن فارس
عامر وفي السر منها والصريح المهذب فما سودتني عامر عن كلالة ابى الله ان اسمو بام ولا اب ويروى عن وراثة وقال
زياد بن زيد العذري ولم اجد المجد التليد كلالة ولم يات من فترة تعقيب ويقال رجل كلالة وقوم كلالة وامراة
كلالة لا يثنى ولا يجمع لانه مصدر **الاعراب** نصب كلالة على انه مصدر وقع موضع الحال ويكون كان التامة ويورث
صفة رجل وتقديره ان وجد رجل مورث متكلل النسب والعامل في الحال يورث وذو الحال الضمير في يورث ويجوز
ان تنصب كلالة على انه خبر كان على ان يكون كان ناقصة وقال الزجاج من قرا يورث بكسر الراء فكلالة منصوب على الحال
غير مضار منصوب على الحال وصية نصب على المصدر اي يوصيكم الله بذلك وصية **المعنى** ثم خاطب سبحانه الازواج فقال
ولكم ايها الازواج نصف ما ترك ازواجكم اي زوجاتكم ان لم يكن لهن ولد لا ذكر ولا انثى ولا ولد ولد فان كان لكم
ولد فلكم الربع مما تركن اي من ميراثهن من بعد وصية يوصين بها او دين قد مر تفسيره ولهن اي لزوجاتكم الربع
مما تركتم من الميراث ان لم يكن لكم ولد واحدة كانت الزوجة او اثنتين او ثلثا او اربعا لم يكن لهن اكثر من ذلك
فان كان لكم ولد ذكرا او انثى او ولد ولد فلهن الثمن مما تركتم من الميراث واحدة الزوجة كانت او اكثر من ذلك
من بعد وصية توصون بها انما قال للازواج او دين وقد مر بيانه فمضى بيان ميراث الازواج ثم ذكر ميراث ولد الام فقال
وان كان رجل يورث كلالة اختلف في معنى الكلالة فقال جماعة من الصحابة والتابعين منهم ابو بكر وعمر وابن عباس
في الرواية عنه وقتادة والزهري وابن زيد هي من عدا الوالد والولد وفي الرواية الاخرى عن ابن عباس انه من عدا الولد
وقال الضحاك والسدي انه اسم للميت الذي يورث عنه والمروي عن ائمتنا عليهم السلام ان الكلالة الاخوة والاخوات والمذكور
في هذه الآية من كان من قبل الام منهم والمذكور في آخر السورة من كان منهم من قبل الاب والام او من قبل الاب منهم
والمذكور في آخر السورة من كان منهم من قبل الاب والام او من قبل الاب او امراة هو عطف على قوله وان كان رجل كلالة
يورث مالا او امراة كلالة تورث مالها على قول من قال ان الميت نفسه يسمى ومن قال انه الحي الوارث فتقديره وان كان
رجل يورث في حال تكلل نسبه او امراة تورث لذلك وهو قول ابن عمر واهل الكوفة ويؤيده ما روي عن جابر انه قال
اتاني رسول الله وانا مريض فقلت كيف الميراث وانما يرثني كلالة فنزلت آية الفرائض فالكلالة في النسب من
احاط بالميت ويتكلله من الاخوة والاخوات والولد والوالد ليسا بكلالة لانهما اصل النسب الذي ينتهي الى الميت
ومن سواهما خارج عنهما وانما يشتمل عليهما بالانتساب من غير جهة الولادة فعلى هذا يكون الكلالة كالاكليل يشتمل
على الراس ويحيط به وليس من اصله فان الوالد والولد طرفان للرجل فاذا مات الرجل ولم يخلفهما فقد مات
عن ذهاب طرفيه فسمي ذهاب طرفيه كلالة وقوله وله اخ او اخت يعني الاخ والاخت من الام فلكل واحد منهما السدس
فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث جعل الذكر والانثى ههنا سواء ولا خلاف بين الامة ان الاخوة والاخوات
من قبل الام متساوون في الميراث من بعد وصية يوصى بها او دين مر بيانه غير مضار منع الله سبحانه من الضرار في
الوصية اي غير موص وصية تضر بالورثة وقيل اراد غير مضار في الميراث كره سبحانه الضرار في الحياة وبعد الممات عن قتادة
وتقديره لا يضار بعض الورثة بعضا ومعناه ان يوصي بدين ليس عليه يريد بذلك ضرر الورثة فالضرار في الوصية راجع
الى الميراث وهو ان يوصي بوصية ماله وبعضها لاجنبي ويقر بدين لا حقيقة له دفعا للميراث عن وارثه وتقربا باستيفائه

دين له او حرضه او وسع فرضه واستيفاء غنمه لئلا يصل الى وارثه وجاء في الحديث ان الضرار في الوصية من الكبائر
والله عليم بمصالح عباده يحكم بما يوجب الحكمة في قسمة الميراث والوصايا وغيرها حليم لا يعاجل بالعقوبة العصاة ويمن
عليهم بالانظار والامهال وفي هاتين الآيتين دلالة على تقدير سهام اصحاب فرائض المواريث ونحن نذكر من ذلك جملة
موجزة منقولة عن اهل البيت عليهم السلام دون غيرهم فان الاختلاف في مسائل المواريث بين الفقهاء كثير يطول ذكره
ومن اراده وجده في مظانه اعلم ان الارث يستحق بامرين نسب وسبب فالسبب الزوجية والولاء فالميراث بالزوجية
يثبت مع كل نسب والميراث بالولاء لا يثبت الا مع فقد كل نسب واما النسب فعلى ضربين احدهما ابو الميت ومن يتقرب
بهما والآخر ولده وولد ولده وان سفل والمانع من الارث بعد ثبوت سبب وجوبه ثلاثة الكفر والرق وقتل الوارث
وقتل الوارث من كان يرثه لولا القتل ولا يمنع الابوين والولد والزوج والزوجات من اصل الارث مانع غيرهم على ثلاثة
اضرب الاول الولد يمنع من يتقرب به ومن يجري مجراه من ولد اخوانه واخواته من اصل الارث ويمنع من يتقرب
بالابوين ويمنع الابوين عما زاد على السدس الا على سبيل الرد مع البنت او البنات والابوان يمنعان من يتقرب
بهما او باحدهما ولا يتعدى منعهما الى غير ذلك والزوج والزوجة لا حظ لهما في المنع وولد الولد وان سفل يقوم مقام
الولد الادنى عند فقده في الارث والمنع يترتبون الاقرب فالاقرب وهذه سبيل ولد الاخوة والاخوات وان
سفلوا عند فقد الاخوة والاخوات مع الاجداد والجدات ثم ان الميراث بالنسب يستحق على وجهين بالفرض والقرابة
فالفرض ما سماه الله تعالى ولا يجتمع في ذلك الا من كانت قرابته متساوية الى الميت مثل البنت او البنات مع الابوين
او احدهما لان كل واحد منهم يتقرب الى الميت بنفسه فمتى انفرد احد بالميراث اخذ المال كله بعضه بالفرض والباقي
بالقرابة وعند الاجتماع ياخذ كل منهم ما يبقى له والباقي يرد عليهم على قدر سهامهم فان نقصت التركة عن سهامهم
لمزاحمة الزوج او الزوجة لهم كان النقص داخلا على البنت او البنات دون الابوين او احدهما ودون الزوج والزوجة
ومع اجتماع الكلالتين معا التساوي قرابتهما واذا فضلت التركة عن سهامهم يرد الفاضل على كلالة الاب والام
وكذا اذا انتقصت عن سهامهم بمزاحمة الزوج والزوجة لهم كان النقص داخلا عليهم دون كلالة الام فان كلالة الام والزوج
والزوجة لا يدخل عليهم النقصان على حال فعلى هذا اذا اجتمع كلالة الاب مع كلالة الام كان لكلالة الام للواحد
السدس وللاثنين فصاعدا الثلث لا ينقصون منه والباقي لكلالة الاب ولا يرث كلالة الاب مع كلالة الاب والام
ذكورا كانوا او اناثا فاما من يرث بالقرابة دون الفرض فاقواهم الولد للصلب ثم ولد الولد يقوم مقام الولد ياخذ
نصيب من يتقرب به ذكرا كان او انثى والبطن الاول يمنع من دونه ثم الاب ياخذ جميع المال اذا انفرد ثم كذلك
من يتقرب به اما ولده وولد ولده ومن يتقرب بهما من عم او عمة فالجد ابو الاب مع الاخ الذي هو ولده في درجة
والجدة مع الاخت فهم يتقاسمون المال للذكر مثل حظ الانثيين ومن له سببان يمنع من له سبب واحد وولد الاخوة
والاخوات يقومون مقام آبائهم وامهاتهم في مقاسمة الجد والجدة كما يقوم ولد الولد للصلب مع الاب وكذلك
الجد والجدة وان علوا يقاسمون الاخوة والاخوات واولادهم وان نزلوا على حد واحد واما من يرث بالقرابة من
يتقرب بالام فهم الجد والجدة من قبلها او من يتقرب بهما من الخال والخالة فان اولاد الام يرثون بالفرض دون
القرابة فالجد والجدة من قبلها يقاسمون الاخوة والاخوات من قبلها ومتى اجتمع قرابة الاب مع قرابة الام مع استوائهم
في الدرج كان لقرابة الام الثلث بينهم بالسوية والباقي لقرابة الاب للذكر مثل حظ الانثيين ومتى بعد احد القرابتين
بدرجة سقطت مع التي هي اقرب سواء كان الاقرب من قبل الاب او من قبل الام الا في مسئلة واحدة وهي ابن عم لاب
وام مع عم لاب فان المال لابن العم هذه اصول مسائل الفرائض ولتفريعها شرح طويل دونه المشايخ في كتب الفقه قوله عز وجل
تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم

ومن يعص الله ورسوله يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين آيتان القراءة قرأ نافع وابن عامر ندخله بالنون في الموضعين والباقون بالياء فمن قرأ بالياء فلأن ذكر الله قد تقدم فحمل الكلام على الغيبة ومن قرأ بالنون عدل عن لفظ الغيبة إلى الإخبار عن الله سبحانه بنون الكبرياء ويقوي ذلك قوله بل الله مولاكم ثم قال سنلقي. اللغة الحد الحاجز بين الشيئين وأصله المنع والفصل وحدود الدار ما يفصلها من غيرها والفوز والفلاح والنجاح نظائر. الإعراب خالدين فيها نصب على الحال قال الزجاج والتقدير يدخلهم مقدرين الخلود فيها والحال يستقبل بها تقول مررت برجل معه باز صائدا به غدا أي مقدرا الصيد به غدا وقوله خالدا فيها منصوب على أحد وجهين أحدهما الحال من الهاء في يدخله نارا والتقدير على ما ذكرناه والآخر أن يكون صفة لقوله نارا وهذا كما تقول مررت بدار ساكن فيها فيكون على حذف الضمير من ساكن هو فيها لأن اسم الفاعل إذا جرى على غير من هو له لم يتضمن الضمير كما يتضمن الفعل لو قلت تسكن فيها وجب إبرازه فتقول زيد مررت بدار هو ساكن فيها. المعنى لما فرض الله سبحانه فرائض المواريث عقبها بذكر الوعد في الائتمار لها والوعيد على التعدي بحدودها فقال وتلك حدود الله أي هذه التي بين في أمر الفرائض وأمر اليتامى حدود الله أي الأمكنة التي ينبغي أن لا يتجاوز عن الزجاج واختلف في معنى الحدود على أقوال أحدها تلك شروط الله عن السدي وثانيها تلك طاعة الله عن ابن عباس وثالثها تلك تفصيلات الله لفرائضه وهو الأقوى فيكون المراد هذه القسمة التي قسمها الله تعالى لكم والفرائض التي فرضها لأحيائكم من أمواتكم فصول بين طاعة الله ومعصيته فإن المعنى حدود طاعة الله أي حدود طاعة الله وإنما اختصر لوضوح معناه للمخاطبين ومن يطع الله ورسوله فيما أمر به من الأحكام وعمل فيما فرض الله له من فرائض المواريث يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أي دائمين فيها وذلك الفوز العظيم أي الفلاح العظيم وصفه بالتعظيم ولم يسم بالإضافة إلى ماذا والمراد أنه عظيم بالإضافة إلى منفعة الحيازة في التركة من حيث كان أمر الدنيا حقيرا بالإضافة إلى أمر الآخرة وإنما خص الله سبحانه الطاعة في قسمة الميراث بالوعد مع أنه واجب في كل طاعة إذا فعلت لوجوبها والوجه وجه بها والرهب عن مجاوزتها وتعديها ومن يعص الله ورسوله فيما بينه من الفرائض وغيرها ويتعد حدوده أي يتجاوز ما حد له من الطاعات يدخله نارا خالدا أي دائما وله عذاب مهين سماه مهينا لأن الله تعالى يفعله على وجه الإهانة كما أنه يثيب المؤمن على وجه الكرامة ومن استدل بهذه الآية على أن صاحب الكبيرة من أهل الصلاة مخلد في النار ومعاقب لا محالة فقوله يبطل لأن قوله ويتعد حدوده يدل على أن المراد من تعدى حدود الله وهذه صفة الكفار ولأن صاحب الصغيرة بلا خلاف خارج من عموم الآية وإن كان فاعلا للمعصية ومتعديا حدا من حدود الله وإذا جاز لهذا القائل إخراجه منه بدليل جاز لغيره أن يخرج من عمومها من يشفع له النبي أو يتفضل الله تعالى عليه بالعفو بدليل آخر وأيضا فإن التائب لا بد من إخراجه من عموم الآية لقيام الدليل على وجوب قبول التوبة وكذلك يجب إخراج من يتفضل الله تعالى بإسقاط عقابه منها لقيام الدلالة على جواز وقوع التفضل بالعفو فإن جعلوا الآية دلالة على أن الله سبحانه لا يختار العفو جاز لغيرهم أن يجعلها دلالة على أن العاصي لا يختار التوبة على أن في المفسرين من حمل الآية على من تعدى حدود الله وعصاه مستحلا لذلك ومن كان كذلك لا يكون إلا كافرا قوله عز وجل واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فإن شهدوا فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فإن تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما إن الله كان توابا رحيما آيتان القراءة قرأ ابن كثير واللذان بتشديد النون وكذلك هذان وفذانك وهاتين وقرأ الباقون بتخفيف ذلك كله إلا أبا عمرو فإنه شدد فذانك وحدها. الحجة قال أبو علي في تشديد نون التثنية إنه عوض من الحذف الذي لحق الكلمة ألا ترى أن ذا قد حذف لامه وقد حذف من اللذان في التثنية

والياء من اللذان وهذان في التعويض كما أنها في فتح الأوائل في التحقير مع ضمها في غيرها وذلك نحو اللذيا واللتيا وذيا وتيا. اللغة اللاتي جمع التي وكذلك اللواتي قال اللواتي واللتي واللاتي زعمت أني كبرت لداتي وقد يحذف الياء من اللاتي فيقال اللات قال من اللاء لم يحججن يبغين حسبة ولكن ليقتلن البريء المغفلا. المعنى لما بين سبحانه حكم الرجال والنساء في باب النكاح والميراث بين حكم الحدود فيهن إذا ارتكبن الحرام فقال واللاتي يأتين الفاحشة أي يفعلن الزنا من نسائكم الحرائر فالمعنى اللاتي يزنين فاستشهدوا عليهن أربعة منكم أي من المسلمين خطاب للحكام والأئمة يأمرهم بطلب أربعة من الشهود في ذلك عند عدم الإقرار وقيل هو خطاب للأزواج في نسائهم أي فأشهدوا عليهن أربعة منكم وقال أبو مسلم المراد بالفاحشة في الآية أن تخلو المرأة بالمرأة في الفاحشة المذكورة عنهن وهذا القول مخالف للإجماع ولما عليه المفسرون فإنهم أجمعوا على أن المراد بالفاحشة هنا الزنا فإن شهدوا يعني الأربعة فأمسكوهن أي فاحبسوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أي يدركهن الموت فيمتن في البيوت وكان في مبدأ الإسلام إذا فجرت المرأة وقام عليها أربعة شهود حبست في البيت أبدا حتى تموت ثم نسخ ذلك بالرجم في المحصنين والجلد في البكرين أو يجعل الله لهن سبيلا قالوا لما نزل قوله تعالى الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة قال النبي صلى الله عليه وآله خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر مائة جلدة وتغريب عام والثيب بالثيب جلدة والرجم وقال بعض أصحابنا من وجب عليه الرجم جلد أولا ثم رجم وبه قال الحسن وقتادة وجماعة من الفقهاء وقال أكثر أصحابنا إن ذلك مخصوص بالشيخ والشيخة فأما غيرهما فليس عليه غير الرجم وحكم هذه الآية منسوخ عند جميع المفسرين وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام وقال بعضهم إنه غير منسوخ لأن الحبس لم يكن مؤبدا بل كان مستندا إلى غاية فلا يكون بيان الغاية نسخا له كما لو قالوا افعلوا كذا إلى رأس الشهر وقد وفق بين الموضعين فإن الحكم الملحق بجيء رأس الشهر لا يحتاج إلى بيان صاحب الشرع بخلاف ما في الآية وقوله واللذان يأتيانها أي يأتيان الفاحشة وفيه ثلاثة أقوال أحدها أنهما الرجل والمرأة عن الحسن وعطاء وثانيها أنهما البكران من الرجال والنساء عن السدي وابن زيد وثالثها أنهما الرجلان الزانيان عن مجاهد وهذا لا يصح لأنه لو كان كذلك لما كان للتثنية معنى لأن الوعد والوعيد إنما يأتي بلفظ الجمع فيكون لكل واحد منهم أو بلفظ الواحد لدلالته على الجنس فأما التثنية فلا فائدة فيها وقال أبو مسلم هما الرجلان يخلوان بالفاحشة بينهما والفاحشة في الآية الأولى هي السحق وفي الثانية اللواط فحكم الآية عنده ثابت غير منسوخ وهذا التأويل يذهب إليه أهل العراق ولا حد عندهم في اللواط والسحق وهذا بعيد لأن الذي عليه جمهور المفسرين أن الفاحشة في الآية الزنا وأن الحكم في الآية منسوخ بالحد المفروض في سورة النور ذهب إليه الحسن ومجاهد وقتادة والسدي والضحاك وغيرهم وإليه ذهب البلخي والجبائي والطبري وقال بعضهم نسخها الحدود بالرجم أو الجلد وقوله فآذوهما قيل في معناه قولان أحدهما التعيير باللسان والضرب بالنعال عن ابن عباس والآخر أنه التعيير والتوبيخ باللسان عن قتادة والسدي ومجاهد واختلف في الأذى والحبس كيف كان فقال الحسن كان الأذى أولا والآية الأخيرة نزلت من قبل ثم أمر أن توضع في التلاوة من بعد فكان الأول الأذى ثم الحبس ثم الجلد أو الرجم وقال السدي كان الحبس في الثيبين والأذى في البكرين وقيل كان الحبس للنساء والأذى للرجال وقال الفراء إن الأخيرة نسخت بالآية الأولى قوله فإن تابا وأصلحا أي رجعا عن الفاحشة وأصلحا العمل فيما بعد فأعرضوا عنهما أي اصفحوا عنهما وكفوا عن أذاهما إن الله كان توابا رحيما يقبل التوبة عن عباده ويرحمهم قال الجبائي في الآية دلالة على نسخ القرآن بالسنة لأنها نسخت بالرجم أو الجلد وقد ثبتا بالسنة ومن لم يجوز نسخ القرآن بالسنة يقول إن هذه نسخت بالجلد بالزنا وأضيف إليه الرجم زيادة لا نسخا وأما الأذى المذكور في الآية فغير منسوخ فإن الزاني يؤذى ويعنف على فعله ويذم لكنه لا يقتصر عليه بل يزاد عليه بأن يقام عليه الجلد أو الرجم إليه قوله عز وجل إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك

اعتدنا لهم عذابا اليما آية اللغة اصل التوبة الرجوع وحقيقتها الندم على القبيح مع العزم على ان لا يعود الى مثله في القبح
مع العزم على ان لا يعود الى مثله في القبح وقد يكفي في حدها الندم على القبيح والعزم على ان لا يعود الى مثله اعتدنا قيل اصله اعددنا ابدلت التاء
بدلا من الدال وقيل هو اصلها من العتاد وهو العدة قال عدي بن الرقاع تمايله اسلاب الكرام عنوة وزججت للحرب عتادها
ويقال للفرس المعد للحرب عتد وعتد الاعراب موضع الذين يموتون جر بكونه عطفا على قوله الذين يعملون السوء تقديره
ولا للذين المعنى لما وصف الله نفسه بالتواب الرحيم بين عقيبه شرايط التوبة فقال انما التوبة لفظة انما تتضمن النفي والاثبات
ومعناه لا توبة مقبولة على الله اي عند الله الا الذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب واختلف في معنى قوله بجهالة
على وجوه احدها ان كل معصية يفعلها العبد جهالة وان كانت على العمد لانه يدعو اليها الجهل ويزينها للعبد عن ابن عباس
وعطا ومجاهد وقتاده وهو المروي عن ابي عبد الله عليه السلم فانه قال كل ذنب عمله العبد وان كان عالما فهو جاهل حين
خاطر بنفسه في معصية ربه فقد حكى سبحانه قول يوسف لاخوته هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون
فنسبهم الى الجهل لمخاطرتهم بانفسهم في معصية الله تعالى وثانيها ان معنى قوله بجهالة انهم لا يعلمون كنه ما فيه من العقوبة كما يعلم الشيء
ضرورة عن الفراء وثالثها ان معناه انهم يجهلون انها ذنوب ومعاصي فيفعلونها اما بتاويل يخطئون فيه واما بان يفرطوا في
الاستدلال على قبحها عن الجبائي وضعف الرماني هذا القول لانه بخلاف ما اجمع عليه المفسرون ولانه يوجب ان لا يكون لمن علم
انها ذنوب توبة لان قوله انما التوبة يفيد انها لهولاء دون غيرهم وقال ابو العالية وقتاده اجمعت الصحابة على ان كل ذنب اصابه
العبد فبجهالة وقال الزجاج انما قال بجهالة لان في اختيارهم اللذة الفانية على اللذة الباقية جهالة فهو جهل في الاختيار ومعنى
يتوبون من قريب اي يتوبون قبل الموت لان ما بين الانسان وبين الموت قريب فالتوبة مقبولة قبل اليقين بالموت قال الحسن
والضحاك وابن عمر القريب ما لم يعاين الموت وقال السدي هو ما دام في الصحة قبل المرض والموت وروي عن امير المومنين عم
انه قيل له فان عاد وتاب مرارا قال يغفر الله له قيل الى متى قال حتى يكون الشيطان هو المحسور وفي كتاب من لا يحضره الفقيه قال رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم في آخر خطبة خطبها من تاب قبل موته بسنة تاب الله عليه ثم قال وان السنة لكثير من تاب قبل موته بشهر تاب الله
عليه ثم قال وان يوما لكثير من تاب قبل موته بساعة تاب الله عليه ثم قال وان الساعة لكثيرة من تاب وقد بلغت نفسه
هذه واهوى بيده الى حلقه تاب الله عليه وروى الثعلبي باسناده عن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وآله
وسلم هذا الحديث بعينه الا انه قال في آخره وان الساعة لكثيرة من تاب قبل ان يغرغر بها تاب الله عليه وروى ايضا باسناده عن الحسن
قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله لما هبط ابليس قال وعزتك وعظمتك لا افارق ابن آدم حتى تفارق روحه جسده
فقال الله سبحانه وعزتي وعظمتي لا احجب التوبة عن عبدي حتى يغرغر بها فاولئك يتوب الله عليهم اي يقبل توبتهم وكان الله
عليما بمصالح العباد حكيما فيما يعاملهم به وليست التوبة المقبولة التي ينتفع بها صاحبها للذين يعملون السيئات اي المعاصي ويصرون عليها
ويسوفون حتى اذا حضر احدهم الموت اي اسباب الموت من معاينة ملك الموت وانقطاع الرجاء عن الحياة وهو حال اليأس التي لا يعلمها
احد غير المحتضر قال اني تبت الان عند ذلك بتوبة واجمع اهل التاويل على ان هذه قد تتناول عصاة اهل الاسلام الا ما روي عن الربيع
انه قال انها نزلت في المنافقين وهذا لا يصح لان المنافقين من جملة الكفار وقد بين الكفار بقوله ولا الذين يموتون وهم
كفار معناه وليست التوبة ايضا للذين يموتون على الكفر ثم يندمون بعد الموت اولئك اعتدنا اي هيانا لهم عذابا اليما وجيعا
وانما لم يقبل الله تعالى التوبة في حال اليأس من الحيوة لانه يكون العبد ملجأ الى فعل الحسنات وترك القبائح فيكون خارجا من
حد التكليف اذ لا يستحق على فعله مدح ولا ذم واذا زال عنه التكليف لم يصح منه التوبة ولهذا لم يكن اهل الآخرة مكلفين ولا يقبل
توبتهم ومن استدل بذلك بقوله سبحانه اعتدنا لهم عذابا اليما على وجوب العقاب لمن مات من مرتكبي القبائح من المومنين قبل التوبة
فالانفصال عن استدلاله ان يقال ان معنى اعداد العذاب لهم انما هو خلق النار التي هي مصيرهم والظاهر يقتضي انه لهم لا يخلها
وليس في الآية ان الله تعالى يجازيهم ما يستحقونه لا محالة ويحتمل ايضا ان يكون اولئك اشارة الى الذين يموتون وهم كفار لانه اقرب اليه

من قوله للذين يعملون السيئات ويحتمل ايضا ان يكون التقدير اعتدنا لهم العقاب اي على الماثم بالعدل ولم يشا العفو عنهم
ويكون الفايدة فيها اعلامهم ما يستحقونه من العقاب ان لا يوتسوا من ان يفعل بهم ذلك فان قوله سبحانه ويغفر ما دون ذلك
لمن يشا ولا يتناول المشية الا المومنين من اهل الكبائر الذين يموتون قبل التوبة لان المومن المطيع خارج من هذه
الجملة وكذلك التائب اذ لا خلاف في ان الله تعالى لا يعذب اهل الطاعة من المومنين ولا التائبين من المعصية والكافر
خارج ايضا عن المشية لاخبار الله عز وجل انه لا يغفر الكفر فلم يبق تحت المشية الا من مات مومنا موحدا وقد ارتكب كبيرة
لم يتب منها وقال الربيع ان الآية منسوخة بقوله ويغفر ما دون ذلك لمن يشا لانه حكم من الله تعالى والنسخ جائز
في الاحكام كما جاز في الاوامر والنواهي وانما يمتنع النسخ في الاخبار بان يقول كان كذا او كذا ثم يقول لم يكن او يقول في المستقبل
لا يكون كذا ثم يقول يكون وهذا لا يصح لانه قوله اعتدنا وارد مورد الخبر فلا يجوز النسخ فيه كما لا يجوز في ساير الاخبار قوله
عز وجل يا ايها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن الا
ان ياتين بفاحشة مبينة وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا آية
القراءة قرء حمزة والكسائي كرها بضم الكاف هنا وفي التوبة والاحقاف وقرا الباقون بفتح الكاف في جميع ذلك
وقرء بفاحشة مبينة بفتح الياء ابن كثير وابو بكر عن عاصم والباقون بكسر الياء وروي في الشواذ عن ابن عباس مبينة
مكسورة الياء خفيفة اللغة الكره والكره لغتان مثل الضعف والضعف والفقر والفقر والدف والدف وقال سيبويه
بين الشيء وبينته وابان الشيء وابنته واستبان الشيء واستبنته وبين وبينته ومن ابيات الكتاب سهل الهموم بكل معطي
راسه ناج يخالط صهبة متعيس متعال احلبيين عنق في منكب زين المطي عرندس وفي نوادر ابي زيد سهم بالبدن حتى
ترام لسيماهم سها الخاتم واصلعا ومن كلامهم قد بين الصبح لذي عينين العضل التضييق بالمنع من التزويج واصله الامتناع
يقال عضلت الدجاجة ببيضها اذا عسرت عليها وعضل الفضاء بالجيش الكثير اذا لم يمكن سلوكه لضيقه ومنه الداء العضال
الذي لا يبرء والفاحشة مصدر كالعافية والعاقبة قال ابو عبيدة الفاحشة الشناء والفحش القبح والمعاشرة المصاحبة وهو
من العشيرة الاعراب ان ترثوا النساء في موضع رفع بانه فاعل يحل وكرها مصدر وضع موضع الحال من النساء والعامل
في الحال ترثوا ولا تعضلوهن يجوز ان يكون منصوبا بكونه معطوفا على ترثوا فتقديره لا يحل لكم ان ترثوا ولا ان تعضلوهن ويجوز
ان يكون مجزوما على النهي النزول قيل ان ابا قيس بن الاسلت لما مات عن زوجته كبيشة بنت معن الانصارية القى ابنه محصن بن ابي قيس
ثوبه عليها فورث نكاحها ثم تركها فلم يقربها ولم ينفق عليها فجاءت الى النبي صلى الله عليه وآله فقالت يا نبي الله لا انا ورثت
زوجي ولا انا تركت فانكح فنزلت هذه الآية عن مقاتل وهو المروي عن ابي جعفر عليه السلم وقيل كان اهل الجاهلية اذا مات الرجل جاء ابنه
من غيرها او وليه فورث امراته كما يرث ماله والقى عليها ثوبا فان شاء تزوجها بالصداق الاول وان شاء زوجها غيره
واخذ صداقها فنهوا عن ذلك عن الحسن ومجاهد وروى ذلك ابو الجارود عن ابي جعفر عليه السلم وقيل نزلت في الرجل
يكون تحته المراة يكره صحبتها ولها عليه مهر فيطول عليها ويضارها لتفتدي بالمهر فنهوا عن ذلك عن ابن عباس وقيل
نزلت في الرجل يحبس المراة عنده لا حاجة له اليها وينتظر موتها حتى يرثها عن الزهري وروي ذلك عن ابي جعفر عليه السلم المعنى
لما نهى الله سبحانه فيما تقدم عن عادات اهل الجاهلية في امر اليتامى والاموال عقبها بالنهي عن الاستنان بسنتهم في النساء
فقال يا ايها الذين آمنوا اي يا ايها المومنون لا يحل لكم اي لا يسعكم في دينكم ان ترثوا النساء اي نكاح النساء كرها اي على كره
منهن وقيل ليس لكم ان تحبسوهن على كره منهن طمعا في ميراثهن وقيل ليس لكم ان تسيئوا صحبتهن ليفتدين بمالهن او بما سقتم
اليهن من مهورهن او ليمتن فترثونهن ولا تعضلوهن اي ولا تحبسوهن وقيل لا تمنعوهن عن النكاح لتذهبوا ببعض
ما آتيتموهن واختلف في المعني بهذا النهي على اربعة اقوال احدها انه الزوج امره الله سبحانه بتخلية سبيلها اذا لم يكن له فيها
حاجة وان لا يمسكها اضرارا بها حتى تفتدي ببعض مالها عن ابن عباس وقتاده والسدي والضحاك وهو المروي عن ابي عبد الله
وثانيها انه الوارث نهي عن منع المراة عن التزويج كما كانت تفعله اهل الجاهلية على ما بيناه عن الحسن وثالثها انه المطلق اي منع

المطلقة من الزوج كما كانت تفعل قريش في الجاهلية ينكح منهم المراة الشريفة فاذا لم يوافقه فارقها على ان لا يتزوج الا باذنه
ويشهد عليها بذلك ويكتب كتابا فاذا خطبها خاطب فان اعطته اذن لها وان لم تعطه شيئا عضلها فنهى الله عن ذلك
عن ابن زيد وثالثها انه الولي خوطب بان لا يمنعها عن النكاح عن مجاهد والقول الاول اصح والاظهر الا ان ياتين بفاحشة
مبينة اي ظاهرة وقيل فيه قولان احدهما انه يعني الا ان يزنين عن الحسن وابي قلابة والسدي وقالوا اذا اطلع منها على
ريبة فله اخذ الفدية والاخر ان الفاحشة النشوز عن ابن عباس والاولى حمل الاية على كل معصية وهو المروي عن ابي جعفر
واختاره الطبري واختلف في هذا الاستثناء وهو قوله الا ان ياتين مما ذا هو فقيل من اخذ المال وهو قول اهل التفسير
وكان هذا اصل الحد وكان الاخذ منهن على وجه العقوبة لهن ثم نسخ عن الاصم وقيل هو من الحبس والامساك على
ما تقدم في قوله فامسكوهن في البيوت عن ابي علي الجبائي وابي مسلم الا ان ابا علي قال انه منسوخ وابى ابو مسلم النسخ
وعاشروهن بالمعروف اي خالقوهن من العشرة التي هي المصاحبة بما امركم الله به من اداء حقوقهن التي هي النصفة
في القسم والنفقة والاجمال في القول والفعل وقيل المعروف ان لا يضربها ولا يسيء القول فيها ويكون منبسط الوجه
معها وقيل انه يتصنع لها كما تتصنع له فان كرهتموهن اي كرهتم صحبتهن وامساكهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه
اي في ذلك الشيء وهو امساكهن على كره منكم خيرا كثيرا من ولد يرزقكم او عطف لكم عليهن بعد الكراهية وبه قال
ابن عباس ومجاهد وعلى هذا يكون المعنى ان كرهتموهن فلا تعجلوا طلاقهن لعل الله يجعل فيه خيرا كثيرا وفي هذا
حث للازواج على حسن الصبر فيما يكرهون من الازواج وترغيبهم في امساكهن مع كراهة صحبتهن اذا لم يخافوا في ذلك
مضرة على النفس او الدين او المال ويحتمل ان يكون الهاء عائدا الى الذي تكرهوا ان عسى ان يجعل الله فيما يكرهون
خيرا كثيرا والمعنى مثل الاول وقيل المعنى ويجعل الله في فراقكم لهن خيرا لهن عن الاصم قال ونظيره وان يتفرقا يغن الله
كلا من سعته قال القاضي وهذا بعيد لان الله سبحانه حث على الاستمرار على الصحبة فكيف يحث على المفارقة قوله عز وجل وان اردتم
استبدال زوج مكان زوج واتيتم احديهن قنطارا فلا تاخذوا منه شيئا اتاخذونه بهتانا واثما مبينا وكيف
تاخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض واخذن منكم ميثاقا غليظا اية اللغة القنطار واصله ماخوذ من القنطرة
ومنه القنطار المال العظيم لانها كالقنطرة في عظم الصورة ويقال قنطر في الامر يقنطر اذا اعظم بتكثير الكلام فيه من غير
حجة اليه والبهتان الكذب الذي يواجه به صاحبه على وجه المكابرة له واصله التحير من قوله فبهت الذي كفر اي
تحير الانقطاع حجته فالبهتان كذب يحير صاحبه لعظمه والافضاء الى الشيء صلى الله عليه وآله هو الوصول اليه بالملامسة
واصله من الفضاء وهو السعة فضا يفضو فضوا اذا اتسع الاعراب بهتانا مصدر وضع موضع الحال وكذلك
قوله واثما المعنى انما تاخذونه مباهتين واثمين المعنى لما حث الله سبحانه على حسن مصاحبة النساء عند الامساك عقبه
ببيان حال الاستبدال فقال مخاطبا للازواج وان اردتم ايها الازواج استبدال الزوج مكان زوج اي اقامة امراة
مقام امراة واتيتم احديهن اي اعطيتم المطلقة التي تستبدلون بها غيرها قنطارا اي مالا كثيرا على ما قيل فيه من انه
ملء مسك ثور ذهبا او انه دية الانسان او غير ذلك من الاقوال في اول ال عمران فلا تاخذوا منه اي من المؤتى
والمعطى شيئا اي لا ترجعوا فيما اعطيتموهن من المهر اذا كرهتموهن واردتم طلاقهن اتاخذونه بهتانا هذا استفهام
انكار اي اتاخذونه باطلا وظلما كالظلم بالبهتان وقيل معناه اتاخذونه بانكار التمليك وسماه بهتانا لان الزوج
اذا انكر عليك اياها بغير حق استوجب المعطى لها في ظاهر الحكم كان انكاره بهتانا وكذبا واثما مبينا اي ظاهرا لا شك فيه
ومتى قيل في الاية لم خص حال الاستبدال بالنهي عن الاخذ مع ان الاخذ محرم مع عدم الاستبدال فجوابه انه مع الاستبدال
يتوهم جواز الاسترجاع من حيث ان الثانية تقوم مقام الاولى فيكون لها ما اخذت الاولى فبين سبحانه ان ذلك لا يجوز وازال
هذا الاشكال والمعنى ان اردتم تخلية المراة سواء استبدلتم مكانها اخرى ام لم تستبدلوا فلا تاخذوا مما اتيتموها شيئا وكيف
تاخذونه هذا تعجب من الله تعالى وتعظيم اي عجبا من فعلكم كيف تاخذون ذلك منهن وقد افضى بعضكم الى بعض وهو كناية

عن الجماع عن ابن عباس ومجاهد والسدي وقيل المراد به الخلوة الصحيحة وان لم يجامع فسمى الخلوة افضاء
لوصوله بها الى مكان الوطي وكلا القولين قد رواه اصحابنا وفي تفسير الكلبي عن ابن عباس ان الافضاء حصوله
معها في لحاف واحد جامعها او لم يجامعها فقد وجب المهر في الحالين واخذن منكم ميثاقا غليظا فيه اقوال احدها
ان الميثاق الغليظ هو العهد الماخوذ على الزوج حالة العقد من امساك بمعروف او تسريح باحسان عن الحسن
وابن سيرين والضحاك وقتادة والسدي وهو المروي عن ابي جعفر عليه السلم وثانيها ان المراد به كلمة النكاح التي
يستحل بها الفرج عن مجاهد وابن زيد وثالثها قول النبي صلى الله عليه وآله اخذتموهن بامانة الله واستحللتم
فروجهن بكلمة الله عن عكرمة والشعبي والربيع وقد قيل في هاتين الايتين ثلاثة اقوال احدها انهما محكمتان
غير منسوختين لكن للزوج ان ياخذ الفدية من المختلعة لان النشوز حصل من جهتها فالزوج يكون في حكم
المكره لا المختار للاستبدال ولا ينافي حكم الايتين وحكم انه الخلع لا يحتاج الى نسخهما بها وهو قول الاكثرين وثانيها
انهما محكمتان وليس للزوج ان ياخذ من المختلعة شيئا ولا من غيرها لاجل ظاهر الاية عن بكر بن عبد الله المزني
والثالث ان حكمها منسوخ بقوله فان خفتم الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به عن الحسن قوله
عز وجل ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء الا ما قد سلف انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا اية اللغة
النكاح اسم يقع على العقد ومنه وانكحوا الايامى منكم ويقع على الوطي ومنه الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة
اي لا يطا بالحرام الا من يطا ومنه ملعون من نكح يده ملعون من نكح بهيمة قال الشاعر لبكر شيمى لذيذ النكاح
ويفزع من صولة الناكح واصله الجمع ومنه انكحنا الفرى فسنرى والمقت بغض عن امر قبيح يركبه صاحبه يقال مقت
الرجل الى الناس مقاتة ومقته الناس يمقته مقتا فهو مقيت وممقوت وكان يقال لولد الرجل من امراة
ابيه كان يسمى المقتي ومنهم الاشعث بن ابي قيس وابو معيط جد الوليد بن عقبة الاعراب الا ما قد سلف
استثناء منقطع لانه لا يجوز استثناء الماضي من المستقبل ونظيره لا تبع الا من ما في الا ما بعت ولا تاكل الا
ما اكلت ومنه لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى المعنى لكن ما قد سلف فلا جناح عليكم فيه وقال المبرد
جاز ان يكون كان زائدة في قوله انه كان فاحشة والمعنى انه فاحشة وانشد في ذلك قول الشاعر فكيف
اذا حللت بدار قوم وجيران لنا كانوا كرام قال الزجاج هذا غلط منه لانه لو كان كان زائدة لم ينصب خبرها والدليل
عليه البيت الذي انشده وجيران لنا كانوا كرام ولم يقل كراما قال علي بن عيسى انما دخلت كان ليدل على ان
ذلك قبل تلك الحال فاحشة ايضا كما دخلت في قوله تعالى وكان الله غفورا رحيما وقوله وساء سبيلا اي بئس
طريقا ذلك الطريق فسبيلا منصوب على التفسير وفاعل ساء مضمر تفسيره الظاهر والمخصوص بالذم محذوف
النزول قيل نزلت فيما كان يفعل اهل الجاهلية من نكاح امراة الاب عن ابن عباس وقتادة وعكرمة وعطا قالوا
تزوج صفوان بن امية امراة ابيه فاختة بنت الاسود بن المطلب وتزوج حصين بن ابي قيس امراة ابيه كبشة
بنت معن وتزوج منظور بن زبان امراة ابيه مليكة بنت خارجة قال الاشعث بن سوار توفي ابو قيس
وكان من صالحي الانصار فخطب قيس امراة ابيه فقالت اني اعدك ولدا وانت من صالحي قومك ولكني اتي رسول
الله صلى الله عليه وآله استامره فاخبرته فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله ارجعي الى بيتك فانزل الله هذه
الاية المعنى لما تقدم ذكر شرايط النكاح عقبه سبحانه بذكر من يحل من النساء ومن لا يحل فقال ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم
من النساء وحرم عليهم ما كان اهل الجاهلية يفعلونه من نكاح امراة الاب عن ابن عباس وقتادة وعطا وعكرمة
وقيل ان تقديره لا تنكحوا نكاح ابائكم اي مثل نكاح ابائكم فيكون ما نكح بمنزلة المصدر ويكون ما حرفا موصولا فعلى
هذا يكون النهي عن نكاح حلائل الاباء وكل نكاح لهم كان فاسد وهو اختيار الطبري وفي الوجه الاول يكون ما اسما

موصولا لا يحتاج الى عايد من صلته اليه قال الطبري ان الوجه الثاني اجود لانه لو اراد حلايل الاب لقال لا تنكحوا
ما نكح اباؤكم وقد اجيب عن ذلك بانه يجوز ان يكون ذهب به مذهب الجنس كما تقول القايل لا تاخذ ما اخذ
ابوك من الاماء فذهب مذهب الجنس ثم تفسيره عن الاماء قد سلف لانكم لا تواخذون به وقيل معناه الا
ما قد سلف فدعوه فهو جاين لكم قال البلخي وهذا خلاف الاجماع وما علم من دين الرسول وقيل معناه لكن ما قد
سلف فاحسوه ودعوه عن قطوب وقيل انما استثنى ما قد مضى ليعلم انه لم يكن مباحا لكم انه كان فاحشة اى
زنا ومقتا اى بغضا يعني يورث بغض الله ويجوز ان يكون الهاء في انه عايد الى النكاح بعد النهي فيكون معناه ان
نكاح امراة الاب فاحشة اى معصية محرمة قبيحة ويجوز ان يكون عايدا الى النكاح الذي كان عليه اهل الجاهلية
اى انه كان فاحشة قبل هذا ولا يكون كذلك الا وقد قامت عليهم الحجة بتحريمه من قبل الرسل والاول اقوى وهذا
اختيار الجبائي قال ويكون السلامة مما قد سلف الاقلاع عنه بالتوبة والانابة قال البلخي وليس كل نكاح حرمه الله تعالى
يكون زنا لان الزنا فعل مخصوص لا يجري على طريقه لازمة وسنة جارية ولذلك لا يقال للمشركين في الجاهلية اولاد
زنا ولا الاولاد اهل الذمة والمعاهدين اولاد زنا اذا كان ذلك عقد اسم سعادفونه قوله وساء سبيلا اى بئس
الطريق ذلك النكاح الفاسد وفي هذه الآية دلالة على ان كل من عقد عليها الاب من النساء تحرم على الابن
دخل بها الاب ولم يدخل وهذا اجماع فان دخل بها الاب على وجه السفاح فهل تحرم على الابن فيه خلاف وعموم
الآية يقتضي انه يحرم عليه لان النكاح قد يعبر عن الوطي وهو الاصل فيه كما يعبر عن العقد فينبغي ان يحمل اللفظ
في الآية على الامرين وامراة الاب وان علا تحرم على الابن وان سفل بلا خلاف قوله عز وجل حرمت عليكم امهاتكم
وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة
وامهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح
عليكم وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم وان تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف ان الله كان غفورا رحيما
آية واحدة اللغة الربائب جمع ربيبة وهي بنت زوجة الرجل من غيره سميت بذلك لتربيته اياها فهي في معنى مربوبة
نحو قتيلة في موضع مقتولة ويجوز ان يسمى ربيبة سواء تولى تربيتها او لم يتول وسواء كانت في حجره او لم يكن
لانه اذا تزوج بامها فهو رابها وهي ربيبة والعرب تسمي الفاعلين والمفعولين بما يقع بهم ويوقعونه يقولون هذا
مقتول وان لم يقتل بعد وهذا ذبيح وان لم يذبح بعد اذا كان يراد ذبحه وقتله وكذلك يقولون هذا اضحية
لما اعد للتضحية وهذه قتوبة وحلوبة اى مما يقتل ويحلب وقد يقال لزوج المراة ربيب ابن امراته يعني
انه رابه كما يقولون شهيد وخبير بمعنى شاهد وخابر والحلائل جمع الحليلة وهي بمعنى المحلة مشتقة من الحلال
والذكر حليل وجمعه احلة كعزيز واعزة سميا بذلك لان كل واحد منهما يحل له مباشرة صاحبه وقيل هو من الحلول
لان كل واحد منهما يحال صاحبه اى يحل معه في الفراش المعنى ثم بين سبحانه المحرمات من النساء فقال حرمت عليكم
امهاتكم لا بد فيه من محذوف لان التحريم لا يتعلق بالاعيان وانما يتعلق بافعال المكلف ثم يختلف باختلاف
ما اضيف اليه فاذا اضيف الى التحريم لا يتعلق بالاعيان وانما يتعلق بافعال المكلف ثم يختلف باختلاف ماكول
نحو قوله حرمت عليكم الميتة والدم والمراد الاكل واذا اضيف الى النساء فالمراد العقد فالتقدير حرم عليكم
نكاح امهاتكم فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه للدلالة مفهوم الكلام عليه وكل امراة رجع نسبك اليها
بالولادة من جهة ابيك او من جهة امك باناث رجعت اليها او بذكور فهي امك وبناتكم اى ونكاح بناتكم وكل امراة
رجع نسبها اليك بالولادة بدرجة او درجات باناث رجع نسبها اليك او بذكور فهي بنتك واخواتكم وهي جمع الاخت
وكل انثى ولدها شخص ولدك في الدرجة الاولى فهي اختك وعماتكم وهي جمع العمة وكل ذكر رجع نسبك اليه فاخته

عمتك اذ قد يكون العمة من جهة الام مثل اخت ابي امك واخت جد امك فصاعدا وخالاتكم جمع الخالة وكل انثى
رجع نسبك اليها بالولادة فاختها خالتك وقد يكون الخالة من جهة الاب مثل اخت ام ابيك واخت جدة ابيك
فصاعدا واذا خاطب سبحانه المكلفين بلفظ الجمع كقوله حرمت عليكم ثم اضاف المحرمات بعده اليهم بلفظ الجمع فالاحاد
تقع بازاء الاحاد فكانه سبحانه قال حرم على كل واحد منكم نكاح امه ومن تقع عليها اسم الام ونكاح بنته ومن تقع
عليها اسم البنت وكذلك الجميع وبنات الاخ وبنات الاخت فهذه الاية على ما ذكرناه جمع بان اجمع فيقع الاحاد
بازاء الاحاد والتحديد في هؤلاء كالتحديد في بنات الصلب فهؤلاء السبع هم المحرمات بالنسب فقد صح عن ابن عباس
انه قال ان الله سبحانه حرم من النساء سبعا بالنسب وسبعا بالسبب وتلا الآية ثم قال والسابعة لا تنكحوا ما نكح اباؤكم من
النساء ثم ذكر سبحانه المحرمات بالسبب فقال سبحانه وامهاتكم اللاتي ارضعنكم سماهن امهات للحرمة وكل انثى انتسبت
اليها باللبن فهي امك فالتي ارضعتك او ارضعت امراة او رجلا ارضعت بلبانه من زوجته او ام ولده فهي امك
من الرضاعة وكذلك كل امراة ارضعتك او رجلا ارضعك فهي امك من الرضاعة وكذلك واخواتكم من الرضاعة
يعني بنات المرضعة وهي ثلاث الصغيرة الاجنبية التي ارضعتها امك بلبان ابيك سواء ارضعتها معك او مع ولد
قبلك او بعدك والثانية اختك لامك دون ابيك وهي التي ارضعتها امك بلبان رجل آخر غير ابيك والثالثة اختك
لابيك دون امك وهي التي ارضعتها زوجة ابيك بلبن ابيك وام الرضاعة واخت الرضاعة لولا الرضاعة لم تحرما و
الرضاعة سبب تحريمهما وكل من يحرم بالنسب يحرم بهذا الجنس السبع المحرمات بالنسب على التفصيل الذي ذكرناه
محرمات بالرضاع والكلام في الرضاع يشتمل على ثلاثة فصول احدها مدة الرضاع وقد اختلف فيها فقال اكثر اهل
العلم لا يحرم الا ما كان في مدة الحولين وبه قال الشافعي وابو يوسف ومحمد وقال ابو حنيفة مدة الرضاع حولان
ونصف وقال مالك حولان وشهر واتفقوا على ان رضاع الكبير لا يحرم وثانيها قدر الرضاع واختلف فيه فقال ابو حنيفة
ان قليله وكثيره يحرم وروي ذلك عن ابن عمر وابن عباس وهو مذهب مالك والاوزاعي وقال الشافعي انما يحرم
خمس رضعات وبه قالت عايشة وسعيد بن جبير وقال اصحابنا لا يحرم الا ما انبت اللحم واشتد العظم وانما
يعتبر ذلك برضاع يوم وليلة بعينه برضاع امراة اخرى او خمس عشرة رضعة متواليات وثالثها كيفية الرضاع
فعند اصحابنا لا يحرم الا ما يوصل الى الجوف من الثدي في المجرى المعتاد الذي هو الفم فاما ما يوجر او يسعط
او يحقن به فلا يحرم وان الميتة لا حرمة لها في التحريم وفي جميع ذلك خلاف قوله وامهات نسائكم اى وحرم عليكم
نكاحهن وهذا يتضمن تحريم نكاح امهات الزوجات وجداتهن قربن ام بعدن من اى وجه كن سواء كن من
النسب او من الرضاع وهن يحرمن من بنفس العقد على البنت سواء دخل بالبنت او لم يدخل لان الله تعالى اطلق
التحريم ولم يقيده بالدخول وربائبكم يعني بنات نسائكم من غيركم اللاتي في حجوركم وهو جمع حجر الانسان والمعنى
في ضمانكم وتربيتكم يقال فلان في حجر فلان اى في تربيته ولا خلاف بين العلماء ان كونهن في حجره ليس بشرط في التحريم
وانما ذكر ذلك لان الغالب انها تكون كذلك وهذا يقتضي تحريم بنت المراة من غير زوجها على زوجها وتحريم بنت ابنها
وبنت بنتها قربت او بعدت لان لوقوع اسم الربيبة عليهن من نسائكم اللاتي دخلتم بهن وهذه نعت لامهات الربائب
لا غير لحصول الاجماع على ان الربيبة تحل اذا لم يدخل بامها قال المبرد من اجاز قولين فيكون قوله من نسائكم اللاتي دخلتم
بهن يخرج ان يكون اللاتي دخلتم بهن لامهات الربائب قال الزجاج والدليل على صحة ذلك ان الخبرين اذا اختلفا
لم يكن نعتهما واحدا لا يجيز النحويون مررت بنسائك وهربت من نساء زيد الظريفات على ان يكون الظريفات
نعتا لهؤلاء النساء وهؤلاء النساء وروى العياشي في تفسيره باسناده عن اسحق بن عمار عن جعفر بن محمد عن ابيه
ان عليا كان يقول الربائب عليكم حرام من الامهات اللاتي قد دخلتم بهن هي في الحجور او غير الحجور والامهات مبهمات

دخل بالبنات او لم يدخل بهن فحرموا ما حرم الله وابهموا ما ابهم الله واختلف في معنى الدخول على قولين احدهما ان المراد
به الجماع عن ابن عباس والآخر انه الجماع وما يجري مجراه من . والتجريد عن عطا وهو مذهبنا وفي ذلك خلاف
بين الفقهاء فان لم تكونوا دخلتم بهن يعني بامام الربيبة فلا جناح عليكم اي فلا اثم عليكم في نكاح بناتهن اذا طلقتموهن
او متن وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم اي وحرم عليكم نكاح ازواج ابنائكم ثم ازال الشبهة فاخرج زوجة المتبنى
فقال الذين من اصلابكم لئلا يظن انه زوجه . به محرم عن الحسن وروى عن عطا هذه نزلت حين نكح النبي
صلى الله عليه وآله امراة زيد بن حارثة فقال المشركون في ذلك فنزل وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم وقوله
وما جعل ادعياءكم ابناءكم وما كان محمد ابا احد من رجالكم واما حلائل الابناء من الرضاع فمحرمات ايضا لقوله عليه السلم
ان الله حرم من الرضاعة ما حرم من النسب وان تجمعوا بين الاختين اي وحرم عليكم الجمع بين الاختين لان ان مع
صلتها في حكم المصدر وهذا يقتضي تحريم الجمع بين الاختين في العقد على الحراير وتحريم الجمع بينهما في الوطي بملك
اليمين فاذا وطي احديهما فقد حرمت عليه الاخرى تلك من ملكه وهو قول الحسن واكثر المفسرين والفقهاء
الا ما قد سلف استثناء منقطع ومعناه لكن ما قد سلف لا تواخذكم الله به وليس المراد به ان ما سلف
حال النهي يجوز استدامته بلا خلاف وقيل معناه الا ما كان من يعقوب اذ جمع بين اختين ليا ام يهودا وراحيل
ام يوسف عن عطا والسدي ان الله كان غفورا رحيما لا يواخذكم بحكم ما قد سلف من هذه الانكحة قبل نزول
التحريم وكلما حرمه الله سبحانه في هذه الآية فانما هو على وجه التابيد سواء كن مجتمعات او منفردات الا الاختين
فانهما تحرمان على وجه الجمع دون الانفراد ويمكن ان يستدل بهذه الآية على ان هؤلاء المحرمات من ذوات الانساب
لا يصح ان يملك واحدة منهن لان التحريم عام والمحرمات بالنسب او السبب على وجه التابيد يسمون مبهمات لانهن
يحرمن من جميع الجهات وهي ماخوذة من البهيمة التي لا يخالط معظم لونه لون آخر يقال فرس بهيم لا شية له
قوله عز وجل والمحصنات من النساء الا ما ملكت ايمانكم كتاب الله عليكم واحل لكم ما وراء ذلكم ان تبتغوا
باموالكم محصنين غير مسافحين فما استمتعتم به منهن فآتوهن اجورهن فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتم
به من بعد الفريضة ان الله كان عليما حكيما آية القراءة قرا الكسائي وحده والمحصنات ومحصنات في سائر
القرآن بكسر الصاد الا قوله والمحصنات من النساء الا ما ملكت ايمانكم فانه فتح الصاد فيه وقرا الباقون
بفتح الصاد في كل القرآن وقرا اهل الكوفة الا ابا بكر وابو جعفر واحل لكم بالضم وكسر الحاء وقرا الباقون
بفتح الهمزة والحاء الحجة وقع الاتفاق على فتح العين من قوله والمحصنات في هذه الآية ومعناها اللاتي
احصن بالازواج والاحصان يقع على الحرية يدل عليه قوله الذين يرمون المحصنات الآية يعني الحراير لان من قذف
غير حرة لم يجلد ثمانين ويقع ايضا على العفة يدل عليه قوله ومريم ابنة عمران التي احصنت فرجها وقد فسر قوله
ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات بالعفائف ويقع على التزوج كما في الآية ويقع على الاسلام كما فسر من قرا
فاذا احصن بفتح الهمزة باسلمن واصل الجميع المنع لان الحرية تمنع عن امتهان الرق والعفة تحظر النفس على خطوة الشرع
والتزوج بالمراة تحظر خلطها التي كانت مباحة من قبل ويمنع تصديها للتزويج والاسلام تحظر الدم اللذين
كانا مباحين قبل الاسلام ومن قرا واحل لكم ما وراء ذلكم بناء الفعل للفاعل اشبه بما قبله لان معنى كتاب الله
عليكم كتب الله احل لكم ومن قرا واحل لكم فلانه في المعنى يؤول الى الاول وفيه مراعاة ما قبله وهو قوله حرمت
عليكم امهاتكم اللغة قال الازهري يقال للزوج اذا تزوج احصن فهو محصن كقولهم الفح فهو ملفح اذا اعدم وافتقر
واسهب فهو مسهب اذا اكثر الكلام وكلام العرب كله على افعل فهو مفعل وقال سيبويه حصنت المراة حصنا
فهي حصان مثل جبن جبنا فهو جبان وقد قالوا حصينا كما قالوا علما والحصان الفحل من الافراس واحصن

الجزء الخامس

الرجل امراته واحصنت المراة فرجها من الفجور المسافحة والسفاح الزنا واصله من السفح وهو صب الماء
لانه لا يصيب الماء ومنه قال الزجاج المسافحة والمسافح والزانيان لا يمتنعان من احد فاذا كانت تزني
بواحد فهي ذات خدن الاعراب كتاب الله نصب على المصدر من فعل محذوف واصله كتب الله كتابا عليكم
ثم اضمر الفعل لدلالة ما تقدم من الكلام عليه وهو قوله حرمت عليكم فانه يدل على ان ما هو مذكور مكتوب
عليهم فهي كتاب الله عليكم ثم اضيف المصدر الى الفاعل كما اضيف الى المفعول في قولهم ضرب زيد ومثل
ذلك قوله تعالى صنع الله وعلى ذلك قول الشاعر ما ان يمس الارض الا جانب منه وحرف الساق طي المحمل
لان ما في البيت يدل على انه طيان فكان تقديره طوى طي المحمل وقال الزجاج يجوز ان يكون منصوبا على جهة
الامر ويكون المعنى الزموا كتاب الله ولا يجوز ان يكون منصوبا بعليكم لان عليك لا يجوز تقديم منصوبه
وقوله ما وراء ذلكم ما اسم موصول في موضع نصب بانه مفعول على قراءة من قرا واحل لكم بفتح الهمزة ومن
قرا واحل بالضم فمحله رفع ويجوز ان يكون محل ان تبتغوا نصبا على البدل من ما ان كان منصوب الموضع او رفعا
ان كان محله رفعا ويجوز ان يكون على حذف اللام من . لان تبتغوا على ما مر امثاله فيما مضى فيكون مفعولا له محصنين
نصب على الحال وذو الحال الواو من تبتغوا مسافحين صفة لمحصنين وفريضة نصب على المصدر ويجوز ان يكون مصدرا
في موضع الحال اي مفروضة المعنى ثم عطف سبحانه على ما تقدم ذكرهن من المحرمات فقال والمحصنات اي وحرمت
عليكم اللاتي احصن من النساء واختلف في معناه على اقوال احدها المراد به ذوات الازواج الا ما ملكت ايمانكم
من سبي من كان لها زوج عن علي عليه السلام وابن مسعود وابن عباس ومكحول والزهري واستدل بعضهم
على ذلك بخبر ابي سعيد الخدري ان الآية نزلت في سبي اوطاس وان المسلمين اصابوا نساء المشركين وكان
لهن ازواج في دار الحرب فلما نزلت نادى منادي رسول الله صلى الله عليه وآله الا لا توطى الحبالى حتى يضعن
ولا الحبالى حتى يستبرئن بحيضة ومن خالف فيه ضعف هذا الخبر بان سبي اوطاس كانوا عبدة الاوثان
ولم يدخلوا في الاسلام ولا يحل نكاح الوثنية واجيب عن ذلك بان الخبر محمول على ما بعد الاسلام وثانيها ان المراد
ذوات الازواج الا ما ملكت ايمانكم ممن كان لها زوج لان بيعها طلاقها عن ابي بن كعب وجابر بن عبد الله
وانس وابن المسيب والحسن وقال ابن عباس طلاق الامة يثبت بستة اشياء سبيها وبيعها وعتقها وهبتها
وميراثها وطلاق زوجها وهو الظاهر من روايات اصحابنا وقال عمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن عوف ليس
بيع الامة طلاقها بل طلاقها كطلاق الحرة وانما هو في السبي خاصة لان النبي صلى الله عليه وآله خير بريرة
بعدما اعتقتها عائشة ولو بانت بالعتق لم يصح تخييرها وقال الاولون ان زوج بريرة كان عبدا ولو كان
حرا لم يخيرها النبي صلى الله عليه وآله وثالثها ان المراد بالمحصنات العفائف الا ما ملكت ايمانكم بالنكاح
او باليمين ملك استمتاع بالمهر والبينة او ملك استخدام باليمين عن ابي العالية وسعيد بن جبير وعطا والسدي
كتاب الله عليكم يعني كتب الله عليكم تحريم ما حرم وتحليل ما حلل عليكم كتابا فلا تخالفوه وتمسكوا به وقيل والحل
لكم ما وراء ذلكم ان تبتغوا باموالكم قيل في معناه اربعة اقوال احدها احل لكم ما وراء ذلكم ذوات المحارم من
اقاربكم عن عطا وثانيها ان معناه واحل لكم ما دون الخمس وهي الاربع فما دونها ان تبتغوا باموالكم على وجه
النكاح عن السدي وثالثها ما وراء ذلكم مما ملكت ايمانكم عن قتادة ورابعها احل لكم ما وراء ذوات المحارم
والزيادة على الاربع ان تبتغوا باموالكم نكاحا او بملك اليمين وهذا الوجه احسن الوجوه ولا تنافي بين هذه
الاقوال ومعنى ان تبتغوا ان تطلبوا او تلتمسوا باموالكم اما شراء او بمهر او نكاحا عن ابن عباس محصنين
غير مسافحين اي متزوجين غير زانين وقيل معناه اعفة غير زناة وقوله فما استمتعتم به منهن فآتوهن اجورهن

فريضة قيل المراد بالاستمتاع هنا درك البغية والمباشرة وقضاء الوطر من اللذة عن الحسن ومجاهد وابن
زيد فمعناه على هذا فما انتفعتم وتلذذتم من النساء بالنكاح فآتوهن مهورهن وقيل المراد به نكاح المتعة
وهو النكاح المنعقد بمهر معين الى اجل معلوم عن ابن عباس والسدي وسعيد بن جبير وجماعة من التابعين
وهو مذهب اصحابنا الامامية وهو الواضح لان لفظ الاستمتاع والتمتع وان كان في الاصل واقعا على الانتفاع
والالتذاذ فقد صار بعرف الشرع مخصوصا بهذا العقد المعين لا سيما اذا اضيف الى النساء فعلى هذا
يكون معناه فمتى عقدتم عليهن هذا العقد المسمى متعة فآتوهن اجورهن ويدل على ذلك ان الله سبحانه
علق وجوب اعطاء المهر بالاستمتاع وذلك يقتضي ان يكون معناه هذا العقد المخصوص دون الجماع والاستلذاذ
لان المهر لا يجب الا به هذا وقد روي عن جماعة من الصحابة منهم ابي بن كعب وعبد الله بن العباس وعبد الله بن مسعود
رضي الله عنه انهم قرأوا فما استمتعتم به منهن الى اجل مسمى فآتوهن اجورهن وفي ذلك تصريح بان المراد به عقد
المتعة وقد اورد الثعلبي في تفسيره عن حبيب بن ابي ثابت قال اعطاني ابن عباس مصحفا فقال هذا على قراءة
ابي فرأيت في المصحف فما استمتعتم به منهن الى اجل مسمى وباسناده عن ابي نضرة قال سألت ابن عباس عن
المتعة فقال اما تقرأ سورة النساء قال فما تقرأ فما استمتعتم به منهن الى اجل مسمى قلت لا اقرأها هكذا قال ابن
عباس والله هكذا انزل الله تعالى عز وجل ثلاث مرات وباسناده عن شعبة عن الحكم بن عتيبة قال سألته
عن هذه الآية فما استمتعتم به منهن أمنسوخة قال لا قال الحكم قال علي بن ابي طالب لولا ان عمر نهى عن المتعة
ما زنى الا شقي وباسناده عن عمران بن الحصين قال نزلت آية المتعة في كتاب الله عز وجل لم تنزل آية بعدها
تنسخها فامرنا بها رسول الله فتمتعنا مع رسول الله ومات ولم ينهنا عنها فقال رجل بعد برأيه ما شاء ومما
اورده مسلم بن الحجاج في الصحيح حدثنا الحسن الحلواني قال حدثنا عبد الرزاق قال اخبرنا ابن جريج قال قال
عطاء قدم جابر بن عبد الله معتمرا فجئناه في منزله فسأله القوم عن اشياء ثم ذكروا المتعة فقال نعم استمتعنا على
عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وابي بكر وعمر ومما يدل ايضا على ان لفظ الاستمتاع في الآية لا يجوز ان يكون
المراد به الانتفاع والجماع انه لو كان كذلك لوجب ان لا يلزم شيء من المهر ولا ينتفع من المرأة بشيء وقد علمنا
انه لو طلقها قبل الدخول لزمه نصف المهر ولو كان المراد به النكاح الدائم لوجب للمرأة بحكم الآية جميع المهر
بنفس العقد لانه قال فآتوهن اجورهن اي مهورهن ولا خلاف في ان ذلك غير واجب وانما تجب الاجرة بكمالها بنفس
العقد في نكاح المتعة ومما يمكن التعلق به في هذه المسألة الرواية المشهورة عن عمر بن الخطاب انه قال متعتان
كانتا على عهد رسول الله حلالا انا انهى عنهما واعاقب عليهما فاخبر بان هذه المتعة كانت على عهد رسول الله
واضاف النهي عنها الى نفسه لضرب من الرأي فلو كان النبي صلى الله عليه وآله نسخها او نهى عنها او اباحها في
وقت مخصوص دون غيره لاضاف التحريم اليه دون نفسه وايضا فانه قرن بين متعة الحج ومتعة النساء في
النهي ولا خلاف ان متعة الحج غير منسوخة ولا محرمة فوجب ان يكون حكم متعة النساء حكمها وقوله فلا جناح عليكم
فيما تراضيتم به من بعد الفريضة من قال ان المراد بالاستمتاع الانتفاع والجماع قال المراد به لا حرج ولا اثم عليكم
فيما تراضيتم من زيادة مهر او نقصانه او حط او ابراء او تأخير وقال السدي معناه لا جناح عليكم فيما تراضيتم
من استئناف عقد آخر بعد انقضاء مدة الاجل المضروب في عقد المتعة يزيدها الرجل في الاجر وتزيده في
المدة وهذا قول الامامية وتظاهرت به الروايات عن الائمة ع ان الله كان عليما حكيما عليما بما يصلح امر الخلق حكيما
فيما فرض لهم من عقد النكاح الذي به حفظ الاموال والانساب قوله عز وجل ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح
المحصنات المؤمنات والله اعلم بايمانكم بعضكم من بعض فانكحوهن باذن اهلهن وآتوهن اجورهن محصنات

ولا متخذات اخدان فاذا احصن فان اتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب ذلك لمن
خشي العنت منكم وان تصبروا خير لكم والله غفور رحيم آية القراءة قرأ اهل الكوفة غير حفص فاذا احصن مفتوحة
الهمزة والباقون احصن بضم الهمزة وكسر الصاد اللغة الطول الغنى وهو مأخوذ من الطول خلاف القصر شبه الغنى به
لانه ينال به معالي الامور والتطول الافضال بالاول والتطاول على الناس وهو التفضل عليهم وكذلك الاستطالة
اذ طال فلان فلانا اذا فضله في القدرة يقال طاولته فطلته ولم يحل منه فلان بطائل اي بشيء فيه فائدة اي فضل وطالت
طولك وطيلك اي طالت مدتك قال الشاعر انا محيوك فاسلم ايها الطلل وان بليت وان طالت بك الطيل والطول
الحبل قال طرفة لعمرك ان الموت ما اخطأ الفتى لكالطول المرخى وثنياه باليد والفتى والفتاة الشاب والشابة
والفتاة الامة وان كانت عجوزا لانها كالصغيرة في انها لا توقر توقير الحرة والفتوة حالة الحداثة ومنه الفتيا تقول
افتى الفقيه يفتي لانه في مسألة حادثة والخدن الصديق وجمعه اخدان نحو ترب واتراب ويستوي فيه المذكر والمؤنث
والواحد والجمع والخدين بمعناه والعنت الجهد والشدة والمعنوت صعبه المرض يقال قال المبرد العنت الهلاك
هنا المعنى ثم بين سبحانه نكاح الاماء فقال ومن لم يستطع منكم طولا اي من لم يجد منكم غنى عن ابن عباس وسعيد
بن جبير ومجاهد وقتادة والسدي وهو المروي عن ابي جعفر عليه السلم ان ينكح ان يتزوج المحصنات المؤمنات
اي الحرائر المسلمات يعني لم يقدر على شيء مما يصلح لنكاح الحرائر من المهر والنفقة فمن ما ملكت ايمانكم اي فلينكح مما ملكت
ايمانكم فتياتكم اي امائكم المؤمنات فان مهور الاماء اقل ومؤنتهن اخف في العادة والمراد به اماء الغير لانه لا يجوز
ان يتزوج الرجل بامة نفسه بالاجماع وقيل ان المعنى من هوي الامة فله ان يتزوجها وان كان ذا يسار عن جابر
وعطاء وابرهيم وربيعة والقول الاول هو الصحيح وعليه اكثر الفقهاء وفي الآية دلالة على انه لا يجوز نكاح الامة الكتابية
لانه تعالى قيد جواز العقد عليهن بالايمان من قوله من فتياتكم المؤمنات وهذا مذهب مالك والشافعي والله اعلم
بايمانكم اراد بهذا اعلامه بيان انه لم يوجب علينا الا الايمان بالظاهر في هذا الحكم اذ لا سبيل الى الوقوف على حقيقة
الايمان والله سبحانه هو المنفرد بعلم ذلك ولا يطلع عليه احد غيره فانه العالم بالسرائر المطلع على الضمائر بعضكم من
بعض قيل فيه قولان احدهما ان المراد به كلكم ولد آدم فلا تستنكفوا من نكاح الاماء فانهن من جنسكم كالحرائر
والآخر ان معناه كلكم على الايمان ودينكم واحد فلا ينبغي ان يعير بعضكم بعضا بالهجنة نهى سبحانه عن عادة اهل الجاهلية
في الطعن والتعيير بالاماء فانكحوهن يعني الفتيات المؤمنات اي تزوجوهن باذن اهلهن بامر سادتهن وفي
وفي هذا دلالة على انه لا يجوز نكاح الامة بغير اذن مالكها وآتوهن اجورهن اي اعطوا مالكهن مهورهن بالمعروف
اي بما لا نكر في الشرع وهو ما تراضى عليه الاهلون ووقع عليه العقد وقيل معناه من غير مطل وضرار محصنات
اي عفائف تريد وجوههن عفائف غير مسافحات اي غير زوان وقيل معناه متزوجات غير زانيات وقد
قرئ محصنات ومحصنات بفتح الصاد وكسرها على ما مر ذكره في الآية الاولى ولا متخذات اخدان اي اخلاء في
السر لان الرجل منهم كان يتخذ صديقة فيزني بها والمرأة تتخذ صديقا فيزني بها وروي عن ابن عباس انه
قال كان قوم في الجاهلية يحرمون ما ظهر من الزنا ويستحلون ما خفي منه فنهى الله سبحانه عن الزنا سرا وجهرا فعلى
هذا يكون المراد بقوله غير مسافحات ولا متخذات اخدان غير زانيات جهرا ولا سرا فاذا احصن من قرأ بضم الهمزة
فمعناه فاذا زوجن فاحصنهن ازواجهن وهو بمعنى تزوجن عن ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة
ومن قرأ بالفتح فمعناه اسلمن عن عمر بن الخطاب وابن مسعود وابرهيم والشعبي والسدي وقال الحسن يحصنها
الزوج ويحصنها الاسلام فان اتين بفاحشة اي فان زنين فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب اي نصف
ما على الحرائر من حد الزنا وهو خمسون جلدة نصف حد الحرة ذلك اشارة الى نكاح الامة عند عدم الطول لمن
خشي العنت منكم يعني الزنا وهو ان يخاف ان تحمله شدة الشبق على الزنا فيلقى الحد في الزنا او العذاب في الآخرة

وعليه اكثر المفسرين وقيل معناه لمن خاف ان يهواها فيزنى بها وقيل معنى العنت الضرر الشديد او الدنيا لغلبة الشهوة
والاول اصح وان تصبروا خير لكم معناه وصبركم عن نكاح الاماء وعن الزنا خير لكم وان تصير ابنه عبدا وحين جبره
والله غفور لذنوب عباده رحيم بهم وفي الآية دلالة ان من لم يصبر على الامر بالصبر عنده ثم تاب غفر الله له ورحمه واستدل
الخوارج بهذه الآية على بطلان الرجم قالوا لان الرجم لا يمكن تبعيضه وقال سبحانه فعليهن نصف ما على المحصنات
من العذاب فعلمنا ان الرجم لا اصل له والجواب ان ذلك اذا كان المراد بالمحصنات الحرائر يسقط هذا القول وبين
ذلك قوله سبحانه في اول الآية ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات المؤمنات ولا شك انه اراد به الحرائر
العفائف لان اللاتي لهن ازواج لا يمكن العقد عليهن على ان في الناس من قال المحصنات المراد بها الحرائر
دون العفائف لانه لو كان مخصصا بالعفائف لما جاز العقد على غيرهن ومعلوم ان ذلك جائز هنا والرجم اجمعت
الامة على انه من احكام الشرع وتواتر المسلمون بان النبي صلى الله عليه وآله رجم ماعز بن مالك الاسلمي ورجم يهوديا
او يهودية ولم يختلف فيه الفقهاء من عهد الصحابة الى يومنا هذا فخلاف الخوارج في ذلك شاذ عن الاجماع
فلم يعتد به قوله عز وجل يريد الله ليبين لكم يريد ان يتوب عليكم يهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب
عليكم والله عليم حكيم والله يريد ان يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا ميلا عظيما
يريد الله ان يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا ثلث آيات الاعراب ذكر في اللام من قوله ليبين لكم ثلثة
اقوال احدها ان معناه ان وان تاتي مع امرت واردت لانها تطلب الاستقبال فلا يجوز اردت ان قمت
فلما ان كانت في سائر الافعال تطلب الاستقبال استوثقوا لها باللام وربما جمعوا بين اللام وكي لتاكيدها
قال الشاعر اردت لكيما لا ترى لي عثرة ومن ذا الذي يعطى الكمال فيكمل وهذا قول الكسائي والفراء وانكره
الزجاج وانشد اردت لكيما تعلم الناس انها سراويل قيس والوفود شهود قال ولو كانت اللام بمعنى ان
لم تدخل ان على كي قال ومذهب سيبويه واصحابه ان اللام دخلت هنا على تقدير المصدر اي الارادة للبيان
نحو قوله ان كنتم للرؤيا تعبرون اي ان كانت عبارتكم للرؤيا وكذلك قوله والذين هم لربهم يرهبون اي هم
رهبتهم قال كثير اريد لانسى ذكرها فكانما تمثل لي ليلى بكل سبيل والقول الثالث ان بعض النحويين ضعف
هذين الوجهين بان جعل اللام بمعنى ان لم تقم به حجة قاطعة وحمله على المصدر يقتضي جواز ضربت لزيد تريد ضربت
زيدا وهذا لا يجوز ولكن يجوز في التقديم والتاخير نحو لزيد ضربت وللرؤيا تعبرون لان عمل الفعل في
المقدم يضعف كعمل المصدر في التاخير كذلك لم يجز الا في المتصرف فاما ردف لكم فعلى تاويل ردف
ما ردف لكم وعلى ذلك يريد ما يريد لكم فلذلك قوله وامرنا لنسلم لرب العالمين اي امرنا للسلم وهذه الاقوال
كلها مضطربة والوجه الصحيح فيه ان مفعول يريد محذوف تقديره يريد الله تبصيركم ليبين لكم المعنى ثم بين
سبحانه بعد التحليل والتحريم انه يريد بذلك مصالحنا ومنافعنا فقال سبحانه يريد الله ما يريد ليبين لكم احكام
دينكم ودنياكم وامور معاشكم ومعادكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم فيه قولان احدهما يهديكم الى طريق
الذين كانوا من قبلكم من اهل الحق لتكونوا مقتدين بهم متبعين آثارهم لما لكم فيه من المصلحة والآخر سنن
الذين من قبلكم من اهل الحق والباطل لتكونوا على بصيرة فيما تفعلون وتجتنبون من طرائقهم ويتوب
عليكم اي ويقبل توبتكم وقيل يريد التوبة عليكم بالدعاء اليها والحث عليها وتسهيل السبيل اليها وفي هذا
دلالة على بطلان مذهب المجبرة لانه سبحانه بين انه لا يريد الا الخير والصلاح والله عليم حكيم مر تفسيره والله يريد
ان يتوب عليكم اي يلطف في توبتكم ان وقع منكم ذلك وقيل يريد ان يوفقكم لها ويقوي دواعيكم اليها
ويريد الذين يتبعون الشهوات فيه اقوال احدها ان المعنى بذلك جميع المبطلين فان كل مبطل متبع شهوة

نفسه في باطله عن ابن زيد وثانيها ان المراد بذلك الزناة عن مجاهد وثالثها انهم اليهود والنصارى عن
السدي ورابعها انهم اليهود خاصة اوقالوا ان الاخت من الاب حلال في التورية والقول الاول اقرب ان
تميلوا ميلا عظيما اي تعدلوا عن الاستقامة بعدا ولا تتبينوا بالاستكثار من معصية وذلك ان الاستقامة هي
المودية الى الثواب والفوز من العذاب والميل عنها يودي الى الهلاك واستحقاق العقاب واذا قيل لم كرر
سبحانه ويتوب عليهم فجوابه انه للتاكيد وايضا فان في الآية بيان انه يريد الهداية والانابة وفي الثاني
بيان ارادته خلاف ارادة اصحاب الاهواء وايضا فانه اتى في الثاني بان ليزول الايهام انه يريد التوبة
ولا يريد ان يتوب وانما قال سبحانه ميلا عظيما لان العاصي يانس بالعاصي كما يانس المطيع بالمطيع ويسكن
الشكل الى الشكل ويالف به ولان العاصي يريد مشاركة الناس اياه في المعصية ليسلم من ذمهم وتوبيخهم
ونظيره قوله سبحانه ودوا لو تدهن فيدهنون وودوا لو تكفرون كما كفروا وفي المثل من احرق كدسه تمنى
احراق كدس غيره على ذلك جبلت القلوب يريد الله ان يخفف عنكم يعني في التكليف في امر النساء والنكاح
باباحة نكاح الاماء عن مجاهد وطاوس ويجوز ان يريد بالتخفيف قبول التوبة والتوفيق لها ويجوز ان يريد
التخفيف في التكليف على العموم وذلك انه سبحانه خفف عن هذه الامة ما لم يخفف عن غيرها من الامم الماضية
وخلق الانسان ضعيفا في امر النساء وقلة الصبر عنهن وقيل خلق الانسان ضعيفا يستميله هواه وشهوته ويستنطه
خوفه وحزنه قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض
منكم ولا تقتلوا انفسكم ان الله كان بكم رحيما ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا وكان ذلك
على الله يسيرا آيتان القراءة قرا اهل الكوفة تجارة نصبا والباقون رفعا الحجة قال ابو علي من رفع فتقديره الا ان
تقع تجارة فالاستثناء منقطع لان التجارة عن تراض ليس من اكل المال بالباطل ومن نصب تجارة احتمل
ضربين احدهما الا ان تكون التجارة تجارة عن تراض منكم ومثل ذلك قول الشاعر اذا كان يوما ذا كواكب
اشنعا اي اذا كان اليوم يوما والآخر الا ان يكون الاموال اموال تجارة فحذف المضاف واقام المضاف اليه
مقامه فالاستثناء على هذا الوجه ايضا منقطع المعنى لما بين سبحانه تحريم النساء على غير الوجوه المشروعة عقبه
بتحريم الاموال في الوجوه الباطلة فقال يا ايها الذين آمنوا اي صدقوا الله ورسوله لا تاكلوا اموالكم بينكم
ذكر الاكل واراد سائر التصرفات وانما خص الاكل لانه معظم المنافع وقيل لانه يطلق على وجوه الانفاقات اسم
الاكل يقال اكل ماله بالباطل وان انفقه في غير الاكل ومعناه لا ياكل بعضكم اموال بعض وفي قوله بالباطل
قولان احدهما انه الزنا والقمار والبخس والظلم عن السدي وهو المروي عن الباقر عليه السلم والآخر ان
معناه بغير استحقاق من طريق الاعواض عن الحسن قال فكان الرجل يتحرج ان ياكل عند احد من الناس
بعدما نزلت هذه الآية الى ان نسخ ذلك بقوله في سورة النور ليس عليكم جناح ان تاكلوا من بيوتكم الى قوله
ان تاكلوا جميعا او اشتاتا والاول اقوى لان ما اكل على وجه مكارم الاخلاق لا يكون الا باطلا وثالثها
ان معناه اخذه من غير وجهه وصرفه فيما لا يحل الا ان تكون تجارة اي مبايعة ثم وصف التجارة فقال عن تراض
اي برضى كل واحد منكما بذلك وقيل في معنى التراضي بالتجارة قولان احدهما انه امضاء البيع بالتفرق او التخاير
بعد العقد وهو قول شريح والشعبي وابن سيرين ومذهب الشافعي والامامية لقوله عم البيعان بالخيار ما لم يفترقا
او يكون بيع خيار وربما قالوا ويقول احدهما للآخر اختر والثاني انه البيع بالعقد فقط عن مالك وابي حنيفة
ولا تقتلوا انفسكم على انفسكم عن الحسن وعطا والسدي والجبائي وثانيها انه نهي الانسان عن قتل نفسه في حال
غضب او ضجر عن ابي القاسم البلخي وثالثها ان معناه لا تقتلوا انفسكم بان تهلكوها بارتكاب الآثام والعدوان في اكل

المال بالباطل وغيره من المعاصي التي يستحقون بها العذاب ورابعها ما روي عن ابي عبد الله عليه السلم ان معناه لا تخاطروا
بنفوسكم في القتال فتقاتلوا من لا تطيقونه ان الله كان بكم رحيما اي لم يزل سبحانه كان بكم رحيما ومن رحمته ان حرم عليكم
قتل الانفس وفساد الاموال ومن يفعل ذلك قيل ان ذلك اشارة الى اكل الاموال بالباطل وقتل النفس بغير حق وقيل
اشارة الى فعل كل ما نهى الله عنه من اول السورة وقيل ان قتل النفس المحرمة خاصة عن عطا عدوانا وظلما وقيل هما
واحد اتى بهما لاختلاف اللفظين كما قال الشاعر والفى قولها كذبا ومينا وقيل العدوان تجاوز ما امر به والظلم ان
ياخذه على غير وجه الاستحقاق وقيل انما قيده سبحانه بالعدوان والظلم لانه اراد به المستحلين فسوف نصليه نارا اي نجعله
صلا النار ونحرقه بها وكان ذلك اي ادخال النار وتعذيبه فيها على الله يسيرا اي هينا لا يمنعه منه مانع ولا يدفعه
عنه دافع ولا يشفع عنده الا باذنه فيه شافع قوله عز وجل ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم
وندخلكم مدخلا كريما آية القراءة قرا ابو جعفر ونافع مدخلا كريما مفتوحة الميم وقرا الباقون بالضم الحجة
قال ابو علي من قرا مدخلا احتمل ان يكون مصدرا واحتمل ان يكون مكانا فان حملته على المصدر اضمرت له فعلا
دل عليه الفعل المذكور تقديره ندخلكم مدخلا كريما وان حملته على المكان فتقديره ندخلكم مكانا كريما وهذا
اشبه هنا لان المكان قد وصف بالكريم في قوله سبحانه ومقام كريم ومن قرا مدخلا فيجوز فيه ايضا ان يكون مكانا
وان يكون مصدرا اللغة الاجتناب المباعدة عن الشي وتركه جانبا ومنه الاجنبي ويقال ما يأتينا فلان الا عن جنابة
اي بعد قال علقمة بن عبدة فلا تحرمني نائلا عن جنابة فاني امرؤ وسط القباب غريب وقال الاعشى اتيت حريثا زائرا
عن جنابة فكان حريث عن عطائي جامدا والتكفير اصله الستر المعنى لما قدم سبحانه ذكر السيئات عقبه بالترغيب في
اجتنابها فقال ان تجتنبوا اي تتركوا جانبا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم اختلف في معنى الكبيرة فقيل ما اوعد
الله عليه في الآخرة عقابا واوجب فيه في الدنيا حدا فهو كبيرة وهو المروي عن سعيد بن جبير ومجاهد وقيل كل
ما نهى الله عنه فهو كبير عن ابن عباس والى هذا ذهب اصحابنا رض فانهم قالوا المعاصي كلها كبائر من حيث كانت
قبائح لكن بعضها اكبر من بعض وليس في الذنوب صغيرة وانما تكون صغيرة بالاضافة الى ما هو اكبر منها ويستحق العقاب
عليه اكبر والقولان متقاربان وقالت المعتزلة الصغيرة ما نقص عقابه عن ثواب صاحبه ثم ان العقاب اللازم
عليه يحبط بالاتفاق منهم وهل يحبط مثله من ثواب صاحبه فعند ابي هاشم ومن يقول بالموازنة يحبط وعند
ابي علي الجبائي لا يحبط بل يسقط الاقل ويبقى الاكثر بحاله والكبيرة عندهم ما يكبر عقابه عن ثواب صاحبه قالوا
ولا يعرف شي من الصغائر ولا معصية الا ويجوز ان تكون كبيرة فان في تعريف الصغائر اغراء بالمعصية لانه اذا
علم المكلف انه لا ضرر عليه في فعلها ودعته الشهوة اليها فعلها وقالوا عند اجتناب الكبائر يجب غفران الصغائر
ولا يحسن معها المواخذة وليس في ظاهر الآية ما يدل عليه فان معناه على ما رواه الكلبي عن ابن عباس ان تجتنبوا
الذنوب التي اوجب الله بها الحد وسمى فيها النار نكفر عنكم ما سوى ذلك من الصلاة الى الصلاة ومن الجمعة الى الجمعة
ومن شهر رمضان الى شهر رمضان وقيل معناه ان تجتنبوا كبائر ما نهيتم عنه في هذه السورة من المناكح واكل الاموال
بالباطل وغيره من المحرمات من اول السورة الى هذا الموضع وتركتموها في المستقبل كفرنا عنكم ما كان منكم من ارتكابها
فيما سلف وكذا قال ابن مسعود كلما نهى الله عنه من اول السورة الى راس الثلثين فهو كبيرة ويعضد هذا القول
من التنزيل قوله للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وقوله ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء الا ما قد سلف
وندخلكم مدخلا كريما اي مكانا حسنا طيبا لا ينقصه شي وقوله ذكرنا المعنى في القراءتين فاما تفصيل الكبائر على
ما وردت به الروايات فنذكر منها جملة مقنعة روى عبد العظيم بن عبد الله الحسني عن ابي جعفر محمد بن علي عن ابيه
علي بن موسى الرضا عن ابيه موسى بن جعفر ع قال دخل عمرو بن عبيد البصري على ابي عبد الله الصادق ع فلما سلم وجلس

تعداد الكبائر

تلا هذه الآية الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش ثم امسك فقال ابو عبد الله عليه السلم ما اسكتك قال احب ان اعرف
الكبائر من كتاب الله عز وجل قال نعم يا عمرو اكبر الكبائر الشرك بالله يقول الله عز وجل ان الله لا يغفر ان يشرك به
وقال ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة وماواه النار وبعده الياس من روح الله لان الله تعالى يقول انه لا ييأس
من روح الله الا القوم الكافرون ثم الامن من مكر الله لان الله يقول ولا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون ومنها عقوق
الوالدين لان الله تعالى جعل العاق جبارا شقيا في قوله وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا ومنها قتل النفس التي
حرم الله الا بالحق لانه سبحانه يقول ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها الآية وقذف المحصنات لان الله
عز وجل يقول ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم واكل
مال اليتيم ظلما لقوله عز وجل ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما الآية والفرار من الزحف لان الله عز وجل يقول
ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله وماواه جهنم وبئس المصير واكل
الربوا لان الله عز وجل يقول الذين ياكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ويقول
فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله والسحر لان الله عز وجل يقول ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة
من خلاق والزنا لان الله يقول ومن يفعل ذلك يلق اثاما يضاعف له العذاب يوم القيمة ويخلد فيه مهانا
واليمين الغموس لان الله عز وجل يقول ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا اولئك لا خلاق لهم
في الآخرة الآية والغلول قال الله سبحانه ومن يغلل يأت بما غل به يوم القيمة ومنع الزكوة المفروضة لان الله
سبحانه يقول يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم الآية وشهادة الزور وكتمان
الشهادة فان الله عز وجل يقول ومن يكتمها فانه آثم قلبه وشرب الخمر لان الله سبحانه عدل بها عبادة الاوثان
وترك الصلوة متعمدا او شيئا مما افترض الله عز وجل لان رسول الله صلى الله عليه وآله يقول من ترك الصلوة متعمدا
فقد برئ من ذمة الله وذمة رسوله ونقض العهد وقطيعة الرحم لان الله تعالى يقول اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار
قال فخرج عمرو وله صراخ من بكائه وهو يقول هلك من قال برأيه ونازعكم في الفضل والعلم وروي عن النبي
صلى الله عليه وآله انه قال الكبائر سبع اعظمهن الشرك بالله وقتل النفس المؤمنة واكل الربوا واكل مال اليتيم وقذف
المحصنة وعقوق الوالدين والفرار من الزحف فمن لقي الله سبحانه وهو بريء منهن كان معي في بحبوحة جنة مصاريعها
من ذهب وروى سعيد بن جبير ان رجلا قال لابن عباس كم الكبائر سبع هي قال هي الى السبعمائة اقرب منها الى سبع غير
انه لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع اصرار رواهما الواحدي في تفسيره بالاسناد مرفوعا قوله عز وجل ولا تتمنوا ما فضل الله
به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله ان الله كان بكل شي عليما آية القراءة قرا ابن كثير
والكسائي وسلوا بغير همز وكذلك كلما كان امرا للمواجه في كل القرآن الباقون بالهمز ولم يختلفوا في وليسألوا ما انفقوا
انه مهموز الحجة قال ابو علي الهمز وترك الهمز حسنان فلو خففت الهمزة في قوله وليسألوا كان ايضا حسنا اللغة التمني
هو قول القائل لما لم يكن ليته كان كذا وليته لم يكن كذا لما كان وقال ابو هاشم في بعض كلامه التمني معنى في القلب
ومن قال بذلك قال ليس هو من قبيل الشهوة ولا من قبيل الارادة لان الارادة لا تتعلق الا بما يصح حدوثه
والشهوة لا تتعلق بما مضى كالارادة والتمني قد يتعلق بما مضى واهل اللغة قد ذكروا التمني في اقسام الكلام النزول
قيل جاءت واحدة النساء الى رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت يا رسول الله اليس الله رب الرجال والنساء وانت
رسول الله اليهم جميعا فما بالنا يذكر الله الرجال ولا يذكرنا نخشى ان لا يكون فينا خير ولا لله فينا حاجة فنزلت
هذه الآية وقيل ان ام سلمة قالت يا رسول الله تغزو الرجال ولا نغزو وانما لنا نصف الميراث فليتنا رجال فنغزو
ونبلغ ما يبلغ الرجال فنزلت الآية عن مجاهد وقيل لما نزلت آية المواريث قالت الرجال نرجو ان نفضل على النساء

مما اكتسبوا وللنساء نصيب

ثاني الآخرة كما فضلنا عليهم في الميراث فيكون اجرنا على الضعف من اجر النساء وقال النساء انا نرجو ان يكون الوزر
علينا نصف ما على الرجال في الآخرة كما لنا في الميراث على النصف من نصيبهم في الدنيا فنزلت الآية عن قتاده والسدي
المعنى لما بين سبحانه حكم المواريث وفضل بعضهم على بعض في ذلك ذكر تحريم التمني الذي هو سبب التباغض فقال
ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض اي لا يقل احدكم ليت ما اعطي فلانا من المال والنعمة والمراة الحسناء كان
لي فان ذلك يكون حسدا ولكن يجوز ان يقول اللهم اعطني مثله عن ابن عباس وهو المروي عن ابي عبد الله
عليه السلم وقيل ان المعنى لا يجوز للرجل ان يتمنى ان لو كان امراة ولا المراة ان تتمنى لو كانت رجلا لان الله لا يفعل
الا ما هو الاصلح فيكون قد تمنى ما ليس بالاصلح او ما يكون مفسدة عن البلخي ويمكن ان يقال في ذلك انه يجوز ذلك
بشرط ان لا يكون مفسدة كما نقول في حسن السوال سواء للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن
قيل فيه وجوه احدها ان المعنى لكل حظ من الثواب على حسب ما كلفه الله سبحانه من الطاعات بحسن تدبيره فلا
تتمنوا خلاف هذا التدبير لما فيه من حرمان الحظ الجزيل عن قتاده وثانيها ان لكل فريق من الرجال والنساء
نصيبا مما اكتسب من نعيم الدنيا بالتجارات والزراعات وغير ذلك من انواع المكاسب فينبغي ان يقنع كل منهم ويرضى
بما قسم الله له وثالثها ان لكل منهما نصيبا من الميراث على ما قسمه الله عن ابن عباس والاكتساب على هذا القول
بمعنى الاصابة والاحراز واسئلوا الله من فضله معناه ان احتجتم الى مال غيركم واعجبكم ان يكون لكم مثل ماله فاسئلوا الله
ان يعطيكم مثل ذلك من فضله بشرط ان لا يكون فيه مفسدة لكم ولا لغيركم لان المسئلة لا تحسن الا كذلك وجاء في
الحديث عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله قال اسئلوا الله من فضله فانه يحب ان يسال وافضل العبادة
انتظار الفرج وقال سفيان بن عيينة لم يامر بالمسئلة الا ليعطي ان الله كان بكل شيء عليما معناه ان الله عليم بكل شيء
ولم يزل كذلك فيعلم ما يصلحكم وما يضركم من الحسد وقسم الارزاق بين عباده على ما يعلم فيه من الصلاح والرشاد
فلا يتمنى احدكم ما قسم لغيره فانه لا يحصل من عنيه الا الغم والاثم والله عز وجل ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان
والاقربون والذين عقدت ايمانكم فآتوهم نصيبهم ان الله كان على كل شيء شهيدا آية القراءة قرا اهل الكوفة
عقدت بغير الف والباقون عاقدت بالف الحجة قال ابو علي الذكر الذي يعود من الصلة الى الموصول ينبغي ان يكون
ضميرا منصوبا والتقدير والذين عاقدتهم ايمانكم فجعل الايمان في اللفظ هي المعاقدة والمعنى على الحالفين الذين هم
اصحاب الايمان والمعنى الذين عاقدت حلفهم ايمانكم فحذف المضاف واقيم المضاف اليه فعاقدت اشبه بهذا
المعنى لان لكل نفر من المتعاقدين يمينا على المحالفة ومن قال عقدت ايمانكم كان المعنى عقدت حلفهم ايمانكم
فحذف الحلف واقام المضاف اليه مقامه والذين قالوا عاقدت حملوا الكلام على المعنى اذ كان من كل واحد
الفريقين والذين قالوا عقدت حملوا الكلام على لفظ الايمان الفعل لم يسند الى اصحاب الايمان في اللفظ انما اسند الى الايمان
اللغة اصل المولى من ولي الشيء يليه ولاية وهو اتصال الشيء بالشيء من غير فاصل والمولى يقع على وجوه المعتق والمعتق
وابن العم والورثة والحليف والولي والسيد المطاع والاولى بالشيء الاحق وهو الاصل في الجميع فسمي المعتق مولى لانه
اولى بميراث المعتوق المعتق من غيره وابن العم اولى بنصرة ابن عمه للقرابة والورثة اولى بميراث الميت من غيرهم
والحليف اولى بامر محالفه للمحالفة التي جرت بينهما والولي اولى بنصرة من تولاه والسيد اولى بتدبير من يسوده
من غيره ومنه الخبر ايما امراة نكحت بغير اذن مولاها اي من هو اولى بالعقد عليها وقال ابو عبيدة في قوله تعالى النار
مولاكم معناه اولى بكم وانشد بيت لبيد فغدت كلا الفرجين تحسب انه مولى المخافة خلفها وامامها والايمان جمع
اليمين وهو اسم يقع على القسم والجارحة والقوة والاصل فيه الجارحة وكذلك انهم كانوا يضربون الصفقة للبيع والبيعة
بايمانهم فياخذ بعضهم من بعض بيد بعض على الوفاء والتمسك بالعهد يتحالفون عليه فسمي القسم يمينا وقال اذا ما راية

رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين اي بالقوة الاعراب قوله مما ترك الوالدان الجار والمجرور في موضع الصفة كقوله
موالي اي موالي كائنين مما ترك اي خلف الوالدان وان شئت فيكون مرفوع الموضع ويحتمل ان يكون مما ترك الوالدان
متعلقا بفعل محذوف وتقديره موالي يعطون مما ترك الوالدان والاقربون ويكون والذين عقدت ايمانكم
مبتدا وقوله فآتوهم نصيبهم خبره المعنى ثم عاد سبحانه الى ذكر المواريث فقال ولكل اي ولكل واحد من الرجال و
النساء جعلنا موالي ورثة هم اولى بميراثه عن السدي وقيل عصبة عن ابن عباس والحسن والاول اصح لقوله
سبحانه فهب لي من لدنك وليا يرثني فجعله مولى لما يورث وولياه لما كان اولى من غيره وما لكه كما يقال المالك
العبد مولاه مما ترك الوالدان والاقربون الموروثون والذين عاقدت ايمانكم اي ويرثون مما ترك الذين
عقدت ايمانكم لان لهم ورثة هم اولى بميراثهم فيكون قوله والذين عقدت ايمانكم عطف على قوله الوالدان والاقربون
فآتوهم نصيبهم اي فآتوا كلا نصيبه من الميراث وهذا اختيار الجبائي وقال الحليف لم يورث شيئا اصلا وذهب
اكثر المفسرين ان قوله والذين عاقدت ايمانكم مقطوع من الاول فكانه قال والذين عاقدت ايمانكم ايضا فآتوهم
نصيبهم ثم اختلفوا فيه على اقوال احدها ان المراد عن قتاده وسعيد بن جبير والضحاك وقالوا ان الرجل
في الجاهلية كان يعاقد الرجل فيقول دمي دمك وحربي حربك وسلمي سلمك وترثني وارثك وتعقل عني واعقل
عنك فيكون للحليف السدس من ميراث الحليف وعاقد ابو بكر مولى قريش فذلك قوله فآتوهم نصيبهم اي فاعطوهم
حظهم من الميراث ثم نسخ ذلك بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض وقال مجاهد معناه واعطوهم نصيبهم
من النصر والعقل والرفد ولا ميراث فعلى هذا تكون الآية غير منسوخة ويؤيده قوله تعالى اوفوا بالعقود وقول
النبي صلى الله عليه وآله في خطبة يوم فتح مكة ما كان من حلف في الجاهلية فتمسكوا به فانه لم يزده الاسلام الا شدة
ولا تحدثوا حلفا في الاسلام وروى عبد الرحمن بن عوف ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال شهدت حلف
المطيبين وانا غلام مع عمومتي فما احب ان لي حمر النعم واني انكثه وثانيها ان المراد بهم قوم آخى بينهم رسول الله
من المهاجرين والانصار حين قدموا المدينة وكانوا يتوارثون بتلك المواخاة ثم نسخ الله ذلك بالفرائض
عن ابن عباس وابن زيد وثالثها انهم الذين كانوا يتبنون ابناء غيرهم في الجاهلية ومنهم زيد مولى رسول الله
صلى الله عليه وآله فامروا في الاسلام ان يوصوا لهم عند الموت بوصية فذلك قوله فآتوهم نصيبهم عن سعيد
بن المسيب ان الله كان على كل شيء شهيدا اي لم يزل عالما بجميع الاشياء مطلعا عليها جليها وخفيها قوله عز وجل
الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم فالصالحات قانتات حافظات
للغيب بما حفظ الله واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فان اطعنكم
فلا تبغوا عليهن سبيلا ان الله كان عليا كبيرا آية القراءة قرا ابو جعفر وحده بما حفظ الله بالنصب والباقون
بالرفع وقرئ في الشواذ فالصوالح قوانت قراءة طلحة بن مصرف الحجة قوله حفظ الله يكون على حذف المضاف
كانه قال حفظ عبد الله او دين الله لقوله سبحانه ان تنصروا الله اي تنصروا دين الله وحذف المضاف كثير
في الكلام والوجه في قراءة من قرا فالصوالح قوانت ان جمع التكسير يدل على الكثرة والالف والتاء موضوعان
للقلة فهما على حد التثنية بمنزلتها لا يزيدون من الواحد فيكون من الثلث الى العشرة والكثرة التي يشتد المقو
غير ان الالف والتاء قد جاء ايضا على معنى الكثرة قوله تعالى ان المسلمين والمسلمات الى قوله والذاكرين الله كثيرا
والذاكرات والغرض في جمع الكثرة انما هو لما بين الثلاثة الى العشرة قال ابن جني وقال ابو علي الفارسي ينكر الحكاية
المروية عن النابغة وقد عرض عليه حسان شعره وانه لما صار الى قوله لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى واسيافنا
يقطرن من نجدة دما قال له النابغة لقد قللت جفانك وسيوفك قال وهذا خبر مجهول لا اصل له لان الله تعالى يقول

وهم في الغرفات آمنون ولا يجوز ان يكون الغرف الذي في الجمع من الثلاث الى العشرة **اللغة** قال الزجاج قيم وقيام وقوام
وهذا البناء للمبالغة والتكثير واصل القنوت دوام الطاعة ومنه القنوت في الوتر لطول القيام فيه واصل النشوز
الترفع على الزوج بخلافه ماخوذ من قولهم فلان على نشز من الارض اي ارتفاع يقال نشزت المراة تنشز وتنشر والهجر
الترك عن قلى يقال هجرت الرجل اذا تركت كلامه عن قلى والهاجرة نصف النهار لانه وقت يهجر فيه العمل وهجر الرجل
البعير اذا ربطه بالهجار واصل الضجوع الاستلقاء يقال ضجع ضجوعا واضطجع اضطجاعا اذا استلقى للنوم واما
شيئا وكل شيء املته فقد اصبحته والبغي الطلب يقال بغيت الضالة اذا طلبتها قال الشاعر يصف الموت
بغاك وما تبغيه حتى وجدته كانه قد واعدته امس موعدا **الاعراب** الباء في قوله بما فضل الله وبما انفقوا
تتعلق بقوله قوامون وما في الموضعين مصدرية لا تحتاج الى عائد اليها من صلتها لانها حرف [illegible] قوله بما حفظ
ايضا يكون ما فيه مصدرية فيكون تقديره بان يحفظهن الله ومن قرا بما حفظ الله نصبا يكون ما اسما موصولا
فيكون التقدير بالشيء الذي يحفظ امر الله اي يحفظ امر الله **النزول** قال مقاتل نزلت الآية في سعد بن الربيع بن
عمرو وكان من النقباء وفي امراته حبيبة بنت زيد بن ابي زهير وهما من الانصار وذلك انها نشزت عليه
فلطمها فانطلق ابوها معها الى النبي صلى الله عليه وآله فقال افرشته كريمتي فلطمها فقال النبي صلى الله عليه وآله لتقتص من
زوجها فانصرفت مع ابيها لتقتص منه فقال النبي صلى الله عليه وآله ارجعوا هذا جبرئيل اتاني وانزل الله هذه
الآية فقال النبي صلى الله عليه وآله اردنا امرا واراد الله امرا والذي اراد الله خير ورفع القصاص وقال الكلبي
نزلت في سعد بن الربيع وامراته خولة بنت محمد بن مسلمة وذكر القصة نحوها وقال ابو روق نزلت في جميلة
بنت عبد الله بن ابي اوفى وفي زوجها ثابت بن قيس بن شماس وذكر قريبا منه **المعنى** لما بين الله سبحانه فضل
الرجال على النساء ذكر عقيبه فضلهم في القيام بامر النساء فقال الرجال قوامون على النساء اي قيمون على النساء
مسلطون عليهن في التدبير والتاديب والرياضة والتعليم بما فضل الله بعضهم على بعض هذا بيان سبب
تولية الرجال عليهن اي انما ولاهم الله امرهن لما لهم من زيادة الفضل عليهن وبنفقتهم مهورهن فالصالحات
قانتات اي مطيعات لله تعالى ولازواجهن عن قتادة والثوري ويدل عليه قوله تعالى يا مريم اقنتي لربك
اي قومي على طاعته حافظات للغيب يعني لانفسهن وفروجهن في حال غيبة ازواجهن عن قتادة وعطا
والثوري وقيل حافظات الاموال ازواجهن في حال غيبتهم راعيات لحقوقهم وحرمتهم والاولى ان يحمل
على العموم لانه لا تنافي بينهما بما حفظ الله اي بما حفظهن الله في مهورهن والزام ازواجهن النفقة عليهن
عن الزجاج وقيل بحفظ الله لهن وعصمته ولولا ان حفظهن الله وعصمهن لما حفظن ازواجهن بالغيب
واللاتي تخافون نشوزهن معناه والنساء اللاتي تخافون نشوزهن بظهور اسبابه وامارته ونشوز المراة
عصيانها لزوجها واستيلاؤها عليه ومخالفتها اياه وقال الفراء معناه تعلمون نشوزهن قال وقد يكون الخوف
بمعنى العلم لان خوف الشيء العلم بموقعه فعظوهن واهجروهن في المضاجع معناه فعظوهن اولا بالقول والنصيحة
فان لم ينجع الوعظ ولم يؤثر النصح بالقول فاهجروهن في المضاجع عن سعيد بن جبير قال وعنى به الجماع الا
انه ذكر المضاجع لاختصاص الجماع بها وقيل معناه فاهجروهن اي في الفراش والمبيت وذلك انه تظهر بذلك حبها
للزوج وبغضها فان كانت مائلة اليه لم تصبر على فراقه في المضاجع وان كانت بخلاف ذلك صبرت عنه عن الحسن
وقتادة وعطا وعلى هذا المعنى يؤول ما روي عن ابي جعفر عليه السلام قال يحول ظهره اليها وفي تفسير الكلبي عن
ابن عباس تعظوهن بكتاب الله تعالى الى وذلك ان تقول اتقي الله وارجعي الى طاعتي فان رجعت والا اغلظ
لها القول فان رجعت والا ضربها ضربا غير مبرح وقيل في معنى المبرح ان لا يقطع لحما ولا يكسر عظما وروي عن ابي جعفر

انه الضرب بالسواك فان اطعنكم اي رجعن الى طاعتكم في الائتمار لامركم فلا تبغوا عليهن سبيلا اي لا تطلبوا
عليهن عللا بالباطل وقيل سبيلا للضرب والهجران مما ابيح لكم فعله عند النشوز عن ابي مسلم وابي علي الجبائي وقيل
لا تكلفوهن الحب عن سفيان بن عيينة فيكون المعنى اذا استقام لكم ظاهرهن فلا تعتلوا عليهن بما في باطنهن
ان الله كان عليا كبيرا اي متعاليا عن ان يكلف الا الحق ومقدار الطاقة والعلو والكبرياء من صفات الله عز وجل
وفائدة ذكرهما هنا بيان انتصاره لهن وقوته على الانتصار ان هن ضعفن عنه وقيل المراد به انه سبحانه مع علوه
وكبريائه لم يكلفهم الا ما يطيقون فكذلك لا تكلفوهن الا ما يطقن قوله عز وجل **وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا**
حكما من اهله وحكما من اهلها ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما ان الله كان عليما خبيرا آية اللغة الشقاق الخلاف
والعداوة اشتقاقه من الشق وهو الجزء البائن فالمعنى تباعد كل واحد منهما في شق غير شق صاحبه بالعداوة
اي في ناحية واصل التوفيق الموافقة وهي المساواة في امر من الامور والتوفيق هو اللطف الذي يتفق عنده
فعل الطاعة لمساواته في الوقت والتوفيق بين نفسين هو الاصلاح بينهما والاتفاق في الجنس والمذهب المساواة
بينهما والاتفاق في الوقوع كرميتين من غير رام لمسا وانما نادرا **الاعراب** اصل بين ان يكون ظرفا ثم استعمل اسما هنا
بانما في شقاق اليه كما قال سبحانه هذا فراق بيني وبينك وقال ومن بيننا وبينك حجاب وكان في الاصل فان خفتم
شقاقا بينهما **المعنى** لما قدم سبحانه الحكم عند مخالفة احد الزوجين صاحبه عقبه بذكر الحكم عند التباس الامر
في المخالفة فقال وان خفتم اي خشيتم وقيل علمتم والاول اصح لانه لو علم الشقاق يقينا لما احتيج الى الحكمين شقاق بينهما
اي مخالفة وعداوة بين الزوجين فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها اي وجهوا حكما من قوم الزوج
وحكما من قوم المراة لينظرا فيما بينهما والحكم القيم بما يسند اليه واختلف في المخاطب بانفاذ الحكمين من هو
السلطان الذي يترافع الزوجان اليه عن سعيد بن جبير والضحاك واكثر الفقهاء وهو الظاهر في الاخبار عن
الصادقين عليهم السلام وقيل انه الزوجان عن السدي واختلفوا في ان الحكمين هل لهما ان يفرقا بالطلاق ان راياه ام لا
فالذي رواه اصحابنا عنهم عليهم السلام انهما ليس لهما ذلك الا بعد ان يستامراهما ويرضيا بذلك وقيل ان لهما ذلك
عن سعيد بن جبير والشعبي والسدي وابراهيم ورووه عن علي عليه السلام ومن ذهب الى هذا القول قال
ان الحكمين وكيلان ان يريدا اصلاحا يعني الحكمين يوفق الله بينهما بما فيه الصلاح والضمير في بينهما عائد الى الحكمين عن
ابن عباس وسعيد بن جبير والسدي وقيل انه يريد الحكمان اصلاحا بين الزوجين اي يؤلف بينهما ويرفع ما بينهما
من العداوة والشقاق ان الله كان عليما بما يريد الحكمان من الاصلاح والافساد خبيرا بما فيه صلاح حكم ومنا
قوله عز وجل **واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار**
ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت ايمانكم ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا آية اللغة
الجار اصله من العدول يقال جاوره يجاوره مجاورة وجوارا فهو مجاور له وجار له بعد وله الى ناحيته في مسكنه
من قولهم جار عن الطريق وجار السهم اذا عدل عن القصد واستجار بالله لانه يسال العدول به عن النار والجار
ذي القربى القريب والجار الجنب الغريب قال ابو علي الجنب صفة على فعل مثل ناقة سرح ومشي سجح فالجنب المتباعد
عن اهله يدلك على ذلك مقابلته في قوله والجار ذي القربى والقربى من القرب كاليسرى من اليسر واصل المختال
من التخيل وهو التصور لانه يتخيل بحاله مرح البطر والمختال الصلف التياه ومنه الخيل لانها تختال في مشيتها اي تتبختر
والفخور الذي يعدد مناقبه كبرا وتطاولا واما الذي يعددها اعترافا بالنعمة فهو شكور محمود **الاعراب**
احسانا نصب على المصدر كما تقول ضربا زيدا وتقديره احسنوا بالوالدين احسانا او يكون نصبا على تقدير استوصوا
بالوالدين احسانا فيكون مفعولا به **المعنى** لما امر الله سبحانه بمكارم الاخلاق في امر اليتامى والازواج والنساء عطف
على ذلك بهذه الخلال المشتملة على معاني الامور ومحاسن الافعال مبتدئا بالامر بعبادته فقال واعبدوا الله ولا تشركوا

شيا اى وحدوه وعظموه ولا تشركوا فى عبادته غيره فان العبادة لا يجوز لغيره لانها لا يستحق الا بفعل اصول النعم
ولا يقدر عليها سواه عز اسمه وبالوالدين احسانا واستوصوا بهما برا وانعاما واحسانا واكراما وقيل ان احسانا
فعل اى واوصاكم الله بالوالدين احسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين معناه احسنوا بالوالدين خاصة وبالقرابات
عامة تقال احسنت اليه واحسنت به واحسنوا الى اليتامى بحفظ اموالهم والقيام عليها وغيرها من وجوه الاحسان
واحسنوا الى المساكين فلا تبخسوهم واعطوهم ما يحتاجون اليه من الطعام والكسوة وساير ما لا بد منه لهم والجار ذى
القربى والجار الجنب قيل معناه الجار القريب فى النسب والجار الاجنبى الذى ليس بينك وبينه قرابة عن ابن عباس
ومجاهد وقتادة والضحاك وابن زيد وقيل المراد به الجار ذو القربى منك بالاسلام والجار الجنب المشرك
البعيد فى الدين وروى عن النبى صلى الله عليه وآله انه قال الجيران ثلثة جار له ثلثة حقوق حق الجوار وحق
القرابة وحق الاسلام وجار له حقان حق الجوار وحق الاسلام وجار له حق الجوار المشرك من اهل الكتاب وقال
الزجاج والجار ذى القربى الجار الذى يقاربك وتقاربه ويعرفك وتعرفه والجار الجنب البعيد وروى ان حد الجوار
الى اربعين دارا ويروى الى اربعين ذراعا ولا يجوز ان يكون المراد بذى القربى القريب من القرابة لانه قد
سبق ذكر القرابة والامر بالاحسان اليهم بقوله وبذى القربى ويمكن ان يجاب عنه بان يقال هذا جايز وان كان
سبق ذكر القرابة لان الجار اذا كان قريبا فله حق القرابة والجوار والقريب الذى ليس بجار له حق القرابة حسب
فحسن افراد الجار القريب بالذكر والصاحب بالجنب فى معناه اربعة اقوال احدها انه الرفيق فى السفر عن ابن
عباس وسعيد بن جبير وجماعة والاحسان اليه بالمواساة وحسن العشرة وثانيها انه الزوجة عن عبد الله بن مسعود
وابن ابى ليلى والنخعى وثالثها انه المنقطع اليك يرجو نفعك ورفدك عن ابن عباس فى احدى الروايتين وابن زيد
ورابعها انه الخادم الذى يخدمك والاولى حمله على الجميع وابن السبيل معناه صاحب الطريق وفيه قولان احدهما
انه المسافر عن مجاهد والربيع وقيل هو الضيف عن ابن عباس قال والضيافة ثلثة ايام وما فوقها فهو معروف
وكل معروف صدقة وروى جابر عن النبى صلى الله عليه وآله انه قال كل معروف صدقة وان من المعروف ان تلقى
اخاك بوجه طلق وان تفرغ من دلوك فى اناء اخيك وما ملكت ايمانكم يعنى به المماليك من العبيد والاماء وذكر
اليمين تاكيد كما يقال مشيت برجلك وبطشت ولا تحملوهم من الاعمال ما لا يطيقونه امر الله سبحانه عباده بالاحسان
الى هؤلاء اجمع لان الله تعالى لا يرضى ايذاءهم وجيرانهم اذا كانوا فقراء ولا يحسنان عشرتهم وهذه آية جامعة
تضمنت بيان اركان الاسلام والتنبيه على مكارم الاخلاق ومن تدبرها حق التدبر وتذكر بها حق التذكر
اغنته عن كثير من مواعظ البلغاء وهدته الى جم غفير من علوم العلماء قوله عز وجل الذين يبخلون ويامرون الناس
بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله واعتدنا للكافرين عذابا مهينا آية القراءة قرا اهل الكوفة غير عاصم
بالبخل بفتح الباء والخاء وكذلك فى سورة الحديد والباقون بالبخل بالضم الحجة قال سيبويه هما لغتان اللغة
البخل اصله مشقة العطاء وقيل فى معناه انه منع الواجب لانه اسم ذم لا يطلق الا على مرتكب الكبيرة وقيل هو
منع ما لا ينفع منعه ولا يضر بذله ومثله الشح وضده الجود والاول اليق بالآية لانه سبحانه نفى محبته عمن كان بهذه
الصفة وقال على بن عيسى معناه منع الاحسان لمشقة الطباع ونقيضه الجود ومعناه بذل الاحسان لانتفاء مشقة الطباع
الاعراب الذين يحتمل ان يكون موضعه نصبا من وجهين وان يكون رفعا من وجهين فاما النصب فعلى ان يكون
بدلا من من فى قوله لا يحب من كان وعلى الذم ايضا واما الرفع فعلى الاستيناف بالذم على الابتداء ويكون الآية
الثانية عطفا عليها ويكون الخبر ان الله لا يظلم وعلى البدل من الضمير فى فخورا المعنى الذين يبخلون اى يمنعون ما افترض
الله عليهم من الزكوات وغيرها واختاره الجبائى وابو مسلم وقيل معناه الذين يبخلون باظهار ما علموه من صفة
النبى صلى الله عليه وآله عن ابن عباس ومجاهد والسدى وابن زيد ويامرون الناس بالبخل ويامرون غيرهم به

وقيل يامرون الانصار بترك الانفاق على رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى صحابه عن ابن عباس وقيل يامرون
بكتمان الحق ويكتمون ما آتاهم الله من فضله اى يجحدون ما آتاهم الله من اليسار والثروة اعتذارا لهم فى البخل
وقيل معناه يكتمون ما عندهم من العلم بنعت النبى صلى الله عليه وآله وبعثه والاولى ان يكون الاولى عامة فى كل من
كتم فضلا آتاه الله تعالى من العلم وغيره من انواع النعمة التى يجب اظهارها ويحرم كتمانها وقد ورد فى الحديث
اذا انعم الله على عبد نعمة احب ان يرى اثرها عليه واعتدنا للكافرين عذابا مهينا يهانون فيه ويذلون فاضاف الاهانة
الى العذاب اذا كان يحصل به قوله عز وجل الذين ينفقون اموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم
الآخر ومن يكن الشيطن له قرينا فساء قرينا وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وانفقوا مما رزقهم
الله وكان الله بهم عليما آيتان اللغة القرين اصله من الاقتران ومنه القرن لاهل العصر لاقترانهم
والقرن المقاوم فى الحرب والقرين الصاحب المالوف وقال عدى بن زيد عن المرء لا تسال وابصر قرينه فان القرين
بالمقارن يقتدى الاعراب الذين يحتمل ان يكون ما قلناه فى الآية المتقدمة ويحتمل ان يكون عطفا على
الكافرين فكانه قال واعتدنا للكافرين وللذين ينفقون اموالهم رئاء الناس رئاء مصدر وضع موضع الحال
فكانه قال ينفقون مرائين الناس وقرينا نصب على التفسير وموضع ذا من ماذا يحتمل وجهين احدهما ان
يكون مرفوعا لانه فى موضع الذى وتقديره وما الذى عليهم لو آمنوا والثانى ان يكون لا موضع له لانه مع ما بمنزلة
اسم واحد وتقديره اى شئ عليهم لو آمنوا المعنى ثم عطف على ما تقدم بذكر المنافقين فقال والذين ينفقون
اموالهم رئاء الناس اى مراءاة الناس ولا يؤمنون اى لا يصدقون بالله ولا باليوم الآخر الذى فيه الثواب
والعقاب جمع الله سبحانه فى الذم والوعيد بين من ينفق ماله بالرياء والسمعة وبين من لم ينفق اصلا ومن يكن
الشيطن له قرينا اى صاحبا وخليلا فى الدنيا يتبع امره ويوافقه على الكفر وقيل يعنى فى القيمة فى النار فساء
قرينا اى بئس القرين الشيطن لانه يدعو الى المعصية المؤدية الى النار وبئس القرين الشيطن حيث يتلاعنان
ويتباغضان فى النار وماذا عليهم اى اى شئ عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وانفقوا مما رزقهم الله قطع الله
سبحانه بهذا اعذار الكفار فى العدول عن الايمان وابطل به قول من قال انهم لا يقدرون على الايمان لانه لا يحسن
ان يقال للعاجز عن الشئ ماذا انفلت عليك لو فعلت كذا فلا يقال للقصير ماذا عليك لو كنت طويلا وللاعمى
ماذا عليك لو كنت بصيرا وقيل معناه ماذا عليهم لو جمعوا الى نفاقهم الايمان بالله لينفعهم الانفاق وكان الله
بهم عليما يجازيهم بما يعملون ان خيرا فخيرا وان شرا فشرا فلا ينفعهم ما ينفقونه على جهة الرياء وفى الآية ايضا دلالة
على ان الحرام لا يكون رزقا من حيث انه سبحانه حثهم على الانفاق مما رزقهم واجمعت الامة على ان الانفاق
من الحرام محظور قوله عز وجل ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا
عظيما آية القراءة قرا ابن كثير ونافع ان تك حسنة بالرفع والباقون بالنصب وقرا ابن كثير وابن عامر يضعفها
بالتشديد والباقون يضاعفها بالالف الحجة من نصب حسنة فمعناه وان تك زنة الذرة حسنة وان يك فعله
حسنة ومن رفعها فمعناه وان تقع حسنة او ان تحدث حسنة فيكون تامة لا تحتاج الى خبر وضاعف وضعف
بمعنى واحد وقال سيبويه قد يجئ فاعلت ولا يراد به عمل الاثنين وذلك قولهم ناولته وعاقبته وعافاه الله ومثل
ذلك ضاعفت وضعفت وناعمت ونعمت وهذا يدل على انهما لغتان اللغة الظلم هو الالم الذى لا نفع فيه
يوفى عليه ولا دفع مضرة اعظم منه عاجلا ولا آجلا ولا يكون مستحقا ولا واقعا على وجه المدافعة واصله وضع
الشئ غير موضعه وقيل اصله الانتقاص من قوله ولم تظلم منه شيئا فالظلم على هذا انتقاص الحق والظلمة انتقاص
النور بذهابه وسقاء مظلوم اذا شرب منه قبل ان يدرك والظليم ذكر النعام لانه يضع الشئ غير موضعه من حيث

محص عن بيضه واصل المثقال الثقل فالمثقال مقدار الشي في الثقل والثقل ما يحمل من متاع السفر واصل
تك يكون فحذفت الضمة للجزم والواو لسكونها وسكون النون فاما سقوط النون فلكثرة الاستعمال فكانهم
ارادوا ان يجزموا الكلمة مرة اخرى فلم يجدوا حركة يسقطونها فاسقطوا الحرف وقد ورد القرآن بالحذف والاثبات
قال سبحانه ان يك غنيا او فقيرا وسلك قولهم لا ادر ولم ابل والاصل لا ادري ولم ابال ولدن في موضع جر
وفيه لغات لد ولدن ولد الدا والمعنى واحد ومعناه من قبله ولدن لما يملك وعند يكون لما يمليك ولما
يبعد منك تقول عندي مال وان كان بينك وبينه بعد واذا اضفته الى نفسك زدت فيه نونا اخرى
لتسلم سكون النون تقول لدني وكذلك مني المعنى ان الله لا يظلم احدا مثقال ذرة اي زنة ذرة
وهي النملة الصغيرة التي لا تكاد ترى عن ابن عباس وابن زيد وهي اصغر النمل وقيل هي جزء من اجزاء الهبا
في الكوة من اثر الشمس وانما لا يختار الله تعالى الظلم ولا يجوز عليه الظلم لانه عالم بقبحه ومستغن عنه وعالم
بغناه عنه وانما يختار القبيح من يختار جهله بقبحه او لحاجته اليه لدفع ضرر او لجر نفع او جهله باستغنائه
عنه والله سبحانه منزه عن ذلك وعن ساير صفات النقص والعجز ولم يذكر سبحانه الذرة لنقصر الحكم
عليها بل انما خصها بالذكر لانها اقل شيء مما يدخل في وهم البشر وان تك حسنة يضاعفها معناه وان تكن
الذرة حسنة يقبلها او يجعلها اضعافا كثيرة وقيل يجعلها ضعفين عن ابي عبيدة وقيل معناه يديمها ولا يقطعها
ومثله قوله ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره وكلتا الآيتين عامة في الحث على الطاعة والنهي عن المعصية وقوله
ويؤت من لدنه اي يعطه من عنده اجرا عظيما اي جزاء عظيما وهو ثواب الجنة وفي هذه الآية دلالة على ان منع
الثواب والنقصان منه ظلم لانه لو لم يكن كذلك لما كان لهذا الترتيب في الآية معنى وفيها ايضا دلالة على انه
سبحانه قادر على الظلم لانه نزه نفسه عن فعل الظلم وتمدح بذلك فلو لم يكن قادرا عليه لم يكن فيه مدح قوله عز وجل
فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا يومئذ يود الذين كفروا
وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض ولا يكتمون الله حديثا آيتان القراءة قرأ اهل الكوفة غير عاصم
تسوى مفتوحة التاء خفيفة السين وقرأ يزيد ونافع وابن عامر بفتح التاء وتشديد السين وقرأ الباقون
تسوى بضم التاء وتخفيف السين الحجة قال ابو علي قرأ نافع وابن عامر لو تسوى معناه لو تتسوى فادغم التاء
في السين لقربها منها وفي قراءة حمزة والكسائي حذف التاء فالتاء اعتلت بالحذف كما اعتلت بالادغام
واما تسوى فهي تفعل من التسوية الاعراب كيف لفظها لفظ الاستفهام ومعناها التوبيخ وتقديره فكيف حال
هؤلاء يوم القيمة وحذف لدلالة الكلام عليه والعامل في كيف الابتداء المحذوف فهو في موضع الرفع بانه
خبر المبتدأ ولا يجوز ان يكون العامل في كيف جئنا لانه في موضع جر باضافة اذا اليه والمضاف اليه لا يعمل
فيما قبل المضاف كما لا تعمل الصلة فيما قبل الموصول لانه من تمام الاسم ومن كل امة في موضع نصب على الحال
لانه صفة شهيد فلما تقدم عليه انتصب على الحال والعامل في اذا جوابه المحذوف لدلالة ما تقدم عليه
وشهيدا منصوب على الحال والعامل في يومئذ يود وانما عمل يومئذ ما بعد اذ ولم يجز ذلك في اذا جئنا لانه
لما اضيف يوم الى اذ بطلت اضافته الى الجملة ونون اذ ليدل على اتمام الاسم المعنى لما ذكر سبحانه اليوم الآخر وصف
حال المنكرين له فقال فكيف اي فكيف حال الامم وكيف يصنعون اذا جئنا من كل امة من الامم بشهيد وجئنا
بك يا محمد على هؤلاء يعني قومه شهيدا وهذا كما تقول العرب للرجل في الامر الهائل سوقعه كيف بك اذا كان كذا
يريد بذلك تعظيم الامر وتهويله وتحذير الرجل عنه وانذاره به وحثه على الاستعداد له ومعنى الآية ان الله تعالى
يستشهد يوم القيمة كل نبي على امته فيشهد لهم وعليهم ويستشهد نبينا صلى الله عليه وآله على امته وفي الآية تلطف

في الحث على الطاعة واجتناب المعصية والزجر عن كل ما يستحي منه على رؤوس الاشهاد لانه يشهد للانسان وعليه
يوم القيمة شهود عدول لا يتوقف في الحكم بشهادتهم ولا يتوجه القدح منها وهم الانبياء المعصومون والكرام الكاتبون
والجوارح والمكان والزمان كما قال سبحانه وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس وقال ما يلفظ
من قول الا لديه رقيب عتيد وقال ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤلا يوم تشهد عليهم السنتهم
وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون وفي بعض الاخبار الزمان والمكان يشهدان على الرجل باعماله فيذكر العاقل
هذه الشهادة وليستعد لهذه الحالة فكان فيه وقعة وكان الشهادة هذا يثبت وروى عبد الله بن مسعود
قرأ هذه الآية على النبي صلى الله عليه وآله ففاضت عيناه فاذا كان الشاهد تفيض عيناه لهول هذه المقالة
وعظم هذه الحالة فماذا ترى ينبغي ان يصنع المشهود عليه يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى
بهم الارض معناه لو يجعلون والارض سواء كما قال سبحانه ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا ومن التسوية قوله
بلى قادرين على ان نسوي بنانه اي نجعلها صفحة واحدة لا تفصل بعضها على بعض فيكون كالكف فيعجز لذلك
عما يستعان عليه من الاعمال بالبنان وروى ابن عباس ان معناه يودون ان يمشي عليهم اهل الجمع يطأونهم
باقدامهم كما يطأون الارض وعلى القول الاول فالمراد به ان الكفار يوم القيمة يودون انهم لم يبعثوا وانهم والارض
سواء لعلمهم بما يصيرون اليه من العذاب والخلود في النار وروي ايضا ان البهائم يوم القيمة تصير ترابا فيتمنى
عند ذلك الكفار انهم صاروا كذلك ترابا وهذا لا يجوز الا على ان العوض منقطع وهو الصحيح ومن قال
انه دائم لم يصح هذا الخبر قوله ولا يكتمون الله حديثا قيل فيه ثلاثة اقوال احدها انه عطف على قوله لو تسوى اي
يودون ان لو لم يكتموا الله حديثا لانهم اذا سئلوا قالوا والله ربنا ما كنا مشركين فتشهد عليهم جوارحهم
بما عملوا فيقولون يا ليتنا كنا ترابا ويا ليتنا لم نكتم الله شيئا وليس ذلك بحقيقة الكتمان فانه لا يكتم شيء عن الله
لكنه في صورة الكتمان وهذا قول ابن عباس وثانيها انه كلام مستانف والمراد به انهم لا يكتمون الله شيئا من امور
دنياهم وكفرهم بل يعترفون به فيدخلون النار باعترافهم وانما لا يكتمون لعلمهم بانه لا ينفعهم الكتمان وانما يقولون
والله ربنا ما كنا مشركين في بعض الاحوال وان للقيمة مواطن واحوال ففي موطن لا يسمع كلامهم الا همسا كما اخبر سبحانه
عنهم وفي موطن ينكرون ما فعلوه من الكفر والمعاصي ظنا منهم ان ذلك ينفعهم وفي موطن يعترفون بما فعلوه
عن الحسن وثالثها ان المراد انهم لا يقدرون على كتمان شيء من الله تعالى لان جوارحهم تشهد عليهم بما فعلوه
والتقدير لا تكتمه جوارحهم وان كتموه ورابعها ان المراد ودوا لو تسوى بهم الارض وانهم لم يكونوا كتموا امر محمد
ونعته عن عطا وخامسها ان الآية على ظاهرها فالمراد لا يكتمون الله شيئا لانهم ملجؤن الى ترك القبايح والكذب
وقولهم والله ربنا ما كنا مشركين عند انفسنا لانهم كانوا يظنون في الدنيا ان ذلك ليس بشرك من حيث تقربهم الى الله تعالى
عن ابي القاسم البلخي قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون
ولا جنبا الا عابري سبيل حتى تغتسلوا وان كنتم مرضى او جاء احد منكم من الغائط او لمستم النساء
فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم ان الله كان عفوا غفورا آية القراءة
قرأ اهل الكوفة غير عاصم او لمستم بغير الف هنا وفي المائدة وقرأ الباقون لامستم بالالف الحجة حجة من قرأ لمستم ان
هذا المعنى جاء في التنزيل على فعلتم في غير موضع قال سبحانه لم يطمثهن انس ولم يمسسني بشر وحجة من قرأ لامستم ان فاعل
قد جاء في معنى فعل نحو عاقبت اللص وطارقت النعل اللغة يقال قرب يقرب متعد وقرب يقرب لازم وقرب للماء يقربه
اذا ورده اصل السكر من السكر وهو سد مجرى الماء واسم الموضع السكر والسكر طريق المعرفة وسكرة الموت
غشيته ورجل سكران من قوم سكارى وسكرى والمراة سكرى ايضا رجل جنب اذا اجنب ويستوي فيه المذكر والمؤنث

والواحد والجمع فقال رجل جنب وقوم جنب والعابر من العبور فقال عبرت النهر والطريق عبورا اذ اقطعته من هذا الجانب الى الجانب والغائط اصله المطمئن من الارض فقال غائط وغيطان وكانوا يبرزون هناك ليتغيبوا عن عيون الناس ثم كثر ذلك حتى قالوا للحدث وكنوا بالتغوط عن الحدث والغائط وقيل انهم كانوا يلقون النجو في هذا المكان فسمي باسمه على سبيل المجاورة الغوطة موضع كثير الماء والشجر بدمشق ويقال هو سرج الغائط قرارة من الارض تحفها آكام لسرها والفعل منه غاط يغوط مثل عاد يعود واللمس يكون باليد ثم اتسع فيه فاوقع على غيره وقالوا التمسح هو افتعل من اللمس فاوقع على ما لا يقع عليه اللمس فان الجن والجبن والقلقفس ثلاثة فانهم يلمس ارادوا انهم طلب وملتمس المعروف طالبه ليس هناك مماسة ولا مباشرة والتيمم القصد وقال الشاعر قال الاعشى تيممت قيادكم دونه من الارض من مهمة ذى شزن وقال آخر تيممت بدارا ويممن دارا وقد صار في الشرع اسما لقصد مخصوص وهو ان تقصد الصعيد وتستعمل التراب في اعضاء مخصوصة والصعيد وجه الارض من غير نبات ولا شجر وقال ذو الرمة كانه بالضحى يرمي الصعيد به دبابة في عظام الراس خرطوم وقال الزجاج الصعيد ليس هو التراب انما هو وجه الارض ترابا كان او غيره وانما سمي صعيدا لانه نهاية ما تصعد اليه من باطن الارض الاعراب وانتم سكارى عليه جملة منصوبة الموضع على الحال والعامل فيه تقربوا وذو الحال الواو من تقربوا وقوله جنبا انما انتصب لكونه عطفا عليه والمراد به الجمع وعابري سبيل منصوب على الاستثناء وتغتسلوا منصوب باضمار ان وعلامة النصب سقوط النون ثم ان مع المضمر في موضع الجر بحتى والجار مع المجرور في موضع النصب بكونه مفعول تقربوا وكذلك قوله حتى تعلموا وقوله على سفر في موضع نصب عطفا على قوله مرضى وتقديره او مسافرين المعنى لما امر الله سبحانه في الآية بالعبادة ذكر عقيبها ما هو اكبر العبادات وهو الصلوة فقال يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلوة اي لا تصلوا وانتم سكارى عن ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وابن زيد وقيل معناه لا تقربوا مكان الصلوة اي المساجد للصلوة وغيرها كقوله وصلوات اي ومواضع الصلوات عن عبد الله وسعيد بن المسيب والضحاك وعكرمة والحسن ويؤيد هذا قوله الا عابري سبيل فان العبور انما يكون في الموضع دون الصلوة وقوله وانتم سكارى اي نشاوى واختلف فيه على قولين احدهما ان المراد سكر الشراب عن ابن عباس ومجاهد وقتادة قالوا ثم نسختها تحريم الخمر وروي عن ذلك موسى بن جعفر عليه السلم وقد سئل عن هذا فقيل كيف يجوز نهي السكران في حال السكر مع زوال العقل واجيب عنه بجوابين احدهما ان يكون سكران من غير ان يخرج من نقصان العقل الى ما لا يحتمل الامر والنهي والآخر ان النهي انما ورد عن التعرض للسكر في حال وجوب اداء الصلوة عليهم واجاب ابو علي الجبائي بجواب ثالث وهو ان النهي انما دل على ان اعادة الصلوة واجبة عليهم ان ادوها في حال السكر وقد سئل الصادق عليه السلم فقيل اذا كان السكران مكلفا فكيف يجوز ان ينهى عن الصلوة في حال سكره مع ان عمل المسلمين على خلافه واجيب ايضا عن ذلك بجوابين احدهما انه منسوخ والآخر انهم لم يؤمروا بتركها لكن امروا بان يصلوها في بيوتهم ونهوا عن الصلوة مع النبي صلى الله عليه وآله في جماعة تعظيما له وتوقيرا والقول الثاني ان المراد بقوله وانتم سكارى سكر النوم خاصة عن الضحاك وروي ذلك عن ابي جعفر ويعضد ذلك ما رواه عائشة عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال اذا نعس احدكم وهو يصلي فلينصرف لعله يدعو على نفسه وهو لا يدري حتى تعلموا ما تقولون اي حتى تميزون ما تقولون من الكلام وقيل معناه حتى تحفظوا ما تتلون من القرآن وقوله ولا جنبا الا عابري سبيل حتى تغتسلوا في معناه قولان احدهما ان المراد به ولا تقربوا الصلوة وانتم جنب الا ان تكونوا مسافرين فيجوز لكم اداؤها بالتيمم فان كان لا يرتفع به حكم الجنابة فان التيمم وان كان يبيح الصلوة فانه لا يرفع الحدث عن علي وابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد والآخر ان معناه لا تقربوا مواضع الصلوة من المساجد وانتم جنب الا مجتازين

231

عن جابر والحسن وعطا والزهري وابرهيم وهو المروي عن ابي جعفر عليه السلم وعابري سبيل مارين في طريق الى حتى تغتسلوا من الجنابة وهذا القول الاخير اقوى لانه سبحانه بين حكم الجنب في آخر الآية اذا عدم الماء فلو حملناه على ذلك لكان تكرارا وانما اراد سبحانه ان يبين حكم الجنب في دخول المساجد في اول الآية ويبين حكمه في الصلوة عند عدم الماء في آخر الآية وان كنتم مرضى قيل نزلت في رجل من الانصار كان مريضا ولم يستطع ان يقوم فيتوضأ فالمرض الذي يجوز معه التيمم مرض الجراح والكسر والقروح اذا خاف صاحبها من مس الماء عن ابن عباس وابن مسعود والسدي والضحاك ومجاهد وقتادة وقيل هو المرض الذي لا يستطيع معه تناول الماء ولا يكون هناك من يناوله عن الحسن وابن زيد وكان الحسن لا يرخص للجريح التيمم والمروي عن السيدين الباقر والصادق عليهما السلم جواز التيمم في جميع ذلك او على سفر معناه او كنتم مسافرين او جاء احد منكم من الغائط وهو كناية عن قضاء الحاجة قيل ان او هنا بمعنى الواو كقوله سبحانه وارسلناه الى مائة الف او يزيدون يعني وجاء احد منكم من الغائط وذلك لان المجيء من الغائط ليس من جنس المرض والسفر حتى يصح عطفه عليهما فانهما سبب لاباحة التيمم والرخصة والمجيء من الغائط سبب لايجاب الطهارة او لامستم النساء المراد به الجماع عن علي عليه السلم وابن عباس ومجاهد وقتادة واختاره ابو حنيفة والجبائي وقيل المراد به اللمس باليد وغيرها عن عمر بن الخطاب وابن مسعود والشعبي وعطا واختاره الشافعي والاول الصحيح لان الله سبحانه بين حكم الجنب في حال وجود الماء بقوله ولا جنبا الا عابري سبيل حتى تغتسلوا ثم بين عند عدم الماء حكم المحدث بقوله او جاء احد منكم من الغائط فلا يجوز ان يدع بيان حكم الجنب عند عدم الماء مع انه جرى له ذكر في الآية ويبين حكم المحدث ولم يجر له ذكر فعلمنا ان المراد بقوله او لامستم الجماع ليكون بيانا لحكم الجنب عند عدم الماء واللمس والملامسة معناهما واحد لانه لا يلمسها الا وهي تلمسه ويروى ان العرب والموالي اختلفوا فيه فقالت الموالي المراد به الجماع وقالت العرب المراد به مس المرأة فارتفعت اصواتهم الى ابن عباس فقال غلب الموالي المراد به الجماع وسمي الجماع لمسا لانه به يتوصل الى الجماع كما يسمى المطر سماء وقوله فلم تجدوا ماء راجع الى المرضى والمسافر جميعا فالمسافر لا يجد الماء والمريض لا يجد من يوضيه او يخاف الضرر من استعمال الماء لان الاغلب ان حال المريض يغلب فيها خوف الضرر من استعمال الماء ويغلب في السفر عدم الماء فتيمموا اي تعمدوا وتحروا او قصدوا واصعدوا قال الزجاج لا اعلم خلافا بين اهل اللغة في ان الصعيد اهل الارض وهذا يوافق مذهب اصحابنا في ان التيمم يجوز بالحجر سواء كان عليه تراب او لم يكن طيبا اي طاهرا وقيل حلالا عن سفيان وقيل منبتا دون السبخة التي لا تنبت كقوله والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه فامسحوا بوجوهكم وايديكم هذا هو التيمم بالصعيد الطيب واختلف في صفة التيمم على اقوال احدها انه ضربة للوجه وضربة لليدين الى المرفقين وهو قول اكثر الفقهاء وابو حنيفة والشافعي وغيرهما وقال قوم من اصحابنا وثانيها انه ضربة للوجه وضربة لليدين من الزندين واليه ذهب عمار بن ياسر ومكحول واختاره الطبري وهو مذهبنا في التيمم اذا كان بدلا من الجنابة فاذا كان بدلا من الوضوء كفاه ضربة واحدة يمسح وجهه من قصاص شعره الى طرف انفه ويديه من زنده الى اطراف اصابعهما وهو المروي عن سعيد بن المسيب وثالثها انه الى الابطين عن الزهري ان الله كان عفوا غفورا منكم العفو لان في قبول التيمم بدلا من الوضوء تسهيل الامر عليكم وقيل عفوا كثير الصفح والتجاوز غفورا كثير الستر لذنوب عباده وفي الآية دلالة على ان السكران لا تصح صلوته وقد حصل الاجماع على انه يلزمه القضاء ولا يصح من السكران شيء من العقود كالنكاح والبيع والشراء وغير ذلك ولا رفعها كالطلاق والعتاق وفي الطلاق خلاف بين الفريقين فعند ابي حنيفة يقع طلاقه وعند الشافعي لا يقع في احد القولين فاما ما يلزم به الحد وذو القصاص فعندنا انه يلزمه جميع ذلك فيقطع بالسرقة ويحد بالقذف

وان ناالعموم الآيات المتناولة لذلك ولاجماع الطائفة عليه قوله عز وجل الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب
يشترون الضلالة ويريدون ان تضلوا السبيل والله اعلم باعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا اثنان
في الكوفي عدوا ان تضلوا السبيل آية واحدة في غيرهم اللغة العداوة الابعاد من حال النصرة وضدها
الولاية وهي التقرب من حال النصرة واما البغض فهو ارادة الاستخفاف والاهانة وضده المحبة وهي ارادة
الاعظام والكرامة والكفاية بلوغ الغاية في مقدار الحاجة كفى يكفي كفاية فهو كاف والاكتفاء الاجتزاء بالشيء
دون الشيء ومثله الاستغناء والنصرة الزيادة في القوة للغلبة ومثلها المعونة وضدها الخذلان ولا يكون
ذلك الا عقوبة لان منع المعونة ممن يحتاج اليها عقوبة الاعراب في دخول الباء في بالله قولان احدهما انه
لتاكيد الاتصال والثاني لانه دخله معنى اكتفوا بالله ذكره الزجاج وموضعه رفع بالاتفاق النزول قيل
نزلت في رفاعة بن زيد بن السائب ومالك بن دخشم كانا اذا تكلم رسول الله صلى الله عليه وآله لويا السنتهما وعاباه عن ابن عباس
المعنى لما ذكر الله سبحانه الاحكام التي اوجب العمل بها وصلها بالتحذير مما دعا الى خلافها فقال الم تر الى الذين اوتوا
نصيبا من الكتاب اي الم ينته علمك الى الذين اعطوا حظا من علم الكتاب يعني التوراة وهم اليهود عن ابن عباس
يشترون الضلالة اي يستبدلون الضلالة بالهدى ويكذبون النبي بدلا من التصديق وقيل كانت اليهود تعطي
احبارها كثيرا من اموالهم على ما كانوا يصنعونه لهم فجعل ذلك اشتراء منهم عن ابي علي الجبائي وقيل كانوا ياخذون الرشا
عن الزجاج ويريدون ان تضلوا السبيل اي يريد هؤلاء اليهود ان تزلوا ايها المؤمنون عن طريق الحق وهو
الدين والاسلام فتكذبوا بمحمد فتكونوا ضلالا وفي ذلك تحذير المؤمنين ان يستنصحوا احدا من اعداء الدين في شيء
من امورهم الدينية والدنيوية ثم اخبر سبحانه انه اعلم بعداوة اليهود فقال والله اعلم باعدائكم ايها المؤمنون فانتهوا
الى طاعتي فيما نهيتكم عنه من استنصاحهم في دينكم فاني اعلم بما هم عليه لكم من الغش والحسد والعداوة
لكم وكفى بالله وليا نصيرا معناه ان ولاية الله لكم ونصرته اياكم تغنيكم عن نصرة هؤلاء اليهود ومن جرى مجراهم ممن تطمعون
في نصرته قوله عز وجل من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا
ليا بالسنتهم وطعنا في الدين ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم واقوم ولكن لعنهم الله
بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا اللغة اصل اللي الفتل يقال لويت العود لويا ولويت الغريم اذا مطلته والليّة ما تلوي
به المرأة صبيها ليلوى عليها والوى بهم الدهر اذا افناهم ولوى الرمل اذا انقطع ولم يستحكم يبسه والالسن جمع اللسان
وهو آلة الكلام واللسان اللغة ومنه قوله وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ويقول السنة السنة اذا اخذته بلسانك
قال طرفة واذا تلسنني السنها انني لست بموهون فقر واصل الطعن بالرمح ونحوه الطعن باللسان الاعراب قيل في من هاهنا
واتصاله وجهان احدهما انه يتعلق بالذين اوتوا نصيبا من الكتاب ويكون العامل فيها اوتوا وهو في صلة الذين
ويجوز ان لا يكون في الصلة كما تقول انظر الى النفر من قومك ما صنعوا والثاني ان يكون على الاستئناف والتقدير
من الذين هادوا فريق يحرفون الكلم فالغى الموصوف لدلالة الصفة عليه كما قال ذو الرمة فظلوا ومنهم دمعه سابق
له واخر يثني دمعة العين بالمهل وانشد سيبويه وما الدهر الا تارتان فمنهما اموت واخرى ابتغي العيش اكدح وقال الفراء المحذوف
من الموصول والتقدير من الذين هادوا من يحرفون الكلم كما يقولون منا يقول ذلك ومنا لا يقوله قال والعرب تضمر من
في مبتدأ الكلام لان من بعض لما هي منه كما قال وما منا الا له مقام معلوم وان منكم الا واردها وانكر المبرد والزجاج
ذلك لان من تحتاج الى صلة او صفة تقوم مقام الصفة فلا يحسن حذف الموصول مع بقاء الصلة كما لا يحسن حذف
بعض الكلمة غير مسمع نصب على الحال وراعنا ليا نونها جعلها كلمة الامر كقولك رويدا وههنا ومن لم ينون جعلها

من المراعاة كما يقولون لا تقولوا راعنا لما قصد به وضع موضع الحال وكذلك قوله وطعنا وتقديره يلوون السنتهم ليا
ويطعنون في الدين طعنا الا قليلا تقديره يؤمنون وهم قليل فيكون قليلا منتصب على الحال ويجوز ان يكون
صفة لمصدر محذوف تقديره ايمانا قليلا كما قال الشاعر فالفيته غير مستعتب ولا ذاكر الله الا قليلا يريد الا
ذاكرا قليلا وسقط التنوين من ذاكر لاجتماع الساكنين المعنى ثم بين سبحانه من تقدم ذكرهم فقال من الذين
هادوا اي الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب من اليهود فيكون قوله يحرفون الكلم في موضع الحال وان جعلته
كلاما مستانفا فمعناه من اليهود من يحرفون الكلم عن مواضعه اي يبدلون كلمات الله واحكامه عن مواضعها
وقال مجاهد يعني بالكلم التوراة وذلك انهم كتموا ما في التوراة من صفة النبي صلى الله عليه وآله ويقولون سمعنا وعصينا
معناه يقولون بالسنتهم سمعنا وفي قلوبهم عصينا وقيل معناه سمعنا قولك وعصينا امرك واسمع غير مسمع اي
ويقول هؤلاء اليهود للنبي صلى الله عليه وآله اسمع منا غير مسمع كما يقول القائل لغيره اذا سبه بالقبيح اسمع لا اسمعك
الله عن ابن عباس وابن زيد وقيل في تاويله اسمع غير مجاب لك ولا مقبول منك عن الحسن ومجاهد وهذا
كله اخبار عن الله سبحانه عن اليهود الذين كانوا حول المدينة في عصر النبي صلى الله عليه وآله لانهم كانوا يسبونه
ويؤذونه بالسيء من القول وراعنا قد ذكرنا معناه في سورة البقرة وقيل انه كان سبا للنبي لو اتفقوا عليه وقيل
كانوا يقولون استهزاء وسخرية انهم كانوا يقولون على وجه التجبر كما يقول القائل لغيره انصت لكلامنا وتفهم عنا
وانما هو من المراعاة التي هي المراقبة ليا بالسنتهم اي تحريكا منهم بالسنتهم بتحريف منهم لمعناه الى المكروه
وطعنا في الدين اي وقيعة فيه ولو انهم قالوا سمعنا قولك واطعنا امرك وقبلنا ما جئتنا به واسمع منا وانظرنا
اي انتظرنا نفهم عنك ما تقول لكان خيرا لهم يعني انفع لهم عاجلا وآجلا واقوم اي اعدل واصوب في الكلام
من الكفر والطعن في الدين ولكن لعنهم الله بكفرهم اي ابعدهم عن ثوابه ورحمته بسبب كفرهم ثم اخبر تعالى عنهم
فقال فلا يؤمنون اي في المستقبل الا قليلا منهم فخرج مخبره سبحانه على وفق خبره فلا يؤمن منهم الا عبد الله بن سلام
واصحابه وهم نفر قليل وقيل معناه لا يؤمنون الا ايمانا قليلا اي ضعيفا لا اخلاص فيه ولكنهم عصموا دماءهم
واموالهم ويجوز ان يكون المعنى فلا يؤمنون الا بقليل مما يجب الايمان به قوله عز وجل يا ايها الذين اوتوا الكتاب
آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل ان نطمس وجوها فنردها على ادبارها او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت
وكان امر الله مفعولا آية اللغة الطمس هو عفو الاثر والطامس والدائر والدارس بمعنى والادبار جمع دبر واصله
من الدبر يقال دبره يدبره دبرا فهو دابر اذا صار خلفه والدابر التابع وقوله والليل اذ ادبر معناه تبع
النهار والتدبير احكام ادبار الامور وعواقبها المعنى ثم خاطب اهل الكتاب بالترغيب والتحذير فقال يا ايها
الذين اوتوا الكتاب اي اعطوا علم الكتاب آمنوا اي صدقوا بما نزلنا يعني بما انزلناه على محمد صلى الله عليه وآله
من القرآن وغيره من احكام الدين مصدقا لما معكم من التوراة والانجيل اللذين تضمنا صفة نبينا وصحة
ما جاء به من قبل ان نطمس وجوها فنردها على ادبارها اختلف في معناه على اقوال احدها ان معناه من قبل ان نمحو
آثار وجوهكم حتى تصير كالاقفية ونجعل عيونها في اقفيتها فتمشي القهقرى عن ابن عباس وعطية العوفي وثانيها ان معناه
ان نطمسها عن الهدى فنردها على ادبارها في ضلالتها ذما لها بانها لا تفلح عن الحسن ومجاهد والضحاك والسدي
ورواه ابو الجارود عن ابي جعفر وثالثها ان معناه نجعل في وجوههم الشعر كوجوه القرود عن الفراء وابي القاسم
البلخي والحسين بن علي المغربي ورابعها ان المراد حتى نمحو آثارهم من وجوههم اي نواحيهم التي هم بها وهي الحجاز
الذي هو مسكنهم ونردها على ادبارها حتى يعودوا الى حيث جاؤوا منه وهو الشام وحمله على اجلاء بني النضير الى اريحا واذرعات

من الشام عن ابن زيد وهذا اضعف الوجوه لانه ترك الظاهر بان قيل على القول الاول كيف اوعد سبحانه ولم يفعل
فجوابه على وجوه احدها ان هذا الوعيد كان متوجها اليهم لو لم يومن واحد منهم فلما امن جماعة منهم كعبد الله
بن سلام وثعلبة بن شعبة واسد بن شعبة واسعد بن عبيد ومخرف وغيرهم واسلم كعب في ايام عمر رفع العذاب
عن الباقين ويفعل بهم ذلك في الاخرة على انه سبحانه قال او نلعنهم انه يفعل احدهما وقد لعنهم الله بذلك وثانيها
ان الوعيد يقع بهم في الاخرة لانه سبحانه لم يذكر انه يفعل بهم ذلك في الدنيا تعجيلا للعقوبة ذكره البلخي والجبائي وثالثها
ان هذا الوعيد باق منتظر لهم ولا بد من ان يطمس الله وجوه اليهود قبل قيام الساعة بان يمسخها عن المبرد او يلعنهم
اي يخزيهم ويبعدهم عاجلا عن ابي مسلم وقيل معناه يمسخهم قردة كما لعنا اصحاب السبت يعني الذين اعتدوا في السبت
عن السدي وقتادة والحسن وانما قال سبحانه نلعنهم بلفظ الغيبة وقد تقدم خطابهم لاحد امرين اما للتصرف
في الكلام كقوله حتى اذا كنتم في الفلك فخاطب ثم قال وجرين بهم بريح طيبة فكنى عنهم واما لان الضمير عاد الى اصحاب
الوجوه لانهم في حكم المذكور وكان امر الله مفعولا فيه قولان احدهما ان كل امر من امور الله سبحانه من وعد او
وعيد او خبر فانه يكون على ما اخبر به عن الجبائي والاخر ان معناه ان الذي يامر به بقوله كن كائن لا محالة وفي قوله
سبحانه من قبل ان نطمس وجوها دلالة على ان لفظة قبل يستعمل في الشي انه قبل غيره ولم يوجد ذلك الغير وخلاف
ذلك في الربيع
واستعمل الربيع ذلك فيما كان الله سبحانه قبل خلقه قوله عز وجل ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن
يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما **اللغة** افترى اختلق وكذب واصله من فري الاديم يقال
فريت الاديم افريه فريا اذا قطعته على وجه الاصلاح وافريته على وجه الافساد **الاعراب** اثما عظيما منصوب على المصدر
لان افترى بمعنى اثم وهذا كما يقول حمد شكرا **النزول** قال الكلبي نزلت في المشركين وحشي واصحابه وذلك
انه لما قتل حمزة وكان قد جعل له على قتله ان يعتق فلم يوف له بذلك فلما قدم مكة ندم على صنيعه هو واصحابه
فكتبوا الى رسول الله صلى الله عليه وآله انا قد ندمنا على الذي صنعنا وليس يمنعنا عن الاسلام الا انا سمعناك
تقول وانت بمكة والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون الايتان
وقد دعونا مع الله الها آخر وقتلنا النفس التي حرم الله وزنينا فلولا هذه لاتبعناك فنزلت الا من تاب وآمن
وعمل صالحا الايتان فبعث بهما رسول الله صلى الله عليه وآله الى وحشي واصحابه فلما قرأوهما كتبوا اليه ان هذا
شرط شديد نخاف ان لا نعمل عملا صالحا فلا نكون من اهل هذه الاية فنزلت ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر
ما دون ذلك لمن يشاء فبعث بها اليهم فقرأوها فبعثوا اليه انا نخاف ان لا نكون من اهل مشيته فنزلت يا عبادي
الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا فبعث بها اليهم فلما قرأوها دخل
هو واصحابه في الاسلام ورجعوا الى رسول الله فقبل منهم ثم قال لوحشي اخبرني كيف قتلت حمزة فلما اخبره
قال ويحك غيب وجهك عني فلحق وحشي بعد ذلك بالشام وكان بها الى ان مات ابو مجلز عن ابن عمر انها
نزلت في المومنين وذلك انه لما نزلت قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم الاية قام النبي صلى الله عليه وآله
على المنبر فتلاها على الناس فقام اليه رجل فقال والشرك بالله فسكت ثم قام اليه مرتين او ثلثا فنزلت ان الله
لا يغفر ان يشرك به الاية فاثبتت هذه في الزمر وهذه في النساء وروى مطرف بن الشخير عن عمر بن الخطاب
قال كنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله اذا مات الرجل منا على كبيرة شهدنا عليه انه من اهل النار
حتى نزلت هذه الاية فامسكنا عن الشهادات **المعنى** ثم انه سبحانه ايأس الكفار من رحمته فقال ان الله لا يغفر
ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء معناه ان الله لا يغفر ان يشرك به احد ولا يغفر ذنب المشرك لاحد

ويغفر ما دون ذلك الشرك من الذنوب لمن يريد قال المحققون هذه الاية ارجى اية من القران لان فيها ادخال
ما دون الشرك من جميع المعاصي في مشية الغفران ووقف الله سبحانه المومنين الموحدين بهذه الاية بين الخوف
والرجاء وبين العدل والفضل وذلك صفة المومن ولذلك قال الصادق عليه السلم لو وزن رجاء المومن وخوفه
ويؤيده قوله سبحانه ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون ولا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون وروي عن
ابن عباس انه قال ثمان آيات نزلت في سورة النساء خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت قوله سبحانه يريد الله
ليبين لكم ويريد الله ان يخفف عنكم ان تجتنبوا كبائر ما تنهون ان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل سوءا او يظلم
نفسه ان الله لا يغفر ان يشرك به في الموضعين ما يفعل الله بعذابكم وبيان وجه الاستدلال بهذه الاية على
ان الله تعالى يغفر الذنوب من غير توبة انه نفى عنه ان الشرك ولم ينف غفرانه على كل حال بل نفى ان يغفره من غير
توبة لان الامة قد اجمعت على انه سبحانه يغفر بالتوبة وان كان الغفران مع التوبة عند المعتزلة على وجه الوجوب
وعندنا على وجه التفضل وعلى هذا يجب ان يكون المراد بقوله ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ان يغفر ما دون
الشرك من الذنوب بغير توبة لمن يشاء من المذنبين غير الكافرين وانما قلنا ذلك لان موضع الكلام الذي
يدخله النفي والاثبات وينضم اليه الاعلى والادون ان يخالف الثاني الاول الا ترى انه لا يحسن ان يقول الرجل
انا لا ادخل على الامير الا اذا دعاني وادخل على من دونه اذا دعاني وانما يكون الكلام مفيدا اذا قال وادخل على
من دونه وان لم يدعني ولا معنى لقول من يقول من المعتزلة ان في حمل الاية على ظاهرها وادخال ما دون
الشرك في المشية اغراء على المعصية لان الاغراء انما يحصل بالقطع على الغفران فاما اذا كان الغفران معلقا
بالمشية فلا اغراء فيه بل يكون العبد واقفا بين الخوف والرجاء على الصفة التي وصف الله عز اسمه بها عباده
المرتضين في قوله يدعون ربهم خوفا وطمعا ويحذر الاخرة ويرجوا رحمة ربه وبهذا وردت الاخبار الكثيرة من
طريق الخاص والعام وانعقد عليه اجماع سلف اهل الاسلام ومن قال ان في غفران ذنوب البعض دون
البعض ميلا ومحاباة ولا يجوز الميل والمحاباة على الله سبحانه فجوابه ان الله متفضل بالغفران وللمتفضل ان يتفضل
على قوم دون قوم وانسان دون انسان وهو عادل في تعذيب من يعذبه وليس يمنع العقل ولا الشرع
عن التفضل والعدل ومن قال منهم ان لفظة ما دون ذلك وان كانت عامة في الذنوب التي هي دون
الشرك فانما نخصها ونحملها على الصغائر او ما يقع منهم التوبة لاجل عموم ظاهر ايات الوعيد فجوابه انا نعكس
عليكم ذلك فنقول بل خصصوا ظاهر تلك الايات بعموم ظاهر هذه الاية وهذا اولى لما روي عن بعض السلف
انه قال ان هذه الاية استثناء على جميع القران يريد به والله اعلم جميع ايات الوعيد وايضا فان الصغائر تقع
عندكم محبطة لا يجوز المواخذة بها وما هذا حكمه فليست تتعلق بالمشية فان احدا لا يقول اني افعل الواجب
ان شئت واراد الوديعة ان شئت وقوله ومن يشرك بالله فقد افترى فقد كذب بقوله ان العبادة يستحقها غير الله
تعالى واثم اثما عظيما اي غير مغفور وجاءت الرواية عن امير المومنين علي عليه السلم انه قال ما في القران آية ارجى
عندي من هذه الاية قوله عز وجل الم تر الى الذين يزكون انفسهم بل الله يزكي من يشاء ولا يظلمون فتيلا انظر
كيف يفترون على الله الكذب وكفى به اثما مبينا **اللغة** التزكية التطهير والتنزيه وقد يكون الوصف بالتطهير
تزكية واصله الزكا وهو النمو يقال زكا الزرع يزكو زكاء وزكى الشي اذا نمى في اصلاح واصل الفتيل من الفتل وهو
لي الشي والفتيل معروف وناقة فتلاء اذا كان في ذراعها فتل عن الجنب والفتيل بمعنى المفتول وهو عبارة
عن الشي الحقير مثل النقير في قوله جمع الجيش ذا الالوف وغزو الاثر العدو فتيلا والنظر هو الاقبال الى الشي بالبصر ومنه

النظر بالقلب لانه اقبال على الشئ بالقلب وكذلك النظر بالوجه والنظر الى الشئ المامول والانتظار الاقبال على الشئ بالتوقع
والمناظرة اقبال كل واحد على الاخر بالمحاجة والنظير مثل الشئ لاقباله على نظيره بالمماثلة والفرق بين النظر والروية
ان الروية هي ادراك المرئي والنظر الاقبال بالبصر نحو المرئي ولذلك قد ينظره ولا يراه ولذلك يجوز ان تقول لله تعالى
راى ولا يقال ناظر الاعراب فتيلا منصوب على انه مفعول ثان بقولك ظلمته حقه قال علي بن عيسى ويحتمل ان يكون
نصبا على التمييز كقولك تصببت عرقا النزول قيل نزلت في رجال اليهود اتوا باطفالهم الى النبي صلى الله عليه وآله فقالوا
هل على هولاء من ذنب فقال لا قالوا والله ما نحن الا كهيئتهم ما عملنا بالنهار كفر عنا بالليل وما عملنا بالليل كفر عنا بالنهار
فكذبهم الله تعالى عن الكلبي وقيل نزلت في اليهود والنصارى حين قالوا نحن ابناء الله واحباوه وقالوا لن يدخل
الجنة الا من كان هودا او نصارى عن الحسن والضحاك وقتادة والسدي وهو المروي عن ابي جعفر ع المعنى ثم
ذكر سبحانه تزكية هولاء انفسهم مع كفرهم وتحريفهم الكتاب فقال الم تر الم تعلم وقيل الم تخبر وهو سوال على وجه
الاعلام وتاويله اعلم قصتهم الم ينته علمك الى هولاء الذين يزكون انفسهم اى يمدحونها ويصفونها بالزكاء والطهارة
بان يقولوا نحن ازكياء وقيل هو تزكية بعضهم بعضا عن ابن مسعود وانما قال يزكون انفسهم لانهم على دين اليهود
بل يعذبهم ولا يظلمون فتيلا معناه لا يظلمون في تعذيبهم وترك تزكيتهم فتيلا اى مقدار فتيل وذكر الفتيل
مثلا واختلف في معناه فقيل ما يكون في شق النواة عن ابن عباس ومجاهد وقيل الفتيل ما في بطن النواة والنقير
ما على ظهرها والقطمير قشرها عن الحسن وقيل الفتيل ما فتلته بين اصبعيك من الوسخ عن ابن عباس وابي مالك
والسدي وفي هذه الآية دلالة على تنزيه الله سبحانه عن الظلم وانما ذكر الفتيل ليعلم انه لا يظلم قليلا ولا كثيرا انظر
يا محمد كيف يفترون على الله الكذب في تحريفهم كتابه وقيل في تزكيتهم انفسهم وقولهم نحن ابناء الله واحباوه وان
يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى عن ابن جريج وكفى به اى بزعمهم وانما يقال كفى به في العظم على جهة المدح
او الذم فيقال كفى بحال المومن حزنا فكانه قيل ليس يحتاج الى حال اعظم منه ويحتمل ان يكون معناه كفى هذا اثما
اى ليس يقصر عن منزلة الاثم قوله عز وجل الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يومنون بالجبت والطاغوت ويقولون
للذين كفروا هولاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا اولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد
له نصيرا آية اللغة الجبت لا تصريف له في اللغة العربية وروي عن سعيد بن جبير انه قال هو الساحر بلغة الحبشة وهذا
يحمل على موافقة اللغتين او على ان العرب ادخلوها في لغتهم فصارت لغة لهم واللعن الابعاد من رحمة الله عقابا
على معصية فلذلك لا يجوز لعن البهائم ولا من ليس بعاقل من المجانين والاطفال لانه سوال العقوبة لمن لا يستحقها
فمن لعن بهيمة او حشرة او نحو ذلك فقد اخطا لانه سال من الله تعالى ما لا يجوز في حكمته فان قصد بذلك
الابعاد لا على وجه العقوبة جاز الاعراب سبيلا منصوب على التمييز كما تقول هذا احسن منك وجها واولئك لفظه
جمع واحده ذا في المعنى كما يقال نسوة في جمع امراة وعلت على اولاها التي للتنبيه وليس ذلك اولئك لان في
حرف الخطاب منها للمخاطب فصار الكاف معاقبا لها اى للتنبيه في اكثر الاستعمال النزول قيل كان ابو برزة
كاهنا في الجاهلية فتنافر اليه ناس ممن اسلم فنزلت الآية عن عكرمة وقيل وهو قول اكثر المفسرين ان كعب بن الاشرف
خرج في سبعين راكبا من اليهود الى مكة بعد وقعة احد ليحالفوا قريشا على رسول الله صلى الله عليه وآله وينقضوا
العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وآله فنزل كعب على ابي سفيان فاحسن مثواه ونزلت اليهود
في دور قريش فقال اهل مكة انكم اهل كتاب ومحمد صاحب كتاب فلا نامن ان يكون هذا مكرا منكم فان اردت
ان نخرج معك فاسجد لهذين الصنمين وآمن بهما ففعل فذلك قوله يومنون بالجبت والطاغوت ثم قال كعب

يا اهل مكة ليجي منكم ثلاثون ومنا ثلاثون فنلزق اكبادنا بالكعبة فنعاهد رب البيت لنجهدن على محمد ففعلوا
ذلك فلما فرغوا قال ابو سفيان لكعب انك امرؤ تقرء الكتاب وتعلم ونحن اميون لا نعلم فاينا اهدى طريقا واقرب
الى الحق نحن ام محمد فقال كعب اعرضوا علي دينكم فقال ابو سفيان نحن ننحر للحجيج الكوماء ونسقيهم الماء ونقري الضيف
ونفك العاني ونصل الرحم ونعمر بيت ربنا ونطوف به ونحن اهل الحرم ومحمد فارق دين ابائه وقطع الرحم وفارق
الحرم ودينا القديم ودين محمد الحديث فقال كعب انتم والله اهدى سبيلا مما عليه محمد فانزل الله تعالى الم تر
الى الذين اوتوا نصيبا من اهل الكتاب المعنى ثم عجب نبيه من كعب بن الاشرف وجماعة من اليهود الذين كانوا
معه بين الله سبحانه افعالهم القبيحة وضمها الى ما عدده فيما تقدم فقال يومنون بالجبت والطاغوت يعني بهما
الصنمين اللذين كانا لقريش وسجد لهما كعب بن الاشرف ويقولون للذين كفروا لابي سفيان واصحابه هولاء
اهدى من الذين آمنوا واصحابه سبيلا الى دينا عن عكرمة وجماعة من المفسرين وقيل ان المعني بالآية حيي
بن اخطب وكعب بن الاشرف وسلام بن الحقيق وابو رافع في جماعة علماء اليهود والجبت الاصنام التي
كانوا يتكهنون بالكذب بعضها عن ابن عباس وقيل الجبت الساحر والطاغوت الشيطان عن ابن زيد وقيل الجبت
السحر عن مجاهد والشعبي وقيل الجبت الساحر والطاغوت الكاهن عن ابي العالية وسعيد بن جبير وقيل
الجبت ابليس والطاغوت اولياؤه وقيل هما كل ما عبد من دون الله تعالى من صورة او شيطان عن ابي عبيدة وقيل
الجبت هاهنا حيي بن اخطب والطاغوت كعب بن الاشرف عن الضحاك وبعض الروايات عن ابن عباس والمراد
بالسبيل في الآية الدين وانما سمي سبيلا لانه كالطريق في الاستمرار عليه ليودي الى المقصود اولئك اشارة الى
الذين تقدم ذكرهم الذين لعنهم الله اى ابعدهم من رحمته واخزاهم وخذلهم واقصاهم ومن يلعن الله اى
ومن يلعنه الله فلن تجد له نصيرا اى معينا يدفع عنه عقاب الله تعالى الذي اعده له وقيل فلن تجد له نصيرا
في الدنيا والآخرة لانه لا يعتد بنصرة من ينصره مع خذلان الله تعالى اياه قوله عز وجل ام لهم نصيب من الملك
فاذا لا يوتون الناس نقيرا ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل ابرهيم الكتاب
والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيرا ثلث آيات اللغة النقير
من النقر وهو النكت ومنه المنقار لانه ينقر به والناقور الصور لانه ينقر فيه بالنفخ المصوت والنقير خشبة
ينقر وينبذ فيها وانتقر اختص كما يختص بالنقر واحدا واحدا قال طرفة نحن في المشتاة ندعو الجفلى لا ترى الادب
فينا ينتقر والحسد هو تمني زوال النعمة عن صاحبها لما يلحق من المشقة في نيله لها وهو خلاف الغبطة تمني مثل
تلك النعمة لاجل السرور بها ولهذا صار الحسد مذموما والغبطة محمودة وقيل ان الحسد من افراط البخل لان البخل منع
النعمة لمشقة بذلها والحسد تمني زوالها لمشقة نيل صاحبها والعمل فيها على المشقة بنيل النعمة واصل السعير السعر
وهو اتقاد النار واستعرت النار والحرب والسعر سعرتها واسعرتها وسعرتها والسعر سعر المتاع وسعره تسعيرا وذلك
لاستعار السوق بحالها في البيع والساعور كالتنور الاعراب ام هذه هي المنقطعة وليست المعادلة لهمزة الاستفهام
وفيه الكلام لان ام لا يجي مبتداة بها وتقديره اهم اولى بالنبوة ام لهم نصيب من الملك فيلزم الناس طاعتهم
وهذا ضعيف لان حذف الهمزة انما يجوز في ضرورة الشعر ولا ضرورة في القرآن واذن لم يعمل في يوتون لانها اذا
وقعت بين الفاء والفعل او بين الواو والفعل جاز ان تقدر متوسطة فتلغى كما يلغى ظننت واخواتها اذا توسطت
او تاخرت لان التقدير فلا يوتون الناس نقيرا اذن ولا يلبثون خلفك الا قليلا اذن ويجوز ان
تقدر مستانفة فتعمل مع حرف العطف فلو قرئ فاذا لا يوتوا الناس لجاز لكن القراءة سنة متبعة واذن لا تعمل

في الفعل النصب الا بشروط اربعة ان يكون جوابا للكلام وان يكون مبتدءة في اللفظ وان
لا يكون ما بعدها متعلقة بما قبلها وان يكون الفعل بعدها مستقبلا المعنى لما حكم اليهود بان المشركين اهدى من النبي
واصحابه بين الله سبحانه بان الحكم ليس اليهم اذ الملك ليس لهم فقال ام لهم نصيب من الملك وهذا استفهام معناه الانكار
اي ليس لهم ذلك وقيل المراد بالملك هنا النبوة عن الجبائي اي الهم نصيب من النبوة فيلزم الناس اتباعهم وطاعتهم
وقيل المراد بالملك ما كانت اليهود يدعيه من ان الملك يعود اليهم في آخر الزمان وانه يخرج منهم من يجدد ملكهم
ويدعو الى دينهم فكذبهم الله تعالى واذا لا يؤتون الناس نقيرا اي لو اعطوا الدنيا وملكها لما اعطوا الناس من الحقوق
قليلا ولا كثيرا وفي تفسير ابن عباس لو كان لهم نصيب من الملك ما اعطوا محمدا صلى الله عليه وآله واصحابه شيئا وقيل
انهم كانوا اصحاب بساتين واموال وكانوا لا يعطون الفقراء شيئا ام يحسدون الناس معناه بل يحسدون
الناس واختلف في معنى الناس هنا فقيل اراد به النبي صلى الله عليه وآله حسدوه على ما آتاه الله تعالى من النبوة
واباحة تسع نسوة وميله اليهن وقالوا لو كان نبيا لشغلته النبوة عن ذلك فبين سبحانه ان النبوة ليست ببدع
في آل ابرهيم فقد آتينا آل ابرهيم الكتاب والحكمة يعني النبوة وقد آتينا داود وسليمن المملكة وكان لداود تسع
وتسعون امراة وسليمن مائة امراة وقال بعضهم كان لسليمن الف امراة سبعمائة سرية وثلثمائة امراة وكان لداود
مائة امراة فلا معنى لحسدكم محمدا على هذا وهو من اولاد ابرهيم وهم كانوا اكثر تزوجا واوسع مملكة منه عن ابن
عباس والضحاك والسدي وقيل انما كان قوام الدين به صار حسدهم له كالحسد لجميع الناس وثانيها ان المراد
بالناس النبي صلى الله عليه وآله عن ابي جعفر ع والمراد بالفضل فيه النبوة وفي آله الامامة وفي تفسير العياشي
باسناده عن ابي الصباح الكناني قال قال ابو عبد الله عليه السلم يا ابا الصباح نحن قوم فرض الله طاعتنا لنا
الانفال ولنا صفو الاموال ونحن الراسخون في العلم ونحن المحسودون الذين قال الله في كتابه ام يحسدون الناس
الآية وثالثها محمد واصحابه لانه قد جرى ذكرهم في قوله هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا ومن فضله من نعمته
عن ابي علي الجبائي ورابعها ان المراد بالناس العرب اي يحسدون العرب لما صارت النبوة فيهم عن الحسن وقتاده
وابن جريج وقيل المراد بالكتاب التوراة والزبور والانجيل وبالحكمة ما اوتوا من العلم وقوله وآتيناهم ملكا عظيما
المراد بالملك العظيم النبوة عن مجاهد والحسن وقيل الملك العظيم ملك سليمن عن ابن عباس وقيل ما احل لداود
وسليمن من النساء عن السدي وقيل الجمع من سياسة الدنيا والشرع المبين فمنهم من آمن به فيه قولان احدهما
ان المراد من اهل الكتاب من آمن بمحمد ومنهم من صد عنه اي اعرض عنه ولم يؤمن عن مجاهد والزجاج والجبائي
ووجه اتصال هذا المعنى بالآية انهم مع هذا الحسد وغيره من اعمالهم القبيحة قد آمن بعضهم به والآخر ان المراد
فمن امة ابرهيم من آمن بابرهيم ومنهم من اعرض عنه كما انكم في امر محمد كذلك وليس ذلك بموهن امره كما لم يكن
اعراضهم عن ابرهيم موهنا امر ابرهيم وكفى بجهنم سعيرا اي كفى هؤلاء المعرضين عنه في النار بهم عذاب جهنم نارا
موقدة ايقادا شديدا يريد بذلك انه ان صرف عنهم بعض العذاب في الدنيا فقد اعد لهم عذاب جهنم في العقبى
قوله عز وجل ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا
العذاب ان الله كان عزيزا حكيما والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها ابدا لهم فيها ازواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا آيتان اللغة يقال اصليته النار اذا القيته فيها
وصليته صليا اذا شويته وشاة مصلية مشوية والصلي السواد صلي فلان بشر فلان والتبديل التغيير يقال
ابدلت الشيء اذا ازلت عينه بعينه كما قال الشاعر عزل الامير بالامير المبدل وبدلت بالتشديد اذا غيرت هيئته

235

والعين واحد يقولون بدلت جبتي قميصا ذكره المغربي وقد يكون التبديل بان توضع غيره موضعه قال الله عز اسمه
يوم تبدل الارض غير الارض والظل اصله الستر من الشمس قال رؤبة كل موضع يكون فيه الشمس فتزول عنه فهو
ظل وفيء وما سوى ذلك لا يقال فيء والظل الظليل كانه كالستر من الشمس والظلة السترة والظليل الكنين المعنى
لما تقدم ذكر المؤمن والكافر عقبه بذكر الوعد والوعيد على الايمان والكفر فقال ان الذين كفروا بآياتنا اي جحدوا
حججنا وكذبوا انبياءنا ودفعوا الآيات الدالة على توحيدنا وصدق نبينا سوف نصليهم نارا اي نلزمهم
نارا نحرقهم فيها ونعذبهم بها ودخلت سوف لتدل على انه يفعل ذلك بهم في المستقبل كلما نضجت جلودهم بدلناهم
جلودا غيرها قيل فيه اقوال احدها ان الله سبحانه يجدد لهم جلودا غير الجلود التي احترقت على ظاهر القرآن في انها
غيرها عن قتاده وجماعة من المفسرين واختاره علي بن عيسى ومن قال على هذا ان الجلد المجدد لم يذنب فكيف
يعذب من لا يستحق العذاب وجوابه ان المعذب الحي ولا اعتبار بالاطراف والجلود وقال علي بن عيسى انما
يزاد لا يألم ولا هو بعض لما يألم بالمرء انما هو شيء يصل منه الالم الى المستحق له وثانيها ان الله سبحانه يجددها بان يردها
الى الحالة التي كانت عليها غير محترقة كما يقال جئتني بغير ذلك الوجه اذا كان قد تغير وجهه من الحالة الاولى كما
انك لو كسرت الخاتم فاتخذت منه خاتما آخر يقال هذا غير الخاتم الاول وان كان اصلهما واحدا فعلى هذا يكون الجلد واحدا
وانما تغير الاحوال عليه وهو اختيار الزجاج والبلخي وابي علي الجبائي وثالثها ان التبديل انما هو للسرابيل التي
ذكرها الله سبحانه سرابيلهم من قطران وسميت السرابيل الجلود على المجاورة للزومها الجلود وهذا ترك للظاهر
بغير دليل وعلى القولين الاخيرين لا يلزم سؤال التعذيب لغير العاصي فاما من قال الانسان غير هذه الجملة المشاهدة
وانه المعذب في الحقيقة فقد تخلص من هذا السؤال وقوله ليذوقوا العذاب معناه ليجدوا الم العذاب
وانما قال ذلك ليبين انهم كالمبتدء عليهم العذاب في كل حال فيحسون في كل حال الما لكن يحس به الحي فانه يعبر اخف
عليه ان الله كان عزيزا اي لم يزل منيعا لا يدافع ولا يمانع وقيل معناه انه قادر لا يمتنع عليه انجاز ما يوعدهم
او وعده حكيما في تدبيره وتقديره وفي تعذيب من يعذبه وروى الكلبي عن الحسن قال بلغنا ان جلودهم
تنضج كل يوم سبعين الف مرة والذين آمنوا بكل ما يجب به وعملوا الصالحات اي الطاعات الخالصة
سندخلهم جنات تجري من تحتها اي من تحت اشجارها وقصورها الانهار اي ماء الانهار خالدين فيها اي
دائمين فيها ابدا لهم فيها ازواج مطهرة طهرت من الحيض والنفاس ومن جميع المعايب والادناس والاخلاق
الدنية والطباع الردية ولا يفعلن ما يوحش ازواجهن ولا يوجد فيهن ما ينفر عنهن وندخلهم مع ذلك ظلا
ظليلا اي كنينا ليس فيه حر ولا برد بخلاف ظل الدنيا وقيل ظلا دائما لا تنسخه الشمس كما في الدنيا وقيل ظلا
متمكنا قويا كما يقال يوم ايوم وليل اليل وداهية دهياء يصفون الشيء بمثل لفظه اذا ارادوا المبالغة قوله
عز وجل ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ان الله نعما يعظكم
به ان الله كان سميعا بصيرا آية القراءة قد ذكرنا الاختلاف بين القراء في نعما ووجوه قراءتهم وحججها في سورة البقرة
اللغة يقال اديت الشيء تادية وقد يوضع الاداء موضع التادية فيلزم الاسم مقام المصدر والله السميع هو من
كان على صفة يجب لاجلها ان يسمع المسموعات اذا وجدت والبصير من كان على صفة يجب لاجلها ان يبصر المبصرات اذا
وجدت والسامع هو المدرك للمسموعات والمبصر المدرك للمبصرات وبهذا يوصف القديم سبحانه فيما لم يزل انه
سميع بصير ولا يوصف في العدم بانه سامع مبصر الاعراب قوله نعما يعظكم به تقديره نعم شيئا شيئا يعظكم به فيكون
شيئا تمييزا للاسم الجنس المضمر الذي هو فاعل نعم والمخصوص بالمدح قد حذف واقيمت صفته مقامه وقوله نعما

به في موضع رفع بانه فاعل نعم المعنى ثم امر سبحانه باداء الامانة فقال ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها
قيل في المعنى بهذه الآية اقوال احدها انه في كل من اوتمن امانة من الامانات امانات الله تعالى اوامره ونواهيه وامانات
عباده فيما يأتمن بعضهم بعضا من المال وغيره عن ابن عباس وغيره ابي بن كعب وابن مسعود والحسن وقتادة
وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلم وثانيها ان المراد به ولاة الامر امرهم الله سبحانه ان يقوموا
برعاية الرعية وحملهم على موجب الدين والشريعة عن زيد بن اسلم ومكحول وشهر بن حوشب وهو اختيار الجبائي
وروى اصحابنا عن ابي جعفر الباقر عليه السلم وابي عبد الله الصادق عم قالا امر الله سبحانه كل واحد من الائمة
ان يسلم الامر الى من بعده ويعضده انه سبحانه امر الرعية بعد هذا بطاعة ولاة الامر فروى عنهم عم انهم قالوا
آيتان احداهما لنا والاخرى لكم قال الله سبحانه ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الآية ثم قال يا ايها الذين
آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم الآية وهذا القول داخل في القول الاول لانه مما حمل
ما ائتمن الله سبحانه عليه الائمة الصادقين ولذلك قال ابو جعفر ان اداء الصلوة والزكوة والصوم والحج من
الامانة ويكون من جملتها الامر لولاة الامر بقسم الصدقات والغنائم وغير ذلك مما يتعلق به حق الرعية
وقد عظم الله سبحانه امر الامانة بقوله خائنة الاعين وقوله لا تخونوا الله والرسول وقوله ومن اهل الكتاب
من ان تامنه الآية وثالثها انه خطاب للنبي صلى الله عليه وآله برد مفتاح الكعبة الى عثمن بن طلحة حين قبض
منه المفتاح يوم فتح مكة واراد ان يدفعه الى العباس ليكون له الحجابة والسقاية عن ابن جريج والمعول
على ما تقدم وان صح القول الاخير والرواية فيه فقد دل الدليل على ان الامر اذا ورد على سبب لا يجب قصره
عليه بل يكون على عمومه واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل امر الله الولاة والحكام ان يامروا بالعدل
والنصفة ونظيره قوله يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق وروي ان النبي صلى الله
عليه وآله قال لعلي عليه السلم سو بين الخصمين في لحظك ولفظك وورد في الآثار ان صبيين ارتفعا الى الحسن بن علي
في خط كتباه وحكماه في ذلك ليحكم اي الخطين اجود فبصر به علي عليه السلم فقال يا بني انظر كيف تحكم هذا
حكم الله سائلك عنه يوم القيمة ان الله نعما يعظكم به اي نعم الشيء ما يعظكم به من الامر برد الامانة والنهي عن
الخيانة والحكم بالعدل ومعنى الوعظ الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقيل هو الامر بالخير والنهي عن الشر
ان الله كان سميعا لجميع المسموعات بصيرا بجميع المبصرات وقيل معناه عالم باقوالكم وافعالكم وانما ذكر ذلك هنا
على ان هذه الصفة واجبة له فيما لم يزل قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي
الامر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير واحسن
تاويلا آية المعنى لما بدأ سبحانه في الآية المتقدمة بحث الولاة على اداء حقوق الرعية والنصفة والتسوية
بين البرية ثناه في هذه الآية بحث الرعية على طاعتهم والاقتداء بهم والرد اليهم فقال يا ايها الذين آمنوا
اطيعوا الله اي الزموا طاعة الله سبحانه فيما يامركم به وينهاكم عنه واطيعوا الله واطيعوا الرسول اي والزموا
طاعة رسوله ايضا وانما افرد الامر بطاعة الرسول وان كانت طاعته مقرونة بطاعة الله سبحانه مبالغة
في البيان وقطعا لتوهم من توهم انه لا يجب لزوم ما ليس في القرآن من الاوامر ونظيره في قوله سبحانه من
يطع الرسول فقد اطاع الله وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وما ينطق عن الهوى وقيل معناه
اطيعوا الله في الفرائض والرسول في السنن عن الكلبي والاول اصح لان طاعة الرسول هي طاعة الله وامتثال
اوامره امتثال اوامر الله واما المعرفة بانه رسول فهو معرفة برسالته ولا يتم ذلك الا بعد معرفة الله تعالى

236
وليست احداهما تلو الاخرى وطاعة الرسول واجبة في حياته وبعد وفاته لان اتباع شرعه لازم بعد وفاته لجميع المكلفين
ومعلوم ضرورة انه دعا اليها جميع العالمين الى يوم القيمة كما علم انه رسول الله اليهم اجمعين قوله واولي الامر منكم للمفسرين
فيه قولان احدهما انهم الامراء عن ابي هريرة وابن عباس في احدى الروايتين وميمون بن مهران والسدي واختاره
الجبائي والبلخي والطبري والآخر انهم العلماء عن جابر بن عبد الله وابن عباس في الرواية الاخرى ومجاهد والحسن وعطا
وجماعة وقال بعضهم لانهم الذين يرجع اليهم في الاحكام ويجب الرجوع عند التنازع دون الولاة واما اصحابنا فانهم رووا
عن الباقر عليه السلم والصادق عم ان اولي الامر هم الائمة من آل محمد صلى الله عليه وآله اوجب الله طاعتهم بالاطلاق كما اوجب
طاعته وطاعة رسوله ولا يجوز ان يوجب الله سبحانه طاعة احد على الاطلاق الا من ثبتت عصمته وعلم ان ظاهره كباطنه
وامن منه الغلط والامر بالقبيح وليس ذلك بحاصل في الامراء ولا العلماء سواهم جل الله سبحانه ان يامر بطاعة من يعصيه او
بالانقياد للمختلفين في القول والفعل لانه محال ان يطاع المختلفون كما انه محال ان يجتمع فيما اختلفوا فيه ومما يدل على ذلك
ايضا ان الله سبحانه لم يقرن طاعة اولي الامر بطاعة رسوله كما قرن طاعة رسوله بطاعته الا واولوا الامر فوق الخلق
جميعا كما ان الرسول فوق اولي الامر وفوق سائر الخلق وهذه صفة ائمة الهدى من آل محمد صلى الله عليه وآله
الذين ثبتت امامتهم وعصمتهم واتفقت الامة على علو رتبتهم وعدالتهم فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والى الرسول
معناه فان اختلفتم في شيء من امور دينكم فردوا التنازع فيه الى كتاب الله وسنة الرسول وهو قول مجاهد وقتادة
والسدي ونحن نقول الرد الى الائمة القائمين مقام الرسول عليه السلم بعد وفاته وهو مثل الرد الى الرسول في حياته
لانهم الحافظون لشريعته وخلفاؤه في امته فجروا مجراه فيه ثم اكد سبحانه ذلك وعظمه بقوله ان كنتم تؤمنون بالله
واليوم الآخر فانه في هذا المعنى واوضح ذلك اشارة الى طاعة الله ورسوله واولي الامر والرد الى الله والرسول
خير لكم واحسن تاويلا اي احمد عاقبة عن قتادة والسدي وابن زيد قالوا لان التاويل من آل يؤول اذا رجع
والمآل المرجع والعاقبة سمي تاويلا لانه مآل الامر وقيل معناه احسن جزاء عن مجاهد وقيل خير لكم في الدنيا والآخرة
وقيل معناه احسن من تاويلكم انتم اياه من غير رد الى اصل من كتاب الله وسنة نبيه عن الزجاج وهو الاقوى
لان الرد الى الله ورسوله ومن يقوم مقامه من المعصومين احسن لا محالة من تاويل بغير حجة واستدل
بعضهم بقوله فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول على ان اجماع الامة حجة فان قالوا انما اوجب الله الرد
الى الكتاب والسنة بشرط وجود التنازع فدل على انه اذا لم يوجد التنازع لا يجب الرد ولا يكون كذلك الا
والاجماع وهذا الاستدلال انما يصح لو فرض ان في الامة معصوما حافظا للشرع فاما اذا لم يفرض ذلك فلا يصح
لان تعلق الحكم بشرط او صفة لا يدل على ان ما عداه بخلافه عند اكثر العلماء فكيف اعتمدوا عليها على ان الامة لا تجمع
على شيء الا عن كتاب او سنة فكيف يقال اذا اجمعت على شيء لا يجب عليها الرد الى الكتاب او السنة وقد ردت اليهما قوله
عز وجل الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت
وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول
رايت المنافقين يصدون عنك صدودا آيتان اللغة الطاغوت ذو الطغيان على جهة المبالغة في الصفة وكل من
يعبد من دون الله فهو طاغوت وقد تسمى به الاوثان كما تسمى بانها رجس من عمل الشيطان ويوصف به ايضا من طعن بان حكم
خلاف الله تعالى واصل الضلال الهلاك بالعدول عن الطريق المؤدي الى البغية لانه ضد الهدى الذي هو الدلالة
على الطريق المؤدي الى البغية وله تصرف كثير يرجع جميعه الى هذه النكتة في سورة البقرة عند قوله وما يضل به الا الفاسقين
وتعالوا اصله من العلو اذا قلت لغيرك تعال معناه ارتفع الى الشيء وصددت الاصل فيه ان لا يتعدى تقول صد

عن فلان اصدّ بمعنى اعرضت عنه ويجوز صددت فلانا عن فلان بالتعدى لانه دخله معنى منعته منه ومثله رجعت
انا ورجعت غيري لانه دخله معنى رددته **الاعراب** صدودا نصب على المصدر على جهة التاكيد للفعل كقوله وكلم الله
موسى تكليما والمعنى انه ليس ذلك على باب مثل الكلام بل حكمته فى الحقيقة وقيل فى معنى تكليما انه كلمه تكليما تشريفا
عظيما ويمكن تقدير مثل ذلك فى الآية اى يصدون عنك صدودا عظيما **النزول** كان بين رجل من اليهود ورجل
من المنافقين خصومة فقال اليهودى حاكمنى الى محمد صلى الله عليه وآله علم انه لا يقبل الرشوة ولا يجور فى الحكم فقال
المنافق لا بل بينى وبينك كعب بن الاشرف لانه علم انه ياخذ الرشوة فنزلت الآية عن اكثر المفسرين **المعنى** لما امر الله سبحانه
اولى الامر بالحكم بالعدل وامر المسلمين بطاعتهم وقبل ذلك ذكر المنافقين الذين لا يرضون بحكم الله ورسوله
فقال الم تر اى الم تعلم وقيل انه تعجيب اى الم تتعجب من صنع هؤلاء وقيل الم ينته علمك الى هؤلاء الذين يزعمون
انهم آمنوا بما انزل اليك من القرآن وما انزل من قبلك من التوراة والانجيل يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت
يعنى كعب بن الاشرف عن ابن عباس ومجاهد والربيع والضحاك وقيل انه كاهن من جهينة اراد المنافق ان يتحاكم
اليه عن الشعبى وقتادة وقيل اراد به ما كانوا يتحاكمون فيه الى الاوثان بضرب القداح عن الحسن وروى اصحابنا
عن السيدين الباقر والصادق عليهما السلام ان المعنى به كل من يتحاكم اليه ممن يحكم بغير الحق وقد امروا ان يكفروا به
قوله سبحانه فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها ويريد الشيطان ان يضلهم
ان يضلهم ضلالا بعيدا عن الحق بسبب اضلاله الى الشيطان فلو كان الله سبحانه اضلهم لخلق الضلال فيهم على ما تقوله
المجبرة لم ينسب اضلالهم اليه نفسه دون الشيطان تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا واذا قيل لهم اى المنافقين تعالوا
الى ما انزل الله فى القرآن من الاحكام والى الرسول فى حكمه يصدون عنه صدودا اى يعرضون عنك اى عن المصير
اليك الى غيرك اعراضا قوله عز وجل فكيف اذا اصابتهم مصيبة بما قدمت ايديهم ثم جاؤك يحلفون بالله ان اردنا
الا احسانا وتوفيقا اولئك الذين يعلم الله ما فى قلوبهم فاعرض عنهم وعظهم وقل لهم فى انفسهم قولا بليغا آيتان اللغة
الحلف القسم ومنه الحلف لتحالفهم فيه على الامر اصل البلاغة البلوغ يقال بلغ الرجل بالقول يبلغ بلاغة
فهو بليغ اذا كان يبلغ بعبارته كنه ما فى قلبه ويقال احمق بلغ وبلغ اذا كان مع حماقته يبلغ حيث يريد وقيل معناه
قد بلغ فى الحماقة **الاعراب** موضع كيف رفع بانه خبر لمبتدء محذوف والتقدير كيف صنعهم اذا اصابتهم مصيبة
كانه قال الاساءة صنعهم بالجراءة على كذبهم ام الاحسان صنعهم بالتوبة من جرمهم ويجوز ان يكون موضع كيف
نصبا وتقديره كيف تكونون ام مصرين ام تائبين تكونون ولو قلت انه رفع على معنى كيف بك كانه قال اصلاح
بك ام فساد بك فتكون مبتدء محذوف الخبر ويحلفون فى موضع نصب على الحال وان اردنا الا احسانا جواب القسم
واحسانا مفعول به اى اردنا احسانا **المعنى** ثم عطف سبحانه على ما تقدم بقوله فكيف صنع هؤلاء اذا اصابتهم
مصيبة اى نالتهم من الله سبحانه عقوبة ثم جاؤك يا محمد يحلفون يقسمون بالله ان اردنا الا احسانا اى ما اردنا
بتحاكمنا الى غيرك الا التخفيف عنك فانا نحتشمك برفع الصوت فى مجلسك ونقتصر على من يتوسط لنا برضى الخصمين
دون الحكم المورث للضغائن قوله الا احسانا اى احسانا الى الخصوم وتوفيقا بينهم بالتماس التوسط دون الحمل
على مر الحكم واراد بالتوفيق الجمع والتاليف وقيل توفيقا اى طلبا لما يوافق الحق وقيل ان المعنى بالآية عبد الله بن ابى
والمصيبة ما اصابه من الذل حين رجعوا من غزاة بنى المصطلق وهى غزوة المريسيع حين نزلت سورة المنافقين فاضطر
الى الخشوع والاعتذار وسنذكر ذلك ان شاء الله فى سورة المنافقين او مصيبة الموت لما تضرع الى الرسول الله فى الانابة
والاستغفار واستوهب ثوبه ليتقى به النار فيقولون ما اردنا بالكلام بين الفريقين المتنازعين فى غزاة بنى المصطلق

ذكره الحسن بن على المغربى وفى الآية دلالة على انه تصيب المصيبة بما يكتسبه العبد من الذنوب ثم اختلف فى
ذلك فقال ابو على الجبائى لا يكون ذلك الا عقوبة الا فى التائب وقال ابو هاشم يكون ذلك لطفا وقال القاضى عبد الجبار
يكون ذلك لطفا وقد يكون جزاء وهو موقوف على الدليل اولئك الذين يعلم الله ما فى قلوبهم الشرك والنفاق
والخيانة فاعرض عنهم اى لا تعاقبهم وعظهم بلسانك وقل لهم فى انفسهم قولا بليغا اى قل لهم ان اظهرتم ما فى قلوبكم
من النفاق قتلتم فهذا هو القول البليغ لانه يبلغ من نفوسهم كل مبلغ عن الحسن وقيل معناه فاعرض عن قبول
الاعتذار منهم وعظهم مع ذلك وخوفهم بمكاره تنزل بهم فى انفسهم ان عادوا لمثل ما فعلوه عن ابى على الجبائى وفى
قوله سبحانه وقل لهم فى انفسهم قولا بليغا دلالة على فضل البلاغة وحث على اعتمادها وبيان لكونها احد اقسام
الحكمة لما فيها من بلوغ المعنى الذى يحتاج الى التعبير باللفظ الوجيز مع حسن الترتيب قوله عز وجل ٥ د
وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول
لوجدوا الله توابا رحيما آية **الاعراب** ما فى قوله وما ارسلناك ما نفيه فلذلك قال من رسول لان من لا تزاد
فى الايجاب وزيادتها تؤذن باستغراق الكلام كقولك ما جاءنى من احد ولو موضوعة للفعل لما فيها من معنى
الجزاء تقول لو كان كذا لكان كذا ولا يلى بعدها الا ان خاصة وانما اختصت ان خاصة ان تقع بعدها لانها
كالفعل فى افادة التاكيد فموضع ان بعد لو مع اسمها وخبرها رفع بكونه فاعل الفعل المضمر بعد لو وتقديره
لو وقع انهم جاؤك وقت ظلمهم انفسهم اى لو وقع مجيئهم **المعنى** ثم لام سبحانه على ردهم امره وذكر ان غرضه
من البعثة الطاعة فقال وما ارسلنا من رسول اى لم نرسل رسولا من رسلنا الا ليطاع عنى به
ان الغرض من الارسال ان يطاع الرسول ويمتثل ما يامر به وانما اقتضى ذكر طاعة الرسول هنا ان هؤلاء
المنافقين الذين تحاكموا الى الطاغوت زعموا انهم يؤمنون به واعرضوا عن طاعته فبين الله سبحانه انه لم يرسل
رسولا الا ليطاع وقوله باذن الله اى بامر الله الذى دل به على وجوب طاعتهم والاذن على وجوه احدها
يكون بمعنى اللطف كقوله تعالى وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله وثانيها التخلية كقوله تعالى وما هم
بضارين به من احد الا باذن الله وثالثها بمعنى الامر كما فى الآية ولو انهم اذ ظلموا انفسهم اى بخسوها حقها
بادخال الضرر عليها بفعل المعصية من استحقاق العقاب وتفويت الثواب بفعل الطاعة وقيل ظلموا انفسهم
بالكفر والنفاق جاؤك تائبين مقبلين عليك مؤمنين بك فاستغفروا الله لذنوبهم ونزعوا عما هم عليه
واستغفر لهم الرسول رجع من لفظ الخطاب فى قوله جاؤك الى لفظ الغيبة جريا على عادة العرب المألوفة
واستغفرت لهم يا محمد ذنوبهم اى سالت الله تعالى ان يغفر لهم ذنوبهم لوجدوا الله هذا على معنيين احدهما
لوجدوا الله لذنوبهم ورحمة اياهم والثانى لعلموا ان الله توابا رحيما والوجدان يكون بمعنى العلم وبمعنى
الادراك فلا يجوز ان يكون على ظاهره هنا بمعنى الادراك لانه سبحانه غير مدرك فى نفسه توابا اى قابلا لتوبتهم
رحيما بهم فى التجاوز عنهم ما قد سلف منهم فى قوله وما ارسلنا من رسول الا ليطاع اوكد دلالة على بطلان مذهب
المجبرة القائلين بان الله سبحانه يريد ان يعصى انبياءه قوم ويطيعهم آخرون وذكر الحسن فى هذه الآية ان اثنى عشر رجلا
من المنافقين ائتمروا فيما بينهم واجتمعوا على امر مكيدة للرسول صلى الله عليه وآله فاتاه جبرئيل فاخبره بها فقال عليه السلم
ان قوما دخلوا يريدون امرا لا ينالونه فليقوموا وليستغفروا الله تعالى وليعترفوا بذلك حتى اشفع لهم فلم يقوموا
فقال الا تقومون فلم يقم احد منهم فقال لهم قم يا فلان حتى عد اثنى عشر رجلا فقاموا وقالوا كنا
عزمنا على ما قلت ونحن نتوب الى الله من ظلمنا فاشفع لنا فقال الآن اخرجوا انا كنت فى اول امركم اطيب نفسا بالشفاعة

وكان الله سبحانه اسرع الى الاجابة فاخرجوا عنه حتى لم يدوم وفي الآية دلالة على ان مرتكب الكبيرة يجب عليه الاستغفار فان الله
سبحانه سيتوب عليه بان تقبل توبته وتدل ايضا على ان مجرد الاستغفار لا يكفي مع كونه مصرا على المعصية لانه لم يكن يستغفر
لهم الرسول ما لم يتوبوا بل ينبغي ان يتوب ويندم على ما فعله ويعزم في القلب على ان لا يعود الى مثله ثم يستغفر الله باللسان
ليتوب الله عليه قوله عز وجل **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت
ويسلموا تسليما** آية **اللغة** شجر الامر يشجر شجورا اختلط وشاجره في الامر اذا نازعه وتشاجروا فيه وكل ذلك لتداخل
بعضهم في بعض كتداخل الشجر بالتفافه واصل الحرج الضيق وفي الحديث حدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج اي لا ضيق
وقيل لا اثم **الاعراب** لا دخلت في اول الكلام لانها رد لكلام فكانه قيل فليس الامر كما يزعمون انهم آمنوا وهم يخالفون
حكمك ثم استانف القسم فقال وربك لا يؤمنون وقيل ان لا ههنا توطئة للنفي الذي ياتي فيما بعد لان ذكر النفي في
اول الكلام وآخره اوكد فان النفي يقتضي ان يكون له صدر الكلام وقد اقتضى القسم ان يكون النفي في الجواب تسليما
مصدر موكد والمصادر المؤكدة بمنزلة ذكرك للفعل ثانيا من حق التوكيد ان يكون محققا لما تذكره في صدر
كلامك فاذا قلت ضربت ضربا فمعناه احدثت ضربا احققه حقا **النزول** قيل نزلت في الزبير ورجل من الانصار
خاصمه الى النبي صلى الله عليه وآله في شراج من الحرة كانا يسقيان بها النخل كلاهما فقال النبي صلى الله عليه وآله للزبير
اسق ثم ارسل الى جارك فغضب الانصاري وقال يا رسول الله لان كان ابن عمتك فتلون وجه رسول الله ثم قال للزبير
اسق ثم احبس الماء حتى يرجع الى الجدر ثم ارسل الى جارك وكان رسول الله اشار على الزبير براي فيه السعة له ولخصمه
فلما احفظ رسول الله صلى الله عليه وآله استوعب للزبير حقه في صريح الحكم وقيل ان الرجل حاطب ابي بلتعة قال
الراوي ثم خرجا فمرا على المقداد فقال لمن كان القضاء يا ابا بلتعة قال قضى لابن عمته ولوى شدقه ففطن لذلك
يهودي كان مع المقداد فقال قاتل الله هؤلاء يشهدون بانه رسول الله ثم يتهمونه في قضاء يقضي بينهم وايم الله لقد
اذنبنا مرة واحدة في حيوة موسى فدعانا موسى الى التوبة فقال اقتلوا انفسكم ففعلنا فبلغ قتلانا سبعين الفا في
طاعة ربنا حتى رضي عنا فقال ثابت بن قيس بن الشماس اما والله ان الله ليعلم مني الصدق ولو امرني محمد ان
اقتل نفسي لفعلت فانزل الله في شان حاطب بن ابي بلتعة ولية شدقه هذه الآية **المعنى** ثم بين سبحانه ان الايمان
انما هو بالتزام حكم رسوله والرضا به فقال فلا اي فليس كما تزعمون انهم يؤمنون مع محاكمتهم الى الطاغوت
وربك لا يؤمنون اقسم بالله سبحانه ان هؤلاء المنافقين لا يكونون مؤمنين ولا يدخلون في الايمان حتى يحكموك
اي حتى يجعلوك حكما وحاكما فيما شجر بينهم اي فيما وقع بينهم من الخصومة اي لا يكونون مؤمنين ولا يدخلون في
الايمان حتى يحكموك والتبس عليهم من احكام الشريعة ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا اي في قلوبهم حرجا اي شكا في ان
ما قلت حق عن مجاهد وقيل اثما اي لا ياثمون بانكار ذلك عن الضحاك وقيل ضيقا بشك او بام عن ابي علي الجبائي
وهو الوجه مما قضيت اي حكمت ويسلموا تسليما اي ينقادوا لحكمك اذعانا لك وخضوعا لامرك وروي عن الصادق ع
انه قال لو ان قوما عبدوا الله واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة وصاموا رمضان وحجوا البيت ثم قالوا لشيء صنعه
رسول الله صلى الله عليه وآله الا صنع خلاف ما صنع او وجدوا من ذلك حرجا في انفسهم لكانوا مشركين ثم تلا هذه
الآية قوله عز وجل **ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم ولو انهم فعلوا
ما يوعظون به لكان خيرا لهم واشد تثبيتا واذا لآتيناهم من لدنا اجرا عظيما ولهديناهم صراطا مستقيما** ثلاث آيات
القراءة قرا ابن كثير ونافع وابن عامر والكسائي ان اقتلوا بضم النون او اخرجوا بضم الواو وقرا عاصم وحمزة بكسرهما
وبكسر النون وضم الواو وقرا ابن عامر وحده الا قليلا بالنصب وكذلك هو في مصاحف الشام وقرا الباقون بالرفع

الحجة قال ابو علي اما فصل ابي عمرو بين الواو والنون فلان الضم بالواو احسن لانها تشبه واو الضمير والجمهور في واو
الضمير على الضم نحو لا تنسوا الفضل بينكم قال وانما ضمت النون لاسكان الهمزة مشابهة واو الضمير والضم في ساير هذه
احسن لانها في موضع الهمزة قال ابو علي الحسن وهي لغة حسنة وهي اكثر الكلام واقيس ووجه قول من كسر ان هذه
الحروف منفصلة من الفعل المضموم الثالث والهمزة متصلة بها فلم يجروا المنفصل مجرى المتصل قال والوجه في
قوله الا قليل الرفع على البدل فكانه قال ما فعله الا قليل فان معنى ما اتاني احد الا زيد وما اتاني الا زيد واحد ومن
نصب فانه جعل النفي بمنزلة الايجاب فان قولك ما اتاني احد كلام تام كما ان جاءني القوم كذلك فنصب مع النفي
كما نصب مع الايجاب **الاعراب** لو امتنع بها الشيء لامتناع غيره تقول لو اتاني زيد لاكرمته فالمعنى ان اكرامي امتنع لامتناع
اتيان زيد مخففة ان يليها الفعل والتقدير هنا لو وقع كتبنا عليهم ويجوز ان يكون ان المشددة كما اتسع في الاسم
والخبر في قولك حسبت ان زيدا عالم وان هنا على الفعل فيكون المعنى في قوله ولو انا كتبنا عليهم كالمعنى في كتبنا
عليهم واذن دخلت هنا لتدل على معنى الجزاء والمعنى اذن جواب وجزاء لو وهي تقع متقدمة ومتوسطة ومتاخرة
وانما تقع متقدمة خاصة الا ان يكون الفعل بعدها الحال لان اذن يلغى خارجا واللام في قوله لآتيناهم ولهديناهم
اللام تقع في جواب لو كما تقع في جواب القسم في نحو قول امرئ القيس حلفت لها بالله حلفة فاجر لناموا فما ان من حديث
ولا صال والفرق بين لام الجواب ولام الابتداء ان لام الابتداء لا يدخل الا على الاسم المبتدأ الا في باب ان خاصة
فانها تدخل على فعل المضارع الاسم فتقول علمت ان زيدا ليقوم وعلمت ان زيدا ليقومن فكسرت الاولى لان علمت
صارت متعلقة باللام في ليقوم لانها لام الابتداء اخرت على ترتيب في الخبر لئلا تجتمع حرفان متفقان في المعنى وتفتح ان
الثانية لانها لام الجواب فاعرفه فانه من دقايق النحو واسراره وصراطا مفعول ثان لهديناهم **المعنى** ثم اخبر سبحانه عن سراير
القوم فقال ولو انا كتبنا عليهم اي اوجبنا عليهم على هؤلاء الذين تقدم ذكرهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من
دياركم كما اوجبنا على قوم موسى واخذناهم بذلك فقتلوا انفسهم وخرجوا الى التيه ما فعلوه اي ما فعله هؤلاء لمشقته
التي فيه الا قليل منهم قيل ان القليل الذي استثنى الله تعالى هو ثابت بن قيس بن شماس وقيل هم جماعة من
اصحاب رسول الله قالوا والله لو امرنا لفعلنا فالحمد لله الذي عافانا ومنهم عبد الله بن مسعود وعمار فقال
ان من امتي لرجالا الايمان في قلوبهم اثبت من الجبال الرواسي ولو انهم فعلوا ما يوعظون به اي ما يؤمرون
لكان ذلك خيرا لهم واشد تثبيتا اي بصيرة في امر الدين كنى عن البصيرة بهذا اللفظ لان من كان على بصيرة من امر دينه
كان ذلك ادعى له الى الاثبات عليه وكان هو اقوى في اعتقاد الحق وادوم عليه ممن لم يكن على بصيرة منه وقيل معناه
ان يقبلوا وعظ الله تعالى ووعظ رسوله في امور الدين والدنيا اشد تثبيتا لهم على الحق والصواب وامنع لهم من
الضلال وابعد من الشبهات كما قال سبحانه والذين اهتدوا زادهم هدى وقيل ان معناه واكثر انتفاعا بالحق لان
الانتفاع بالحق يدوم ولا يبطل لانه يتصل بثواب الآخرة والانتفاع بالباطل يبطل ويضمحل ويتصل بعقاب الآخرة قال
البلخي معنى الآية لو فرض عليهم القتل او الخروج من الديار لم يفعلوا فاذا لم نفرض عليهم ذلك فليفعلوا ما امروا
به مما هو اسهل عليهم منه فان ذلك خير لهم واشد تثبيتا على دينهم ومعناه الطف اما سبب نفسه عليه واذا لآتيناهم
هذا اتصل بما قبله اي لو انهم فعلوا ذلك لآتيناهم لاعطيناهم من لدنا اي من عندنا اجرا عظيما لا يبلغ احد مداه
ولا يعرف منتهاه ولا يدل فحواه وانما ذكر من لدنا تاكيدا بانه لا يقدر عليه غيره وليدل على الاختصاص فان الاجر عوض
ان يصل الى المثاب على يد بعض العباد فاذا وصل الثواب اليه بنفسه كان اشرف للعبد وابلغ في النعمة ولهديناهم صراطا
مستقيما اي وآتيناهم مع ذلك على الطريق المستقيم بما نفعله بهم من الالطاف التي يستمرون معها على الطاعة ويلزمون

الاستقامة وتقديره وفقناهم للثبات على الطريق المستقيم وقيل معناه ولهديناهم في الآخرة الى طريق الجنة عن ابي
الجبائي قال ولا يجوز ان تكون الهداية هنا الارشاد الى الدين لانه تعالى وعد بها المؤمن المطيع ولا يكون ذلك الا وقد اهتدى قوله
عز وجل ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين
وحسن اولئك رفيقا ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما آيتان اللغة الصديق المداوم على الصدق بما يوجبه الحق
وقيل الصديق الذي عادته الصدق وهذا البناء يكون لمن اغلب على عادة فعل يقال للازم السكر سكير وللملازم
الشرب شريب والشهداء جمع شهيد وهو المقتول في سبيل الله وليست الشهادة من القتل الذي هو معصية لكنها
حال المقتول في اخلاص القيام بالحق لله مقرا له وداعيا اليه وهي من اسماء المدح ويجوز لذلك ان نتمناها ولا يجوز
ان نتمنى قتل الكافر اياه لانه معصية وقيل الشهادة هي الصبر على ما امر الله به من قتال عدوه وهما الصبر على الالم ترك الاثم
فليس بواجب وليس الالم بممنوع عنه بل هو مباح اذا لم يقل ما يكرهه الله والصالح من استقامت نفسه بحسن عمله والرفيق
الصاحب وهو مشتق من الرفق في العمل وهو الارتفاق فيه ومنه المرافقة والمرفق من اليد بكسر الميم لانه يرتفق به
وقوله ويهيئ لكم من امركم مرفقا اي رفقا يصلح به امركم والمرفق بكسر الميم من مرافق الدار والرفقة الجماعة في السفر لارتفاق
بعضهم ببعض والفضل في اصل اللغة هو الزيادة على المقدار وقد استعمل في النفع ايضا وافعال الله تعالى كلها فضل
وافضال لانه لا يقتصر بالعبد على مقدار ما يستحق بعمله فيما بين الناس بل يزيد عليه زيادات كثيرة ولا يجري ذلك على
طريق المساواة الاعراب رفيقا نصب على التمييز ولذلك لم يجمع كانه قال حسن اولئك رفقاء وقيل انه لم يجمع لان المعنى
حسن كل واحد منهم رفيقا كقوله سبحانه ثم يخرجكم طفلا وقال الشاعر بصبي الهوى ثم ارتمين قلوبنا باعين اعداء وهن
صديق وقيل انتصب على الحال فانه قد يدخل من في مثله فاذا اسقط من فالحال هو الاختيار لانه من الصفات
الداخلة في اسماء الاجناس ويكون للتوحيد لما دخل من في معنى جنس كل واحد منهم مرافقا ونظيره لله دره فارسا
اي في حال الفروسية النزول قيل نزلت في ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وكان شديد الحب لرسول الله
قليل الصبر عنه واتاه ذات يوم وقد تغير لونه ونحل جسمه فقال عليه السلام يا ثوبان ما غير لونك فقال يا رسول الله
ما بي من مرض ولا وجع غير اني اذا لم ارك استوحشت اليك حتى القاك ثم ذكرت الآخرة فاخاف اني لا اراك هناك
لاني عرفت انك ترفع مع النبيين واني ان دخلت الجنة كنت في منزلة ادنى من منزلتك وان لم ادخل الجنة فذاك
حتى لا اراك ابدا فنزلت الآية ثم قال ص والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى اكون احب اليه من نفسه وابويه واهله وولده
والناس اجمعين وقيل ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله قالوا ما ينبغي لنا ان نفارقك فانا لا نراك الا في
الدنيا فاما في الآخرة فانك ترفع فوقنا بفضلك فلا نراك فنزلت الآية عن قتادة ومسروق بن الاجدع المعنى ثم بين
سبحانه حال المطيعين فقال ومن يطع الله بالانقياد لامره ونهيه والرسول باتباع شريعته والرضا بحكمه فاولئك مع الذين
انعم الله في الجنة ثم بين المنعم عليهم فقال من النبيين والصديقين يريد انه يستمتع برؤية النبيين والصديقين وزيارتهم
والحضور معهم فلا ينبغي ان يتوهم من اجل انهم في اعلى عليين انه لا يراهم وقيل في معنى الصديق انه المصدق بكل ما امر الله
به وبانبيائه لا يدخله في ذلك شك ويؤيده قوله والذين آمنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون والشهداء يعني
المقتولين في الجهاد وانما سمي الشهيد شهيدا لقيامه بشهادة الحق على جهة الاخلاص واقراره به ودعائه اليه حتى قتل
فقيل انما سمي شهيدا لانه من شهداء الآخرة على الناس وانما يستشهدهم الله لفضلهم وشرفهم فهم عدول الآخرة
عن الجبائي وقال الشيخ ابو جعفر ره وهذا لا يصح على مذهبه فعنده لا يجوز ان يدخل الجنة الا من هو عدل والله سبحانه
وعد من يطيعه بان يحشره مع هؤلاء وينبغي ان يكون الموعود غير الموعود بالكون معه والا فسد التقدير بانهم مع نفسهم

والصالحين ومعناه صلحاء المؤمنين الذين لم يبلغوا درجة النبيين والصديقين والشهداء والصالح الفاعل للصلاح
الملازم له المتمسك به وقيل هو الذي صلحت حالته واستقامت طريقته والمصلح الفاعل لما فيه الصلاح ولذلك يجوز
المصلح في صفات الله تعالى ولا يجوز الصالح وانما يقال رجل صالح ومصلح لانه يصلح نفسه وعمله وحسن اولئك رفيقا معناه
من كان هؤلاء رفقاءه فاحسن بهم من رفيق او فما احسنهم من رفيق وقد مر معناه واعرابه وروى ابو بصير عن ابي عبد الله ع
انه قال يا ابا محمد لقد ذكركم الله تعالى في كتابه ثم تلا هذه الآية وقال فالنبي رسول الله ونحن الصديقون والشهداء
وانتم الصالحون فتسموا بالصلاح كما سماكم الله تعالى ذلك اشارة الى الكون مع النبيين والصديقين من الله تفضل
به على من اطاعه وكفى بالله عليما بالعصاة والمطيعين والمنافقين والمخلصين ومن يصلح لمرافقة هؤلاء ومن لا يصلح
لانه يعلم خائنة الاعين وقيل معناه حسبك به عالما بكنه جزاء المطيعين على حقه وتوفير الحظ فيه قوله عز وجل يا ايها
الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات او انفروا جميعا آية اللغة الحذر والحذر لغتان مثل الاذن
والاذن والمثل والمثل والنفر الخروج الى الغزو واصله الفزع تقول نفر ينفر نفورا فزع ونفر اليه فزع من امر اليه
والنفر جماعة تفزع الى مثلها والمنافرة المحاكمة للفزع اليها فيما يختلف فيه وقيل انما سميت بذلك لانهم يسالون
الحاكم عند التنافر ايهما اعز نفرا والثبات جماعات في تفرقة واحدها ثبة قال ابو ذويب فلما اجتلاها بالايام
تحيزت ثبات عليها ذلها واكتئابها والايام الدخان يصف العاسل ويدخنه على النحل وقد يجمع ثبة ثبون وانما
جمع على الواو وان كان هذا الجمع مختصا بما يعقل للتعويض عن النقص الذي لحقه لان اصل ثبة ثبوة ومثله عضون
وسنون وعزون فان صغرت قلت ثبيات وثبيات لان النقص قد زال الاعراب ثبات منصوبة على الحال من
انفروا وذو الحال الواو وجميعا ايضا منصوب على الحال المعنى ثم امر الله سبحانه المؤمنين بمجاهدة الكفار والتاهب لقتالهم
فقال يا ايها الذين آمنوا خذوا حذركم قيل فيه قولان احدهما ان معناه احذروا عدوكم بأخذ السلاح كما
يقال للانسان خذ حذرك اي احذر والثاني ان معناه خذوا اسلحتكم سمى الاسلحة حذرا لانها الآلة التي بها يتقى الحذر
وهو المروي عن ابي جعفر ع وغيره والاقوى ان هذا القول اصح لانه اوفق بمقاييس كلام العرب ويكون من باب
حذف المضاف وتقديره خذوا آلات حذركم واهب حذركم فحذف واقيم المضاف اليه مقامه
وصار خذوا حذركم فانفروا الى قتال عدوكم اي اخرجوا الى الجهاد ثبات اي جماعات في تفرقة ومعناه
اخرجوا فرقة بعد فرقة في جهة وفرقة في جهة اخرى او انفروا جميعا اي مجتمعين في جهة واحدة وحالة
واحدة اذا اوجب الراي ذلك وروي عن ابي جعفر ع ان المراد بالثبات السرايا وبالجميع العسكر قوله
تعالى وان منكم لمن ليبطئن فان اصابتكم مصيبة قال قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا ولئن اصابكم
فضل من الله ليقولن كان لم يكن بينكم وبينه مودة يا ليتني كنت معهم فافوز فوزا عظيما آيتان القراءة قرا اهل
الكوفة غير حفص ونافع وابو عمرو وابن عامر غير هشام كان لم تكن بالتاء والباقون كان لم يكن بالياء وروي
في الشواذ عن الحسن ليقولن بضم اللام وروي عن يزيد النحوي والحسن فافوز بالرفع الحجة من قرا بالياء فلان
التانيث غير حقيقي وحسن التذكير الفصل الواقع بين الفاعل والمفعول ومثل التذكير واخذ الذين ظلموا
الصيحة فمن جاءه موعظة من ربه ومن قرا ليقولن بالضم فانه اعاد الضمير الى المعنى من مثل قوله ومنهم من يستمعون اليك
فان قوله لمن ليبطئن لا يعني به رجل واحد وانما معناه ان هناك جماعة هذه صفتهم فاما من قرا فافوز فانه
على انه تمنى فكانه قال يا ليتني افوز ولو جعله جوابا بالنصب اي اكن معهم افوز اللغة التبطئة التاخر عن الامر يقال
ما ابطا بك عنا اي ما اخرك ومثله الابطاء وهو اطالة مدة العمل لقلة الانبعاث ونقيضه الاسراع وهو قصر

مدة العمل المتبرم منه ويقال بطوه في مشيه يبطو بطوءا او انتقل الاعراب اللام الاولى التي في قوله لمن لام ان التي
هي لام الابتداء بدلالة دخولها على الاسم والثانية التي في ليبطئن لام القسم بدلالة دخولها على الفعل مع نون التاكيد
ومن موصولة بالجالب للقسم وتقديره وان منكم لمن احلف بالله ليبطئن دائما جاء صلة من بالقسم لم يجز بالامر
والنهي لان القسم خبر لوضح الموصول كما يوضح الموصوف في قولك مررت برجل لتكرمنه لانك خصصته بوقوع الاكرام
به في المستقبل من كل رجل غيره وليس كذلك الامر في قولك مررت برجل اضربه لانه لا يختص بالضرب في الامر كما يختص
بالخبر كان حققت النون لانك اردت كانه فحذفت الهاء وصارت كم عوضا مما حذفت منه وقوله كان لم تكن
بينكم وبينه مودة جملة اعترضت بين المفعول وفعله فان قوله يا ليتني كنت معهم في موضع نصب بكونه مفعول
قال كما ان قوله قد انعم الله علي اذ لم اكن شهيدا في موضع نصب بكونه مفعول قال وقوله فافوز منصوب على جواب
التمني بالفاء وانتصابه باضمار ان فيكون عطف اسم على اسم وتقديره يا ليتني كان لي حضور معهم ففوز ولو كان
العطف على ظاهره لكان يا ليتني معهم ففزت النزول قيل انها نزلت في المومنين لانه سبحانه خاطبهم بقوله وان منكم
وقد فرق بين المومنين والمنافقين بقوله ما هم منكم ولا منهم وقال اكثر المفسرين نزلت في المنافقين وانما جمع
بينهم في الخطاب من جهة الجنس والنسب لا من جهة الايمان وهو اختيار الجبائي المعنى لما حث الله سبحانه على
الجهاد بين حال المتخلفين عنه فقال وان منكم ليبطئن اي هم منكم في الحال الظاهرة او في حكم الشريعة من حقن
الدم والمناكحة والموارثة وقيل منكم اي من عددكم وجملتكم ويبطئن بالتشديد والتخفيف معناهما واحد
اي من تاخر عن الخروج مع النبي صلى الله عليه وآله فان اصابتكم مصيبة فيه من قتل او هزيمة قال قول الشامت
المسرور بتخلفه قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شاهدا اي حاضرا في القتال فكان يصيبني ما اصابهم وقال
الصادق عليه السلم لو ان اهل السماء والارض قالوا انعم الله علينا اذ لم نكن مع رسول الله لكانوا بذلك
مشركين ولئن اصابكم فضل من الله اي فتح وغنيمة ليقول يا ليتني كنت معهم وقوله كان لم تكن بينكم وبينه
مودة اعتراض يتصل بما قبله وتقديره قال قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا كان لم تكن بينكم وبينه
مودة اي لا يعاضدكم على قتال عدوكم ولا يراعي الذي بينكم عن ابي علي الفارسي وقيل انه اعتراض بين
القول والتمني وتقديره ليقولن يا ليتني كنت معهم فافوز من الغنيمة فوزا عظيما كان ليس بينكم وبينه مودة اي
يتمنى الحضور لا لنصرتكم انما يتمنى لنفع نفسه وقيل ان الكلام في موضعين على تقديم وتاخير ومعناه ولئن اصابكم
فضل من الله ليقولن هذا المبطئ قول من لا يكون بينه وبين المسلمين مودة اي كانه لم يعاقدكم على الايمان ولم يظهر لكم
مودة على حال يا ليتني كنت معهم اي يتمنى الغنيمة دون شهود الحرب وليس هذا من قول المخلصين فقد عد والعطف
في احدى الحالتين نعمة من الله تعالى وتمنوا الخروج معهم في احدى الحالتين لاجل الغنيمة وليس ذلك من امارات
المودة وعلى هذا يكون قوله كان لم تكن بينكم وبينه مودة في موضع النصب على الحال وقال ابو علي الجبائي انه حكاية
عن المنافقين قالوا للذين اقعدوهم عن الجهاد كان لم يكن بينكم وبينه اي بين محمد مودة فيخرجكم معه لتاخذوا
من الغنيمة وانما قالوا ذلك ليبغضوا اليهم رسول الله يا ليتني كنت معهم وهذا القول التمني من قول المبطئين
القاعدين تمنوا ان يكونوا معهم في تلك الغزوة فافوز فوزا اي اصيب غنيمة عظيمة واخذ حظا وافرا قوله عز وجل
فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحيوة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف
نؤتيه اجرا عظيما آية اللغة يقال شريت البعير بمعنى بعت واشتريت بمعنى ابتعت ويشرون يبيعون قال يزيد بن
مفرغ وشريت بردا ليتني من بعد برد كنت هامه وبرد اسم غلام له الاعراب فيقتل او يغلب عطف على يقاتل

وجواب الشرط فسوف نؤتيه المعنى لما اخبر الله سبحانه في الآية الاولى ان قوما يتاخرون عن القتال ويثبطون
المومنين عنه حث في هذه الآية على القتال فقال فليقاتل في سبيل الله هذا امر من الله سبحانه وظاهر الامر يقتضي
الوجوب اي فليجاهد في سبيل الله اي في طريق دين الله الذين يشرون الحيوة الدنيا بالآخرة اي يبيعون الحيوة
الدنيا بنعيم الآخرة اي يبذلون انفسهم واموالهم في سبيل الله بتوطين انفسهم على الجهاد في طاعة الله [illegible] في الآخرة
وهو استبدالهم اياها بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله اي يجاهد في طريق دين الله وقيل في طاعة ربه
بان يبذل ماله ونفسه ابتغاء مرضاته فيقتل اي يستشهد او يهلك ويظفر بالعدو وهو حث على الجهاد فكانه قال
فانه فائز باحدى الحسنيين ان غلب او غلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما اي نعطيه على ايمان القتل وقيل لو ابادوا كما
لا بتبعيض فيه قوله عز وجل وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان
الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك
نصيرا آية اللغة الولدان مثل ولد وولدان مثل خرب وخربان وبرق وبرقان وورل وورلان والاغلب
على بابه فعال نحو جبال وجمال وقد ذكرنا القرية في سورة البقرة الاعراب ما للاستفهام في موضع رفع بالابتداء
ولا تقاتلون في موضع نصب على الحال وتقديره اي شيء لكم تاركين للقتال والمستضعفين جر بالعطف على ما عملت
فيه اي وفي المستضعفين وقال المبرد وهو اسم عطف على اسم الله تعالى وانما جاز ان يجري الظالم صفة على القرية
وهو في المعنى للاهل لانه قوية على الحال بقربها من الفعل وتمكنها في الوصف بانها تؤنث وتذكر وتثنى وتجمع
بخلاف باب افعل فلذلك جاز مررت برجل ظالم ابوه ولم يجز مررت برجل خير منه ابوه بل تقول مررت
برجل خير منه ابوه لتكون الجملة في موضع الجر المعنى ثم حث الله على تخليص المستضعفين فقال وما لكم ايها
المومنون لا تقاتلون اي اي عذر لكم في ترك القتال مع اجتماع الاسباب الموجبة للقتال في سبيل الله اي في طاعة
الله وتقال دين الله وتعالى في نصرة دين الله وتعالى في اعزاز دين الله واعلاء كلمته والمستضعفين اي في سبيل
المستضعفين اي نصرة المستضعفين وقيل في اعزاز المستضعفين او الذب عن المستضعفين من الرجال والنسا
والولدان قيل يريد بذلك قوما من المسلمين بقوا بمكة ولم يستطيعوا الهجرة منهم سلمة بن هشام والوليد بن الوليد
وعياش بن ابي ربيعة وابو جندل بن سهل وكانوا جماعة يدعون الله ان يخلصهم من ايدي المشركين ويخرجهم
من مكة وهم الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها اي يقولون في دعائهم ربنا سهل لنا الخروج
من هذه القرية يعني مكة عن ابن عباس والحسن والسدي وغيرهم الظالم اهلها اي ظلم اهلها بافتتان المومنين
عن دينهم ومنعهم عن الهجرة واجعل لنا بالطافك وتاييدك من لدنك اي من عندك وليا يلي امرنا بالكفاية
حتى ينقذنا من ايدي الظلمة واجعل لنا من لدنك نصيرا ينصرنا على من ظلمنا فاستجاب الله سبحانه دعاءهم فلما
فتح رسول الله صلى الله عليه وآله مكة جعل الله سبحانه النبي لهم وليا فاستعمل على مكة عتاب بن اسيد فجعله الله لهم نصيرا
فكان ينصف الضعيف من الشديد فاعانهم الله تعالى فكانوا اعز بها من الظلمة قبل ذلك وفي هذه الآية دلالة
على عظم موقع الدعاء من الله تعالى وابطال قول من زعم ان العبد لا يستفيد بالدعاء شيئا لان الله سبحانه حكى عنهم
دعوا فاجابهم الله واتاهم سؤلهم ولولا انه تعالى استجاب دعاءهم لما كان لذكر دعائهم معنى قوله عز وجل الذين
آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا اولياء الشيطان ان كيد الشيطان
كان ضعيفا آية اللغة الطاغوت قد مر ذكره والكيد السعي في فساد الحال على وجه الاحتيال تقول كاده يكيده
فهو كايد اذا عمل في ايقاع الضرر به على وجه الحيلة فيه المعنى ثم شجع المجاهدين ورغبهم في الجهاد بقوله الذين آمنوا

يقاتلون في سبيل الله اي في طاعة الله وفي نصرة دينه واعلاء كلمته وابتغاء مرضاته لا لعجب ولا صلف ولا طمع في غنيمة والذين
كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت وطاعته فقاتلوا اولياء الشيطان يعني جميع الكفار وهذا اقوى قول من قال ان
الطاغوت الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا دخلت كان هنا موكدة ليدل على ان الضعف لكيد الشيطان لازم في
جميع الاحوال والاوقات ما مضى منها وما يستقبل وليس هو عارضا في حال دون حال وانما وصف سبحانه كيد الشيطان
بالضعف بالاضافة الى نصرة الله المؤمنين عن الجبائي وقيل بانه اخبر بانه سيظهر عليهم المؤمنين عن الحسن وقيل
الضعف دواعي اولياء الشيطان الى القتال اذ لا بصيرة لهم وانما يقاتلون بما يدعون اليه الشبهة والمؤمنون يقاتلون بما
تدعو اليه الحجة قوله عز وجل الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة فلما كتب عليهم القتال
اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله او اشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب
قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا يظلمون فتيلا آية القراءة لا يظلمون بالياء مكي كوفي غير عاصم
والباقون بالتاء الحجة من قرأ بالياء فلما تقدم من ذكر الغيبة من قوله الم تر الى الذين قيل لهم ومن قرأ بالتاء فلانه
ضم اليهم في الخطاب المسلمين فغلب الخطاب على الغيبة الاعراب اذا فريق اذا هنا ظرف مكان وهي بمنزلة الفاء
في تعليقه الجملة بالشرط ويسمى ظرف المكان كما في قول الشاعر وكنت ارى زيدا كما قيل سيدا اذا انه عبد القفا واللهازم
فهي في محل النصب بيخشون والكاف في كخشية الله في محل النصب للمصدر واشد معطوف عليه وخشية منصوب
على التمييز وهو مما انتصب بعد تمام الاسم ولولا ها هنا معناها التحضيض ولا يدخل الا على الفعل النزول قال الكلبي
نزلت في عبد الرحمن بن عوف الزهري والمقداد بن الاسود الكندي وقدامة بن مظعون الجمحي وسعد بن ابي وقاص
كانوا يلقون من المشركين اذى شديدا وهم بمكة قبل ان يهاجروا الى المدينة فيشكون الى رسول الله صلى الله عليه وآله
ويقولون يا رسول الله ائذن لنا في قتال هؤلاء فانهم قد آذونا فلما امروا بالقتال والمسير الى بدر شق على بعضهم
فنزلت الآية المعنى ثم عاد سبحانه الى ذكر القتال ومن كرهه فقال الم تر الى الذين قيل لهم وهم بمكة كفوا ايديكم
اي امسكوا عن قتال الكفار فاني لم اومر بقتالهم واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة فلما كتب اي فرض عليهم القتال
وهم بالمدينة فاذا فريق منهم اي جماعة منهم يخشون الناس كخشية الله اي يخافون القتل من الناس كما يخافون
الموت من الله وقيل يخافون الناس ان يقتلوهم كما يخافون الله ان يتوفاهم وقيل يخافون عقوبة الناس
بالقتل كما يخافون عقوبة الله او اشد خشية قيل او هنا بمعنى الواو اي واشد خشية وقيل ان او هنا للابهام
الامر على المخاطب وقد ذكرنا الوجوه في مثل هذا عند قوله سبحانه او اشد قسوة في سورة البقرة قالوا ربنا لم كتبت
علينا القتال قال الحسن لم يقولوا ذلك كراهية لامر الله ولكن لدخول الخوف عليهم بذلك على ما يكون من طبع
البشر ويحتمل ان يكونوا قالوا ذلك استفهاما لا انكارا وقيل انما قالوا ذلك لانهم ركنوا الى الدنيا وآثروا نعيمها وعلى
الاقوال كلها فلو لم يقولوا ذلك لكان خيرا لهم لولا اخرتنا اي هلا اخرتنا الى اجل قريب وهو الى ان نموت باجالنا
ثم اعلم الله تعالى ان الدنيا بما فيها من وجوه المنافع قليل فقال يا محمد لهؤلاء متاع الدنيا قليل اي ما يستمتع بها
من منافع الدنيا قليل لا يبقى والآخرة خير لمن اتقى ولا يظلمون فتيلا اي لا ينقصون هذا القدر فكيف
ما زاد عليه الفتيل ما تفتله بيدك من الوسخ ثم تلقيه عن ابن عباس وقيل ما في شق النواة لانه كالخيط المفتول
قوله عز وجل اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله
وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا آية
القراءة روي في الشواذ ان طلحة بن سليمان قرأ يدرككم الموت برفع الكاف الحجة هذه القراءة ضعيفة على ان لها وجها

وهو ان يكون على حذف الفاء فكانه قال فيدرككم الموت ومثله بيت الكتاب من يفعل الحسنات الله يشكرها
والشر بالشر عند الله مثلان اي فالله يشكرها اللغة البروج جمع برج واصله من الظهور يقال تبرجت المرأة اذا
ظهرت في محاسنها والتبرج اتساع في العين لظهور العين بالاتساع والمشيدة المزينة بالشيد وهو الجص والشيد
رفع البناء يقال شاد بناءه يشيده اذا رفعه وانما قيل للجص شيد لانه مما يرفع به البناء ويجوز اشاد الرجل
بناءه اذا رفعه فاما في الذكر فانه يقال اشاد بذكره لا غير الفقه الفهم يقال فقه الرجل يفقه فقها والاسم
الفقيه وصار بعرف الاستعمال علما على علم الفقهاء من علوم الدين وقد فقه الرجل يفقه فقاهة اذا صار
فقيها والتفقه تعلم الفقه الاعراب اين من الظروف التي يجازى بها لتضمنها معنى ان ولا تلزمه ما تقول اين تكن اكن
واينما تكن اكن وهي تستغرق الامكنة كما ان متى تستغرق الازمنة وكتبت اينما هنا موصولة وفي قوله اينما كنتم
تدعون مفصولة لان ما ههنا زائدة وهناك بمعنى الذي فوصلت هذه كما توصل الحروف وفصلت تلك
كما تفصل الاسماء ومال هؤلاء كثرت في الكلام حتى توهموا ان اللام متصلة بما وانهما حرف واحد ففصلوا اللام
عما بعده في بعض المواضع ووصلوها في بعضها ولا يجوز الوقف على اللام لانها اللام الجارة المعنى ثم خاطبهم
سبحانه فقال اينما تكونوا يدرككم الموت اي اينما كنتم من المواضع والاماكن ينزل بكم الموت ويلحقكم ولو كنتم
في بروج مشيدة يعني بالبروج القصور عن مجاهد وقتاده وابن جريج وقيل قصور في السماء باعيانها عن السدي
والربيع وقيل المراد به بروج السماء وقيل البيوت التي فوق الحصون عن الجبائي وقيل الحصون والقلاع
عن ابن عباس فهذه خمسة اقوال والمشيدة المجصصة عن عكرمة وقيل المزينة عن ابي عبيدة وقيل المطولة في
ارتفاع عن الزجاج وغيره وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله اختلف فيمن حكى عنهم هذه المقالة فقيل
هم اليهود وقالوا ما زلنا نعرف النقص في ثمارنا ومزارعنا منذ قدم علينا الرجل عن الزجاج والفراء فعلى هذا
يكون معناه وان اصابهم خصب ومطر قالوا هذه من عند الله وان اصابهم جدب وقحط قالوا هذا من
شوم محمد صلى الله عليه وآله كما حكى عن قوم موسى وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ذكره البلخي والجبائي وهو
المروي عن الحسن وابن زيد وقيل المنافقون عبد الله بن ابي واصحابه الذين تخلفوا عن القتال يوم احد وقالوا
للذين قتلوا في الجهاد لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا فعلى هذا معناه ان تصبهم ظفر وغنيمة قالوا هذه من عند الله
وان تصبهم مكروه وهزيمة قالوا هذه من عندك يا محمد وبسوء تدبيرك وهو المروي عن ابن عباس [illegible]
قبل الآية وهم الذين يقولون ربنا لم كتبت علينا القتال وتقديره وان تصب هؤلاء حسنة يقولوا هذه من عند الله
وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قال ابن عباس وقتاده الحسنة والسيئة السراء والضراء والبؤس
والرخاء والنعمة والمصيبة والخصب والجدب وقال الحسن وابن زيد هو القتل والهزيمة والظفر والغنيمة قل يا محمد
كل من عند الله اي جميع ذلك من الموت والحيوة والخصب والجدب من عند الله وبقضائه وقدره لا يقدر
احد على رده ودفعه ابتلى بذلك عباده ليعرضهم لثوابه بالشكر عند العطية والصبر بالبلية فما لهؤلاء القوم
اي ما شان هؤلاء المنافقين لا يكادون يفقهون حديثا اي لا يقربون فقه معنى الحديث الذي هو القرآن
لانهم يبعدون منه باعراضهم عنه وكفرهم به وقيل معناه لا يفقهون حديثا اي لا يعلمون حقيقة ما تخبرهم به
انه من عند الله من السراء والضراء على ما وصفناه قوله عز وجل ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك
من سيئة فمن نفسك وارسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيدا آية الاعراب رسولا منصوب بارسلناك
وانما ذكر تاكيدا لان ارسلناك دل على انه رسول وشهيدا نصب على التمييز ومعنى من في قوله من حسنة ومن سيئة

للتبيين ولو قال ان اصابك من حسنة كانت من زائدة لا معنى لها المعنى ما اصابك من حسنة فمن الله قيل هذا
خطاب للنبي صلى الله عليه وآله والمراد به الامة عن الزجاج وقيل خطاب للانسان اي ما اصابك ايها الانسان
عن قتادة والجبائي قال وعنى بقوله من حسنة من نعمة في الدين والدنيا فانها من الله وما اصابك من سيئة
اي من المعاصي فمن نفسك وقيل عنى بالحسنة ما اصابهم يوم بدر من الغنيمة وبالسيئة ما اصابهم يوم احد من الهزيمة
عن ابن عباس قال ابو مسلم معناه لما اخذوا في القتال يوم بدر واطاعوا الله اتاهم النصر ولما خالفوا يوم احد
خلي بينهم فهزموا وقيل الحسنة الطاعة والسيئة المعصية عن ابي العالية قال ابو القسم وهذا كقوله وجزاء
سيئة سيئة مثلها وقيل الحسنة النعمة والرخاء والسيئة والقحط والمرض والبلية والمكاره والاسواء
والشدائد التي تصيبهم في الدنيا بسبب المعاصي يفعلونها وربما يكون لطفا وربما يكون على سبيل المحن
وانما سماها سيئة مجازا لان الطبع ينفر عنها وان كانت افعالا حسنة غير قبيحة فيكون المعنى على هذا ما اصابك
من الصحة والسلامة وسعة الرزق وجميع نعم الدين والدنيا فمن الله وما اصابك من المحن والشدائد والآلام
والمصائب فبسبب ما يكتسب من الذنوب كما قال سبحانه وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم وقوله فمن
نفسك معناه فبذنبك عن الحسن وجماعة من المفسرين وفسره ابو القاسم البلخي فقال ما اصاب المكلف من
مصيبة فهي كفارة ذنب صغير او عقوبة ذنب كبير او تاديب وقع لاجل تفريط وقد قال النبي صلى الله عليه وآله
ما من خدش بعود ولا اختلاج عرق ولا عثرة قدم الا بذنب وما يعفو الله عنه اكثر وقيل فمن نفسك اي من
فعلك وقال علي بن عيسى وفي الآية دلالة على ان الله تعالى لا يفعل الالم الا على وجه اللطف او العقاب دون
مجرد العوض لان المصائب اذا كانت كلها من قبل ذنب العبد فهي اما ان تكون عقوبة واما ان تكون
من قبل تاديب المصلحة وارسلناك للناس رسولا معناه وفي الحسنة ارسلناك يا محمد ومن السيئة خلافك
يا محمد وكفى بالله شهيدا لك وعليك وقيل في معنى اتصاله بما تقدم ان ما اصابهم مشوم ذنوبهم وانما انت
رسول طاعتك طاعة الله ومعصيتك معصية الله لا يتطير بك بل الخير كله فيك وكفى بالله شهيدا اي كفى الله
ومعناه حسبك الله شاهدا لك على رسالتك وقيل معناه كفى بالله شهيدا على عباده بما يعملون من خير وشر
فعلى هذا يكون متضمنا للترغيب للخير والتحذير عن الشر قوله عز وجل من يطع الرسول فقد اطاع الله ومن
تولى فما ارسلناك عليهم حفيظا ويقولون طاعة فاذا برزوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذي تقول
والله يكتب ما يبيتون فاعرض عنهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا آيتان القراءة قرأ ابو عمرو بادغام التاء
في الطاء من بيت طائفة وهو قراءة حمزة والباقون بالاظهار الحجة انما حسن ادغام التاء في الطاء للتقارب
الذي بينهما بانهما من حيز واحد ولم يحسن ادغام الطاء في التاء لان الطاء يزيد على التاء بالاطباق فحسن ادغام
الانقص صوتا من الحروف في الازيد بحسب قبح ادغام الازيد في الانقص ومن بين ولم يدغم فلانفصال
الحرفين واختلاف المخرجين اللغة قال المبرد التبييت كل شيء دبر ليلا قال عبيدة بن همام اتوني فلم ارض ما بيتوا
وكانوا اتوني لامر نكر والبيوت الامر يبيت عليه صاحبه مهتما والبيات والتبييت ان ياتي العدو ليلا فالتبييت
البيت احكام الامر ليلا واصل التوكيل القائم بما فوض اليه من التدبير الاعراب جواب الجزاء في قوله فما ارسلناك
عليهم حفيظا تقديره ومن تولى فليس عليك باس لانك لم ترسل حفيظا عليهم وطاعة مبتدأ اي عندنا طاعة
او خبر مبتدأ محذوف اي امرنا طاعة ولو نصب على نطيع طاعة لجاز المعنى ثم رغب سبحانه في طاعة الرسول فقال
من يطع الرسول فقد اطاع الله بين ان طاعته طاعة الله وانما كان كذلك لانها وان كانت طاعة للنبي ع من حيث

وافقت ارادته المستدعية للفعل فانما هي طاعة لله ابدا على الحقيقة اذ كانت بامره وارادته فاما الامر الواحد فلا يكون
على الحقيقة من آمرين كما ان الفعل الواحد لا يكون من فاعلين ومن تولى اي من اعرض ولم يطع فما ارسلناك عليهم حفيظا
اي حافظا لهم من التولي حتى يسلموا عن ابن عباس فقال كان هذا اول ما بعث كما قال في موضع آخر ان عليك الا
البلاغ ثم امر فيما بعد بالجهاد وقيل معناه ما ارسلناك حافظا لاعمالهم التي يقع الجزاء عليها فتخاف ان لا تقوم بها
لانا نحن نجازيهم عليها وقيل حافظا لهم من المعاصي حتى لا تقع عن الجبائي وفي هذه الآية تسلية للنبي صلى الله عليه
وآله في تولي الناس عنه مع ما لهم فيه من تعظيم شانه بكون طاعته طاعة الله ثم بين سبحانه ان المنافقين اظهروا واضمروا
خلافه بقوله ويقولون طاعة يعني به المنافقين عن الحسن والسدي والضحاك وقيل المراد به المسلمون الذي
حكى عنهم انهم يخشون الناس كخشية الله او اشد خشية يقولون امرك طاعة كانهم قالوا علينا امرك بالطاعة فاذا
برزوا اي خرجوا من عندك بيت طائفة منهم اي قدر جماعة منهم ليلا غير الذي تقول اي غير ما يقولون على جهة
التكذيب عن الحسن وقيل معناه غيروا بالليل وبدلوا ما قالوه بان اضمروا الخلاف عليك فيما امرتهم او نهيتهم
عنه عن ابن عباس وقتاده والسدي وقيل دبروا ليلا غير ما اعطوك نهارا عن الجبائي والعبي والله يكتب
ما يبيتون في اللوح المحفوظ ليجازيهم به وقيل يكتبه بنزوله اليك في الكتاب عن الزجاج فاعرض عنهم امر الله سبحانه
نبيه صلى الله عليه وآله بالاعراض عنهم وان لا يسميهم باعيانهم ابقاء عليهم وسترا لامورهم الى ان يستقر امر الاسلام
وتوكل على الله اي فوض امرك اليه وثق به وكفى بالله وكيلا اي حفيظا لما تفوضه اليه من التدبير قوله عز وجل
افلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا واذا جاءهم امر من الامن او الخوف
اذاعوا به ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته
لاتبعتم الشيطان الا قليلا آيتان اللغة التدبر النظر في عواقب الامور والتدابر التقاطع لان كل واحد يولي
الآخر دبره بعداوته له ودبر القوم يدبرون دبارا هلكوا لانهم يذهبون في جهة الادبار عن الغرض والفرق
بين التدبر والتفكر ان التدبر تصرف القلب بالنظر في العواقب والتفكر تصرف القلب بالنظر في الدلايل
والاختلاف هو امتناع احد الشيئين لان يسد مسد الآخر فيما يرجع الى ذاته كالسواد الذي لا يسد مسد البياض
وكذلك الذهاب في الجهات المختلفة واصل الاذاعة التفريق قال تبع لما ورد المدينة ولقد شربت على براجم
شربة كانت لها فيه الحلوة تذيع اي تفرقه وبراجم ماء بالمدينة كان شرب منه فشكت عليه علة وذاع
الخبر ذيعا ورجل مذياع لا يستطيع كتمان خبر واذاع الناس بما في الحوض اذا شربوه واذاعوا بالمتاع ذهبوا به
والاذاعة والاشاعة والافشاء والاعلان والاظهار نظاير وضد الكتمان والاسرار والاخفاء واصل
الاستنباط الاستخراج يقال لكل ما استخرج حتى تقع عليه رؤية العيون او معرفة القلب قد استنبط والنبط
الماء الذي يخرج من البئر اول ما يحفر وانبط فلان اي استنبط الماء من طين حر ومنه اشتقاق النبط لاستنباطهم
العيون المعنى افلا يتدبرون القرآن اي لا يتفكر اليهود والمنافقون في القرآن اذ ليس فيه خلل ولا تناقض
ليعلموا انه حجة وقيل ليعلموا انهم لا يقدرون على مثله فيعرفوا انه ليس بكلام احد من الخلق وقيل ليعرفوا اتساق معانيه
وائتلاف احكامه وشهادة بعضه لبعض وحسن عباراته وقيل ليعلموا كيف اشتمل على انواع الحكم من امر بحسن
ونهي عن قبيح وخبر عن مخبر صدق ودعا الى مكارم الاخلاق وحث على الخير والزهد مع فصاحة اللفظ وجودة
النظم وصحة المعنى فيعرفوا انه خلاف كلام البشر والاولى ان يحمل على الجميع لان من تدبر فيه علم ان جميع ذلك
ولو كان من عند غير الله او كلام غير الله اي لو كان من عند النبي صلى الله عليه وآله او كان يعلمه بشر كما زعموا لوجدوا

فيه اختلافا كثيرا قيل فيه اقوال احدها لوجدوا فيه اختلاف تناقض من جهة حق وباطل عن قتادة وابن عباس
وثانيها اختلافا في الاخبار عما يسرون عن الزجاج والثالث من جهة بليغ ومرذول عن ابي علي والرابع تناقض كثير
عن ابن عباس وذلك ان كلام البشر اذا طال وتضمن من المعاني ما تضمنه القران لم يخل من التناقض في
المعاني والاختلاف في اللفظ وكل هذه المعاني منفي عن كتاب الله تعالى كما قال لا ياتيه الباطل من بين يديه
ولا من خلفه وهذه الاية تضمنت الدلايل على معان كثيرة منها بطلان التقليد وصحة الاستدلال في اصول الدين
لانه سبحانه دعا الى التفكر والتدبر وحث على ذلك ومنها فساد قول من زعم ان القران لا يعرف معناه الا بتفسير الرسول
عليه السلم من الحشوية وغيرهم لانه حث على تدبره ليعرفوه ويتبينوا ومنها انه لو كان من عند غيره لكان على وزن عباده
ويوجد الاختلاف فيه ومنها ان التناقض في الكلام لا يكون من فعل الله سبحانه لانه لو كان من فعله لكان من عنده
والاختلاف في الكلام يكون على ثلاثة اضرب اختلاف تناقض واختلاف تفاوت واختلاف تلاوة واختلاف
التفاوت يكون في الحسن والقبح والخطا والصواب وتدعو الدواعي اليه الحكمة وتصرف عنه وهذا الجنس
من الاختلاف لا يوجد في القران البتة كما لا يوجد اختلاف التناقض فاما اختلاف التلاوة فهو ما يتلاءم
في الحسن كاختلاف وجوه القران واختلاف مقادير الايات والسور واختلاف الاحكام في الناسخ والمنسوخ
فذلك موجود في القران على انه من فعل الله تعالى فان قالوا لو لم يكن ذلك دلالة لما اخبرنا الله تعالى به وليعلم
بذلك لكان لقايل ان يقول انه يمكن ان يتحفظ في الكلام ويهذب تهذيبا لا يوجد بذلك فيه شيء من التناقض
وعلى هذا فلا يمكن ان يجعل انتفاء التناقض جهة اعجاز القران الا بعد معرفة صحة السمع وصدق النبي صلى الله عليه
واله ثم عاد سبحانه الى ذكر حالهم فقال واذا جاءهم يعني هولاء الذين سبق ذكرهم من المنافقين وقيل الذين ذكرهم
من ضعفة المسلمين امر من الامن او الخوف يريد ما كان يرجف به من الاخبار في المدينة اما من قبل عدو
لقصدهم وهو الخوف او من ظهور المومنين على عدوهم وهو الامن اذاعوا به اي افشوه واذاعوه من غير ان
يعلموا صحته كره الله تعالى ذلك لان من فعل هذا فلا يخلو كلامه من كذب ولما لم يدخل على المومنين من الخوف
ثم قال ولو ردوه الى الرسول المعنى ولو سكتوا الى ان يظهره الرسول عليه السلم والى اولي الامر منهم قال ابو جعفر
هم الايمة المعصومون وقال السدي وابن زيد وابو علي الجبائي هم امراء السرايا والولاية وقال الحسن وقتادة
وغيرهم انهم اهل العلم والفقه الملازمون للنبي صلى الله عليه واله لانهم لو سالوه عن حقيقة ما ارجفوا به
لعلموه واختاره الزجاج وانكر ابو علي الجبائي هذا الوجه وقال انما يطلق اولي الامر على من له الامر على الناس لعلمه
الذين يستنبطونه اي لعلمه ذلك الخبر الذي يستخرجونه عن الزجاج وقيل يتجسسونه عن ابن عباس وابي العالية
وقيل يسعونه ويطلبون علم ذلك عن الضحاك وقيل يسالون عنه عن عكرمة فان استنباطهم سوالهم الرسول
صلى الله عليه واله عنه وجميع هذه الاقوال متقاربة المعنى منهم قيل ان الضمير في منهم يعود الى اولي الامر وهو
الاظهر وقيل يعود الى الفرقة المذكورة من المنافقين او الضعفة ولولا فضل الله عليكم ورحمته اي لولا اتصال
مواد اللطف من جهة الله تعالى وقيل فضل الله الاسلام ورحمته القران عن ابن عباس وقيل فضل الله محمد
النبي ورحمته القران عن الضحاك وهو اختيار الجبائي وروي عن ابي جعفر وابي عبد الله ع فضل الله ورحمته النبي
وعلي عليه السلم لاتبعتم الشيطان الا قليلا قيل فيه اقوال احدها ان في الكلام تقديما وتاخيرا والاستثناء
من قوله اذاعوا به عن ابن عباس فيكون اذاعوا به الا قليلا وهو اختيار المبرد والكسائي والفراء والبلخي
والطبري قالوا وهذا اولى لان الاذاعة اكثر من الاستنباط وثانيها ان الاستثناء من قوله تعالى لعلمه الذين

يستنبطونه منهم الا قليلا ويكون تقديره ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه الا قليلا عن
اكثر اهل اللغة وثالثها ان المراد ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا منكم على الظاهر من غير تقديم
ولا تاخير وهذا كما اتبع الشيطان من كان قبل بعثة النبي صلى الله عليه واله الا قليلا منهم لم يتبعوه واهتدوا بعقولهم
لترك العبادة الاوثان بغير رسول ولا كتاب وامنوا بالله وحده مثل قس بن ساعدة وزيد بن عمرو بن نفيل
وورقة بن نوفل والبراء الشني وابي ذر الغفاري وطلاب الدين وبه قال الانباري ورابعها ان معناه ولولا
فضل الله عليكم ورحمته النصرة والفتح مرة بعد اخرى لاتبعتم الشيطان فيما يلقي اليكم من الوساوس والخواطر الفاسدة
المودية الى الجبن والفشل الموجبة لضعف النية والبصيرة الا قليلا من افاضل اصحاب رسول الله صلى الله عليه واله الذين
هم اهل البصاير النافذة والعزايم الثابتة والنيات الخالصة لا يياسون من رحمة الله ولا يشكون في وعده والجاي
وعده وان ابطا بعض الابطاء والله اعلم النظم اختلف في وجه اتصال قوله افلا يتدبرون بما قبله فقيل انه متصل بقوله
ويقولون طاعة الاية فان الله اطلع على اسرار المنافقين ثم بين انها من جهة علام الغيوب ولو كان من جهة غيره
لكان المخبر بخلاف الخبر وقيل انه يتصل بقوله وارسلناك لما بين انه الرسول بين ما يعجزه فقال عز وجل فقاتل في
سبيل الله لا تكلف الا نفسك وحرض المومنين عسى الله ان يكف باس الذين كفروا والله اشد باسا واشد
تنكيلا اية اللغة نكل ونكله وشدده نظاير واصله النكول وهو الامتناع للخوف يقال نكل عن اليمين وغيرها
والنكال ما يمنع به من الفساد خوفا من مثله من العذاب والنكل القيد المعنى ثم عاد سبحانه الى الامر بالقتال فقال
فقاتل في سبيل الله قيل في الفاء قولان احدهما انه جواب لقوله ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف
نوتيه اجرا عظيما فقاتل في سبيل الله فيكون بمعنى ان اردت الاجر العظيم فقاتل والاخر ان يكون متصلا بقوله
وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله فقاتل في سبيل الله عن الزجاج ووجهه انه لا حظ لك في ترك القتال فتتركه
والخطاب للنبي صلى الله عليه واله خاصة امره سبحانه ان يقاتل في سبيل الله وحده بنفسه وقوله لا تكلف
الا نفسك معناه لا يكلف الا فعل نفسك لانه لا ضرر عليك في فعل غيرك ولا تهتم بتخلف المنافقين عن
الجهاد فان ضرر ذلك عليهم وحرض المومنين على القتال اي حثهم عليه عسى الله ان يكف باس الذين
كفروا اي يمنع شدة الكفار قال الحسن عسى من الله واجب ووجه ذلك ان اطماع الكريم انجاز وانما الاطماع
تقوية احد الامرين على الاخر دون قيام الدليل على التكافي في الجواز وخرج عسى في هذا في معنى الشك
في قول القايل اطع ربك في كل ما امرك به ونهاك عنه عسى ان يصلح بطاعتك والله اشد باسا اي اشد
نكاية في الاعداء منكم واشد تنكيلا اي عقوبة عن الحسن وقتادة وقيل التنكيل الشهرة بالامور الفاضحة عن ابي علي
الجبائي وقيل هو ما يولم على ايدي المسلمين من الاذلال والسبي والقتل وتخريب البلاد وقيل هو الانتقام والاهلاك
القصة قال الكلبي ان ابا سفيان لما رجع الى مكة يوم احد واعد رسول الله صلى الله عليه واله موسم بدر الصغرى وهو
سوق تقوم في ذي القعدة فلما بلغ الميعاد قال للناس اخرجوا الى الميعاد فتثاقلوا وكرهوا ذلك كراهة شديدة
او بعضهم فانزل الله هذه الاية فحرض النبي صلى الله عليه واله المومنين فتثاقلوا عنه فلم يخرجوا فخرج رسول الله صلى الله
عليه واله في سبعين راكبا حتى اتاهم موسم بدر فكفاهم الله سبحانه باسهم ولم يوافهم ابو سفيان ولم يكن قتال يومئذ وانصرف
رسول الله صلى الله عليه واله بمن معه سالمين قوله عز وجل من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة
سيئة يكن له كفل منها وكان الله على كل شيء مقيتا اية اللغة اصل الشفاعة من الشفع الذي هو ضد الوتر فان الرجل
اذا شفع لصاحبه فقد شفعه اي صار ثانيه ومنه الشفيع للملك لانه يضم ملك غيره الى ملك نفسه واختلف الامة في

في شفاعة النبي صلى الله عليه وآله يوم القيمة فقالت المعتزلة ومن تابعهم يشفع لاهل الجنة ليزيد الله تعالى درجاتهم وقال
غيرهم من فرق الامة بل يشفع لمذنبي امته ممن ارتضى الله دينهم ليسقط عقابهم بشفاعته والكفل في اللغة النصيب
واخذ من قولهم اكتفلت البعير اذا ادرت على سنامه كساء وركبت عليه وانما قيل ذلك لانه لم يستعمل الظهر كله انما
استعمل نصيب من الظهر وقال الازهري الكفل الذي لا يحسن ركوب الفرس واصله الكفل وهو ردف العجز ومنه
الكفالة بالنفس والمال والكفل المثل والمقيت اصله من القوت فانه يقوته قوتا اذا اعطاه ما يمسك به رمقه
والمقيت المقتدر لاقتداره على ذلك واقات يقيت اقاتة وينشد للزبير بن عبد المطلب وذي ضغن كففت
النفس عنه وكنت على اساءته مقيتا وهذه لغة قريش المعنى من يشفع شفاعة حسنة قيل فيها اقوال احدها ان معناه
من يصلح بين اثنين يكن له اجر منها ومن يشفع شفاعة سيئة اي يمشي بالنميمة يكن له كفل اي اثم منها عن الكلبي عن
ابن عباس وثانيها ان الشفاعة الحسنة والشفاعة السيئة شفاعة الناس بعضهم لبعض عن مجاهد والحسن فقال
ما يجوز في الدين ان يشفع فيه فهو شفاعة حسنة وما لا يجوز ان يشفع فيه فهو شفاعة سيئة قال ومن يشفع شفاعة
حسنة كان له فيها اجر وثواب وان لم يشفع لان الله سبحانه قال من يشفع ولم يقل من يشفع وقوله عليه السلم اشفعوا
تؤجروا وقوله عليه السلم من حالت شفاعته دون حد من حدود الله فقد ضاد الله في ملكه ومن اعان على خصومة
بغير علم كان في سخط الله حتى ينزع وثالثها ان المراد بالشفاعة الحسنة الدعاء للمؤمنين وبالشفاعة السيئة الدعاء عليهم
عن ابي علي الجبائي قال لان اليهود كانت تفعل ذلك فتوعدهم الله عليه ورابعها ما قاله بعضهم ان المراد بالشفاعة
هنا ان يصير الانسان شفع صاحبه في جهاد عدوه فيحصل له في هذه الشفاعة نصيب في العاجل من الغنيمة وفي الظفر وفي
الآجل من الثواب المبسوط وان صار شفيعا في معصية او شر حصل له نصيب من المذمة في العاجل والعقوبة في الآجل
والكفل الوزر عن الحسن وقتاده والحظ النصيب عن السدي والربيع وجميع اهل اللغة فكأنه النصيب من الشر
وكان الله على كل شيء مقيتا وقيل في معنى المقيت اقوال احدها انه المقتدر عن السدي وابن زيد وثانيها
الحفيظ الذي يعطي الشيء قدر الحاجة من الحفظ عن ابن عباس وثالثها الشهيد عن مجاهد ورابعها الحسيب عنه ايضا
وخامسها المجازي عن الجبائي اي يجازي على كل شيء من الحسنات والسيئات النظم وجه اتصال هذه الآية بما قبله
انه سبحانه لما قال لا تكلف الا نفسك عقب ذلك بان لك مع هذا في دعاء المؤمنين الى الحرب ما للانسان في شفاعة صاحبه
ليصل الى المنفعة لئلا يتوهم ان العبد من اجل انه لا يؤخذ بعمل غيره ولا يؤجر فعله بعمل غيره عن علي بن عباس وقيل
الوجه فيه ان كل من طلب لغيره خيرا فوصل اليه حصلت له نصيب منه وانت قد طلبت لهم الجنة بدعوتهم الى الجهاد
وحضهم عليه قال القاضي هذا احسن ما قيل فيه قوله عز وجل واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها
ان الله كان على كل شيء حسيبا آية اللغة التحية السلام يقال حيي يحيي تحية اذا سلم وقال الشاعر انا محيوك
يا سلمى فحيينا وان سقيت كرام الناس فاسقينا والتحية ايضا الملك قال كل ما نال الفتى قد نلته الا التحية يعني الملك وانما
سمي بذلك لان الملك يحيى بالسلم والثناء الحسن والحسيب الحفيظ لكل شيء حتى لا يشذ منه شيء والحسيب فعيل بمعنى الحساب
الذي هو الاحصاء يقال حاسب فلان فلانا على كذا او هو حسيبه اذا كان صاحب حسابه وقيل الحسيب الكافي فهو من
قولهم احسبني الشيء احسابا اذا كفاني واحسبني كذا اي كفاني وقال الزجاج معنى الحسيب انه يعطي كل شيء من العلم والحفظ
والجزاء مقدار ما يحسبه اي يكفيه ومنه قوله عطاء حسابا اي كافيا المعنى واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها امر الله تعالى
المسلمين برد السلم على المسلم باحسن مما سلم ان كان مؤمنا والا فليقل وعليكم لا يزيد على ذلك فقوله باحسن منها للمسلمين
خاصة وقوله او ردوها لاهل الكتاب عن ابن عباس فاذا قال المسلم السلم عليكم فقلت وعليكم السلم ورحمة الله واذا قال

السلم عليكم ورحمة الله فقلت وعليكم السلم ورحمة الله وبركاته فقد حييت باحسن منها وهذا منتهى السلم وقيل ان قوله
او ردوها للمسلمين ايضا عن السدي وعطاء وابرهيم وابن جريج قالوا اذا سلم عليك المسلم فرد عليه باحسن مما سلم عليك
او بمثل ما قال وهذا اقوى لما روي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال اذا سلم عليكم اهل الكتاب فقولوا وعليكم وذكر علي بن
ابرهيم في تفسيره عن الصادقين عليهم السلم ان المراد بالتحية في الآية السلم وغيره من البر وذكر الحسن ان رجلا دخل
على النبي صلى الله عليه وآله فقال السلم عليك فقال وعليك السلم ورحمة الله فجاءه آخر وقال السلم عليك
ورحمة الله فقال صلى الله عليه وآله وعليك السلم ورحمة الله وبركاته فجاء آخر فقال السلم عليك ورحمة الله وبركاته
فقال النبي وعليك فقيل يا رسول الله رددت للاول والثاني ولم ترد للثالث فقال انه لم يبق من التحية شيئا فرددت
عليه مثله وروى الواحدي باسناده عن ابي امامة عن مالك بن التيهان قال قال رسول الله ص من قال السلم
عليكم كتبت له عشر حسنات ومن قال السلم عليكم ورحمة الله كتبت له عشرون حسنة ومن قال السلم عليكم ورحمة الله
وبركاته كتبت له ثلاثون حسنة ان الله كان على كل شيء حسيبا اي حفيظا عن مجاهد وقيل مكافيا وقيل مجازيا عن ابن
عباس قلت هذه الآية دالة على وجوب رد السلم لان ظاهر الامر يقتضي الوجوب وقال الحسن وجماعة من المفسرين
ان السلم تطوع والرد فريضة ثم الرد مما يكون من فروض الكفاية وقد يتعين بان يخصه بالسلام ولا احد عنده
فتعين عليه الرد النظم وجه اتصال هذه الآية بما قبلها ان المراد بسلام في المسالمة التي هي ضد الحرب فلما امر سبحانه
بقتال المشركين عقبه بان قال من مال الى السلم واعطاكم من ذلك نفسه وحيى المؤمنين بتحية فاقبلوا منه قوله عز وجل
الله لا اله الا هو ليجمعنكم الى يوم القيمة لا ريب فيه ومن اصدق من الله حديثا آية الاعراب اللام في ليجمعنكم
لام القسم وحديثا نصب بالتمييز كما تقول من احسن من زيد فهما فهو استفهام في اللفظ وتقرير في المعنى
المعنى الله لا اله الا هو ابتداء من تفسيره ليجمعنكم الى يوم القيمة اي ليبعثنكم من بعد مماتكم ويحشرنكم جميعا الى موقف
الحساب الذي يقضي فيه بين اهل الطاعة والمعصية وقال الزجاج ليجمعنكم في الموت وفي قبوركم لا ريب فيه اي
لا شك في هذا القول وانما سمي يوم القيمة لان الناس يقومون فيه من قبورهم وفي التنزيل يوم يقوم الناس لرب العالمين
ومن اصدق من الله حديثا اي وعدا لا اخلاف لوعده وقيل معناه لا احد اصدق من الله في الخبر الذي يخبر به النظم
لما امر سبحانه ونهى فيما قبل بين ان الله تعالى هو الذي لا يستحق العبادة سواه اي فاعملوا على حسب ما اوجبه عليكم
فانه يجازيكم به ثم بين وقت الجزاء وقيل انما اتصل بقوله حسيبا اي انما الحسيب هو الله قوله عز وجل فما لكم في المنافقين
فئتين والله اركسهم بما كسبوا اتريدون ان تهدوا من اضل الله ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا آية اللغة
الارتكاس الرجوع ومنه قول امية بن ابي الصلت فاركسوا في حميم النار انهم كانوا عصاة وقالوا الافك والزورا قال الفراء
اركسهم وركسهم وقد ذكر ان عبد الله بن ابي بن كعب قرا ركسهم بغير الف الاعراب فئتين نصب على الحال كما تقول ما لك
قائما والعامل في الحال معنى الفعل الذي في الظرف اعني قولك النزول اختلف في النزول فيمن نزلت هذه الآية
فيه فقيل نزلت في قوم قدموا المدينة من مكة فاظهروا للمسلمين الاسلام ثم رجعوا الى مكة لانهم استوخموا
المدينة فاظهروا الشرك ثم سافروا ببضائع المشركين الى اليمامة فاراد المسلمون ان يغزوهم فاختلفوا فقال بعضهم
لا نفعل لانهم مؤمنون وقال آخرون انهم مشركون فانزل الله فيهم الآية عن مجاهد والحسن وهو المروي عن ابي جعفر ع
وقيل نزلت في الذين تخلفوا عن احد وقالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم الآية فاختلف اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله
فقال فريق منهم نقتلهم وقال آخرون لا نقتلهم فنزلت الآية عن زيد بن ثابت المعنى ثم عاد الكلام الى ذكر المنافقين
فقال سبحانه فما لكم ايها المؤمنون صرتم في امر هؤلاء المنافقين فرقتين مختلفين فمنكم من كفرهم ومنكم من

لانكثهم او الله اركسهم بما كسبوا اي ردهم الى حكم الكفار بما اظهروا من الكفر عن ابن عباس وقيل معناه واهلكهم
بكفرهم عن قتاده وقيل خذلهم فاقاموا على كفرهم وترددوا فيه فاخبر عن خذلانه اياهم بانه اركسهم عن ابي مسلم اتريدون
ان تهدوا اي تحكموا بالهداية من اضل الله اي حكم الله بضلالته وسماه ضالا وقيل معنى اضل الله خذله الله ولم يوفقه
كما وفق المومنين لانهم لما عصوا وخالفوا استحقوا هذا الخذلان عقوبة لهم على معصيتهم اي اتريدون الدفاع عن
قتالهم مع ان الله تعالى حكم بضلالهم وخذلهم ووكلهم الى انفسهم وقال ابو علي الجبائي معناه اتريدون ان تهدوا
الى طريق الجنة من اضله الله عن طريق الجنة والثواب وطعن على القول الاول بانه لو اراد التسمية والحكم لقال من ضلل الله
وهذا لا يصح لان العرب تقول اكفرته وكفرته وقال الكميت وطايفة قد اكفروني بحبكم وطايفة قالوا مسيء ومذنب
وايضا فانه سبحانه اعاد وصف المومنين بهدايتهم بان سموهم مهتدين لانهم كانوا يقولون انهم مومنون فقال سبحانه
لا تختلفوا فيهم وقولوا باجمعكم انهم منافقون ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا معناه ومن ينسبه الله الى الضلالة
فلن ينفعه ان يحكم غيره بهدايته كما يقال من جرحه الحاكم فلا ينفعه تعديل غيره وقيل معناه من يجعله الله في جملة
الضالين لم تجد له في ضلالته حجة عن جعفر بن حرب وقال يدل على انهم هم الذين اكتسبوا ما صاروا اليه من الكفر
دون ان يكون الله سبحانه اضطرهم اليه قوله على اثر ذلك ودوا لو يكفرون كما كفروا فاضاف الكفر اليهم قوله عز وجل ودوا
لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم
ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا آية المعنى ثم بين سبحانه احوال هولاء المنافقين فقال ودوا اي ود هولاء المنافقون
الذين اختلفتم في امرهم يعني تمنوا لو تكفرون انتم بالله ورسوله كما كفروا هم فتكونون سواء اي فتستوون انتم وهم
وتكونون مثلهم كفارا ثم نهى المومنين ان يوادوهم فقال فلا تتخذوا منهم اولياء اي فلا تستنصحوهم ولا تستنصروا بهم
ولا تستعينوا بهم في الامور حتى يهاجروا اي حتى يخرجوا من بلاد الشرك او يفارقوا اهلها المشركين بالله في سبيل الله
اي في ابتغاء مرضاته وهو سبيله فيصيروا عند ذلك مثلكم لهم ما لكم وعليهم ما عليكم وهذا قول ابن عباس
وانما سمي الدين سبيلا وطريقا لان من سلكه اداه الى النعيم وساقه الى الجنة فان تولوا اي اعرضوا عن الهجرة في
سبيل الله عن ابن عباس فخذوهم ايها المومنون واقتلوهم حيث وجدتموهم اي اين اصبتموهم من ارض الله في الحل
والحرم ولا تتخذوا منهم اولياء اي خليلا ولا نصيرا اي ناصرا ينصركم على اعدائكم قوله عز وجل الا الذين يصلون الى قوم
بينكم وبينهم ميثاق او جاؤكم حصرت صدورهم ان يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم ولو شاء الله لسلطهم عليكم
فلقاتلوكم فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا آية اللغة الحصر الضيق
وكل من ضاقت نفسه عن شيء من فعل او كلام يقال قد حصر ومنه الحصر في القراءة والحصر اعتقال البطن والاعتزال
ان يتنحى الرجل عن الشيء يقال اعتزلت البيت وتعزلته قال الاحوص يا بيت عاتكة الذي اتعزل حذر العدا وبه الفواد
موكل وسميت المعتزلة معتزلة لاعتزالهم مجلس الحسن البصري بعد ان كانوا من اهله وذلك ان واصل بن عطا
لما اظهر القول بالمنزلة بين المنزلتين وتابعه عمرو بن عبيد على الدين به ووافقهم جماعة على هذا المذهب قال
الامر بهم الى الاعتزال الى الحسن البصري واصحابه فسماهم الناس معتزلة وجرى عليهم ذلك الاسم الاعراب حصرت
صدورهم في موضع نصب على الحال وقد مضمرة معه لان الفعل الماضي لا يكون حالا حتى يكون معه قد اما مظهرة
او مضمرة فان قد تقرب الماضي من الحال فتقديره جاؤكم قد حصرت صدورهم كما قالوا جاء فلان ذهب عقله
اي قد ذهب عقله ويجوز ان يكون حصرت صدورهم منصوب الموضع بانه صفة لموصوف هو حال على
تقدير جاؤكم قوما حصرت صدورهم فحذف الموصوف المنتصب على الحال واقيم صفته مقامه وانما جاز ان يكون

هنا حالا لانه بمنزلة قولك او جاؤكم موصوفين بحصر الصدور او معروفين بذلك المعنى لما امر الله سبحانه المومنين بقتال
الذين لا يهاجرون عن بلاد الشرك والا يوالوهم استثنى من جملتهم فقال الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق
معناه الا من وصل من هولاء الى قوم بينكم وبينهم موادعة وعهد فدخلوا فيهم بالحلف والجوار فحكمهم حكم اولئك في حقن
دمائهم واختلف في هولاء فالمروي عن ابي جعفر عليه السلم قال المراد بقوله قوم بينكم وبينهم ميثاق هو هلال بن عويمر
السلمي واثق عن قومه رسول الله صلى الله عليه وآله وقال في موادعته على ان لا نحيف يا محمد من اتانا ولا
من اتاك فنهى الله سبحانه ان يعرض لاحد عهد اليهم وبه قال السدي وابن زيد وقيل هم بنو مدلج وكان سراقة
بن مالك بن جعشم المدلجي الى النبي صلى الله عليه وآله بعد احد فقال انشدك الله والنعمة واخذ منه ان لا تغزو
قومه فان اسلم قريش اسلموا لانهم كانوا في عقد قريش فحكم الله فيهم ما حكم في قريش ففيهم نزل هذه عن عمر بن شبه ثم
استثنى لهم حالة اخرى فقال او جاؤكم حصرت صدورهم اي ضاقت قلوبهم من ان يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم
يعني من قتالكم وقتال قومهم فلا عليكم ولا عليهم وانما عنى به اشجع فانهم قدموا المدينة في سبعمائة يقودهم
مسعود بن دخيلة فاخرج اليهم النبي صلى الله عليه وآله احمال التمر ضيافة وقال نعم الشيء الهدية امام الحاجة
وقال ما جاء بكم قالوا قرب دارنا منك وكرهنا حربك وحرب قومنا يعني بني ضمرة الذين بينهم وبينهم عهد
لقلة عددنا فجئنا لنوادعك فقبل ذلك النبي صلى الله عليه وآله منهم ووادعهم فرجعوا الى بلادهم ذكره
علي بن ابرهيم في تفسيره فامر الله سبحانه المسلمين ان لا يتعرضوا لهولاء ولو شاء الله لسلطهم عليكم بتقوية قلوبهم
فيجترون على قتالكم وقيل هذا اخبار عما في المقدور وليس فيه انه يفعل ذلك بان ياذن لهم فيه ومعناه
انه يقدر على ذلك لو شاء لكنه لا يشاء ذلك تعالى بل يلقي في قلوبهم الرعب حتى يفزعوا ويطلبوا الموادعة ويدخل
بعضهم في حلف من بينكم وبينه ميثاق فلقاتلوكم اي لو فعل ذلك لقاتلوكم فان اعتزلوكم يعني هولاء الذين
امروا بالكف عن قتالهم بدخولهم في عهدكم او بحصرهم اليكم حصرت صدورهم ان يقاتلوكم فلم يقاتلوكم والقوا
اليكم السلم يعني صالحوكم واستسلموا لكم كما يقول القائل اللهم اليك سلمت وفي الحديث اليك رمى اذا استسلم
وانقادا لامره والصلح فما جعل الله لكم عليهم سبيلا يعني اذا سالموكم فلا سبيل لكم الى نفوسهم واموالهم قال الحسن
وعكرمة نسخت هذه الاية والتي بعدها والايات في سورة الممتحنة لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين
الى قوله الظالمون الآيات الاربع بقوله فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم الآية قوله
عز وجل ستجدون آخرين يريدون ان يامنوكم ويامنوا قومهم كلما ردوا الى الفتنة اركسوا فيها فان لم يعتزلوكم
ويلقوا اليكم السلم ويكفوا ايديهم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم واولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا
آية النزول اختلف فيمن عني بهذه الاية فقيل نزلت في ناس كانوا ياتون النبي صلى الله عليه وآله فيسلمون
رياء ثم يرجعون الى قريش فيرتكسون في الاوثان يبتغون بذلك ان يامنوا قومهم ويامنوا نبي الله فابى الله
ذلك عليهم عن ابن عباس ومجاهد وقيل نزلت في نعيم بن مسعود الاشجعي كان ينقل الحديث بين النبي وبين المشركين
عن السدي وقيل نزلت في اسد وغطفان عن مقاتل وقيل نزلت في عيينة بن حصين الفزاري وذلك انه اجدبت
بلادهم فجاء الى رسول الله صلى الله عليه وآله ووادعه على ان يقيم ببطن نخل ولا يتعرض له وكان منافقا ملعونا وهو
الذي سماه رسول الله الاحمق المطاع في قومه وهو المروي عن الصادق عليه السلم المعنى ثم بين سبحانه طائفة اخرى
منهم فقال ستجدون آخرين يعني قوما آخرين غير الذين وصفتهم قبل يريدون ان يامنوكم فيظهرون الاسلام
ويامنوا قومهم فيظهرون لهم الموافقة في دينهم كلما ردوا الى الفتنة اركسوا فيها المراد بالفتنة هنا الشرك اي كلما دعوا

الى الكفر اجابوا ورجعوا اليه والفتنة في اللغة الاختبار والاركاس الرد وقال الزجاج اركسوا فيها اي اركسوا في عقدهم فالمعنى كلما ردوا الى الاختبار ليرجعوا الى الكفر رجعوا اليه فان لم يعتزلوكم يا ايها المومنون اي فان لم يعتزلوا قتالكم هولاء الذين يريدون ان يامنوكم ويامنوا قومهم ويلقوا اليكم السلم يعني ولم يستسلموا لكم فيعطوكم المقادة ويصالحوكم ولم يكفوا ايديهم عن قتالكم فخذوهم اي فاسروهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم اي وجدتموهم واصبتموهم واولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا اي حجة ظاهرة وقيل عذرا واسا في القتال وسميت الحجة سلطانا لانها يتسلط بها على الخصم كما يتسلط بالسلطان

قوله عز وجل وما كان لمومن ان يقتل مومنا الا خطا ومن قتل مومنا خطا فتحرير رقبة مومنة ودية مسلمة الى اهله الا ان يصدقوا فان كان من قوم عدو لكم وهو مومن فتحرير رقبة مومنة وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مومنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله وكان الله عليما حكيما آية

اللغة الخطا خلاف الصواب والفعل منه خطا واخطا في الامر اذا لم يصب الصواب والخطا والخطا بالفتح فيهما والخطاء والخطا بالتسكين فيهما والخاطئة الذنب والفعل منه خطا يخطا اذا اذنب والتحرير تفعيل من الحرية وهو اخراج العبد من الرق الى الحرية

الاعراب اجمع المحققون من النحويين على ان قوله الا خطا استثناء منقطع من الاول على معنى ما كان لمومن ان يقتل مومنا البتة الا ان يخطي المومن ومثله قول الشاعر من البيض لم تظعن بعيدا ولم تطا على الارض الا ريط برد مرجل والمعنى لم تطا على الارض الا ان يطا ذيل البرد من الارض وقد ذكرنا ما قيل في مثله في سورة البقرة عند قوله الا الذين ظلموا منهم وقال بعضهم ان الاستثناء متصل والمعنى لم يكن المومن ان يقتل مومنا متعمدا ومتى قتله متعمدا لم يكن مومنا فان ذلك يخرجه من الايمان ثم قال الا خطا اي فان قتله خطا لا يخرجه من الايمان فتحرير رقبة مبتدا محذوف الخبر لدلالة الكلام عليه وموضع ان في قوله الا ان يصدقوا نصب لان المعنى فعليه ذلك الا ان يصدقوا اي الا على ان يصدقوا ثم سقط على وعمل فيه ما قبله على ان معنى الحال فهو مصدر وقع موقع الحال واصل يصدقوا يتصدقوا فادغمت التاء في الصاد لقرب مخرجيهما وقيل ان في قراءة ابي الا ان يتصدقوا وتوبة من الله كقولهم فعلت كذا حذر الشر عن الزجاج فيكون مفعولا له وقيل انه بمعنى تاب الله عليكم بذلك توبة فيكون مصدرا مثل كتاب الله عليكم وقد مر ذكره

النزول نزلت في عياش بن ابي ربيعة المخزومي اخي ابي جهل لامه لانه كان اسلم وقتل بعد اسلامه رجلا مسلما وهو لا يعلم باسلامه والمقتول الحرث بن يزيد ابي نبيشة العامري عن مجاهد وعكرمة والسدي قال قتله بالحرة بعد الهجرة وكان احد من رده عن الهجرة وكان يعذب عياشا مع ابي جهل وهو المروي عن ابي جعفر ع وقيل نزلت في رجل قتله ابو الدردا وكانوا في السرية فعدل ابو الدردا الى شعب يريد حاجة فوجد رجلا من القوم في غنم له فحمل عليه بالسيف فقال لا اله الا الله فبدر فضربه ثم جاء بغنمه الى القوم ثم وجد في نفسه شيا فاتى رسول الله صلى الله عليه وآله فذكر ذلك له فقال له رسول الله الا شققت عن قلبه وقد اخبرك بلسانه ولم تصدقه فقال كيف بي يا رسول الله فقال فكيف بلا اله الا الله فقال ابو الدردا فتمنيت ان ذلك اليوم ان يكون مبتدا ايماني فنزلت الآية عن ابن زيد

المعنى ما كان لمومن ان يقتل مومنا الا خطا معناه ما اباح الله ولا اذن لمومن فيما عهد اليه ان يقتل مومنا الا ان يقتله خطا عن قتادة وغيره وقيل معناه ما كان له كما ليس له الان يقتل مومن الا ان يقع القتل خطا وقيل تقديره وما كان لمومن ليقتل مومنا الا خطا كقوله سبحانه وما كان لله ان يتخذ من ولد معناه ما كان الله ليتخذ ولدا وقوله سبحانه ما كان لكم ان تنبتوا شجرها اي ما كنتم لتنبتوا شجرها وانما قلنا ان معناه ما ذكرنا لانه سبحانه لا يجيء الامر والنهي واثبات الشي لا يدخل تحت مقدور البشر فلا يصح النهي عنه فمعنى الآية على ما وصفناه ليس صفة

246

المومن ان يقتل مومنا الا خطا وعلى هذا يكون الاستثناء متصلا ومن قال ان الاستثناء منقطع قال تقدير الكلام عند قوله ان يقتل مومنا ثم قال فان كان القتل خطا فحكمه كذا وانما لم يحمل قوله الا خطا على حقيقة الاستثناء لان ذلك يودي الى الامر بقتل الخطا او اباحته ولا يجوز واحد منهما والخطا هو ان يريد شيا فيصيب غيره مثل ان يرمي الى غرض او الى صيد فيصيب انسانا فيقتله وكذلك لو قتل رجلا ظنه كافرا كما ظن عياش بن ابي ربيعة وابو الدردا على ما ذكرناه قتل ومن قتل مومنا خطا فتحرير رقبة مومنة اي فعليه اعتاق رقبة مومنة من ماله خاصة على وجه الكفارة حقا لله تعالى والرقبة المومنة هي البالغة التي امنت وصلت وصامت لا يجزي في كفارة القتل الطفل والكافر عن ابن عباس والشعبي وابرهيم والحسن وقتادة وقيل يجزي كل رقبة ولدت على الاسلام عن عطا والاول اقوى لان لفظ المومن لا يطلق الا على البالغ الملتزم للفرائض الا من ولد بين مومنين فلا خلاف انه يحكم له بالايمان ودية اي عليه وعلى عاقلته دية مسلمة الى اهله اي الى اهل القتيل والمسلمة هي المدفوعة اليهم موفرة غير منتقصة حقوق اهلها منها يدفع الى اهل القتيل فيقسم بينهم على حسب الميراث الا ان يصدقوا يعني الا ان يتصدق اولياء القتيل بالدية على عاقلة القاتل ويتركوها عليهم فان كان من قوم عدو لكم وهو مومن معناه فان كان القتيل من جملة قوم هم اعداء لكم يناصبونكم الحرب وهو في نفسه مومن ولم يعلم قاتله انه مومن فقتله وهو يظنه مشركا فتحرير رقبة اي فعلى قاتله تحرير رقبة مومنة كفارة وليس فيه دية عن ابن عباس وقيل ان معناه اذا كان القتيل في عداد قوم وهو مومن بين اظهرهم لم يهاجروا فقتله فلا دية له وعليه تحرير رقبة مومنة فقط لان الدية ميراث واهله كفار لا يرثونه عن ابن عباس وفي رواية اخرى وابرهيم والسدي وقتاده وابن زيد وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق اي عهد وذمة وليسوا اهل الحرب لكم فدية مسلمة الى اهله يلزم عاقلة قاتله وتحرير رقبة مومنة يلزم قاتله كفارة لقتله وهو المروي عن الصادق عليه السلم واختلف في صفة هذا القتيل اهو مومن ام كافر فقيل انه كافر الا انه يلزم قاتله ديته بسبب العهد عن ابن عباس والزهري والشعبي وابرهيم النخعي وقتاده وابن زيد وقيل بل هو مومن يلزم قاتله الدية يوديها الى قومه المشركين لانهم اهل ذمة عن الحسن وابرهيم ورواه اصحابنا ايضا الا انهم قالوا تعطى ديته ورثته المسلمين دون الكفار ولفظ الميثاق يقع على الذمة والعهد جميعا فمن لم يجد اي لم يقدر على عتق الرقبة بان لا يجد العبد ولا ثمنه فصيام شهرين اي فعليه صيام شهرين متتابعين توبة من الله اي ليتوب الله به عليكم فيكون التوبة من فعل الله تعالى وقيل ان المراد بالتوبة هنا التخفيف من الله لانه سبحانه انما جوز للقاتل العدول الى الصيام تخفيفا عليه ويكون كقوله سبحانه علم ان لن تحصوه فتاب عليكم وكان الله عليما حكيما اي لم يزل عليما بكل شي حكيما فيما يامره وينهى عنه واما الدية الواجبة في قتل الخطا فمائة من الابل ان كانت العاقلة من اهل الابل بلا خلاف وان اختلفوا في اسنانها فقيل هي ارباع عشرون بنت مخاض وعشرون ابن لبون ذكر وثلثون بنت لبون وثلثون حقة روي ذلك عن عثمان وزيد بن ثابت ورواه اصحابنا ايضا وقد روي ايضا في اخبارنا خمس وعشرون بنت مخاض وخمس وعشرون بنت لبون وخمس وعشرون حقة وخمس وعشرون جذعة وبه قال الحسن والشعبي وقيل انها اخماس عشرون حقة وعشرون جذعة وعشرون بنت لبون وعشرون ابن لبون وعشرون بنت مخاض وهو قول ابن مسعود والزهري والثوري واليه ذهب الشافعي وقال ابو حنيفة هي اخماس ايضا الا انه جعل مكان ابن لبون ابن مخاض وبه قال النخعي وروي ايضا عن ابن مسعود قال الطبري هذه الروايات كلها متكافية والاولى التخيير واما الدية من الذهب فالف دينار ومن الورق فعشرة آلاف درهم على الاصح وقيل اثنا عشر الفا ودية الخطا

يتادى في ثلاث سنين ولو خلينا وظاهر الآية لقلنا ان الدية في الخطا على القاتل لكنا علمنا بسنة الرسول ع
والاجماع ان الدية في الخطا على العاقلة وهم الاخوة وبنو الاخوة والاعمام وبنو الاعمام واعمام الاب وابناؤهم
والموالي وبه قال الشافعي وقال ابو حنيفة يدخل الوالد والولد فيها ويعقل القاتل منها وقد روى ابن مسعود
عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال لا يوخذ الرجل بجريرة ابيه ولا ابن بجريرة ابنه وليس الزام الدية للعاقلة على سبيل
مواخذة البري بالسقيم لان ذلك ليس بعقوبة بل هو حكم شرعي تابع للمصلحة وقد قيل ان ذلك على سبيل المواساة
والمعاونة النظم انه ذكر الكفار روا مرتبا لهم ثم ذكر من كان بينهم وبين المسلمين عهد وبين من قتلهم ثم ذكر من
تاب ثم ذكر قتل المومن ووصل به ذكر احكامه من دية وغيره قوله عز وجل ومن يقتل مومنا متعمدا فجزاؤه جهنم
خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما آية النزول نزلت في مقيس بن صبابة الكناني وجد
اخاه قتيلا في بني النجار فوجد فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله فارسل معه ابن هلال الفهري وقال
قل لبني النجار ان علمتم قاتل هشام فادفعوه الى اخيه ليقتص منه وان لم تعلموا فادفعوا اليه ديته فبلغ الفهري
الرسالة فاعطوه الدية فلما انصرف ومعه الفهري وسوس اليه الشيطان فقال ما صنعت شيئا اخذت دية
اخيك فيكون عليك سبة اقتل الذي معك ليكون نفس بنفس والدية فضل فرماه بصخرة فقتله فركب بعيرا
ورجع الى مكة كافرا وانشد يقول قتلت به فهرا وحملت عقله سراة بني النجار ارباب فارع فادركت ثاري واضطجعت
موسدا وكنت الى الاوثان اول راجع فقال النبي صلى الله عليه وآله لا اومنه في حل ولا حرم فقتل يوم الفتح رواه الضحاك
وجماعة من المفسرين المعنى لما بين سبحانه قتل الخطا وحكمه عقبه ببيان قتل العمد وحكمه فقال ومن يقتل مومنا متعمدا اي
قاصدا الى قتله عالما بايمانه وحرمة قتله وعصمة دمه وقيل معناه مستحلا لقتله عن عكرمة وابن جريج وجماعة
وقيل معناه ان يقتله على دينه رواه العياشي باسناده عن الصادق عليه السلم فجزاؤه جهنم خالدا فيها مقيما فيها
وغضب الله عليه ولعنه ابعده من الخير وطرده عنه على وجه العقوبة واعد له عذابا عظيما ظاهر المعنى وصفة قتل العمد
ان يقصد قتل غيره بما جرت العادة بان يقتل مثله سواء كان بحديدة حادة كالسلاح او بخنق او سم او باحراق
او تغريق او موالاة ضرب بالعصا او بالحجارة حتى يموت فان جميع ذلك عمد يوجب القود وبه قال ابراهيم والشافعي
واصحابه وقال قوم لا يكون قتل العمد الا بالحديد وبه قال سعيد بن المسيب وطاوس وابو حنيفة واصحابه واما
القتل شبيه العمد فهو ان يضربه بعصى او غيرها مما لم تجر العادة بحصول الموت عنده فيموت ففيه الدية مغلظة
يلزم القاتل خاصة في ماله دون العاقلة وفي هذه الآية وعيد شديد لمن قتل مومنا متعمدا حرم الله سبحانه
قتل المومن وغلظ فيه وقال جماعة من التابعين الآية اللينة وهي ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك
لمن يشاء نزلت بعد الشديدة وهي من يقتل مومنا متعمدا وقال ابو مجلز في قوله سبحانه فجزاؤه جهنم خالدا فيها
هي جزاؤه ان جازاه ويروى عنه ايضا باسناده عن ابي عبد الله ع وقد روى ايضا مرفوعا الى النبي صلى الله عليه
وآله انه قال هو جزاؤه ان جازاه وروى عاصم بن ابي النجود عن ابن عباس في قوله فجزاؤه جهنم قال هي جزاؤه
فان شاء عذبه وان شاء غفر له وروي عن ابي صالح وبكر بن عبد الله وغيرهما انه كما يقول الانسان لمن يزجره عن
امر ان ما فعلته فجزاؤك القتل والضرب ثم ان لم يجازه بذلك لم يكن ذلك منه كذبا واعترض على هذا ابو علي
الجبائي فقال ان ما لا يفعل لا يسمى جزاء الا ترى ان الاجير اذا استحق الاجرة فالدراهم التي مع مستاجره لا تسمى بانها جزاء
عمله وهذا لا يصح لان الجزاء عبارة عن المستحق سواء فعل ذلك ام لم يفعل ولهذا يقال جزاء المحسن الاحسان وجزاء المسيء
الاساءة وان لم يتعين المحسن والمسيء ويقال انه فعل ذلك به او لم يفعل ويقال لمن قتل غيره جزاء هذا ان يقتل وانما

لا يقال للدراهم انها جزاء الاجير لان الاجير انما يستحق الاجرة في الذمة لا في دراهم معينة فللمستاجر ان يعطيه
منها ومن غيرها ومن تعلق بهذه الآية من اهل الوعيد في ان مرتكب الكبيرة لا بد ان يخلد في النار فانا نقول له ما انكرت
ان يكون المراد به من لا ثواب له اصلا بان يكون كافرا او يكون قتله مستحلا لقتله او قتله لايمانه فانه لا خلاف ان هذا
صفته من يخلد في النار ويعضده من الرواية ما تقدم ذكره في سبب نزول الآية واقوال الائمة في معناها وبعد فقد ا
جمعنا على ان الآية مخصوصة بمن لا يتوب وان التائب خارج من عمومها واما ما روي عن ابن عباس انه قال
لا توبة لقاتل المومن الا اذا قتله في حال الشرك ثم اسلم وتاب وبه قال ابن مسعود وزيد بن ثابت فالاولى ان يكون
هذا منهم محمولا على طريق التغليظ في القتل كما روي عن سفيان الثوري انه سئل عن توبة القاتل فقال كان
اهل العلم اذا سئلوا قالوا لا توبة له واذا ابتلي الرجل قالوا تب وروى الواحدي باسناده مرفوعا الى عطاء عن
ابن عباس ان رجلا سال القاتل المومن توبة فقال لا وساله آخر اهل للمومن توبة فقال نعم فقيل له في ذلك فقال
جاءني ذلك ولم يكن قتل فقلت لا توبة لك لكي لا يقتل وجاءني هذا وقد قتل فقلت لك توبة لكي لا يلقي
بيده الى التهلكة ومن قال من اصحابنا ان قاتل المومن لا يوفق للتوبة لا ينافي ما قلناه لان هذا القول ان صح
فانما يدل على انه لا يختار التوبة مع انها لو حصلت لازالت العقاب واذا كان لا بد من تخصيص الآية بالتوبة جاز
ان يخص ايضا بمن تفضل عليه بالعفو وروى الواحدي باسناده مرفوعا الى الاصمعي قال جاء عمرو بن عبيد الى
ابي عمرو بن العلاء فقال يا ابا عمرو يخلف الله ما وعد فقال لا قال ارايت من اوعده على عمل عقابا ايخلف
وعده فيه فقال ابو عمرو من العجمة اتيت يا ابا عثمن ان الوعد غير الوعيد ان العرب لا تعد على عمل عقابا عارا
ولا خلفا ان تعد شرا ثم لا تفعله ترى ذلك كرما وفضلا وانما الخلف ان تعد خيرا ثم لا تفعله قال فاوجدني
هذا في كلام العرب قال نعم اما سمعت قول الاول واني وان اوعدته او وعدته لمخلف ايعادي ومنجز موعدي
ووجدنا في الدعاء المروي بالرواية الصحيحة عن الصادقين عليهما السلم يا من اذا وعد وفا واذا توعد عفا
يؤيد ما تقدم وقد احسن يحيى بن معاذ في هذا المعنى قال حيث الوعد حق والوعيد حق فالوعد حق العباد
على الله ضمن لهم اذا فعلوا كذا ان يعطيهم كذا ومن اولى بالوفا من الله والوعيد حقه على العباد قال لا تفعلوا
كذا فاعذبكم ففعلوا فان شاء عفا وان شاء اخذ لانه حقه واولاهما بربنا العفو والكرم فانه غفور رحيم
وروى اسحق بن ابراهيم قال سمعت قريش بن انس يقول كنت عند عمرو بن عبيد في بيته فانشا يقول يؤتى بي يوم
القيمة فاقام بين يدي الله تعالى فيقول لي قلت ان القاتل في النار فاقول انت قلت ومن يقتل مومنا الآية
فقلت له وما في البيت اصغر سنا مني ارايت ان قال لك فاني قلت ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون
ذلك لمن يشاء من اين علمت اني لا اشاء ان اغفر لهذا قال فما استطاع ان يرد علي شيا قوله عز وجل يا ايها الذين
آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن القى اليكم السلم لست مومنا تبتغون عرض الحيوة الدنيا
فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا ان الله كان بما تعملون خبيرا آية القراءة
قرا اهل الكوفة غير عاصم فتثبتوا هنا في الموضعين بالثاء والتاء وفي الحجرات وقرا الباقون فتبينوا بالياء والنون
في الجميع وقرا اهل المدينة والشام وحمزة السلم بغير الف وفي بعض الروايات عن عاصم السلم بكسر السين وسكون
اللام وقرا الباقون السلام بالف وروي عن ابي جعفر القاري من بعض الطرق لست مومنا بفتح الميم الثانية
وحكى ابو القاسم البلخي انه قراءة محمد بن علي الباقر ع الحجة قال ابو علي من قرا فتثبتوا فحجته ان التثبت خلاف الاقدام
والمراد به وهو اشد اختصاصا بهذا الموضع ومن ذلك قوله واشد تثبيتا اي اشد وقفا لهم عما وعظوا بان لا يقدموا
عليه ومن قرا فتبينوا فحجته ان التبين قد يكون اشد من تثبت وقد جاء التبين من الله والعجلة من الشيطان فقابل

السين بالعجلة دلالة على تقارب النبت والتبين قال الشاعر في موضع التوقف والزجر اريد مناه بوعد
يابن تميم سر اين تاه بك الوعيد قال ومن قرء السلام احتمل ضربين احدهما ان يكون المعنى التحية
اي لا تقولوا لمن احياكم بتحية المسلمين انما قالها تعوذا ولكن ارفعوا السيف منه والاخر ان يكون المعنى لا
تقولوا لمن لم يقاتلكم لست مؤمنا قال ابو الحسن يقال فلان سلام اذا كان لا يخالط احدا ومن قرء السلام اراد
الانقياد والاستسلام الى المسلمين ومنه قوله والقوا الى الله يومئذ السلم اي استسلموا لامره ولما يراد منهم ومن
قال السلم بكسر السين فمعناه الاسلام والاسلام مصدر اسلم اي صار سلما وخرج عن ان يكون حربا ومن قرء
مؤمنا فانه من الامان ومعناه لا تقولوا لمن استسلم لكم لسنا نؤمنكم اللغة جميع متاع الدنيا عرض الدنيا يقال
الدنيا عرض حاضر ويقال لكل شيء يقل لبثه عرض ومنه العرض الذي هو خلاف الجوهر عند المتكلمين لانه
ما لا يلبث من اللبث ما يجب للاجسام والعرض ما يعرض للانسان من مرض ونحوه الاعراب تبتغون في موضع
على الحال من الواو في تقولوا والكاف من كذلك في موضع نصب من كونه خبر كان من كنتم النزول قيل نزلت
في اسامة بن زيد واصحابه بعثهم النبي صلى الله عليه وآله فلقوا رجلا قد انحاز بغنم له الى جبل وكان قد اسلم
فقال السلام عليكم لا اله الا الله محمد رسول الله فبدر اليه اسامة فقتله واستاقوا غنمه عن السدي وعن ابن
عباس وقتاده لما نزلت الآية حلف اسامة لا يقتل رجلا قال لا اله الا الله وبهذا اعتذر الى علي عليه السلام لما
تخلف عنه وان كان عذره غير مقبول لانه قد دل الدليل على وجوب طاعة الامام في محاربة من حاربه
من البغاة لا سيما وقد سمع قول النبي صلى الله عليه وآله حربك يا علي حربي وسلمك سلمي وقيل نزلت في محلم بن جثامة
الليثي وكان قد بعثه النبي صلى الله عليه وآله في سرية فلقيه عامر بن الاضبط الاشجعي فحياه بتحية الاسلام
وكان بينهما احنة فرماه بسهم فقتله فلما جاء الى النبي صلى الله عليه وآله جلس بين يديه وسأله ان يستغفر له فقال
لا غفر الله لك فانصرف باكيا فما مضت عليه سبعة ايام حتى هلك فدفن فلفظته الارض فقال النبي صلى الله عليه
وآله لما اخبر به ان الارض تقبل من هو شر من محلم صاحبكم ولكن الله اراد ان يعظم من حرمتكم ثم طرحوه بين صدفي
جبل والقوا عليه الحجارة فنزلت الآية عن الواقدي ومحمد بن اسحاق بن يسار بروايته عن ابن عمر وابن مسعود
وابي حدرد وقيل كان صاحب السرية المقداد عن سعيد بن جبير وقيل ابو الدرداء عن ابن زيد المعنى لما
بين سبحانه احكام القتل واتبعه عقيب ذلك بالامر بالتثبت والتاني حتى لا يقتل ما يعقب الندامة فقال يا ايها
الذين آمنوا اذا ضربتم اي سرتم وسافرتم في سبيل الله للغزو والجهاد فتبينوا اي ميزوا بين الكافر والمؤمن
وتثبتوا وتانوا حتى تعلموا من يستحق القتل والمعنيان متقاربان والمراد بهما لا تعجلوا في القتل لمن اظهر
اسلامه ظنا منكم بانه لا حقيقة لذلك ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام اي حياكم بتحية اهل الاسلام او من استسلم
لكم فلم يقاتلكم مظهرا انه من اهل ملتكم لست مؤمنا اي ليس لايمانك حقيقة وانما اسلمت خوفا من القتل او لست
بامن تبتغون تطلبون عرض الحياة الدنيا يعني الغنيمة والمال ومتاع الحياة الذي لا بقاء له فعند الله مغانم
كثيرة اي في مقدوره فواضل ونعم ورزق ان اطعتموه فيما امركم به وقيل معناه ثواب كثير لمن ترك قتل المؤمن
كذلك كنتم من قبل اختلف في معناه فقيل كما كان هذا الذي قتلتموه مستخفيا في قومه بدينه خوفا على نفسه منهم
كنتم انتم مستخفين بأديانكم من قومكم حذرا على انفسكم عن سعيد بن جبير وقيل كان هذا المقتول كافرا فهداه
الله كذلك كنتم كفارا فهداكم الله عن ابن زيد والجبائي وقيل كذلك كنتم اذلاء آحادا اذا سار الرجل منكم وحده
خاف ان يختطف عن المغربي فمن الله عليكم فيه قولان احدهما فمن الله عليكم باظهار دينه واعزاز اهله حتى اظهرتم
الاسلام بعد ما كنتم تكتمونه من اهل الشرك عن سعيد بن جبير وقيل معناه فتاب الله عليكم فتبينوا اعاد هذا اللفظ

للتاكيد بعد ما طال الكلام وقيل الاول معناه تبينوا حاله والثاني معناه تبينوا هذا اللفظ لعواقب تجعلها بركم واعرفوها
وابتغوها ان الله كان اي لم يزل بما تعملون اي بما تعملونه خبيرا عليما قبل ان تعملوه قوله عز وجل لا يستوي القاعدون
من المؤمنين غير اولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله باموالهم وانفسهم فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين
درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة وكان
الله غفورا رحيما آيتان القراءة قرء اهل المدينة والشام والكسائي وخلف غير اولي الضرر بنصب الراء والباقون
بالرفع الحجة فالرفع على انه يجعل غير صفة للقاعدين عند سيبويه فلذلك قال في غير المغضوب عليهم انه صفة
للذين انعمت عليهم ومنه قول لبيد فاذا جوزيت قرضا فاجزه انما يجزي الفتى غير الجمل فغير صفة للفتى فعلى
هذا يكون التقدير عليهم ومنه قول لبيد لا يستوي القاعدون الاصحاء والمجاهدون والنصب على الاستثناء من
القاعدين ويستوي فعل يقتضي فاعلين فصاعدا فالتقدير فلا يستوي القاعدون الا اولي الضرر والمجاهدون
قال الزجاج ويجوز ان يكون منصوبا على الحال فيكون المعنى لا يستوي القاعدون في حال صحتهم والمجاهدون
كما تقول جاءني زيد غير مريض اي صحيحا ويجوز في غير الجر على ان يكون صفة للمؤمنين في غير القراءة اللغة الضرر النقصان
هو كل ما يضرك وينقصك من عمى وعرض وعلة والدرجة المنزلة ودرجة الكتاب اي رفعته المنزلة بعد منزلة
وادرجت الكتاب طويته منزلة بعد منزلة ودرج الرجل مضى لسبيله لانه صار الى منزل الآخرة ومنه فلان اكذب
من دب ودرج اي اكذب الاحياء والاموات الاعراب درجة منصوب على انه اسم وضع موضع المصدر اي تفضيلا
بدرجة وكلا مفعول وعد والحسنى مفعول ثان ودرجات في موضع نصب بدلا من قوله اجرا عظيما وهو مفسر للاجر
المعنى فضل الله المجاهدين درجات ومغفرة ورحمة ويجوز ان يكون منصوبا على التوكيد لاجرا عظيما لان الاجر
العظيم هو رفع الدرجات من الله والمغفرة والرحمة كما تقول لك علي الف درهم عرفا فقولك عرفا مؤكد لقولك
علي الف درهم هو اعتراف فكانك قلت اعرفها عرفا فكانه قيل غفر الله لهم مغفرة واجرهم اجرا عظيما لان قوله
اجرا عظيما فيه معنى غفر ورحم وفضل النزول نزلت الآية في كعب بن مالك من بني سلمة ومرارة بن الربيع
من بني عمرو بن عوف وهلال بن امية من بني واقف تخلفوا عن رسول الله يوم تبوك وعذر الله
اولي الضرر وهو عبد الله بن ام مكتوم رواه ابو حمزة الثمالي في تفسيره وقال زيد بن ثابت كنت عند النبي صلى الله
عليه وآله حين نزلت عليه لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله ولم يذكر اولي
الضرر فقال ابن ام مكتوم فكيف وانا اعمى لا ابصر فتغشى النبي صلى الله عليه وآله الوحي ثم سري عنه فقال لا يستوي
القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله ولم يذكر اولي الضرر فقال ابن ام مكتوم غير اولي
الضرر وكتبها المعنى لما حث سبحانه على الجهاد عقبه لما فيه من الفضل والثواب فقال لا يستوي القاعدون
من المؤمنين اي لا يعتدل المتخلفون عن الجهاد في سبيل الله من اهل الايمان بالله وبرسوله والمؤثرون
الدعة والرفاهية على مقاساة الحرب والمشقة بلقاء العدو غير اولي الضرر اي الا اهل الضرر منهم بذهاب
ابصارهم وغير ذلك من العلل التي لا سبيل لاهلها الى الجهاد للضرر الذي والمجاهدون في سبيل الله ومنهاج
دينه لتكون كلمة الله هي العليا والمستفرغون وسعهم في قتال اعداء الله واعزاز دينه باموالهم انفاقا لها فيما اوهن
كيد الاعداء وانفسهم حملا لها على الكفاح في القتال وفضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة
معناه فضيلة ومنزلة عن قتاده وكلا وعد الله الحسنى معناه وكلا الفريقين من المجاهدين والقاعدين عن
الجهاد وعدهم الله الجنة وكلا وغيره من المفسرين وفي هذا دلالة على ان الجهاد فرض على الكفاية لانه لو كان فرضا
على الاعيان لما استحق القاعدون بغير عذر اجرا وقيل ان المراد بالكل هنا المجاهد والقاعد من اولي الضرر

المعد ورعى مقاتل وفضل الله المجاهدين على القاعدين من غير اولى الضرر اجرا عظيما درجات منه اى منازل
بعضها اعلى من بعض من منازل الكرامة وقيل هي درجات الاعمال كما يقال الاسلام درجة والفقه درجة
والهجرة درجة والجهاد في الهجرة درجة والقتل درجة عن قتادة وقيل معنى الدرجات السبع التي ذكرها
في سورة براءة في قوله ذلك بانهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطؤن موطئا يغيظ الكفار
ولا ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم به عمل صالح الى قوله ليجزيهم الله احسن ما كانوا يعملون فهذه الدرجات
السبع عن عبد الله بن زيد ومغفرة ورحمة هذا بيان خلوص النعيم والكرامات وكان الله غفورا رحيما اى لم يزل
تعالى غفارا للذنوب صفوحا للعبيد عن العقوبة عليها رحيما بهم متفضلا عليهم وقد سأل يقال كيف
قال في اول الآية فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة ثم قال في آخرها وفضل الله المجاهدين
على القاعدين اجرا عظيما درجات وهذا متناقض الظاهر واجيب عنه بجوابين احدهما انه في اول الآية
فضل الله المجاهدين على القاعدين من اولى الضرر درجة وفي آخرها فضلهم على القاعدين من غير اولى الضرر
درجات فلا يتناقض لان قوله وكلا وعد الله الحسنى يدل على ان القاعدين لم يكونوا عاصين وان كانوا تاركين
للفضل والثاني ما قاله ابو علي الجبائي وهو انه اراد بالدرجة الاولى علو المنزلة وارتفاع القدر على وجه المدح
لهم كما يقال فلان على درجة عند الخليفة من فلان يريدون بذلك انه اعظم منزلة وبالثانية الدرجات
في الجنة التي يتفاضل بها المؤمنون بعضهم على بعض على مقدار استحقاقهم وقال المغربي انما كرر لفظ التفضيل
لان الاول اراد تفضيلهم في الدنيا وفي الثاني اراد تفضيلهم في الآخرة وجاء في الحديث ان الله سبحانه فضل
المجاهدين على القاعدين سبعين درجة بين كل درجتين مسيرة سبعين خريفا للفرس الجواد المضمر عز وجل

ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض قالوا الم تكن ارض
الله واسعة فتهاجروا فيها فاولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا الا المستضعفين من الرجال والنساء
والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا

ثلث آيات القراءة روي في الشواذ عن ابرهيم انه قرأ ان الذين توفاهم الملائكة بضم التاء الحجة قال ابن جني
معنى هذا انك ترى ان الذين يعدون على الملائكة يردون اليهم يحتسبون عليهم فهو من نحو قولك ان
المال الذي توفاه امر اى يدفع اليه ويحتسب عليه كان كل ملك يقبض اليه قبض بعض الناس ثم يحكى ذلك
ووقته التوفي القبض وتوفيت الشيء واستوفيته قبضته والوفاة الموت لان الميت يقبض اليه والتوفي
الاحصاء قال الشاعر ان بني ادرم ليسوا من احد ليسوا الى قيس وليسوا من اسد ولا توفاهم قريش في العدد
المعنى احصاؤهم والمأوى المرجع من اوى الى منزله ياوي اويا والاستضعاف وجدان الشيء ضعيفا كالاستطراف
ونحوه الاعراب توفاهم ان شئت كان لفظا ماضيا فيكون مفتوحا لان الماضي مبني على الفتح ويجوز ان يكون
مستقبلا فيكون مرفوعا على معنى تتوفاهم حذفت التاء الثانية لاجتماع تاءين وقد ذكرناه مشروحا فيما تقدم
ظالمي انفسهم نصب على الحال واصله ظالمين انفسهم الا ان النون حذفت استخفافا وهي ثابتة في التقدير
كما قال سبحانه بالغ الكعبة اى بالغا الكعبة فيم حذف الالف من ما للاستفهام وهو في موضع نصب والجار مع المجرور
في موضع نصب لانه خبر كان وخبر ان قوله قالوا الم تكن اى قالوا لهم فحذف لدلالة الكلام عليه ويجوز ان يكون خبر اولئك
مأواهم جهنم ويكون قالوا لهم في موضع نصب ويكون صفة لظالمي انفسهم لانه نكرة المستضعفين نصب على الاستثناء من
قولهم مأواهم جهنم الا المستضعفين لا يستطيعون حيلة في موضع نصب على الحال من المستضعفين النزول قال ابو حمزة
الثمالي بلغنا ان المشركين يوم بدر لم يخلفوا اذ خرجوا احدا الا صبيا او شيخا كبيرا او مريضا فخرج معهم ناس ممن

تكلم فلما التقى المشركون ورسول الله صلى الله عليه وآله نظر الذين كانوا قد تكلموا بالاسلام الى قلة المسلمين فارتابوا
فاصيبوا فيمن اصيب فنزلت فيهم الآية وهو المروي عن ابن عباس والسدي وقتادة وقيل انهم قيس
بن الفاكه بن المغيرة والحرث بن زمعة بن الاسود وقيس بن الوليد بن المغيرة وابو العاص بن منبه
بن الحجاج وعلي بن امية بن خلف عن عكرمة ورواه ابو الجارود عن ابي جعفر عليه السلام قال ابن عباس
كنت انا من المستضعفين وكنت غلاما صغيرا وذكر عنه انه قال كان ابي من المستضعفين من الرجال
وكانت امي من المستضعفات من النساء وكنت انا من المستضعفين من الولدان المعنى ثم اخبر سبحانه عن حال
من قعد عن نصرة الرسول صلى الله عليه وآله بعد الوفاة فقال ان الذين توفاهم اى تقبض ارواحهم اى تقبض
ارواحهم الملائكة ملك الموت او ملك الموت وغيره فان الملائكة تتوفى وملك الموت يتوفى والله يتوفى
وما يفعله ملك الموت او الملائكة يجوز ان يضاف الى الله تعالى اذا فعلوه بامره وما يفعله الملائكة جاز ان
يضاف الى ملك الموت اذا فعلوه بامره ظالمي انفسهم اى في حال هم فيها ظالموا انفسهم اذ بخسوها حقها من
الثواب وادخلوا عليها العقاب بفعل الكفر قالوا فيم كنتم اى قالت لهم الملائكة فيم كنتم اى في اي شيء كنتم من
دينكم على وجه التقرير لهم والتوبيخ لهم لفعلهم قالوا كنا مستضعفين في الارض يستضعفنا اهل الشرك بالله في
ارضنا وبلادنا بكثرة عددهم وقوتهم ويمنعونا من الايمان بالله واتباع رسوله على جهة الاعتذار قالوا اى
قالت لهم الملائكة الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها اى فتخرجوا من ارضكم ودوركم وتفارقوا من يمنعكم
من الايمان بالله وبرسوله الى ارض يمنعكم اهلها من اهل الشرك فتوحدوه وتعبدوه وتتبعوا رسوله وروي
عن سعيد بن جبير انه قال في معناه اذا عمل بالمعاصي في ارض فاخرج منها ثم قال سبحانه فاولئك مأواهم اى مسكنهم
جهنم وساءت هي جهنم مصيرا لاهلها الذين صاروا اليها ثم استثنى من ذلك فقال الا المستضعفين الذين
استضعفهم المشركون من الرجال والنساء والولدان وهم الذين يعجزون عن الهجرة لاعسارهم وقلة حيلتهم
وهو قوله لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا في الخلاص من مكة وقيل معناه لا يهتدون لسوء معرفتهم
بالطريق طريق الخروج منها اى لا يعرفون طريقا الى المدينة عن مجاهد وقتادة وجماعة من المفسرين فاولئك
عسى الله ان يعفو عنهم معناه لعل الله ان يعفو عنهم لما هم عليه من الفقر ويتفضل عليهم بالصفح عنهم في تركهم الهجرة
من حيث لم يتركوها اختيارا وكان الله عفوا اى لم يزل الله ذا صفح بفضله عن ذنوب عباده . عقوبتهم
على معاصيهم غفورا اى ساترا عليهم ذنوبهم بعفوه لهم عنها قال عكرمة كان النبي صلى الله عليه وآله يدعو عقيب
صلوة الظهر اللهم خلص الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن ربيعة وضعفة المسلمين من ايدي المشركين قوله
عز وجل ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا وسعة ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله
ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله وكان الله غفورا رحيما آية اللغة المهاجرة المفارقة واصله من الهجر
الذي هو ضد الوصل والمراغم المضطرب في البلاد والمذهب واصله من الرغام وهو التراب ومعنى راغمت
فلانا هاجرته ولم ابال رغم انفه وارغم الله انفه الصقه بالتراب وقيل اصله الذل والشدة والمراغم المعاند
الذي يروم اذلال صاحبه ومنه الحديث اذا صلى احدكم فليلزم جبهته وانفه الارض حتى يخرج منه الرغم
اي حتى يذل ويخضع لله تعالى وفعلته على رغمه اى على ذلة لما يكره وارغم الله انفه اذله والمراغم الموضع
والمصدر من المراغمة قال الى بلد عز داني المحل بعيد المراغم والمضطرب النزول قيل لما نزلت آيات الهجرة
سمعها رجل من المسلمين وهو جندع او جندب بن ضمرة وكان بمكة فقال لا والله ما انا ممن استثنى اني لاجد قوة
واني لعالم بالطريق وكان مريضا شديد المرض فقال لبنيه والله لا ابيت بمكة حتى اخرج منها فاني اخاف ان اموت

فيها فخرجوا يحملونه على سريره حتى اذا بلغ التنعيم مات فنزلت الآية عن ابي حمزة الثمالي وعن قتادة وعن
سعيد بن جبير وقال عكرمة وخرجت جماعة من مكة مهاجرين فلحقهم المشركون ففتنوهم عن دينهم فافتتنوا
وانزل الله فيهم ومن الناس من يقول امنا بالله فاذا اوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله فكتب بها المسلمون
اليهم ثم نزلت فيهم ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها
لغفور رحيم المعنى ثم قال سبحانه ومن يهاجر يعني يفارق اهل الشرك ويهرب بدينه من وطنه الى ارض
الاسلام في سبيل الله اي في منهاج دين الله وطريقه الذي شرعه لخلقه يجد في الارض مراغما كثيرا وسعة
اي متحولا من الارض وسعة في الرزق عن ابن عباس والضحاك والربيع وقيل متزحزحا عما يكره وسعة من
الضلالة الى الهدى عن مجاهد وقتادة وقيل مهاجرا فسيحا ومتسعا مما كان فيه من تضييق المشركين عليه
ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله اخبر سبحانه ان من خرج من بيته مهاجرا من ارض الشرك فارا بدينه
الى الله ورسوله ثم يدركه الموت قبل بلوغه دار الهجرة وارض الاسلام فقد وقع اجره اي ثواب عمله وجزاء هجرته
على الله وكان الله غفورا ساترا على عباده ذنوبهم بالعفو عنهم رحيما بهم رفيقا ومما جاء في معنى الآية من الحديث
ما رواه الحسن عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجب
الجنة وكان رفيق ابرهيم ومحمد عم وروى العياشي باسناده عن محمد بن ابي عمير قال وجه زرارة بن اعين ابنه
عبيدا الى المدينة يستخبر له خبر ابي الحسن موسى بن جعفر عم فمات قبل ان يرجع اليه عبيد ابنه قال محمد بن
ابي عمير حدثني محمد بن حكيم قال ذكرت لابي الحسن عم زرارة وتوجيهه عبيدا الى المدينة فقال اني لارجو ان يكون
زرارة ممن قال الله ومن يخرج من بيته مهاجرا الآية قوله عز وجل واذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح
ان تقصروا من الصلوة ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا آية اللغة في
قصر الصلوة ثلاث لغات قصرت الصلوة اقصرها وهي لغة القرآن وقصرتها تقصيرا واقصرتها اقصارا
وفتنت الرجل افتنه فهو مفتون لغة اهل الحجاز وتميم وربيعة واهل نجد كلهم واسد يقولون افتنت الرجل
فهو فاتن وقد فتن فتونا اذا دخل في الفتنة وانما قال في الكافرين انهم عدو ولان لفظ فعول يقع على الواحد
والجماعة المعنى واذا ضربتم في الارض معناه اذا سرتم فيها اي سافرتم فليس عليكم جناح اي حرج واثم
ان تقصروا من الصلوة فيه اقوال احدها ان معناه ان تقصروا من عدد الصلوة فتصلوا الرباعيات ركعتين
ركعتين عن مجاهد وجماعة من المفسرين وهو قول الفقهاء ومذهب اهل البيت عليهم السلم وقيل تقصير صلوة الخوف
من صلوة المسافر وهما قصران قصر الامن من اربع الى ركعتين وقصر الخوف من ركعتين الى ركعة واحدة عن
جابر ومجاهد وقد رواه ايضا اصحابنا وثانيها ان معناها ان تقصروا من حدود الصلوة عن ابن عباس وطاوس
وما رواه اصحابنا في صلوة شدة الخوف وانها تصلى ايماء والسجود اخفض من الركوع فان لم يقدر على ذلك فالتسبيح
المخصوص كاف عن كل ركعة وثالثها ان المراد بالقصر الجمع بين الصلوتين والصحيح الاول ان خفتم ان يفتنكم الذين
كفروا يعني فتنة الذين كفروا اي في انفسكم او دينكم وقيل معناه ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا اي في الصلوة عن
ابن عباس ومثله قوله تعالى على خوف من فرعون وملائهم ان يفتنهم اي يقتلهم وقيل معناه ان يعذبكم
الذين كفروا بنوع من انواع العذاب ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا اي ظاهري العداوة وفي قراءة ابي
بن كعب فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة ان يفتنكم الذين كفروا اي عن ان يفتنكم ان خفتم وقيل ان معنى
هذه القراءة ان لا يفتنكم او كراهة ان يفتنكم كما في قوله يبين الله لكم ان تضلوا وظاهر الآية تقتضي ان القصر لا يجوز
الا عند الخوف لكنا قد علمنا جواز القصر عند الامن ببيان النبي صلى الله عليه وآله ويحتمل ان يكون ذكر الخوف في الآية

قد خرج مخرج الاعم في الاغلب عليهم في اسفارهم فانهم كانوا يخافون الاعداء في عامتها ومثله في القرآن كثير
واختلف الفقهاء في قصر الصلوة في السفر فقال الشافعي هو رخصة واختاره الجبائي وقال ابو حنيفة هو عزيمة
وفرض وهذا مذهب اهل البيت عليهم السلم وروى زرارة ومحمد بن مسلم قلنا لابي جعفر عم ما تقول في الصلوة
في السفر كيف هي وكم هي قال ان الله تعالى يقول واذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح ان تقصروا
من الصلوة فصار التقصير واجبا في السفر كوجوب التمام في الحضر قالا قلنا انه قال لا جناح عليكم ان تقصروا
من الصلوة ولم يقل افعلوا فكيف اوجب ذلك كما اوجب التمام قال او ليس قال سبحانه في الصفا والمروة فمن
حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما الا ترى ان الطواف واجب مفروض لان الله تعالى ذكرهما
في كتابه وصنعهما نبيه صلى وكذا التقصير في السفر شيء صنعه رسول الله صلى وذكره الله في الكتاب قالا قلت فمن صلى
في السفر اربعا ايعيد ام لا قال ان كانت قرئت عليه آية التقصير وفسرت له فصلى اربعا اعاد وان لم يكن قرئت
عليه ولم يعلمها فلا اعادة عليه والصلوة في السفر كل فريضة ركعتان الا المغرب فانها ثلاث ليس فيها تقصير
تركها رسول الله صلى الله عليه وآله في السفر والحضر ثلاث ركعات وفي هذا الخبر دلالة على ان فرض المسافر
مخالف لفرض المقيم وقد اجمعت الطائفة على ذلك وعلى انه ليس بقصر وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله
انه قال فرض المسافر ركعتان غير قصر وعندهم ان الخوف بانفراده موجب للقصر وفيه خلاف بين الفقهاء وذهب
جماعة من الصحابة والتابعين الى ان الله تعالى عنى بالقصر في الآية قصر صلوة الخوف من صلوة السفر لا من
صلوة الاقامة لان صلوة السفر عندهم ركعتان تمام غير قصر منهم جابر بن عبد الله وحذيفة بن اليمان
وزيد بن ثابت وابن عباس وابو هريرة وكعب وكان من الصحابة قطعت يده يوم اليمامة وابن عمر وسعيد
بن جبير والسدي واما حد السفر الذي يجب فيه التقصير فعندنا انه ثمانية فراسخ وقيل مسيرة ثلاثة
ايام بلياليها وهو مذهب ابي حنيفة واصحابه وقيل ستة عشر فرسخا ثمانية واربعين ميلا وهو مذهب
الشافعي النظم وجه اتصال الآية بما قبلها انه لما امر الله تعالى بالجهاد والهجرة بين صلوة السفر والخوف
رحمة منه تعالى وتخفيفا على عباده قوله عز وجل واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلوة فلتقم طائفة منهم معك
وليأخذوا اسلحتهم فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا فليصلوا معك
وليأخذوا حذرهم واسلحتهم ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة
واحدة ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم وخذوا حذركم ان
الله اعد للكافرين عذابا مهينا آية اللغة اسلحة جمع سلاح مثل حمار واحمرة والسلاح اسم لجملة ما يدفع به
الناس عن انفسهم في الحروب مما يقاتل به خاصة لا يقال للدواب وما اشبهها سلاح والجناح الاثم
من جنحت عن المكان اذا عدلت عنه واخذت جانبا عن القصد واذى مقصور يقال اذى فلان يأذى اذى
مثل فزع يفزع فزعا الاعراب وليأخذوا القراءة على سكون اللام والاصل وليأخذوا بالكسر الا ان الكسرة سقطت
استثقلت فحذفت استخفافا وكذلك فليقم ولتأت وموضع ان تضعوا نصب اي لا اثم عليكم ان تضعوا فلما
حذف في عمل الفعل فيها وعلى المذهب الآخر يكون موضعها جرا باضمار حرف الجر وانما قال طائفة اخرى ولم يقل آخرون
وقال لم يصلوا فليصلوا ولم يقل لم تصل فلتصل حملا للكلام تارة على اللفظ وتارة اخرى على المعنى كما قال وان
طائفتان من المؤمنين اقتتلوا ولم يقل اقتتلتا ومثله كثير المعنى ثم ابتدأ سبحانه ببيان صلوة الخوف في جماعة فقال
اذا كنت يا محمد فيهم يعني في اصحابك الضاربين معك في سبيل الله فاقمت لهم الصلوة بحدودها وركوعها وسجودها عن
الحسن وقيل معناه اقمت لهم الصلوة بان تؤمهم فلتقم طائفة منهم اي من اصحابك الذين انت فيهم معك في صلاتك

ولكن سائرهم في وجه العدو وتقديره ولتقم طايفة منكم تجاه العدو ولم يذكره لان تفعله الطايفة غير المصلية
لدلالة الكلام عليه وليأخذوا اسلحتهم اختلف في هذا فقيل المامور باخذ السلاح الطايفة المصلية مع رسول الله صلى الله
عليه وآله ياخذون من السلاح مثل السيف يتقلدون به والخنجر يشدونه على درعهم وكذلك السكين ونحو ذلك
وهو الصحيح وقيل هم الطايفة الذين بازاء العدو دون المصلية عن ابن عباس فاذا سجدوا يعني الطايفة التي تصلي
معه وفرغوا من سجودهم فليكونوا من ورائكم يعني فليصيروا بعد فراغهم من سجودهم مصافين للعدو واختلف
في الطايفة الاولى اذا فرغت من السجود وفرغت من الركعة كيف يصنعون فعندنا انهم يصلون ركعة اخرى
ويتشهدون ويسلمون والامام قايم في الثانية ثم ينصرفون الى مواقف اصحابهم ويجي الآخرون فيستفتحون الصلوة
ويصلي بهم الامام الركعة الثانية ويطيل تشهده حتى يقوموا فيصلوا بقية صلاتهم ثم يسلم بهم الامام فيكون للطايفة
الاولى تكبيرة الافتتاح وللثانية التسليم وهو مذهب الشافعي ايضا وقيل ان الطايفة الاولى اذا فرغت من ركعة
يسلمون ويمضون الى وجه العدو وتاتي الطايفة الاخرى ويصلي بهم ركعة وهذا مذهب جابر ومجاهد ومن
يرى ان صلوة الخوف ركعة واحدة وقيل ان الامام يصلي بكل طايفة ركعتين فيصلي بهم مرتين بكل طايفة
مرة عن الحسن وقيل انه اذا صلى بالطايفة الاولى ركعة مضوا الى وجه العدو وتاتي الطايفة الاخرى فيكبرون
ويصلي بهم الركعة الثانية ويسلم بهم الامام ويعودون الى وجه العدو وتاتي الطايفة الاولى فيقضون ركعة بغير
قراءة لانهم لاحقون ويسلمون ويرجعون الى وجه العدو وتاتي الطايفة الثانية ويقضون ركعة بقراءة لانهم
مستوفون عن عبد الله بن مسعود وهو مذهب ابي حنيفة ولتات طايفة اخرى لم يصلوا وهم الذين
كانوا بازاء العدو فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم واسلحتهم يعني وليكونوا حذرين من عدوهم متاهبين
لقتالهم باخذ الاسلحة اي آلات الحرب وهذا يدل على ان الفرقة المامورين باخذ السلاح في الاول هم المصلون
دون غيرهم ود الذين كفروا معناه تمنى الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم يشتغلون عن
اخذها تاهبا للقتال وامتعتكم اي وعن امتعتكم التي بها بلاغكم في اسفاركم فتسهون عنها فيميلون عليكم
ميلة واحدة اي يحملون عليكم حملة واحدة وانتم متشاغلون بصلاتكم فيصيبون منكم غرة فيقتلونكم ويستبيحون
عسكركم وما معكم المعنى لا تشتغلوا باجمعكم بالصلوة عند مواقفة العدو فيتمكن عدوكم من اسلحتكم
ولكن اقيموها على ما امرتم به ومن عادة العرب ان يقولوا ملنا عليهم يعني حملنا قال العباس بن عبادة بن
نضلة الانصاري لرسول الله صلى الله عليه وآله ليلة العقبة الثانية والذي بعثك بالحق ان شئت لنميلن
غدا على اهل منى باسيافنا فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لم نؤمر به لك يعني في ذلك الوقت ولا جناح
عليكم ان كان بكم اذى من مطر معناه لا حرج عليكم ولا اثم ولا ضيق ان نالكم اذى من مطر وانتم مواقفوا
عدوكم او كنتم مرضى يعني اعلاء او جرحى ان تضعوا اسلحتكم اذا ضعفتم عن حملها ولكن اذا وضعتموها فاحترسوا
منهم وخذوا حذركم لئلا يميلوا عليكم وانتم غافلون غارون ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا مذلا
يبقون فيه ابدا وفي الآية دلالة على صدق النبي وصحة نبوته صلى الله عليه وآله وذلك انها نزلت والنبي بعسفان
والمشركون بضجنان فتوافقوا فصلى النبي صلى الله عليه وآله باصحابه صلوة الظهر بتمام الركوع والسجود
فهم المشركون بان يغيروا عليهم فقال بعضهم ان لهم صلوة اخرى احب اليهم من هذه يعنون صلوة العصر
فانزل الله عليهم الآية فصلى بهم العصر صلوة الخوف وكان ذلك اسلام بن الوليد القصة وفيها دلالة اخرى
ذكر ابو حمزة الثمالي في تفسيره ان رسول الله صلى الله عليه وآله غزا محاربا وبني انمار فهزمهم الله واحرز الذراري
والمال فنزل رسول الله صلى الله عليه وآله والمسلمون ولا يرون من العدو واحدا فوضعوا اسلحتهم وخرج رسول الله

لبعض حاجته وقد وضع سلاحه فجعل بينه وبين اصحابه الوادي الى ان يفرغ من حاجته فقد درى الوادي
والسماء ترش فحال الوادي بين رسول الله وبين اصحابه فجلس رسول الله صلى الله عليه وآله في ظل سمرة فبصر
به غورث بن الحارث المحاربي فقال له اصحابه يا غورث هذا محمد قد انقطع من اصحابه فقال قتلني الله ان
لم اقتله وانحدر من الجبل ومعه السيف فلم يشعر به رسول الله صلى الله عليه وآله الا وهو قايم على راسه
ومعه السيف قد سله من غمده فقال يا محمد من يعصمك مني الآن فقال رسول الله صلى الله عليه وآله
الله فانكب عدو الله لوجهه فقام رسول الله صلى الله عليه وآله واخذ سيفه وقال يا غورث من يمنعك
مني الآن قال لا احد قال اتشهد ان لا اله الا الله واني عبد الله ورسوله قال لا ولكني اعهد ان لا اقاتلك
ابدا ولا اعين عليك عدوا فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وآله سيفه فقال غورث والله لانت خير مني
فقال عليه السلم اني احق بذلك وخرج غورث الى اصحابه فقالوا يا غورث لقد رايناك قايما على راسه بالسيف
فما منعك منه قال الله اهويت له بالسيف لاضربه فما ادري من زلجني بين كتفي فخررت لوجهي
وخر سيفي وسبقني اليه محمد واخذه ولم يلبث الوادي ان سكن فقطع رسول الله صلى الله عليه وآله الى اصحابه
فاخبرهم وقرا عليهم ان كان بكم اذى من مطر الآية كلها قوله عز وجل فاذا قضيتم الصلوة فاذكروا الله قياما
وقعودا وعلى جنوبكم فاذا اطمانتم فاقيموا الصلوة ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا آية
اللغة اطمان الشيء اي سكن وطامنته سكنته وقد قيل اطبان بالباء بمعنى اطمان المعنى فاذا
قضيتم الصلوة معناه فاذا فرغتم من صلاتكم ايها المؤمنون وانتم مواقفوا عدوكم فاذكروا الله قياما اي
في حال قيامكم وقعودا اي في حال قعودكم وعلى جنوبكم مضطجعين فقوله على جنوبكم في موضع نصب عطفا على
ما قبله من الحال اي ادعوا الله في هذه الاحوال لعله ينصركم على عدوكم ويظفركم بهم مثل قوله يا ايها الذين
آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون عن ابن عباس واكثر المفسرين وقيل معناه
فاذا اردتم الصلوة فصلوا قياما اذا كنتم اصحاء وقعودا اذا كنتم مرضى لا تقدرون على القيام وعلى جنوبكم
اذا لم تقدروا على القعود عن ابن مسعود وعنه روى عن ابن عباس انه قال عقيب تفسير الآية لم يعذر الله
احدا في ترك ذكره الا المغلوب على عقله فاذا اطمانتم فاقيموا الصلوة واختلف في تاويله فقيل معناه اذا
استقررتم في اوطانكم واقمتم في امصاركم فاتموا الصلوة التي اذن لكم في قصرها عن مجاهد وقتادة وقيل معناه اذا استقررتم
بزوال خوفكم فاتموا حدود الصلوة عن السدي وابن زيد ومجاهد في رواية اخرى ان الصلوة كانت على المؤمنين
كتابا موقوتا اختلف في تاويله فقيل معناه ان الصلوة كانت على المؤمنين واجبة مفروضة عن ابن عباس وعطية
العوفي والسدي ومجاهد وهو المروي عن الباقر والصادق عليهما السلم وقيل معناه فرضا موقوتا اي منجما
تؤدونها في انجمها عن ابن مسعود وقتادة والقولان متقاربان قوله عز وجل ولا تهنوا في ابتغاء القوم ان تكونوا
تالمون فانهم يالمون كما تالمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليما حكيما آية القراءة روي في الشواذ
عن عبد الرحمن الاعرج ان تكونوا تالمون بفتح الالف الحجة قال ابن جني ان محمول على قوله ولا تهنوا في ابتغاء القوم
لانكم تالمون ثم اعتقد نصب ان بعد حذف الجر عنها فان هنا منصوبة الموضع وهي على مذهب الخليل مجرورة
الموضع باللام المرادة وصارت ان لكونها حرفا كالعوض في اللفظ من اللام اللغة الوهن الضعف وهن فلان
في الامر يهن وهنا ووهونا فهو واهن والالم الوجع والالم جنس من الاعراض يكون من فعل الله ابتداء وبسبب
وقد يكون من فعل العباد بسبب والرجاء يستعمل بمعنى الخوف نحو قول الشاعر لا ترتجي حين تلاقي الذائدا
اسبعة لاقت معا ام واحدا وقال ابو ذؤيب اذا لسعته النحل لم يرج لسعها وحالفها في بيت نوب عوامل

توب وتوب فعلى الحذف وقال سبحانه ما لكم لا ترجون لله وقارا والمعنى لا تخافون لله عظمة وانما استعمل الرجاء على معنى الخوف
لان الرجاء امل وقد يخاف ان لا يتم النزول قيل نزلت في الذهاب الى بدر الصغرى لموعد ابي سفيان يوم احد وقيل نزلت
يوم احد في الذهاب خلف ابي سفيان وعسكره الى حمراء الاسد عن عكرمة المعنى عاد الكلام الى الحث على الجهاد فقال
سبحانه ولا تهنوا اي ولا تضعفوا في ابتغاء القوم اي في طلب القوم الذين هم اعداء الله واعداء المؤمنين من اهل الشرك
ان تكونوا ايها المؤمنون تألمون مما ينالكم من الجراح منهم فانهم يعني المشركين يألمون ايضا مما ينالهم منكم من الجراح
والاذى كما تألمون اي مثل ما تألمون انتم من جراحهم واذاهم وانتم ترجون ايها المؤمنون من الله الظفر عاجلا
والثواب آجلا على ما ينالكم منهم ما لا يرجونه هم على ما ينالهم منكم اي وانتم ان كنتم موقنين من ثواب الله لكم على ما يصيبكم
منكم بما هم مكذبون به اولى واحرى ان تصبروا على حربهم وقتالهم منكم على قتالكم وحربكم عن ابن عباس ومجاهد
وقتادة والسدي وكان الله عليما بمصالح خلقه حكيما في تدبيره اياهم وتقديره احوالهم قال ابن عباس وعكرمة
لما اصاب المسلمين ما اصابهم يوم احد وصعد النبي صلى الله عليه وآله الجبل قال ابو سفيان يا محمد لنا يوم ولكم يوم
فقال صلى الله عليه وآله اجيبوه فقال المسلمون لا سواء لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار فقال ابو سفيان
لنا عزى ولا عزى لكم فقال النبي عليه السلام الله مولانا ولا مولى لكم فقال ابو سفيان اعل هبل فقال عليه السلام قولوا
الله اعلى واجل فقال ابو سفيان موعدنا وموعدكم بدر الصغرى ونام المسلمون وبهم الكلوم وفيهم نزلت
ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله الآية وفيهم نزلت ان تكونوا تألمون الآية لان الله تعالى امرهم على ما بهم
من الجراح ان يتبعوهم واراد بذلك ارهاب المشركين فخرجوا الى حمراء الاسد وبلغ المشركين ذلك فاسرعوا حتى
دخلوا مكة قوله عز وجل انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله ولا تكن للخائنين خصيما
آيتان النزول نزلت في بني ابيرق كانوا اخوة ثلاثة بشر وبشير ومبشر وكان بشير يكنى ابا طعمة وكان يقول الشعر يهجو
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ثم يقول قاله فلان وكانوا اهل حاجة في الجاهلية والاسلام فنقب ابو طعمة على
علية رفاعة بن زيد واخذ له طعاما وسيفا ودرعا فشكا ذلك الى ابن اخيه قتادة بن النعمان وكان قتادة بدريا
فتجسسا في الدار وسألا اهل الدار في ذلك فقال بنو ابيرق والله ما صاحبكم الا لبيد بن سهل رجل ذو حسب ونسب
فاصلت عليهم لبيد بن سهل سيفه وخرج اليهم وقال يا بني ابيرق اترمونني بالسرق وانتم اولى به مني وانتم
المنافقون تهجون رسول الله وتنسبونه الى قريش لتبينن ذلك او لاضعن سيفي فيكم فداروه فاتى قتادة
رسول الله فقال يا رسول الله ان اهل بيت منا اهل بيت سوء عدوا على عمي فخرقوا علية له من ظهرها واصابوا
له طعاما وسلاحا فقال رسول الله صلى الله عليه وآله انظر في شأنكم فلما سمع بذلك رجل من بطنهم الذي
هم منه يقال له اسير بن عروة جمع رجالا من اهل الدار ثم انطلق بهم الى رسول الله ص فقال ان قتادة بن النعمان
وعمه عمدا الى اهل بيت منا لهم حسب ونسب وصلاح وابنوهم بالقبيح وقالوا لهم ما لا ينبغي وانصرف فلما اتى قتادة
رسول الله ص بعد ذلك ليكلمه جبهه رسول الله ص جبها شديدا وقال عمدت الى اهل بيت حسب ونسب تأتيهم بالقبيح
تقول ما لا ينبغي قال فقام قتادة من عند رسول الله صلى الله عليه وآله ورجع الى عمه وقال ليتني مت ولم اكن كلمت
رسول الله صلى الله عليه وآله فقد قال لي ما كرهت فقال عمه رفاعة الله المستعان فنزلت الآيات انا انزلنا اليك الكتاب
الى قوله ان الله لا يغفر ان يشرك به فبلغ بشيرا ما نزل فيه من القرآن فهرب الى مكة وارتد كافرا فنزل على سلافة
بنت سعد بن شهيد وكانت امرأة من الاوس من بني عمرو بن عوف نكحت في بني عبد الدار فهجاها حسان
فقال فقد انزلته بنت سعد واصبحت ينازعها جلد استها وتنازعه ظننتم بان يخفى الذي قد صنعتم وفينا
نبي عليه الوحي واضعه فحملت رحله على رأسها فالقته بالابطح وقالت ما كنت تأتيني بخير اهديت الي شعر حسان هذا

مجاهد وقتادة بن النعمان وعكرمة وابن جريج الا ان قتادة وعكرمة قالوا ان بني ابيرق طرحوا ذلك على
يهودي يقال له زيد بن السمين فجاء اليهودي الى رسول الله صلى الله عليه وآله وجاء بنو ابيرق اليه وكلموه
ان يجادل عنهم فهم رسول الله صلى الله عليه وآله ان يفعل وان يعاقب اليهودي فنزلت الآية وقال ابن عباس
وقال الضحاك نزلت في رجل من الانصار استودع درعا فجحد صاحبها فخونه رجال من اصحاب النبي ص فغضب له
قومه وقالوا يا نبي الله خون صاحبنا وهو مسلم امين فعذره النبي وكذب عنه وهو يرى انه بريء مكذوب
عليه فانزل الله فيه الآيات واختار الطبري هذا الوجه وقال لان الخيانة لا تكون الا في الوديعة لا في السرقة المعنى
ثم خاطب سبحانه نبيه ص فقال انا انزلنا اليك يا محمد الكتاب يعني القرآن بالحق الذي يجب به على عباده وقيل
معناه انك به احق لتحكم يا محمد بما اراك الله اي اعلمك الله في كتابه ولا تكن للخائنين خصيما نهاه ان يكون
لمن خانه مسلما وخاصم عنه ثم قال واستغفر الله امره بان يستغفر الله من مخاصمته عن الخائن ان الله كان غفورا
رحيما يصفح عن ذنوب عباده ويترك مؤاخذتهم بها والخطاب وتوجه الى النبي صلى الله عليه وآله من حيث
خاصم عمن رآه ظاهر الايمان والعدالة وكان في الباطن خلافه فالمراد بذلك امته وانما ذكر ذلك على وجه التأديب
له في انه لا يبادر في الخصام والدفاع عن خصام الا بعد ان يتبين وجه الحق فيه جل نبي الله عن جميع المعاصي والقبائح
وقيل انه عليه السلام لم يخاصم عن الخصم وانما هم بذلك فعاتبه الله عليه النظم ووجه اتصال الآية بما قبلها
انه لما تقدم ذكر المنافقين والكافرين والامر بمجاهدتهم عقب ذلك بذكر الخائنين والامر باجتناب الدفع عنهم
وقيل انه سبحانه لما بين الاحكام والشرائع في السورة عقبها بان جميع ذلك انزل بالحق قوله عز وجل ولا تجادل عن الذين
يختانون انفسهم ان الله لا يحب من كان خوانا اثيما يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم اذ
يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا ها انتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا فمن يجادل الله
عنهم يوم القيامة ام من يكون عليهم وكيلا ثلاث آيات اللغة المجادلة والمخاصمة والمناظرة والمحاجة نظائر وان
كان بينها فروق فان المجادلة هي المنازعة فيما وقع فيه خلاف بين اثنين والمخاصمة المنازعة بين اثنين على
وجه الغلظة والمناظرة فيما يقع بين النظيرين والمحاجة في محاولة اظهار الحجة واصل الجدال من الجدل وهو
شدة الفتل ورجل مجدول كانه قد جدل اي فتل والاجدل الصقر لانه من اشد الطيور قوة والتبييت التدبير
بالليل لان ذلك يكون في وقت رواح الناس الى بيوتهم الاعراب ها للتنبيه واعيدت في اولاء المعنى ها انتم
الذين جادلتم عنهم لان هؤلاء وهذا يكونان في الاشارة والمخاطبين الى انفسهم بمنزلة الذين وقد يكونان بمعنى
بمنزلة الذين نحو قول الشاعر عدس ما لعباد عليك امارة نجوت وهذا تحملين طليق النزول نزلت الآيات في القصة
التي ذكرناه قبل المعنى ثم نهى سبحانه عن المجادلة والدفع عن الخيانة مؤكدا لما تقدم فقال ولا تجادل قيل الخطاب للنبي ص
حين هم ان يبرئ ابا طعمة لما اتاه قومه ينفون عنه السرقة وقيل الخطاب له والمراد قومه وقيل تقديره ولا تجادل ايها الانسان
عن الذين يختانون انفسهم اي يخونون نفوسهم ويظلمونها اراد من سرق الدرع ومن شاركه في السرقة والخيانة
وقيل اراد به قومه الذين مشوا معه الى النبي صلى الله عليه وآله وشهدوا له بالبراءة عما نسب اليه من السرقة وقيل اراد به
السارق وقومه ومن هو في معناهم وانما قال يختانون انفسهم وان خانوا غيرهم لان ضرر خيانتهم كانه راجع اليهم
لاحق بهم كما تقول لمن ظلم غيره ما ظلمت الا نفسك وكقوله سبحانه ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اسأتم فلها ان الله
لا يحب من كان خوانا اثيما هو فعال من الخيانة اي من كان كثير الخيانة وقد اعتادها وقد يطلق الخوان على
الخائن في شيء واحد اذا عظمت تلك الخيانة والاثيم فاعل الاثم وقيل معناه لا يحب من كان خوانا اذ سرق الدرع اثيما
اذ رمى به الى اليهودي وقال ابن عباس في معنى الآية لا تجادل عن الذين يظلمون انفسهم بالخيانة ويرمون بالخيانة غيرهم

يريد به سارق الدرع سرق الدرع ورمى بالسرقة الى اليهودي فصار خائنا بالسرقة اثيما في رميه غيره بها
يستخفون من الناس اي يكتمون ولا يستخفون من الله وهو معهم يعني الذين مشوا في الدفع عن ابن ابيرق
ومعناه يستترون عن الناس بمعاصيهم في اخذ الاموال لئلا يفتضحوا في الناس ولا يستترون من الله مطلع
عليهم وقيل معناه يستحيون من الناس ولا يستحيون من الله وعلمه معهم فيكون معناه يخفون الخيانة عن
الناس ويطلبون اخفاءها حياء منهم ولا يتركونها حياء من الله تعالى وهو عالم بافعالهم اذ يبيتون ما لا يرضى
من القول اي يدبرون بالليل قولا لا يرضاه الله تعالى وقيل يغيرون القول في حجته ويكذبون منه وقيل
انه قول ابن ابيرق في نفسه بالليل ارمي بهذه الدرع في دار اليهودي لانه ليس على دينهم وقيل انه رمى بالدرع
الى دار لبيد بن سهل وكان الله بما يعملون محيطا قال الحسن حفيظا لاعمالهم وقال غيره عالما باعمالهم لا يخفى عليه شيء
منها وفي هذه الآية تقريع بليغ لمن يمنعه حياء الناس وحشمتهم وحياؤهم عن ارتكاب القبائح ولا يمنعه خشية الله
عن ارتكابها وهو سبحانه احق ان يراقب واجدر ان يحذر ويخاف وفيها ايضا توبيخ لمن يعمل قبيحا ثم يقرف غيره به سواء
كان ذلك الغير مسلما او كافرا ها انتم خطاب للذابين عن السارق هؤلاء يعني الذين جادلتم اي خاصمتم ودافعتم
عنهم عن الخائنين في الحيوة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيمة استفهام يراد به النفي لانه في معنى التقريع والتوبيخ
اي لا مجادل عنهم ولا شاهد على براءتهم بين يدي الله سبحانه يوم القيمة وفي هذه الآية النهي عن الدفع عن الظالم والمجادلة
عنه ام من يكون عليهم وكيلا اي من يحفظهم ويتولى معونتهم يعني لا يكون يوم القيمة عليهم وكيل يقوم بامورهم
ويخاصم عنهم واصل الوكيل من جعل اليه القيام بالامر والله سبحانه يسمى وكيلا بمعنى انه القائم بالامور ويقال انه يسمى
وكيلا بمعنى انه الحافظ ولا يقال انه وكيل لنا وانما يقال هو وكيل علينا قوله عز وجل ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه
ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه وكان الله عليما حكيما ومن يكسب
خطيئة او اثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا واثما مبينا ثلث آيات اللغة السوء القبيح الذي يواجه به صاحبه يسوءه
ويسوءه سوءا اذا واجهه بقبيح يكرهه ورجل سوء من شانه ان يواجه الناس بالمكاره فاما السيئة فهو نقيض الحسنة ويجد
اصله من الوجدان وهو الادراك يقال وجدت الضالة وجدانا اذا ادركتها بعد ذهابها عنها ووجدت وجدا اذا
علمت والوجود ضد العدم لانه يظهر بالوجود كظهوره بالادراك والكسب فعل يجر به نفع او يدفع به ضرر ولذلك
لا يوصف به سبحانه المعنى ثم بين سبحانه طريق التلافي والتوبة مما سبق منهم من المعصية فقال ومن يعمل سوءا
او معصية او امرا قبيحا او يظلم نفسه بارتكاب جريمة وقيل يعمل سوءا بان يسرق الدرع او يظلم نفسه بان يرمي بها بريئا وقيل
المراد بالسوء الشرك وبالظلم ما دون الشرك ثم يستغفر الله ثم يرجع الى الله بالتوبة ويطلب منه المغفرة يجد الله غفورا
رحيما يغفر سبحانه جرمهم وان عظمت فانها غير ممتنعة من المغفرة وقبول التوبة اذا استغفروا وتابوا ومن يكسب اثما
فانما يكسبه على نفسه ظاهر المعنى وفطيره ولا تكسب كل نفس الا عليها من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها وكان الله عليما
بالسارق حكيما في ايجاب القطع عليه ثم بين تعالى ان من ارتكب اثما ورمى غيره كيف يعظم عقابه فقال ومن يكسب
خطيئة اي يعمل ذنبا على عمد او غير عمد او اثما اي ذنبا تعمده وقيل الخطيئة الشرك والاثم ما دون الشرك ثم يرم به بريئا
ثم ينسب ذنبه الى بريء وقيل ان البريء هو اليهودي الذي طرح عليه الدرع عن الحسن وغيره وقيل هو لبيد بن
سهل وقد مضى ذكرهما قبل وقوله ثم يرم به اختلف في الضمير الذي هو الهاء في به فقيل يعود الى الاثم اي بالاثم
وقيل الى احدهما وقيل يعني بكسبه فقد احتمل بهتانا اي اثما عظيما يتحير من عظمه واثما مبينا اي ذنبا ظاهرا
بينا وفي هذه الآيات دلالة على انه تعالى لا يجوز ان يخلق افعال خلقه ثم يعذبهم عليها لانه اذا كان الخالق
لها فهم براء منها فلو قيل ان الكسب يضاف الى العبد فجوابه ان الكسب لو كان مفهوما والمعنى لم يخرج العبد لذلك

من ان يكون بريا لانه اذا قيل ان الله سبحانه اوجد الفعل واحدثه واوجد له اختيارا في القلب والفعل لا يجزى فقد
انتفى عن العبد من جميع جهاته قوله عز وجل ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم ان يضلوك وما
يضلون الا انفسهم وما يضرونك من شيء وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان
فضل الله عليك عظيما لا خير في كثير من نجويهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس
ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما آيتان القراءة قرا فسوف يؤتيه بالياء ابو عمرو
وحمزة وقتيبة عن الكسائي وسهل وخلف والباقون بالنون الحجة من قرا بالياء فلما تقدم من قوله فلولا فضل الله
وانزل الله عليك الكتاب ومن قرا بالنون فلانه اشبه بما بعده من قوله نوله ما تولى ونصله جهنم اللغة الهم
ما هممت به ومنه الهمة والهمام الملك العظيم الهمة قال علي بن عيسى النجوى هو الاسرار عند اهل اللغة وقال
الزجاج النجوى في الكلام ما تنفرد به الجماعة او الاثنان سرا كان او ظاهرا ومعنى نجوت الشيء في اللغة خلصته والقيته
يقال نجوت الجلد اذا القيته عن البعير وغيره قال الشاعر فقلت انجوا عنها نجا الجلد انه سيرضيكما منها سنام وغاربه
ونجوت فلانا اذا استنكهته وقال الحوت يحالدا فشممت منه تحج الكلب مات خلاف عهده واصله من النجوة
ما ارتفع من الارض والمراد نجواهم ما يدبرونه بينهم من الكلام وفلان نجي فلان اي يناجيه والقوم نجية
الاعراب الا من امر يجوز ان يكون في موضع جر المعنى الا في نجوى من امر ويجوز ان يكون استثناء ليس من
الاول ويكون نصبا ويكون معناه لكن من امر بصدقة او معروف ففي نجواه خير ونصب ابتغاء مرضات
الله لانه مفعول له ويجوز ان يكون من امر مجرورا وموضعه ايضا على الابدال تكثير يعني لا خير في كثير الا في من امر بصدقة
كما يقال لا خير في القوم الا نفر منهم ويكون النجوى هنا بمعنى المتناجين كقولهم وادم نجوى ويجوز ان يكون
استثناء حقيقيا على تقدير لا خير في نجوى الناس الا نجوى من امر وهذا اولى مما تقدم من الاستثناء المنقطع
لان حمل الكلام على الاتصال اولى اذا لم يخل بالمعنى النزول قيل نزلت في بني ابيرق وقد مضت قصتهم عن ابي صالح عن
ابن عباس وقيل نزلت في وفد ثقيف قدموا على رسول الله صلى الله عليه وآله وقالوا يا محمد جئناك نبايعك
على ان لا نكسر اصنامنا بايدينا وعلى ان تمتعنا بالعزى سنة فلم يجبهم الى ذلك وعصمه الله منهم عن جويبر عن الضحاك
عن ابن عباس المعنى ثم بين سبحانه لطفه برسوله وفضله عليه اذ صرف كيدهم عنه وعصمه من الميل اليهم فقال
ولولا فضل الله عليك ورحمته قيل فضله النبوة ورحمته نصرته اياه بالوحي وقيل فضله تأييده بالطافه ورحمته
نعمته عن الجبائي وقيل فضله النبوة ورحمته العصمة لهمت طائفة منهم لقصدت واضمرت جماعة من هؤلاء
الذين تقدم ذكرهم ان يضلوك قيل فيه اقوال احدها ان المعنى بهم الذين شهدوا للخائنين من بني ابيرق
بالبراءة عن ابن عباس والحسن والجبائي فيكون المعنى همت جماعة منهم ان يزلوك عن الحق بشهادتهم للخائنين
حتى اطلعك الله على اسرارهم وثانيها انهم وفد ثقيف الذين التمسوا من رسول الله صلى الله عليه وآله ما لا يجوز
وقد مضى ذكرهم عن ابن عباس وثالثها انهم المنافقون الذين هموا باهلاك النبي والمراد بالاضلال القتل
والاهلاك كما في قوله اذا ضللنا في الارض فيكون المعنى لولا حفظ الله تعالى لك وحراسته اياك لهمت طائفة
منهم من المنافقين ان يقتلوك ويهلكوك وقيل وهموا بما لم ينالوا عن ابي مسلم وما يضلون الا انفسهم اي وما يزلون
عن الحق الا انفسهم وقيل ما يهلكون الا انفسهم ومعناه ان وبال ما هموا به من الاهلاك او الازلال يعود
عليهم حتى استحقوا العذاب الدائم وما يضرونك من شيء اي لا يضرونك بكيدهم ومكرهم شيئا فان الله سبحانه حافظك وناصرك
ومسددك ومؤيدك وانزل الله اليك الكتاب والحكمة اي القرآن والسنة واتصاله بما قبله ان المعنى كيف يضلونك

وهو منزل عليك الكتاب ويوحي اليك بالاحكام وعلمك ما لم تكن تعلم اي ما لم تعلمه من الشرايع وانباء الرسل الاولين
وغير ذلك من العلوم وكان فضل الله عليك عظيما اي فضله عليك منذ خلقك الى ان بعثك عظيم وقيل فضله عليك
عظيم اذ جعلك خاتم النبيين وسيد المرسلين واعطاك الشفاعة وغيرها ثم قال سبحانه لا خير في كثير من نجويهم
اي اسرارهم ومعنى النجوى الاسرار الا من امر بصدقة اي الا نجوى من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس اي
تاليف بينهم بالمودة وروى علي بن ابرهيم في تفسيره حدثني ابي عن ابن ابي عمير عن حماد عن ابي عبد الله عليه السلم
قال ان الله فرض التجمل في القران قلت وما التجمل جعلت فداك قال ان يكون وجهك اعرض من وجه
اخيك فتجمل له وهو قوله لا خير في كثير من نجويهم الاية قال وحدثني ابي رفعه الى امير المومنين عليه السلم قال
ان الله فرض عليكم زكوات جاهكم كما فرض عليكم زكوات ما ملكت ايديكم ومن يفعل ذلك يعني ما تقدم
ذكره ابتغاء مرضات الله اي لطلب رضاء الله فسوف نؤتيه اي نعطيه اجرا عظيما اي مثوبة عظيمة في الكثرة
والمنزلة والصفة اما الكثرة فلانه دايم واما المنزلة فلانه مقارن للتعظيم والاجلال واما الصفة فلانه غير
مشوب بما ينغصه وفي الاية دلالة على ان فاعل المعصية هو الذي يضر بنفسه لما يعود عليه من وبال
فعله وفيها دلالة على ان الداعي الى الضلال هو المضل وعلى ان فاعل الضلال مضل لنفسه وعلى
ان الدعاء الى الاضلال يسمى اضلالا قوله عز وجل ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى
ويتبع غير سبيل المومنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا الشقاق الخلاف مع العداوة وشق
العصا اي فارق الجماعة والشق النصف واصله من الشق وهو القطع طولا وسميت العداوة مشاقة لان احد
المتعاديين يصير في شق غير شق الاخر من اجل العداوة التي بينهما ومنه الاشتقاق فانه قطع الفرع عن
الاصل نوله من الولي وهو القرب يقال ولي الشي يليه اذا قرب منه وكل ما مليك اي يقاربك والولي المطر
الذي يلي الوسمي النزول قيل نزلت في شان ابن ابيرق سارق الدرع ولما انزل الله في تقريعه وتقريع قومه
الايات كفر وارتد ولحق بالمشركين من اهل مكة ثم نقب حايط المسرة فوقع عليه الحايط فقتله عن الحسن
وقيل انه خرج من مكة نحو الشام فنزل منزلا فسرق بعض المتاع وهرب فاخذ ورمي بالحجارة حتى قتل عن الكلبي
المعنى لما تقدم سبحانه التوبة عقبه بذكر حال الاصرار فقال ومن يشاقق الرسول اي من يخالف محمدا ويعاديه
من بعد ما تبين له الهدى اي ظهر له الحق والاسلام وقامت له الحجة وصحت له الادلة بثبوت نبوته
ورسالته ويتبع غير سبيل المومنين اي طريقهم الذي هو دينهم نوله ما تولى اي نكله الى من انتصر به واتكل
عليه من الاوثان وحقيقته نجعله واليا لما اعتمده من دون الله تعالى اي يقرب منه وقيل معناه نخلي بينه وبين
ما اختاره لنفسه ونصله جهنم اي نلزمه دخول جهنم عقوبة له على ما اختاره من الضلالة بعد الهدى وساءت
مصيرا قد تقدم معناه وقد استدلت بهذه الاية على ان اجماع الامة حجة لانه سبحانه توعد على مخالفة سبيل المومنين
كما توعد على مشاقة الرسول والصحيح انه لا يدل على ذلك لان ظاهر الاية يقتضي ايجاب متابعة من هو مومن
على الحقيقة ظاهرا وباطنا لان من اظهر الايمان لا يوصف بانه مومن الا مجازا فكيف يحمل ذلك على ايجاب
متابعة من اظهر الايمان وليس كل من اظهر الايمان مومنا ومتى حملوا الاية على بعض الامة حملها غيرهم
على من هو مقطوع على عصمته عنده من المومنين وهم الايمة من ال محمد عليهم السلم على ان ظاهر الاية يقتضي ان الوعيد
انما يتناول من جمع بين مشاقة الرسول واتباع غير سبيل المومنين فمن اين لهم ان من فعل احدهما تناوله
الوعيد ونحن انما علمنا ان الوعيد يتناول مشاقة الرسول بانفرادها بدليل غير الاية فيجب ان يستندوا في تناول

الوعيد اتباع غير سبيل المومنين الى دليل اخر قوله عز وجل ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء
ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا اية قد مر تفسيره فيما تقدم وقوله اي ذهب عن طريق الحق اذ الغرض المطلوب
هو النعيم المقيم في الجنة ذهابا بعيدا لان الذهاب عن نعيم الجنة على مراتب ابعدها الشرك بالله تعالى قوله عز وجل
ان يدعون من دونه الا اناثا وان يدعون الا شيطانا مريدا لعنه الله وقال لاتخذن من عبادك نصيبا
مفروضا ولاضلنهم ولامنينهم ولامرنهم فليبتكن اذان الانعام ولامرنهم فليغيرن خلق الله ومن يتخذ الشيطان
وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا اولئك ماويهم
جهنم ولا يجدون عنها محيصا خمس ايات القراءة القراءة المشهورة الا اناثا وروي في الشواذ عن النبي صلى الله عليه واله
الا انثا بالثاء قبل النون ولا اثنا النون قبل الثاء رويتهما عن عايشة وروي عن ابن عباس الا وثنا والا اثنا
بضمتين والثاء قبل النون وعن عطاء بن ابي رباح الا اثنا الثاء قبل النون وهي ساكنة الحجة اما اثن فجمع وثن
واصله وثن قلبت الواو همزة نحو اجوه في وجوه واعد في وعد واما اثن بسكون الثاء فهو كاسد بسكون السين
واما انثى بتقديم النون على الثاء فيمكن ان يكون جمع انيث كقولهم سيف انيث الحديد ويمكن ان يكون جمع اناث اللغة
المريد والمارد والمتمرد بمعنى وهو العاتي الخارج عن الطاعة والمتملس منها فقال حايط ممرد اي مملس وشجرة مرداء
تناثر ورقها ومنه سمي من لم ينبت له لحية امرد اي املس موضع اللحية ومرد الرجل يمرد مرودا اذا عتى وخرج
عن الطاعة واصل اللعن البعد ومنه قيل المطرودين واصل الفرض القطع والفرضة الثلمة تكون في النهر والفرض
الحز الذي يكون في السواك وغيره تشد فيه الخيط والفرض في القوس الحز الذي يكون فيه الوتر والفريضة ما
امر الله به العباد فجعله حتما عليهم قاطعا واما قول الشاعر اذا اكلت سمكا وفرضا ذهبت طولا وذهبت
عرضا فالفرض هنا التمر وانما سمي التمر فرضا لانه يوخذ في فرايض الصدقة التبتيك التشقيق والبتك القطع
بتكه ابتكه والبتكة مثل القطعة والبتك القطع قال زهير حتى اذا ما هوت كف الغلام لها طارت وفي كفه
من ريشها بتك والمحيص المعدل يقال حاص عنه يحيص حيصا وحاص يحاص حيصا بمعنى قال ولم ندر ان
حصنا عن الموت حيصة كم العمر باق والمدى متطاول روي اللغتين الاعراب ان على اربعة اوجه ان النافية كما في
الاية ان يدعون اي ما يدعون والثاني ان المخففة من المثقلة كما في قوله وان كانت لكبيرة ويلزمها لام التاكيد والثالث
ان الجزاء كما في قوله ان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا والرابع ان المزيدة نحو ما ان جاءني زيد وما ان طبنا جبن ولكن
منايانا ودولة اخرينا لعنه الله في موضع النصب لانها صفة لقوله شيطانا واللام في لاتخذن وفيما بعده لام
اليمين وانما يدخل على جواب القسم لانه المقسم عليه فعلى هذا تكون جملة المقسم هنا مضمرا في الجميع المعنى لما ذكر في الاية المتقدمة
اهل الشرك وضلالهم ذكر في هذه الاية حالهم وفعالهم فقال ان يدعون اي ما يدعو هولاء المشركون وما يعبدون
من دونه اي من دون الله الا اناثا فيه اقوال احدها الا اوثانا وكانوا يسمون الاوثان باسم الاناث اللات والعزى
ومنات الثالثة الاخرى واساف ونايلة عن ابي مالك والسدي ومجاهد وابن زيد وذكر ابو حمزة الثمالي
في تفسيره قال كان في كل واحدة منهن شيطانة انثى تتراءى للسدنة وتكلمهم وذلك من صنع ابليس وهو الشيطان
الذي ذكره الله تعالى فقال لعنه الله قالوا واللات كان اسما لصخرة والعزى كان اسما لشجرة الا انهم نقلوها الى
الوثن وجعلوها علما عليها وقيل العزى تانيث الاعز واللات تانيث لفظ الله وقال الحسن وكان لكل حي من العرب
وثن يسمونه باسم الانثى وثانيها ان المعنى الا امواتا عن الحسن وابن عباس وقتادة فعلى هذا يكون تقديره ما يعبدون
من دون الله الا جمادا وامواتا لا تعقل ولا تنطق ولا تضر ولا تنفع فدل ذلك على غاية جهلهم وضلالهم وسماها اناثا
لاعتقاد مشركي العرب الانوثة في كل ما اتضعت منزلته ولان الاناث من كل جنس ارذله قال الزجاج لان المراة تخبر عنها

بلفظ التانيث بقول الاحجار يعني لا تقول بجموعي ويجوز ان يكون سماها اناثا لضعفها وقلة خيرها وعدم نصرها
وثالثها ان المعنى الا ملائكة لانهم كانوا يزعمون ان الملائكة بنات الله وكانوا يعبدون الملائكة عن الضحاك
وان يدعون الا شيطانا مريدا اي ماردا شديدا في كفره وعصيانه متماديا في شركه وطغيانه يسال على هذا فيقال كيف
نفى في اول الكلام عبادتهم لغير الاناث ثم اثبت في اخره عبادتهم الشيطان فاثبت في الآخر ما نفاه في الاول اجاب
الحسن عن هذا فقال انهم لم يعبدوا الا الشيطان في الحقيقة لان الاوثان كانت مواتا فما دعت احدا الى عبادتها بل
الداعي الى عبادتها الشيطان فاضيفت العبادة الى الشيطان بحكم الدعاء والى الاصنام لاجل انهم كانوا يعبدونها ومثله
قوله تعالى ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم
بل كانوا يعبدون الجن اضافت الملائكة عبادتهم الى الجن وقيل ان الجن دعتهم الى عبادة الملائكة قال ابن عباس
كان في كل واحد من اصنامهم التي كانوا يعبدونها شيطان مريد يدعوا المشركين الى عبادتها فلذلك حسن اضافة
العبادة الى الاصنام والى الشيطان وقيل ليس في الآية اثبات المنفي بل ما يعبدون الا الاوثان والا الشيطان وهو
ابليس لعنه الله لعنه الله عن الجبائي بايجاب الخلود في نار جهنم وقال الشيطان لما لعنه الله لاتخذن من عبادك
نصيبا مفروضا اي معلوما عن الضحاك وقيل مقدرا محدودا واصل الاتخاذ اخذ الشيء على وجه الاختصاص
فكل من اطاعه فانه من نصيبه وحزبه كما قال سبحانه كتب عليه انه من تولاه فانه يضله وروي ان النبي صلى الله عليه
وآله قال في هذه الآية من بني ادم تسعة وتسعون في النار وواحد في الجنة وفي رواية اخرى من كل الف
واحد لله وسايرهم للنار ولابليس اوردهما الثعالبي في تفسيره ويقال كيف علم ابليس ان له اتباعا يتبعونه والجواب
علم ذلك من قوله لاملان جهنم منك وممن تبعك وقيل انه لما نال من ادم ما نال طمع في ولده وانما قال ذلك
ظنا ويؤيده قوله ولقد صدق عليهم ابليس ظنه ولاضلنهم هذا من مقالة الشيطان يعني لاضلنهم عن الحق والصواب
واضلاله دعاؤه الى الضلال وتسببه له بحبائله وغروره ووساوسه ولامنينهم يعني امنينهم طول البقاء
في الدنيا فيؤثرون بذلك الدنيا ونعيمها على الآخرة وقيل معناه اقول لهم ليس وراءكم بعث ولا نشور ولا جنة
ولا نار ولا ثواب ولا عقاب فافعلوا ما شئتم عن الكلبي وقيل معناه امنينهم بالاهواء الباطلة الداعية الى
المعصية وازين لهم شهوات الدنيا وزهراتها وادعو كلا منهم الى نوع يميل طبعه اليه فاصده بذلك عن الطاعة
والقيه في المعصية ولامرنهم فليبتكن اذان الانعام تقديره ولامرنهم ببتك اذان الانعام فليبتكن اي
ليشقن اذانها عن الزجاج وقيل ليقطعن الاذان من اصلها وهو المروي عن ابي عبد الله عليه السلم وهذا
شيء قد كان مشركوا العرب يفعلونه يجدعون اذان الانعام ويقال كانوا يفعلونه بالبحيرة والسايبة وسنذكر
ذلك في سورة المائدة انشاء الله تعالى ولامرنهم فليغيرن خلق الله اي لامرنهم بتغيير خلق الله فليغيرنه واختلف
في معناه فقيل في دين الله وامره عن ابن عباس وابراهيم ومجاهد والحسن وقتاده وجماعة وهو المروي
عن ابي عبد الله عليه السلم وهو المروي ويؤيده قوله سبحانه فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل
لخلق الله واراد بذلك تحريم الحلال وتحليل الحرام وقيل اراد معنى الخصي عن عكرمة وشهر بن حوشب
وابي صالح عن ابن عباس وكرهوا الاخصاء في البهايم وقيل انه الوشم عن ابن مسعود وقيل اراد الشمس
والقمر والحجارة عدلوا عن الانتفاع بها الى عبادتها عن الزجاج ومن يتخذ الشيطان وليا اي ناصرا وقيل
وليا يطيعه من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا اي ظاهرا واي خسران اعظم من استبدال النار بالجنة اي
صفقة اخسر من رضي الشيطان من الرحمن يعدهم الشيطان ان يكون لهم ناصرا ويمنيهم الاكاذيب والاباطيل وقيل
معناه يعدهم الفقر ان انفقوا مالهم في ابواب البر ويمنيهم طول البقاء في الدنيا ودوام النعيم فيها ليؤثروها على

الشيطان الا غرورا اي لا يكون لما يعدهم ويمنيهم اصل وحقيقة والغرور ايهام النفع فيما فيه ضرر اولئك اشارة الى الذين
اتخذوا الشيطان وليا من دون الله فاطاعوه واتبعوه وتابعوهم فيما دعاهم اليه ماواهم مستقرهم جميعا جهنم ولا يجدون
عنها محيصا اي مخلصا ولا مهربا والمعدل قوله عز وجل والذين امنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري
من تحتها الانهار خالدين فيها وعد الله حقا ومن اصدق من الله قيلا ذكرنا آية قد مر تفسير صدر الآية في
هذه السورة قوله من اصدق باشمام الزاي كوفي غير عاصم ورويس الباقون بالصاد وقد ذكرنا الوجه عند
ذكر الصراط في الفاتحة وقوله وعد الله نصب على المصدر وتقديره وعد الله ذلك وعدا فهو مصدر دل
معنى الكلام الذي تقدمه الناصب له وحقا ايضا مصدر موكد لما قبله كانه قال احقه حقا وقيل منصوب
على التمييز كما يقال هو اكرم منك فعلا ومعناه وعد الله ذلك وعدا حقا لا خلف فيه ومن اصدق استفهام
فيه معنى النفي اي لا احد اصدق من الله قولا فيما اخبر وعدا فيما وعد قوله عز وجل ليس بامانيكم ولا اماني
اهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ومن يعمل من الصالحات من ذكر
او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا آيتان القراءة يدخلون الجنة بضم الياء وفي
مريم وحم مكي بصري وابو جعفر وابو بكر الباقون يدخلون بفتح الياء وضم الخاء الحجة حجة من قرا يدخلون
قوله ادخلوا الجنة ادخلوها بسلام امنين ومن قرا يدخلون فلانهم لا يدخلونها حتى يدخلوها اللغة الاماني
جمع امنية وهي تقدير الامر في النفس على جهة الاستمتاع به ووزن امنية افعولة من المنية واصل التقدير
يقال منى له الماني اي قدر له المقدر ومنه سميت المنية وهي فعيلة او مقدرة والنقير النقبة في ظهر النواة
كان ذلك نقر فيه الاعراب اسم ليس مضمر لدلالة الكلام عليه والتقدير ليس الامر بامانيكم ولا يجد مجزوم عطفا
على الجزاء الا على الشرط وهو قوله يجز والوقف عند قوله اهل الكتاب وقف تام ثم استونف الخبر بعد من
يعمل ومن موضعه رفع بالابتداء على ما تقدم ذكر امثاله ومن في قوله من الصالحات مزيدة وقيل هو للتبعيض
لان العبد لا يطيق جميعها وقيل انه لتبيين الجنس وقال وهو مؤمن فوحد ثم قال فاولئك يدخلون الجنة
فجمع لان من اسم مبهم موحد اللفظ مجموع المعنى فيعود الضمير اليه مرة على اللفظ ومرة على المعنى النزول قيل
تفاخر المسلمون واهل الكتاب فقال اهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم ونحن اولى بالله منكم
فقال المسلمون نبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضي على الكتب وديننا الاسلام فنزلت الآية فقال اهل الكتاب
نحن واياكم سواء فانزل الله تعالى الآية التي بعدها ومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثى وهو مؤمن ففلج
المسلمون عن قتاده والضحاك وقيل لما قالت اليهود نحن ابناء الله واحباؤه وقال اهل الكتاب لن
يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى الآية عن مجاهد المعنى لما ذكر سبحانه الوعد والوعيد قال عقيب
ذلك ليس بامانيكم ومعناه ليس الثواب والعقاب بامانيكم ايها المسلمون عن مسروق والسدي وقيل الخطاب
لاهل الشرك من قريش لانهم قالوا لا نبعث ولا نعذب عن مجاهد وابن زيد ولا اماني اهل الكتاب اي
ولا باماني اهل الكتاب في انه لا يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وهذا يقوي القول الاخير في انه
لم يجر للمسلمين ذكر الاماني وذكر اماني الكفار قد جرى في قوله ولامنينهم هذا وقد وعد الله المومنين فيما هو
غاية الاماني من يعمل سوءا يجز به اختلف في تاويله على اقوال احدها انه يريد بذلك جميع المعاصي صغايرها
وكبايرها وان من ارتكب شيئا منها فان الله سبحانه يجازيه عليها اما في الدنيا واما في الآخرة عن عايشة وقتاده
ومجاهد وروي عن ابي هريره انه قال لما نزلت هذه الآيات بكينا وحزنا وقلنا يا رسول الله ما ابقت هذه

الاماني من سي فقال اما والذي نفسي بيده انها لكما انزلت ولكن ابشروا وقاربوا وسددوا انه لا تصيب احدا منكم مصيبة
الا كفر الله بها خطيئته حتى الشوكة يشاكها احدكم في قدمه رواه الواحدي في تفسيره مرفوعا وقال القاضي ابو عاصم
العامري في جميع هذا قطع لتوهم من توهم ان المعصية لا تضر مع الايمان كما ان الطاعة لا تنفع مع الكفر وثانيها ان المراد
به مشركو قريش واهل الكتاب عن الحسن والضحاك وابن زيد قالوا وهو كقوله وهل نجازي الا الكفور وثالثها ان
المراد بالسوء هاهنا الشرك عن ابن عباس وسعيد بن جبير ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا معناه ولا يجد
الذي يعمل سوءا من معاصي الله وخلاف امره وليا يلي امره وينصره ويحامي عنه ويدفع عنه ما ينزل به من عقوبة
الله ولا نصيرا اي ناصرا ينصره وينجيه من عذاب الله ومن استدل بهذه الآية على المنع من جواز العفو عن المعاصي
فانا نقول له ان من ذهب الى ان العموم لا ينفرد بصيغة في اللغة مختصة به لا يسلم انها تستغرق جميع من فعل السوء
بل يجوز ان يكون المراد بها بعضهم على ما ذكره اهل التاويل كابن عباس وغيره على انهم اتفقوا على ان الآية مخصوصة
فان التائب ومن كانت معصيته صغيرة لا يتناولهما العموم فاذا جاز لهم ان يخصصوا العموم في الآية بالفريقين
جاز لنا ان نخصها بمن يتفضل الله عليه بالعفو وهذا بين والحمد لله وقوله سبحانه ومن يعمل من الصالحات من ذكر
او انثى وهو مؤمن اعمالا وهو مؤمن ليبين ان الطاعة لا تنفع من دون الايمان فاولئك يدخلون الجنة
ولا يظلمون نقيرا وعد الله سبحانه بهذه الآية جميع المكلفين من الرجال والنساء اذا عملوا الاعمال الصالحة اي الطاعات
الخالصة وهم مؤمنون موحدون مصدقون نبيه صلى الله عليه وآله بانه يدخلهم الجنة ويثيبهم فيها ولا يبخسهم
شيئا مما يستحقونه من الثواب وان كان مقدار نقير في الصغر وقد قابل سبحانه الوعيد العام في الآية التي قبل
هذه الآية بالوعد العام في هذه الآية ليقف المؤمن بين الخوف والرجاء قوله عز وجل ومن احسن دينا ممن اسلم
وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفا واتخذ الله ابراهيم خليلا ولله ما في السموات وما في الارض
وكان الله بكل شيء محيطا آية اللغة الخليل مشتق من الخلة بضم الخاء التي هي المحبة او من الخلة بفتح الخاء التي هي
الحاجة وانما استعمل بمعنى الصديق لان كل واحد من المتصادقين يسد خلل صاحبه وقيل لان كل واحد منهما يطلع
صاحبه على اسراره فكانه في خلل قلبه وانما استعمل في الحاجة للاختلال الذي يلحق الفقير فيما يحتاج اليه ومنه
قول زهير وان اتاه خليل يوم مسغبة يقول لا غائب مالي ولا حرم وقال الازهري الخليل الذي خص بالمحبة يقال
دعا فلان فخلل اي خص الاعراب دينا منصوب على التمييز وهو مما انتصب بعد تمام الاسم وقوله وهو محسن جملة
في موضع النصب على الحال وكذلك قوله وهو مؤمن في الآية التي قبل وحنيفا منصوب على الحال وذو الحال الضمير
في اتبع والمضمر هو النبي صلى الله عليه وآله ويجوز ان يكون حنيفا حالا من ملة ابراهيم وكان حقه ان يكون فيه الهاء
لان فعيلا اذا كان بمعنى فاعل للمؤنث يثبت فيه الهاء الا انه قد جاء مجيء ناقة سديس وريح خريق ويجوز ايضا ان يكون حالا
من ابراهيم والحال من المضاف اليه عزيز وقد جاء ذلك في الشعر في النابغة قالت بنو عامر خالوا بني اسد يا بؤس للجهل
ضرارا لاقوام اي يا بؤس الجهل ضرارا واللام مقحمة لتوكيد الاضافة وخليلا مفعول ثان لاتخذ المعنى ثم بين سبحانه من
استحق الوعد الذي ذكره قبل فقال ومن احسن دينا وهو في صورة الاستفهام والمراد به التقرير ومعناه من اصوب
طريقا واهدى سبيلا اي لا احد احسن اعتقادا ممن اسلم وجهه اي استسلم وجهه والمراد بقوله وجهه والمراد
هاهنا ذاته ونفسه كما قال سبحانه كل شيء هالك الا وجهه والمعنى انقاد لله بالطاعة ولنبيه صلى الله عليه وآله بالتصديق
وقيل معنى اسلم وجهه لله قصده سبحانه بالعبادة وحده كما اخبر عن ابراهيم ع انه قال وجهت وجهي للذي فطر السموات الآية
وقيل معناه اخلص عمله لله اي اتى بها مخلصا لله فيها وهو محسن اي فاعل للفعل الحسن الذي امره الله سبحانه به وقيل معناه

وهو محسن في جميع اقواله وافعاله وقيل ان المحسن هنا الموحد وروي ان النبي صلى الله عليه وآله سئل عن الاحسان
فقال ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك واتبع ملة ابراهيم اي اقتدى بدينه وسيرته وطريقته
يعني ما كان عليه ابراهيم ع وامر به بنيه من بعده واوصاهم به من الاقرار بتوحيده وعدله وتنزيهه عما لا يليق به
ومن ذلك الصلاة الى الكعبة والطواف حولها وسائر المناسك حنيفا اي مستقيما على منهاجه وطريقته وقد
مر معنى الحنيف في سورة البقرة واتخذ الله ابراهيم خليلا اي محبا لا خلل في مودته لكمال خلته والمراد بخلة الله
سبحانه له نصرته على من اراده بسوء كما انقذه من نار نمرود وجعلها عليه بردا وسلاما وكما فعله على ملك مصر
حين راوده عن اهله وجعله اماما للناس وقدوة لهم وقال الزجاج جائز ان يكون سمي خليل الله بانه الذي
احبه الله بان اصطفاه محبة تامة كاملة واحب الله هو محبة كاملة وقيل سمي خليلا لانه افتقر الى الله سبحانه
وتوكل عليه وانقطع بحوائجه اليه وهو اختيار الفراء وابو القاسم البلخي وانما خصه الله سبحانه بهذا الاسم وان
كان الخلق كلهم فقراء الى رحمته تشريفا له بالنسبة اليه من حيث انه فقير اليه لا يرجو لسد خلته سواه كما خص موسى
بانه كليم الله وعيسى بانه روح الله ومحمدا بانه حبيب الله وقيل انما سمي خليلا لانه سبحانه خصه بما لم يخص
به غيره من انزال الوحي عليه وغير ذلك من فضائله وانما خصه من بين سائر الانبياء بهذا الاسم على المعنيين
اللذين ذكرناهما وان كان كل واحد من الانبياء خليل الله في زمانه لانه سبحانه خصهم بالنبوة وقد روي عن
النبي صلى الله عليه وآله انه قال قد اتخذ الله سبحانه صاحبكم خليلا يعني نفسه وهذا الوجه اختيار ابي علي الجبائي
قال وكلما تعبد الله به ابراهيم ع فقد تعبد به نبينا صلى الله عليه وآله وزاده اشياء لم يتعبد بها ابراهيم ع ومما
قيل في وجه خلة ابراهيم ما روي في التفسير ان ابراهيم عليه السلم كان يضيف الضيفان ويطعم المساكين ويطعم
المساكين وان الناس اصابهم جدب فارتحل ابراهيم ع الى خليل له بمصر يلتمس منه طعاما لاهله فلم يصب ذلك عنده
فلما قرب من اهله مر بمفازة ذات رمل لينة فملأ غرائره من ذلك الرمل لئلا يغتم اهله برجوعه من غير ميرة فحول
الله ما في غرائره دقيقا فلما وصل الى اهله دخل البيت ونام استحياء منهم ففتحوا الغرائر فعجنوا من الدقيق وخبزوا
وقدموا اليه طعاما طيبا فسالهم عليه السلم من اين خبزتم قالوا من الدقيق الذي جئت به من عند خليلك المصري
فقال اما انه خليل وليس بمصري فسماه الله سبحانه خليلا رواه علي بن ابراهيم في تفسيره عن ابيه عن هرون بن مسلم
عن مسعدة بن صدقة عن ابي عبد الله عليه السلم ثم بين تعالى انه انما اتخذ ابراهيم خليلا لطاعته ومسارعته
الى رضاه لا لحاجة منه سبحانه الى خلته فقال سبحانه ولله ما في السموات وما في الارض ملكا وملكا فهو مستغن عن جميع
خلقه وجميع خلقه محتاجون اليه وكان الله بكل شيء محيطا يعني لم يزل الله سبحانه عالما بجميع ما يفعله عباده ومعنى
المحيط بالشيء انه العالم به من جميع وجوهه محيطا يعني لم يزل الله سبحانه عالما بكل شيء قوله عز وجل ويستفتونك في النساء
قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون ان
تنكحوهن والمستضعفين من الولدان وان تقوموا لليتامى بالقسط وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما
آية اللغة الاستفتاء والاستقضاء بمعنى واحد يقال قاضيته وقاضيته قال الشاعر تعالوا نفاتكم اعيا وفقعس
الى المجد ام عنبرة حاتم هكذا افاده الحسن بن علي المغربي وهو استفعال من الفتيا وهو الفتوى وافتى في المسئلة
يبين حكمها الاعراب وما يتلى عليكم موضع رفع بالابتداء تقديره الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب ايضا يفتيكم فيهن
وقال الفراء يجوز ان يكون موضعه جرا على المضمر المجرور في فيهن وهذا بعيد لان الظاهر لا يحسن عطفه على الضمير المجرور وقيل
يجوز ان يكون عطفا على النساء في قوله يستفتونك في النساء ويستفتونك فيما يتلى عليكم وفي المستضعفين قالوا
قوله في يتامى النساء قيل تقديره في النساء اليتامى فاضيف الصفة الى الموصوف نحو قولك كتاب الكامل ومسجد الجامع

ويوم الجمعة وهذا قول الكوفيين وعند المحققين لا يجوز اضافة الصفة الى الموصوف بل النساء هنا امهات اليتامى اضيف
اليهن اولادهن وقد يجوز ان يضاف اليتامى ايضا الى النساء اذ كن من جملتهن فيكون الاضافة بمعنى من كما يقال
خيار النساء وسائر النساء وصغار النساء وهذا اشبه مما يساق اليه معنى الآية والمستضعفين جر عطف على يتامى النساء
وان تقوموا لليتامى بالقسط في موضع جر ايضا والتقدير وما يتلى عليكم من الآيات في يتامى النساء وفي المستضعفين وفي
ان تقوموا لليتامى بالقسط ويفتيكم الله فيهن المعنى ثم عاد كلام الله عز اسمه الى ذكر النساء والايتام وقد جرى ذكرهم
في اول السورة فقال يستفتونك اي يسألونك الفتوى وهو تبيين المشكل من الاحكام في النساء ويستخبرونك يا محمد عن الحكم
فيهن وعما يجب لهن وعليهن وانما حذف ذلك لاحاطة العلم بان السؤال في امر الدين انما يقع عما يجوز وعما لا يجوز
وعما يجب وعما لا يجب قل الله يفتيكم فيهن قيل معناه قل يا محمد الله يبين لكم ما سألتم في شأنهن وما يتلى عليكم في
الكتاب اي ويفتيكم ايضا ما يقرأ عليكم في الكتاب اي القرآن وتفسيره وكتابه يفتيكم اي يبين لكم الفرايض في يتامى
النساء اي الصغار اللاتي لم يبلغن وقوله اللاتي لا تؤتونهن اي لا تعطونهن ما كتب لهن واختلف في تأويله على اقوال
اولها ان المعنى وما يتلى عليكم في توريث صغار النساء وهو آيات الفرايض التي في اول السورة وكان اهل الجاهلية
لا يورثون المولود حتى يكبر ولا يورثون المرأة وكانوا يقولون لا نورث الا من قاتل ودفع عن الحريم فانزل الله
آية المواريث في اول السورة وهو معنى قوله لا تؤتونهن ما كتب لهن اي من الميراث عن ابن عباس وسعيد بن جبير
ومجاهد وهو المروي عن ابي جعفر عليه السلم وثانيها ان المعنى اللاتي لا تؤتونهن ما وجب لهن من الصداق وكانوا
لا يؤتون اليتامى اللاتي يكون عليهن حق الصداق فنهى الله عز وجل عن ذلك بقوله وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى
فانكحوا ما طاب لكم وقوله ما يتلى عليكم هو ما ذكره في اول السورة في قوله وان خفتم الا تقسطوا الآية عن
عايشه وهو اختيار ابي علي الجبائي واختار البلخي القول الاول واعترض على هذا القول بان قال ليس الصداق مما كتب
الله للنساء الا بالنكاح فما لم ينكح فلا صداق لها عند احد وثالثها ان المراد بقوله لا تؤتونهن ما كتب لهن النكاح
الذي كتب الله لهن في قوله وانكحوا الايامى الآية فكان الولي يمنعهن عن التزويج عن الحسن وقتاده والسدي وابي
مالك وابراهيم قالوا كان الرجل في حجره اليتيمة بها دمامة ولها مال وكان يرغب ان يتزوجها ويحبسها طمعا ان تموت
فيرثها قال السدي وكان جابر بن عبد الله الانصاري له ابنة عم عمياء وميمنة وورثت عن ابيها مالا فكان جابر يرغب
عن نكاحها ولا ينكحها مخافة ان يذهب الزوج بمالها فسأل النبي صلى الله عليه وآله عن ذلك فنزلت الآية وقوله
وترغبون ان تنكحوهن اي عن نكاحهن ولا تؤتونهن نصيبهن من الميراث فيرغب فيهن غيركم فقد ظلمتموهن
من وجهين وفي قول عايشه ومعناه ترغبون في ان تنكحوهن اي في نكاحهن لجمالهن او مالهن والمستضعفين من
الولدان معناه ويفتيكم في المستضعفين من الصبيان الصغار ان تعطوهم حقوقهم وكانوا لا يورثون صغيرا من الغلمان
ولا من الجواري كان ما يتلى عليكم في باب اليتامى من قوله وآتوا اليتامى اموالهم يدل على اعطاء حقوق
الصغار من الميراث وان تقوموا لليتامى بالقسط اي ويفتيكم في ان تقوموا لليتامى بالعدل في انفسهم وفي مواريثهم
واموالهم ونصرتهم واعطاء كل ذي حق منهم حقه صغيرا كان او كبيرا ذكرا كان او انثى وفيه اشارة الى قوله سبحانه
وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى الآية وما تفعلوا من خير اي مهما فعلتم من خير يا المؤمنون من عدل وبر في
امر النساء واليتامى وايتمرتم في ذلك الى امر الله وطاعته فان الله كان به عليما اي لم يزل به عالما ولا يزال كذلك
يجازيكم به ولا يضيع عنده شيء منه قوله عز وجل وان امرأة خافت من بعلها نشوزا او اعراضا فلا جناح عليهما
ان يصلحا بينهما صلحا والصلح خير واحضرت الانفس الشح وان تحسنوا وتتقوا فان الله كان بما تعملون خبيرا آية القراءة
قرأ اهل الكوفة ان يصلحا بضم الياء وكسر اللام وسكون الصاد والباقون يصالحا بتشديد الصاد وفتح الياء والالف

الاعراب من الاستعمال يصالحا وزعم سيبويه ان بعضهم قرأ يصلحا فيصلحا يفتعل وافتعل وتفاعل بمعنى وكذلك
صحت الواو في اجتوروا واعتوروا لما كان بمعنى تجاوروا وتعاوروا فهذا حجة من قرأ يصالحا ومن قرأ يصلحا
فان الاصلاح عند التشاجر قد استعمل كما في قوله سبحانه فاصلح بينهم وقوله صلحا يكون مفعولا على قراءة من قرأ يصلحا
كما تقول اصلحت ثوبا ومن قرأ يصالحا فيجوز ان يكون صلحا مفعولا ايضا لان تفاعل قد جاء متعديا ويجوز ان يكون
مصدرا حذفت زوائده كما قال فان تهلك فذلك كان قدري اي تقديري ويجوز ان يكون قد وضع المصدر
موضع الاسم كما وقع الاسم موقع المصدر في نحو قوله اكفرا بعد رد الموت عني وبعد عطائك المائة
الرتاعا اللغة النشوز مر ذكره في هذه الآية والشح افراط في الحرص على الشيء ويكون بالمال وبغيره من الاعراض
يقال هو شحيح بودك اي حريص على دوامه ولا يقال في ذلك بخيل والبخل يكون بالمال خاصة قال الشاعر لقد
كنت في قوم عليك اشحة بفقدك الا كل من طاح طائح يودون لو خاطوا عليك جلودهم وهل يمنع الموت
النفوس الشحائح فان خافت امراة ارتفعت بفعل مضمر يفسره الفعل الظاهر بعدها وهو احسن من الابتداء
على شريطة التفسير وتقديره وان خافت امراة خافت ولو قلت ان امراة تخف لقبحت حين ان يكون
الجزاء الفعل المستقبل فذلك قبيح لان ان لا تفصل بينها وبين ما يجزم وذلك في الشعر جايز في ان وغيرها
قال الشاعر فمتى واغل ينبهم يحيوه ويعطف عليه كاس الساقي فاما الماضي وان غير عامله في لفظه وان ام
حروف الجزاء فجاز ان تفرق بينها وبين الفعل ولما غيرها فالفصل يقبح في موضع الماضي والمستقبل جميعا النزول
كانت بنت محمد بن مسلمة عند رافع بن خديج وكانت قد خلت في السن وكانت عنده امراة شابة سواها
فطلقها تطليقة حتى اذا بقي من اجلها يسير قال ان شئت راجعتك وصبرت على الاثرة وان شئت تركتك
قالت بل راجعني واصبر على الاثرة فراجعها فذلك الصلح الذي بلغنا ان الله تعالى انزل فيه هذه الآية
عن ابي جعفر عليه السلم وسعيد بن المسيب وقيل خشيت سودة بنت زمعة ان يطلقها رسول الله صلى الله عليه وآله
فقالت لا تطلقني واحبسني مع نسائك ولا تقسم لي واجعل يومي لعايشة فنزلت الآية عن ابن عباس المعنى
لما تقدم حكم نشوز المراة بين سبحانه حكم نشوز الرجال فقال وان امراة خافت من بعلها اي علمت وقيل
ظنت من زوجها نشوزا اي استعلاء وارتفاعا بنفسه عنها الى غيرها اما لبغضه واما لكراهته منها شيئا اما
دمامتها واما علو سنها او غير ذلك او اعراضا يعني انصرافا بوجهه او ببعض منافعه التي كانت لها منه وقيل
يعني باعراضه عنها بهجرانه اياها وجفاه بها وميله الى غيرها فلا جناح عليهما اي لا حرج ولا اثم على كل واحد منهما
من الزوج والزوجة ان يصالحا بينهما صلحا بان تترك المراة له يومها او تضع عنه بعض ما يجب لها من نفقة او
كسوة او غير ذلك تستعطفه بذلك وتستديم المقام في حباله والصلح خير معناه والصلح بترك بعض الحق
خير من الفرقة بعد الالفة هذا اذا كان بطيبة من نفسها فان لم يكن كذلك فلا يجوز له الا ما سوغ في الشرع
من القيام بالكسوة والنفقة والقسمة والا طلقها وبهذه الجملة قالت الصحابة والتابعون منهم علي وابن عباس
وعايشة وسعيد بن جبير وقتاده ومجاهد وغيرهم واحضرت الانفس الشح اختلف في تأويله فقيل معناه واحضرت
انفس النساء الشح على انصبائهن من انفس ازواجهن واموالهن وايامهن منهم عن ابن عباس وسعيد بن جبير
وعطاء والسدي وقيل معناه واحضرت انفس كل واحد من الرجل والمراة الشح بحقه قبل صاحبه فشح المراة
يكون بترك حقها من النفقة والكسوة والقسمة وغيرها وشح الرجل بانفاقها على التي لا يريدها وهذا اعم
وبه قال ابن واهب وابن زيد وان تحسنوا خطاب للرجل وان تفعلوا الجميل بالصبر على من تكرهون من النساء
وتتقوا الجور عليهن في النفقة والكسوة والعشرة بالمعروف وقيل ان تحسنوا في اقوالكم وافعالكم وتتقوا
معاصي الله فان الله كان بما تعملون عليهن خبيرا اي هو سبحانه خبير بما يكون منكم في امورهن فيحفظه لكم وعليكم حتى يجازيكم

باعمالكم قوله عز وجل ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وان
تصلحوا وتتقوا فان الله كان غفورا رحيما وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله واسعا
حكيما آيتان اللغة الاستطاعة والقوة والقدرة نظائر والسعة خلاف الضيق والواسع في صفات الله تعالى
اختلف في معناه فقيل انه واسع العطاء اي هو المكثر منه وقيل هو واسع الرحمة ويؤيده قوله سبحانه ورحمتي وسعت كل شيء
وقيل انه واسع المقدور المعنى لما تقدم ذكر النشوز والصلح بين الزوجين عقبه سبحانه بانه لا يكلف من ذلك ما لا يستطاع
فقال ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم اي لن تقدروا ان تسووا بين النساء في المحبة والمودة
بالقلب ولو حرصتم على ذلك كل الحرص فان ذلك ليس اليكم ولا تملكونه ولا تكلفونه ولا تؤاخذون به عن ابن عباس
والحسن وقتادة وقيل معناه لن تقدروا ان تعدلوا بالتسوية بين النساء في كل الامور من جميع الوجوه من
النفقة والكسوة والعطية والمسكن والصحبة والبشر والبر وغير ذلك والمراد ان ذلك لا يخف عليكم بل يثقل
ويشق لميلكم الى بعضهن فلا تميلوا كل الميل اي فلا تعدلوا باهوائكم عمن لم تملكوا محبته منهن كل العدول
حتى يحملكم ذلك على ان تجوروا على صواحبها في ترك اداء الواجب لهن عليكم من حق القسمة والنفقة والكسوة والعشرة
بالمعروف فتذروها كالمعلقة اي تذروا التي لا تميلون اليها كالتي هي لا ذات زوج ولا ايم عن ابن عباس ومجاهد
والحسن وقتادة وغيرهم وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام وذكر علي بن ابرهيم بن هاشم في
تفسيره انه سأل رجل من الزنادقة ابا جعفر الاحول عن قوله سبحانه وان خفتم ان لا تعدلوا فواحدة ثم قال ولن
تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم وبين القولين فرق قال فلم يكن عندي جواب في ذلك حتى قدمت
المدينة فدخلت على ابي عبد الله عليه السلام فسألته عن ذلك قال اما قوله فان خفتم الا تعدلوا فواحدة فانه عنى
في النفقة واما قوله ولن تستطيعوا ان تعدلوا فانه عنى في المودة فانه لا يقدر احد ان يعدل بين امرأتين في المودة
قال فرجعت الى الرجل فاخبرته فقال هذا ما حملته من الحجاز وروى ابو قلابة عن النبي عليه السلام انه كان يقسم
بين نسائه ويقول هذه قسمتي فيما املك فلا تلمني فيما تملك ولا املك ولن تستطيعوا ان تعدلوا في القسمة بين
الازواج والتسوية بينهن في النفقة وغير ذلك وتتقوا الله في امرهن وتتركوا الميل الذي نهاكم الله عنه في
تفضيل واحدة على الاخرى فان الله كان غفورا رحيما يستر عليكم ما مضى منكم من الحيف في ذلك اذا تبتم ورجعتم
الى الاستقامة والتسوية بينهن ويرحمكم بترك المؤاخذة على ذلك وكذلك كان يفعل فيما مضى مع غيركم وروي
عن جعفر الصادق عليه السلام عن آبائه عن النبي صلى الله عليه وآله انه كان يقسم بين نسائه في مرضه فيطاف به بينهن
وروي ان عليا عليه السلام كان له امرأتان فاذا كان يوم واحدة لا يتوضأ في بيت الاخرى وكان معاذ بن جبل
له امرأتان وماتتا في الطاعون فاقرع بينهما ايهما تدفن قبل الاخرى وقوله وان يتفرقا يغن الله كلا من
سعته يعني اذا ابى كل واحد من الزوجين مصالحة الآخر بان تطالب المرأة بنصيبها من القسمة والنفقة والكسوة
وحسن العشرة ويمتنع الزوج من اجابتها الى ذلك ويتفرقا حينئذ بالطلاق فان الله سبحانه يغني كل واحد منهما
من سعته اي من سعة فضله ورزقه وكان الله واسعا حكيما اي لم يزل كان واسع الفضل على عباده حكيما
فيما يدبرهم به وفي هذه الآية دلالة على ان الارزاق كلها بيد الله وهو الذي يتولاها بحكمته وان كان ربما
اجراها على يدي من يشاء من بريته قوله عز وجل ولله ما في السموات وما في الارض ولقد وصينا الذين اوتوا
الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله وان تكفروا فان لله ما في السموات وما في الارض وكان الله غنيا حميدا ولله
ما في السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا آيتان المعنى ثم ذكر سبحانه بعد اخباره باغناء كل واحد من الزوجين بعد
الافتراق من سعة فضله ما يوجب الرغبة اليه في ابتغاء الخير منه فقال ولله ما في السموات وما في الارض اخبار عن
كمال قدرته وسعة ملكه اي فان من يملك ما في السموات وما في الارض لا يتعذر عليه الاغناء بعد الفرقة والايناس

بعد الوحشة ثم ذكر الوصية بالتقوى فان بها ينال خير الدنيا والآخرة فقال ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب
من قبلكم من اليهود والنصارى وغيرهم واياكم اي واوصيناكم ايضا ايها المسلمون في كتابكم ان اتقوا الله وتقديره
بان اتقوا الله اي اتقوا عقابه باتقاء معاصيه ولا تخالفوا امره ونهيه وان تكفروا اي تجحدوا وصيته
اياكم فتخالفوها فان لله ما في السموات وما في الارض لا يضره كفرانكم وعصيانكم وهذا اشارة الى ان امره جميع
الامم بطاعته ونهيه اياهم عن معصيته ليس لاستكثار بهم من قلة ولا استيحاشا بهم عن ذلة ولا استغناء بهم
عن حاجة فان له ما في السموات وما في الارض ملكا وملكا وخلقا ولا يلحقه العجز ولا يعتريه الضعف ولا يجوز
عليه الحاجة وانما امرنا ونهانا نعمة منه علينا ورحمة بنا وكان الله غنيا اي لم يزل سبحانه غير محتاج الى خلقه بل
الخلائق كلهم محتاجون اليه حميدا اي مستوجبا للحمد عليكم بصنائعه الحميدة اليكم وآلائه الجميلة لديكم فاستديموا
ذلك باجتناب معاصيه والمسارعة الى طاعته فيما يأمركم به ثم قال ولله ما في السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا
اي حافظا لجميعه لا يعزب عنه علم شيء منه ولا يؤوده حفظه ولا تدبيره حفظه وتدبيره ولا يحتاج مع سعة ملكه الى
غيره وما وجه التكرار لقوله ولله ما في السموات وما في الارض في الآيتين ثلاث مرات فقد قيل انه للتاكيد والتذكير وقيل
للابانة عن علل ثلاث احدها بيان ايجاب طاعته فيما قضى به لان له ملك السموات والارض والثاني بيان غناه عن
خلقه وحاجتهم اليه واستحقاقه الحمد على النعم لان له ما في السموات والارض والثالث بيان حفظه اياهم وتدبيره لهم لان له
ملك السموات والارض قوله عز وجل ان يشأ يذهبكم ايها الناس ويأت بآخرين وكان الله على ذلك قديرا من كان
يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة وكان الله سميعا بصيرا آيتان المعنى لما ذكر سبحانه غناه عن
الخلق بان له ملك السموات والارض عقب ذلك بذكر كماله واقتداره على خلقه وان له الاهلاك والاستبدال والايجاد
بعد الافناء فقال ان يشأ يذهبكم ايها الناس ويفنكم وقيل فيه محذوف اي ان يشأ ان يذهبكم يذهبكم ويأت
بآخرين اي بقوم آخرين غيركم ينصرون نبيه صلى الله عليه وآله ويوازرونه ويروى انه لما نزلت هذه
الآية ضرب النبي صلى الله عليه وسلم يده على ظهر سلمان وقال هم قوم هذا يعني عجم الفرس وكان الله على ذلك قديرا اي لم يزل
سبحانه ولا يزال قادرا على الابدال والافناء والاعادة ثم ذكر سبحانه عظم ملكه وقدرته بان جزاء الدارين عنده فقال
من كان يريد ثواب الدنيا اي الغنيمة والمنافع الدنيوية اخبر سبحانه عن الذين اظهروا الايمان لمحمد من اهل النفاق يريدون
عرض الحيوة الدنيا باظهار ما اظهروا من الايمان بلسانه فعند الله ثواب الدنيا والآخرة اي يملك سبحانه الدنيا
والآخرة فليطلب المجاهد الثوابين عند الله سبحانه عن ابي علي الجبائي وقيل انه وعيد للمنافقين وثوابهم في الدنيا
ما ينالونه ياخذونه من الفيء والغنيمة اذا شهدوا الحرب مع المسلمين وامنهم على نفوسهم واموالهم وذراريهم وثوابهم
في الآخرة النار وكان الله سميعا بصيرا اي لم يزل على صفة يجب لاجلها ان يسمع المسموعات ويبصر المبصرات عند
الوجود وهذه الصفة هي كونه حيا لا آفة به وقيل انه انما ذكر ذلك هنا لينبئ انه يسمع ما يقوله المنافقون اذا
خلوا الى شياطينهم ويعلم ما يسرونه من نفاقهم قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء
لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا وان
تلووا او تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا آية القراءة قرأ ابن عامر وحمزة ان تلوا بضم اللام بواو واحدة ساكنة
والباقون تلووا بواوين الاولى مضمومة والثانية ساكنة الحجة من قرأ بواو واحدة فحجته ان يقول انه من الولاية
وولاية الشيء اقبال عليه وخلاف الاعراض عنه فيكون المعنى ان تقبلوا او تعرضوا فان خبير باعمالكم يجازي المحسن
باحسانه والمسيء المعرض باعراضه وترك الاقبال على ما يلزمه ان يقبل عليه قال واذا قرأت تلووا فانه من اللي والى
مثل الاعراض فيكون كالتكرير الا ترى ان قوله لووا رؤسهم ورأيتهم يصدون معناه الاعراض وترك الانقياد للحق

وامن قرأ تلووا فحجته من لوى فحجته ان تقول لا يتكرر اللفظان بمعنى واحد نحو قوله فسجد الملائكة كلهم
اجمعون وقول الشاعر وهند اتى من دونها النأي والبعد ونحو الكذب والمين قولها الكذبا ومينا ومثل ان تلوا يجوز
ان يكون تلووا وان الواو التي هي عين همزت لانضمامها كما همزت في ادؤر ثم حذفت الهمزة والقيت حركتها على
اللام التي هي فاء فصار تلوا كما تطرح الهمزة في ادؤر وتلقى حركتها على الدال فيصير ادر اللغة القسط والاقساط العدل
يقال اقسط الرجل اقساطا اذا عدل واتى بالقسط وقسط الرجل يقسط قسوطا اذا جار ويقال قسط البعير
يقسط قسطا اذا يبست يده ويد قسطا اي يابسة فكان المعنى اقسط اقام الشيء على حقيقته في التعديل وكان قسط
اي جار ومعناه يبس الشيء وافسد جهته المستقيمة والقوام فعال من القيام وهو عادته القيام واللي الدفع
يقال لويت فلانا حقه اذا دفعته ومطلته ومنه الحديث لي الواجد ظلم اي مطل الغني جور الاعراب شهداء نصب
على الحال من الضمير في قوله قوامين وهو ضمير الذين آمنوا ويجوز ان يكون خبرا كان على ان لها خبرين نحو هذا
حلو حامض ويجوز ان يكون صفة لقوامين ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما لم يقل به لانه اراد فالله اولى
بغنى الغني وفقر الفقير لان ذلك منه سبحانه وقيل لغايتي الضمير لان او في هذا الموضع بمعنى الواو وقيل انه سبحانه
لم يقصد غنيا بعينه ولا فقيرا بعينه فهو مجهول وما ذلك حكمه ان يعود اليه الضمير بالتوحيد والتثنية والجمع وقد
ذكر ان في قراءة ابي فالله اولى بهم وقيل انما ثنى بهما لانهما ذكرا كما في وله اخ او اخت فلكل واحد منهما
وقيل انما جاز ذلك لانه اضمر فيه من خاصم على ما تكرر في المعنى شرحا ان تعدلوا يجوز ان يكون في موضع نصب
بانه مفعول له اي هربا من ان تعدلوا وكراهة ان تعدلوا ويجوز ان يكون على معنى فلا تتبعوا الهوى لتعدلوا
المعنى لما ذكر سبحانه ان عنده ثواب الدنيا والآخرة عقبه بالامر بالقسط والقيام بالحق وترك الميل والجور
فقال يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط دائمين على القيام بالعدل معناه ولتكن عادتكم القيام بالعدل
في القول والفعل شهداء لله وهو جمع شهيد امر الله سبحانه عباده بالثبات والدوام على قول الحق والشهادة
بالصدق تقربا اليه وطلبا لمرضاته وعن ابن عباس كونوا قوامين بالحق في الشهادة على من كانت ولمن كانت
من قريب او بعيد ولو على انفسكم اي ولو كانت شهادتكم على انفسكم او الوالدين والاقربين اي على والديكم او على
اقرب الناس اليكم فقوموا فيها بالقسط والعدل واقيموها على الصحة والحق ولا تميلوا فيها لغنى غني او لفقر فقير فان الله
قد سوى بين الغني والفقير فيما الزمكم من اقامة الشهادة لكل واحد منهما بالعدل وفي هذا دلالة على جواز
شهادة الولد لوالده والوالد لولده وعليه وشهادة كل ذي قرابة لقريبه وعليه والى هذا ذهب ابن عباس
في قوله امر الله سبحانه المؤمنين ان يقولوا الحق ولو على انفسهم او آبائهم او ابنائهم ولا يحابوا غنيا لغناه ولا مسكينا
لمسكنته وقال ابن شهاب الزهري كان سلف المؤمنين على ذلك حتى دخلت الناس فيما بعدهم وظهرت
منهم حملت الولاة على اتهامهم فتركت شهادة من يتهم واما شهادة الانسان على نفسه فيكون بالاقرار للخصم واقراره
له شهادة منه على نفسه وشهادته على نفسه لا تعقل ان يكن غنيا او فقيرا معناه ان يكون المشهود عليه غنيا
او فقيرا او المشهود له غنيا او فقيرا فلا يمنعكم ذلك عن قول الحق والشهادة بالحق وفائدة ذلك ان الشاهد
ربما امتنع عن الشهادة للغني على الفقير لاستغناء المشهود له وفقر المشهود عليه فلا تقيم الشهادة شفقة على الفقير
وربما امتنع عن اقامة الشهادة للفقير على الغني تهاونا بالفقير وتوقيرا للغني او خشية منه او حشمة له فبين سبحانه
بقوله فالله اولى بهما انه اولى بالغني والفقير وانظر لهما من سائر الناس اي فلا تمتنعوا من اقامة الشهادة على
الفقير شفقة عليه ونظرا له ولا من اقامة الشهادة للغني لاستغنائه عن المشهود به فان الله تعالى امركم بذلك
مع علمه بغنى الغني وفقر الفقير فراعوا امره فيما امركم به فانه اعلم بمصالح العباد منكم فلا تتبعوا الهوى يعني هوى الانفس

في اقامة الشهادة فتشهدوا على انسان لا خير بينكم وبينه او وحشة او عصبية وتمنعوا الشهادة له لاحد هذه المعاني
او تشهدوا للانسان بغير حق لميلكم اليه بحكم صداقة او قرابة ان تعدلوا اي لاجل ان تعدلوا في الشهادة قال الفراء
هذا كقولهم لا تتبع هواك لترضي ربك اي كما ترضي ربك وقيل انه من العدول الذي هو الميل والجور ومعناه لا تتبعوا
الهوى في ان تعدلوا عن الحق وكلا تعدلوا عن الحق وان تلووا اي تحرفوا في اداء الشهادة او تعرضوا عن ادائها
عن ابن عباس ومجاهد وقيل ان الخطاب للحكام اي فان تلووا اي الحكام في الحكم لاحد الخصمين على الآخر او
تعرضوا عن احدهما الى الآخر عن ابن عباس وعن السدي وقيل معناه وان تلووا اي تبدلوا الشهادة او
تعرضوا اي تكتموها عن ابن زيد والضحاك وهو المروي عن ابي جعفر عليه السلم فان الله كان بما تعملون خبيرا
معناه انه كان عالما بما يكون منكم من اقامة الشهادة او تحريفها والاعراض عنها وفي هذه الآية دلالة على
وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وعدول طريقة العدل في النفس والغير وقد روي عن ابن عباس
في معنى قوله وان تلووا او تعرضوا انهما الرجلان يجلسان بين يدي القاضي فيكون لي القاضي واعراضه لاحدهما
على الآخر قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي
انزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا آية القراءة من
قرأ بالضم فحجته قوله لتبين للناس ما نزل اليهم ويعلمون انه منزل من ربك بالحق ومن قرأ نزل وانزل فانه نحو
نزلنا الذكر وانزلنا اليك الذكر المعنى يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله قيل فيه ثلاثة اقوال احدها
وهو الصحيح المعتمد يا ايها الذين آمنوا في الظاهر بالاقرار بالله ورسوله آمنوا في الباطن ليوافق باطنكم
ظاهركم فيكون الخطاب للمنافقين الذين كانوا يظهرون خلاف ما يبطنون والكتاب الذي نزل على رسوله
هو القرآن والكتاب الذي نزل على رسوله من قبل التوراة والانجيل عن الزجاج وغيره وثانيها ان يكون
الخطاب للمؤمنين على الحقيقة ظاهرا وباطنا فيكون معناه اثبتوا على هذا الايمان في المستقبل وداوموا عليه ولا تنتقلوا
عنه عن الحسن واختاره الجبائي قال لان الايمان هو التصديق ولا يبقى وانما يستمر بان يجدده الانسان حالا بعد حال
وثالثها ان الخطاب لاهل الكتاب امروا بان يؤمنوا بالنبي صلى الله عليه وآله والكتاب الذي انزل عليه كما آمنوا
بما فيهما من صفات نبينا صلى الله عليه وآله وبما معهم من الكتب ويكون قوله والكتاب الذي انزل من قبل ويكون
وجه امرهم بالتصديق بهما فانهم كانوا مصدقين بهما احد الامرين اما ان يكون لان التوراة والانجيل الذي ما معهم من
التوراة والانجيل فيهما صفات نبينا وتصديقه وتصحيح نبوته فمن لم يصدقه وبما معهم لم يكونوا مصدقين
لما معهم من التوراة والانجيل واما ان يكون تعالى امرهم بمحمد وبالقرآن والكتاب الذي انزل قبله والانجيل وذلك
لا يصح الا بالاقرار بعيسى عليه السلم ايضا وانه نبي مرسل ويعضد وجه ما روي عن عبد الله بن عباس انه قال
ان الآية نزلت في مؤمني اهل الكتاب عبد الله بن سلام واسد واسيد ابني كعب وثعلبة بن قيس وابن
اخت عبد الله بن سلام ويامين بن يامين وهؤلاء من كبار اهل الكتاب قالوا نؤمن بك وبكتابك وبالتوراة وعزير
ونكفر بما سواه من الكتب ومن سواهم من الرسل فقال لهم بل آمنوا بالله ورسوله الآية فآمنوا كما امرهم تعالى
ومن يكفر بالله اي يجحده او يشبهه بخلقه او يرد امره ونهيه وملائكته اي ينفيهم او ينزلهم منزلة لا يليق بهم
كما قالوا انهم بنات الله وكتبه فيجحدها ورسله فينكرهم واليوم الآخر اي يوم القيامة فقد ضل ضلالا بعيدا وبي الحسن
الضلال البعيد هو ما لا ائتلاف له والمعنى ان من كفر بمحمد وجحد نبوته فكانه جحد جميع ذلك لانه لا يصح ايمان
احد من الخلق بشيء مما امر الله الايمان به الا بالايمان به وبما انزل الله عليه وهذا تهديد لاهل الكتاب لكلام
لهم ان اقرارهم بالله وبوحدانيته وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر لا ينفعهم مع جحدهم نبوة محمد صلى الله عليه وآله

وجوده وعدمه سواء النظم وجه اتصال الآية بما قبلها ان الله سبحانه لما بين الاسلام عقبه بالدعاء الى الايمان
وشرائطه وقيل انها تتصل بقوله كونوا قوامين بالقسط والقيام بالقسط هو الايمان على الوجه المذكور قوله عز وجل
ان الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا بشر المنافقين بان لهم
عذابا اليما الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ايبتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعا
ثلاث آيات اللغة اصل البشارة الخبر السار الذي يظهر به السرور في بشرة الوجه ثم يستعمل في الخبر الذي يغم ايضا
وضع اخبارهم بالعذاب موضع البشارة لهم والعرب تقول تحيتك الضرب وعتابك السيف اي يضع الضرب
موضع التحية والسيف موضع العتاب قال الشاعر وخيل قد دلفت لها بخيل تحية بينهم ضرب وجيع واصل
العزة الشدة ومنه قيل للارض الصلبة الشديدة عزاز ومنه قيل عز علي ان يكون كذا اي شد علي وعز الشيء اي
صعب وجوده واشتد حصوله واعتز فلان بفلان اذا اشتد ظهره به والعزيز القوي المنيع بخلاف الذليل
المعنى ثم قال سبحانه ان الذين آمنوا ثم كفروا قيل في معناه اقوال احدها انه عنى به ان الذين آمنوا بموسى ثم كفروا
بعبادة العجل وغير ذلك ثم آمنوا يعني النصارى بعيسى ثم كفروا به ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وآله عن قتادة
وثانيها ان المراد آمنوا ثم كفروا بعد موسى ثم آمنوا بعزير ثم كفروا بعيسى ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وآله
عن الزجاج والفراء وثالثها انه عنى به طايفة من اهل الكتاب ارادوا تشكيك نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وآله فكانوا يظهرون الايمان بحضرتهم ثم يقولون قد عرضت لنا شبهة اخرى فيكفرون ثم ازدادوا كفرا بالثبات
عليه الى الموت عن الحسن وذلك معنى قوله تعالى وقالت طايفة من اهل الكتاب آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا
وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون ورابعها ان المراد به المنافقون آمنوا ثم ارتدوا ثم آمنوا ثم ارتدوا ثم ماتوا
على كفرهم عن مجاهد وابن زيد وقال ابن عباس دخل في هذه الآية كل منافق في عهد النبي صلى الله عليه وآله
في البر والبحر لم يكن الله ليغفر لهم باظهارهم الايمان فلو كانت بواطنهم كظواهرهم في الايمان لما كفروا فيما بعد ولا
ليهديهم سبيلا معناه ولا ليهديهم الى سبيل الجنة كما قال فيما بعد ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم ويجوز ان
يكون المعنى انه يخذلهم ولا يلطف لهم عقوبة لهم على كفرهم المتقدم ثم قال سبحانه بشر المنافقين اي اخبرهم يا محمد بان
لهم في الآخرة عذابا اليما اي وجيعا ان ماتوا على كفرهم ونفاقهم وفي هذا دلالة على ان الآية المتقدمة نزلت في
شان المنافقين وانه الاصح من الاقوال المذكورة ثم وصف هولاء المنافقين فقال الذين يتخذون الكافرين
اي مشركي العرب وقيل اليهود اولياء اي انصارا ومعينين واخلاء من دون المؤمنين اي من غيرهم ايبتغون
عندهم العزة اي يطلبون عندهم القوة والمنعة باتخاذهم هولاء اولياء من دون اهل الايمان بالله تعالى
ثم اخبر سبحانه ان العزة والمنعة له فقال فان العزة لله جميعا يريد سبحانه انهم لو آمنوا مخلصين له وطلبوا الاعتزاز
بالله ورسوله وبالمؤمنين لكان ذلك اولى بهم من الاعتزاز بالمشركين فان العزة باجمعها لله سبحانه ومن
عنده تعز من تشاء وتذل من تشاء قوله عز وجل وقد نزل عليكم في الكتاب ان اذا سمعتم آيات الله يكفر بها
ويستهزئ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره انكم اذا مثلهم ان الله جامع المنافقين والكافرين
في جهنم جميعا آية القراءة قرأ عاصم ويعقوب نزل بالتخفيف والباقون نزل بضم النون وكسر الزاي والوجه في
القراءتين ما ذكرناه قبل الحجة اذا قرأت نزل بالفتح فان في موضع نصب لان تقديره نزل الله ذلك واذا قرأت نزل
فانه في موضع رفع وان هذه هي المخففة من الثقيلة النزول كان المنافقون يجلسون الى احبار اليهود فيسخرون من
القرآن فنهاهم الله سبحانه عن ذلك عن ابن عباس المعنى لما تقدم ذكر المنافقين وموالاتهم للكفار عقب ذلك بالنهي
عن مجالستهم ومخالطتهم فقال وقد نزل عليكم في الكتاب اي في القرآن اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزئ بها
فلا

فلا تقعدوا معهم اي مع هولاء المستهزئين الكافرين حتى يخوضوا في حديث غيره اي حتى ياخذوا في حديث غير
الاستهزاء بالدين وقيل حتى يرجعوا الى الايمان ويتركوا الكفر والاستهزاء بالكتاب المنزل وهو قوله سبحانه في سورة
الانعام واذا رايت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وفي هذا دليل على تحريم
مجالسة الكفار عند كفرهم بآيات الله واستهزائهم بها وعلى اباحة مجالستهم عند خوضهم في حديث غيره وروي
عن الحسن ان اباحة القعود عند الكفار عند خوضهم في حديث آخر غير كفرهم واستهزائهم بالقرآن منسوخ بقوله تعالى
فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين انكم اذا مثلهم يعني انكم اذا جالستموهم على الخوض في كتاب الله
والهزء به فانتم مثلهم وانما حكم بانهم مثلهم لانهم لم ينكروا عليهم مع قدرتهم على الانكار ولم يظهروا الكراهية
لذلك ومتى كانوا راضين بالكفر كانوا كفارا لان الرضا بالكفر كفر وفي الآية دلالة على وجوب انكار المنكر
مع القدرة على ذلك وزوال العذر وان من ترك ذلك مع القدرة عليه فهو مخطئ آثم وفيها ايضا دلالة على تحريم
مجالسة الفساق والمبتدعين من اي جنس كانوا وبه قال جماعة من المفسرين وذهب اليه عبد الله بن مسعود
وابرهيم وابو وايل قال ابرهيم ومن ذلك اذا تكلم الرجل في مجلس بكذب فيضحك منه جلساؤه فيسخط الله عليهم
وبه قال عمر بن عبد العزيز وروي انه ضرب صايما كان قاعدا مع قوم يشربون الخمر وروى العياشي باسناده عن
علي بن موسى الرضا عليه السلم في تفسير هذه الآية قال اذا سمعت الرجل يجحد الحق ويكذب به ويقع في اهله فقم
من عنده ولا تقاعده وروي عن ابن عباس انه قال امر الله رسوله بهذه الآية بالاتفاق ونهى عن الاختلاف
والفرقة والمراء والخصومة وبه قال الطبري والبلخي وجماعة من المفسرين وقال الجبائي اما الكون بالقرب منهم
بحيث يسمع صوتهم ولا يقدر على انكاره فليس بمحظور وانما المحظور مجالستهم من غير اظهار كراهية لما يسمعه
او يراه قال وفي الآية دلالة على بطلان قول نفاة الاعراض وقولهم ليس هاهنا شيء غير الاجسام لانه قال حتى يخوضوا
في حديث غيره فاثبت غيرا لما كانوا فيه وذلك هو العرض ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا
اي ان الله يجمع الفريقين من اهل الكفر والنفاق في القيامة في النار والعقوبة فيها كما اتفقوا في الدنيا على عداوة
المؤمنين والمظاهرة عليهم قوله عز وجل الذين يتربصون بكم فان كان لكم فتح من الله قالوا الم نكن معكم وان كان
للكافرين نصيب قالوا الم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين فالله يحكم بينكم يوم القيمة ولن يجعل الله للكافرين
على المؤمنين سبيلا آية اللغة التربص الانتظار والاستحواذ الغلبة والاستيلاء يقال حاذ الحمار اتنه اذا استولى
عليها وجمعها ولذلك حاذها قال العجاج يصف ثورا وكلابا يحوذهن وله حوذي وروي يحوزهن وله
حوزي واستحوذ مما خرج على اصله فمن قال حاذ يحيذ لم يقل الا استحاذ يستحيذ ومن قال احوذ كما قيل احوذت
والحنف بمعنى احدث والحدث واخرجه على الاصل قالوا استحوذ والاحوذي الخاذ المنكمش الخفيف في اموره
المعنى ثم وصف الله سبحانه المنافقين والكافرين فقال الذين يتربصون بكم اي ينتظرون لكم ايها المؤمنون
لانهم كانوا يقولون سيهلك محمد واصحابه ونستريح منهم ويظهر قومنا وديننا فان كان لكم فتح اي اتفق لكم
فتح وظفر على الاعداء قالوا الم نكن معكم نجاهد عدوكم ونغزوهم معكم فاعطونا نصيبا من الغنيمة فانا شهدنا
القتال وان كان للكافرين نصيب اي حظ باصابتهم من المؤمنين قالوا يعني المنافقين اي قال المنافقون
للكافرين الم نستحوذ عليكم اي الم نغلب عليكم عن السدي ومعناه الم نغلبكم على رايكم بالموالاة لكم ونمنعكم
من الدخول في جملة المؤمنين وقيل معناه الم نبين لكم انا على ما انتم عليه اي الم نضمكم الى انفسنا ونطلعكم على
اسرار محمد واصحابه ونكتب اليكم باخبارهم حتى غلبتم عليهم فاعرفوا لنا هذا الحق عليكم عن الحسن وابن جريج
ونمنعكم من المؤمنين اي ندفع عنكم صولة المؤمنين بتخذيلنا اياهم عنكم وكوننا عيونا لكم حتى انصرفوا عنكم وغلبتموهم

فالله يحكم بينكم يوم القيمة هذا اخبار منه سبحانه عن نفسه بانه الذى يحكم بين الخلايق يوم القيمة ويفصل بالحق بينهم ولن
يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا قيل فيه اقوال احدها ان المراد لن يجعل الله لليهود على المؤمنين نصرا ولا ظهورا
عن ابن عباس وقيل لا يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلا وان جاز ان يغلبوهم بالقوة لكن المؤمنون منصورون
بالدلالة والحجة عن السدى والزجاج والبلخى قال الجبائى ولو حملناه على الغلبة لكان ذلك صحيحا لان غلبة الكفار للمؤمنين
ليس مما فعله الله تعالى فانه لا يفعل القبيح وليس كذلك غلبة المؤمنين للكفار فانه يجوز ان ينسب اليه سبحانه وقيل لن
يجعل لهم فى الاخرة عليهم سبيلا لانه مذكور عقيب قوله فالله يحكم بينهم يوم القيمة بين الله سبحانه انه ان ثبت لهم
سبيل على المؤمنين فى الدنيا بالقهر والنهب والاسر وغير ذلك من وجوه الغلبة فلن يجعل لهم يوم القيمة عليهم سبيلا
قوله عز وجل ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى يراؤن الناس
ولا يذكرون الله الا قليلا مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا
آيتان القراءة فى الشواذ قرء عبد الله بن ابى اسحاق يرؤن مثل يرعون والقراءة المشهورة يراؤن مثل يراعون
وقراءة ابن عباس مذبذبين بكسر الذال الثانية الحجة قال ابن جنى يرؤن يفعلون من رايت ومعناه يبصرون
الناس ويحملونهم على ان يروهم يفعلون ما يتعاطون وهو اقوى من ان يراؤن بالمد على يفاعلون لان معناه
يعرضون ولا يروهم ويراؤن معناه يحملونهم على ان يروهم قال الشاعر ترى اذ تراءى عند معقد غرزها
تهاويل من اجلاد هر مؤوم وقوله مذبذبين مثل قول الشاعر مسيرة شهر للبريد المذبذب اى المهتز
القلق الذى لا يستقر فى مكان فكذلك هؤلاء اللغة يقال ذبذبته فتذبذب اى حركته فتحرك فهو تحريك
شىء معلق قال النابغة الم تر ان الله اعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب الاعراب كسالى نصب
على الحال من الواو فى قاموا ومذبذبين نصب على الحال من المنافقين المعنى ثم بين سبحانه افعالهم القبيحة فقال
ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم قد ذكرنا معناه فى اول السورة البقرة وعلى الجملة خداع المنافقين
الله اظهارهم الايمان الذى به حقنوا دماءهم وقيل معناه يخادعون الله كما قال انما يبايعون الله فسمى مبايعة
النبى مبايعة الله للاختصاص ولان ذلك بامره عن الحسن والزجاج ومعنى خداع الله اياهم ان يجازيهم على
خداعهم كما قلناه فى قوله الله يستهزئ بهم وقيل هو حكمه بحقن دماءهم مع علمه بباطنهم وقيل هو ان يعطيهم الله نورا
يوم القيمة يمشون به مع المسلمين ثم يسلبهم ذلك النور ويضرب بينهم بسور عن الحسن والسدى وجماعة من المفسرين
واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى اى متثاقلين يراؤن الناس يعنى انهم لا يعملون شيئا من اعمال العبادات على
وجه القربة الى الله وانما يفعلون ذلك ابقاء على انفسهم وحذرا من القتل وسلب الاموال واذا راهم المسلمون
صلوا ليروهم انهم يدينون بدينهم وان لم يرهم احد لم يصلوا وبه قال قتادة وابن زيد وروى العياشى باسناده
عن مسعدة بن زياد عن ابى عبد الله عليه السلم عن ابائه عن رسول الله صلى الله عليه واله سئل فيم النجاة غدا قال النجاة
ان لا يخادعوا الله فيخدعكم فانه من يخادع الله يخدعه ونفسه يخدع لو يشعر فقيل له وكيف يخادع الله قال يعمل بما
امر الله ثم يريد غيره فاتقوا الرياء فانه شرك بالله ان المرائى يوم القيمة يدعى باربعة اسماء يا كافر يا فاجر يا غادر
يا خاسر حبط عملك وذهب اجرك فلا خلاق لك اليوم فالتمس اجرك ممن كنت تعمل له ولا يذكرون الله الا قليلا اى
ذكرا قليلا ومعناه لا يذكرون الله عن نية واخلاص ولو ذكروه مخلصين لكان كثيرا وانما وصف بالقلة لانه لغير الله
عن الحسن وابن عباس وقيل لا يذكرون الا ذكرا يسيرا نحو التكبير والاذكار التى يجهر بها ويتركون التسبيح وما يخافت
به من القراءة وغيرها عن ابى على الجبائى وقيل انما وصف الذكر بالقلة لانه سبحانه لم يقبله وكلما رده الله فهو قليل
مذبذبين بين ذلك اى مرددين بين الكفر والايمان يريد كانه فعل بهم ذلك وان كان الفعل لهم على الحقيقة وقيل معنى
مذبذبين مطرودين من هؤلاء من الذب الذى هو الطرد وصفهم الله سبحانه من الحيرة فى دينهم وانهم لا يرجعون الى صحة

نية لا مع المؤمنين على بصيرة ولا مع الكافرين على جهالة قال رسول الله صلى الله عليه واله ان مثلهم كمثل الشاة
العايرة بين الغنمين تتحير فتنظر الى هذه والى هذه لا تدرى ايهما تتبع لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء اى لا مع هؤلاء فى
الحقيقة ولا مع هؤلاء يظهرون الايمان كما يظهره المؤمنون ويضمرون الكفر كما يضمره المشركون فلم يكونوا مع احد
الفريقين فى الحقيقة فان المؤمنين يضمرون الايمان كما يظهرونه والمشركون يظهرون الكفر كما يضمرونه ومن يضلل
فلن تجد له سبيلا اى طريقا ومذهبا وقد مضى ذكر معنى الاضلال مشروحا فى سورة البقرة عند قوله وما يضل
به الا الفاسقين فلا معنى لاعادته قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين
اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم
نصيرا الا الذين تابوا واصلحوا واعتصموا بالله واخلصوا دينهم لله فاولئك مع المؤمنين وسوف يؤت الله
المؤمنين اجرا عظيما ثلث آيات القراءة قرء اهل الكوفة الا ابا بكر الدرك بسكون الراء والباقون الدرك بفتحها الحجة
هما لغتان كالنهر والنهر والسمع والسمع والقبض والقبض اللغة السلطان الحجة قال الزجاج وهو يذكر ويؤنث
قال لو اقضت عليك به السلطان وامرك به السلطان ولم يات فى القرآن الا مذكرا وقيل للامير سلطان ومعناه
ذو الحجة واصل الدرك الحبل الذى يوصل به الرشا ويعلق به الدلو ثم لما كان فى النار سفال من جهة الصورة والمعنى
قيل له درك ودرك وجمع الدرك ادراك ودروك وجمع الدرك ادراك المعنى ثم نهى سبحانه عن موالاة المنافقين
فقال يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين فتكونوا مثلهم اتريدون ان تجعلوا لله
عليكم سلطانا مبينا اى حجة ظاهرة وهو استفهام يراد به التقرير وفيه دلالة على ان الله تعالى لا يعاقب احدا الا
بعد قيام الحجة عليه والاستحقاق وانه لا يعاقب الاطفال بذنوب الآباء وانه كان لا حجة له سبحانه على الخلق لولا معاصيهم
قال الحسن معناه اتريدون ان تجعلوا لله سبيلا على عذابكم بكفركم وتكذيبكم ان المنافقين فى الدرك الاسفل
من النار اى فى الطبق الاسفل من النار فان النار طبقات ودركات كما ان الجنة درجات فيكون المنافق فى
اسفل طبقة منها لقبح فعله عن ابن كثير وابى عبيدة وجماعة من المفسرين وقيل ان المنافقين فى توابيت من
حديد مغلقة عليهم فى النار عن عبد الله بن مسعود وابن عباس وقيل ان الادراك يجوز ان يكون منازل
بعضها اسفل من بعض بالمسافة ويجوز ان يكون ذلك اخبارا عن بلوغ الغاية فى العقاب كما يقال ان السلطان
بلغ فلانا الحضيض وبلغ فلانا العرش ويريدون بذلك انحطاط المنزلة وعلوها لا المسافة عن ابى القاسم
البلخى ولن تجد لهم نصيرا ولا تجد يا محمد لهؤلاء المنافقين ناصرا ينصرهم فينقذهم من عذاب الله اذ جعلهم فى اسفل
طبقة من النار ثم استثنى سبحانه فقال الا الذين تابوا من نفاقهم واصلحوا نياتهم وقيل ثبتوا على التوبة فى المستقبل
واعتصموا بالله اى تمسكوا بكتاب الله وصدقوا رسله وقيل وثقوا بالله واخلصوا دينهم لله اى تبرؤا من الآلهة
والانداد وقيل طلبوا بايمانهم رحمة الله ورضاه مخلصين عن الحسن فاولئك مع المؤمنين اى فانهم اذا فعلوا
ذلك يكونون مع المؤمنين فى الجنة ومحل الكرامة وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما سوف كلمة ترجية وعدة
وطماع وهى من الله سبحانه ايجاب لانه سبحانه اكرم الاكرمين ووعد الكريم انجاز ولم يشرط على غير المنافقين
فى التوبة من الاصلاح والاعتصام ما شرط عليهم ثم شرط عليهم الاخلاص لان النفاق ذنب القلب والاخلاص
توبة القلب ثم قال فاولئك مع المؤمنين ولم يقل فاولئك المؤمنون اى من المؤمنين غيظا عليهم ثم اتى
بلفظ سوف فى آخر المؤمنين لانضمام المنافقين اليهم هذا اذا عنى به جميع المؤمنين من تقدم منه الكفر ومن
لم يتقدم ويحتمل ان يكون المراد زيادة الثواب لمن لم يسبق منه كفر ولا نفاق قوله عز وجل ما يفعل الله بعذابكم

ان تشكرتم وآمنتم وكان الله شاكرا عليما آية المعنى خاطب سبحانه بهذه الآية المنافقين الذين تابوا وآمنوا
واصلحوا اعمالهم فقال ما يفعل الله بعذابكم اى ما يصنع بعذابكم والمعنى لا حاجة لله الى عذابكم وجعلكم فى
الدرك الاسفل من النار لانه لم يجتلب بعذابكم نفعا ولا يدفع عن نفسه ضررا اذ هما مستحيلان عليه ان شكرتم
اى اديتم الحق الواجب لله عليكم وشكرتموه على نعمه وآمنتم به وبرسله واقررتم بما جاء به من عنده وكان الله
شاكرا عليما يعنى لم يزل الله سبحانه مجازيا لكم على الشكر فسمى الجزاء باسم المجزى عليه عليما اى يستحقونه من الثواب
على الطاعات فلا يضيع عنده شئ منها عن قتاده وغيره وقيل معناه انه يشكر القليل من اعمالكم ويعلم ما ظهر وبطن
من افعالكم واقوالكم ويجازيكم عليها وقال الحسن معناه انه يشكر خلقه على طاعتهم مع غناه عنهم وعليما بعلم
باعمالهم قوله عز وجل لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم وكان الله سميعا عليما ان تبدوا خيرا او تخفوه
الجزء السادس
او تعفوا عن سوء فان الله كان عفوا قديرا آيتان القراءة القراءة على ضم الظاء من ظلم وروى عن ابن عباس
وسعيد بن جبير والضحاك وعطا بن السايب وغيرهم الا من ظلم بفتح الظاء واللام الحجة قال ابن جنى من ظلم
وظلم جميعا على الاستثناء المنقطع اى لكن من ظلم فان الله لا يخفى عليه امره ودل عليه قوله وكان الله سميعا عليما
وموضع من نصب فى الوجهين جميعا وقال الزجاج ويكون المعنى لكن المظلوم يجهر بظلامته تشكيا ولكن الظالم
يجهر بذلك ظلما وقال يجوز ان يكون موضع من رفعا على معنى لا يحب الله ان يجهر احد بالسوء من القول الا المظلوم
قال وفيها وجه آخر لا اعلم احدا من النحويين ذكره وهو ان يكون على معنى لكن الظالم اجهروا له بالسوء من القول
المعنى لا يحب الله الجهر بالسوء من القول قيل فى معناه اقوال احدها لا يحب الله الشتم فى الانتصار الا من ظلم
فلا باس له ان ينتصر ممن ظلمه مما يجوز الانتصار فى الدين عن الحسن والسدى وهو المروى عن ابى جعفر عم
والسدى ونظيره وانتصروا من بعد ما ظلموا قال الحسن ولا يجوز للرجل اذا قيل له يا زانى ان يقابل بمثل ذلك من انواع
الشتم وثانيها ان معناه لا يحب الله الجهر بالدعاء على احد الا ان يظلم انسان فيدعو على من ظلمه فلا يكره ذلك
عن ابن عباس وقريب منه قول قتاده لكن رفع الصوت بما يسوء الغير الا المظلوم يدعو على من ظلمه وثالثها
ان المراد لا يحب ان يذم احد احدا او يشكوه او يذكره بالسوء الا ان يظلم فيجوز ان يشكو ظالمه ويظهر امره ويذكره
بسوء ما قد صنعه ليحذره الناس عن مجاهد وروى عن ابى عبد الله عم انه الضيف ينزل بالرجل فلا يحسن ضيافته
فلا جناح فى ان يذكره بسوء ما فعله وكان الله سميعا عليما يعنى سميعا من سوء القول عليما بصدق الصادق
وكذب الكاذب فيجازى كلا بعمله وفى هذه الآية دلالة على ان الرجل اذا هتك ستره واظهر فسقه جاز اظهار ما
فيه وقد جاء فى الحديث قولوا فى الفاسق ما فيه كى يحذره الناس ولا غيبة لفاسق وفيها ترغيب فى مكارم الاخلاق
ونهى عن كشف عيوب الخلق واخبار تنزيهه ذاته عن ارادة القبايح فان المحبة اذا تعلقت بالفعل فمعناها
الارادة ثم خاطب سبحانه جميع المكلفين فقال ان تبدوا اى تظهروا خيرا اى حسنا جميلا من القول لمن احسن اليكم
شكرا له على انعامه عليكم او تخفوه اى تتركوا اظهاره وقيل ان معناه ان تفعلوا خيرا او تعزموا عليه وقيل
بالخير المال اى تظهروا الصدقة او تخفوها او تعفوا عن سوء معناه او تصفحوا عمن اساء اليكم مع القدرة على الانتقام
منه فلا تجهروا له بالسوء من القول الذى اذن لكم ان تجهروا به فان الله كان عفوا اى صفوحا عن خلقه
يصفح لهم عن معاصيهم قديرا اى قادرا على الانتقام منهم وهذا حث منه سبحانه لخلقه على العفو عن المسيء مع القدرة
على الانتقام والمكافاة فانه سبحانه مع كمال قدرته يعفو عنهم ذنوبا اكثر من ذنب من يسيء اليهم وقد تضمنت الآية
التى قبلها اباحة الانتصاف من الظالم بشرط ان يقف فيه على حد الظلم موجب الشرع النظم الوجه فى اتصال

آية الاولى بما قبلها انه لما سبق ذكر اهل النفاق وهو الاظهار خلاف الابطان بين سبحانه ان الجهر بما يقع فى النفس
من اظهاره فانه ربما يكون ظنا فاذا تحقق ذلك جاز اظهاره عن على بن عيسى قوله عز وجل ان الذين يكفرون
بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون
ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقا واعتدنا للكافرين عذابا مهينا والذين آمنوا بالله
ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم اولئك سوف يؤتيهم اجورهم وكان الله غفورا رحيما ثلث آيات القراءة قرا
حفص يؤتيهم بالياء والباقون نؤتيهم بالنون الحجة حجة حفص قوله سوف يؤت الله المؤمنين وحجة من
قرا نؤتيهم وآتيناه اجره اولئك سنؤتيهم اجرا عظيما المعنى لما تقدم سبحانه بذكر المنافقين عقبه سبحانه
بذكر اهل الكتاب والمؤمنين فقال ان الذين يكفرون بالله ورسله من اليهود والنصارى ويريدون
ان يفرقوا بين الله ورسله اى كذبوا رسل الله الذين ارسلهم الى خلقه واوحى اليهم وذلك معنى ارادتهم
التفريق بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض اى يقولون نصدق ونكذب بذلك
كما فعلت اليهود صدقوا بموسى ومن تقدمه من الانبياء وكذبوا بمحمد ويريدون ان يتخذوا بين ذلك
سبيلا اى طريقا الى الضلالة التى احدثوها والبدعة التى ابتدعوها يدعون جهال الناس اليه اولئك هم
الكافرون حقا اى هؤلاء الذين اخبرنا عنهم بانهم يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض هم الكافرون
حقيقة فاستيقنوا بذلك ولا ترتابوا بدعواهم انهم يقرون بما زعموا انهم يقرون به من الكتب والرسل
لانهم لو كانوا صادقين فى ذلك لصدقوا جميع رسل الله وانما قال سبحانه هم الكافرون حقا على وجه التاكيد
لئلا يتوهم متوهم ان قولهم نؤمن ببعض يخرجهم من حيز الكفار ويلحقهم بالمؤمنين واعتدنا اى اعددنا وهيانا
للكافرين عذابا مهينا يهينهم ويذلهم والذين آمنوا بالله ورسله صدقوا الله ووحدوه واقروا بنبوة
رسله ولم يفرقوا بين احد منهم بجميعهم اولئك سوف يؤتيهم اى سيعطيهم اجورهم سمى الله سبحانه الثواب اجرا دلالة
على انه مستحق اى نعطيهم الذين استحقوا على ايمانهم بالله ورسله وكان الله غفورا رحيما اى لم يزل غفورا لمن
كانت هذه صفتهم ما سلف لهم من المعاصى والآثام رحيما متفضلا عليهم بانواع الانعام هاديا لهم الى دار السلام
قوله عز وجل يسئلك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى اكبر من ذلك فقالوا ارنا
الله جهرة فاخذتهم الصاعقة بظلمهم ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات فعفونا عن ذلك وآتينا
موسى سلطانا مبينا ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا وقلنا لهم لا تعدوا فى
السبت واخذنا منهم ميثاقا غليظا ثلاث آيات القراءة قرا اهل المدينة لا تعدوا باسكان العين وتشديد
الدال وروى ورش عن نافع لا تعدوا بفتح العين وتشديد الدال وقرا الباقون لا تعدوا خفيفة الحجة
من قرا لا تعدوا فاصله لا تعتدوا فادغم التاء فى الدال لتقاربهما ولان الدال مزيد على التاء فى الجهر قال ابو على
وكثير من النحويين ينكرون الجمع بين الساكنين اذا كان الثانى منهما مدغما ولا يكون الاول حرف لين نحو دابة
واصيم وتمود الثوب ويقولون ان المد يصير عوضا من الحركة وقد قالوا ثوب بكر وجيب بكر فادغموا
المد الذى فيهما اقل من المد الذى يكون فيهما اذا كانت حركة ما قبلهما منهما فاذا جاز ذلك مع نقصان
المد الذى فيه لم يمتنع ان يجمع بين ساكنين نحو ان تعدوا ونعوذ ذلك جواز نحو اصيم ودويبة ومن قرا
لا تعدوا فاصل لا تعتدوا فاسكن التاء ليدغمها فى الدال ونقل حركتها الى العين الساكنة قبلها
فصار لا تعدوا ومن قرا لا تعدوا فهو لا تفعلوا مثل قوله سبحانه اذ يعدون فى السبت وحجة الاولين قوله اعتدوا

منكم في السبت الفقه قال ابو زيد يقول عدا علي اللص اشد العدو والعداء والعدوان واذا سرتك وظلمك
وعدا الرجل يعدو في الحضر وقد عدت عينه عن ذلك اشد العدو تعدو عدوا اذا جاوز يقال ما عدت
ان رويتك اي ما جاوزت ذلك الاعراب جهرة يجوز ان يكون صفة لقولهم اي قالوا جهرة ارنا الله ويجوز ان يكون
على ارنا الله رؤية ظاهرة النزول روي ان كعب بن الاشرف وجماعة من اليهود قالوا يا محمد ان كنت نبيا فاتنا بكتاب
من السماء جملة كما اتى موسى التوراة جملة فنزلت الآية عن السدي المعنى لما انكر سبحانه على اليهود التفريق بين الرسل
في الايمان عقبه في الانكار عليهم في طلبهم المحالات مع ظهور الآيات المعجزات فقال يسئلك يا محمد اهل الكتاب
يعني اليهود ان تنزل عليهم كتابا من السماء اختلف في معناه على اقوال احدها انهم سالوا ان ينزل عليهم كتابا
من السماء مكتوبا كما كانت التوراة مكتوبة عند الله في الالواح عن محمد بن كعب والسدي وثانيها
انهم سالوا ان ينزل على رجل منهم باعيانهم كتبا يامرهم الله فيها بتصديقه واتباعه عن ابن جريج واختاره
الطبري وثالثها انهم سالوا ان ينزل عليهم كتابا خاصا لهم عن قتادة قال الحسن انما سالوا ذلك للتعنت والتحكم
في طلب المعجزات لا لظهور الحق ولو سالوه ذلك استرشادا لا عنادا لاعطاهم الله ذلك فقد سالوا موسى اكبر من
ذلك اي لا يعظمن عليك ذلك يا محمد سالتهم اياك انزال الكتب عليهم من السماء فانهم سالوا موسى يعني اليهود
اعظم من ذلك بعد ما اتاهم بالآيات الظاهرة من المعجزات القاهرة التي يكفي الواحدة منها في معرفة صدقه
وصحة نبوته فلم يقنعهم ذلك فقالوا ارنا الله جهرة اي معاينة فاخذتهم الصاعقة بظلمهم انفسهم بهذا القول
وقد ذكرنا قصة هولاء وتفسيرها في الآية في سورة البقرة عند قوله لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة الآية وقوله
واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور ثم اتخذوا العجل اي عبدوه واتخذوه الها من بعد ما جاءتهم البينات
اي الحجج الباهرة قد دل الله بهذا على جهل القوم وعنادهم فعفونا عن ذلك مع عظم جريمتهم وجنايتهم وقد اخبر
سبحانه بهذا عن سعة رحمته ومغفرته وتمام نعمته وانه لا جريمة تضيق عنها رحمته ولا جناية تقصر عنها مغفرته
واتينا موسى سلطانا مبينا اي حجة بينة ظاهرة تبين عن صدقه وصحة نبوته ورفعنا فوقهم الطور
اي الجبل لما امتنعوا من العمل بما في التوراة وقبول ما جاءهم به موسى بميثاقهم اي بما اعطوا الله سبحانه من العهد
ليعملن بما في التوراة وقيل معناه رفعنا الجبل فوقهم بنقض ميثاقهم الذي اخذ عليهم بان يعملوا بما في التوراة
وانما نقضوه بعبادة العجل وغيرها عن ابي علي الجبائي قال ابو مسلم انما رفع الله الجبل فوقهم اظلالا لهم من الشمس
بميثاقهم اي تعهدهم جزاء لهم على ذلك وهذا القول يخالف اقوال المفسرين وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا
يعني باب حطة وقد مر بيانه هناك وقلنا لهم لا تعدوا في السبت اي لا تجاوزوا في يوم السبت ما ابيح لكم الى
ما حرم عليكم عن قتادة قال امرهم الله ان لا ياكلوا الحيتان يوم السبت واجاز لهم ما عداه واخذنا منهم ميثاقا غليظا
اي عهدا وثيقا وكيدا بان ياتمروا باوامره وينتهوا عن مناهيه وزواجره قوله عز وجل فبما نقضهم ميثاقهم
وكفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون
الا قليلا وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه
وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه
يقينا بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما اربع آيات اللغة البهتان الكذب الذي يتحير من شدته وعظمه
وقد مر معنى المسيح في سورة آل عمران يقال قتلت الشيء خبرا وعلما اي علمته علما تاما وذلك لان القتل التذليل
ويكون كالدرس انه التذليل ومنه الرسم الدارس لذلك فقولك درست العلم بمعنى ذللته ويقال في المثل قتل ارضا

عالمها وقتلت ارض جاهلها قال الاصمعي معناه ضبط الامر من يعلمه وقوله ان المعنى ان العالم يغلب اهل ارضه والجاهل
مغلوب مقهور كان الجاهل بالطريق لا يهتدي فيتردد فيه الاعراب ما في قوله فبما نقضهم لغو اي فبنقضهم ومعناه
التوكيد اي فبنقضهم ميثاقهم حقا والجالب للباء في بنقضهم والعامل فيه قيل انه محذوف اي لعناهم وقيل العامل
فيه قوله حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وقوله فبظلم من الذين هادوا بدل من قوله فبنقضهم عن الزجاج وعلى
هذا فقوله بل طبع الله عليها بكفرهم الى آخر الآية اعتراض وكذلك قوله وما قتلوه وما صلبوه الى قوله شهيدا
وقوله عيسى بن مريم عطف بيان ركب مع ابن وجعلا كاسم واحد لوقوع الابن بين العلمين مع كونه صفة وربما ركبت الصفة
مع الموصوف فجعلا كاسم واحد لوقوع الآخر لا رجل ظريف في الدار ورسول الله صفة للمسيح او بدل
منه واتباع الظن منصوب على الاستثناء وهو استثناء منقطع وليس من المعنى الاول فالمعنى ما لهم به من علم لكنهم
يتبعون الظن المعنى ثم ذكر سبحانه افعالهم القبيحة ومجازاته اياهم بها فقال فبما نقضهم اي فبنقض هولاء الذين
تقدم ذكرهم وصفتهم ميثاقهم اي عهودهم التي عاهدوا الله عليها ان يعملوا بما في التوراة وكفرهم بآيات
الله اي بجحودهم باعلام الله وحججه وادلته التي احتج بها عليهم في صدق انبيائه ورسله وقتلهم الانبياء بعد قيام
الحجة عليهم بصدقهم بغير حق اي بغير استحقاق منهم لذلك بكبيرة اتوها او خطيئة استوجبوا بها القتل وقد قدمنا
القول في امثال هذا وانه انما ذكر على سبيل التوكيد فان قتل الانبياء لا يمكن الا ان يكون بغير حق فهو مثل قوله
ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به والمعنى ان ذلك لا يكون البتة عليه برهان وقوله قلوبنا غلف
مضى تفسيره في سورة البقرة بل طبع الله عليها بكفرهم قد شرحنا معنى الطبع والختم عند قوله ختم الله على قلوبهم
فلا يؤمنون الا قليلا اي فلا يصدقون الا تصديقا قليلا وانما وصفه بالقلة لانهم لم يصدقوا بجميع ما كان
يجب عليهم التصديق به ويجوز ان يكون الاستثناء من الذين نفى عنهم الايمان فيكون المعنى الا قليلا فكانه
سبحانه علم انه يؤمن من جملتهم جماعة قليلة فيما بعد فاستثناهم من جملة من اخبر عنهم انهم لا يؤمنون وبه قال جماعة
من المفسرين وقتادة وغيره وذكر بعضهم ان الباء في قوله فبما نقضهم يتصل بما قبله والمعنى فاخذتهم الصاعقة
بظلمهم وبنقضهم ميثاقهم وبكفرهم وبكذا وكذا اتبع الكلام بعضه بعضا وقال الطبري ان معناه منفصل عما قبله
يعني فبنقضهم الانبياء لعناهم وغضبنا عليهم فترك ذكره لدلالة قوله بل طبع الله عليها بكفرهم على معنى ذلك
لان من طبع على قلبه فقد لعن وسخط عليه قال وانما قلنا ذلك لان الذين اخذتهم الصاعقة كانوا على عهد
موسى والذين قتلوا الانبياء والذين رموا مريم بالبهتان العظيم وقالوا قتلنا عيسى كانوا بعد موسى بزمان
طويل ومعلوم ان الذين اخذتهم الصاعقة لم يكن ذلك عقوبة على رميهم مريم بالبهتان ولا على قولهم انا قتلنا
عيسى فبان بذلك ان الذين قالوا هذه المقالة غير الذين عوقبوا بالصاعقة وهذا الكلام انما يتجه على من
قال انه يتصل بما قبله ولا يتجه على قول الزجاج وهو الاقوى لانا اذا امكن اجراء الكلام على ظاهره من غير تقدير
حذف فالاولى ان يجري عليه وقوله وبكفرهم اي وبجحود هولاء بعيسى وقولهم على مريم بهتانا اي اعظم كذبا
واشنعه وهو رميهم اياها بالفاحشة عن ابن عباس والسدي قال الكلبي مر عيسى عليه السلم برهط فقال بعضهم
لبعض قد جاءكم الساحر ابن الساحرة والفاعل ابن الفاعلة فقذفوه بامه فسمع ذلك عيسى عليه السلم وقال اللهم انت
ربي خلقتني ولم اتهم من تلقاء نفسي اللهم العن من سبني وسب والدتي فاستجاب الله دعوته ومسخهم خنازير
وقوله انا قتلنا المسيح بن مريم رسول الله يعني وقول اليهود انا قتلنا عيسى بن مريم رسول الله حكاه الله سبحانه
عنهم اي رسول الله في زعمه وقيل انه من قول الله سبحانه لا على وجه الحكاية عنهم وتقديره الذي هو رسولي
وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم اختلفوا في كيفية التشبيه فروي عن ابن عباس انه قال لما مسخ الله الذين

سبوا عيسى وامه بدعائه بلغ ذلك يهوذا وهو رأس اليهود فاتفقوا على قتله فبعث الله جبرئيل يمنعه عنهم ويعينه عليهم وذلك معنى قوله وايدناه بروح القدس واجتمع اليهود حول عيسى عليه السلام فجعلوا يسألونه فيقول يا معشر اليهود ان الله يبغضكم فثاروا اليه ليقتلوه فادخله جبرئيل عليه السلام خوخة البيت الداخل لها روزنة في سقفها فرفعه جبرئيل عليه السلام فبعث يهوذا رأس اليهود رجلا من اصحابه اسمه طيطانوس ليدخل عليه الخوخة فيقتله فدخل فلم يره فابطأ عليهم فظنوا انه يقاتله في الخوخة فالقى الله تعالى عليه شبه عيسى فلما خرج على اصحابه قتلوه وصلبوه وقيل القي عليه شبه وجه عيسى ولم يلق عليه شبه جسده فقال بعضهم ان الوجه وجه عيسى والجسد جسد طيطانوس وقال بعضهم ان كان هذا طيطانوس فاين عيسى وان كان عيسى فاين طيطانوس فاشتبه الامر عليهم وقال وهب بن منبه اتى عيسى عليه السلام ومعه سبعة عشر من الحواريين في بيت فاحاطوا بهم فلما دخلوا عليهم صورهم الله كلهم على صورة عيسى فقالوا لهم سحرتمونا لتبرزن لنا عيسى او لنقتلنكم جميعا فقال لاصحابه من يشري اليوم منكم نفسه بالجنة فقال رجل اسمه سرجس انا فخرج اليهم فقال انا عيسى فاخذوه وقتلوه وصلبوه ورفع عيسى عليه السلام من يومه ذلك وبه قال قتادة والسدي ومجاهد وابن اسحق وان اختلفوا في عدد الحواريين ولم يذكر احد غير وهب ان شبهه القي على جميعهم بل قالوا القي شبهه على واحد ورفع عيسى من بينهم وقال الطبري وقول وهب اقوى لانه لو القي الشبه على واحد مع قول عيسى ايكم يلقى عليه شبهي فله الجنة ثم راوا عيسى رفع من بينهم لما اشتبه عليهم ولما اختلفوا فيه وان جاز ان يشتبه على اعدائهم من اليهود الذين لم يعرفوه لكن القي شبهه على جميعهم فكانوا يرون كل واحد منهم بصورة عيسى فلما قتل احدهم اشتبه الحال عليهم وقال ابو علي الجبائي ان رؤساء اليهود اخذوا انسانا فقتلوه وصلبوه على موضع عال ولم يمكنوا احدا من الدنو منه فتغيرت حليته وقالوا قتلنا عيسى ليوهموا بذلك على عوامهم لانهم كانوا احاطوا بالبيت الذي فيه عيسى فلما دخلوه كان عيسى قد رفع من بينهم فخافوا ان يكون ذلك سببا لايمان اليهود به ففعلوا ذلك والذين اختلفوا فيه هم غير الذين صلبوه وانما هم باقي اليهود وقيل ان الذي دلهم عليه وقال هذا عيسى احد الحواريين اخذ على ذلك ثلثين درهما وكان منافقا ثم انه ندم على ذلك واختنق حتى قتل نفسه وكان اسمه بودس زكريا بوطا وهو ملعون في النصارى وبعض النصارى يقول ان بودس زكريا بوطا هو الذي شبه لهم فصلبوه وهو يقول اني لست بصاحبكم انا الذي دللتكم عليه وقيل انهم حبسوا المسيح مع عشرة من اصحابه في بيت فدخل عليهم رجل من اليهود فالقى الله عليه شبه عيسى فقتلوا الرجل عن السدي وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه قيل انه يعني بذلك عامتهم لان علماءهم علموا انه غير مقتول عن الجبائي وقيل اراد بذلك جماعتهم اختلفوا فقال بعضهم قتلناه وقال بعضهم لم نقتله ما لهم به من علم الا اتباع الظن لم يكن لهم من علم لكنهم اتبعوا الظن فقتلوا الذي قتلوه ظنا منهم انه عيسى عليه السلام ولم يكن به وانما شكوا في ذلك لانهم عرفوا عدة من في البيت فلما دخلوا عليهم فقدوا واحدا منهم التبس عليهم امر عيسى وقتلوا من قتلوا على شك منهم في امر عيسى هذا على قول من قال لم يتفرق اصحابه حتى دخل عليهم اليهود فاما من قال تفرق اصحابه عنه فانه يقول كان اختلافهم في ان عيسى عليه السلام هل كان فيمن بقي او كان فيمن خرج اشتبه الامر عليهم وقال الحسن معناه اختلفوا في عيسى فقالوا مرة هو عبد الله ومرة هو ابن الله ومرة هو الله وقال الزجاج معنى اختلاف النصارى فيه ان منهم من ادعى انه اله ومنهم من قال قتل وما قتلوه يقينا اختلف في الهاء في قتلوه فقيل انه يعود الى الظن اي ما قتلوا ظنهم يقينا كما يقال قتلته علما عن ابن عباس وجويبر ومعناه ما قتلوا ظنهم الذي اتبعوا في المقتول الذي قتلوه وهم يحسبونه عيسى يقينا انه عيسى ولا انه غيره ولكن كانوا منه على شبهة وقيل ان الهاء عائد الى عيسى عليه السلام يعني ما قتلوه يقينا اي حقا فهو من تاكيد الخبر عن الحسن اراد ان الله سبحانه نفى عن عيسى عليه السلام

القتل على وجه التحقيق واليقين بل رفع الله عيسى اليه ولم يصلبوه ولم يقتلوه وقد مر تفسيره في سورة آل عمران عند قوله اذ قال الله يا عيسى اني متوفيك ورافعك الي وكان الله عزيزا حكيما لم يزل الله سبحانه منتقما من اعدائه حكيما في افعاله وتقديراته فاحذروا ايها السائلون محمدا ان ينزل عليكم كتابا من السماء حلول عقوبته بكم كما حل باوائلكم في تكذيبهم رسله عن ابن عباس وما مر في تفسير هذه الآية ان الله القى شبه عيسى على غيره فان ذلك من مقدور الله بلا خلاف بين المسلمين فيه ويجوز ان يفعله سبحانه على وجه التغليظ للمحنة والتشديد في التكليف وان كان ذلك خارقا للعادة فانه يكون معجزا للمسيح ع كما روي عن جبرئيل ع كان ياتي نبينا محمدا صلى الله عليه وآله في صورة دحية الكلبي وههنا سؤال على هذه الآية ان نقل قد تواترت اليهود والنصارى مع كثرتهم واجتمعت على ان المسيح قتل وصلب فكيف يجوز عليهم ان يخبروا عن الشيء بخلاف ما هو به ولو جاز ذلك فكيف يوثق بشيء من الاخبار والجواب ان هؤلاء دخلت عليهم الشبهة كما اخبر الله سبحانه عنهم بذلك فلم يكن الشهود يعرفونه عيسى بعينه وانما اخبروا انهم قتلوا رجلا قيل لهم انه عيسى فهم في خبرهم صادقون وان لم يكن المقتول عيسى وانما اشتبه الامر على النصارى لان شبه المسيح ع القي على غيره فراوا ان من هو على صورته مقتولا مصلوبا فلم يخبر احد من الفريقين الا عما رآه فظن ان الامر على ما اخبر به فلا يؤدي ذلك الى بطلان الاخبار بحال قوله عز وجل **وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيمة يكون عليهم شهيدا** آية **الاعراب** ان في قوله نافية واكثر ما ياتي مع اللام ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه اي في الذي ما مكناكم فيه قال الزجاج المعنى وما منهم احد الا ليؤمنن به وكذلك قوله وان منكم الا واردها معناه وما منكم احد الا واردها وكذلك وما منا الا له مقام اي ما منا احد الا له ومثل قول الشاعر لو قلت ما في قومها لم تيثم يفضلها في حسب وميسم اي وما في قومها احد يفضلها وذهب الكوفيون الى ان المعنى وما من اهل الكتاب الا من ليؤمنن به وما منكم الا من هو واردها وما منا الا من له مقام واهل البصرة لا يجيزون حذف الموصول وتبقية الصلة **المعنى** ثم اخبر سبحانه انه لا يبقى احد الا ويؤمن به فقال وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته اختلف فيه على اقوال احدها ان كلا الضميرين يعود الى المسيح عليه السلام اي ليس يبقى احد من اهل الكتاب من اليهود والنصارى الا ويؤمنن بالمسيح قبل موت المسيح ع اذا انزله الله الى الارض وقت خروج المهدي في آخر الزمان لقتل الدجال فتصير الملل كلها ملة واحدة وهي ملة الاسلام الحنيفية دين ابرهيم ع عن ابن عباس وابي مالك والحسن وقتادة وابن زيد وذلك حين لا ينفعهم الايمان واختاره الطبري قال والآية خاصة لمن يكون منهم في ذلك الزمان وذكر علي بن ابرهيم في تفسيره ان اباه حدثه عن سليمان بن داود المنقري عن ابي حمزة الثمالي عن شهر بن حوشب قال قال لي الحجاج بن يوسف آية من كتاب الله قد اعيتني قوله وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته الآية والله لاني لآمر باليهودي والنصراني فيضرب عنقه ثم ارمقه بعيني فما اراه يحرك شفتيه حتى يخمد فقلت اصلح الله الامير ليس على ما اولت قال فكيف هو فقلت ان عيسى بن مريم ينزل قبل يوم القيمة الى الدنيا ولا يبقى اهل ملة يهودي ولا نصراني ولا غيرهم الا آمن به قبل موت عيسى ع ويصلي خلف المهدي قال ويحك انى لك هذا ومن اين جئت به قال قلت حدثني به محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب صلى الله عليه وآله فقال جئت والله بها من عين صافية فقيل لشهر ما اردت بذلك قال اردت ان اغيظه وذكره ابو القسم البلخي مثل ذلك وضعف الزجاج هذا الوجه قال ان الذين يبقون الى زمن عيسى من اهل الكتاب قليل والآية تقتضي عموم اهل الكتاب الآن يحمل على ان جميعهم يقولون ان عيسى الذي ينزل في آخر الزمان نحن نؤمن به وثانيها

ان الضمير في به يعود الى المسيح والضمير في موته يعود الى الكتابي ومعناه لا يكون احد من اهل الكتاب يخرج من دار
الدنيا الا ويؤمن بعيسى قبل موته اذا زال تكليفه وتحقق الموت ولكن لا ينفعه الايمان حينئذ وانما ذكر اليهود
والنصارى لان جميعهم مبطلون اليهود بالكفر به والنصارى بالغلو في امره وذهب اليه ابن عباس في رواية
اخرى ومجاهد والضحاك وابن سيرين وجويبر قالوا ولو ضربت رقبته لم تخرج نفسه حتى يؤمن وبالثاني ان يكون
المعنى وليؤمنن بمحمد صلى الله عليه وآله قبل موت الكتابي عن عكرمة ايضا ورواه اصحابنا وضعف الطبري هذا الوجه
بان قال لو كان ذلك صحيحا لما جاز اجراء احكام الكفار عليهم اذا ماتوا وهذا لا يصح لان ايمانهم بمحمد صلى الله عليه وآله
انما يكون في حال زوال التكليف فلا يعتد به وانما يضعف هذا القول من حيث لم يجر ذكر لنبينا محمد ص هنا ولا ضرورة
توجب رد الكناية اليه وقد جرى ذكر عيسى ع فالاولى ان يصرف ذلك اليه ويوم القيمة يكون عليهم شهيدا يعني
عيسى عليه السلم يشهد عليهم بانه قد بلغ رسالات ربه واقر على نفسه بالعبودية وانه لم يدعهم الى ان يتخذوه الها
عن قتاده وابن جريج وقيل يشهد عليهم بتصديق من صدقه وتكذيب من كذبه عن ابي علي الجبائي وفي
هذه الآية دلالة على ان كل كافر يؤمن عند المعاينة وعلى ان ايمانه ذلك غير مقبول كما لم يقبل ايمان فرعون
حال الياس عند زوال التكليف ويقرب من هذا ما رواه الامامية ان المحتضر من جميع الاديان يرى رسول الله ص
وخلفاءه عند الوفاة ويروون في ذلك عن علي ع انه قال للحرث الهمداني يا حار همدان من يمت يرني
من مؤمن او منافق قبلا يعرفني طرفه واعرفه بعينه واسمه وما فعلا فان صحت هذه الرواية فان
المراد برؤيتهم في تلك الحال العلم بثمرة ولايتهم وعداوتهم على اليقين بعلامات يجدونها من نفوسهم ومشاهدة
احوال يدركونها كما قد روي ان الانسان اذا عاين الموت اري في تلك الحال ما يدل له على انه من اهل الجنة او
من اهل النار قوله عز وجل فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وبصدهم عن سبيل الله
كثيرا واخذهم الربوا وقد نهوا عنه واكلهم اموال الناس بالباطل واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما الآية
المعنى ثم عطف سبحانه على ما تقدم بقوله فبظلم من الذين هادوا اي من اليهود معناه فبما ظلموا انفسهم بارتكاب
المعاصي الذي تقدم ذكرها وقد مضى فيما تقدم عن الزجاج انه قال فبظلم من الذين هادوا بدل من قوله
فبما نقضهم ميثاقهم وما بعده والعامل في الباء قوله حرمنا عليهم طيبات ولكنه لما طال الكلام اجمله في قوله فبظلم
ما ذكره قبل واخبر انه حرم على اليهود الذين نقضوا ميثاقهم الذي واثقوا الله عليه وكفروا بآياته وقتلوا
انبياءه وقالوا على مريم بهتانا عظيما وفعلوا ما وصفه الله طيبات من الماكل وغيرها احلت لهم اي كانت حلالا لهم
قبل ذلك فلما فعلوا ما فعلوا اقتضت المصلحة تحريم هذه الاشياء عليهم عن مجاهد واكثر المفسرين وقال
ابو علي الجبائي حرم الله سبحانه هذه الطيبات على الظالمين منهم عقوبة لهم على ظلمهم وهي ما بين قوله سبحانه وعلى
الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم الآية وبصدهم عن سبيل الله اي وبمنعهم عباد الله عن دينه
وسبيله التي شرعها لعباده صدا كثيرا وكان صدهم عن سبيل الله بقولهم على الله الباطل وادعاؤهم ان ذلك عن الله
وتبديلهم كتاب الله وتحريفهم معانيه عن وجوهه واعظم من ذلك كله جحدهم نبوة محمد ص وتركهم ما علموه من
امره لمن جهله من الناس عن مجاهد وغيره واخذهم الربا اي ما فضل من اموالهم بتاخيرهم الدين عن محله الى اجل اخر
وقد نهوا عنه عن الربا واكلهم اموال الناس بالباطل اي بغير استحقاق ولا استيجاب وهو ما كانوا ياخذونه
من الرشا في الاحكام كقوله واكلهم السحت وما كانوا ياخذونه من اثمان الكتب التي كانوا يكتبونها بايديهم ويقولون
هذا من عند الله وما اشبه ذلك من الماكل الخسيسة فعاقبهم الله على جميع ذلك بتحريم ما حرم الله عليهم
من الطيبات واعتدنا للكافرين منهم اي هيانا يوم القيمة لمن جحد الله والرسل من هؤلاء اليهود عذابا اليما

اي مؤلما موجعا واختلف في ان التحريم هل يكون على وجه العقوبة فقال جماعة من المفسرين ان ذلك
كان عقوبة واذا جاز التحريم ابتداء على جهة المصلحة جاز ايضا عند ارتكاب المعصية على جهة العقوبة وقال
ابو علي الجبائي كان تحريمه عقوبة لمن تعاطى ذلك الظلم ومصلحة في غيرهم وقال ابو هاشم ان التحريم لا يكون
الا للمصلحة ولما صار التحريم مصلحة عند اقدامهم على هذا الظلم جاز ان يقال حرم عليهم بظلمهم قال لان التحريم
تكليف يستحق الثواب بفعله ويجب الصبر على اداءه فهو معدود في النعم بخلاف العقوبات قوله عز وجل
لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك والمقيمين الصلوة
والمؤتون الزكوة والمؤمنون بالله واليوم الآخر اولئك سنؤتيهم اجرا عظيما آية القراءة قرأ حمزة وحده
سيؤتيهم والباقون الحجة ذكرنا الوجه فيهما في قوله اولئك سوف يؤتيهم اجورهم الاعراب اختلف في المقيمين
فذهب سيبويه والبصريون الى انه نصب على المدح على تقدير اعني المقيمين للصلوة قالوا اذا قلت مررت
بزيد الكريم وانت تريد ان تعرف زيدا الكريم من زيد غير الكريم فالوجه الجر واذا اردت المدح والثناء فان
شئت نصبت فقلت مررت بزيد الكريم كانك قلت اذكر الكريم وان شئت رفعت فقلت الكريم على هذا الكريم
وقال الكسائي موضع المقيمين جر وهو معطوف على ما من قوله بما انزل اليك اي وبالمقيمين الصلوة وقال قوم
انه معطوف على الهاء والميم في قوله منهم على معنى لكن الراسخون في العلم منهم ومن المقيمين الصلاة وقال
آخرون انه معطوف على الكاف في قبلك اي بما انزل من قبلك ومن قبل المقيمين الصلاة
وقيل انه معطوف على الكاف في اليك او الكاف في قبلك وهذه الاقوال الاخيرة لا تجوز عند البصريين
لانه لا يعطف بالظاهر على المضمر المجرور من غير اعادة الجار وقد شرحنا هذا في مبتدأ السورة عند قوله
والارحام واما ما روي عن عروة عن عائشة قال سالتها عن قوله والمقيمين الصلوة وعن قوله والصابئون
وعن قوله ان هذان فقالت يا ابن اختي هذا عمل الكتاب اخطأوا في الكتاب وما روي عن بعضهم ان في
كتاب الله اشياء ستصلحها العرب بالسنتها قالوا وفي مصحف ابن مسعود والمقيمون الصلوة فمما لا يلتفت
اليه لانه لو كان كذلك لم يكن لتعلمه الصحابة الناس على الغلط وهم القدوة والذين اخذوه عن النبي صلى الله عليه وآله
المعنى ثم ذكر سبحانه مؤمني اهل التوراة فقال لكن الراسخون في العلم وذلك ان عبد الله بن سلام واصحابه
قالوا للنبي صلى الله عليه وآله ان اليهود لتعلم ان الذي جئت به حق وانك لعندهم مكتوب في التوراة فقالت
اليهود ليس كما يقولون انهم لا يعلمون شيئا وانهم يغرونك ويحدثونك بالباطل فقال الله عز اسمه لكن
الراسخون الثابتون البالغون في العلم المدارسون للتوراة منهم اي من اليهود يعني ابن سلام واصحابه
من علماء اليهود والمؤمنون يعني اصحاب النبي ص من اهل الكتاب يؤمنون بما انزل اليك يا محمد من القرآن
والشرائع انه حق وبما انزل من قبلك من الكتب على الانبياء والرسل وقيل انما استثنى الله وصفهم ممن هداه
الله لدينه ووفقه لرشده من اليهود الذين ذكرهم فيما مضى من قوله يسألك اهل الكتاب الآية فقال
لكنهم لا يسألونك ما سأل هؤلاء الجهال من انزال كتاب من السماء لانهم قد علموا صدقك في قولك بما قرأوا
في الكتب المنزلة على الانبياء ووجوب اتباعك عليهم فلا حاجة بهم الى ان يسألوك معجزة اخرى ولا دلالة
غير ما علموه من امرك بالعلم الراسخ في قلوبهم عن قتاده وغيره والمقيمين الصلوة اذا كان نصبا على الثناء
والمدح على تقدير واذكر المقيمين الصلوة وهم المؤتون الزكوة ويكون على هذا عطفا على قوله الراسخون
في العلم والمؤمنون ومعناه والذين يؤدون الصلوة بشرائطها فاذا كان جرا عطفا على ما انزل اي يؤمنون
بما انزل اليك وما انزل من قبلك وبالمقيمين الصلوة فقيل المراد بهم الانبياء اي ويؤمنون بالانبياء المقيمين

المقيمين للصلوة وقيل المراد انهم الملائكة واقامتهم الصلوة تسبيحهم ربهم واستغفارهم لمن في الارض اي بالملائكة
واختاره الطبري قال لانه في قراءة كذلك وكذلك هو في مصحفه وقيل المراد بهم الائمة المعصومون والمؤتون الزكوة
اي والمعطون زكوة اموالهم والمؤمنون بالله بانه واحد لا شريك له واليوم الآخر بالبعث الذي فيه جزاء الاعمال
اولئك اي هؤلاء الذين وصفهم الله سنؤتيهم اجرا اي سنعطيهم ثوابا وجزاء على ما كان منهم من طاعة الله واتباع
امره عظيما اي جزيلا وهو الخلود في الجنة قوله عز وجل انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده
واوحينا الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وعيسى وايوب ويونس وهرون وسليمن واتينا
داود زبورا آية القراءة قرأ ابو حمزة وخلف زبورا بضم الزاي حيث وقعت والباقون زبورا بفتحها الحجة زبورا
لا يجوز ان يكون جمعا زبورا بحذف الزيادة ومثله نحوه وعذوب ولا نظير لهذه الثلاثة ويجوز ان
يكون زبر بمعنى المزبور كقولهم ضرب الامير ونسج اليمن اللغة والزبر احكام العمل في البئر خاصة يقال بئر مزبورة
اي مطوية بالحجارة ويقال لما لا زبر اي عقل وزبرة من الحديد قطعة منه وجمعه زبر وزبرت الكتاب
ازبره زبرا وزبرته ازبره زبرا كتبته المعنى ثم خاطب الله تعالى نبيه عليه السلم بقوله انا اوحينا اليك يا محمد
قدمه في الذكر وان تأخرت نبوته لتقدمه في الفضل كما اوحينا الى نوح وقدم نوحا لانه ابو البشر كما قال وجعلنا
ذريته هم الباقين وقيل لانه كان اطول الانبياء عمرا وكانت معجزته في نفسه لبث الف سنة الا خمسين
عاما لم يسقط له سن ولم تنقص قوته ولم يشب شعره وقيل انه لم يبالغ احد منهم في الدعوة مثل ما بالغ فيها ولم يقاس
احد من الانبياء ما قاساه من قومه وهو اول من عذبت امته بسبب ان ردت دعوته والنبيين من بعده
اي واوحينا الى النبيين من بعد نوح واوحينا الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب اعاد ذكر هؤلاء بعد ذكر
النبيين تعظيما لامرهم وتفخيما لشأنهم والاسباط وهم اولاد يعقوب وقيل ان الاسباط في ولد اسحق كالقبائل
في ولد اسمعيل وقد بعث منهم عدة رسل كيوسف وداود وسليمن وموسى وعيسى فيجوز ان يكون المراد بالوحي الى
الانبياء منهم كما تقول ارسلت الى بني تميم اذا ارسلت الى وجوههم ولم يصح ان الاسباط الذين هم اخوة يوسف كانوا
انبياء وعيسى وايوب ويونس وهرون وسليمن قدم عيسى على ابنيه كانوا قبله لشدة العناية بامره لغلو اليهود
في الطعن فيه والواو لا يوجب الترتيب واتينا داود زبورا اي كتابا يسمى زبورا واشتهر به كما اشتهر كتاب موسى
بالتوراة وكتاب عيسى بالانجيل النظم هذه الآية تتصل بما قبلها من قوله يسئلك اهل الكتاب ان تنزل عليهم
كتابا من السماء وهذا ابدل على انهم قد سألوا ما يدل على نبوته فاخبر سبحانه ارسل من تقدمه من الانبياء واظهر
على يديه المعجزات كما اظهرها على ايديهم وقيل ان اليهود لما تلا النبي صلى الله عليه وآله عليهم تلك الآيات
قالوا ما انزل الله على بشر من شيء بعد موسى فكذبهم الله بهذه الآيات اذ اخبر انه قد انزل على من بعد موسى من
الذين سماهم ومن لم يسمهم عن ابن عباس قوله عز وجل ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم
عليك وكلم الله موسى تكليما رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان
الله عزيزا حكيما آيتان الاعراب ورسلا منصوب من وجهين احدهما ان يكون منصوبا بفعل مضمر تفسيره الذي
ظهر اي وقصصنا رسلا قد قصصناهم عليك كما تقول رايت زيدا وعمرا اكرمته اي واكرمت عمرا اكرمته
ويجوز ان ينتصب ورسلا على معنى اوحينا لان معنى انا اوحينا اليك لان معنى انا ارسلناك موحيا اليك
وارسلنا رسلا قد قصصناهم عليك هذا قول الزجاج وقال الفراء انه على تقدير انا اوحينا اليك والى رسل
قد قصصناهم عليك ورسل لم نقصصهم فلما حذف الى نصب الفعل رسلا مبشرين منصوب على الحال ويجوز
ان يكون منصوبا على المدح على تقدير اعني رسلا مبشرين المعنى ثم اجمل ذكر الرسل بعد تسمية بعضهم فقال

ورسلا اي ورسلا اخرين قد قصصناهم عليك اي حكيناها لك اخبارهم وعرفناك شأنهم وامورهم من قبل اي بعضهم قصصهم عليه بالوحي في غير القرآن من قبل ثم قصصهم عليه من بعد في القرآن وقال بعضهم قصصهم من قبل هؤلاء بمكة في سورة الانعام وفي غيرها لان هذه السورة مدنية ورسلا لم نقصصهم عليك هذا يدل على ان لله سبحانه رسلا كثيرا لم يذكرهم في القرآن وانما قص بعضهم على النبي ففضلهم على من لم يقصصهم عليه وكلم الله موسى تكليما فائدة انه سبحانه كلم موسى بلا واسطة ابانة له بذلك من سائر الانبياء لان جميعهم كلمهم الله سبحانه بواسطة الوحي وقيل انما قال تكليما ليعلم ان كلام الله عز ذكره من جنس هذا المعقول الذي هو شيء من التكلم بخلاف ما قاله المبطلون وروي ان رسول الله صلى الله عليه وآله لما قرأ الآية التي قبل هذه على الناس قالت اليهود فيما بينهم ذكر محمد النبيين ولم يبين لنا امر موسى فلما نزلت هذه الآية وقرأها عليهم قالوا ان محمدا قد ذكره وفضله بالكلام عليهم رسلا مبشرين بالجنة والثواب لمن آمن واطاع ومنذرين بالنار والعقاب لمن كفر وعصى لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل فيقولوا لو لم ترسل الينا رسولا ولو ارسلت لامنا بك كما اخبر سبحانه في آية اخرى بقوله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا وفي هذا دلالة على فساد قول من زعم ان عند الله سبحانه من اللطف ما لو فعله بالكافر لآمن لانه لو كان كذلك لكان للكفار الحجة بذلك على الله سبحانه قائمة فاما من لم يعلم من حاله بان له في انفاذ الرسل اليه لطفا فالحجة قائمة عليه بالعقل وادلته الدالة على توحيده وعدله ولو لم يتم الحجة الا بانفاذ الرسل لفسد ذلك من وجهين احدهما ان صدق رسول الله صلى الله عليه وآله لا يمكن العلم به الا من بعد تقديم العلم بالتوحيد والعدل فان كانت الحجة عليه بالعقل غير قائمة فلا طريق له الى معرفة النبي صلى الله عليه وآله وصدقه والثاني انه لو كانت الحجة لا تقوم الا بالرسول لاحتاج الرسول الى رسول آخر حتى يكون الحجة عليه قائمة والكلام في رسوله كالكلام فيه حتى يتسلسل وذلك فاسد فمن استدل بهذه الآية على ان التكليف لا يصح عقلا الا بعد انفاذ الرسل فقد ابعد لما قلناه وكان الله عزيزا اي مقتدرا على الانتقام ممن يعصيه ويكفر به حكيما فيما امر عباده وفي جميع افعاله قوله عز وجل لكن الله يشهد بما انزل اليك انزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا آية النزول قيل ان جماعة من اليهود دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال النبي عم لهم اني اعلم انكم تعلمون اني رسول الله قالوا لا نعلم ذلك ولا نشهد به فانزل الله تعالى هذه الآية المعنى ثم قال سبحانه بعد انكارهم وجحودهم لكن الله يشهد بما انزل اليك معناه ان لم يشهد لك هؤلاء بالنبوة فالله يشهد لك بذلك قال الزجاج الشاهد هو المبين لما يشهد به والله سبحانه يبين ما انزل الى رسوله بنصب المعجزة له ويبين صدقه بما يغني عن بيان اهل الكتاب انزله بعلمه معناه انزل القرآن وهو عالم بانك موضع لانزاله عليك لقيامك فيه بالحق ودعائك الناس اليه وقيل معناه انزل القرآن الذي فيه علمه عن الزجاج والملائكة يشهدون بانك رسول الله وان القرآن نزل من عند الله وكفى بالله شهيدا ومعناه ان شهادة الله تكفي في ثبوت المشهود به ولا يحتاج معها الى شهادة وفي هذه الآية تسلية للنبي عليه السلم على تكذيب من كذبه ولا يصح قول من استدل على ان الله سبحانه عالم بعلم لما في هذه الآية من قوله انزله بعلمه لانه اراد بالعلم ما ذهبوا اليه من كونه ذاتا سواه لوجب ان يكون آلة له في الانزال كما تقول كتبت بالقلم وعمل النجار بالقدوم ولا خلاف ان العلم ليس بآلة في الانزال قوله عز وجل ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا ان الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم خالدين فيها ابدا وكان ذلك على الله يسيرا آيتان المعنى ان الذين كفروا بانفسهم وصدوا غيرهم عن سبيل الله عن الدين الذي بعثك به الى خلقه قد ضلوا ضلالا بعيدا اي جاروا عن قصد السبيل

جو لله بك وهذا الوعيد المحجة التي هي دين الله الذي ارتضاه لعباده وبعثك به الى خلقه زوالا بعيدا من الرشاد
ان الذين كفروا اي جحدوا رسالة محمد وظلموا محمدا بتكذيبهم اياه ومقامهم على الكفر على علم منهم بظلمهم اولياء الله
حسدا لهم وبغيا عليهم لم يكن الله ليغفر لهم اي لم يكن الله ليعفو عن ذنوبهم بتركه عقابهم عليها ولا ليهديهم
طريقا اي لا يهديهم الى طريق الجنة لان الهداية الى طريق الايمان سبقت وعم الله سبحانه جميع المكلفين الا طريق جهنم
معناه لكن يهديهم طريق جهنم جزاء لهم على ما فعلوه من الكفر والظلم خالدين فيها اي مقيمين فيها ابدا وكان
ذلك اي تخليد هؤلاء الظلمة في جهنم على الله يسيرا لانه اذا اراد ذلك لم يقدر على الامتناع منه
النظم واتصال هذه الآيات بما قبلها اتصال النقيض بالنقيض على جهة المقابلة لان ما قبلها يتضمن الشهادة
له بالنبوة تسلية له عما يلحقه من تكذيب الكفار وهذه الآيات تتضمن تحيير الكفار بذهابهم عن الرشد قوله عز وجل
يا ايها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيرا لكم وان تكفروا فان لله ما في السموات والارض
وكان الله عليما حكيما آية الاعراب الباء في قوله بالحق للتعدية كهمزة افعل تقول جئت الى عمرو
واجأت زيدا الى عمرو وقوله خيرا لكم قال الزجاج اختلفوا في نصب خيرا فقال الكسائي انتصب بخروجه من الكلام
كقولهم لتقومن خيرا لك وانته خيرا لك فاذا كان الكلام ناقصا رفعوا فقالوا ان تنته خير وقال الفراء انتصب هذا
وقوله انتهوا خيرا لكم لانه متصل بالامر ولم يقل هو ولا الكسائي من اي المنصوبات هو ولا شرحا وقال الخليل
وجميع البصريين ان هذا محمول على معناه لانك اذا قلت انته وائت خيرا لك وادخل فيما هو خير لك وانشد سيبويه
قول عمر بن ابي ربيعة فواعديه سرحتي مالك او الربى بينهما اسهلا كانه قال ائتي مكانا اسهل المعنى ثم عاد سبحانه
الى الوعظ وعم الخلق بذلك فقال يا ايها الناس خطاب لجميع المكلفين وقيل خطاب للكفار قد جاءكم الرسول
يعني محمدا صلى الله عليه وآله بالحق اي بالدين الذي ارتضاه الله لعباده وقيل بولاية من امر الله سبحانه بولايته
عن ابي جعفر عليه السلام من ربكم اي من عند ربكم فآمنوا اي صدقوه وصدقوا ما جاءكم به من عند ربكم
خيرا لكم اي آمنوا خيرا لكم مما انتم عليه من الجحود والتكذيب وان تكفروا اي تكذبوه فيما جاءكم به من عند الله
تعالى فان لله ما في السموات والارض اي فان ضرر ذلك يعود عليكم دون الله عز اسمه فانه يملك ما في
السموات والارض لا ينقص كفركم فيما كذبتموه به شيئا من ملكه وسلطانه وكان الله عليما بما انتم صائرون
اليه من طاعته او معصيته حكيما في امره ونهيه اياكم وتدبيره فيكم وفي غيركم قوله عز وجل يا اهل الكتاب
لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم
وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم انما الله اله واحد سبحانه ان يكون له ولد
له ما في السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا آية اللغة اصل الغلو مجاوزة الحد يقال غلا في الدين يغلو
غلوا وغلا بالجارية عظمها اذا اسرعت الشباب وتجاوزت لداتها تغلو غلوا وغلاء قال الحرث بن خالد
المخزومي خمصانة قلق موشحها رؤد الشباب علا بها عظم وغلا بسهم غلوا اذا رمى به اقصى الغاية وتغالى الرجل
تفاعلا من ذلك واصل الممسوح سماه الله بذلك لتطهيره اياه من الذنوب والادناس التي تكون في الآدميين
وقيل انه سرياني اصله مشيحا فعرب كما عرب اسماء الانبياء وقيل انه ليس مثل ذلك فان اسحق ويعقوب واسمعيل
وغيرها اسماء لا صفات والمسيح صفة ولا يجوز ان يخاطب الله خلقه في صفة شيء الا بما يفهم فاما الدجال فانما سمي
المسيح لانه ممسوح العين اليمنى او اليسرى وعيسى ممسوح البدن من الادناس والآثام كما روي عن النبي صلى الله عليه
وآله وقوله ثلاثة خبر مبتدأ محذوف دل عليه الكلام وتقديره ولا تقولوا هم ثلاثة وكذلك كل ما ورد من مرفوع
بعد القول لا رافع معه ففيه اضمار اسم رافع لذلك الاسم وانما جاز ذلك لان القول حكاية والحكاية تكون للكلام

تمام انتهوا خيرا لكم قد ذكرنا وجه النصب في خيرا فيما قبل وان يكون في موضع نصب اي سبحانه من ان يكون فلما
حذف حرف الجر وصل اليه الفعل فنصبه وقيل في موضع جر وقد مر نظائره المعنى ثم عاد سبحانه الى حجاج اهل
الكتاب فقال يا اهل الكتاب قيل انه خطاب لليهود والنصارى عن الحسن قال لان النصارى غلت في
المسيح فقالت هو ابن الله وبعضهم قال هو الله وبعضهم قال ثالث ثلاثة الاب والابن وروح القدس
واليهود غلت فيه حتى قالوا ولد لغير رشدة فالغلو لازم للفريقين وقيل للنصارى خاصة عن ابي علي ومسلم وجماعة
من المفسرين لا تغلوا في دينكم اي لا تفرطوا في دينكم ولا تجاوزوا عن الحق فيه ولا تقولوا على الله الا الحق اي قولوا
انه خالق واحد لا شريك له ولا صاحبة ولا ولد ولا تقولوا في عيسى انه ابن الله او شبهه فانه قول بغير الحق
انما المسيح وقد ذكرنا معناه وقد سمي بذلك لانه كان يمسح الارض سياحة عيسى بن مريم هذا بيان لقوله المسيح
يعني ابن مريم لا ابن الله كما يزعم النصارى ولا ابن اب كما يزعم اليهود رسول الله ارسله الى الخلق كما زعمت
الفرقتان المبطلتان وكلمته يعني انه حصل بكلمته التي هي قوله عن الحسن وقتادة وقيل معناه انه يهتدي
به الخلق كما اهتدوا بكلام الله ووحيه عن ابي علي الجبائي وقيل معناه بشارة الله التي بشرها مريم على
لسان الملائكة كما قال واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة وهو المراد بقوله القاها الى مريم كما يقال
القيت اليك كلمة حسنة اي قلت وقيل معنى القاها الى مريم خلقها في رحمها عن الجبائي وروح منه فيه
اقوال احدها انه انما سماه روحا لانه حدث عن نفخة جبرئيل في درع مريم بامر الله تعالى وانما نسبه اليه لانه كان
بامره وقيل انما اضافه الى نفسه تفخيما ولشأنه كما قال الصوم لي وانا اجزي به وقد يسمى النفخ روحا وقد
استشهد على ذلك بشعر ذي الرمة يصف نارا فقلت ارفعها اليك واحيها بروحك واقته لها قيتة قدرا
وظاهر لها من يابس الشخت واستعن عليها الصبا واجعل يديك لها سترا اي احيها بروحك اي بنفخك
ويقال احيت النار اذا اطعمتها حطبا والثاني المراد به يحيى به الناس في دينهم كما يحيون بالارواح عن الجبائي
فيكون المعنى انه جعله نبيا يقتدى به ويستن بسنته ويهتدى بهداه والثالث ان معناه انسان احياه الله
بتكوينه بلا واسطة من جماع ونطفة كما جرت العادة بذلك عن ابي عبيدة والرابع ان معناه ورحمة منه كما قال
في موضع آخر وايدهم بروح منه اي برحمة منه فجعل الله عيسى رحمة على من آمن به واتبعه لانه هداهم الى سبيل
الرشاد والخامس ان معناه روح من الله خلقها بصورها ثم ارسلها الى مريم فدخلت في فيها فصيرها الله سبحانه
عيسى عن ابي العالية عن ابي بن كعب والسادس ان معنى الروح ههنا جبرئيل فيكون عطفا على ما في القاها
من ضمير ذكر الله تعالى تقديره القاها الله الى مريم وروح من الله اي جبرئيل القاها ايضا اليها فآمنوا
بالله ورسله امرهم الله سبحانه بتصديقه والاقرار بوحدانيته وتصديق رسله فيما جاؤوا به من عنده وفيما
اخبروهم به من ان الله سبحانه لا شريك له ولا صاحبة ولا ولدا ولا تقولوا ثلاثة هذا خطاب للنصارى اي لا تقولوا
الهتنا ثلاثة عن الزجاج وقيل هذا لا يصح لان النصارى لم يقولوا بثلاثة آلهة ولكنهم يقولون اله واحد
ثلاثة اقانيم اب وابن وروح القدس ومعناه لا تقولوا ثلاثة اب وابن وروح القدس وقد شبهوا قولهم
جوهر واحد بل اقانيم بقولنا سراج واحد ثم نقول انه ثلاثة اشياء دهن وقطن ونار وجسم وضوء وشعاع وهذا
غلط بعيد لانا لا نعني بقولنا سراج واحد انه شيء واحد بل هو اشياء على الحقيقة وكذلك كما نقول عشرة
واحدة وانسان واحد ودار واحدة وانما هي اشياء متغايرة وان قالوا ان الله تعالى شيء واحد واله واحد حقيقة
فقولهم ثلاثة متناقض وان قالوا انه في الحقيقة اشياء مثل ما ذكرناه في الانسان والسراج وغيرهما فقد تركوا القول
بالتوحيد والتحقوا بالمشبهة والا فلا واسطة بين الامرين انتهوا عن هذه المقالة الشنيعة اي امتنعوا عنها خيرا

لكم اى انتهوا فالانتهاء عن قولكم خيرا لكم مما تقولون انما الله اله واحد اى ليس كما تقولون انه ثالث ثلاثة لان من كان له ولد او صاحبة لا يجوز ان يكون الها معبودا ولكن الله الذى له الالهية ويحق له العبادة اله واحد لا ولد له ولا شبيه
ولا صاحبة ولا شريك ثم نزه سبحانه نفسه عما يقوله المبطلون فقال سبحانه ان يكون له ولد ولفظ سبحانه يفيد التنزيه عما لا يليق
به اى هو منزه عن ان يكون له ولد وله ما فى السموات وما فى الارض ملكا وملكا وخلقا وهو يملكهما وله التصرف فيهما
وفيما بينهما ومن جملة ذلك عيسى وامه فكيف يكون المملوك والمخلوق ابنا للمالك الخالق وكفى بالله وكيلا
اى حسب ما فى السموات وما فى الارض بالله قيما ومدبرا ورازقا وقيل معناه وكفى به حافظا لاعمال العباد حتى
يجازيهم عليها فهو تسلية للرسول عليه السلام ووعيد للقائلين فيه سبحانه ما لا يليق به قوله عز وجل لن يستنكف
المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا فاما
الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله واما الذين استنكفوا واستكبروا
فيعذبهم عذابا اليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا آيتان اللغة الاستنكاف الانفة من الشئ
واصله فى اللغة من نكفت الدمع اذا نحيته باصبعك من خدك قال الشاعر فبانوا فلولا ما يذكر منهم من
الحلف لم ينكف لعينيك مدمع ودرهم منكوف ممسوح ردى لانه يمتنع من اخذه لرداءته ونكفت من الامر
بكسر الكاف بمعنى استنكف ايضا حكاها ابو عمرو فتاويل لن يستنكف لن ينقبض ولن يمتنع والاستكبار طلب
الكبر من غير استحقاق والتكبر قد يكون باستحقاق فلذلك جاز فى صفة الله سبحانه المتكبر ولا يجوز المستكبر النزول
روى ان وفد نجران قالوا لنبينا صلى الله عليه وآله يا محمد لم تعيب صاحبنا قال ومن صاحبكم قالوا عيسى
قال واى شئ اقول فيه قالوا تقول انه عبد الله ورسوله فنزلت الآية المعنى لما تقدم ذكر النصارى والحكاية
عنهم فى امر المسيح عقبه سبحانه بالرد عليهم فقال لن يستنكف اى لن يانف ولن يمتنع المسيح يعنى عيسى عليه السلام
من ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون يانفون ويستكبرون من الاقرار بعبودية الله سبحانه والاذعان له
بذلك والمقربون الذين قربهم الله سبحانه ورفع منازلهم على غيرهم من خلقه ومن يستنكف عن عبادته اى
من يانف عن عبادته ويستكبر اى يستعظم بترك الاذعان لطاعته فسيحشرهم اى سيبعثهم يوم القيمة جميعا
يجمعهم لموعدهم عنده ومعنى قوله اليه الى الموضع الذى لا يملك التصرف فيه سواه كما يقال صار امر فلان الى الامير
اى لا يملكه غير الامير ولا يراد بذلك المكان الذى فيه الامير واستدل بهذه الآية من قال بان الملائكة
افضل من الملائكة قالوا ان تاخر ذكر الملائكة فى مثل هذا الخطاب يقتضى تفضيلهم لان العادة لم تجر بان
يقال لن يستنكف الامير ان يفعل كذا ولا الحارس بل يقدم الادون ويوخر الاعظم فيقال لن يستنكف الوزير
ان يفعل كذا ولا السلطان وهذا يقتضى فضل الملائكة على الانبياء واجاب اصحابنا عن ذلك بان قالوا انما اخر
ذكر الملائكة عن ذكر المسيح لان جميع الملائكة افضل واكثر ثوابا من المسيح ع وهذا لا يقتضى ان يكون كل واحد
منهم افضل من المسيح وانما الخلاف فى ذلك ايضا فانا وان ذهبنا الى ان الانبياء افضل من الملائكة فانا نقول
مع ان قولنا بالتفاوت انه لا تفاوت فى الفضل بين الملائكة والانبياء مع التفاوت والتدانى يحسن ان
يقدم ذكر الافضل الا ترى انه يحسن ان يقال ما يستنكف الامير فلان من كذا ولا الامير فلان اذا كانا
متساويين فى المنزلة او متقاربين وانما لا يحسن ان يقال لا يستنكف الامير كذا ولا الحارس لاجل التفاوت
فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم وعد الله سبحانه الذين يقرون بوحدانيته ويعملون بطاعته
انه يوفيهم اجورهم ويؤتيهم جزاء اعمالهم الصالحة وافيا تاما ويزيدهم من فضله اى يزيدهم على ما كان وعدهم
به من الجزاء على اعمالهم الحسنة عشر امثالها من الثواب سبعين ضعفا والى سبعمائة والى الاضعاف الكثيرة والزيادة

على المثل تفضل من الله سبحانه عليهم واما الذين استنكفوا اى انفوا عن الاقرار بوحدانيته واستكبروا
اى تعظموا عن الاذعان له بالطاعة والعبودية فيعذبهم عذابا اليما اى مولما موجعا ولا يجدون لهم من دون
الله وليا ولا نصيرا اى لا يجد المستنكفون المستكبرون لانفسهم وليا ينجيهم من عذابه وناصرا ينقذهم من عقابه
قوله عز وجل يا ايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا فاما الذين آمنوا وعملوا
الصالحات فسيدخلهم فى رحمة منه وفضل ويهديهم اليه صراطا مستقيما آيتان اللغة البرهان الشاهد
بالحق وقيل البرهان البيان يقال برهن فلان قوله اى بينه بحجة والاعتصام الامتناع واعتصم فلان بالله امتنع
من الشر به والعصمة واعتصمت فلانا هيات له ما يعتصم به والعصمة من الله تعالى على وجهين احدهما بمعنى
الحفظ وهو ان يمنع عبده كيد الكايدين كما قال سبحانه لنبيه صلى الله عليه وآله والله يعصمك من الناس والآخر
ان يلطف لعبده بشئ يمتنع عنده من المعاصى الاعراب صراطا انتصب على انه مفعول ثان ليهديهم فانه
على معنى يعرفهم صراطا ويجوز ان يكون حالا من الهاء فى اليه بمعنى ويهديهم الى الحق صراطا المعنى لما فصل
سبحانه ذكر الاحكام التى يجب العمل بها ذكر البرهان بعد ذلك لتكون الانسان على ثقة ويقين فقال يا ايها الناس
وهو خطاب للمكلفين من ساير الملل التى قص قصصهم وفى هذه السورة قد جاءكم برهان من ربكم
اى اتاكم حجة من الله يبرهن لكم عن صحة ما امركم به وهو محمد صلى الله عليه وآله لما معه نورا مبينا يبين لكم
المحجة الواضحة ويهديكم الى ما فيه النجاة لكم من عذابه واليم عقابه وذلك النور هو القرآن عن مجاهد وقتادة
والسدى وقيل النور ولاية على عن ابى عبد الله ع فاما الذين آمنوا بالله اى صدقوا بوحدانية الله واعترفوا
ببعث محمد صلى الله عليه وآله واعتصموا به اى تمسكوا بالنور الذى انزله الى نبيه فسيدخلهم فى رحمة منه اى
فى نعمة منه وهى الجنة عن ابن عباس وفضل يعنى ما بسطه لهم من الكرامة وتضعيف الحسنات وما يزيدهم
من النعم على ما يستحقونه ويهديهم اليه صراطا مستقيما اى يوفقهم لاصابة فضله الذى يتفضل به على اوليائه
ويسددهم لسلوك منهج من انعم عليهم من اهل طاعته واقتفاء آثارهم والاهتداء بهديهم والاستنان بسنتهم
واتباع دينهم وهو الصراط المستقيم الذى ارتضاه الله سبحانه منهجا للعباد قوله عز وجل يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة
ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها ان لم يكن لها ولد فان كانتا اثنتين
فلهما الثلثان مما ترك وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين يبين الله لكم ان تضلوا
والله بكل شئ عليم آية اللغة قد ذكرنا معنى الكلالة فى اول السورة والاستفتاء السؤال عن الحكم وهو استفعال
من الفتيا وهو الافتاء فى المسئلة اذا بين حكمها فتوى وفتيا الاعراب يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة سال
عن اى الفعلين اعمل فى الكلالة والجواب ان العامل الثانى وهو يفتيكم والتقدير يستفتونك فى الكلالة قل الله يفتيكم
فيها فى الكلالة واعمال الفعل الثانى هو الاجود وعليه جاء القرآن نحو قوله واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله
فاعمل يستغفر ولو اعمل تعالوا لقال تعالوا يستغفر لكم اى رسول الله ومنه قول طفيل وكمتا مدماة كان متونها
جرى فوقها واستشعرت لون مذهب ومثل ذلك قول كثير قضى كل ذى دين فوفى غريمه وعزة ممطول معنى
غريمها فاعمل وفى ولو اعمل قضى لقال فقضى كل دين فوفاه غريمه وهو كثير فى القرآن والشعر وقوله ان امرؤ هلك
ارتفع امرؤ باضمار فعل يفسره ما بعده وتقديره ان هلك امرؤ هلك ولا يجوز اظهاره لان الثانى يغنى عنه
وقوله فان كانتا اثنتين انما ذكر اثنتين وان دلت الالف عليهما لاحد امرين اما ان يكون تاكيدا للضمير كما تقول
فعلت انا واما ان يبين ان المطلوب فى ذلك العدد دون غيره من الصفات من صغر او كبر او عقل او عدمه
بل متى حصل العدد ثبت الميراث وهذا قول ابى على الفارسى وهو الصحيح وقوله رجالا ونساء بدل من اخوة وهو ضرب

كان وقوله يبين الله لكم ان تضلوا فيه ثلثة اقوال احدها ان المعنى ان لا تضلوا فحذف حرف النفي وتلخيصه لئلا تضلوا عن الكسائي وانشد للقطامي رأينا ما ترى البصراء فيها فآلينا عليها ان تباعا تريد ان لا تباع وثانيها قال البصريون ان المعنى كراهة ان تضلوا فهو على هذا في موضع نصب بانه مفعول له ومثله قول عمرو بن كلثوم فعجلنا القرى ان تشتمونا اي كراهة ان تشتمونا قالوا ولا يجوز ان يضمر لا لانه حرف جاء لمعنى فلا يجوز حذفه ولكن يجوز ان تدخل لا في الكلام مؤكدة وهي لغو كقوله لئلا يعلم اهل الكتاب ان لا يقدرون المعنى لئن يعلم وكقول الشاعر وما الوم البيض الا تسخرا اذا رأين الشمط القفندرا المعنى ان تسخر وثالثها ما قاله الاخفش وهو ان مع الفعل بتأويل المصدر وموضعه نصب بيبين وتقديره يبين الله لكم الضلال لتجتنبوه **النزول** اختلف في سبب نزول الآية فروى عن جابر بن عبد الله قال اشتكيت وعندي تسع اخوات لي او سبع فدخل علي النبي صلى الله عليه وآله فنفخ في وجهي فافقت فقلت يا رسول الله الا اوصي لاخواتي بالثلثين قال احسن قلت الشطر قال احسن ثم خرج وتركني ورجع الي فقال يا جابر اني لا اراك ميتا من وجعك هذا وان الله قد انزل في الذي لاخواتك فجعل لهن الثلثين قال وكان جابر يقول انزلت في هذه الآية وعن قتادة ان الصحابة كان همهم شأن الكلالة فانزل الله فيها هذه الآية وقال البراء بن عازب آخر سورة نزلت كاملة براءة وآخر آية نزلت خاتمة سورة النساء يستفتونك الآية اورده البخاري ومسلم في صحيحيهما وقال جابر نزلت بالمدينة وقال ابن سيرين نزلت في مسير كان فيه رسول الله صلى الله عليه وآله واصحابه وتسمى هذه الآية الصيف وذلك ان الله سبحانه انزل في الكلالة آيتين احداهما في الشتاء وهي التي في اول هذه السورة والاخرى في الصيف وهي هذه الآية وروي عن عمر بن الخطاب انه سأل رسول الله صلى الله عليه وآله فقال تكفيك او يجزيك آية الصيف **المعنى** لما بين سبحانه في اول السورة بعض سهام الفرائض ختم السورة ببيان ما بقي من ذلك فقال يستفتونك يا محمد اي يطلبون منك الفتيا في ميراث الكلالة قل الله يفتيكم اي يبين لكم الحكم في الكلالة وهو اسم الاخوة والاخوات عن الحسن وهو المروي عن ائمتنا عليهم السلام وقيل هي ما سوى الولد والوالد عن ابي بكر وجماعة من المفسرين ان امرؤ هلك ليس له ولد قال السدي يعني ليس له ولد ذكر وانثى وهو يوافق مذهب الامامية معناه ان مات رجل ليس له ولد ولا والد وانما اضمرنا فيه الوالد للاجماع ولان لفظ الكلالة ينبئ عنه فان الكلالة اسم للنسب المحيط بالميت دون اللصيق والوالد لصيق الولد كما ان الولد لصيق الوالد والاخوة والاخوات هم المحيطون بالميت وله اخت يعني وللميت اخت لابيه وامه او لابيه لان ذكر اولاد الام قد سبق في اول السورة فلها نصف ما ترك وهو يرثها ان لم يكن لها ولد اذا لم يكن هناك ولد ولا والد فان كانتا اثنتين يعني ان كانت الاختان اثنتين فلهما الثلثان مما ترك الاخ او الاخت من التركة وان كانوا اخوة رجالا ونساء اي اخوة واخوات مجتمعين لاب وام او لاب فللذكر مثل حظ الانثيين وفي قوله سبحانه ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها ان لم يكن لها ولد دلالة على ان الاخ والاخت لا يرثان مع البنت لانه سبحانه شرط في ميراث الاخ والاخت عدم الولد والولد يقع على الابن والبنت بلا خلاف فيه بين اهل اللغة وما روي من الخبر في ان الاخوات مع البنات عصبة خبر واحد يخالف نص القرآن والى هذا الذي ذكرناه ذهب ابن عباس وهو المروي عن سادة اهل البيت يبين الله لكم امور مواريثكم ان تضلوا معناه كراهة ان تضلوا ولئلا تضلوا اي لئلا تخطئوا في الحكم فيها وقيل معناه يبين الله لكم جميع الاحكام لتهتدوا [illegible] عن ابي مسلم والله بكل شيء عليم فائدته هنا بيان كونه سبحانه عالما بجميع ما يحتاج اليه عباده من امر معاشهم ومعادهم على ما يوجبه الحكمة وقد تضمنت الآية التي انزلها الله سبحانه في اول هذه السورة بيان ميراث الولد والوالد

والآية التي بعدها بيان ميراث الازواج والزوجات والاخوة والاخوات من قبل الام وتضمنت هذه الآية التي ختم بها السورة بيان ميراث الاخوة والاخوات من الاب والام والاخوة والاخوات من قبل الاب عند عدم الاخوة والاخوات من قبل الاب والام وتضمن قوله سبحانه واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله ان ذا القربى سبب في استحقاق الميراث فمن كان اقرب رحما وادنى قرابة كان اولى بالميراث من الابعد والخلاف بين الفقهاء في هذه المسألة وفروعها مذكور في كتب الفقه **سورة المائدة** هي مدنية في قول ابن عباس ومجاهد وقال جعفر بن مبشر والشعبي هي مدنية كلها الا قوله اليوم اكملت لكم دينكم فانه نزل والنبي صلى الله عليه وآله واقف على راحلته في حجة الوداع **عدد آيها** هي مائة وعشرون آية كوفي ثلاث وعشرون بصري واثنان وعشرون في الباقين خلافها ثلاث بالعقود ويعفو عن كثير كوفي فانكم غالبون بصري **فضلها** ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله قال من قرأ سورة المائدة اعطي من الاجر بعدد كل يهودي ونصراني تنفس في دار الدنيا عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات وروى العياشي باسناده عن عيسى بن عبد الله عن ابيه عن جده عن علي عليه السلام قال كان القرآن ينسخ بعضه بعضا وانما يؤخذ من امر رسول الله صلى الله عليه وآله باخره وكان من آخر ما نزل عليه سورة المائدة نسخت ما قبلها ولم ينسخها شيء لقد نزلت عليه وهو على بغلة شهباء وثقل عليه الوحي حتى وقفت وتدلى بطنها حتى رأيت سرتها تكاد تمس الارض واغمي على رسول الله صلى الله عليه وآله حتى وضع يده على ذؤابة منبه بن وهب الجمحي ثم رفع ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله فقرأ علينا سورة المائدة فعمل رسول الله وعملنا وباسناده عن ابي الجارود عن ابي جعفر عليه السلام محمد بن علي عليه السلام قال من قرأ سورة المائدة في كل يوم خميس لم يلبس ايمانه بظلم ولا يشرك ابدا وباسناده عن ابي حمزة الثمالي قال سمعت ابا عبد الله الصادق عليه السلام يقول نزلت المائدة كملا ونزل معها سبعون الف ملك **تفسيرها** لما ختم الله سورة النساء بذكر احكام الشريعة افتتح سورة المائدة ايضا ببيان الاحكام واجمل ذلك بقوله اوفوا بالعقود ثم اتبعه بذكر التفصيل فقال

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود احلت لكم بهيمة الانعام الا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد وانتم حرم ان الله يحكم ما يريد آية

القراءة المشهور حرم بضمتين وفي الشواذ عن الحسن ويحيى بن وثاب ساكنة الراء **الحجة** هذا كما نقل في رسل ورسل وكتب قال ابن جني في اسكان حرم مزية وذلك ان الراء فيه تكرير فكادت الراء الساكنة لما فيها من التكرير في حكم المتحرك كزيادة الصوت بالتكرير فتخلص من زيادته بالحركة **اللغة** يقال وفى بعهده وفاء واوفى ايفاء بمعنى واوفى لغة اهل الحجاز وهي لغة القرآن والعقود جمع عقد بمعنى المعقود وهو اوكد العهود والفرق بين العقد والعهد ان العقد فيه معنى الاستيثاق والشد ولا يكون الا بين متعاقدين والعهد قد ينفرد به الواحد فكل عقد عهد ولا يكون كل عهد عقدا واصله عقد الشيء بغيره وهو وصله به كما يعقد الحبل ويقال اعقدت العسل فهو معقد وعقيد وقال عنترة وكأن ربا او كحيلا معقدا حش الوقود به جوانب قمقم والبهيمة اسم لكل ذي اربع من دواب البر والبحر وقال الزجاج كل حي لا يميز فهو بهيمة وانما سميت بهيمة لانها ابهمت عن ان تميز والحرم جمع حرام يقال رجل حرام وقوم حرم قال الشاعر فقلت لها فيئي اليك فانني حرام واني بعد ذاك لبيب اي ملب **الاعراب** موضع ما يتلى عليكم نصب بالاستثناء وغير محلي الصيد اختلف فيه فقيل انه منصوب على الحال مما في قوله اوفوا بالعقود من ضمير الذين آمنوا عن الاخفش وقيل انه حال من الكاف والميم في قوله الا ما يتلى عليكم عن الربيع وانتم حرم جملة في موضع الحال من محلي الصيد والصيد مصدر ها هنا [illegible] في المعنى وقال الفراء يجوز ان يكون ما يتلى عليكم في موضع رفع كما يقال جاء اخوتك الا زيد وقال الزجاج وهذا عند البصريين باطل لان المعنى عند هذا القائل جاء اخوتك زيد كانه يعطف بالا كما يعطف بلا ويجوز عند البصريين جاء الرجل

الاخير على معنى جاء الرجال غير زيد فيكون الا زيد صفة للنكرة او ما قارب النكرة من الاجناس المعنى خاطب الله
سبحانه المؤمنين فقال يا ايها الذين آمنوا وتقديره يا ايها المؤمنون وهو اسم تكريم وتعظيم اوفوا بالعقود اي بالعهود
عن ابن عباس وجماعة من المفسرين ثم اختلف في هذه العهود على اقوال احدها ان المراد بها العهود التي كان اهل الجاهلية
عاهد بعضهم بعضا فيها على النصرة والموازرة والمظاهرة على من حاول ظلمهم او بغاهم سوءا وذلك هو معنى الحلف
عن ابن عباس ومجاهد والربيع بن انس والضحاك وقتادة والسدي وثانيها انها العهود التي اخذ الله سبحانه
على عباده بالايمان به وطاعته فيما احل لهم او حرم عليهم عن ابن عباس وفي رواية اخرى قال هو ما احل وحرم وما فرض
وما حد في القران كله اي فلا تعتدوا ولا تنكثوا ويؤيده قوله الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه الى
قوله سوء الدار وثالثها ان المراد بها العقود التي يتعاقدها الناس بينهم ويعقدها المرء على نفسه كعقد الايمان
وعقد النكاح وعقد البيع وعقد الحلف عن ابن زيد وزيد بن اسلم ورابعها ان ذلك امر من الله لاهل الكتاب
بالوفاء بما اخذ به ميثاقهم من العمل بما في التوراة والانجيل في تصديق نبينا محمد صلى الله عليه وآله وما جاء
به من عند الله عن ابن جريج وابي صالح واقوى هذه الاقوال قول ابن عباس ان المراد بها عقود الله التي اوجبها
على العباد في الحلال والحرام والفرائض والحدود ويدخل في ذلك جميع الاقوال الاخر فيجب الوفاء بجميع ذلك الا ما
كان عقدا في المعاونة على امر قبيح فان ذلك محظور بلا خلاف ثم ابتدأ سبحانه كلاما آخر فقال احلت لكم بهيمة
الانعام واختلف في تأويله على اقوال احدها ان المراد به الانعام وانما ذكر البهيمة للتأكيد كما يقال نفس الانسان
فمعناه احلت لكم الانعام الابل والبقر والغنم عن الحسن وقتادة والسدي والربيع والضحاك وثانيها ان المراد
بذلك اجنة الانعام التي توجد في بطون امهاتها اذا اشعرت وقد ذكيت الامهات وهي ميتة فذكاتها عن
ابن عباس وابن عمر وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلم وثالثها ان بهيمة الانعام وحشيها
كالظباء وبقر الوحش وحمر الوحش عن الكلبي والاولى حمل الآية على الجميع الا ما يتلى عليكم معناه الا ما يقرأ
عليكم تحريمه في القران وهو قوله حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير الى آخر الآية عن ابن عباس والحسن
ومجاهد وقتادة والسدي غير محلي الصيد وانتم حرم من قال انه حال من اوفوا فمعناه اوفوا بالعقود
غير محلي الصيد وانتم محرمون اي في حال الاحرام ومن قال انه حال من احلت لكم فمعناه احلت لكم بهيمة
الانعام اي الوحشية والظباء والبقر والحمر غير مستحلين اصطيادها في حال الاحرام ومن قال انه حال من يتلى عليكم فمعناه
احلت لكم بهيمة الانعام كلها الا ما يتلى عليكم من الصيد في آخر السورة غير مستحلين اصطيادها في حال احرامكم ان الله
يحكم ما يريد معناه ان الله يقضي في الخلق ما يشاء من تحليل ما يريد تحليله وتحريم ما يريد تحريمه وايجاب ما يريد
ايجابه وغير ذلك من احكامه وقضاياه فافعلوا ما امركم به وانتهوا عما نهاكم عنه وفي قوله احلت لكم بهيمة الانعام
دلالة على تحليل اكلها وذبحها والانتفاع بها قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا
الهدي ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا واذا حللتم فاصطادوا
ولا يجرمنكم شنآن قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على
الاثم والعدوان واتقوا الله ان الله شديد العقاب آية القراءة قرأ ابن عامر وابو بكر عن عاصم عن اسمعيل عن
نافع شنآن بسكون النون الاولى في الموضعين والباقون شنآن بفتحها وقرأ ابن كثير وابو عمرو ان صدوكم
بكسر الهمزة والباقون بفتحها الحجة من قرأ شنآن بالفتح فحجته انه مصدر والمصدر يكثر على الفعلان نحو النزوان والغليان
ومن قرأ شنآن فحجته ان المصدر يجيء على فعلان ايضا نحو اللّيان كقول الشاعر وما العيش لا تلذ ولا تشتهي وان
لام فيه ذو الشنان وفندا وقد يحمل على الشنان بالسكون انه مخفف الهمزة والفتح كتبها على الساكن فحملها على القياس فيكون

المعنى في القراءتين واحدة وقوله ان صدوكم من كسر ان جعل للجزاء وقوله صدوكم وان كان ماضيا فان الماضي
قد يقع في الجزاء وليس المراد على ان الجزاء يكون بالماضي ولكن المراد ان ما كان مثل هذا الفعل فيكون اللفظ على
ما مضى والمعنى على مثله كانه يقول ان وقع مثل هذا الفعل منكم كذا وعلى هذا حمل الخليل وسيبويه قول الفرزدق
اتغضب ان اذنا قتيبة حزتا جهارا ولم تغضب لقتل ابن خازم وعلى ذلك قول الشاعر اذا ما انتسبنا لم تلدني
لئيمة ولم تجدي من ان تقري به بدا فانتفاء الولادة امر ماض وقد جعله جزاء والجزاء انما يكون بالمستقبل
فكان المعنى ان ننتسب لا تجدي مولودا لئيمة وجواب ان قد اغنى عنه ما تقدم من قوله ولا يجرمنكم والمعنى ان
صدوكم عن المسجد الحرام فلا تكتسبوا عدوانا ومن فتح ان صدوكم فقوله بين لانه مفعول له والتقدير
ولا يجرمنكم شنآن قوم لان صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا فان الثانية موضع نصب بانه المفعول الثاني
وان الاولى منصوبة لانه مفعول له اللغة الشعائر جمع شعيرة وهي اعلام الحج واعماله واشتقاقه من قولهم
شعر فلان بهذا الامر اذا علم به والمشاعر المعالم من ذلك والاشعار الاعلام من جهة الحس وقيل الشعيرة
والآية والعلامة واحد والحلال والحل والمباح وهو ما لا مزية لفعله على تركه والحرام والحرم ضده
وحريم البئر ما حولها لانها تحرم على غير حافرها والحرم الاحرام واحرم الرجل صار محرما واحرم دخل في الشهر الحرام
ورجل حرمي منسوب الى الحرم والهدي ما يهدى الى الحرم من النعم والقلائد جمع قلادة وهي ما يقلد
به الهدي والتقليد في البدن ان يعلق في عنقها شيء ليعلم انها هدي والقلد السوار لانه كالقلادة لليد
والام القصد يقال اممت كذا اذا قصدته ويممت بمعناه قال الشاعر اني كذاك اذا ما ساءني بلد يممت
صدر بعيري غيره بلدا ومنه الامام الذي يقتدى به والامة الدين لانه يقصد والامة بالكسر النعمة لانها
تقصد ويقال حللت من الاحرام احل والرجل حلال وقالوا احرم الرجل فهو حرام وقيس وتميم يقولون من احل من احرامه
فهو محل واحرم فهو محرم والجرم القطع ولا يجرمنكم اي لا يحملنكم وهو فعل يتعدى الى مفعولين
وقيل معناه لا يحملنكم عن الكسائي قال بعضهم يقال جرمني فلان على ان صنعت واستشهد بقول الشاعر
ولقد طعنت ابا عيينة طعنة جرمت فزارة بعدها ان يغضبوا اي حملت وقيل معناه احقت الطعنة لفزارة الغضب
وقيل معناه كسب فزارة الغضب وشنئت الرجل اشنأه شنئا وشنآنا ابغضته وذهب سيبويه الى ان ما كان
من المصادر على فعلان بالفتح لم يتعد فعله الا ان يشذ نحو شنئته شنآنا وقد قال سيبويه وقد قالوا
لويته ليانا على فعلان فعلى هذا يجوز ان يكون الشنآن مصدرا شاذا وقال ابو زيد رجل شنآن وامرأة شنآنة
مصروفان ويقال ايضا رجل شنآن غير مصروف وامرأة شنأى فقد جاء الشنآن مصدرا ووصفا وهما جميعا قليلا
النزول قال ابو جعفر الباقر عليه السلم نزلت هذه الآية في رجل من بني ربيعة يقال له الحطم وقال السدي اقبل الحطم
بن هند الكندي حتى اتى النبي صلى الله عليه وآله وحده وخلف خيله خارج المدينة فقال الى ما تدعو
وقد كان النبي صلى الله عليه وآله قد قال لاصحابه يدخل عليكم اليوم رجل من بني ربيعة يتكلم بلسان شيطان فلما
اجابه النبي صلى الله عليه وآله قال انظرني لعلي اسلم ولي من اشاوره فخرج من عنده فقال لقد دخل بوجه
كافر وخرج بعقب غادر فمر بسرح من سرح المدينة فساقه وانطلق به وهو يرتجز ويقول قد لفها الليل بسواق
حطم ليس براعي ابل ولا غنم ولا بجزار على ظهر وضم باتوا نياما وابن هند لم ينم بات يقاسيها غلام كالزلم
خدلج الساقين ممسوح القدم ثم اقبل من عام قابل حاجا قد قلد هديا فاراد رسول الله صلى الله عليه
وآله ان يبعث اليه فنزلت هذه الآية ولا آمين البيت الحرام وهو قول عكرمة وابن جريج وقال ابن زيد نزلت يوم
فتح مكة في اناس يأتون البيت من المشركين يهلون بعمرة فقال المسلمون يا رسول الله ان هؤلاء المشركون

مثل هؤلاء دعنا نغير عليهم فانزل الله الآية المعنى ثم ابتدأ سبحانه بتفصيل الاحكام فقال يا ايها الذين آمنوا
اى صدقوا الله ورسوله فيما اوجب عليهم لا تحلوا شعائر الله اختلف في معنى شعائر الله على اقوال اولها ان معناه
لا تحلوا حرمات الله ولا تتعدوا حدوده وحملوا الشعائر على المعالم اى معالم حدود الله وامره ونهيه وفرائضه
عن عطا وغيره وثانيها ان معناه لا تحلوا حرم الله وحملوا الشعائر على معالم حرم الله من البلاد عن السدي وثالثها
ان معنى شعائر الله مناسك الحج اى لا تحلوا مناسك الحج فتضيعوها عن ابن جريج عن ابن عباس ورابعها ما روى
عن ابن عباس ان المشركين كانوا يحجون البيت الحرام ويهدون الهدايا ويعظمون حرمة المشاعر وينحرون في
حجهم فاراد المسلمون ان يغيروا عليهم فنهاهم الله عن ذلك وخامسها ان شعائر الله هي الصفا والمروة والهدى
من البدن وغيرها عن مجاهد وقال الفرا كانت عامة العرب لا يرى الصفا والمروة من الشعائر ولا يطوفون
بينهما فنهاهم الله عن ذلك وهو المروى عن ابى جعفر عليه السلم وسادسها ان المراد لا تحلوا ما حرم الله عليكم
في احرامكم عن ابن عباس في رواية اخرى وسابعها ان الشعائر هي العلامات المنصوبة للفرق بين الحل
والحرم نهاهم الله ان يتجاوزوها الى مكة بغير احرام عن ابى على الجبائي وثامنها ان المعنى لا تحلوا الهدايا المشعرة
اى المعلمة ليطيف الى بيت الله الحرام عن الزجاج والحسين بن على المغربي واختاره البلخي واقوى الاقوال هو القول
الاول لانه يدخل فيه جميع الاقوال ومناسك الحج وغيرها وحمل الآية على ما هو اعم اولى ولا الشهر الحرام معناه
ولا تستحلوا الشهر الحرام بان تقاتلوا فيه اعداءكم من المشركين كما قال سبحانه يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل
قتال فيه كبير عن ابن عباس وقتادة واختلف في معنى الشهر الحرام هنا فقيل هو رجب وكانت مضر تحرم فيه القتال
وقيل هو ذو القعدة عن عكرمة وقيل هي الاشهر الحرم كلها نهاهم الله عن القتال فيها عن الجبائي والبلخي وهذا
اليق بالعموم وقيل اراد به النسئ لقوله انما النسئ زيادة في الكفر عن القتيبي ولا الهدى اى ولا تستحلوا الهدى
وهو ما يهديه الانسان من بعير او بقرة او شاة الى بيت الله تعالى تقربا اليه وطلبا لثوابه فيكون المعنى لا تستحلوا
ذلك فتغصبوه اهله ولا تحولوا بينهم ان يبلغوه محله من الحرم ولكن خلوهم حتى يبلغوا به المحل الذي جعله الله له
قوله ولا القلائد معناه ولا تحلوا القلائد وفيه اقوال احدها انه عنى بالقلائد الهدى المقلد وانما كرر
لانه اراد المنع من حل الهدى الذي لم يقلد والهدى الذي قلد عن ابن عباس واختاره الجبائي وثانيها
المراد بذلك القلائد التي كان المشركون يتقلدونها اذا ارادوا الحج مقبلين الى مكة من لحاء السمر واذا خرجوا
الى منازلهم منصرفين منها الى المشعر عن قتادة قال كان في الجاهلية اذا خرج الرجل من اهله يريد الحج تقلد من
السمر فلا يعرض له احد واذا رجع تقلد قلادة شعر فلا يتعرض له احد وقال عطا انهم كانوا يتقلدون من
لحاء شجر الحرم يأمنون به اذا خرجوا من الحرم كانوا يتقلدون بالصوف وغيرهما وثالثها انه عنى به المؤمنون
نهاهم ان ينزعوا شيئا من شجر الحرم يتقلدونه كما كان المشركون يفعلونه في جاهليتهم عن عطا في رواية اخرى
والربيع بن انس ورابعها ان القلائد ما قلد به الهدى نهاهم عن حلها لانه كان يجب ان يتصدق بها عن
ابى على الجبائي قال هو صوف يفتل وتعلق به على عنق الهدى وقال الحسن هو نعل يقلد بها الابل والبقر
ويجب التصدق بها ان كانت لها قيمة والاولى ان يكون نهيا عن استحلال القلائد فيدخل فيه الانسان
والبهيمة او يكون نهيا عن استحلال حرمة المقلد هديا كان ذلك او انسانا ولا آمين البيت اى ولا تحلوا
قاصدين البيت الحرام اى تقاتلوهم لان من قاتل في الاشهر الحرم فقد احل فقال لا تحلوا فقال لا آمين
البيت الحرام اى القاصدين والبيت الحرام بيت الله بمكة وهو الكعبة سمى حراما لحرمته وقيل لانه يحرم فيه ما يحل
في غيره واختلف في المعنى بذلك فمنهم من حمله على الكفار واستدل به فيما بعد ولا يجرمنكم شنآن قوم الآية ومنهم

من حمله على من اسلم فكانه نهى ان يوجد بعد الاسلام بفعل الجاهلية لان الاسلام يجب ما قبله يبتغون اى
يطلبون يعني الذين يأمون البيت فضلا من ربهم ورضوانا اى ارباحا في تجاراتهم من الله وان يرضى عنهم
بنسكهم على زعمهم فلا يرضى الله عنهم وهم مشركون وقيل يلتمسون رضى الله عنهم بان لا يحل بهم ما احل بغيرهم من الامم
من العقوبة في عاجل دنياهم عن قتادة ومجاهد وقيل فضلا من الله في الآخرة ورضوانا منه فيهما وقيل
فضلا في الدنيا ورضوانا في الآخرة وقال ابن عباس ان ذلك في كل من توجه حاجا وبه قال الضحاك والربيع
واختلف في هذا فقيل منسوخ بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم عن اكثر المفسرين وقيل لم ينسخ من هذه
السورة شئ الا من هذه الآية لا يجوز ان يبتدئ المشركون في اشهر الحرم بالقتال الا اذا قاتلوا عن ابن جريج
وهو المروى عن ابى جعفر عليه السلم وروى نحوه عن الحسن وذكر ابو مسلم ان المراد به الكفار الذين كانوا
في عهد النبي صلى الله عليه وآله فلما زال العهد بسورة براءة زال الخطر ودخلوا في حكم قوله سبحانه فلا يقربوا المسجد
الحرام بعد عامهم هذا وقيل لم ينسخ من المائدة غير هذه الآية لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدى
ولا القلائد عن الشعبي ومجاهد وقتادة والضحاك وابن زيد وقيل انما نسخ منها قوله ولا الشهر الحرام
ولا آمين البيت ذكر ذلك ابن عروة عن قتادة وقال نسخها قوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقوله ما كان
للمشركين ان يعمروا مساجد الله وقوله انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا في
السنة التي نادى فيها على بالاذان وهو قول ابن عباس وقيل لم ينسخ من هذه الآية الا القلائد عن ابن ابى
نجيح عن مجاهد واذا حللتم فاصطادوا معناه اذا حللتم من احرامكم فاصطادوا الصيد الذي نهيتم ان تحلوه
فاصطادوه ان شئتم حينئذ لان السبب المحرم قد زال عند جميع المفسرين ولا يجرمنكم اى ولا يحملنكم وقيل
لا يكسبنكم شنآن قوم اى بغض قوم ان صدوكم اى لان صدوكم اى لاجل انهم صدوكم عن المسجد الحرام
يعني النبي صلى الله عليه وآله واصحابه لما صدوهم عام الحديبية ان تعتدوا ومعناه لا يكسبنكم بغضكم قوما
الاعتداء عليهم بصدهم اياكم عن المسجد الحرام قال ابو على الفارسي معناه لا يكسبنكم البغض قوم عدوانا ولا
تقدير هذا فيمن ان وتوقع النهى في اللفظ على الشنآن والمعنى بالنهى المخاطبون كما قالوا لا اريتك ههنا
ولا تموتن الا وانتم مسلمون ومن جعل شنآن صفة اقام الصفة مقام الموصوف ويكون تقديره لا يحملنكم مبغض
قوم والمعنى على الاول ومن قرأ ان صدوكم بكسر الالف فقد مر ذكر معناه وان تعتدوا معناه وان تجاوزوا حكم الله
فيهم الى ما نهاكم عنه نهى الله المسلمين عن الطلب بذحول الجاهلية عن مجاهد وقال هذا غير منسوخ وهو
الاولى وقال ابن زيد هو منسوخ وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان هو استيناف
كلام وليس بعطف على تعتدوا فيكون في موضع نصب امر الله سبحانه عباده بان يعين بعضهم بعضا على البر
وهو العمل على ما امرهم الله به واتقاء ما نهاهم الله عنه ونهاهم ان يعين بعضهم بعضا على الاثم وهو ترك ما امرهم
به وارتكاب ما نهاهم عنه من العدوان وعن مجاوزة ما حد الله سبحانه لعباده في دينهم وفرض لهم في انفسهم عن ابن
عباس وابى العالية وغيرهما من المفسرين واتقوا الله ان الله شديد العقاب هذا امر منه سبحانه بالتقوى ووعيد
وتهديد لمن تعدى حدوده وتجاوز امره احذروا معصية الله فيما امركم به ونهاكم عنه فتستوجبوا عقابه
وتستحقوا عذابه ثم وصف سبحانه عقابه بالشدة لانه نار لا يطفى حرها ولا يخمد جمرها نعوذ بالله منها قوله عز وجل
حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما
اكل السبع الا ما ذكيتم وما ذبح على النصب وان تستقسموا بالازلام ذلكم فسق اليوم يئس الذين كفروا من دينكم
فلا تخشوهم واخشون اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا فمن اضطر في مخمصة غير

متجانف لاثم فان الله غفور رحيم آية القراءة روى في الشواذ قراءة ابن عباس واكيل السبع وعن الحسن وما اكل
السبع بسكون الباء وقرا يحيى بن وثاب وابرهيم غير متجنف لاثم الحجة قال ابن جني الاكيلة اسم للماكولة والنطيحة
والاكيل للجنس في العموم يصلح للمذكر والانثى تقديره فقد ردت بشاة اكيل اى قد اكلها الاسد ونحوه وتقول ما لنا
طعام الا الاكيلة اى الشاة والجزور المعدة للاكل وان كانت قد اكلت فهي بلا هاء واكيل السبع ما اكل السبع
بعضه والسبع تخفيف السبع قال حسان بن عتيبة بن ابى لهب من يرجع العام الى اهله فما اكيل السبع بالراجع
وقوله متجانف لاثم ومتجنف بمعنى وتفعل ابلغ من تفاعل فمتجنف بمعنى متقبل ومتقبا ودو متجانف مثل متمايل
ومتاود اللغة اصل الاهلال الرفع بالصوت بالشي ومنه استهلال الصبي وهو صياحه اذا سقط من بطن امه
ومنه اهلال المحرم بالحج والعمرة اذا لبى به قال ابن احمر يهل بالفرقد ركباننا كما يهل الراكب المعتمر وسمي الهلال
هلالا لانه يرفع الصوت عنده ويقال خنقه خنقه خنقا اذا ضغطه ومنه المخنقة القلادة والوقذ شدة الضرب
يقال وقذتها اقذها وقذا اذا اثخنتها ضربا قال الفرزدق شغارة تقذ الفصيل برجلها الى عقيل
وانما ثبت فيها الهاء وان كان فعيل بمعنى المفعول لا يثبت فيه الهاء مثل لحية قطارة القوادم الابكار والردى
الهلاك والتردي التهور والنطيحة المنطوحة نقل من فعول الى فعيل وانما ثبت فيها الهاء وان كان فعيل
بمعنى المفعول لا يثبت فيه الهاء مثل لحية دهين وعين كحيل وكف خضيب لانها دخلت في حيز الاسماء وقال بعض
الكوفيين انما تحذف الهاء من فعيلة بمعنى مفعولة اذا كانت صفة لاسم قد تقدمها مثل كف خضيب وعين كحيل
فاما اذا حذف الكف والعين وما تكون فعيلة نعتا له واخبروا بفعيل اثبتوا فيه هاء التانيث ليعلم بثبوتها فيه
انها صفة لمونث يقال رايت الكحيلة والخضيبة والتذكية فري الاوداج والحلقوم لما كان فيه حيوة ولا يكون
بحكم الميت واصل الذكاء في اللغة تمام الشي فمن ذلك الذكاء في السن والفهم وقال الخليل الذكاء ان ياتي في السن
على قروحه وهي في ذات الحافر وهي البزول في ذات الخف وهي الصلوغ في ذات الظلف وذلك تمام استكمال
القوة قال زهير يفضله اذا اجتهدوا عليها تمام السن منه والذكاء وفي المثل جري المذكيات غلاب اي جري
المسان التي قد اسنت مغالبة يريد ان المسان يحتمل ان تؤخذ بالغلبة لفضل قوتها والصغار لا يحمل على ذلك
ويبارى ويروى غلاء وهي جمع غلوة اي هي تجتهد عند استدادها كما يريد وليست كالجذع الذي لا علم له فيخرج
في اول شوطه اقصى ما عنده من الحضر ثم هو مسبوق ومعنى تمام السن النهاية في الشباب فاذا نقص عن ذلك
او زاد فلا يقال الذكاء والذكاء في الفهم ان يكون تاما سريع القبول وذكيت النار اي اتممت اشتعالها والنصب الحجارة التي
كانت يعبدونها واحدها نصاب وجايز ان يكون واحدا وجمعه انصاب والازلام جمع زلم وزلم وهو القدح والاستقسام
طلب القسمة والقسم المصدر والقسم المصدر والقسم بالكسر النصيب والمخمصة شدة ضمور البطن وهو مفعلة مثل المجبنة
والمبخلة من خمص البطن وهو طيه واصطماره من الجوع وشدة السغب دون ان يكون مخلوقا كذلك قال النابغة والبطن
ذو عكن خميص لين والنحر منفجه بثدي مقعد لم يصفها بالجوع وانما وصفها بلطافة طي البطن واما قول الاعشى تبيتون في
المشتى ملاء بطونكم وجاراتكم غرثى يبتن خمائصا فمن الاصطمار من الجوع والمتجانف المتمائل للاثم المنحرف اليه من حنف
القوم اذا مالوا وكل اعوج فهو احنف المعنى ثم بين سبحانه ما استثناه في الآية المتقدمة بقوله الا ما يتلى عليكم فقال
مخاطبا للمكلفين حرمت عليكم الميتة اي حرم عليكم اكل الميتة والانتفاع بها وهو كل ما له نفس سائلة من دواب البر
وطيره مما اباح الله اكلها اهلها ووحشيها فارقته روحه من غير تذكية وقيل الميتة كل ما فارقته الحياة من دواب البر
وطيره من غير تذكية فقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله انه سمى الجراد والسمك ميتا فقال ميتتان مباحتان
الجراد والسمك والدم اي وحرم عليكم الدم وكانوا يجعلونه في المباعر ويشوونه فاعلم الله سبحانه ان الدم المسفوح

اى المصبوب حرام فاما المتلطخ باللحم فانه كاللحم وما كان كاللحم مثل الكبد فهو مباح واما الطحال فقد رووا
الكراهية فيه عن علي وابن مسعود واصحابهما واجمعت الامامية على انه حرام وذهب سائر الفقهاء الى انها مباح
ولحم الخنزير وانما ذكر لحم الخنزير ليبين انه حرام بعينه لا لكونه ميتة حتى انه لا يحل تناوله وان حصل فيه ما يكون
كالعبرة وفائدة تخصيصه بالتحريم مع مشاركة الكلب اياه في التحريم حالة وجود الحياة وعدمها وكذلك السباع
والمسوخ وما لا يحل اكله من الحيوانات ان كثيرا من الكفار اعتادوا اكله والفوه اكثر مما اعتادوه في غيره وما اهل
لغير الله به موضع ما رفع وتقديره وحرم عليكم ما اهل لغير الله به وقد ذكرنا معناه في سورة البقرة وفيه دلالة على
ان ذبائح من خالف الاسلام لا يجوز اكلها لانهم يذكرون عليه اسم غير الله لانهم يعنون به من ابد شرع موسى ام اتخذ
عيسى ولدا واتخذه ابنا وذلك غير الله واما من اظهر الاسلام ودان بالتجسيم والتشبيه او الجبر او خالف الحق فعندنا
لا يجوز اكل ذبيحته وفيه خلاف بين الفقهاء والمنخنقة وهي التي تدخل راسها بين شعبتين من شجرة فتختنق وتموت
عن السدي وقيل هي التي تختنق بحبل الصائد فتموت عن الضحاك وقتادة وقال ابن عباس كان اهل الجاهلية يخنقونها
فياكلونها والموقوذة وهي التي تضرب حتى تموت عن ابن عباس وقتادة والسدي والمتردية وهي التي
تقع من جبل او مكان عال او تقع في بئر فتموت عن ابن عباس وقتادة والسدي ومتى وقع في بئر ولا يقدر على ذبحه
جاز ان يطعن ويضرب بالسكين في غير المذبح حتى يبرد ثم يوكل والنطيحة هي التي ينطحها غيرها فتموت وما اكل السبع اي
وحرم عليكم ما اكله السبع وهي فريسة السبع عن ابن عباس وقتادة والضحاك الا ما ذكيتم يعني الا ما ادركتم ذكاته فذكيتموه
من هذه الاشياء وموضع ما نصب بالاستثناء وروي عن الصادقين الباقر والصادق عليهما السلم ان ادنى ما يدرك
به الذكاة ان يدركه يتحرك اذنه او ذنبه او تطرف عينه وبه قال الحسن وقتادة وابرهيم وطاوس والضحاك وابن
زيد واختلف في الاستثناء الى ما ذا يرجع فقيل يرجع الى جميع ما تقدم ذكره من المحرمات سوى ما لا يقبل الذكوة من
الخنزير والدم عن ابن عباس وعلي عليه السلم وقيل هو استثناء من التحريم لا من المحرمات لان الميتة لا ذكاة لها
ولا الخنزير فمعناه حرمت عليكم سائر ما ذكرت الا ما احله الله لكم بالتذكية فانه حلال لكم عن مالك وجماعة من اهل
المدينة واختاره الجبائي ومتى قيل ما وجه التكرار من قوله والمنخنقة والموقوذة الى آخرها عند تحريمه مع انه
افتتح الآية بقوله حرمت عليكم الميتة والميتة تعم ذلك وان اختلفت اسباب الموت من خنق او ترد او نطح او اهلال
لغير الله او اكل سبع فالجواب ان الفائدة في ذلك انهم كانوا لا يعدون الميت الا ما مات حتف انفه من دون شي
من هذه الاسباب فاعلم الله سبحانه ان حكم الجميع واحد وان وجه الاستباحة هو التذكية المشروعة فقط وقال السدي
ان ناسا من العرب كانوا ياكلون جميع ذلك ولا يعدونه ميتا انما يعدون الموت الذي يموت من الوجع
وما ذبح على النصب يعني الحجارة التي كانوا يعبدونها وهي الاوثان عن مجاهد وقتادة وابن جريج يعني وحرم
عليكم ما ذبح على النصب اي على اسم الاوثان وقيل معناه وما ذبح للاوثان فالبا واللام وعلى يتعاقب
الاخرى الى قوله سبحانه وتعالى فسلام لك من اصحاب اليمين بمعنى عليك وكانوا يقربون ويلطخون الاوثان بدمائها
قال ابن جريج ليست النصب اصناما انما الاصنام ما يصور وينقش بل كانت احجارا منصوبة حول الكعبة وكانت
ثلثمائة وستين حجرا وقيل كانت ثلثمائة منها لخزاعة فكانوا اذا ذبحوا نضحوا الدم على ما اقبل من البيت وشرحوا
اللحم وجعلوه على الحجارة فقال المسلمون يا رسول الله كان اهل الجاهلية يعظمون البيت بالدم فنحن احق
بتعظيمه فانزل الله سبحانه لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم الآية وان تستقسموا بالازلام موضعه
رفع اي وحرم عليكم الاستقسام بالازلام ومعناه طلب قسم الارزاق بالقداح التي كانوا يتفاءلون بها في اسفارهم
وابتداءات امورهم وهي سهام كانت للجاهلية مكتوب على بعضها امرني ربي وعلى بعضها نهاني ربي وبعضها غفل

لم يكتب عليه شيء فاذا اراد امرا ضرب بتلك القداح فان خرج السهم الذي عليه امرني
ربي مضى الرجل لحاجته وان خرج الذي عليه نهاني ربي لم يمض وان خرج الذي ليس عليه شيء اعادوها فبين الله
تعالى ان العمل بذلك حرام عن الحسن وجماعة من المفسرين وروى علي بن ابراهيم في تفسيره عن الصادقين عليهم السلام ان
الازلام عشرة سبعة لها انصباء وثلاثة لا انصباء لها فالتي لها انصباء الفذ والتوام والمسبل والنافس والحلس
والرقيب والمعلى فالفذ له سهم والتوام له سهمان والمسبل له ثلاثة اسهم والنافس له اربعة اسهم والحلس له
خمسة اسهم والرقيب له ستة اسهم والمعلى له سبعة اسهم والتي لا انصباء لها السفيح والمنيح والوغد وكانوا
يعمدون الى الجزور فيجزئونه اجزاء ثم يجتمعون عليه فيخرجون السهام ويدفعونها الى رجل وثمن الجزور على من
تخرج التي لا انصباء لها وهو القمار فحرمه الله تعالى وقيل هي كعاب فارس والروم التي كانوا يتقامرون بها عن
مجاهد وقيل هو الشطرنج عن ابي سفيان بن وكيع ذلكم فسق معناه ان جميع ما سبق ذكره فسق اي ذنب
عظيم وخروج من طاعة الله الى معصيته عن ابن عباس وقيل ان ذلكم اشارة الى الاستقسام بالازلام اي ذلك
الاستقسام فسق وهو الاظهر اليوم يئس الذين كفروا من دينكم ليس يريد يوما بعينه بل معناه الآن يئس الكافرون
من دينكم كما يقول القائل كبرت كبرت يريد ان الله حول الخوف الذي كان يلحقكم من الكافرين اليهم
ويئسوا من بطلان الاسلام وجاءكم ما كنتم توعدون به في قوله ليظهره على الدين كله والدين اسم لكل ما تعبد الله
به خلقه وامرهم بالقيام به ومعنى يئسوا انقطع طمعهم من دينكم ان تتركوه وترجعوا منه الى الشرك عن ابن عباس
والسدي وعطا وقيل ان المراد باليوم يوم عرفة من حجة الوداع بعد دخول العرب كلها في الاسلام عن مجاهد وابن
جريج وابن زيد وكان يوم جمعة ونظر النبي صلى الله عليه وآله فلم ير الا مسلما موحدا ولم ير مشركا فلا تخشوهم خطاب
للمؤمنين نهاهم الله ان يخشوا او يخافوا من الكفار ان يظهروا على دين الاسلام ويقهروا المسلمين ويردوهم عن دينهم
واخشون اي ولكن اخشوني اي خافوني ان خالفتم امري وارتكبتم معصيتي ان احل بكم عقابي عن ابن جريج
وقوله اليوم اكملت لكم دينكم فيه اقوال احدها ان معناه اكملت لكم فرايضي وحدودي وحلالي وحرامي
بتنزيلي ما انزلت وبياني ما بينت لكم فلا زيادة في ذلك ولا نقصان منه بالنسخ بعد هذا اليوم وكان ذلك
يوم عرفة عام حجة الوداع عن ابن عباس والسدي واختاره الجبائي والبلخي قالوا ولم ينزل بعد هذا على
النبي صلى الله عليه وآله شيء من الفرايض في تحليل ولا تحريم وانه عليه السلام مضى بعد ذلك باحدى وثمانين ليلة
فان اعترض معترض فقال اما كان دين الله ناقصا في سائر الاوقات حتى اتمه في ذلك اليوم فجوابه ان ذلك
لم يكن الا كاملا في كل حال ولكن لما كان معرضا للنسخ والزيادة فيه ونزول الوحي فيه بتحليل شيء وتحريمه لم يمتنع
ان يوصف بالكمال اذا امن جميع ذلك فيه كما توصف العشرة بانها كاملة ولا يلزم ان يوصف بالنقصان لما كانت
المائة اكثر منها واكمل وثانيها ان معناه اليوم اكملت لكم حجكم وافردتكم بالبلد الحرام تحجونه دون المشركين فلا
يخالطكم مشرك عن سعيد بن جبير وقتادة واختاره الطبري قال لان الله سبحانه انزل بعد ذلك يستفتونك قل الله
يفتيكم في الكلالة قال الفراء وهي آخر آية نزلت وهذا الذي ذكره لو صح لكان هذا القول ترجح لكن فيه خلاف
وثالثها ان معناه اليوم كفيتكم خوف الاعداء واظهرتكم عليهم كما تقول الآن كمل لنا الملك وكمل لنا ما نريد بان
كفينا ما كنا نخافه عن الزجاج والمروي عن الامامين ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام انه انما انزل بعد ان
نصب النبي عليا للامام يوم غدير خم بعد منصرفه من حجة الوداع قالا وهو آخر فريضة انزلها الله تعالى ثم لم ينزل
بعدها فريضة وقد حدثنا السيد العالم ابو الحمد مهدي بن نزار الحسني قال حدثنا ابو القاسم عبيد الله بن
عبد الله الحسكاني قال اخبرنا ابو عبد الله الشيرازي قال اخبرنا ابو بكر الجرجاني قال حدثنا ابو احمد البصري

قال حدثنا احمد بن عمار بن خالد قال حدثنا يحيى بن عبد الحميد الحماني قال حدثنا قيس بن الربيع عن ابي هارون
العبدي عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وآله لما نزلت هذه الآية قال الله اكبر على اكمال الدين
واتمام النعمة ورضى الرب برسالتي وولاية علي بن ابي طالب من بعدي وقال من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال
من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله وقال علي بن ابراهيم في تفسيره حدثني ابي عن صفوان
عن العلا ومحمد بن مسلم عن ابي جعفر قال كان نزولها بكراع الغميم فاقامها رسول الله صلى الله عليه وآله بالجحفة
وقال الربيع بن انس نزلت في المسير في حجة الوداع واتممت عليكم نعمتي خاطب سبحانه المؤمنين بانه اتم النعمة عليهم
باظهارهم على المشركين ونفيهم عن بلادهم عن ابن عباس وقتادة وقيل معناه اتممت عليكم نعمتي بان اعطيتكم
من العلم والحكمة لم يعط قبلكم نبي ولا امة وقيل ان تمام النعمة دخول الجنة ورضيت لكم الاسلام دينا اي رضيت
لكم الاستسلام لامري والانقياد لطاعتي على ما شرعت لكم من حدوده وفرايضه ومعالمه دينا اي طاعة منكم
لي والفائدة في هذا ان الله سبحانه لم يزل يصرف نبيه محمدا واصحابه في درجات الاسلام ومراتبه درجة بعد
درجة ومنزلة بعد منزلة حتى اكمل لهم شرايعه وبلغ بهم اقصى درجاته ومراتبه ثم قال رضيت لكم الحال التي انتم
عليها اليوم فالزموها ولا تفارقوها ثم عاد الكلام الى القصة المتقدمة في التحريم والتحليل وانما ذكر قوله
اليوم يئس الذين كفروا من دينكم ورضيت لكم الاسلام دينا اعتراضا فمن اضطر في مخمصة معناه فمن دعته الضرورة
في مجاعة حتى لا يمكنه الامتناع من اكله عن ابن عباس وقتادة والسدي غير متجانف لاثم اي غير مائل الى اثم
وهو نصب على الحال يعني فمن اضطر الى اكل الميتة وما عدد الله تحريمه عند المجاعة الشديدة غير متعمد لذلك
ولا مختار له ولا مستحل فان الله سبحانه اباح تناول ذلك قدر ما يمسك به رمقه بلا زيادة عليه عن ابن عباس
وقتادة ومجاهد وبه قال اهل العراق وقال اهل المدينة يجوز ان يشبع منه عند الضرورة وقيل ان معنى قوله
غير متجانف لاثم غير عاص بان يكون باغيا او عاديا او خارجا في معصية عن قتادة فان الله غفور رحيم في
الكلام محذوف دل ما ذكر عليه والمعنى فمن اضطر الى ما حرمت عليه غير متجانف لاثم فاكله فان الله غفور
له لانه سامحه عليه اكله لا يواخذه وليس يريد انه يغفر له عقاب ذلك الاكل لانه اباحه له ولا يستحق العقاب
على فعل المباح وهو رحيم اي رفيق بعباده ومن رحمته اباح لهم ما حرمه عليهم في حال الخوف على النفس قوله عز وجل
يسئلونك ماذا احل لهم قل احل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما امسكن
عليكم واذكروا اسم الله عليه واتقوا الله ان الله سريع الحساب آية القراءة المشهور في القراءة مكلبين
بالتشديد وروي عن ابن مسعود والحسن مكلبين الحجة الاكلاب الكلاب هو اغراؤه للصيد وايساده فقال كلب
واكلبته كما يقال اسد واسدته ويحتمل ان يكون من اكلب الرجل اذا كثرت كلابه كما يقال امشى اذا كثرت ماشيته
والمكلب بالتشديد صاحب الكلاب فقال رجل مكلب وكلاب اذا كان صاحب صيد بالكلاب وقيل هو الذي
يعلم الكلاب اخذ الصيد اللغة الطيب هو الحلال وقيل هو المستلذ والجوارح الكواسب من الطير والسباع الواحدة
جارحة وسميت جوارح لانها تكسب اربابها الطعام بصيدها يقال جرح فلان خيرا اذا اكسبهم خيرا وفلان جارحة
اهله اي كاسبهم ولا جارحة لفلان قال اعشى بن ثعلبة ذات حد منضج ميسمها تذكر الجارح ما كان اجترح الاعراب
ماذا احل لهم يحتمل ان يكون ما وحدها اسما وخبره قوله ذا واحل من صلة ذا وتقديره اي الذي احل لهم ويحتمل
ان يكون ماذا اسما واحدا مرفوعا بالابتداء واحل خبره وتقديره اي شيء احل لهم ومكلبين نصب على الحال
اي وما علمتم من الجوارح في حال مصيركم اصحاب كلاب تعلمونهن في موضع نصب ايضا بانه حال من مكلبين وقوله
مما امسكن عليكم قيل ان من هنا زائدة لان جميع ما امسكه مباح كقوله وينزل من السماء من جبال فيها من برد

تقديره وينزل من السماء جبالا فيها برد وذكر في هذه الآية غير ذا من الوجوه سنذكرها اذا انتهينا الى موضعها من
الكتاب انشاء الله تعالى وقيل ان من للتبعيض لانه لا يجوز ان يوكل جميع ما يمسكه الكلب فان في جملته ما هو حرام من
الدم والفرث والغدد وغير ذلك مما لا يجوز اكله معناه فكلوا مما اباح الله لكم اكله مما امسكن عليكم النزول عن
ابي رافع قال جاء جبرئيل الى النبي صلى الله عليه وآله يستاذن عليه فاذن له وقال قد اذنّا لك يا رسول الله فقال
اجل ولكنا لا ندخل بيتا فيه كلب قال ابو رافع فامرني رسول الله ان اقتل كل كلب بالمدينة فقتلت حتى انتهيت
الى امراة عندها كلب ينبح عليها فتركته رحمة لها وجئت الى رسول الله صلى الله عليه وآله فاخبرته فامرني
فرجعت وقتلت الكلب فجاؤوا فقالوا يا رسول الله ماذا يحل لنا من هذه الامة التي امرت بقتلها فسكت رسول الله
صلى الله عليه وآله فانزل الله الآية فاذن رسول الله في اقتناء الكلاب التي ينتفع بها ونهى عن امساك ما لا نفع
فيها وامر بقتل العقور وما يضر ويوذي وعن ابي حمزة الثمالي والحكم بن ظهير ان زيد الخيل وعدي بن حاتم
الطائيين اتيا رسول الله صلى الله عليه وآله فقالا ان فينا رجلين لهما ستة اكلب تاخذ بقر الوحش والظباء فمنها
ما يدرك ذكاته ومنها ما يموت وقد حرم الله الميتة فماذا يحل لنا من هذا فانزل الله فكلوا مما امسكن عليكم و سمّاه
رسول الله زيد الخير المعنى لما قدم سبحانه ذكر المحرمات عقبه بذكر ما احل فقال يسألونك يا محمد ماذا احل لهم معناه
اي شيء احل لهم اي يسألك المؤمنون ما الذي احل لهم من المطاعم والماكل وقيل من الصيد والذبائح قل يا محمد
احل لكم الطيبات منها وهي الحلال الذي اذن لكم ربكم في اكله من الماكولات والذبائح والصيد عن ابي علي الجبائي
وابي مسلم وقيل ما لم يرد بتحريمه كتاب ولا سنة وهذا اولى لما ورد ان الاشياء كلها على الاطلاق والاباحة حتى
يرد الشرع بالتحريم وقال البلخي الطيبات ما يستلذ وما علمتم من الجوارح اي واحل لكم ايضا مع ذلك صيد ما
علمتم من الجوارح اي الكواسب من سباع الطير والبهائم فحذف البهائم بدلالة قوله مما امسكن عليكم عليه ولانه
جواب عن سؤال السائل عن الصيد وقيل الجوارح هي الكلاب فقط عن ابن عمر والضحاك والسدي وهو المروي
عن ائمتنا عليهم السلم فانهم قالوا هي الكلاب المعلمة خاصة احله الله اذا ادركه صاحبه وقد قتله لقوله فكلوا مما امسكن
عليكم وروى علي بن ابرهيم في تفسيره باسناده عن ابي بكر الحضرمي عن ابي عبد الله عليه السلم قال سألته عن صيد
البزاة والصقور والفهود والكلاب فقال لا تاكل الا ما ذكيت الا الكلاب قلت فان قتله قال كل فان الله يقول
وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما امسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه ثم قال كل شيء
من السباع يمسك الصيد على نفسها الا الكلاب المعلمة فانها تمسك على صاحبها وقال اذا ارسلت الكلب المعلم
فاذكر اسم الله عليه فهو ذكاته وهو ان تقول بسم الله والله اكبر ويويد هذا المذهب ما ياتي بعد من قوله
مكلبين اي اصحاب الصيد بالكلاب وقيل اصحاب التعليم للكلاب تعلمونهن مما علمكم الله اي تؤدبونهن حتى يصرن
ملهمة مما الهمكم الله تعالى لكم حتى يميز بين المعلم وغير المعلم وفي هذا دلالة ايضا على ان صيد الكلب غير المعلم
حرام اذا لم يدرك ذكاته وقيل تعلمونهن كما علمكم الله وهذا بعيد لان من بمعنى الكاف لا يعرف في اللغة ولا
تقارب بينهما لان الكاف للتشبيه ومن للتبعيض واختلف في صفة الكلب المعلم فقيل هو ان يسترسل للطلب الصيد
اذا ارسله صاحبه ويمسك عنه اذا احله ويجيب اذا دعاه ولا يفر منه فاذا توالى منه ذلك كان معلما
عن سعد بن ابي وقاص وسلمان وابن عمر وقيل ما هو ذكرناه كله وان لا ياكل منه عن ابن عباس وعدي
بن حاتم وعطا والشعبي وطاوس والسدي وروى عدي بن حاتم عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال اذا اكل
الكلب من الصيد فلا تاكل منه فانما امسك على نفسه وقيل حد التعليم ان يفعل ذلك ثلاث مرات عن ابي يوسف
ومحمد وقيل لا حد لتعلم الكلاب واذا فعل ما قلناه فهو معلم ويدل على ذلك ما رواه اصحابنا انه اذا اخذ كلب

المجوسي فعلمه في الحال فاصطاد به جاز اكل ما يقتله وقد تقدم عند اهل البيت لا يحل اكل صيد غير الكلب الا من ادرك
ذكاته ومن اجاز ذلك قال ان تعلم البازي ان يرجع الى صاحبه وتعلم كل جارحة من البهائم والطير هو ان يسلى على الصيد
فيستشلى وياخذ الصيد ويدعوه صاحبه فيجيب فاذا كان كذلك كان معلما اكل ام لم ياكل روى ذلك عن سلمان وسعد
بن ابي وقاص وابن عمر وقال آخرون ما اكل منه فلا يوكل روي عن علي والشعبي وعكرمة وقوله فكلوا مما امسكن
عليكم اي مما امسك الجوارح عليكم وهذا يقوي قول من قال ما اكل منه الكلب لا يجوز اكله لانه امسك على نفسه
ومن شرط في استباحة ما يقتله الكلب ان يكون صاحبه قد سمى عند ارساله فاذا لم يسم لم يجز اكله الا ادرك ذكاته
وادنى ما يدرك ذكاته ان يجده يتحرك عينه او اذنه او ذنبه فيذكيه حينئذ بفري الحلقوم والاوداج واذكروا اسم الله عليه
اي قبل الارسال عن ابن عباس والحسن والسدي وقيل معناه اذكروا اسم الله عليه على ذبح ما يدعونه وهذا صريح
في وجوب التسمية والقول الاول اصح واتقوا الله اي اجتنبوا ما نهاكم عنه فلا تقربوه واحذروا معاصيه التي منها
اكل صيد الكلب غير المعلم او ما لم يمسكه عليكم او ما لم يذكر اسم الله عليه من الصيد والذبائح ان الله سريع الحساب قد
مر تفسيره قوله عز وجل اليوم احل لكم الطيبات وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المومنات
والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم اذا آتيتموهن اجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذي
اخدان ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين المعنى ثم بين في هذه الآية ما يحل
الاطعمة والانكحة اتماما لما تقدم فقال اليوم احل لكم الطيبات وقد مر معناه وهذا يقتضي تحليل كل مستطاب من
الاطعمة الا ما قام الدليل على تحريمه وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم اختلف في الطعام المذكور في الآية فقيل المراد
به ذبائح اهل الكتاب عن اكثر المفسرين واكثر الفقهاء وبه قال جماعة من اصحابنا ثم اختلفوا فمنهم من قال اراد به ذبائح
كل كتابي ممن انزل عليه التوراة والانجيل ومن دخل في ملتهم ودان بدينهم عن ابن عباس وعكرمة وسعيد بن المسيب
والشعبي وعطا وقتادة واجازوا ذبائح نصارى بني تغلب ومنهم من قال عني به من انزلت التوراة والانجيل
عليهم او كان من ابنائهم فاما من كان دخيلا فيهم من سائر الامم ودان بدينهم فلا تحل ذبائحهم حكي ذلك عن الشافعي
وحرم ذبائح بني تغلب من النصارى ورووا ذلك عن علي عليه السلم وسعيد بن جبير وقيل المراد بطعام الذين اوتوا الكتاب
ذبائحهم وغيرها من الاطعمة عن ابي الدردا عن ابي العباس وابرهيم وقتادة والسدي والضحاك ومجاهد
وبه قال الطبري ومجاهد والجبائي والبلخي وغيرهم وقيل انه مختص بالحبوب وما لا يحتاج فيه الى التذكية وهو
المروي عن ابي عبد الله عليه السلم وبه قال جماعة من الزيدية واما ذبائحهم فلا تحل وطعامكم حل لهم معناه وطعامكم
يحل لكم ان تطعموهم والمحصنات من المومنات معناه واحل لكم العقد على المحصنات اي العفايف من المومنات
عن الحسن والشعبي وابرهيم وقيل اراد الحرائر عن مجاهد واختاره ابو علي فعلى هذا القول لا تدخل الاماء في الاباحة
مع القدرة على طول الحرة والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم وهم اليهود والنصارى واختلف في معناه
فقيل هي العفايف حرائر كن او اماء حربيات كن او ذميات عن مجاهد والحسن والشعبي وغيرهم وقيل هن الحرائر
ذميات كن او حربيات وقال اصحابنا لا يجوز نكاح عقد الدوام على الكتابية لقوله تعالى ولا تنكحوا المشركات حتى يومن
ولقوله تعالى ولا تمسكوا بعصم الكوافر واولوا هذه الآية بان المراد بالمحصنات من الذين اوتوا الكتاب اللاتي اسلمن
منهن والمراد بالمحصنات من المومنات اللاتي كن في الاصل مومنات بان ولدن على الاسلام وذلك ان قوما كانوا
يتحرجون من العقد على من اسلمت عن كفر فبين سبحانه انه لا حرج في هذا ذلك فلهذا افردهن بالذكر حكى ذلك
ابو القسم البلخي قالوا ويجوز ان يكون مخصوصا ايضا بنكاح المتعة وملك اليمين فان عندنا يجوز وطيهن بكلا الوجهين على
انه قد روى ابو الجارود عن ابي جعفر عليه السلم انه منسوخ بقوله ولا تنكحوا المشركات حتى يومن وبقوله ولا تمسكوا

بعصم الكوافر وقوله اذا آتيتموهن اجورهن اى مهورهن وهو عوض الاستمتاع بهن عن ابن عباس وغيره محصنين غير مسافحين يعنى اعفاء غير زانين بكل فاجرة وهو منصوب على الحال ولا متخذى اخدان اى ولا منفردين بواحدة تخالها وتخادنه اذا اتخذها لنفسه صديقة يفجر بها وقد مر معنى الاحصان والسفاح والاخدان فى سورة النساء ومن يكفر بالايمان اى بان يجحد ما امر الله بالاقرار به والتصديق من توحيد الله وعدله ونبوة نبيه فقد حبط عمله الذى عمله واعتقد قربة الى الله وانما يحبط الاعمال بان لا يستحق عليها ثواب وهو فى الآخرة من الخاسرين اى الهالكين وقيل المعنى بقوله ومن يكفر بالايمان اهل الكتاب ويكون معناه ومن يمتنع عن الايمان ولم يؤمن فى قوله فقط عمله هنا دلالة على ان حبوط الاعمال لا يترتب على ثبوت الثواب فان الكافر لا يكون له عمل قد ثبت عليه ثواب وانما يكون له عمل فى الظاهر لو لا كفره لكان يستحق الثواب عليه فعبر سبحانه عن هذا العمل بانه حبط فهو حقيقة معناه قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق وامسحوا برؤسكم وارجلكم الى الكعبين وان كنتم جنبا فاطهروا وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون آية القراءة قرء نافع وابن عامر ويعقوب والكسائى وحفص والاعشى عن ابى بكر عن عاصم وارجلكم بالنصب والباقون وارجلكم بالجر وقد ذكرنا اختلافهم فى لامستم فى سورة النساء وسنذكر ما قيل فى وارجلكم على القرائتين فى المعنى لان الكلام فيه يتعلق بما اختلف فيه الامة من القول بوجوب غسل الرجلين او مسحهما او التخيير بين الغسل والمسح او وجوب الامرين كليهما على ما سنبينه انشاء الله اللغة الجنب يقع على الواحد والجمع والمذكر والمونث كما يقال رجل عدل وقوم عدل ورجل زور وقوم زور يقال رجل جنب وقوم جنب ورجلان جنب وامرأة جنب وانما هو على تأويل ذو جنب لانه مصدر والمصدر يقوم مقام ما اضيف اليه ومن العرب من يثنى ويجمع ويجعل المصدر بمنزلة اسم الفاعل واجنب الرجل وجنب واجتنب واصل الجنابة البعد قال علقمة فلا تحرمنى نائلا عن جنابة فانى امرء وسط القباب غريب فاطهروا معناه فتطهروا الا ان التاء ادغم فى الطاء فسكن اول الكلمة فزيد فيها الف الوصل وقيل اطهروا المعنى لما تقدم الامر بالوفاء بالعقود من جملتها اقامة الصلوة ومن شرائطها الطهارة بين ذلك سبحانه بقوله يا ايها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلوة معناه اذا اردتم القيام الى الصلوة وانتم على غير طهر وحذف الارادة لان فى الكلام دلالة على ذلك ومثله قوله فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلوة والمعنى واذا اردت قراءة القرآن واذا كنت فيهم اذا اردت ان تقيم لهم الصلوة وهو قول ابن عباس واكثر المفسرين وقيل معناه اذا اردتم القيام الى الصلوة فعليكم الوضوء عن عكرمة واليه ذهب داود قال وكان على يتوضى لكل صلوة ويقرء هذه الآية وكان الخلفاء يتوضؤن لكل صلوة والقول الاول هو الصحيح واليه ذهب الفقهاء كلهم وما رووه من تجديد الوضوء فمحمول على الندب والاستحباب وقيل ان الفرض كان فى بدؤ الاسلام التوضؤ عند كل صلوة ثم نسخ بالتخفيف قال ابن عمر اسماء بنت عميس زيد بن خطاب ان عبد الله بن حنظلة بن ابى عامر الغسيل حدثها ان النبى صلى الله عليه وآله امر بالوضوء عند كل صلوة فشق ذلك عليه وامر بالسواك ورفع عنه الوضوء الا من حدث فكان عبد الله يرى ان له قوة على ما كان عليه فكان يتوضى وروى سليمن بن بريدة عن ابيه قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله يتوضى لكل صلوة فلما كان عام الفتح صلى الصلوات كلها بوضوء واحد فقال عمر بن الخطاب يا رسول الله صنعت شيئا ما كنت تصنعه قال عمدا فعلته يا عمر وقيل ان هذا اعلام بان الوضوء لا يجب الا للصلوة لانه روى ان النبى صلى الله عليه وآله كان اذا احدث امتنع من الاعمال كلها حتى انه لا يرد جواب السلم حتى يتطهر للصلوة ثم عقب حتى نزلت هذه الآية فاغسلوا وجوهكم هذا امر منه سبحانه بغسل الوجه والغسل هو امرار الماء على المحل حتى يسيل والمسح ان يبل المحل بالماء من غير

ان يسيل واختلف فى حد الوجه والمروى عن ائمتنا عم انه من قصاص شعر الراس الى محادر شعر الذقن وما دخل بين الابهام والوسطى عرضا وقد حده ما ظهر من بشرة الانسان من قصاص شعر راسه منحدرا الى منقطع ذقنه طولا وما بين الاذنين عرضا دون ما غطاه الشعر من الذقن وغيره او كان داخل الفم والانف او العين فان الوجه عندهم ما ظهر بعين الناظر دون غيره كما قلناه وهو المروى عن ابن عباس وابن عمر والحسن وقتادة والزهرى وشعبة وغيرهم واليه ذهب ابو حنيفة واصحابه وقيل الوجه كلما دون منابت الشعر من الراس الى منقطع الذقن طولا ومن الاذن الى الاذن عرضا ما ظهر من ذلك لعين الناظر من منابت الشعر اللحية والعارض وما بطن وما كان منه داخل الفم والانف وما اقبل من الاذنين على الوجه عن انس بن مالك وام سلمة وعمار ومجاهد وسعيد بن جبير وجماعة واليه ذهب الشافعى وايديكم الى المرافق اى واغسلوا ايديكم كذلك ايضا والمرافق جمع مرفق وهو المكان الذى يرتفق به اى يتكأ عليه اليد قال الواحدى كثير من النحويين يجعلون الى هيهنا بمعنى مع ويوجبون غسل المرفق وهو اكثر الفقهاء وقال الزجاج لو كان معناه مع المرافق لم يكن فى المرافق فائدة وكانت اليد كلها يجب ان تغسل ولكنه لما قيل الى المرافق اقتطعت فى الغسل من حد المرفق فالمرافق حد ما ينتهى اليه ٠ كان لا يعرف والتحرز فى الغسل منها والظاهر على ما ذكره لكن لما اجمعت الامة على ان من بدء بالمرفقين فى غسل اليدين صح وضوءه واختلفوا فى صحة وضوء من بدء من الاصابع الى المرفقين واجمعت الامة ايضا على ان من غسل المرفقين صح وضوءه واختلفوا فيمن لم يغسلهما هل يصح وضوءه واختلفوا فى صحة وضوء من بدأ من الاصابع الى المرفقين واجمعت الامة ايضا على ان من غسل المرفقين صح وضوءه واختلفوا فيمن لم يغسلهما هل يصح وضوءه وقال الشافعى لا اعلم خلافا فى ان المرافق يجب غسلها ومما جاء فى القرآن الى بمعنى مع كقوله تعالى من انصارى الى الله اى مع الله وقوله ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم اى مع ونحو قول امرء القيس له كفل كالدعص لبده الندى الى حارك مثل الرتاج المصبب وفى امثال ذلك كثرة وامسحوا برؤسكم هذا امر بمسح الراس والمسح ان تمسح شيئا بيدك كمسح العرق عن جبينك والظاهر لا يوجب التعميم فى مسح الراس لان من مسح البعض يسمى ماسحا والى هذا ذهب اصحابنا قالوا الواجب ان يمسح منه ما يقع عليه اسم المسح وبه قال ابن عمر وابرهيم والشعبى وهو مذهب الشافعى وقيل يجب مسح جميع الراس وهو مذهب مالك وقيل يجب مسح ربع الراس وهو مذهب ابى حنيفة وروى عنه روايات فى ذلك لا نطول بذكرها وارجلكم الى الكعبين واختلف فى ذلك فقال جمهور الفقهاء ان فرضهما الغسل وقالت الامامية فرضهما المسح دون غيره وبه قال عكرمة وقد روى القول بالمسح عن جماعة من الصحابة والتابعين كابن عباس وانس وابى العالية والشعبى وقال الحسن البصرى بالتخيير بين المسح والغسل واليه ذهب الطبرى والجبائى الا انهما قالا يجب مسح جميع القدمين ولا يجوز الاقتصار على مسح ظاهر القدم قال الناصر للحق من جملة ائمة الزيدية يجب الجمع بين الغسل والمسح وروى عن ابن عباس انه وصف وضوء رسول الله صلى الله عليه وآله فمسح على رجليه وروى عنه انه قال ان كتاب الله المسح ويأبى الناس الا الغسل وقال الوضوء غسلتان ومسحتان وقال قتادة افترض الله غسلتين ومسحتين وروى ابن عتبة عن حميد عن موسى بن انس قال لانس ونحن عنده ان الحجاج خطبنا بالاهواز فذكر الطهور وقال اغسلوا وجوهكم وايديكم وامسحوا برؤسكم وانه ليس شئ من بنى آدم اقرب من خبثه من قدميه فاغسلوا بطونهما وظهورهما وعراقيبهما فقال انس صدق الله وكذب الحجاج قال سبحانه وامسحوا برؤسكم وارجلكم قال فكان انس اذا مسح قدميه بلهما وقال الشعبى نزل جبرئيل بالمسح ثم قال ان فى التيمم يمسح ما كان غسلا ويلغى ما كان مسحا وقال يونس حدثنى من صحب عكرمة الى واسط قال فما رأيته غسل رجليه وانما كان يمسح عليهما واما ما روى عن سادة اهل البيت عليهم السلم فى ذلك اكثر من ان يحصى فمن ذلك ما رواه الحسين بن سعيد الاهوازى عن فضالة عن حماد بن عثمان عن غالب بن هذيل قال سألت ابا جعفر عم عن المسح على الرجلين فقال هو الذى نزل

به جبرئيل عليه السلم وعنه عن احمد بن محمد قال سالت ابا الحسن موسى بن جعفر عليه السلم عن المسح على القدمين
كيف هو فوضع بكفه على الاصابع ثم مسحهما الى الكعبين فقلت له لو ان رجلا قال باصبعين من اصابعه هكذا الى
الكعبين قال لا الا بكفه كلها واما وجه القراءة بالجر في وارجلكم فمن قال بالغسل حمل الجر فيه على انه عطف على رؤسكم وقال
المراد بالمسح الغسل وروي عن ابي زيد قال المسح خفيف الغسل فقد قالوا تمسحت للصلوة وقوى ذلك بان التحديد
والتوقيت انما جاء في المغسول ولم يجئ في الممسوح فلما وقع التحديد في المسح علم انه في حكم الغسل لموافقته الغسل
في التحديد وهذا قول ابي علي الفارسي وقال بعضهم هو خفض على الجوار كما قالوا جحر ضب خرب وحور عين صفات
الحجر لا الضب وكما قال امرؤ القيس كان ثبيرا في عرانين وبله كبير اناس في بجاد مزمل وقال الزجاج اذا قرئ بالجر
يكون عطفا على الرؤس فيقتضي كونه ممسوحا وذكر عن بعض السلف انه قال نزل جبرئيل عليه السلم بالمسح والسنة
الغسل قال والخفض على الجوار لا يجوز في كتاب الله ولكن المسح على هذا التحديد في القران كالغسل وقال
الاخفش هو معطوف على الرؤس في اللفظ مقطوع عنه في المعنى كقول الشاعر علفتها تبنا وماء باردا المعنى وسقيتها
ماء باردا واما القراءة بالنصب فقالوا فيه انه معطوف على ايديكم لانا راينا فقهاء الامصار عملوا على الغسل دون
المسح ولما روي ان النبي صلى الله عليه وآله راى قوما توضئوا واعقابهم تلوح فقال ويل للعراقيب من النار ذكره
ابو علي الفارسي واما من قال بوجوب مسح الرجلين حمل النصب والجر في وارجلكم على ظاهره من غير تعسف فالجر
للعطف على الرؤس والنصب للعطف على موضع الجار والمجرور وشواهد ذلك في كلام العرب اكثر من ان تحصى
قالوا ليس فلان بقائم ولا ذاهبا وانشد معاوي اننا بشر فاسجح فلسنا بالجبال ولا الحديدا وقال تابط شرا
هل انت باعث دينار لحاجتنا او عبد رب اخا عون بن مخراق فعطف عبد على موضع دينار وانه منصوب في
المعنى وابعد من ذلك قال الشاعر جئني بمثل بني بدر لقومهم او مثل اخوة منظور بن سيار فانه لما كان معنى جئني
هات او احضر وامثالهم عطف بالنصب على المعنى واجابوا الاولين عما ذكروه في وجه الجر والنصب اجوبة نوردها
على وجه الايجاز قالوا اما ما ذكروه اولا من ان المراد بالمسح الغسل فباطل من وجوه احدها ان فائدة اللفظين
في اللغة والشرع مختلفة وقد فرق الله سبحانه بين الاعضاء المغسولة وبين الاعضاء الممسوحة فكيف يكون معنى
الغسل والمسح واحدا وثانيها ان الارجل اذا كانت معطوفة على الرؤس وكان الفرض في الرؤس المسح الذي
ليس بغسل بلا خلاف فيجب ان يكون حكم الارجل كذلك لان حقيقة العطف تقتضي ذلك وثالثها ان المسح
لو كان بمعنى الغسل لسقط استدلالهم بما رووه عن النبي صلى الله عليه وآله انه توضأ وغسل رجليه لان على هذا
لا ينكر ان يكون مسحهما فسمى الغسل مسحا وفي هذا ما فيه وما استشهاد ابي زيد بقولهم تمسحت للصلوة فالمعنى
انهم لما ارادوا ان يخبروا عن الطهور بلفظ موجز ولم يجز ان يقولوا اغتسلت للصلوة لان ذلك يشبه بالغسل
قالوا بدلا من ذلك تمسحت لان المغسول من الاعضاء ممسوح ايضا فتجوزوا بذلك تعويلا على ان المراد مفهوم
وهذا لا يقتضي ان يكونوا جعلوا المسح من اسماء الغسل واما ما قالوه في تحديد طهارة الرجلين فقد ذكر
المرتضى قدس الله روحه في الجواب عنه ان ذلك لا يدل على الغسل وذلك لان المسح فعل اوجب الشرع فيه كالغسل
فلا ينكر تحديده كتحديد الغسل ولو صرح سبحانه فقال وامسحوا ارجلكم وانتهوا بالمسح الى الكعبين لم يكن منكرا
فان قالوا ان تحديد اليدين لما اقتضى الغسل فكذلك تحديد الرجلين يقتضي الغسل قلنا انا لم نوجب الغسل
في اليدين للتحديد بل للتصريح بغسلهما وليس كذلك في الرجلين وان قالوا عطف المحدود على المحدود اولى
واشبه بترتيب الكلام قلنا هذا لا يصح لان الايدي معطوفة وهي محدودة على الوجوه التي ليست في الآية محدودة
والاجاز عطف الارجل وهي محدودة على الرؤس التي ليست بمحدودة وهذا اشبه مما ذكروه لان الآية تضمنت

ذكر عضو ممسوح غير محدود فيجب ان تكون الارجل ممسوحة محدودة على الرؤس وهي غير محدودة لتقابل الجملتان في
عطف مغسول محدود على مغسول غير محدود وعطف ممسوح على ممسوح غير محدود واما من قال انه عطف على
الجوار فقد ذكرنا عن الزجاج انه لم يجوز ذلك في القران ومن اجاز ذلك في الكلام فانما يجوز مع فقد حرف
العطف وكلما استشهد به على الاعراب بالمجاورة فلا حرف فيه حائل بين هذا وذاك وايضا فان المجاورة
انما ورد في كلامهم عند ارتفاع اللبس والامن من الاشتباه فان احدا لا يشتبه عليه ان خربا لا يكون من صفة
الضب ولفظة مزمل لا يكون من صفة البجاد وليس كذلك الارجل فانها يجوز ان تكون ممسوحة كالرؤس وايضا فان
المحققين من النحويين نفوا ان يكون الاعراب بالمجاورة جائزا في كلام العرب وقالوا في جحر ضب خرب انهم
ارادوا خرب جحره فحذف المضاف الذي هو جحر واقيم المضاف اليه وهو الضمير المجرور مقامه واذا ارتفع الضمير
استتر في خرب وكذلك القول في كبير اناس في بجاد مزمل فتقديره مزمل كبيره فبطل الاعراب بالمجاورة جملة وهذا
واضح لمن تدبره واما من جعله مثل قول الشاعر علفتها تبنا وماء باردا فانه قدر في الآية فاغسلوا ارجلكم
فقوله ابعد من الجميع لان مثل ذلك لو جاز في كتاب الله على ضعفه وبعده في سائر الكلام فانما يجوز اذا استحال حمله
على ظاهره فاما اذا كان الكلام مستقيما ومعناه ظاهرا فكيف يجوز مثل هذا التقدير الشاذ البعيد واما ما قاله
ابو علي في القراءة بالنصب على انه معطوف على الايدي فقد اجاب عنه المرتضى قدس الله روحه بان قال جعل
التاثير في الكلام للقريب اولى من جعله للبعيد فنصب الارجل عطفا على الموضع اولى من عطفها على الايدي
والوجوه على ان الجملة الاولى المامور فيها بالغسل قد نقضت وبطل حكمها باستيناف الجملة الثانية ولا يجوز
بعد انقطاع حكم الجملة الاولى ان يعطف على ما فيها فان ذلك يجري مجرى قولهم ضربت زيدا وعمرا واكرمت
خالدا وبكرا فان رد بكر الى خالد في الاكرام هو وجه الكلام الذي لا يسوغ سواه ولا يجوز رده الى الضرب الذي
قد انقطع حكمه ولو جاز ذلك ايضا لترجح ما ذكرناه لتطابق معنى القراءتين ولا يتنافيا فاما ما روي في الحديث
من قوله عليه السلم ويل للعراقيب من النار وغير ذلك من الاخبار التي رووها عن النبي صلى الله عليه وآله انه
توضأ وغسل رجليه فالكلام في ذلك انه لا يجوز ان يرجع عن ظاهر القران المعلوم بظاهر الاخبار التي
لا يوجب علما وانما تقتضي الظن على ان هذه الاخبار معارضة باخبار كثيرة وردت من طرقهم ووجدت
في كتبهم ونقلت عن شيوخهم مثل ما روي عن اوس بن ابي اوس انه قال رايت النبي صلى الله عليه وآله توضأ
ومسح على نعليه ثم قام فصلى وعن حذيفة قال اتى رسول الله صلى الله عليه وآله سباطة قوم فبال عليها ثم دعا
بماء فتوضأ ومسح على قدميه وذكره ابو عبيدة في غريب الحديث الى غير ذلك مما ذكروه وقوله ويل للعراقيب
من النار فقد روي فيه ان قوما من اجلاف الاعراب كانوا يبولون وهم قيام ويترشش البول على اعقابهم
وارجلهم فلا يغسلونها ويدخلون المسجد للصلوة فكان ذلك سببا لهذا الوعيد فاما الكعبان فقد اختلف
في معناهما فعند الامامية انهما العظمان الناتيان في ظهر القدم عند معقد الشراك ووافقهم في ذلك محمد
بن الحسن صاحب ابي حنيفة وان كان يوجب غسل الرجلين الى هذا الموضع وقال جمهور المفسرين والفقهاء
الكعبان هما عظما الساقين قالوا ولو كان كما قالوه لقال سبحانه وارجلكم الى الكعاب ولم يقل الى الكعبين لان
على ذلك القول يكون في كل رجل كعبان وان كنتم جنبا فاطهروا معناه ان كنتم جنبا عند القيام الى الصلوة فتطهروا
بالاغتسال وهو ان تغسلوا جميع البدن والجنابة انما تكون بانزال الماء الدافق على كل حال او بالتقاء الختانين
وحده غيبوبة الحشفة في الفرج سواء كان معه انزال او لم يكن وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من
الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه قد مر تفسير ذلك في سورة النساء

فلا معنى لاعادته ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج معناه ما يريد الله بما فرض عليكم من الوضوء اذا قمتم الى الصلوة و الغسل
من الجنابة والغسل عند عدم الماء او تعذر استعماله ليلزمكم في دينكم من ضيق ولا ليعنتكم فيه عن مجاهد وجميع
المفسرين ولكن يريد ليطهركم بما فرض عليكم من الوضوء والغسل من الاحداث والجنابة والتيمم اى ينظف اجسادكم
بذلك من الذنوب واللام دخلت فيه لبيان الارادة اى يريد ذلك ليطهركم كما قال الشاعر اريد لانسى ذكرها
فكانما تمثل لي ليلى بكل سبيل ويؤيد ما قلناه ما روى عن قتادة عن شهر بن حوشب عن ابى امامة ان النبي صلى الله
عليه وآله قال ان الوضوء يكفر ما قبله وليتم نعمته عليكم اى ويريد الله مع تطهيركم من ذنوبكم بطاعتكم اياه فيما
فرض عليكم من الوضوء والغسل اذا قمتم الى الصلوة مع وجود الماء او التيمم عند عدمه ان يتم نعمته باباحته لكم
التيمم وتصيره لكم الصعيد الطيب طهورا رخصة لكم منه مع سوابغ نعمه التي انعم بها عليكم لعلكم تشكرون اى لتشكروا
على نعمته بطاعتكم اياه فيما امركم به ونهاكم عنه وتضمنت هذه الآية احكام الوضوء وصفته واحكام الغسل والتيمم
ومسائلها المتفرعة منها كثيرة موضعها الكتب المؤلفة في الفقه قوله عز وجل واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذى
واثقكم به اذ قلتم سمعنا واطعنا واتقوا الله ان الله عليم بذات الصدور آية اللغة انما قال ذات الصدور
على لفظ التانيث لان المراد بذلك المعاني تحل القلوب ولم يقل ذوات لمعنى الجنس فى كل ذات المعنى لما
قدم سبحانه ذكر بيان الشرايع عقبه بذكر نعمه فقال واذكروا نعمة الله عليكم ولم يقل نعم للاشعار بعظم النعمة لا من
جهة التضعيف اذ كل نعمة لله فانه يستحق عليها اعظم الشكر لكونها اصل النعم او هى مثل خلق الحيوة والعقل والحواس
والقدر والآلات وقيل لانه ذهب مذهب الجنس في ذلك وجملة النعم يسمى نعمة كما ان قطعا من الارض يسمى ارضا
وميثاقه الذى واثقكم به قيل فيه اقوال احدها ان معناه ما اخذ عليهم رسول الله عند اسلامهم وبيعتهم
بان يطيعوا الله في كل ما يفرضه عليهم مما ساءهم او سرهم عن ابن عباس والسدى وثانيها ان المراد بالميثاق ما بين
لهم في حجة الوداع من تحريم المحرمات وكيفية الطهارة وفرض الولاية وغير ذلك عن ابى الجارود عن ابى جعفر وهذا
داخل في القول الاول اذ هو بعض ما فرض الله تعالى وثالثها ان المراد به مبايعتهم للنبي صلى الله عليه وآله يوم
بيعة العقبة وبيعة الرضوان عن ابى علي الجبائى ورابعها ان معناه ما اخذ عليهم حين اخرجهم من صلب آدم
واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى عن مجاهد وهذا اضعف الاقوال اذ قلتم سمعنا واطعنا يعنى سمعنا ما
تقول واطعناك فيما سمعنا واتقوا الله معناه انه عليم بذات الصدور اى بما يضمرونه في صدوركم من المعاني
والمراد بالصدور ههنا القلوب وانما جاز ذلك لان موضع القلب الصدر قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا كونوا
قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على الا تعدلوا اعدلوا هو اقرب للتقوى واتقوا الله ان
الله خبير بما تعملون وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر عظيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا
اولئك اصحاب الجحيم تلك آيات اللغة جرمت واجرمت بمعنى وقيل معنى لا يجرمنكم لا يدخلنكم الجرم كما يقال اثمته اى
ادخلته في الاثم وتقول وجدت الرجل تريد الخير واوعدت تريد الشر فاذا ذكرت الموعود قلت فيهما جميعا وعدته
واوعدته فقوله سبحانه وعد الله الذين آمنوا يدل على الخير ثم بين الخير فقال لهم مغفرة الاعراب قوامين نصب بانه خبر
كان شهداء نصب على الحال وقوله لهم مغفرة جملة وقعت موقع المفرد كقول الشاعر وجدنا الصالحين لهم جزاء وجنات
وعينا سلسبيلا ويكون الجملة التى هى لهم مغفرة في موضع نصب فلذلك عطف فى البيت وعينا ونصبه على الموضع
ويحتمل ان يكون موضع لهم مغفرة رفعا ويكون الموعود به محذوفا المعنى لما ذكر سبحانه الوفاء بالعهود بين سبحانه انما
يلزم الوفاء به ما ذكر في الآية فقال سبحانه يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين اى قائمين لله ان امكن من عادتكم القيام
لله بالحق في انفسكم بالعمل الصالح وفي غيركم بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر ونحو بقوله لله اخلصوا ذلك ابتغاء مرضاته

شهداء بالقسط اى بالعدل وقيل معناه كونوا دعاة لله مبينين عن دين الله بالحق والحجج والعدل لان الشاهد يبين
ما يشهد عليه وقيل معناه كونوا من اهل العدالة الذين حكم الله تعالى بان مثلهم يكونون شهداء على الناس يوم القيمة
ولا يجرمنكم شنآن قوم قد ذكرنا معناه في اول السورة قال الزجاج من حرك النون من شنآن اراد بغض قوم ومن سكن
اراد بغيض قوم ذهب الى ان الشنان مصدر والشنان بالسكون صفة على ان لا تعدلوا اى لا يحملنكم بغضهم اى بغضكم
اياهم وعلى القول الآخر فتقديره لا يحملنكم بغيض قوم وعدو قوم على انه لا تعدلوا في حكمكم فيهم وسيرتكم بينهم فتجوروا عليهم
اعدلوا اى اعملوا بالعدل ايها المؤمنون في اوليائكم واعدائكم هو اقرب للتقوى اى العدل اقرب الى التقوى واتقوا الله
اى خافوا عقابه بفعل الطاعات واجتناب السيئات ان الله عليم اى عالم بما تعملون اى باعمالكم يجازيكم عليها وعد الله
الذين آمنوا اى صدقوا بوحدانية الله واقروا بنبوة محمد صلى الله عليه وآله وعملوا الصالحات اى الحسنات من الواجبات
والمندوبات لهم مغفرة اى مغفرة لذنوبهم وتكفير لسيئاتهم والمراد به التغطية والستر واجر عظيم يريد ثوابا عظيما
والفرق بين الثواب والاحسان ان الثواب يكون جزاء على الطاعات والاجر قد يكون على سبيل المعاوضة بمعنى الاجرة والوعد
هو الخبر الذى يتضمن النفع من المخبر والوعيد هو الخبر الذى يتضمن الضرر من المخبر والذين كفروا اى جحدوا توحيد الله
وصفاته وانكروا نبوة نبيه وكذبوا بآيات الله اى بدلائله وبراهينه اولئك اصحاب الجحيم معناه انهم يخلدون في النار
لان المصاحبة تقتضي الملازمة قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم
فكف ايديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون آية اللغة الذكر هو حضور المعنى للنفس وقد يستعمل الذكر
بمعنى القول لان من شانه ان يذكر به المعنى والتذكر طلب المعنى لا طلب القول والهم بالامر هو حديث النفس بفعله يقال
هم بالامر يهم هما ومنه الهم وهو الفكر الذى يغم وجمعه هموم واهمه الامر اذا عنى به فحدث نفسه به والفرق بين الهم
بالشئ والقصد اليه انه قد يهم بالشئ قبل ان يريده ويقصده بان يحدث نفسه به وهو مع ذلك مقبل على فعله المعنى
ثم خاطب الله سبحانه المؤمنين وذكرهم نعمته عليهم بما دفع عنهم كيد الاعداء فقال يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله
عليكم اذ هم قوم اى قصد وان يبسطوا اليكم ايديهم واختلف فيمن بسط اليهم الايدى على اقوال احدها انهم اليهود
هموا بان يقتلوا النبي صلى الله عليه وآله وهم بنو النضير دخل رسول الله صلى الله عليه وآله مع جماعة من اصحابه عليهم وكانوا
قد عاهدوه على ترك القتال وعلى ان يعينوه في الديات فقال عليه السلم رجل من اصحابي اصاب رجلين معهما
امان منى فلزمني ديتهما فاريد ان تعينوني فقالوا اجلس حتى نطعمك ونعطيك الذى تسالنا وهموا بالفتك
بهم فاذن الله به رسوله فاطلع النبي صلى الله عليه وآله اصحابه على ذلك وانصرفوا وكان ذلك احدى معجزاته عن
مجاهد وقتادة واكثر المفسرين وثانيها ان قريشا بعثوا رجلا ليفتك بالنبي صلى الله عليه وآله فدخل عليه وفى يد النبي صلى الله عليه وآله
سيف مسلول فقال له ارنيه فاعطاه اياه فلما حصل في يده قال فما الذى يمنعني من قتلك فقال الله يمنعك
فرمى السيف واسلم واسم الرجل عمرو بن وهب الجمحى بعثه صفوان بن امية ليغتاله بعد بدر وكان ذلك سبب اسلام
عمرو بن وهب عن الحسن وثالثها ان المعنى بذلك ما لطف الله للمسلمين من كف اعدائهم عنهم حين هموا باستيصالهم
باشياء شغلهم بها من الامراض والقحط وموت الاكابر وهلاك المواشى وغير ذلك من الاسباب التى
انصرفوا عندها من قتل المؤمنين عن ابى علي الجبائى ورابعها ما قاله الواقدى ان رسول الله صلى الله عليه وآله
غزا جمعا من بنى ذبيان ومحارب بذى امر فتحصنوا برؤس الجبال ونزل رسول الله صلى الله عليه وآله بحيث يراهم
فذهب لحاجته فاصابه مطر فبل ثوبه فنشره على شجرة واضطجع تحته والاعراب ينظرون اليه فجاء سيدهم دعثور بن
الحرث حتى وقف على راسه بالسيف مشهورا فقال يا محمد من يمنعك منى اليوم فقال الله فدفع جبرئيل فى صدره
ووقع السيف من يده فاخذه رسول الله صلى الله عليه وآله وقام على راسه وقال من يمنعك منى اليوم فقال لا احد

وانا اشهد ان لا اله الا الله وان محمد رسول الله وعلى هذا فيكون تخليص النبي صلى الله عليه وآله مما هموا به نعمة على المؤمنين
من حيث ان مقامه فيهم نعمة عليهم فلذلك اعتد به وقوله فكف ايديهم عنكم اي منعهم عن الفتك بكم واتقوا الله
ظاهر المعنى وعلى الله فليتوكل المؤمنون اي فليثق المؤمنون بنصر الله وليتوكلوا عليه فان الله سبحانه كافيهم وناصرهم
قوله عز وجل ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا وقال الله اني معكم لئن اقمتم الصلوة وآتيتم
الزكوة وآمنتم برسلي وعزرتموهم واقرضتم الله قرضا حسنا لاكفرن عنكم سيئاتكم ولادخلنكم جنات
تجري من تحتها الانهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل آية اللغة الميثاق اليمين المؤكدة لانها يستوثق
بها من الامر واصل النقب في اللغة من النقب وهو الثقب الواسع ونقيب القوم كالكفيل والضمين ينقب عن اسرارهم ومكنون
اضمارهم ومنه نقاب المراة ومنه المناقب الفضائل لانها تظهر بالتنقيب عليها والنقب الطريق في الجبل ويقال نقب
الرجل على القوم ينقب اذا صار نقيبا وصناعته النقابة ولقد نقب وكذلك عرفت عليهم اذا صار عريفا ونكب
عليهم ينكب نكابة اذا صار منكبا وهو عون العريف والنقاب الرجل العالم بالاشياء الذكي القلب الكثير البحث عن
الامور والنقبة اول الجرب وجمعها النقب والنقب واصل الباب كله معناه التاثير الذي له عمق ودخول فمن ذلك
نقبت الحائط اي بلغت في الثقب آخره ومن ذلك النقبة في الجرب لانه داء شديد الدخول والنقبة السراويل التي لا رجل
لها قد يولع في فمها انما قيل نقيب لانه يعلم دخيلة امر القوم ويعرف مناقبهم وهو الطريق الى معرفة امورهم قال ابو عبيدة
التعزير التوقير وانشد وكم من ماجد لهم كريم ومن ليث يعزر في الندى اي يعظم والعزر الرد والمنع في قول الفراء
تقول عزرت فلانا اذا ادبته وفعلت به ما يردعه عن القبيح ومنه التعزير في النصرة والتعظيم لان ذلك يمنع صاحبه
ممن اراد بسوء والضلال الركوب على غير هدى وسواء كل شيء وسطه الاعراب انما قال قرضا ولم يقل اقراضا لانه
رده الى قرض قرضا فان اقرضتم معنى القرض وهذا كقوله والله انبتكم من الارض نباتا ولم يقل انباتا وقال امرء القيس
ورضت فذلت صعبة اي اذلال لان في رضت معنى اذللت المعنى لما بين سبحانه خيانة اليهود وهمهم بقتله وانه
دفع عنهم شرهم عقبه بذكر احوال اليهود وخبث سرائرهم وقبح عاداتهم في خيانة الرسل تسلية للنبي صلى الله عليه وآله
فيما هموا به فقال ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل اي عهدهم المؤكد باليمين باخلاص العبادة له والايمان برسله
وما يأتون به من الشرائع وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا اي امرنا موسى بان يبعث من الاسباط الاثني عشر اثني عشر رجلا
كالطلائع يتجسسون ويأتون بني اسرائيل باخبار ارض الشام واهلها الجبارين فاختار من كل سبط رجلا يكون
لهم نقيبا اي امينا كفيلا فرجعوا ينهون قومهم عن قتالهم لما راوا من شدة باسهم وعظم خلقهم الا رجلين منهم كالب
بن يوفنا ويوشع بن نون عن مجاهد والسدي وقيل معناه اخذنا من كل سبط منهم ضمينا بما عقدنا عليهم من الميثاق
في امر دينهم عن الحسن والجبائي وقيل معناه اثني عشر ... وقيل شهيدا على قومه عن قتادة وقال البلخي يجوز
ان يكونوا رسلا ويجوز ان يكونوا قادة وقال ابو مسلم بعثوا انبياء ليقيموا الدين ويعلموا الاسباط التوراة
ويأمروهم بما فرض الله عليهم وامرهم به وقال الله اني معكم قيل انه خطاب للنقباء عن الربيع وقيل خطاب لبني
اسرائيل الذين اخذ منهم الميثاق ويجوز ان يدخل فيه النقباء عن اكثر المفسرين اي قال الله لهم فحذف له لدلالة
الكلام عليه اني معكم بالنصر والحفظ انصركم على عدوي وعدوكم الذين امرتكم بقتالهم اي قاتلتموهم ووفيتم
بعهدي وميثاقي الذي اخذته عليكم ثم ابتدأ سبحانه فقال لئن اقمتم الصلوة معشر بني اسرائيل وآتيتم الزكوة اي
اعطيتموها وآمنتم برسلي اي صدقتم بما اتاكم به رسلي من شرائع ديني وقيل انه خطاب للنقباء وعزرتموهم
اي نصرتموهم عن الحسن ومجاهد والزجاج وقيل عظمتموهم ووقرتموهم واطعتموهم عن ابي زيد وابي عبيدة واقرضتم
الله قرضا حسنا اي انفقتم في سبيل الله واعمال البر نفقة حسنة لجازيكم بها فكانه قرض من هذا الوجه وقيل معنى قوله

حسنا عفوا عن طيبة نفس منه وان لا يتبعه من ولا اذى وقيل حلالا لاكفرن عنكم سيئاتكم اي لاغطين على ما مضى من اجرامكم
بعفوي واسقاطي عنكم وبال ذلك ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار وظاهر المعنى فمن كفر بعد ذلك منكم اي بعد
بعث النقباء واخذ الميثاق فقد ضل سواء السبيل عن امير المؤمنين ع اليمين والشمال مضلة والطريق الوسطى هي الجادة
قوله عز وجل فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا
به ولا تزال تطلع على خائنة منهم فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين آية القراءة قرا حمزة والكسائي قسية
بغير الف وقرا الباقون قاسية بالف الحجة حجة من قرا قسية ان فعيلا قد يجيء بمعنى فاعل مثل شاهد وشهيد وعالم
وعليم وعارف وعريف ومن قرا قاسية فلانه الاعرف والاكثر في مجرى العادة اللغة القسوة خلاف اللين والرقة
وانشد ابو عبيدة وقد قسوت وقسا لداتي اي فارقني لين الشباب ولدونته فالقاسي الشديد الصلابة قال
ابو العباس المبرد رحمه الله انما سمي قسيا اذا كان ثابتا شديدة صوته بالقسوة الذي فيه قال ابو زبيد يصف وقع المساحي
في الحجارة لها صواهل في صم السلام كما صاح القسيات في ايدي الصياريف قال ابو علي يجب قسيا في الدراهم معربا
واذا كان معربا لم يكن من القسي العربي في شيء الا ترى ان قاموس وابليس وجالوت وطالوت ونحو ذلك من الاسماء
الاعجمية التي من الفاظها عربي لا يكون مشتقا من باب القبس والابلاس بل كله على ذلك منعهم الصرف والخائنة
الخيانة وفاعلة في اسماء المصادر كثير نحو عافاه الله عافية واهلكوا بالطاغية وليس لوقعتها كاذبة ويقال سمعت
راغية الغنم وراغية الابل وقد يقال رجل خائنة على المبالغة قال الشاعر حدثت نفسك بالوفاء ولم تكن للغدر
خائنة مغل الاصبع قوله مغل بدل من خائنة الاعراب ما في قوله فبما نقضهم زائدة مؤكدة اي بنقضهم ومثله
قول الشاعر لشيء ما يسود من يسود يحرفون في موضع نصب على الحال من قوله فبما نقضهم ميثاقهم اي محرفين الكلم
ويجوز ان يكون كلاما مستانفا ويكون التمام عند قوله قاسية وقليلا منهم نصب على الاستثناء من الهاء والميم
في قوله على خائنة منهم المعنى ثم عطف سبحانه على ما تقدم فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم فيه تسلية للنبي صلى الله
عليه وآله للنبي يقول لا تعجب يا محمد من هؤلاء اليهود الذين هموا ان يبسطوا ايديهم اليك والى اصحابك
ونكثوا العهد الذي بينك وبينهم وغدروا بك فان ذلك دابهم وعادة اسلافهم الذين اخذت ميثاقهم
على طاعتي في زمن موسى وبعثت منهم اثني عشر نقيبا فنقضوا ميثاقي وعهدي فلعنتهم بنقضهم ذلك وفي
الكلام محذوف اكتفي بدلالة الظاهر عليه وتقديره فنقضوا ميثاقهم فلعناهم بنقضهم ذلك الميثاق والعهد
المؤكد اي طردناهم وابعدناهم من رحمتنا على وجه العقوبة عن عطاء وجماعة وقيل معناه مسخناهم قردة وخنازير
عن الحسن ومقاتل وقيل عذبناهم بالجزية عن ابن عباس وكان نقضهم الميثاق من وجوه فمنها انهم كذبوا
الرسل وقتلوا الانبياء ونبذوا الكتاب وضيعوا حدوده وفرائضه عن قتادة ومنها انهم كتموا صفة النبي صلى الله
عليه وآله عن ابن عباس وجعلنا قلوبهم قاسية اي يابسة غليظة تنبو عن قبول الحق ولا تلين عن ابن عباس
ومعناهم سلبناهم التوفيق واللطف الذي يشرح به صدورهم حتى ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وهذا كما
يقول الانسان لغيره افسدت سيفك اذا ترك تعاهده حتى صدئ وجعلت اظافيرك سلاحك اذا لم يقصها وقيل
معناه بينا عن حال قلوبهم وما هي عليها من القساوة وحكمنا بانهم لا يؤمنون به ولا ينجع فيهم موعظة عن
الجبائي وقيل معنى قاسية ردية فاسدة من الدراهم القسية اذا كانت زائفة وهذا راجع الى المعنى الاول
ايضا لانها تكون يابسة الصوت لما فيها من الغش والفساد ويقال للرحيم لين القلب ولغير الرحيم يابس القلب يحرفون الكلم
عن مواضعه اي يفسرونه على غير ما انزل ويغيرون صفة النبي صلى الله عليه وآله فيكون التحريف بامرين احدهما سوء التاويل
والاخر التغيير والتبديل كقوله سبحانه ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ونسوا حظا مما ذكروا به ونسوا نصيبا

بما وعظوا به وبما امروا به في كتابهم من اتباع النبي صلى الله عليه وآله فصار كالمنسي عندهم ولو آمنوا به واتبعوه لكان
ذلك لهم حظا وقيل معناه ضيعوا ما ذكرهم الله به في كتابهم مما فيه رشدهم وتركوا تلاوته فنسوه على مر الايام
ولا تزال تطلع على خائنة منهم يعني على خيانة اي معصية عن ابن عباس وقيل كذب وزور ونقض عهد
ومظاهرة للمشركين على رسول الله وغير ذلك مما كان يظهر من اليهود من انواع الخيانات وقيل ان معناه تطلع على
فرقة خائنة اي جماعة خائنة منهم اذا قالوا قولا خالفوا واذا عاهدوا عهدا نقضوه الا قليلا منهم لم يخونوا فاعف
عنهم واصفح ما داموا على عهدك ولم يخونوك عني بهم القليل الذي استثناهم عن ابي مسلم وقيل معناه فاعف عنهم
اذا تابوا وبذلوا الجزية عن الحسن وجعفر بن مبشر واختاره الطبري وقيل انه منسوخ بقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون
بالله الآية عن قتادة وقيل منسوخ بقوله واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء عن الجبائي ان الله يحب
المحسنين ظاهر المعنى قوله عز وجل ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به فاغرينا
بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون آية اللغة معنى الاغراء تسليط بعضهم
على بعض وقيل معناه التحريش واصله اللصوق يقال غريت بالرجل غرى اذا لصقت به عن الاصمعي وقال غيره غريت
به غرا ممدود واغريت زيدا بكذا حتى يغرى به ومنه الغراء الذي يلصق به الاشياء المعنى ثم بين سبحانه حال النصارى
في نقضهم ميثاق عيسى كما بين حال اليهود في نقضهم ميثاق موسى فقال ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم
اي من الذين ذكروا انهم نصارى اخذنا الميثاق بالتوحيد والاقرار بنبوة المسيح وجميع انبياء الله وانهم كلهم
عبيد الله فنقضوا هذا الميثاق واعرضوا عنه وهذا اشارة الى انهم ابتدعوا النصرانية التي هم عليها اليوم وتسموا
بها ولهذا لم يقل من النصارى الا انه تعالى اطلق هذا الاسم في مواضع عليهم لانه صار سمة لهم وعلامة عن الحسن فنسوا
حظا مما ذكروا به مر بيانه فاغرينا بينهم العداوة والبغضاء اختلف فيه فقيل اليهود والنصارى عن الحسن وجماعة
وقيل المراد بين اصحاب اصناف النصارى خاصة من اليعقوبية والملكانية والنسطورية من الخلاف والعداوة
عن الربيع واختاره الزجاج والطبري وانما اغرى بينهم بالعداوة بالاهواء المختلفة في الدين وذلك لان النسطورية
قالت ان عيسى ابن الله وقالت اليعقوبية ان الله هو المسيح بن مريم والملكانية وهم الروم قالوا ان الله ثالث ثلاثة
الله وعيسى ومريم وقيل بامر بعضهم ان يعادي بعضا عن الجبائي فكانه يذهب الى الامر بمعاداة الكفار وان هؤلاء
يكفر بعضهم بعضا وقوله الى يوم القيمة يعني به ان المعاداة تبقى بينهم الى يوم القيمة اما بين اليهود والنصارى واما
من فرق النصارى وقيل الوجه في قوله سبحانه فاغرينا بينهم العداوة والبغضاء انه سبحانه ان هم اختلفوا فيما بينهم
وكلهم على خطا وضلال وقد جعل الله سبحانه على كل مقالة من مقالاتهم التي اخطاوا فيها دلائل عرف بها بعضهم خطا
بعض فتعادوا على ذلك وتباغضوا ولم تعرف كل فرقة منهم خطا انفسهم فلما لم يصل كل منهم الى المعرفة لخطا صاحبه
الا من جهة كتاب الله ودلايله والنصارى بينهم كان من اجل ذلك جاز ان يقول فاغرينا بينهم على هذا الوجه عن
جعفر بن حرب وقيل الوجه في ذلك انا اخطرنا على بال كل منهم ما يوجب الوحشة والنفرة عن صاحبه وما يهيج
العصبية والعداوة عقوبة لهم على تركهم الميثاق وسوف ينبئهم الله عند المحاسبة بما كانوا يصنعون في الدنيا من نقض
الميثاق ويعاقبهم على ذلك بحسب استحقاقهم فكانه لما قال سبحانه فاعف عنهم واصفح بين بعد ذلك انه من ورائهم في الانتقام
منهم وانه سبحانه عليم بصنعهم وقبيح فعلهم قوله عز وجل يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم
تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام
ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم آيتان كوفي وثلاث عند غيرهم اللغة الرضوان
والرضا من الله ضد السخط وهو ارادة الثواب لمستحقه وقال قوم هو المدح على الطاعة والثناء وقال علي بن عيسى هو جنس

من الفعل يقتضي وقوع الطاعة الخالصة بما يبطلها ونقيضه الغضب قال الا ان الرضا بما مضى يصح وارادة ما مضى لا يصح اذ
قد يصح ان يرضى بما كان ولا يصح ان يريد ما كان وهذا الذي ذكره غير صحيح لان الرضا عبارة عن ارادة حدوث الشيء
من الغير غير انها لا يسمى بذلك الا اذا وقع مرادها ولم يتخللها كراهة فيقف تسميتها بالرضا على وقوع المراد لا ان بعد
وقوع المراد يفعل ارادة يسمى رضاء بما كان فسقط ما قاله المعنى لما ذكر سبحانه ان اليهود والنصارى نقضوا العهد
وتركوا ما امروا به عقب ذلك بدعائهم الى الايمان بمحمد صلى الله عليه وآله وذكرهم ما اتاهم به من اسرار كتبهم
حجة فقال يا اهل الكتاب يخاطب اليهود والنصارى قد جاءكم رسولنا يبين لكم مما كنتم تخفون من الكتاب
يعني ما بينه عليه السلام من رجم الزانيين واشياء كانوا يحرفونها من كتابهم بسوء التاويل وانما لم يقل يا اهل الكتابين
لان الكتاب اسم جنس وفيه معنى العهد فسلك طريقة الايجاز في اللفظ من حيث كانوا كانهم اهل كتاب واحد
ويعفو عن كثير معناه يترك كثيرا لا يذكره ولا ياخذكم به لانه لم يؤمر به عن ابي علي الجبائي وقيل معناه يصفح عن
كثير منهم بالتوبة عن الحسن والوجه في تبيين بعضه وترك بعضه تبيين ما فيه دلالة على نبوته من صفاته ونعته
والبشارة به وما يحتاج اليه علمه من غير ذلك بما يتفق له الاسباب التي يحتاج معها الى استعلامه كما اتفق ذلك
في الرجم وما عدا هذين مما ليس في تفصيله فائدة كفى ذكره في الجملة قد جاءكم من الله نور يعني بالنور محمدا صلى الله
عليه وآله لانه يهتدي به الخلق كما يهتدى بالنور عن قتادة واختاره الزجاج وقيل عني به القران لانه يبين
الحق من الباطل عن ابي علي الجبائي والاول اولى القولين وكتاب مبين فيكون اختلاف اللفظين باختلاف المعنيين
يهدي به الله اي بالكتاب المبين وهو القران وقيل بالنبي من اتبع رضوانه من اتبع رضوان الله في قبول القران
والايمان وتصديق النبي صلى الله عليه وآله واتباع الشرايع سبل السلام قيل السلام هو الله سبحانه عن الحسن والسدي
ومعناه سبيل الله وهو الشرايع التي شرعها لعباده وهو الاسلام وقيل انه السلامة من كل مخافة ومضرة
الا ما نعتد به لانه نزل الى نفع في العاقبة عن الزجاج اي يهدي الى طرق السلامة من اتبع ما فيه رضى الله
فالسلام والسلامة كالضلال والضلالة والمراد بقوله يهدي انه يفعل اللطف المؤدي الى سلوك طريق
الحق ويخرجهم من الظلمات الى النور معناه من الكفر الى الايمان لان الكفر يتحير فيه صاحبه كما يتحير في الظلام ويهتدي
بالايمان كما يهتدي بالنور باذنه اي بلطفه ويهديهم الى صراط مستقيم اي يرشدهم الى طريق الحق وهو دين الاسلام
عن الحسن وقيل الى طريق الجنة عن الجبائي قوله عز وجل لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم
قل فمن يملك من الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه ومن في الارض جميعا ولله ملك السموات
والارض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه
قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل انتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السموات والارض
وما بينهما واليه المصير آيتان اللغة الاحباء والحب والمحبة وقد يكون بمعنى الارادة وقد يكون بمعنى الشهوة
ويستعمل في كل واحد منهما يقال احب استقامة امورك واحب جاريتي الاعراب اللام في قوله لقد كفر جواب
للقسم وتقديره اقسم لقد كفر الذين كفروا قالوا وانما قال وما بينهما ولم يقل وما بينهن مع انه ذكر السموات
على الجمع لانه اراد به النوعين او الصنفين كما قال الشاعر طرقا فتلك هماهمي اقريهما قلصا لواقح كالقسي وحولا فقال
طرقا ثم قال فتلك هماهمي المعنى ثم حكى سبحانه عن النصارى ما قالوا في المسيح فقال لقد كفر الذين قالوا ان الله هو
المسيح بن مريم كفرهم سبحانه بهذا القول لانهم قالوا على وجه التدين به والاعتقاد لا على وجه الحكاية والانكار
وانما كفروا بذلك لوجهين احدهما انهم كفروا بالنعمة من حيث اضافوها الى غير الله ممن ادعوا الهيته والآخر انهم
كفروا بالله بانهم وصفوا المسيح وهو محدث بصفات الله سبحانه فقالوا هو اله وكل جاهل بالله كافر لانه لما ضيع نعمة الله

كان بمنزلة من اضافها الى غيره قل يا محمد فمن يملك من الله شيئا اي فمن يقدر ان يدفع من امر الله شيئا من قولهم
ملكت على فلان امره اذا اقتدرت عليه حتى لا يمكنه انفاذ شيء من امره الا بك وتقديره من يملك من امر الله شيئا
ان اراد المسيح ابن مريم وامه ومن في الارض جميعا عنى بذلك انه لو كان المسيح الها لقدر على دفع امر الله تعالى
اذا اراد اهلاكه او غيره وليس يقدر عليه لاستحالة القدرة على مغالبة القديم اي فكيف يجوز اعتقاد الربوبية فيه
مع انه مسخر مربوب مقهور وقيل معناه ان من يقدر على هذا لم يجز ان يكون معه اله ولا ان يشبهه شيء ولله ملك
السموات والارض وما بينهما ومن كان بهذه الصفة فلا ثاني له وذلك يدل على ان المسيح مملوك له واذا كان مملوكا له
لم يكن الها ولا ابنا له لان المملوك لا يجوز ان يكون مالكا فكيف يكون الها وقوله يخلق ما يشاء اي ما يشاء ان
يخلقه فان شاء خلق من ذكر وانثى وان شاء من انثى بغير ذكر فدل بهذا على انه ليس في كون المسيح من انثى بغير ذكر
دلالة على كونه الها وقوله والله على كل شيء قدير اي يقدر على كل شيء يريد ان يخلقه وفي هذه الآية رد على النصارى
القائلين ان الله حل حلالة الجد بالمسيح فصار الناسوت لاهوتا يجب ان يعبد ويتخذ الها فاحتج عليهم بان من جاز عليه
الهلاك لا يجوز ان يكون الها وكذلك من كان مولودا مربوبا لا يكون ربا ثم حكى عن الفريقين من اهل الكتاب فقال وقالت
اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه قيل ان اليهود قالوا نحن في القرب من الله بمنزلة الابن من ابيه والنصارى
لما قالوا المسيح ابن الله جعلوا نفوسهم ابناء الله واحباؤه لانهم تأولوا ما في الانجيل من قول المسيح اذهب الى ابي وابيكم عن
الحسن وقيل جماعة من اليهود منهم كعب بن الاشرف وكعب بن اسيد وزيد بن التابوه وغيرهم قالوا للنبي صلى الله عليه وآله حين
حذرهم بنقمات الله وعقوباته لا تخوفنا فانا ابناء الله واحباؤه فان غضب علينا فانما يغضب كغضب الرجل على ولده
يعني انه يزول عن قريب عن ابن عباس وقيل انه لما قال قوم ان المسيح ابن الله اجرى ذلك على جميعهم كما تقول العرب
هذيل شعراء اي فيهم شعراء وكما قالوا في رهط مسيلمة نحن انبياء الله اي قال قائلهم كما قال جرير ندسنا ابا مندوسة القين
بالقنا فقاد سادانا رجل من قوم جرير ثم قال سبحانه لنبيه محمد صلى الله عليه وآله قل لهؤلاء المفترين على ربهم فلم
يعذبكم اي فلاي شيء يعذبكم بذنوبكم ان كان الامر على ما زعمتم فان الاب يشفق على ولده والحبيب على حبيبه فلا يعذبه
وهم يقرون بانهم يعذبون لانهم لو لم يقولوا انه كذبوا بكتبهم وقد اقرت اليهود بانهم يعذبون اربعين يوما عدد
الايام التي عبدوا فيها العجل وقيل ان معناه الماضي وان كان لفظه المستقبل اي فلم عذبكم وقد اقررتم بانه عذبكم
عند عبادتكم العجل وعذبكم بان جعل منكم القردة والخنازير وخلى بينكم وبين بخت نصر حتى فعل بكم ما فعل والحبيب
لا يعذب حبيبه فلو كنتم احباؤه لما عذبكم بل انتم بشر ممن خلق اي ليس الامر على ما قلتم انكم ابناء الله واحباؤه بل انتم
خلق من بني آدم ان احسنتم جوزيتم على احسانكم وان اسأتم جوزيتم على اساءتكم كما يجازى غيركم وليس لكم عند الله
الا ما لغيركم من خلقه يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء انما علق العذاب بالمشية مع انه سبحانه لا يشاء العقوبة الا لمن
كان عاصيا لما في ذلك من البلاغة والايجاز برد الامور الى العالم الحكيم الذي يجريها على وجه الحكمة ولله ملك السموات
والارض يملك ذلك وحده لا شريك له يعارضه وما بينهما اي ما بين الصنفين ودل ذلك على انه لا ولد له لان الولد
يكون من جنس الوالد فلا يكون مملوكا واليه المصير معناه انه يؤول اليه امر العباد فلا يملك نفعهم وضرهم غيره لانه
يبطل تمليكه لغيره ذلك اليوم كما يقال صار امرنا الى القاضي وانما يراد بذلك انه المتصرف فينا والامر لنا على معنى
قرب المكان قوله عز وجل يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل ان تقولوا ما جاءنا من
بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير آية اللغة الفترة مصدر من فتر عن عمله يفتر
فتورا اذا سكن فيه وفتر عنه والفترة انقطاع ما بين النبيين عند جميع المفسرين والاصل فيها الانقطاع عما
كان الامر عليه من الجد في العمل وفتر الماء اذا انقطع عما كان عليه من البرد الى السخونة وامرأة فاترة الطرف اي منقطعة

عن النظر الاعراب موضع ان تقولوا نصب عند البصريين وتقديره كراهة ان تقولوا فحذف المضاف الذي هو مفعول له
واقيم المضاف اليه مقامه وقال الكسائي والفراء تقديره لئلا تقولوا ومن في قوله من بشير مزيدة وفائدتها نفي
الجنس وموضع الجار والمجرور رفع تقديره ما جاءنا بشير ولا نذير المعنى ثم عاد سبحانه الى خطاب اهل الكتاب وحجاجهم
واستعطافهم والزامهم الحجة برسول الله صلى الله عليه وآله فقال يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يعني محمدا
صلى الله عليه وآله يبين لكم اي يوضح لكم اعلام الهدى وفيه دلالة على انه سبحانه اختصه من العلم بما ليس مع غيره على
فترة من الرسل اي على انقطاع من الرسل ودروس من الدين والكتب وفيه دلالة على ان زمان الفترة لم يكن
فيه نبي وكان الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام وكانت النبوة متصلة قبل ذلك في بني اسرائيل وروي عن ابن عباس
انه لم يكن بينهما الا اربعة من الرسل واختلفوا في مدة الفترة بينهما فقيل ستمائة سنة عن الحسن وقتادة وقيل
خمسمائة وستون سنة عن قتادة في رواية اخرى وقيل اربعمائة وبضع وستون عن الضحاك وقيل خمسمائة وشيء
عن ابن عباس وقيل كان بين ميلاد عيسى ومحمد صلى الله عليه وآله خمسمائة وتسع وستون سنة وكان بعد عيسى
اربعة من الرسل وهو قوله اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث ولا ادري من الرابع فكان من تلك
المدة مائة واربع وثلاثون سنة نبوة وسائرها فترة عن الكلبي ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير معناه قد
جاءكم رسولنا كراهة ان تقولوا ولئلا تقولوا محتجين يوم القيمة ما جاءنا بشير بالثواب على الطاعة ولا نذير بالعقاب
على المعصية ثم بين سبحانه انه قطع عذرهم وازاح علتهم بارسال رسوله فقال فقد جاءكم بشير ونذير وهو محمد
صلى الله عليه وآله يبشر كل مطيع بالثواب ويخوف كل عاص بالعقاب والله على كل شيء قدير ظاهر في هذه الآية دلالة
على بطلان مذهب المجبرة لان الحجة بمنع القدرة اوكد من الحجة بمنع اللطف ويكون الحجة في ذلك لمن علم الله تعالى
ان بعثة الانبياء مصلحة لهم فاذا لم يبعث تكون لهم الحجة فاما من لا يعلم ذلك منهم فلا حجة لهم وان لم يبعث فيهم الرسل
قوله عز وجل واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت
احدا من العالمين يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على ادباركم فتنقلبوا خاسرين
آيتان اللغة اصل التقديس التطهير ومنه قيل للسطل الذي يتطهر به القدس ومنه تسبيح الله وتنزيهه عما لا يجوز
عليه من الصاحبة والولد وفعل الظلم والكذب الاعراب انبياء لا ينصرف معرفة ولا نكرة لان فيه علامة التانيث
ولزومها بخلاف علامة التانيث في حمزة وقائمة فانها لا تلزم فلذلك تنصرف في النكرة وقوله خاسرين منصوب
على الحال من الواو في فتنقلبوا ثم ذكر سبحانه صنع اليهود في المخالفة لنبيهم صلى الله عليه وآله تسلية لنبينا صلى الله عليه
وآله في مخالفتهم اياه فقال واذ قال موسى لقومه اي واذكر يا محمد اذ قال موسى لهم يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم
واياديه لديكم وآلاءه فيكم اذ جعل فيكم انبياء يخبرونكم بانباء الغيب وينصرونكم على الاعداء ويسنون لكم الشرائع وقيل
هم الانبياء الذين كانوا بعد موسى يبعثهم فيهم الى زمن موسى عم يبينون لهم امر دينهم وجعلكم ملوكا بان سخر لكم
من غيركم خدما يخدمونكم عن قتادة وقيل انما خاطبهم موسى بذلك لانهم كانوا يملكون الدور والخدم ولهم
نساء وازواج وكل من ملك ذلك ولا يدخل عليه الا باذنه فهو ملك كائنا من كان عن عبد الله بن عمرو بن العاص
وزيد بن اسلم والحسن ويؤيد ذلك ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال صلى الله عليه وآله من اصبح آمنا في
سربه معافى في بدنه عنده قوت يومه وليلته فكانما حيزت له الدنيا بحذافيرها وقيل الملك هو الذي له ما يستغني
عن تكلف الاعمال وتكلف المشاق والتسكع في المعاش عن ابي علي الجبائي وقيل انهم جعلوا ملوكا بالمن والسلوى
والحجر والغمام عن ابن عباس ومجاهد وقيل لا يمتنع ان جعل الله لهم الملك والسلطان ووسع عليهم التوسعة
التي بها يكون الانسان ملكا عن القاسم البلخي وآتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين اي اعطاكم ما لم يعط

احدا من عالمي زمانهم عن الحسن البلخي وقيل معناه اعطاكم من اجتماع هذه الامور وكثرة الانبيا والايات التي
جاءتهم وانزال المن والسلوى عليهم عن الزجاج والجبائي واختلفوا في المخاطب بقوله واتاكم فقيل هم قوم موسى
عن ابن عباس ومجاهد وغيره وهو الاظهر وقيل هم امة النبي صلى الله عليه واله عن سعيد بن جبير وابي مالك ثم كلفهم
سبحانه دخول الارض المقدسة بعد ذكر النعم فقال يا قوم حكاية عن خطاب موسى لقومه ادخلوا الارض المقدسة
وهي بيت المقدس عن ابن عباس والسدي وابن زيد وقيل هي دمشق وفلسطين وبعض الاردن عن الزجاج
والفراء وقيل هي الشام عن قتاده وقيل هي ارض الطور وما حوله عن مجاهد والمقدسة المطهرة طهرت من الشرك
وجعلت مسكنا وقرارا للانبيا والمومنين التي كتب الله لكم اي كتب في اللوح المحفوظ انها لكم وقيل معناه وهب
الله لكم عن ابن عباس وقيل معناه امر بدخولها عن قتاده والسدي فان اعترض معترض فقال كيف كتب الله لهم
مع قوله فانها محرمة عليهم فجوابه انها كانت هبة من الله لهم ثم حرمها عليهم عن ابن عباس وقيل ان المراد به الخصوص
وان كان الكلام على العموم فصار كانه مكتوب لبعضهم وحرام على البعض والذين كتب الله لهم دخولها هم الذين
كانوا مع يوشع بن نون بعد موسى بشهرين ولا ترتدوا على ادباركم اي لا ترجعوا عن الارض التي امرتم بدخولها عن
اكثر المفسرين وقيل لا ترجعوا عن طاعة الله الى معصيته عن الجبائي فتنقلبوا خاسرين عن الثواب في الاخرة لما
فاتكم ذلك لانهم كانوا امروا بدخولها كما امروا بالصلوه وغيرها عن قتاده والسدي وقيل انهم لم يومروا ابدا لكن يكون
المراد فتنقلبوا خاسرين حظكم ودخولها كما لا خسر في البيع القصة قال المفسرون لما عبر موسى وبنو اسرائيل البحر وهلك
فرعون امرهم الله سبحانه بدخول الارض المقدسة فلما نزلوا على نهر الاردن خافوا الدخول فبعث موسى من كل سبط
رجلا وهم الذين ذكرهم الله تعالى في قوله وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا فعاينوا من عظم شانهم وقوتهم شيئا عجيبا فرجعوا الى
بني اسرائيل فاخبروا موسى بذلك فامرهم ان يكتموا ذلك فوفى اثنان منهم يوشع بن نون بن سبطان بن يابس وقيل انه كان من
سبط يوسف وكالب بن يوفنا من سبط يهوذا الا وعصى العشرة واخبروا وقيل لم يكتم الخمسة منهم والمطيعون وفشا الخبر
في الناس فقالوا ان دخلنا عليهم يكون نساؤنا واهالينا غنيمة لهم وهموا بالانصراف الى مصر وهموا بيوشع وكالب
وارادوا ان يرجموهما بالحجارة فاغتاظ لذلك موسى وقال رب اني لا املك الا نفسي واخي فاوحى الله اليه انهم يتيهون
في الارض اربعين سنة في ستة عشر فرسخا وقيل تسعة فراسخ وقيل ستة فراسخ وهم ستمائة الف مقاتل ولا تتخرق
ثيابهم وتلبث معهم وينزل عليهم المن والسلوى ومات النقباء غير يوشع بن نون وكالب ومات اكثرهم ونشا ذراريهم
فخرجوا الى حرب اريحا وفتحوها فاصل فتحها يوشع بعد موسى وكان قد توفي موسى وبعثه الله نبيا وروي انهم كانوا
في المحاربة اذ غابت الشمس فردها الله تعالى عليهم حتى فتحوا اريحا وقيل كانت وفاة موسى وهرون في التيه وتوفي هرون
قبل موسى بسنة وكان عمر موسى مائة وعشرين سنة ملك افريدون ومنوجهر وكان عمر يوشع مائة وستة
وعشرين سنة وبقي بعد وفاته مدبرا لامر بني اسرائيل سبعا وعشرين سنة قوله عز وجل قالوا يا موسى ان فيها قوما
جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون قال رجلان من الذين يخافون
انعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مومنين قالوا يا موسى
انا لن ندخلها ابدا ما داموا فيها فاذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون اربع آيات بصري وثلاث
عند الباقين عد بصري غالبون وقوله جبارين مما يشكل الجميع ولا يعد الجميع اللغة الجبار هو الذي لا ينال في القهر
واصله في النخل وهو ما فات اليد طولا والجبار من الناس هو الذي يجبرهم على ما يريد والجبر جبر العظم وهو كالاكراه
على الاصلاح قال العجاج قد جبر الدين الاله فجبر وعود الرحمن ولي العور والجبار في صفة الله تعالى صفة تعظيم لانه يعد
الاقتدار وهو سبحانه لم يزل جبارا بمعنى ان ذاته تدعو العارف بها الى تعظيمها والفرق بين الجبار والقهار ان القهار هو الغالب

لمن يلواه وكان في حكم المناوي في معصيته اياه ولا يوصف سبحانه فيما لم يزل بانه قهار والجبار في صفة المخلوقين
صفة ذم فانه يتعظم بما ليس له فان العظمة لله سبحانه الاعراب فاذهب انت وربك انما اتى بالضمير المرفوع المنفصل
تاكيدا للضمير المستكن في اذهب ليصح العطف عليه فانه يقبح العطف بالاسم الظاهر على الضمير المستكن والمتصل من غير
ان يوكد لانه يصير كانه معطوف على الفعل اذا عطف على ما هو متصل بالفعل غير مفارق له ولا يجوز ان يقال انه ابرز
الضمير فان الضمير اذا ابرز يصير الفعل خاليا منه وقوله اذهب غير فارغ من الضمير وانما حسن العطف على الضمير المتصل
في قوله فاجمعوا امركم وشركاءكم لان ذكر المفعول صار عوضا من الضمير المنفصل كما كان في قوله لو شاء الله ما اشركنا
ولا اباؤنا عوضا منه المعنى ثم ذكر جواب القوم فقال سبحانه قالوا يعني بني اسرائيل يا موسى ان فيها اي في الارض المقدسة
قوما اي جماعة جبارين شديد البطش والباس والخلق قال ابن عباس بلغ من جبرية هؤلاء القوم انه لما بعث
موسى من قومه اثني عشر نقيبا ليخبروه خبرهم راهم رجل من الجبارين يقال له عوج فاخذهم في كمه مع فاكهة كان
حملها من بستانه واتى بهم الملك فنثرهم بين يديه وقال للملك تعجبا منهم هؤلاء يريدون قتالنا فقال الملك
ارجعوا الى صاحبكم فاخبروه خبرنا قال مجاهد وكان فاكهتهم لا يقدر على حمل عنقود منها خمسة رجال بالخشب ويدخل
في قشر نصف رمانة خمسة رجال وان موسى كان طوله عشرة اذرع وله عصى طولها عشرة اذرع ووثب من الارض مثل
ذلك فبلغ كعب عوج بن عنق فقتله وقيل كان طول سريره ثمانمائة ذراع وانا لن ندخلها يعني لن ندخلها حتى
يخرجوا منها فان يخرجوا منها يعني الجبارين فانا داخلون قال رجلان من جملة النقباء الذين بعثهم موسى ليعرف
خبر القوم وقيل هما يوشع بن نون وكالب وقيل كلاب بن يوقنا عن ابن عباس ومجاهد والسدي وقتاده والربيع
وقيل بل رجلان كانا من مدينة الجبارين وكانا على دين موسى لما بلغهما خبر موسى جاءاه فاتبعاه عن سعيد بن جبير
عن ابن عباس من الذين يخافون الله تعالى انعم الله عليهما بالاسلام عن قتاده والحسن وقيل يخافون الجبارين
اي لم يمنعهم الخوف من الجبارين ان قالوا الحق تاويل ذلك عن ابن عباس انهما كانا من الجبارين انعم الله عليهما بالاسلام
ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون اخبر عن الرجلين انهما قالا ادخلوا يا بني اسرائيل على الجبارين باب
مدينتهم وانما علما انهم مظفرون بهم ويغلبونهم اذا دخلوا باب مدينتهم لما اخبرهم موسى عليه السلام من وعد الله
تعالى بالنصرة وقيل لما راوه من القاء الله الرعب في قلوب الجبارين فعلما انهم ان دخلوا الباب غلبوا وعلى الله
فتوكلوا في نصرة الله على الجبارين ان كنتم مومنين بالله وبما اتاكم به رسوله من عنده ثم اخبر عن قوم موسى بانهم قالوا
انا لن ندخلها اي هذه المدينة ما داموا اي ما دام الجبارون فيها وانما قالوا ذلك لانهم جبنوا وخافوا من قتالهم
لعظم اجسامهم وشدة بطشهم ولم يثقوا بوعد الله سبحانه بالظفر لهم عليهم فاذهب يا موسى انت وربك فقاتلا الجبارين
انا ههنا قاعدون الى ان تظفر بهم ويرجع الينا فحينئذ ندخل وانما لم ينكر موسى عليهم قولهم اذهب انت وربك لامرين
احدهما ان الكلام كله يدل على الانكار عليهم والتعجب من جهلهم في تلقيهم امر ربهم بالرد له والمخالفة عليه والاخر
انهم لما قالوا ذلك مجازا بمعنى وربك معين لك على ما قاله ابو القاسم البلخي والاول اليق بجهل اولئك القوم قال
الحسن هذا القول منهم يدل على انهم كانوا مشبهة ولذلك عبدوا العجل والجهل بالعجل ولو عرفوا الله حق معرفته لما عبدوا
العجل وقال الجبائي ان كانوا قالوا ذلك على وجه الذهاب من مكان الى مكان فانه كفر وان قالوه على وجه الخلاف فانه
فسق واما قوله سبحانه قاتلهم الله انى يوفكون فانه مجاز والمعنى انه يعاديهم عداوة المقاتل ويحل بهم ما يحل المقاتل
المستغني بالاقتدار وعظم السلطان لمن يقاتله قوله عز وجل قال رب اني لا املك الا نفسي واخي فافرق بيننا وبين
القوم الفاسقين قال فانها محرمة عليهم اربعين سنة يتيهون في الارض فلا تاس على القوم الفاسقين آيتان اللغة
اصل التيه التحير الذي لا يهتدي لاجله للخروج عن الطريق الى الغرض المقصود يقال تاه يتيه تيها وتيهانا اذا تحير و

والبيداء حيث الارض الذي لا يهتدى فيها وارض تيها والاسى الحزن يقال اسى ياسى اسى اذا حزن قال امرء
القيس وقوفا بها صحبي على مطيهم يقولون لا تهلك اسى وتجمل الاعراب اخي يجوز ان يكون في موضع رفع ويجوز
ان يكون في موضع نصب وفي رفعه وجهين احدهما ان يكون عطفا على موضع اني ومثله ان الله برئ من المشركين
ورسوله والآخر ان يكون معطوفا على ما في املك انا واخي الا انفسنا وفي نصبه ايضا من وجهين احدهما ان يكون
عطفا على اليا في اني اي اني واخي لا يملك الا انفسنا والاخر ان يكون عطفا على نفسي اي لا املك الا نفسي ولا املك الا
اخي واربعين نصب على الظرف والعامل فيه قوله يتيهون وقيل هو منصوب بقوله محرمة قال الزجاج هذا خطاء
لانه جاء في التفسير انها محرمة عليهم ابدا المعنى ذكر سبحانه دعا موسى على قومه عند مخالفتهم اياه فقال تعالى قال
اي قال موسى اذ عصى قومه رب اني لا املك الا نفسي اي لا املك الا تصريف نفسي في طاعتك لانها التي تجيبني
اذا دعوت واخي اي واخي كذلك لا يملك الا نفسه اذ تكون معناه ولا املك ايضا الا اخي لانه يجيبني اذا دعوت فافرق
بيننا وبين القوم الفاسقين اي فافصل بيننا وبينهم بحكمك وسماهم فساقا وان كانوا قد كفروا بالرد على نبيهم
لخروجهم من الايمان الى الكفر والفسق هو الخروج من الطاعة الى المعصية والكفر من اعظم المعاصي وقال الله تعالى
الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه وقيل في سؤال موسى عليه السلم الفرق بينه وبينهم قولان احدهما انه سال
تعالى ان يحكم ويقضي بما يدل على بعدهم من الحق والصواب فيما ارتكبوا من العصيان ولذلك الفرق في التيه عن ابن
عباس والضحاك والآخر انه سال ان يفرق بينه وبينهم في الآخرة بان يكون هولاء في النار وهو في الجنة ولو دعا عليهم
بالهلاك لاهلكوا عن الجبائي قال اي قال الله سبحانه لموسى فانها محرمة عليهم اي ان الارض المقدسة حرمت عليهم
وفي كيفية التحريم قولان احدهما انه تحريم منع كقول امرء القيس جالت لتصرعني فقلت لها اقصري اني امرء صرعي عليك
حرام يعني دابته التي هو راكبها ويريد بذلك اي فارس لا يمكنك ان تصرعيني وقيل يجوز ان يكون تحريم تعبد عن ابي علي
الجبائي والاول اظهر وقال البلخي يجوز ان يكونوا امروا ان يطوفوا اربعين سنة يتيهون في الارض يعني يتحيرون
في المسافة التي بينهم وبينها لا يهتدون الى الخروج منها وكان مقدارها ستة فراسخ عن الربيع وكانوا يصبحون حيث
امسوا ويمسون حيث يصبحوا عن الحسن ومجاهد وقال اكثر المفسرين ان موسى وهرون كانا معهم في التيه وقيل انهما لم يكونا
في التيه لان التيه عذاب وعذبوا عن كل يوم عبدوا فيه العجل سنة والانبيا لا يعذبون قال الزجاج ان كانا في التيه
فجايز ان يكون الله تعالى سهل عليهما كما سهل على ابرهيم النار فجعلها عليه بردا وسلاما وسلمهما الاحراق ومات
موسى في التيه وفتح المدينة يوشع وصي موسى بعده وكان يوشع ابن اخت موسى ووصيه والنبي في قومه بعده
عن ابن عباس وقيل لم يمت في التيه عن الحسن ومجاهد وفتح المدينة موسى ومتى سئل فقيل كيف يجوز على عقلاء
كثيرين ان يسيروا في فراسخ كثيرة فلا يهتدوا للخروج منها فالجواب عنه من وجهين احدهما ان يكون ذلك بان تحول
الارض التي هم عليها اذا ناموا فردوا الى المكان الذي ابتدوا منه عن ابي علي والآخر ان يكون ذلك بالاسباب المانعة
من الخروج عنها اما بان تمحى العلامات التي يستدل بها واما بان يلقى شبه بعضها على بعض ويكون ذلك معجزا خارقا
للعادة وقال قتادة لم يدخل بلد الجبارين احد من القوم الا يوشع بن نون وكالب ابن يوفنا بعد موت موسى ببعض سنين
وانما دخل اولادهم معهما فلا تاس على القوم الفاسقين خطاب لموسى امرهم الله تعالى ان لا يحزن على هلاكهم
لفسقهم وقال الزجاج هو خطاب للنبي صلى الله عليه وآله قوله عز وجل واتل عليهم نبا ابني آدم بالحق اذ قربا قربانا فتقبل
من احدهما ولم يتقبل من الآخر قال لاقتلنك قال انما يتقبل الله من المتقين آية اللغة القربان ما يقصد به
القرب من رحمة الله من اعمال البر وهو على وزن فعلان من القرب كالفرقان من الفرق والشكران والكفران
من الكفر والشكر وقرابين الملك جلساوه لقربهم اليه الاعراب اذ قربا يتعلق بقوله نبا والتقدير خبر ابني آدم

وما جرى بينهما حين قربا قربانا اي قرب كل واحد منهما قربانا فجمعهما في الفعل وافرد الاسم لانه يستدل بفعلهما على
ان لكل واحد منهما قربانا وقيل ان القربان اسم جنس فهو يصلح للواحد وللعدد وعلى انه مصدر من قرب
الرجل قربانا المعنى واتل اي واقرء عليهم يا محمد نبا ابني آدم اي خبرهما بالحق بالصدق واجمعوا انهما كانا ابني
آدم لصلبه الا الحسن فانه قال كانا رجلين من بني اسرائيل اذ قربا قربانا اي فعلا فعلا يتقرب به الى الله تعالى
فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الآخر يعني الطاعة بايجاب الثواب عليها قالوا وكانت علامة القبول في ذلك
الزمان نارا تاتي فتاكل المتقبل ولا تاكل المردود وقيل كانت النار تاكل المردود عن مجاهد والاول اظهر قال
لاقتلنك في الكلام حذف التقدير قال الذي لم يتقبل منه للذي تقبل منه لاقتلنك فقال لم تقتلني قال لانه تقبل
قربانك ولم يتقبل قرباني فقال وما ذنبي انما يتقبل الله من المتقين للمعاصي فاطلق الكلام بانها
المراد انها احق ما يجب ان يخاف منه قال ابن عباس اراد انما يتقبل الله ممن كان زكي القلب ورد عليك لانك
لست بزكي القلب واستدل بهذا على ان طاعة الفاسق غير متقبلة لكنها تسقط عقاب تركها وهذا لا يصح لان المعنى
على ان الثواب انما يستحق من موقع الطاعة لكونها طاعة فاما اذا فعلها لغير ذلك فلا يستحق عليها ثوابا ولا يمتنع
على هذا ان يقع من الفاسق طاعة موقعها على الوجه الذي يستحق عليها الثواب فيستحقه النظم وجه اتصال الآية بما قبلها
ان الله تعالى اراد ان يبين ان حال اليهود في نقض العهد وارتكاب الفواحش في ارتكاب ابن آدم في قتل اخيه وما عاد
عليه من الوبال بتعديه فامر نبيه ان يتلو عليهم اخبارهما تسلية للنبي صلى الله عليه وآله فيما ناله من جهلهم وتكذيبهم
وتبكيتا لليهود القصة قالوا ان امراة آدم حوا كانت تلد في كل بطن غلاما وجارية فولدت اول بطن قابيل بن
آدم وقيل قابيل وتوامته اقليما بنت آدم والبطن الثاني هابيل وتوامته لبودا فلما ادركوا جميعا امر الله تعالى
آدم ان ينكح قابيل اخت هابيل وهابيل اخت قابيل فرضي هابيل وابى قابيل لان اخته كانت احسنهما فقال ما امر الله
بهذا ولكن هذا من رايك فامرهما آدم ان يقربا قربانا فرضيا بذلك فعمد هابيل وكان صاحب ماشية فاخذ من
خير غنمه زبدا ولبنا وكان قابيل صاحب زرع فاخذ من شر زرعه ثم صعدا فوضعا القربان على الجبل فاتت النار
فاكلت قربان هابيل وتجنبت قربان قابيل وكان آدم غائبا عنهما بمكة خرج اليها ليزور البيت بامر ربه فقال
قابيل لا عشت يا هابيل في الدنيا وقد تقبل قربانك ولم يتقبل قرباني وتريد ان تاخذ اختي الحسناء واخذ
اختك القبيحة فقال له هابيل ما حكاه الله تعالى فشدخه بحجر فقتله وروى ذلك عن ابي جعفر الباقر عليه السلم
وغيره من المفسرين وكان سبب تقبل قربان احدهما دون الآخر ان قابيل لم يكن زاكي القلب فقرب بشر ماله
وقرب هابيل بخير ماله واشرفه واضمر الرضا بحكم الله تعالى وقيل ان سبب اكل النار القربان انه لم يكن هناك فقير
يدفع اليه ما يتقرب به الى الله تعالى فكان ينزل نار من السماء فتاكله عن اسمعيل بن رافع ان قربان هابيل كان
يرتع في الجنة حتى فدى به ابرهيم قوله عز وجل لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك
اني اخاف الله رب العالمين اني اريد ان تبوء باثمي واثمك فتكون من اصحاب النار وذلك جزاء الظالمين فطوعت
له نفسه قتل اخيه فقتله فاصبح من الخاسرين آية اللغة البسط المد وهو ضد القبض هو يرجع يقال باء اذا رجع
الى المباه وهي المنزل وباوا بغضب من الله اي رجعوا والبواء الرجوع بالقود يرجع يقال باء اذا رجع الى المباه
وهي المنزل وباوا بغضب من الله اي رجعوا والبواء الرجوع بالقود وهم في هذا الامر بواء اي سواء طوعت له فعلت
من الطوع والعرب تقول طاع لهذه الظبية اصول هذه الشجرة وطاع له فلان كذا اي اتاه طوعا ولا نقل طاعته نفسه لان
اطاع يدل على قصد لموافقة معنى الامر وليس كذلك طوع لانه بمنزلة ان اطاع له اصول الشجرة وفي الفعل ما يتعدى الى
نفس الفاعل نحو حرك نفسه وقتل نفسه ومنه ما لا يتعدى الى ذلك نحو امر ونهى لان الامر والنهي لا يدلان الا على من هو

اعلى الحي من دونه **الاعراب** لئن بسطت اللام للقسم وجوابه ما انا بباسط ولا يقع ما جوابا للشرط لان ما يكون لها صدر الكلام والقسم لا يخرجها عن ذلك كما جاز ان يكون جواب القسم بان ولام الابتداء ولم يجز بالفاء ولان المقسم عليه ليس يجب بوجوب القسم وانما القسم يؤكده وجواب الشرط يجب بوجوب الشرط فاذا اجتمع جواب القسم والجزاء كان جواب القسم اولى من الجزاء لانه لما تقدم القسم وصار الجزاء في حشو الكلام عليه على الجواب فصار له واكتفي به من جواب الشرط لدلالته عليه **المعنى** ثم اخبر سبحانه عن هابيل انه قال لاخيه حين هدده بالقتل لما تقبل قربانه ولم يتقبل قربان اخيه لئن بسطت الي يدك ومعناه ولئن مددت الي يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك اي لان اقتلك قال اهل التفسير ان القتل على سبيل المدافعة لم يكن مباحا في ذلك الوقت وكان الصبر عليه هو المامور به فيكون الله تعالى هو المتولي للانتصاف عن الحسن ومجاهد واختاره الجبائي وقيل ان معنى الآية لئن بسطت الي يدك على سبيل الظلم والاعتداء لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك على سبيل الظلم والابتداء عن ابن عباس وجماعة قالوا انه قتله غيلة بان القى عليه وهو نائم صخرة شدخه بها قال المرتضى قدس الله روحه العزيز الطاهر يعني اشبه لان الله تعالى خبر عنه بانه وان بسط اليه اخوه يده ليقتله لا يبسط يده ليقتله اي هو مريد لقتله لان اللام بمعنى كي وهي منبئة عن الارادة والغرض ولا شبهة في قبح ذلك لان المدافع انما يحسن منه المدافعة للظالم طلبا للتخلص من غير ان يقصد الى قتله وقال لئن ظلمتني لم اظلمك اني اخاف الله رب العالمين معناه اني اخاف الله في مد يدي اليك بدئا لسلك اني اريد ان تبوء باثمي واثمك معناه اني لا ابدا بالقتل لاني اريد ان ترجع باثمي علي ان تقتلني واثمك الذي كان منك قبل قتلي عن ابن عباس وابن مسعود والحسن وقتادة ومجاهد والضحاك وقال الجبائي والزجاج واثمك الذي من اجله لم يتقبل قربانك وقيل معناه باثم قتلي واثمك الذي هو قتل جميع الناس حيث سننت القتل ومعنى تبوء باثمي هو العقاب المستحق لانه لا يجوز لاحد ان يريد معصية الله تعالى من غيره ولكن يجوز ان يريد عقابه المستحق عليه بالمعصية ومتى قيل كيف يحسن ارادة عقاب لم يقع سببه فان القتل على هذا لم يكن واقعا فجوابه ان ذلك يحسن بشرط وقوع ما يستحق به العقاب فهابيل لما رأى من اخيه العزم على قتله وغلب على ظنه ذلك جاز ان يريد عقابه بشرط ان يفعل ما عزم عليه فتكون من اصحاب النار اي فتصير بذلك من الملازمين للنار وذلك جزاء الظالمين اي عقاب العاصين ويحتمل ان يكون هذا اخبارا عن قول هابيل ويحتمل ان يكون ابتداء حكم من الله تعالى فطوعت له نفسه قيل فيه اقوال احدها ان معناه شجعته نفسه على قتل اخيه اي على ان يقتل اخاه عن مجاهد وثانيها ان المراد زينت له نفسه قتل اخيه وثالثها ان المراد ساعدته نفسه وطاوعته نفسه على قتل اخاه فلما حذف حرف الجر نصب قتل اخيه ومن قال ان معناه زينت له فيكون قتل اخيه مفعولا به فقتله قال مجاهد لم يدر قابيل كيف يقتله حتى ظهر له ابليس في صورة طير واخذ طيرا آخر وترك راسه بين حجرين فشدخه ففعل قابيل مثله وقيل هو اول قتيل كان في الناس فاصبح من الخاسرين اي صار ممن خسر الدنيا والآخرة وذهب عنه خيرهما واستدل بعضهم بقوله فاصبح انه قتله ليلا وهذا ليس بشيء لان من عادة العرب ان يقولوا اصبح فلان خاسر الصفقة اذا فعل امرا كانت ثمرته الخسران يعنون حصول كذلك لا انه تعلق بوقت دون وقت قوله عز وجل **فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يواري سوءة اخيه قال يا ويلتى اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب فاواري سوءة اخي فاصبح من النادمين** **اللغة** اصل البحث طلب الشيء في التراب ثم يقال بحث عن الامر بحثا واصل السوءة التكره يقال ساءه يسوءه سوءا اذا اتاه بما يكرهه قال سيبويه الويل كلمة تقال عند الهلكة وعجزت عن الامر اعجز عجزا ومعجزا ومعجزة **الاعراب** يا ويلتى قال الزجاج الوقف عليه في غير القرآن يا ويلتاه والندبة لغير الآدميين نحو يا حسرتا ويا ويلتا انما وقع في كلام العرب

على تنبيه المخاطبين وان الوقت الذي يدعى له هذه الاشياء هو وقتها فالمعنى يا ويلتا تعالي فانه من اوانك اي قد لزمني الويل وكذلك يا عجباه المعنى يا ايها العجب هذا وقتك على هذا كلام العرب وقال الحسن يا ويلتي مضافا وذكر الازهري انها بمعنى **المعنى** فبعث الله غرابا يبحث في الارض قالوا كان هابيل اول ميت من الناس فلذلك لم يدر قابيل كيف يواريه وكيف يدفنه حتى بعث الله غرابين احدهما حي والآخر ميت وقيل كانا حيين فقتل احدهما صاحبه ثم بحث الارض ودفنه فيه ففعل قابيل به مثل ذلك عن ابن عباس وابن مسعود وجماعة وفي ذلك دلالة على فساد قول الحسن والجبائي وابي مسلم ان ابني آدم كانا من بني اسرائيل وقيل معناه بعث الله غرابا يبحث التراب على القتيل فلما رآه قابيل ما اكرم الله به هابيل وانه بعث طيرا يواريه ويقبل قربانه قال يا ويلتى عن الاصم وقيل كان ملكا في صورة الغراب وفي هذا دلالة على ان الفعل من الغراب وان كان المعنى في الطير كان مقصودا ولهذا اضاف سبحانه بعثه الى نفسه ولم يقع اتفاقا كما قال ابن مسلم ولكنه تعالى الهمه وقال الجبائي كل ذلك كان معجزا مثل حديث الهدهد وحمله الكتاب ورده الجواب الى سليمان ويجوز ان يزيد الله سبحانه في فهم الغراب حتى يعرف هذا القدر كما ان صبياننا يفهمون عنا الشيء اي ليرى الغراب قابيل كيف يواري اي يغطي او يستر سوءة اخيه اي عورة اخيه وقال الجبائي يريد جيفة اخيه لانه كان تركه حتى انتن فقيل لجيفته سوءته قال يا ويلتى هنا حرف فان الغرض يلزمه كيف يواري سوءة اخيه فواراه فقال القاتل [illegible] يا ويلتى اعجزت ان اكون في العلم مثل هذا الغراب فاواري اي استر سوءة اخي والسوءة عبارة عما يكره وعما يكنى فاصبح من النادمين على قتله ولكن لم يندم على الوجه الذي يكون توبة يكون يندم على الشرب لانه يصدع فلذلك لم يقبل ندمه عن الجبائي وقيل من النادمين على حمله لا على قتله وقيل من النادمين على موت اخيه لا على ارتكاب الذنب **القصة** روت العامة عن جعفر الصادق عليه السلام قال لما قتل قابيل هابيل وتركه بالعراء لا يدري ما يصنع به فقصده السباع فحمله في جراب على ظهره حتى اروح وعكفت عليه الطير والسباع تنتظر متى يرمي به فتأكله فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل احدهما صاحبه ثم حفر له بمنقاره وبرجله ثم القاه في الحفيرة وواراه وقابيل ينظر اليه فدفن اخاه وعن ابن عباس قال لما قتل قابيل هابيل اشاك الشجر وتغيرت الاطعمة وحمضت الفواكه وامر الماء واغبرت الارض فقال آدم قد حدث في الارض حدث فاتى الهند فاذا قابيل قد قتل هابيل فانشأ يقول تغيرت البلاد ومن عليها فوجه الارض مغبر قبيح تغير كل ذي لون وطعم وقل بشاشة الوجه الصبيح وقال سالم بن ابي الجعد لما قتل قابيل هابيل مكث آدم حزينا لا يضحك ثم اتي فقيل له حياك الله وبياك اي اضحكك قال ولما مضى من عمر آدم مائة وثلاثون سنة وذلك بعد قتل هابيل بخمس سنين ولدت له حواء شيثا وتفسيره هبة الله يعني انه خلف من هابيل وكان وصي آدم وولي عهده فاما قابيل فقيل له اذهب طريدا شريدا فزعا مرعوبا لا يامن من يراه فذهب الى عدن من اليمن فاتاه ابليس فقال انما اكلت النار قربان هابيل لانه كان يعبدها فانصب انت نارا تكون لك ولعقبك فبنى بيت نار وهو اول من نصب النار وعبدها واتخذ اولاده الآلات واللهو من اليراع والطبول والمزامير والعيدان وانهمكوا في اللعب واللهو وشرب الخمر وعبادة النار والزنا والفواحش حتى غرقهم الله تعالى ايام نوح عليه السلام بالطوفان وبقي نسل شيث قوله عز وجل **من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس او فساد في الارض فكانما قتل الناس جميعا ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك في الارض لمسرفون** آية **القراءة** قرا ابو جعفر بن يزيد وحده من اجل ذلك مكسورة النون موصولة والباقون من اجل مقطوعة الهمزة مفتوحة **الحجة** قال ابن جني يقال فعلت ذلك من اجلك ومن اجلك ومن جللك ومن جلالك ومن جراك فيجب على هذا ان تكون قراءة ابي جعفر على تخفيف همزة اجل بحذفها والقاء حركتها على نون من كقولك في تخفيف كم ابلك كم بلك **اللغة** الاجل في اللغة الجناية يقال

يقال اجل عليهم شرا يأجله اجلا اذا جنى عليهم جناية قال خوات بن جبير واهل خباء صالح ذات بينهم قد احتربوا
في عاجل انا اجلته اي انا جانيه وفي هذا المعنى تقول جر عليهم جريرة ثم تقول فعلت ذلك من جراك ومن اجلك اي
من جريرتك كانه تقول انت اجررتني الى ذلك وانت جنيت علي هذا ومنه الاجل الوقت لانه يجر عليه العقد الاول
و اجل بمعنى نعم لانه انقياد الى ما جر اليه والاجل القطيع من بقر الوحش واجل لاجالا لان بعضها يجر الى بعض قال عدي
بن زيد اجل ان الله قد فضلكم فوق من احكأ صلبا بازار من اجل فحذف الجار فوصل الفعل ونصبه والاسراف الخروج
عن القصد والاقتصاد وضده التقصير والاقتصاد هو التعديل بلا اسراف ولا اقتار **الاعراب** اختلف في قوله من اجل
ذلك فقيل انه من صلة النادمين اي من اجل انه من حيث قتل اخاه لم يواره ندم وروي عن نافع انه كان يقف
على قوله من اجل ذلك من تمام الكلام الاول وعامة المفسرين على ان قوله من اجل ذلك ابتداء كلام وليس متصل
بما قبله واحتج ابن الانباري بهذا بانها راس آية فصل فقال ولا من جعله من صلة الندم اسقط العلة للكتابة وقد
جعل من صلة الكتابة لا يسقط معنى الندم اذ قد تقدم ما كشف عنه فكان هذا اولى **المعنى** ثم بين سبحانه التكليف
في باب القتل فقال من اجل ذلك قال الزجاج معناه من جناية ذلك وذلك اشارة الى قتل احد ابني آدم اخاه ظلما
كتبنا على بني اسرائيل اي حكمنا عليهم وفرضنا انه من قتل نفسا اي من قتل منهم نفسا ظلما بغير نفس اي بغير قود عن ابن عباس
او فساد في الارض او من قتل نفسا اي من قتل منهم نفسا ظلما بغير نفس اي بغير قود منهم بغير فساد كان منها في
الارض فاستحقت بذلك قتلها وفسادها في الارض انما يكون بالحرب لله ولرسوله واخافة السبيل على ما ذكره الله
في قوله انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله الآية فكانما قتل الناس جميعا قيل في تاويله اقوال احدها ان معناه
هو ان الناس كلهم خصماؤه في قتل ذلك الانسان وقد وترهم وتر من قصد لقتلهم جميعا فاوصل اليهم من المكروه
ما يشبه القتل الذي اوصله الى المقتول فكانه قتلهم كلهم ومن احياها استنقذها من حرق او غرق او هدم او ما يميت
لا محالة او يستنقذها من الضلال فكانما احيا الناس جميعا اي اجره على الله اجر من احياهم اجمعين لانه في اسداء المعروف
اليهم باحيائه اخاهم المؤمن بمنزلة من احيا كل واحد منهم عن مجاهد والزجاج واختاره ابن الانباري وهذا المعنى
مروي عن ابي عبد الله عليه السلم ثم قال وافضل ذلك ان يخرجها من ضلالة الى هدى وثانيها ان معناه من قتل
نبيا او امام عدل فكانما قتل الناس جميعا اي يعذب عليه كما لو قتل الناس كلهم ومن شد على عضد نبي او
امام عدل فكانما احيا الناس جميعا في استحقاق الثواب عن ابن عباس وثالثها ان معناه من قتل نفسا بغير
حق فعليه مأثم كل قاتل من الناس لانه سن القتل وسهله لغيره وكانه بمنزلة المشارك فيه ومن زجر عن قتلها
بما فيه حياتها على وجه يقتدى به فيه بان يعظم تحريم قتلها كما حرمه الله تعالى فلم يقدم على قتلها لذلك فقد احيى
الناس بسلامتهم منه فذلك احياؤه اياها عن ابي علي الجبائي وهو اختيار الطبري ويؤيده قوله عليه السلم وآله من
سن سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها الى يوم القيمة ومن سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيمة
ورابعها ان المراد فكانما قتل الناس جميعا عند المقتول ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا عند المستنقذ عن
ابن مسعود وغيره من الصحابة وخامسها ان معناه يجب عليه من القصاص من قتلها مثل الذي يجب عليه لو قتل الناس
جميعا ومن عفا عن دمها وقد وجب القود عليها فكانما احيا الناس جميعا عن الحسن وابن زيد والله سبحانه
هو المحيي للخلق لا يقدر على خلق الحياة غيره وانما قال احياها على سبيل المجاز كما حكي عن نمرود انا احيي واميت
فاستبقى واحدا وقتل الآخر وقوله قد جاءتهم رسلنا بالبينات معناه ولقد اتت بني اسرائيل الذين ذكرنا قصصهم
واخبارهم رسلنا بالآيات الواضحة والمعجزات الدالة على صدقهم وصحة نبوتهم ثم ان كثيرا منهم يعني من بني اسرائيل
بعد ذلك في الارض لمسرفون اي مجاوزون حد الحق بالشرك عن الكلبي وبالقتل عن غيره والاولى ان يكون عاما في كل

مجاوزة عن الحق ويؤيده ما روي عن ابي جعفر عليه السلام المسرفون هم الذين يستحلون المحارم ويسفكون الدماء
قوله عز وجل **انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع
ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الارض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم الا الذين
تابوا من قبل ان تقدروا عليهم فاعلموا ان الله غفور رحيم** آيتان **اللغة** اصل النفي الاهلاك بالاعدام
ومنه النفاية لردي المتاع ومنه النفي وهو ما يطاير من الماء عن الدلو قال الراجز كان متنيه من النفي مواقع
الطير على الصفي والنفي الطرد قال اوس بن حجر ينفون عن طرق الكرام كما ينفي المطارق ما يلي القرد والخزي الفضيحة
يقال خزي يخزى خزيا اذا افتضح وخزي يخزى خزاية فهو خزيان اذا استحيا وخزوته اخزوه اذا سسته ومنه
قول لبيد واخزها بالبر لله الاجل **الاعراب** فسادا مصدر وضع موضع الحال اي يسعون في الارض مفسدين
وان يقتلوا في موضع رفع بانه خبر المبتدأ الذي هو جزاء والذين تابوا يحتمل ان يكون في موضع رفع بالابتداء
وخبره فاعلموا ان الله غفور رحيم ويجوز ان يكون في موضع نصب بالاستثناء من قوله ان يقتلوا الى ما بعد الحد
النزول اختلف في سبب نزول الآية فقيل نزلت في قوم كان بينهم وبينه موادعة فنقضوا العهد وافسدوا
في الارض عن ابن عباس والضحاك وقيل نزلت في اهل الشرك عن الحسن وعكرمة وقيل نزلت في العرنيين لما نزلوا
المدينة مظهرين الاسلام فاستوخموها واصفرت الوانهم فامرهم النبي صلى الله عليه وآله ان يخرجوا الى ابل الصدقة
فيشربوا من البانها وابوالها ففعلوا ذلك وصحوا ثم مالوا الى الرعاة فقتلوهم واستاقوا الابل فارتدوا عن
الاسلام فاخذهم النبي صلى الله عليه وآله فقطع ايديهم وارجلهم من خلاف وسمل اعينهم عن قتادة وسعيد
بن جبير والسدي وقيل نزلت في قطاع الطريق عن اكثر المفسرين وعليه جل الفقهاء **المعنى** لما قدم سبحانه ذكر القتل
وحكمه عقبه بذكر قطاع الطريق والحكم فيهم فقال انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا
المروي عن اهل البيت عليهم السلم ان المحارب كل من شهر السلاح واخاف الطريق سواء كان في المصر او خارج المصر
فان اللص المجاهر في المصر وخارج المصر سواء وهو مذهب الشافعي والاوزاعي ومالك وذهب ابو حنيفة واصحابه
الى ان المحارب هو قاطع الطريق في غير المصر وهو المروي عن عطاء الخراساني والمعنى في قوله انما جزاؤهم الا هذا
عن الزجاج قال لان القائل اذا قال جزاؤك دينار فيجوز ان يكون معه غيره واذا قال انما جزاؤك دينار كان المعنى
ما جزاؤك الا دينار ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف وابو عبد الله عليه السلم ان جزاء المحارب
على قدر استحقاقه فان قتل فجزاؤه ان يقتل وان قتل واخذ المال فجزاؤه ان يقتل ويصلب وان اخذ المال ولم يقتل
فجزاؤه ان تقطع يده ورجله من خلاف وان اخاف السبيل فقط فانما عليه النفي لا غير وبه قال ابن عباس وسعيد بن
جبير وقتادة والسدي والربيع وعلى هذا فان او ليست للاباحة هنا وانما هي مرتبة الحكم باختلاف الجنايات وقال
الشافعي ان اخذ المال جهرا كان للامام صلبه حيا ولم يقتل قال ويحد كل واحد بقدر فعله فمن وجب عليه القتل
والصلب قتل قبل صلبه كراهية تعذيبه ويصلب ثلاثا ثم ينزل قال ابو عبيدة سألت محمد بن الحسن عن قوله
او يصلبوا فقال هو ان يصلب حيا ثم يطعن بالرماح حتى يقتل وهو راي ابي حنيفة فقيل له هذا مثلة فقال المثلة
الادب وقيل ان معنى او ههنا الاباحة والتخيير ان شاء الامام قتل وان شاء صلب وان شاء نفى عن الحسن وسعيد بن
المسيب ومجاهد وقد روى ذلك ايضا عن ابي عبد الله عليه السلم وقوله من خلاف معناه اليد اليمنى والرجل اليسرى او
ينفوا من الارض قيل فيه اقوال فالذي يذهب اليه اصحابنا الامامية ان ينفى من بلد الى بلد الى ان يتوب ويرجع وقد
قال الحسن وابن عباس والسدي وسعيد بن جبير وغيرهم واليه ذهب الشافعي واصحابنا ولا يمكن من الدخول الى بلاد
الشرك ويقاتل المشركون على تمكينهم من الدخول الى بلادهم حتى يتوبوا وقيل هي ان ينفى من بلده الى بلد غيره عن عمر بن

عبد العزيز وعن سعيد بن جبير وفي رواية اخرى وقال ابو حنيفة واصحابه ان النفي هو الحبس والسجن واحتجوا بان
المسجون يكون بمنزلة المخرج من الدنيا اذا كان ممنوعا من التصرف محولا بينه وبين اهله مع معاناته مع الشدايد
في الحبس وانشد قول بعض المسجونين خرجنا من الدنيا ونحن من اهلها فلسنا من الاحياء فيها ولا الموتى اذا جانا السجان
يوما لحاجة عجبنا وقلنا جا هذا من الدنيا ذلك اي فعل ما ذكرناه لهم خزي اي فضيحة وهوان في الدنيا ولهم في الآخرة
عذاب عظيم زيادة على ذلك وفي هذا دلالة على بطلان قول من ذهب الى ان اقامة الحد وذلك يكفر المعاصي لانه سبحانه
بين ان لهم في الآخرة عذابا عظيما مع انه اقيمت عليهم الحدود والمعنى انهم يستحقون العذاب العظيم وليس في الآية انه يفعل بهم
ذلك لا محالة لانه يجوز ان يعفو الله عنهم ويتفضل عليهم باسقاط ما يستحقونه من العذاب الا الذين
تابوا من قبل ان تقدروا عليهم لما بين سبحانه حكم المحارب استثنى من جملتهم من يتوب مما ارتكبه قبل ان يوخذ ويقدر
عليه لان توبته بعد قيام البينة عليه ووقوعه في يد الامام لا ينفعه بل يجب اقامة الحد عليه فاعلموا ان الله غفور
رحيم يقبل توبته ويدخل الجنة وفي هذه الآية حجة على من قال لا يصح التوبة من معصية مع الاقامة على معصية
اخرى يعلم صاحبها انها معصية لانه تعالى علق بالتوبة حكما لا يحل به الاقامة على معصية هي السكر او غيره قوله عز وجل
يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون آية اللغة واصل الاتقا في
اللغة الحجز بين الشيئين يقال اتقى السيف بالترس ويقال اتقوا الغريم بحقه والوسيلة فعيلة من قولهم توسلت اليه
اي تقربت قال عنترة بن شداد ان الرجال لهم اليك وسيلة ان ياخذوك تكحلي وتخضبي ويقال وسل اليه اي تقرب قال لبيد
بلى كل ذي راي الى الله واسل فمعنى الوسيلة الوصلة والقربة المعنى لما تقدم ذكر القتل والمحاربين عقبه ذلك بالموعظة
والامر بالتقوى فقال يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله اي معاصيه واجتنبوها وابتغوا اليه الوسيلة اي اطلبوا اليه القربة
بالطاعات عن الحسن ومجاهد وعطا والسدي وغيرهم فكانه قال تقربوا اليه بما يرضيه من الطاعات وقيل الوسيلة
افضل درجات الجنة عن عطا وروي عن النبي صلى الله عليه واله سلوا الله لي الوسيلة فانها درجة في الجنة لا ينالها
الا عبد واحد ارجو ان اكون انا هو وروى سعد بن طريف عن الاصبغ بن نباتة عن علي بن ابي طالب عم قال في الجنة
لؤلؤتان الى بطنان العرش احدهما بيضاء والاخرى صفراء في كل واحدة منهما سبعون الف غرفة ابوابها واكوابها
من عرق واحد فالبيضاء الوسيلة لمحمد صلى الله عليه واله واهل بيته والصفراء لابرهيم واهل بيته وجاهدوا في
سبيله اي في طريق دينه مع اعدائه امر الله سبحانه بالجهاد في سبيل الله لانه وصلة الى ثوابه والسبيل الطريق الى
العلم به والتعرض للشيء طريق الى الوقوع فيه واللطف طريق الى الطاعة والجهاد في سبيل الله قد يكون باللسان واليد
والقلب بالسيف والقول والكتاب لعلكم تفلحون اي لكي تظفروا بنعيم الابد يعني اعملوا على رجاء الفلاح والفوز
وقيل لعل وعسى من الله واجب فكانه قال اعملوا لتفلحوا قوله عز وجل ان الذين كفروا لو ان لهم ما في الارض جميعا
ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيمة ما تقبل منهم ولهم عذاب اليم يريدون ان يخرجوا من النار وما هم
بخارجين منها ولهم عذاب مقيم آيتان الاعراب خبر ان في لو وجوابها وقوله لهم عذاب اليم يحتمل ان يكون في موضع الحال
وان يكون في موضع الحال وان يكون عطفا على خبر ان ولا يجوز ان يكون الخبر يريدون ان يخرجوا من النار وما هم
بخارجين منها ولو في موضع الحال كما تقول مررت بزيد لو رآه عدوه لرحمه انه في موضع معتمد الفائدة مع ان الثاني
في استيناف آية وانما حسن لو بما ولم يحسن ان يجاب ان بما لان ما لها صدر الكلام وجواب لولا يخرجها من هذا
المعنى كما لا يخرجها جواب القسم الآية لانه غير عامل وان عاملة فلذلك صلح ان يجاب ان بلا ولم يصلح ان يجاب
بما تقول ان تاتني لا يحقك سوء ولا يجوز ما لان لا تنفي عما بعدها ما وجب لما قبلها في اصل موضوعها كقولك قام زيد
لا عمرو وما تنفي عما قبلها ما لم يجب لغيرها فلذلك كان لها صدر الكلام المعنى ثم اخبر سبحانه عن وعيد الكفار فقال ان الذين

كفروا لو ان لهم ولكل واحد منهم ما في الارض جميعا من المال والولاية والملك ومثله معه اي مثل ذلك معها ليفتدوا به
اي ليجعلوا ذلك فداهم وبدلهم من عذاب يوم القيمة الذي يستحقونه على كفرهم فافتدوا بذلك ما تقبل منهم ذلك الفداء
ولهم عذاب اليم اي وجيع يريدون ان يخرجوا من النار اي يتمنون بان يخرجوا من النار عن ابي علي الجبائي قال ان الارادة
هنا بمعنى التمني وقيل معناه الارادة على الحقيقة اي كلما دفعتهم النار بلهبها رجوا ان يخرجوا منها وهو كقوله كلما ارادوا
ان يخرجوا منها اعيدوا فيها عن الحسن وقيل معناه يكادون يخرجون منها اذا رفعتهم بلهبها كما قال سبحانه جدارا يريد
ان ينقض اي يكاد ويقارب فان قال قايل كيف يجوز ان يريدوا الخروج من النار مع علمهم بانهم لا يخرجون منها
فالجواب ان العلم بالشيء لا يكون صرفا عن ارادته كما ان العلم بانه يكون لا يصرف عن ارادته وانما الداعي الى الارادة
حسنها والحاجة اليها وما هم بخارجين منها يعني جهنم ولهم عذاب مقيم اي دايم ثابت لا يزول ولا يحول كما قال الشاعر
فان لكم بيوم الشعب مني عذابا دايما لكم مقيما قوله عز وجل والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا نكالا
من الله والله عزيز حكيم فمن تاب من بعد ظلمه واصلح فان الله يتوب عليه ان الله غفور رحيم الم تعلم ان الله له
ملك السموات والارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير ثلاث آيات الاعراب قال
سيبويه وكثير من النحويين ارتفع السارق والسارقة على معنى وفيما فرض عليكم السارق والسارقة اي حكم السارق
والسارقة ومثله قوله جل وعز الزانية والزاني فاجلدوا واللذان ياتيانها منكم فآذوهما قال سيبويه والاختيار
في هذا النصب في العربية كما تقول زيدا اضربه وابت العامة القراءة الا بالرفع يعني بالعامة الجماعة وقرا عيسى بن عمر
والسارق والسارقة وكذلك الزانية والزاني وقال ابو العباس المبرد الاختيار فيه الرفع بالابتداء لان القصد ليس الى
واحد بعينه وليس هو مثل قولك زيدا فاضربه انما هو كقولك من سرق فاقطع يده ومن زنا فاجلده قال الزجاج وهذا
القول هو المختار ودخلت الفاء في الخبر لشرط المنوي وذكر في قراءة ابن مسعود والسارقون والسارقات فاقطعوا
ايمانهم وانما قال ايديهما ولم يقل يديهما لانه اراد يمينا من هذا ويمينا من هذه فجمع اذ ليس في الجسد الا يمين واحدة قال
الفراء وكل شيء يوجد من خلق الانسان اذا ذكر مضافا الى اثنين فصاعدا جمع فقيل قد هشمت رؤوسهما وملأت ظهورهما
وبطونهما ضربا ومثله قوله ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما قال وانما اختير الجمع على التثنية لان اكثر ما يكون عليه الجوارح
اثنان اثنان في الانسان كاليدين والرجلين واثنان من اثنين جمع كذلك فقالوا قطعت ارجلهما وفقأت عيونهما فلما اجري
الاكثر على هذا ذهب بالواحد اذا اضيف الى اثنين مذهب الاثنين قال ويجوز التثنية كقول الهذلي فتخالسا نفسيهما
بنوافذ كنوافذ العبط التي لا ترقع لانه الاصل ويجوز هذا ايضا فيما ليس من خلق الانسان كقولك للاثنين خليتما نساءكما
وانت تريد امراتين قال ويجوز التوحيد ايضا لو قلت في الكلام السارق والسارقة فاقطعوا يمينهما جاز لان المعنى اليمين من كل
واحد منهما كما قال الشاعر كلوا في بعض بطنكم تعيشوا ويجوز في الكلام ان تقول ائتني براس شاتين وائتني شاة فمن قال
براس شاتين اراد الراس من كل شاة منهما ومن قال براسي شاة اراد راسي هذا الجنس وقال الزجاج انما جمع ما كان في
الشيء منه واحد عند الاضافة الى اثنين لان الاضافة تبين ان المراد بذلك الجمع التثنية لا الجمع وذلك انك اذا قلت
اشبعت بطونهما علم ان للاثنين بطنين فقط واصل التثنية الجمع لانك اذا ثنيت الواحد فقد جمعت واحدا الى واحد وربما
كان لفظ الجمع اخف من لفظ الاثنين فيختار لفظ الجمع ولا يشكل ذلك بالتثنية عند الاضافة الى اثنين لانك اذا قلت فلو
فالتثنية في هما فقد اغنتك عن تثنية قلت قال وان ثني ما كان في الشيء منه واحد فذلك جائز عند جميع النحويين
وانشد ظهراهما مثل ظهور الترسين فجاء باللغتين وهذا انما حكينا في قول الهذلي فتخالسا نفسيهما البيت وقوله جزاء
بما كسبا قال الزجاج انتصب جزاء بانه مفعول له وكذلك نكالا من الله وان شئت كانا منصوبين على المصدر الذي دل
عليه فاقطعوا لان معنى فاقطعوا جازوهم ونكلوا بهم قال الازهري نقول نكلته ينكل غيره نكالا عن مثل فعله من نكل ينكل اذا جبن

المعنى لما ذكر سبحانه الحكم فيمن اخذ المال جهارا عقبه ببيان الحكم فيمن اخذ المال سرا فقال والسارق والسارقة
فالالف واللام للجنس والمعنى كل من سرق رجلا كان او امراة وبدء بالسارق هنا لان الغالب وجود السرقة في الرجال
وبدء في الزنا بالنساء فقال الزانية والزاني لان الغالب وجود ذلك في النساء فاقطعوا ايديهما اي ايمانهما عن ابن عباس
والحسن والسدي وعامة التابعين قال ابو علي في خطى المسلمين الى قطع الرجل اليسرى بعد قطع اليد اليمنى وتركهم
قطع اليد اليسرى دلالة على ان اليد اليسرى لم يرد بقوله فاقطعوا ايديهما الا ترى انها لو اريدت بذلك لم يكونوا عوض
القراة الى غيره وهذا يدل على ان جميع اليد في هذه الآية على حد جمع القلب في قوله فقد صغت قلوبكما وقد دل
قراة عبد الله بن مسعود على ان المراد بالايدي الايمان وقال العلماء ان هذه الآية مجملة في ايجاب قطع اليد على السارق
وبيان ذلك ماخوذ من السنة واختلف في القدر الذي تقطع به يد السارق فقال اصحابنا تقطع في ربع دينار فصاعدا
وهو مذهب الشافعي والاوزاعي وابي ثور ورووا عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال لا تقطع يد
السارق الا في ربع دينار فصاعدا وذهب ابو حنيفة واصحابه انه تقطع في عشرة دراهم فصاعدا واحتجوا بما روى
عن عطاء عن ابن عباس ان ادنى ما تقطع فيه ثمن المجن وكان ثمن المجن على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله
عشرة دراهم وذهب مالك انه تقطع في ثلثة دراهم فصاعدا وروى عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه
وآله قطع سارقا في مجن ثمنه ثلثة دراهم وقال بعضهم لا تقطع الخمس الا في خمسة دراهم واختاره ابو علي الجبائي
وقال لانه بمنزلة من منع خمسة دراهم من الزكوة في انه فاسق وقال بعضهم تقطع يد السارق في القليل والكثير
واليه ذهب الخوارج واحتجوا بعموم الآية وبما روى عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال لعن الله السارق يسرق
البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده وهذا الخبر مطعون عند اصحاب الحديث في سنده وذكر ايضا في تاويله
ان المراد بالبيضة بيضة الحديد التي تغفر الراس في الحرب وبالحبل حبل السفينة واختلف ايضا في كيفية القطع
فقال اكثر الفقهاء انه انما تقطع من الرسغ وهو المفصل بين الكف والساعد ثم ان عند الشافعي تقطع يده اليمنى
في المرة الاولى ورجله اليسرى في المرة الثانية ويده اليسرى في المرة الثالثة ورجله اليمنى في المرة الرابعة ويحبس
في المرة الخامسة وعند ابي حنيفة لا تقطع في الثالثة وقال اصحابنا انه تقطع من اصول الاصابع ويترك الابهام والكف
في المرة الثانية تقطع رجله اليسرى من اصل الساق ويترك عقبه يعتمد عليها في الصلوة فان سرق بعد ذلك خلد
السجن وهو المشهور عن علي عليه السلم واجمعت الطائفة عليه وقد استدل ايضا على ذلك بقوله سبحانه فويل للذين يكتبون
الكتاب بايديهم ولا شك في انهم انما يكتبونه بالاصابع ولا خلاف ان السارق انما يجب عليه القطع اذا سرق من حرز
الا ما روى عن داود انه قال تقطع السارق وان سرق من غير حرز والحرز هو كل شيء انما يعتبر فيه حرز مثله في
العادة وحده عندنا كل موضع لم يكن لغير المالك الدخول اليه والتصرف فيه الا باذنه جزاء بما كسبا اي فعلوا ذلك
بهما مجازاة بكسبهما وفعلهما نكالا من الله اي عقوبة على ما فعلاه قال زهير ولولا ان ينال ابا طريف عذاب من
حريم ونكالا اي عقوبة فمن تاب من بعد ظلمه اي اقلع وندم على ما كان منه من فعل الظلم بالسرقة واصلح اي فعل
الفعل الصالح الجميل فان الله يتوب عليه اي يقبل توبته باسقاط العقاب بها عن المعصية التي تاب منها ووصف الله
تعالى بانه يتوب على التائب فيه فائدة عظيمة وهي ان في ذلك ترغيبا للعاصي في فعل التوبة ولذلك وصف الله
سبحانه نفسه بالتواب الرحيم ووصف العبد بانه تواب ومعناه اواب وهو من صفات المدح ان الله غفور
رحيم فيه دلالة على ان قبول التوبة تفضل من الله تعالى الم تعلم قيل هو خطاب للنبي صلى الله عليه وآله والمراد به
امته كقوله يا ايها النبي اذا طلقتم النساء وقيل هو خطاب للمكلف وتقديره الم تعلم ايها الانسان وانما يستعمل هذا الخطاب
بما تعلمه فيه اتصال الحجاج والبيان عن صحة ما تقدم من الوعد والوعيد والاحكام ومعناه الم تعلم يا انسان ان الله

له ملك السموات والارض اي له التصرف فيهما بلا دافع ولا منازع يعذب من يشاء اذا كان مستحقا للعقاب ويغفر لمن يشاء
اذا عصاه ولم يتب لانه اذا تاب بعد وعده سبحانه بانه لا يؤاخذه بذلك بعد التوبة وعند اهل الوعيد يقبح منه ان يؤاخذه
بعد التوبة وعلى الوجهين معا لا تعلق لذلك بالمشية والله على كل شيء قدير تقدم معناه قوله عز وجل يا ايها الرسول لا يحزنك
الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب
سماعون لقوم آخرين لم ياتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه وان لم تؤتوه
فاحذروا ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم لهم في
الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم آية اللغة سماعون للكذب اي قابلون له يقال لا تسمع من فلان
قوله اي لا تقبل منه وهو سمع الله لمن حمده اي تقبل الله منه حمده وفيه وجه آخر وهو ان معناه انهم يسمعون
منك ليكذبوا عليك والسماع الجاسوس والفتنة الاختبار واصله التخليص من قولهم فتنت الذهب في النار
اي خلصته من الغش الاعراب ارتفع سماعون لانه خبر مبتدأ محذوف وفيه اي سماعون ويجوز ان يقع
على معنى ومن الذين هادوا سماعون فيكون مبتدأ على قول سيبويه ومعمولا لمنهم على قول الاخفش ويكون
تقديره منهم فريق سماعون للكذب وقوله لم ياتوك في موضع جر لانه صفة لقوم وقوله يحرفون الكلم صفة لقوله
سماعون فيكون موضعه رفعا ويجوز ان يكون موضعه نصبا على انه حال من الضمير في اسم الفاعل اي محرفين الكلم
بمعنى مقدرين تحريفها اي يسمعون كلام النبي ويقدرون في انفسهم تحريف ما يسمعون كقولهم مررت برجل معه صقر صائدا به
غدا وقوله من بعد مواضعه من باب حذف المضاف والتقدير من بعد وضعه كلامه مواضعه ولو قال
في معناه عن مواضعه لجاز لان معناهما متقارب كما تقول اتيتك بعد فراغي من الشغل وعن فراغي منه ولا يجوز
ان تقول رميت بعد القوس بدلا من قولك رميت عن القوس لان المعنى يختلف وذلك ان عن لما عدا الشيء
الذي هو كالسبب له وبعد انه لما تاخر عن كون الشيء مما صح فيه معنى السبب ومعنى التاخر جاز فيه الامران ولم يصح
فيه الا احد الامرين لم يجز الا احد الحرفين النزول قال الباقر عليه السلم وجماعة من المفسرين ان امراة من خيبر ذات
شرف بينهم زنت مع رجل من اشرافهم وهما محصنان فكرهوا رجمهما فارسلوا الى يهود المدينة وكتبوا اليهم ان يسالوا
النبي صلى الله عليه وآله عن ذلك طمعا في ان ياتي لهم برخصة فانطلق قوم منهم كعب بن الاشرف وكعب بن اسيد
وشعبة بن عمرو ومالك بن الصيف وكنانة بن ابي الحقيق وغيرهم فقالوا يا محمد اخبرنا عن الزاني والزانية اذا
احصنا فاخبرهما فقال وهل ترضون بقضائي في ذلك فقالوا نعم فنزل جبرئيل عليه السلم بالرجم فاخبرهم بذلك فابوا
ان ياخذوا به فقال له جبرئيل اجعل بينك وبينهم ابن صوريا ووصفه له فقال النبي صلى الله عليه وآله هل تعرفون
شابا امرد ابيض اعور يسكن فدك يقال له ابن صوريا قالوا نعم قال فاي رجل هو فيكم قالوا هو اعلم يهودي على ظهر
الارض بما انزل الله على موسى قال فارسلوا اليه ففعلوا فاتاهم عبد الله بن صوريا فقال له النبي صلى الله عليه وآله
اني انشدك الله الذي لا اله الا هو الذي انزل التوراة على موسى وفلق لكم البحر فانجاكم واغرق آل فرعون وظلل
عليكم الغمام وانزل عليكم المن والسلوى هل تجدون في كتابكم الرجم على من احصن فقال ابن صوريا نعم والذي
ذكرتني به لولا خشية ان يحرقني رب التوراة ان كذبت او غيرت ما اعترفت لك ولكن اخبرني كيف هي في كتابك
يا محمد قال اذا شهد اربعة رهط عدول انه قد ادخله فيها كما يدخل الميل في المكحلة وجب عليه الرجم فقال ابن صوريا
هكذا انزل الله في التوراة على موسى فقال له النبي صلى الله عليه وآله فما كان اول ما ترخصتم به امر الله قال كنا اذا
زنا الشريف تركناه واذا زنا الضعيف اقمنا عليه الحد فكثر الزنا في اشرافنا حتى زنى ابن عم ملك لنا فلم نرجمه ثم زنا
رجل آخر فاراد الملك رجمه فقال له قومه لا حتى ترجم فلانا يعنون ابن عمه فقال تعالوا نجتمع فلنضع شيئا دون الرجم

يكون على الشريف والوضيع فوضعنا الجلد والتحميم وهو ان يجلد اربعين جلدة ثم تسود وجوههما ثم يحملان على حمارين
ويجعل وجوههما من قبل دبر الحمار ويطاف بهما فجعلوا هذا مكان الرجم فقال اليهود لابن صوريا ما اسرع ما اخبرته
به وما كنت لما اثنينا عليك باهل ولكنك كنت غائبا فكرهنا ان نغتابك فقال انه انشدني بالتوراة ولولا ذلك لما
اخبرته به فامر بهما النبي صلى الله عليه وآله فرجما عند باب المسجد وقال انا اول من احيا امرك اذ اماتوه فانزل الله
فيه يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير فقام ابن صوريا
فوضع يديه على ركبتي رسول الله صلى الله عليه وآله ثم قال هذا مقام العائذ بالله وبك من ان تذكر لنا الكثير الذي امرت
ان تعفو عنه فاعرض النبي صلى الله عليه وآله عن ذلك ثم سأل ابن صوريا عن نومه فقال تنام عيني ولا ينام قلبي
فقال صدقت فاخبرني عن شبه الولد بابيه ليس فيه من شبه امه شيء او بامه ليس فيه من شبه ابيه شيء فقال ايهما علا
وسبق ماؤه ماء صاحبه كان الشبه له قال صدقت فاخبرني ما للرجل من الولد وما للمرأة منه قال فاغمي على
رسول الله صلى الله عليه وآله طويلا ثم خلي عنه محمرا وجهه يفيض عرقا فقال اللحم والدم والظفر والشعر للمرأة والعظم
والعصب والعروق للرجل قال له صدقت امرك امر نبي فاسلم ابن صوريا عند ذلك وقال يا محمد من يأتيك من
الملائكة قال جبرئيل قال صفه لي قال فوصفه النبي صلى الله عليه وآله فقال اشهد انه في التوراة كما قلت وانك
رسول الله حقا فلما اسلم ابن صوريا وقعت فيه اليهود وشتموه فلما ارادوا ان ينهضوا تعلقت بنو قريظة ببني
النضير فقالوا يا محمد اخواننا بنو النضير ابونا واحد وديننا واحد ونبينا واحد اذا قتلوا منا قتيلا لم يقد ونا
واعطونا ديته سبعين وسقا من تمر واذا قتلنا منهم قتيلا قتلوا القاتل واخذوا منا الضعف مائة واربعين
وسقا من تمر وان كان القتيل امرأة قتلوا بها الرجل منا وبالرجل منهم الرجلين منا وبالعبد الحر منا وجراحاتنا
على النصف من جراحاتهم فاقض بيننا وبينهم فانزل الله في الرجم والقصاص الآيات المعنى لما تقدم ذكر اليهود والنصارى
عقبه تسلية للنبي صلى الله عليه وآله وامانه من كيدهم فقال يا ايها الرسول لا يحزنك اي لا يغمك وقرئ لا يحزنك
ومعناهما واحد الذين يسارعون اي مسارعة الذين يسارعون في الكفر اي يبادرون اليه بالاصرار عليه والتمسك
به من المنافقين الذين قالوا آمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا اي من اليهود سماعون للكذب
قيل هو كناية عن اليهود والمنافقين وقيل هو عن اليهود خاصة والمعنى سماعون قولك ليكذبوا عليك سماعون
كلامك لقوم آخرين ما يأتوك ليكذبوا عليك اذا رجعوا اليهم ، عون عليك لانهم كانوا رسل خيبر واهل خيبر
لم يحضروا عن الحسن والزجاج واختاره ابو علي وقيل معنى سماعون اي قابلون للكذب سماعون لقوم
آخرين ارسلوهم في قصة زان محصن فقالوا لهم ان افتاكم محمد بالجلد فخذوه وان افتاكم بالرجم فلا تقبلوا لانهم
كانوا حرفوا حكم الرجم الذي في التوراة عن ابن عباس وجابر وسعيد بن المسيب والسدي وقيل انما كان ذلك
في قتيل منهم فقالوا ان افتاكم بالدية فاقبلوا وان افتاكم بالقود فاحذروه عن قتادة وقال ابو جعفر عليه السلم
ذلك في امر بني النضير وبني قريظة يحرفون الكلم اي كلام الله تعالى من بعد مواضعه اي من بعد ان وضعه الله مواضعه
اي فرض فروضه واحل حلاله وحرم حرامه يعني بذلك ما غيروه من حكم الله في الزنا ونقلوه من الرجم الى اربعين
جلدة عن جماعة من المفسرين وقيل نقلوا حكم القتل من القود الى الدية حين كثر القتل فيهم عن قتادة وقيل
اراد به تحريفهم التوراة بتحليلهم الحرام وتحريمهم الحلال فيها وقيل معناه يحرفون كلام النبي صلى الله عليه وآله
بعد سماعه ويكذبون عليه عن الحسن وابي علي الجبائي وكانوا يكسبون ذلك الى خيبر وكان اهل خيبر حربا لرسول الله
صلى الله عليه وآله وهذا تسلية للنبي يقول ان اليهود كيف يؤمنون بك مع انهم يحرفون كلام الله تعالى في التوراة
ويحرفون كلامك يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه وان لم تؤتوه فاحذروا اي يقول يهود خيبر ليهود المدينة ان اعطيتم

هذا اي ان امركم محمد بالجلد فاقبلوه وان لم تعطوه يعني الجلد بل اي ان افتاكم محمد بالرجم فاحذروه عن الحسن
معناه ان اوتيتم الدية فاقبلوه وان اوتيتم القود فلا تقبلوه ومن يرد الله فتنته قيل فيه اقوال احدها ان الفتنة العذاب
اي من يرد الله عذابه كقوله على النار يفتنون اي يعذبون وقوله ذوقوا فتنتكم اي عذابكم عن الحسن وقتادة واختاره
الجبائي وابو مسلم وثانيها ان معناه من يرد الله اهلاكه عن السدي والضحاك وثالثها ان المراد من يرد الله
خزيه وفضيحته باظهار ما ينطوي عليه عن الزجاج ورابعها ان المراد من يرد الله اختباره بما يبتليه من القيام
بحدوده فيدع ذلك ويحرفه والاصح الاول فلن تملك له من الله شيئا اي فلن تستطيع ان تدفع لاجله امر الله
الذي هو من العذاب او الفضيحة او الهلاك شيئا اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم معناه اولئك اليهود
لم يرد الله ان يطهرها من عقوبات الكفر التي هي الختم والطبع والضيق قلوبهم كما طهر قلوب المؤمنين فيها بان
كتب في قلوبهم الايمان وشرح صدورهم منه مدحا وحسب الايمان عن البلخي قال القاضي وهذا لا يدل على انه سبحانه لم يرد منهم
الايمان لان ذلك لا يعقل من تطهير القلب الا على جهة التوسع ولان قوله لم يرد الله ان يطهر قلوبهم يقتضي نفي
كونه مريدا وليس فيه بيان الذي يريد ذلك عليه والمراد بذلك انه لم يرد تطهير قلوبهم مما يلحقها من الغموم بالذم
والاستحقاق والعقاب ولذلك قال عقيبه لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم ولو كان اراد ما قاله المجبرة
لم يجعل ذلك ذما لهم ولا عقبه بالذم ولا جعله في حكم الجزاء على ما لاجله عاقبهم واراد ذلك فيهم الخزي الذي لهم
في الدنيا هو ما لحقهم من الذل والصغار والفضيحة بالزام الجزية واظهار كذبهم في كتمان الرجم واجلاء بني النضير
من ديارهم وخزي المنافقين باطلاع النبي على كفرهم قوله عز وجل سماعون للكذب اكالون للسحت فان جاؤك
فاحكم بينهم بالقسط ان الله يحب المقسطين وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون
من بعد ذلك وما اولئك بالمؤمنين آيتان القراءة السحت بضم السين والحاء مكي بصري وابو جعفر والكسائي
وقراءة الباقون السحت باسكان الحاء الحجة قال ابو علي السحت والسحت لغتان وهما التخفيف والتثقيل في هذا النحو
وهما اسم الشيء المسحوت كما اوقع الضرب على المضروب في قولهم هذا الدرهم ضرب الامير والصيد على المصيد في قوله
ولا تقتلوا الصيد وانتم حرم اللغة اصل السحت الاستئصال يقال سحته واسحته اي استأصله ومن اسحت قول الفرزدق
وعض زمان يا ابن مروان لم يدع من المال الا مسحتا او مجلف ويقال للحالق اسحت اي استأصل وفلان مسحوت
المعدة اذا كان اكولا لا يشبع واسحت ماله افسده واذهبه والحكم هو فصل الامر على وجه الحكمة فيما فصل به وقد
يفصل بالبيان انه الحق وقد يفصل بالزام الحق والاخذ به كما يفصل الحكام بين الخصوم بما يقطع الخصومة ويبت القضية
والتولي الانصراف عن الشيء والتولي عن الحق الترك له وهو خلاف التولي اليه لانه الاقبال عليه والتولي له هو صرف
النصرة والمعونة اليه المعنى ثم وصفهم الله سبحانه فقال سماعون للكذب وقد مر تفسيره ثم اعاده سبحانه ذمهم على استماع
الكذب او قبوله تأكيدا وتشديدا ومبالغة في الزجر عنه اكالون للسحت اي ياكلون الاكل للسحت وهو الحرام وروي
عن النبي صلى الله عليه وآله ان السحت هو الرشوة في الحكم وهو المروي عن ابن مسعود عن الحسن وقيل السحت الرشوة في
الحكم ومهر البغي وكسب الحجام وعسيب الفحل وثمن الكلب وثمن الخمر وثمن الميتة وحلوان الكاهن والاستجعال
في المعصية عن علي عليه السلم وروي عن ابي عبد الله عليه السلم ان السحت انواع كثيرة واما الرشا في الحكم فهو الكفر بالله
وقيل في اشتقاق السحت اقوال احدها ان الحرام انما سمي سحتا لانه يعقب عذاب الاستئصال والبوار عن الزجاج وثانيها
انه انما سمي سحتا لانه لا بركة فيه لاهله فيهلك هلاك الاستئصال عن الجبائي وثالثها انه انما سمي سحتا لانه القبيح الذي
فيه العار نحو ثمن الكلب والخمر فعلى هذا السحت مروءة الانسان عن الخليل فان جاؤك فاحكم بينهم او اعرض عنهم اراد به اليهود
الذين تحاكموا الى النبي صلى الله عليه وآله في حد الزنا عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقيل انه اراد بني قريظة وبني النضير لما تحاكموا

الية فخيره الله بين ان يحكم بينهم وبين ان يعرض عنهم عن ابن عباس في رواية اخرى وقتادة وابن زيد والظاهر في
روايات اصحابنا ان هذا التخيير ثابت في الشرع للائمة والحكام وهو قول قتادة وعطاء والشعبي وابرهيم وقيل انه منسوخ
بقوله وان احكم بينهم بما انزل الله عن الحسن وعكرمة ومجاهد وان تعرض عنهم اي عن الحكم بينهم فلن يضروك شيئا
اي لا يقدرون لك على ضرر في دين او دنيا فدع النظر بينهم ان شئت وان حكمت اي وان اخترت ان تحكم بينهم فاحكم
بينهم بالقسط اي بالعدل وقيل بما في القران وشريعة الاسلام ان الله يحب المقسطين اي العادلين وكيف يحكمونك
اي وكيف يحكمك يا محمد هؤلاء اليهود فيهم ويرضون بك حكما وعندهم التوراة التي انزلتها على موسى وهي التي يقرون
بها كتابي الذي انزلته وانه حق وان ما فيه من حكمي يعلمونه ولا يتناكرونه فيها حكم الله اي احكامه التي لم تنسخ
عن ابي علي وقيل عنى به الحكم بالرجم عن الحسن وقيل معناه فيها حكم الله بالقود عن قتادة ثم يتولون من بعد
ذلك اي يتركون الحكم جرأة عليه وفي هذا تعجيب للنبي صلى الله عليه وآله وتقريع لليهود الذين نزلت الآية
فيهم فكأنه قال كيف يقرون ايها اليهود بحكم نبي محمد مع انكاركم نبوته وتكذيبكم اياه وانتم تتركون حكمي الذي
تقرون بوجوبه وتعترفون بانه جاءكم من عندي وقوله من بعد ذلك اشارة الى حكم الله في التوراة عن عبد الله
بن كثير وقيل من بعد ذلك من بعد تحكيمك او حكمك بالرجم لانهم ليسوا مؤمنين على وانما طلبوا به الرخصة وما
اولئك بالمؤمنين بحكمك انه من عند الله مع جحدهم بنبوتك وقيل ان هذا اخبار من الله عن اولئك اليهود انهم
لا يؤمنون بالنبي وبحكمه قوله عز وجل انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين
هادوا والربانيون والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا
بآياتي ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون آية القراءة قرأ اهل البصرة وابو جعفر واسمعيل
عن نافع اخشوني بياء في الوصل ويعقوب يقف بالياء ايضا والباقون واخشون بغير ياء في الوقف والوصل الحجة قال
ابو علي الاثبات حسن والوقف حسن لان الفواصل في انها اواخر الآي مثل القوافي في انها اواخر البيوت فمما حذف منه
الياء في القوافي قول الاعشى فهل يمنعني ارتيادي البلاد من حذر الموت ان يأتين ومن شانئ كاسف وجهه اذا
ما انتسبت له انكرن اللغة الربانيون فسرناه فيما مضى وهم العلماء البصراء بسياسة الامور وتدبير الناس الاحبار جمع حبر
وهو العالم مشتق من التحبير وهو التحسين فالعالم يحسن الحسن ويقبح القبيح قال الفراء اكثر ما سمعت فيه حبر بالكسر البار
في قوله بما استحفظوا تعلق بالاحبار فكأنه قال العلماء بما استحفظوا وقال الزجاج تقديره يحكمون للتائبين من الكفر
بما استحفظوا المعنى لما بين سبحانه ان اليهود تولوا عن احكام التوراة وصف التوراة وما انزل فيها فقال انا انزلنا التوراة
فيها هدى اي بيان للحق ودلالة على الاحكام ونور اي ضياء لكل ما تشابه عليهم وجلاء لما اظلم عليهم عن ابن عباس
وقيل معناه فيها هدى الحكم الذي جاؤوا يستفتون فيه النبي صلى الله عليه وآله ونور بيان ان امر النبي حق عن الزجاج يحكم
بها النبيون الذين اسلموا معناه يحكم بالتوراة النبيون الذين اذعنوا بحكم الله واقروا به ونبينا داخل فيهم عن الحسن
وقتادة وعكرمة والسدي والزهري وقال الاكثر هو المعني بذلك لما حكم في رجم المحصن وهذا يدل على انه عم كان
متعبدا بشرع موسى عم لان الله تعالى هو الذي اوجب ذلك بوحي انزل عليه لا بالرجوع الى التوراة فصار بذلك شرعا له
وان وافق ما في التوراة ونبه بذلك اليهود على صحة نبوته من حيث اخبر عما في التوراة من غامض العلم الذي قد التبس
على كثير منهم وقد عرفوا جميعا انه لم يقرأ كتابهم ولم يرجع في ذلك الى علمائهم فكان من دلائل صدقه وقيل يريد بالنبيين
الانبياء الذين كانوا بعد موسى عليه السلم وذلك انه كان في بني اسرائيل الوف من الانبياء بعثهم الله عز وجل لاقامة التوراة
يحدون حدودها ويحلون حلالها ويحرمون حرامها عن ابن عباس فمعناه يقضي بها النبيون الذين اسلموا من وقت
موسى الى وقت عيسى ووصفهم بالاسلام لان الاسلام دين الله فكل نبي مسلم وليس كل مسلم نبيا وقوله للذين هادوا اي تابوا

من الكفر عن ابن عباس وقيل لليهود واللام فيه يتعلق بيحكم اي يحكمون بالتوراة لهم وفيما بينهم قال الزجاج ويجوز
ان يكون المعنى على التقديم والتأخير وتقديره انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور للذين هادوا يحكم بها النبيون
الذين اسلموا والربانيون الذين علت درجاتهم في العلم وقيل الذين يعلمون بما يعلمون والاحبار العلماء الخيار عن الزجاج
بما استحفظوا اي بما استودعوا من كتاب الله عن ابن عباس وقيل بما امروا بحفظ ذلك والقيام به وترك تضييعه
عن الجبائي وكانوا عليه شهداء اي كانوا على حكم النبي صلى الله عليه وآله في الرجم انه ثابت في التوراة شهداء عن ابن عباس
وقيل كانوا شهداء على الكتاب انه من عند الله وحده لا شريك له عن عطا فلا تخشوا الناس واخشون اي لا تخشوا
يا علماء اليهود الناس في اظهار صفة محمد صلى الله عليه وآله في امر الرجم واخشوني في كتمان ذلك عن السدي والكلبي
وقيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وامته اي لا تخشوه في اقامة الحدود وامضائها على اهلها كائنا من كان واخشوني
في ترك امري فان النفع والضر بيدي عن الحسن ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا اي لا تأخذوا بترك الحكم الذي انزلته
على موسى ايها الاحبار عوضا خسيسا وهو الثمن القليل نهاهم الله عز اسمه بهذا عن اكل السحت على تحريفهم كتاب الله
وتغييرهم حكمه ومن لم يحكم بما انزل الله يعني من كتم حكم الله الذي انزله في كتابه فاخفاه وحكم بغيره من رجم المحصن
والقود فاولئك هم الكافرون اختلف في ذلك فمنهم من اجراه على ظاهر العموم عن ابن مسعود والحسن وابرهيم
ومنهم من خصه بالجاحد لحكم الله عن ابن عباس ومنهم من قال هم اليهود خاصة عن الجبائي فانه قال لا حجة
للخوارج من حيث هي خاصة في اليهود واختار علي بن عيسى القول الاول وكذلك نقول ومن حكم بغير ما انزل الله
مستحلا لذلك فهو كافر وروى البراء بن عازب عن النبي صلى الله عليه وآله ان قوله ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك
هم الكافرون وبعدها فاولئك هم الظالمون وبعدها فاولئك هم الفاسقون كل ذلك في الكفار خاصة اورده مسلم
في الصحيح وبه قال ابن مسعود والضحاك وابو صالح وعكرمة وقتادة قوله عز وجل وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس
والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو
كفارة له ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون آية القراءة قرأ الكسائي العين وما بعدها كلها
بالرفع وقرأ ابو جعفر وابن كثير وابن عامر وابو عمرو كلها بالنصب الا قوله والجروح فانه بالرفع والباقون
ينصبون جميع ذلك وكلهم ثقل الاذن الا نافعا فانه خففها في كل القران الحجة قال ابو علي من نصب العين بالعين
وما بعده انه عطف ذلك كله على ان يجعل الواو للاشتراك في نصب ان ولم يقطع الكلام عما قبله كما فعل ذلك من
رفع واما من رفع بعد النصب فقال ان النفس بالنفس والعين بالعين فانه يحتمل ثلاثة اوجه احدها ان يكون
الواو عاطفة جملة على جملة لا لعطف المفرد على المفرد والثاني انه حمل الكلام على المعنى لانه اذا قال وكتبنا عليهم
فيها ان النفس بالنفس فمعناه قلنا لهم النفس بالنفس فحمل العين بالعين على هذا كما انه لما كان المعنى في قوله يطاف
عليهم بكأس من معين يمنحون كأسا من معين حمل حورا عينا على ذلك كانهم يمنحون كأسا ويمنحون حورا عينا ومن
ذلك قول الشاعر بادت وغير آيهن مع البلى الا رواكد جمرهن هباء ومشجج اما سواء قذاله فبدا وغير ساره المعزاء
لما كان المعنى في بادت وغير آيهن الا رواكد بها رواكد حمل مشججا عليه فكانه قال هناك رواكد ومشجج وقيل
هذا في الحمل على المعنى كثير وقوله ان من هذا القبيل بيت الفرزدق الذي آخره الا مسحتا او مجلف وقد ذكرناه
قبل لانه لما كان المعنى لم يبق من المال الا مسحت حمل مجلفا عليه والوجه الثالث ان يكون عطف قوله والعين بالعين
على الذكر المرفوع في الظرف الذي هو الخبر وان لم يؤكد المعطوف عليه بالضمير المنفصل كما اكد في نحو قوله انه يراكم
هو وقبيله الا انه قد جاء ولو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا فلم يؤكد بالمنفصل كما اكد في الآي الاخر وان قلت
فان لا في قوله ولا آباؤنا عوض من التأكيد لان الكلام قد طال به كما طال في حضر القاضي اليوم امرأة قيل ان هذا انما

يستقيم ان يكون عوض اذا وقع قبل حرف العطف فاما اذا وقع بعد حرف العطف فانه لم يستفد ذلك
واما قوله والجروح قصاص فمن رفعه فانه يحتمل هذه الوجوه الثلاثة التي ذكرها ويجوز ان يستانف والجروح
قصاص استيناف ايجاب وابتداء شريعة لا على انه مكتوب عليهم في التوراة ويقوي انه المكتوب نصب من نصب
فقال والجروح قصاص واما التخفيف في الاذن فلعله مثل السحت والسحت وقد تقدم المعنى في مثل ذلك **المعنى**
ثم بين سبحانه حكم التوراة في القصاص فقال وكتبنا اي فرضنا عليهم اي على اليهود الذين تقدم ذكرهم فيها
اي في التوراة ان النفس بالنفس ومعناه اذا قتلت نفس نفسا اخرى عمدا فانه يستحق عليها القود اذا كان
القاتل عاقلا مميزا وكان المقتول مكافئا للقاتل اما بان يكونا مسلمين حرين او كافرين او مملوكين فاما اذا كان
القاتل حرا مسلما والمقتول كافرا او مملوكا ففي وجوب القصاص هناك خلاف بين الفقهاء وعندنا لا يجب القصاص
وبه قال الشافعي قال الضحاك لم يجعل في التوراة دية في نفس ولا جرح انما العفو او القصاص والعين بالعين والانف
بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن قال العلماء كل شخصين جرى القصاص بينهما في العين والاذن والانف
والسن وجميع الاطراف اذا تماثلا في السلامة من الشلل واذا امتنع القصاص في النفس امتنع ايضا في الاطراف والجروح
قصاص هذا عام في كل ما يمكن ان يقتص فيه مثل الشفتين والذكر والانثيين واليدين والرجلين وغيرها
ويقتص الجراحات بمثلها الموضحة بالموضحة والهاشمة بالهاشمة والمنقلة بالمنقلة الا المامومة والجايفة لا قصاص
فيهما وهي التي تبلغ ام الراس والتي تبلغ الجوف في البدن لان في القصاص فيهما تغريرا بالنفس واما ما لا يمكن
القصاص فيه من رضة لحم او كسر عظم او جراحة يخاف فيها التلف ففيه اروش مقدرة والقصاص هنا مصدر يراد
بالمفعول والجروح متقاصة بعضها ببعض واحكام الجراحات وتفاصيل الاروش في الجنايات كثيرة وفروعها جمة موضعها
كتب الفقه فمن تصدق به اي بالقصاص الذي وجب له تصدق به على صاحبه بالعفو واسقطه عنه فهو اي التصدق
كفارة له اي للمتصدق الذي هو المجروح او ولي الدم وهذا قول اكثر المفسرين فقد قيل معناه فمن عفى فهو مغفرة
له عند الله وثواب عظيم عن ابن عمر وابن عباس في رواية عطا والحسن والشعبي وهو المروي عن ابي عبد الله عليه السلم
قال يكفر عنه من ذنوبه بقدر ما عفى من جراح او غيره وروى عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وآله
قال من تصدق من جسده بشي كفر الله عنه بقدره من ذنوبه وقيل ان الضمير في له يعود الى المتصدق عليه اي
كفارة للمتصدق عليه لانه يقوم مقام اخذ الحق منه عن ابن عباس وفي رواية سعيد بن جبير ومجاهد وابرهيم
وزيد بن اسلم وعلى هذا فان الجاني اذا عفى عنه المجني عليه كان العفو كفارة لذنب الجاني لا يواخذ به في الآخرة
والقول الاول اظهر لان العايد فيه يرجع الى مذكور وهو من وفي القول الثاني يعود الى مدلول عليه وهو المتصدق
عليه يدل عليه قوله فمن تصدق به ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون قيل هم اليهود الذين لم يحكموا
بما انزل الله وقيل هو عام في كل من حكم بخلاف ما انزل الله فيكون ظالما لنفسه بارتكاب المعصية الموجبة للعقاب
وهذا الوجه يوجب ان يكون ما تقدم ذكره من الاحكام يجب العمل به في شريعتنا وان كان مكتوبا في التوراة قوله عز وجل
**وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم مصدقا لما بين يديه من التورية وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ومصدقا
لما بين يديه من التورية وهدى وموعظة للمتقين وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه ومن لم يحكم بما انزل الله
فاولئك هم الفاسقون** آيتان **القراءة** قرء حمزة وحده وليحكم بكسر اللام ونصب الميم والباقون وليحكم بالجزم وسكون
اللام على الامر **الحجة** حجة حمزة انه جعل اللام متعلقة بقوله وآتيناه الانجيل فان معناه وانزلنا عليه الانجيل فصار بمنزلة
وانزلنا عليه الكتاب ليحكم وحجة من قرء بالجزم انه بمنزلة قوله وان احكم بينهم بما انزل الله فكما امر النبي عليه السلم
بذلك فلذلك امروا به في الانجيل **اللغة** التقفية اتباع الاثر يقال قفاه يقفوه والتقفية الاتباع يقال قفيته بكذا اي

اتبعته به وانما سميت قافية الشعر لانها تتبع الوزن والآثار جمع الاثر وهو العلم الذي يظهر للحس وآثار القوم ما بقوا
من اعلامهم والمأثرة المكرمة التي يأثرها الخلف عن السلف لانها علم يظهر فضله للنفس والاثير الكريم على القوم لانهم
يؤثرونه بالبر ومنه الايثار للاختيار فانه اظهار فضل احد العملين على الآخر وقد مر تفسير الانجيل في اخر آل عمران والوعظ
والموعظة هو الزجر عما يكرهه الله تعالى الى ما يحبه والتنبيه عليه **الاعراب** قوله بعيسى بن مريم مصدقا نصب مصدقا على
الحال وهدى رفع بالابتداء وفيه خبره قدم عليه ونور عطف على هدى ومصدقا لما بين يديه من التورية نصب
على الحال وليس بتكرير لان الاول حال لعيسى وبيان انه يدعو الى التصديق بالتورية والثاني انه حال من الانجيل
وبيان انه فيه ذكر التصديق بالتورية وهما مختلفان وهو عطف على موضع قوله فيه هدى فانه نصب على الحال
وتقديره آتيناه الانجيل مستقرا فيه هدى ونور ومصدقا فاذن هدى في موضع نصب بالعطف على مصدقا وموعظة
عطف على هدى وتقديره وهاديا وواعظا **المعنى** لما قدم ذكر اليهود اتبعه بذكر النصارى فقال وقفينا على آثارهم
اي واتبعنا على آثار النبيين الذين اسلموا عن اكثر المفسرين واختاره علي بن عيسى والبلخي وقيل معناه على آثار الذين
فرضنا عليهم الحكم الذي مضى ذكره عن الجبائي والاول اجود في العربية واصح في المعنى بعيسى بن مريم اي بعثناه رسولا
بعدهم مصدقا لما بين يديه اي لما مضى من التورية التي انزلت على موسى صدق بها وامن بها وانما قال لما مضى
قبله لما بين يديه لانه اذا كان ما ياتي به خلفه فالذي مضى قبله يكون قدامه وبين يديه وآتيناه اي واعطينا عيسى
الكتاب المسمى انجيلا والمعنى وانزلنا عليه الانجيل فيه يعني في الانجيل هدى اي بيان وحجة ودلالة على الاحكام ونور
سماه نورا لانه يهتدى به كما يهتدى بالنور ومصدقا لما بين يديه من التورية يعني الانجيل مصدق بالتورية
لان فيه ان التورية حق وقيل معناه انه يتضمن وجوب العمل بالتورية وانه لم ينسخ وقيل معناه انه اتى على النحو الذي
وصف في التورية وهدى اي دلالة وارشاد ومعناه وهاديا ومرشدا وموعظة اي واعظا للمتقين يزجرهم عن المعاصي
ويدعوهم الى الطاعة وانما خص المتقين بالذكر لانهم اختصوا بالانتفاع به والا فانه هدى لجميع الخلق وليحكم اهل
الانجيل هذا امر لهم وقيل في معناه قولان احدهما ان تقديره وقلنا ليحكم اهل الانجيل فيكون على حكاية ما فرض عليهم
وحذف القول لدلالة ما قبله عليه من قوله وقفينا كما قال سبحانه والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم
اي يقولون والثاني انه سبحانه استانف امر اهل الانجيل على غير الحكاية لان احكامه كانت حينئذ موافقة لاحكام القرآن
لم ينسخ بعد عن ابي علي الجبائي والقول الاول اصح واقوى وهو اختيار علي بن عيسى بما انزل الله فيه اي في الانجيل ومن
لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون قيل من هنا بمعنى الذي وهو خبر عن قوم معروفين وهم اليهود الذين
تقدم ذكرهم عن الجبائي وقيل ان من للجزاء اي من لم يحكم من المكلفين بما انزل الله فهو فاسق لان هذا الاطلاق
يدل لان المراد من ذهب الى ان الحكم في خلاف ما امر الله فلهذا قال فيما قبل فاولئك هم الكافرون فيكون معنى
الفاسقين الخارجين عن الدين جعلوا الكفر والظلم والفسق صفة لموصوف واحد وقيل ان الاول في الجاحد
والثاني والثالث في المقر التارك قوله عز وجل **وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب
ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا
ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه
تختلفون** آية **اللغة** اصل مهيمن مؤيمن فقلبت الهمزة هاء كما قيل في ارقت الماء هرقت وقد صرف فقيل هيمن الرجل
اذا ارتقب وحفظ وشهد يهيمن هيمنة فهو مهيمن وعلى هذا فيكون وزنه مفيعل مثل مسيطر ومبيطر قال الازهري
كان في الاصل ايمن يؤمن كما ان الاصل في يفعل يؤفعل فعلى هذا يكون على وزن مؤفعل فقلبت الهمزة هاء وروي
في الشواذ ومهيمنا بفتح الميم عن مجاهد والشرعة والشريعة واحد وهي الطريقة الظاهرة والشريعة هي الطريق الذي يوصل

الى الماء الذى فيه الحياة فقيل الشريعة فى الدين للطريق الذى يوصل منه الى الحيوة فى النعيم وهى الامور التى تعبد الله
تعالى بها من جهة السمع والشاعر اسوبى يوم الشريعة والفنا تصفين فى لبانكم قد تكسر تريد شريعة الفرات و الاجل
فيه الطهور ويقول شرعت الفاظ اذا ظهرت وشرعت فى الامر شروعا اذا دخلت فيه دخولا ظاهرا والناس فيه شرع اى
متساوون والمنهاج الطريق المستمر فقال طريق نهج ومنهج اى بين قال الراجز من يك ذا شك فهذا فلج ماء رواء وطريق
نهج قال المبرد الشرعة ابتداء الطريق والمنهاج الطريق المستقيم قال وهذه الالفاظ اذا تكررت فلزيادة فيه
ومنه قول الحطيه وهند اتى من دونها النأى والبعيد قال فالنأى لما قل بعده والبعد لما كثر بعده اقوى بمعنى
واحد ويقال نهجت لك والنهجة فهو منهوج ومنهج ونهج الطريق وانهج اذا وضح والاستباق يكون بين شيئين
فصاعدا يجتهد كل منهم ان يسبق غيره قال سبحانه واستبقا الباب يعنى يوسف وصاحبته تبادرا الى الباب الاعراب مصدقا
حال من الكتاب مهيمنا كذلك وقيل انه حال من الكاف الذى هو خطاب للنبى صلى الله عليه وآله والاول اقوى لاجل حرف
العطف لانه قال وانزلنا اليك الكتاب مصدقا ومهيمنا ولا يجوز ان يعطف حال على حال بعد الاول لا تقول ضربت هند
زيدا قاعدا وقايمة ولو قلت قايمة بغير واو لجاز ويجوز ان يكون عطفا على مصدقا ويكون مصدقا حالا للنبى صلى الله عليه وآله
والاول اظهر المعنى لما بين سبحانه نبوة موسى وعيسى عطف ذلك ببيان نبوة محمد صلى الله عليه وآله احتجاجا على اليهود
والنصارى بان طريقه كطريقهم فى الوحى والمعجزات قال وانزلنا اليك الكتاب يا محمد يعنى القران بالحق بالعدل
مصدقا لما بين يديه من الكتاب يعنى التوراة والانجيل وما فيهما من توحيد الله وعدله والدلالة على نبوته والحكم
بالرجم والقود على ما تقدم ذكره وقيل المراد بالكتاب الكتب المنزلة على الانبياء ومعنى الكتاب المكتوب كقولهم هذا
الدرهم ضرب الامير اى مضروبه عن ابى مسلم ومهيمنا عليه معناه وامينا عليه شاهدا بانه الحق عن ابن عباس
والحسن وقتاده ومجاهد وقيل مؤتمنا عن سعيد بن جبير وابى عبيده وابن جريج وهو قريب من الاول قال
ابن جريج امانة القران ان ما اخبر به من الكتب ان كان موافقا للقران يجب التصديق به والا فلا وقيل معناه حافظا
ورقيبا عليه عن الخليل وابو عبيده قالوا وفيه دلالة على ان ما حكى الله سبحانه انه كتبه عليهم فى التوراة يلزمنا العمل
به لانه جعل القران مصدقا لذلك وشاهدا به فاحكم بينهم بما انزل الله يعنى بين اليهود فى القران فى الرجم على
الزانيين عن ابن عباس قال اذا ترافع اهل الكتاب الى الحكام يجب ان يحكموا بينهم بحكم القران وشريعة الاسلام
لانه امر من الله تعالى بان يحكم بينهم والامر يقتضى الوجوب وبه قال الحسن ومسروق وقال الجبائى وهذا ناسخ للتخيير
فى الحكم بين اهل الكتاب والاعراض عنهم والترك ولا تتبع اهواءهم يريد فيما حرفوا وبدلوا من امر الرجم عن ابن عباس
عما جاءك من الحق اى لا تعدل عما جاءك من الحق ويجوز ان يكون على من صلة معنى لا تتبع اهواءهم لان معنا
لا تزغ فانه قال لا تزغ عما جاءك من الحق باتباع اهوائهم ومتى قيل كيف يجوز ان يتبع النبى صلى الله عليه وآله اهواءهم
مع كونه معصوما فالجواب ان النهى يجوز ان يرد عما يعلم ان لا يفعله ويجوز ان يكون الخطاب له عليه السلام والمراد
جميع الحكام لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا الخطاب للامم الثلاث امة موسى وامة عيسى وامة محمد صلى الله عليه
وآله ولا يعنى به قوم كل نبى لان الاقرار ان ذكر هولاء قد تقدم فى قوله انا انزلنا التوراة ثم قال وقفينا على آثارهم بعيسى
بن مريم ثم قال وانزلنا اليك الكتاب ثم قال لكل جعلنا منكم فغلب المخاطب على الغائب شرعة اى شريعة
فللتوراة شريعة وللانجيل شريعة وللقران شريعة عن قتاده وجماعة من المفسرين وفى هذا دلالة على جواز
النسخ وعلى ان نبينا صلى الله عليه وآله كان متعبدا بشريعته فقط وكذلك امته وقيل الخطاب لامة نبينا صلى الله عليه
وآله عن مجاهد والاول اقوى لانه سبحانه بين ان لكل نبى شريعة ومنهاجا اى سبيلا واضحا غير شريعة صاحبه وطريقته
ويقوى ذلك قوله ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة معناه ولو شاء الله لجعلكم على ملة واحدة فى دعوة جميع الانبياء

لا تبدل شريعة منها ولا تنسخ عن ابن عباس وقيل المراد به مشية القدرة اى لو شاء الله لجمعكم على الحق كما قال ولو شئنا
لآتينا كل نفس هداها عن الحسن ولكن ليبلوكم ولكن جعلكم على شرايع مختلفة ليمتحنكم فيما آتاكم اى فيما فرض عليكم
وشرعه لكم وقيل فيما اعطاكم من السنن والكتاب وقال الحسن بن على المغربى المعنى لو شاء الله لم يبعث اليكم نبيا فتكونوا
متعبدين بما فى العقل وتكونون امة واحدة ولكن ليختبركم بما كلفكم من العبادات وهو عالم بما يؤول اليه امركم
فاستبقوا الخيرات اى بادروا فوت الحظ بالتقدم فى الخير وقيل معناه بادروا الفوت بالموت والعجز وبادروا الى ما امرتكم
به فانى لا آمر الا بالصلاح عن الجبائى وقيل معناه سابقوا الامم الماضية الى الطاعات والاعمال الصالحة عن الكلبى
وفى هذا دلالة على وجوب المبادرة الى فعل الخيرات ويكون محمولا على الواجبات ومن قال ان الامر على الندب حمله
على جميع الطاعات الى الله مرجعكم اى مصيركم جميعا فينبئكم فيخبركم بما كنتم فيه تختلفون من امر دينكم ثم يجازيكم
على حسب استحقاقكم قوله عز وجل وان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض
ما انزل الله اليك فان تولوا فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم وان كثيرا من الناس لفاسقون
افحكم الجاهلية يبغون ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون آيتان القراءة قرأ ابن عامر وحده تبغون
بالتاء والباقون بالياء وروى فى الشواذ وقرأ يحيى بن يعمر وابرهيم النخعى افحكم الجاهلية يبغون برفع الميم وقرأ
الاعمش افحكم الجاهلية بفتح الحاء والكاف والميم الحجة من قرأ يبغون بالياء فلان قبله غيبة وان كثيرا من الناس
لفاسقون ومن قرأ بالتاء فعلى تقدير قل لهم يا محمد افحكم الجاهلية تبغون ومن قرأ افحكم الجاهلية فعلى نحو ما جاء
فى الشعر قد اصبحت ام الخيار تدعى على ذنبا كله لم اصنع اى لم اصنعه فيكون التقدير افحكم الجاهلية يبغونه فحذف
العايد من الخبر كما يحذف من الصفة والحال فى قولهم الناس رجلان رجل اكرمت ورجل اهنت اى اكرمته واهنته
ومررت بهند تضرب زيد اى تضربها زيد وقوله افحكم الجاهلية فيكون معنى الشايع اى فحكام الجاهلية يبغون
وجاز ان يقع المضاف جنسا كما جاء عنهم من قولهم منعت العراق قفيزها ودرهمها ثم يرجع المعنى الى قوله افحكم
الجاهلية لانه ليس المراد هنا نفس الحكم فهو اذا على حذف المضاف والمراد افحكم حكم الجاهلية يبغون الاعراب
موضع ان احكم نصب بالعطف على الكتاب التقدير انزلنا اليك الكتاب وان احكم ويجوز ان يكون موضعه
رفعا وتقديره ومن الواجب ان احكم بينهم بما انزل الله ووصلت ان بالامر وان كان لا يجوز صلة الذى بالا
لان الذى اسم ناقص يجرى صلته عنه فى البيان مجرى الصفة فى بيان النكرة ولذلك لا بد لها من عايد يعود اليها
كما ان الصفة لا بد من عايد يعود منها الى الموصوف وليس كذلك ان لانها حرف وهى مع ما بعدها بمنزلة شئ واحد
فلما كان فى فعل الامر معنى المصدر جاز وصل الحروف به على معنى مصدره وحكما نصب لانه مفعول يبغون وحكما نصب
على التمييز المعنى وان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم اعاد سبحانه الامر بالحكم بينهم لامرين احدهما انهما
حكمان امر بهما جميعا لانهم احتكموا اليه فى زنا المحصن ثم احتكموا اليه فى قتيل كان بينهم عن الجبائى وجماعة من المفسرين
وهو المروى عن ابى جعفر عليه السلم والثانى ان الامر الاول مطلق والثانى يدل على انه منزل واحذرهم ان يفتنوك
عن بعض ما انزل الله اليك قيل فيه قولان احدهما ان معناه احذرهم ان يضلوك عن ذلك الى ما يهوون من الاحكام
بان يطمعوك منهم فى الاجابة الى الاسلام عن ابن عباس والثانى ان معناه احذرهم ان يضلوك بالكذب على التوراة
انه ليس ذلك الحكم فيها فانى قد بينت لك حكمها عن ابن زيد وفى هذه الآية دلالة على وجوب مجانبة اهل البدع والضلال
وذوى الاهواء وترك مخالطتهم فان تولوا اى فان اعرضوا عن حكمك بما انزل الله فاعلم ان يصيبهم ببعض ذنوبهم
قيل فى معناه اقوال احدها ان معناه فاعلم يا محمد انما يريد الله ببعض اجرامهم وذكر البعض والمراد به الكل كما يذكر
العموم ويراد به الخصوص عن الجبائى والثانى انه ذكر البعض تغليظا للعقاب والمراد انه يكفى ان يوخذوا ببعض ذنوبهم

في اهلاكهم والتدمير عليهم والثالث انه اراد تعجيل بعض العقاب بما كان من التمرد في الاجرام لان عذاب الدنيا
يختص ببعض الذنوب دون بعض وعذاب الآخرة يعم وقيل المراد بذلك اجلاء بني النضير لان علمائهم لما كفروا
وكتموا الحق وعوقبوا بالجلاء عن الحسن وقيل المراد بنو قريظة لما نقضوا العهد يوم الاحزاب عوقبوا بالقتل وان
كثيرا من الناس لفاسقون هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وآله عن امتناع القوم من الاقرار بنبوته والاسراع باجابته
بان اهل الايمان قليل واهل الفسق كثير فلا ينبغي ان يعظم ذلك عليك ثم انكر سبحانه عليهم فعلهم فقال افحكم الجاهلية
يبغون والمراد به اليهود عن مجاهد واختاره الجبائي قال لانهم كانوا اذا وجب الحكم على ضعفائهم الزموهم اياه
واذا وجب على اقويائهم واشرافهم لم ياخذوهم فيه فقيل لهم احكم الجاهلية اي عبدة الاوثان تطلبون وانتم اهل كتاب
وقيل المراد به ان من طلب غير حكم الله فانما يخرج منه الى حكم الجاهلية وكفى بذلك خزيا ان يحكم بما يوجب الجهل دون
ما يوجبه العلم ومن احسن من الله حكما اي لا احد حكمه احسن من حكم الله لقوم يوقنون اي عند قوم اقيمت اللام
مقام عند عن الجبائي وهذا جائز اذا تقاربت المعاني وارتفع اللبس فاذا قيل الحكم لهم فلانهم يستحسنونه واذا قيل
عندهم فلان عندهم العلم بصحته قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم
اولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم ان الله لا يهدي القوم الظالمين فترى الذين في قلوبهم مرض
يسارعون فيهم يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة فعسى الله ان ياتي بالفتح او امر من عنده فيصبحوا على ما اسروا
في انفسهم نادمين ويقول الذين آمنوا اهؤلاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم حبطت اعمالهم
فاصبحوا خاسرين ثلث آيات القراءة قرء ابن عامر وابن كثير ونافع يقول بلا واو والباقون بالواو وكلهم قرء بضم
اللام الا ابا عمرو فانه فتحها الحجة من حذف الواو من قوله ويقول الذين امنوا فلان في الجملة المعطوفة ذكر من
المعطوف عليها وذلك ان من وصف من بقوله سبحانه يسارعون فيهم الى قوله نادمين هم الذين قال فيهم الذين
آمنوا اهؤلاء الذين اقسموا انهم لمعكم فلما صار في كل واحدة من الجملتين ذكر من الاخرى حسن عطفها بالواو وبغير
الواو كما ان قوله سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم لما كان في كل واحدة من الجملتين
ذكر مما تقدم اكتفى بذلك عن الواو لانهما بالذكر وملابسة بعضها ببعض قد يرتبط احدهما بالاخرى كما يرتبط
بحرف العطف وبذلك على حسن دخول الواو قوله وثامنهم كلبهم فحذف الواو من ويقول كحذفها في هذه الاية
والحاقها كالحاقها فيها والوجه في قراءة ابي عمرو ويقول بالنصب على ان يحمله على ان يكون ان ياتي بدلا من اسم
كما كان ان اذكره بدلا من الهاء في انسانيه من قوله وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره ثم يكون ويقول منصوبا عطفا
على ذلك كانه قال عسى ان ياتي الله بالفتح ويقول الذين آمنوا ومن رفع فوجهه ان يعطف جملة على جملة لا مفردا على
مفرد اللغة الاتخاذ هو الاعتماد على الشيء في اعداده لامر وهو افتعال من الاخذ واصله ائتخاذ فابدلت
الهمزة تاء وادغمها في التاء التي بعدها ومثله الاتعاد من الوعد والاخذ يكون على وجوه تقول اخذ الكتاب
اذا تناوله واخذ القربان اذا تقبله واخذه الله من مامنه اذا اهلكه واصله جوز الشيء من جهة الى جهة من الجهات
والاولياء جمع ولي وهو النصير لانه يلي بالنصر صاحبه والدائرة هنا الدولة التي تتحول الى من كانت له عمن في
يديه قال حميد الارقط كنت حسبت الخندق المحفورا يرد عنك القدر المقدورا ودائرات الدهر ان
تدورا يعني دول الدهر الدائرة من قوم الى قوم وعسى موضوعة للشك وهي من الله تفيد الوجوب لان الكريم
اذا اطمع في خير يفعله فهو بمنزلة الوعد في تعلق النفس به ورجائها له ولذلك حق لا يضيع ومنزلة لا تخيب والفتح القضاء
والفصل ويقال للحاكم الفتاح لانه يفتح الحكم ويفصل به الامر النزول اختلف في سبب نزوله وان كان حكمها عاما
لجميع المومنين فقال عطية بن سعيد العوفي والزهري لما انهزم اهل بدر قال المسلمين لاوليائهم من اليهود اسلموا قبل

ان يصيبكم الله بيوم مثل يوم بدر فقال مالك بن الصيف اغركم ان اصبتم رهطا من قريش لا علم لهم بالقتال
اما لو امرزنا العزيمة ان نستجمع عليكم لم يكن لكم يد بقتالنا فجاء عبادة بن الصامت الخزرجي الى رسول الله صلى الله عليه وآله
فقال يا رسول الله ان لي اولياء من اليهود كثير عددهم قوية انفسهم شديدة شوكتهم واني ابرء الى الله والى رسوله من ولايتهم
ولا مولى لي الا الله ورسوله فقال عبد الله بن ابي لكني لا ابرء من ولاية اليهود لاني اخاف الدوائر ولا بد لي منهم
فقال رسول الله صلى الله عليه وآله يا ابا الحباب ما نفست به من ولاية اليهود على عبادة بن الصامت فهو لك دونه
قال اذا اقبل فانزل الله الاية قال السدي لما كان وقعة احد اشتدت على طايفة من الناس فقال رجل من المسلمين
انا الحق بفلان اليهودي واخذ منه امانا وقال الآخر انا الحق بفلان النصراني ببعض ارض الشام فاخذ منه امانا
فنزلت الآية وقال عكرمة نزلت في ابي لبابة بن عبد المنذر حين قال لبني قريظة ان رضوا بحكم سعد انه الذبح المعنى
لما تقدم ذكر اليهود والنصارى امر الله بقطع عصمة بقطع موالاتهم والتبري منهم فقال يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا
اليهود والنصارى اولياء اي لا تعتمدوا على الاستنصار بهم متوددين اليهم وخص اليهود والنصارى بالذكر مع ان ساير
الكفار بمنزلتهما في وجوب معاداتهم بعضهم اولياء بعض هذا ابتداء كلام اخبر سبحانه ان بعض الكفار ولي بعض في
العون والنصرة ويدهم واحدة على المسلمين وفي هذا دلالة على ان الكفر كله كالملة الواحدة في احكام المواريث
لعموم قوله بعضهم اولياء بعض وقال الصادق عليه السلم لا يتوارث اهل ملتين نحن نرثهم ولا يرثونا ومن يتولهم
منكم اي من استنصر بهم واتخذهم انصارا فانه منهم اي هو كافر مثلهم عن ابن عباس والمعنى انه محكوم له بحكمهم
في وجوب لعنه والبراءة منه وانه من اهل النار والله لا يهدي القوم الظالمين الى طريق الجنة لكفرهم واستحقاقهم
العذاب الدائم بل يضلهم عنها الى طريق النار عن ابي علي الجبائي وقيل معناه لا يحكم لهم بحكم المومنين في المدح والثناء
والنصرة على الاعداء فترى يا محمد الذين في قلوبهم مرض اي شك ونفاق يعني عبد الله بن ابي عن ابن عباس يسارعون
فيهم اي في موالاة اليهود ومناصحتهم وقيل في معاونتهم على المسلمين وقيل في موالاة اليهود ونصارى نجران لانهم
كانوا يميرونهم عن الكلبي يقولون اي قائلين وهو في موضع الحال نخشى ان تصيبنا دائرة اي دولة تدور لاعداء المسلمين
على المسلمين فنحتاج الى نصرتهم عن مجاهد والسدي وقتادة وقيل معناه نخشى ان يدور الدهر علينا بمكروه يعنون
الجدب فلا يميروننا عن الكلبي فعسى الله ان ياتي بالفتح اي فتح مكة عن السدي وقيل فتح بلاد المشركين عن الجبائي
وقيل بالقضاء الفصل عن قتادة ويجمع هذه الاقوال كلها قول ابن عباس يريد فتح الله لرسوله محمد صلى الله عليه وآله على جميع خلقه
او امر من عنده فيه اعزاز للمسلمين واذلال للمشركين واظهار الاسلام عن السدي وقيل هو اظهار نفاق المنافقين
مع الامر بقتلهم عن الحسن والزجاج وقيل هو امر دون الفتح الاعظم او موت هذا المنافق عن الجبائي وقيل هو
القتل وسبي الذراري لبني قريظة والجلاء لبني النضير عن مقاتل وهذا معنى قول ابن عباس او امر من عنده يريد
فيه اهلاكهم وهو يحتمل هلاك اليهود وهلاك المنافقين فيصبحوا على ما اسروا في انفسهم نادمين اي فيصبح اهل النفاق
على ما كان منهم من نفاقهم وولايتهم اليهود ودس الاخبار اليهم نادمين عن ابن عباس وقتادة والمعنى اذا فتح الله
على المومنين ندم المنافقون والكفار على تفويتهم انفسهم ذلك وكذلك اذا ماتوا وتحققوا دخول النار ندموا
على ما فعلوه في الدنيا من الكفر والنفاق ويقول الذين امنوا اي صدقوا الله ورسوله ظاهرا وباطنا تعجبا من
نفاق المنافقين واجترائهم على الله بالايمان الكاذبة اهؤلاء الذين اقسموا بالله يعني المنافقين حلفوا بالله جهد
ايمانهم انتصب جهد لانه مصدر اي جهدوا جهد ايمانهم قال عطا اي حلفوا باغلظ الايمان واوكدها انهم لمعكم
اي انهم مومنون ومعكم في معاونتكم على اعدائكم ونصرتكم يريد حلفوا انهم لامناء لكم في الايمان حبطت اعمالهم
اي ضاعت اعمالهم التي عملوها لانهم اوقعوها على غير الوجه المامور به وبطل ما اظهروه من الايمان لانه لم يوافق باطنهم

ظاهرهم فلم ينتفع به الثواب فاصبحوا نادمين اي صاروا خاسرين اي خسروا الدنيا والآخرة فلها الدنيا فلبسوا من
الانصار واما الآخرة ففرقهم الله مع الكفار عن ابن عباس وقيل مغبونين بانفسهم ومنازلهم في الجنة اذا صاروا
الى النار وورثها المومنون عن الكلبي قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف ياتي الله
بقوم يحبهم ويحبونه اذلة على المومنين اعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة
لائم ذلك فضل الله يوتيه من يشاء والله واسع عليم آية القراءة قرا ابو جعفر ونافع وابن عامر يرتدد بدالين
والباقون يرتد بدال واحدة مشددة الحجة حجة من قرا ادغم انه لما اسكن الحرف الاول ليدغم في الثاني وكان
الثاني ساكنا حرك المدغم فيه لالتقاء الساكنين هذه لغة بني تميم وحجة من اظهر ان الحرف المدغم لا يكون الا
والمدغم اذا كان ساكنا والمدغم فيه كذلك التقى ساكنان والتقاء الساكنين في هذا النحو ليس من كلامهم فاظهر
الحرف الاول وحركه واسكن الثاني من المثلين وهذه لغة الحجاز اللغة الذل بالكسر الذل الضد الصعوبة ونقيضها
ضد العز يقال ذلول بين الذل من قوم اذلة وذليل بين الذل من قوم اذلاء فالاول من اللين والانقياد
والثاني من الهوان والاستخفاف والسدة العزة يقال عززت فلانا على امره اي غلبته عليه والعزاز الارض الصلبة
وعز الشيء اذا لم يقدر عليه واصل الباب الامتناع المعنى لما بين سبحانه حال المنافقين وانهم يتربصون
الدوائر بالمومنين وعلم ان قوما منهم يرتدون بعده وانه اعلم ان ذلك كائن وانهم لا ينالون امانيهم وانه
تعالى ينصر دينهم بقوم لهم صفات مخصوصة تميزوا بها من بين العالمين فقال يا ايها الذين آمنوا من يرتد
منكم عن دينه اي من يرجع منكم اي من جملتكم الى الكفر بعد اظهار الايمان فلن يضر دين الله شيئا فان الله
لا يخلي دينه من انصار يحمونه فسوف ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه اي يحبهم الله ويحبون الله اذلة على
المومنين اعزة على الكافرين اي رحماء على المومنين وغلاظ شداد على الكافرين وهو من الذل الذي هو اللين
لا الذلة الذي هو الهوان قال ابن عباس يريد للمومنين كالولد لوالده وكالعبد لسيده وهم في الغلظة على الكافرين
كالسبع على فريسته يجاهدون في سبيل الله بالقتال لاعلاء كلمة الله واعزاز دينه ولا يخافون لومة لائم فيما ياتون
من الجهاد والطاعات واختلف فيمن وصف بهذه الاوصاف من هم فقيل هو ابو بكر واصحابه الذين قاتلوا
اهل الردة عن الحسن وقتادة والضحاك وقيل هم الانصار عن السدي وقيل هم اهل اليمن عن مجاهد قال قال رسول
الله صلى الله عليه وآله اتاكم اهل اليمن هم الين قلوبا وارق افئدة الايمان يمان والحكمة يمانية وقال عياض
بن غنم الاشعري لما نزلت هذه الآية اومى رسول الله الى ابي موسى الاشعري فقال هم قوم هذا وقيل انهم الفرس
وروي ان النبي صلى الله عليه وآله سئل عن هذه الآية فضرب بيده على عاتق سلمان فقال هذا وذووه ثم قال
لو كان الدين معلقا بالثريا لتناوله رجال من ابناء فارس وقيل هم امير المومنين علي واصحابه حين قاتل من قاتل
من الناكثين والقاسطين والمارقين روى ذلك عن عمار وحذيفة وابن عباس وهو المروي عن ابي جعفر عليه السلم
ويويد هذا القول ان النبي صلى الله عليه وآله وصفه بهذه الصفات المذكورة في الآية فقال وقد ندبه لفتح خيبر وقد رد عنها
حامل الراية بعد اخرى وهو يجبن الناس ويجبنونه لاعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله
ورسوله كرارا غير فرار لا يرجع حتى يفتح الله على يديه واعطاها اياه واما الوصف باللين على اهل الايمان والشدة
على الكفار والجهاد في سبيل الله مع انه لا يخاف لومة لائم مما لا يمكن احدا دفع علي عليه السلم عن استحقاق ذلك لما ظهر من
شدته على اهل الشرك والكفر ونكايته فيهم ومقاماته المشهورة في الملة ونصرة الدين والرافة بالمومنين ويوكد
ايضا انذار رسول الله صلى الله عليه وآله قريشا بقتال علي عليه السلم لهم من بعده حيث جاء سهيل بن عمرو في جماعة
منهم فقالوا يا محمد ان ارقاءنا لحقوا بك فارددهم علينا فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لتنتهن يا معشر قريش

او ليبعثن الله عليكم من يضربكم على تاويل القرآن كما ضربتكم على تنزيله قال بعض اصحابه من هو يا رسول الله ابو بكر قال لا فعمر قال
لا ولكنه خاصف النعل في الحجرة وكان علي عليه السلم يخصف نعل رسول الله صلى الله عليه وآله وروي عن علي عليه السلم انه قال
يوم البصرة والله ما قوتل اهل هذه الآية حتى اليوم وتلا هذه الآية وروى ابو اسحق الثعلبي في تفسيره بالاسناد عن الزهري
عن سعيد بن المسيب عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال يرد علي يوم القيمة رهط من اصحابي فيحلون عن
الحوض فاقول يا رب اصحابي اصحابي فيقال انه لا علم لك بما احدثوا بعدك انهم ارتدوا على ادبارهم القهقرى وقيل ان الآية
عامة في كل من استجمع هذه الخصال الى يوم القيمة وذكر علي بن ابراهيم بن هاشم انها نزلت في مهدي الامة واصحابه واولها
خطاب لمن ظلم آل محمد وقتلهم وغصبهم حقهم ويمكن ان ينصر هذا القول بان قوله سبحانه فسوف ياتي الله بقوم يوجب
ان يكون ذلك القوم غير موجودين في وقت نزول الخطاب فهو يتناول من يكون بعدهم بهذه الصفة الى قيام الساعة
ذلك فضل الله اي محبتهم لله سبحانه ولين جانبهم للمومنين وغلظ شدتهم على الكافرين بفضل من الله وتوفيق ولطف منه
ومنة من جهته يعطيه من يشاء يعطيه من يعلم انه محل له والله واسع اي جواد لا يخاف نفاد ما عنده عليم بموضع
جوده وعطائه فلا يبذله الا لمن تقتضي الحكمة اعطاءه وقيل معناه واسع الرحمة عليم بمن يكون من اهلها قوله عز وجل
انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلوة ويوتون الزكوة وهم راكعون ومن يتول
الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون آيتان اللغة الولي هو الذي يلي النصرة والمعونة والولي
هو الذي يلي تدبير الامر يقال فلان ولي المراة اذا كان يملك تدبير نكاحها وولي الدم من كان اليه المطالبة بالقود
والسلطان ولي امر الرعية ويقال لمن يرشحه لخلافته عليهم بعده ولي عهد المسلمين قال الكميت يمدح عليا ونعم ولي
الامر بعد وليه ومنتجع التقوى ونعم المودب ويروى الهوى وانما اراد ولي الامر والقائم به قال المبرد في كتاب العبارة
عن صفات الله تعالى اصل الولي الذي هو اولى اي احق ومثله المولى والركوع هو التطاطو المخصوص قال الخليل كل شيء
ينكب لوجهه فتمس ركبته الارض او لا تمس بعد ان يطاطئ راسه فهو راكع وانشد للبيد اخبر اخبار القرون التي مضت ادب
كاني كلما قمت راكع قال ابن دريد الراكع الذي يكبو على وجهه ومنه الراكع في الصلوة قال الشاعر وافلت حاجب
فوت العوالي على شفا تركع في الظراب وقد يوصف الخاضع بانه راكع على سبيل التشبيه والمجاز لما يستعمله من التطامن
والتطاطو وعلى ذلك قول الشاعر لا تهين الفقير علك ان تركع يوما والدهر قد رفعه والحزب الطايفة والجماعة
واصله من قولهم حزبه الامر وهو يحزبه حزبا اذا نابه فكل قوم تشابهت قلوبهم واعمالهم فهم احزاب وحزب القوم
اذا اجتمعوا وحمار حزابية مجتمع غليظ الاعراب لفظة انما مخصصة لما اثبت بعدها نافية لما لم يثبت يقول القائل
لغيره انما لك عندي درهم فيكون مثل ان يقول لك عندي الا درهم وقالوا انما السخا حاتم يريدون نفي السخا
عن غيره والتقدير انما السخا سخا حاتم فحذف المضاف والمفهوم من قول القائل انما اكلت رغيفا وانما لقيت
اليوم زيدا نفي اكل اكثر من رغيف ونفي لقاء غير زيد وقال الاعشى ولست بالاكثر منهم حصى وانما العزة للكاثر اراد
نفي العزة عمن ليس بكاثر وقيل هم راكعون جملة في موضع النصب على الحال من يوتون الزكوة وهم راكعون كما يقال الجواد
من يجود بماله وهو ضاحك وموضع من رفع بالابتداء وفي يتول ضمير يعود الى من وهو مجزوم بالشرط وموضع
الفاء وما بعده جزم لما في ذلك من معنى الجزاء لان تقديره فهو غالب وفي من معنى ان فلهذا جزم الفعل المضارع
ومعنى هذا الحرف الذي في من مع الشرط والجزاء في موضع رفع بكونه خبر المبتدا النزول حدثنا ابو الحمد مهدي
بن نزار الحسني القايني قال حدثنا الحاكم ابو القسم الحسكاني رحمه الله قال حدثني ابو الحسن محمد بن القاسم الفقيه
الصيدلاني قال اخبرنا ابو محمد عبد الله بن محمد الشعراني قال حدثنا ابو علي احمد بن علي بن رزين الباشاني
قال حدثنا المظفر بن الحسن الانصاري قال حدثني السدي بن علي الوراق قال حدثنا يحيى بن عبد الحميد الحماني

عن قيس بن الربيع عن الاعمش عن عباية بن ربعي قال حدثنا عبد الله بن عباس جالس على شفير زمزم يقول قال
رسول الله صلى الله عليه وآله اذ اقبل رجل متعمم بعمامة فجعل ابن عباس لا يقول قال رسول الله الا قال الرجل قال رسول الله
صلى الله عليه وآله فقال ابن عباس سألتك بالله من انت فكشف العمامة عن وجهه وقال ايها الناس من عرفني
فقد عرفني ومن لم يعرفني فانا جندب بن جنادة البدري ابوذر الغفاري سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله
بهاتين والا فصمتا ورأيته بهاتين والا فعميتا يقول علي قائد البررة وقاتل الكفرة منصور من نصره مخذول
من خذله اما اني صليت يوما من الايام مع رسول الله صلى الله عليه وآله صلوة الظهر فسأل سائل في المسجد
فلم يعطه احد فرفع السائل يده الى السماء وقال اللهم اشهد اني سألت في مسجد رسول الله فلم يعطني احد شيئا
وكان علي عليه السلم راكعا فاومى بخنصره اليمنى اليه وكان يتختم بها فاقبل السائل حتى اخذ الخاتم من خنصره وذلك
بعين النبي صلى الله عليه وآله فلما فرغ النبي صلى الله عليه وآله من صلاته فرفع راسه الى السماء فقال اللهم ان اخي
موسى سألك فقال رب اشرح لي صدري ويسر لي امري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيرا
من اهلي هرون اخي اشدد به ازري واشركه في امري فانزلت عليه قرآنا ناطقا سنشد عضدك باخيك ونجعل
لكما سلطانا فلا يصلون اليكما بآياتنا وانا محمد صفيك ونبيك اللهم اشرح لي صدري ويسر لي امري واجعل
لي وزيرا من اهلي عليا اشدد به ظهري قال ابوذر فوالله ما استتم رسول الله صلى الله عليه وآله الكلمة حتى
نزل عليه جبرئيل من عند الله فقال يا محمد اقرأ قال وما اقرأ قال اقرأ انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الآية
روى هذا الخبر ابو اسحاق الثعلبي في تفسيره بهذا الاسناد بعينه وروى ابو بكر الرازي في كتاب احكام
القرآن على ما حكاه المغربي عنه والطبري والرماني انها نزلت في علي حين تصدق بخاتمه وهو راكع وهو
قول مجاهد والسدي وهو قول ابي جعفر وجميع علماء اهل البيت عليهم السلم وقال الكلبي نزلت في عبد الله
بن سلام واصحابه لما اسلموا وقطعت اليهود موالاتهم نزلت الآية وفي رواية عبد الله بن سلام يا رسول الله
انا رأيت عليا تصدق بخاتمه وهو راكع فنحن نتولاه وقد رواه لنا السيد ابو الحمد عن ابي القاسم الحاكم الحسكاني
بالاسناد المتصل المرفوع الى ابي صالح عن ابن عباس قال اقبل عبد الله بن سلام ومعه نفر من قومه ممن
قد آمن بالنبي صلى الله عليه وآله فقالوا يا رسول الله ان منازلنا بعيدة وليس لنا مسجد ولا مجلس دون هذا
المجلس وان قومنا لما رأونا آمنا بالله ورسوله وصدقناه رفضونا وآلوا على انفسهم ان لا يجالسونا ولا يناكحونا
ولا يكلمونا فشق ذلك علينا فقال لهم النبي صلى الله عليه وآله انما وليكم الله ورسوله الآية ثم ان النبي صلى الله عليه
وآله خرج الى المسجد والناس بين قائم وراكع فبصر بسائل فقال النبي صلى الله عليه وآله هل اعطاك احد شيئا
فقال نعم خاتم من فضة فقال النبي صلى الله عليه وآله من اعطاك فقال ذلك القائم واومى بيده الى علي عليه السلم
فقال النبي صلى الله عليه وآله من اعطاك فقال ذلك القائم واومى بيده الى علي على اي حال اعطاك قال اعطاني
وهو راكع فكبر النبي صلى الله عليه وآله ثم قرأ ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون
فانشأ حسان بن ثابت يقول في ذلك شعرا ابا حسن تفديك نفسي ومهجتي وكل بطيء في الهدى ومسارع ايذهب
مديحك المحبر ضائعا وما المدح في جنب الاله بضائع وانت الذي اعطيت اذ كنت راكعا زكوة فدتك
النفس يا خير راكع فانزل فيك الله خير ولاية وبينها في كتاب الشرائع وفي حديث ابرهيم بن الحكم بن ظهير ان
عبد الله بن سلام اتى رسول الله صلى الله عليه وآله مع رهط من قومه يشكون الى رسول الله صلى الله عليه وآله ما لقوا
من قومهم فبيناهم يشكون فنزلت هذه الآية واذن بلال فخرج رسول الله الى المسجد واذا مسكين يسأل فقال
عليه السلم ما اعطيت قال خاتم من فضة قال من اعطاك قال ذاك القائم فاذا هو علي عليه السلم قال على اي حال اعطاك

قال اعطاني وهو راكع فكبر رسول الله صلى الله عليه وآله فقال ومن يتول الله ورسوله الآية **المعنى** ثم بين سبحانه من له الولاية
على الخلق والقيام بامورهم وتجب طاعته عليهم فقال انما وليكم الله ورسوله اي الذي يتولى مصالحكم ويحقق تدبيركم
هو الله تعالى ورسوله يفعله بامر الله والذين آمنوا ثم وصف الذين آمنوا فقال الذين يقيمون الصلوة بشرائطها ويؤتون
الزكوة وهم راكعون في حال الركوع وفي هذه الآية من اوضح الدلالة على امامة علي عليه السلم بعد النبي بلا فصل والوجه
فيه انه اذا ثبت ان لفظة وليكم في الآية تفيد من هو اولى بتدبير اموركم ويجب طاعته عليكم وثبت ان المراد بالذين
آمنوا علي عليه السلم ثبت النص عليه بالامامة ووضح والذي يدل على الاول فهو الرجوع الى اللغة فمن تأملها علم ان القوم
نصوا على ذلك وقد ذكرنا قول اهل اللغة فيه قبل فلا وجه لاعادته ثم الذي يدل على انها في الآية تفيد ذلك دون
غيره ان لفظة انما على ما تقدم ذكره تقتضي التخصيص ونفي الحكم عمن عدا المذكور كما يقولون انما الفصاحة في الجاهلية
يعنون نفي الفصاحة عن غيرهم واذا تقرر هذا لم يجز حمل لفظة الولي على الموالاة في الدين والمحبة لانه لا تخصيص في هذا
المعنى لمؤمن دون آخر والمؤمنون كلهم مشتركون في هذا المعنى كما قال سبحانه والمؤمنون والمؤمنات بعضهم
اولياء بعض واذا لم يجز حمله على ذلك لم يبق الا الوجه الآخر وهو التحقق بالامور وما يقتضي فرض الطاعة على الجمهور
لانه لا يحتمل اللفظة الا الوجهين فاذا بطل احدهما ثبت الآخر والذي يدل على ان المعني بالذين آمنوا هو علي عليه السلم
الرواية الواردة من طريق العامة والخاصة بنزول الآية فيه لما تصدق بخاتمه في حال الركوع وقد تقدم ذكرها
وايضا كل من قال ان المراد بلفظة ولي ما يرجع الى فرض الطاعة والامامة ذهب الى انه هو المقصود بالآية والمنفرد
بمعناها ولا احد من الامة يذهب الى ان هذه اللفظة تقتضي في الآية ما ذكرناه ويذهب الى ان المعني بها سواه
وليس لاحد ان يقول ان لفظة الذين آمنوا لفظ جمع فلا يجوز ان يتوجه اليه على الانفراد وذلك ان اهل اللغة قد
يعبرون بلفظ الجمع عن الواحد على سبيل التفخيم والتعظيم وذلك اشهر في كلامهم من ان يحتاج الى الاستدلال
عليه وليس لهم ان يقولوا ان المراد بقوله وهم راكعون ان هذه شيمتهم وعادتهم فلا يكون حالا لايتاء الزكوة وذلك
لان قوله يقيمون الصلوة قد دخل فيه الركوع فلو لم يحمل قوله وهم راكعون على انه حال من يؤتون الزكوة وحملناه
على ان من صفتهم الركوع كان كالتكرار غير المفيد والتأويل المفيد اولى من البعيد الذي لا يفيد ووجه آخر في الدلالة
على ان الولاية في الآية مختصة انه سبحانه قال انما وليكم الله فخاطب جميع المؤمنين ودخل في الخطاب النبي وغيره ثم قال
ورسوله فاخرج النبي صلى الله عليه وآله لكونهم مضافين الى ولايته فقال والذين آمنوا فوجب ان يكون الذي
خوطب بالآية غير الذي جعلت له الولاية والا ادى الى ان يكون المضاف هو المضاف اليه بعينه والى ان يكون
كل واحد من المؤمنين ولي نفسه وذلك محال واستيفاء الكلام في هذا الباب يطول به الكتاب فمن اراده فليطلبه
من مظانه قال الواحدي واستدل اهل العلم بهذه الآية على ان العمل القليل لا يقطع الصلوة وان دفع الزكوة الى
السائل جائز مع نية الزكوة ومن يتول الله بالقيام بطاعته ورسوله باتباعه والذين آمنوا بالموالاة والنصرة
فان حزب الله اي جند الله عن الحسن وقيل انصار الله هم الغالبون الظافرون على اعدائهم قوله عز وجل **يا ايها الذين
آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم والكفار اولياء واتقوا
الله ان كنتم مؤمنين** آية **القراءة** قرأ اهل البصرة والكسائي والكفار بالجر والباقون بالنصب حجة من قرأ بالجر انه حمل
الكلام على اقرب العاملين وهو عامل الجر وحجة من نصب انه عطف على العامل الناصب فكانه قال لا تتخذوا الكفار
اولياء قال الزجاج يجوز في هزوا اربعة اوجه ان شئت قلت هزوا بضم الزاي وتخفيف الهمزة وهو الاصل والاجود
وان شئت قلت هزوا وابدلت الهمزة واوا لانضمام ما قبلها وان شئت قلت هزءا باسكان الزاي وتحقيق الهمزة وهذه
الاوجه الثلثة جيدة يقرأ بهن ومنها وجه آخر لا يجوز القراءة به وهو ان تقول هزا مثل هدى وذلك عن [illegible]

اللغة الهزو والسخرية وهو اظهار ما تلهي تعجبا بما يجري قد
الهمزة هزؤا ان تطرح حركتها على الزاي كما تقول رايت خبا تريد خبأ
الهمزة هزا ان تطرح حركتها على الزاي كما تقول رايت خبا تريد خبأ فلا يكبر ذلك ولا يعجب يقال هزا يهزؤ
اسد تعالى ولقد استهزئ برسل من قبلك قال الشاعر الا هربت واعجبها المشيب فلا بكر لديك ولا عجيب
ويهزا ويستهزا واللعب الاخذ على غير طريق الحق ومثله العبث واصله من لعاب الصبي يقال لعب يلعب لعبا اذا سال لعابه
لانه يخرج الى غير جهته فكذلك اللاعب يخرج الى غير جهة الصواب النزول قيل كان رفاعة بن زيد بن التابوت وسويد
بن الحارث قد اظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما فنزلت الآية عن ابن عباس المعنى ثم اكد سبحانه
النهي عن موالاة الكفار فقال يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا اي اظهروا الايمان
باللسان واستبطنوا الكفر فذلك معنى تلاعبهم بالدين من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم يعني اليهود والنصارى والكفار
بالجر اي ومن الكفار اولياء اي بطانة واخلاء فيكون الهزو من الكتابي والمشرك والمنافق ويدل على استهزاء المشركين
قوله سبحانه انا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله الها آخر ويدل على استهزاء المنافقين قوله واذا خلوا الى شياطينهم
قالوا انا معكم انما نحن مستهزءون وكل من ذكرنا من المشركين والمنافقين ومن لم يسلم من اليهود والنصارى
يقع عليه اسم كافر يدل على ذلك قوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين فاذا وقع على المستهزئين
اسم كافر حسن ان يكون قوله والكفار بيانا للاسم الموصول وهو الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا كما كان قوله من الذين
اوتوا الكتاب من قبلكم كذلك ولو قال من الكفار ومن به لعم الجميع ولكن الكفار كانه على المشركين اغلب واهل
الكتاب على من اذا عاهد دخل في ذمة المسلمين وقبلت منه الجزية واقر على دينه اغلب فلذلك فصل بينهما واما
القراءة بالنصب فمعناه لا تتخذوا المستهزئين من اهل الكتاب ولا تتخذوا الكفار واتقوا الله في موالاتهم بعد النهي عنه
ان كنتم مؤمنين بوعده ووعيده اي ليس من صفات المؤمنين موالاة من يطعن في الدين فمن كان مؤمنا غضب لايمانه على من
طعن فيه وكافاه بما يستحقه من المقت والعداوة قوله عز وجل واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها هزوا ولعبا ذلك
بانهم قوم لا يعقلون آية اللغة النداء الدعاء الذي يمد الصوت على طريقة يا فلان واصله نداء الصوت وهو
بعد مذهبه وصحته ومنه قولهم اناديك ولا اناجيك اي اعالنك النداء ولا ابين لك النجوى قال ابو ذهيل فابرزتها
من بطن مكة بعدما اصات المنادي بالصلوة فاعتما واصل الباب الندى وهو الاجتماع يقال انتدى القوم يتندون
تنديا اي اجتمعوا في النادي ومنه دار الندوة وندى الماء لانه يجتمع قليلا قليلا وندى الصوت منه لانه عن حزم ند
المعنى ثم اخبر سبحانه عن صفة الكفار الذين نهى المؤمنين عن موالاتهم فقال واذا ناديتم بها المؤمنون الى الصلوة اي دعوتم
اليها اتخذوها هزوا ولعبا وقيل في معناه قولان احدهما انهم كانوا اذا اذن المؤذن للصلوة تضاحكوا فيما بينهم
وتغامزوا على طريق السخف والمجون تجهيلا لاهلها وتنفيرا للناس عنها وعن الداعي اليها والآخر انهم كانوا يرون
المنادي اليها بمنزلة اللاعب الهازي بفعلها جهلا منهم بمنزلتها ذلك بانهم قوم لا يعقلون قيل فيه قولان احدهما
انهم لا يعقلون ما لهم في اجابتهم لو اجابوا اليها من الثواب وما عليهم في استهزائهم بها من العقاب والثاني انه بمنزلة من لا عقل
له يمنعه من القبائح ويردعه عن الفواحش قال السدي كان رجل من النصارى بالمدينة فسمع المنادي ينادي اشهد
ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فقال حرق الكاذب فدخلت خادمه ليلة بنار وهو نائم واهله فسقطت
شرارة فاحترق هو واهله واحترق البيت قوله عز وجل قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا الا ان آمنا بالله وما انزل
الينا وما انزل من قبل وان اكثركم فاسقون آية اللغة يقال نقم الامر ينقم نقما ونقم ينقم نقما اذا انكره والاول
اكثر قال عبد الله بن قيس الرقيات ما نقموا من بني امية الا انهم يحلمون ان غضبوا وسمي العقاب نقمة لانه يجب على ما ينكر من الفعل
الاعراب قوله وان اكثركم فاسقون في موضع نصب وكذلك قوله ان آمنا بالله والتقدير هل تكرهون منا الا ايماننا وفسقكم
النزول قيل ان نفرا من اليهود اتوا رسول الله صلى الله عليه وآله فسالوه عمن يؤمن به من الرسل فقال اؤمن بالله وما انزل

الينا وما انزل الى ابرهيم واسمعيل واسحق الى قوله ونحن له مسلمون فلما ذكر عيسى جحدوا نبوته وقالوا والله ما
نعلم اهل دين اقل حظا في الدنيا والآخرة منكم ولا دينا شرا من دينكم فانزل الله الآية المعنى ثم امر سبحانه نبيه بحجاجهم فقال
قل يا محمد يا اهل الكتاب هل تنقمون منا اي هل تنكرون منا وقيل هل تسخطون وقيل هل تكرهون منا والمعاني
متقاربة الا ان آمنا بالله فوحدناه ووصفناه بما يليق به من الصفات العلى ونزهناه عما لا يجوز عليه في ذاته
وصفاته وما انزل الينا من القرآن وما انزل من قبل على الانبياء وان اكثركم فاسقون قال الزجاج معناه
هل تكرهون الا ايماننا وفسقكم اي انما كرهتم ايماننا وانتم تعلمون انا على حق لانكم فسقتم بان اقمتم على دينكم لمحبتكم
الرياسة وكسبكم بها الاموال وهذا قول الحسن لفسقكم نقمتم علينا قال بعض اهل التحقيق فعلى هذا يجب في موضع
ان في قوله وان اكثركم نصبا باضمار اللام على تاويل ولان اكثركم فاسقون وقيل لما ذكر سبحانه ما نقمه اليهود عليهم من
الايمان بجميع الرسل وليس هو مما ينقم ذكر في مقابلته فسقهم وهو مما ينقم ومثل هذا حسن في الازدواج يقول
القائل هل تنقم مني الا اني عفيف وانك فاجر والا اني غني وانت فقير فيحسن ذلك لاتمام المعنى بالمقابلة ومعنى
فاسقون خارجون عن امر الله طلبا للرياسة وحسدا على منزلة النبوة والمراد بالاكثر من لم يؤمن منهم لان قليلا
من اهل الكتاب امن وقيل في قوله وان اكثركم فاسقون قول آخر ذكره ابو علي الجرجاني صاحب النظم قال يجعله
منظوما بقوله آمنا بالله على تاويل آمنا بالله وبان اكثركم فاسقون فيكون مع ان جرا بالباء وهذا وجه حسن قوله عز وجل
قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد
الطاغوت اولئك شر مكانا واضل عن سواء السبيل آية القراءة قرا حمزة وحده وعبد الطاغوت بضم الباء
وجر التاء والباقون وعبد الطاغوت بفتح الباء ونصب التاء وروي في الشواذ قرا الحسن وابن هرمز مثوبة
ساكنة الثاء مفتوحة الواو وكذلك في سورة البقرة لمثوبة وقرا ابن عباس وابن مسعود وابرهيم النخعي
والاعمش وابان بن تغلب وعبد الطاغوت بضم العين والباء وفتح الدال وحفص الطاغوت وقراءة ابي بن كعب
وعبدوا الطاغوت ورواه عكرمة عن ابن عباس وعبد الطاغوت بتشديد الباء وفتح الدال وقراءة ابي واقد وعباد
الطاغوت وعباد الطاغوت وقراءة ابي جعفر الرواسي النحوي وعبد الطاغوت كقولك ضرب زيد لم يسم فاعله
وقراءة عون العقيلي وابن بريدة وعابد الطاغوت ورواية علقمة عن ابن مسعود وعبد الطاغوت على وزن ضرب
فهذه عشر قراءات اثنان منها في السبعة الحجة قال ابو علي حجة حمزة في قراءة وعبد الطاغوت انه يحمله على ما عمل فيه
جعل كانه وجعل منهم عبد الطاغوت ومعنى جعل خلق كقوله وجعل الظلمات والنور وجعل منها زوجها وليس
عبد لفظ جمع لانه ليس من ابنية الجموع شيء على هذا البناء ولكنه واحد يراد به الكثرة الا ترى ان في الاسماء المفرد
المضافة الى المعارف ما لفظه لفظ افراد ومعناه الجمع كما في قوله وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ولان بناء فعل
يراد به المبالغة والكثرة نحو يقظ وندس فكان تقديره انه قد ذهب في عبادة الطاغوت كل مذهب وبكر ذلك
منه واما من فتح فقال وعبد الطاغوت فانه فتح على بناء الماضي الذي في الصلة وهو قوله لعنه الله وافرد الضمير
في عبد وان كان المعنى فيه الكثرة لان الكلام محمول على لفظ دون معناه وفاعله ضمير من كما ان فاعل الامثلة المعطوف
عليها ضمير من فافرد بحمل ذلك جميعا على اللفظ ولو حمل الكل على المعنى او البعض على اللفظ والبعض على المعنى لكان مستقيما
واما الوجه في المثوبة فانه قد خرج على الاصل شاذا قال ابو الفتح ومثله ما حكاه عنه العكاهة مفرده الى الادواء وفيا
مقادة ومثابة ومثله مريد وقياسه حاد الا ان مريدا علم والاعلام قد يحتمل فيها ما يكون من الاجناس نحو محبب ومكوزة
وموهب وموظب ورجاء بن حيوة ومثوبة مفعلة ومثوبة مفعلة ونظيرها المبطخة والمسرقة والمشرفة واما مثوبة موفوقة
فنقلت الضمة من الواو الى الثاء ومثلها معونة وقيل هي مفعولة مثل مقولة ومصوفة على معنى المصدر قال الشاعر وكنت
اذا جاري دعا لمصوفة اشمر حتى ينصف الساق مئزري قال واما قوله عبد الطاغوت فهو جمع عبد وانشد ابيات الصداني

الحله ومن نون عبد هكذا قال ابو الحسن وقال احمد بن يحيى عبد جمع عابد كنازل ونزل وشارف وشرف وكذلك
وكذلك عبد جمع عابد ومثله عباد وعباد ويجوز ان يكون عباد جمع عبد واما عبد الطاغوت وعبدوا الطاغوت
ظاهر واما عابد الطاغوت فهو واحد في معنى جماعة وكذلك وعبد الطاغوت لانه كحذر ولبد كما ان عبد الحد دوقطن
ووطف ونجد الاعراب مثوبة نصب على التفسير كقوله هو خير ثوابا موضع من يحتمل ثلاثة اوجه من الاعراب احدها الجر
على البدل والتقدير هل انبئكم بمن لعنه الله والثاني الرفع على خبر المبتدأ المحذوف اي هم من لعنه الله والثالث
النصب على البدل من موضع الجار والمجرور والتقدير انبئكم من لعنه الله ومكانا نصب على التمييز المعنى ثم امر سبحانه نبيه
ان يخاطبهم فقال يا محمد لهؤلاء المستهزئين من اليهود والكفار هل انبئكم اي هل اخبركم بشر من ذلك مثوبة عند الله
اي ثوابها من ايماننا ثوابا اي جزاء المعنى ان كان ذلك عندكم شرا فانا اخبركم بشر منه عاقبة عند الله فقيل
معناه هل اخبركم بشر من ذلك لطعنهم عليه من المسلمين وانما قال بشر من ذلك وان لم يكن في المؤمنين شر على
الانصاف في المخاطبة والمظاهرة في الحجاج كقوله انا واياكم لعلى هدى او في ضلال مبين من لعنه الله اي ابعده
من رحمته وغضب عليه لفسقه وكفره وغضبه عليه ارادته العقوبة والاستخفاف به وقيل غضبه ان ضرب عليهم
الذلة والمسكنة والجزية ايما كانوا من الارض وجعل منهم القردة والخنازير اي مسخهم قردة وخنازير قال المفسرون يعني
بالقردة اصحاب السبت وبالخنازير كفار مائدة عيسى وروى الوالبي عن ابن عباس ان الممسوخين من اصحاب السبت
لان شبابهم مسخوا قردة وشيوخهم مسخوا خنازير وعبد الطاغوت قال الزجاج هو نسق على لعنه الله المعنى من لعنه الله
ومن عبد الطاغوت وقال الفراء تاويله وجعل منهم القردة
ومن عبد الطاغوت فعلى هذا يكون الموصول محذوفا وذلك يجوز عند البصريين والصحيح الاول والطاغوت هنا
الشيطان عن ابن عباس والحسن لانهم اطاعوه طاعة المعبود وقيل هو العجل الذي عبده اليهود عن الجبائي لان الكلام
كله في صفتهم ولا تعلق في هذه الآية للمجبرة لانه اكثر ما تضمنته الاخبار بانه خلق من تعبد الطاغوت على قراءة حمزة وغيره
ممن قرأ عبادا وعبادا وعبد وغير ذلك ولا شبهة في انه تعالى خلق الكافر ولا خالق للكافر سواه غير ان ذلك لا يوجب انه
يكون خلق كفره وجعله كافرا وليس لهم ان يقولوا انا نستفيد من قوله جعل منهم من عبد الطاغوت او عبد الطاغوت
انه خلق ما به كان عابدا كما نستفيد من قوله وجعل منهم القردة والخنازير انه جعل ما به كانوا كذلك وذلك انا انما استفدنا
ما ذكروه لان الدليل قد دل على ان ما به يكون القرد قردا والخنزير خنزيرا لا يكون الا من فعل الله تعالى وليس كذلك
ما به يكون الكافر كافرا فانه قد دل الدليل على انه سبحانه تعالى عن فعله وخلقه فافترق الامران اولئك شر مكانا اي
هؤلاء الذين وصفهم الله فانه لعنهم وغضب عليهم وانهم عبدوا الطاغوت شر مكانا لان مكانهم سقر ولا شر في مكان
المؤمنين او مثله اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وقيل معناه انهم شر مكانا في عاجل الدنيا وآجل الآخرة ممن نقموا عليه من
المؤمنين فاما في الدنيا فبالقتل والسبي وضرب الذلة والمسكنة عليهم والزام الجزية واما في الآخرة فبعذاب الابد
واضل عن سواء السبيل اي اجور عن الطريق المستقيم وابعد من النجاة قال المفسرون فلما نزلت هذه الآية عير المسلمون
اهل الكتاب وقالوا يا اخوان القردة والخنازير فنكسوا رؤوسهم وافتضحوا قوله عز وجل واذا جاؤكم قالوا آمنا وقد
دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به والله اعلم بما كانوا يكتمون وترى كثيرا منهم يسارعون في الاثم والعدوان
واكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون
ثلاث آيات اللغة الفرق بين الاثم والعدوان ان الاثم الجرم كائنا ما كان والعدوان الظلم وقد مر معنى السحت وقيل
الصنع والعمل واحد وقيل الفرق بينهما ان الصنع مضمن بالجودة من قولهم ثوب صنيع وفلان صنيعة فلان اذا استخلصه
على غيره وصنع الله لفلان اي احسن اليه وكل ذلك كالفعل الجيد الاعراب قد تدخل في الكلام على وجهين اذا كانت
مع الماضي قربته من الحال واذا كانت مع المستقبل دلت على التقليل وموضع الباء من قوله وقد دخلوا بالكفر وهم قد

خرجوا نصب على الحال لان المعنى قد دخلوا كافرين وخرجوا كافرين لانه لا يريد انهم دخلوا يحملون شيئا وهو كقولك خرج زيد
بثيابه اي وثيابه عليه ولا يريد خرج لابسا ثيابه ومثله قول الشاعر ومستنة كاستنان الخروف قد قطع الحبل بالمرود اي وفيه
المرود وهذه صفة الفرس قوله متى جاؤكم واذا جاؤكم ان متى يتضمن معنى ان الجزاء ويعمل فيه جاؤكم ولا يجوز
ان يعمل في اذا مضاف الى ما بعده والمضاف اليه لا يعمل في المضاف لانه من تمامه لبئس اللام فيه لام القسم ولا يجوز
ان يكون لام الابتداء لانها لا تدخل على الفعل الا في باب ان خاصة لانها اخرت الى الخبر لئلا يجتمع حرفان متفقان في المعنى
وقوله لبئس ما كانوا يعملون يدل على ان الحمد والذم يكون بالافعال لانه بمنزلة لبئس العمل عملهم وما يحتمل امرين
احدهما يكون كافة كما يكون في انما زيد منطلق وليتما عمرو قائم فلا يكون لها على هذا موضع والثاني ان يكون
نكرة موصوفة كانه قيل لبئس شيئا كانوا يعملونه ولولا هنا بمعنى هلا قال علي بن عيسى واصلها التقرير لوجوب
الشيء عن الاول لتقلب الى التحضيض على فعل الثاني من اجل الاول وان لم يذكر ولابد معها من لا لانه دخلها
معنى لم تفعل ومتى قيل كيف تدخل لولا على الماضي وهي للتحضيض وفي التحضيض معنى الامر قيل لانها تدخل للتحضيض والتوبيخ
فاذا كانت مع الماضي فهي توبيخ كقوله تعالى لولا جاؤوا عليه باربعة شهداء المعنى ثم اخبر تعالى عن هؤلاء المنافقين
بقوله واذا جاؤكم ايها المؤمنون قالوا آمنا اي صدقنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به قيل فيه قولان احدهما انهم
دخلوا به على النبي صلى الله عليه وآله وخرجوا به من عنده اي دخلوا وخرجوا كافرين والكفر معهم في كلتي حالتيهم عن الحسن
وقتادة والثاني معناه قد دخلوا به في احوالهم وخرجوا به الى احوال اخر كقولك هو يتقلب في الكفر ويتصرف فيه وقوله
وهم قد خرجوا به اكد الكلام بالضمير تعيينا اياهم بالكفر وتمييزا لهم عن غيرهم بهذه الصفة والله اعلم بما كانوا يكتمون معناه
بما يكتمونه من نفاقهم اذا اظهروا بالسنتهم ما اضمروا خلافه في قلوبهم ثم بين سبحانه انهم يصيرون الى نفاقهم حصنا لا اخرج منه
فقال يا محمد وترى كثيرا منهم قيل المراد بالكثير رؤساؤهم وعلماؤهم يسارعون يبادرون في الاثم والعدوان قيل الاثم
الكفر عن السدي والعدوان مجاوزة حدود الله تعالى وتعديها وقيل ان الاثم كل معصية وهو الاولى والعدوان
الظلم اي يسارعون في ظلم الناس وفي الجرم الذي يعود عليهم بالوبال والخسران واكلهم السحت الرشوة في الحكم عن الحسن
وسماها سحتا لانه يؤدي الى الاستئصال وقيل لانها تذهب بالبركة من المال قال اهل المعاني اكثر ما يستعمل المسارعة
في الخير كقوله تعالى ويسارعون في الخيرات وفائدة لفظة المسارعة هنا وان كان لفظ المحمدة ادل على الذم انهم يعملونه
كانهم محقون فيه لذلك قال ابن عباس في تفسيره انهم يجترئون على الخطأ لبئس ما كانوا يعملون اي لبئس العمل عملهم لولا ينهاهم
اي هلا ينهاهم والكناية في هم تعود الى الكثير الربانيون العلماء بالدين الذين من قبل الرب على وجه تغيير الاسم
كما قالوا روحاني في النسبة الى الروح وبحراني في النسبة الى البحر وقال الحسن الربانيون علماء اهل الانجيل والاحبار علماء
اهل التوراة وقال غيره كلهم من اليهود لانه يتصل بذكرهم عن قولهم الاثم اي عن تحريفهم الكتاب وقيل عن كل
ما قالوا بخلاف الحق واكلهم السحت اي الحرام والرشوة لبئس ما كانوا يصنعون اي بئس الصنع صنعهم حيث اجتمعوا
على معصية الله تعالى انزل الله سبحانه علماءهم بترك النكير عليهم فيما صنعوا منزلتهم فذم هؤلاء بمثل اللفظ
الذي ذم بها اولئك وفي هذه الآية دلالة على ان تارك النهي عن المنكر بمنزلة مرتكبه وفيه وجوب الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر قوله عز وجل وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان
ينفق كيف يشاء وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا والقينا بينهم العداوة والبغضاء
الى يوم القيمة كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله ويسعون في الارض فسادا والله لا يحب المفسدين آية
اللغة اليد تذكر في اللغة على خمسة اوجه الجارحة والنعمة والقوة والملك وتحقيق اضافة الفعل فالنعمة في قولهم
لفلان عندي يد اشكرها اي نعمة قال عدي بن زيد ولن اذكر النعمان الا بصالح فان له عندي يديا وانعما جمع
يد على ايدي كالكليب والعبيد وحسن التكرير لاختلاف اللفظين واليد القوة في نحو قوله تعالى اولي الايدي والابصار

اى ذوى القوى والعقول وانشد الاصمعى للغنوى فاعمد لما تعلوا فمالك بالذى لا تستطيع من الامور يدان يريد
ليس به قوة وعلى هذا ما ذكره سيبويه من قولهم لا يدين لك بها ومعنى هذا التثنية المبالغة فى نفى الاقتدار والقوة
على الشى واليد بمعنى الملك نحو قوله تعالى الذى بيده عقدة النكاح اى يملك ذلك وهذه الصيغة فى يدفلان اى فى
ملكه واليد بمعنى التولى للشى واضافة الفعل فى نحو قوله تعالى لما خلقت بيدى اى توليت خلقه تخصيصا لادم وتشريفا
بهذا وان كان جميع المخلوقات هو خالقها لا غيره وتقول يدى لك رهن بالوفا اذا ضمنت له شيا وكان معناه اجتهادى
وطاقتى وتستعمل ايضا حيث يراد النصرة وذلك كما جاء فى الحديث هم يد على من سواهم اى نصرتهم واحدة وكلمتهم مجتمعة
على من عاداهم قال احمد بن يحيى بن ثعلب اليد الجماعة ومنه الحديث هم يد على من سواهم وقد تستعار اليد للشى
الذى لا يد له تشبيها بمن له اليد قال ابن الاعرابى يد الدهر الدهر كله لا اتيته يد الدهر ويد المسند قال ذو الرمة الا طرقت
مرهوبا تكرها وايدى الثريا جنح فى المغارب واصل هذه الاستعارة لثعلبة بن صعير فى قوله الفت ذكا يمينها
فى كافر وجعل للشمس يدا فى المغيب لما اراد ان يصفها بالغروب ثم للبيد فى قوله حتى اذا القت يدا فى كافر واجن عورات الثغور
ظلامها وقد تستعار اليد فى مواضع كثيرة يطول لذكرها ولما كان الجواد ينفق باليد والبخيل يمسك باليد عن الانفاق
اضافوا الجود والبخل الى اليد فقالوا للجواد مبسوط اليد وسبط البنان فياض الكف وللبخيل كز الاصابع مقبوض
الكف جعد الانامل فى اشياء لهذه كثيرة معروفة فى اشعارهم وانكر الزجاج على ان من ذهب الى ان معنى اليد فى الاية
النعمة قال ان هذا ينقضه بل يداه مبسوطتان فيكون المعنى بل نعمتاه مبسوطتان ونعم الله اكثر من ان يحصى قال ابو على
الفارسى قوله نعمتاه مبسوطتان لا يدل على تقليل النعمة وعلى ان نعمته نعمتان اثنتان ولكنه على الكثرة والمبالغة فقد
جاء التثنية يراد بها الكثرة والمبالغة وتعداد المثنى لا المعنى الذى يشفع الواحد المفرد الا ترى الى قولهم لبيك انما
هو اقامة على طاعتك بعد اقامة وكذلك سعديك انما هو مساعدة بعد مساعدة وليس المراد بذلك طاعتين
اثنتين ولا مساعدتين اثنتين وكذلك نعمة فى الاية انما نعم ظاهرة متتابعة فهذا وجه وان شئت حملت المعنى
على انه يريد جنسين لا نعم واحد مفرد ويكون احد جنسى النعمة نعمة الدنيا والاخرة اى نعمة الاخرة او نعمة الدين
فلا تكون التثنية على هذا مرادا بها اثنين وقد جاء تثنية اسم الجنس فى كلامهم مجازا واسعا قال الفرزدق وكل رفيقى
كل رحل وان هما تعاطى القنا قوماهما اخوان فتاويل الرفيقين فى البيت العموم والاشاعة الا ترى انه لا يجوز
ان يكون رفيقان اثنان لكل رحل بعد فاذا كانوا قد استجازوا تثنية الجمع الذى على بناء الكثرة كقول الاصبح الغوم
اوبادا ولم تجد عند العرف فى الهيجا جمالين وقد تسعى عقالا فلم يترك لنا سبدا فكيف لو قد سعى عمرو عقالين
وكقول ابى النجم بين رماحى نهشل وعقيل ويجوزها حكاه سيبويه من نحو قولهم لقد جاب سود افان يجوز تثنية
اسم الجنس احسن لانه على لفظ الواحد فالتثنية فيه احسن اذ هو اشبه بالفاظ الاولاد الاعراب قال ابو على اعلم ان
يدا كلمة نادرة وزنها فعل يدل على ذلك قولهم ايد وجمعهم لها على افعل ككلب وانفس يدل على انه فعل كما دل انا واخا
على وزن اب واخ فعل واللام منه ياء فهو من باب سلس وقلق ولا نعلم لذلك فى الكلام نظيرا والذى يدل على ذلك
ان بدت له يدا ولا نعلم فى الواو مثل الذى انهم نحو مثل دعوت وقد جاء فى الاسماء ذلك وهو قولهم واو واما قولهم ذهبوا
ايادى سبا اذا ارادوا الافتراق وقول ذى الرمة فيالك من دار تحمل اهلها ايادى سبا بعدى وطال احتيالها فهو فى موضع
حال الا انه كقولك ذهبوا متفرقين واذا كان كذلك لا يصلح اضافته لان شيا معرفة فيكون المضاف اليه معرفة
واذا كان معرفة وجب الا يكون حالا فالوجه فيه عندى الا تقدر فيها الاضافة ولكن تجعل الاسمين بمنزلة
اسم واحد كحضرموت فى لم يصف وكان القياس ان يحرك اللام من ايادى بالفتح فى موضع النصب الا انهم اسكنوه
ولم يحركوه وشبهوه بالحالتين الاخرتين وهذا الضرب قد اطرد فيه الاسكان وقالوا معدى كرب وقالى قلا ويادى
يدا فاسكنوا جميع ذلك المعنى ثم اخبر الله سبحانه عن عظيم فريتهم فقال سبحانه وقالت اليهود يد الله مغلولة اى مقبوضة عن العطا

ممسكة عن الرزق فنسبوه الى البخل عن ابن عباس وعكرمة والضحاك وقتادة قالوا ان الله كان بسط على اليهود حتى كانوا
من اكثر الناس مالا واخصبهم ناحية فلما عصوا الله فى محمد عليه السلام وكذبوه كف الله عنهم ما بسط عليهم من السعة
فقال عند ذلك فنحاص بن عازورا يد الله مغلولة ولم يقل الى عنقه قال اهل المعانى انما قاله فنحاص ولم ينهه
الاخرون ورضوا بقوله فاشركهم الله فى ذلك وقيل معناه يد الله مكفوفة عن عذابنا فليس يعذبنا الا بما تبر
قسمه قدر ما عبد اباؤنا العجل عن الحسن وقيل انه استفهام تقديره ايد الله مغلولة عنا حيث قتر المعيشة
علينا وقال ابو القاسم البلخى يجوز ان يكون اليهود قالوا قولا واعتقدوا مذهبا يؤدى معناه الى ان الله تعالى
يبخل فى حال ويجود فى حال اخرى فحكى الله عنهم ذلك على وجه التعجب لهم والتكذيب لهم ويجوز ان يكون قالوا ذلك
على وجه الهزء من حيث لم يوسع على النبى صلى الله عليه واله وعلى اصحابه وليس ينبغى ان يتعجب من قوم يقولون
لموسى اجعل لنا الها كما لهم الهة ويتخذون العجل الها ان يقولوا ان الله يبخل تارة ويجود اخرى وقال الحسين بن على المغربى
حدثنى بعض اليهود بمصر ان طايفة منهم قالت ذلك غلت ايديهم قيل فيه اقوال احدها انه على سبيل الدعاء اى غلت
ايديهم فى جهنم عن الحسن واختاره الجبائى ومعناه شدت الى اعناقهم وثانيها انهم جوزوا على هذا القول بهذا الجزاء
فعلى هذا يكون فى الكلام ضمير الفا او الواو وتقديره فغلت ايديهم او وغلت ايديهم لان كلامهم قد تم واستوقف
بعد كلام اخر ومن عادتهم ان يحذفوا مما يجرى هذا الموضع ومن ذلك قوله واذ قال موسى لقومه ان الله يامركم
ان تذبحوا بقرة قالوا اتتخذنا هزوا والمراد فقالوا لان موسى قد تم وثالثها ان يكون القول خرج مخرج الدعاء كما
يقال قاتله الله عن ابى مسلم وعلى هذا فيكون معناه تعليمنا وتوقيفنا على الدعاء عليهم كما علمنا الاستثناء فى غير هذا
الموضع بقوله لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله امنين ورابعها ان معناه جعلوا بخلاء والزموا البخل فهم ابخل قوم
فلا يلقى يهودى ابدا غير لئيم بخيل عن الزجاج ولعنوا بما قالوا اى ابعدوا عن رحمة الله تعالى وثوابه بسبب هذه
المقالة وقيل عذبوا فى الدنيا بالجزية وفى الاخرة بالنار عن الحسن ثم رد الله سبحانه عليهم بضد مقالتهم فقال
بل يداه مبسوطتان اى ليس الامر على ما وصفوه بل هو جواد فليس لذكر اليد هنا معنى غير افادة معنى الجواد وانما
ثناه على التثنية مبالغة فى معنى الجود والانعام لان ذلك ابلغ من ان يقول بل يده مبسوطة ويمكن ان يكون المراد
باليد النعمة ويكون الوجه فى تثنية النعمة انه اراد نعم الدنيا ونعم الاخرة لان الكل وان كانت نعم الله تعالى فمن حيث
اختص كل منهما بصفة تخالف صفة اخرى صار كانهما جنسان ويمكن ان تكون تثنية النعمة لانه اراد بها النعم الظاهرة
والباطنة كما قال سبحانه واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة وقيل المراد باليدين القوة والقدرة عن الحسن ومعناه انه
بالثواب والعقاب مبسوطتان بخلاف قول اليهود ان يده مقبوضة عن عذابنا ينفق كيف يشاء معناه يعطى
كيف ما يشاء من عباده ويمنع من يشاء منهم لانه متفضل بذلك يفعل على حسب المصلحة وليزيدن كثيرا منهم
ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا اى سيزدادون عند انزال القران اليك طغيانا وكفرا يريد بالكثير
منهم المقيمين على الكفر وانما ازدادوا الكفر لانه كلما انزل الله سبحانه حكما فاخبرهم به النبى صلى الله عليه واله جحدوه وازدادوا
بذلك طغيانا وهو التمادى والمجاوزة عن الحد وكفرا انضم الى كفرهم وهذا كما يقول القايل وعظتك فكانت موعظتى
وبالا عليك وما زادتك الا شرا على معنى انك ازددت عندها شرا وذلك مشهور فى الاستعمال والقينا بينهم العداوة
والبغضاء الى يوم القيمة اى بين اليهود والنصارى عن الحسن ومجاهد وقيل بين اليهود خاصة وقد مر تفسيره فى
اول السورة عند قوله فاغرينا بينهم العداوة والبغضاء كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله اى لحرب محمد عن
الحسن ومجاهد وفى هذا دلالة ومعجزة لان الله سبحانه اخبر فوافق خبره المخبر فقد كانت اليهود اشد اهل
الحجاز باسا وامنعهم دارا حتى ان قريشا تعتضد بهم والاوس والخزرج تستبق على مخالفتهم وتكثر بنصرتهم فاباد الله

خزاهم واستاصل شافتهم واجمت اصلهم فاجلى الله النبي صلى الله عليه وآله بني النضير وبني قينقاع وقتل بني قريظة
وشرد اهل خيبر وغلب على اهل فدك ودان له اهل وادي القرى فمحى الله سبحانه آثارهم صاغرين وقال قتادة معناه
ان الله سبحانه اذلهم ذلا لا يعزون بعده ابدا وانما يطفئ نار حربهم بلطفه وربما يطلع نبيه على اسرارهم وعلى ما
عليه من التاييد والنصرة ويسعون في الارض فسادا بمعصية الله وتكذيب رسله ومخالفة امره ونهيه واجتهادهم
في محو ذكر النبي من كتبهم والله لا يحب المفسدين العاملين بالفساد والمعاصي قوله عز وجل **ولو ان اهل الكتاب**
آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولادخلناهم جنات النعيم ولو انهم اقاموا التورية والانجيل وما انزل
اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم منهم امة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون آيتان اللغة
اصل التكفير التغطية ومنه يكفر في السلامة والاقتصاد الاستواء في العمل الذي يودي الى الغرض واشتقاقه
من القصد لان القاصد الى ما يعرف مكانه فهو يمر على الاستقامة اليه بخلاف الطالب المتحير في طلبه **الاعراب** ساء
ما كانوا يعملون يحتمل ان يكون ما مع ما بعدها بمنزلة المصدر ويحتمل ان يكون بمعنى الذي وما بعدها صلته
لها والعايد محذوف **المعنى** ولو ان اهل الكتاب يعني اليهود والنصارى آمنوا بمحمد صلى الله عليه وآله واتقوا الكفر والفواحش
لكفرنا عنهم سيئاتهم اي سترناها عليهم وغفرناها لهم ولادخلناهم جنات النعيم ظاهر المعنى ولو انهم اقاموا التورية
والانجيل اي عملوا بما فيهما على ما فيهما دون ان يحرفوا شيئا منهما او يغيروا او يبدلوا كما كانوا يفعلونه ويحتمل ان يكون
معناه عملوا بما فيهما بان اقاموها نصب اعينهم لئلا يزلوا في شيء من حدودها وما انزل اليهم من ربهم يريد بالقرآن
عن ابن عباس واختاره الجبائي وقيل المراد به كل ما دل الله عليه من امور الدين لاكلوا من فوقهم بارسال السماء عليهم
مدرارا ومن تحت ارجلهم باعطاء الارض خيرها وبركتها عن ابن عباس وقتادة ومجاهد وقيل المراد لاكلوا ثمار
النخيل والاشجار من فوقهم والزرع من تحت ارجلهم والمعنى لتركوا في ديارهم ولم يجلوا من بلادهم ولم يقتلوا فكانوا يتمتعون
باموالهم وزروعهم وثمارهم وما رزقهم الله من النعم وانما خص سبحانه الاكل لان ذلك معظم الانتفاع وفي هذا تاسف
لليهود على ما فاتهم واعتداد لما كانوا فيه من سعة نعم الله عليهم وهو جواب لقولهم اياه في قولهم يد الله مغلولة وقيل
المعنى في قوله لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم التوسعة كما تقول فلان في الخير من قرنه الى قدمه اي ياتيه الخير من كل
جهة يلتمسه منها ونظير هذه الآية قوله وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه
من حيث لا يحتسب جعل الله سبحانه التقوى من اسباب التوسعة في الرزق منهم امة مقتصدة اي من هولاء القوم معتدلة
في العمل من غير غلو ولا تقصير قال ابو علي الجبائي وهم الذين اسلموا منهم وتابعوا النبي صلى الله عليه وآله وبه قال مجاهد
والسدي وابن زيد وهو المروي في تفسير اهل البيت ع وقيل يريد به النجاشي واصحابه وقيل انهم قوم لم يناصبوا النبي
صلى الله عليه وآله مناصبة هولاء حكاه الزجاج ويحتمل ان يكون اراد به من لم يغل منهم بان المسيح عبد الله ولا يدعي
الالهية وكثير منهم ساء ما يعملون قبح عملهم اي كثير من هولاء اليهود والنصارى يعملون الاعمال السيئة وهم مقيمون على
الكفر والجحد بالنبي صلى الله عليه وآله قوله عز وجل **يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت**
رسالته والله يعصمك من الناس ان الله لا يهدي القوم الكافرين آية **القراءة** قرا نافع وابن عامر وابو بكر عن عاصم
رسالاته على الجمع والباقون رسالته على التوحيد **الحجة** قال ابو علي حجة من جمع ان الرسل يرسلون بضروب من الرسائل
كالتوحيد والشرايع فلما اختلفت الرسايل حسن ان يجمع كما حسن ان يجمع اسماء الاجناس اذا اختلفت الا ترى انك تقول
رايت تمور البصرة فيجمع هذه الاسماء اذا اردت ضروبها كما يجمع غيرها من الاسماء وحجة من افرد هذه الاسماء انها تدل على الكثرة
وان لم يجمع كما يدل عليها الالفاظ الموضوعة للجمع فمما يدل على ذلك انك تقول العوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا فوقع الاسم
الشايع على الجميع كما يقع على الواحد فكذلك الرسالة **الاعراب** ارسل فعل يتعدى الى مفعولين ويتعدى الى الثاني منهما بالجار

كقوله ارسلنا نوحا الى قومه وارسلناه الى مائة الف ويجوز الاقتصار على احدهما دون الآخر كقوله ثم ارسلنا رسلنا
تترى وانا ارسلناك شاهدا وقال فارسل الى هرون تعدى الى الثاني والاول مقدر في المعنى وقال فارسلها العراك
ولم يذدها ولم يشفق على نغص الدخال احل بهذه الابل وشربها فلم يمنعها من ذلك وانشد ابو زيد لعمري لقد جاءت
رسالة مالك الى جسد بين العوايد مختبل والرسالة هنا بمعنى الارسال والمصدر في تقدير الاضافة الى الفاعل والمفعول
الاول في التقدير محذوف كما كان في قوله وارسل الى هرون محذوفا والتقدير رسالة مالك زيدا الى جسد والجار
والمجرور في موضع نصب بكونه مفعولا ثانيا والمعنى الى ذي جسد لان الرسالة لم تات الجسد دون سائر المرسل اليه
فهذا مثل قوله وبعد عطائك المائة الرتاعا وفي وضع العطا موضع الاعطا والرسول يكون بمعنى الرسالة ويكون
بمعنى المرسل فاما كونه بمعنى الرسالة فكقول الشاعر لقد كذب الواشون ما بحت عندهم بسر ولا ارسلتهم برسول
اي برسالة وكونه بمعنى المرسل قوله وما محمد الا رسول ومثله في انه فعول بمعنى المفعول قوله وما زلت خير لمنك
مدغش كانها بلحيتك عادي الطريق ركوب يريد انه طريق مسلوك والعصمة المنع من عصام القربة وهو
وكاوها الذي يشد به من سير او خيط قال الشاعر وقلت عليكم مالكا ان مالكا سيعصمكم ان كان في الناس
عاصم اي سيمنعكم واعتصم فلان بفلان اي امتنع به **المعنى** ثم امر سبحانه بالتبليغ ووعده العصمة والنصرة
فقال يا ايها الرسول وهذا نداء تشريف وتعظيم بلغ اي اوصل اليهم ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل
فما بلغت رسالته ذكر المفسرون فيه اقاويل فقيل ان الله تعالى بعث النبي صلى الله عليه وآله برسالة ضاق بها ذرعا
وكان يهاب قريشا فازال الله تعالى بهذه الآية تلك الهيبة عن الحسن وقيل يريد به ازالة التوهم من ان النبي
صلى الله عليه وآله كتم شيئا من الوحي للتقية عن عايشة وقيل غير ذلك وروى العياشي في تفسيره باسناده عن
ابن ابي عمير عن ابن اذينة عن الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس وجابر بن عبد الله قال امر الله محمدا صلى الله عليه
وآله ان ينصب عليا للناس فيخبرهم بولايته فتخوف رسول الله صلى الله عليه وآله ان يقولوا حابى ابن عمه وان يطعنوا
في ذلك عليه فاوحى الله اليه هذه الآية فقام عليه السلام بولايته يوم غدير خم وهذا الخبر بعينه حدثناه السيد
ابو الحمد عن الحاكم ابي القسم الحسكاني باسناده عن ابن ابي عمير الى آخره في كتاب شواهد التنزيل لقواعد
التفضيل وفيه ايضا بالاسناد المرفوع الى حيان بن علي العنزي عن ابي صالح عن ابن عباس قال نزلت هذه
الآية في علي فاخذ رسول الله بيده فقال من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وقد
اورد هذا الخبر ابو اسحاق احمد بن محمد بن ابرهيم الثعلبي في تفسيره باسناده مرفوعا الى ابن عباس قال نزلت الآية
في علي ع امر النبي ان يبلغ فاخذ رسول الله بيد علي فقال من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد
من عاداه وقد اشتهرت الروايات عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام ان الله تعالى اوحى الى نبيه ان يستخلف عليا
فكان يخاف ان يشق ذلك على جماعة من اصحابه فانزل هذه الآية تشجيعا له على القيام بما امره باداه والمعنى ان
تركت تبليغ ما انزل اليك وكتمته كنت كانك لم تبلغ شيئا من رسالات ربك في استحقاق العقوبة وقال ابن عباس
معناه ان كتمت آية مما انزل اليك فما بلغت رسالته اي لم تكن ممتثلا من جميع الامر والله يعصمك اي يمنعك
من ان ينالوك بسوء ان الله لا يهدي القوم الكافرين فيه قولان احدهما ان معنى الهداية هنا انه سبحانه لا يهديهم
بالمعونة والتوفيق والالطاف الى الكفر بل انما يهديهم الى الايمان لان من هداه الى غرضه فقد اعانه على بلوغه
عن علي بن عيسى قال ولا يجوز ان يكون المراد لا يهديهم الى الايمان لانه تعالى هداهم الى الايمان بان دلهم عليه ورغبهم
فيه وحذرهم من خلافه والآخر ان المراد لا يهديهم الى الجنة والثواب عن الجبائي وفي هذه الآية دلالة على صدق النبي
صلى الله عليه وآله وصحة نبوته من وجهين احدهما انه وقع مخبره على ما اخبر به وفي نظايره فدل على ان ذلك

من عند عالم الغيوب والسرائر والثاني انه لا يقدم على الاخبار بذلك الا وهو يامن ان يكون مخبره على ما اخبر لانه لا داعي له الى ذلك الا الصدق وروي ان النبي صلى الله عليه وآله لما نزلت هذه الآية قال لحراس من اصحابه كانوا يحرسونه منهم سعد وحذيفة الحقوا بملاحقكم فان الله سبحانه عصمني من الناس قوله عز وجل قل يا اهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما انزل اليكم من ربكم وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تأس على القوم الكافرين آية النزول قال ابن عباس جاء جماعة من اليهود الى رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا الست تقر ان التوراة من عند الله قال بلى فقالوا انا نؤمن بها ولا نؤمن بما عداها فنزلت الآية المعنى ثم امر سبحانه النبي صلى الله عليه وآله بان يخاطب اليهود فقال قل يا محمد يا اهل الكتاب لستم على شيء من الدين الصحيح حتى تقيموا التوراة والانجيل وما انزل اليكم من ربكم حتى تقروا بالتوراة والانجيل والقرآن المنزل الى جميع الخلق وقيل معناه حتى تقيموا التوراة والانجيل بالتصديق بما فيهما من البشارة بالنبي محمد والعمل بما يوجب ذلك فيهما وقيل معناه الامر باقامة التوراة والانجيل وما فيهما وانما كان ذلك قبل النسخ لهما عن الجبائي وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا مر تفسيره فلا تأس على القوم الكافرين اي فلا تحزن عليهم وهذا تسلية للنبي صلى الله عليه وآله والراي فلا تحزن فان تكذيب الانبياء عادتهم ودأبهم وقيل معناه لا تحزن على ذلك الكفر وتجاوز الحد في الظلم منهم فان ضرر ذلك عائد عليهم وقيل معناه لا تحزن على هلاكهم وعذابهم وذلك جزاؤهم بفعالهم قوله عز وجل ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون آية الاعراب اختلف في وجه ارتفاع قوله والصابئون فقال الكسائي نسق على ما في هادوا قال الزجاج وهذا خطأ من جهتين احدهما ان الصابئ يشارك اليهودي ان جعل هادوا بمعنى تابوا من قوله انا هدنا اليك لا من اليهودية ويكون المعنى تابوا هم والصابئون فالتفسير جاء بغير ذلك لان معنى الذين آمنوا في هذه الآية انما هو الايمان بافواههم ثم ذكر اليهود والنصارى فقال من آمن منهم بالله فله كذا فجعلهم يهودا او نصارى فلو كانوا مؤمنين لم يحتج الى ان يقال من آمن منهم فلهم اجرهم وهذا قول الفراء والزجاج في الانكار عليه والجهة الاخرى ان العطف على المضمر المرفوع من غير توكيد قبيح انما ياتي في ضرورة الشعر كما قال عمر بن ابي ربيعة قلت اذ اقبلت وزهر تهادى كنعاج الملا تعسفن رملا وقال الفراء انه عطف على ما لم يتبين فيه الاعراب مع ضعف ان قال وهذا يجوز في مثل الذين والمضمر نحو اني وزيد قائما ولا يجوز ان زيدا وعمرو قائمان قال الزجاج وهذا غلط لان ان يعمل النصب والرفع وليس في العربية ناصب ليس معه مرفوع لان كل منصوب مشبه بالمفعول والمفعول لا يكون بغير فاعل وكيف يكون نصب ان ضعيفا وهي تتخطى الظروف فتنصب ما بعدها نحو ان فيها قوما جبارين ونصب ان من اقوى المنصوبات وقال سيبويه والخليل وجميع البصريين ان قوله والصابئون محمول على التاخير ومرفوع بالابتداء المعنى ان الذين آمنوا والذين هادوا من آمن منهم بالله الى آخره والصابئون والنصارى كذلك ايضا اي من آمن منهم بالله واليوم الآخر فلا خوف عليهم وانشد واقول بشر بن ابي خازم والا فاعلموا انا وانتم بغاة ما بقينا في شقاق والمعنى فاعلموا انا بغاة ما بقينا في شقاق وانتم ايضا كذلك وقول ضابئ البرجمي فمن يك امسى بالمدينة رحله فاني وقيار بها لغريب اي فاني بها لغريب وقيار كذلك وزعم سيبويه ان قوما من العرب يغلطون فيقولون انهم اجمعون ذاهبون وانك وزيد قائمان فجعل سيبويه هذا غلطا وجعله كقول الشاعر بدا لي اني لست مدرك ما مضى ولا سابق شيئا اذا كان جائيا قد مضى تفسير هذه الآية مشروحا في سورة البقرة وقد ذكرنا هنا ان المعنى والذين آمنوا في قول الزجاج هم المنافقون ثم ذكر بعض من آمن بالقلب وقيل ان من آمن محمول على اليهود والنصارى اي من آمن منهم والذين آمنوا في الابتداء

على ظاهرهم من حقيقة الايمان وقيل ان من آمن يرجع الى الجميع ويكون معناه من يستديم الايمان ويثبت عليه قوله عز وجل لقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل وارسلنا اليهم رسلا كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون وحسبوا الا تكون فتنة فعموا وصموا ثم تاب الله عليهم ثم عموا وصموا كثير منهم والله بصير بما يعملون آية القراءة قرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي الا تكون بالرفع والباقون بالنصب ولم يختلفوا في رفع فتنة الحجة من قرأ الا تكون بالرفع جعل ان مخففة من الثقيلة واضمر الهاء وجعل حسبوا بمعنى علموا وعلى هذا الوجه تثبت النون في الخط واما النصب فعلى انه جعل ان الناصبة للفعل ولم يجعل حسبوا بمعنى العلم على هذا الوجه يسقط النون من الخط اللغة الهوى هو لطف محل الشيء من النفس مع الميل اليه بما لا ينبغي فلذلك غلب على الهوى صفة الذم ويقال هوى يهوى هويا اذا انحط من الهواء واهوى بيده اذا انحط بها ليأخذ شيئا وهاوية جهنم لانه يهوى فيها وهم يتهاوون في المهواة اذا سقط بعضهم على بعض والفرق بين الهوى والشهوة ان الشهوة تتعلق بالمدركات فيشتهي الانسان الطعام ولا يهوى الطعام والحسبان هو قوة احد النقيضين في النفس على الآخر واصله الحساب فالنقيض القوي يحتسب دون الآخر اي هو مما يحتسب ولا يطرح ومنه الحسب لانه مما يحتسب ولا يطرح لاجل الشرف ومنه قولهم حسبك اي يكفيك لانه يحتسب الكفاية ومنه احتساب الاجر لانه مما يحتسب ولا يلقى والفتنة هنا العقوبة واصله الاختبار ومنه افتتن بفلانة اذا هويها لانه ظهر بما يطوي من خبره بها وفتنت الذهب بالنار اذا اخلصته ليظهر خبره في نفسه متميزا من شائب غيره الاعراب اللام في لقد لام القسم ونصب وفريقا في الموضعين بانه مفعول له قال ابو علي الافعال على ثلاثة اضرب فعل يدل على ثبات الشيء واستقراره وذلك نحو العلم والتيقن والتبين وفعل يدل على خلاف الاستقرار والثبات وفعل يحدث مرة الى هذا القبيل ومرة الى هذا القبيل فما كان معناه العلم وقع بعده ان الثقيلة ولم يقع بعده ان الخفيفة الناصبة للفعل وذلك ان الثقيلة يدل على ثبات الشيء واستقراره والعلم بانه كذلك ايضا فاذا وقع عليه واستعمل معه كان وفقا وان الناصبة للفعل لا تقع على ما كان ثابتا مستقرا فمن استعمال الثقيلة بعد العلم قوله ويعلمون ان الله هو الحق المبين والم يعلم بان الله يرى لان الباء زائدة واما ما كان معناه ما لم يثبت ولم يستقر فنحو اطمع واخاف وارجو واخشى ونحو ذلك ويستعمل بعده الخفيفة الناصبة للفعل قال الله تعالى والذي اطمع ان يغفر لي ويخافون ان يتخطفكم الناس فخشينا ان يرهقهما واما ما يحدث مرة الى هذا الباب ومرة الى هذا الباب فنحو حسبت وظننت وزعمت وهذا النحو يجعل مرة بمنزلة ارجو واطمع من حيث كان امرا غير مستقر ومرة يجعل بمنزلة العلم من حيث استعماله ومن حيث كان خلافه والشيء قد يجري مجرى الخلاف نحو عطشان وريان ولما استعملوه استعمال العلم فهو انهم قد اجابوه جواب القسم حكى سيبويه ظننت ليسبقني وظنوا ما لهم من محيص كما قالوا ولقد علمت لتاتين منيتي ولقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات وكلهم قرأ فتنة بالرفع لانهم جعلوا كان بمنزلة وقع ولو نصب فقيل الا تكون فتنة على ان لا تكون فتنة لكان جائزا في العربية وانما وقع الاتباع للاثر وانما حسن وقوع ان الخفيفة من الشديدة في قراءة من رفع وان كان بعده فعل لدخول لا وتكون عوضا من حذف الضمير معه ولئلا يليه ما لم يكن يليه ولو قلت علمت ان تقول لم يحسن حتى تاتي ما يكون عوضا نحو قد ولا والسين سوف كما في قوله علم ان سيكون منكم مرضى فان قلت فقد جاء وان ليس للانسان الا ما سعى فلم يدخل بين وليس شيء فانما جاء هذا لان ليس يفعل على الحقيقة وقوله كثير منهم يرتفع من ثلاثة اوجه احدها ان يكون بدلا من الواو في عموا والثاني ان يكون خبر مبتدأ محذوف كانه قال ذو العمى والصمم كثير منهم والثالث ان يكون على لغة من قال اكلوني البراغيث وعلى قول الشاعر يلومونني في اشتراء النخيل اهلي فكلهم يعذل وقال الفرزدق [illegible] فاولى لك ذا ومنه وقال ولكن ديافي ابوه وامه بحوران يعصرن السليط اقاربه المعنى ثم اقسم سبحانه بانه اخذ عليهم الميثاق فقال لقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل بتوحيد الايمان

الموكدة التي اخذها انبياوهم عليهم في الايمان بمحمد صلى الله عليه واله والاقرار به وقيل اخذ ميثاقهم على الاخلاص
في التوحيد والعدل والعمل بما امر به والانتهاء عما نهى عنه والتصديق برسله والبشارة بمحمد ووجه الحجاج
عليهم بذلك وان كان اخذ الميثاق على ابائهم انهم عرفوا ذلك في كتبهم واقروا بصحته فالحجة لازمة لهم وعتب
المخالف بالحقهم كالحق اباوهم وارسلنا اليهم رسلا كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم اي بما لا يوافق مرادهم
فريقا كذبوا وفريقا يقتلون اي كذبوا طايفة وقتلوا طايفة فان قيل لم عطف المستقبل على الماضي فجوابه ليدل
على ان ذلك من شانهم ففيه معنى كذبوا وقتلوا ويكذبون وقتلوا ويكذبون ويقتلون مع ان قوله يقتلون
فاصلة يجب ان يكون موافقا لرؤس الاي ويمكن ان يقال التقدير فريقا كذبوا ولم يقتلوه وفريقا كذبوا وقتلوا
فيكون يقتلون صفة للفريق ولم يكن فيه عطف المستقبل على الماضي والجواب الاول لم يكن كذبوا ويقتلون
صفة للفريق لان التقدير كذبوا فريقا وفريقا يقتلون فريقا وقد ذكرنا تفسير الفريقين في سورة البقرة عند قوله
ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون وحسبوا اي وظنوا ان لا تكون فتنة اي عقوبة على قتلهم وتكذيبهم يريد وظنوا
ان الله لا يعذبهم عن عطاء عن ابن عباس وقيل حسب القوم ان لا تكون بلية عن قتادة والحسن والسدي
وقيل فتنة اي شدة وقحط عن مقاتل والكل متقارب وقيل وحسبوا فعلهم غير فايت لهم وذلك انهم كانوا
يقولون نحن ابناء الله واحباؤه عن الزجاج وقيل معناه وقدروا ان لا تقع لهم فتنة في الاصرار على الكفر فظنوا
ان ذلك لا يكون موبقا لهم عن ابن الانباري فعموا وصموا عن الحق على التشبيه بالاعمى والاصم لانه لا يهتدي الى
طريق الرشد في الدين لاعراضه عن النظر كما لا يهتدي هذا الى طريق الرشد في الدنيا لاجل عماه وصممه ثم تاب الله
عليهم يريد ان فريقا منهم تابوا فتاب الله عليهم ثم عموا وصموا اي عادوا الى ما كانوا عليه يريد فلما انقضت
تلك القرون ونشات قرون اخر خلفوا اباءهم خلف اباهم فعموا عن الحق وصموا عن استماعه وقيل معناه لما تابوا
دفع الله عنهم البلاء ثم صار كثير منهم كما كانوا وقيل اراد بكثير منهم من كان في عصر نبينا عليه السلم والله بصير بما يعملون
اي عليم باعمالهم وهذا كالوعيد لهم قوله عز وجل لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم وقال المسيح يا بني
اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة وماواه النار وما للظالمين
من انصار لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من اله الا اله واحد وان لم ينتهوا عما يقولون
ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم تلك ايات
اللغة الشرك اصله الاجتماع في الملك فاذا كان الملك بين نفسين فهما شريكان وكذلك كل شيء بين نفسين
ولا يلزم على ذلك ما يضاف الى كل واحد منهما منفردا كالعبد يكون ملكا لله وهو ملك الانسان لانه لو بطل ملك
الانسان لكان ملكا لله كما كان لم يزد في ملكه شيء والمس معناه هاهنا ما يكون معه احساس وهو حلوله فيه لان العذاب
لا يمس الحيوان الا احس به وقد يكون المس بمعنى اللمس الاعراب قال الفراء ثالث ثلاثة لا يكون الا مضافا ولا يجوز
التنوين في ثالث فينصب ثلاثة وكقوله ثاني اثنين لا يكون الا مضافا لان المعنى اسم كانك قلت واحد من اثنين
وواحد من ثلاثة ولو قلت انت ثالث اثنين جاز الاضافة وجاز التنوين ونصب الاثنين وكذلك رابع ثلاثة
لانه فعل واقع واجاز الزجاج لهذا اثباتا فقال لا يجوز في ثلاثة الا الخفض لان المعنى احد ثلاثة فان قلت ثالث
اثنين او رابع ثلاثة جاز الخفض والنصب اما النصب فعلى قولك كان القوم ثلاثة فربعتهم وانا رابعهم غدا ومن
خفض فعلى حذف التنوين كما قال عز وجل هديا بالغ الكعبة وتقديره بالغا الكعبة وقوله وان لم ينتهوا عما يقولون
ليمسن فيه دلالة على اعتماد القسم مثل قوله ولئن جئتهم باية ليقولن على الفعل الثاني دون الاول الا ترى انه لو كان
اعتماد القسم على الاول لما حذفت اللام من قوله وان لم ينتهوا كما لم تحذف اللام الثانية في موضع ومثله في الشعر قول
عارق الطائي واقسمت لا احتل الا بصهوة حرام على رمله وشقايقه فان لم تغير بعض ما قد صنعتم لانتحين للعظم

ذوابا عارقه فان قيل لم لا يجوز ان يكون اعتماد القسم على اللام الاولى الا انها حذفت كما حذفت من قوله قد افلح من
زكاها فجوابه ان ذلك لا يجوز لان اللام انما حذفت في قد افلح لطول الكلام لما اعترض بين القسم والمقسم عليه وليس
في هذا الموضع ما يجوز حذفها وانما هذه اللام بمنزلة ان في قولك والله لئن لو فعلت لفعلت فسيها تارة وتحذفها
اخرى والقسم لا يعتمد على هذه اللام كما لا يعتمد على هذه انشد سيبويه فاقسم ان لو التقينا وانتم لكان لكم يوم من الشر
مظلم فالذي اعتمد عليه اقسم قوله لكان دون ان الا ترى انك لو قلت اقسم لو جئت لجئت فتحذف ان كما تحذف
هذه اللام فهذه اللام من الزيادات التي اذا دخلت اكدت واذا اسقطت لم تخل سقوطها بالكلام الا ان زيادتها
في القسم دون غيره كما ان تزاد في قولهم ما ان في النفي دون غيره وعلى هذا فيكون المعقود بالقسم في قولك لان اتيتني
لاكرمنك انما هو لاكرمنك ولكن الشرط يكون كالاستثناء من هذه الجملة المعقودة بالقسم كانك اردت ان تقسم
على الثبات ان يلزمه بذلك ثم علقت اكرامك اياه باتيانه فصار التقدير والله لاكرمنك ان اتيتني اي ان
اتيتني اكرمتك فاستغنيت عن ذكر الجزاء لتقدم ما يدل عليه فقولك لئن اتيتني اي ان اتيتني اكرمتك فاستغنيت
عن ذكر الجزاء لتقدم ما يدل عليه فقولك لئن اتيتني متصل بما يدل عليه لاكرمنك من الجزاء فهذا الد
وهذه الجملة لخصتها من كلام الشيخ ابي علي المعنى ثم عاد سبحانه الى ذكر النصارى فقال لقد كفر الذين قالوا ان الله هو
المسيح بن مريم وهذا مذهب اليعقوبية منهم لانهم قالوا ان الله اتحد بالمسيح اتحاد الذات فصارا شيئا واحدا
وصار الناسوت لاهوتا وذلك قولهم انه الاله وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم اي خالقي
وخالقكم ومالكي ومالككم واني واياكم عبيده انه من يشرك بالله بان يزعم ان غيره يستحق العبادة مع الله
او يقدر على فعل ما يستحق به العبادة سوى الله تعالى فقد حرم الله عليه الجنة والتحريم هنا تحريم منع لا تحريم عبادة
ومعناه قال الله تعالى يمنعه الجنة وماواه اي مصيره الى النار وهذا كله اخبار من المسيح عليه السلم لقومه قوله
وما للظالمين من انصار معناه انه لا ناصر لهم يخلصهم مما هم فيه من انواع العذاب ثم اقسم سبحانه قسما اخر فقال لقد
كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة والقائلون بهذه المقالة جمهور النصارى من الملكانية واليعقوبية
والنسطورية لانهم يقولون ثلاثة اقانيم جوهر واحد اب وابن وروح القدس اله واحد ولا يقولون
ثلاثة الهة ويمنعون من هذه العبارة وان كان يلزمهم ان يقولوا ثلاثة الهة فيصح ان يحكى عنهم بالعبارة
اللازمة وانما قلنا انه يلزمهم ذلك لانهم يقولون الابن اله والاب اله وروح القدس اله والابن ليس هو الاب
وما من اله الا اله واحد اي ليس اله الا اله واحد وانما دخلت من للتوكيد وان لم ينتهوا عما يقولون اي ان لم يرجعوا
ويتوبوا عما يقولونه من القول بالتثليث اقسم ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم انما خص سبحانه منهم الذين
يستمرون على كفرهم لانه علم ان بعضهم يؤمن عن ابي علي الجبائي والزجاج وقيل انهم بقوله الذين كفروا الفريقين الذين
قالوا ان الله تعالى هو المسيح بن مريم والذين قالوا هو ثالث ثلاثة والضمير عايد الى اهل الكتاب وليس في هذا دلالة
على ان افعال الجوارح ما هو كفر لانا نعلم ان من قال ثالث ثلاثة انه كافر ولا خلاف في ذلك فان من قال ان الكفر
هو الجحود بالقلب قال ان في فعل الجوارح ما يدل على الكفر الذي هو الجحود ومثل السجود للصنم وغير ذلك فلا دلالة في الاية
على ما قالوه افلا يتوبون الى الله قال الفراء هذا امر في لفظ الاستفهام وقد يرد الامر بلفظ الاستفهام كقوله فهل انتم
منتهون وانما دخلت الى لان معنى التوبة الرجوع الى طاعة الله لان التايب بمنزلة من ذهب عنها ثم عاد اليها ويستغفرونه
الفرق بين التوبة والاستغفار ان الاستغفار طلب المغفرة بالدعاء والتوبة او غيرهما من الطاعة والتوبة الندم على
المعصية مع العزم على ان لا يعود الى مثلها في القبح والاستغفار مع الاصرار على القبيح لا يصح والله غفور رحيم يغفر
الذنوب ويستر هاهنا رحمة منه لعباده وفي هذه الاية تحريض على التوبة وحث على الاستغفار قوله عز وجل ما المسيح بن مريم
الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة كانا ياكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الايات ثم انظر انى يؤفكون

قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا والله هو السميع العليم قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في
دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا عن سواء السبيل آيتان اللغة الصديقة المبالغة في
كثيرا وضلوا
الصدق والصديق فعيل من أبنية المبالغة كما يقال رجل سكيت أي مبالغ في السكوت يقال أفكه يأفكه أفكا إذا صرفه
والإفك الكذب لأنه صرف عن الحق وكل مصروف عن الشيء مأفوك عنه وأنشد ابن السكيت إن تك عن أحسن المروءة مأفوكا
ففي آخرين قد أفكوا وقد أفكت الأرض إذا صرف عنها المطر وأرض مأفوكة لم يصبها مطر والمؤتفكات المنقلبات من الرياح
وغيرها لأنها صرفت عن وجهها والملك القدرة على التصريف فيما للقادر عليه أن يصرفه فملك الضر والنفع أخص من القدرة
عليهما لأن القادر قد يقدر من ذلك على ما له أن يفعله وقد يقدر منه على ما ليس له أن يفعله والنفع هو فعل
اللذة والسرور وما أدى إليهما أو إلى أحدهما مثل الملاذ التي تحصل في الحيوان والصلة بالمال والوعد باللذة فإن
جميع ذلك نفع لأنه يؤدي إلى اللذة والضر هو فعل الألم والغم وما أدى إليهما أو إلى واحد منهما كالآلام التي توجد
في الحيوان والقذف والسب لأن جميع ذلك يؤدي إلى الألم والأهواء جمع هوى النفس مقصور لأنه مثل فعل وفعل
جمعه أفعال الإعراب انتصاب غير الحق على وجهين أحدهما أن يكون على الحال من دينكم فكأنه قال لا تغلوا في دينكم
مخالفين للحق والثاني أن يكون منصوبا على الاستثناء بمعنى لا تغلوا في دينكم إلا الحق فيكون الحق مستثنى من
المنهي عن الغلو فيه بأن يجوز الغلو فيما هو حق على معنى اتباعه المعنى لما قدم سبحانه ذكر مقالات النصارى عقبه
بالرد عليهم والحجاج لهم فقال ما المسيح ابن مريم إلا رسول أي ليس هو بإله قد خلت من قبله الرسل أي كما أن الرسل
الذين مضوا قبله ليسوا بآلهة وإن أتوا بالمعجزات فكذلك المسيح فمن ادعى له الإلهية فكمن ادعى لهم الإلهية لتساويهم
في المنزلة وأمه صديقة لأنها تصدق بآيات ربها ومنزلة ولدها وتصدقه فيما أخبرها به بدلالة قوله وصدقت بكلمات
ربها عن الحسن والجبائي وقيل سميت صديقة لكثرة صدقها وعظم منزلتها فيما تصدق به من أمرها عن الحسن
والجبائي وقيل سميت ويأكل الطعام لا يكون إلها للعباد لأن سبيله كسبيلهم في الحاجة إلى الصانع المدبر والمعنى أنهما
كانا يعيشان بالغذاء كما يعيش سائر الخلق فكيف يكون إلها من لا يقيمه إلا أكل الطعام وهذا معنى قول ابن عباس
والثاني أن ذلك كناية عن قضاء الحاجة لأن من أكل الطعام لا بد أن يحدث فلما ذكر الأكل صار كأنه أخبر عن
عاقبته انظر كيف نبين لهم الآيات أمر الله سبحانه النبي وأمته بأن يفكروا فيما بين الله سبحانه من الآيات أي الدلالات
على بطلان ما اعتقدوه من ربوبية المسيح ثم انظر أنى يؤفكون أي كيف يصرفون عن الحق الذي
يؤدي إليه تدبر الآيات فالنظر الأول إنما هو إلى فعله سبحانه الجميل في نصب الآيات وإزاحة العلل والنظر الثاني
إلى أفعالهم القبيحة وتركهم التدبر للآيات ثم أمر الله سبحانه في الاحتجاج عليهم فقال قل يا محمد أتعبدون من دون الله
ما لا يملك لكم نفعا ولا ضرا أي أتوجهون عبادتكم إلى من لا يقدر لكم على النفع والضر لأن القادر عليهما هو الله أو من
مكنه الله تعالى من ذلك والمستحق للعبادة إنما هو القادر على أصول النعم والنفع والضر والخلق والإحياء والرزق
ولا يقدر على ذلك غير الله فلا يستحق العبادة سواه والله هو السميع لأقوالكم العالم بضمائركم وفي هذا تحذير
من الجزاء واستدعاء إلى التوبة ثم دعاهم سبحانه إلى ترك الغلو فقال قل يا محمد للنصارى فإنهم المخاطبون هنا وقال
قوم إنه خطاب لليهود والنصارى لأن اليهود أيضا غلوا في تكذيب عيسى ومحمد صلى الله عليه وآله يا أهل الكتاب لا تغلوا
في دينكم أي لا تجاوزوا الحد الذي حده الله تعالى لكم إلى الازدياد وضده التقصير وهو الخروج عن الحد إلى النقصان
والزيادة في الحد والنقصان عنه كلاهما فساد ودين الله سبحانه الذي أمر به هو بين الغلو والتقصير وهو الاقتصاد غير
الحق أي مجاوزين الحق إلى الغلو وإلى التقصير فيفوتكم الحق ومن قال إن الخطاب لليهود والنصارى فغلو النصارى
في عيسى ادعاؤهم له الإلهية وغلو اليهود فيه تكذيبهم له ونسبتهم إياه إلى أنه لغير رشده ولا تتبعوا أهواء قوم
قد ضلوا من قبل قال ابن عباس كل هوى ضلالة ويعني بالقوم الذين ضلوا من قبل رؤساء الضلالة من فريقي

300
اليهود والنصارى والآية خطاب لمن كان في عصر النبي صلى الله عليه وآله نهوا أن يتبعوا أسلافهم فيما ابتدعوه بأهوائهم
وأن يقلدوا فيما هووا والأهواء هنا المذاهب التي تدعو إليها الشهوة دون الحجة لأن الإنسان قد يستثقل النظر
لما فيه من المشقة ويميل طبعه إلى بعض المذاهب فيعتقده وهو ضلال فيهلك فيه والاتباع هو سلوك الثاني طريقة
الأول على وجه الاقتداء وقد يتبع الثاني الأول في الحق وقد يتبعه في الباطل وإنما يعلم أحدهما بدليل وأضلوا كثيرا
يعني به هؤلاء أضلوا كثيرا من الخلق وضلوا عن سواء السبيل قيل في معناه قولان أحدهما أنهم ضلوا بإضلالهم غيرهم عن الزجاج
والثاني أنهم ضلوا من قبل بكفرهم بعيسى وأضلوا غيرهم وضلوا من قبل كفرهم بعيسى وأضلوا غيرهم وضلوا من بعد بكفرهم
بمحمد فلذلك كرر ومعنى سواء السبيل مستقيم الطريق وقيل سواء الاستمرار على سواء وقيل إنه يستقيم بصاحبه إلى الجنة والخلود
في النعيم قوله عز وجل لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا لا يتناهون يعتدون كانوا
عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم
وفي العذاب هم خالدون آيتان اللغة تناهى هنا معنيان أحدهما أنه تفاعل من النهي أي لا ينهى بعضهم بعضا والثاني
أنه بمعنى الانتهاء يقال انتهى عن الأمر وتناهى عنه إذا كف عنه الإعراب لبئس ما يجوز أن يكون ما هنا كافة لبئس
كما تكف في إنما ولكنما وبعدما وربما واللام فيه للقسم ويجوز أن يكون اسما نكرة كأنه قال لبئس شيئا فعلوه كما تقول
بئس رجلا كان عندك ومحل أن سخط الله عليهم رفع كرفع زيد في قولك بئس رجلا زيد فيكون مبتدأ وبئس
وما عملت فيه خبره أو يكون خبر مبتدأ محذوف كأنه لما قيل بئس رجلا قيل من هو فقال زيد أي هو زيد ويجوز أن
يكون محله نصبا على تأويل بئس الشيء ذلك لأن سخط الله عليهم المعنى ثم أخبر سبحانه عما جرى على أسلافهم فقال لعن الذين
كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم قيل في معناه أقوال أحدها أن معناه لعنوا على لسان داود
وعيسى ابن مريم فصاروا قردة وعلى لسان عيسى فصاروا خنازير وإنما ذكر عيسى وداود لأنهما أنبه الأنبياء المبعوثين
بعد موسى ولما ذكر داود أغنى عن ذكر سليمان لأن قولهما واحد عن الحسن ومجاهد وقتادة وقال أبو جعفر الباقر عليه السلام
أما داود فإنه لعن أهل أيلة لما اعتدوا في سبتهم وكان اعتداؤهم في زمانه فقال اللهم ألبسهم اللعنة مثل الرداء
ومثل المنطقة على الحقوين فمسخهم الله قردة وأما عيسى فإنه لعن الذين أنزلت عليهم المائدة ثم كفروا بعد ذلك والثاني
ما قال ابن عباس إنه يريد في الزبور وفي الإنجيل ومعنى هذا أن الله تعالى لعن في الزبور من يكفر من بني إسرائيل
وفي الإنجيل كذلك فلذلك قيل على لسان داود وعيسى والثالث أن يكون داود وعيسى أعلما أن محمدا نبي مبعوث
ولعنا من يكفر به عن الزجاج والأول أصح والمراد أن الله سبحانه آيسهم من المغفرة مع الإقامة على الكفر لدعاء
عليهم بالعقوبة ودعوتهم مستجابة وإنما ذكر اللعن على لسانهما إزالة للإيهام لأن لهم منزلة بولادة الأنبياء تنجيهم
من العقوبة ذلك إشارة إلى اللعن المتقدم ذكره بما عصوا وكانوا يعتدون أي بمعصيتهم واعتدائهم ثم
بين سبحانه حالهم فقال كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه أي لم يكن ينهى بعضهم بعضا ولا ينتهون أي لا يكفون
عما نهوا عنه قال ابن عباس كان بنو إسرائيل ثلاث فرق فرقة اعتدوا في السبت وفرقة نهوهم ولكنهم لم يدعوا مجالستهم
ولا مؤاكلتهم وفرقة لما رأوهم يعتدون ارتحلوا عنهم وبقيت الفرقتان المعتدية والناهية المخالطة فلعنوا جميعا
ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد السفيه ولتأطرنه
على الحق أطرا أو ليضربن الله قلوب بعضكم على بعض ويلعنكم كما لعنهم وإنما سمي القبيح منكرا لأنه ينكره العقل من
حيث إن العقل يقبل الحسن ويعترف به ولا يأباه وينكر القبيح ويأباه وما ينكره العقل فهو الباطل وما يقربه فهو
الحق وقيل إن المنكر هنا صيدهم السمك يوم السبت وقيل هو أخذهم الرشا في الأحكام وقيل أكلهم الربا وأثمان الشحوم
ثم أقسم سبحانه فقال لبئس ما كانوا يفعلون أي بئس شيئا فعلهم ترى كثيرا منهم أي من اليهود يتولون الذين كفروا يريد كفار

كما تريك عنيك كعب بن الاشرف واصحابه حتى استجاشوا المشركين على رسول الله وذكرنا ذلك عند قوله ويقولون
للذين كفروا هولاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا وقال ابو جعفر الباقر عليه السلام كانوا يتولون الملوك الجبارين ويزينون
لهم اهواءهم ليصيبوا من دنياهم وفي هذا توبيخ لاولئك القوم وتنبيه على سوء فعالهم وخبث عقائدهم لبئس ما قدمت
لهم انفسهم اي بئسما كانوا قدموا من العمل لمعادهم الآخرة ان سخط الله عليهم اي سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون
وذهب ابن عباس ومجاهد والحسن الى ان هذه الآية في المنافقين من اليهود والكناية في قوله منهم عائدة اليهم
لو كدة ما بعد هذه الآية قوله عز وجل ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما انزل اليه ما اتخذوهم اولياء ولكن
كثيرا منهم فاسقون آية المعنى ولو كانوا يؤمنون بالله اي لو كانوا يصدقون بالله والنبي محمد وما انزل اليه من
القرآن ويعتقدون ذلك على الحقيقة كما يظهرونه ما اتخذوهم يعني الكافرين اولياء عن ابن عباس والحسن ومجاهد
وقيل المراد بالنبي موسى عليه السلام وبما انزل اليه التوراة فيكون المراد بهم اليهود الذين جاهروا بالعداوة لرسول الله
والتولي للمشركين فيكون معنى الموالاة التناصر والمعاونة على محاربة النبي صلى الله عليه وآله ومعاداته ويجوز ان يكون
يريد الموالاة على الحقيقة ولكن كثيرا منهم فاسقون وصفهم بالفسق وان كان الكفر ابلغ في باب الذم لامرين احدهما
انهم خارجون عن امر الله وهذا المعنى لا يظهر بان يصفهم بالكفر والآخر ان الفاسق في كفره هو المتمرد فيه والكلام
يدل على انهم فاسقون في كفرهم اي خارجون الى التمرد فيه قوله عز وجل لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود
والذين اشركوا ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا
وانهم لا يستكبرون واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون
ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم
الصالحين ثلاث آيات اللغة قال الزجاج القس والقسيس روساء النصارى واما القس في اللغة فهو النميمة ونشر الحديث
يقال قس فلان الحديث قسا وقال الفراء ويجمع القسيس قساوسة جمعوه على مهالبة وكانت قساسية فكثرت السينات
فابدلوا احديهن واوا والقسوسة مصدر القس والقسيس وقد تكلمت به العرب انشد المازني لو عرضت لايبلي
قس اشعث في هيكل مستدرس حن اليها كحنين الطس وقال امية لو كان منقلب كانت قساوسة يحييهم الله في ايديهم الزبر
والرهبان جمع راهب كراكب وركبان وفارس وفرسان والرهبانية مصدره والترهب التعبد في صومعة واصله
من الرهبة المخافة وقال جرير رهبان مدين لو راوك تنزلوا والعصم من شعف الجبال الفادر وقال بعضهم الرهبان
يكون واحدا وجمعا فمن جعله واحدا جعله بناء على فعلان وانشد لو عاينت رهبان دير في القلل لانحدر الرهبان يمشي
ونزل وفيض العين من الدمع امتلاؤها منه كفيض النهر من الماء وفيض الاناء وهو سيلانه عن شدة امتلائه وفاض فلان
سرع وافاض قوم من عرفات الى منى اذا دفعوا وافاضوا في الحديث اذا اندفعوا فيه والدمع الماء الجاري من العين
اوشبه به الصافي فيقال كانه دمعة والمدامع مجاري الدمع وسحب دامعة سادسا والطمع تعلق النفس
بما يقوى ان يكون من معنى المحبوب فنظيره الامل والرجاء والطمع ان يكون معه الخوف ان لا يكون والصالح الذي
يعمل الصلاح في نفسه فان عمله في غيره فهو مصلح ولذلك يوصف الله سبحانه بانه مصلح ولم يوصف بانه صالح الاعراب
اللام في لتجدن لام القسم والنون دخلت لتفصل بين الحال والاستقبال هذا مذهب الخليل وسيبويه وعداوة منصوب
على التمييز ويقولون ربنا في موضع نصب على الحال وتقديره قائلين ربنا لا نؤمن في موضع نصب على الحال وتقديره
اي شيء لنا تاركين الايمان اي في حال تركنا الايمان ومن الحق يعني من بين الاضافة التي تقوم مقام الصفة كانه قيل
والجائي لنا هو الحق وقيل انها للتبعيض لانهم آمنوا بالذي جاءهم على التفصيل النزول والقصة نزلت في النجاشي واصحابه
قال المفسرون ائتمرت قريش ان يفتنوا المومنين عن دينهم فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين يؤذونهم ويعذبونهم

فافتتن من افتتن وعصم الله من شاء منهم ومنع الله رسوله بعمه ابي طالب ولما راى رسول الله صلى الله عليه وآله ما باصحابه ولم يقدر
على منعهم ولم يومر بالجهاد امرهم بالخروج الى ارض الحبشة عطيه وانما النجاشي اسم الملك كقولهم كسرى وقيصر فخرج اليها
سرا احد عشر رجلا واربع نسوة وهم عثمان وامراته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وآله والزبير بن العوام وعبد الله
بن مسعود وعبد الرحمن بن عوف وابو حذيفة بن عتبة وامراته سهيل بن عمرو ومصعب بن عمير وابو سلمة بن عبد الاسد
وامراته ام سلمة بنت ابي امية وعثمان بن مظعون وعامر بن ربيعة وامراته ليلى بنت ابي خيثمة وحاطب بن عمرو
وسهيل بن بيضاء فخرجوا الى البحر واخذوا سفينة الى الحبشة بنصف دينار وذلك في رجب في السنة الخامسة من مبعث
رسول الله صلى الله عليه وآله وهذه الهجرة الاولى ثم خرج جعفر بن ابي طالب وتتابع المسلمون اليها وكان جميع
من هاجر الى الحبشة من المسلمين اثنين وثمانين رجلا سوى النساء والصبيان فلما علمت قريش بذلك وجهوا عمرو بن
العاص وصاحبه عمارة بن الوليد بالهدايا الى النجاشي والى رهبه ليردوهم اليهم وكان عمارة بن الوليد شابا
حسن الوجه واخرج عمرو بن العاص اهله معه فلما ركبوا السفينة شربوا الخمر فقال عمارة لعمرو بن العاص
قل لاهلك تقبلني فابى فلما انتشى عمرو دفع عمارة في الماء ونشب عمرو في صدر السفينة واخرج من الماء
والقى الله العداوة بينهما في مسيرهما قبل ان يقدما الى النجاشي فقال عمرو بن العاص ايها الملك ان قوما خالفونا
في ديننا وسبوا آلهتنا وصاروا اليك فردهم الينا فبعث النجاشي الى جعفر فجاءه فقال ايها الملك سلهم اعبيد نحن لهم
فقال لا بل احرار قال فسلهم الهم علينا ديون يطالبوننا بها قال لا ما لنا عليكم ديون قال فلكم في اعناقنا دماء تطالبونا
بها قال عمرو لا قال فما تريدون منا آذيتمونا فخرجنا من بلادكم ايها الملك بعث الله فينا نبيا امرنا بخلع الانداد
وترك الاستقسام بالازلام وامرنا بالصلوة والزكوة والعدل والاحسان وايتاء ذي القربى ونهانا عن الفحشاء والمنكر
والبغي فقال النجاشي بهذا بعث الله عيسى ثم قال النجاشي لجعفر هل تحفظ مما انزل الله على نبيك شيئا قال نعم فقرا سورة
مريم عليها السلام فلما بلغ وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا قال هذا والله هو الحق فقال عمرو انه مخالف
لنا فرده الينا فرفع النجاشي يده وضرب بها وجه عمرو وقال اسكت والله لئن ذكرته بسوء لافعلن بك وقال ارجعوا
الى هذا هديته وقال لجعفر واصحابه امكثوا فانكم سيوم والسيوم الآمنون وامر لهم بما يصلحهم من الرزق
فانصرف عمرو واقام المسلمون هناك بخير دار واحسن جوار الى ان هاجر رسول الله صلى الله عليه وآله وعلا
امره وهادن قريشا وفتح خيبر فوافى جعفر الى رسول الله بجميع من كان معه فقال رسول الله صلى الله عليه وآله
لا ادري انا بفتح خيبر اسر ام بقدوم جعفر ووافى جعفر واصحابه رسول الله في سبعين رجلا منهم اثنان
وستون من الحبشة وثمانية من اهل الشام فيهم بحيرا الراهب فقرا عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله سورة يس الى آخرها
فبكوا حين سمعوا القرآن وآمنوا وقالوا ما اشبه هذا بما كان ينزل على عيسى فانزل الله فيهم هذه الآيات
وقال مقاتل والكلبي كانوا اربعين رجلا اثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية من اهل الشام وقال عطا كانوا ثمانين
رجلا من اهل نجران من بني الحرث بن كعب واثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية روميون من اهل الشام المعنى
ثم ذكر سبحانه معاداة اليهود للمسلمين فقال لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا وصف
اليهود والمشركين بانهم اشد الناس عداوة للمومنين لان اليهود والمشركين على المومنين مع ان المومنين يؤمنون
بنبوة موسى والتوراة التي اتى بها وكان ينبغي ان يكونوا الى من وافقهم في الايمان وكتابهم اقرب وانما فعلوا ذلك
حسدا للنبي صلى الله عليه وآله ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى يعني الذين قدمنا ذكرهم
من النجاشي واصحابه ملك الحبشة واصحابه عن ابن عباس وسعيد بن جبير وعطا والسدي او الذين جاؤوا مع
جعفر مسلمين عن مجاهد ذلك بان منهم اي من النصارى قسيسين اي عبادا عن ابن زيد وقيل علماء عن قطرب

وقيل ان النصارى صنعت الانجيل وادخلوا فيه ما ليس فيه وبقي منهم واحد على الحق والاستقامة وهو قسيسا
لمن كان على هديه ودينه فهو قسيس ورهبانا اى اصحاب الصوامع وانهم لا يستكبرون معناه ان هولاء النصارى
الذين آمنوا لا يستكبرون عن اتباع الحق والانقياد له كما استكبر اليهود وعبدة الاوثان وانفوا من الانقياد الى الحق
اخبر الله سبحانه في هذه الاية عن عداوة مجاوري النبي صلى الله عليه وآله من اليهود ومودة النجاشي واصحابه
الذين اسلموا معه من الحبشة لان الهجرة كانت الى المدينة وبها اليهود والى الحبشة وبها النصارى النجاشي واصحا
ثم وصفهم فقال واذا سمعوا ما انزل الى الرسول من القرآن ترى اعينهم تفيض من الدمع حزنا مما عرفوا من الحق
اى عرفتهم بان المتلو عليهم كلام الله تعالى وانه حق يقولون ربنا آمنا اى صدقنا بانه كلامك انزلته على
نبيك فاكتبنا اى فاجعلنا بمنزلة ما قد كتب ودون وقيل فاكتبنا في ام الكتاب وهو اللوح المحفوظ مع الشاهدين
اى مع محمد وامته الذين يشهدون بالحق عن ابن عباس وقيل مع الذين يشهدون بالحق عن ابن عباس و
مع الذين يشهدون بالايمان عن الحسن وقيل مع الذين يشهدون بتصديق نبيك وكتابك عن الجبائي وما لنا لا نؤمن
بالله وما جاءنا من الحق معناه واى عذر لنا لا نؤمن بالله وهو جواب لهم لمن قال لهم من قومهم تعنيفا لهم لم آمنتم
عن الزجاج وقيل انهم قدروا في انفسهم كان سائلا سالهم عنه فاجابوا بذلك والحق هو القرآن والاسلام
ووصفه بالمجيء مجاز كما يقال نزل وانما نزل به الملك فكذلك جاء به الملك وقيل ان جاء بمعنى حدث كقوله وجاءت
سكرة الموت بالحق ونطمع اى نرجو ونؤمل ان يدخلنا ربنا يعني في الجنة لايماننا بالحق فحذف لدلالة الكلام
عليه مع القوم الصالحين من امة محمد صلى الله عليه وآله قوله عز وجل فاثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها وذلك جزاء المحسنين والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم آيتان اللغة اثابهم اى جازاهم
واصل الثواب الرجوع والاحسان ايصال النفع الحسن الى الغير وضده الاساءة وهو ايصال الضرر القبيح اليه وليس كل من كان
من جهته احسان فهو محسن مطلقا فالمحسن فاعل الاحسان بشرط ان يكون خاليا من وجوه القبح والجحيم النار الشديدة
الايقاد وهو هنا اسم من اسماء جهنم وجحم فلان النار اذا شدد ايقادها ويقال لعين الاسد جحمة لشدة اتقادها
قال والحرب لا يبقى لجاحمها التخيل والمراح المعنى فاثابهم اى فجازاهم الله بما قالوا اى بالتوحيد عن الكلبي فعلى هذا فانما
علق الثواب بمجرد القول لانه قد سبق من وصفهم ما يدل على اخلاصهم فيما قالوه وهو المعرفة في قوله مما عرفوا من الحق
والبكاء المؤذن بحقيقة الاخلاص واستكانة القلب ومعرفة والقول اذا اقترن به المعرفة والاخلاص فهو الايمان الحقيقي
الموعود عليه الثواب وقيل ان المراد بما قالوا بما سالوا يعني قوله فاكتبنا مع الشاهدين ونطمع ان يدخلنا ربنا الآية
عن عطاء عن ابن عباس وعلى هذا فيكون معناه المسألة الجنة جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وقد تقدم تفسيره
وذلك جزاء المحسنين اى المؤمنين عن الكلبي والموحدين عن ابن عباس والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب
الجحيم لما ذكر سبحانه الوعد لمدحهم ذكر الوعيد لمن كفر منهم وكذب واطلق اللفظ به ليكون لهم ولمن جرى مجراهم
في الكفر وانما شرط في الوعيد على الكفر التكذيب بالايات وان كان كل واحد منهما يستحق به العقاب لان صفة
الكفار من اهل الكتاب انهم يكذبون بالآيات فلم يصلح ما هنا وكذبوا لانهم جمعوا الامرين وليس من شرط الكذب
ان يكون عالما بان ما كذب به بل اذا اعتقد ان الخبر كذب سمي مكذبا وان لم يعلم انه كذب وانما يستحق به الذم
لانه جعل المخبر الى ان يعلم صحة ما كذب به قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم ولا تعتدوا
ان الله لا يحب المعتدين وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون آيتان النزول قال
المفسرون جلس رسول الله صلى الله عليه وآله يوما فذكر الناس ووصف القيمة فرق الناس وبكوا واجتمع عشرة
من الصحابة في بيت عثمان بن مظعون الجمحي وهم علي وابو بكر وعبد الله بن مسعود وابو ذر الغفاري وسالم مولى

ابي حذيفة وعبد الله بن عمر والمقداد الاسود وسلمان الفارسي ومعقل بن مقرن واتفقوا على ان يصوموا النهار
ويقوموا الليل ولا يناموا على الفرش ولا ياكلوا اللحم ولا الودك ولا يقربوا النساء ولا الطيب ويلبسوا المسوح ويرفضوا
الدنيا فاتى دار عثمان فلم يصادفه فقال لامراته ام حكيم بنت ابي امية واسمها حولاء وكانت عطارة احق ما بلغني عن زوجك
واصحابه فكرهت ان تكذب رسول الله وكرهت ان تبدي على زوجها فقالت يا رسول الله ان كان اخبرك عثمان فقد
صدقك فانصرف رسول الله صلى الله عليه وآله فلما دخل عثمان اخبرته بذلك فاتى رسول الله صلى الله عليه وآله هو واصحابه
فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله الم انبأ انكم اتفقتم على كذا وكذا قالوا بلى يا رسول الله وما اردنا الا الخير فقال رسول الله صلى الله عليه وآله اني
لم اومر بذلك ثم قال ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فاني اقوم وانام واصوم وافطر
واكل اللحم والدسم وآتي النساء ومن رغب عن سنتي فليس مني ثم جمع الناس وخطبهم وقال ما بال اقوام حرموا
النساء والطعام والطيب والنوم وشهوات الدنيا اما اني لم آمركم ان تكونوا قسيسين ورهبانا فانه ليس في ديني
ترك اللحم والنساء ولا اتخاذ الصوامع وان سياحة امتي الصوم ورهبانيتهم الجهاد اعبدوا الله ولا تشركوا
به شيئا وحجوا واعتمروا واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة وصوموا رمضان واستقيموا يستقم لكم فانما هلك من كان قبلكم
بالتشديد شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم فاولئك بقاياهم في الديارات والصوامع فانزل الله الآية وروي
عن ابي عبد الله عليه السلام انه قال نزلت في علي عليه السلام وبلال وعثمان بن مظعون فاما علي فانه حلف ان لا ينام
بالليل ابدا الا ما شاء الله واما بلال فحلف انه لا يفطر بالنهار ابدا واما عثمن بن مظعون فانه حلف ان لا ينكح ابدا المعنى
لما تقدم ذكر الرهبان وكانوا قد حرموا على انفسهم الطيبات نهى المؤمنين عن ذلك فقال يا ايها الذين آمنوا اى يا ايها
المؤمنون لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم وهو يحتمل وجوها منها ان يريد لا تعتقدوا تحريمها ومنها ان يريد
لا تظهروا تحريمها ومنها ان يريد لا تحرموها على غيركم بالفتوى والحكم ومنها ان يريد لا تجروها مجرى المحرمات في
شدة الاجتناب ومنها ان يريد لا تلتزموا تحريمها بنذر او يمين فوجب حمل الآية على جميع الوجوه والطيبات اللذات
التي تشتهيها النفوس وتميل اليها القلوب وقد يقال الطيب بمعنى الحلال كما يقال يطيب لك اى يحل ولا يليق
ذلك بهذا الموضع ولا تعتدوا اى ولا تتعدوا حدود الله واحكامه وقيل معناه ولا تجبوا انفسكم فسمى الخصاء اعتداء
عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والاول اعم فائدة ان الله لا يحب المعتدين معناه يبغضهم ويريد الانتقام منهم
وكلوا مما رزقكم الله لفظه لفظ الامر والمراد به الاباحة حلالا طيبا اى مباحا لذيذا ويسال هنا فيقال اذا كان الرزق
كله حلالا فلم قيد هنا فقال حلالا والجواب انه انما ذكر حلالا على وجه التاكيد كما قال وكلم الله موسى تكليما وقد اطلق
سبحانه في موضع آخر على وجه المدح وهو قوله ومما رزقناهم ينفقون وقال ابن عباس يريد من طيبات الرزق
اللحم وغيره واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون هذا استدعاء الى التقوى بالطف الوجوه وتقديره ايها المؤمنون
بالله لا تضيعوا ايمانكم بالتقصير في التقوى فتكون عليكم الحسرة العظمى واتقوا في تحريم ما احل الله لكم وفي جميع معاصيه
من به تؤمنون وهو الله سبحانه وفي هاتين الآيتين دلالة على كراهة التخلي والترهب والتفرد والخروج عما عليه الجمهور
في التأهل وطلب الولد وعمارة الارض وروي ان النبي صلى الله عليه وآله كان ياكل الدجاج والفالوذ وكان يعجبه الحلواء
والعسل وقال ان المؤمن في بطن المؤمن زاوية لا يملاها الا الحلواء وروي ان الحسن كان ياكل الفالوذ فدخل عليه
فرقد السبخي فقال يا فرقد ما تقول في هذا فقال فرقد لا آكله ولا احب اكله فاقبل الحسن على غيره كالمتعجب وقال لعاب النحل
بلباب البر مع سمن البقر هل يعيبه مسلم قوله عز وجل لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان
فكفارته اطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم او كسوتهم او تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام
ثلثة ايام ذلك كفارة ايمانكم اذا حلفتم واحفظوا ايمانكم كذلك يبين الله لكم اياته لعلكم تشكرون آية القراءة

قرا ابن عامر وحده عاقدتم برواية ابن ذكوان وقرا اهل الكوفة غير حفص عقدتم خفيفة والباقون عقدتم بالتشديد
وروي ان قراءة جعفر بن محمد يطعمون اهاليكم الحجة قال ابو علي من قرا عقدتم مشددة القاف احتمل امرين ان
يكون لتكثير الفعل والآخر ان لا يراد به التكثير كما ان ضاعف لا يراد به فعل اثنين ومن قرا عقدتم خفيفة جاز ان يراد
به الكثير من الفعل والقليل الا ان فعّل يختص بالكثير كما ان الركبة تختص بالحال التي يكون عليها الركوب ومن قرا عاقدتم احتمل
امرين احدهما ان يكون يراد به عقدتم كما ان عافاه الله وعاقبت اللص وطارقت النعل بمنزلة فعلت فيكون على
هذه القراءة كقراءة من خفف ويحتمل ان يراد بعاقدتم فاعلت الذي يقتضي فاعلين فصاعدا كانه قال يؤاخذكم
بما عاقدتم عليه اليمين ولما كان عاقد في المعنى قريبا من عاهد عداه الله تعالى كما عدى عاهدتم قال ومن اوفى
بما عاهد عليه الله فحذف الجار فوصل الفعل الى المفعول ثم حذف من الصلة الضمير الذي كان يعود الى الموصول كما حذف
من قوله فاصدع بما تؤمر ومثله قول الشاعر كانه واضح الاقراب في لقح اسمى بها وعزته الاقاصيل انما هو عزبت عليه
فاتسع والتقدير يؤاخذكم بالذي عاقدتم عليه الايمان هو ثم عاقدتموه الايمان فحذف الراجع ويجوز ان يجعل
ما التي مع الفعل بمعنى المصدر فيمن قرا عقدتم وعقدتم فلا يقتضي راجعا كما لا يقتضيه في قوله ولهم عذاب اليم
بما كانوا يكذبون وقوله فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا باياتنا يجحدون فاما قوله اهاليكم فان اهالي
كليالي كان واحدها اهلاه وليلاه انشد ابن اعرابي في كل يوم ما وكل ليلاه يا ليت من حمله ما اشقاه ومن
اهالي جمع اهلون فقد ابعد لان هذا الجمع لا يكسر اللغة اللغو في اللغة ما لا يعتد به قال الشاعر او مائة يجعل اولادها
لغوا وعرض المائة الجلمد اي الذي يعارضها في قوة الجلمد يعني بالمائة نوقا اي لا يعتد باولادها ولغو اليمين هو الحلف
على وجه الغلط من غير قصد مثل قول القائل بلى والله ولا والله على سبق اللسان هذا هو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله ع
ويقال عقدت الحبل والعهد واليمين عقدا قال الحطيئة قوم اذا عقدوا عقدا لجارهم وقال في بيت آخر وان عاهدوا
اوفوا وان عاقدوا شدوا واعقدت العسل فهو معقد وعقيد والتحرير من الحرية قال الفرزدق ابني غدانة انني حررتكم
فوهبتكم لعطية ابن جعال يريد اعتقتكم من ذل الهجاء ولزوم العار النزول قيل لما نزلت لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم
قالوا يا رسول الله كيف نصنع بايماننا فانزل الله هذه الآية وقيل نزلت في عبد الله بن رواحة كان عنده ضيف فاخرت
زوجته عشاه فحلف لا ياكل من الطعام وحلفت المراة لا تاكل ان لم ياكل وحلف الضيف لا ياكل ان لم ياكلا فاكل عبد الله
بن رواحة واكل معه فاخبر النبي بذلك فقال احسنت عن ابن زيد المعنى لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم معنى الكلام في
لغو اليمين وحكمه في سورة البقرة ولا كفارة فيه عند اكثر المفسرين والفقهاء الا ما روي عن ابراهيم النخعي انه قال فيها الكفارة
ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان ان جعلت ما موصولة فمعناه الذي عقدت عليه الايمان وان جعلته مصدرية فمعناه
بعقدكم او بتعقيدكم الايمان او بمعاقدتكم الايمان وتفسيره ان ضميرا لامر ثم يحلف بالله فيعقد عليه اليمين عن عطا وقيل
هو ما عقدت عليه قلبك وتعمدته عن مجاهد فكفارته اي كفارة ما عقدتم اذا حنثتم واستغنى عن ذكره لانه مدلول عليه
لان الامة قد اجمعت على ان الكفارة لا تجب الا بعد الحنث اطعام عشرة مساكين واختلف في مقدار ما يعطى كل مسكين فقال
الشافعي مد وهو رطل وثلث من وقال ابو حنيفة نصف صاع من الحنطة او صاع من شعير او تمر وكذلك سائر الكفارات
وقال اصحابنا يعطي كل واحد مدين او مدا والمد رطلان وربع ويجوز ان يجمعهم على ما هذا قدره لياكلوه ولا يجوز ان
يعطي خمسة ما يكفي عشرة وان كان المساكين ذكورا او اناثا جاز ذلك ودفع بلفظ التذكير لانه مغلب في كلام العرب من
اوسط ما تطعمون اهليكم قيل فيه قولان احدهما الخبز والادم لان افضله الخبز واللحم وادونه الخبز والملح واوسطه الخبز والسمن
والزيت والآخر ان الاوسط في المقدار اي يعطيهم كما يعطي اهله في العسر واليسر عن ابن عباس او كسوتهم قيل لكل واحد منهم
ثوب ثوب عن الحسن ومجاهد وعطاء وطاوس وهو مذهب الشافعي وقال ابو حنيفة ما يقع عليه اسم الكسوة والذي

رواه اصحابنا ان لكل واحد ثوبين مئزر او قميصا وعند الضرورة يجزي قميص واحد او تحرير رقبة معناه عتق رقبة عبد او امة
والرقبة يعبر بها عن جملة الشخص وهو كل رقبة سليمة من العاهات صغيرة كانت او كبيرة مؤمنة او كافرة لان اللفظ مبهم
الا ان المؤمن افضل وهذه الثلاثة واجبة على التخيير وقيل ان الواجب منها واحد لا بعينه وفائدة هذا الخلاف والكلام في
شرحها وفي الادلة على صحة المذهب الاول مذكور في اصول الفقه فمن لم يجد فصيام ثلاثة ايام معناه فكفارته صيام
ثلاثة ايام فيكون صيام مرفوعا بانه خبر المبتدا او فعليه صيام ثلاثة ايام فيكون صيام مرفوعا بالابتداء او بالظرف وحد
من ليس بالواجد هو من ليس عنده ما يفضل عن قوته وقوت عياله يومه وليلته وبه قال
الشافعي ويجب التتابع في هذه الايام الثلاثة وبه قال ابي وابن عباس ومجاهد وقتادة واكثر الفقهاء وفي قراءة
ابن مسعود ابي ثلاثة ايام متتابعات واليمين على ثلاثة اقسام احدها ما يكون عقدها طاعة وحلها معصية
فهذه يتعلق بحنثها الكفارة بلا خلاف وهو كما لو قال والله لا شربت خمرا والثاني ان يكون عقدها معصية وحلها طاعة
كما لو قال والله لا صليت ولا كفارة في حنثه عند اصحابنا وخالف سائر الفقهاء في ذلك والثالث ان يكون عقدها مباحا
وحلها مباحا كما لو قال والله لا لبست هذا الثوب فهذه يتعلق بحنثه الكفارة بلا خلاف ذلك اشارة الى ما تقدم
ذكره من الكفارة ذلك كفارة ايمانكم اذا حلفتم يعني اذا حلفتم وحنثتم لان الكفارة لا تجب بنفس اليمين وانما تجب باليمين
والحنث وقيل تجب بالحنث بشرط تقدم اليمين واختلف فيمن كفر بعد اليمين قبل الحنث قال ابو حنيفة لا يجزي وقال
الشافعي يجزي واحفظوا ايمانكم قيل في معناه قولان قال ابن عباس يريد لا تحلفوا وقال غيره احفظوا ايمانكم عن الحنث
فلا تحنثوا وهو اختيار الجبائي وهذا هو الاقوى لان الحلف مباح الا في معصية بلا خلاف وانما الواجب ترك الحنث
وفيه دلالة على ان اليمين في المعصية لا تنعقد لانها لو انعقدت للزم حفظها واذا كان لا تنعقد لم يلزم فيها الكفارة
كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون معناه كما بين امر الكفارة وجميع الاحكام يبين الله لكم آياته وفروضه لتشكروه
على اموركم ونعمه عليكم قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل
الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم
عن ذكر الله وعن الصلوة فهل انتم منتهون آيتان اللغة الخمر عصير العنب المشتد وهو العصير الذي يسكر كثيره وسمي
خمرا لانها بالسكر تغطي على العقل واصله في الباب التغطية من قولهم خمرت الاناء اذا غطيته ودخل في خمار الناس
اذا خفي فيما بينهم والميسر القمار كله من تيسر امر الجزور بالاجتماع على القمار فيه واصله من اليسر خلاف العسر
وسميت اليد اليسرى تفاؤلا بتيسير العمل بها وقيل لانها تعين اليد اليمنى فيكون العمل ايسر والانصاب الاصنام واحدها
نصب وسمي ذلك لانها كانت تنصب للعبادة لها والانتصاب القيام ومنه النصب التعب عن العمل الذي ينتصب له ونصاب
السكين لانه ينصب فيه ومناصبة العدو الانتصاب لعداوته قال الاعشى وذا النصب المنصوب لا تعبدنه ولا تعبد الشيطان والله
فاعبدا والازلام القداح وهي سهام كانوا يجيلونها للقمار وقد ذكرنا ما قيل فيها في اول السورة الرجز بالزاي العذاب
واصل الرجز تتابع الحركات يقال ناقة رجزاء اذا كانت ترتعد قوائمها في ناحيتها قال الزجاج الرجس في اللغة اسم لكل ما استقذر
من عمل يقال رجس يرجس ورجس يرجس اذا عمل عملا قبيحا والرجس بفتح الراء شدة الصوت ورعد رجاس شديد الصوت فكان
الرجس الذي يقبح ذكره ويرتفع في القبح المعنى ثم عطف سبحانه على ما بين من الاحكام بالنهي عن افعال اهل الجاهلية
والنقل عنها الى شريعة الاسلام فقال يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب وقد مر معناهما في سورة البقرة
وقال ابن عباس يريد بالخمر جميع الاشربة التي تسكر وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله الخمر من تسع من البتع
وهو العسل ومن العنب ومن الزبيب ومن التمر ومن الحنطة ومن الذرة والشعير والسلت وقال في الميسر يريد
بالقمار وهي في اشياء كثيرة انتهى كلامه والانصاب والازلام ذكرناهما في اول السورة رجس من عمل الشيطان لا بد ان يكون

في الكلام حذف والمعنى شرب الخمر او تناولها والتصرف فيه وعبادة الانصاب والاستقسام بالازلام رجس اي خبيث
من عمل الشيطان واضافها الى الشيطان وهي اجسام من فعل الله تعالى لما يأمر الشيطان به فيها من الفساد فيأمر بشرب
المسكر ليزيل العقل ويأمر بالقمار ليستعمل فيها الاخلاق الدنية ويأمر بعبادة الاصنام لما فيها من الشرك بالله ويأمر بالازلام لما
فيها من ضعف الرأي والاتكال على الاتفاق وقال الباقر عليه السلم يدخل في الميسر اللعب بالشطرنج والنرد وغير ذلك من
انواع القمار حتى ان لعب الصبيان بالجوز من القمار فاجتنبوه اي كونوا على جانب منه اي في ناحية لعلكم تفلحون معناه
كي تفلحوا بالثواب وفي هذه الآية دلالة على تحريم الخمر وهذه الاشياء من اربعة اوجه احدها انه سبحانه وصفها
بالرجس وهو النجس والنجس محرم بلا خلاف وثانيها انه نسبها الى عمل الشيطان وذلك يوجب تحريمها والثالث انه امر باجتنابها
والامر يقتضي الايجاب والرابع انه جعل الفوز والفلاح في اجتنابها والهاء في قوله فاجتنبوه راجعة الى عمل الشيطان
وتقديره اجتنبوا عمل الشيطان وكل واحد من شرب الخمر وتعاطي القمار واتخاذ الانصاب والازلام من عمل الشيطان
ويجوز ان يكون الهاء عائدة الى الرجس والرجس واقع على الخمر وما ذكر بعدها ثم قرن الله سبحانه الخمر بعبادة الاوثان
تغليظا في تحريمها فلذلك قال عليه السلم مدمن الخمر كعابد الوثن وفي هذا دلالة على تحريم سائر التصرفات في الخمر
من الشرب والبيع والشراء والاستعمال على جميع الوجوه ثم بين سبحانه انه انما نهى عن الخمر لما يعلم في اجتنابها من الصلاح
وخير الدارين فقال انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر قال ابن عباس يريد سعد بن
ابي وقاص ورجلا من الانصار كان مواخيا لسعد فدعاه الى الطعام فاكلوا وشربوا نبيذا مسكرا فوقع بين سعد
والانصاري مراء ومفاخرة فاخذ الانصاري لحي جمل فضرب به سعدا ففزر انفه فانزل الله ذلك فيهما والمعنى
يريد الشيطان ايقاع العداوة بينكم بالاغراء المزين لكم ذلك حتى اذا سكرتم زالت عقولكم واقدمتم من القبائح على
ما كان يمنعه منه عقولكم قال قتادة ان الرجل كان يقامر في ماله واهله فيقمر ويبقى حزينا سليبا فيكسبه ذلك العداوة والبغضاء
ويصدكم عن ذكر الله اي يمنعكم من الذكر لله بالتعظيم والشكر على آلائه وعن الصلوة التي هي قوام دينكم فهل انتم
منتهون صيغته الاستفهام ومعناه النهي وانما جاز في صيغة الاستفهام ان يكون على معنى النهي لان الله تعالى ذم هذه
الافعال واظهر قبحها واذا ظهر قبح الفعل للمخاطب ثم استفهم عن تركه لم يسعه الا الاقرار بالترك فكانه قيل اتفعله
بعد ما قد ظهر من قبحه ما ظهر فصار المنتهي بقوله فهل انتم منتهون في محل من عقد عليه ذلك باقراره فكان هذا
ابلغ في باب النهي من ان يقال انتهوا ولا تشربوا ثم قال عز وجل واطيعوا الله واطيعوا الرسول واحذروا فان توليتم
فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين آية المعنى لما امر سبحانه باجتناب الخمر وما بعدها عقبه بالامر بالطاعة فيه وفي غيره
فقال واطيعوا الله واطيعوا الرسول والطاعة هي امتثال الامر والانتهاء عن المنهي عنه ولذلك يصح ان يكون الطاعة
طاعة لاثنين بان يوافق امرهما وارادتهما واحذروا هذا امر منه تعالى بالحذر من المحارم والمناهي قال عطا يريد
واحذروا سخطي والحذر هو امتناع القادر من الشيء لما فيه من الضرر فان توليتم اي ان اعرضتم ولم تعملوا بما امركم
به فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين معناه الوعيد والتهديد فكانه قال فاعلموا انكم قد استحققتم العقاب
لتوليكم عما ادى رسولنا اليكم من البلاغ المبين يعني الاداء الظاهر الواضح فوضع كلام موضع كلام للايجاز ولو كان
الكلام على صيغته من غير هذا التقدير لم يصح لان عليهم ان يعلموا ذلك تولوا او لم يتولوا وما في قوله انما كافة لان عن
عملها قوله عز وجل ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات
ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا واحسنوا والله يحب المحسنين آية النزول لما نزل تحريم الخمر والميسر قالت الصحابة يا رسول الله
ما تقول في اخواننا الذين مضوا وهم يشربون الخمر ويأكلون الميسر فانزل الله هذه الآية عن ابن عباس وانس
بن مالك والبراء بن عازب ومجاهد وقتادة والضحاك وقيل انما نزلت في القوم الذين حرموا على انفسهم اللحوم وسلكوا

طريق الترهب كعثمان بن مظعون وغيره فبين الله انه لا جناح في تناول المباح مع اجتناب المحرمات فقال
المعنى ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح اي اثم وحرج فيما طعموا من الخمر والميسر قبل نزول التحريم وفي تفسير
اهل البيت فيما طعموا من الحلال وهذه اللفظة صالحة للاكل والشرب جميعا اذا ما اتقوا شربها بعد التحريم وآمنوا بالله
تعالى وعملوا الصالحات اي الطاعات ثم اتقوا اي داوموا على الاتقاء وآمنوا اي داموا على الايمان ثم اتقوا بفعل الفرائض
واحسنوا بفعل النوافل فعلى هذا يكون الاتقاء الاول اتقاء الشرب والاتقاء الثاني هو الدوام على ذلك والاتقاء
الثالث اتقاء جميع المعاصي وضم الاحسان اليه وقيل ان الاتقاء الاول اتقاء المعاصي العقلية التي تخص المكلف
ولا تتعداه والايمان الاول الايمان بالله تعالى وبما اوجب الايمان به والايمان بقبح هذه المعاصي ووجوب
تجنبها والاتقاء الثاني هو اتقاء المعاصي السمعية والايمان بقبحها ووجوب اجتنابها والاتقاء الثالث يختص بمظالم
العباد وبما يتعدى الى الغير من الظلم والفساد وقال ابو علي الجبائي ان الشرط الاول يتعلق بالزمان الماضي
والشرط الثاني يتعلق بالدوام على ذلك والاستمرار على فعله والشرط الثالث يختص بمظالم العباد واستدل على
ان هذه الاتقاء يختص بالمظالم بقوله واحسنوا فان الاحسان اذا كان متعديا وجب ان يكون المعاصي التي امروا
باتقائها قبله متعدية وهذا ضعيف لانه لا تصريح في الآية بان المراد به الاحسان المتعدي ولا يمتنع ان يريد
بالاحسان فعل الحسن والمبالغة فيه فان اختص الفاعل ولم يتعداه كما يقولون لمن بالغ في فعل الحسن احسنت
واجملت ثم لو سلم ان المراد به الاحسان المتعدي فلم لا يجوز ان يعطف فعل متعد على فعل لا يتعدى ولو صرح
سبحانه فقال اتقوا القبائح كلها واحسنوا الى غيرهم لم يمتنع ولعل ابا علي انما عدل في الشرط الثالث عن ذكر الاحوال
لما ظن انه لا يمكن فيه ما امكن في الاول والثاني وهذا ممكن غير ممتنع بان يحمل الشرط الاول على الماضي والثاني
على الحال والثالث على المنتظر المستقبل ومتى قيل ان المتكلمين عندهم لا واسطة بين الماضي والمستقبل فان الفعل
اما ان يكون موجودا فيكون ماضيا واما ان يكون بعد ولما يكون مستقبلا وانما ذكر الاحوال الثلاثة النحويون
فجوابه ان الصحيح انه لا واسطة بين العدم والوجود كما ذكرت غير ان الموجود في اقرب الزمان لا يمتنع ان يسمى
ويفرق بينه وبين الغابر السالف والغابر المنتظر ووجدت الاجل المرتضى علي بن الحسين الموسوي قدس الله
روحه ذكر في بعض مسائله ان المفسرين تشاغلوا بايضاح الوجه في التكرار الذي تضمنه هذه الآية وظنوا انه
المشكل فيها وتركوا ما هو اشد اشكالا من التكرار وهو انه تعالى نفى الجناح عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات
فيما يطعمونه بشرط الاتقاء والايمان وعمل الصالحات والايمان والاعمال الصالحات ليس بشرط في نفي الجناح فان المباح
اذا وقع من الكافر فلا اثم عليه ولا وزر ولنا في حل هذه الشبهة طريقان احدهما ان يضم الى المشروط
المصرح بذكره غيره حتى يظهر تأثير ما شرط فيكون تقدير الآية ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح
فيما طعموا وغيره اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات لان الشرط في نفي الجناح لا بد ان يكون له تأثير حتى
يكون متى انتفى ثبت الجناح وقد علمنا ان باتقاء المحارم ينتفي الجناح فيما يطعم فهو الشرط الذي لا زيادة عليه ولما ولي
ذكر الاتقاء والايمان وعمل الصالحات ولا تأثير لهما في نفي الجناح علمنا انه اضمر ما تقدم ذكره ليصح الشرط ويطابق
المشروط لان من اتقى الحرام فيما يطعم لا جناح عليه فيما يطعم لكنه قد يصح ان يثبت عليه الجناح فيما اخل به من واجب وضيعه
من فرض فاذا شرطنا انه وقع اتقاء القبيح ممن آمن بالله وعمل الصالحات ارتفع الجناح عنه من كل وجه وليس
بمنكر حذف ما ذكرناه لدلالة الكلام عليه فمن عادة العرب ان يحذفوا ما يجري هذا المجرى ويكون قوة الدلالة
عليه مغنية عن النطق به ومنه قول الشاعر يراه كان الله يجدع انفه وعينيه ان مولاه ثاب له وفر لما كان الجدع
لا يليق بالعين وكانت معطوفة على الانف الذي يلحق الجدع به اضمر ما يليق بالعين من البخص وما يجري مجراه

والطريق الثاني وهو أن يجعل الايمان وعمل الصالحات هنا ليس بشرط حقيقي وان كان معطوفا على الشرط فكأنه تعالى
لما اراد ان يبين وجوب الايمان وعمل الصالحات عطفه على ما هو واجب من اتقاء المحارم لاشتراكهما في الوجوب وان لم يشتركا
في كونهما شرطا في نفي الجناح فيمن يطعم وهذا أوسع في البلاغة يحار فيه العقل استحسانا واستغرابا انتهى كلامه رضي الله عنه
وقد قيل أيضا في الجواب عن ذلك ان المؤمن يصح ان يطلق عليه بأنه لا جناح عليه والكافر مستحق العقاب مغمور فلا يطلق
عليه هذا اللفظ وأيضا فان الكافر قد سد على نفسه طريق معرفة التحريم والتحليل فلذلك يخص المؤمن بالذكر وقوله
والله يحب المحسنين اي يريد ثوابهم واجلالهم واكرامهم وتفضيلهم وتبجيلهم ويروى ان قدامة بن مظعون شرب الخمر
في ايام عمر بن الخطاب فاراد ان يقيم عليه الحد فقال ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا عنه الحد
وان كان فيهم فاستتيبوه واقيموا عليه الحد فان لم يتب وجب عليه القتل قوله عز وجل يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله
بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه بالغيب فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم يا أيها الذين
آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ
الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما ليذوق وبال أمره عفا الله عما سلف ومن عاد
فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام آيتان القراءة قرأ اهل الكوفة ويعقوب فجزاء مثل رفع الباقون
فجزاء مثل ما قتل بالاضافة وقرأ اهل المدينة وابن عامر او كفارة بغير تنوين طعام على الاضافة والباقون
او كفارة بالتنوين طعام بالرفع ولم يختلفوا في مساكين انه جمع وروي في الشواذ قراءة عبد الرحمن فجزاء مثله
مثل ما بالنصب وقرأ محمد بن علي الباقر وجعفر بن محمد الصادق يحكم به ذو عدل منكم الحجة قال ابو علي حجة من رفع
المثل انه صفة للجزاء والمعنى فعليه جزاء من النعم مماثل للمقتول والتقدير فعليه جزاء اي فاللازم له او فالواجب عليه
جزاء من النعم مماثل لما قتل من الصيد ومن النعم على هذه القراءة صفة للنكرة التي هي جزاء وفيه ذكر له ولا ينبغي اضافة
جزاء الى المثل لان عليه جزاء المقتول لا جزاء مثله ولا جزاء عليه لمثل المقتول الذي لم يقتله ولا يجوز ان يكون قوله
من النعم على هذه القراءة متعلقا بالمصدر كما جاز ان يكون الجار متعلقا به في قوله جزاء سيئة بمثلها لانك
قد وصفت الموصول واذا وصفته لم يجز ان يتعلق به بعد الوصف شيء كما انك اذا عطفت عليه او اكدته
لم يجز ان تعلقه به بعد العطف عليه والتأكيد له فاما في قراءة من اضاف الجزاء الى مثل
فان قوله من النعم يكون صفة للجزاء كما كان في قول من نون ولم يضف صفة له ويجوز فيه وجه آخر لا يجوز
في قول من نون ووصف وهو ان تقدره متعلقا بالمصدر ولا يجوز على هذا القول ان يكون فيه ذكر كما تضمن
الذكر لما كان صفة وانما جاز تعلقه بالمصدر على قول من اضاف لانك لم تصف الموصول كما وصفته
في قول من نون فيمتنع تعلقه به واما من اضاف الجزاء الى مثل فانه وان كان عليه جزاء المقتول لا جزاء مثله فانهم
قد يقولون انا اكرم مثلك يريدون انا اكرمك فكذلك اذا قال فجزاء مثل ما قتل فالمراد جزاء ما قتل
واذا كان كذلك كانت الاضافة في المعنى كغير الاضافة ولو قدرت الجزاء تقدير المصدر فاضفته الى المثل
كما تضيف المصدر الى المفعول به لكان جائزا في قول من جوز مثلا على الاتساع الذي ذكرنا الا ان المعنى فجزاء
مثل ما قتل على ما قرأه عبد الرحمن اي يجازي مثل ما قتل ومثله قول الشاعر يضرب بالسيوف رؤوس قوم ازلنا هامهن
عن المقيل لما نون المصدر اعمله واما الوجه في قراءة من رفع طعام مساكين انه جعله عطفا على الكفارة
عطف بيان لان الطعام هو الكفارة ولم يضف الكفارة الى الطعام ومن اضاف الكفارة الى الطعام فلانه
لما خير المكفر بين ثلاثة اشياء الهدي والطعام والصيام استجاز الاضافة لذلك فكأنه قال كفارة طعام لا كفارة
هدي او صيام فاستقامت الاضافة واما ذو عدل فقد قال ابو الفتح فيه انه لم يوحد ذو لان الواحد يكفي لكنه اراد

معنى من اي يحكم به من العدل ومن يكون للاثنين كما يكون للواحد كقوله نكن مثل من يا ذئب يصطحبان واقول
ان هذا الوجه الذي ذكره ابن جني بعيد غير مفهوم وقد وجدت في تفسير اهل البيت منقولا عن السيدين عليهما السلام
ان المراد بذي العدل رسول الله والي الامر من بعده وكفى بصاحب القراءة خبرا بمعنى قراءته اللغة البلاء الامتحان
والاختبار واصله اظهار باطن الحال ومنه البلاء النعمة لانه يظهر به باطن حال المنعم عليه في الشكر او الكفر والبلاء
الخلوق لظهور تقادم العهد فيه والغيب ما غاب عن الحواس ومنه الغيبة وهو الذكر بظهر الغيب بالقبيح وحرم جمع
حرام ورجل حرام ومحرم بمعنى وحلال ومحل كذلك واحرم الرجل دخل في الشهر الحرام واحرم ايضا دخل في الحرم واحرم
اهل بالحج والحرم الاحرام ومنه الحديث كنت اطيب النبي صلى الله عليه وآله لحرمه واصل الباب المنع وسميت النساء حرم
لانها تمنع والمحروم الممنوع الرزق والمثل والمثل والشبه والشبه واحد والنعم في اللغة هي الابل والبقر والغنم فاذا انفردت
الابل قيل لها نعم وان انفردت البقر والغنم لم تسم نعما ذكره الزجاج قال الفراء العدل بفتح العين ما عادل الشيء من غير جنسه
والعدل بالكسر المثل تقول عندي عدل غلامك او شاتك اذا كانت شاة تعدل شاة او غلام يعدل غلاما فاذا اردت
قيمته من غير جنسه فتحت فقلت عدل وقال البصريون العدل والعدل في معنى المثل كان من الجنس او غير الجنس والوبال
ثقل الشيء في المكروه ومنه قولهم طعام وبيل وماء وبيل اذا كانا ثقيلين غير ناميين في المال ومنه قوله فاخذناه اخذا
وبيلا اي ثقيلا شديدا وقال للخشبة القصار وبيل من هذا قال طرفة بن العبد فمرت كهاة ذات خيف جلالة عقيلة
شيخ كالوبيل يلندد الاعراب ليبلونكم هذه اللام لام القسم ومن في قوله من الصيد للتبعيض ويحتمل وجهين احدهما
ان يكون عنى صيد البر دون البحر والآخر ان يكون لما عنى الصيد ما داموا في الاحرام كان ذلك بعض الصيد ويجوز ان
يكون من لتبيين الجنس كما تقول لامتحننك بشيء من الورق اي لامتحنك بالجنس الذي هو ورق كقوله فاجتنبوا
الرجس من الاوثان والاوثان كلها رجس فالمعنى اجتنبوا الرجس الذي هو وثن واراد بالصيد المصيد بدلالة
قوله تناله ايديكم ورماحكم ولو كان الصيد مصدرا لكان حدثا فلا يوصف بنيل اليد والرمح وانما يوصف بذلك
ما كان عينا وقوله بالغيب في محل النصب على الحال والمعنى من يخافه غائبا كما في قوله من خشي الرحمن بالغيب ويخشون
ربهم بالغيب وقوله وانتم حرم في موضع نصب على الحال هديا بالغ الكعبة لفظ والمعنى منه ان يهدي قال الزجاج
قال وبالغ الكعبة لفظه معرفة ومعناه النكرة اي بالغا الكعبة وحذف التنوين استخفافا واقول يعني بذلك
ان هذه الاضافة اللفظية غير محضة فتكون في تقدير الانفصال والمضاف اليه وان كان مجرورا في اللفظ فهو منصوب
في المعنى لكن لما حذف التنوين في الاول طلبا للخفة جر الثاني في اللفظ وقوله صياما منصوب على التمييز المعنى
ومثل ذلك من الصيام وقوله فينتقم الله منه فيه اضمار تقديره فهو ينتقم الله منه لان الفاء لا يدخل في جواب
الشرط على الفعل اذا كان مستغنى عنه مع الفعل ويكون موضع الفاء مع ما بعده جزما المعنى لما تقدم في اول السورة
تحريم الصيد على المحرم مجملا بين سبحانه ذلك هاهنا فقال يا أيها الذين آمنوا خص المؤمنين بالذكر وان كان الكفار ايضا
مخاطبين بالشرائع لانهم القابلون لذلك المنتفعون به وقيل لانه لا يعتد بالكفار ليبلونكم الله اي ليختبرنكم الله
طاعتكم من معصيتكم بشيء من الصيد اي بتحريم شيء من الصيد وانما بعض لانه عنى صيد البر خاصة عن الكلبي وقد
ذكرناه قبل معنى الاختبار من الله ان يأمر وينهى ليظهر المعلوم ويصح الجزاء وقال اصحاب المعاني امتحن الله
امة محمد صلى الله عليه وآله بصيد البر كما امتحن امة موسى عليه السلام بصيد البحر تناله ايديكم ورماحكم قيل فيه اقوال
احدها ان المراد به تحريم صيد البر والذي تناله الايدي فراخ الطير وصغار الوحش والبيض والذي تناله
الرماح الكبار من الصيد عن ابن عباس ومجاهد وهو المروي عن ابي عبد الله عليه السلام وثانيها ان المراد به
صيد الحرم تناله الايدي والرماح لانه يأنس بالناس ولا ينفر منهم فيه كما ينفر في الحل وذلك آية

من ايات اسعون ابي علي الجبائي وثالثها ان المراد به ما قرب من الصيد وما بعد ليعلم الله من يخافه بالغيب
معناه ليعاملكم معاملة من يطلب ان يعلم مظاهرة في العدل وجه آخر ليظهر المعلوم وهو ان يخاف بظهر الغيب
فينتهي عن صيد الحرم طاعة منه سبحانه وقيل ليعلم وجود خوف من يخافه بالوجود لانه لم يزل عالما به سيخاف فلا
وجد الخوف علم ذلك موجودا وهما معلوم واحد وان اختلفت العبارة عنه فالحدوث انما يدخل على الخوف
لا على العلم وقيل بالغيب معناه في حال الخلوة والتفرد وقيل معناه ان يخشى عقابه اذا توارى بحيث لا يقع عليه
الحس قال ابو القاسم البلخي ان الله تعالى وان كان عالما بما يفعلونه فيما لم يزل فانه لا يجوز ان يثيبهم
ولا يعاقبهم على ما يعلمه منهم وانما يستحقون ذلك اذا علمه واقعا منهم على الوجه الذي كلفهم عليه فاذا لا بد من
التكليف والابتلاء فمن اعتدى بعد ذلك اي من تجاوز حد الله وخالف امره بالصيد في الحرم وفي حال الاحرام
فله عذاب اليم اي مولم ثم ذكر سبحانه عقيب ذلك ما يجب على هذا المعتدي من الجزاء فقال يا ايها الذين امنوا
لا تقتلوا الصيد اختلف في المعني بالصيد فقيل هو كل الوحشي اكل او لم يوكل وهو قول اهل العراق واستدلوا بقول
علي عليه السلام صيد الملوك ثعالب وارانب واذا ركبت فصيدي الابطال وهو مذهب اصحابنا رضي الله عنهم وقيل كل ما يوكل لحمه
وهو قول الشافعي وانتم حرم اي وانتم محرمون بحج او عمرة وقيل معناه وانتم في الحرم قال الجبائي الاية تدل على
تحريم قتل الصيد على الوجهين معا وهو الصحيح وقال علي بن عيسى يدل على الاحرام بالحج والعمرة فقط ومن قتله منكم
متعمدا قيل هو ان يتعمد القتل ناسيا لاحرامه عن الحسن ومجاهد وابن زيد وابن جريج وابرهيم قالوا فاما اذا
تعمد القتل ذاكرا لاحرامه فلا جزاء فيه فانه اعظم من ان يكون له كفارة وقيل هو ان يتعمد القتل وان كان ذاكرا لاحرامه
عن ابن عباس وعطا والزهري وهو قول اكثر الفقهاء فاما اذا قتل الصيد خطا او ناسيا فهو كالمتعمد في وجوب
الجزاء عليه وهو مذهب عامة اهل التفسير والعلم وهو المروي عن ائمتنا عليهم السلام قال الزهري نزل القران
بالعمد وجرت السنة في الخطا فجزاء مثل ما قتل من النعم قد ذكرنا معناه في القراءتين قال الزجاج ويجوز ان يكون
المعنى فجزاء ذلك الفعل مثل ما قتل فيكون جزاء مبتدا ومثل خبره واختلف في هذه المماثلة اي في القيمة او
الخلقة فالذي عليه معظم اهل العلم ان المماثلة معتبرة في الخلقة ففي النعامة بدنة وفي حمار الوحش وشبهه
بقرة وفي الظبي والارنب شاة وهو المروي عن اهل البيت عليهم السلام وهو قول ابن عباس والحسن ومجاهد
والسدي وعطا والضحاك وغيرهم وقال ابرهيم النخعي يقوم الصيد قيمة عادلة ويشترى بقيمته مثله من النعم
فاعتبر المماثلة بالقيمة والصحيح القول الاول يحكم به ذوا عدل منكم قال ابن عباس يريد يحكم في الصيد بالجزاء رجلان
صالحان منكم اي من اهل ملتكم ودينكم فقيهان عدلان فينظران الى اشبه الاشياء به من النعم فيحكمان به هديا
بالغ الكعبة اي يهديه هديا يبلغ الكعبة قال ابن عباس يريد اذا اتى مكة ذبحه وتصدق به وقال اصحابنا
ان كان اصاب الصيد وهو محرم بالعمرة ذبح جزاءه او نحره بمكة قبالة الكعبة وان كان محرما بالحج ذبحه ونحره بمنى
او كفارة طعام مساكين قيل في معناه قولان احدهما ان يقوم عدله من النعم ثم يجعل قيمته طعاما ويتصدق
به عن عطا وهو الصحيح والاخر ان يقوم الصيد المقتول حيا ثم يجعل طعاما عن قتادة او عدل ذلك صياما فيه
ايضا قولان احدهما ان يصوم عن كل مد يقوم من الطعام يوما عن عطا وهو مذهب الشافعي والاخر ان
يصوم عن كل مدين يوما وهو المروي عن ائمتنا عليهم السلام وهو مذهب ابي حنيفة واختلفوا في هذه الكفارات
الثلث فقيل انها مرتبة عن ابن عباس والسدي والشعبي قالوا وانما دخلت او لانه لا يخرج حكمه عن احدى الثلث
وقيل انها على التخيير عن ابن عباس في رواية اخرى والحسن وابرهيم وهو مذهب ابي حنيفة والشافعي وكلا القولين
رواه اصحابنا ليذوق وبال امره اي عقوبة ما فعله في الاخرة ان لم يتب وقيل معناه ليذوق وخامة عاقبة امره

ويعلمه بما يلزمه من الجزاء وان سال سائل فقال كيف يسمى الجزاء وبالا وانما هي عبادة واذا كانت عبادة فهي نعمة ومصلحة فالجواب
ان الله سبحانه شدد عليه التكليف بعد ان عصاه فثقل ذلك عليه كما حرم الشحم على بني اسرائيل لما اعتدوا في السبت فثقل ذلك
عليهم وان كان مصلحة لهم عفا الله عما سلف من امر الجاهلية عن الحسن وعطا وقيل عفا الله عما سلف من الدفعة الاولى
في الاسلام اي قبل التحريم ومن عاد فينتقم الله منه اي من عاد الى قتل الصيد محرما فالله سبحانه يكافئه عقوبة بما
صنع واختلف في لزوم الجزاء بالمعاودة فقيل انه لا جزاء عليه عن ابن عباس والحسن وهو الظاهر من روايات
اصحابنا وقيل انه يلزمه الجزاء عن عطا وسعيد بن جبير وابرهيم وبه قال بعض اصحابنا وقيل انه يلزمه الجزاء عن عطا وسعيد
بن جبير وابرهيم وبه قال بعض اصحابنا والله عزيز ذو انتقام معناه قادر لا يغلب ذو انتقام ينتقم ممن يتعدى
امره ويرتكب نهيه قوله عز وجل **احل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة وحرم عليكم صيد البر
ما دمتم حرما واتقوا الله الذي اليه تحشرون** آية **اللغة** عنى بالبحر جميع المياه والعرب تسمي النهر بحرا ومنه قوله ظهر
الفساد في البر والبحر والاغلب على البحر ان يكون ماؤه ملحا ولكن اذا اطلق دخل فيه الانهار والسيارة المسافرون
الاعراب متاعا نصب على المصدر لان قوله احل لكم يدل على انه قد متعهم به كما انه لما قال حرمت عليكم امهاتكم كان
دليلا على انه كتب عليهم فقال كتاب الله عليكم **المعنى** ثم بين سبحانه ما يحل من الصيد وما لا يحل فقال احل لكم صيد البحر
اي ابيح لكم صيد الماء وانما احل بهذه الاية الطري من صيد البحر لان العتيق لا خلاف في كونه حلالا عن ابن عباس
وزيد بن ثابت وسعيد بن جبير وسعيد بن المسيب وقتاده ومجاهد وطعامه يعني طعام البحر ثم اختلف فيه
فقيل يريد به ما قذفه البحر ميتا عن ابن عباس وابن عمر وقتاده وقيل يريد به المملوح عن ابن عباس في
رواية اخرى وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير ومجاهد وهو الذي يليق بمذهبنا وانما سمي طعاما لانه
يدخر ليطعم فصار كالمقتات من الاغذية فيكون المراد بصيد البحر الطري وبطعامه المملوح لان عندنا لا يجوز
اكل ما يقذفه البحر ميتا للمحرم ولغير المحرم وقيل المراد بطعامه ما ينبت بمائه من الزرع والثمار متاعا لكم وللسيارة
قيل معناه منفعة للمقيم والمسافر عن قتاده والحسن وابن عباس وقيل لاهل الامصار واهل القرى وقيل للمحل
والمحرم وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما هذا يقتضي تحريم الاصطياد في حال الاحرام وتحريم اكل ما صاده الغير
وبه قال علي وابن عباس وابن عمر وسعيد بن جبير وقيل ان لحم الصيد لا يحرم على المحرم اذا صاده غيره عن عمر وعثمان
والحسن والصيد قد يكون عبارة عن الاصطياد فيكون اسما ويجب حمل الاية على الامرين وتحريم الجميع واتقوا الله
الذي اليه تحشرون هذا امر منه تعالى بان يتقي جميع معاصيه ويجتنب جميع محارمه لان اليه الرجوع في الوقت الذي
لا يملك احد فيه الضر والنفع سواه وهو يوم القيمة فيجازي المحسن باحسانه والمسيء باساءته قوله عز وجل **جعل الله الكعبة البيت
الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدي والقلائد ذلك لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض
وان الله بكل شيء عليم** آية **القراءة** قرا ابن عامر وحده قيما للناس بغير الف والباقون قياما بالف **الحجة** القيام
مصدر كالصيام والعياذ فاما القيم فيجوز ان يكون مصدرا كالشبع ويجوز ان يكون حذف الالف من القيام كما
يقصر الممدود وهذا انما يجوز في الشعر دون حال السعة واذا كان مصدرا فانما اعل ولم يصح كما صح العوض والحول
لان المصدر يعل اذا اعتل فعله لان المصدر يجري على فعله فاذا صح حرف العلة في الفعل صح في مصدره نحو اللواذ
والجوار واذا اعتل في الفعل اعل في مصدره نحو الصيام والقيام **اللغة** سميت الكعبة كعبة لتربيعها وانما قيل
للمربع كعبة لنتوء زواياه الاربع والكعوبة النتوء ومنه كعب الانسان لنتوه وكعبت المراة اذا نتا ثديها وكعب ثدياه
والعرب تسمي كل بيت مربع كعبة وقيل سميت كعبة لانفرادها من البنيان وهذا ايضا يرجع الى الاول لان المنفرد من
البنيان كعبة لنتوه من الارض قال الزجاج والبيت الحرام سمي بذلك لان الله تعالى حرم ان يصاد عنده وان يعضد شجره

وان يجلي جلاله ولانه اعظم حرمة وفي الحديث مكتوب في اسفل المقام اني انا الله ذو بكة حرمتها يوم خلقت
السموات والارض ويوم وضعت هذين الجبلين وحففتهما بسبعة املاك حنفاء من جاءني زائرا لهذا البيت عارفا
بحقه مذعنا لي بالربوبية حرمت جسده على النار المعنى لما ذكر سبحانه حرمة الحرم عقبه بذكر بيت الحرام اي جعل الله سبحانه الكعبة
او نصب الكعبة قياما للناس اي معاشا للناس ومكاسبهم لانه مصدر قاموا كان المعنى قاموا بنصب ذلك لهم فاستقامت
معايشهم بذلك واستقامت احوالهم بما يحصل لهم في زيارتها من التجارة وانواع البركة ولهذا قال سعيد بن جبير من
اتى هذا البيت يريد شيئا للدنيا والآخرة اصابه وهو المروي عن ابي عبد الله عليه السلم وقال ابن عباس معناه جعل الله
الكعبة امنا للناس بها يقومون اي يامنون ولولا لفنوا وهلكوا وما قاموا وكان اهل الجاهلية يامنون به فلو لقي
الرجل قاتل ابيه او ابنه في الحرم ما قتله وقيل المعنى قوله قيامت ما للناس انهم لو تركوه عاما واحدا لا يحجونه ما نظروا
ان يهلكوا عن عطا ورواه علي بن ابرهيم عنهم عليهم السلم قال ما دامت الكعبة يحج الناس اليها لم يهلكوا فاذا هدمت
وتركوا الحج هلكوا والشهر الحرام يعني الاشهر الحرم الاربعة واحد فرد وثلاثة سرد فالفرد رجب والسرد ذو القعدة وذو الحجة
والمحرم وانما خرج مخرج الواحد لانه ذهب به مذهب الجنس وهو عطف على المفعول الاول لجعل كما يقال ظننت
زيدا منطلقا وعمروا والهدي والقلائد قد ذكرهما في اول السورة وانما ذكر هذه الجملة بعد ذكر البيت لانها من
اسباب حج البيت فدخل في جملته وذكرت معه وكان اهل الجاهلية لا يغزون في الاشهر الحرم وكانوا ينصلون فيها
الاسنة ويدع الناس فيها اي معاشهم وكان الرجل يقلد بعيره او نفسه قلادة من لحا شجر الحرم فلا يخاف وكانوا
قد توارثوه من دين اسمعيل عليه السلم فبقوا عليه حتى من الله لخلقه الى ان قام الاسلام فحجزهم عن الظلم والبغي
قال ابو بكر بن الانباري فيتحصل في الآية طريقان احدهما ان الله امتن على المسلمين بان جعل الكعبة صلاحا
لدينهم ودنياهم وقياما لهم والثاني انه اخبر عما فعله من امر الكعبة في الجاهلية ذلك لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات
وما في الارض وان الله بكل شيء عليم قد اعترض على هذا فقيل اي تعلق لهذا بقوله جعل الله الكعبة البيت الحرام
قياما للناس والجواب عنه من وجوه احدها ان فيما جعله الله في البلد الحرام الشهر الحرام من الآيات والاعاجيب
دلالة على انه تعالى لا يخفى عليه شيء وذلك انه جعل الحرم امنا يسكن فيه كل شيء فالظبي يانس فيه بالسبع والذئب
ما دام في الحرم واذا خرج من الحرم خاف وطلبه السبع وهرب منه الظبي حتى يرجع الى الحرم فاذا رجع اليه كف
عنه السبع وكذلك الطير والحمام يانس بالانسان فاذا هرب من الحرم خافه مع امور كثيرة عجايب شهيرة ذكرنا
بعضها في آل عمران عند قوله فيه آيات بينات فكون ما دبره الله سبحانه من ذلك دالا على انه عالم بمصالح الخلق
الخلق وبكل شيء وثانيها انه سبحانه علم ان العرب يكونون اصحاب عداوات وطوايل وانهم يكونون حوالي الكعبة
فلما خلق السموات والارض جعل الكعبة موضع امن وعظم حرمتها في القلوب وبقيت تلك الحرمة الى يومنا هذا فلولا
كونه سبحانه عالما بالاشياء قبل كونها لما كان هذا التدبير وفقا للصلاح وثالثها انه تعالى لما اخبر في هذه السورة
بقصة عيسى وموسى والتورية والانجيل وما فيهما من الاحكام والاخبار وذلك كله مما لم يشاهده نبينا عليه السلم
ولا احد في عصره فقال فيما بعد ذلك لتعلموا ان الله يعلم ومعناه لولا انه سبحانه بكل شيء عليم لما جاز ان يخبركم عنهم
فقوله ذلك اشارة الى ما انبا به من علم الغيب والعلم بالكاينات قوله عز وجل اعلموا ان الله شديد العقاب
وان الله غفور رحيم ما على الرسول الا البلاغ والله يعلم ما تبدون وما تكتمون آية اللغة العلم ما اقتضى سكون
النفس وان شئت قلت هو اعتقاد الشيء على ما هو به مع سكون النفس الى ما اعتقده والاول اوجز ولا يجوز
ان يحد العلم بالمعرفة لان المعرفة هي العلم فكيف يحد الشيء بنفسه والعلم يتناول الشيء على ما هو به وكذلك الدراية
والفرق بينهما ان العلم يتعلق بالمعلوم على وجه والدراية لا تتعلق بالمدرك الا على وجه واحد والعلم معنى في القلب

والدراية ليست معنى على الحقيقة لكن للدراي صفة بكونه داريا والعقاب هو الضرر المستحق المقارن للاستخفاف
والاهانة ولو اقتصرت على ان تقول هو الضرر المستحق لكان كافيا ولكن لو قلت هو الضرر الذي تقارنه استخفاف
واهانة لكفى وانما سمي عقابا لانه يستحق عقيب الذنب الواقع من صاحبه والمغفرة هي ستر الخطيئة بدفع عقابها
وارسل الرسول من الارسال وهو الاطلاق يقال ارسل الطير اذا اطلقه وترسل في القراءة اذا اتسق فيها واسترسل
الشيء اذا سلس والرسل اللبن لاسترساله من الضرع والفرق بين الارسال في القراءة اذا اتسق فيها لا يكون الا
بتحمل الرسالة والبلاغ وصول المعنى الى غيره وهو ههنا وصول الانذار الى نفوس المكلفين واصل البلاغ البلوغ
ومنه البلاغة وهو ايصال المعنى الى النفس في حسن صورة من اللفظ والبلاغ الكفاية لانه يبلغ مقدار الحاجة
المعنى لما تقدم بيان الاحكام عقبه سبحانه بذكر الوعد والوعيد فقال اعلموا ان الله شديد العقاب لمن عصاه
فان الله غفور رحيم لمن تاب واناب جمع بين المغفرة والرحمة ليعلم انه لا يقتصر على وضع العقاب عنه بل
ينعم عليه بفضله ولما انذر وبشر في هذه الآية عقبها بقوله ما على الرسول الا البلاغ اي ليس على الرسول الا اداء الرسالة
وبيان الشريعة واما القبول والامتثال فانه متعلق بالمكلفين المبعوث اليهم والله يعلم ما تبدون وما تكتمون
اي لا يخفى عليه شيء من احوالكم التي تظهرونها والتي تخفونها وفيه غاية الزجر والتهديد وفي قوله سبحانه اعلموا ان الله
شديد العقاب الاية دلالة على وجوب معرفة العقاب والثواب لكونهما لطفا في باب التكليف قوله عز وجل
قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو اعجبك كثرة الخبيث فاتقوا الله يا اولي الالباب لعلكم تفلحون آية اللغة
الاستواء على اربعة اقسام استواء في المقدار واستواء في المكان واستواء في الذهاب في الانفاق والاستواء
المعنى الاعتدال راجع الى الاستواء في المكان لانه تمكن واقتدار والخبيث اصله الردي ماخوذ من خبث الحديد
وهو ردية بعد ما تخلص بالنار جيده ففي الخبيث امتزاج جيد بردي والاعجاب سرور بما يتعجب منه والعجب والاعجاب
والتعجب من اصل واحد والعجب مذموم لانه كبر يدخل على النفس بحال يتعجب منها وعجب الذنب اصله وعجوب الرمل
اواخره لانفراده بجملته كانفراده عما يتعجب منه المعنى لما بين سبحانه الحلال والحرام بين انهما لا يستويان فقال سبحانه
قل يا محمد اي لا يستوي الخبيث والطيب اي الحلال والحرام عن الحسن والجبائي وقيل الكافر والمؤمن عن السدي ولو
اعجبك ايها السامع وايها الانسان كثرة الخبيث اي كثرة ما تراه من الحرام لانه لا يكون في الكثير من الحرام بركة ويكون
في القليل من الحلال بركة وقيل ان الخطاب للنبي والمراد امته فاتقوا الله اي فاجتنبوا ما حرم الله تعالى عليكم يا اولي
الالباب يا ذوي العقول لعلكم تفلحون اي لتفلحوا وتفوزوا بالثواب العظيم والنعيم المقيم قوله عز وجل يا ايها
الذين امنوا لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم عفا الله عنها
والله غفور حليم آية اللغة ابدى الشيء اذا اظهره وبداه يبدوه بدوا وبدا الراي يبدو اي ظهر له والبادية خلاف
الحاضرة والبدو خلاف الحضر من الظهور ومنه قوله تعالى وبدا لهم سيئات ما عملوا وبدا لهم من الله ما لم يكونوا
يحتسبون ولم يجي في اقوال العرب البداء بمعنى الراي واذا كان لفظ البدا يطلق على الله سبحانه فالمراد به الارادة
والظهور دون ما نطق قوم من الجهال وعليه يشهد اقوال العرب واشعارهم فمن ذلك قولهم بدا لك من دون
ومن كذب عليّ اصم وادنى غرماء واشباه ذلك والله اعلم الاعراب اشياء في موضع جر الا انها فتحت لانها لا تنصرف قال
الكسائي اشبه آخرها آخر حمراء وكثر استعمالها فلم تصرف وقد اجمع البصريون على ان قوله هذا خطا وألزموه ان لا يصرف
ابنا واسماء وقال الخليل ان اشياء اسم للجمع كان اصله شيئاء فعلاء مثل الطرفاء والقصباء والحلفاء في انها على لفظ
الاحاد والمراد الجمع فاستثقلت الهمزتان بينهما الف وليس بحاجز قوي لانه ساكن ومن جنس الهمزة الا تراه يعود
اليها اذا تحركت فقدموا الهمزة التي هي لام الفعل الى اول الكلمة فقالوا اشياء ووزنها لفعاء كما قالوا في انوق اينق وفي

ادو وسوقى وهو مذهب سيبويه والمازنى وجميع البصريين قالوا والاصل على ان اشياء اسم مفرد كما روى من تكسيرها
على اشاوى كما كسر صحراء على صحارى حيث كانت مثلها فى الافراد وقال الاخفش ابو الحسن سعيد بن مسعدة والفراء
اصل اشيا اشيئا على فعلا فحذفت الهمزة التى هى لام كما حذفت من قولهم سواسية حيث قال سوايه ولزم حذفها
فى افعلاء لامرين احدهما تقارب الهمزة واذا كانوا قد حذفوا الهمزة مفردة فاذا تكررت لزم الحذف والاخر
ان الكلمة جمع وقد يستثقل فى الجمع ما لا يستثقل فى الآحاد فوزن اشياء على هذا القول افعاء وذكروا ان المازنى
ناظر الاخفش فى هذا الباب فساله كيف تصغر اشياء فقال اشيياء فقال له لو كانت افعلاء لردت فى التصغير الى واحد
فقيل شييات كما قالوا فى تصغير اصدقاء اصيدقات فانقطع الاخفش واجاب عنه ابو على الفارسى فقال ان افعلاء فى
هذا الموضع جاز تصغيرها وان لم يجز فى غير هذا الموضع لانها صارت بدلا من افعال بدلالة استجازتهم اضافة
العدد القليل اليها كما اضيف الى افعال ويدل على كونها بدلا من افعال تذكيرهم العدد المضاف اليها نحو ثلاثة
اشياء فجاز تصغيرها كما يجوز تصغير افعال وقوله ان تبد لكم تسؤكم جملة شرطية فى موضع جر لكونها صفة لاشياء النزول
اختلف فى نزولها فقيل سال الناس رسول الله حتى احفوه بالمسالة فقام مغضبا خطيبا فقال اسلونى فوالله
لا تسالونى عن شىء الا بينته لكم فقام رجل يقال له عبد الله بن حذافة وكان يطعن فى نسبه فقال يا نبى الله من ابى
فقال ابوك حذافة بن قيس فقام اليه رجل اخر فقال يا رسول الله اين ابى فقال فى النار فقام عمر بن الخطاب
وقبل رجل رسول الله فقال انا يا رسول الله حديثو عهد بالجاهلية وشرك فاعف عنا عفى الله عنك فسكن غضبه
فقال اما والله والذى نفسى بيده لقد صورت الجنة والنار آنفا فى عرض هذا الحائط فلم ار كاليوم فى الخير والشر
عن الزهرى وقتادة عن انس قيل كان قوم يسالون رسول الله استهزاء مرة وامتحانا مرة فيقول بعضهم من ابى
ويقول الآخر اين ابى ويقول الآخر اذا اضللت ناقته اين ناقتى فانزل الله عز وجل هذه الآية عن ابن عباس
وقيل خطب رسول الله صلى الله عليه وآله فقال ان الله كتب عليكم الحج فقام عكاشة بن محصن ويروى سراقة بن مالك
افى كل عام يا رسول الله فاعرض عنه حتى عاد مرتين او ثلاثا فقال رسول الله ويحك وما يؤمنك ان اقول نعم والله
لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت ما استطعتم ولو تركتم لكفرتم فاتركونى ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة
سؤالهم واختلافهم على انبيائهم فاذا امرتكم بشىء فاتوا منه ما استطعتم فاذا نهيتكم عن شىء فاجتنبوه عن على بن
ابى طالب وابى امامة الباهلى وقيل نزلت حين سالوا رسول الله عن البحيرة والسائبة والوصيلة والحامى
عن مجاهد المعنى يا ايها الذين آمنوا لا تسالوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم خاطب الله المؤمنين ونهاهم عن
المسالة عن اشياء لا يحتاجون اليها فى الدين اذ البعث واظهرت ساءت وحزنت وذلك نحو ما مضى ذكره من
الرجل الذى سال عن ابيه واشباه ذلك من امور الجاهلية وقيل ان تقديره لا تسالوا عن اشياء عفى الله عنها
ان تبد لكم تسؤكم فقدم واخر فعلى هذا يكون قوله عفى الله عنها صفة لاشياء اخر معناه كف الله عن ذكرها ولم يوجب
فيها حكما وكلام الزجاج يدل على هذا لانه قال اعلم الله عز وجل ان السؤال عن مثل هذا الجنس لا ينبغى ان يقع
لانه اذا ظهر فيه الجواب ساء ذلك وخاصة فى وقت سؤال النبى صلى الله عليه وآله على جهة تبيين الآيات فنهى الله
عز وجل عن ذلك واعلم انه قد عفى عنها ولا وجه لمسالة ما عفى الله عنه ولعل فيه فضيحة على السائل ان ظهر والى هذا
المعنى اشار عليه السلام فى قوله ان الله افترض عليكم فرائض فلا تضيعوها وحد لكم حدودا فلا تعتدوها ونهاكم عن
اشياء فلا تنتهكوها وسكت لكم عن اشياء ولم يدعها نسيانا فلا تتكلفوها وقال مجاهد كان ابن عباس اذا سئل
عن الشىء لم يجئ فيه اثر يقول هو من العفو ثم يقرا هذه الآية وان تسالوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم معناه وان
سالتم عنها حين نزول القرآن اظهر لكم جوابها اذا لم تقصدوا التعنت على محمد صلى الله عليه وآله فلا تتكلفوا السؤال عنها

فى الحال وقيل معناه وان تسالوا عن اشياء حين ينزل القرآن يحتاجون اليها فى الدين من بيان مجمل او نحو ذلك
تكشف لكم وهذه الاشياء غير الاشياء الاولى الا انه قال وان تسالوا عنها لانه قد كان قد سبق ذكر الاشياء وقيل ان
الهاء راجعة الى الاشياء الاولى معناه انكم ان سالتم عنها عند نزول القرآن فى الوقت الذى ياتيه الملك بالقرآن تظهر
لكم ما تسالون عنه فى ذلك الوقت فلا تسالوه ودعوه مستورا ثم قال عفى الله عنها اى عفى الله عن نبعة سؤالكم
ويكون تقديره عفى الله عن مسالتكم التى سلفت منكم مما كرهها النبى صلى الله عليه وآله لانه غفور حليم فلا تعودوا
الى مثلها وهذا قول ابن عباس فى رواية عطاء وليس على ما ذكرنا من ان قوله عفى الله عنها على التقديم فيكون تقدير
الآية لا تسالوا عن اشياء لم يذكرها الله وبيانها الا انكم لا تحتاجون اليها فى التكليف ان تظهر لكم تحزنكم وتغمكم وقال بعضهم
انها سالت فيما سالت الامم انبياءها من الآيات ويؤيده الآية التى بعدها النظم قيل فى اتصال هذه الآية بما قبلها
من وجوه احدها انه يتصل بقوله تفلحون لان من الفلاح ترك السؤال عما لا يحتاج اليه وثانيها انه يتصل بقوله
ما على الرسول الا البلاغ فانه يبلغ ما فيه المصلحة فلا تسالوه عما لا يعنيكم وثالثها انه يتصل بقوله والله يعلم ما تبدون
وما تكتمون اى لا تسالوه فيظهر سرائركم قوله عز وجل قد سالها قوم من قبلكم ثم اصبحوا بها كافرين ما جعل الله من بحيرة
ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب واكثرهم لا يعقلون اللغة البحر
الشق وبحرت اذن الناقة ابحرها اذا شققتها شقا واسعا والناقة بحيرة وهى فعيلة بمعنى المفعولة مثل النطيحة والذبيحة
واصل الباب السعة ومنه سمى البحر لسعته وفرس بحر واسع الجرى وفى الحديث انه قال عليه السلام لفرس ركبه وجدته
بحرا والسائبة فاعلة من ساب الماء اذا جرى على وجه الارض ويقال سيبت الدابة اى تركتها تسيب حيث شاءت
ويقال العبد يعتق ولا ولاء عليه لمعتقه سائبة لانه يضع ماله حيث شاء واصله المخلاة وهى المهملة اخذت
من قولهم ساب الحية وانسابت اذا مضت مستمرة والوصل نقيض الفصل ولعن رسول الله صلى الله عليه
وآله الواصلة والموصولة وهى التى تصل المراة شعرها بشعر اخر فالوصيلة بمعنى الموصولة كانها وصلت بغيرها ويجوز
ان يكون بمعنى الواصلة وهى التى تصل المراة شعرها بشعر اخرى لانها وصلت اخاها وهذا اظهر فى الآية وانشد
اهل اللغة فى البحيرة لا ياكل الناس لحمها ولا يحمى فى شىء كذلك البحائر وانشد وا فى السائبة ... ان اسرعا فى
عامرا وبجاشعا وانشد وا فى الوصيلة ... احتك اما كنت فى الناس ناعقا تراعى باعلا ذى المجاز الوصائلا
وانشد وا فى الحامى حماها ابو قابوس فى عز ملكه كما قد حمى اولاد اولاده الفحلا المعنى ثم اخبر سبحانه ان قوما سالوا مثل
سؤالهم فلما اجيبوا اليها سالوا كفروا فقال قد سالها قوم من قبلكم ثم اصبحوا بها كافرين وفيه اقوال احدها انهم قوم
صالح سالوا الناقة ثم عقروها وكفروا بها وثانيها انهم قريش حين سالوا النبى صلى الله عليه وآله ان يحول الصفا ذهبا
عن السدى ورابعها انهم كانوا سالوا النبى عن مثل هذه الاشياء يعنى من ابى ونحوه فلما اخبرهم بذلك قالوا ليس الامر كذلك
فكفروا به فيكون على هذا انها عن سؤال النبى صلى الله عليه وآله عن انساب الجاهلية لانهم لو سالوا عنها ربما ظهر الامر فيها
على خلاف حكمهم فيحملهم ذلك على تكذيبه عن ابى على الجبائى فان قيل ما الذى يجوز ان يسال عنه وما الذى لا يجوز فالجواب
ان الذى يجوز السؤال عنه هو ما يجوز العمل عليه فى امور الدينية او الدنيوية وما لا يجوز العمل عليه فى امور الدين والدنيا
لا يجوز السؤال عنه فعلى هذا لا يجوز ان يسال الانسان من ابى لان المصلحة قد مضت ان يحكم على كل من ولد على فراش
انسان بانه ولده وان لم يكن مخلوقا من مائه فالمسئلة خلاف ذلك سفه ثم ذكر سبحانه الجواب عما سالوه عنه وقيل
انه لما تقدم ذكر الحلال والحرام بين حال ما يعتقده اهل الجاهلية من ذلك فقال ما جعل الله من بحيرة يريد ما حرمها
على ما حرمها اهل الجاهلية من ذلك ولا امرها والبحيرة هى الناقة التى كانت اذا انتجت خمسة ابطن وكان اخرها ذكرا
بحروا اذنها وامتنعوا من ركوبها ونحرها ولا تطرد عن ماء ولا تمنع من مرعى واذا لقيها المعيى لم يركبها عن الزجاج وقيل انهم

كانوا اذا نتجت الناقة خمسة ابطن نظروا الى البطن الخامس فان كان ذكرا نحروه فاكله الرجال والنساء جميعا وان كانت انثى شقوا اذنها فتلك البحيرة ثم لا يجز لها وبر ولا يذكر اسم الله عليها ان ذكيت ولا حمل عليها وحرم على النساء ان ينتفعن بها ولا يذقن من لبنها شيئا ولا ان يمسسن بها وكان لبنها ومنافعها للرجال خاصة حتى تموت فاذا ماتت اشترك الرجال والنساء في اكلها عن ابن عباس وقيل ان البحيرة بنت السائبة عن محمد بن اسحق ولا سائبة وهي ما كانوا يسيبونه فان الرجل اذا نذر لقدوم من سفر او لبرء من علة وما اشبه ذلك فقال ناقتي سائبة فكانت كالبحيرة في ان لا ينتفع بها وان لا تخلى عن ماء ولا تمنع من مرعى عن الزجاج وهو قول علقمة وقيل هي التي تسيب للاصنام اي تعتق لها وكان الرجل يسيب من ماله ما يشاء فيجيء به الى السدنة وهم خدم آلهتهم فيطعمون من لبنها ابناء السبيل ونحو ذلك عن ابن عباس وابن مسعود وقيل ان السائبة هي الناقة التي اذا تابعت عشر اناث ليس فيهن ذكر سيبت فلم يركبوها ولم يجزوا وبرها ولم يشرب لبنها الا ضيف فما نتجت بعد ذلك من انثى شق اذنها ثم خلي سبيلها مع امها وهي البحيرة عن محمد بن اسحاق ولا وصيلة وهي من الغنم كانت الشاة اذا ولدت انثى فهي لهم واذا ولدت ذكرا جعلوه لآلهتهم فان ولدت ذكرا وانثى قالوا وصلت اخاها ولم يذبحوا الذكر لآلهتهم عن الزجاج وقيل كانت الشاة اذا ولدت سبعة ابطن فان كان السابع جديا ذبحوه لآلهتهم ولحمه للرجال دون النساء وان كان عناقا استحيوها وكانت من عرض الغنم فان ولدت في البطن السابع جديا وعناقا قالوا ان الاخت وصلت اخاها فحرمته علينا فحرما جميعا فكانت المنفعة واللبن للرجال دون النساء عن ابن مسعود ومقاتل وقيل الوصيلة الشاة اذا اتأمت عشر اناث في خمسة ابطن ليس فيهن ذكر جعلت وصيلة فقالوا قد وصلت فكان ما ولدت بعد ذلك للذكور دون الاناث عن محمد بن اسحق ولا حام وهو الذكر من الابل كانت العرب اذا انتجت من صلب الفحل عشرة ابطن قالوا قد حمى ظهره فلا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا من مرعى عن ابن عباس وابن مسعود وهو قول ابي عبيدة والزجاج وقيل انه الفحل اذا لقح ولد ولده قيل حمى ظهره فلا يركب عن الفراء اعلم الله سبحانه انه لم يحرم من هذه الاشياء شيئا قال المفسرون روى ابن عباس عن النبي ان عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف كان قد ملك مكة وكان اول من غير دين اسماعيل فاتخذ الاصنام ونصب الاوثان وبحر البحيرة وسيب السائبة ووصل الوصيلة وحمى الحامي قال رسول الله فلقد رايته في النار يؤذي اهل النار ريح قصبه ويروى يجر قصبه في النار ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب هذا اخبار منه سبحانه ان الكفار يكذبون بادعائهم ان هذه الاشياء من فعل الله او امره واكثرهم لا يعقلون خص الاكثر بانهم لا يعقلون لانهم اتباع فهم لا يعقلون ان ذلك كذب وافتراء كما يعقل الرؤساء عن قتادة والشعبي وقيل معناه ان اكثرهم لا يعقل ما حرم عليهم وما حلل لهم يعني ان المعاند هو الاقل منهم عن ابي علي الجبائي وفي هذه الآية دلالة على بطلان مذهب المجبرة لانه سبحانه نفى ان يكون جعل البحيرة وغيرها وعندهم انه سبحانه هو الجاعل لذلك والخالق له ثم بين ان هؤلاء قد كفروا بهذا القول وافتروا على الله الكذب بان اضافوا اليه ما ليس بفعل له وهذا واضح قوله عز وجل

واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا اولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون آية

المعنى ثم اخبر سبحانه عن الكفار الذين جعلوا البحيرة وغيرها ويفترون على الله الكذب من كفار قريش وغيرهم فقال واذا قيل لهم تعالوا اي هلموا الى ما انزل الله من القرآن واتباع ما فيه والاقرار بصحته والى الرسول وتصديقه والاقتداء به وبافعاله قالوا في الجواب عن ذلك حسبنا اي كفانا ما وجدنا عليه آباءنا يعني مذاهب آبائنا ثم اخبر سبحانه منكرا عليهم ولو كان آباؤهم مما كانوا عليه من عبادة الاوثان والشرك وان كان آباؤهم لا يعلمون شيئا من الدين ولا يهتدون اليه وقيل في معنى لا يهتدون قولان احدهما انه ذمهم بانهم ضلال والآخر انهم عمي عن الطريق فلا يهتدون طريق العلم وفي هذه الآية دلالة على فساد التقليد وانه لا يجوز العمل في شيء من امر الدين

الا بالحجة وفي هذه الآية ايضا دلالة على وجوب المعرفة وانها ليست بضرورية على ما قاله اصحاب المعارف لانه سبحانه بين الحجاج عليهم فيها ليعرفوا صحة ما دعاهم الرسول اليه ولو كانوا يعرفون الحق ضرورة لم يكونوا مقلدين لآبائهم ونفى سبحانه عنهم الاهتداء والعلم معا لان بينهما فرقا فان الاهتداء لا يكون الا عن حجة وبيان والعلم قد يكون ابتداء عن ضرورة قوله عز وجل

يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون آية

القراءة روي في الشواذ عن الحسن لا يضركم وعن ابراهيم يضركم النخعي وفي ذلك اربع لغات ضاره يضوره وضاره يضيره وضوره يضوره وضره يضره وهي غريبة اعني يفعل في المضاعف متعدية وانما جزم يضركم ويضركم لانه جواب الامر وهو قوله عليكم انفسكم ويجوز ان يكون لا بمعنى النهي فيكون يضركم مجزوما

الاعراب قال الزجاج عليكم انفسكم اجريت مجرى الفعل فاذا قلت عليك زيدا فتاويله الزم زيدا وعليكم انفسكم معناه الزموا امر انفسكم وقال غيره العرب تامر من الصفات بعليك وعندك ودونك فتعديها الى المفعول وتقيمها مقام الفعل فتنصب بها على الاغراء تقول عليك زيدا كأنه قال خذ زيدا فقد علاك اي اشرف عليك وعندك زيدا اي حضرك فخذه ودونك زيدا اي قرب منك فخذه وقد تضع العرب غير هذه من الاحرف مقام الفعل لكن لا تعديها الى مفعول وذلك نحو قولهم اليك بمعنى تأخر وراءك بمعناه قالوا ولا يجوز ذلك الا في المخاطب لو قلت عليه زيدا لم يجز وقوله لا يضركم الاجود ان يكون اعرابه رفعا ويكون على جهة الخبر ويجوز ان يكون موضعه جزما ويكون الاصل لا يضرركم الا ان الراء الاولى ادغمت في الثانية فضمت الثانية لالتقاء الساكنين ويجوز في العربية لا يضركم بفتح الراء ولا يضركم بكسرها فالضم لاتباع الضم والفتح للخفة والكسر لان اصل التقاء الساكنين الكسر وهذا النهي للفظ غائب يراد به المخاطبون اذا قلت لا يضرك في كفر الكافر فمعناه لا تعدن انت كفره ضررا كما انك اذا قلت لا ارينك ههنا فالنهي في اللفظ لنفسك ومعناه للمخاطب ومعناه لا تكونن ههنا

المعنى لما بين الله سبحانه حكم الكفار الذين قلدوا آباءهم واسلافهم وركنوا الى اديانهم عقبه بالامر بالطاعة وبيان المطيع لا يؤاخذ بذنوب العاصي فقال يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم من ملابسة المعاصي والاصرار على الذنوب عن الفراء وغيره وقيل معناه الزموا امر انفسكم فانما الزمكم الله امرها عن الزجاج وهو موافق لما روي عن ابن عباس ان معناه اطيعوا امري واحفظوا وصيتي لا يضركم من ضل اذا اهتديتم اي لا يضركم ضلال من ضل من آبائكم وغيرهم اذا كنتم مهتدين ويقال هل يدل هذه الآية على جواز ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وجوابه ان في هذا وجوها احدها ان الآية لا تدل على ذلك بل توجب ان المطيع لا يؤاخذ بذنوب العاصي وثانيها ان الاقتصار على الاهتداء باتباع امر الله انما يجوز في حال التقية او حال لا يجوز تأثير انكاره فيها ويتعلق بانكاره مفسدة وروي ان ابا ثعلبة سأل رسول الله صلى الله عليه وآله عن هذه الآية فقال ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى اذا رأيت دنيا مؤثرة وشحا مطاعا وهوى متبعا واعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخويصة نفسك وذر عوامهم وثالثها ان هذه الآية اوكد آية في وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لان الله سبحانه خاطب بها المؤمنين فقال عليكم انفسكم يعني عليكم اهل دينكم كما قال لا تقتلوا انفسكم لا يضركم من ضل عن الكفار وهذا قول ابن عباس في رواية عطاء قال يريد ان يعظ بعضكم بعضا وينهى بعضكم بعضا ويعلم بعضكم بعضا ما يقربه الى الله ويبعده عن الشيطان ولا يضركم من ضل من المشركين والمنافقين واهل الكتاب الى الله مرجعكم جميعا اي مصيركم ومصير من خالفكم فينبئكم بما كنتم تعملون اي يجازيكم باعمالكم وفي هذا غاية الزجر والتهديد وفي الآية دلالة على فساد قول من قال ان الله سبحانه يعذب الاطفال ويعذب الميت ببكاء الحي عليه قوله عز وجل

يا ايها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر احدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم او آخران من غيركم ان انتم ضربتم في الارض فاصابتكم مصيبة الموت تحبسونهما من بعد الصلوة فيقسمان بالله ان ارتبتم لا نشتري به ثمنا

ولو كان ذا قربى ولا نكتم شهادة الله انا اذا لمن الآثمين آية القراءة روى في الشواذ عن الحسن والشعبي والاعرج شهادة
بينكم وعن الاعرج ايضا شهادة بينكم وروى عن علي عليه السلام والشعبي بخلاف ونعيم بن ميسرة انهم قرأوا شهادة الله بنصب
شهادة والمد في آلله وهو قراءة يعقوب برواية روح وزيد وروى شهادة الله مقصورا عن الحسن ويحيى بن يعمر وسعيد
بن جبير والكلبي والشعبي الحجة اما قوله شهادة بالرفع بينكم بالنصب فعلى نحو القراءة المشهورة شهادة بينكم الا انه حذف
التنوين فانجر الاسم ويجوز ان يكون المضاف محذوفا وقام آخر الكلام اي شهادة بينكم شهادة اثنين اي ينبغي ان يكون
الشهادة المعتمدة هكذا واما شهادة بينكم بالنصب والتنوين فعلى اضمار فعل اي ليقم شهادة بينكم اثنان ذوا
عدل واما قوله ولا نكتم شهادة فظاهر من قراءة الجماعة شهادة الله بالاضافة واما المد في الله فعلى ان همزة
الاستفهام صارت عوضا من حرف القسم وقرء همزة الله عن الحذف النحو كان يجب منهما من حيث كانت
موصولة فصلت بين الهمزتين بالف كما في قوله آلذكرين حرم ام الانثيين واما الله مقصورة بالجر فعلى ما حكاه
سيبويه ان منهم من يحذف حرف القسم ولا يعوض منه همزة الاستفهام فيقول الله لقد كان كذا وذلك لكثرة
الاستعمال ولما تقدير الكلام فعلى انه يقول اقسم بالله اي اتقدم على هذه اليمين وهذا انما يكون على وجه الاعظام
لليمين والتهيب لها الاعراب قال الزجاج شهادة بينكم يرتفع من وجهين احدهما ان يرتفع بالابتداء ويكون خبرها
اثنان والمعنى شهادة هذه الحال شهادة اثنين فيحذف شهادة ويقام اثنان مقامهما والآخر يكون التقدير وفيما
فرض عليكم في شهادتكم ان يشهد اثنان فيرتفع اثنان بشهادة وهو قول الفراء واختار ابو علي الفارسي القول الاول
قال واتسع في بين فاضيف اليه المصدر وهذا يدل على قول من قال ان الظرف يستعمل اسما في غير الشعر الا انه
قد جاء ذلك في التنزيل وهو لقد تقطع بينكم بالرفع كما جاء في الشعر نحو قوله فصادف بين عينيه الجبوبا واما قوله
اذا حضر احدكم الموت فيجوز ان يتعلق بالشهادة فيكون معمولها ولا يجوز ان يتعلق بالوصية لامرين احدهما ان
المضاف اليه لا يعمل فيما قبل المضاف لانه لو عمل فيه للزم ان يقدر وقوعه في موضعه واذا قدر ذلك لزم
تقديم المضاف اليه على المضاف ومن ثم لم يجز القتال زيدا حين تأتي والآخر ان الوصية مصدر فلا يتعلق
به ما تقدم عليه واما قوله حين الوصية فلا يجوز حمله على الشهادة لانه اذا عمل في ظرف من الزمان لم يعمل
في ظرف آخر منه ولكن يحمله على احد ثلاثة اوجه احدها اما ان يتعلق بالموت كانه يموت في ذلك الحين وهذا
انما يكون على ما قرب منه كقوله اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن وهذا القول يكون قبل الموت واما ان
يتعلق بحضر اي اذا حضر في هذا الحين واما ان يكون محمولا على البدل من اذا لان ذلك الزمان في المعنى هو
هذا الزمان فيبدله منه كما يبدل الشيء من الشيء اذا كان اياه وقوله منكم صفة لقوله اثنان كما ان ذوا عدل صفة
لهما وفي الظرف ضمير هما وقوله او آخران من غيركم تقديره او شهادة آخرين من غيركم صفة لآخرين كما كان منكم
صفة للاثنين ان انتم ضربتم في الارض فاصابتكم مصيبة الموت اعتراض من الصفة والموصوف وعلم بذلك ان شهادة
الآخرين اللذين هما من غير اهل ملتنا انما يجوز في السفر فاستغني عن جواب ان بما تقدم من قوله او آخران من غيركم
لانه وان كان على لفظ الخبر فالمعنى على الامر كان المعنى ينبغي ان يشهد واذا ضربتم في الارض آخران من غير اهل
ملتكم ويجوز ايضا ان يستغني عن جواب اذا في قوله اذا حضر احدكم الموت عما تقدمها من قوله شهادة بينكم فان
جعلت اذا بمنزلة حين فلم يجعل له جوابا كان بمنزلة الحين وينتصب الموضع بالمصدر الذي هو شهادة بينكم
كما تقدم وان قدرت له جوابا كان قوله شهادة بينكم يدل عليه ويكون موضع اذا في قوله اذا حضر احدكم الموت
نصبا بالجواب المقدر المستغنى عنه بقوله شهادة بينكم لان المعنى ينبغي ان يشهدوا وقوله تحبسونهما من بعد الصلوة
صفة ثانية لقوله او آخران وقوله من بعد الصلوة يتعلق بتحبسون فيقسمان بالله الفاء للعطف جملة على جملة وان

جعلت الفاء للجزاء كما في قول ذي الرمة وانسان عيني يحسر الماء مرة فيبدو وتارات يجم فيغرق تقديره عندهم اذا حسر بدا
اذا حبستموهما اقسما وقوله لا نشتري به ثمنا جواب ما تقتضيه قوله فيقسمان بالله لان اقسم ونحوه يتلقى بما يتلقى به الايمان
والتقدير لا نشتري بتحريف شهادتنا ثمنا اي ذا ثمن فحذف المضاف في الموضعين وانما ذكر الشهادة لان الشهادة قول
كما قال واذا حضر القسمة ثم قال فارزقوهم منه لما كانت القسمة يراد به المقسوم الا ترى ان القسمة التي هي افراز الانصباء
منه وانما يرزق من التركة المقسومة ولو كان ذا قربى التقدير ولو كان المشهود له ذا قربى واضاف الشهادة الى الله
لامره باقامتها ونهيه عن كتمانها في قوله واقيموا الشهادة لله وقوله ومن يكتمها فانه آثم قلبه هذا كله ماخوذ من كلام
ابي علي الفارسي وناهيك به فارسا في هذا الميدان ، بالخبر عن مكنون هذا العلم بواضح البيان النزول سبب نزول
الآيات ان ثلاثة نفر خرجوا تجارا من المدينة الى الشام وهم تميم بن اوس الداري واخوه عدي وهما نصرانيان وابن ابي مارية
مولى عمرو بن العاص السهمي وكان مسلما حتى اذا كانوا ببعض الطريق مرض ابن مارية فكتب وصية بيده ودسها في
متاعه واوصى اليهما ودفع المال اليهما وقال ابلغا هذا اهلي فلما مات فتحا المتاع واخذا ما اعجبهما منه ثم رجعا بالمال
الى الورثة فلما فتش القوم المال فقدوا بعض ما كان خرج به صاحبهم ونظروا الى الوصية فوجدوا بها المال تاما
فكلموا صاحبيه فقالا لا علم لنا به وما دفعه الينا ابلغناه كما هو فرفعوا امرهم الى النبي صلى الله عليه وآله فنزلت الآية عن
الواقدي عن اسامة بن زيد عن ابيه وعن جماعة المفسرين وهو المروي عن ابي جعفر عليه السلام المعنى لما تقدم سبحانه
الامر بالرجوع الى ما قاله عقبه بذكر هذا الحكم المنزل فقال يا ايها الذين آمنوا اي يا ايها المؤمنون شهادة بينكم
قيل معنى الشهادة هنا اقوال احدها انها الشهادة التي يقام بها الحقوق عند الحكام وقد تقدم ذكرها قبل
في نفسير الآية على هذا المعنى وهو قول ابن عباس وثانيها بمعنى الحضور كما يقال شهدت وصية فلان ومنه قوله
وليشهد عذابهما طائفة ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت فيكون تقديره ليشهد كم في سفركم اذا حضركم
الموت واردتم الوصية اثنان ذوا عدل منكم اي وصيان من اهل العدالة جعلهما اثنين تاكيدا للاولى في الوصية
عن ابن الانباري وهو قول سعيد بن جبير وابن زيد والثالث انها شهادة ايمان بالله اذا ارتاب الورثة بالوصيين
هو قول القائل في اللعان اشهد بالله اني لمن الصادقين والاول اقوى والقوية وقال صاحب كتاب نظم القرآن
شهادة مصدر بمعنى المشهود كما يقال رجل عدل ورضى ورجلان عدل ورضى ثم قد حذف المضاف فيكون
المعنى عدد شهود بينكم اثنان كقوله الحج اشهر معلومات اي وقت الحج اشهر وقال ابن جني ويجوز ان يكون
التقدير مقيم شهادة بينكم اثنان فيكون على هذين القولين حذف المضاف من المبتدأ وعلى قول الزجاج
والجبائي من الخبر اذا حضر احدكم الموت حين الوصية اي حضر اسباب الموت من مرض وغيره قال الزجاج معناه
ان الشهادة في وقت الوصية هي للموت ليس ان الموت حاضر وهو يقول انما يقول الموصي صحيحا كان او غير صحيح
اذا حضرني الموت اذا مت فافعلوا واصنعوا ذوا عدل منكم اي من اهل دينكم وملتكم او آخران من غيركم اي من غير
اهل ملتكم عن ابن عباس وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير وشريح ومجاهد وابن سيرين وابن زيد وابرهيم وهو المروي
عن الباقر والصادق عليهما السلم فيكون معنى او هنا للتفصيل لا للتخيير لان المعنى او آخران من غيركم ان لم تجدوا شاهدين
منكم وقيل معناه ذوا عدل من عشيرتكم او آخران من غير عشيرتكم عن الحسن والزهري وعكرمة والاصم قالوا لان عشيرة الموصي
اعلم باحواله من غيرهم واحرى ان لا ينسوا ما يشهدوا عليه وقالوا لا يجوز شهادة كافر في سفر ولا حضر واختاره الزجاج وذهب
جماعة الى ان الآية كانت في شهادة اهل الذمة ثم نسخت وقد بين ابو عبيد هذه الاقاويل ثم قال حد العلماء يتاولونها في اهل
الذمة ويرونها محكمة ويقوي هذا القول تتابع الآثار في سورة المائدة بقلة المنسوخ وانها من محكم القرآن وآخره نزولا

ان انتم ضربتم فی الارض

ان انتم ضربتم فی الارض فاصابتکم مصیبة الموت ومعناه فاصابکم الموت فعلم الله سبحانه ان من الناس من یسافر
فیصحبه فی سفره اهل الکتاب دون المسلمین وینزل القریة التی لا یسکنها غیرهم ویحضره الموت فلا یجد من یشهده من المسلمین
فقال او آخران من غیر اهل دینکم ان انتم سافرتم فاصابتکم مصیبة الموت فالعدلان من المسلمین فی الحضر والسفر ان
امکن اشهادهما فی السفر والذمیان فی السفر خاصة اذا لم یوجد غیرهما ثم قال تحبسونهما من بعد الصلوة فیقسمان بالله ان
المعنی تحبسونهما من بعد صلوة العصر لان الناس کانوا یحلفون بالحجاز بعد صلوة العصر لاجتماع الناس وتکاثرهم فی ذلک
الوقت وهو المروی عن ابی جعفر علیه السلم وقتاده وسعید بن جبیر وغیرهم وقیل هی صلوة الظهر او العصر عن الحسن وقیل
بعد صلوة اهل دینهما یعنی الذمیین عن ابن عباس والسدی ومعنی تحبسونهما تقفونهما وتصبرونهما کما تقول مر بی فلان
علی فرس فحبس علیّ دابته ای وقف وقیل معناه تصبرونهما علی الیمین وهو ان یحمل علی الیمین وهو غیر متبرع بها ان ارتبتم
فی شهادتهما وشککتم وخشیتم ان یکونا قد غیّرا او بدّلا او کتما وخانا والخطاب فی تحبسونهما للورثة ویجوز ان یکون خطابا للقضاة
ویکون بمعنی الامر ای احبسوهما ذکره ابن الانباری وکان یقف علی قوله مصیبة الموت ویبتدئ بقوله تحبسونهما ویحتمل
ان الاوصیاء اذا ارتاب بهما الورثة وادعوا انهما استبدّا بشیء من الترکة فیصیر المدعی علیهما فیحلفان بالله لا نشتری
به ثمنا ای لا نشتری بشهادتنا ثمنا والتقدیر لا نشتری بعهد الله ثمنا ای ثمنا لا یشتری وانما یشتری المبیع دون
الثمن وقال الجبائی یعود الی القسم بالله وقیل معناه لا نبیعه بعرض من الدنیا لان من باع شیئا فقد اشتری ثمنه
ولو کان ذا قربی ای لا نحابی فی شهادتنا احدا ولو کان المشهود له ذا قرابة وخص ذا القربی بالذکر لمیل الناس الی قراباتهم ومن
یناسبونهما ولا نکتم شهادة الله ای شهادة لزمنا اداؤها بامر الله تعالی انا اذا لمن الآثمین ای انا اذا فعلنا ذلک
کنا من الآثمین قوله عز وجل فان عثر علی انهما استحقا اثما فآخران یقومان مقامهما من الذین استحق علیهم الاولیان
فیقسمان بالله لشهادتنا احق من شهادتهما وما اعتدینا انا اذا لمن الظالمین ذلک ادنی ان یأتوا بالشهادة علی
وجهها او یخافوا ان ترد ایمان بعد ایمانهم واتقوا الله واسمعوا والله لا یهدی القوم الفاسقین آیتان القراءة قرأ
ابو بکر عن عاصم وحمزة وخلف ویعقوب استحق بضم التاء الاولین جمع وقرأ حفص عن عاصم استحق بفتح التاء والحاء
الاولیان بالالف تثنیة الاولی وقرأ الباقون استحق بضم التاء الاولیان بالالف الحجة قال الزجاج هذا الموضع من اصعب
ما فی القرآن من الاعراب والاولیان فی قول اکثر البصریین یرتفعان علی البدل مما فی یقومان المعنی فلیقم الاولیان
بالمیت مقام هذین الخائنین فیقسمان بالله لشهادتنا احق من شهادتهما فاذا ارتفع الاولیان علی البدل فالذی فی
استحق من الضمیر یعنی الوصیة المعنی فلیقم الاولیان من الذین استحقت الوصیة او الایصاء علیهم وجائز ان یرتفعا
باستحق ویکون معناهما الاولیان بالیمین ای بان یحلفا من یشهد بعدهما فان جاز شهادة النصرانیین کان الاولیان
علی هذا القول النصرانیین والآخران من غیر اهل بیت المیت وقال ابو علی لا یخلو ارتفاعهما من ان یکون علی الابتداء
وقد اخر کانه فی التقدیر فالاولیان فی امر المیت آخران یقومان اهله او من غیر اهله یقومان مقام الخائنین اللذین
عثر علیهما کقولهم تمیمی انا او یکون بدلا من الضمیر الذی فی یقومان او یکون مسندا الیه استحق وقد اجاز ابو الحسن فیه
شیئا آخر وهو ان یکون الاولیان صفة لقوله فآخران من غیرکم لانه لما وصف آخران اختص فوصف لاجل الاختصاص الذی
صار له بما یوصف به المعارف ومعنی الاولیان الاولیان بالشهادة علی وصیة المیت وانما کانا اولی به ممن اتهم بالخیانة
لانهما اعرف باحوال المیت وامواله لانهما من المسلمین الا تری ان وصفه بانه استحق علیهم یدل علی انهم مسلمون لان الخطاب
من اول الآیة مصروف الیهم فاما اسند الیه استحق فلا یخلو من ان یکون الایصاء او الوصیة او الاثم او الجار والمجرور
وانما جاز استحق الاثم لان آخذه باخذه اثم فسمی اثما کما سمی ما یؤخذ منک بغیر حق مظلمة قال سیبویه المظلمة اسم ما اخذ منک فلذلک

سمی هذا المأخوذ باسم المصدر واما قوله علیهم فیحتمل ثلاثة اضرب احدها ان یکون علی فیه بمنزلة فی کانه استحق
فیهم ومثل ذلک قوله علی ملک سلیمان ای فی ملک سلیمان والآخر ان یکون علی بمنزلة من کقوله اذا اکتالوا علی الناس یستوفون ای
علی زید مال بالشهادة ای لزمه ووجب علیه الخروج منه لان الشاهدین لما عثر علی خیانتهما استحق علیهما ما ولیاه من
امر الشهادة والقیام بها ووجب علیهما الخروج منها وترک الولایة بها فصار اخراجهما منها مستحقا علیهما کما یستحق
علی المحکوم علیه الخروج مما وجب علیه هذا کلام ابی علی واقول ان الظاهر ان الذین استحق علیهم فی الآیة ورثة المیت
والمفهوم من کلام ابی علی هذا ان الشاهدین اللذین هما من غیرنا هما المعنیان بذلک علی ما قرره والذی یصح فی نفسی
ان المعنیین الذین استحقت علیهم الوصیة او استحق علیهم الایصاء وهم عشیرة المیت والآخر ان یکون علی فیه بمنزلة
من کانه من الذین استحق منهم الاثم ومثله قوله اذا اکتالوا علی الناس ای من الناس والثالث ان یکون علی
بمنزلة فی کانه استحق فیهم وقام علی مقام فی کما قام فی مقام علی فی قوله ولاصلبنکم فی جذوع النخل والمعنی من
الذین استحق علیهم بشهادة الآخرین اللذین هما من غیرنا واقول ان هذا المعنی ایضا انما یلائم الضرب الاول ولکن
یلائم هذا الضرب ان یقال المعنی من الذین استحق فیهم الاثم ای بسببهم استحق الآخران من غیرنا اللذان حابا فی
الوصیة فیهم الاثم لخیانتهما ویمینهما الکاذبة ثم قال ابو علی فان قلت هل یجوز ان یسند استحق الی الاولیان فالقول
فی ذلک انه لا یجوز لان المستحق انما یکون الوصیة او شیئا منها ولا یجوز ان یستحق فیسند استحق الیهما فاما من قرأ من
الذین استحق علیهم الاولین علی الجمع فهو نعت لجمیع الورثة المذکورین فی قوله من الذین استحق علیهم الایصاء او الاثم
وانما قیل لهم الاولین من حیث کانوا اولین فی الذکر الا تری انه قد تقدم یا ایها الذین آمنوا شهادة بینکم وکذلک اثنان
ذوا عدل منکم ذکروا فی اللفظ قبل قوله او آخران من غیرکم واحتج من قرأ الاولین علی ان من قرأ الاولیان بان قال ارأیت
ان کان الاولیان صغیرین او اراد انهما اذا کانا صغیرین لم یقوما مقام الکبیر فی الشهادة ولم یکونا لصغرهما اولی بالمیت
وان کانا کبیرین کانا اولی به فیقسمان بالله ای یقسم الآخران اللذان یقومان مقام الشاهدین اللذین هما آخران من
غیرنا وقوله لشهادتنا احق من شهادتهما متلقی به فیقسمان بالله ومن قرأ استحق علیهما الاولیان فاستحق هنا بمعنی حق
ای وجب فالمعنی فآخران من الذین وجب علیهم الایصاء وتوصیته بینهم وهم ورثته وقال ابو علی تقدیره من الذین
استحق علیهم الاولیان بالمیت وصیته التی بها الی غیر اهل دینه والمفعول محذوف وحذف المفعول فی مثل هذا
کثیر وقال الامام محمود الزمخشری معناه من الورثة الذین استحق علیهم الاولیان من بینهم بالشهادة ان یجردوهما
للقیام بالشهادة ویظهروا بها کذب الکاذبین وهذا احسن الاقوال اللغة عثر الرجل علی الشیء یعثر عثورا اذا اطلع
علی امر لم یطلع علیه غیره واعثرت فلانا علی امری اطلعته علیه ومنه قوله وکذلک اعثرنا علیهم واصله بالوقوع
بالشیء من قولهم عثر الرجل عثارا اذا وقعت اصبعه بشیء صدمته وعثر الفرس عثارا قال الاعشی بذات لوث عفرناة
اذا عثرت فالتعس اولی بها من ان یقال لعا والعثیر الغبار لانه یقع علی الوجه والعاثور حفرة تحفر لیعثر به الاسد فیصطاد
والاستحقاق والاستیجاب قریبان واستحق علیه کانه ملک علیه حق وحققت علیه القضیة حقا واحققته اذا اوجبته
ویکون حق بمعنی استحق النزول قالوا لما نزلت الآیة الاولی صلی رسول الله صلی الله علیه وآله العصر ودعا بهم وعدی فاستحلفهما
عند المنبر والله ما قبضنا له غیر هذا ولا کتمناه وخلی رسول الله صلی الله علیه سبیلهما ثم اطلعوا علی اناء من فضة منقوش
مذهب معهما فقالوا هذا من متاعه فقالا اشتریناه منه ونسینا ان نخبرکم به فرفعوا امرهما الی رسول الله صلی الله علیه
واله فنزل قوله فان عثر علی انهما استحقا اثما الی آخره فقام رجلان من اولیاء المیت احدهما عمرو بن العاص والآخر المطلب
بن ابی وداعة السهمی فحلفا بالله انهما خانا وکذبا فدفع الاناء الیهما والی اولیاء المیت فکان تمیم الداری بعد ما اسلم
یقول صدق الله ورسوله انا اخذت الاناء فاتوب الی الله واستغفره المعنی ثم بین سبحانه الحکم بعد ظهور الخیانة من الوصیین
او الشاهدین فقال فان عثر ای اطلع وظهر علی انهما یعنی الشاهدین عن ابن عباس والوصیین عن سعید بن جبیر استحقا

اثنان آخران فقام رجلان من اولياء الميت احدهما عمرو بن العاص والآخر المطلب بن ابي وداعة السهمي فحلفا بالله انهما خاننا
وكذبا فدفع الاناء اليهما والى اولياء الميت فكان تميم الداري بعدما اسلم يقول صدق الله ورسوله انهما خاننا وكذبا فدفع
الاناء اليهما والى اولياء الميت فكان تميم الداري بعدما اسلم يقول صدق الله ورسوله انا اخذت الاناء فاتوب الى
الله واستغفره **المعنى** ثم بين سبحانه الحكم بعد ظهور الخيانة من الوصيين عن سعيد بن جبير فان عثر اي استوجبا اثما اي ذنبا
بايمانهما الكاذبة وخيانتهما وقصدهما في شهادتهما الى غير الاستقامة وقيل معناه استحقا عقوبة اثم من قوله تعالى
اني اريد ان تبوء باثمي واثمك اي بعقوبة اثم قتلي وعقوبة معاصيك المتقدمة عن الجبائي فآخران يقومان مقامهما
اي مقام الشاهدين اللذين هما من غيرنا وقيل مقام الوصيين من الذين استحق عليهم الاوليان والمعنى ليقم الاوليان
بامر الميت آخران ومن اهله يقومان مقام الخائنين الذين عثر على خيانتهما وقد بينا ما قيل في القراءتين الاخيرتين فيما قبل
ويجوز ان يكون الاوليان بدلا من قوله آخران فيجوز ابدال المعرفة من النكرة ومعنى الاوليين هما الاقربان الى الميت
ويجوز ان يكون معناهما الاوليان باليمين وانما كانا اوليين باليمين لان الوصيين ادعيا ان الميت باع الاناء
فانتقل اليمين الى الوليين لانهما صارا مدعى عليهما ان مورثهما باع الاناء وهذا كما لو اقر انسان لآخر بدين وادعى قضاءه
حكم برد اليمين الى الذي ادعى الدين لانه صار مدعى عليه انه استوفى وقيل معناه الاوليان بالشهادة من المسلمين عن
ابن عباس وشريح فيقسمان بالله لشهادتنا احق من شهادتهما قيل انه على الظاهر اي شهادتنا وقولنا في وصية صاحبنا
احق بالقبول والصدق من شهادتهما قيل انه على وقولهما وقيل يريد فيقولان والله لما حرزناه عنهما عن
ابن عباس وسميت اليمين هنا الشهادة لان اليمين كالشهادة على ما يحلف عليه انه كذلك وما اعتدينا اي ما جاوزنا
الحق فيما طلبناه من حقنا عن ابن عباس وقيل فيما قلناه من ان شهادتنا احق من شهادتهما انا اذا لمن الظالمين تقديره
انا ان اعتدينا لمن جملة الظالمين لنفوسنا وهذه الآية مع الآية التي قبلها من اعوص باب القرآن اعرابا ومعنى وحكما
ولست نحصلها في شيء من مظانها او فوائده واعز عائدة واجمع علما معنى ما الخشية لك وسعة الملك وبابه
التوفيق ثم بين سبحانه وجه الحكمة في استحلاف الشهود فقال ذلك ادنى اي ذلك الاحلاف والاقسام وذلك الحكم
اقرب الى ان ياتوا بالشهادة على وجهها اي حقها وصدقها لا يكتمون شيئا ولا يزيدون شيئا لان اليمين تردع عن امور
كثيرة لا يرتدع عنها مع عدم اليمين او يخافوا اي اقرب الى ان يخافوا ان ترد ايمان الى اولياء الميت بعد ايمانهم فيحلفوا
على خيانتهم وكذبهم فيفتضحوا ويغرموا فربما لا يحلفون كاذبين ويحفظون في الشهادة مخافة رد اليمين والشهادة الى
المستحق عليهم واتقوا الله ان تحلفوا ايمانا كاذبة او تخونوا امانة واسمعوا الموعظة والله لا يهدي القوم الفاسقين الى
ثوابه وجنته قوله عز وجل **يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا انك انت علام الغيوب** آية
الاعراب يوم منتصب على تقدير واتقوا يوم يجمع ويتصل بقوله واتقوا الله واسمعوا عن الزجاج وقيل انه يتعلق بقوله
لا يهدي القوم الفاسقين يوم يجمع الله الرسل عن المغربي وقيل انه يتعلق بمحذوف على تقدير واحذروا او اذكروا
ذلك اليوم **المعنى** يوم يجمع الله الرسل هو كقوله واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله وانما انتصب يوما على انه مفعول به ولم ينتصب
على الظرف لانهم لم يؤمروا بالتقوى في ذلك اليوم والمعنى اتقوا عقاب يوم يجمع الله فيه الرسل لان اليوم لا يتقى ولا يحذر فحذف
المضاف واقام المضاف اليه مقامه فيقول لهم ماذا اجبتم اي ما الذي اجابكم قومكم فيما دعوتموهم اليه وهذا تقرير في
صورة الاستفهام على وجه التوبيخ للمنافقين عند اظهار فضيحتهم على رؤس الاشهاد قالوا لا علم لنا قيل فيه اقوال احدها
ان للقيامة اهوالا حتى تزول القلوب من مواضعها فاذا رجعت القلوب الى مواضعها شهدوا لمن صدقهم وعلى من كذبهم يريد
انه عزبت عنهم افهامهم من هول يوم القيمة فقالوا لا علم لنا عن عطا عن ابن عباس والحسن ومجاهد والكلبي والسدي
وهو اختيار الفراء وثانيها ان المراد لا علم لنا كعلمك لانك تعلم باطنهم ولسنا نعلم غيبهم وباطنهم وهذا هو الذي نبه عليه الجبائي

عن الحسن في رواية اخرى واختاره الجبائي وانكر القول الاول وقال كيف يجوز ذهولهم من هول يوم القيمة مع قوله سبحانه لا يحزنهم
الفزع الاكبر وقوله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ويمكن ان يجاب عن ذلك بان الفزع الاكبر دخول النار وقوله لا خوف
عليهم انما هو كالبشارة عن النجاة من اهوال ذلك اليوم مثل ما يقال للمريض لا باس ولا خوف عليك وثالثها ان معناه
لا حقيقة لعلمنا اذ كنا نعلم جوابهم وما كان من افعالهم وقت حياتنا ولا نعلم ما كان منهم بعد وفاتنا وانما الثواب والجزاء
يستحقان بما تقع به الخاتمة مما يموتون عليه عن ابن الانباري ورابعها ان المراد لا علم لنا الا ما علمتنا فحذف لدلالة الكلام
عليه عن ابن عباس في رواية اخرى وخامسها ان المراد تحقيق فضيحتهم اي انت اعلم بحالهم منا ولا تحتاج في ذلك الى
شهادتنا انك انت علام الغيوب انما قال علام للمبالغة لا للتكثير وقيل اراد به تكثير المعلوم والمراد انك تعلم ما غاب
وما بطن ونحن ما نعلم الا ما نشاهد وفي هذه الآية دلالة على اثبات المعاد والحشر والنشور وذكر الحاكم ابو سعيد في
تفسيره انها تدل على بطلان قول الامامية ان الائمة يعلمون الغيب واقول ان هذا القول ظلم منه لهؤلاء القوم فانا
لا نعلم احدا منهم بل احدا من اهل الاسلام يصف احدا من الناس بعلم الغيب ومن وصف مخلوقا بذلك فقد فارق
الدين والشيعة الامامية برآء من هذا القول فمن نسبهم الى ذلك فالله بينهم وبينه قوله عز وجل **واذ قال الله يا عيسى
بن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك اذ ايدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلا واذ علمتك الكتاب
والحكمة والتورية والانجيل واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني فتنفخ فيها فتكون طيرا باذني وتبرئ الاكمه والابرص
باذني واذ تخرج الموتى باذني واذ كففت عنك بني اسرائيل اذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم ان هذا
الا سحر مبين** آية **القراءة** قرا اهل الكوفة غير عاصم ساحر مبين بالالف وكذلك في سورة يونس عليه السلم وهود
والصف وقرا ابن كثير وعاصم في سورة يونس لساحر مبين بالالف فقط وقرا اهل المدينة والبصرة والشام
سحر مبين بغير الف في جميع ذلك **الحجة** من قرا الا سحر جعله اشارة الى ما جاء به كانه قال ما هذا الذي جئت به الا سحر
ومن قرا الا ساحر اشار الى الشخص لا الى الحدث الذي اتى به وكلاهما حسن لاستواء كل واحد منهما في ان ذكره قد تقدم
غير ان الاختيار سحر لوقوعه على الحدث والشخص اما وقوعه على الحدث فظاهر واما وقوعه على الشخص فهو ان يراد به ذو
سحر كما جاء ولكن البر من آمن اي ذا البر وقالوا انما انت سير وانما هي اقبال وادبار وقد جاء اسم فاعل
يراد به الكثرة في حروف ليست بالكثيرة نحو عائذا بالله من شرها اي عياذا ونحو العافية ولم نر هذه الحروف من
الكثرة بحيث يقاس عليها **الاعراب** العامل في اذ يحتمل امرين احدهما الابتداء عطفا على قوله يوم يجمع الله الرسل ثم
قال وذلك اذ قال فيكون موضعه رفعا كما يقول القائل كانك بنا قد وردنا بلد كذا فصنعنا فيه وفعلنا اذ
صاح بنا صائح فاجبناه وتركنا والثاني اذكر اذ قال الله فيكون موضعه نصبا يا عيسى مضموم في التقدير لانه
منادى مفرد فيكون نداء وتقديره يا عيسى يا ابن مريم ويكون وصفت المضموم بمضاف فنصبت المضاف
كقول الشاعر يا زبرقان اخا بني خلف ويجوز ان يكون عيسى مع الابن على الفتح في التقدير لوقوع الابن بين علمين
وهذا كما انشد النحويون من قول الشاعر يا حكم بن المنذر بن الجارود والجواد بن الجواد دوي في حكم الضم
والفتح تكلم الناس في موضع النصب على الحال وكهلا عطف على موضع في المهد وهو جملة ظرفية في موضع نصب على الحال
من تكلم فالمعنى ومكلما الناس صغيرا وكبيرا **المعنى** لما عرف الله سبحانه يوم القيمة بما وصفه من جميع الرسل عطف
عليه بذكر المسيح فقال اذ قال الله معناه واذ يقول الله في الآخرة وذكر لفظ الماضي تقريبا للقيمة لان ما هو آت فكان قد
يا عيسى بن مريم وهذه اشارة الى ابطال قول النصارى لان من لزم ان لا يكون الها اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك
اي اذكر ما انعمت به عليك وعلى امك واشكرها والنعمة في اللفظ واحد ويريد به الجمع كما قال وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها
وانما جاز ذلك لانه مضاف يصلح للجنس ثم فسر نعمته بان قال اذ ايدتك بروح القدس وهو جبرئيل عليه السلم وقد مضى

تفسيره في سورة البقرة عند قوله وأيدناه بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلا في حال ما كنت صبيا في المهد وفي حال
ما كنت كهلا وقال الحسن المهد حجر امه واذ علمتك الكتاب مثل الكتابة يعني الخط والحكمة اي العلم والشريعة وقيل اراد الكتب
فيكون الكتاب اسم جنس ثم فصله بذكر التوراة والانجيل واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني اي واذكر ذلك ايضا اي تصور الطين
كهيئة الطير الذي تريد اي تخلقه وتصوره وسماه خلقا لانه كان يقدره وقوله باذني اي تفعل ذلك باذني وامري
فتنفخ فيها اي فتنفخ فيها الروح حسبما يجوز ان ينفخ المسيح باذن الله فتكون طيرا باذني والطير يؤنث ويذكر فمن انث
فعلى الجمع ومن ذكر فعلى اللفظ وواحد الطير طائر فيكون مثل ضائن وضان وراكب وركب ويقوي بقوله فتكون طيرا
باذني انه اذا نفخ المسيح فيها الروح قلبها الله لحما ودما ويخلق فيها الحياة فصارت طيرا باذن الله اي بامره وارادته ولذا
لا بفعل المسيح وتبرئ اي تصحح الاكمه الذي يولد اعمى والابرص من به مرض يتحكم باذني اي بامري ومعناه انك تدعوني
حتى ابرئ الاكمه والابرص ونسب ذلك الى المسيح لما كان بدعائه وسؤاله واذ تخرج الموتى باذني اذكر اذ تدعوني فاحيي
الموتى عند دعائك واخرجهم من القبور حتى يشاهدهم الناس احياء ونسب ذلك الى المسيح انه لما كان بدعائه واذ
كففت بني اسرائيل عنك اي عن قتلك واذاك اذ جئتهم اي حين جئتهم بالبينات مع كفرهم وعنادهم ويجوز ان يكون
الله منع كفهم عنه باللطف التي لا يقدر عليها غيره ويجوز ان يكون كفهم بالمنع والقهر كما منع من اراد نبينا ومعنى اذ
جئتهم بالبينات اتيتهم بالحجج المعجزات فقال الذين كفروا او جحدوا نبوتك ان هذا الا سحر مبين يعنون به ان ما جاء
سحر ظاهر واضح او ساحر مبين يعنون به عيسى عليه السلم وينبغي ان يكون قوله سبحانه في اول الاية اذ قال الله يا عيسى
بن مريم اذكر اخبرتها قومك الذين كذبوا عليك ليكون حجة عليهم لانهم ادعوا عليه انه الرب عدد النعمة نعمة على
ما سواه قوله عز وجل واذ اوحيت الى الحواريين ان امنوا بي وبرسولي قالوا امنا واشهد باننا مسلمون اية
اللغة الوحي القاء المعنى الى النفس على وجه يخفى ثم ينقسم فيكون بارسال الملك ويكون بمعنى الالهام قال الشاعر
الحمد لله الذي استقلت باذنه السماء واطمانت اوحى لها القرار فاستقرت اي القى اليها ويروى وحى لها القرار والفرق
بين اوحى ووحى من وجهين احدهما ان اوحى بمعنى جعلها على صفة ووحى بمعنى جعل فيها معنى الصفة لان افعل له
التعدية وقيل هما لغتان والحواري خالصة الرجل وخلصاؤه من الخبز الحواري لانه اخلص لبه من كل ما يشوبه
واصله الخلوص ومنه حار يحور اذا رجع الى الخلوص ثم كثر حتى قيل لكل راجع المعنى ثم بين سبحانه تمام نعمه على عيسى
عليه السلم واذ اوحيت اي واذكر اذ اوحيت الى الحواريين اي الهمتهم وقيل القيت اليهم بالايات التي اريتهم اياها وقد مضى
الكلام في الحواريين في سورة ال عمران وهم وزراء عيسى عن قتادة وانصاره عن الحسن ان امنوا بي وبرسولي اي صدقوا
بي وبصفاتي وبعيسى انه عبدي ونبيي قالوا اي قال الحواريون امنا اي صدقنا واشهد يا الله اننا مسلمون قوله عز وجل
اذ قال الحواريون يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله ان كنتم
مؤمنين قالوا نريد ان نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم ان قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين اية القراءة
قرأ الكسائي وحده هل تستطيع بالتاء ربك بالنصب والباقون يستطيع بالياء ربك مرفوع وادغم الكسائي اللام في التاء
الحجة وجه قراءة الكسائي ان المراد هل تستطيع سؤال ربك وذكروا الاستطاعة في سؤالهم لا لانهم شكوا في استطاعته
لكن كانهم ذكروه على وجه الاحتجاج عليهم منهم كانهم قالوا انك مستطيع فما منعك ومثل ذلك قولك لصاحبك اتستطيع
ان تذهب عني فاني مشغول اي اذهب لانك غير محتاج عن ذلك وان ينزل على هذه القراءة متعلق بالمصدر المحذوف
ولا يستقيم الكلام الا على تقدير ذلك الا ترى انه لا يصح ان تقول هل تستطيع ان يفعل غيرك وان ينزل في موضع نصب
بانه مفعول به والتقدير هل تستطيع ان تسأل ربك انزال مائدة من السماء وروي عن ابي عبد الله عليه السلم ما يفيد
هذا التقدير والمعنى هل تستطيع ان تدعو ربك واما ادغام اللام في التاء فانه حسن فان ابا عمرو ادغم اللام في الثاء في

هل ثوب الكفار والتاء اقرب الى اللام من الثاء والادغام انما يحسن في المتقاربين وانشد سيبويه فذر ذا ولكن هتعين متيما على ضوء برق
آخر الليل ناصب اللغة الفرق بين الاستطاعة والقدرة ان الاستطاعة انطباع الجوارح للفعل والقدرة هي ما اوجب كون القادر
عليه قادرا ولذلك لا يوصف الله تعالى بانه مستطيع ويوصف بانه قادر والمائدة الخوان قال الازهري
في تهذيب اللغة هي في المعنى مفعولة ولفظها فاعلة لانها من العطاء وقد ماد زيد عمرا اذا اعطاه وقيل ماد يميد اذا
تحرك فهي فاعلة ويقال مائدة ومدة في الشاء وميدة كثيرة الالوان تصنع للاخوان والجيران ومادة البحر تنفعه
مائدة اي تحرك به وماد يميد اذا تحرك وماد اهله اذا امارهم واصل الحركة المعنى ثم اخبر سبحانه عن الحواريين وسؤالهم فقال
اذ قال الحواريون والعامل في اذ قوله اوحيت ويحتمل ان يكون معناه واذكر اذ قال الحواريون يا عيسى بن مريم
هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء فيه اقوال احدها هل يفعل ذلك ربك بمسألتك اياه ليكون
علما على صدقك ولا يجوز ان يكونوا شكوا في قدرة الله تعالى على ذلك لانهم كانوا عارفين مؤمنين وكانهم سألوه
ذلك ليعرفوا صدقه وصحة امره من حيث لا يعترض عليه فيه اشكال ولا شبهة ومن ثم قالوا وتطمئن قلوبنا كما قال
ابراهيم عليه السلم ولكن ليطمئن قلبي عن ابي علي الفارسي وثانيها معناه هل يقدر ربك وكان هذا في ابتداء امرهم
قبل ان يستحكم معرفتهم بالله تعالى ولذلك انكر عليهم عيسى عليه السلم فقال اتقوا الله ان كنتم مؤمنين لانهم لم يستكملوا
ايمانهم في ذلك الوقت وثالثها ان معناه هل يستجيب لك والى هذا ذهب السدي في قوله يريد هل يطيعك ربك ان سألته
وهذا على ان يكون استطاع بمعنى اطاع كما يكون استجاب بمعنى اجاب قال الزجاج يحتمل مسئلة الحواريين عيسى عليه السلم
المائدة ضربين احدهما ان يكونوا ارادوا ان يزدادوا تثبيتا كما قال ابراهيم رب ارني كيف تحيي الموتى وجائز ان يكون
مسألتهم المائدة قبل علمهم انه ابرأ الاكمه والابرص واحيا الموتى قال اتقوا الله ان كنتم مؤمنين معناه اتقوا الله ان
تسألوه شيئا لم يسأله الامم قبلكم وقيل معناه ان الامر بالتقوى مطلقا كما امر الله سبحانه المؤمنين بها في قوله يا ايها
الذين امنوا اتقوا الله عن ابي علي الفارسي وقيل امرهم الا تقترحوا الايات والا تتقدموا بين يدي الله ورسوله
لان الله تعالى قد اراهم البراهين والمعجزات باحياء الموتى وغيره مما هو اوكد مما سألوه وطلبوه عن الزجاج
قالوا اي قال الحواريون نريد ان ناكل منها قيل في معناه قولان احدهما
ان يكون الارادة التي هي من افعال القلوب ويكون التقدير فيه نريد السؤال من اجل هذا الذي ذكرنا والاخر
ان يكون الارادة هنا بمعنى المحبة التي هي ميل الطباع اي نحب ذلك وتطمئن قلوبنا يجوز ان يكونوا قالوه
وهم مستبصرون في دينهم ومعناه نريد ان نزداد يقينا وذلك ان الدلائل كلما كثرت مكنت المعرفة في النفس عن عطا
ونعلم ان قد صدقتنا بانك رسول الله وهذا يقوي قول من قال ان هذا كان في ابتداء امرهم والمسيح انهم طلبوا
المعاينة والعلم الضروري والتاكيد في الاعجاز ونكون عليها من الشاهدين فيه بالتوحيد ولك بالنبوة وقيل
من الشاهدين لك عند بني اسرائيل اذا رجعنا اليهم قوله عز وجل قال عيسى بن مريم اللهم ربنا انزل علينا مائدة من
السماء تكون لنا عيدا لاولنا واخرنا واية منك وارزقنا وانت خير الرازقين قال الله اني منزلها عليكم فمن يكفر
بعد منكم فاني اعذبه عذابا لا اعذبه احدا من العالمين اية القراءة قرأ اهل المدينة والشام وعاصم منزلها
بالتشديد والباقون منزلها مخففة الحجة يقوي التخفيف قوله انزل علينا مائدة والاولى ان يكون الجواب وفق السؤال
والوجه في التشديد ان نزل وانزل بمعنى واحد اللغة العيد اسم لما عاد اليك في وقت معلوم حتى قالوا للخيال عيد ولما
يعود اليك من الحزن عيد قال الاعشى فوا كبدي من لاعج الهم والهوى اذا اعتاد قلبي من اميمة عيدها وقال الليث
العيد كل يوم مجمع قال العجاج كما يعود العيد نصراني وقال المفضل عادني عيدي اي عادتي وانشد عاد قلبي من الطويلة
عيد واما قوله يا عيد مالك من شوق وايراق فانه اراد الخيال الذي يتعاده الاعراب يكون لنا في موضع

النصب صفة لمائدة ولنا في موضع الحال الان تقديره عيدا لنا فقوله لنا صفة لعيد فلما تقدمه انتصب على الحال وقوله لاولنا
وآخرنا بدل من قوله لنا **المعنى** ثم اخبر سبحانه عن سوال عيسى اياه فقال يا عيسى بن مريم عن قومه لما التمسوا منه وقيل
انه انما سال ربه ذلك حين ياذن له في السوال اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء اي خوانا عليه طعام من السماء يكون
لنا عيدا قيل في معناه قولان احدهما نتخذ اليوم الذي تنزل فيه عيدا نعظمه نحن ومن ياتي من بعدنا عن السدي وقتادة
وابن جريج وهو قول ابي علي الجبائي والثاني ان يكون معناه عائدة فضل علينا من الله ونعمة منه لنا والاول هو الوجه
لاولنا وآخرنا اي لاهل زماننا ومن يجي بعدنا وقيل معناه ناكل منها آخر الناس كما ياكل اولهم عن ابن عباس وآية اي دلالة
منك عظيمة الشان في ازعاج قلوب العباد الى الاقرار بعبادتك والاعتراف بالحق الذي تشهد به ظاهرها لتدل على توحيدك
وصحة نبوة نبيك وارزقنا اي واجعل ذلك رزقا لنا وقيل معناه وارزقنا الشكر عليها عن الجبائي وانت خير الرازقين وفي
هذا دلالة على ان العباد يرزق بعضهم بعضا لانه لو لم يكن كذلك لم يحسن ان يقال سبحانه خير الرازقين كما لا يجوز ان خير
الالهة لما لم يكن غيره سبحانه الها قال الله مجيبا له اني ما التمستها اني منزلها يعني المائدة عليكم فمن يكفر بعد منكم اي بعد انزالها
عليكم فاني اعذبه عذابا لا اعذبه احدا من العالمين قيل في معناه اقوال احدها انه اراد عالمي زمانه فجحد القوم وكفروا
بعد نزول المائدة فمسخوا قردة وخنازير عن قتادة وروي عن ابي جعفر موسى بن جعفر عليه السلم انهم مسخوا خنازير
وثانيها انه اراد عذاب الاستيصال وثالثها انه اراد جنسا من العذاب لا يعذب به احدا غيرهم وانما استحقوا هذا النوع
من العذاب بعد نزول المائدة لانهم كفروا بعد ما راوا الآية التي هي من اجل الآيات عن الكفر بعد سوالهم لها فاقتضت
الحكمة اختصاصهم بفن من العذاب العظيم الموقع كما اختصت آيتهم بفن من الزجر عظيم الخلقة **القصة** اختلف العلماء
في المائدة هل نزلت ام لا فقال الحسن ومجاهد انها لم تنزل وان القوم لما سمعوا الشرط استعفوا من نزولها فقالوا لا نريدها
ولا حاجة لنا فيها فلم تنزل والصحيح انها نزلت لقوله تعالى اني منزلها عليكم لا يجوز في خبره الخلف ولان الاخبار قد استفاضت
عن النبي صلى الله عليه واله والصحابة والتابعين انها نزلت قال كعب انها نزلت في يوم الاحد ولذلك اتخذه النصارى عيدا
واختلفوا في كيفية نزولها وما عليها فروي عن عمار بن ياسر عن النبي صلى الله عليه واله قال نزلت المائدة خبزا ولحما وذلك
انهم سالوا عيسى عليه السلم طعاما لا ينفد ياكلون منها قال فقيل لهم فانها مقيمة لكم ما لم تخونوا او تخبئوا او ترفعوا فان فعلتم
ذلك عذبتكم قال فما مضى يومهم حتى خانوا او رفعوا وخبئوا وقال ابن عباس ان عيسى بن مريم قال لبني اسرائيل صوموا ثلثين
يوما ثم اسالوا الله ما شئتم يعطكموه فصاموا ثلثين يوما فلما فرغوا قالوا يا عيسى انا لو عملنا لاحد من الناس وقضينا
عمله لاطعمنا طعاما وانا صمنا وجعنا فادع الله ان ينزل علينا مائدة من السماء فاقبلت الملائكة بمائدة يحملونها سبعة ارغفة
وسبع احوات حتى وضعتها بين ايديهم فاكل منها آخر الناس كما اكل اولهم وهو المروي عن ابي جعفر عليه السلم وروي عن
عطا بن السايب عن زاذان وميسرة قالا كانت اذا وضعت المائدة لبني اسرائيل اختلفت عليهم الايدي من السماء
بكل طعام الا اللحم وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال انزل على المائدة كل شي الا الخبز واللحم وقال عطا نزل عليها
كل شي الا اللحم والسمك وقال عطية العوفي نزل من السماء سمكة فيها طعم كل شي وقال عمار وقتادة كان عليها ثمر من ثمار
الجنة وقال قتادة كانت تنزل عليهم بكرة وعشيا حيث كانوا كالمن والسلوى لبني اسرائيل وقال يمان بن رياب كانوا ياكلون
منها ما شاؤا وروى عطا بن ابي رباح عن سلمان الفارسي انه قال والله ما تبع عيسى عليه السلم شيا من المساوي قط
ولا انتهر شيا ولا قهقه ضحكا ولا ذب ذبابا عن وجهه ولا اخذ على انفه من شي قط ولا عبث قط ولما سال الحواريون
ان ينزل عليهم المائدة لبس صوفا وبكى وقال اللهم انزل علينا مائدة من السماء الآية فنزل سفرة حمراء بين غمامتين
وهم ينظرون اليها وهي تهوي منقضة حتى سقطت بين ايديهم فبكى عيسى وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها
رحمة ولا تجعلها مثلة وعقوبة واليهود ينظرون اليها ينظرون الى شي لم يروا مثله قط ولم يجدوا ريحا اطيب من ريحه

عيسى عليه السلم وتوضى وصلى صلوة طويلة ثم كشف المنديل عنها وقال بسم الله خير الرازقين فاذا هو سمكة مشوية ليس
عليها فلوسها تسيل سيلا من الدسم وعند راسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من الوان البقول ما عدا الكراث واذا
خمسة ارغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال
شمعون يا روح الله امن طعام الدنيا هذا ام من طعام الآخرة فقال عيسى ليس شي مما ترون من طعام الدنيا ولا من طعام الآخرة ولكنه شي
افتعله الله تعالى بالقدرة الغالبة كلوا مما سالتم يمددكم ويزدكم من فضله فقال الحواريون يا روح الله لو اريتنا من هذه
اليوم آية اخرى فقال يا سمكة احيي باذن الله فاضطربت السمكة وعاد عليها فلوسها وشوكها ففزعوا منها فقال عيسى ما لكم تسئلون
باشياء اذا اعطيتموها كرهتموها ما اخوفني عليكم ان تعذبوا يا سمكة عودي كما كنت باذن الله فعادت السمكة مشوية
كما كانت فقالوا يا روح الله كن اول من ياكل منها ثم ناكل نحن فقال عيسى معاذ الله ان آكل منها ولكن ياكل منها من سالها
فخافوا ان ياكلوا منها فدعا لها عيسى اهل الفاقة والزمنى والمرضى والمبتلين فقال كلوا منها ولكم المهنا ولغيركم البلا
فاكل منها الف وثلثمائة رجل وامراة من فقير ومريض ومبتلى وكلهم شبعان يتجشى ثم نظر عيسى الى السمكة فاذا
هي كهيئتها حين نزلت من السماء ثم طارت المائدة صعدا وهم ينظرون اليها حتى توارت عنهم فلم ياكل يومئذ
زمن الا صح ولا مريض الا برئ ولا فقير الا استغنى ولم يزل غنيا حتى مات وندم الحواريون ومن لم ياكل منها وكانت اذا
نزلت اجتمع الاغنياء والفقراء والضعفاء والكبار يتزاحمون عليها فلما راى ذلك عيسى جعلها نوبة بينهم فلبثت
اربعين صباحا تنزل ضحى فلا تزال منصوبة يوكل منها حتى اذا فاء الفي طارت صعدا وهم ينظرون في ظلها حتى
توارت عنهم وكانت تنزل غبا يوما ويوما لا فاوحى الله الى عيسى اجعل مائدتي للفقراء دون الاغنياء فعظم ذلك على الاغنياء
حتى شكوا وشككوا الناس فيها فاوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلم اني شرطت على المكذبين شرطا ان من كفر بعد نزولها اعذبه
عذابا لا اعذبه احدا من العالمين فقال عيسى عليه السلم ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم فمسخ
منهم ثلثمائة وثلثون رجلا باتوا من ليلتهم على فرشهم مع نسائهم في ديارهم فاصبحوا خنازير يسعون في الطرقات والكناسات
وياكلون العذرة والحشوش فلما راى الناس ذلك فزعوا الى عيسى وبكوا وبكى على الممسوخين اهلوهم فعاشوا ثلاثة ايام
ثم هلكوا وفي تفسير اهل البيت عليهم السلم كانت المائدة تنزل عليهم فيجتمعون عليها وياكلون منها ثم ترفع فقال كبراؤهم
ومترفوهم لا ندع سفلتنا ياكلون منها معنا فرفع المائدة ببغيهم ومسخوا قردة وخنازير قوله عز وجل **واذ قال الله يا عيسى
بن مريم انت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق
ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك انك انت علام الغيوب ما قلت لهم الا ما امرتني به
ان اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم وانت على كل شي
شهيد ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم** ثلاث آيات **اللغة** النفس يقع على وجوه فالنفس
نفس الانسان وغيره من الحيوان وهي التي اذا فارقها خرج عن كونه حيا ومنه قوله كل نفس ذائقة الموت والنفس
ذات الشي الذي يخبر عنه فعل ذلك فلان نفسه والنفس الارادة كما في قول الشاعر فنفساي نفس قالت
ابن بجدك تحلل حاجتي من كل غم نالها ونفس تعود احمد تحال ولا تكن لحاحا تعني شيا حصابها وقال النمر بن تولب
اما خليلي فاني لست معجله حتى يوامر نفسيه كما زعما نفس له من نفوس القوم صالحة تعطي الجزيل ونفس ترضع الغنماء
بين نفسين نفس تامره بالجود والاخرى تامره بالبخل وكنى عن صلاح النفس عن البخل كما تقول ليم رائع والنفس العين التي
تصيب الانسان وروي ان رسول الله صلى الله عليه كان يرقي فيقول بسم الله ارقيك والله يشفيك من كل داء هو فيك من
عين عاين ونفس نافس وحسد حاسد وقال ابن الاعرابي النفوس التي تصيب الناس بالنفس وذكر رجلا فقال كان
حسودا نفوسا كذوبا وقال ابن قيس الرقيات يتقي اهلها النفوس عليها فعلى نحوها الرقى والتمم وقال مضرس واذ نحوا صعدا

فلبس عليهم منا الخيال والنفوس الجد النفس الغيب تعالى الى لا اعلم نفس فلان اى غيبه وعلى هذا تاويل الآية ويقال النفس
ايضا العقوبة وعليه حمل بعضهم قوله سبحانه ويحذركم الله نفسه والرقيب اصله من الترقب وهو الانتظار ومعناه الحافظ
ورقيب القوم حارسهم والشهيد المشاهد لما يكون ويجوز ان يكون بمعنى العليم الاعراب حقيقة اذا ان يكون لما مضى
وهذا معطوف على ما قبله فكانه قال يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم والشهيد وذلك ان تقول يا عيسى وقيل انه سبحانه انما قال
له ذلك حين رفعه اليه فيكون القول ماضيا عن البلخي وهو قول السدي والصحيح الاول لان الله تعالى عقب هذه الآية
بقوله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم واراد به يوم القيمة وانما خرج هذا مخرج الماضي وهو المستقبل تحقيقا لوقوعه
لقوله سبحانه ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ومثل قوله ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت يريد اذا فزعوا وكذلك قوله
ولو ترى اذ وقفوا على النار وقال ابو النجم ثم جزاه الله عنى اذ جزى جنات عدن فى العلالى العلا من دون الله من زايده
موكدة للمعنى وقوله ان كنت قلته المعنى ان كن الان قلته فيما مضى وليس كان فيه على المعنى لان الشرط والجزاء لا يقعان الا
فيما يستقبل وحرف الجزاء نقل معنى الماضي الى الاستقبال لا محالة هذا قول المحققين وقوله ان اعبدوا ذكر فى محله
وجوه احدها النصب بدلا مما امرتني والثاني ان يكون مجرور الموضع بدلا من الهاء فى به والثالث ان يكون مفسرة
بما امرتني به بمعنى اى وعلى هذا فلا موضع لها من الاعراب المعنى ثم عطف سبحانه على ما تقدمه من امر المسيح عليه
فقال واذ قال الله والمعنى واذ يقول الله يوم القيمة لعيسى يا عيسى بن مريم أانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين
من دون الله هذا وان خرج مخرج الاستفهام فهى تقريع لمن ادعى ذلك عليه من النصارى كما جرى فى العرف
بين الناس اى من ادعى على غيره قولا فقال اذلك المعير وبهسيد القول وتكذيبا لقايله وذكر فيه وجه آخر وهو انه
يكون تعالى اراد بهذا القول تعريف عيسى عليه السلم ان قوما اعتقدوا فيه وفى امه انهما الهان لانه لا يمكن ان
يكون عيسى لم يعرف ذلك الا فى تلك الحال عن البلخي والاول اصح وقد اعترض على قوله الهين فقيل لا نعلم فى النصارى
من اتخذ مريم الها والجواب عنه فى وجوه احدها انهم لما جعلوا المسيح الها لزمهم ان يجعلوا الدته ايضا الها لان الولد لا
يكون من جنس الوالدة فهذا على طريق الالزام والثاني انهم لما عظموها تعظيم الآلهة اطلق اسم الرب على الاحبار
والرهبان فى قوله اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله لما عظموهم تعظيم الرب والثالث انه يحتمل ان
يكون فيهم من قال بذلك ويعضد هذا القول ما حكاه الشيخ ابو جعفر قدس الله روحه عن بعض النصارى انه
قد كان فيما مضى قوم يقال لهم المريمية يعتقدون فى مريم انها الهة فعلى هذا يكون القول فيه كالقول فى الحكاية
عن اليهود وقولهم عزير ابن الله قال يعنى عيسى سبحانك تنزيها وجلالا لك وتعظمت وتعاليت عن عطا وقيل
معناه تنزيها لك وبراءة مما لا يجوز عليك وقيل تنزيها من ان يبعث رسولا يدعي الهية لنفسه ويكفر بنعمتك فيجمع
بين التوحيد والعدل ثم تبرأ من قول النصارى فقال ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق اى لا يجوز لي ان اقول
لنفسي ما لا يحق لي فآمر الناس بعبادتي وانا عبد مثلهم وانما تحق العبادة لك لقدرتك على اصول النعم ثم استشهد
سبحانه على براءته من ذلك القول فقال ان كنت قلته فقد علمته تريد انى لم اقله لانى لو قلته لما خفي عليك
انك علام الغيوب تعلم ما فى نفسي ولا اعلم ما فى نفسك اى تعلم غيبي وسري ولا اعلم غيبك وسرك عن ابن عباس وانما
ذكر النفس لمن اوجب الكلام والعادة جارية بان الانسان يسر فى نفسه فصار قوله ما فى نفسي عبارة عن الاخفاء ثم قال
ما فى نفسك على جهة المقابلة والا فالله سبحانه منزه عن ان يكون له نفس او قلب تحل فيه المعاني وتقوى هذا التاويل
قوله سبحانه انك انت علام الغيوب لانه سبحانه علل علمه بما فى نفس عيسى عليه السلم وانه علام الغيوب وعيسى عليه السلم ليس كذلك
فلذلك لم يعلم ما يختص الله بعلمه ثم قال حكاية عن عيسى فى جواب ما قرره سبحانه ما قلت لهم الا ما امرتني به ان اعبدوا الله
ربي وربكم اى لم اقل للناس الا ما امرتني به من الاقرار لك بالعبودية وانك ربي وربكم والههم والهكم وامرتهم ان يعبدوك

وحدك لا شريك لك معك غيرك فى العبادة وكنت عليهم شهيدا اى شاهدا ما دمت حيا فيهم بما شاهدته منهم وعلمته وبما
ابلغتهم من رسالتك التى حملتها وامرتني باداءها اليهم فلما توفيتني اى قبضتني اليك وامتني عن الجبائي وقيل معناه
وفاة الرفع الى السماء عن الحسن كنت انت الرقيب عليهم اى الحفيظ عليهم عن السدي وقتادة وانت على كل شئ شهيد
اى عالم بجميع الاشياء لا يخفى عليك خافية ولا يغيب عنك شئ عن الجبائي وفى هذه الآية دلالة على انه سبحانه امات عيسى
عليه السلم وتوفاه ثم رفعه اليه لان التوفي للانسان من اطلاق الموت الا ترى الى قوله سبحانه الله يتوفى الانفس حين
موتها والتى لم تمت فى منامها فبين سبحانه انه يتوفى الانفس التى لم تمت ان تعذبهم فانهم عبادك لا يقدرون على دفع
شئ عن انفسهم وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم فى هذا التسليم للامر الى مالكه وتفويض الى مدبره وتبرأ من
ان يكون اليه شئ من امور قومه كما يقول الواحد منا اذا تبرأ من تدبير امر من الامور ويريد تفويضه الى غيره هذا الامر
لا مدخل لي فيه فان شئت فافعله وان شئت فاتركه مع علمه وقطعه على ان احد الامرين لا يكون منه وقيل ان
المعنى ان تعذبهم باقامتهم على كفرهم وان تغفر لهم فبتوبة منهم عن الحسن فكانه اشترط التوبة وان لم يكن الشرط
ظاهرا فى الكلام وان لم يقل فانك انت الغفور الرحيم لان الكلام لم يخرج مخرج السؤال فلو قال ذلك لاوهم
الدعاء لهم بالمغفرة على ان قوله العزيز الحكيم ابلغ فى المعنى وذلك ان المغفرة قد يكون حكمة وقد لا يكون والوصف
بالعزيز الحكيم يشتمل على معنى الغفران والرحمة اذا كانا صوابين ويزيد عليهما باستيفاء معاني كثيرة لان العزيز
هو المنيع القادر الذى لا يضام والقاهر الذى لا يرام وهذا المعنى لا يفهم من الغفور الرحيم والحكيم هو الذى يضع
الاشياء مواضعها ولا يفعل الا الحسن الجميل فالمغفرة والرحمة ان اقتضتهما الحكمة دخلتا فيه وزاد معنى هذا اللفظ
عليهما من حيث اقتضى وصفه بالحكمة فى ساير افعاله قوله عز وجل قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم
جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم لله ملك
السموات والارض وما فيهن وهو على كل شئ قدير آيتان القراءة قرا نافع وحده يوم ينفع بالنصب والباقون بالرفع
الحجة قال ابو على من رفع يوما جعله خبر المبتدا الذى هو هذا واضاف يوما الى ينفع والجملة التى من المبتدا
والخبر فى موضع نصب بانه مفعول القول كما تقول قال زيد عمرو اخوك ومن قال هذا يوم ينفع احتمل امرين احدهما
ان يكون مفعول قال تقديره قال الله هذا القصص او هذا الكلام يوم ينفع الصادقين صدقهم فيوم ظرف
للقول وهو اسناده الى ما تقدم ذكره من قوله اذ قال الله يا عيسى بن مريم وجاء على لفظ المضي وان كان المراد به
الآتي كما قال ونادى اصحاب الجنة ونحو ذلك وليس ما بعد حكاية بعد هذا الوجه كما كان اياها فى الوجه الآخر ويجوز
ان يكون المعنى على الحكاية وتقديره على قال الله هذا يوم ينفع الصادقين اى هذا الذى اقتصصنا او هذا الحدث
يوم ينفع وخبر المبتدا الذى هو هذا الظرف لانه اشارة الى حديث فظروف الزمان تكون على الاحداث والجملة
فى موضع نصب بانها فى موضع مفعول القول ولا يجوز ان يكون يوم مبنيا وهو فى موضع رفع ان يكون ذلك فى هذا الضرب
فى الاسماء اذا اضيف اليه ما كان مبنيا ومن خزى ومن عذاب يومئذ وصار فى المضاف اليها للاضافة الى المبنى كما صار
فيه الاستفهام للاضافة الى المستفهم به نحو غلام من انت وكما صار فيه الجزاء نحو غلام من تضرب اضرب وليس المضارع
فى هذا كالماضي فى نحو قوله على حين عاتبت المشيب على الصبا فقلت الما اصح والشيب وازع لان الماضي مبني والمضارع
معرب فاذا كان معربا لم يكن شئ من احتلة البناء فى المضاف والاضافة الى الفعل نفسه فى الحقيقة الى المصدر ولو كانت
الاضافة الى المصدر لم يبن المضاف لبناء المضاف اليه المعنى لما بين عيسى عم بطلان ما عليه النصارى قال الله سبحانه
هذا يوم ينفع الصادقين بمعنى ما صدقوا فيه فى دار التكليف لان يوم القيمة لا تكليف فيه على احد ولا يحاجد فيه الا بالصدق
ولا ينفع الكفار صدقهم فى يوم القيمة اذا اقروا على انفسهم بسوء اعمالهم وقيل ان المراد بصدقهم تصديقهم لرسل الله تعالى

وكذبهم وقيل ان الصدق في الآخرة وانه ينفعهم فيه لحق الله تعالى فعلى هذا يكون المراد به صدقهم في الشهادة لانبيائهم بالبلاغ لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا اي دائمين فيها في نعيم مقيم لا يزول رضي الله عنهم بما فعلوا ورضوا عنه بما اعطاهم من الجزاء والثواب ذلك هو الفوز العظيم وهو ما يحصلون فيه من الثواب فانهم فازوا بالجنة ونجوا من النار ثم بين سبحانه عظيم قدرته واتساع مملكته فقال لله ملك السموات والارض وما فيهن نزه سبحانه نفسه عما قالت النصارى انه الها فقال لله ملك السموات والارض دون كل من سواه لقدرته عليه وحده وقيل ان هذا جواب لسؤال مضمر في الكلام كانه قيل من يعطيهم ذلك الفوز العظيم فقيل الذي له ملك السموات والارض وجميع السموات ووحدة الارض يخصهما الشان السموات على كل شيء قدير معناه قادر على المعلومات بان يوجدها وعلى الموجودات بان يعدمها وعلى كثير منها بان يعيدها بعد الافناء وعلى مقدورات غيره بان يقدر عليها ويمنع منها ما يمكن منها وقيل معناه قادر على كل شيء يصح ان يكون مقدورا له فهو تعالى خالق كل شيء

تم المجلد الثالث على يدي اذل عباد الله واحوجهم الى رحمة الله

مسعود بن شيخ يوسفشاه ...... في شهر رمضان المبارك

سنة ١٠٥٨ من الهجرة المصطفوية ببلدة يزد اللهم

اجعل كتابته سببا للنجاة في يوم

الحساب بحق النبي واله

واله الطاهرين

المعصومين

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

هي مكية عن ابن عباس غير ست آيات وما قدروا الله حق قدره الى آخر ثلث آيات قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الى آخر ثلث آيات فانهن نزلن بالمدينة وفي رواية اخرى عنه غير ثلث آيات قل تعالوا الى آخر الثلث وباقي السورة كلها نزلت بمكة وروي عن ابي بن كعب وعكرمة وقتادة انها كلها نزلت بمكة جملة واحدة ليلا ومعها سبعون الف ملك قد ملأوا ما بين الخافقين لهم زجل بالتسبيح والتحميد فقال النبي صلى الله عليه وآله سبحان الله العظيم وخر ساجدا ثم دعا الكتاب فكتبوها من ليلتهم واكثرها حجاج على المشركين وعلى من كذب بالبعث والنشور عدد آيها هي مائة وخمس وستون آية كوفي ست بصري شامي سبع حجازي خلافها اربع آيات وجعل الظلمات والنور حجازي لست عليكم بوكيل كوفي كن فيكون والى صراط مستقيم غير الكوفي فضلها ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله قال انزلت علي الانعام جملة واحدة يشيعها سبعون الف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد فمن قرأها صلى عليه اولئك السبعون الف ملك بعدد كل آية من الانعام يوما وليلة جابر بن عبد الله الانصاري عن النبي صلى الله عليه وآله قال من قرأ ثلث آيات من اول سورة الانعام الى قوله ويعلم ما تكسبون وكل الله به اربعين الف ملك يكتبون له مثل عبادتهم الى يوم القيمة وينزل ملك من السماء السابعة ومعه مرزبة من حديد فاذا اراد الشيطان ان يوسوس ويوحي في قلبه شيئا ضربه بها ضربة الى آخر الخبر وروى العياشي باسناده عن ابي بصير عن ابي عبد الله عليه السلم قال ان سورة الانعام نزلت جملة وشيعها سبعون الف ملك فعظموها وبجلوها فان اسم الله تعالى فيها في سبعين موضعا ولو يعلم الناس ما في قراءتها من الفضل ما تركوها ثم قال عليه السلم من كانت له الى الله حاجة يريد قضاها فليصل اربع ركعات بفاتحة الكتاب والانعام وليقل في صلوته اذا فرغ من القراءة يا كريم يا كريم يا كريم يا عظيم يا عظيم يا عظيم يا اعظم من كل عظيم يا سميع الدعاء يا من لا تغيره الليالي

والليالي والايام صل على محمد وآله وارحم ضعفي وفقري وفاقتي ومسكنتي يا من رحم الشيخ يعقوب حين رد عليه يوسف قرة عينه يا من رحم ايوب بعد طول بلائه يا من رحم محمدا ومن اليتم آواه ونصره على جبابرة قريش وطواغيتها وامكنه منهم يا مغيث يا مغيث يا مغيث يقوله مرارا فوالذي نفسي بيده لو دعوت بها ثم سألت الله جميع حوائجك لاعطاك وروى علي بن ابرهيم بن هاشم عن ابيه عن الحسين بن خالد عن ابي الحسن موسى الرضا عليه السلم قال نزلت الانعام جملة واحدة يشيعها سبعون الف ملك لهم زجل بالتسبيح والتهليل والتكبير فمن قرأها سبحوا له الى يوم القيمة وروى ابو صالح عن ابن عباس قال من قرأ سورة الانعام في كل ليلة كان من الآمنين يوم القيمة ولم ير النار بعينه ابدا لما ختم الله سبحانه سورة المائدة بانه على كل شيء قدير افتتح سورة الانعام بما يدل على كمال قدرته من خلق السموات والارض وغيره فقال بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون هو الذي خلقكم من طين ثم قضى اجلا واجل مسمى عنده ثم انتم تمترون آيتان عراقي شامي وثلث آيات حجازي اللغة العدل خلاف الجور وعدلت غيره اي سويته به وعدلت عنه اعرضت وعدلت الشيء فاعتدل اي قومته فاستقام والاجل الوقت المضروب لانقضاء الامد فاجل الانسان وقت انقضاء عمره واجل الدين محله وهو وقت انقضاء التاخير واصله التاخير فقال اجله تاجيلا وعجله تعجيلا والاجل نقيض العاجل والامتراء الشك واصله من مريت الناقة اذا مسحت ضرعها لاستخراج اللبن ومنه ماراه يماريه مراء ومماراة اذا استخرج ما عنده بالمناظرة فالامتراء استخراج الشبهة المشكلة من غير حل المعنى بدأ الله سبحانه هذه السورة بالحمد لنفسه اعلاما بانه المستحق لجميع المحامد لان اصول النعم وفروعها منه تعالى ولاجل الصفات العلى فقال الحمد لله الذي خلق السموات والارض يعني اخبر عنهما بما اشتملا عليه من عجائب الصنعة وبدائع الحكمة وقيل انه في لفظ الخبر ومعناه الامر اي احمدوا الله وانما جاء على صيغة الخبر وان كان فيه معنى الامر لانه ابلغ في البيان من حيث انه يجمع الامرين وقد ذكرنا من معنى الحمد في تفسير سورة الفاتحة ما فيه كفاية وجعل الظلمات والنور يعني الليل والنهار عن السدي وجماعة وقيل الجنة والنار عن قتادة وانما قدم ذكر الظلمات لانه خلق الظلمة قبل النور وخلق كذلك السموات والارض ثم عجب به تعالى ممن جعل له شريكا مع ما يرى من الآيات الدالة على وحدانيته فقال ثم الذين كفروا اي جحدوا الحق بربهم يعدلون اي يسوون غيره بان جعلوا له اندادا ماخوذ من قولهم ما اعدل بفلان احدا اي لا نظير له عندي وقيل معنى يعدلون يشركون به غيره عن الحسن ومجاهد ودخول ثم في قوله ثم الذين كفروا دليل على معنى لطيف وهو انه تعالى انكر على الكفار العدل به وعجب المؤمنين عن ذلك ومثله في المعنى قوله فيما بعد ثم انتم تمترون والوجه في التعجيب ان هؤلاء الكفار مع اعترافهم بان اصول النعم منه وانه هو الخالق والرازق عبدوا غيره ونقضوا ما اعترفوا به وايضا فانهم عبدوا ما لا ينفع ولا يضر من الحجارة والموات هو الذي خلقكم من طين يعني به آدم والمعنى انشأ اباكم واخترعه من طين وانتم من ذريته فلما كان آدم اصلنا ونحن من نسله جاز ان يقول لنا خلقكم من طين ثم قضى اجلا اي كتب وقدر اجلا والقضاء يكون بمعنى الحكم وبمعنى الامر وبمعنى الخلق وبمعنى الاتمام والاكمال واجل مسمى عنده قيل فيه اقوال احدها انه يعني بالاجلين اجل الحيوة الى الموت واجل الموت الى البعث وقيام الساعة عن الحسن وسعيد بن المسيب وقتادة والضحاك واختاره الزجاج وروي عطا عن ابن عباس قال قضى اجلا من مولده الى مماته واجل مسمى عنده من الممات الى المبعث لا يعلم ميقاته احد سواه فاذا كان الرجل صالحا واصلا لرحمه زاد الله في اجل الحيوة من اجل الممات الى المبعث واذا كان غير صالح ولا واصل نقصه الله من اجل الحيوة وزاد في اجل المبعث قال وذلك قوله وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب وثانيها ان الاجل الذي يحيى به اهل الدنيا الى ان يموتوا واجل مسمى عنده يعني الآخرة لانه اجل دائم ممدود لا آخر له وانما قال مسمى عنده لانه مكتوب في اللوح المحفوظ في السماء وهو الموضع الذي لا يملك فيه الحكم على الخلق سواه عن الجبائي وهو قول سعيد بن جبير ومجاهد وثالثها ان اجلا يعني به اجل من مضى من الخلق واجل مسمى عنده يعني به اجال الباقين عن ابي مسلم

ورابعها ان قوله قضى اجلا يعني به النوم يقبض الروح فيه ثم يرجع الى صاحبه عند اليقظة واجل مسمى عنده هو اجل موت
الانسان وهو المروي عن ابن عباس ويؤيده قوله ويرسل الاخرى الى اجل مسمى والاصل في الاجل هو الوقت فاجل
الحيوة هو الوقت الذي يكون فيه الحيوة واجل الموت او القتل هو الوقت الذي يحدث فيه الموت او القتل وما يعلم الله
تعالى ان المكلف يعيش اليه لو لم يقتل لا يسمى اجلا حقيقة ويجوز ان يسمى ذلك مجازا وما جاء في الاخبار من ان صلة الرحم
تزيد في العمر والصدقة تزيد في الاجل وان الله تعالى زاد في اجال قوم يونس وما اشبه ذلك فلا مانع من ذلك وقوله
ثم انتم تمترون خطاب للكفار الذين شكوا في البعث والنشور واحتجاج عليهم بانهم انه تعالى خلقهم ونقلهم من حال الى
حال وقضى عليهم الموت وهم يشاهدون ذلك ويقرون بانه لا محيص منه ثم بعد هذا يشكون وينكرون البعث
ومن قدر على ابتداء الخلق فلا ينبغي ان يشك في انه يصح منه اعادتهم ثم بين قوله عز وجل وهو الله في السموات
وفي الارض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون آية الاعراب هو الاشبه ان يكون ضمير القصة والحديث وتقديره
الامر الله يعلم ما في السموات وفي الارض سركم وجهركم فالله مبتدأ ويعلم خبره وفي السموات وفي الارض في موضع
نصب بيعلم وسركم مفعوله ايضا ولا يكون الظرف الذي هو الجار والمجرور منصوب الموضع بالمصدر وان جعلت الظرف
متعلقا باسم الله جاز في قياس قول من قال ان اصل الله الاله فيكون المعنى هو المعبود في السموات وفي الارض
يعلم وتقديره الامر المعبود في السموات وفي الارض يعلم سركم وجهركم ومن جعل اسم الله بمنزلة اسماء الاعلام فلا
يجوز ان يتعلق الظرف به الا ان يقدر فيه ضربا من معنى الفعل ويجوز ان يكون هو مبتدأ والله خبره والعامل في قوله
في السموات وفي الارض اسم الله على ما قلناه ويجوز ان يكون خبرا بعد خبر المعنى ثم عطف تعالى على ما تقدم فقال وهو
الله في السموات وفي الارض يعلم سركم وجهركم فيه وجوه على ما ذكرناه في الاعراب فعلى التقدير الاول يكون معناه
الله يعلم في السموات وفي الارض سركم وجهركم ويكون الخطاب لجميع الخلق لان الخلق اما ان يكونوا ملائكة فهم في
السماء او بشرا او جنا فهم في الارض فهو تعالى عالم بجميع اسرارهم واحوالهم ومتصرفاتهم لا يخفى عليه شيء منها وتقويه قوله
ويعلم ما تكسبون اي يعلم جميع ما تعملونه من الخير والشر فيجازيكم على حسب اعمالكم وعلى التقدير الثاني ان يكون معناه
ان يكون معناه ان المعبود في السموات وفي الارض المنفرد بالتدبير في السموات وفي الارض يعلم سركم وجهركم فلا يخفى
عليه منكم خافية ويكون الخطاب لبني ادم وان جعلت اسم الله علما على هذا التقدير ثم علقت به قوله في السموات
وفي الارض لم يجز ان علقته بمحذوف ويكون خبرا بعد خبر او حالا عنه اوهم بان يكون الباري سبحانه في محل تعالى عن ذلك
علوا كبيرا وقال ابو بكر السراج ان الله وان كان اسما علما ففيه معنى الثناء والتعظيم اللذين تقرب بهما من الفعل فيجوز
ان توصل لذلك بالمحل وتاويله هو المعظم او المعبود في السموات وفي الارض ثم قال يعلم سركم وجهركم ومثل ذلك
قوله تعالى وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله قال الزجاج ولو قلت هو زيد في البيت والدار لم يجز الا ان يكون
في الكلام دليل على ان زيدا يدبر امر البيت والدار فيكون المعنى هو المدبر في البيت والدار ولو قلت هو المعتضد
الخليفة في الشرق والغرب او قلت هو المعتضد في الشرق والغرب جاز على مقتضوها قال ابو بكر والزجاج يكون
في متعلقه ما دل عليه اسم الله تعالى ويكون هو الله مبتدأ وخبره المعنى وهو المنفرد بالالهية في السموات وفي الارض
لا اله فيهما غيره ولا مدبر لهما سواه وان جعلت في السموات خبرا بعد خبر فيكون التقدير وهو الله وهو في السموات
وفي الارض بمعنى انه في كل مكان فلا يكون الى مكان اقرب منه الى مكان ثم اخبر تعالى عن هذا المعنى مبينا لذلك مؤكدا
له بقوله تعالى يعلم سركم وجهركم اي الخفي المكتوم والظاهر المكشوف منكم ويعلم ما تكسبون والمعنى يعلم نياتكم واحوالكم
واعمالكم وهذا الذي ذكرته في معاني هذه الآية التي استنبطها من وجوه الاعراب ما لم اسبق اليه وهو في انه سبقامة
فصول ومطابقة لاصول الدين لحصوله كما يراه لا غبار عليه وفيها دلالة على فساد قول من يقول ان الله تعالى في مكان
دون مكان تعالى الله عن ذلك وتقدس وفي قوله يعلم سركم وجهركم دلالة على انه عالم لنفسه لان من كان عالما بعلم

لا يصح ذلك منه قوله عز وجل وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين فقد كذبوا بالحق لما جاءهم
فسوف يأتيهم انباء ما كانوا به يستهزؤن آيتان الاعراب من الاولى مزيدة وهي التي تقع في النفي للاستغراق
الجنس وموضعه رفع والثانية للتبعيض المعنى ثم اخبر سبحانه عن الكفار المذكورين في اول الآية فقال وما يأتيهم
من آية اي لا يأتيهم حجة من ايات ربهم اي من حججه وبيناته كانشقاق القمر وآيات القرآن وغير ذلك من المعجزات الا كانوا
عنها معرضين لا يقبلونها ولا يستدلون بها على ما دلهم الله عليه من توحيده وصدق رسوله فقد كذبوا بالحق الذي
اتاهم به محمد صلى الله عليه وآله من القرآن وساير امور الدين فسوف يأتيهم انباء اي اخبار ما كانوا به يستهزؤن والمعنى
اخبار استهزائهم وجزاؤه وهو عقاب الآخرة وقيل معناه سيعلمون ما يؤول اليه استهزاؤهم عن ابن عباس والحسن
وبه قال الزجاج ومعنى الاستهزاء ايهام التفخيم في معنى التحقير قوله عز وجل الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم
في الارض ما لم نمكن لكم وارسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الانهار تجري من تحتهم فاهلكناهم بذنوبهم
وانشأنا من بعدهم قرنا آخرين آية اللغة القرن اهل كل عصر ماخوذ من اقترانهم في العصر قال الزجاج والقرن
ثمانون سنة وقيل سبعون قال والذي يقع عندي ان القرن اهل كل مدة كان فيها نبي او كان فيها طبقة
من اهل العلم قلت السنون او كثرت والدليل عليه قول النبي صلى الله عليه وآله خيركم قرني ثم الذين يلونهم
والتمكين اعطاء ما به يصح الفعل كائنا ما كان من آلة وغيرها والاقدار اعطاء القدرة خاصة ومفعال من اسماء
المبالغة يقال ديمة مدرار اذا كان مطرها غزيرا دارا وهذا كقولهم امرأة مذكار اذا كانت كثيرة الولادة للذكور
وكذلك مئناث في الاناث واصل المدرار من در اللبن اذا اقبل على الحالب منه شيء كثير ودرت السماء اذا امطرت
والدر اللبن ولله دره اي عمله وفي الذم لا در دره اي لا كثر خيره الاعراب كم نصب باهلكنا لا بقوله يروا
لان الاستفهام له صدر الكلام فلا يعمل فيه ما قبله وهو يعلق ومعنى التعليق ان الاستفهام ابطل عمل يرى في اللفظ
وقد عمل في معناه وانتقل من الخبر الى الخطاب في قوله ما لم نمكن لكم اتساعا في الكلام وقد قال مكناهم واعمال الفعل
ما لم نمكنكم لان العرب تقول مكنته ومكنت له كما تقول نصحته ونصحت له المعنى ثم حذرهم تعالى ما نزل بالامم
قبلهم فقال الم يروا اي الم يعلم هؤلاء الكفار كم اهلكنا من قبلهم من قرن اي من امة وكل طبقة مقترنين في وقت
قرن مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم معناه جعلناهم ملوكا واغنياء كانه تعالى اخبر النبي صلى الله عليه وآله عنهم في
صدر الكلام ثم خاطبه معهم وقال ابن عباس يريد اعطيناهم ما لم نعطكم والمعنى وسعنا عليهم في كثرة العبيد والاموال
والولاية والبسطة وطول العمر ونفاذ الامر وانتم تسمعون اخبارهم وترون ديارهم وآثارهم وارسلنا السماء عليهم مدرارا
قال ابن عباس يريد بالغيث والبركة والسماء ومعناه المطر ههنا وجعلنا الانهار اي ماء الانهار تجري من تحتهم فاهلكناهم
بذنوبهم ولم يغن ذلك عنهم شيئا لما طغوا واجترؤا علينا وانشأنا من بعدهم قرنا آخرين اي خلقنا من بعد هلاكهم
جماعة اخرى وفي هذه الآية دلالة على وجوب التفكر والتدبر واحتجاج على منكري البعث بان من اهلك من قبلهم
وانشأ قوما آخرين قادر على ان يفني العالم وينشئ عالما آخر ويعيد الخلق بعد الافناء قوله عز وجل ولو نزلنا عليك كتابا
في قرطاس فلمسوه بايديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين آية النزول نزلت في النضر بن الحرث وعبد الله
بن ابي امية ونوفل بن خويلد قالوا يا محمد لن نؤمن لك حتى تأتينا بكتاب من عند الله ومعه اربعة من الملائكة
يشهدون عليه انه من عند الله وانك رسوله عن الكلبي المعنى ثم اخبر الله تعالى عن عنادهم فقال ولو نزلنا عليك
يا محمد كتابا في قرطاس اي كتابة في صحيفة واراد بالكتاب المصدر والقرطاس الصحيفة وقيل كتابا معلقا من السماء الى
الارض عن ابن عباس فلمسوه بايديهم اي فعاينوا ذلك معاينة ومسوه بايديهم عن قتادة وغيره قالوا واللمس باليد ابلغ
في الاحساس من المعاينة ولذلك قالوا فلمسوه بايديهم دون ان تقول فعاينوه لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر اي ما هذا

منهم مد نعوت الدليل حتى لو اتاهم الدليل مدركا بالحس لنسبوا ذلك الى السحر لعظم عنادهم وقساوة قلوبهم وفي هذه الآية دلالة
على ما نقوله اهل العدل في اللطف لانه تعالى بين انه انما لم يفعل ما سالوه حيث علم انهم لا يؤمنون عنده قوله عز وجل وقالوا لولا
انزل عليه ملك ولو انزلنا ملكا لقضي الامر ثم لا ينظرون ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما
يلبسون ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون ثلث ايات اللغة قال
الزجاج معنى قضي في اللغة على ضروب كلها ترجع الى معنى انقطاع الشيء وتمامه وقد ذكرنا معاني القضاء في سورة البقرة
عند قوله اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون يقال لبست الامر على القوم البسه لبسا اذا اشبهته عليهم وجعلته مشكلا قال
ابن السكيت يقال لبست عليه الامر اذا خلطته عليه حتى لا يعرف جهته ومعنى اللبس منع النفس من ادراك الشيء بما هو كالستر
له فاصله من الستر بالثوب وهو لبس الثوب لانه يستر النفس يقال لبست الثوب البسه لبسا ولباسا والحيق ما يشتمل على
الانسان من مكروه فعله يقال حاق بهم يحيق حيقا وحيوقا وحيقانا بفتح الياء المعنى ثم اخبر سبحانه عن هؤلاء الكفرة انهم
قالوا لولا اي هلا انزلت عليه اي على محمد ملك نشاهده فنصدقه ثم اخبر تعالى عن عظم عنادهم فقال ولو انزلنا ملكا
على ما اقترحوه لما امنوا به واقتضت الحكمة استيصالهم وان لا ينظرهم ولا يمهلهم وذلك معنى قوله لقضي الامر ثم لا ينظرون
اي لاهلكوا بعذاب الاستيصال عن الحسن وقتادة والسدي وقيل معناه لو انزلنا ملكا في صورته لقامت الساعة او وجب
استيصالهم عن مجاهد ثم قال ولو جعلناه ملكا اي لو جعلنا الرسول ملكا او الذي ينزل عليه ليشهد بالرسالة كما يطلبون
ذلك ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا لانهم لا يستطيعون ان يروا الملك في صورته لان اعين الخلق تحار عن رؤية الملائكة
الا بعد التجسم بالاجسام الكثيفة ولذلك كانت الملائكة تاتي الانبياء في صورة الانس وكان جبرئيل عليه السلم ياتي النبي صلى الله عليه واله في
صورة دحية الكلبي وكذلك نبا الخصم اذ تسوروا المحراب واتاهم ابرهيم ولوطا في صورة الضيفان من الآدميين وللبسنا
عليهم ما يلبسون وقال الزجاج كانوا هم يلبسون في امر النبي صلى الله عليه واله فيقولون انما هذا بشر مثلكم قال فلو انزلنا ملكا
فراوا الملك رجلا لكان يلحقهم فيه من اللبس مثل ما لحق ضعفتهم منهم اي فانما طلبوا حال لبس لا حال بيان وهذا احتجاج عليهم
بان الذي طلبوه لا يزيدهم بيانا بل يكون الامر في ذلك على ما هم عليه من الحيرة وقيل معناه ولو انزلنا ملكا لما عرفوه الا بالتفكر
وهم لا يتفكرون فيبقون في اللبس الذي كانوا فيه واضاف اللبس الى نفسه لانه يقع عند انزاله الملائكة ثم قال تعالى على وجه
التسلية لنبيه عليه السلم من تكذيب المشركين اياه واستهزائهم به ولقد استهزئ برسل من قبلك يقول لقد استهزئ
الامم الماضية برسلها كما استهزا بك قومك فلست باول رسول استهزئ به ولا هم اول امة استهزات برسولها فحاق
بالذين سخروا منهم اي فحل بالساخرين منهم ما كانوا يستهزئون به من وعيد انبيائهم لهم بعاجل العقاب في الدنيا وقيل معنى
حاق بهم احاط بهم عن الضحاك وهو اختيار الزجاج اي احاط بهم العذاب الذي هو جزاء استهزائهم فهو من باب
حذف المضاف اذا جعلت ما في قوله ما كانوا به يستهزئون عبارة عن القرآن والشريعة وان جعلت ما عبارة عن العذاب
الذي كان يوعدهم به النبي ان لم يؤمنوا استغنيت عن تقدير حذف المضاف ويكون المعنى فحاق بهم العذاب الذي
كانوا يسخرون من وقوعه قوله تعالى قل سيروا في الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين قل لمن ما في السموات
والارض قل لله كتب على نفسه الرحمة ليجمعنكم الى يوم القيمة لا ريب فيه الذين خسروا انفسهم فهم لا يؤمنون وله ما
سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم ثلث ايات الاعراب قال الاخفش الذين خسروا انفسهم بدل من الكاف
والميم في ليجمعنكم وقال الزجاج هو في موضع رفع على الابتداء وخبره فهم لا يؤمنون لان ليجمعنكم مشتمل على ساير الخلق على الذين
خسروا انفسهم وغيرهم قال واللام في ليجمعنكم لام قسم فجايز ان يكون تمام الكلام كتب ربكم على نفسه الرحمة ثم استانف فقال
ليجمعنكم والمعنى والله ليجمعنكم وجايز ان يكون ليجمعنكم بدلا من الرحمة مفسرا لها لانه لما قال كتب على نفسه الرحمة فسر رحمته
بانه يمهلهم الى يوم القيمة ليتوبوا المعنى ثم خاطب نبيه عليه السلم فقال قل يا محمد لهؤلاء الكفار سيروا في الارض اي سافروا فيها

ثم انظروا والنظر طلب الادراك بالبصر والفكر والاستدلال ومعناه هنا فانظروا بابصاركم وتفكروا بقلوبكم كيف
كان عاقبة المكذبين المستهزئين وانما امرهم بذلك لان ديار المكذبين من الامم السالفة كانت باقية واخبارهم في
الخسف والهلاك كانت متتابعة فاذا سافروا الى ديار هؤلاء في الارض وسمعوا اخبارهم وعاينوا اثارهم دعاهم ذلك الى الايمان
وزجرهم عن الكفر والطغيان ثم قال قل يا محمد لهؤلاء الكفار لمن ما في السموات والارض الله الذي خلقهما ام للاصنام
فان اجابوك فقالوا لله والا فقل انت لله اي ملكهما وخلقهما والتصرف فيهما كيف يشاء له كتب على نفسه الرحمة اي اوجب
على نفسه الانعام على خلقه وقيل معناه اوجب على نفسه الثواب لمن اطاعه وقيل اوجب على نفسه الرحمة بانظاره عباده
وامهاله اياهم ليتداركوا فيه ما فرطوا فيتوبوا عن معاصيهم وقيل اوجب على نفسه الرحمة لامة محمد بانه لا يعذبهم عند
التكذيب كما عذب من قبلهم من الامم الماضية والقرون الخالية عند التكذيب بل يؤخرهم الى يوم القيمة عن الكلبي
ليجمعنكم الى يوم القيمة اي ليؤخرن جمعكم الى يوم القيمة فيكون تفسيرا للرحمة على ما ذكرنا ان المراد به امهال العاصي ليتوب
وقيل ان هذا احتجاج على من انكر البعث والنشور يقول ليجمعنكم الى اليوم الذي انكرتموه كما تقول جمعت هؤلاء الى هؤلاء
اي ضممت بينهم في الجمع يريد ليجمع اخركم الى اولكم قرنا بعد قرن الى يوم القيمة وهو الذي لا ريب فيه وقيل معناه ليجمعن
هؤلاء المشركين الذين خسروا انفسهم الى هذا اليوم الذي يجحدونه ويكفرون به عن الاخفش ويسال عن هذا فيقال
كيف يحذر المشركين بالبعث وهم لا يصدقون والجواب انه جار مجرى الالزام وايضا فانه تعالى انما ذكر ذلك عقيب الدليل
ويقال كيف نفى الريب مطلقا فقال لا ريب فيه والكافر يرتاب فيه والجواب ان الحق حق وان ارتاب فيه المبطل وايضا فان
الدلائل تزيل الشك والريب قال نعم الدنيا تعم المحسن والمسيء فلا بد من دار يتميز فيها المحسن من المسيء وايضا فقد صح
ان التكليف تعريض للثواب واذا لم يمكن ايصال الثواب في الدنيا لان من شانه ان يكون صافيا من الشوائب فلا يكون
مقرونا بالتكليف لان التكليف لا يعرى من المشقة فلا بد من دار اخرى وايضا فان التمكين من الظلم من غير انتصاف في
العاجل وانزال الامراض من غير استحقاق ولا ايفاء عوض في العاجل يوجب في قضية العقل في ذلك ان يكون دار اخرى
يوفى فيها الاعواض وينتصف للمظلوم من الظالم الذين خسروا انفسهم اي اهلكوها بارتكاب الكفر والعناد فهم لا يؤمنون
اي لا يصدقون بالحق ولما ذكر تعالى ملك السموات والارض عقبه بذكر ما فيهما فقال وله ما سكن اي له كل متمكن
ساكن في الليل والنهار خلقا وملكا وانما ذكر الليل والنهار هنا وذكر السموات والارض فيما قبل لان الاول يجمع المكان
والثاني يجمع الزمان وهما ظرفان لكل موجود فكانه اراد الاجسام والاعراض وعلى هذا فلا يكون السكون في الاية ما
هو خلاف الحركة بل المراد به الحلول كما قال ابن الاعرابي انه من قولهم فلان يسكن بلد كذا اي يحله وهذا موافق
لقول ابن عباس وله ما استقر في الليل والنهار من خلق وقيل معناه ما سكن في الليل للاستراحة وتحرك في النهار
للمعيشة وانما ذكر الساكن دون المتحرك لانه اعم واكثر ولان عاقبة التحرك السكون ولان النعمة في السكون اكثر والراحة
فيه اعم وقيل اراد بالساكن والمتحرك وتقديره وله ما سكن وتحرك الا ان العرب قد تذكر احد وجهي الشيء وتحذف الاخر
لان المذكور ينبه على المحذوف كقوله سرابيل تقيكم الحر والمراد الحر والبرد ومتى قيل لما ذا خص ذكر الحركة والسكون من بين
ساير المخلوقات المذكورة فالجواب ما في ذلك من التنبيه على حدوث العالم واثبات الصانع لان كل جسم لا ينفك من الحوادث التي هي
الحركة والسكون فاذا لا بد من محرك ومسكن لاستواء الوجهين في الجواز فلما نبه على اثبات الصانع عقبه بذكر صفته
فقال وهو السميع العليم والسميع هو الذي على صفة يصح لاجلها ان يسمع المسموعات اذا وجدت وهو كونه حيا لا افة به
ولذلك يوصف به فيما لم يزل والعليم هو العالم بوجوه التدابير لانه ليس يخرج منها شيء تجمع كل الاشياء بهذا اللفظ القليل
الحروف وهذا من افصح ما يمكن كما قال النابغة فانك كالليل الذي هو مدركي وان خلت ان المنتاى عنك واسع فجعل الليل
مدركا له اذ كان مشتملا عليه قوله عز وجل قل اغير الله اتخذ وليا فاطر السموات والارض وهو يطعم ولا يطعم قل اني امرت ان

أكون أول من أسلم ولا تكونن من المشركين قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم آيتان القراءة روي في الشواذ
قراءة عكرمة والأعمش فلا يطعم بفتح الياء ومعناه ولا يأكل اللغة الفطرة ابتداء الخلقة قال ابن عباس ما كنت أدري ما معنى الفاطر
حتى احتكم إلي أعرابيان في بئر فقال أحدهما أنا فطرتها أي ابتدأت حفرها وأصل الفطر الشق ومنه إذا السماء انفطرت أي انشقت
قال الزجاج فإن قال قائل كيف يكون الفطر في معنى الخلق والانفطار في معنى الانشقاق قيل إنهما يرجعان إلى شيء واحد
لأن معنى فطرها خلقها خلقا قاطعا الإعراب غير نصب لأنه مفعول أتخذ ووليا مفعول ثان وقوله إن عصيت ربي فيه
وجهان أحدهما أنه اعتراض بين الكلام كما يكون الاعتراض بالأقسام فعلى هذا لا موضع له من الإعراب والآخر أنه في موضع
نصب على الحال فكأنه قيل إني أخاف عاصيا ربي عذاب يوم عظيم ويكون جواب الشرط محذوفا على الوجهين جميعا النزول
قيل إن أهل مكة قالوا لرسول الله يا محمد تركت ملة قومك وقد علمنا أنه لا يحملك على ذلك إلا الفقر فإنا نجمع لك من أموالنا
حتى تكون من أغنانا فنزلت هذه الآية المعنى قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين سبق ذكرهم أغير الله أتخذ وليا أي مالكا ومولى
والولي المالك الذي هو أولى به من غيره والمعنى لا أتخذ غير الله وليا إلا أن إخراجه على لفظ الاستفهام أبلغ من سائر
ألفاظ النفي فاطر السموات والأرض أي خالقهما ومنشئهما من غير احتذاء على مثال وهو يطعم ولا يطعم أي يرزق
ولا يرزق والمراد يرزق الخلق ولا يرزقه أحد وقيل إنما ذكر الإطعام لأن حاجة العباد إليه أشد ولأن نفيه
عن الله أدل على نفي شبهه بالمخلوقين لأن الحاجة إلى الطعام لا تجوز إلا على الأجسام واحتج تعالى بهذا على الكفار لأن
من خلق السموات والأرض وأنشأ ما فيهما وأحكم تدبيرهما وأطعم من فيهما وهم فقراء إليه معلوم أنه الذي ليس
كمثله شيء وهو القادر القاهر الغني الحي فلا يجوز لمن عرف ذلك أن يعبد غيره قل يا محمد إني أمرت أي أمرني ربي أن أكون
أول من أسلم لأمر الله ورضي بحكمه وقيل معناه أمرت أن أكون أول من أخلص العبادة من أهل هذا الزمان
عن الكلبي ح وقيل أول من أسلم من أمتي وأول من بعد الفترة عن الحسن وإنما كان أول لأنه خص بالوحي وقيل معناه أن
أكون من خضع وآمن وعرف الحق من قومي وأن أول ما هم عليه من الشرك ونظيره قول موسى سبحانك تبت إليك
وأنا أول المؤمنين أي بأنك لا ترى ممن سألك أن يريه نفسك وقول السحرة إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا
أن كنا أول المؤمنين بأن هذا ليس بسحر وأنه الحق أي أول المؤمنين من السحرة ولا تكونن من المشركين المعنى أمرت
بالأمرين جميعا أي أمرت بالإيمان ونهيت عن الشرك وتقديره وقيل لي لا تكونن من المشركين وصار الحرف بدلا من ذلك
لأنه حين قال أمرت أخبر أنه قيل له ذلك فقوله ولا تكونن معطوف على ما قبله في المعنى قل يا محمد إني أخاف قيل معناه أوقن وأعلم
وقيل هو من الخوف إن عصيت ربي بترك الهجرة وترك نهيه وقيل بعبادة غيره وقيل باتخاذ غيره وليا عذاب يوم عظيم
يعني يوم القيمة ومعنى العظيم هنا أنه شديد على العباد وعظيم في قلوبهم قوله عز وجل من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه وذلك
الفوز المبين آية القراءة قرأ حمزة والكسائي وخلف ويعقوب وأبو بكر عن عاصم من يصرف بفتح الياء وكسر
الراء وقرأ الباقون يصرف بضم الياء وفتح الراء الحجة قال أبو علي فاعل يصرف الضمير العائد إلى ربي وينبغي أن يكون حذف
الضمير العائد إلى العذاب والمعنى من يصرفه عنه وكذلك هو في قراءة أبي فيما زعموا وليس حذف هذا الضمير بالسهل
وليس بمنزلة الضمير الذي يحذف من الصلة لأن من جزاء ولا يكون صلة على أن الضمير إنما يحذف من الصلة إذا عاد
إلى الموصول نحو هذا الذي بعث الله رسولا وسلام على عباده الذين اصطفى أي بعثه واصطفاهم ولا يعود الضمير المحذوف
هنا إلى موصول لأن من التي للجزاء إنما يرجع إلى العذاب في قوله عذاب يوم عظيم وليس هذا بمنزلة قوله والحافظين فروجهم
والحافظات لأن هذا فعل واحد قد تكرر وعدي الأول منهما إلى المفعول فعلم بتعديته الأول والثاني بمنزلته وأما قراءة
من قرأ يصرف فالمسند إليه الفعل المبني للمفعول ضمير العذاب المتقدم ذكره والذكر العائد إلى المبتدأ الذي هو من في القراءتين
جميعا الضمير الذي في عنه ومما يقوي قراءة من قرأ يصرف بفتح الياء أن ما بعده من قوله فقد رحمه مسند إلى ضمير اسم الله تعالى

فقد اتفق الفعلان في الإسناد إلى هذا الضمير ومما يقوي ذلك أيضا أن الهاء المحذوفة من يصرفه لما كانت في حيز الجزاء وكان
ما في حيزه في أنه لا يتسلط على ما تقدمه بمنزلة ما في الصلة في أنه لا يجوز أن يتسلط على الموصول حسن حذف الهاء منه كما حسن
حذفها من الصلة المعنى من يصرف العذاب عنه يومئذ فقد رحمه الله يريد من عفا له فإنه يثيبه الله لا محالة وذكر تعالى
الرحمة مع صرف العذاب لئلا يتوهم أنه ليس له إلا صرف العذاب عنه فقط وذلك الفوز أي الظفر بالبغية المبين الظاهر البين
ويحتمل أن يكون معنى الآية أنه لا يصرف العذاب عن أحد إلا برحمة الله كما روي عن النبي صلى الله عليه وآله قال والذي نفسي
بيده ما من الناس أحد يدخل الجنة بعمله قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل
ووضع يده على فوق رأسه وطول بها صوته رواه الحسن في تفسيره قوله عز وجل وإن يمسسك الله بضر فلا
كاشف له إلا هو وإن يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير
آيتان المعنى ثم بين تعالى أنه المالك للنفع والضر إلا هو فقال وإن يمسسك الله بضر أي إن يصبك بفقر أو مرض
أو مكروه فلا كاشف له إلا هو أي لا مزيل ولا مفرج له عنه إلا هو ولا يملك كشفه سواه مما يعبده المشركون وإن يمسسك
بخير أي فإن يصبك بغنى أو سعة في الرزق أو صحة في البدن أو شيء من محاب الدنيا فهو على كل شيء من الخير والضر قدير
فلا يقدر أحد على دفع ما يريده لعباده من مكروه أو محبوب فإن قيل إن المس من صفات الأجسام فكيف قال إن يمسسك الله
قلنا الباء للتعدية والمراد إن أمسك الله ضرا أي جعل الضر يمسك فالفعل للضر وإن كان اسم جامع لكل ما ينتفع به وهو
القاهر ومعناه القادر على أن يقهر غيره فوق عباده ومعنى فوق هنا قهره واستعلاؤه عليهم فهم تحت تسخيره وتذليله
بما علاهم به من الاقتدار الذي لا ينفك عنه أحد ومثله قوله تعالى يد الله فوق أيديهم يريد أنه أقوى منهم وهو الحكيم
الخبير معناه أنه مع قدرته عليهم لا يفعل إلا ما تقتضيه الحكمة والخبير العالم بالشيء وتأويله أنه العالم بما يصح أن يخبر به والخبر
علمك بالشيء تقول لي به خبر أي علم وأصله من الخبر لأنه طريق من طرق العلم وإذا كان القاهر على ما ذكرناه بمعنى القادر صح
وصفه تعالى فيما لم يزل بأنه قاهر وقال بعضهم لا يسمى قاهرا إلا بعد أن يقهر غيره فعلى هذا يكون من صفات الأفعال
فلا يصح وصفه فيما لم يزل به قوله عز وجل قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم وأوحي إلي هذا القرآن
لأنذركم به ومن بلغ أئنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى قل لا أشهد قل إنما هو إله واحد وإنني بريء
مما تشركون الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون آيتان الإعراب
شهادة نصب على التمييز ومن بلغ في محل النصب بالإنذار والعائد إلى الموصول محذوف واسم كتب بالياء لأن الهمزة
التي قبلها همزة تخفف بأن تجعل بين بين فإذا كانت مكسورة تجعل بين الهمزة والياء فكتب بالياء الذين آتيناهم الكتاب
رفع بالابتداء ويعرفونه خبره الذين خسروا أنفسهم رفع بكونه نعتا للذين الأولى ويجوز أن يكون رفعا بالابتداء وقوله
فهم لا يؤمنون خبره النزول قال الكلبي أتى أهل مكة رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا أما وجد الله رسولا غيرك ما نرى
أحدا يصدقك فيما تقول ولقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا أنه ليس لك عندهم ذكر فأرنا من يشهد أنك
رسول الله كما تزعم فأنزل الله تعالى هذه الآية المعنى قل يا محمد لهؤلاء الكفار أي شيء أكبر أي أعظم شهادة وأصدق
حتى أشهد به وأدلكم به لك على أني صادق وقيل معناه أي شيء أكبر شهادة حتى يشهد لي بالبلاغ وعليكم بالتكذيب
عن الجبائي وقيل معناه أي شيء أعظم حجة وأصدق شهادة عن ابن عباس فإن قالوا الله وإلا فقل لهم الله شهيد بيني
وبينكم يشهد لي بالرسالة والنبوة وقيل يشهد لي بتبليغ الرسالة إليكم وتكذيبكم إياي وأوحي إلي هذا القرآن أي أنزل
إلي حجة وشهادة على صدقي لأنذركم به أي لأخوفكم به من عذاب الله تعالى ومن بلغ أي ولأخوف به من بلغه القرآن
إلى يوم القيمة وروى الحسن في تفسيره عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال من بلغه أني أدعو إلى أن لا إله إلا الله فقد بلغه
يعني بلغته الحجة وقامت عليه وقال محمد بن كعب من بلغه القرآن فكأنما رأى محمدا وسمع منه قال مجاهد حيث ما يأتي القرآن

فهو داع ونذير وقرأ هذه الآية وفي تفسير العياشي قال ابو جعفر وابو عبد الله عليه السلم معناه من بلغ ان يكون اماما من آل
محمد فهو ينذر بالقرآن كما انذر به رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى هذا فيكون قوله ومن بلغ في موضع رفع عطفا على الضمير
في انذروا وفي الآية دلالة على ان الله تعالى يجوز ان يسمى شيئا لان قوله قل اي شيء اكبر شهادة جاء جوابه قل الله ومعنى الشيء انه ما
يصح ان يعلم ويخبر عنه فالله تعالى شيء لا كالاشياء بمعنى انه معلوم لا كالمعلومات التي هي الجواهر والاعراض والاشتراك في
الاسم لا يوجب التماثل وفي قوله ومن بلغ دلالة على انه خاتم الانبياء ومبعوث الى الكافة ثم قال تعالى موبخا لهم قل يا محمد
لهم ائنكم لتشهدون ان مع الله آلهة اخرى هذا استفهام معناه الجحد والانكار وتقديره كيف تشهدون ان مع الله
آلهة اخرى بعد وضوح الادلة وقيام الحجة بوحدانية الله تعالى وانما قال اخرى ولم يقل آخر لان الآلهة جمع والجمع مؤنث
فهو كقوله ولله الاسماء الحسنى وقوله فما بال القرون الاولى ولم يقل الاول ثم قال تعالى لنبيه عم قل انت يا محمد لا اشهد
بمثل ذلك وان شهدتم باثبات الشريك لله بعد قيام الحجة بوحدانية الله تعالى والشاهد هو المبين لدعوى المدعي
ثم قال قل يا محمد لمن شهد ان معه آلهة اخرى انما هو اله واحد وانني بريء مما تشركون به وبعبادته من الاوثان وغيرها
ولهذا قال اهل العلم يستحب لمن اسلم ان ياتي بالشهادتين ويتبرأ من كل دين سوى الاسلام ثم ذكر تعالى ان الكفار
من جاهل ومعاند فقال الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وقد مر تفسيره في سورة البقرة الذين خسروا انفسهم
فهم لا يؤمنون مفسر في هذه السورة فان حملته على انه صفة للذين الاولى فالمعني به اهل الكتاب وان حملته على الابتداء
فانه يتناولهم وجميع الكفار وقال ابو حمزة الثمالي لما قدم النبي صلى الله عليه وآله المدينة قال عمر لعبد الله بن سلام ان
الله تعالى انزل على نبيه ان اهل الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم فكيف هذه المعرفة قال نعرف نبي الله بالنعت
الذي نعته الله اذا رأيناه فيكم كما يعرف احدنا ابنه اذا رآه بين الغلمان وايم الله الذي يحلف به ابن سلام لانا بمحمد
اشد معرفة مني بابني فقال له كيف قال عبد الله عرفته بما نعته الله في كتابنا فاشهد انه هو فاما ابني فاني لا ادري
ما احدثت امه فقال قد وفقت وصدقت واصبت قوله عز وجل ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب
بآياته انه لا يفلح الظالمون ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين اشركوا اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون آيتان
القراءة ويوم يحشرهم ثم يقول بالياء فيهما قراءة يعقوب وحده وكذلك في الفرقان وفي سبا وفي قرا في ساير
القرآن بالنون وقرأ حفص هنا وفي يونس بالنون وفي ساير القرآن بالياء وقرأ ابو جعفر وابن كثير في الفرقان بالياء
وفي ساير القرآن بالنون وقرأ الباقون في جميع القرآن بالنون الحجة من قرأ بالياء رده الى الله في قوله على الله كذبا ومن قرأ
بالنون ابتداء والياء في المعنى كالنون الاعراب ويوم نحشرهم العامل فيه محذوف وعلى معنى واذكر يوم نحشرهم وقيل انه معطوف
على محذوف كانه قيل لا يفلح الظالمون ابدا ويوم نحشرهم والعايد الى الموصول محذوف من الذين كنتم تزعمون وتقديره
تزعمون انهم شركاء وتزعمونهم انهم شركاء فحذف مفعولي الزعم لدلالة الكلام وحالة السؤال عليه المعنى ثم بين تعالى
ما يلزمهم من التوبيخ والتهجين بالاشتراك فقال ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا معناه ومن اكفر ممن يختلق على الله
كذبا فاشرك به الآلهة عن ابن عباس وهذا استفهام معناه الجحد فما احد اظلم منه لان جوابه كذلك فالتقى من الجواب
بما يدل عليه او كذب بآياته اي بالقرآن او بمحمد ومعجزته انه لا يفلح الظالمون اي لا يفوزون برحمة الله وثوابه ورضوانه
ولا بالنجاة من النار الظالمون والظالم هنا هو الكافر بنبوة محمد المكذب بآياته الجاحد لها بقوله ما نصب الله آية
على نبوة محمد ويوم نحشرهم جميعا يعني بهم من تقدم ذكرهم من الكفار لانه تعالى يحشرهم يوم القيمة من قبورهم الى موضع الحساب
ثم نقول للذين اشركوا اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون اختلف في وجه هذا السؤال فقيل ان المشركين اذا رأوا تجاوز
الله عن اهل التوحيد قال بعضهم لبعض اذا سئلتم فقولوا انا موحدون فلما جمعهم الله قال لهم اين شركاؤكم ليعلموا ان الله تعالى
يعرف انهم اشركوا به في دار الدنيا وانه لا ينفعهم الكتمان عن مقاتل وقيل ان المشركين كانوا يزعمون ان آلهتهم تشفع لهم عند الله

فقيل لهم يوم القيمة اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون انها تنفع لكم توبيخا لهم وتبكيتا على ما كانوا يدعونه عن اكثر المفسرين
وانما اضاف الشركاء اليهم لانهم اتخذوها لانفسهم ومعنى تزعمون تكذبون قال ابن عباس وكل زعم في كتاب الله كذب وفي
هذه الآية دلالة واضحة على بطلان الجبر وعلى اثبات المعاد وحشر جميع الخلق قوله تعالى ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله
ربنا ما كنا مشركين انظر كيف كذبوا على انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون آيتان القراءة قرأ اهل المدينة وابو عمرو وابو بكر
عن عاصم وخلف لم تكن فتنتهم بالتاء فتنتهم بالنصب وقرأ ابن كثير وابن عامر وحفص عن عاصم ثم لم تكن بالتاء الا فتنتهم
بالرفع وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب ثم لم يكن بالياء فتنتهم بالنصب وقرأ حمزة والكسائي وخلف والله ربنا بالنصب وقرأ
الباقون ربنا بالجر الحجة من قرأ تكن بالتاء فتنتهم بالنصب فانه انث ان قالوا لما كان الفتنة في المعنى كما قال فله عشر امثالها
فانث الامثال لما كانت في المعنى الحسنات ومما جاء في الشعر قول لبيد فمضى وقدمها وكانت عادة منه اذا هي عردت
اقدامها فانث الاقدام لما كانت العادة في المعنى قال الزجاج ويجوز ان يكون تاويل ان قالوا الا مقالتهم ومن قرأ تكن
بالتاء فتنتهم رفعا انث علامة التانيث في الفعل المسند الى الفتنة والفتنة مؤنثة وعلى هذه القراءة تكون قولهم ان
قالوا في موضع نصب بكونه خبر كان ومن قرأ لم يكن بالياء فتنتهم نصبا فعلى ان قوله ان قالوا اسم كان والاولى والاقوى
ان تكون فتنتهم نصبا وان قالوا الاسم لان ان اذا وصلت لم توصف فاشبهت بامتناع وصفها المضمر فكما ان المضمر اذا
كان مع المظهر كان ان يكون المضمر الاسم احسن فكذلك ان اذا كانت مع اسم غيرها كانت ان يكون الاسم اولى واما من
قرأ والله ربنا فانه جعل الاسم المضاف وصفا للمفرد ومثل ذلك رأيت زيدا صاحبنا وقوله ما كنا مشركين جواب
القسم ومن قرأ ربنا بالنصب فعلى فصل الاسم المنادى بين القسم والمقسم عليه والفصل به لا يمتنع وقد فصل بالنداء بين
الصلة والموصول لكثرة النداء في الكلام وذلك مثل قول الشاعر ذاك الذي وابيك تعرف مالك والحق يدفع
ترهات الباطل ويجوز ان يكون نصبه على المدح بمعنى اعني ربنا واذكر ربنا اللغة الازهري جماع الفتنة في كلام
العرب الامتحان ماخوذ من قولك فتنت الذهب والفضة اذا اذبتهما بالنار وقد فتن الرجل بالمرأة
وافتتن وقد فتنته المرأة وافتنته وقال الشاعر لئن فتنتني لهي بالامس افتنت سعيدا فامسى قد قلى كل مسلم
في كيف قوله كذبوا ولا يجوز ان يعمل فيه انظر لان الاستفهام له صدر الكلام فلا يجوز ان يعمل فيه ما قبله المعنى ثم بين
تعالى جواب القوم عند توجه التوبيخ اليهم فقال ثم لم تكن فتنتهم اختلف في معنى الفتنة هنا على وجوه احدها
ان معناها لم تكن جوابهم لانهم حين سئلوا واختبر ما عندهم بالسؤال لم يكن الجواب عن ذلك الا الجحد الا هذا
القول وثانيها ان المراد لم تكن معذرتهم الا ان قالوا عن ابن عباس وقتادة وهو المروي عن ابي عبد الله عليه السلم
وهذا راجع الى معنى الجواب ايضا وثالثها ما قاله الزجاج ان تاويله حسن لطيف لا يعرفه الا من عرف معاني الكلام وتصرف
العرب الكلام في ذلك والله تعالى ذكر في هذه الاقاصيص التي جرت امر المشركين وانهم مفتونون بشركهم ثم اعلم انه لم تكن
افتتانهم بشركهم واقامتهم عليه الا ان تبرأوا واقسموا منه فحلفوا انهم ما كانوا مشركين ومثل ذلك في اللغة ان ترى انسانا
يحب غاويا فاذا وقع في هلكة تبرأ منه فتقول له ما كانت محبتك فلانا الا ان انتفيت منه فالفتنة هنا بمعنى الشرك والافتتان
بالاوثان ويؤيد ذلك ما رواه عطاء عن ابن عباس قال فتنتهم يريد شركهم في الدنيا وهذا القول في التاويل يرجع الى
حذف المضاف لان المعنى لم تكن عاقبة فتنتهم الا البراءة منها بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين وسال فيقال كيف يجوز ان
يكذبوا في الآخرة ويحلفوا على الكذب والدار ليست بدار تكليف وكل الناس ملجؤون فيها الى ترك القبيح لمشاهدة الحقايق
وزوال العوارض والشبه والشكوك ولمعرفتهم الله تعالى ضرورة والجواب ان معناه ما كنا مشركين في الدنيا عند انفسنا وفي
اعتقادنا وتقديرنا وذلك ان المشركين في الدنيا يعتقدون كونهم مصيبين فيحلفون على هذا في الآخرة فعلى هذا يكون
قولهم وحلفهم يقعان على وجه الصدق وقيل ايضا انهم انما يحلفون على ذلك لزوال عقولهم بما يلحقهم من الدهشة من اهوال يوم القيمة

ثم يرجع عقولهم فيقرون ويعترفون ويجوز ان يكونوا اشركهم في الدنيا بما يلحقهم من الدهشة عند مشاهدة تلك الاهوال
انظر المعنى يقول الله تعالى عند حلف هولاء انظر يا محمد كيف كذبوا على انفسهم وهذا وان كان لفظه لفظ الاستفهام فالمراد به التنبيه
على التعجب منهم ومعناه انظر الى الجاحدين عن اقرارهم كيف هو فانه لا يمكن النظر الى ما يوجد في الآخرة وانما كذبهم الله تعالى
في قولهم ولا نكتم وان كانوا صادقين عند انفسهم لان الكذب هو الاخبار بالشئ لا على ما هو به علم المخبر بذلك او لم يعلم فلما كان قولهم
ما كنا مشركين كذبا في الحقيقة جاز ان يقال كذبوا على انفسهم وقيل معناه انظر كيف كذبوا في الآخرة لانهم كانوا مشركين على الحقيقة
وان اعتقدوا انهم على الحق عن الجبائي وضل عنهم ما كانوا يفترون اي ضلت عنهم اوثانهم التي كانوا يعبدونها ويفترون الكذب
بقولهم لا شفعاؤنا عند الله غدا فقد ذهبت عنهم في الآخرة فلم يجدوها ولم ينتفعوا بها عن الحسن وقيل الانعام وكل ما يعبد
من دون الله تعالى انها تضل عن عابدها يوم القيمة ولا تغني عنهم شيئا واختلف اهل العدل في ان اهل الآخرة هل يجوز ان يقع
منهم الكذب فالاصح انه لا يجوز على ما قلناه وقال بعضهم يجوز ذلك لما يلحقهم من الدهشة والحيرة في القيمة فلما استقر اهل الجنة
في الجنة واهل النار في النار فحينئذ لا يجوز ان يقع منهم القبيح الكذب ويكون جميعهم ملجئين الى ترك القبيح وبه قال ابو بكر
بن الاخشيد واصحابه وقال بعضهم انه يجوز وقوعه عنهم على جميع قوله تعالى ومنهم من يستمع اليك وجعلنا على قلوبهم اكنة
ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا وان يروا كل آية لا يومنوا بها حتى اذا جاؤك يجادلونك يقول الذين كفروا
ان هذا الا اساطير الاولين آية اللغة الاكنة جمع كنان وهو ما وقى شيئا وستره مثل عنان واعنة قال الليث
كل شئ وقى شيئا فهو كنانه وكنه والفعل منه كننت واكننت والكنة امرأة الابن او الاخ لانها في كنه ويسكنون الرجل
من الحرف الكن استتروا الوقر الثقل في الاذن والوقر بكسر الواو الحمل قال ابو زيد وقرت اذنه توقر وقرا وقال الكسائي وقرت
اذنه فهي موقورة قال الشاعر وكلام سيئ قد وقرت اذني منه وما بي من صمم واساطير احدها اسطورة واسطارة ماخوذ
من سطر الكتاب وهو سطر وسطر فمن قال سطر جمعه اسطارا ومن قال سطر فجمعه في القليل اسطر والكثير سطور
قال روبة اني واسطار سطرن سطرا القايل يا نصر نصر نصرا وجمع اسطار اساطير وقال الزجاج وتاويل السطر في اللغة
ان يجعل شيئا ممتدا مولفا قال الاخفش اساطير جمع لا واحد له نحو ابابيل ومذاكير وقال بعضهم واحد الابابيل ابيل
بالتشديد وكسر الالف والجدال الخصومة سمي بذلك لشدته وقيل انه مشتق من الجدالة وهي الارض لان احدهما
يلقي صاحبه على الارض الاعراب ان يفقهوه موضعه نصب على انه مفعول له المعنى كراهة ان يفقهوه فلما حذف اللام
نصب الكراهية ولما حذفت الكراهية انتقل نصبها الى ان قال الزجاج يريد انه حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه
ويجادلونك في موضع الحال النزول قيل ان نفرا من مشركي مكة منهم النضر بن الحرث وابو سفيان بن حرب والوليد بن
المغيرة وعتبة بن ربيعة واخوه شيبة وغيرهم جلسوا الى رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يقرأ القرآن فقالوا للنضر ما يقول محمد فقال اساطير
الاولين مثل ما كنت احدثكم عن القرون الماضية فانزل الله هذه الآية المعنى ثم وصف الله تعالى حالهم عند استماع القرآن
قال ومنهم اي ومن الكفار والذين تقدم ذكرهم من يستمع اليك يريد يستمعون الى كلامك قال مجاهد يعني قريشا وجعلنا
على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا وقد ذكرنا الكلام فيه في سورة البقرة عند قوله ختم الله على قلوبهم وقال القاضي
ابو عاصم العامري اصح الاقوال فيه ما روي ان النبي صلى الله عليه وآله كان يصلي بالليل ويقرأ القرآن في الصلوة جهرا رجاء
ان يستمع الى قراءته انسان فيتدبر معانيه ويومن فكان المشركون اذا سمعوه آذوه ومنعوه عن الجهر بالقراءة فكان الله
تعالى يلقي عليهم النوم او يجعل في قلوبهم اكنة ليقطعهم عن مرادهم وذلك بعد ما بلغهم ما يقوم به الحجة وينقطع به المعذرة وبعد
ما علم الله تعالى انهم لا ينتفعون بسماعه ولا يومنون به فشبه القاء النوم عليهم بجعل الغطاء على قلوبهم وبوقر آذانهم لان ذلك
كان يمنعهم من التدبر كالوقر والغطاء وهذا في قوله واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يومنون بالآخرة حجابا
مستورا وهو قول ابي علي الجبائي ويحتمل ذلك وجها آخر وهو انه تعالى عاقب هولاء الكفار الذين علم انهم لا يومنون بعقو بات

يجعلها في قلوبهم تكون موانع من ان يفهموا ما يستمعونه ويحتمل ايضا ان يكون سمى الكفر الذي في قلوبهم كنا تشبيها ومجازا واعراضهم
عن تفهم القرآن وقرا تشبيها لان مع الكفر والاعراض لا يحصل الايمان والفهم كما لا يحصلون مع الكن والوقر ونسب ذلك
الى نفسه لانه الذي شبه احدهما بالآخر كما يقول احدنا لغيره اذا اثنى على انسان وذكر مناقبه جعلته فاضلا ونقيضه
اذا ذكر مقابحه وفسقه تقول جعلته فاسقا كما يقال جعل القاضي فلانا عدلا وكل ذلك يراد به الحكم عليه بذلك والابانة
عن حاله كما قال الشاعر جعلتني بخيلا كلا وربت مني اني لاسمح كفا منك في اللزب ومعناه سميتني بخيلا وان يروا كل آية
لا يومنوا بها يريد وان يروا كل عبرة لم يصدقوا بها عن ابن عباس وقيل معناه ان يروا كل علامة ومعجزة دالة على نبوتك
لا يومنوا بها لعنادهم عن الزجاج ولو اجري معنى الآية على ظاهرها لم يكن لهذا معنى لان من لا يمكنه ان يسمع ويفقه لا يجوز
ان يوصف بذلك وكان لا يصح ان يصفهم بانهم كذبوا بآياته وغفلوا عنها وهم ممنوعون عن ذلك الذي يزيل الاشكال
انه تعالى قال في وصف بعض الكفار واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا كان لم يسمعها الآية ولو كان في اذنيه وقر مانع عن
السماع مزيل للقدرة لكان لا معنى لقوله كان في اذنيه وقرا ولكان لا يستحق المذمة لانه لو لم يعط آلة السمع فكيف
يذم على ترك السمع حتى اذا جاؤك يجادلونك يعني بانهم اذا دخلوا عليك بالنهار يجيئون مخاصمين مجادلين وادين
عليك قولك ولم يجيبوا مجيء من يريد الرشاد والنظر في الدلالة على توحيد الله ونبوة نبيه يقول الذين كفروا ان هذا اي
ما هذا القرآن الا اساطير الاولين اي احاديث الاولين التي كانوا يسطرونها عن الضحاك وقيل معنى الاساطير الترهات
والبسابس مثل حديث رستم واسفنديار وغيره مما لا فايدة فيه ولا طائل تحته وقال بعضهم ان جدالهم هذا هو قولهم
وقيل هو مثل قولهم اتاكلون ما تقتلونه بايديكم ولا تاكلون مما قتله الله قوله عز وجل وهم ينهون عنه وينأون عنه وان يهلكون
الا انفسهم وما يشعرون آية اللغة النأي البعد يقال نأيت عنه انأى نأيا ومنه اعد النوى وهو الحاجز حول البيت
لئلا يدخله الماء المعنى ثم حكى عن الكفار الذين تقدم ذكرهم فقال وهم ينهون عنه وينأون عنه اي ينهون الناس عن اتباع
النبي صلى الله عليه وآله ويتباعدون عنه فرارا منه عن ابن عباس ومحمد بن الحنفية والحسن والسدي ومجاهد
واختاره الجبائي وقيل عني به ابا طالب بن عبد المطلب ومعناه يمنعون الناس عن اذى النبي عم ولا يتبعونه عن عطاء ومقاتل
وهذا لا يصح لان هذه الآية معطوفة على ما تقدمها وما تاخر عنها معطوف عليها وكلها في ذم الكفار المعاندين للنبي صلعم
هذا وقد ثبت اجماع اهل البيت عليهم السلام على ايمان ابي طالب واجماعهم حجة لانهم احد الثقلين اللذين امر النبي
صلى الله عليه وآله بالتمسك بهما ان تمسكتم بهما لن تضلوا ويدل على ذلك ايضا ما رواه ابن عمر ان ابا بكر جاء بابيه
ابي قحافة يوم الفتح الى رسول الله صلى الله عليه وآله فاسلم فقال الا تركت الشيخ فاتيه وكان اعمى فقال ابو بكر اردت ان يأجره الله تعالى
والذي بعثك بالحق لانا كنت باسلام ابي طالب اشد فرحا مني باسلام ابي التمس بذلك قرة عينك فقال صدقت
وروى الطبري باسناده ان روساء قريش لما رأوا ذب ابي طالب عن النبي صلى الله عليه وآله اجتمعوا اليه وقالوا جئناك بفتى قريش
جمالا وجودا وسماحة عمارة بن الوليد ندفعه اليك وتدفع الينا ابن اخيك الذي فرق جماعتنا وسفه احلامنا فنقتله فقال
ابو طالب ما انصفتموني تعطوني ابنكم فاغذوه واعطيكم ابني فتقتلونه بل فليات كل امرئ منكم بولده فاقتله وقال منعنا الرسول
رسول المليك ببيض تلألأ كلمع البروق اذود واحمي رسول المليك حماية حام عليه شفيق واقواله واشعاره المنبئة عن اسلامه
كثيرة مشهورة لا تحصى فمن ذلك قوله الم تعلموا انا وجدنا محمدا نبيا كموسى خط في اول الكتب اليس ابونا هاشم شد ازره واوصى
بنيه بالطعان وبالحرب وقوله من قصيدة وقالوا لاحمد انت امرؤ خلوف اللسان ضعيف السبب الا ان احمد قد جاءهم بحق
ولم ياتهم بالكذب وقوله في حديث الصحيفة وهو من معجزات النبي صلى الله عليه وآله وقد كان في امر الصحيفة عبرة متى ما يخبر
غائب القوم يعجب محا الله منها كفرهم وعقوقهم وما نقموا من ناطق الحق معرب وامسى ابن عبد الله فينا مصدقا على سخط من قومنا
غير معتب في قصيدته وقوله يحض اخاه حمزة على اتباع النبي صلى الله عليه وآله والصبر في طاعته صبرا ابا يعلى على دين احمد وكن مظهرا للدين

وقفت صابرا فقد سرني اذ قلت انك مومن فكن لرسول الله في الله ناصرا وقوله من قصيدة افتخر على نصر النبي محمد اما لعنه
بالقنا والقنابل وقوله يحض النجاشي على نصر النبي صلى الله عليه وآله تعلم مليك الحبش ان محمدا وزير لموسى والمسيح بن مريم
اتى بهدى مثل الذي اتيا به وكل بامر الله يهدي ويعصم وانكم تتلونه في كتابكم بصدق حديث لا حديث الترجم فلا تجعلوا
لله ندا واسلموا وان طريق الحق ليس بمظلم وقوله في وصيته وقد حضره الوفاة اوصي بنصر النبي الخير مشهده عليا ابني وشيخ القوم
عباسا وحمزة الاسد الحامي حقيقته وجعفرا ان تذودوا دونه الناسا كونوا فدى لكم امي وما ولدت في نصر احمد دون الناس
اتراسا في امثال لهذه الابيات مما هو موجود في قصائده المشهورة ووصاياه وخطبه يطول بها الكتاب على ان ابا طالب لم
عن النبي صلى الله عليه وآله قط بل كان يقرب منه ويخالطه ويقوم بنصرته فكيف يكون المعنى يقول وينأون عنه وان
يهلكون الا انفسهم وما يشعرون اي وما يعلمون اهلاكهم اياها بذلك قوله عز وجل ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا
يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا
عنه وانهم لكاذبون آيتان القراءة قرأ ولا نكذب ونكون بالنصب حفص عن عاصم وحمزة ويعقوب وقرأ ابن عامر
ونكون بالنصب وقرأ الباقون بالرفع فيهما الحجة قال ابو علي من رفع جاز فيه وجهان احدهما ان يكون معطوفا على نرد فنكون
قوله ولا نكذب ونكون داخلا في التمني دخول نرد فيه فعلى هذا تمنى الرد ولا نكذب والكون من المؤمنين ويحتمل الرفع
وجها اخر هو ان يقطعه من الاول فيكون التقدير يا ليتنا نرد ونحن لا نكذب ونكون وقال سيبويه هو على قولك فانا
لا نكذب كما يقول القائل دعني ولا اعود اي فاني ممن لا يعود فانما اسأل الترك وقد اوجب على نفسه ان لا يعود ترك او لم
ولم يرد ان يسالك ان يجمع له الترك وان لا يعود واحتج من نصب فقال ولا نكذب ونكون انه داخل في التمني لان التمني غير
موجب فهو كالاستفهام والامر والنهي في انتصاب ما بعد ذلك كله من الافعال اذا دخلت عليه الفاء والواو على تقدير ذكر المصدر
من الفعل الاول كانه في التمثيل ليتنا يكون لنا رد وانتفاء التكذيب والكون من المؤمنين ومن رفع فلا نكذب ونصب ونكون
فان الفعل الذي هو ولا نكذب يحتمل وجهين احدهما ان يكون داخلا في التمني فيكون المعنى كالنصب والآخر ان يخبر على البتات
ان لا يكذب رد او لم يرد ومن نصبهما جميعا جعلهما داخلين في التمني اللغة قال وقفت الدابة وقوفا ووقفت غيره نفقه
وقفا وحكي عن ابي عمرو انه اجاز ما اوقفك هاهنا مع اخباره انه لم يسمعه من العرب ويقال بدا يبدو بدوا اذا ظهر وفلان
ذو بدوات اذا بدا له الراي بعد الراي وبدا لي في هذا الامر بدا والبداء لا يجوز على الله تعالى لانه العالم بجميع المعلومات
لم يزل ولم يزال الاعراب ولو ترى جوابه محذوف وتقديره لرأيت امرا هائلا ونحوه قوله تعالى ولو ان قرآنا سيرت به
الجبال يريد لكان هذا القرآن وهذه الاجوبة انما تحذف لتعظيم الامر وتفخيمه ومثله قول امرء القيس وجدك لو شيء اتانا رسوله
سواك ولكن لم نجد لك مدفعا وتقديره ولو اتانا رسول غيرك لما اجبنا وتسال لم جاز ولو ترى اذ وقفوا واذ هي لما مضى
والجواب ان الخبر الصحيح وصدق المخبر به صادق نزله موضع المعنى ثم بين سبحانه ما ينال هؤلاء الكفار يوم القيمة من الحسرة والتمني
الرجعة فقال ولو ترى يا محمد او ايها السامع اذ وقفوا على النار فيحتمل ثلاثة اوجه احدها ان يكون المعنى عاينوا النار وجائز
ان يكونوا عليها وهي تحتهم قال الزجاج والاجود ان يكون معناه ادخلوها فعرفوا مقدار عذابها كما تقول في الكلام قد وقفت
على ما عند فلان تريد قد فهمته وتبينته وهذا وان كان لفظه المضي فالمراد به الاستقبال وانما جاز ذلك لان كل ما هو كائن
يوما مما لم يكن بعد فهو عند الله قد كان وانشد في مثله ستندم اذ يأتي عليك رعيلنا ارادعن جرارا عليك صواهله فوضع
اذ موضع اذا وقد يوضع ايضا اذا موضع اذ كما في قول الشاعر وندمان يزيد الكاس طيبا سقيت اذا تعرضت النجوم فقالوا اي
فقال الكفار حين عاينوا العذاب وندموا على ما فعلوا يا ليتنا نرد الى الدنيا ولا نكذب بآيات ربنا اي بكتب ربنا ورسله جميع
ما جاءنا من عنده ونكون من المؤمنين يعني من جملة المؤمنين بآيات الله بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل اختلف فيه على اقوال
احدها ان معناه بل بدا لبعضهم من بعض ما كان علماؤهم يخفون عن جهالهم وضعفائهم مما في كتبهم فبدا للضعفاء عنادهم وثانيها

ان المراد بل بدا لهم اعمالهم ما كانوا يخفونه فاظهره الله وشهدت به جوارحهم عن ابي روق وثالثها ان المعنى ظهر للذين
اتبعوا الغواة ما كان الغواة يخفونه عنهم من امر البعث والنشور لان المتصل بهذا قوله وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا الآية
عن الزجاج وهو قول الحسن ورابعها ان المراد بل بدا لهم وبال ما كانوا يخفونه من الكفر عن المبرد وكل هذه الاقوال المعنى ظهرت
فضيحتهم في الآخرة وتهتكت استارهم ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه من الكفر والتكذيب وانهم لكاذبون ويسال على هذا فيقال
ان التمني كيف يصح في التكذيب وانما يقع الكذب في الخبر والجواب ان من الناس من حمل الكلام كله على وجه التمني وصرف
الكذب الى غير الامر الذي تمنوه وقال ان معناه هم كاذبون فيما يخبرون به عن انفسهم في الدنيا من الاصابة واعتقاد الحق او
يكون المعنى انهم كاذبون ان خبروا عن انفسهم بانهم ان ردوا آمنوا وان كان ما حكي عنهم من التمني ليس بخبر وقد يجوز ان يحمل
على غير الكذب الحقيقي وبان يكون المراد انهم تمنوا ما لا سبيل اليه فكذب املهم وتمنيهم وهذا مشهور في كلام العرب
يقولون كذبك املك لمن تمنى ما لم يدرك وقال الشاعر كذبتم وبيت الله لا تنكحونها بني شاب قرناها تصر وتحلب
وقال آخر كذبتم وبيت الله لا تاخذونها مراغمة ما دام للسيف قائم والمراد ما ذكرناه من الخيبة في الامل والتمني فان قيل كيف
يجوز ان يتمنوا الرد الى الدنيا وقد علموا انهم لا يردون فالجواب عنه من وجوه احدها انا لا نعلم ان اهل الآخرة يعرفون
الله تعالى معرفة لا يخالجهم فيها الشك لما يشاهدونه من الآيات الملجئة لهم الى المعارف واما التوجع والتمني للخلاص
والدعاء للفرج فيجوز ان يقع منهم ذلك عن البلخي وثانيها ان التمني قد يجوز فيما يعلم انه لا يكون ولهذا قد يقع التمني
على ان لا يكون ما قد كان وان لا يكون فعل ما قد فعله وقضى وقته وثالثها انه لا مانع من ان يقع منهم التمني للرد
ولان يكونوا من المؤمنين عن الزجاج وفي الناس من جعل بعض الكلام تمنيا وبعضه اخبارا وعلق تكذيبهم بالخبر دون
ليتنا وهذا انما يتساق في قراءة من رفع ولا نكذب ونكون على معنى فانا لا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين
فيكونون قد اخبروا بما علم الله تعالى انهم فيه كاذبون وان لم يعلموا من انفسهم مثل ذلك فلهذا كذبهم وذكر ان ابا عمرو بن
استدل على قراءته بالرفع في الجميع بانه قوله انهم لكاذبون فيه دلالة على انهم اخبروا بذلك عن انفسهم ولم يتمنوه لان التمني
لا يقع فيه الكذب قوله عز وجل وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين ولو ترى اذ وقفوا على
ربهم قال اليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون آيتان المعنى ثم اخبر تعالى
عن الكفار الذين ذكرهم قبل هذه الآية وانكارهم البعث والنشور والحشر والحساب فقال وقالوا ان هي اي ما هي
الا حياتنا الدنيا يعنوا بذلك انه لا حيوة لنا في الآخرة وانما هي هذه التي حصلنا في الدنيا وما نحن بمبعوثين
اي لسنا بمبعوثين بعد الموت ثم خاطب نبيه عليه السلم فقال ولو ترى يا محمد اذ وقفوا على ربهم ليس يصح في هذه الآية شيء
من الوجوه التي ذكرناها في قوله ولو ترى اذ وقفوا على النار اولا . واحدها وهو ان المعنى عرفوا ربهم ضرورة كما تقول
وقفته على كلام فلان اي عرفته اياه وقيل ايضا ان المعنى وقفوا على ما وعدهم ربهم من العذاب الذي يفعل بالكفار والثواب
الذي يفعله بالمؤمنين في الآخرة وعرفوا صحة ما اخبرهم به من الحشر والثواب ويجوز ان يكون معنى حبسوا على ربهم ينتظرهم
ما يأمر به وخرج الكلام مخرج ما جرت به العادة من وقوف العبد بين يدي سيده لما في ذلك من الفصاحة والافصاح
بالمعنى والتنبيه على عظم الامر قال اي يقول الله تعالى لهم وجاء على لفظ الماضي لانه لتحققه كانه واقع وقيل معناه تقول
الملائكة لهم بامر الله تعالى اليس هذا بالحق كما قالت الرسل وهذا سؤال توبيخ وتقريع وهذا اشارة الى الجزاء والحساب
والبعث قالوا اي فيقول هؤلاء الكفار مقرين بذلك مذعنين له بلى هو حق وربنا فيذكرون ويؤكدون اعترافهم به قال الله
تعالى او الملك بامره فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون اي بكفركم وانما قال ذوقوا لانهم في كل حال يجدون ذلك
وجدان الذائق المذوق في شدة الاحساس من غير ان يصيروا الى حال من يشبع بالطعام في نقصان الادراك قوله تعالى
قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله حتى اذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها وهم يحملون اوزارهم على

على ظهورهم ألا ساء ما يزرون وما الحيوة الدنيا إلا لعب ولهو وللدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون
آيتان القراءة قرأ ابن عامر ولدار الآخرة بلام واحدة وجر الآخرة على الإضافة والباقون بلامين ورفع الآخرة وقرأ
أهل المدينة وابن ذكوان عن ابن عامر ويعقوب وسهل أفلا تعقلون بالتاء هنا وفي الأعراف ويوسف ويس ووافقهم
حفص إلا في يس وحماد ويحيى عن أبي بكر في يوسف وقرأ الباقون جميع ذلك بالياء الحجة من قرأ وللدار الآخرة فلأن الآخرة
صفة للدار يدل على ذلك قوله وللآخرة خير لك من الأولى وإن الدار الآخرة لهي الحيوان وتلك الدار الآخرة نجعلها ومن
أضاف دار إلى الآخرة فإنه لم يجعل الآخرة صفة للدار فإن الشيء لا يضاف إلى نفسه لكنه جعلها صفة للساعة فكأنه قال
ولدار الساعة الآخرة وجاز وصف الساعة بالآخرة كما وصف اليوم بالآخر في قوله وارجوا اليوم الآخر قال أبو علي
إنما حسن إضافة الدار إلى الآخرة ولم يقبح من حيث استقبح إقامة الصفة مقام الموصوف لأن الآخرة صارت كالأبطح
والأبرق ألا ترى أنه قد جاء وللآخرة خير لك من الأولى فاستعمل استعمال في أنها استعملت استعمال الأسماء قولهم ولم يكن
مثل الصفات التي لم تستعمل استعمال الأسماء ومثل الآخرة في أنها استعملت استعمال الأسماء قولهم الدنيا لما استعملت استعمال
الأسماء حسن أن لا يلحق لام التعريف في نحو قوله في سعي دنيا طال ما قد مدت فأما وجه القراءة بالياء في أفلا يعقلون فهو
أنه قد تقدم ذكر الغيبة في قوله للذين يتقون ووجه القراءة بالتاء أنه يصلح أن يكون خطابا بأسوجها إليهم ويصلح أن يراد الغيب
والمخاطبون فيغلب الخطاب كل شيء أتى فجاءة فقد بغت يقال بغته الأمر يبغته بغتة قال الشاعر ولكنهم بانوا ولم أخش بغتة وأقطع
شيء حين يفجؤك البغت والحسرة شدة الندم حتى يحسر النادم كما يحسر الذي تقوم به دابته في السفر البعيد والتفريط التقصير وأصله
التقديم فالإفراط التقديم في مجاوزة الحد والتفريط التقديم في العجز والتقصير والوزر الثقل في اللغة واشتقاقه من الوزر
وهو الجبل الذي يعتصم به وقيل وزير كأنه يعتصم الملك ومثله قوله تعالى واجعل لي وزيرا ويزرون يفعلون من وزر
يزر وزرا إذا أثم وقيل وزر فهو موزور إذا فعل به ذلك ومنه الحديث في النساء يتبعن جنازة فقيل لهن ارجعن موزورات
غير مأجورات والعامة تقول مازورات والعقل النهى والحجى متقاربة المعنى فالعقل الإمساك عن القبيح وقصر النفس وحبسها
على الحسن قال الأصمعي وبالدهناء خراء يقال لها معقلة قال ونراها سميت معقلة لأنها تمسك الماء كما يعقل الدواء البطن
والنهى لا يكون يخلو أن يكون مصدرا كالهدى أو جمعا كالظلم وهو في معنى ثبات وحبس ومنه النهي والتنهية للمكان
الذي ينتهي إليه الماء فيستنقع فيه لتسفله ويمنع ارتفاع ما حوله من أن يسيح على وجه الأرض والحجى أصله من الحجو وهو
من احتباس وتمكث قال فهن يعكفن به إذا حجا وحجيت بالشيء وتحجيت به يهمز ولا يهمز أي تمسكت عن الأزهري
قال أبو علي فكأن الحجى مصدر كالشبع ومن هذا الباب الحجيا اللغز لتمكث الذي يلقى عليه حتى يستخرجه الإعراب يقال
ما معنى الغاية في قوله إذا جاءتهم الساعة وما عامل الإعراب فيها والجواب أن معناها منتهى تكذيبهم الحسرة يوم القيمة
والعامل فيها كذبوا أي كذبوا إلى أن ظهرت الساعة بغتة فندموا حيث لا ينفعهم الندامة ويقال ما معنى دعاء الحسرة
وهي مما لا يعقل والجواب أن العرب إذا اجتهدت في المبالغة في الإخبار عن أمر عظيم تقع فيه جعلته نداء فلفظه لفظ
ما ينبه والمنبه غيره مثل قوله يا حسرة على العباد على ما فرطت في جنب الله ويا ويلتا أألد وهذا أبلغ من أن يقول أنا حسير
على التفريط قال الزجاج قال سيبويه إنك إذا قلت يا عجباه فكأنك قلت احضر ويقال يا عجب فإنه من أزمانك وتأويل
يا حسرتاه انتبهوا على أنا قد خسرنا فخرج مخرج النداء للحسرة والمعنى على النداء لغيرها تنبيها على عظم شأنها
وقيل إنها بمنزلة الاستغاثة فكأنه قيل يا حسرتنا تعالي فهذا أوانك كما يقال بالتعجب وقوله ساء ما يزرون تقديره
بئس الشيء شيء يزرونه وقد ذكرنا عمل نعم وبئس فيما مضى المعنى ثم أخبر تعالى عن هؤلاء الكفار فقال قد خسر الذين
كذبوا بلقاء الله يعني بلقاء ما وعد الله به من الثواب والعقاب وجعل لقاءهم لذلك لقاء له تعالى عن ابن عباس والحسن
وقيل المراد بلقاء الله جزاء الله كما يقال للميت لقي فلان عمله أي لقي جزاء عمله ونظيره إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما

وعده حتى إذا جاءتهم الساعة أي القيامة بغتة أي فجأة من غير أن علموا وقتها قالوا عند معاينة ذلك اليوم
وأهواله وتباين أحوال أهل الثواب والعقاب يا حسرتنا على ما فرطنا فيها أي على ما تركنا وضيعنا في الدنيا من تقديم
أعمال الآخرة عن ابن عباس وقيل إن الهاء يعود إلى الساعة عن الحسن ومعناه على ما فرطنا في العمل للساعة والتقدمة
لها وقيل إن الهاء يعود إلى الجنة أي في طلبها والعمل لها عن السدي ويدل عليه ما رواه الأعمش عن أبي صالح عن
أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وآله في هذه الآية قال يرى أهل النار منازلهم من الجنة فيقولون يا حسرتنا وقال محمد
بن جرير الهاء يعود إلى الصفقة لأنه لما ذكر الخسران دل على الصفقة ويجوز أن يكون الهاء يعود إلى معنى ما في قوله
ما فرطنا أي يا حسرتنا على الأعمال الصالحة التي فرطنا فيها فعلى هذا الوجه يكون ما موصولة بمعنى الذي وعلى الوجوه
المتقدمة يكون ما بمعنى المصدر ويكون تقديره على تفريطنا وهم يحملون أوزارهم أي أثقال ذنوبهم على ظهورهم
وقال ابن عباس يريد آثامهم وخطاياهم وقال قتادة والسدي إن المؤمن إذا خرج من قبره استقبله أحسن شيء صورة
وأطيبه ريحا فيقول أنا عملك الصالح طال ما ركبتك في الدنيا فاركبني أنت اليوم وذلك قوله وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم
وقال الزجاج هذا مثل جائز أن يكون جعل ما ينالهم من العذاب بمنزلة أثقل ما يحمل لأن الثقل كما يستعمل في الوزن
يستعمل في الحال أيضا كما يقال ثقل علي خطاب فلان ومعناه كرهت خطابه كراهة اشتدت علي فعلى هذا يكون المعنى
أنهم يقاسون عذاب آثامهم مقاساة تثقل عليهم ولا تزايلهم وإلى هذا أشار أمير المؤمنين ع تخففوا تلحقوا فإنما ينتظر أولكم
آخركم ألا ساء ما يزرون أي بئس الحمل حملهم عن ابن عباس وقيل معناه ساء ما ينالهم جزاء لذنوبهم وأعمالهم السيئة إذ كان
ذلك عذابا ونكالا ثم رد عليهم ما هي إلا حياتنا الدنيا وبين تعالى أن ما يتمتع به من الدنيا يزول ويبيد فقال وما الحيوة
الدنيا إلا لعب ولهو أي باطل وغرور إذ لم يجعل ذلك طريقا إلى الآخرة وإنما عنى بالحيوة الدنيا أعمال الدنيا لأن نفس الدنيا
لا توصف باللعب وما فيه رضا الله من عمل الآخرة لا يوصف به أيضا لأن اللعب ما لا يعقب نفعا واللهو ما يصرف من الجد إلى
الهزل وهذا إنما يتصور في المعاصي وقيل المراد باللعب واللهو أن الحيوة تنقضي وتفنى ولا تبقى فتكون لذة فانية
عن قريب كاللعب واللهو وللدار الآخرة وما فيها من أنواع النعيم والجنان خير للذين يتقون معاصي الله لأنها باقية
دائمة لا يزول عنهم نعيمها ولا يذهب عنهم سرورها أفلا يعقلون أن ذلك كما وصف فيزهدوا في شهوات الدنيا
ويرغبوا في نعيم الآخرة ويفعلوا ما يؤديهم إلى ذلك من الأعمال الصالحة وفي هذه الآية تسلية للفقراء لما حرموا من متاع
الدنيا وتقريع للأغنياء إذ ركنوا إلى حطامها ولم يعملوا لغيرها قوله تعالى قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون فإنهم
لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى
أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبإ المرسلين آيتان القراءة قرأ نافع ليحزنك بضم الياء وكسر الزاء
والباقون يحزنك بفتح الياء وضم الزاء وقرأ نافع والكسائي والأعشى عن أبي بكر لا يكذبونك خفيف وهو قراءة علي ع
والمروي عن جعفر الصادق عليه السلام والباقون يكذبونك بفتح الكاف والتشديد الحجة قال أبو علي قال سيبويه قالوا
حزن الرجل وحزنته وزعم الخليل أنك حيث تقول حزنته لم ترد أن تقول جعلته حزينا كما أنك حيث قلت أدخلته أردت
جعلته داخلا ولكنك أردت أن تقول جعلت فيه حزنا كما تقول كحلته جعلت فيه كحلا ودهنته جعلت فيه دهنا ولم ترد بفعلته
ههنا تعدي قوله حزن ولو أردت ذلك لقلت أحزنته ووجه نافع أنه أراد أن يعدي حزن فنقله بالهمزة والاستعمال في
حزنته أكثر منه في أحزنته فإلى كثرة الاستعمال ذهب عامة القراء وأما قوله لا يكذبونك فمن ثقل فهو من فعلته إذا نسبته
إلى الفعل مثل زنيته وفسقته نسبته إلى الزنا والفسق وقد جاء في هذا المعنى أفعلته قالوا أسقيته أي قلت له سقاك الله
قال ذو الرمة فأسقيه حتى كاد مما أبثه تكلمني أحجاره وملاعبه فيجوز على هذا أن يكون معنى القراءتين واحدا ويجوز أن
يكون لا يكذبونك أي لا يصادفونك كاذبا كما تقول أحمدته إذا أصبته محمودا ويدل على الوجه الأول قول الكميت فطائفة

قد اكفروني بحبكم وطائفة قالت مسيء ومذنب اى نسبتني الى الكفر قال احمد بن يحيى كان الكسائي حكى عن العرب اكذبت
الرجل اذا اخبرت انه جاء بكذب وكذبته اذا اخبرت انه كاذب المعنى ثم سلى نبيه عليه السلم على تكذيبهم اياه بعد اقامة
الحجة عليهم فقال قد نعلم نحن يا محمد انه ليحزنك الذي يقولون اي ما يقولون انك شاعر او مجنون واشباه ذلك فانهم
لا يكذبونك دخلت الفاء في انهم لان الكلام الاول يقتضيه كانه قيل اذا كان قد يحزنك قولهم فاعلم انهم لا يكذبونك واختلف
في معناه على وجوه احدها ان معناه لا يكذبونك بقلوبهم اعتقادا وان كانوا يظهرون بافواههم التكذيب عنادا وهو
قول اكثر المفسرين ابي صالح وقتادة والسدي وغيرهم قالوا يريد انهم يعلمون انك رسول ولكن يجحدون بعد المعرفة
ويشهد لهذا الوجه ما روى سلام بن مسكين عن ابي يزيد المدني ان رسول الله صلى الله عليه وآله لقي ابا جهل فصافحه
ابو جهل فقيل له في ذلك فقال والله اني لاعلم انه صادق ولكنا متى كنا تبعا لعبد مناف فانزل الله تعالى الآية وقال السدي
التقى اخنس بن شريق وابو جهل بن هشام فقال له يا ابا الحكم اخبرني عن محمد اصادق هو ام كاذب فانه ليس هنا احد غيري
وغيرك يسمع كلامنا فقال ابو جهل ويحك والله ان محمدا لصادق وما كذب قط ولكن اذا ذهب بنو قصي باللواء والحجابة
والسقاية والندوة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش وثانيها ان المعنى لا يكذبونك بحجة ولا يتمكنون من ابطال ما جئت
به ببرهان ويدل عليه ما روي عن علي عليه السلام انه كان يقرأ لا يكذبونك ويقول المراد بها انهم لا ياتون بحق هو احق من
حقك وثالثها ان المراد لا يصادفونك كاذبا تقول العرب قاتلناكم فما اجبناكم اي ما اصبناكم جبناء قال الاعشى
اثوى وقصر ليلة ليزودا فمضى واخلف من قتيلة موعدا اراد صادف منها خلفا للوعد وقال ذو الرمة تريك بياض
لباتها كقرن الشمس افتق ثم زالا اى وجد فتقا من السحاب ولا يختص هذا الوجه بالقراءة بالتخفيف دون
التشديد لان افعلت وفعلت يجوز ان في هذا الموضع وافعلت هو الاصل فيه ثم يشدد تاكيدا مثل اكرمت وكرمت
واعظمت وعظمت الا ان التخفيف اشبه بهذا الوجه ورابعها ان المراد لا ينسبونك الى الكذب فيما اتيت به لانك كنت
عندهم لسنا صادقا وانما يدفعون ما اتيت به ويقصدون التكذيب بآيات الله ويقوي هذا الوجه قوله ولكن
الظالمين بآيات الله يجحدون وقوله وكذب به قومك وهو الحق ولم يقل وكذبك قومك وما روي ان ابا جهل قال
للنبي عليه السلم ما نتهمك ولا نكذبك ولكنا نتهم الذي جئت به ونكذبه وخامسها ان المراد انهم لا يكذبونك بل يكذبوني
فان تكذيبك راجع الي ولست مختصا به لانك رسول فمن رد عليك فقد رد علي ومن كذبك فقد كذبني وذلك تسلية
منه تعالى للنبي صلى الله عليه وآله ولكن الظالمين بآيات الله اي بالقرآن والمعجزات يجحدون بغير حجة سفها وجهلا
وعنادا ودخلت الباء في بآيات الله والجحد يتعدى بغير الجار لان معناه هنا التكذيب اي يكذبون بآيات الله
وقال ابو علي الباء يتعلق بالظالمين والمعنى ولكن الظالمين برد آيات الله او انكار آيات الله يجحدون ما عرفوه من
صدقك وامانتك ومثل قوله تعالى وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها اي ظلموا بردها او الكفر بها ثم زاد تعالى
في تسلية نبيه عم بقوله ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا واوذوا اي صبروا على ما نالهم منهم من التكذيب
والاذى في اداء الرسالة حتى جاءهم نصرنا اياهم على المكذبين وهذا امر منه تعالى لنبيه بالصبر على كفار قومه الى ان ياتيه النصر
كما صبرت الانبياء ولا مبدل لكلمات الله معناه لا احد يقدر على تكذيب خبر الله على الحقيقة ولا على خلاف وعده لان
ما اخبر الله به ان يفعل بالكفار فلا بد من كونه لا محالة وما وعدك به من نصره فلا بد من حصوله لانه لا يجوز الكذب في
اخباره ولا الخلف في وعده وقال الكلبي وعكرمة يعني بكلمات الله الآيات التي وعد فيها نصر الانبياء كتب الله لاغلبن
انا ورسلي وقوله انهم لهم المنصورون ولقد جاءك من نبأ المرسلين اي خبرهم في القرآن كيف انجيناهم ونصرناهم على قومهم
قال الاخفش من هنا صلة كما تقول اصابنا من مطر اي مطر وقال غيره من النحويين لا يجوز ذلك لان من لا تزاد في
الواجب وانما تزاد في النفي ومن هنا للتبعيض وفاعل جاء مضمر يدل عليه المذكور وتقديره ولقد جاءك من نبأ

المرسلين نبأ فيكون المعنى انه اخبره عليه السلم ببعض اخبارهم على حسب ما علم من المصالح ويؤيد ذلك قوله منهم
من لم نقصص عليك قوله تعالى وان كان كبر عليك اعراضهم فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض او سلما
في السماء فتاتيهم بآية ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين انما يستجيب الذين يسمعون والموتى
يبعثهم الله ثم اليه يرجعون وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه قل ان الله قادر على ان ينزل آية ولكن اكثرهم
لا يعلمون اللغة النفق سرب في الارض له مخلص الى مكان آخر واصله الخروج ومنه المنافق لخروجه من الايمان
الى الكفر ومنه النفقة لخروجها من اليد والسلم الدرج وهو ماخوذ من السلامة وقال الزجاج لانه الذي يسلمك
الى مصعدك والاستجابة من الجوب وهو القطع وهل عندك جائبة خبر اي جوب البلاد والفرق بين يستجيب ويجيب
ان يستجيب فيه قبول لما دعي اليه وليس كذلك يجيب لانه يجوز ان يجيب بالمخالفة كما ان السائل يقول اتوافق في هذا
المذهب ام تخالف فيقول المجيب اخالف عن علي بن عيسى وقيل ان اجاب واستجاب بمعنى الاعراب جواب ان محذوف
وتقديره ان استطعت ذلك فافعل عن الفراء وانما يفعله العرب في كل موضع يعرف فيه معنى الجواب الا ترى انك تقول
لرجل ان استطعت ان تتصدق ان رايت ان تقوم معنا فيترك الجواب للمعرفة به فاذا قلت ان لم تقم فجزاه فلا بد
من الجواب لان معناه لا يعرف اذا طرح الجواب المعنى ثم بين تعالى ان هؤلاء الكفار لا يؤمنون فقال لنبيه
وان كان كبر اي عظم واشتد عليك اعراضهم وانصرافهم عن الايمان بك وقبول دينك وامتناعهم من اتباعك وتصديقك
فان استطعت اي قدرت وتهيا لك ان تبتغي اي تطلب وتتخذ نفقا في الارض اي سربا ومسلكا في جوف الارض او سلما
اي مصعدا في السماء ودرجا اليها فتاتيهم بآية اي بحجة تلجئهم الى الايمان وتجمعهم على ترك الكفر فافعل ذلك وقيل فتاتيهم بآية
افضل مما آتيناهم به فافعل عن ابن عباس يريد لان آية افضل واظهر من ذلك ولو شاء الله لجمعهم على الهدى بالالجاء وانما اخبر
عز اسمه عن كمال قدرته وانه لو شاء لالجاهم الى الايمان ولم يفعل ذلك لانه ينافي التكليف ويسقط استحقاق الثواب الذي
هو الغرض بالتكليف وليس في الآية انه تعالى لا يشاء منهم ان يؤمنوا مختارين او لا يشاء ان يفعل ما يؤمنون عنده
مختارين وانما نفى المشية لما يلجئهم الى الايمان ليبين ان الكفار لم يغلبوه بكفرهم فانه لو اراد ان يحول بينهم وبين الكفر لفعل
لكنه يريد ان يكون ايمانهم على الوجه الذي يستحق به الثواب ولا ينافي التكليف فلا تكونن من الجاهلين قيل معناه فلا تجزع
في مواطن الصبر فيقارب حالك حال الجاهلين بان تسلك سبيلهم عن الجبائي وقيل ان هذا نهي للجهل عنه اي لا تكن جاهلا
بعد ان اتاك العلم باحوالهم فانهم لا يؤمنون والمراد فلا تجزع ولا تتحسر لكفرهم ولاعراضهم عن الايمان وغلظ الخطاب تبعيدا
وزجرا عن هذه الحالة ثم بين تعالى الوجه الذي لاجله لا يجتمع هؤلاء الكفار على الايمان فقال انما يستجيب الذين يسمعون
ومعناه انما يستجيب الى الايمان بالله وما انزل اليك من يسمع كلامك ويصغي اليك والى ما تقرؤه عليه من القرآن ويتفكر
في آياتك فان من لم يتفكر ولم يستدل بالآيات بمنزلة من لم يسمع كما قيل لقد اسمعت لو ناديت حيا ولكن لا حياة لمن تنادي
وقال الآخر اصم عما ساءه سميع والموتى يبعثهم الله يريد ان الذين لا يصغون اليك من هؤلاء الكفار ولا يتدبرون فيما تقرؤه
عليهم وتبينه لهم من الآيات والحجج بمنزلة الموتى فكما ان الموتى لا يسمعون كلامك الى ان يبعثهم الله فكذلك فايأس من هؤلاء ان
يستجيبوا لك وتقديره انما يستجيب المؤمن السامع للحق فاما الكافر فهو بمنزلة الميت فلا يجيب الا ان يبعثه الله يوم القيمة فيلجئه
الى الايمان وقيل معناه انما يستجيب من كان قلبه حيا فاما من قلبه ميت فلا ثم وصف الموتى بانه يبعثهم الله ويحكم فيهم ثم اليه اي
الى حكمه يرجعون وقيل معناه يبعثهم الله من القبور ثم يرجعون الى موقف الحساب ثم عاد تعالى الى حكاية اقوال الكفار فقال
عاطفا على ما تقدم قالوا لولا انزل عليه آية من ربه هذا اخبار عن رؤساء قريش لما عجزوا عن معارضة ما اتى به من القرآن
اقترحوا عليه مثل آيات الاولين كعصا موسى وناقة ثمود فقال تعالى في موضع آخر اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب وقال هنا قل يا محمد
ان الله قادر على ان ينزل آية اي آية تجمعهم على الهدى عن الزجاج وقيل آية كما سألوها ولكن اكثرهم لا يعلمون ما في انزالها من وجوب

الاستيصال لهم اذا لم يومنوا عند نزولها وما في الاقتصار بهم على ما اوتوه من الآيات من المصلحة وقيل معناه ولكن
اكثرهم لا يعلمون ان في ما انزلنا من الآيات مقنعا وكفاية لمن نظر وتدبر وقد اعترضت الملحدة على المسلمين بهذه
الآية فقالوا انها تدل على ان الله تعالى لم ينزل على محمد آية اذ لو نزلها لذكرها عند سؤال المشركين اياها فيقال لهم قد بينا
انهم التمسوا آية مخصوصة وتلك لم يوتوها لان المصلحة منعت عن اتيانها وقد انزلت الآيات الدالة على نبوته من
القرآن وانه من المعجزات الباهرة التي شاهدوها ما لو نظروا فيها او في بعضها حق النظر لعرفوا صحة
نبوته وقد بين في آية اخرى انه لو انزل عليهم ما التمسوه لم يومنوا فقال ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة الى قوله ما كانوا ليومنوا
وفي موضع آخر وقالوا لولا انزل عليه آية من ربه قل انما الآيات عند الله يعني في قدرة الله ينزل منها ما يشاء فسقط
ما اعترضوا به قوله تعالى وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم ما فرطنا في الكتاب من
شيء ثم الى ربهم يحشرون والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات من يشا الله يضلله ومن يشا يجعله
على صراط مستقيم آيتان اللغة الدابة كل ما يدب من الحيوان واصله الصفة من دب يدب دبيبا اذا مشى مشيا فيه
تقارب خطو والدبوب والديبوب النمام وفي الحديث لا يدخل الجنة ديبوب ولا قلاع فالديبوب النمام لانه يدب
بالنميمة والقلاع الواشي بالرجل ليقتلعه قال الازهري تصغير الدابة دويبة الياء مخففة ومنها اشمام الكسر في الحديث
اكوماء صاحبه الحمل الاذيب بها كلاب الحوب اراد الادب فاظهر التضعيف وهو الكثير الوبر وقد دب يدب دببا والجناح احدى
ناحيتي الطائر التين يمكنه بهما من الطيران في الهواء واصل الجناح الميل الى ناحية الاعراب من مزيدة وتاويله وما دابة ويجوز في غير
القرآن ولا طائر بالرفع عطفا على موضع من دابة قوله من شيء من مزيدة ايضا وتفيد التعميم اي ما فرطنا شيئا ما صم وبكم كلاهما
خبر الذين كقولهم هذا حلو حامض ودخول الواو لا يمنع من ذلك فانه بمنزلة قولك صم بكم المعنى لما بين تعالى انه قادر على
ان ينزل آية عقبه بذكر ما يدل على كمال قدرته وحسن تدبيره وحكمته فقال وما من دابة في الارض اي ما من حيوان يمشي على
وجه الارض ولا طائر يطير بجناحيه جمع بهذين اللفظين جميع الحيوانات لانها لا تخلو ان يكون مما يطير بجناحيه او يدب وانما قال
بجناحيه وقد علم ان الطائر لا يطير الا بالجناح فالجواب ان هذا انما جاء للتوكيد ورفع اللبس لان القائل
قد يقول طر في حاجتي اي اسرع فيها وقال الشاعر قوم اذا الشر ابدى ناجذيه لهم طاروا اليه زرافات ووحدانا وانشد
سيبويه فطرت بمنصلي في يعملات دوامي الايد يخبطن السريحا وقيل وانما قال بجناحيه لان السمك يطير في الماء ولا اجنحة
لها وانما اخرج السمك عن الطائر لانه من دواب البحر وانما اراد تعالى ما في الارض وما في الجو الا امم اي اصناف مصنفة تعرف
باسماء يشتمل كل صنف على العدد الكثير عن مجاهد امثالكم قيل انه يريد اشباهكم في ابداع الله تعالى اياها وخلقه لها ودلالتها
على ان لها صانعا وقيل انما مثلت الامم من غير الناس بالناس في الحاجة الى مدبر يدبرهم في اغذيتهم واكلهم ولباسهم
ونومهم ويقظتهم وهدايتهم الى مراشدهم الى ما لا يحصى كثرة من احوالهم ومصالحهم وانهم يموتون ويحشرون وبين بهذا انه
لا يجوز للعباد ان يتعدوا في ظلم شيء منها فان الله خالقها والمنتصف لها في الكتاب من شيء اي ما تركنا وقيل معناه ما
قصرنا واختلف في معنى الكتاب على اقوال احدها انه يريد بالكتاب القرآن لانه ذكر جميع ما يحتاج اليه فيه من امور الدين
والدنيا اما مجملا او مفصلا والمجمل قد بينته على لسان نبيه وامرنا باتباعه في قوله ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا
وهذا مثل قوله تعالى ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء ويروى عن عبد الله بن مسعود انه قال ما لي لا العن من لعنه
الله في كتابه يعني الواشمة والمستوشمة والواصلة والمستوصلة فقرأت المرأة التي سمعت ذلك منه جميع القرآن ثم اتته وقالت
يا ابن ام عبد تلوت البارحة ما بين الدفتين فلم اجد فيه لعن الواشمة فقال لو تلوتيه لوجدتيه قال الله تعالى ما آتاكم الرسول
فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وان مما آتانا رسول الله صلى الله عليه وآله ان قال لعن الله الواشمة والمستوشمة وهذا قول اكثر
المفسرين وهذا القول اختيار البلخي وثانيها ان المراد بالكتاب هنا الكتاب الذي هو عند الله عز وجل المشتمل على ما كان ويكون

وهو اللوح المحفوظ وفيه آجال الحيوان وارزاقه وآثاره ليعلم ابن آدم ان عمله اولى بالاحصاء والاستقصاء عن الحسن
وثالثها ان المراد بالكتاب الاجل اي ما تركنا شيئا الا وقد اوجبنا له اجلا ثم يحشرون جميعا عن ابي مسلم وهذا الوجه
بعيد ثم الى ربهم يحشرون ومعناه يحشرون الى الله بعد موتهم يوم القيمة كما يحشر العباد فيعوض الله تعالى ما استحق العوض منها
وينتصف لبعضها من بعضها وفيما رووه عن ابي هريرة انه قال يحشر الله الخلق يوم القيمة البهائم والدواب والطير وكل شيء
فيبلغ من عدل الله يومئذ ان يأخذ للجماء من القرناء ثم يقول كوني ترابا فلذلك يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا وعن
ابي ذر قال بينا انا عند رسول الله اذ انتطحت عنزان فقال النبي صلى الله عليه وآله اتدرون فيما انتطحا فقالوا لا ندري
قال لكن الله يدري وسيقضي بينهما وعلى هذا فانما جعلت امثالنا في الحشر والاقتصاص واختاره الزجاج فقال يعني امثالكم
في انهم يبعثون ويؤيده قوله تعالى واذا الوحوش حشرت ومعنى الى ربهم الى حيث لا يملك النفع والضر الا الله تعالى اذ لم يمكن منهم كما مكن
في الدنيا واستدلت جماعة من اهل التناسخ بهذه الآية على ان البهائم والطيور مكلفة لقوله امم امثالكم وهذا باطل لانا
قد بينا انها من اي وجه يكون امثالنا ولو وجب حمل ذلك على العموم لوجب ان يكون امثالنا في كونها على مثل صورنا وهيآتنا
وخلقنا واخلاقنا وكيف يصح تكليف البهائم وهي غير عاقلة والتكليف لا يصح الا مع كمال العقل والذين كذبوا بآياتنا اي
بالقرآن وقيل بسائر الحجج والبينات صم وبكم قد بينا معناهما صم وبكم في الظلمات في الآخرة على الحقيقة عقابا لهم على كفرهم لانه ذكرهم
عند ذكر الحشر عن ابي علي الجبائي من يشاء الله يضلله هذا مجمل قد بينه في قوله وما يضل به الا الفاسقين ويضل الله الظالمين
والذين اهتدوا زادهم هدى يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلم والمعنى من يشاء الله يخذله بان يمنعه الطافه
وفوائده وذلك اذا واتر عليها الادلة واوضح له الحجة فاعرض عنها ولم ينعم النظر فيها ويجوز ان يريد من يشاء الله اضلاله
عن طريق الجنة ونيل ثوابها يضلله عنه ومن يشاء ان يرحمه ويهديه الى الجنة يجعله على الصراط الذي يسلكه المومنون الى
الجنة قوله عز وجل قل ارأيتكم ان اتاكم عذاب الله او اتتكم الساعة اغير الله تدعون ان كنتم صادقين بل اياه تدعون
فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وتنسون ما تشركون آيتان القراءة قرأ اهل المدينة ارايتكم وارايتم فارايت وشبه
ذلك بتخفيف الهمزة كل القرآن وقرأ الكسائي وحده اريتكم واريت واريتم كل القرآن بترك الهمزة وقرأ الباقون بالهمزة
في الجميع كل القرآن الحجة قال ابو علي من حقق الهمزة فوجه قراءته بين لانه فعلت من الرؤية فالهمزة عين الفعل ومن قرأ
بالف في كل القرآن بغير همز على مقدار ذوق الهمزة فانه يجعل الهمزة بين بين اي بين الالف والهمزة واما الكسائي فانه
حذف الهمزة حذفا الا ترى ان التخفيف القياسي فيها ان يجعل بين بين وهذا حذف الهمزة كما قالوا ويلمه وكما انشد
احمد بن يحيى ان لم اقاتل فالبسوني برقعا وكقول ابي الاسود يا ابا المغيرة رب امر معضل ومما جاء على ذلك قول الآخر
ارايت ان جئت به املودا مرجلا ويلبس البرودا ومما يقوي ذلك قول الشاعر ومن رأى مثل معدان بن يحيى اذا ما النسع
طال على المطيه ارايتكم الكاف فيه للخطاب مجردا ومعنى الاسم مخلوع منه لانه لو كان اسما لوجب ان يكون الاسم الذي بعد
في نحو قوله ارايتك هذا الذي كرمت علي وارايتك زيدا ما صنع هو الكاف في المعنى لان رايت يتعدى الى مفعولين يكون
الاول منهما هو الثاني في المعنى وقد علمنا انه ليس الكاف في المعنى واذا لم يكن اسما كان حرفا للخطاب مجردا من معنى الاسمية كالكاف
في ذلك وهنالك وكالتاء في انت واذا ثبت انه للخطاب فالتاء في ارايت لا يجوز ان يكون للخطاب لانه لا يجوز ان يلحق الكلمة
علامتان للخطاب كما لا يلحقها علامتان للتانيث ولا علامتان للاستفهام فلما لم يجز ذلك افردت التاء في جميع الاحوال
على لفظ واحد لان ما يلحق الكاف من معنى الخطاب يبين الفاعلين فيخصص التانيث من التذكير والتثنية من الجمع ولو لحق
علامة التانيث والجمع التاء لاجتمعت علامتان للخطاب كما يلحق التاء وما يلحق الكاف كان يؤدي الى ما لا نظير له فرفض
وهذا من كلام ابي علي الفارسي وجواب ان في قوله ان اتاكم عذاب الله الفعل الذي دخل عليه حرف الاستفهام كما تقول ان اتاك
زيد اتكرمه وموضع ان وجوابه نصب لانه في موضع مفعولي رايت وقوله ان كنتم صادقين فاخبروا من تدعون عند

نزول البلاء بكم المعنى ثم امر تعالى نبيه بمحاجة الكفار فقال قل يا محمد لهؤلاء ارايتكم ان اتيكم عذاب الله في الدنيا
كما نزل بالامم قبلكم مثل عاد وثمود او اتتكم الساعة اي القيمة وقال الزجاج اسم للوقت الذي تصعق فيه العباد واسم للوقت
الذي تبعث فيه العباد والمعنى ارايتكم الساعة التي وعدتم فيها بالبعث والفناء لان قبل البعث يموت الخلق كلهم اغير الله تدعون
اي تدعون فيها لكشف ذلك عنهم هذه الاوثان التي تعلمون انها لا تقدر ان تنفع انفسها ولا غيرها او تدعون الله الذي
هو خالقكم ومالككم لكشف ذلك عنكم ان كنتم صادقين في ان هذه الاوثان آلهة لكم احتج تعالى عليهم بما لا يدفعونه
لانهم كانوا اذا مسهم الضر دعوا الله ثم قال بل اياه تدعون بل استدراك وايجاب بعد نفي اعلمهم تعالى انهم اذا لحقتهم
الشدة في البحار والبراري والقفار يتضرعون اليه ويقبلون عليه والمعنى لا تدعون غيره بل تدعونه فيكشف ما تدعون اليه
ان شاء ان يكشف الضر الذي من اجله دعوتم ان شاء ان يكشفه وتنسون ما تشركون اي تتركون دعاء ما تشركون من
دون الله لانه ليس عندهم ضر ولا نفع عن ابن عباس ويكون العائد الى الموصول محذوفا على تقدير ما تشركون به وقيل
معناه انكم في ترككم دعائكم بمنزلة من قد نسيهم عن الزجاج وهو قول الحسن لانه قال تعرضون عنه اعراض الناسي اي الياس
في النجاة من مثله ويجوز ان يكون ما مع تشركون بمنزلة المصدر فيكون بمنزلة وتنسون شرككم قوله عز وجل ولقد ارسلنا
الى امم من قبلك فاخذناهم بالباساء والضراء لعلهم يتضرعون فلولا اذ جاءهم باسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم
وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم
بغتة فاذا هم مبلسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين اربع آيات القراءة قرا ابو جعفر فتحنا بالتشديد
في جميع القرآن وافقه ابن عامر الا قوله وفتحنا عليهم بابا وحتى اذا فتحنا عليهم بابا فانه خففهما ووافقهما يعقوب
في القمر وقرا الباقون في جميع ذلك بالتخفيف في المواضع ثم اختلفوا فيما سنذكرها ان شاء الله تعالى اذا بلغنا الى مواضعها
الحجة من ثقل اراد التكثير والمبالغة ومن خفف لم يرد ذلك اللغة الباساء من الباس والخوف والضراء من الضر
وقد يكون الباساء من البؤس والتضرع التذلل يقال تضرع فلان لفلان اذا خضع وسأله ان يعطيه والمبلس الشديد
الحسرة والحزين والمبلس المنقطع الحجة قال رؤبة وقد حضرت يوم الخميس الاخماس وفي الوجوه صفرة وابلاس دابر القوم
الذي يدبرهم ويدبرهم لغتان وهو الذي يتلوهم من خلفهم ويأتي على اعقابهم وانشد آل المهلب جز الله دابرهم
امسوا رمادا فلا اصل ولا طرف وقال الاصمعي الدابر الاصل يقال قطع الله دابره اي اصله وانشد فدى لكما رجلي ورحلي
وناقتي غداة الكلاب اذ تحز الدوابر اي يقتل القوم فيذهب اصولهم فلا يبقى لهم اثر وقال غيره دابر الامر آخره وروي عن عبد الله
انه قال من الناس من لا يأتي الصلوة الا دبرا بضم الدال يعني في آخر الوقت كذا تقوله اصحاب الحديث قال ابو زيد
الصواب دبريا بفتح الدال والباء الاعراب لولا للتحضيض ولا يدخل الا على الفعل ومعناه هلا تضرعوا دلالة على انهم
لم يتضرعوا وقوله بغتة مصدر وقع موقع الحال اي اخذناهم مباغتين المعنى ثم اعلم تعالى نبيه حال الامم الماضية في مخالفة
رسله وبين ان حال هؤلاء اذا سلكوا طريق المخالفة كحالهم في نزول العذاب بهم فقال ولقد ارسلنا وههنا محذوف
وتقديره رسلا الى امم من قبلك فخالفوهم فاخذناهم وحسن الحذف للايجاز والاختصار من غير اخلال لانه مفهوم
الكلام عليه بالباساء والضراء يريد بالفقر والبؤس والاسقام والاوجاع عن ابن عباس والحسن لعلهم يتضرعون معناه
لكي يتضرعوا قال الزجاج لعل ترج وهذا الترجي للعباد المعنى فاخذناهم بذلك ليكون ما يرجوه العباد من التضرع
كما قال في قصة فرعون لعله يتذكر او يخشى قال سيبويه المعنى اذهبا انتما على رجائكما فالله عالم بما يكون من وراء ذلك
اخبر الله انه ارسل الرسل الى اقوام بلغوا من القسوة الى ان اخذوا بالشدة في انفسهم واموالهم ليخضعوا ويذلوا لامر الله تعالى
فلم يخضعوا ولم يتضرعوا وهذا كالتسلية للنبي عليه السلم فلولا اذ جاءهم باسنا تضرعوا معناه فهلا تضرعوا اذ جاءهم باسنا ولكن
قست قلوبهم فاقاموا على كفرهم ولم تنجع فيهم العظة وزين لهم الشيطان بالوسوسة والاغراء بالمعصية لما فيها من عاجل اللذة

ما كانوا يعملون يعني اعمالهم في هذه حجة على من قال ان الله لم يرد من الكافر الايمان لانه تعالى بين انه انما فعل ذلك بهم
ليتضرعوا وبين ان الشيطان هو الذي زين الكفر للكافر خلاف ما قالته المجبرة من انه سبحانه هو المزين لهم ذلك فلما نسوا
ما ذكروا به اي تركوا ما وعظوا به عن ابن عباس وتأويله تركوا العمل بذلك وقيل تركوا ما دعاهم اليه الرسل عن مقاتل فتحنا عليهم
ابواب كل شيء اي كل نعمة وبركة من السماء والارض عن ابن عباس وقيل ابواب كل شيء كان مغلقا عنهم من الخير عن مقاتل
والمعنى انه تعالى امتحنهم بالشدائد لكي يتضرعوا ويتوبوا فلما تركوا ذلك فتح عليهم النعم والتوسعة في الرزق ليرغبوا
بذلك في نعيم الآخرة وانما فعل ذلك بهم وان كان الموضع موضع العقوبة والانتقام دون الاكرام والانعام ليدعوهم
ذلك الى الطاعة فان الدعاء الى الطاعة يكون تارة بالعنف وتارة باللطف او لتشديد العقوبة عليهم بالنقل من النعم
الى العذاب الاليم حتى اذا فرحوا بما اوتوا من النعم واشتغلوا بالتلذذ واظهروا السرور بما اعطوه ولم يروه نعمة من الله
تعالى حتى يشكروه اخذناهم اي احللنا بهم العقوبة بغتة اي مفاجاة من حيث لا يشعرون فاذا هم مبلسون اي ايسون
من النجاة والرحمة عن ابن عباس وقيل اذلة خاضعون عن البلخي وقيل متحيرون منقطعو الحجة والمعاني متقاربة والمراد
بقوله ابواب كل شيء التكثير والتفخيم دون التعميم وهو مثل قوله واوتيت من كل شيء والمراد فتحنا عليهم ابواب اشياء كثيرة
واتيناهم خيرا كثيرا وروي عن النبي صلى الله عليه واله انه قال اذا رايت الله يعطي على المعاصي فان ذلك استدراج منه ثم تلا هذه
الآية ونحوه ما روي عن امير المؤمنين ع انه قال يا ابن آدم اذا رايت ربك يتابع عليك نعمه فاحذره فقطع دابر القوم الذين
ظلموا معناه فاستؤصل الذين ظلموا بالعذاب فلم يبق لهم عقب ولا نسل والحمد لله رب العالمين على اهلاك اعدائه واعلاء
كلمة رسله حمد الله تعالى نفسه بان استاصل شافتهم وقطع دابرهم لانه تعالى ارسل اليهم وانظرهم بعد كفرهم بالباساء والضراء
واختبرهم بالمحنة والبلاء ثم بالنعم والرخاء وبالغ في الانذار والامهال والانظار فهو المحمود على كل حال وفي هذا تعليم للمؤمنين
ليحمدوا الله على كفايته اياهم شر الظالمين ودلالة على ان اهلاكهم نعمة من الله تعالى يجب حمده عليها وروى علي بن ابرهيم
عن ابيه عن القسم بن محمد بن سليمان عن داود المنقري عن فضيل بن عياض عن ابي عبد الله ع قال سالته عن الورع
قال الورع هو الذي يتورع عن محارم الله ويجتنب هؤلاء واذا لم يتق الشبهات وقع في الحرام وهو لا يعرفه واذا راى
المنكر ولم ينكره وهو يقدر عليه فقد احب ان يعصى الله ومن احب ان يعصى الله فقد بارز الله بالعداوة ومن احب
بقاء الظالمين فقد احب ان يعصى الله وان الله تعالى حمد نفسه على اهلاك الظالمين فقال فقطع دابر القوم الذين ظلموا
والحمد لله رب العالمين قوله عز وجل قل ارايتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم وختم على قلوبكم من اله غير الله
ياتيكم به انظر كيف نصرف الآيات ثم هم يصدفون قل ارايتكم ان اتاكم عذاب الله بغتة او جهرة هل يهلك
الا القوم الظالمون وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين فمن آمن واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون
والذين كذبوا باياتنا يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون اربع آيات اللغة صدف عن الشيء صدوفا اذا مال
عنه والصدف والصدفة الجانب والناحية والصدف كل بناء مرتفع وفي الحديث كان عليه السلم اذا مر بصدف
مائل اسرع المشي الاعراب من اله مبتدا وخبر وغير صفة اله وهذه الجملة في موضع مفعولي ارايتم ومن استفهام علق
الفعل الذي هو ارايتم فلم يعمل في مفعوليه لفظا وقوله ان اخذ الله سمعكم جوابه محذوف وتقديره فمن ياتيكم به الا الله
اعني عند قوله من اله غير الله ياتيكم به الذي هو مفعولا ارايتم في المعنى وموضع الشرط وجوابه نصب على الحال كما تقول لاضربنه
ان ذهب او مكث فان قوله ان ذهب او مكث وقع موقع ذاهبا او ماكثا وتقديره مقدرا ذهابه او مكثه ويدل على
انه في موضع الحال مشابهته المفرد في انه لا يستقل بنفسه كما يستقل الجملة وان كان جملة في المعنى فانه يدخل حرف الشرط فصار
بمنزلة المفرد في الحاجة الى ما يستند اليه كما احتاج المفرد ويدل على قوة اتصاله بما قبله حاجته الى ما قبله كما احتاج ما وقع موقعه
الى ما قبله وليس شيء من الفضلات تقع الجملة موقعه غير الحال فثبت انه في موضع منصوب هو حال فان قيل ان الجزاء مقدر اذ الشرط

المذكور في اللفظ مع الجزاء كلام مستقل وانما كان هذا الاستدلال يسوغ لو كان الجزاء غير مقدر مثل الجزاء وان كان مقدرا
لا حكم له لانه لا يجوز اظهاره وانما هو شيء يثبت من جهة التقدير فضعف امره ولو جاز اظهاره لكان في موضع الحال وهذا
ماخوذ من كلام ابي علي الفارسي ذكره في القصريات مع كلام كثير في معناه قد دقق فيه ولم يسبق اليه وقوله ياتيكم به في
موضع رفع بانه صفة اله المعنى ثم اراد تعالى في الاحتجاج عليهم فقال قل يا محمد لهولاء الكفار ارايتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم
اي ذهب بها فصرتم صما عميا وختم على قلوبكم اي طبع عليها وقيل ذهب بعقولكم وسلب عنكم التمييز حتى لا تفهمون شيئا
وانما خص هذه الاشياء بالذكر لان بها تتم النعم دينا ودنيا من اله غير الله ياتيكم به قال الزجاج هذه الهاء تعود الى معنى الفعل
المعنى من اله غير الله ياتيكم بما اخذ منكم ويجوز ان يكون عائدا الى السمع ويكون ما عطف على السمع داخلا في القصة
معه اذ كان معطوفا عليه قال ابن عباس يريد لا يقدر هولاء الذين تعبدون ان يجعلوا لكم اسماعا وابصارا وقلوبا
تعقلون بها وتفهمون اي ان اخذها الله منكم فمن يردها عليكم بين سبحانه بهذا انه كما لا يقدر على ذلك غير الله فكذلك
يجب ان لا يعبد سواه انظر كيف نصرف الايات اي نبين لهم في الايات عن الكلبي وقيل نصرف الايات نوجهها في
الجهات التي تظهر بها غاية الاظهار مرة في جهة النعم ومرة في جهة الشدة وقيل تصريف الايات احداثها دالة على وجوه كما
ان الاية معجزة يدل على خالقها وعلى قدرته وعلمه وعلى نبوة النبي صلى الله عليه واله وصدقه ثم هم يعني الكفار يصدفون
يعرضون عن تامل الايات والفكر فيها وقليل اعراضهم عما كفرهم بها وانما قال انظر لانه تعالى عجب اولا من تتابع نعمه عليهم
وصدودهم عليه من تصريف الايات واسباب الصنائع عجب نبيا من اعراضهم عنها ثم زاد تعالى في الحجاج فقال قل ارايتكم
اي اعلمتم ان اتاكم عذاب الله اي عذبكم الله بعد عذاره اليكم وارساله الرسل بغتة اي مفاجاة او جهرة اي علانية وانما
قابل البغتة بالجهرة لان البغتة تتضمن معنى الخفية لانهم ياتيهم من حيث لا يشعرون وقيل البغتة ان ياتيهم ليلا والجهرة
ان ياتيهم نهارا عن الحسن هل يهلك اي لا يهلك بهذا العذاب الا القوم الظالمون اي الكافرون الذين يكفرون الله ويفسدون
في الارض وقيل انهم كانوا يستعجلون العذاب فبين انه اذا نزل لا يهلك به الا الكافرون فان هلك فيه مومن او طفل فانما
يهلك محنة ويعوضه الله على ذلك اعواضا كثيرة يصغر ذلك في جنبها والمراد به لكم عذاب الدنيا دون عذاب الاخرة
بين تعالى انه لا يبعث الرسل اربابا يقدرون على كل شيء فيسالون عندهم الايات وانما يرسلهم لما يعلم من المصالح فقال
وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين ثم ذكر ثواب من صدقهم في باقي الاية ومن عقاب من كذبهم في الاية التي تليه
فقال فمن امن اي صدق الرسل واصلح اي عمل صالحا في الدنيا فلا خوف عليهم في الاخرة ولا هم يحزنون كما يحزن اهل النار
وقيل لا يحزنون على ما خلفوا وراءهم في الدنيا والذين كذبوا باياتنا اي دلالتنا وحججنا وقيل بمحمد ومعجزاته يمسهم العذاب
اي يصيبهم العذاب يوم القيمة بما كانوا يفسقون اي بفسقهم وخروجهم عن الايمان قوله تعالى قل لا اقول لكم عندي
خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول لكم اني ملك ان اتبع الا ما يوحى الي قل هل يستوي الاعمى والبصير افلا
تتفكرون اية اللغة الخزائن جمع الخزانة وهي اسم المكان الذي يخزن فيه الشيء وخزن الشيء احرازه بحيث لا تناله
الايدي ومنه خزن اللحم يخزن خزنا اذا تغير لانه مما يخبا حتى ينتن المعنى ثم امر النبي صلى الله عليه واله ان يقول لهم بعد اقتراحهم
الايات منه اني لا ادعي الربوبية وانما ادعي النبوة فقال قل يا محمد لا اقول لكم ايها الناس عندي خزائن الله يريد خزائن
رحمته عن ابن عباس وقيل خزائن الله مقدوراته عن الجبائي وقيل ارزاق الخلق حتى تعوموا طمعا في المال ولا اعلم الغيب الذي
يختص الله تعالى بعلمه وانما اعلم قدر ما يعلمني الله من امور البعث والنشور والجنة والنار وغير ذلك وقيل يريد عاقبة ما يصيرون
اليه عن ابن عباس ولا اقول اني ملك لاني انسان تعرفون نسبي لا اقدر على ما يقدر عليه الملك وقد استدل بهذا على ان
الملائكة افضل من الانبياء وهذا بعيد لان الفضل الذي هو كثرة الثواب لا معنى له هنا وانما المراد لا اقول اني ملك فاعلم
هذا من امر الله وغيبه عن العباد مما تشاهده الملائكة ان اتبع الا ما يوحى الي يريد ما اخبركم الا بما انزل الله الي عن ابن عباس وقيل

الزجاج اي ما اعلمكم به من غيب فيما مضى وفيما سيكون فهو بوحي من الله عز وجل ثم امر الله تعالى فقال قل يا محمد لهم هل يستوي
الاعمى والبصير اي هل يستوي العارف بالله تعالى العالم بدينه والجاهل به وبدينه فجعل الاعمى مثلا للجاهل والبصير مثلا
للعارف بالله وبنبيه هذا قول الحسن واختاره الجبائي وفي تفسير اهل البيت عليهم السلم هل يستوي من يعلم ومن لا يعلم وقيل
معناه هل يستوي من صدق على نفسه واعترف بحاله التي هو عليها من الحاجة والعبودية لخالقه ومن ذهب عن
البيان وعمي عن الحق عن البلخي افلا تتفكرون فتنصفوا من انفسكم وتعملوا بالواجب عليكم من الاقرار بالتوحيد ونفي
التشبيه وهذا الاستفهام يراد به الاخبار يعني انهما لا يستويان قوله تعالى وانذر به الذين يخافون ان يحشروا الى
ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون اية الاعراب الهاء في به يعود الى ما في قوله ما يوحى
الي وليس مع اسمه وخبره في موضع نصب على الحال من يخافون كانه قيل متخلين من شفيع وولي المعنى ثم امر الله بعد
تقديم البينات بالانذار فقال وانذر به اي عظ وخوف به اي بالقران عن ابن عباس وقيل بالله عن الضحاك الذين
يخافون ان يحشروا الى ربهم يريد المومنين يخافون يوم القيمة وما فيها من شدة الاهوال عن ابن عباس والحسن
وقيل معناه يعلمون عن الضحاك وقيل يخافون ان يحشروا علما بانه سيكون عن الفراء قال ولذلك فسره المفسرون
يعلمون وقال الزجاج المراد بهم كل معترف بالبعث من مسلم وكتابي وانما خص الذين يخافون بالحشر دون غيرهم
وهو ينذر جميع الخلق لان الذين يخافون الحشر الحجة عليهم اوجب لاعترافهم بالمعاد وقال الصادق عليه السلم
انذر بالقران من يرجون الوصول الى ربهم ترغبهم فيما عنده فان القران شافع مشفع ليس لهم من دونه غير الله
ولي ولا شفيع عن الضحاك وقال الزجاج ان اليهود والنصارى ذكرت انها ابناء الله واحباؤه فاعلم الله عز اسمه ان
اهل الكفر ليس لهم من دون الله ولي ولا شفيع وهذا الذي قاله ظاهر في اهل الكفر والمفسرون على ان الاية في
المومنين ويكون معنى قوله ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع على ان شفاعة الانبياء وغيرهم للمومنين انما تكون باذن
الله تعالى لقوله تعالى من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه فذلك راجع الى الله تعالى لعلهم يتقون كي يخافوا في الدنيا
في الدنيا وينتهوا عما نهاهم عنه عن ابن عباس قوله عز وجل ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي
يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من
الظالمين وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا اهولاء من الله عليهم من بيننا اليس الله باعلم بالشاكرين
ايتان القراءة قرا ابن عامر بالغدوة والعشي في كل القران بواو والباقون بالغداة بالف قال ابو علي الوجه الغداة
لانها تستعمل نكرة وتتعرف باللام فاما غدوة فمعرفة لم تتنكر وهو علم ممتنع له قال سيبويه غدوة وبكرة جعل كل
واحد اسما للجنس كما جعلوا ام حبين اسما للدابة معروفة قال فزعم يونس عن ابي عمرو وهو القياس انك اذا قلت لقيته
يوما من الايام غدوة وبكرة وانت تريد المعرفة لم تنون فهذا يقوي قراءة من قرا بالغداة والعشي ووجه قراءة
ابن عامر ان سيبويه قال زعم الخليل انه يجوز ان تقول اتيتك اليوم غدوة وبكرة فجعلهما بمنزلة ضحوة ومن حجته
ان بعض اسماء الزمان جاء معرفة بغير الف ولام نحو ما حكاه ابو زيد لقيته فينة غير مصروف والفينة بعد الفينة فالحق
لام المعرفة ما استعمل معرفة ووجه ذلك انه يقدر فيه التنكير والشياع كما يقدر فيه ذلك اذا ثني وذلك مستمر في جميع هذا
الضرب من المعارف ومثل ذلك ما حكاه سيبويه من قول العرب هذا يوم اثنين مباركا واتيتك يوم اثنين مباركا
فجاء معرفة بلا الف ولام كما جاء بالالف واللام ومن ثم انتصب الحال ومثل ذلك قولهم هذا ابن عرس مقبلا اما ان يكون
جعل عرسا نكرة وان كان علما واما ان يكون اخبر عنه بخبرين الاعراب فتطردهم جواب للنفي في قوله ما عليك من حسابهم
من شيء وما من حسابك عليهم من شيء وقوله فتكون نصب لانه جواب للنهي وهو قوله ولا تطرد اي لا تطردهم
فتكون من الظالمين وقد بينا تقديره في مواضع النزول روى الثعلبي باسناده عن عبد الله بن مسعود قال مر الملا من قريش

على رسول الله صلى الله عليه وآله وعنده صهيب وخباب وبلال وعمار وغيرهم من ضعفاء المسلمين فقالوا يا محمد ارضيت
هؤلاء من قومك افنحن نكون تبعا لهم اهؤلاء الذين من الله عليهم اطردهم عنك فلعلك ان طردتهم اتبعناك فانزل الله تعالى
ولا تطرد الى آخره وقال سلمان وخباب فينا نزلت هذه الآية جاء الاقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري وذووهم
من المؤلفة قلوبهم فوجدوا النبي صلى الله عليه وآله قاعدا مع بلال وصهيب وعمار وخباب في ناس من ضعفاء المؤمنين
فحقروهم فقالوا يا رسول الله لو نحيت هؤلاء عنك حتى نخلو بك فان وفود العرب تاتيك فنستحيي ان يرونا مع هؤلاء
الاعبد ثم اذا انصرفنا فان شئت فاعدهم الى مجلسك فاجابهم النبي عليه السلم الى ذلك فقالا له اكتب لنا بهذا على نفسك
كتابا فدعا بصحيفة واحضر عليا عليه السلم قال ونحن قعود في ناحية اذ نزل جبرئيل عليه السلم بقوله ولا تطرد الذين يدعون
الى قوله اليس الله باعلم بالشاكرين فنحى رسول الله صلى الله عليه وآله الصحيفة واقبل علينا ودنونا منه وهو يقول كتب
ربكم على نفسه الرحمة فكنا نقعد معه فاذا اراد ان يقوم قام وتركنا فانزل الله عز وجل واصبر نفسك مع الذين يدعون
ربهم الآية قال فكان رسول الله صلى الله عليه وآله يقعد معنا ويدنو حتى كادت ركبتنا تمس ركبته فاذا بلغ الساعة
التي يقوم فيها قمنا وتركناه حتى يقوم وقال لنا الحمد لله الذي لم يمتني حتى امرني ان اصبر نفسي مع قوم من امتي معكم
المحيا ومعكم الممات المعنى ثم نهى تعالى رسوله عم عن اجابة المشركين فيما اقترحوه عليه من طرد المؤمنين فقال ولا تطرد
الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريد يعبدون ربهم بالصلوة المكتوبة يعني صلوة الصبح والعصر عن ابن عباس
والحسن ومجاهد وقتادة وقيل المراد هنا بالدعاء الذكر اي يذكرون ربهم طرفي النهار عن ابرهيم وروى عنه ايضا
ان هذا في الصلوات الخمس يريدون وجهه يطلبون ثواب الله ويعملون ابتغاء مرضات الله لا يعدلون بالله شيئا
عن عطا قال الزجاج شهد الله بصدق نياتهم وانهم مخلصون في ذلك اي يقصدون الطريق الذي امرهم بقصده
فكانه ذهب في معنى الوجه الى الجهة والطريق ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء يريد ما
عليك من حساب الذين يشركون شيء ولا عليهم من حسابك شيء انما الله الذي يثيب اولياءه ويعذب اعداءه
عن ابن عباس في رواية عطا واكثر المفسرين يردون الضمير الى الذين يدعون ربهم وهو الاشبه وذكروا فيه
وجهين احدهما ما عليك من عملهم ومن حسابهم عليهم من شيء عن الحسن وابن عباس وهذا كقوله سبحانه في قصة
نوح ان حسابهم الا على ربي لو تشعرون وهذا لان المشركين ازدروهم لفقرهم وعابوهم الى الاعمال الدنية وهم
عليه السلم برفع المشركين عليهم في المجلس فقال له ما عليك من حسابهم من شيء اي لا يلزمك عار بعملهم فتطردهم ثم قال وما من
حسابك عليهم من شيء تاكيدا لمطابقة الكلام وان كان مستغنى عنه بالاول والوجه الثاني ما عليك من حساب
رزقهم من شيء فتملهم وتطردهم اي ليس رزقهم عليك ولا رزقك عليهم وانما يرزقك واياهم الله الرازق فدعهم يدنوا
منك ولا تطردهم فتكون من الظالمين لنفسك بالمعصية عن ابن عباس قال ابن الانباري عظم الامر في هذا على النبي وخوف
الدخول في جملة الظالمين لانه كان قد هم بتقديم الروساء واولي الاموال على الضعفاء مقدرا انه يستجر باسلامهم اسلام
قومهم ومن لف لفهم وكان عليه السلم لم يقصد في ذلك الا قصد الخير ولم ينو به ازدراء بالفقراء فاعلمه الله ان ذلك
غير جايز ثم اخبر الله تعالى انه يمتحن الفقراء بالاغنياء والاغنياء بالفقراء فقال وكذلك فتنا بعضهم ببعض اي كما ابتلينا
قبلك الغني بالفقير والشريف بالوضيع ابتلينا هؤلاء الروساء من قريش بالموالي فاذا نظر الشريف الى الوضيع قد امن قبله
حمي انفه ان يسلم ويقول هذا سبقني بالاسلام فلا يسلم وانما قال تعالى فتنا وهو لا يحتاج الى الاختبار لانه عاملهم معاملة
المختبر ليقولوا هذه لام العاقبة المعنى فعلنا هذا ليصبروا ويشكروا فال امرهم الى هذه العاقبة اهؤلاء من الله عليهم من
بيننا والاستفهام معناه الانكار كانهم انكروا ان يكونوا سبقوهم بفضيلة او خصوا بمنة وقال ابو علي الجبائي المعنى في
فتنا شددنا التكليف على اشراف العرب بان امرناهم بالايمان وبتقديم هؤلاء الضعفاء على نفوسهم لتقدمهم اياهم في الايمان

وهذا امر كان شاقا عليهم فلذلك سماه فتنة وقوله ليقولوا اي فعلنا هذا بهم ليقول بعضهم لبعض على وجه الاستفهام
لا على وجه الانكار اهؤلاء من الله عليهم بالايمان اذا راوا النبي عليه السلم يقدم هؤلاء عليهم وليرضوا بذلك من فعل رسول الله
ولم يجعل هذه الفتنة والشدة في التكليف ليقولوا ذلك على وجه الانكار لان انكارهم لذلك كفر بالله ومعصية والله
تعالى لا يريد ذلك ولا يرضاه ولانه لو اراد ذلك وفعلوه كانوا مطيعين له لا عاصين وقد ثبت خلافه وقوله اليس الله
باعلم بالشاكرين هذا استفهام تقرير اي انه كذلك كقول جرير الستم خير من ركب المطايا وفي هذا دليل واضح على ان
فقراء المؤمنين وضعفاءهم اولى بالتقديم والتقريب والتعظيم من اغنيائهم ولقد قال امير المؤمنين عليه السلم من اتى
غنيا فتواضع لغناه ذهب ثلثا دينه قوله عز وجل واذا جاءك الذين يؤمنون باياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم
على نفسه الرحمة انه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده واصلح فانه غفور رحيم
آية القراءة قرا اهل المدينة انه من عمل بالفتح فانه بالكسر وقرا عاصم وابن عامر ويعقوب انه فانه بفتح الالف
فيهما وقرا الباقون انه فانه بالكسر فيهما الحجة قال ابو علي من كسر فقال انه من عمل جعله تفسيرا للرحمة كما ان قوله لهم
مغفرة واجر عظيم تفسير للوعد واما كسر فانه غفور رحيم فلان ما بعد الفاء حكمه واما من فتح ان في قوله انه
فانه جعل ان الاولى بدلا من الرحمة كانه قال كتب على نفسه الرحمة واما من فتحها بعد الفاء فعلى انه اضمر له خبرا وتقديره
فله انه غفور رحيم اي فله غفرانه او اضمر مبتدأ يكون انه خبرا له اي فامره انه غفور رحيم وعلى هذا التقدير يكون الفتح
في قول من فتح الم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله فان له نار جهنم تقديره فله ان له نار جهنم الا ان اضماره هنا احسن
لان ذكره قد جرى في قوله انه وان شئت قدرت فامره ان له نار جهنم فيكون خبر هذا المبتدا المضمر واما قراءة كتب
ربكم انه فانه فالقول فيها انه ابدل من الرحمة ثم استانف ما بعد الفاء اللغة قال المبرد السلام في اللغة اربعة اشياء
مصدر سلمت سلاما وجمع سلامة واسم من اسماء الله تعالى وشجر في قوله الاسلام وحرمل ومعنى السلام الذي هو مصدر
انه دعاء للانسان بان يسلم من الآفات والسلام اسم الله تاويله ذو السلام اي الذي يملك السلام الذي هو التخلص
من المكروه واما السلام الشجر فهو شجر قوي سمي بذلك لسلامته من الآفات والسلام الحجارة سميت بذلك لسلامتها
من الرخاوة والصلح يسمى السلم والسلم لان معناه السلامة من الشر والسلم الدلو التي لها عروة واحدة لانها اسلم الدلاء
من الآفات النزول اختلف فيمن نزلت هذه الآية فقيل نزلت في الذين نهى الله تعالى نبيه عن طردهم فكان النبي عليه السلم
اذا راهم بداهم بالسلام وقال الحمد لله الذي جعل في امتي من امرني ان ابداهم بالسلام عن عكرمة وقيل نزلت في جماعة من
الصحابة منهم حمزة وجعفر ومصعب بن عمير وعمار وغيرهم عن عطا وقيل ان جماعة اتوا رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا
انا اصبنا ذنوبا كثيرة فسكت عنهم رسول الله عليه السلم فنزلت الآية عن انس بن مالك وقيل نزلت في التائبين وهو
المروي عن ابي عبد الله عليه السلم المعنى ثم امر الله تعالى نبيه بتعظيم المؤمنين فقال واذا جاءك يا محمد الذين يؤمنون اي
يصدقون باياتنا اي بحججنا وبراهيننا فقل سلام عليكم ذكر فيه وجوه احدها انه امر عليه السلم ان يسلم عليهم من الله
تعالى فهو تحية من الله على لسان نبيه عن الحسن وثانيها ان الله تعالى امر نبيه ان يسلم عليهم تكرمة لهم عن الجبائي
وثالثها ان معناه اقبل عذرهم واعترافهم وبشرهم بالسلامة مما اعتذروا منه عن ابن عباس كتب ربكم اي اوجب ربكم
على نفسه الرحمة ايجابا مؤكدا عن الزجاج قال انما خوطب الخلق بما يعقلون وهم يعقلون ان الشيء المؤجل انما يحفظ بالكتاب
وقيل معناه كتبه في اللوح المحفوظ وقد سبق بيان هذا في اول السورة انه من عمل منكم سوءا بجهالة قال الزجاج يحتمل الجهالة
هنا وجهين احدهما انه من عمله وهو جاهل بمقدار المكروه فيه اي لم يعرف ان فيه مكروها والآخر انه علم ان عاقبته
مكروهة ولكنه اثر العاجل فجعل جاهلا بانه قد اثر النفع القليل على الراحة والعافية الدائمة وهذا قوي ومثل قوله تعالى
انما التوبة على الذين يعملون السوء بجهالة الاية وقد ذكرنا ما فيه هناك ثم تاب من بعده واصلح اي رجع عن ذنبه ولم يصر

على ما عمل واصلح فانه غفور رحيم قوله عز وجل وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين آية القراءة قرا اهل المدينة ولتستبين بالتاء سبيل بالنصب وقرا الباقون ولتستبين بالتاء سبيل بالرفع الحجة من قرا ولتستبين بالتاء سبيل رفعا جعل السبيل فاعلا وانثه كما في قوله قل هذه سبيلي قال سيبويه استبان الشيء واستبنته ومن قرا ولتستبين بالتاء سبيل نصبا فعلى ففي الفعل ضمير المخاطب وسبيل مفعوله وهو على قولك استبنت الشيء ومن قرا بالياء سبيل رفعا فالفعل مسند الى السبيل الا انه ذكر كما في قوله يتخذوه سبيلا والمعنى وليستبين سبيل المومنين وسبيل المجرمين فحذف لان ذكر احد السبيلين يدل على الآخر ومثل سرابيل تقيكم الحر ولم يذكر البرد لدلالة الحر عليه ومن قرا بالياء ونصب اللام فتقديره وليستبين السائل سبيل المجرمين الاعراب كذلك الكاف في موضع نصب لانه مفعول نفصل وذلك مجرور الموضع باضافة الكاف اليه وتبيانها المشبه وما المشبه به في قوله وكذلك وفيه وجهان احدهما التفصيل الذي تقدم في صفة المهتدين وصفة الضالين شبه بتفصيل الدليل على الحق من الباطل في صفة غيرهم من كل مخالف والثاني ان المعنى كما فصلنا ما تقدم من الآيات لكم نفصلها لغيركم المعنى ثم عطف تعالى على الآيات التي احتج بها على مشركي العرب وغيرهم فقال وكذلك اي كما قدمنا نفصل الآيات وهي الحجج والدلالات اي نميزها ونبينها ونشرحها على صحة قولهم وبطلان ما يقوله هولاء الكفار وليستبين سبيل المجرمين بالرفع اي لتظهر طريق من عاند بعد البيان او ذهب عن فهم ذلك بالاعراض عنه لمن اراد التفهم لذلك من المومنين ليجتنبوها ويسلكوا غيرها ومن النصب ليعرف السامع او السائل او لتعرف انت يا محمد سبيلهم وسبيلهم يريد بهم ما هم عليه من الكفر والعناد والاقدام على المعاصي والاجرام المودية الى النار وقيل ان المراد بسبيلهم ما عاملهم الله به من الاذلال واللعن والبراءة منهم والامر بالقتل والسبي ونحو ذلك والواو في وليستبين للعطف على مضمر محذوف والتقدير وليفهموا وليستبين سبيل المجرمين والمومنين وجاز الحذف لان فيما بقي دليلا على ما القي قوله تعالى

قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله قل لا اتبع اهواءكم قد ضللت اذا وما انا من المهتدين

آية القراءة روي في الشواذ عن يحيى بن وثاب ضللت بكسر اللام والقراء كلهم على فتحها الحجة وهما لغتان ضللت تضل وضللت تضل قال ابو عبيدة واللغة الغالبة الفتح الاعراب معنى من في قوله من دون الله اضافة الدعاء الى دون بمعنى ابتداء الغاية ومعنى اذا الجزاء والمعنى قد ضللت ان عبدتها المعنى ثم امر الله تعالى نبيه بان يظهر البراءة مما يعبدونه فقال قل يا محمد اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله يعني الاصنام التي تعبدونها وتدعونها الهة قل يا محمد لا اتبع اهواءكم في عبادتها اي انما عبدتموها على طريق الهوى لا على طريق البينة والبرهان عن الزجاج وقيل معناه لا اتبع اهواءكم في طرد المومنين قد ضللت اذا اي ان انا فعلت ذلك عن ابن عباس وما انا من المهتدين الذين سلكوا سبيل الدين وقيل معناه وما انا من النبيين الذين سلكوا طريق الهدى قوله عز وجل قل اني على بينة

من ربي وكذبتم به ما عندي ما تستعجلون به ان الحكم الا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين قل لو ان عندي ما تستعجلون به لقضي الامر بيني وبينكم والله اعلم بالظالمين

آيتان القراءة قرا اهل الحجاز وعاصم يقص الحق بالصاد والباقون يقضي الحق الحجة حجة من قرا يقضي قوله والله يقضي بالحق وحكي عن ابي عمرو انه استدل بقوله وهو خير الفاصلين في ان الفصل الحكم ليس في القصص وحجة من قرا يقص قوله والله يقول الحق وقالوا قد جاء الفصل في القول ايضا في قوله انه لقول فصل واما قوله الحق فيحتمل امرين يجوز ان يكون صفة مصدر محذوف تقديره يقضي القضاء الحق او يقص القصص الحق ويجوز ان يكون مفعولا به مثل يفعل الحق كقوله وعليهما مسرودتان قضاهما داود او صنع السوابغ تبع اللغة البينة الدلالة التي تفصل بين الحق والباطل والبيان هو الدلالة وقيل هو العلم الحادث والاستعجال طلب الشيء في غير وقته والحكم فصل الامر على التمام الاعراب يقال لم قال كذبتم به والبينة مؤنثة قيل لان البينة بمعنى البيان

فانها الكناية عن البيان عن الزجاج وقيل كناية عن الرب في قوله ربي وقوله كذبتم قد مضمر معه لانه في موضع الحال والحال لا يكون الفعل الماضي الا ومعه قد اما مظهرة او مضمرة المعنى لما امر النبي صلى الله عليه وآله بان يتبرا مما يعبدونه عقب ذلك سبحانه بالبيان انه على حجة من ذلك وبينة وانه لا بينة لهم فقال قل يا محمد لهولاء الكفار اني على بينة من ربي اي على امر بين لا متبع لهوى عن الزجاج وقال الحسن البينة النبوة اي على نبوة من ربي وقيل على حجة ومعجزة دالة على نبوتي وهي القرآن عن الجبائي وقيل على يقين من ربي عن ابن عباس وكذبتم به اي بما اتيتكم به من البيان يعني القرآن ما عندي اي ليس عندي ما تستعجلون به قيل معناه الذي يطلبونه من العذاب كانوا يقولون يا محمد ائتنا بالذي تعدنا هذا كقوله ويستعجلونك بالعذاب عن ابن عباس والحسن وقيل هي الآيات التي اقترحوها عليه استعجلوها فاعلم الله تعالى ان ذلك عنده فقال ان الحكم الا لله يريد ان ذلك عند ربي عن ابن عباس يعني ليس الحكم في الفصل بين الحق من الباطل الا لله ويقص الحق اي يقوله ويخبر به وهو خير الفاصلين لانه لا يظلم في قضاياه ولا يجوز عن الحق وهذا ابدل على بطلان قول من زعم ان الظلم والقبائح بقضائه لان من المعلوم ان ذلك كله ليس بحق قل يا محمد لهولاء الكفار لو ان عندي اي بيدي وارادتي ما تستعجلون به من انزال العذاب بكم لقضي الامر بيني وبينكم اي لفرغ من الامر باهلاككم فاستريح منكم عنا ان الامر فيه الى الله والله اعلم بالظالمين وبوقت عذابهم وما يصلحهم وفي هذا دلالة على انه تعالى انما يوخر العقوبة لضرب من المصلحة اما لان يومنوا او لغير ذلك من المصالح فهو يدبر ذلك على حسب ما تقتضيه المصلحة قوله عز وجل وعنده

مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين وهو الذي يتوفيكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى اجل مسمى ثم اليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون

آيتان اللغة المفاتح جمع مفتح ومفتح فالمفتح بالكسر المفتاح الذي يفتح به والمفتح بفتح الميم الخزانة كانت تصنف من الاشياء فهو مفتح قال الفراء في قوله ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة يعني خزائنه والتوفي قبض الشيء على التمام يقال توفيت الشيء واستوفيته بمعنى والجرح العمل بالجارحة والاجتراح الاكتساب الاعراب ولا حبة تقديره ولا يسقط من حبة ثابتة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس وقوله الا في كتاب مبين الجار والمجرور في موضع الرفع خبر الابتداء تقديره الا هو في كتاب مبين ولا يحسن هذا التقدير لانه لو لم يكن محمولا على هذا لوجب ان لا يعلمها في كتاب مبين وهو تعالى يعلم ذلك في كتاب مبين والاستثناء منقطع المعنى لما ذكر تعالى انه اعلم بالظالمين بين عقيبه انه لا يخفى عليه شيء من الغيب فقال وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو معناه وعنده خزائن الغيب الذي فيه علم العذاب المستعجل به وغير ذلك لا يعلمها احد الا هو او من اعلمه به وعلمه اياه وقيل معناه وعنده مقدورات الغيب يفتح بها على من يشاء من عباده باعلامه به وتعليمه اياه وتيسيره السبيل اليه ونصبه الادلة له وتغلق عن من يشاء بان لا ينصب الادلة له وقال الزجاج يريد عنده الوصلة الى علم الغيب وكل ما لا يعلم اذا استعلم يقال فيه افتح علي وقال ابن عمر مفاتح الغيب خمس ثم قرا ان الله عنده علم الساعة الآية وقال ابن عباس معناه وعنده خزائن الغيب من الارزاق والاعمار وتاويل الآية ان الله تعالى عالم بكل شيء من مبتدآت الامور وعواقبها وهو يعجل ما تعجيله اصوب واصلح ويوخر ما تاخيره اصوب واصلح وانه الذي يفتح باب العلم لمن يريد من الانبياء والاولياء لانه لا يعلم الغيب سواه ولا يقدر احد ان يفتح باب العلم به للعباد الا الله ويعلم ما في البر والبحر من حيوان وغيره وقال مجاهد البر القفار والبحر كل قرية فيها ماء وما تسقط من ورقة الا يعلمها قال الزجاج المعنى انه يعلمها ساقطة وثابتة وانت تقول ما يجيئك احد الا وانا اعرفه فليس تاويله الا وانا اعرفه في حال مجيئه فقط وقيل يعلم ما سقط من ورق الاشجار وما بقي ويعلم كم انقلبت ظهرا لبطن عند سقوطها ولا حبة في ظلمات الارض معناه وما تسقط من حبة في باطن الارض الا يعلمها وكنى بالظلمة عن باطن الارض لانه لا يدرك كما لا يدرك ما حصل في الظلمة وقال ابن عباس يعني تحت الصخرة في اسفل الارضين السبع او تحت

حبة ولا شيء والرطب ولا يابس فقد جمع الاشياء كلها في قوله ولا رطب ولا يابس لان الاجسام كلها لا تخلو من احد هذين
وهو بمنزلة قولك ولا مجتمع ولا مفترق لان الاجسام لا تخلو من ان تكون مجتمعة او مفترقة وقيل يريد ما ينبت ولا ما لا ينبت
عن ابن عباس وعنه ايضا ان الرطب الماء واليابس البادية وقيل الرطب الحي واليابس الميت وروي عن ابي عبد الله عم انه قال
الورقة السقط والحبة الولد وظلمات الارض الارحام والرطب ما يحيا واليابس ما يغيض الا في كتاب مبين معناه
الا وهو مكتوب في كتاب مبين اي في اللوح المحفوظ ولم يكتبها في اللوح المحفوظ ليحفظها ولا ليدرسها فانه كان عالما بها
قبل ان كتبها ولكن لتعارض الملائكة الحوادث على تمام الايام بالمكتوب فيه فتجد ذلك موافقة للمكتوب فيه فتزداد
علما ويقينا بصفات الله تعالى وايضا فان المكلف اذا علم ان اعماله مكتوبة في اللوح المحفوظ يطالعها الملائكة قويت
دواعيه الى الافعال الحسنة وترك القبائح قال الحسن هذا توكيد في الزجر عن المعاصي والحث على البر لان هذه الاشياء
التي لا ثواب فيها ولا عقاب اذا كانت محصاة محفوظة فالاعمال التي فيها الثواب والعقاب اولى بالحفظ وقيل ان قوله
في كتاب مبين معناه انه محفوظ غير منسي ولا مغفول عنه كما يقول القائل لغيره ما تصنعه عندي مسطور مكتوب وانما
يريد بذلك انه حافظ له يريد مكافاته عليه وانشد ان لسليمى عندنا ديوانا عن البلخي قال الجرجاني صاحب النظم الكلام
عند قوله ولا يابس ثم استانف خبرا آخر بقوله الا في كتاب مبين يعني وهو في كتاب مبين ايضا لانك لو جعلت قوله الا في كتاب
مبين متصلا بالكلام الاول لفسد المعنى ولما فيه يحتج بهذه الآية على انه عالم لذاته من حيث انه لو كان عالما بعلم لوجد
تلك اشياء كلها فاسدة اما ان تكون له علوم غير متناهية واما ان تكون معلوماته متناهية او يتعلق علم واحد بمعلومات
غير متناهية وكلها باطل بالدليل ثم بين في الآية التي تليها على انه قادر لذاته من حيث انه قادر على الاحياء والاماتة فقال وهو
الذي يتوفاكم بالليل اي يقبض ارواحكم عن التصرف عن ابن عباس وغيره واختاره علي بن عيسى وقيل معناه يقبضكم
بالنوم كما يقبضكم بالموت فيكون كقوله الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها الآية عن الزجاج والجبائي
ويعلم ما جرحتم بالنهار اي ما كسبتم من الاعمال على التفصيل بالنهار على كثرته وكثرتكم وفيه اشارة الى رحمته حيث يعلم
تفريطهم في النهار اياهم ثم لا يعاجلهم بعقوبته ولا يمنعهم فضله ورحمته ثم يبعثكم اي يبعثكم من نومكم في النهار عن الزجاج والجبائي
جعل انتباههم من النوم بعثا ليقضى اجل مسمى معناه استوفوا آجالكم وترتيب الآية وهو الذي يتوفاكم بالليل ثم يبعثكم في النهار على
علم بما جرحتم بالنهار ليقضى اجل مسمى فاللام متصل بقوله ثم يبعثكم فيه الا انه قدم ما من اجله بعثنا بالنهار لانه اهم في العناية
به اسند عن علي بن عيسى ومعنى القضاء فصل الامر على تمام ومعنى قضاء الاجل فصل مدة العمر من غيرها بالموت وفي
هذا حجة على النشأة الثانية لان منزلتها بعد الاولى كمنزلة اليقظة بعد النوم في ان من قدر على احدهما فهو قادر على
الاخرى ثم اليه مرجعكم يريد اذا انقضت المدة المضروبة لكل نفس نقلها الى الدار الآخرة ومعنى اليه الى حكمه وجزائه الى موضع
ليس لاحد سواه فيه امر ثم ينبئكم يخبركم بما كنتم تعملون اي بما عملتم عنه من اعمالكم وفي هذه الآية دلالة على البعث والاعادة
نبه الله تعالى به على ذلك بالنوم واليقظة فان كلا منهما لا يقدر عليه غيره تعالى فاما ما يصح اعادته من الاشياء فالصحيح
من مذهب اهل العدل فيه ان يكون الشيء من فعل القديم سبحانه القادر لذاته وان يكون مما يبقى وان لا يكون مما يتولد
عن سبب قوله تعالى وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا
وهم لا يفرطون ثم ردوا الى الله مولاهم الحق الا له الحكم وهو اسرع الحاسبين آيتان القراءة قرأ حمزة وحده توفاه
والباقون بالتاء وقرأ الاعرج يفرطون في الشواذ الحجة حجة من قرأ بالتاء قوله فقد كذبت رسل وقالت رسلهم وحجة
حمزة انه فعل مسند الى مؤنث غير حقيقي وانما التانيث للجمع فهو مثل وقال نسوة وان كان الكتابة في المصحف بالياء فليس
ذلك بخلاف لان الالف الممالة قد كتبت لا تقصر بياء وقال نسوة وقرأ الاعرج من افرط في الامر اذا زاد فيه وقراءة العامة
من فرط في الامر اذا قصر فيه فهو بمعنى لا يقصرون فيما يؤمرون به من توفي من يحضره منيته وذاك بمعنى لا يزيدون على ذلك

330

ولا يتوقف الا من امور ابتوقيته ونظيره قوله وكل شيء عنده بمقدار المعنى ثم زاد تعالى في بيان كمال قدرته فقال وهو القاهر
فوق عباده ومعناه والله المقتدر المستعلي على عباده الذي هو فوقهم لا بمعنى انه في مكان مرتفع فوقهم وفوق مكانهم لان ذلك
من صفة الاجسام والله تعالى منزه عن ذلك ومثله في اللغة امر فلان فوق امر فلان اي هو اعلا امرا وانفذ حكما ومثله
يد الله فوق ايديهم والمراد به انه اقوى واقدر منهم وانه القاهر ويقال هو فوقه في العلم اي اعلم منه وفوقه في الجود
اي اجود فتعبر عن تلك الزيادة بهذه العبارة للتنبيه عنها ويرسل عليكم حفظة اي ملائكة يحفظون اعمالكم ويحصونها
عليكم ويكتبونها وفي هذا لطف للعباد لينزجروا عن المعاصي اذا علموا ان عليهم حفظة من عند الله يشهدون بها
عليهم يوم القيمة حتى اذا جاء احدكم الموت توفته اي تقبض روحه رسلنا يعني اعوان ملك الموت عن ابن عباس والحسن
وقتادة قالوا وانما يقبضون الارواح بامره ولذلك اضاف التوفي اليه في قوله قل يتوفاكم ملك الموت وقال
الزجاج يريد بالرسل هؤلاء الحفظة فيكون المعنى يرسلهم للحفظ في الحيوة والتوفية عند مجي الممات وهي هذه
هي التي تقع بعدها الجملة وهم لا يفرطون لا يضيعون عن ابن عباس والسدي وقيل لا يغفلون ولا يتوانون عن
الزجاج قال ومعنى التفريط تقديم العجز فالمعنى انهم لا يعجزون ثم بين تعالى ان هؤلاء الذين تتوفاهم رسله يرجعون
اليه فقال ثم ردوا الى الله اي الى الموضع الذي لا يملك الحكم فيه الا هو مولاهم الحق وقد مر معناه عند قوله
انت مولانا والحق اسم من اسماء الله تعالى واختلف في معناه فقيل ان المعنى ان امره كله حق لا يشوبه باطل وجد
لا يجاوره هزل فيكون مصدرا وصف به كقولهم رجل عدل وفي قول زهير متى يشتجر قوم تقل سرواتهم هم بيننا
فهم رضا وهم عدل وقيل ان الحق بمعنى المحق كما قيل غياث بمعنى مغيث وقيل ان معناه ان الثابت الباقي الذي لا فناء
له وقيل معناه ذو الحق يريد ان افعاله واقواله حق الا له الحكم اي القضاء فيهم يوم القيمة لا يملك الحكم في ذلك اليوم
سواه كما في الدنيا غيره بتمليكه اياه وهو اسرع الحاسبين اي اذا حاسب فحسابه سريع وقد مضى معناه في سورة البقرة
عند قوله سريع الحساب وروي عن امير المؤمنين عليه السلم انه سئل كيف يحاسب الله الخلق ولا يرونه قال كما يرزقهم
ولا يرونه وروي انه سبحانه يحاسب جميع عباده على مقدار حلب شاة وهذا يدل على انه لا يشغله محاسبة احد عن محاسبة
غيره ويدل على انه يتكلم بلا لسان ولهوات ليصح ان يحاسب الجميع في وقت واحد قوله تعالى قل من ينجيكم من ظلمات
البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين قل الله ينجيكم منها ومن كل
كرب ثم انتم تشركون آيتان القراءة قرأ ابو بكر عن عاصم خفية بكسر الخاء هنا وفي الاعراف والباقون خفية بالضم
وقرأ قل من ينجيكم خفيفة يعقوب وسهل وقرأ الباقون ينجيكم وقرأ اهل الكوفة لئن انجانا بالالف الا ان عاصما قرأ انجانا
والباقون بالامالة وقرأ غيرهم من القراء لئن انجيتنا وقرأ اهل الكوفة وابو جعفر وهشام عن ابن عامر قل الله ينجيكم بالتشديد والباقون ينجيكم بالتخفيف
الحجة اما خفية فان ابا عبيدة قال الخفية تخفون في انفسكم وحكى غيره خفية وخفية لغتان فاما خيفة فهو من الخوف انقلبت الياء
عن الواو للكسرة قبلها ... على انه خوف يضمر في القلب وجاء خيفا وهو جمع خيفة واما قوله انجيكم قالوا انجى ونجى فادا نقل
الفعل حسن حسن نقله بالهمزة كما حسن نقله بالتضعيف وفي التنزيل فانجاه الله من النار فانجيناه والذين آمنوا معه وفيه ونجينا الذين
آمنوا فاستوى القراءتان في الحسن واما من قرأ انجانا فانه حمله على الغيبة لان ما قبله تدعونه وما بعده قل الله ينجيكم وكلاهما للغيبة
ومن قرأ لئن انجيتنا فانه واجه بالخطاب ولم يراع من المشاكلة ما راعاه الاعراب تدعونه في موضع نصب على الحال تقديره قل من
ينجيكم داعين وقائلين لئن انجيتنا تضرعا نصب بانه حال ايضا من يدعونه وكذلك خفية والمعنى تدعونه مظهرين الضراعة ومضمرين
الحاجة اليه او معلنين ومسرين المعنى ثم عاد سبحانه الى حجاج الكفار فقال قل يا محمد لهؤلاء الكفار من ينجيكم اي يخلصكم ويسلمكم
من ظلمات البر والبحر اي من شدائدهما واهوالهما عن ابن عباس قال الزجاج العرب تقول لليوم الذي يلقى فيه شدة يوم
مظلم حتى انهم يقولون يوم ذو كواكب اي قد اشتدت ظلمته حتى صار كالليل وانشد بني اسد هل تعلمون بلاءنا اذا كان يوم

ذو كواكب اشهب وقال آخر فدى لبنى ذهل بن شيبان ناقتى اذا كان يوما ذا كواكب اشنعا وقال غيره اراد ظلمة الليل وظلمة الغيم
وظلمة البحر والحيرة فى البر فجمع لفظا بل على معنى الجمع تدعونه اى تدعون الله عند معاينة هذه الاهوال تضرعا وخفية
اى علانية وسرا عن ابن عباس والحسن وقيل معناه تدعون مخلصين متضرعين تضرعا بالسنتكم وخفية فى انفسكم وهذا
اظهر لئن انجيتنا اى فى اى شدة وقعتم قلتم لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين لانعامك علينا وهذا يدل
على ان السنة فى الدعاء التضرع والاخفاء وقد روى عن النبى صلى الله عليه وآله انه قال خير الدعاء الخفى وخير الرزق ما يكفى
ومر عليه السلم بقوم رفعوا اصواتهم بالدعاء فقال انكم لا تدعون اصم ولا غائبا وانما تدعون سميعا قريبا قل يا محمد الله
ينجيكم اى ينعم عليكم بالنجاة والفرج ويخلصكم من هذه الظلمات ومن كل كرب اى ويخلصكم الله من كل غم ثم انتم
تشركون بالله تعالى بعد قيام الحجة عليكم مالا يقدر على الانجاء من كرب فان خص قوله تعالى **قل هو القادر على ان يبعث**
عليكم عذابا من فوقكم او من تحت ارجلكم او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم باس بعض انظر كيف نصرف الآيات
لعلهم يفقهون آية **اللغة** لبست عليهم الامر البسه اذا لم ابينه وخلطت بعضه ببعض ولبست الثوب البسه واللبس
اختلاط الامر واختلاط الكلام ولابست الامر خالطته والشيع الفرق وكل فرقة شيعة على حدة وشيعت فلانا اتبعته
والتشيع هو الاتباع على وجه التدين والولاء للمتبوع والشيعة صارت فى العرف اسما لمتبعى امير المؤمنين عليه السلم
على سبيل الاعتقاد الامامة بعد النبى صلى الله عليه وآله بلا فصل من الامامية والزيدية وغيرهم ولا يقع اطلاق
هذا اللفظ على غيرهم من المتبعين سواء كان متبوعهم محقا او مبطلا الا ان يسقط عنه لام التعريف ويضاف بلفظ
من للتبعيض فيقال هو من شيعة ابن عباس او شيعة بنى فلان **المعنى** ثم عطف سبحانه على ما تقدم من الحجج التى
حاج بها الكافرين ونبه على الاعداد والانذار فقال يا محمد لهؤلاء الكفار هو القادر على ان يبعث اى يرسل عليكم
عذابا من فوقكم او من تحت ارجلكم قيل فيه وجوه احدها ان عذابا من فوقكم يعنى به الصيحة والحجارة والطوفان
والريح كما فعل بعاد وثمود وقوم شعيب وقوم لوط او من تحت ارجلكم به الخسف كما فعل بقارون عن سعيد بن جبير
ومجاهد وثانيها ان المراد بقوله من فوقكم من قبل كبرائكم ومن تحت ارجلكم من سفلتكم عن الضحاك وثالثها ان من
فوقكم السلاطين الظلمة ومن تحت ارجلكم العبيد السوء ومن لا خير فيه عن ابن عباس وهو المروى عن ابى عبد الله عليه السلم
او يلبسكم شيعا اى يخلطكم فرقا مختلفى الاهواء لا تكونون شيعة واحدة وقيل هو ان يكلهم الى انفسهم فلا يلطف
لهم اللطف الذى لاجله يؤمنون عنه ويخليهم من الطافه بذنوبهم السالفة وقيل عنى به يضرب بعضكم ببعض بما يلقيه
بينكم من العداوة والعصبية وهو المروى عن ابى عبد الله عليه السلم ويذيق بعضكم باس بعض اى قتال بعض وحرب بعض ومعناه
يقتل بعضكم حتى يفنى بعضكم بعضا قال وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون وقيل هو سوء الجوار
عن ابى عبد الله عليه السلم قال الحسن التهديد بانزال العذاب والخسف يتناول الكفار وقوله او يلبسكم شيعا يتناول اهل
الصلوة وقال قال رسول الله صلى الله عليه وآله سالت ربى ان لا يظهر على امتى اهل دين غيرهم فاعطانى وسالته ان لا يهلكهم
جوعا فاعطانى وسالته ان لا يجمعهم على ضلالة فاعطانى وسالته ان لا يلبسهم شيعا فمنعنى وفى تفسير الكلبى انه لما نزلت هذه
الآية قام النبى صلى الله عليه وآله انه لما نزلت هذه الآية قام فتوضا واسبغ وضوءه ثم قام وصلى فاحسن صلوته ثم سال الله تعالى
ان لا يبعث على امته عذابا من فوقهم ولا من تحت ارجلهم ولا يلبسهم شيعا ولا يذيق بعضهم باس بعض فنزل جبرئيل فقال
يا محمد ان الله تعالى سمع مقالتك وانه قد اجارهم من خصلتين ولم يجرهم من خصلتين اجارهم من ان يبعث عليهم عذابا من
فوقهم او من تحت ارجلهم ولم يجرهم من الخصلتين الاخريين فقال عليه السلم يا جبرئيل ما بقاء امتى مع قتل بعضهم بعضا فقام وعاد
الى الدعاء فنزل الم احسب الناس ان يتركوا الآيتين فقال لا بد من فتنة تبتلى بها الامة بعد نبيها ليتبين الصادق من الكاذب
لان الوحى انقطع وبقى السيف وافتراق الكلمة الى يوم القيمة وفى الخبر انه صلى الله عليه وآله قال اذا وضع السيف فى امتى لم يرفع عنها

الى يوم القيمة وفى الخبر انه صلى الله عليه وآله قال لابى بن كعب اذا وضع سيكون فى هذه الامة بين يدى الساعة خسف
وقذف ومسخ ثم اكد سبحانه وتعالى الاحتجاج عليهم بقوله انظر كيف نصرف الآيات اى انظر يا محمد كيف نردد الآيات ونظهرها
مرة بعد اخرى بوجوه الدلالات حتى تزول الشبه لعلهم يفقهون اى لكى يعلموا الحق فيتبعوه والباطل فيجتنبوه واذا كان البعث
فى الآية محمولا على التسليط فالمراد به التمكين ورفع الحيلولة دون ان يفعل سبحانه ذلك او يامر به تعالى عن ذلك وفى هذه
الآية دلالة على انه تعالى قادر على ما المعلوم انه لا يفعله قوله عز وجل **وكذب به قومك وهو الحق قل لست عليكم بوكيل**
لكل نبإ مستقر وسوف تعلمون آيتان كوفى وآية واحدة عند غيرهم **المعنى** لما ذكر سبحانه تصريف الآيات قال عقيب ذلك
وكذب به اى بما نصرف من الآيات عن الجبائى والبلخى وقال الازهرى الهاء يعود الى القرآن وهو قول الحسن وجماعة
قومك يعنى قريشا والعرب وهو الحق اى القرآن او تصريف الآيات حق بمعنى انه يدل على الحق وان ما فيه حق ثم بين تعالى
ان عاقبة تكذيبهم تعود عليهم فقال قل يا محمد لست عليكم بوكيل اى لم اومر بمنعكم من التكذيب بآيات الله وان احفظكم
من ذلك واحول بينكم وبينه لان الوكيل على الشئ هو القائم بحفظه والذى يدفع الضرر عنه عن الجبائى وقيل معناه لست
حافظا لاعمالكم لاجازيكم بها انما انا منذر والله تعالى هو المجازى عن الحسن وقيل معناه لم اومر بحربكم واخذكم بالايمان
كما ياخذ الموكل بالشئ الذى يلزم بلوغ آخره عن الزجاج لكل نبإ مستقر اى لكل خبر من اخبار الله تعالى ورسوله حقيقة كائنة
اما فى الدنيا واما فى الآخرة عن ابن عباس ومجاهد وقيل معناه لكل خبر قرار على غاية ينتهى اليها ويظهر عندها قال
السدى استقر يوم بدر ما كان يعدهم من العقاب وسمى الوقت مستقرا لانه ظرف للفعل الواقع فيه وقيل معناه لكل عمل
مستقر عند الله حتى يجازى به يوم القيمة عن الحسن وسوف تعلمون فيه وعيد وتهديد لهم اما بعذاب الآخرة واما بالحرب
واخذهم بالايمان شاؤا او ابوا وتقديره وسوف تعلمون ما يحل بكم من العذاب وحذف لدلالة الكلام عليه قوله عز وجل
واذا رايت الذين يخوضون فى آياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره واما ينسينك الشيطان
فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين وما على الذين يتقون من حسابهم من شئ ولكن ذكرى لعلهم
يتقون آيتان **القراءة** قرا ابن عامر وحده ينسينك بالتشديد والباقون ينسينك بالتخفيف **الحجة** حجة من خفف
قوله وما انسانيه الا الشيطان وحجة ابن عامر انه يجوز نقل الفعل بتضعيف العين كما يجوز نقله بالهمزة كما نقل غرمته
واغرمته **الاعراب** ذكرى يجوز ان يكون فى موضع نصب على معنى ولكن ذكروهم ذكرى ويجوز ان يكون فى موضع رفع
على احد وجهين اما ان يكون على معنى ولكن الذين يامرونهم به ذكرى فيكون خبر المبتدا واما ان يكون عليكم ذكرى
اى عليكم ان تذكروهم كما قال ان عليك الا البلاغ وعلى هذا يكون ذكرى مبتدا **النزول** قال ابو جعفر عليه السلم لما نزل
فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين قال المسلمون كيف نصنع ان كان كلما استهزا المشركون بالقرآن قمنا وتركناهم
فلا ندخل اذا المسجد الحرام ولا نطوف بالبيت الحرام فانزل الله تعالى وما على الذين يتقون من حسابهم من شئ امرهم بتذكيرهم
وتبصيرهم ما استطاعوا **المعنى** ثم امر سبحانه بترك مجالستهم عند استهزائهم بالقرآن فقال واذا رايت الذين يخوضون فى آياتنا
خاطب النبى عليه السلم اى اذا رايت هؤلاء الكفار وقيل الخطاب له والمراد غيره ومعنى يخوضون يكذبون بآياتنا وديننا عن الحسن وسعيد
بن جبير والخوض التخليط فى المفاوضة على سبيل العبث واللعب وترك التفهم والتبيين فاعرض عنهم اى اتركهم ولا تجالسهم
حتى يخوضوا فى حديث غيره اى يدخلوا فى حديث غير الاستهزاء بالقرآن وانما امره عليه السلم بالاعراض عنهم لان من حاج من
هذه حاله فقد وضع الشئ غير موضعه وحط من قدر البيان والحجاج واما ينسينك الشيطان المعنى وان انساك الشيطان
نهيك عن الجلوس معهم ويسال على هذا فيقال كيف اضاف النسيان الى الشيطان وهو فعل الله تعالى والجواب انما اضافه الى الشيطان
لانه تعالى اجرى عادته لفعل النسيان عند الاعراض عن الفكر وتراكم الخواطر الردية والوساوس الفاسدة من الشيطان فجاز
اضافة النسيان اليه لما حصل عند فعله كما ان من القى غيره فى البحر حتى مات فانه يضاف الموت اليه لانه غرضه لذلك كان كالسبب فيه

فلا تقعد بعد الذكرى اي بعد ذكرك نهينا وما يجب عليك من الاعراض عن الجبائي وقيل معناه بعد ان يذكرهم بذلك
اياهم الى الدين عن ابي مسلم فكانه قال العرض في حال الياس وذكره في حال الطمع مع القوم الظالمين يعني في مجالس الكفار والفساق
الذين يظهرون التكذيب بالقران والآيات والاستهزاء بذلك وبه قال سعيد بن جبير واختاره البلخي وقال ذلك في
اول الاسلام وكان يختص النبي عليه السلم ورخص للمومنين في ذلك ثم لما عز الاسلام وكثر المسلمون نهوا عن مجالستهم
ونسخ هذه الآية بقوله فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره انكم اذا مثلهم قال الجبائي وفي هذه الآية دلالة
على بطلان قول الامامية في جواز التقية على الانبياء والائمة وان النسيان لا يجوز على الانبياء وهذا القول غير صحيح ولا مستقيم
لان الامامية انما تجوز التقية على الامام فيما يكون عليه دلالة قاطعة توصل الى العلم ويكون المكلف مزاح العلة في تكليفه
ذلك فاما ما لا يعرف الا بقول الامام من الاحكام ولا يكون على ذلك دليل الا من جهته فلا يجوز عليه التقية فيه وهذا كما اذا
تقدم من النبي بيان في شيء من الاشياء الشرعية فانه الخطاب بسائله عن الكلالة فقال يكفيك آية الصيف واما النسيان
والسهو فلم يجوزوهما عليهم فيما يودونه عن الله تعالى فاما ما سواه فقد جوزوا عليهم النوم والاغماء وهما من
قبيل السهو فهذا ظن منه فاسد وبعض الظن اثم وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء اي ليس على المومنين الذين
اتقوا معاصي الله تعالى من حساب الكفرة شيء بحضورهم مجلس الخوض ولكن ذكرى لعلهم يتقون اي نهاهم عن مجالستهم
ليزدادوا تقى وامروا ان يذكروهم وينبهوهم على خطائهم لكي يتقي المشركون اذا راوا اعراض هولاء المومنين عنهم
وتركهم مجالستهم فلا يعودون وحكي ذلك عن اكثر المفسرين وقيل معناه ليس على المتقين من الحساب يوم القيمة مكروه
ولا تبعة ولكنه اعلمهم انهم محاسبون وحكم بذلك عليهم لكي يعلموا ان الله يحاسبهم فيتقوا عن البلخي فالهاء والميم على
الوجه الاول تعود الى الكفار وفي الثاني الى المومنين قوله عز وجل وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم
الحيوة الدنيا وذكر به ان تبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع وان تعدل كل عدل
لا يوخذ منها اولئك الذين ابسلوا بما كسبوا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون آية اللغة يقال
ابسلته بجريرته اي اسلمته والمستبسل المستسلم الذي يعلم انه لا يقدر على التخلص قال الشاعر واسلني بني بغير جرم
بعوناه ولا بدم مراق اي اسلني بجرم والبعو الجناية قال الاخفش تبسل اي تجازى وقيل تبسل اي ترتهن والمعاني متقاربة
وهذا بسل عليك اي حرام عليك وجائز ان يكون اسد باسل من هذا اي انه لا يقدر عليه وجائز ان يكون من الاول
بمعنى انه يمتنع من الاقدام ما يستبسل له قرنه ويقال اعط الراقي بسلته اي اجرته وتاويله انه عمل في الشيء الذي قد يستبسل
صاحبه معه والعدل الفداء واصله المثل والحميم الماء الحار حتى انتهى غليانه ومنه الحمام الاعراب ان تبسل في موضع نصب
بانه مفعول له وهو من باب حذف المضاف تقديره كراهة ان تبسل وقوله ليس لها من دون الله صفة لنفس والتقدير
نفس عادمة وليا وشفيعا بكسبها اولئك الذين ابسلوا ابتداء وخبره وقوله لهم شراب من حميم يجوز ان يكون خبرا ثانيا لاولئك
المعنى ثم عاد تعالى الى وصف من تقدم ذكرهم من الكفار فقال وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا اي دعهم واعرض
عنهم واعرض عنهم وانما اراد به اعراض نكار لانه قال بعد ذلك وذكر به يريد دع ملاطفتهم ومجالستهم ولا تدع تذكيرهم
ودعوتهم ونظيره في سورة النساء فاعرض عنهم وعظهم وغرتهم الحيوة الدنيا يعني اغترتهم الحيوة وذكر به اي عظ بالقران
وقيل بيوم الدين وقيل بالحسنات ان تبسل نفس بما كسبت اي لكي لا تسلم نفس للهلكة بما كسبت اي عملت عن الحسن ومجاهد
والسدي واختاره الجبائي والفراء وقيل معنى تبسل تهلك عن ابن عباس وقيل تحبس عن قتادة وقيل توخذ عن ابن زيد
وقيل تسلم الى خزنة جهنم عن عطية العوفي وقيل تجازى عن الاخفش ليس لها من دون الله ولي اي ناصر ينجيها من العذاب
ولا شفيع يشفع لها وان تعدل كل عدل وان تفد كل فداء لا يوخذ منها وقيل معناه ان تقسط في كل قسط في ذلك اليوم لا تقبل
منها لان التوبة هناك غير مقبولة وانما تقبل في الدنيا اولئك الذين ابسلوا اي هلكوا وقيل اسلموا للهلكة فلا مخلص لها وقيل

ارتهنوا وقيل جوزوا بما كسبوا اي بكسبهم وعملهم لهم شراب من حميم اي ماء مغلي حار وعذاب اليم مولم بما كانوا يكفرون
اي بكفرهم يريد جزاء على كفرهم واختلف في الآية فقيل هي منسوخة بآية السيف عن قتادة وقيل ليست بمنسوخة وانما هي تهديد
ووعيد عن مجاهد وغيره وفيها دلالة على الوعيد العظيم لمن كانت هذه سبيله من الاستهزاء بالقران وآيات الله الا امة
محمد فان اعيادهم صلوة ودعاء وعبادة قوله عز وجل قل اندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على اعقابنا
بعد اذ هدانا الله كالذي استهوته الشياطين في الارض حيران له اصحاب يدعونه الى الهدى ائتنا قل ان هدى الله
هو الهدى وامرنا لنسلم لرب العالمين آية القراءة قرا حمزة وحده استهواه بالف ممالة والباقون بالتاء المعجمة من فوق
الحجة قال ابو علي كلا الوجهين حسن قال الشاعر وكنا ورثناه على عهد تبع طويلا سواريه شديدا دعائمه اللغة استهواه
من قولهم هوى من حالق اذا تردى منه ويشبه به الذي زل عن الطريق المستقيم كان قوله زل الناهوي في المكان
قال قوم على منزع زلج منزل ثم تشبه به المخطي في طريقته في مثل قوله فازلهما الشيطان فكذلك اهوى واهواه غيره
فيقال اهويته واستهويته بمعنى كما يقال ازله الشيطان واستزله بمعنى وكذلك استجابه بمعنى اجابه قال فلم يستجبه عند ذاك
مجيب والحيران المتردد في امر لا يهتدي الى المخرج منه والفعل منه حار يحير حيرة ورجل حائر وحيران وقوم حيارى
الاعراب كالذي استهوته في موضع نصب صفة لمصدر محذوف تقديره اندعوا من دون الله دعاء مثل دعاء الذي
استهوته الشياطين في الارض حيران وحيران نصب على الحال من مفعول استهوته له اصحاب وصف لحيران ويدعونه صفة
لاصحاب اي اصحاب داعون له الى الهدى قائلون له ائتنا وههنا منتهى الكلام وقوله وامرنا لنسلم تقول العرب امرتك لتفعل
وامرتك ان تفعل وامرتك بان تفعل فمن قال امرتك بان تفعل فالباء للالصاق والمعنى وقع الامر بهذا الفعل ومن
قال امرتك ان تفعل حذف الجار ومن قال امرتك لتفعل المعنى امرتك للفعل وقال الزجاج المعنى وامرنا كي نسلم قال
الشاعر اريد لانسى ذكرها فكانما تمثل لي ليلى بكل سبيل اي كي انسى المعنى ثم امر تعالى نبيه عليه السلم والمومنين بخطاب
الكفار فقال قل يا محمد لهولاء الكفار الذين يدعون الى عبادة الاصنام او قل ايها الانسان او ايها السامع اندعوا من دون
الله ما لا ينفعنا ان عبدنا ولا يضرنا ان تركنا عبادته ونرد على اعقابنا هذا مثل يقولون لكل خائب لم يظفر بحاجته
رد على عقبيه ونكص على عقبيه وتقديره انرجع القهقرى في مشينا والمعنى انرجع عن ديننا الذي هو خير الاديان
بعد اذ هدانا الله كالذي استهوته الشياطين في الارض حيران لا يهتدي الى الطريق وقيل معناه استغوته الغيلان
في المهامه عن ابن عباس وقيل معناه دعته الشياطين الى اتباع الهوى وقيل اهلكته وقيل ذهبت به عن نفطويه
وقيل اضلته عن ابي مسلم له اصحاب يدعونه الى الهدى الى الطريق الواضح يقولون له ائتنا ولا يقبل منهم ولا يصير اليهم
لانه قد تحير لاستيلاء الشيطان عليه يهوى ولا يهتدي ثم امره تعالى فقال قل لهولاء الكفار ان هدى الله هو الهدى
اي دلالة الله لنا على توحيده وامور دينه هو الهدى الذي يودي المستدل به الى الصلاح والرشاد في دينه هو الذي
يجب ان يعمل فيه ويستدل به فلا نترك ذلك الى ما تدعون اليه وامرنا لنسلم لرب العالمين معناه وامرنا ان نسلم وقيل معناه
اي نسلم امورنا ونفوضها الى الله ونتوكل عليه فيها قوله عز وجل وان اقيموا الصلوة واتقوه وهو الذي اليه تحشرون وهو الذي خلق السموات والارض بالحق ويوم يقول كن فيكون قوله الحق وله الملك يوم
ينفخ في الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير آيتان كوفي ثلاث آيات في الباقين عد واكن فيكون آية يحتمل
اول الآية وجهين احدهما ان يكون التقدير امرنا لان نسلم ولان اقيموا الصلوة والثاني ان يكون محمولا على المعنى لان معناه
امرنا بالاسلام واقامة الصلوة وموضع ان نصب لان الباء لما سقطت افضى الفعل فنصب عالم الغيب رفع لانه نعت الذي في قوله
وهو الذي خلق السموات والارض ويحتمل ان يكون فاعل فعل دل عليه الفعل المبني للمفعول به وهو قوله ينفخ وهذا كما يقولون اكل
طعامك عبد الله والتقدير اكله عبد الله قال الشاعر ليبك يزيد ضارع لخصومة ومختبط مما تطيح الطوائح والاول اجود المعنى وان

اقيموا الصلوة هذا موصول بما قبله اي وقيل لنا اقيموا الصلوة واتقوه اي واتقوا رب العالمين اي تجنبوا معاصيه فتتقوا عقابه
وهو الذي اليه تحشرون اي تجمعون اليه يوم القيمة فيجازي كل عامل منكم بعمله وهو الذي خلق السموات والارض فيه قولان احدهما
ان معناه خلقهما للحق لا للباطل عن الحسن والزجاج وغيرهما ومعناه خلقهما حقا وثوابا لا باطلا وخطاء كما قال وما خلقنا السماء
والارض وما بينهما باطلا وادخلت الباء والالف واللام كما دخلت في نظايرها يقولون فلان يقول بالحق بمعنى انه يقول
حقا لان الحق معنى غير القول بل تقديره ان خلقهما حكمة وصواب من حكم الله وهو من صوب بالحكمة في خلقهما وخلق
ما سواهما من جميع خلقه الا ان هناك حقا سوى خلقهما خلقهما به والقول الآخر ما قاله قوم ان معناه خلق السموات
والارض بكلامه الحق وهو قوله ائتيا طوعا او كرها فالحق صفة قوله وكلامه والاول هو الصحيح ويوم يقول كن فيكون ذكر
في نصب يوم وجوه احدها ان يكون عطفا على الهاء في قوله تعالى فاتقوه اي واتقوا يوم يقول كن فيكون كما قال سبحانه
واتقوا يوما لا تجزي نفس شيئا والثاني ان يكون على معنى واذكر يوم يقول كن فيكون لان ما بعده واذ قال ابرهيم
آزر عطفا على ذلك قول الزجاج وهو الاجود والثالث ان يكون معطوفا على السموات والمعنى وهو الذي خلق السموات
والارض بالحق وخلق يوم يقول له كن فيكون فان قيل ان يوم القيمة لم يأت بعد فجوابه ان ما اخبر الله بكونه فحقيقة واقع
لا محالة واما قوله كن فقد قيل انه خطاب للصور والمعنى يوم يقول للصور كن فيكون وما ذكر من الصور يدل عليه وقيل ان قوله
كن فيه اضمار جميع ما يخلق في ذلك الوقت المعنى و يوم يقول للشيء كن فيكون وهذا بما ذكر ليدل على سرعة امر البعث
والساعة فكانه يقول ويوم يقول للخلق موتوا فيموتون وانتشروا فينتشرون اي لا يتعذر عليه ذلك ولا يتأخر عن وقت
ارادته وقيل معناه ويوم يقول كن فيكون قوله الحق اي يأمر فيقع امره اي ما وعد وابه من الثواب وحذروا به من العقاب
والحق من صفة قوله وقوله فاعل يكون كما تقول وقد قلت فكان قولك وليس المعنى انك قلت فكان الكلام انما المعنى
انه كان ما دل عليه القول واما على القول المتقدم فيكون قوله مبتدأ والحق خبره وقد ذكرنا تفسير قوله كن فيكون
في سورة البقرة مستقصى وله الملك يوم ينفخ في الصور قيل في نصب يوم هنا وجوه احدها ان يكون متعلقا بله
الملك وتقديره ان الملك ثابت وجب له في ذلك اليوم الذي ينفخ فيه في الصور فخص ذلك اليوم بان الملك له فيه كما
في قوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار والوجه فيه انه لا يبقى ملك من ملكه الله في الدنيا و يعطى عليه له سبحانه وتعالى
بالملك والثاني ان يكون يوم ينفخ في الصور منصوبا على قوله يوم يقول كن فيكون والثالث ان يكون منصوبا بقوله الحق
والمعنى قوله الحق يوم ينفخ في الصور والوجه في اختصاصه بذلك اليوم وان كان قوله حقا في كل وقت ما بيناه
في الوجه الاول وهو مثل قوله الامر يومئذ لله فلا شك ان الامر في كل وقت لله تعالى والمراد ان ذلك اليوم
لا يخالف الله في امره لانها محصومة ليس فيها تحير ولا يقدر احد على معصيته واما الصور فقيل انه قرن ينفخ فيه اسرافيل
نفختين فيصعق الخلايق كلهم في النفخة الاولى ويحيون في النفخة الثانية فيكون النفخة الاولى لانتهاء الدنيا والثانية لابتداء
الآخرة وقال الحسن هو جمع صورة كما ان السورة جمع سورة وعلى هذا فيكون معناه يوم ينفخ الروح في الصور ويؤيد
القول الاول ما رواه ابو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه واله انه قال كيف انعم وقد التقم صاحب القرن القرن
وحنى جبهته واصغى بسمعه ينتظر ان يؤمر فينفخ قالوا فكيف نقول يا رسول الله قال قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل
والعرب تقول نفخ الصور ونفخ في الصور قال الشاعر لولا ابن جعدة لم تفتح قهندزكم ولا خراسان حتى ينفخ الصور
عالم الغيب والشهادة اي يعلم بالاشياء هذه الخلق وما يشاهدونه وما لا يعلمه الخلق وما يعلمونه ولا يخفى عليه شيء
من ذلك وهو الحكيم في افعاله الخبير العالم بعباده وافعالهم قوله تعالى واذ قال ابرهيم لابيه آزر أتتخذ اصناما آلهة
اني اراك وقومك في ضلال مبين وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين آيتان
القراءة القراءة الظاهرة آزر بالفتح ويعقوب الحضرمي آزر بضم الراء وهو قراءة الحسن ويعقوب وابن عباس ومجاهد

والضحاك القراءة من قرأ بالفتح جعل آزر في موضع جر بدلا من ابيه او عطف بيان ومن قرأ بالضم جعله منادى مفردا وتقديره
يا آزر اللغة الاصنام جمع صنم والصنم ما كان مصورا والوثن ما كان غير مصور والآلهة جمع اله مثل ازار وازرة
والمبين هو البين الظاهر والملكوت بمنزلة الملك غير ان هذا اللفظ ابلغ لان الواو والتاء تزادان للمبالغة ومثله
الرغبوت والرهبوت ووزنه فعلوت وفي المثل رهبوت خير من رحموت اي لان يرهب خير من ان يرحم الاعراب
العامل في اذ محذوف وتقديره واذكر اذ قال وقيل معناه انه متصل بقوله نعبد اذ هدانا الله اي نعبد اذ قال ابرهيم
والكاف في كذلك كاف التشبيه والمعنى كما اريناه ابرهيم قبح ما كان عليه ابوه وقومه من المذهب كذلك نري ابرهيم ملكوت
السموات والارض للاعتبار وقيل شبه رؤية ابرهيم برؤية محمد عليه السلام والمعنى كما اريناك يا محمد اريناه ابرهيم وقوله
وليكون عطف على محذوف تقديره نريه الملكوت ليستدل به وليكون من الموقنين وقيل انه جملة مستانفة
اي وليكون من الموقنين اريناه فاللام يتعلق باريناه المحذوف وقيل ان الواو زايدة ومعناه ليكون وهذا بعيد المعنى
واذ قال ابرهيم اي واذكر اذ قال ابرهيم لابيه آزر قيل فيه اقوال احدها انه اسم اب ابرهيم آزر عن الحسن والسدي
والضحاك وثانيها ان اسم اب ابرهيم تارخ قال الزجاج ليس بين النسابين اختلاف ان اسم ابي ابرهيم تارح والذي في القرآن
يدل على ان اسمه آزر وقيل آزر عندهم ذم في لغتهم كانه قال واذ قال ابرهيم لابيه يا مخطي فاذا كان كذلك فالاختيار
الرفع وجاز ان يكون وصفا له كانه قال لابيه المخطي وقيل آزر اسم صنم عن سعيد بن المسيب ومجاهد وقال الزجاج
فاذا كان كذلك فموضعه نصب على اضمار الفعل كانه قال واذ قال ابرهيم لابيه اتتخذ آزر وجعل اصناما بدلا من آزر
واشباهه فقال بعد ان قال اتتخذ آزر الها اتتخذ اصناما آلهة وهذا الذي قاله الزجاج يقوي ما قاله اصحابنا ان آزر
كان جد ابرهيم لامه او كان عمه من حيث صح عندهم ان آباء النبي صلى الله عليه واله الى آدم كلهم كانوا موحدين فاجمعت
الطايفة على ذلك وروي عن النبي عليه السلام انه قال لم يزل ينقلني الله تعالى من اصلاب الطاهرين الى ارحام المطهرات حتى
اخرجني في عالمكم هذا لم يدنسني بدنس الجاهلية ولو كان في آبائه عليه السلام كافر لم يصف جميعهم بالطهارة مع قوله تعالى انما
المشركون نجس ولهم في ذلك ادلة ليس هنا موضع ذكرها وقوله اتتخذ اصناما آلهة استفهام المراد به الانكار اي لا تفعل ذلك
اني اراك وقومك في ضلال عن الصواب مبين ظاهر وفي الآية حث للنبي عليه السلام على محاجة قومه الذين دعوه الى عبادة
الاصنام والاقتداء بابيه ابرهيم عليه السلام فيه وتسلية له بذلك وكذلك نري اي مثل ما وصفنا من قصة ابرهيم وقوله
لابيه ما قال نريه ملكوت السموات والارض اي القدرة التي تقوى بها دلالته على توحيد الله تعالى وقيل معناه كما اريناك
يا محمد اريناه آثار قدرتنا فيما خلقنا من الشمس والقمر والنجوم وما في الارض من البحار والمياه والرياح ليستدل بها
وهذا معنى قول ابن عباس وقتادة وقيل معنى الملكوت آيات السموات والارض عن مجاهد ايضا وقيل ان ملكوت السموات
والارض ملكهما بالنبطية عن مجاهد ايضا وقيل ان ملكوت السموات والارض ما يشاهده من الحوادث الدالة على ان الله
تعالى مالكهما والله المالك لهما ولكل شيء بنفسه لا يملكه سواه فاجرى الملكوت على المملوك الذي هو في السموات والارض
مجازا عن ابي علي الجبائي وقال ابو جعفر عليه السلام كشط الله عن الارضين حتى رآهن وما تحتهن وعن السموات حتى رآهن
وما فيهن من الملائكة وحملة العرش وروى ابو بصير عن ابي عبد الله عليه السلام قال لما رأى ابرهيم ملكوت السموات والارض
رأى رجلا يزني فدعا عليه فمات ثم رأى آخر فدعا عليه فمات ثم رأى ثلثة فدعا عليهم فماتوا فاوحى الله يا ابرهيم
ان دعوتك مستجابة فلا تدع على عبادي واني لو شئت ان اميتهم بدعائك ما خلقتهم اني خلقت خلقي على ثلثة اصناف صنف
يعبدني لا يشرك بي شيئا فاثيبه وصنف يعبد غيري فليس يفوتني وصنف يعبد غيري فاخرج من صلبه من يعبدني وليكون
من الموقنين اي من المتيقنين بان الله تعالى هو خالق ذلك والمالك له النظم وجه اتصال الآية بما قبلها انه لما عاب
دينهم وذم الهتهم واحتج عليهم بما سلف ذكره بين ان دين ابرهيم وللناس الف بدين الاباء لا سيما اذا كان الاب ذا قدر

وقيل انما تنقل بقوله الا عوابس دون اسم الا ابنتغيا الى قوله بعد اذ هدانا الله ثم قال وبعد ان قال ابرهيم كذا وكذا
عن ابي مسلم قوله عز وجل فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما افل قال لا احب الآفلين فلما رأى القمر
بازغا قال هذا ربي فلما افل قال لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين فلما رأى الشمس بازغة قال هذا
ربي هذا اكبر فلما افلت قال يا قوم اني بريء مما تشركون اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا
من المشركين اربع آيات القراءة قرأ ابو عمرو وورش من طريق البخاري رأى كوكبا بفتح الراء وكسر الهمزة حيث كان وقرأ ابن
عامر وحمزة والكسائي وخلف عن ابي بكر رأى بكسر الراء والهمزة والباقون بفتح الراء والهمزة الحجة ذكر ابو علي الوجه في قراءة
من لم يمل ومن قراءة من امال واورد في ذلك كلاما كثيرا لم نذكره خوف الاطالة اللغة يقال جن عليه الليل وجنه الليل
واجنه الليل اذا اظلم حتى يستره بظلمته ويقال لكل ما ستر قد جن واجن ومنه اشتقاق الجن لانهم استجنوا عن اعين الناس وقال
الهذلي ولما وردت قبيل الكرى وقد جنه السدف الادهم ويقال اجننت الميت وجننته اذا واريته في اللحد وافل يافل
افولا اذا غاب قال ذو الرمة مصابيح ليست باللواتي تقودها نجوم ولا بالآفلات الدوالك والبزوغ الطلوع يقال بزغت
الشمس اذا طلعت ويسمى لثلث ليال من اول الشهر هلالا ثم يسمى قمرا الى آخر الشهر وانما يسمى قمرا لبياضه وحمار اقمر ابيض
والحنيف المائل الى الحق الاعراب يقال لم قال هذا ربي ولم يقل هذه كما قال بازغة فالجواب ان التقدير هذا النور
الطالع ربي فيكون الخبر والمخبر عنه جميعا على التذكير كما كانا جميعا على التأنيث في رأى الشمس بازغة قال ابن فضال
المجاشعي في قوله رأى الشمس بازغة اخبار من الله تعالى وقوله هذا ربي من كلام ابرهيم عليه السلم والشمس مؤنثة في
كلام العرب فاما في كلام سواهم فيجوز ان لا يكون مؤنثة وابرهيم عليه السلم لم يكن عربيا فحكى الله تعالى كلامه على ما كان
في لغته وقيل لم انثت الشمس وذكر القمر والجواب ان تأنيثها لتفخيمها لكثرة ضيائها على حد قولهم نسابة وعلامة
وليس القمر كذلك لانه دونها في الضياء وقيل لم دخلت الالف واللام فيها وهي واحدة ولم تدخل في زيد وعمرو
وقيل لان شعاع الشمس يقع عليه اسم الشمس فاحتيج الى التعريف اذا قصد الى جرم الشمس او الى الشعاع على طريق الجنس
اذ الواحد من الجنس وليس زيد ونحوه كذلك المعنى لما تقدم ذكر الآيات التي اراها الله تعالى ابرهيم عليه السلم
بين تعالى كيف استدل بها وكيف عرف الحق من جهتها فقال فلما جن عليه الليل اي استتر عليه وستر بظلامه كل ضياء
رأى كوكبا واختلف في الكوكب الذي رآه فقيل هو الزهرة وقيل هو المشتري قال هذا ربي فلما افل اي غرب قال لا احب
الآفلين واختلف في تفسير هذه الآيات على اقوال احدها ان ابرهيم عليه السلم انما قال ذلك عند كمال عقله في زمان
مهلة النظر وخطور الخاطر الموجب عليه النظر بقلبه لانه عليه السلم لما اكمل الله عقله وحرك دواعيه على الفكر والتأمل ورأى الكوكب
فاعظمه واعجبه نوره وحسنه وقد كان قومه يعبدون الكواكب فقال هذا ربي على سبيل الفكر فلما غاب علم ان الافول
لا يجوز على الاله فاستدل بذلك على انه محدث مخلوق وكذلك كانت حاله في رؤية القمر والشمس فانه لما رأى افولهما
قطع على حدوثهما واستحالة الهيتهما وقال في آخر كلامه يا قوم اني بريء مما تشركون اني وجهت وجهي للذي فطر
السموات والارض الى آخره وكان هذا القول منه عقيب معرفة الله تعالى وعلمه بان صفات المحدثين لا تجوز عليه وهذا
اختيار ابي القسم البلخي وغيره قال وزمان مهلة النظر هي اكثر من ساعة واقل من شهر لا يعلم ما بينهما الا الله تعالى وثانيها انه
انما قال ذلك قبل بلوغه وانه لما قارب كمال العقل حركته الخواطر فيما شاهده من هذه الحوادث فلما رأى الكوكب
ونوره واشراقه وزهوره ظن انه ربه فلما افل وانتقل من حال الى حال قال اني لا احب الآفلين فلما رأى القمر بازغا
عند طلوعه ورأى كبره واشراقه وانبساط نوره وضيائه في الدنيا قال هذا ربي فلما افل وصار مثل الكوكب في الافول
والغيبوبة وعلم انه لا يجوز ان يكون ذلك صفة الاله قال لئن لم يهدني ربي الى رشدي ولم يوفقني ويلطف في اصابة
الحق من توحيده لاكونن من القوم الضالين بعبادة هذه الحوادث فلما رأى الشمس بازغة اي طالعة قد ملأت الدنيا

نورا وعظمها وكبرها قال هذا ربي هذا اكبر الكوكب والقمر فلما افلت قال حينئذ لقومه اني بريء مما تشركون مع الله الذي خلقني
وخلقكم في عبادته من الهتكم فلما اكمل الله وضبط تفكره النظر في حدوث الاجسام بان وجدها غير منفكة من المعاني
المحدثة وانه لا بد لها من محدث قال حينئذ لقومه اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا اي مخلصا مائلا
عن الشرك الى الاخلاص وما انا من المشركين وهذا اختيار ابي علي الجبائي ويسأل على هذا القول كيف قال عليه السلم هذا
ربي مخبرا وهو غير عالم بما يخبر به والاخبار بما لا يأمن المخبر ان يكون فيه كاذبا قبيح فالجواب عنه من وجهين احدهما انه
لم يقل ذلك مخبرا وانما قال فارضا ومقدرا على سبيل التأمل كما يفرض احدنا اذا نظر في حدوث الاجسام كونها قديمة
ليتبين ما يؤدي اليه الفرض من الفساد ولا يكون بذلك مخبرا في الحقيقة والآخر انه اخبر عن ظنه وقد يجوز ان يظن المتفكر
في حال فكره ونظره ما لا اصل له ثم يرجع عنه بالادلة سؤال آخر كيف يتعجب ابرهيم من رؤية هذه الاشياء تعجب
من لم يكن رآها وكيف يجوز ان يكون مع كمال عقله لم ير هذه الكواكب والجواب انه لا يمتنع ان يكون عليه السلم ما رأى
السماء الا في ذلك الوقت لانه قد روي ان امه كانت ولدته في مغارة خوفا من ان يقتله نمرود ومن يكون في المغارة
لا يرى السماء فلما قارب البلوغ وبلغ حد التكليف خرج من المغارة ورأى السماء وقد يجوز ايضا ان يكون قد رأى السماء
قبل ذلك الا انه لم يفكر في اعلامها لان الفكر لم يكن واجبا عليه وحين كمل عقله فكر في ذلك وثانيها ان ابرهيم ع لم يقل
هذا ربي على طريق الشك بل كان عالما موقنا ان ربه تعالى لا يجوز ان يكون بصفة الكواكب وانما قال ذلك على سبيل الانكار
على قومه والتنبيه لهم على ان من يكون الها معبودا لا يكون بهذه الصفة الدالة على الحدوث ويكون قوله هذا ربي محمولا
على احد وجهين اما على انه كذلك عندكم وفي مذاهبكم كما يقول احدنا للمشبهة هذا ربه جسم يتحرك ويسكن واما على ان
يكون قال ذلك مستفهما واسقط حرف الاستفهام للاستغناء عنه وقد كثر مجيء ذلك في كلام العرب قال اوس بن حجر
لعمرك ما ادري وان كنت داريا شعيث بن سهم ام شعيث بن منقر وقال الاخطل كذبتك عينك ام رأيت بواسط
غلس الظلام من الرباب خيالا وقال عمر بن ابي ربيعة ثم قالوا تحبها قلت بهرا عدد القطر والحصى والتراب اي احبها
وقال آخر رفوني وقالوا يا خويلد لم ترع فقلت وانكرت الوجوه هم هم اي اهم هم وروي عن ابن عباس انه قال في قوله
فلا اقتحم العقبة معناه افلا اقتحم العقبة فحذف حرف الاستفهام وثالثها انه ع انما قال ذلك استدراجا للقوم ليقيم الحجة
عليهم وبطلان عبادتهم مخلوقا جارية عليه اعراض الحوادث فانهم كانوا يعبدون الشمس والقمر والكواكب وبعضهم
يعبدون النيران وبعضهم يعبدون الاوثان فلما رأى الكوكب الذي كانوا يعبدونه قال لهم هذا ربي في زعمكم كما قال
اين شركائي الذين كنتم تزعمون فاضافهم الى نفسه حكاية لقولهم فكانه قال لهم هذا ربي في قولكم وقيل انه نوى في قلبه
الشرط اي ان كان ربكم هذا الحجر كما تزعمون فهذا الكوكب او هذا القمر او الشمس ربي ولم يكن الحجر ربهم ولا الكوكب
ربه وفي هذه الآية دلالة على حدوث الاجسام واثبات الصانع وانما استدل ابرهيم عليه السلم بالافول على
حدوثها لان حركتها بالافول اظهر ومن الشبهة ابعد واذا جازت عليها الحركة والسكون فلا بد ان تكون مخلوقة
محدثة واذا كانت محدثة فلا بد لها من محدث والمحدث لا بد ان يكون قادرا يصح منه الاحداث واذا احدثها على
غاية الانتظام والاحكام فلا بد ان يكون عالما واذا كان قادرا عالما وجب ان يكون حيا موجودا وفيها تنبيه لمشركي العرب
وزجر لهم عن عبادة الاصنام وحث على سلوك طريقة ابيهم ابرهيم في النظر والفكر لانهم كانوا يعظمون اباهم فاعلمهم
سبحانه ان اتباع الحق من دين ابيهم الذي يقرون بفضله اوجب عليهم القصة ذكر اهل التفسير والتاريخ ان ابرهيم عليه السلم
ولد في زمن نمرود بن كنعان وزعم بعضهم ان نمرود كان من ولاة كيكاوس وقال بعضهم كان ملكا برأسه وقيل لنمرود
انه يولد في بلده هذه السنة مولود يكون هلاكه وزوال ملكه على يديه ثم اختلفوا فقال بعضهم انما قالوا ذلك
من طريق التنجيم والتكهن وقال آخرون بل وجد ذلك في كتب الانبياء وقال آخرون رأى نمرود كان كوكبا طلع فذهب

وضوء الشمس والقمر فسأل عنه فخبر بأنه يولد غلام يذهب ملكه على يديه عن السدي فعند ذلك أمر بقتل كل غلام يولد تلك
السنة وأمر بأن يعزل الرجال عن النساء بأن يتفحص عن أحوال النساء فمن وجدت حبلى حبس حتى تلد فإن كان غلاماً قتل
وإن كانت جارية خليت حتى حبلت أم إبرهيم فلما دنت ولادة إبرهيم خرجت أمه هاربة فذهبت به إلى الغار ولفته في
خرقة ثم جعلت على باب الغار صخرة ثم انصرفت عنه فجعل الله رزقه في إبهامه فجعل يمصها فيشخب لبناً وجعل يشب
في اليوم كما يشب غيره في الجمعة ويشب في الجمعة كما يشب غيره في الشهر ويشب في الشهر كما يشب غيره في السنة فمكث ما شاء الله
أن يمكث وقيل كانت تختلف إليه أمه فكان يمص أصابعه فوجدته يمص من إصبع ماء ومن إصبع لبناً ومن إصبع عسلاً ومن إصبع
سمناً عن أبي روق ومحمد بن إسحق ولما خرج من السرب نظر إلى النجم وكان آخر الشهر فرأى الكوكب قبل
القمر ثم رأى القمر ثم رأى الشمس فقال ما قال ولما رأى قومه يعبدون الأصنام خالفهم وكان يعيب آلهتهم حتى فشا
أمره وجرت المناظرات قوله عز وجل وحاجه قومه قال أتحاجوني في الله وقد هدان ولا أخاف ما تشركون
به إلا أن يشاء ربي شيئاً وسع ربي كل شيء علماً أفلا تتذكرون وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم
أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطاناً فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون آيتان القراءة قرأ أهل المدينة
وابن عامر في رواية ابن ذكوان أتحاجوني خفيفة بالنون والباقون بالتشديد الحجة قال أبو علي لا نظر في قول
من شدد فأما وجه التخفيف فإنه حذفت النون الثانية لالتقاء النونين والتضعيف نكره فيتوصل إلى إزالته
تارة بالحذف نحو علماء بني فلان وتارة بالإبدال نحو لا أملاه حتى يفارقا ونحو دينار وقيراط فحذفوا النون الثانية
كراهية التضعيف ولا يجوز أن يكون المحذوفة الأولى لأن استثقال يقع بالتكرير في الأمر الأعم وفي الأولى أيضاً إنما
دلالة الإعراب وإنما حذفت الثانية كما حذفت في ليتي نحو قوله إذ قال ليتي أصادفه ويذهب بعض مالي وقوله تراه كالثغام
يعل مسكاً يسوء الفاليات إذا فليني والمحذوفة المصاحبة للياء لتسلم سكون لام الفعل وما يجري مجراها أو حركتها
ولا يجوز أن يكون المحذوفة الأولى لأن الفعل يبقى بلا فاعل كما لا تحذف الأولى في يحاجوني لأنها للإعراب ويدل على
أن المحذوفة الثانية أنها حذفت مع الجار أيضاً في نحو قوله قدني من نصر الخبيبين قدي وقد جاء حذف هذه
النون في كلامهم قال الشاعر أنا الموت الذي لا بد أني ملاق لا أباك تخوفيني وقال يذكرونا إذ نقاتلكم لا نضر
معدماً عدمه الإعراب موضع أن يشاء نصب أي لا أخاف الأصنام إلا مشيئة الله وهذا استثناء منقطع وقيل متصل وتقديره
ولا أخافهم إلا أن يشاء ربي إحياءهم وإقدارهم وعلماً منصوب على التمييز المعنى ثم ذكر تعالى محاجة إبرهيم مع قومه
فقال وحاجه قومه أي خاصموه وجادلوه في الدين وخوفوه من ترك عبادة آلهتهم قال أي إبرهيم لهم أتحاجوني في الله
وقد هداني أي وفقني لمعرفته ولطف لي في العلم بتوحيده وترك الشرك وإخلاص العبادة له ولا أخاف ما تشركون
به أي لا أخاف منه ضرراً إن كفرت به ولا أرجو نفعاً إن عبدته لأنه بين صنم قد طهر كسر فلم يدفع عن نفسه وبهم دل
أقوله على حدثه وكيف تحاجوني وتدعونني إلى عبادة من لا يخاف ضره ولا يرجى نفعه إلا أن يشاء ربي شيئاً فيه قولان
أحدهما أن معناه إلا أن يقلب الله هذه الأصنام التي تخوفونني بها فيحييها ويقدرها فتضر وتنفع فيكون ضررها
ونفعها إذ ذاك دليلاً على حدثها أيضاً وعلى توحيد الله وعلى أنه المستحق للعبادة دون غيره وأنه لا شريك له في ملكه ثم
أثنى على الله تعالى فقال وسع ربي كل شيء علماً أي هو عالم بكل شيء ثم أمرهم بالتذكر والتدبر فقال أفلا تتذكرون والثاني
قول الحسن إن معناه لا أخاف الأوثان إلا أن يشاء ربي أن يبتليني ببعض ذنوب أو يشاء الإضرار بي ابتداء فالأولى الجود
ثم احتج عليهم وأكد الحجاج بقوله وكيف أخاف ما أشركتم أي كيف تكرهونني أن أخاف ما أشركتم به من الأوثان المخلوقة
وقد تبين حالها في أنها لا تضر ولا تنفع ولا تخافون أنكم أشركتم بالله أي ولا تخافون من هو القادر على الضر والنفع
تجترئون عليه بأن أشركتم أي جعلتم له شركاء في ملكه وتعبدونهم من دونه وقيل معناه كيف أخاف شرككم وأنا منه بريء

موعد الله تعالى لا يعاقبني بفعلكم وأنتم لا تخافونه وقد أشركتم به فيكون على هذا ما في قوله ما أشركتم مصدرية
ما لم ينزل به عليكم سلطاناً أي حجة على صحته وهذا يدل على أن كل من قال قولاً واعتقد مذهباً بغير حجة فهو مبطل
فأي الفريقين أحق بالأمن وقد عرفنا الله بأدلته ووجهنا العبادة إليه أم أنتم وقد أشركتم بعبادته غيره من الأصنام
ولو اطرحتم المعصية والحمية لما وجدتم لهذا الحجاج مدفعاً إن كنتم تعلمون أي تستعملون عقولكم وعلومكم فتميزون الحق من
الباطل والدليل من الشبهة قوله عز وجل الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون
آية اللغة قال الأصمعي الظلم في اللغة وضع الشيء في غير موضعه قال الشاعر يمدح قوماً هرت الشقاشق ظلامون
للجزر يريد أنهم عرقبوها فوضعوا النحر في غير موضعه وقال النابغة والنؤي كالحوض بالمظلومة الجلد يريد الأرض
التي صرف عنها المطر وإنما سماها مظلومة لأنهم يحوضون فيها حوضاً لم يحكموا صنعته ولم يضعوه في موضعه لكونهم مسافرين
المعنى لما تقدم قوله تعالى أي الفريقين أحق بالأمن أي بأن يأمن من العذاب الموحد أم المشرك عقبه ببيان من هو أحق به
فقال الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم معناه الذين عرفوا الله تعالى وصدقوا به وبما أوجبه عليهم ولم يخلطوا ذلك
بظلم والظلم هو الشرك عن ابن عباس وسعيد بن المسيب وقتادة ومجاهد وأكثر المفسرين وروي عن أبي بن كعب ألم تسمع
قوله تعالى إن الشرك لظلم عظيم وهو المروي عن سلمان الفارسي وحذيفة بن اليمان وروي عن عبد الله بن مسعود قال
لما نزلت هذه الآية شق على الناس وقالوا يا رسول الله وأينا لم يظلم نفسه فقال عليه السلام إنه ليس الذي تعنون ألم تسمعوا إلى ما قال
العبد الصالح يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم وقال الجبائي والبلخي يدخل في الظلم كل كبيرة تحبط ثواب الطاعة قال البلخي
ولو اختص بالشرك على ما قالوه لوجب أن يكون مرتكب الكبيرة إذا كان مؤمناً كان آمناً وذلك خلاف القول بالإرجاء
وهذا لا يلزم لأنه يقول بدليل الخطاب ومرتكب الكبيرة غير آمن وإن كان ذلك معلوماً بدليل آخر أولئك لهم الأمن من الله
لحصول الثواب والأمان من العقاب وهم مهتدون أي محكوم لهم بالاهتداء إلى الحق والدين وقيل إلى الجنة واختلف
في هذه الآية فقيل إنه من تمام قول إبرهيم عليه السلام وروي ذلك عن علي عليه السلام وقيل إن هذا القول من الله تعالى
على جهة فصل القضاء بذلك بين إبرهيم عليه السلام وقومه عن محمد بن إسحق وابن زيد والجبائي قوله عز وجل وتلك حجتنا
آتيناها إبرهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم ووهبنا له إسحق ويعقوب كلاً هدينا
ونوحاً هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزي المحسنين
وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين وإسمعيل واليسع ويونس ولوطاً وكلاً فضلنا على العالمين ومن
آبائهم وذرياتهم وإخوانهم واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم خمس آيات القراءة قرأ أهل الكوفة ويعقوب درجات
منوناً والباقون درجات من نشاء بالإضافة وقرأ أهل الكوفة غير عاصم والليسع بتشديد اللام وفتحها وسكون الياء وهنا
وفي صاد والباقون واليسع بسكون اللام وفتح الياء الحجة من أضاف درجات ذهب إلى أن المرفوع هي الدرجات لمن
نشاء ومن نون ذهب إلى أن المرفوع صاحب الدرجات ويقوي قراءة من أضاف قوله تلك الرسل فضلنا بعضهم على
بعض فمن فضل على غيره فقد رفع درجته عليه ويدل على قراءة من نون قوله ورفع بعضهم درجات لأنه في ذكر الرسل
فأما قوله ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً فإنه في الرتب وارتفاع الأحوال في الدنيا وأتباعها ألا
ترى أنه قال نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا وأما من قرأ والليسع باللام فإن هذه اللام زائدة قال أبو علي اعلم أن لام
المعرفة تدخل الأسماء على ضربين أحدهما التعريف والآخر زيادة زيدت كما تزاد الحروف والتعريف على ضروب منها أن تكون
إشارة إلى معهود بينك وبين المخاطب نحو الرجل إذا أردت به رجلاً عرفتماه بعهد كان بينكما والآخر أن تكون إشارة إلى ما في
نفوس الناس من علمهم بالجنس وهذا الضرب وإن كان معرفة كالأول فهو مخالف له من حيث كان الأول وقع علمه حساً وهذا
لم يعلمه كذلك إنما يعلمه معقولاً فأما نحو مررت بهذا الرجل فإنما أشير به إلى الشاهد الحاضر لا إلى الغائب معلوم بعهد لا يرى

انك تقول ذلك فيما الاعهد بينك فيه وبين مخاطبك ويدل على ذلك قولك في النداء يا ايها الرجل فتشير به الى المخاطب الحاضر
فاما نحو العباس والحارث والحسن فانما دخلت الالف واللام فيها على تنزيلها صفات جارية على موصوفين وهذا يعني
الخليل بقوله جعلوه الشيء بعينه فاذا لم ينزل هذا التنزيل لم يلحقوها الالف واللام فقالوا حارث وعباس وعلى كلا المذهبين
جاء ذلك في كلامهم قال الفرزدق نفعتهم اعراف خندم نعبد ما رحيا الهنا دراك المعلى والمكارم للنعمان للملوك وفي بها ردا
ونجلت عن وجوه الاهاتم فجعله مرة اسما بمنزلة اصحاه واصاح ومرة صفة بمنزلة احمر وحمر وجمع الاعشى بين الامرين
في قوله اتاني وعيد الحوص من آل جعفر فيا عبد عمرو لو نهيت الاحاوصا واما قوله والتيم التيم من يمشي والاسم ذهل
بن تيم بنو السود المدانيس فانه يحتمل الامرين يجوز ان يكون بمنزلة العباس لان التيم مصدر والمصادر قد اجريت مجرى
اسماء الفاعلين فوصف بها كما وصف باسماء الفاعلين وجمع جمعها في نحو نوم ونوم ونور وسيل وسوايل وعلى هذا قالوا
الفضل في اسم رجل كانهم جعلوه الشيء الذي هو خلاف النقص والاخر ان يكون بمنزلة يمني ويمن كزنجي وزنج فاما الالف واللام
في اليسع فلا تخلو ان تكون زايدة او غير زايدة فان كانت غير زايدة فلا تخلو ان تكون على حد الرجل اذا اردت
به المعهود والجنس نحو ان الانسان لفي خسر او على حد دخولهما في العباس فلا يجوز ان يكون على واحد من ذلك فثبت
انه زيادة مما جاءت اللام فيه زيادة ما انشده احمد بن يحيى يا ليت ام العمر كانت صاحبي مكان من اشتى على الركائب وما جاء
الالف واللام فيه زايدة الخمسة العشر درهما حكاه ابو الحسن الاخفش الا ترى انهما اسم واحد لا يجوز ان يعرف اسم
واحد بتعريفين كما لا يجوز ان يعرف بعض الاسم دون بعض وذهب ابو الحسن الى ان اللام في اللات زايدة لان اللات
معرفة فاما العزى فمن باب العباس وقياس قول ابي الحسن هذا ان تكون اللام في اليسع ايضا زايدة لانه علم مثل اللات وليس
بصفة ومما جاءت اللام فيه زايدة قول الشاعر وجدنا الوليد بن اليزيد مباركا شديدا باحناء الخلافة كاهله فاما من
قال الليسع فانه يكون اللام على حد ما في الحرث الا ترى انه على وزن الصفات الا انه وان كان كذلك فليس له مزية
على القول الآخر الا ترى انه لم يجيء في الاسماء الاعجمية المنقولة في حال التعريف نحو اسمعيل واسحق شيء على هذا النحو كما لم يجيء فيها
شيء فيه لام التعريف واذا كان كذلك كان الليسع بمنزلة اليسع في انه خارج عما عليه الاسماء الاعجمية المختصة المعربة الاعراب
وتلك حجتنا تلك مبتدا وحجتنا خبره والظاهر ان قوله على قومه من صلة حجتنا اي وتلك حجتنا على قومه واذا جعلت
آتيناها من صفة حجتنا كان فصلا بين الصلة والموصول وذلك لا يجوز فينبغي ان يكون متعلقا بمحذوف هو هذا الظاهر
يفسره كذا نقل عن ابي علي المعنى ثم بين تعالى ان الحجج التي ذكرها ابرهيم عليه السلم لقومه آتاه اياه واعطاها اياه
بمعنى انه هداه لها وانه احتج بها بامره فقال وتلك حجتنا اي ادلتنا آتيناها اي اعطيناها ابرهيم واخطرناها بباله حتى جعلها
حججا على قومه من الكفار حتى يمكن من ايرادها عليهم عند المحاجة نرفع درجات من نشاء من المؤمنين الذين يصدقون
الله ورسوله ويطيعونه ونفضل بعضهم على بعض بحسب احوالهم في الايمان واليقين ان ربك حكيم عليم يجعل التفاوت بينهم
على ما يوجبه حكمته وتقتضيه علمه وقيل معناه نرفع درجات من نشاء على الخلق بالاصطفاء للرسالة ووهبنا
له اي لابرهيم اسحق وهو ابنه من سارة ويعقوب بن اسحق كلا هدينا اي كل الثلثة فضلنا بالنبوة كما قال تعالى
ووجدك ضالا فهدى اي ذاهبا عن النبوة فهداك اليها وقيل معناه كلا هدينا لنيل الثواب والكرامات عن الجبائي
من الله تعالى على ابرهيم بان رزقه الولد وولد الولد وهما نبيان مرسلان ونوحا هدينا من قبل اي من قبل هؤلاء
ومن ذريته اي من ذرية نوح لانه اقرب المذكورين اليه ولان فيمن عدهم من ليس من ذرية ابرهيم وهو لوط
والياس وقيل اراد ومن ذرية ابرهيم داود وهو داود بن ايشا وسليمان ابنه وايوب وهو ايوب بن اموص
بن رازح بن روم بن عيص بن اسحق بن ابرهيم ويوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم وموسى بن عمران بن يصهر بن
قاهث بن لاوي بن يعقوب وهرون اخاه وكان اكبر منه بسنة وكذلك نجزي المحسنين بنيل الثواب والكرامات

وقيل المراد به كما تفضلنا على هؤلاء الانبياء بالنبوة فكذلك نتفضل على المحسنين بنيل الثواب والكرامات وزكريا وهو
زكريا بن آذن بن بركيا ويحيى وهو ابنه وعيسى وهو ابن مريم بنت عمران بن ياشم بن اموز بن خزقيا والياس اختلف
فيه فقيل انه ادريس كما قيل ليعقوب اسرائيل عن عبد الله بن مسعود وقيل هو الياس بن بستين بن فنحاص بن العيزار بن
هرون بن عمران نبي الله عن ابن اسحق وقيل هو الخضر عن كعب كل من الصالحين اي من الانبياء والصالحين اي
من الانبياء المرسلين واسمعيل هو ابن ابرهيم واليسع وهو ابن اخطوب بن العجوز ويونس بن متى ولوطا وهو
لوط بن هاران بن اخي ابرهيم وقيل هو ابن اخته وكلا اي وكل واحد منهم فضلنا على العالمين اي عالمي زمانه
ومن قال ان الهاء في قوله ومن ذريته كناية عن ابرهيم عليه السلم قال انه سمى ذريته الى قوله وكذلك نجزي المحسنين
ثم عطف قوله وزكريا ويحيى على قوله نوحا وهدينا ولا يمتنع ان يكون على الاكثر الذين هم من نسل ابرهيم
على ان الرواية التي جاءت عن ابن مسعود ان الياس ادريس وهو جد نوح عليه السلم اذا لم يضعف قول من قال ان الهاء
كناية عن نوح فلذلك اذا لم يكن لوط من ذرية ابرهيم لم يضعف قول من قال ان الهاء كناية عن ابرهيم وقال الزجاج
ويجوز ان يكون من ذرية ابرهيم لان ذكرهما جميعا قد جرى واسماء الانبياء التي جاءت بعد قوله ونوحا نسق على نوح واذا
جعل الله تعالى من ذرية ابرهيم او نوح ففي ذلك دلالة واضحة وحجة قاطعة على ان اولاد الحسين والحسن عليهما السلم
ابناي هذان امامان قاما او قعدا وقال للحسين ان ابني هذا سيد وان الصحابة كانت تقول لكل منهما ومن اولادهما
يا ابن رسول الله ومن آبائهم يعني ومن آباء هؤلاء الانبياء وذرياتهم واخوانهم واجتبيناهم اي اصطفيناهم واخترناهم للرسالة
وهو ماخوذ من جبيت الماء في الحوض اذا جمعته وهديناهم اي سددناهم وارشدناهم فاهتدوا الى صراط مستقيم اي طريق
بين لا اعوجاج فيه وهو الدين الحق قوله عز وجل ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ولو اشركوا لحبط
عنهم ما كانوا يعملون اولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا
بها بكافرين اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده قل لا اسألكم عليه اجرا ان هو الا ذكرى للعالمين ثلث آيات القراءة
قرا ابن عامر وحده اقتدهي بكسر الهاء مشبعة والباقون اقتده ساكنة الهاء الا ان حمزة والكسائي ويعقوب وخلفا
يحذفون الهاء في الوصل ويثبتونها في الوقف والباقين يثبتونها في الوصل والوقف الحجة قال ابو علي الوجه الوقوف
على الهاء لاجتماع الجمهور على اثباته ولا ينبغي ان يوصل والهاء ثابتة لان هذه الهاء في السكت بمنزلة همزة الوصل للابتداء
بالساكن فكما لا يثبت الهمزة في الوصل كذلك ينبغي ان لا يثبت الهاء ووجه قراءة ابن عامر ان يجعل الهاء كناية عن المصدر
لا التي تلحق الوقف وحسن اضماره لذكر الفعل الدال عليه ومثل ذلك قول الشاعر فجال على وحشيه وتخاله على ظهره
سبا جديدا يمانيا كانه قال ويخال خيلا على ظهره فعلى متعلق بالمحذوف والتقدير ثابتا على ظهره ومثله قول الشاعر
هذا سراقة للقرآن يدرسه والمرء عند الرشا ان يلقها ذيب فالهاء كناية عن المصدر ودل يدرسه على الدرس ولا يجوز
ان يكون ضمير القرآن لان الفعل قد تعدى اليه باللام فلا يجوز ان يتعدى اليه والى ضميره المعنى ثم بين سبحانه اكرامه للانبياء
عليهم السلم ثم امر من بعد بالاقتداء بهم فقال ذلك وهو اشارة الى ما تقدم ذكره التفضيل من الاجتباء والهداية
والاصطفاء هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ممن لم يسمهم في هذه الآيات والهداية في الارشاد الى الثواب
دون الهداية التي هي نصب الادلة الا ترى الى قوله وكذلك نجزي المحسنين ولا يليق ذلك الا بالثواب الذي يختص المحسنين
دون الدلالة التي يشترك فيها المؤمن والكافر وقوله ولو اشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون يدل ايضا على ذلك ومعناه انهم
لو اشركوا لبطلت اعمالهم التي كانوا يعملونها على خلاف الوجه الذي يستحق بها الثواب لتوجيهها الى غير الله تعالى وليس في ذلك دلالة لنا
على ان الثواب الذي استحقوه على طاعاتهم المتقدمة يحبط اذ ليس في ظاهر الآية ما يقتضي ذلك على انا قد علمنا بالدليل
ان المشرك لا يكون معه ثواب اصلا واجمعت الامة على ذلك اولئك يعني به من تقدم ذكرهم من الانبياء الذين آتيناهم اي اعطيناهم

الكتاب اراد الكتب ووحد لانه عني به الجنس والحكم معناه الحكم بين الناس وقيل الحكمة والنبوة اي الرسالة فان يكفر بها
اي بالكتاب والحكم والنبوة هولاء يعني الكفار الذين جحدوا نبوة الرسول صلى الله عليه واله في ذلك الوقت فقد وكلنا
بها اي بمراعاة امر النبوة وتعظيمها والاخذ بهدى الانبياء قوما ليسوا بها بكافرين واختلف في المعنيين بذلك فقيل عني به
الانبياء الذين جرى ذكرهم امنوا بما اتى به النبي عليه السلم قبل وقت مبعثه عن الحسن واختاره الزجاج والطبري والجبائي
وقيل عني به الملائكة عن ابي رجاء العطاردي وقيل عني به من امن من اصحاب النبي صلى الله عليه واله في وقت مبعثه
وقيل عني بقوله فان يكفر بها كفار قريش وبقوله قوما ليسوا بها بكافرين اهل المدينة عن الضحاك واختاره الفراء
وانما قال وكلنا بها ولم يقل فقد قام قوم تشريفا لهم بالاضافة الى نفسه وقيل معناه فقد الزمناها قوما فقاموا بها وفي
هذا اضمان من الله ان ينصر نبيه ويحفظ دينه اولئك الذين هدى الله اي هداهم الله الى الصبر فبهداهم اقتده معناه اقتد
بهم في الصبر على اذى قومك واصبر كما صبروا حتى تستحق من الثواب ما استحقوه وقيل معناه اولئك الذين قبلوا هدى الله
واهتدوا بالطف الله الذي فعله بهم فاقتد بطريقتهم في التوحيد والادلة او تبليغ الرسالة والاشارة باولئك الى الانبياء
الذين تقدم ذكرهم عن ابن عباس والسدي وابن زيد وقيل الى المومنين الموكلين لحفظ دين الله لانه في ذكرهم
عن الحسن وقتاده وعلى هذا فلم يكرر لفظ الهداية وعلى القول الاول اعاد ذكر الهداية لطول الكلام ويكون معنى قوله
فبهداهم اقتده بصبر ايوب وسخاء ابرهيم وصلابة موسى وزهد عيسى ثم فسر بعض ما يقتدى بهم فيه في قوله قل يا محمد
لا اسالكم عليه اجرا اي لا اطلب منكم على تبليغ الوحي واداء الرسالة جعلا كما لم يسئل ذلك الانبياء قبلي فان اخذ الاجر عليه
ينفر الناس عن القبول ان هو الا ذكرى اي عظة وتذكير للعالمين بما يلزمهم اتيانه واجتنابه وفي هذه الاية دلالة على انه
لا يخلو كل زمان من حافظ للدين اما نبي او امام لقوله فقد وكلنا بها قوما واسند التوكيل الى نفسه وقد استدل قوم
بالاية على ان النبي وامته كانوا متعبدين بشرايع من قبلهم الا ما قام الدليل على نسخه وهذا لا يصح لان الاية قد وردت
فيما اتفقوا عليه على ما تقدم ذكره وذلك لا يليق الا بالتوحيد ومكارم الاخلاق واما الشرايع فانها تختلف فلا يصح الاقتداء
بجميع الانبياء فيها ويدل الاية على ان نبينا صلى الله عليه واله مبعوث الى كافة العالمين وان النبوة مختومة به ولذلك
قال ان هو الا ذكرى للعالمين قوله عز وجل وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء قل من انزل
الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وعلمتم ما لم تعلموا
انتم ولا اباؤكم قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون آية القراءة قرا ابن كثير وابو عمرو يجعلونه قراطيس يبدونها
ويخفون بالياء والباقون بالتاء في الجميع الحجة من قرا بالياء فلان ما قبله وما قدروا الله على الغيبة ومن قرا بالتاء
على الخطاب من قوله قل من انزل الكتاب وقوله فيما بعد وعلمتم ما لم تعلموا الاعراب حق قدره منصوب على المصدر تبدونها
وتخفون كثيرا يجوز ان يكون صفة لقراطيس لان النكرات توصف بالجمل ويجوز ان يكون حالا من ضمير الكتاب في تجعلونه
على ان يجعل القراطيس في المعنى الكتاب لانه مكتوب فيها وانما رفع قوله يلعبون لانه لم يجعله جوابا لقوله ذرهم ولو جعله
جوابا للزمه كما قال ذرهم ياكلوا وموضع يلعبون نصب على الحال والتقدير ذرهم لاعبين في خوضهم النزول جاء رجل
من اليهود يقال له مالك بن الصيف يخاصم النبي عليه السلم فقال له النبي انشدك بالذي انزل التورية على موسى
اما تجد في التورية ان الله يبغض الحبر السمين وكان سمينا فغضب وقال والله ما انزل الله على بشر من شيء فقال له
اصحابه ويحك ولا موسى فنزلت الاية عن سعيد بن جبير وقيل ان الرجل كان فنحاص بن عازورا وهو قائل هذه
المقالة عن السدي وقيل ان اليهود قالت يا محمد انزل الله عليك كتابا قال نعم قالوا والله ما انزل الله من السماء كتابا
فنزلت الاية عن ابن عباس وفي رواية اخرى عنه انها نزلت في الكفار انكروا قدرة الله عليهم فمن اقر ان الله على كل شيء
قدير فقد قدر الله حق قدره وقيل نزلت في مشركي قريش عن مجاهد المعنى لما تقدم ذكر الانبياء والنبوة عقبه تعالى بتهجين من

انكر النبوة فقال وما قدروا الله حق قدره اي ما عرفوا الله حق معرفته وما عظموه حق عظمته وما وصفوه
بما هو اهل ان يوصف به اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء اي ما ارسل الله رسولا ولم ينزل على بشر شيئا مع ان المصلحة
والحكمة تقتضيان ذلك والمعجزات الباهرة تدل على بعثة كثير منهم ثم امر الله تعالى نبيه فقال قل يا محمد لهم من انزل الكتاب
الذي جاء به موسى يعني التورية وانما احتج بذلك عليهم لان القايل بذلك من اليهود ومن قال ان المعني بالاية مشركو العرب
قال احتج عليهم بامر ظاهر يعني ان منزلة محمد صلى الله عليه واله كمنزلة موسى نورا اي يستضاء به في الدين كما
يستضاء بالنور في الدنيا وهدى للناس اي دلالة يهتدون به تجعلونه قراطيس اي كتبا وصحفا متفرقة قال
ابو علي الفارسي معناه تجعلونه ذا قراطيس اي تودعونه اياها تبدونها وتخفون كثيرا اي تبدون بعضها وتكتمون بعضها
وهو ما في الكتب من صفات النبي صلى الله عليه واله والاشارة اليه والارشاد وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم قيل انه خطاب
للمسلمين يذكرهم ما انعم به عليهم عن مجاهد وقيل هو خطاب لليهود اي علمتم التورية فضيعتموه ولم تنتفعوا به وقيل
معناه علمتم بالقران ما لم تعلموا عن الحسن قل يا محمد الله اي الله انزل ذلك هذا كما ان الانسان اذا اراد البيان والاحتجاج
بما يعلم ان الخصم مقر به ولا يستطيع دفعه ذكر ذلك ثم تولى الجواب عنه فقد علم انه لا جواب له غيره ثم ذرهم في خوضهم يلعبون
اي دعهم وما يختارونه من العناد وما خاضوا فيه من الباطل واللعب وليس هذا على اباحة ترك الدعاء والانذار بل على
ضرب من التوعد والتهدد كانه قال دعهم فسيعلمون عاقبة امرهم قوله عز وجل وهذا كتاب انزلناه مبارك مصدق
الذي بين يديه ولتنذر ام القرى ومن حولها والذين يؤمنون بالاخرة يؤمنون به وهم على صلوتهم يحافظون آية
القراءة قرا ابو بكر عن عاصم لينذر بالياء والباقون بالتاء الحجة من قرا بالتاء يؤيده قراءته قوله انذر به الذين
يخافون وانما انت منذر من يخشاها ومن قرا بالياء جعل المنذر هو الكتاب ويؤيده قوله لينذر به واما انذركم
بالوحي فلا يمتنع اسناد الانذار اليه على وجه التوسع الاعراب انزلناه جملة مرفوعة الموضع صفة لكتاب ومبارك ايضا صفة
له المعنى لما احتج تعالى بانزال التورية على موسى عليه السلم بين ان سبيل القران سبيلها فقال وهذا كتاب يعني
القران انزلناه من السماء الى الارض لان جبرئيل اتى به من السماء مبارك وانما سماه مباركا لانه ممدوح مستسعد
فكل من تمسك به نال الفوز بالجنة وقيل ان البركة ثبوت الخير على النماء والزيادة ومنه تبارك الله اي ثبت له
ما يستحق به التعظيم لم يزل ولا يزال فالقران مبارك لان قراءته خير والعمل به خير وفيه علم الاولين والآخرين وفيه
مغفرة للذنوب وفيه الحلال والحرام وقيل البركة الزيادة فالقران مبارك لما فيه من زيادة البيان على ما في الكتب المتقدمة
لانه ناسخ لا يرد عليه نسخ لبقائه الى اخر التكليف مصدق الذي بين يديه من الكتب كالتورية والانجيل وغيرهما عن الحسن وتصديقه
للكتب على وجهين احدهما ان يشهد لها بانها حق والثاني انه ورد بالصفة التي نطق بها الكتب المتقدمة ولتنذر ام القرى
ومن حولها يعني بام القرى مكة وبمن حولها اهل الارض كلهم عن ابن عباس وهو من باب المضاف يريد لتنذر اهل
ام القرى وانما سميت مكة ام القرى لان الارض دحيت من تحتها فكان الارض نشات منها وقيل لانه اول بيت وضع في
الدنيا وضع بمكة فكان القرى نشات منها عن السدي وقيل لان على جميع الناس ان يستقبلوها ويعظموها
لانها قبلتهم كما يجب تعظيم الام عن الزجاج والجبائي والذين يؤمنون بالاخرة يؤمنون به اي بالقران ويحتمل ان يكون
كناية عن محمد صلى الله عليه واله لدلالة الكلام عليه وهم على صلوتهم اي على اوقات صلوتهم محافظون اي يراعونها
ليودوها فيها ويقوموا باتمام ركوعها وسجودها وجميع اركانها وفي هذا دلالة على ان المومن لا يجوز ان يكون مومنا
ببعض ما اوجبه الله دون بعض وفيها دلالة على تعظيم قدر الصلوة ومنزلتها لانه تعالى خصها بالذكر من بين سائر الفرايض
ونبه على ان من كان مصدقا بالقيامة وبالنبي صلى الله عليه واله لا يخل بها ولا يتركها قوله عز وجل ومن اظلم ممن افترى
على الله كذبا او قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء ومن قال سانزل مثل ما انزل الله ولو ترى اذ الظالمون

في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون
على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون آية اللغة أصل الافتراء القطع من فريت الأديم أفريه فريا فكان
الافتراء هو القطع على خبر لا حقيقة له والغمرة الغشية وغمرة كل شيء معظمه وغمرات الموت شدائده قال الشاعر
الغمرات ثم ينجلينا ثم يذهبن فلا يجينا وأصله الشيء يغمر الأشياء فيغطيها والهون بضم الهاء الهوان قال ذو الإصبع العدواني
اذهب إليك فما أمي براعية ترعى المخاض ولا أغضي على الهون والهون بفتح الهاء الدعة والرفق ومنه يمشون
على الأرض هونا وقال هونا كما لا يرد الدهر ما فاتا لا يهلك أسفا في إثر من ماتا الإعراب من قال سأنزل في موضع
جر على العطف كأنه قال ومن أظلم ممن قال ذلك وجواب لو محذوف ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت
لرأيت عذابا عظيما النزول اختلفوا فيمن نزلت هذه الآية فقيل نزلت في مسيلمة حيث ادعى النبوة إلى قوله ولم يوح إليه شيء
وقوله ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله في عبد الله بن سعد بن أبي سرح فإنه كان يكتب الوحي للنبي صلى الله عليه وآله فكان
إذا قال له اكتب عليما حكيما كتب غفورا رحيما وإذا قال كتب غفورا رحيما كتب عليما حكيما وارتد ولحق بمكة وقال إني
أنزل مثل ما أنزل الله عن عكرمة وابن عباس ومجاهد والسدي وذهب إليه الفراء والزجاج والجبائي وهو
المروي عن أبي جعفر عليه السلام وقال قوم نزلت في ابن أبي سرح خاصة وقال قوم نزلت في مسيلمة خاصة المعنى لما تقدم
ذكر نبوة النبي صلى الله عليه وآله وإنزال الكتاب عليه عقبه تعالى بذكر تهجين الكفار الذين كذبوه وادعوا أنهم
يأتون بمثل ما أتى به فقال ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا هذا استفهام في معنى الإنكار أي لا أحد أظلم ممن كذب
على الله فادعى أنه نبي وليس بنبي أو قال أوحي إلي ولم يوح إليه شيء أي يدعي الوحي ولا يأتيه ولا يجوز في حكمه تعالى أن
يبعث كذابا وهذا وإن كان داخلا في الافتراء فإنما أفرد بالذكر تعظيما ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله قال الزجاج
هذا جواب لقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا فادعوا ثم لم يفعلوا وبذلوا النفوس والأموال واستعملوا سائر الحيل في إطفاء
نور الله وأبى الله إلا أن يتم نوره وقيل المراد به عبد الله بن سعد بن أبي سرح أملى عليه رسول الله ذات يوم ولقد خلقنا
الإنسان من سلالة من طين إلى قوله ثم أنشأناه خلقا آخر فجرى على لسان ابن أبي سرح فتبارك الله أحسن الخالقين فأملاه
عليه وقال هكذا أنزل فارتد عدو الله وقال لئن كان محمد صادقا فلقد أوحي إلي كما يوحى إليه ولئن كان كاذبا فلقد
قلت كما قال وارتد عن الإسلام وهدر رسول الله صلى الله عليه وآله دمه فلما كان يوم الفتح جاء عثمن وقد أخذ بيده
ورسول الله صلى الله عليه وآله في المسجد فقال يا رسول الله اعف عنه فسكت رسول الله صلى الله عليه وآله ثم أعاد فسكت ثم أعاد
فقال هو لك فلما مر قال رسول الله صلى الله عليه وآله لأصحابه ألم أقل من رآه فليقتله فقال عباد بن بشر كانت عيني إليك يا رسول الله
أن تشير إلي فأقتله فقال عليه السلام الأنبياء لا يقتلون بالإشارة ثم أخبر تعالى عن هؤلاء فقال ولو ترى إذ الظالمون
في غمرات الموت أي شدائد الموت عند النزع وقيل في أشد العذاب في النار والملائكة الذين يقبضون الأرواح
وقيل ملائكة العذاب باسطوا أيديهم بقبض أرواحهم وقيل يبسطون إليهم أيديهم بالعذاب يضربون وجوههم
وأدبارهم أخرجوا أنفسكم أي يقولون أخرجوا أنفسكم من سكرات الموت إن استطعتم وصدقتم فيما قلتم وادعيتم
وقيل أخرجوا أنفسكم من أجسادكم عند معاينة الموت إزعاجا لهم وتغليظا عليهم وإن كان إخراجها من فعل غيرهم وقيل
على القول الأول يقولون لهم يوم القيمة أخرجوا أنفسكم من عذاب النار إن استطعتم أي خلصوها منه اليوم تجزون عذاب
الهون أي عذابا يلقون فيه الهوان بما كنتم تقولون على الله غير الحق عذاب الدنيا وكنتم عن آياته تستكبرون أي تأنفون
من اتباع آياته قوله عز وجل ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما
نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون آية القراءة
قرأ أهل المدينة والكسائي وحفص بينكم بالنصب والباقون بينكم بالرفع وقال أبو علي استعمل هذا الاسم على ضربين أحدهما

أن يكون اسما متصرفا كالافتراق والآخر أن يكون ظرفا والمرفوع في قراءة من قرأ لقد تقطع بينكم هو الذي كان ظرفا ثم
استعمل اسما والدليل على جواز كونه اسما قوله ومن بيننا وبينك حجاب وهذا فراق بيني وبينك فلما استعمل
اسما في هذه المواضع جاز أن يسند إليه الفعل الذي هو تقطع في قول من رفع والذي يدل على أن هذا
المرفوع هو الذي استعمل ظرفا أنه لا يخلو من أن يكون الذي كان ظرفا اتسع فيه أو يكون الذي هو مصدر فلا
يجوز أن يكون المصدر لأن تقديره لقد تقطع وصلكم وما كنتم تألفون عليه فإن قلت كيف جاز أن يكون بمعنى الوصل
وأصله الافتراق والتباين قيل إنه لما استعمل مع الشيئين المتلابسين في نحو بيني وبينه شركة وبيني وبينه رحم
وصداقة صارت لاستعماله في هذه المواضع بمنزلة الوصلة على خلاف الفرقة فلهذا جاء لقد تقطع بينكم بمعنى تقطع
وصلكم فأما من نصب بينكم ففيه مذهبان أحدهما أنه أضمر الفاعل في الفعل ودل عليه ما تقدم من قوله وما نرى
معكم شفعاءكم لأن هذا يدل على التقاطع وذلك المضمر هو الوصل فكأنه قال لقد تقطع وصلكم بينكم وقد حكى سيبويه
أنهم قالوا إذا كان غدا فأتني وأضمروا ما كانوا فيه من رخاء أو بلاء لدلالة الحال عليه والمذهب الآخر أنه انتصب على شيء
يراه أبو الحسن فإنه يذهب إلى أن معناه معنى المرفوع فلما جرى في كلامهم منصوبا ظرفا تركوه على ما يكون عليه في أكثر
الكلام وكذلك تقول في قوله يوم القيمة يفصل بينكم وقوله وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا ودون في موضع رفع
عنده وإن كان منصوب اللفظ كما قال منا الصالح ومنا الطالح اللغة فرادى جمع فرد وفريد وفرد والعرب تقول فرادى
وفراد فلا يصرفونها تشبيها بثلاث ورباع قال الشاعر يرى النعرات الخضر تحت لبانه فرادى ومثنى أصعقتها صواهله
وقال النابغة من وحش وجرة موشي أكارعه طاوي المصير كسيف الصيقل الفرد ومثل الفرادى الردافى والقرانى
والتخويل الإعطاء وأصله تمليك الخول كما أن التمويل هو تمليك الأموال وخوله الله أعطاه إياه وفلان خولي
مال وخائل مال إذا كان يصلح المال وهم خول فلان أي أتباعه والواحد خائل والزعم قد يكون حقا
وقد يكون باطلا قال الشاعر يقول هلكنا إن هلكت وإنما على الله أرزاق العباد كما زعم والبين مصدر بان يبين
إذا فارق قال بان الخليط برامتين فودعوا أو كلما ظعنوا لبين تجزع قال أبو زيد بان الحي بينونة وبينا إذا ظعنوا
الإعراب وتباينوا أي تفرقوا بعد أن كانوا جميعا فرادى نصب على الحال وما خولناكم موصول وصلة في موضع نصب بأنه مفعول
تركتم النزول نزلت في النضر بن الحارث بن كلدة حين قال سوف تشفع لي اللات والعزى عن عكرمة المعنى ثم بين تعالى
تمام ما يقال لهم على سبيل التوبيخ فقال ولقد جئتمونا قيل هذا من كلام الله تعالى يخاطب به عباده إما عند الموت
أو البعث وهو من كلام الملائكة يؤدونه عن الله تعالى إلى الذين يقبضون أرواحهم أي وحدانا لا مال لكم ولا خول
ولا ولد ولا حشم عن الجبائي وقيل واحدا واحدا على حدة عن الحسن وقيل كل واحد منهم منفرد في الغي من شريكه
وسفيهه عن الزجاج كما خلقناكم أول مرة أي كما خلقناكم في بطون أمهاتكم فلا ناصر معكم ولا معين عن الجبائي
وقيل معناه ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال تحشرون حفاة عراة عزلا والعزل هم القلف وروي
أن عائشة قالت لرسول الله عليه السلام حين سمعت ذلك واسوأتاه أينظر بعضهم إلى سوءة بعض من الرجال
والنساء فقال عليه السلام لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه ويشغل بعضهم عن بعض وقال الزجاج معناه كما بدأناكم
أول مرة أي يكون بعثكم كخلقكم وتركتم ما خولناكم معناه ما ملكناكم في الدنيا مما كنتم تتباهون به من الأموال
وراء ظهوركم أي خلف ظهوركم في الدنيا والمراد تركتم الأموال وحملتم من الذنوب الأحمال واستمتع غيركم
بما خلفتم وحوسبتم عليه فيا لها من حسرة وما نرى معكم شفعاءكم أي ليس معكم من كنتم تزعمون أنهم يشفعون
لكم عند الله يوم القيمة وهي الأصنام الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء معناه زعمتم أنهم شركاؤنا فيكم وشفعاؤكم يريد
وما نفعكم عبادة الأوثان التي كنتم تقولون أنهم فيكم شركاء وأنها تشفع لكم عند الله تعالى وهذا عام في كل من عبد غير الله تعالى

واعتمد غيره من جواهره ومخاصره في مخالفة الله تعالى لقد تقطع بينكم اي وصلكم وجمعكم ومن قرا بالنصب فمعناه لقد
تقطع الامر بينكم او تقطع وصلكم بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون اي ضاع وتلاشى ولا تدرون اين ذهب من جعلتم شفعاءكم
من الهتكم ولن ينفعكم عبادتها وقيل معناه ما تزعمون من عدم البعث والجزاء فحث الله تعالى في هذه الآية على اقتناء
التي بها ينال الفوز ويدرك النجاة دون اقتناء المال الذي لا شك في تركه وعدم الانتفاع به بعد الممات قوله عز وجل ان الله
فالق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي ذلكم الله فانى تؤفكون فالق الاصباح
وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم آيتان القراءة قرا اهل الكوفة وجعل
الليل والباقون وجاعل بالالف وجر الليل الحجة وجه قول من قرا وجاعل الليل ان قبله اسم فاعل وهو فالق
الحب وفالق الاصباح ليكون فاعل المعطوف عليه الا ترى ان حكم الاسم ان يعطف على مثله لان الاسم بالاسم
اشبه من الفعل بالاسم ويقوي ذلك قولهم للبعير ويعزعني احد الخمس لشي المشغوف فنصب ولم يكن في تقدير
اسم بلحمار ان تكون قد عطف اسما على اسم نحو قوله ولولا رجال من رزام ومازن وال سبيع او اسوءك علقما ومن
قرا وجعل فلان اسم الفاعل الذي قبله بمعنى المضي فلما كان فاعل بمعنى فعل عطف عليه فعل الموافقة له في المعنى
ويدلك على انه بمنزلة فعل انه نزل منزلته فيما عطف عليه وهو قوله والشمس والقمر حسبانا الا ترى انه لما كان المعنى
فعل احمل المعطوف على ذلك فنصب الشمس والقمر على فعل لما كان فاعل كفعل ويقوي ذلك قولهم هذا معطي زيد درهما
امس فالدرهم محمول على اعطى لان اسم الفاعل اذا كان للماضي لم يعمل عمل الفعل فاذا كان معط بمنزلة اعطى كذلك جعل فالق
بمنزلة فلق لان اسم الفاعل الماضي فعطف عليه فعل لما كان بمنزلته اللغة الفلق الشق يقال فلقه فانفلق فتكون
والفلق الصبح لان الظلام ينفلق عنه والفلق المطمئن من الارض كانه منشق عنها والحب جمع حبة وهو كل ما
لا نوى له كالبر والشعير والنوى جمع نواة والاصباح والصبح واحد وهو مصدر اصبحنا اصباحا وقد روي عن الحسن
انه قرا فالق الاصباح بالفتح يريد صبح كل يوم وما قرا به غيره والسكن الذي يسكن اليه والحسبان جمع حساب مثل شهبان
وشهاب وقيل هو مصدر حسبت الحساب احسبه حسابا وحسبانا وحكي عن بعض العرب على الله حسبان فلان وحسبته
اي حسابه والحسبان بكسر الحاء جمع حسبانة وهي وسادة صغيرة والحسبان والمحسبة مصدر حسبت فلانا عاقلا
احسبه واحسبه النصب في الشمس والقمر مفعول فعل يدل عليه قوله وجاعل الليل سكنا وتقديره وجعل الشمس والقمر
حسبانا وحسبانا المفعول الثاني منه ولا يجوز وجاعل الليل سكنا لان اسم الفاعل اذا كان واقعا لا يعمل عمل الفعل فاضيف
الى ما بعده لا غير تقول هذا ضارب زيد امس لا غير المعنى ثم عاد الكلام الى الاحتجاج على المشركين بعجائب الصنع ولطائف
التدبير فقال تعالى ان الله فالق الحب والنوى اي شاق الحبة اليابسة فيخرج منه النبات وشاق النواة اليابسة
فيخرج منها النخل والشجر عن الحسن وقتادة والسدي وقيل معناه خالق الحب والنوى ومنشئهما ومبدئهما عن
ابن عباس والضحاك وقيل المراد به ما في الحبة والنواة من الشق وهو من عجيب قدرة الله تعالى في استوائه عن مجاهد
وابي مالك يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي اي يخرج النبات الغض الطري الخضر من الحب اليابس ويخرج
الحب اليابس من النبات الحي النامي عن الزجاج والعرب تسمي الشجر ما دام غضا قائما بانه حي فاذا يبس او قطع او قلع
سموه ميتا وقيل معناه يخلق الحي من النطفة وهي موات ويخلق النطفة وهي موات من الحي عن الحسن وقتادة وابن زيد
وغيرهم وهذا اصح وقيل معناه يخرج الطير من البيض والبيض من الطير عن الجبائي وقيل يخرج المؤمن من الكافر والكافر
من المؤمن ذلكم الله اي فاعل ذلكم كله الله فانى تؤفكون اي تصرفون عن الحق ويذهب بكم عن هذه الادلة الظاهرة
الى الباطل فلا تتدبرون فتعلمون انه لا ينبغي ان يجعل لمن انعم عليكم بفلق الحب والنوى واخراج الزرع من الحب
والشجر من النوى شريك في عبادته فالق الاصباح اي شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل وسواده عن اكثر المفسرين وقيل معناه

خالق الاصباح الحي عن ابن عباس وجاعل الليل سكنا يسكنون فيه ويتورعون فيه عن ابن عباس وجاعل الليل سكنا
يسكنون فيه ويتورعون فيه عن ابن عباس ومجاهد واكثر المفسرين نبه الله تعالى على عظم نعمته بان جعل الليل للسكون
والنهار للتصرف ودل بنعمه فيهما على كمال قدرته وحكمته قال والشمس والقمر حسبانا اي جعلهما يجريان في افلاكهما بحساب لا يتجاوزانه
انه حتى ينتهيا الى اقصى منازلهما فتقطع الشمس جميع البروج الاثني عشر في ثلثمائة وخمسة وستين يوما وربع والقمر في
ثمانية وعشرين يوما ويبني عليهما الليالي والايام والشهور والاعوام كما قال تعالى والشمس والقمر بحسبان وقال كل في فلك
يسبحون عن ابن عباس والسدي وقتادة ومجاهد اشار تعالى بذلك الى ما في حسابهما من مصالح العباد في معاملاتهم
وتواريخهم واوقات عباداتهم وغير ذلك من امورهم الدينية والدنيوية وذلك اشارة الى ما وصفه الله تعالى من
فلق الاصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا تقدير العزيز الذي عز سلطانه فلا يقدر احد على الامتناع منه
العليم بمصالح خلقه وتدبيرهم قوله عز وجل وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر
قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون وهو الذي انشاكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات
لقوم يفقهون آيتان القراءة قرا ابن كثير وابو عمرو ويعقوب برواية روح وزيد فمستقر بكسر القاف والباقون
بفتح القاف الحجة قال ابو علي من كسر القاف كان المستقر بمعنى القار واذا كان كذلك وجب ان يكون خبر المضمر منكم
اي فمنكم مستقر كقولك بعضكم مستقر اي مستقر في الارحام ومن فتح فليس على انه مفعول الا ترى ان استقر لا يتعدى
واذا لم يتعد لم يبن منه اسم مفعول به واذا لم يكن مفعولا به كان اسم مكان فالمستقر بمنزلة المقر كما كان المستقر بمعنى
القار واذا كان كذلك جعلت الخبر المضمر لكم والتقدير فلكم مستقر واما المستودع فان استودع فعل يتعدى الى
مفعولين تقول استودعت زيدا الفا واودعت زيدا الفا فاستودع مثل اودع كما ان استجاب بمعنى اجاب فالمستودع
يجوز ان يكون الانسان الذي اودع ذلك المكان ويجوز ان يكون المكان نفسه ومن قرا فمستقر بفتح القاف
وجعل المستودع مكانا ليكون مثل المعطوف عليه اي فلكم مكان استقرار واستيداع ومن قرا فمستقر فالمعنى منكم
مستقر في الارحام ومنكم مستودع في الاصلاب فالمستودع اسم المفعول به فيكون مثل المستقر في انه اسم لغير المكان
المعنى ثم ذكر تعالى ما يقارب في المعنى الآية المتقدمة فيما يدل على وحدانيته وعظم قدرته فقال وهو الذي جعل
اي خلق لكم اي لمنفعتكم النجوم لتهتدوا بها اي بضوئها وطلوعها ومواضعها في ظلمات البر والبحر لان من النجوم ما يكون
بين يدي الانسان ومنها ما يكون خلفه ومنها ما يكون عن يمينه ومنها ما يكون عن يساره فيهتدي بها في الاسفار وفي
البلاد وفي القبلة واوقات الليل والى الطرق في مسالك البراري والبحار ووجه المنة بها في قوله لتهتدوا بها انما بين
على انه لم يخلقها لغير ذلك بل خلقها تعالى لامور جليلة ومن فكر في صغر الصغير منها وكبر الكبير واختلاف مواقعها
ومجاريها واتصالاتها وسيرها وظهور منافع الشمس والقمر في نشو الحيوان والنبات علم ان الامر كذلك ولو لم يخلقها
الا للاهتداء لما كان لخلقها صغارا وكبارا واختلافاتها في المسير معنى وفي تفسير علي بن ابراهيم بن هاشم النجوم ال محمد
قد فصلنا الآيات اي بينا الحجج من البينات لقوم يعلمون اي يتفكرون فيعلمون وهو الذي انشاكم اي ابتدعكم وخلقكم
من نفس واحدة اي من ادم عليه السلام لان الله تعالى خلقنا جميعا منه وخلق امنا حواء من ضلع من اضلاعه ومنّ
علينا بهذا لان الناس اذا رجعوا الى اصل واحد كانوا اقرب الى التوادد والتعاطف والتالف فمستقر ومستودع قد مر
ذكرهما في الحجة واختلف في معناهما فقيل مستقر في الرحم الى ان يولد ومستودع في القبر الى ان يبعث عن عبد الله بن مسعود
وقيل مستقر في بطون الامهات ومستودع في اصلاب الاباء عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس وقيل مستقر على ظهر
الارض في الدنيا ومستودع عند الله في الاخرة عن مجاهد وقيل مستقر ايام حياتها ومستودع حيث يموت وحيث يبعث
عن ابي العالية وقيل مستقر في القبر ومستودع في الدنيا عن الحسن وكان يقول يا ابن ادم انت وديعة في اهلك ويوشك

ان يلحق بصاحبك وانشد قول لبيد وما المال والاهلون الا ودیعة ولا بد يوما ان ترد الودائع وقال سليمان بن يزيد
العدوي في هذا المعنى فجع الاحبة بالاحبة قبلنا والناس مفجوع به ومفجع مستودع او مستقر مدخلا فالمستقر برده
المستودع قد فصلنا الآيات اي بينا الحجج وميزنا الادلة لقوم يفقهون مواقع الحجج ومواضع العبرة وغوامض الذين
يعلمون ويفقهون لانهم المنتفعون بها كما قال هدى للمتقين وكرر قوله قد فصلنا الآيات حثا على النظر وتنبيها على ان كلا
مما ذكره اية ودلالة يدل على توحيده وصفاته العلى قوله عز وجل وهو الذي انزل من السماء ماء فاخرجنا به
نبات كل شيء فاخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من
اعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا الى ثمره اذا اثمر وينعه ان في ذلكم لآيات لقوم
يؤمنون آية القراءة قرأ ابو بكر عن عاصم برواية ابي يوسف الاعشى والبرجمي وجنات بالرفع وهو قراءة
علي بن ابي طالب عليه السلام وعبد الله بن مسعود والاعمش ويحيى بن يعمر وقرأ الباقون وجنات على النصب وقرأ
حمزة والكسائي وخلف ثمره بضمتين وكذلك كلوا من ثمره وفي سورة يس ليأكلوا من ثمره وقرأ الباقون ثمره
بفتحتين في الجميع الحجة من قرأ وجنات فانه عطفها على قوله خضرا اي فاخرجنا من الماء خضرا وجنات من اعناب ومن
قرأ وجنات بالرفع فانه عطفها على قنوان لفظا وان لم يكن من جنسها كقول الشاعر متقلدا سيفا ورمحا ومن قرأ
الى ثمره والثمر جمع ثمرة مثل بقرة وبقر وشجرة وشجر ومن قرأ ثمره بضمتين يحتمل وجهين احدهما ان يكون على ثمرة وثمر
ومثل خشبة وخشب واكمة واكم قال الشاعر تحو الفوارس يوم دسقه المغشوه الكماة عوارد الاكم ونظيره من المعتل
فارة ونور وناقة ونوق وساحة وسوح والآخر ان يكون جمع ثمار على ثمر فيكون ثمر جمع الجمع اللغة خضر بمعنى اخضر
يقال اخضر وهو خضر واخضر واعور فهو عور واعور وفي الحديث ان الدنيا حلوة خضرة اي غضة ناعمة وذهب
دمه خضرا مضرا اي باطلا واخذ الشيء خضرا مضرا اي مجانا بغير ثمن وقيل غضا طريا وفلان اخضر الجلدة واخضر المنكب اي
ذو سعة وخصب وقال الفضل بن عباس بن ابي لهب وانا الاخضر من يعرفني اخضر الجلدة في بيت العرب من يساجلني
يساجل ماجدا يملأ الدلو الى عقد الكرب برسول الله وابني بنته وبعباس بن عبد المطلب وكتيبة خضراء اذا كان
عليها سواد الحديد والعرب يسمي الاسود اخضر ويسمي سواد العراق سواد الكثرة خضرته والمتراكب بعضها على الآخر
وطلع النخل اول ما يبدو من ثمره وقد اطلع النخل والقنوان جمع قنو وهو العذق بكسر العين اي الكباسة والعذق
بفتح العين النخلة ومثله قنوان وقنيان بكسر القاف وضمها لغتان وقنيان بالياء تميم ودانية قريبة المتناول والينع
النضج يقال ينع الثمر ينعا وينعا واينع اذا ادرك قال الشاعر في قباب وسط دسكرة حولها الزيتون قد ينعا
وقيل ان الينع جمع يانع مثل صاحب وصحب وتاجر وتجر المعنى ثم عطف تعالى على ما تقدم فقال وهو الذي انزل من السماء
ماء يريد من السحاب والعرب تقول لكل ما علاك فهو سماء فاخرجنا به نبات كل شيء والمعنى فاخرجنا بالماء الذي
انزلناه من السماء من غذاء الانعام والطير والوحش وارزاق بني ادم ما يتغذون به ويأكلون فينبتون عليه وينمون
وقيل نبات كل شيء ما ينبت به كل شيء وينمو عليه ويحتمل ان يكون المراد اخرجنا به جميع انواع النبات ليكون كل شيء هو اصناف
النبات كقولك ان هذا هو حق اليقين عن الفراء والاول احسن وانما قال به لانه تعالى جعله سببا موديا الى النبات ولا مولد
له وقد كان يمكنه الانبات بغيره فلا يقال انه فعل بسبب مولد فاخرجنا منه اي من الماء وقيل من النبات خضرا اي زرعا
رطبا اخضر وهو ساق السنبلة نخرج منه اي من ذلك الزرع الخضر حبا متراكبا قد ركب بعضه على بعض مثل سنبل الحنطة
والسمسم وغير ذلك ومن النخل اي ويخرج من النخل من طلعها قنوان اي اعذاق الرطب دانية اي قريبة التناول ولم يقل
ومنها قنوان بعيدة لان في الكلام دليلا على ان البعيدة السحيقة من النخل قد كانت غير سحيقة فاجتزأ بذكر القريبة عن
ذكر السحيقة كما قال سرابيل تقيكم الحر ولم يقل وسرابيل تقيكم البرد لان في الكلام دليلا على انها تقي البرد لان ما يستر عن الحر

عن البرد وقيل عن الزجاج وقيل دانية دنت من الارض لكثرة ثمرها وثقل حملها وتقديره ومن النخل من طلعها ما
هو قنوان دانية ولما خص الطلع بالذكر لما فيه من المنافع والاغذية الشريفة التي ليست في احكام الثمار وجنات من اعناب
يعني واخرجنا به ايضا جنات من اعناب اي بساتين من اعناب ومن رفعه فتقديره ويخرج به جنات من اعناب
والزيتون والرمان اي واخرجنا به الزيتون والرمان اي شجر الزيتون والرمان وقرن الزيتون بالرمان لانهما شجرتان
تعرف العرب ان ورقها يشتمل على الغصن من اوله الى آخره قال الشاعر بورك الميت الغريب كما بورك نضح الرمان والزيتون
ومعناه ان ورقها يشتمل على العود كله مشتبها وغير متشابه بعضه بعضا وغير متشابه في الطعم وقيل مشتبها ورقه مختلفا
ثمره عن قتادة وقيل مشتبها في الخلق مختلفا في الطعم وقيل مشتبها ما كان من جنس واحد وغير متشابه اذا اختلف جنسه
عن الجبائي والاولى ان يقال ان جميع ذلك متشابه من وجه مختلف من وجه فيدخل فيه جميع ما تقدم انظروا الى ثمره
اذا اثمر اي انظروا الى خروج الثمار بطريق الاعتبار وينعه اي نضجه ومعناه انظروا من ابتداء خروجه الى انتهائه
اذا اينع وادرك كيف ينتقل عليه الاحوال في الطعم واللون والرائحة والصغر والكبر لتستدلوا بذلك على ان لها صانعا
مدبرا ان في ذلكم لآيات اي في خلق هذه الثمار والزروع مع اتفاق جواهرها اجناسا مختلفة لا يشبه بعضها بعضا
لدلالات على ان لها خالقا قصد الى التمييز بينها اهل خلقها على علم بها وانها تكون بخلقه وتدبيره لقوم يؤمنون لانهم
بها يستدلون وبمعرفة مدلولاتها ينتفعون قوله عز وجل وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات
بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون بديع السموات والارض انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء
وهو بكل شيء عليم آيتان القراءة قرأ اهل المدينة وخرقوا له بالتشديد والباقون وخرقوا بالتخفيف الحجة قال احمد
بن يحيى خرق واخترق بمعنى وقال ابو الحسن الخفيفة اعجب الي لانها اكثر والمعنى في القرائتين كذبوا وقد روي في الشواذ
عن ابن عباس وحرفوا بالحاء والفاء وهذا شاهد لكذبهم لانهم ومثلهم يحرفون الكلم عن مواضعه اللغة البديع بمعنى
المبدع وفرق بين الابداع والاختراع ان الابداع فعل ما لم يسبق اليه ولا يقدر على الاختراع غير الله تعالى لان حده
ما ابتدئ في غير محل القدرة عليه والقادر بقدرة اما ان يفعل مباشرا وهو ما ابتدئ في محل القدرة او متولدا
وهو ما وقع بحسب غيره لا يقدر على الاختراع اصلا الاعراب انتصب الجن من وجهين احدهما ان يكون مفعولا اي
جعلوا الجن لله شركاء مفعولا ثانيا كما قال وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا والآخر ان يكون الجن بدلا من شركاء
ومفسر سبحانه نصب على المصدر كما اي تسبيحا له وبديع خبر مبتدأ محذوف تقديره هو بديع ومفسر سبحانه نصب
السموات ويجوز ان يكون مبتدأ وخبره انى يكون له ولد وانما تعدى ببديع وهو فعيل لانه معدول عن الفعل والصفة
لتعمل عمل ما عدلت منه فاذا لم يكن معدولا لم يتعد نحو طويل وقصير المعنى ثم رد الله سبحانه على المشركين وعجب من كفرهم
مع هذه البراهين والبينات فقال وجعلوا يعني المشركين لله شركاء الجن اخبر الله تعالى انهم اتخذوا معه آلهة جعلوهم
له اندادا كما قال وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا واراد بالجن الملائكة وانما سماهم جنا لاستتارهم عن الاعين وهذا كما قال
وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا عن قتادة والسدي وقيل ان قريشا كانوا يقولون ان الله تعالى قد صاهر
الجن فحدث بينهما الملائكة فيكون على هذا القول المراد به الجن المعروف وقيل اراد بالجن الشياطين لانهم اطاعوا
الشياطين في عبادة الاوثان عن الحسن وخلقهم الهاء والميم عائدة عليهم اي جعلوا الذي خلقهم شركاء لا يخلقون
ويجوز ان يكون الهاء والميم عائدة على الجن فيكون المعنى والله خالق الجن فكيف يكون شريكا له ويجوز ان يكون المعنى
وخلق الجن والانس جميعا وروي ان يحيى بن يعمر قرأ وخلقهم بسكون اللام اي وخلق الجن يعني ما يخلقونه ويأفكون
فيه ويكون كانه قال جعلوا الجن شركاه وافعالهم شركاء افعاله وشركاء له اذ اعني به تلك الاصنام ونحوها وقيل
المعنى بالآية المجوس اذ قالوا يزدان واهرمن وهو الشيطان عندهم فنسبوا خلق الموذيات والشرور والاشياء الضارة

الى ارمن وجعلوا ذلك شريكا له ومثلهم الثنوية القايلون بالنور والظلمة وخرقوا له بنين وبنات اى اختلقوا وموهوا وافتروا
الكذب على الله ونسبوا البنين والبنات الى الله فان المشركين قالوا الملائكة بنات الله والنصارى قالوا المسيح
ابن الله واليهود قالوا عزير ابن الله بغير علم اى بغير حجة ويكون معناه بغير علم منهم بما عليهم عاجلا وآجلا ويجوز ان يكون
معناه بغير علم منهم بما قالوه على حقيقته ولكن جهلا منهم بالله تعالى لعظمته سبحانه نزهه الله عما يقولون وتعالى عما يصفون
من ادعائهم له شركاء واختراعهم له بنين وبنات اى هو اجل من انه يوصف بما يصفونه وانما صار اتخاذ الولد نقصا لانه
لا يخلو من ان يكون ولادة او تبنيا وكلاهما يوجب التشبيه ومن اشبه المحدث كان على صفة نقص بديع السموات
والارض اى مبدعهما ومنشئهما ابتداء لا من شىء ولا على مثال سبق وهو المروى عن ابى جعفر عليه السلم انى يكون له ولد
اى كيف يكون له ولد ومن اين يكون له ولد ولم تكن له صاحبة اى زوجة وانما يكون الولد من النساء فيما يتعارفونه
وخلق كل شىء وفى هذا نفى الصاحبة والولد من خلق الاشياء لا يكون شىء من خلقه صاحبة له ولا ولدا ولان الاشياء كلها
مخلوقة له فكيف يتعزز بالولد ويكثر به وهو بكل شىء عليم يعلم الاشياء كلها موجودها ومعدومها لا يخفى عليه خافية
ومن قال فى قوله وخلق كل شىء دلالة على خلق افعال العباد فجوابه ان المفهوم منه انه اراد المخلوقات كما تفهم المكونات
من قول من قال اكل كل شىء من المخلوقات كلها بما فيها من التقدير العجيب نضاف خلقها الى الله تعالى على انه تعالى قد
نزه نفسه عن افك العباد وكذبهم فلو كان خلقا له لما تنزه عنه قوله عز وجل ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شىء
فاعبدوه وهو على كل شىء وكيل لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير آيتان اللغة الوكيل
على الشىء هو الحافظ الذى يحفظه ويدفع الضرر عنه وانما وصف تعالى بانه وكيل مع انه مالك الاشياء لانه لما كانت
منافعها لغيره لاستحالة المنافع عليه والمضار صحت هذه الصفة له وقيل الوكيل من يوكل اليه الامور فقال وكلت
اليه هذا الامر اى وليته تدبيره والمومن متوكل على الله اى مفوض امره اليه والادراك اللحاق يقال ادرك قتادة الحجاج اى لحقه
وادرك الطعام نضج وادرك الزرع بلغ منتهاه وادرك الغلام بلغ ولحق حال الرجولية وادركته ببصرى رايته ببصرى وتدارك
القوم تلاحقوا ولا يكون الادراك بمعنى الاحاطة لان الجدار محيط بالدار وليس بمدرك لها والبصر الحاسة التى يقع
بها الروية خالق كل شىء خبر مبتدا محذوف ويجوز ان يكون صفة ربكم وكان يجوز نصبه على الحال لانه نكرة اتصل بمعرفة
بعد التمام المعنى لما قدم تعالى ذكر الادلة على وحدانيته عقبه بتنبيه عباده على انه الاله المستحق للطاعة والعبادة
وتعليمهم الاستدلال بافعاله عليه وقال ذلكم اى ذلك الذى خلق هذه الاشياء ودبر هذه التدابير لكم ايها الناس هو الله
ربكم اى خالقكم ومالككم ومدبركم وسيدكم لا اله الا هو خالق كل شىء اى كل مخلوق من الاجسام والاعراض التى لا يقدر عليها
غيره فاعبدوه لانه المستحق للعبادة وهو على كل شىء وكيل اى حافظ ومدبر وحفيظ على خلقه فهو وكيل على الخلق ولا نقول
وكيل لهم لا تدركه الابصار اى لا تراه العيون لان الادراك متى قرن بالبصر لم يفهم منه الا الروية كما انه اذا قرن بالة السمع
فقيل ادركت باذنى لم يفهم منه الا السماع وكذلك اذا اضيف الى كل واحد من الحواس افادنا تلك الحاسة الرمة
فقولهم ادركته بفمى معناه وجدت طعمه وادركته بانفى معناه وجدت رايحته وهو يدرك الابصار تقديره لا يدركه
ذوو الابصار وهو يدرك ذوى الابصار اى المبصرين ومعناه انه يرى ولا يرى وبهذا خالف سبحانه جميع الموجودات لان
منها يرى ويرى كالاحياء ومنها ما يرى ولا يرى كالجمادات والاعراض المدركة ومنها ما لا يرى ولا يرى كالاعراض غير
المدركة فانه تعالى خالف جميعها وتفرد بان يرى ولا يرى وتمدح سبحانه فى الاية بمجموع الامرين كما تمدح فى الاية الاخرى
بقوله وهو يطعم ولا يطعم وروى العياشى باسناد متصل الى الفضل بن سهل ذى الرياستين قال سالت ابا الحسن على بن موسى الرضا
فقال اخبرنى عما اختلف الناس فيه من الروية فقال من وصف الله بخلاف ما وصف به نفسه فقد اعظم الفرية على الله
لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهذه الابصار ليست هى الاعين انما هى الابصار التى فى القلوب لا تقع عليه الاوهام

ولا يدرك كيف هو وهو اللطيف قيل فى معناه وجوه احدها انه اللاطف بعباده بسبوغ الانعام غير انه عدل عن
وزن فاعل الى فعيل للمبالغة والثانى ان معناه لطيف التدبير الا انه حذف لدلالة الكلام عليه والثالث ان اللطيف
الذى يستقل الكثير من نعمه ويستكثر القليل من طاعة عباده والرابع ان اللطيف الذى اذا دعوته لباك فان قصدته
اواك وان احببته ادناك وان اطعته كافاك وان عصيته عافاك وان اعرضت عنه دعاك وان اقبلت اليه هداك
والخامس اللطيف من يكافى الوافى ويعفو عن الجافى والسادس اللطيف من يعز المفتخر به ويغنى المفتقر اليه والسابع
اللطيف من يكون عطاوه خيره ومنعه ذخيرة الخبير العليم بكل شىء من مصالح عباده فيدبرهم عليها وبافعالهم فيجازيهم
عليها قوله عز وجل قد جاءكم بصائر من ربكم فمن ابصر فلنفسه ومن عمى فعليها وما انا عليكم بحفيظ وكذلك
نصرف الايات وليقولوا درست ولنبينه لقوم يعلمون آيتان القراءة قرا ابن كثير وابو عمرو دارست وقرا ابن
عامر ويعقوب وسهل درست بفتح السين وسكون التاء والباقون درست وفى قراءة ابى وعبد الله درس اى يقولوا
درس محمد وروى عن ابن عباس والحسن دُرِست الحجة حجة من قرا دارست فمعناه انك دارست اهل الكتاب
وذاكرتهم ويقويه قوله واعانه عليه قوم آخرون ومن قرا درست فحجته ان ابن مسعود قرا درس فاسند الفعل
فيه الى الغيبة كما اسند الى الخطاب ومن قرا درست فهو من الدروس الذى هو بمعنى الاثر اى امحت ويكون اللام
فى ليقولوا على هذا المعنى لكراهية ان يقولوا ولان لا يقولوا انها اخبار قد تقدمت فطال العهد بها وبان من
كان يعرفها ان تلك الاخبار لا تخلو من خلل فاذا سلم الكتاب منه لم يكن لطاعن مطعن واما على القراءتين الاوليين
فاللام فى ليقولوا كالتى فى قوله ليكون لهم عدوا وحزنا ولم يتلطفوا به لذلك كما لم يصرف الايات ليقولوا درست وذاكرت
ولكن لما قالوا ذلك اطلق على هذا الاتساع واما قراءة ابن عباس درست ففيه ضمير الايات ومعناه درستها انت
يا محمد ويجوز ان يكون معناه عفت وتنوسيت فيكون كقولهم ان هذا الا اساطير اللغة البصيرة البينة والدلالة
التى يبصر بها الشىء على ما هو به والبصائر جمعها والبصيرة مقدار الدرهم من الدم والبصيرة الترس والبصيرة الثار
والدية قال الشاعر جاؤوا بصائرهم على اكتافهم وبصيرتى يعدو بها عتد واى اخذوا الديات فصارت عارا وبصيرتى
على فرسى اطلب بها ثارى وقيل اذا حملوا ما هم على اكتافهم لم يثاروا بها وقال الازهرى البصيرة ما اعتقد فى القلب
من تحقق الشىء والاغلب يكون على الحجاج والابصار الادراك بحاسة البصر والدرس اصله استمرار التلاوة ودرس الاثر
دروسا اذا انمحى لاستمرار الايام به ودرست الريح الاثر درسا محته باستمرارها عليه الاعراب وكذلك موضع الكاف منه
نصب بكونه صفة للمصدر اى نصرفها مثل ذلك التصريف واللام لام العاقبة المعنى ثم بين تعالى انه بعد هذه الايات
فقد ازاح العلة للمكلفين فقال قد جاءكم ايها الناس بصائر بينات ودلايل من ربكم تبصرون بها الهدى من الضلال وتميزون
بها من الحق والباطل ووصف البينة بانها جاءت تفخيما لشانها كما يقال جاءت العافية وانصرف المرض واقبل السعد
فمن ابصر فلنفسه اى من تبين هذه الحجج بان نظر فيها حتى اوجبت له العلم فمنفعة ذلك يعود عليه ولنفسه نظر ومن عمى فلم ينظر
فيها وصد عنها حتى جهل فعليها اى على نفسه وباله وبها اضر واياها اضر فسمى العلم والتبيين ابصارا والجهل عمى مجازا
وفى هذا دلالة على ان المكلفين مخيرون فى افعالهم غير مجبرين ثم امر تعالى نبيه عليه السلم بان يقول لهم وما انا عليكم
بحفيظ اى لست انا الرقيب على اعمالكم قال الزجاج معناه لست اخذكم بالايمان اخذ الحفيظ عليكم والوكيل وهذا
قبل الامر بالقتال فلما امر النبى عم بالقتال صار حفيظا عليهم ومسيطرا على كل من تولى وكذلك اى وكما صرفنا الايات
فيما تقدم نصرف هذه الايات قال على بن عيسى والتصريف اجراء المعنى الداير فى المعانى المتعاقبة فلما كانت دايرة فى وجوه
المعانى المتعاقبة كان ذلك تصريفا لها وكذلك كل معنى تصرف فى المعانى المعاقبة ليجتمع فيه وجوه الفايدة وليقولوا
درست ذلك يا محمد اى تعلمته من اليهود وقال الزجاج وهذه اللام يسميها اهل اللغة لام الصيرورة اى ان السبب الذى

ابراهيم الى ان قالوا درست هو تلاوة الآيات وكذلك دارست اى دارست اهل الكتابين وقاربتهم وذاكرتهم عن الحسن ومجاهد والسدى وابن عباس ولنبينه لقوم يعلمون معناه لنبين الذى هذه الآيات دالة عليه للعلماء الذين يعقلون ما يوردهم عليه وانما خصهم بذلك لانهم انتفعوا به دون غيرهم قوله عز وجل اتبع ما اوحى اليك من ربك لا اله الا هو واعرض عن المشركين ولو شاء الله ما اشركوا وما جعلناك عليهم حفيظا وما انت عليهم بوكيل آيتان اللغة الاتباع ان يصرف الثانى بتصريف الاول والنبى عليه السلم كان يصرف فى الدين بتصريف الوحى ولذلك كان متبعا وكذلك كل متبع يوصف بذلك غير مخصوص متبع له والايحاء هو القاء المعنى الى النفس على وجه خفى والاعراض اصله الانصراف بالوجه الى جهة العرض ومنه واعرضت اليمامة واشمخرت كاسياف بايدى مصلتينا اى ظهرت كالظهور بالعرض ومنه المعارضة لظهور المساواة بها كالظهور بالعرض والاعتراض المنع من الشئ الحاجز عنه عرضا ومنه العرض الذى يظهر كالظهور بالعرض ثم لا يلبث وحاصله بانه ما ظهر فى الوجود ولا يكون له لبث كلبث الجواهر المعنى ثم امر تعالى نبيه عم باتباع الوحى فقال اتبع ايها الرسول ما اوحى اليك من ربك لا اله الا هو وانما اعاد هذا القول لان المراد ادعهم الى انه لا اله الا هو عن الحسن وقيل معناه ما اوحى اليك من انه لا اله الا هو واعرض عن المشركين قال نسخته آية القتال وقيل معناه اهجرهم ولا تخالطهم ولا تلاطفهم ولم يؤمر به الاعراض عن دعائهم الى الله تعالى وحكمه ثابت ولو شاء الله ما اشركوا اى لو شاء الله ان يتركوا الشرك قهرا واجبارا لاضطرهم الى ذلك الا انه لم يضطرهم اليه بما بينا فى التكليف وامرهم بتركه اختيارا ليستحقوا الثواب والمدح عليه فلم يتركوا تاولين قبل نفوسهم وفى تفسير اهل البيت عليهم السلم لو شاء الله ان يجعلهم كلهم مؤمنين معصومين حتى كان لا يعصيه احد لما كان يحتاج الى جنة ولا نار ولكنه امرهم ونهاهم وامتحنهم واعطاهم ماله به عليهم الحجة من الآلة والاستطاعة ليستحقوا الثواب والعقاب وما جعلناك عليهم حفيظا مراقبا لاعمالهم وما انت عليهم بوكيل اى لست بموكل عليهم بذلك وانما انت رسول عليك البلاغ وعلينا الحساب وجمع بين حفيظ ووكيل لاختلاف معنى اللفظين فان الحافظ للشئ هو الذى يصونه عما يضره والوكيل على الشئ هو الذى يحمل الخير اليه قوله عز وجل ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم كذلك زينا لكل امة عملهم ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون آية القراءة قرا يعقوب عدوا بضم العين وتشديد الواو وهو قراءة الحسن وابى رجا وقتادة وقرا الباقون عدوا بفتح العين وسكون الدال الحجة العدو والعدو جميعا الظلم والتعدى للحق ومثلها العدوان والعدواء وانما نصب عدوا لانه مصدر فى موضع الحال اللغة السب الذكر بالقبيح وهو الشتم والذم واصل السب كانه ينسب الى ذكره بالقبيح ويسكت الذى يسابك قال فلا تشتمنى تلست تسبى ان سبى من الرجل الكريم وقيل اصل السب القطع النزول قال ابن عباس لما نزلت انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم الآية قال المشركون يا محمد لتنتهين عن سب آلهتنا او لنهجون ربك فنزلت الآية وقال قتادة كان المسلمون يسبون اصنام الكفار فنهاهم الله عن ذلك لئلا يسبوا الله فانهم قوم جهلة المعنى ثم نهى الله تعالى المؤمنين ان يسبوا الاصنام لما فى ذلك من المفسدة فقال ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله اى لا تخرجوا من دعوة الكفار ومحاجتهم الى ان يسبوا ما يعبدونه من دون الله فان ذلك ليس من الحجاج فى شئ فيسبوا الله عدوا اى ظلما بغير علم وانتم اليوم غير قادرين على معاقبتهم بما يستحقون لان الدار دارهم ولم يؤذن لكم فى القتال وانما قال من دون الله لان المعنى يدعونها وفى هذا دلالة على انه لا ينبغى لاحد ان يفعل ويقول ما يؤدى الى معصية غيره وسئل ابو عبد الله عن قول النبى صلى الله عليه وآله ان الشرك اخفى من دبيب النمل على صفوانة سوداء فى ليلة ظلماء فقال كان المؤمنون يسبون ما يعبد المشركون من دون الله فكان المشركون يسبون ما يعبد المؤمنون فنهى الله المؤمنين عن سب آلهتهم لكيلا يسب الكفار اله المؤمنين فيكون المؤمنون قد اشركوا من حيث لا يعلمون كذلك زينا لكل امة عملهم قيل فى معناه اقوال احدها المراد كما زينا لكم اعمالكم زينا لكل امة من قبلكم اعمالهم من حسن الدعاء الى الله تعالى وترك السب للاصنام ونهيناهم ان تفعلوا

من الافعال ما ينفر الكفار عن قبول الحق عن الحسن والجبائى ويسمى ما يجب على الانسان بانه عمله كما تقول لولدك وغلامك اعمل عملك اى ما ينبغى لك ان تفعله وثانيها ان معناه كذلك زينا لكل امة عملهم بميل الطباع اليه ولكن قد عرفناهم الحق مع ذلك ليأتوا الحق ويجتنبوا الباطل وثالثها ان المراد زينا عملهم بذكر ثوابه فهو كقوله ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه فى قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان يريد حبب الايمان بذكر ثوابه ومدح فاعليه على فعله وكره الكفر بذكر عقابه وذم فاعليه على فعله ولم يرد تعالى بذلك انه زين عمل الكافرين لان ذلك يقتضى الدعاء اليه والله تعالى ما دعا احدا الى معصية ونهى وذم فاعليها وقد قال تعالى وزين لهم الشيطان اعمالهم ولا خلاف ان المراد بذلك الكفر والمعاصى وفى ذلك دلالة على ان المراد فى الآية تزيين اعمال الطاعة ثم الى ربهم مرجعهم اى مصيرهم فينبئهم بما كانوا يعملون اى باعمالهم من الخير والشر ونهى الله تعالى فى هذه الآية عن سب الاصنام لئلا يؤدى ذلك الى سبه فاذا كان تعالى لا يريد ما ربما يكون سببا الى سبه فلان لا يريد سب نفسه اولى واحرى واذا لم يرد سب الاصنام اذا كان زيادة فى كفر الكافرين فلان لا يريد كفرهم احرى فبطل قول المجبرة قوله عز وجل واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون ونقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة ونذرهم فى طغيانهم يعمهون آيتان القراءة قرا ابن كثير واهل البصرة وابو بكر عن عاصم ونصير عن الكسائى وخلف انها بكسر الالف وقرا الباقون انها بفتح الالف وقرا ابن عامر وحمزة لا تؤمنون بالتاء والباقون لا يؤمنون بالياء وفى الشواذ ويذرهم بالياء والجزم قراءة الاعمش الاعراب قال ابو على وما يشعركم ما فيه استفهام وفاعل يشعركم ضميرها ولا يجوز ان يكون نفيا لان الفعل فيه يبقى بلا فاعل فان قلت يكون ما نفيا ويكون فاعل يشعركم ضمير اسم الله تعالى فان ذلك لا يصح لان التقدير يصير وما يشعركم الله انتفاء ايمانهم وهذا لا يستقيم لان الله تعالى قد اعلمنا انهم لا يؤمنون بقوله ولو اننا نزلنا الآية واذا فسد ان يكون ما للنفى ثبت انها للاستفهام ويكون اسما فيصير فى الفعل ضميره ويكون المعنى وما يدريكم ايمانهم اذا جاءت فحذف المفعول وحذف المفعول كثير ثم قال انهم لا يؤمنون مع مجئ الآية فمن كسر الهمزة فانه استانف على القطع بانهم لا يؤمنون ومن فتح الهمزة جاز ان يكون يشعركم منقولا من شعرت الشئ وشعرت به مثل دريته ودريت به فى انه يتعدى مرة بحرف ومرة بلا حرف فاذا عديته بالحرف جاز ان يكون ان فى قول من لم يجعلها بمعنى لعل فى موضع نصب والوجه فى هذه القراءة على تاويلين احدهما بمعنى لعل كقول الشاعر وهو دريد بن الصمة ذريني اطوف فى البلاد لعلنى ارى ما ترين او بخيلا مخلدا وقال هل انتم عائجون بنا لانا نرى العرصات او اثر الخيام وقال عدى بن زيد اعاذل ما يدريك ان منيتى الى ساعة فى اليوم او فى ضحى الغد اى لعل منيتى فالمعنى وما يشعركم لعلها اذا جاءت لا يؤمنون وهذا ما فسره الخليل بقولهم ائت السوق انك تشترى لنا شيئا اى لعلك وقد جاء فى التنزيل لعل بعد العلم فى نحو وما يدريك لعله يزكى وما يدريك لعل الساعة قريب والتاويل الآخر الذى لم يذهب اليه الخليل وسيبويه ان يكون لا فى قوله لا يؤمنون زائدة هذه وما يشعركم انها اذا جاءت يؤمنون ومثل لا هذه فى كونها فى تاويل زائدة وفى اخرى غير زائدة قال الشاعر ابى جوده لا البخل واستعجلت به نعم من فتى لا يمنع الجوع قاتله ينشد ابى جوده لا البخل ولا البخل فمن نصب جعلها زائدة كانه قال ابى جوده البخل ومن قال لا البخل اضاف لا الى البخل ووجه القراءة بالياء فى يؤمنون ان المراد بهم قوم مخصوصون بدلالة قوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة الآية وليس كل الكفار بهذه الصفة اى لا يؤمن هؤلاء المقسمون ووجه القراءة بالتاء انه انصرف من الغيبة الى الخطاب والمراد بالمخاطبين هم الغيب المقسمون الذين اخبر عنهم انهم لا يؤمنون ومن قرا ويذرهم فانه اسكن المرفوع تخفيفا اللغة الجهد بالفتح المشقة والجهد بالضم الطاقة وقيل الجهد بالفتح المبالغة فقوله جهد ايمانهم اى بالغوا فى اليمين واجتهدوا فيه وهو منصوب على المصدر لانه مضاف الى المصدر والمضاف الى المصدر مصدر فان الايمان جمع اليمين واليمين هى القسم والتقدير واقسموا اجهد اقسامهم النزول

قالت قريش يا محمد تخبرنا ان موسى كان معه عصا يضرب به الحجر فينفجر منه اثنتا عشرة عينا وتخبرنا ان عيسى كان يحيي الموتى وتخبرنا ان ثمود كانت لهم ناقة فأتنا بآية من الآيات حتى نصدقك فقال رسول الله صلى الله عليه وآله اي شيء تحبون ان آتيكم به قالوا ان تجعل لنا الصفا ذهبا او ابعث لنا بعض موتانا حتى نسألهم عنك أحق ما تقول ام باطل وأرنا الملائكة يشهدون لك او ائتنا بالله والملائكة قبيلا فقال رسول الله فان فعلت بعض ما تقولون أتصدقونني قالوا والله لئن فعلت لنتبعنك اجمعين وسأل المسلمون رسول الله ان ينزلها حتى يؤمنوا فقام رسول الله عليه السلام يدعو ان يجعل الصفا ذهبا فجاءه جبرئيل فقال له ان شئت اصبح الصفا ذهبا ولكن ان لم يصدقوا عذبتهم وان شئت تركتهم حتى يتوب تائبهم فقال عليه السلام بل يتوب تائبهم فانزل الله تعالى هذه الآية عن الكلبي ومحمد بن كعب القرظي المعنى ثم بين تعالى حال الكفار الذين سألوه الآيات فقال واقسموا اي حلفوا بالله جهد ايمانهم اي مجتهدين مظهرين الوفاء به لئن جاءتهم آية مما سألوها ليؤمنن بها قل يا محمد انما الآيات اي الاعلام والمعجزات عند الله والله تعالى مالكها والقادر عليها فلو علم صلاحكم في انزالها لانزلها وما يشعركم الخطاب موجه الى المشركين عن مجاهد وابن زيد وقيل هو متوجه الى المؤمنين عن الفراء وغيرهم لانهم طلبوا انهم لو اجيبوا الى الآيات لآمنوا انها اذا جاءت لا يؤمنون قدم معناه ونقلب افئدتهم وابصارهم اخبر تعالى انه يقلب افئدة هؤلاء الكفار وابصارهم عقوبة وفي كيفية تقليبهما قولان احدهما انه يقلبهما في جهنم على لهب النار وحر الجمر كما لم يؤمنوا به اول مرة في الدنيا عن الجبائي وقال وجمع بين صفتهم في الدنيا وصفتهم في الآخرة كما قال وجوه يومئذ خاشعة يعني في الآخرة عاملة ناصبة يعني في الدنيا والآخر ان المعنى نقلب افئدتهم وابصارهم بالحسرة التي تغم وتزعج النفس وقوله كما لم يؤمنوا به اول مرة وقيل انه متصل بما قبله وتقديره واقسموا بالله ليؤمنن بالآية والله تعالى قد قلب قلوبهم وابصارهم وعلم انها خلاف ما يقولون يقال فلان قد قلب هذه المسألة وقلب هذا الامر اذا عرف حقيقته لو وقف عليه وما يدريكم انها اذا جاءت لا يؤمنون كما لم يؤمنوا بما انزل الله من الآيات اول مرة عن ابن عباس ومجاهد وقيل معناه لو اعيدوا الى الدنيا ثانية لم يؤمنوا كما لم يؤمنوا اول مرة في الدنيا كما قال ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه عن ابن عباس في رواية اخرى وقيل معناه نجازيهم في الآخرة كما لم يؤمنوا به في الدنيا عن الجبائي والهاء في به يحتمل ان يكون عائدة على القول وما انزل من الآيات ويحتمل ان يكون عائدة على النبي صلى الله عليه وآله ونذرهم في طغيانهم اي نخليهم وما اختاروه من الطغيان فلا نحول بينهم وبينه يعمهون يترددون في الحيرة قال الحسين بن علي المغربي قوله ونقلب افئدتهم وابصارهم حسن من الحمل ومعناه انا نحيط علما بذات الصدور وخائنة الاعين اي نحشر قلوبهم فنجد ظاهرها بخلاف باطنها قوله تعالى ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله ولكن اكثرهم يجهلون آية القراءة قرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب قبلا بضمتين ههنا وفي الكهف قبلا بكسر القاف وفتح الباء وقرأ ابو جعفر ههنا بكسر القاف وفي الكهف بالضم وقرأ نافع وابن عامر قبلا بكسر القاف في الموضعين وقرأ اهل الكوفة بضم القاف في السورتين الحجة قبلا يحتمل ان يكون جمع قبيل بمعنى الكفيل ويجوز ان يكون بمعنى الصنف كما فسر ابو عبيدة ويجوز ان يكون بمعنى قبل اي مواجهة كما فسره ابو زيد في قوله لقيت فلانا قبلا وقبلا ومقابلة وقبيلا كله واحد وهو المواجهة فالمعنى في القراءتين على قول واحد وان اختلف اللفظان اللغة الحشر الجمع مع سوق وكل جمع حشر المعنى ثم بين تعالى حالهم في عنادهم وترددهم في طغيانهم يعمهون وكفرهم فقال ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة حتى يروهم عيانا يشهدون لنا بالرسالة وكلمهم الموتى اي فاحييناهم حتى كلموهم بالتوحيد وشهدوا لمحمد صلى الله عليه وآله بالرسالة وحشرناهم اي جمعنا عليهم كل آية وقيل كل ما سألوه قبلا اي معاينة ومقابلة حتى يواجهوها عن ابن عباس وقتادة ومعناه انهم من شدة عنادهم وتركهم للانقياد والاذعان للحق يشكون في المشاهدات التي لا شك فيها ومثله قوله ان يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم وقبلا اي قبيلا قبيلا يعني جماعة جماعة عن مجاهد هذا اذا حملت قبلا على جمع القبيل الذي هو الصنف وانما نبههم هذه الآيات لانه ليس في العرف ان يجمع

جميع الاشياء ويحشر الى موضع وقيل كفلاء عن الفراء وهذا الوجه فيه بعد لانهم اذا لم يؤمنوا عند انزال الملائكة اليهم وكلام الموتى فان لا يؤمنوا بالكفالة احرى الا ان يكون المراد حشر كل شيء وفي الاشياء المحشورة ما لا ينطق فاذا انطق بالكفالة ما لا ينطق خارقا للعادة ما كانوا ليؤمنوا عند هذه الآيات الا ان يشاء الله ان يجبرهم على الايمان عن الحسن وهو المروي عن اهل البيت عليهم السلام والمعنى انهم قط لا يؤمنون مختارين الا ان يكرهوا ولكن اكثرهم يجهلون ان الله قادر على ذلك وقيل معناه يجهلون انهم لو اوتوا بكل آية ما آمنوا طوعا وقيل معناه يجهلون مواضع المصلحة فيطلبون ما لا فائدة فيه وفي الآية دلالة على ان الله تعالى لو علم انه اذا فعل ما اقترحوه من الآيات آمنوا لفعل ذلك ولكان ذلك من الواجب في حكمته لانه لو لم يجب ذلك لم يكن لتعليله بانه لم يظهر هذه الآيات لعلمه بانه لو فعلها لم يؤمنوا معنى وفيها ايضا دلالة على ان ارادته محدثة لان الاستثناء يدل على ذلك اذ لو كانت قديمة لم يجز هذا الاستثناء ولم يصح كما كان لا يصح لو قال ما كانوا ليؤمنوا الا ان يعلم الله او الا ان يقدر الله لحصول هاتين الصفتين فيما لم يزل ومتى قيل فلم قال انهم لم يؤمنوا لانه سبحانه يعلم انهم لا يؤمنون فالقول فيه انه لو كان كذلك لكان وقوع الايمان منهم موقوفا على المشيئة سواء كانت الآيات ام لم يكن وفي هذا ابطال الآيات قوله تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون ولتصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون آيتان القراءة في الشواذ لتصغى اليه وليرضوه وليقترفوا بسكون اللام في الجميع والقراءة الظاهرة بكسر اللام في سائرها الحجة قال ابو الفتح هذه اللام هي الجارة اعني لام كي وهي معطوفة على الغرور من قوله يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا اي للغرور ولان يصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة ليرضوه وليقترفوا الا ان اسكان هذه اللام شاذة في الاستعمال على قوته في القياس لان هذا الاسكان انما كثر عنهم في لام الامر نحو قوله ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا وانما اسكنت تخفيفا لثقل الكسرة فيها وفرقوا بينها وبين لام كي بان لم يسكنوها وكانهم انما اختاروا سكون اللام الامر والتحريك للام كي من حيث كانت لام كي نائبة في اكثر الامر عن ان وهي ايضا في جواب كان سيفعل اذا قلت ما كان ليفعل محذوفة مع ان اللام البتة فلما نابت عنها قووها باقرار حركتها فيها لان الحرف المتحرك اقوى من الساكن والاقوى اشبه ان ينوب عن غيره من الاضعف اللغة الزخرف المزين يقال زخرفه اذا زينه والزخرف كمال حسن الشيء وفي الحديث انه عليه السلام لم يدخل الكعبة حتى امر بالزخرف فنحي وقيل كانت نقوش وتصاوير تزين الكعبة بها وقيل اراد بالزخرف الذهب والغرور ما له ظاهر تحبه وفيه باطن مكروه والشيطان غرور لانه يحمل على ايجاب النفس وورائه سوء العاقبة والغرر ما لا يكون على ثقة وصغوت اليه اصغى صغوا وصغوا وصغيت اصغي بالياء ايضا واصغيت اليه اصغاء بمعنى قال الشاعر ترى السفيه به عن كل محكمة زيغ وفيه الى التشبيه اصغاء ويقال اصغيت الاناء اذا املته ليجتمع ما فيه ومنه الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وآله يصغي الاناء للهر فالاصل فيه الميل الى الشيء لغرض من الاغراض والاقتراف الاكتساب يقال خرج يقترف لاهله اي يكتسب لهم وقارف فلان هذا الامر اذا واقعه وعمله وقرفتني بما ادعيت علي اي رميتني بالريبة وقرف القرحة اي قشرها واقترف كذبا الاعراب نصب عدوا على احد وجهين اما ان يكون مفعول جعلنا وشياطين بدل منه ومفسر له وعدو في معنى اعداء واما ان يكون اصله خبرا ويكون هنا مفعولا ثانيا لجعلنا على تقدير شياطين الانس والجن عدوا وقوله غرورا نصب على المصدر من معنى الفعل المتقدم لان معنى ايحاء الزخرف من القول معنى الغرور فكانه قال يغرون غرورا عن الزجاج وقيل انه كمفعول له كما قال ابن جني وقيل نصب على البدل من زخرف عن ابن مسلم المعنى ثم بين تعالى ما كان عليه حال الانبياء عليهم السلام مع اعدائهم تسلية لنبيه عليه السلام فقال وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن اي وكما جعلنا لك شياطين الجن والانس اعداء كذلك جعلنا لمن تقدمك من الانبياء واممهم وقيل في معنى قوله وجعلنا هنا وجوه احدها ان المراد كما امرناك بعداوة قومك من المشركين فقد امرنا من قبلك

بمعاداة اعدائهم من الجن والانس ومتى امر الله رسوله بمعاداة قوم من المشركين فقد جعلهم اعداء له وقد يقول الامير للمبارزة من عسكره جعلت فلانا قرنك في المبارزة وحكمنا بانهم اعداء واخبرنا بذلك ليعاملوهم معاملة الاعداء في الاحتراز عنهم والاستعداد لدفع شرهم وهذا كما يقال جعل القاضي فلانا عدلا وفلانا فاسقا اذا حكم بعدالة هذا وفسق ذاك وثالثها ان المراد خلى بينهم وبين اختيارهم العداوة ولم يمنعهم عن ذلك كرها ولا جبرا لان ذلك ينافي التكليف ورابعها انه تعالى انما اضاف ذلك الى نفسه لانه لما ارسل اليهم الرسل وامرهم بدعائهم الى الاسلام والايمان وخلع ما كانوا يعبدونه من الاصنام والاوثان نصبوا عند ذلك العداوة لانبيائه عليهم السلام ومثله قوله تعالى مخبرا عن نوح عليه السلام فلم يزدهم دعائي الا فرارا والمراد شياطين الانس والجن مردة الكفار من الفريقين عن الحسن وقتادة ومجاهد وقيل ان شياطين الانس الذين يغوونهم وشياطين الجن الذين هم من ولد ابليس عن السدي وعكرمة وفي تفسير الكلبي عن ابن عباس ان ابليس جعل جنده فريقين فبعث منهم الى الانس وفريقا الى الجن فشياطين الانس والجن اعداء الرسل والمؤمنين فيلتقي شياطين الانس وشياطين الجن في كل حين فيقول بعضهم لبعض اضللت صاحبي بكذا فاضل صاحبك بمثلها فكذلك يوحي بعضهم الى بعض وروي عن ابي جعفر عليه السلام ايضا انه قال ان الشياطين يلقى بعضهم بعضا فيلقي اليه ما يغوي به الخلق حتى يتعلم بعضهم من بعض يوحي اي يوسوس ويلقي خفية بعضهم الى بعض زخرف القول اي المموه المزين الذي يستحسن ظاهره ولا حقيقة له ولا اصل غرورا اي يغرونهم بذلك غرورا او ليغروهم بذلك ولو شاء ربك ما فعلوه اخبر سبحانه انه لو شاء ان يمنعهم من ذلك جبرا ويحول بينهم وبينه لقدر على ذلك ولو حال بينهم وبينه لما فعلوه ولكنه خلى بينهم وبين افعالهم ابقاء للتكليف وامتحانا للمكلفين وقيل معناه ولو شاء ربك ما فعلوه بان ينزل عليهم علامة او آية فتظل اعناقهم لها خاضعين فذرهم وما يفترون اي دعهم وافتراءهم الكذب فاني اجازيهم واعاقبهم امر تعالى نبيه عليه السلام بان يخلي بينهم وبين ما اختاروه ولا يمنعهم منه بالقهر تهديدا لهم كما قال اعملوا ما شئتم دون ان يكون امرا واجبا او ندبا ولتصغى اليه اي ولتميل الى هذا الوحي بزخرف القول والى هذا القول المزخرف افئدة اي قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة والعامل في قوله ولتصغى قوله يوحي ولا يجوز ان يكون العامل فيه جعلنا لان الله تعالى لا يجوز ان يريد اصغاء القلوب الى الكفر ووحي الشياطين الا ان تجعل اللام لام العاقبة كما في قوله فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا على انه غير معلوم ان كل من اراد وامنه الصغو قد يصغي الى كلامهم ولم يصح ذلك ايضا في قوله وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون لانه غير معلوم حصول ذلك وعلى ما قلناه يكون جميع ذلك معطوفا بعضه على بعض والمراد بالافئدة اصحاب الافئدة ولكن لما كان الاعتقاد في القلب وكذلك الشهوة اسند الصغو الى القلب وليرضوه اي وليرضوا ما اوحي اليهم من القول المزخرف وليقترفوا اي وليكتسبوا من الآثام والمعاصي ما هم مقترفون اي مكتسبون في عداوة النبي والمؤمنين عن ابن عباس والسدي وقال ابو علي الجبائي ان اللام في قوله ولتصغى وما بعده لام الامر والمراد بها التهديد كما قال تعالى اعملوا ما شئتم واستفزز من استطعت وهذا غلط فاحش لانه لو كان كذلك لقال ولتصغ بحذف الالف وقال البلخي اللام في ولتصغى لام العاقبة وما بعده لام الامر الذي يراد به التهديد وهذا جائز الا ان فيه تعسفا فالاصح ما ذكرناه قوله عز وجل افغير الله ابتغي حكما وهو الذي انزل اليكم الكتاب مفصلا والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين آية القراءة قرا ابن عامر وحفص منزل بالتشديد والباقون بالتخفيف الحجة حجة التشديد قوله تعالى تنزيل الكتاب من الله وما اشبهه وحجة التخفيف انا انزلنا اليك الكتاب وما اشبهه المعنى ثم امر تعالى نبيه عليه السلام ان يقول لهؤلاء الكفار الذين مضى ذكرهم افغير الله ابتغي حكما اي اطلب سوى الله حكما والحكم والحاكم بمعنى واحد الا ان الحكم مدح لان معناه من يستحق ان يتحاكم اليه فهو لا يقضي الا بالحق وقد يحكم الحاكم بغير حق والمعنى هل يجوز لاحد ان يعدل عن حكم الله تعالى رغبة عنه او هل يجوز ان يكون حكم سوى الله يساويه في حكمه وهو الذي يعني الله الذي انزل الكتاب اي القرآن مفصلا فصل فيه جميع ما يحتاج اليه وقيل فصل فيه بين الصادق والكاذب في الدين وقيل فصل

بين الحلال والحرام والكفر والايمان عن الحسن ومعنى التفصيل تبيين المعاني بما ينفي التخليط المعمي للمعنى وينفي ايضا التداخل الذي يوجب نقصان المراد والذين آتيناهم الكتاب يعني به مؤمني اهل الكتاب والكتاب هو التوراة والانجيل وقيل يعني بهم كبراء الصحابة واصحاب بدر والكتاب هو القرآن عن عطا يعلمون انه اي ان القرآن منزل من ربك بالحق يعني بما الحق اي يعلمون ان كل ما فيه بيان عن الشيء على ما هو به فترغيبه وترهيبه ووعده ووعيده وقصصه وامثاله وغير ذلك جميعه بهذه الصفة وقيل ان الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله والمراد به الامة وقيل الخطاب لغيره اي فلا تكن ايها الانسان او ايها السامع وقيل الخطاب له عليه السلام والمراد به الزيادة في شرح صدره ويقينه وطمانينة قلبه وتسكينه لقوله تعالى فلا يكن في صدرك حرج منه عن ابي مسلم قوله تعالى وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم آية القراءة كلمة ربك بالتوحيد عن ابي عمرو والباقون كلمات الحجة من قرا كلمة ربك قال وقع المفرد على الكثرة فلذلك اغنى عن الجمع قالوا قال زهير في كلمة يعنون قصيدة وقال قيس في كلمة يعنون خطبة ومن قرا بالجمع فلانه لما كان جمعا في المعنى جمعوا اللغة التبديل وضع الشيء مكان غيره والصدق الخبر الذي مخبره على وفق ما اخبر والعدل ضد الجور وقيل ان معنى افعال الله تعالى كلها عدل لانها كلها على الاستقامة وقيل انما يوصف بذلك فيما يعامل به عباده الاعراب صدقا وعدلا نصب على التمييز وقيل انهما مصدران انتصبا على الحال من الكلمة وتقدير ذلك صادقة وعادلة عن ابي علي الفارسي وقد تقدم مثل هذا فيما مضى المعنى ثم بين تعالى صفة الكتاب المنزل فقال وتمت كلمة ربك اي كملت على وجه لا يمكن احد الزيادة فيه والنقصان منه وكلمة ربك اي القرآن عن قتادة وغيره وقيل معناه انزلت شيئا بعد شيء حتى كملت على ما تقتضيه الحكمة وقيل ان المراد بالكلمة دين الله كما في قوله وكلمة الله هي العليا عن ابي مسلم وقيل المراد بها حجة الله على الخلق صدقا وعدلا اما كان في القرآن من الاخبار فهو صدق لا يشوبه كذب وما فيه من الامر والنهي والحكم والاباحة والحظر فهو عدل لا مبدل لكلماته اي لا مغير لاحكامه عن قتادة لانه وان امكن التغيير والتبديل في اللفظ كما بدل اهل الكتاب التوراة والانجيل فانه لا يعتد بذلك قال وقد يطلق الكلمة بمعنى الحكم قال تعالى وكذلك حقت كلمة ربك اي حكم ربك وقال عقوبة ربك وقال النبي صلى الله عليه وآله في صفة النساء انهن عوان عندكم استحللتم فروجهن بكلمة الله تعالى وقيل معناه ان القرآن محروس عن الزيادة والنقصان فلا مغير لشيء منه وذلك ان الله تعالى ضمن حفظه في قوله وانا له لحافظون ولا يجوز ان يعني بالكلمات الشرايع كما عني بقوله وصدقت بكلمات ربها لان الشرايع قد يجوز فيها النسخ والتبديل وهو السميع لاقوالكم العليم بضمائركم قوله عز وجل وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين آيتان اللغة الفرق بين الاكبر والاعظم ان الاعظم قد يوصف به واحد ولا يوصف بالاكبر واحد لحال ولهذا يقال في صفة الله تعالى عظيم واعظم ولا يوصف بالكبر وانما يقال اكبر بمعنى اعظم والخرص الكذب يقال خرص يخرص خرصا وتخرص واخترص واصله القطع قال الشاعر ترى قصد المران فيهم كانه تذرع خرصان بايدي الشواطب يعني جريدا انقطع طوالا ويتخذ منه الحصر وهو جمع الخرص والخرص العود لانقطاعه عن نظائره ومنه خرص النخل يخرص خرصا اذا حزره والخرص حبة القرط اذا كانت منفردة وطيب ريحه ولطفه اعلم اذا لم يذكر معها من فله معنيان احدهما اعلم من الكل واجزى عن ذكر من كقولهم الله اكبر من كل شيء والثاني بمعنى فعيل كقول الفرزدق ان الذي سمك السماء بنى لنا بيتا دعائمه اعز واطول اي عزيز طويل الاعراب موضع من يضل عن سبيله فيه وجوه احدها انه نصب على حذف الباء حتى يكون مقابلا لقوله وهو اعلم بالمهتدين والثاني ان موضع من رفع بالابتداء ولفظها لفظ الاستفهام والمعنى ان ربك هو اعلم اي الناس يضل عن سبيله وهذا مثل قوله تعالى لنعلم اي الحزبين احصى عن الزجاج وفي هذه المسألة خلاف وسياتي شرح ذلك في موضعه ان شاء الله تعالى والثالث

موضعها نصب بفعل مضمر يدل عليه قوله اعلم فكانه قال ان ربك هو اعلم يعلم من يضل عن سبيله وصيغة افعل من كذا لا يتعدى لانها غير جارية على الفعل ولا معدولة عن الجارية على الفعل كاعدل اضرب بعض ضارب ومتجار عن تاجر عن ابي علي الفارسي وزعم قوم ان اعلم هنا بمعنى يعلم كما قال حاتم الطائي فتحالفت طي من دوننا حلفا والله اعلم ما كنا لهم خذلا وقال الخنساء القوم اعلم ان جفنته تغدو غداة الريح او تسري وهذا فاسد لانه لا يطابق وهو اعلم بالمهتدين فلا يجوز ان يكون في موضع جر باضافة اعلم لان افعل لا يضاف الا الى ما هو بعضه وجل ربنا ويتقدس عن ان يكون بعض الضالين ولا بعض المضلين

المعنى لما تقدم ذكر الكتاب بين تعالى في هذه الآية ان من تبع غير الكتاب ضل واضل فقال وان تطع يا محمد خاطبه والمراد به غيره وهو وغيره والطاعة في امتثال الامر وموافقة المطيع المطاع فيما يريد منه اذا كان المريد فوقه والفرق بينه وبين الاجابة ان الاجابة عامة في موافقة الارادة الواقعة موقع المسألة ولا يراعى فيه الرتبة اكثر من في الارض يعني الكفار واهل الضلال وانما ذكر الاكثر لانه علم سبحانه ان منهم من يؤمن ويدعو الى الحق ويذب عن الدين ولكنهم الاقل والاكثر الضلال يضلوك عن سبيل الله اي عن دين الله وفي هذا دلالة على انه لا عبرة في دين الله تعالى ومعرفة الحق بالقلة والكثرة ويجوز ان يكون الحق مع الاقل وانما الاعتبار فيه بالحجة دون القلة والكثرة ان يتبعون الا الظن اي ما يتبع هؤلاء المشركون فيما يعتقدونه ويدعون اليه الا الظن وان هم الا يخرصون اي ما هم الا يكذبون وقيل معناه انهم لا يقولون عن علم ولكن عن حزر وتخمين قال ابن عباس كانوا يدعون النبي عليه السلم والمؤمنين الى اكل الميتة ويقولون اتاكلون ما قتلتم ولا تاكلون ما قتل ربكم فهذا ضلالهم ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله خاطب تعالى نبيه عليه السلم وان عني به جميع الامة ويسال فيقال كيف جاء في صفة القديم تعالى اعلم مع انه تعالى لا يخلو من ان يكون اعلم بالمعنى ممن يعلمه او ممن لا يعلمه وكلاهما لا يصح فيه افعل والجواب ان المعنى هو اعلم به ممن يعلمه لانه يعلمه من وجوه تخفى على غيره وذلك انه يعلم ما يكون منه وما كان وما هو كائن الى يوم القيمة على جميع الوجوه التي يصح ان يعلم الاشياء عليها وليس كذلك غيره لان غيره لا يعلم جميع الاشياء وما يعلمه لا يعلمه من جميع وجوهها واما من هو غير عالم اصلا فلا يقال الله اعلم منه لان لفظ اعلم يقتضي الاشتراك في العلم وزيادة لمن وصف بانه اعلم وهذا لا يصح فيمن ليس بعالم اصلا الا مجازا وهو اعلم بالمهتدين المعنى انه تعالى اعلم بمن يسلك سبيل الضلال المودي الى الهلاك والعقاب وممن يسلك سبيل الهدى المفضي به الى النجاة والثواب وفي هذا دلالة على ان الضلال والاضلال من فعل العبد خلاف ما يقوله اهل الجبر وعلى انه لا يجوز التقليد واتباع الظن في الدين والاعتبار بالكثرة والى هذا اشار امير المومنين عليه السلم حيث قال للحرث الهمداني يا حار الحق لا يعرف بالرجال اعرف الحق تعرف اهله

قوله عز وجل فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ان كنتم باياته مومنين وما لكم الا تاكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم الا ما اضطررتم اليه وان كثيرا ليضلون باهوائهم بغير علم ان ربك هو اعلم بالمعتدين وذروا ظاهر الاثم وباطنه ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون ثلاث

القراءة قرا اهل الكوفة غير حفص فصل لكم بالفتح ما حرم بالضم والباقون فصل لكم ما حرم بالضم فيهما وقرا ابن كثير وابن عامر ويعقوب ليضلون بفتح الياء هنا وفي يونس ليضلوا عن سبيلك وفي ابرهيم ليضلوا عن سبيله وفي الحج ليضل عن سبيل الله وفي لقمن والزمر وقرا اهل الكوفة بضم الياء في هذه المواضع وقرا الباقون هنا وفي يونس بفتح الياء وفي الاربعة المواضع الباقية بضم الياء الحجة من ضم الفاء من فصل والحاء من حرم قوله حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير فهذا تفصيل بعد هذين الموضعين هذا العام المجمل بقوله حرم وقوله وهو الذي انزل اليكم الكتاب مفصلا يدل على فصل وحجة من قرا فصل وحرم بالفتح وقوله قد فصلنا الآيات وقوله اتل ما حرم ربكم وقوله الذين يشهدون ان الله حرم هذا وحجة من ضم الياء من يضلون انه ابلغ في الموصوف بذلك في الضلال لانه اذهب من الهدى الا ترى ان كل مضل ضال وليس كل ضال مضلا لان الضلال قد يكون مقصورا على نفسه ولا يتعداه الى سواه ومن قرا بفتح الياء فانه يريد انهم يضلون في انفسهم

من غير ان يضلوا غيرهم من اتباعهم بامتناعهم من اكل ما ذكر اسم الله عليه وغير ذلك اي يضلون باتباع اهوائهم

الاعراب وذروا الواو للعطف وانما استعمل الامر والمستقبل ولا يستعمل وذر والاولى ذر استغناء بذلك كراهة الابتداء بالواو حتى لم يريدوا ابدا هناك اصلا مع زيادة انهم اخواتها واستغنوا فيه بترك وتارك وهذا كما استعمل الماضي دون المستقبل واسم الفاعل في عسى والظاهر الكائن على وجه يمكن ادراكه والباطن هو الكائن بحيث يتعذر ادراكه والكسب ما يفعل لاجتلاب النفع او دفع الضرر وانما يوصف به العبد دون الله تعالى لاستحالة النفع والضرر عليه تعالى لاستحالة والكواسب الجوارح من الطير لانها تكسب ما ينتفع به وقد بينا ان معنى الاقتراف الاكتساب

المعنى ثم عطف تعالى على ما تقدم من الكلام فقال فكلوا ثم اختلف في ذلك فقيل انه انما ذكر المهتدين فكانه قال ومن الهداية ان يحلوا ما احل الله تعالى ويحرموا ما حرم الله فكلوا وقيل ان المشركين لما قالوا للمسلمين اتاكلون ما قتلتم انتم ولا تاكلون ما قتل ربكم فكانه قال تعالى اعرضوا عن جهلهم فكلوا والمراد به الاباحة وان كانت الصيغة صيغة الامر مما ذكر اسم الله عليه يعني ذكر اسم الله عند ذبحه دون الميتة وما ذكر عليه اسم الاصنام والذكر هو قول بسم الله وقيل هو كل اسم يختص الله تعالى به او صفة تختصه كقوله باسم الرحمن او باسم القديم او باسم القادر لنفسه او العالم لنفسه وما يجري مجراه والاول مجمع على جوازه والظاهر يقتضي جواز غيره لقوله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن اياما تدعوا فله الاسماء الحسنى ان كنتم مومنين يعني ان كنتم مومنين بان عرفتم الله ورسوله وصحة ما اتاكم به من عند الله فكلوا ما احل دون ما حرم وفي هذه الآية دلالة على وجوب التسمية على الذبيحة وعلى ان ذبايح الكفار لا يجوز اكلها لانهم لا يسمون الله تعالى عليها ومن سمى منهم لا يعتقد وجوب ذلك حقيقة ولانه يعتقد ان الذي يسميه هو الذي ابدع شرع موسى او عيسى فاذا لا يذكرون الله تعالى حقيقة وما لكم الا تاكلوا مما ذكر اسم الله عليه قد ذكرنا اعرابه في سورة البقرة عند قوله وما لنا الا نقاتل في سبيل الله وتقديره اي شيء لكم في ان لا تاكلوا فيكون ما للاستفهام وهو اختيار الزجاج وغيره من البصريين ومعناه ما الذي يمنعكم ان تاكلوا مما ذكر اسم الله عليه عند ذبحه وقيل معناه ليس لكم الا ان تاكلوا فيكون ما للنفي وقد فصل لكم اي بين لكم ما حرم عليكم قيل هو ما ذكر في سورة المائدة من قوله حرمت عليكم الميتة والدم الآية واعترض على هذا بان سورة المائدة نزلت بعد الانعام بمدة فلا يصح ان يقال انه فصل الا ان يحمل على انه بين على لسان الرسول عليه السلم وبعد ذلك نزل به القران وقيل انه ما فصل في هذه السورة قل لا اجد فيما اوحي الي محرما الآية الا ما اضطررتم اليه معناه الا ما خفتم على نفوسكم الهلاك من الجوع اذا تركتم التناول منه فحينئذ يجوز لكم تناوله وان كان مما حرمه الله واختلف في مقدار ما يسوغ تناوله عند الاضطرار فعندنا لا يجوز ان يتناول الا ما يمسك به الرمق وقال قوم يجوز ان يشبع المضطر منها وان يحمل منها معه حتى يجد ما ياكل وقال الجبائي في هذه الآية دلالة على ان ما نكره على اكل من هذه الاجناس يجوز له اكله لان المكره يخاف على نفسه مثل المضطر وان كثيرا ليضلون باهوائهم اي باتباع الهواء ومن قرا بالضم اراد انهم يضلون اشياعهم فحذف المفعول به وفي امثال ذلك كثرة وانما جعل النكرة اسم ان لان الكلام اذا طال احتمل ذلك ودل بعضه على بعض وذروا ظاهر الاثم وباطنه امر تعالى بترك الاثم مع قيام الدلالة على كونه اثما ونهى عن ارتكابه سرا وعلانية وهو قول قتادة ومجاهد والربيع بن انس وقيل اراد بالظاهر افعال الجوارح وبالباطن افعال القلوب عن الجبائي وقيل الظاهر من الاثم الزنا والباطن اتخاذ الاخدان عن السدي والضحاك وقيل ظاهر الاثم امراة الاب وباطنه الزنا عن سعيد بن جبير وقيل ان الجاهلية كانت ترى ان الزنا اذا ظهر كان فيه اثم واذا استسر به صاحبه لم يكن اثما ذكره الضحاك والاوجه القول الاول لانه يعم الجميع ان الذين يكسبون الاثم اي يعملون المعاصي التي فيها الاثام ويرتكبون القبايح سيجزون اي سيعاقبون بما كانوا يقترفون بما كانوا يكسبونه ويرتكبونه

قوله عز وجل ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم وان اطعتموهم انكم لمشركون آية

المعنى ثم اكد تعالى ما تقدم بقوله ولا تاكلوا

مما لم يذكر اسم الله عليه يعني عند الذبح من الذبائح وهذا تصريح في وجوب التسمية على الذبيحة لانه لو لم يكن كذلك لكان ترك التسمية غير محرم لها وانه لفسق يعني وان اكل ما لم يذكر اسم الله عليه لفسق وفي هذا دلالة على تحريم اكل ذبائح الكفار كلهم اهل الكتاب وغيرهم من سمى منهم ومن لم يسم لانهم لا يعرفون الله تعالى على ما ذكرناه قبل فلا يصح منهم القصد الى ذكر اسمه واما ذبيحة المسلم اذا لم يسم الله تعالى عليه فقد اختلف في ذلك فقيل لا يحل اكلها سواء ترك عمدا او نسيانا عن مالك وداود وروي ذلك عن الحسن وابن سيرين وبه قال الجبائي وقيل يحل اكلها في الحالين عن الشافعي وقيل يحل اكلها اذا ترك التسمية ناسيا بعد ان يكون معتقدا لوجوبها ويحرم اكلها اذا تركها متعمدا عن ابي حنيفة واصحابه وهو المروي عن ائمتنا عليهم السلام وان الشياطين يعني علماء الكافرين ورؤساءهم المتمردين في كفرهم ليوحون اي يومئون ويشيرون الى اوليائهم الذين اتبعوهم من الكفار ليجادلوكم في استحلال الميتة قال الحسن كان مشركو العرب يجادلون المسلمين فيقولون لهم كيف تاكلون مما تقتلونه انتم ولا تاكلون مما يقتله الله تعالى وقتيل الله اولى بالاكل من قتيلكم فهذه مجادلتهم وقال عكرمة ان قوما من مجوس فارس كتبوا الى مشركي قريش وكانوا اولياءهم في الجاهلية ان محمدا واصحابه يزعمون انهم يتبعون امر الله ثم يزعمون ان ما ذبحوه حلال وما قتله الله حرام فوقع ذلك في نفوسهم فذلك ايحاؤهم اليهم وقال ابن عباس معناه وان الشياطين من الجن وهم ابليس وجنوده ليوحون الى اوليائهم من الانس والوحي القاء المعنى الى النفس من وجه خفي وهم يلقون الوسوسة الى قلوب اهل الشرك ثم قال تعالى وان اطعتموهم ايها المؤمنون فيما يقولونه من استحلال الميتة وغيره انكم اذن لمشركون لان من استحل الميتة فهو كافر بالاجماع ومن اكلها محرما لها مختارا فهو فاسق وهو قول الحسن وجماعة المفسرين وقال عطا انه مختص بالذبائح التي كانت يذبحونها للاوثان قوله تعالى اومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها وما يمكرون الا بانفسهم وما يشعرون آيتان

القراءة قرا اهل المدينة ويعقوب ميتا بالتشديد والباقون ميتا بالتخفيف

اللغة قال ابو عبيدة الميتة تخفيف ميتة ومعناهما واحد وانشد لابن الرعلاء الغساني

ليس من مات فاستراح بميت انما الميت ميت الاحياء
انما الميت من يعيش كئيبا كاسفا باله قليل الرجاء

والمحذوف من ميت الياء الثانية المنقلبة عن الواو اعلت بالحذف كما اعلت بالقلب الاكابر جمع الاكبر وقد قالوا الاكابرة والاصاغرة كما قالوا الاساورة والاحامرة قال الشاعر

ان الاحامرة الثلاثة اهلكت مالي وكنت بهن قدما مولعا
الخمر واللحم السمين احبه والزعفران فقد انت مودعا

المكر الفتل ومنه جارية ممكورة اي مكتنزة البدن فكان المكر معناه الفتل الى خلاف الرشد

الاعراب اومن هذه همزة استفهام دخلت على واو العطف وهو استفهام يراد به التقرير موضع الكاف في قوله وكذلك جعلنا نصب معطوفة على ما قبلها وهو قوله كذلك زين للكافرين مجرميها يجوز ان يكون منصوبا على التقديم والتاخير تقديره جعلنا في كل قرية مجرميها اكابر ويجوز ان يكون منصوبا باضافة اكابر اليه

النزول الآية قيل انها نزلت في حمزة بن عبد المطلب وابي جهل بن هشام وذلك ان ابا جهل آذى رسول الله صلى الله عليه وآله فاخبر بذلك حمزة وهو على دين قومه فغضب وجاء ومعه قوس فضرب بها راس ابي جهل وآمن عن ابن عباس وقيل انها نزلت في عمار بن ياسر حين آمن وابي جهل عن عكرمة وهو المروي عن ابي جعفر عليه السلام وقيل نزلت في عمر بن الخطاب وابي جهل عن الضحاك وقيل انها عامة في كل مؤمن وكافر عن الحسن وجماعة وهذا اولى لانه اعم فائدة فيدخل فيه جميع الاقوال المذكورة

المعنى ثم ذكر الله تعالى مثل الفريقين فقال او من كان ميتا فاحييناه اي كافرا فاحييناه بان هديناه الى الايمان عن ابن عباس والحسن ومجاهد شبه سبحانه الكفر بالموت والايمان بالحيوة وقيل معناه من كان نطفة فاحييناه كقوله وكنتم امواتا فاحياكم وجعلنا له نورا يمشي به في الناس قيل فيه وجوه احدها ان المراد بالنور العلم والحكمة سمى تعالى ذلك نورا والجهل ظلمة لان العلم يهتدى به الى الرشاد كما يهتدى بالنور في الطرقات وثانيها ان المراد

بالنور هنا القرآن عن الحسن وثالثها ان المراد به الايمان عن ابن عباس كمن مثله في الظلمات لم يقل تعالى كمن هو في الظلمات لان تقديره كمن مثله مثل من هو في الظلمات يعني به الكافر الذي هو في ظلمة الكفر وقيل معناه كمن هو في ظلمات الكفر ليس بخارج منها لكنه ذكره بلفظ المثل ليبين انه بلغ في الكفر والحيرة غاية يضرب بها المثل فيها وانما سمى الله تعالى الكافر ميتا لانه لا ينتفع بحيوته ولا ينتفع غيره بحيوته فهو اسوء حالا من الميت اذ لا يوجد من الميت ما يعاقب عليه ولا يتضرر غيره به وسمى المؤمن حيا لان له ولغيره المصلحة والمنفعة في حيوته وكذلك سمى الكافر ميتا والمؤمن حيا في عدة مواضع مثل قوله انك لا تسمع الموتى ولتنذر من كان حيا وقوله وما يستوي الاحياء ولا الاموات وسمى القرآن والايمان والعلم نورا لان الناس يبصرون بذلك ويهتدون من ظلمات الكفر وحيرة الضلالة كما يهتدى بسائر الانوار وسمى الكفر ظلمة لان الكافر لا يهتدي بهداه ولا يبصر امر رشده وهذا كما سمى الكافر اعمى في قوله افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق كمن هو اعمى وقوله وما يستوي الاعمى والبصير كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون ووجه التشبيه بالكاف ان معناه زين لهؤلاء الكفر فعملوه مثل ما زين لاولئك الايمان فعملوه فشبه حال هؤلاء في التزيين بحال اولئك فيه كما قال تعالى كل حزب بما لديهم فرحون وروي عن الحسن انه قال زينه والله لهم الشيطان وانفسهم فاستدل بقوله وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم وقوله زين لا يقتضي مزينا غيرهم لانه بمنزلة قوله تعالى انى يصرفون وانى يؤفكون وقول العرب اعجب فلان بنفسه واولع بكذا ومثله كثير وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر اي مثل ذلك الذي قصصنا عليك زين للكافرين عملهم ومثل ذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها وكما جعلنا ذا المكر من المجرمين كما جعلنا ذا النور من المؤمنين فكلما فعلنا بهؤلاء فعلنا باولئك الا ان اولئك اهتدوا بحسن اختيارهم وهؤلاء ضلوا بسوء اختيارهم لان في كل واحد منهما الجعل بمعنى الصيرورة الا ان الاول باللطف والثاني بالتمكين من المكر وانما خص اكابر المجرمين بذلك دون الاصاغر لانه اليق بالاستدلال على الجميع لان الاكابر اذا كانوا في قبضة القادر فالاصاغر احرى واللام في قوله ليمكروا لام العاقبة وتسمى لام الصيرورة كما في قوله تعالى ليكون لهم عدوا وحزنا وكما قال الشاعر

فاقسم لو قتلوا مالكا لكنت لهم حية راصده
وام سماك فلا تجزعي فللموت ما تلد الوالده

وما يمكرون الا بانفسهم لان عقاب ذلك يحل بهم ولا يصح ان يمكر الانسان بنفسه على الحقيقة لانه لا يصح ان يخفي عن نفسه معنى ما يحتال به عليها ويصح ان يخفي ذلك عن غيره وفائدة الآية ان اكابر مجرميها لم يمكروا بالمؤمنين على وجه المغالبة لله اذ هم كانه تعالى خلاهم ليمكروا وهذه مبالغة في انتفاء صفة المبالغة قوله تعالى واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله الله اعلم حيث يجعل رسالته سيصيب الذين اجرموا صغار عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون آية

القراءة قرا ابن كثير وحفص رسالته على التوحيد وبنصب التاء والباقون رسالاته على الجمع

الحجة من وحد فلان الرسالة تدل على القلة والكثرة لكونها مصدرا ومن جمع فلما تكرر من رسالات الله تعالى مرة بعد اخرى

اللغة الاجرام الاقدام على القبيح بالانقطاع اليه لان اصل الجرم القطع فكانه قطع ما يجب ان يوصل من العمل ومنه قيل للذنب الجرم والجريمة والصغار الذل الذي يصغر الى المرء نفسه يقال صغر الانسان يصغر صغرا وصغارا

الاعراب الله اعلم حيث يجعل رسالاته لا يخلو حيث هنا من ان يكون ظرفا متضمنا حرفا او غير ظرف فان كان ظرفا فلا يجوز ان يعمل فيه اعلم لانه يصير المعنى اعلم في هذا الموضع او في هذا الوقت ولا يوصف الله تعالى بانه اعلم في مواضع او في اوقات كما يقال زيد اعلم في مكان كذا منه في مكان كذا او اعلم في زمان كذا واذا كان الامر كذلك لم يجز ان يكون حيث هنا ظرفا واذا لم يكن ظرفا كان اسما وكان انتصابه انتصاب المفعول به على الاتساع ويقوي ذلك دخول الجار عليها فكان الاصل الله اعلم بمواضع رسالاته ثم حذف الجار كما قال الله تعالى اعلم بمن ضل عن سبيله وفي موضع آخر اعلم من يضل معمولا لفعل مضمر دل عليه اعلم ولا يجوز ان يكون معمولا لاعلم لان المعاني لا تعمل في مواضع الاستفهام ونحوه انما تعمل فيها

الاعمال التي يلغى متعلق كما يلغى ومثل ذلك في انه لا يكون الا محمولا على فعل قوله و اضرب منا بالسيوف
القوانسا فالقوانس منصوب بفعل مضمر دل عليه قوله اضرب لان المعاني لا يعمل في المفعول به ومما جعل حيث فيه
اسما متمكنا غير ظرف متضمن لمعنى في قول الشاعر كان منها حيث تلوى المنطقا حقفا نهاما الا على حقفي نقا الا ترى ان
حيث هنا في موضع نصب بكان وحقفا نقا مرفوع بانه خبره قال القاضي ابو سعيد السيرافي في شرح كتاب سيبويه
ان من العرب من يضيف الى المفرد فيجرها ما بعدها انشد ابن الاعرابي بيتا آخره حيث الى النعايم وانشد ايضا ابو سعيد
و ابو علي في اخراج حيث من حد الظرفية بالاضافة اليها الحد الاسماء المحضة قول الشاعر يصف شيخا نسل الهلال
لها الهداية عنده الحضى اذا حيث يكون من سبيل ومن ذلك قول الفرزدق فحت به عن يامار صابا وبه رفا
واعلى حيث ركن الحجف وقوله صغار عند الله قال الزجاج عند متصلة بسيصيب اي سيصيب عند الله صغار وجايز ان يكون
عند متصلة بصغار فيكون المعنى سيصيب الذين اجرموا صغار ثابت لهم عند الله ولا يصلح ان يكون من محذوفة من
عند انما المحذوف من عند في اذا قلت زيد عند عمرو فالمعنى زيد في حضر عمرو قال ابو علي اذا قلت ان عند معمول الصغار
لم تحتج الى تقدير محذوف في الكلام لكن نفس المصدر يتناوله ويعمل فيه ويكون التقدير ان يصغروا عند الله فلا وجه
لتقدير ثابت في الكلام فان قدرت صغار الموصوف بعند لم يكن عند معمولا للصغار ولكن يكون متعلقا بمحذوف
فلا بد على هذا من تقدير ثابت ونحوه مما يكون في الاصل صفة ثم حذف واقيم الظرف مقامه للدلالة عليه وهذا
كقولك وانت تريد الصفة هذا رجل عندك والمعنى ثابت عندك ومستقر ونحوه وكلا الوجهين جايز النزول نزلت
في الوليد بن المغيرة قال والله لو كانت النبوة حقا لكنت اولى بها منك لاني اكبر منك سنا واكثر منك مالا وقيل نزلت
في ابي جهل بن هشام قال زاحمنا بني عبد مناف في الشرف حتى اذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نؤمن
به ولا نتبعه ابدا الا ان ياتينا وحي كما ياتيه عن مقاتل المعنى ثم حكى سبحانه عن الاكابر الذين تقدم ذكرهم واقتراحاتهم
الباطلة واذا جاءتهم آية اي دلالة معجزة من عند الله تعالى تدل على توحيده وصدق نبيه عليه السلم قالوا لن
نؤمن اي لن نصدق بها حتى نؤتى اي نعطى آية معجزة مثل ما اوتي اي اعطي رسل الله حسدا منهم للنبي عليه السلم ثم اخبر سبحانه
على وجه الانكار عليهم بقوله الله اعلم حيث يجعل رسالاته انه اعلم منهم ومن جميع الخلق بمن يصلح لرسالاته ويتعلق
مصالح الخلق ببعثته فانه يعلم من يقوم باعباء الرسالة ومن لا يقوم بها فيجعلها عند من يقوم باداءها ويحتمل ما يلحقه
من المشقة والاذى على تبليغها ثم توعدهم تعالى فقال سيصيب اي سينال الذين اجرموا اي انقطعوا الى الكفر
واقدموا عليه يعني جميع المشركين من اكابر القرى الذين سبق ذكرهم صغار عند الله اي سيصيبهم عند الله ذل وهوان
وان كانوا اكابر في الدنيا عن الزجاج ويجوز ان يكون المعنى سيصيبهم صغار معد لهم عند الله او سيصيبهم ان يصغروا
عند الله وعذاب شديد بما كانوا يكفرون في الدنيا اي جزاء على مكرهم قوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح
صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين
لا يؤمنون آية القراءة قرا ابن كثير ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء كذلك يجعل بتخفيف الياء وسكونها ههنا وفي
الفرقان والباقون بتشديدها وكسرها وقرا اهل المدينة وابو بكر وسهل حرجا بكسر الراء والباقون بفتحها وقرا ابن كثير
يصعد بتخفيف الصاد والعين وسكون الصاد وقرا ابو بكر يصاعد بتشديد الصاد والف بعدها وتخفيف العين
والباقون يصعد بتشديد الصاد والعين وفتح الصاد الحجة الضيق والضيق بمعنى مثل الميت والميت ومن فتح الراء من حرج
فقد وصف بالمصدر كما قيل في قمن ودنف ونحوهما من المصادر التي يوصف بها ومن كسر الراء من حرج فهو مثل
دنف وقمن وقرا ابن كثير يصعد من الصعود ومن قرا يصعد اراد يتصعد فادغم ومعنى يتصعد انه يتثقل الاسلام
عليه فكانه يتكلف ما يثقل عليه شيئا بعد شيء كقولهم يتعفف ويتحرج ونحو ذلك مما يتعاطى فيه الفعل شيئا بعد شيء

ويصاعد مثل يصعد في المعنى مثل ضاعف وضعف وصعود اي شاقة عن ابي عبيدة سارهقه صعودا وعقبة صعود اي شاقة
ومن ذلك قول عمر بن الخطاب ما تصعدني شيء ما تصعدتني خطبة النكاح اي ما شق علي شيء مشقتها اللغة الحرج والحراج اضيق قال
ابو زيد حرج عليه السحور يحرج اذا اصبح قبل ان يتسحر وحرم عليه حرجا وهما بمعنى داخل على المراة الصلوة وحرمت بمعنى
واحد وحرج فلان اذا هاب ان يتقدم على الامر او قاتل فصبر وهو كاره وقد ذكرنا معاني الهداية والهدى والضلال
والاضلال في سورة البقرة وما يجوز اسناده الى الله تعالى من كلا الامرين وما لا يجوز عند قوله وما يضل به الا الفاسقين
المعنى لما تقدم ذكر المومنين والكافرين بين عقيبه ما يفعله تعالى بكل من الفريقين فقال فمن يرد الله ان يهديه قد
ذكر في تاويل الآية وجوه احدها ان معناه ان يرد الله ان يهديه الى الثواب وطريق الجنة يشرح صدره في الدنيا
للاسلام بان يثبت عزمه ويقوي دواعيه على التمسك به ويزيل عن قلبه وساوس الشيطان وما يعرض في القلوب
من الخواطر الفاسدة وانما يفعل ذلك لطفا له ومنا عليه وثوابا على اهتدائه بهدى الله وقبوله اياه ونظيره قوله
تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى ويزيد الله الذين اهتدوا هدى ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا
حرجا يعني ومن يرد ان يضله عن ثوابه وكرامته يجعل صدره في كفره ضيقا حرجا عقوبة له على ترك الايمان من غير
ان يكون تعالى مانعا له عن الايمان وسالبا اياه القدرة عليه بل يكون ذلك سببا داعيا له الى الايمان فان
من ضاق صدره بالشيء كان ذلك داعيا له الى تركه والدليل على ان جعل شرح الصدر قد يكون ثوابا قوله تعالى
الم نشرح لك صدرك الآيات ومعلوم ان وضع الوزر ورفع الذكر يكون ثوابا على تحمل اعباء الرسالة وكلفها فكذلك
ما قرن به من شرح الصدر والدليل على ان الهدى قد يكون الى الثواب قوله والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل اعمالهم
سيهديهم ويصلح بالهم ومعلوم ان الهداية بعد القتل لا يكون الا الى الثواب فليس بعد الموت تكليف وقد وردت
الرواية الصحيحة انه لما نزلت هذه الآية سئل رسول الله صلى الله عليه وآله عن شرح الصدر ما هو فقال نور يقذفه
الله في قلب المؤمن فينشرح له صدره وينفسح قالوا وهل لذلك من امارة يعرف بها قال عليه السلم نعم الانابة الى
دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول الموت وثانيها ان معنى الآية فمن يرد الله ان يثبته
على الهدى يشرح صدره من الوجه الذي ذكرناه جزاء له على ايمانه واهتدائه وقد يطلق لفظ الهدى والمراد به الاستدامة
كما قلناه في قوله اهدنا الصراط المستقيم ومن يرد ان يضله ان يخذله ويخلي بينه وبين ما يريده لاختياره الكفر
وتركه الايمان يجعل صدره ضيقا حرجا بان يمنعه الالطاف التي ينشرح لها صدره لخروجه من قبولها باقامته على كفره
فان قيل انا نجد الكافر غير ضيق الصدر لما هو فيه ونراه طيب القلب على كفره فكيف يصح الخلف في خبره تعالى قلنا
انه سبحانه يعني انه يجعل صدره ضيقا ولم يقل في كل حال ومعلوم من حاله في احوال كثيرة انه يضيق صدره بما هو
فيه من ورود الشبه والشكوك عليه وعند ما يجازي الله تعالى المومنين على استعمال الادلة الموصلة الى الايمان
وهو القدر هو الذي تقتضيه الظاهر وثالثها ان معنى الآية من يرد الله ان يهديه الهدى التي وعدها المومنين
يشرح صدره لتلك الزيادة لان من حقها ان يزيد المومن بصيرة ومن يرد ان يضله
عن تلك الزيادة بمعنى يذهبه عنها من حيث اخرج هو نفسه من ان يصح عليه يجعل صدره ضيقا حرجا لكان فقد
تلك الزيادة لانها اذا اقتضت في المومن ما قلناه اوجب في الكافر ما يضاده ويكون الفائدة في ذلك الترغيب
في الايمان والزجر عن الكفر وهذا التاويل قريب مما تقدم وقد روي عن ابن عباس انه قال انما سمي قلب الكافر حرجا
لانه لا يصل الخير الى قلبه وفي رواية اخرى لا تصل الحكمة الى قلبه ولا يجوز ان يكون المراد بالاضلال في كتاب الله الدعاء
الى الضلال والامر به ولا الاجبار عليه لاجماع الامة على ان الله تعالى لا يامر بالضلال ولا يدعو اليه فكيف يجبر عليه
والدعاء اليه اهون من الاجبار عليه وقد ذم تعالى فرعون والسامري على اضلالهما عن دين الهدى في قوله واضل فرعون

قومه وما هدى وقوله واضلهم السامري ولا خلاف في ان اضلالهما اضلال امر واجبار ودعاء وقد ذمهما الله تعالى
عليه مطلقا فكيف يتمدح بما ذم عليه وقوله كانما يصعد في السماء فيه وجوه احدها ان معناه كانه قد كلف ان يصعد
الى السماء اذا دعي الى الاسلام من ضيق صدره عنه او كان قلبه يصعد في السماء نبوا عن الاسلام والحكمة عن الزجاج وثانيها
ان معنى يصعد كانه يتكلف مشقة في ارتقاء صعود وعلى هذا قيل عقبة عنكوت وكود عن ابي علي الفارسي قال
فلا يكون السماء في هذا القول المظلة للارض ولكن كما قال سيبويه القيدود الطويل في غير سماء اي في غير ارتفاع
صعدا وقريب منه ما روي عن سعيد بن جبير ان معناه كانه لا يجد مسلكا الا صعدا وثالثها ان معناه كانما ينزع قلبه
الى السماء لشدة المشقة عليه في مفارقة مذهبه كذلك يجعل الله الرجس اي العذاب عن ابن زيد وغيره من اهل
اللغة وقيل هو ما لا خير فيه عن مجاهد على الذين لا يؤمنون وفي هذا دلالة على صحة التاويل الاول لانه تعالى بين ان
الاضلال المذكور في الآية كان على وجه العقوبة على الكفر ولو كان المراد به الاجبار على الكفر لما قال كذلك لا يؤمن
من جعل الله الرجس على قلبه ووجه التشبيه في قوله كذلك يجعل الله الرجس انه يجعل الرجس على هؤلاء كما يجعل ضيق الصدر
في قلوب اولئك وان كان ذلك على وجه الاستحقاق وروى العياشي باسناده عن ابي بصير عن خيثمة قال سمعت
ابا جعفر عليه السلام يقول ان القلب ينقلب من لدن موضعه الى حنجرته ما لم يصب الحق فاذا اصاب الحق قر ثم قرا هذه
الآية قوله تعالى وهذا صراط ربك مستقيما قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون لهم دار السلام عند ربهم
وهو وليهم بما كانوا يعملون آيتان المعنى ثم اشار تعالى الى ما تقدم من البيان فقال وهذا صراط ربك اي
طريق ربك وهو القرآن عن ابن مسعود والاسلام عن ابن عباس وانما اضافه الى نفسه لانه تعالى هو الذي
دل عليه وارشد اليه مستقيما لا اعوجاج فيه وانما انتصب على الحال وانما وصف الصراط الذي هو ادلة الحق بالاستقامة
مع اختلاف وجوه الادلة لانها مع اختلافها تؤدي الى الحق فكانها طريق واحد لسلامة جميعها من التناقض
والفساد قد فصلنا الآيات اي بيناها وميزناها لقوم يذكرون واصله يتذكرون وخص المتذكرين بذلك
لانهم المنتفعون بالحجج كما قال هدى للمتقين لهم دار الاسلام اي للذين يذكروا ويتدبروا وعرفوا الحق وتبعوه
دار السلامة الدائمة الخالصة من كل آفة وبلية ومما يلقاه اهل النار عن الزجاج والجبائي وقيل ان السلام
هو الله تعالى وداره الجنة عن الحسن والسدي عند ربهم اي هي مضمونة لهم عند ربهم يوصلهم اليها لا محالة كما يقول الرجل
لغيره لك عندي هذا المال اي في ضماني وقيل معناه لهم دار السلام في الآخرة يعطيهم اياها وهو وليهم يعني الله يتولى
ايصال المنافع اليهم ودفع المضار عنهم وقيل وليهم ناصرهم على اعدائهم وقيل يتولاهم في الدنيا بالتوفيق وفي الآخرة
بالجزاء بما كانوا يعملون المراد جزاء بما كانوا يعملونه من الطاعات فحذف لظهور المعنى فان من المعلوم انه لا يكون
طاعة من الاعمال فلا ثواب عليه قوله تعالى ويوم يحشرهم جميعا يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس وقال
اولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها
الا ما شاء الله ان ربك حكيم عليم وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون آيتان القراءة
قرا حفص وروح ويوم يحشرهم بالياء والباقون بالنون الحجة من قرا بالياء فلقوله عند ربهم والنون كالياء في المعنى
ويقوي النون قوله وحشرناهم ونحشره يوم القيمة اعمى الاعراب قال الزجاج خالدين فيها منصوب على الحال والمعنى النار
مقامكم في حال خلود دائم قال ابو علي المثوى عندي في الآية اسم للمصدر دون المكان لحصول الحال في الكلام معملا فيه
الا ترى انه لا يخلو من ان يكون موضعا او مصدرا فلا يجوز ان يكون موضعا لان اسم الموضع لا يعمل عمل الفعل لانه لا معنى
للفعل فيه واذا لم يكن موضعا ثبت انه مصدر والمعنى النار ذات اقامتكم فيها خالدين اي اهل ان يقيموا فيها او يثووا
خالدين فيها فالكاف والميم في المعنى فاعلون وان كان في اللفظ خفض بالاضافة المعنى ثم عطف تعالى على ما تقدم

فقال ويوم يحشرهم جميعا اي يجمعهم يريد جميع الخلق وقيل الانس والجن لانه يعقبه بخطابهم وقيل يريد الكفار وانتصب
اليوم بالقول المضمر لان المعنى ويوم نحشرهم جميعا نقول يا معشر اي جماعة الجن قد استكثرتم من الانس اي قد استكثرتم ممن اضللتموه
من الانس عن الزجاج وهو ماخوذ من قول ابن عباس معناه من اغواء الانسان واضلالهم وقال اولياؤهم اي متبعوهم
من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض اي انتفع بعضنا ببعض وقيل فيه اقوال احدها ان استمتاع الجن بالانس ان اتخذ
الانس قادة ورؤساء فاتبعوا اهواءهم واستمتاع الانس بالجن انتفاعهم في الدنيا بما دعاهم اليه الجن من اللذات ودعوهم
الى الشهوات وثانيها ان استمتاع الانس بالجن ان الرجل كان اذا سافر وخاف الجن في سلوك الطريق قال اعوذ بسيد
هذا الوادي ثم يسلك فلا يخاف وكانوا يرون ذلك استجارة بالجن وان الجن يجيرهم كما قال تعالى وانه كان رجال
من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا واستمتاع الجن بالانس ان الجن اذا اعتقدوا ان الانس
يتعوذون بهم ويعتقدون انهم ينفعونهم ويضرونهم كان في ذلك سرور ونفع عن الحسن وابن جريج والزجاج
وغيرهم وثالثها ان المراد بالاستمتاع طاعة بعضهم بعضا وموافقة بعضهم لبعض عن محمد بن كعب قال البلخي ويحتمل
ان يكون الاستمتاع مقصورا على الانس فيكون الانس يستمتع بعضهم ببعض دون الجن وقوله وبلغنا اجلنا الذي
اجلت يعني بالاجل الموت عن الحسن والسدي وقيل البعث والحشر لان الحشر اجل الجزاء كما ان الموت اجل
استدراك ما مضى قال الجبائي وفي هذا دلالة على انه لا اجل الا واحد لانه لو كان اجلان لكان الرجل اذا اقتطع
دون الموت بان يقتل لم يكن بلغ اجله ولانه يتضمن انه اجمع قالوا وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا وقال علي بن عيسى
وغيره من البغداديين لا دلالة في الآية على ذلك بل لا يمتنع ان يكون للانسان اجلان احدهما ما يقع فيه الموت
والآخر ما يقع فيه الحشر وما كان يجوز ان يعيش اليه قال الله تعالى لهم النار مثواكم اي مقامكم والثواء الاقامة
خالدين فيها اي دائمين مؤبدين فيها معذبين الا ان يشاء الله وقيل في معنى هذا الاستثناء اقوال احدها
ما روي عن ابن عباس انه قال كان وعيد الكفار مبهما غير مقطوع به ثم قطع به لقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به وثانيها
ان الاستثناء انما هو من يوم القيمة لان قوله ويوم يحشرهم جميعا هو يوم القيمة فقال خالدين فيها مذ يوم يبعثون الا
ما شاء الله من مقدار حشرهم من قبورهم ومقدار مدتهم في محاسبتهم عن الزجاج وقال جائز ان يكون الا ما شاء الله
يعذبهم به من اصناف العذاب وثالثها ان الاستثناء راجع الى غير الكفار من عصاة المسلمين الذين هم في مشيئة الله
تعالى ان شاء عذبهم بذنوبهم بقدر استحقاقهم عدلا وان شاء عفا عنهم فضلا ورابعها ان معناه الا ما شاء الله من امهاله
منهم عن عطا ان ربك حكيم عليم اي محكم لافعاله عليم بكل شيء وقيل حكيم في عقاب من يختار ان يعاقبه والعفو عمن يختار ان
يعفو عنه عليم بمن يستحق الثواب وبمقدار ما يستحقه وبمن يستحق العقاب وبمقدار ما يستحقه وكذلك نولي بعض الظالمين
بعضا بما كانوا يكسبون الكاف للتشبيه اي كذلك المهل بتخليه بعضهم مع بعض للامتحان الذي يصح معه الجزاء على الاعمال نولي
بعض الظالمين بعضا بان نجعل بعضهم يتولى امر بعض للعقاب الذي يجري على الاستحقاق عن علي بن عيسى وقيل معناه
انا كما وكلنا هؤلاء الظالمين من الجن والانس بعضهم الى بعض يوم القيمة وتبرانا منهم فكذلك نكل الظالمين بعضهم الى بعض
يوم القيمة ونكل الاتباع الى المتبوعين ويقول للاتباع قولوا للمتبوعين حتى يخلصوكم من العذاب عن ابي علي الجبائي قال والغرض
بذلك اعلامهم انه ليس لهم يوم القيامة ولي تدفع عنهم شيئا من العذاب وقال غيره لما حكى الله تعالى ما يجري بين الجن والانس
من الخصام والجدال في الآخرة قال وكذلك اي وكما فعلنا بهؤلاء من الجمع بينهم في النار وتولية بعضهم بعضا نفعل
مثله بالظالمين جزاء على اعمالهم وقال ابن عباس اذا رضي الله عن قوم ولى امرهم خيارهم واذا سخط على قوم ولى امرهم شرارهم
بما كانوا يكسبون من المعاصي اي جزاء على اعمالهم القبيحة وذلك معنى قوله ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم وقريب منه
ما رواه الكلبي عن مالك بن دينار قال قرات في بعض كتب الحكمة ان الله تعالى يقول اني انا الله مالك الملوك قلوب الملوك

بيدي فمن اطاعني جعلتهم عليه رحمة ومن عصاني جعلتهم عليه نقمة فلا تشغلوا انفسكم بسب الملوك ولكن توبوا الى اعطفهم
عليكم وقيل معنى قوله نولي بعضهم بعضا نخلي بينهم وبين ما يختارونه من غير نصرة لهم وقيل معناه نتابع بعضهم بعضا
في النار من الموالاة التي هي المتابعة اي ندخل بعضهم النار عقيب بعض عن قتادة قوله تعالى يا معشر الجن والانس الم ياتكم
رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على انفسنا وغرتهم الحيوة الدنيا وشهدوا
على انفسهم انهم كانوا كافرين ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم واهلها غافلون ولكل درجات مما عملوا
وما ربك بغافل عما يعملون ثلث آيات القراءة قرا ابن عامر عما تعملون بالتاء والباقون بالياء اللغة الغفلة عن المعنى والسهو عنه
والعزوب عنه نظاير وضد الغفلة اليقظة وضد السهو الذكر وضد العزوب الحضور الاعراب موضع ذلك يحتمل
ان يكون رفعا على تقدير الامر ذلك ويحتمل ان يكون نصبا على تقدير فعلنا ذلك وان لم يكن ان هذه هي المخففة من الثقيلة
وتقديره لانه لم يكن كما في قول الشاعر في فتية كسيوف الهند قد علموا ان هالك كل من يحفى وينتعل وان المفتوحة
لا بد لها من اضمار الهاء لانه لا معنى لها في الابتداء وانما هي بمعنى المصدر المبني على غيره والمكسورة لا تحتاج الى الهاء لانه
يصح ان يكون حرفا من حروف الابتداء فلا تحتاج الى اضمار وانما لم يبن كل اذا حذف منه المضاف اليه كما بني قبل وبعد
لان ما حذف منه المضاف اليه قبل وبعد لم يكن في حال الاعراب على التمكن التام فانه لا يدخله الرفع في تلك الحال
فلما انضاف الى ذلك نقصان التمكن بحذف المضاف اليه اخرج الى البناء وليس كذلك كل لانه متمكن على كل حال
فلذلك لم يبن المعنى ثم بين عز وجل تماما بما يخاطب به الجن والانس يوم القيمة التي يشتمل على اصناف الطوائف ومنها
العترة يا معشر الجن والانس والمعشر الجماعة التامة من القوم لانها تمام العقد الم ياتكم رسل منكم هذا احتجاج عليهم
بان بعث اليهم الرسل اعذارا وانذارا وتاكيد الحجة عليهم واما قوله منكم وان كان خطابا لجميعهم والرسل من الانس
خاصة فانه يحتمل ان يكون لتغليب احدهما على الآخر كما قال تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وان كان اللؤلؤ يخرج من
الملح دون العذب وكما يقال اكلت الخبز واللبن وانما يوكل الخبز ويشرب اللبن وهو قول المفسرين والزجاج والرماني
وقيل انه ارسل رسل الى الجن كما ارسل الى الانس عن الضحاك وقال الكلبي كان الرسل يرسلون الى الانس ثم بعث محمدا
صلى الله عليه وآله الى الانس والجن وقال ابن عباس انما بعث الرسول من الانس ثم كان يرسل هو الى الجن رسولا من
الجن وقال وينذرونكم اي يخوفونكم لقاء يومكم هذا اي لقاء ما تستحقونه من العقاب في هذا اليوم وحصولكم فيه
يعني يوم القيمة قالوا شهدنا على انفسنا بالكفر والعصيان في حال التكليف ولزوم الحجة وانقطاع المعذرة واعترفنا بذلك
وغرتهم الحيوة الدنيا اي بزينتها لهم فظاهرها حتى اغتروا بها وشهدوا على انفسهم في الآخرة انهم كانوا كافرين في الدنيا
اي اقروا بذلك وشهدوا باستحقاقهم العقاب ذلك حكم الله تعالى ان لم يكن ربك اي لانه لم يكن ربك مهلك القرى
بظلم وهذا يجري مجرى التعليل الى الاجل انه لم يكن الله تعالى ليهلك اهل القرى بظلم يكون منهم حتى يبعث اليهم رسلا ينبهونهم
على حجج الله تعالى ويزجرونهم ويذكرونهم ولا ياخذهم بغتة وهذا انما يكون منه تعالى على وجه الاستظهار في الحجة
دون ان يكون ذلك واجبا لان ما فعلوه من الظلم قد استحقوا به العذاب وقيل معناه انه تعالى لا يهلكهم بظلم منه
على غفلة منهم ومن غير تنبيه ويذكر عن الفراء والجبائي ومثله قوله تعالى وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها
مصلحون وفي هذا دلالة واضحة على انه تعالى منزه عن الظلم ولو كان الظلم من خلقه لما صح تنزيهه عنه ولكل اي
ولكل عامل بطاعة او معصية درجات مما عملوا اي مراتب من عمله على حسب ما يستحقه فيجازى عليه ان كان خيرا فخيرا
وان كان شرا فشرا وانما سميت درجات لتفاضلها كتفاضل الدرج في الارتفاع والانحطاط وانما يعبر بذلك
اهل الجنة بالدرج تغليبا لصفة اهل الجنة وما ربك يا محمد وايها السامع بغافل اي ساه عما تعملون اي لا يسهو شيء
من ذلك عن علمه فيجازيهم على حسب ما يستحقونه من الجزاء وفي هذا تنبيه وتذكير للخلق في كل امورهم قوله تعالى

349

وربك الغني ذو الرحمة ان يشا يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء كما انشاكم من ذرية قوم آخرين
انما توعدون لآت وما انتم بمعجزين قل يا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل فسوف تعلمون من تكون له
عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون ثلث آيات القراءة قرا ابو بكر عن عاصم مكاناتكم على الجمع والباقون مكانتكم
على التوحيد وقرا حمزة والكسائي من يكون بالياء والباقون بالتاء وجه قراءة مكانتكم على التوحيد انه مصدر والمصادر
في اكثر الامر مفردة ووجه الجمع انه جمع المصدر كقولهم الحلوم والاحلام قال فاما اذا جلسوا في الندى فاحلام عاد
ومن قرا يكون بالياء فلان العاقبة مصدر كالعافية وتانيثه غير حقيقي فمن انث فهو كقوله فاخذتهم الصيحة ومن ذكر
فكقوله واخذ الذين ظلموا الصيحة وكلا الامرين جايز اللغة الانشاء الابتداء انشا الله الخلق اذا خلقهم وابتداهم
ومنه قولهم انشا فلان قصيدة والنشاء الاحداث من الاولاد قال نصيب ولولا ان يقال صبا نصيب لقلت
بنفسي النشاء الصغار وتوعدون من الايعاد ويحتمل ان يكون من الوعد والوعد في الخير والايعاد في الشر قال ابو زيد
والمكانة المنزلة يقال رجل مكين عند السلطان من قوم مكناء وقد مكن مكانة الاعراب الكاف في قوله كما انشاكم
في موضع نصب اي مثل ما انشاكم ومن في قوله ويستخلف من بعدكم للبدل كقولهم اعطيتك من دينارك ثوبا اي
مكان دينارك وبدله ومن في قوله من ذرية قوم آخرين لابتداء الغاية وما في قوله ان ما توعدون بمعنى الذي
ومن في قوله من يكون له عاقبة الدار في موضع رفع بالابتداء وخبره يكون له عاقبة الدار وتقديره اينا يكون له عاقبة
الدار ويكون تعليقا ويحتمل ان يكون موضعه نصبا بيعلمون ومن يكون في معنى الذي المعنى لما امر سبحانه بطاعته وحث
عليها ورغب فيها بين انه لم يامر بها لحاجة لانه يتعالى عن النفع والضر فقال وربك اي خالقك وسيدك الغني عن
اعمال عباده لا تنفعه طاعتهم ولا يضره معصيتهم لان الغني عن الشيء هو الذي يكون وجود الشيء وعدمه وصحته
وفساده عنده بمنزلة ذو الرحمة اي صاحب النعمة على عباده بين سبحانه ان مع غناه عن عبادة ينعم عليهم وانعامه
وان كثر لا ينقص من ملكه ولا من غناه ثم اخبر سبحانه عن قدرته فقال ان يشا يذهبكم اي يهلككم وتقديره يذهبكم
بالاهلاك ويستخلف من بعدكم ما يشاء اي وينشئ بعد هلاككم خلقا غيركم يكون خلفا لكم كما انشاكم من
الاولين من ذرية قوم آخرين بعد موتهم وهذا الخطاب لمن سبق ذكرهم من الجن والانس ويحتمل ان يكون معناه
ويستخلف جنسا آخر اي كما قدر على اخراج الجن من الجن والانس من الانس فهو قادر على ان يخرج قوما آخرين لا من
الجن ولا من الانس وفي هذه الآية دلالة على ان خلاف المعلوم يجوز ان يكون مقدورا لانه سبحانه بين انه قادر
على ان ينشئ خلقا خلاف الجن والانس ولم يفعل ذلك ان ما توعدون من القيمة والجنة والنار والثواب والعقاب
وتفاوت اهل الجنة في الدرجات وتفاوت اهل النار في الدركات لآت لا محالة وما انتم بمعجزين بما يقال حين
من ملكه وقدرته والاعجاز ان ياتي الانسان بشيء يعجز خصمه عنه ويقصر دونه فيكون قد جعله عاجزا عنه فعلى
هذا يكون المعنى لستم بمعجزين الله سبحانه عن الاتيان بالبعث والعقاب قل يا محمد لهم يا قوم اعملوا على مكانتكم على قدر منزلتكم
وتمكنكم من الدنيا ومعناه اثبتوا على ما انتم عليه من الكفر وهذا تهديد ووعيد بصيغة الامر وقيل على مكانتكم على
طريقتكم وقيل على حالتكم عن الجبائي اي اقيموا على حالتكم التي انتم عليها فاني مجازيكم اني عامل اخبار عن النبي صلى الله
عليه وآله اني عامل بما امرني الله تعالى به وقيل اخبار عن الله تعالى اي عامل ما وعدتكم به من البعث والجزاء عن ابي مسلم
والاول الصحيح فسوف تعلمون من يكون له عاقبة الدار فستعلمون ايناً يكون له العاقبة المحمودة في دار السلام عند الله تعالى
وقيل المراد عاقبة دار الدنيا في النصر عليكم انه لا يفلح الظالمون اي لا يظفر الظالمون بمطلوبهم وانما لم يقل الكافرون وكان
الكلام في ذكرهم لانه سبحانه قال في موضع آخر والكافرون هم الظالمون وقال ان الشرك لظلم عظيم قوله تعالى وجعلوا لله
مما ذرا من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله

الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ساء ما يحكمون آية القراءة قرأ الكسائي بزعمهم بضم الزاي وهو قراءة يحيى
بن وثاب والاعمش والباقون بفتح الزاي الحجة القول فيهما انهما لغتان وقيل ان الكسر لغة ومثله الفتك والفتك
والود والود اللغة الذرء الخلق على وجه الاختراع واصله الظهور ومنه ملح ذراني وذراني لظهور بياضه
والذرء ظهور الشيب قال وقد علتني ذرأة بادي بدي وذرئت لحيته اذا شابت والحرث الزرع والحرث الارض التي
تثار للزرع والانعام جمع النعم ماخوذ من نعمة الوطء ولا يقال لذوات الحافر انعام المعنى ثم عاد الكلام الى حجاج المشركين
وبيان اعتقاداتهم الفاسدة فقال سبحانه وجعلوا لله يعني كفار مكة ومن تقدمهم من المشركين والجعل هنا بمعنى الوصف
والحكم مما ذرأ من الحرث اي مما خلق من الزرع والانعام اي المواشي من الابل والبقر والغنم نصيبا اي حظا وها هنا
حذف المضاف يدل الكلام عليه وهو جعلوا للاوثان منه نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا يعني الاوثان
وانما جعل الاوثان شركاءهم لانهم جعلوا لها نصيبا من اموالهم ينفقونه عليها فشاركوها في نعمهم فما كان لشركائهم
فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم قيل في معناه اقوال احدها انهم كانوا يزرعون لله زرعا وللاصنام
زرعا وكان اذا زكا الزرع الذي زرعوه لله ولم يزك الزرع الذي زرعوه للاصنام جعلوا بعضه للاصنام وصرفوه اليها
ويقولون ان الله غني والاصنام احوج وان زكا الزرع الذي جعلوه للاصنام فما كان لله اطعموه الضيفان وما كان للصنم
انفقوه على الصنم عن الزجاج وغيره وثانيها انه كان اذا اختلط ما جعل للاصنام بما جعل لله تعالى ردوه فاذا اختلط
ما جعل لله بما جعل للاصنام تركوه وقالوا الله غني واذا انخرق الماء من الذي لله في الذي للاصنام لم يسدوه واذا
انخرق من الذي للاصنام الى الذي لله سدوه وقالوا الله غني عن ابن عباس وقتادة وهو المروي عن ائمتنا عليهم السلام
وثالثها انه كان اذا هلك ما جعل للاصنام بدلوه بما جعل لله واذا هلك ما جعل لله لم يبدلوه بما جعل للاصنام
عن الحسن والسدي ساء ما يحكمون اي ساء الحكم حكمهم هذا قوله تعالى وكذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادهم
شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون آية القراءة قرأ ابن
عامر وحده زين بضم الزاي قتل بالرفع اولادهم بالنصب شركائهم بالجر الباقون زين بالفتح قتل بالنصب اولادهم بالجر
شركاؤهم بالرفع الحجة شركاؤهم في قراءة الاكثرين فاعل زين وقتل اولادهم مفعوله ولا يجوز ان يكون شركاء فاعل
المصدر الذي هو قتل اولادهم لان زين حينئذ يبقى بلا فاعل ولان الشركاء ليسوا قاتلين انما هم مزينون القتل لهم
واضيف المصدر الذي هو قتل الى المفعولين الذين هم اولاد وحذف الفاعل بتقديره قتلهم اولادهم كما حذف
ضمير الانسان في قوله لا يسأم الانسان من دعاء الخير والمعنى من دعائه الخير واما قراءة ابن عامر وكذلك زين فانه
اسند زين الى قتل فاعمل المصدر عمل الفعل واضافه الى الفاعل ونظير ذلك قوله ولولا دفاع الله الناس بعضهم ببعض
فاسم الله هنا فاعل كما ان الشركاء في الآية فاعلون والمصدر مضاف الى الشركاء الذين هم فاعلون والمعنى قتل شركائهم
اولادهم وتقديره ان قتل اولادهم وفصل بين المضاف والمضاف اليه بمفعوله والمفعول مفعول المصدر وهذا
قبيح والاستعمال قال ابو علي ووجه ذلك على ضعفه انه قد جاء في الشعر الفصل قال الطرماح يطفن بحوزي المراتع لم ترع
بواديه من قرع القسي الكنائن وزعموا ان ابا الحسن انشد زج القلوص ابي مزاده فهو شاذ مثل قراءة ابن عامر وذكر
سيبويه في هذه الآية قراءة اخرى وهي قوله فكذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادهم شركاؤهم وقراءة ابي عبد الرحمن
السلمي فحمل الشركاء فيها على فعل مضمر غير هذا الظاهر كانه لما قال وكذلك زين قيل من زينه فقال زينه شركاؤهم
ومثل ذلك قوله ليبك يزيد ضارع لخصومة ومختبط مما تطيح الطوائح كانه قيل ليبك يزيد قيل من يبكيه فقال يبكيه
ضارع اللغة الارداء الاهلاك وردي يردى ردى اذا هلك ويردى ترديا والمرداة الحجر يتردى من راس جبل المعنى

ثم بين تعالى خصلة اخرى من خصالهم الذميمة فقال وكذلك اي كما جعل اولئك في الحرث والانعام ما لا يجوز كذلك زين
لكثير من المشركين اي مشركي العرب قتل اولادهم شركاؤهم يعني الشياطين الذين زينوا لهم قتل البنات ووادهن احياء خيفة
العيلة والفقر والعار عن الحسن ومجاهد والسدي وقيل ان المزينين لهم ذلك قوم كانوا يخدمون الاوثان عن الفراء
والزجاج وقيل هم الغواة من الناس وقيل كان السبب في تزيين قتل البنات ان النعمان بن المنذر اغار على قوم
فسبى نساءهم وكان فيهن بنت قيس بن عاصم ثم اصطلحوا فارادت كل امراة منهن عشيرتها غير ابنة قيس فانها ارادت
من سباها فحلف قيس لا يولد له بنت الا وادها فصار ذلك سنة فيما بينهم ليردوهم اي ليهلكوهم واللام لام العاقبة
لانهم لم يكونوا معاندين لهم فيقصدوا ان يردوهم عن ابي علي الجبائي وقال غيره يجوز ان يكون فيهم المعاند فيكون
ذلك على التغليب وليلبسوا عليهم دينهم اي يخلطوا عليهم دينهم يدخلوا عليهم الشبهات فيه ولو شاء الله ما فعلوه
معناه ولو شاء الله ان يمنعهم من ذلك او يضطرهم الى تركه لفعل ولو فعل المنع والحيلولة لما فعلوه ولكن يكون ذلك
منافيا للتكليف فذرهم وما يفترون اي اتركهم ودعهم وافتراءهم اي كذبهم على الله تعالى فانه يجازيهم وفي هذا
غاية الزجر والتهديد كما يقول القائل دع عدوك وما اختار وفي هذه الآية دلالة واضحة على ان تزيين القتل والقتل
فعلهم واليهم وفي اضافة ذلك الى الله سبحانه كاذبون قوله تعالى وقالوا هذه انعام وحرث حجر لا يطعمها الا من
نشاء بزعمهم وانعام حرمت ظهورها وانعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون
آية القراءة وفي الشواذ حرج روي ذلك عن ابي كعب وابن مسعود وابن الزبير والاعمش وعكرمة وعمرو بن
دينار الحجة الحرج يمكن ان يؤول معناه الى الحجر فانهما يرجعان في الاصل الى معنى الضيق فان الحرام سمي حجرا لضيقه
والحرج ايضا الضيق فعلى هذا يكون لغة في حجر مثل جذب وجبذ فهو من المقلوب اللغة الحجر الحرام والحجر العقل
وفلان في حجر القاضي من حجرت حجرا اي منع القاضي اياه من الحكم في ماله وحجر المراة وحجرها بالفتح والكسر حضنها
الاعراب افتراء منصوب بقوله لا يذكرون وهو مفعول له ويجوز ان يكون لا يذكرون بمعنى لا يفترون فكانه قال
يفترون افتراء المعنى ثم حكى سبحانه عنهم عقيدة اخرى من عقائدهم الفاسدة فقال وقالوا يعني المشركين هذه
انعام وهي الابل والبقر والغنم وحرث زرع حجر اي حرام عنى بذلك الانعام والزرع اللذين جعلوهما لآلهتهم
واوثانهم لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم اي لا ياكلها الا من نشاء اي ناذن له في اكلها واعلم سبحانه ان هذا التحريم زعم
منهم لا حجة لهم فيه ولا برهان وكانوا لا ياكلون ذلك الا من قام بخدمة اصنامهم من الرجال دون النساء وانعام
حرمت ظهورها يعني الانعام التي حرموا الركوب عليها وهي السائبة والبحيرة والحام عن الحسن ومجاهد وقيل الحامي
الذي حمى ظهره اذا ركب ولد ولده عندهم فلا يركب ولا يحمل عليه وانعام لا يذكرون اسم الله عليها قيل كانت لهم من انعامهم
طائفة لا يذكرون اسم الله عليها ولا في شيء من شانها عن مجاهد وقيل انهم كانوا لا يحجون عليها عن ابي وائل وقيل هي التي
اذا ذكوها اهلوا عليها باصنامهم فلا يذكرون اسم الله عليها عن الضحاك افتراء عليه اي كذبا على الله تعالى لانهم كانوا
يقولون ان الله امرهم بذلك وكانوا كاذبين به عليه سبحانه سيجزيهم بما كانوا يفترون ظاهر المعنى قوله تعالى وقالوا ما في
بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا وان يكن ميتة فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم انه
حكيم عليم آية القراءة قرا ابن كثير وان يكن بالياء ميتة رفعا وقرا ابن عامر وابو جعفر تكن بالتاء ميتة رفعا وقرا
ابو بكر عن عاصم تكن بالتاء ميتة نصبا الباقون يكن بالياء ميتة نصبا وفي الشواذ قراءة ابن عباس وقتادة والاعرج
خالصة بالنصب وقراءة سعيد بن جبير خالصا وقراءة ابن عباس بخلاف والزهري والاعمش بخلاف خالصه مرفوع مضاف
الحجة وجه قراءة الاكثرين انه يحمل على ما فيكون تقديره ان يكن ما في البطون الانعام ميتة ووجه قراءة ابن كثير انه لما لم يكن
تانيث الميتة تانيث ذوات الفروج جاز تذكير الفعل كقوله فمن جاءه موعظة ويكون كان تامة وتقديره ان وقع ميتة

ميتة ومن انث الفعل كقوله سبحانه قد جاءتكم موعظة ووجه قراءة ابي بكر ان ما في بطون الانعام فلذلك
انثها واما خالصة بالرفع على القراءة المشهورة فتقديره ما في بطون الانعام خالصة لها اي خالص فانث
للمبالغة في الخلوص كما يقال فلان خالصة فلان اي صفيه والبالغ في الصفاء والثقة عنده والتاء فيه للمبالغة ولكون
ايضا بلفظ المصدر نحو العافية والعاقبة والمصدر الى الجنسية فيكون لهم واوكد ويدل على ذلك قراءة من قرا خالص
واما من نصب خالصة وخالصا ففيه وجهان احدهما ان يكون حالا من الضمير في الظرف الذي جرى صلة على ما فيكون
كقولهم الذي في الدار قائما زيد ويكون قوله لذكورنا خبر المبتدا الموصول والآخر ان يكون حالا من ما على مذهب
ابي الحسن في اجازته تقديم الحال على العامل فيها اذا كان معنى بعد ان يتقدم صاحب الحال عليها كقولنا زيد قائما في الدار
واحتج بقوله سبحانه والارض جميعا قبضته يوم القيمة المعنى ثم حكى الله سبحانه عنهم مقالة اخرى فقال وقالوا يعني هولاء الكفار
الذين تقدم ذكرهم ما في بطون هذه الانعام يعني البان البحاير والسيب عن ابن عباس والشعبي وقتاده وقيل
يعني اجنة البحاير والسيب ما ولد منها حيا فهو خالص للذكور دون النساء وما ولد ميتا اكله الرجال والنساء عن
مجاهد والسدي وقيل المراد به كليهما خالصة لذكورنا لا يشركهم فيها احد من الاناث من قولهم فلان يخلص العمل
ومنه اخلاص التوحيد وسمي الذكور من الذكر هو الشرف والذكر انبه واذكر من الانثى ومحرم على ازواجنا اي
نسائنا وان يكن ميتة معناه ان يكن جنين الانعام ميتة فهم فيه شركاء اي الذكور والاناث فيه سواء ثم قال سبحانه
سيجزيهم وصفهم اي سيجزيهم العقاب بوصفهم فلما اسقط الباء نصب وصفهم وقيل تقديره سيجزيهم جزاء وصفهم
وحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه عن الزجاج انه حكيم فيما يفعل بهم من العقاب اجلا وفي امهالهم
عاجلا عليم بما يفعلونه لا يخفى عليه شي منها وقد عاب الله سبحانه الكفار في هذه الاية من وجوه احدها ذبحهم
الانعام بغير اذن الله وثانيها اكلهم على ادعاء التذكيه افتراء على الله وثالثها احلالهم للذكور وتحريمهم على الاناث
مفرقة بين ما لا يفترق الا بحكم الله ورابعها تسويتهم بينهم في الميتة من غير رجوع الى سمع موثوق به قوله تعالى
قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين
آية القراءة قرا ابن كثير وابن عامر قتلوا بتشديد التاء والباقون بالتخفيف الحجة التشديد للتكثير والتخفيف
يدل على القلة والكثرة وقد تقدم بيان ذلك الاعراب قوله سفها وافتراء على الله نصب على الوجهين اللذين ذكرناهما
في قوله افتراء عليه المعنى ثم جمع سبحانه بين الفريقين يعني الذين قتلوا الاولاد والذين حرموا الحلال فقال قد خسر
الذين قتلوا اولادهم خوفا من الفقر وهربا من العار ومعناه هلكت نفوسهم باستحقاقهم على ذلك عقاب
الابد والخسران هلاك راس المال سفها اي جهلا وتقديره سفهوا سفها وفعلوا سفها والفرق بين السفه والنزق ان
السفه عجلة يدعو اليها الهوى والنزق عجلة من جهة حدة الطبع والغيظ بغير علم وهذا تاكيد لجهلهم وذهابهم
عن الصواب وحرموا ما رزقهم الله يعني الانعام والحرث اللذين زعموا انهما حجر عن الحسن واعترض علي بن عيسى على هذا
فقال الانعام كانت محرمة حتى ورد السمع فلا يصح هذا وهذا الاعتراض يفسد من حيث الركوب لا يحتاج الى السمع
وان احتاج الذبح لان الركوب محتاج اذا قام بمصالحها ولان اكلها ايضا بعد الذبح مباح افتراء اي كذبا على الله سبحانه
قد ضلوا اي ذهبوا عن طريق الحق بما فعلوه وحكموا بحكم الشياطين فيما حكموا فيه وما كانوا مهتدين الى شي من الدين
والحزم والرشاد وفي هذه الآيات دلالات على بطلان مذهب المجبرة لانه سبحانه اضاف القتل والافتراء والتحريم اليهم
ونزه نفسه عن ذلك وذمهم على قتل الاطفال بغير جرم فكيف يعاقبهم سبحانه عقاب الابد على غير جرم قوله عز وجل وهو الذي
انشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا اكله والزيتون والرمان متشابها وغير
متشابه انظروا الى ثمره واتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين آية القراءة قرا اهل البصرة والشام وعاصم
كلوا من ثمره اذا اثمر

حصاده بالفتح والباقون حصاده بالكسر الحجة هما لغتان قال سيبويه جاؤا بالمصادر حين ارادوا انتهاء الزمان على
مثاله فعال وذلك الصرام والجذاذ والجداد والجرام والقطاع والحصاد وربما دخلت اللغتان في بعض هذا فكان
فيه فعال وفعال اللغة الانشاء احداث الفعل ابتداء لا على مثال سبق وهو كالابتداع والاختراع هو احداث
الافعال في الغير من غير سبب والخلق هو التقدير والترتيب والجنات البساتين التي يحفها الشجر من النخل وغيره والروضة
هي الخضراء بالنبات والزهر المشرقة باختلاف الالوان الحسنة والعرش اصله الرفع ومنه سمي السرير عرشا لارتفاعه
والعرش السقف والملك وعرش الكرم رفع بعض اغصانها على بعض والعريش شبه الهودج يتخذ للمراة والاسراف
مجاوزة الحد وقد يكون بالمجاوزة الى الزيادة وقد يكون بالتقصير وهو ان يجاوز حد الحق والعدل قال اعطوا هنيدة
تحدوها ثمانية ما في عطائهم من ولا سرف اي ولا تقصير وقيل معناه ولا افراط الاعراب مختلفا اكله نصب على الحال من انشاء
وانما انتصب على الحال وان كان يؤكل بعد ذلك بزمان لامرين احدهما ان المعنى مقدرا اختلاف اكله كما في قولهم مررت
برجل معه صقر صائدا به غدا اي مقدرا به الصيد غدا والثاني ان يكون معنى اكله ثمره الذي يصلح ان يؤكل المعنى لما حكى
سبحانه عن المشركين انهم جعلوا بعض الاشياء للاوثان عقب ذلك البيان بانه الخالق لجميع الاشياء فلا يجوز اضافة
شي منها الى الاوثان ولا تحليل ذلك ولا تحريمه الا باذنه فقال وهو الذي انشأ اي خلق وابتدع لا على مثال جنات اي
بساتين فيها الاشجار المختلفة معروشات مرفوعات بالدعائم وقيل ما عرشه الناس من الكروم ونحوها عن ابن عباس
والسدي وقيل عرشها ان يجعل لها حظاير كالحيطان عن ابي علي قال واصله الرفع ومنه قوله تعالى خاوية على عروشها
يعني على اعاليها وما ارتفع منها ما لم يسدك فيستوي بالارض وغير معروشات يعني ما خرج من قبل نفسه في البراري
والجبال من انواع الاشجار عن ابن عباس وقيل معناه غير مرفوعات بل قائمة على اصولها مستغنية عن التعريش عن ابي مسلم
والنخل والزرع وانشاء النخل والزرع مختلفا اكله اي طعمه وقيل ثمره وقيل هذا وصف النخل والزرع جميعا
خلق سبحانه بعضها مختلف اللون والطعم والرائحة والصورة وبعضها مختلفا في الصورة متفقا في الطعم وبعضها مختلفا
في الطعم متفقا في الصورة وكل ذلك يدل على توحيده وعلى انه قادر على ما يشاء عالم بكل شي والزيتون والرمان
اي وانشاء الزيتون والرمان متشابها في الطعم واللون والصورة وغير متشابه فيها وانما قرن الزيتون الى الرمان لانهما
يشتبهان باكتناز الاوراق في اغصانهما كلوا من ثمره المراد الاباحة وان كان بلفظ الامر قال الجبائي وجماعة هذا يدل
على جواز الاكل من الثمر وان كان فيه حق الفقراء يوم حصاده هذا امر بايتاء الحق يوم الحصاد على الجملة والحق الذي
يجب اخراجه يوم الحصاد فيه قولان احدهما انه الزكوة العشر او نصف العشر عن ابن عباس ومحمد بن الحنفية وزيد بن
اسلم والحسن وسعيد بن المسيب وقتاده والضحاك وطاوس والثاني انه ما تيسر مما يعطى المساكين عن جعفر
بن محمد عن ابيه عليهما السلم وعطا ومجاهد وابن عمر وسعيد بن جبير والربيع بن انس وروى اصحابنا انه الضغث
بعد الضغث والحفنة بعد الحفنة وقال ابرهيم والسدي الآية منسوخة بفرض العشر ونصف العشر لان هذه الآية
مكية وفرض الزكوة انما نزل بالمدينة ولما روي ان الزكوة نسخ كل صدقة قالوا ولان الزكوة لم تخرج يوم الحصاد
قال علي بن عيسى وهذا غلط لان يوم حصاده ظرف لحقه وليس بظرف للايتاء المامور به ولا تسرفوا اي لا تجاوزوا
الحد فيه اقوال احدها انه خطاب لارباب الاموال اي لا تسرفوا بان يتصدقوا بالجميع ولا يبقوا للعيال شيا كما كان فعل ثابت
بن قيس بن شماس وانه صرم خمسين نخلة وتصدق بالجميع ولم يدخل منه شيا في داره لاهله عن ابي العالية وابن
جريج وثانيها ان معناه لا تسرفوا بان تمنعوا بعض الواجب والتقصير سرف عن سعيد بن المسيب وثالثها ان المعنى
لا تسرفوا في الاكل قبل الحصاد كيلا يؤدي الى بخس حق الفقراء عن ابي مسلم ورابعها ان معناه لا تنفقوا في المعصية
ولا تضعوه في غير موضعه وفي هذه الاقوال الخطاب لارباب الاموال وخامسها ان الخطاب للائمة ومعناه ما يجحف

عطاء
بارباب الاموال ولا تاخذوا فوق الحق عن ابن زيد وسادسها ان الخطاب فيها للجميع بان لا يسرف رب المال في الا
ولا الامام في الاخذ وصرف ذلك الى غير مصارفه وهذا اعم فائدة انه لا يحب المسرفين ظاهر المعنى قوله تعالى ومن
الانعام حمولة وفرشا كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين ثمانية ازواج من الضان اثنين ومن
المعز اثنين قل آلذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين نبئوني بعلم ان كنتم صادقين
ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين ام كنتم شهداء اذ
وصاكم الله بهذا فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدي القوم الظالمين آيات القراءة
قرا ابن كثير الا ابن فليح وابن عامر واهل البصرة من المعز فانه جمع ماعز مثل خادم وخدم وحارس وحرس وطالب وطلب
وقال ابو الحسن هو جمع على غير واحد وكذلك المعزى وحكى ابو زيد المعوز وقالوا الماعز كالكلب والطمس ومن
قرا المعز فانه جمع ايضا مثل صاحب وصحب وتاجر وتجر وراكب وركب وابو الحسن يرى هذا الجمع مستمرا ويرده في التصغير الى الواحد
فيقول في تحقير ركب ركيب وفي تجر تجير وسيبويه يراه اسما من اسماء الجمع وانشد ابن عمير في الاحتجاج
لسيبويه اخشى رجيلا وركيبا عاديا فتحقيره على لفظه يدل على انه اسم للجمع وانشد ابن ركيب واصغروا اللغة
الحمولة الابل يحمل عليها الاثقال ولا واحد لها من لفظها كالركوبة والجزورة والحمولة بضم الحاء هي الاحمال وهي الحمول
وانما قيل للصغار فرش لامرين احدهما الاستواء اسنانها في الصغر والانحطاط كما سوا ما يفرش والثاني انه من الفرش
وهي الارض المستوية التي يتوطاها الناس والزوج يقع على الواحد يكون معه آخر وعلى الاثنين كما يقال للواحد والاثنين
خصم وعدل والاشتمال اصله الشمول يقال شملهم الامر يشملهم ويشملهم شمولا اذا عمهم ومنه الشمال لشمولها على
ظاهر الشيء وباطنه بقوتها ولطفها ومن ذلك الشمول للخمر لاشتمالها على العقل وقيل لان لها عصفة كعصفة الشمال الاعراب حمولة
عطف على جنات اي وانشا من الانعام حمولة وفرشا واثنين محمول على انشا ايضا اي ثمانية ازواج اثنين من كذا واثنين
من كذا بدل من ثمانية او عطف بيان وقوله الذكرين حرم دخلت همزة الاستفهام على همزة الوصل وفصل بينهما
بالالف ولم تسقط همزة الوصل لئلا يلتبس الاستفهام بالخبر ولو اسقطت لجاز لان ام تدل على الاستفهام وعلى هذا
الوجه اجاز سيبويه ان يكون قول الشاعر تعالله ما ادري وان كنت داريا شعيب بن سهم ام شعيب بن منقر اسقطها
فيكون تقديره اشعيب وما في قوله ام ما اشتملت في موضع نصب بكونه عطفا على الاثنين واثنين والانثيين تثنية لانه
اراد من الضان والمعز المعنى ثم عطف سبحانه على ما عدده فيما تقدم من عظيم الانعام ببيان نعمته في انشاء الحيوان
فقال ومن الانعام اي وانشا من الانعام حمولة وفرشا قيل فيه اقوال احدها ان الحمولة كبار الابل والفرش الانعام
صغارها عن ابن مسعود وابن عباس بخلاف والحسن ومجاهد وثانيها ان الحمولة ما يحمل عليه من الابل والبقر
والفرش الغنم عن الحسن في رواية اخرى وقتادة والربيع والسدي والضحاك وابن زيد وثالثها ان الحمولة كل ما يحمل
من الابل والبقر والخيل والبغال والحمير والفرش الغنم عن ابن عباس في رواية اخرى فكانه ذهب الى انه يدخل في الانعام
الحوافر على وجه التبع ورابعها ان معناه ما ينتفعون به في الحمل وما يفترشون به في الذبح فمعنى الافتراش الاضطجاع
للذبح عن ابي مسلم قال وهو كقوله فاذا وجبت جنوبها وروي عن الربيع بن انس ايضا ان الفرش ما يفرش للذبح
وخامسها ان الفرش ما يفرش من اصوافها واوبارها ويرجع الصفتان الى الانعام اي من الانعام ما يحمل عليه
ومنها ما يتخذ من اوبارها واصوافها ما يفرش ويبسط عن ابي علي الجبائي كلوا مما رزقكم الله اي استحلوا الاكل مما اعطاكم الله
ولا تحرموا شيئا منها كما فعله اهل الجاهلية في الحرث والانعام وعلى هذا يكون الامر على ظاهره ويمكن ان يكون انه
اراد نفس الاكل فيكون بمعنى الاباحة ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين مضى تفسيره في سورة البقرة ثم فسر
سبحانه الحمولة والفرش فقال ثمانية ازواج وتقديره وانشا ثمانية ازواج انشا من الضان اثنين ومن المعز اثنين

ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين وانما اجمل ثم فصل الحمل لانه اراد ان يقرر على شيء منه ليكون اشد في التوبيخ من
ان يذكر دفعة واحدة ومعناه ثمانية افراد لان كل واحد من ذلك يسمى زوجا فالذكر زوج الانثى والانثى زوج الذكر كما قال
سبحانه امسك عليك زوجك وقيل معناه ثمانية اصناف من الضان اثنين يعني الذكر والانثى ومن المعز اثنين الذكر
والانثى والضان ذوات الصوف من الغنم والمعز ذوات الشعر منه وواحد الضان ضائن كقولهم تاجر وتجر والا
ضائنة وواحد المعز ماعز وقيل ان المراد بالاثنين الاهلي والوحشي من الضان والمعز والبقر والمراد بالاثنين من
الابل العراب والبخاتي وهو المروي عن ابي عبد الله عليه السلم وانما خص هذه الثمانية لانها جميع الانعام التي كانوا يحرمون
منها ما يحرمون على ما تقدم ذكره قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يحرمون ما احل الله تعالى الذكرين من الضان والمعز
حرم ام الانثيين منهما ام ما اشتملت عليه ارحام الانثيين اي ام حرم ما اشتمل عليه رحم الانثى من الضان والانثى
من المعز وانما ذكر الله سبحانه هذا على وجه الاحتجاج عليهم بين به فريتهم وكذبهم على الله تعالى فيما ادعوا من ان
ما في بطون الانعام حلال للذكور وحرام على الاناث وغير ذلك مما حرموه فانهم لو قالوا حرم الذكرين لزمهم ان يكون
كل ذكر حرام ولو قالوا حرم الانثيين لزمهم ان يكون كل انثى حراما ولو قالوا حرم ما اشتمل عليه رحم الانثى من الضان
والمعز لزمهم تحريم الذكور والاناث فان ارحام الاناث تشتمل على الذكور والاناث فيلزمهم بزعمهم تحريم هذا
الجنس صغارا وكبارا ذكورا واناثا ولم يكونوا يفعلون ذلك بل كانوا يخصون بالتحريم بعضا دون بعض فقد لزمتهم
الحجة ثم قال نبئوني بعلم ان كنتم صادقين قيل معناه اخبروني بعلم عما ذكرتموه من تحريم ما حرمتموه وتحليل ما حللتموه
ان كنتم صادقين في ذلك ومن الابل اثنين هذا تفصيل لتمام الازواج الثمانية قل يا محمد الذكرين حرم الله منهما
ام الانثيين ام ما اشتملت عليه ارحام الانثيين قد تقدم معناه ام كنتم شهداء اي حضورا اذ وصاكم الله بهذا اي امركم
به وحرمه عليكم حتى تضيفوا اليه وانما ذكر ذلك لان طرق العلم اما الدليل الذي يشترك العقلاء في ادراك ما يحق به او الكتب
التي يختص بها بعضهم دون بعض فاذا لم يكن واحد من الامرين سقط المذهب والمراد بذلك اعلمتموه بالسمع والكتب
المنزلة فانتم لا تقرون بذلك ام شاهدتم الله تعالى به فعلمتموه واذا لم يكن واحد منهما فقد علم بطلان ما ذهبتم
اليه فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا اي من اظلم لنفسه ممن كذب على الله واضاف اليه تحريم ما لم يحرمه وتحليل ما لم يحلله
ليضل الناس بغير علم اي يعمل عمل القاصد الى اضلالهم من اجل دعائه اياهم الى ما لا يثق بصحته مما لا يامن ان يكون فيه
هلاكهم وان لم يقصد اضلالهم ان الله لا يهدي القوم الظالمين الى الثواب لانهم يستحقون العقاب الدائم بكفرهم وضلالهم
قوله عز وجل قل لا اجد فيما اوحي الي محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة او دما مسفوحا او لحم خنزير فانه رجس
او فسقا اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان ربك غفور رحيم آية القراءة قرا ابن كثير وحمزة تكون بالتاء
ميتة نصب وقرا ابو جعفر وابن عامر تكون بالتاء ميتة بالرفع والباقون بالياء ونصب ميتة وكلهم خففوا ميتة غير ابي جعفر
فانه شددها الحجة قال ابو علي قراءة ابن كثير وحمزة محمولة على المعنى كانه قال الا ان تكون العين والنفس الا ترى ان
المحرم لا تخلو من جواز العبارة عنه باحد هذه الاشياء وليس قوله الا ان تكون كقولك جاءني القوم لا تكون زيدا وليس
في ان الضمير متضمن من الاستثناء لا يظهر ولا تدخل الفعل علامة التانيث لان الفعل انما يكون عاريا من علامة التانيث
ومن ان يظهر معه الضمير اذ لم يدخل عليه ان فاما اذا دخلت ان فعلى حكم سائر الافعال ومن قرا بالياء ونصب ميتة فانه
جعل فيه ضميرا مما تقدم وهو اقيس مما تقدم ذكره اي الا ان يكون الموجود ميتة ومن قرا الا ان تكون ميتة فالحق علامة
التانيث الفعل كما الحق في قوله قد جاءتكم موعظة وتقديره الا ان تكون ميتة المعنى لما قدم سبحانه ذكر ما حرمه المشركون
عقبه ببيان المحرمات فقال قل يا محمد لهؤلاء الكفار لا اجد فيما اوحي الي اي وجاء الله تعالى الي شيئا محرما على طاعم يطعمه
اي على آكل ياكله الا ان يكون ميتة او دما مسفوحا اي مصبوبا وانما خص المصبوب بالذكر لان ما يختلط باللحم منه مما لم يمكن

تخليصه من معصوم مباح او لحم خنزير وانما خص الاشياء الثلثة هنا بذكر التحريم مع ان غيرها محرم فانه سبحانه ذكر في المائدة تحريم المنخنقة والموقوذة والمتردية ونحوها لان جميع ذلك يقع عليه اسم الميتة فيكون في حكمها فاجمل ههنا وفصل هناك واجود من هذا ان يقال انه سبحانه خص هذه الاشياء بالتحريم تعظيما لحرمتها وبين تحريم ما عداها من مواضع اخر اما بنص القران واما بوحي غير القران وايضا فان هذه السورة مكية والمائدة مدنية فيجوز ان يكون غير ما في الآية من المحرمات انما حرم فيما بعد والميتة عبارة عما كان فيه حيوة فقدت من غير تذكية شرعية فانه رجس اي نجس والرجس اسم لكل شيء مستقذر منفور عنه والرجس ايضا العذاب والهاء في قوله فانه عائد الى ما تقدم ذكره فلذلك ذكره او فسقا عطف على قوله او لحم خنزير فلذلك نصبه اهل لغير الله به اي ذكر عليه اسم الاصنام والاوثان ولم يذكر اسم الله عليه وسمي ما ذكر عليه اسم الصنم فسقا لخروجه عن امر الله واصل الاهلال رفع الصوت بالشيء وقد ذكرناه في سورة المائدة فمن اضطر الى تناول شيء مما ذكرناه غير باغ ولا عاد قد سبق معناه في سورة البقرة فان ربك غفور رحيم حكم بالرخصة كما حكم بالمغفرة والرحمة

قوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الا ما حملت ظهورهما او الحوايا او ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين آيتان اللغة الظفر ظفر الانسان وغيره ورجل اظفر اذا كان طويل الاظفار كما تقول اشعر للطويل الشعر والحوايا المباعر وقال الزجاج واحدها حاوية وحاوياء وحوية وهي ما تحوى في البطن فاجتمع واستدار الاعراب موضع الحوايا يحتمل ان يكون رفعا عطفا على الظهور وتقديره او ما حملت الحوايا ويحتمل ان يكون نصبا عطفا على ما في قوله الا ما حملت فاما قوله او ما اختلط بعظم فان ما هذه معطوفة على ما الاولى ذلك يجوز ان يكون منصوب الموضع بانه مفعول ثان لجزيناهم التقدير جزيناهم ذلك ببغيهم ولا يجوز ان يرتفع بالابتداء لانه يصير التقدير جزيناهم فيكون كقولهم زيد ضربت اي ضربته وهذا انما يجوز في ضرورة الشعر المعنى ثم بين سبحانه ما حرمه على اليهود فقال وعلى الذين هادوا اي على اليهود في ايام موسى حرمنا كل ذي ظفر اختلف في معناه فقيل هو كل ما ليس بمنفرج الاصابع كالابل والنعام والاوز والبط عن ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة ومجاهد والسدي وقيل هو الابل فقط عن ابن زيد وقيل يدخل فيه كل السباع والكلاب والسنانير وما يصطاد بظفره عن الجبائي وقيل كل ذي مخلب من الطير وكل ذي حافر من الدواب عن القتيبي والبلخي ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما اخبر سبحانه انه كان حرم عليهم شحوم البقر والغنم من الثرب وشحم الكلى وغير ذلك مما في اجوافها واستثنى من ذلك فقال الا ما حملت ظهورهما اي ما احملته ظهورهما من الشحم وهو اللحم السمين فانه لم يحرم عليهم او الحوايا اي ما حملته الحوايا من الشحم فانه غير محرم عليهم ايضا والحوايا هي المباعر عن ابن عباس والحسن وسعيد بن جبير وقتادة ومجاهد والسدي وقيل هي بنات اللبن عن ابن زيد وقيل هي الامعاء التي عليها الشحوم عن الجبائي او ما اختلط بعظم هذا ايضا مستثنى من جملة ما حرم وهو شحم الجنب والالية لانه على العصعص عن ابن جريج والسدي وقيل الالية لم تدخل في ذلك لانها لم يستثن عن الجبائي فكانه لم يعتد بعظم العصعص وقال الزجاج انما دخلت او هنا على طريق الاباحة كما قال سبحانه ولا تطع منهم آثما او كفورا والمعنى ان كل هؤلاء اهل ان يعصى فاعص هذا واعص هذا او بلغه في هذا المعنى لانك اذا قلت لا تطع زيدا وعمرا فجائز ان يكون نهيتني عن طاعتهما في حال معا فان اطعت زيدا على حدته لم اكن عصيتك واذا قلت لا تطع زيدا او عمرا او خالدا فالمعنى ان هؤلاء كلهم اهل ان لا تطاع فلا تطع واحدا ولا تطع الجماعة ومثله جالس الحسن او ابن سيرين والشعبي ذلك جزيناهم ببغيهم المعنى حرمنا ذلك عليهم عقوبة لهم بقتلهم الانبياء واخذهم الربوا واستحلالهم اموال الناس بالباطل فهذا بغيهم وهو كقوله فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وقيل ظلمهم على انفسهم في ارتكابهم المحظورات وقيل ان ملوك بني اسرائيل كانوا يمنعون فقراءهم من اكل لحوم الطير والشحوم فحرم الله ذلك ببغيهم على فقرائهم ذكره علي بن ابراهيم في تفسيره ويسال فيقال كيف يكون التكليف عقوبة

وهو تابع للمصلحة وتعريض للثواب وجوابه انه انما سمي جزاء وعقابا لان عظيم ما فعلوه من المعاصي اقتضى تحريم ذلك وتغير المصلحة فيه ولولا عظم جرمهم لما اقتضت المصلحة ذلك وانا لصادقون في الاخبار عن التحريم وعن بغيهم وفي كل شيء وفي ان ذلك التحريم عقوبة لاوائلهم ومصلحة لمن بعدهم الى وقت النسخ وان كذبوك يا محمد فيما تقول فقل ربكم ذو رحمة واسعة لذلك لا يعجل عليكم بالعقوبة بل يمهلكم ولا يرد بأسه اي لا يدفع عذابه اذا جاء وقته عن القوم المجرمين اي المكذبين

قوله تعالى سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان انتم الا تخرصون قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم اجمعين قل هلم شهداءكم الذين يشهدون ان الله حرم هذا فان شهدوا فلا تشهد معهم ولا تتبع اهواء الذين كذبوا بآياتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون ثلث آيات اللغة هلم قال الزجاج ان ها ضمت اليها لم وجعلتا كالكلمة الواحدة فاكثر اللغات ان يقال للواحد والاثنين والجماعة بذلك جاء القرآن نحو قوله تعالى هلم الينا ومعنى هلم شهداءكم هاتوا شهداءكم ومن العرب من يثني ويجمع ويؤنث فيقول للذكر هلم وللاثنين هلما وللجماعة هلموا وللمؤنث هلمي وللنسوة هلممن وفتحت لانها مدغمة كما فتحت رد يا هذا في الامر لالتقاء الساكنين ولا يجوز فيها هلم للواحد كما يجوز في رد الفتح والضم والكسر لانها لا تتصرف قال ابو علي هي اللغة الاولى بمنزلة رويد وصه ومه ونحو ذلك من الاسماء التي سميت بها الافعال وفي الاخرى بمنزلة رد في ظهور علامات الفاعلين فيها كما يظهر في رد واما ها التي بها فهي التي للتنبيه لحقت اولا لان لفظ الامر قد يحتاج الى استعطاف المامور واستدعاء اقباله على الامر فهو لذلك يقرب من المنادى ومن ثم دخل حرف التنبيه في الا يا اسجدوا والاحرى انه امر كما ان هذا امر وقد دخل في جمل اخر نحو ها انتم هؤلاء فكما دخل في هذه المواضع كذلك لحقت لم الا انه كثر الاستعمال معها فغير بالحذف لكثرة الاستعمال كما شئ وتغير كذلك نحو لم ابل ولا ادر ولم يك وما اشبه ذلك مما تغير للكثرة المعنى لما تقدم الرد على المشركين اعتقاداتهم الباطلة رد عليهم سبحانه ههنا مقالتهم الفاسدة فقال سيقول الذين اشركوا اي سيحتج هؤلاء المشركون في اقامتهم على شركهم وفي تحريمهم ما احل الله تعالى بان يقولوا لو شاء الله ما اشركنا اي لو شاء الله ان لا نعتقد الشرك ولا نفعل التحريم ولا آباؤنا واراد منا خلاف ذلك ما اشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء اي شيئا من ذلك ثم كذبهم الله تعالى في ذلك بقوله كذلك اي مثل هذا التكذيب الذي كان من هؤلاء في انه منكر كذب الذين من قبلهم وانما قال كذب بالتشديد لانهم بهذا القول كذبوا رسول الله صلى الله عليه وآله في قوله لهم ان الله سبحانه امركم بتوحيده وترك الاشراك وترك التحريم لهذه الانعام وكانوا يقولون ان الله او لا مثل ذلك وشاءه ولو اراد غيره ما فعلناه مكذبين للرسول صلى الله عليه وآله كما كذب من تقدمهم انبياءهم فيما اتوا به من قبل الله تعالى حتى ذاقوا بأسنا اي حتى نالوا عذابنا وقيل معناه حتى اصابوا العذاب المعجل ودل بذلك على ان لهم عذابا مدخرا عند الله تعالى لان الذوق اول ادراك الشيء قل يا محمد لهم جوابا عما قالوه من ان الشرك بمشية الله تعالى هل عندكم من علم فيما تقولونه فتخرجوه لنا اي فتخرجوا ذلك العلم او تلك الحجة لنا بين سبحانه به انه ليس عندهم علم ولا حجة فيما يضيفونه الى الله تعالى وان ما قالوه باطل ثم اكد سبحانه الرد عليهم وتكذيبهم في مقالتهم بقوله ان تتبعون الا الظن اي ما تتبعون فيما تقولونه الا الظن والتخمين وان انتم الا تخرصون اي تكذبون في هذه المقالة على الله تعالى وفي هذه الآية دلالة واضحة على ان الله سبحانه لا يشاء المعاصي والكفر وتكذيب ظاهر لمن اضاف ذلك الى الله سبحانه هذا مع قيام الادلة العقلية التي لا يدخلها الاحتمال وعلى انه سبحانه وتعالى عن ارادة القبيح وجميع صفات النقص علوا كبيرا قل يا محمد اذ عجز هؤلاء عن اقامة حجة على ما قالوه فلله الحجة البالغة والحجة البينة الصحيحة المصححة للاحكام وهي التي تقصد الى الحكم بشهادتها مأخوذ من حج اذا قصد والبالغة هي التي تبلغ قطع عذر المحجوج بان تزيل كل لبس وشبهة عمن نظر فيها واستدل بها فانما كانت حجة الله صحيحة بالغة لانه لا يحتج الا بالحق وبما يؤدي الى العلم فلو شاء لهداكم اجمعين اي لو شاء لالجاكم الى الايمان وهذا

جميعا اليه بفعل الالجاء الا انه لم يفعل ذلك وان كان فعله حسنا لان الالجاء ينافي التكليف وهذه المشية خلاف المشية
المذكورة في الآية الاولى لان الله تعالى اثبت هذه ونفى تلك وذلك لا يستقيم الا على الوجه الذي ذكرناه والاولى مشية
الاختيار والثاني مشية الالجاء وقيل ان المراد انه لو شاء لهداكم الى نيل الثواب ودخول الجنة ابتداء من غير تكليف ولكنه
سبحانه لم يفعل ذلك بل كلفكم وعرضكم للثواب الذي لا يحسن الابتداء بمثله ولو كان الامر على ما قاله اهل الجبر من ان الله سبحانه
شاء منهم الكفر لكانت الحجة للكفار على الله سبحانه من حيث فعلوا ما شاء الله تعالى ولكانوا بذلك مطيعين لان الطاعة
هي امتثال الامر المراد ولا تكون الحجة لله تعالى عليهم على قولهم من حيث انه خلق فيهم الكفر واراد منهم الكفر فاي حجة له عليهم
مع ذلك ثم بين سبحانه ان الطريق الموصل الى صحة مذاهبهم مسند غير ثابت من جهة عقلية ولا سمعية وما هذه صفته فهو
فاسد لا محالة فقال قل يا محمد لهم هلم شهداءكم اي احضروا او هاتوا شهداءكم الذين يشهدون بصحة ما يدعونه من ان الله حرم
هذا اي هذا الذي ذكر مما حرمه المشركون من البحيرة والسائبة والوصيلة والحرث والانعام وغيرها وان شهدوا فلا تشهد
معهم معناه فان لم يجدوا شاهدا يشهد لهم على تحريمها غيرهم فشهدوا بانفسهم فلا تشهد انت معهم وانما نهاه عن الشهادة
معهم لان شهادتهم تكون شهادة بالباطل فان قيل كيف دعى الى الشهادة ثم قال فلا تشهد معهم فالجواب انه امرهم ان
ياتوا بالعدول الذين يشهدون بالحق فاذا لم يجدوا ذلك وشهدوا لانفسهم فلا ينبغي ان تقبل شهادتهم او يسلم لهم
لانها ترجع الى دعوى مجردة بعيدة عن الصواب وقيل انه سبحانه اراد هاتوا شهداء من غيركم ولم يكن احد غير العرب يشهد
على ذلك لانه كان للعرب شرائع شرعوها لانفسهم ولا تتبع اهواء الذين كذبوا باياتنا الخطاب للنبي صلى الله عليه واله
والمراد امته اي لا تعتقد مذهب من اعتقد مذهبه هوى ويمكن ان يتخذ الانسان المذهب هوى من وجوه منها
ان يهوى من سبق اليه فيقلده فيه ومنها ان يدخل عليه شبهة فيتخيله بصورة الصحيح مع ان في عقله ما يمنع ومنها ان
يقطع النظر دون غايته للمشقة التي يلحقه فيعتقد المذهب الفاسد ومنها ان يكون نشأ على شيء والفه واعتاده
فيصعب عليه مفارقته وكل ذلك متميز مما يستحسنه بعقله والذين لا يؤمنون بالآخرة اي ولا تتبع اهواء الذين لا يؤمنون
بالآخرة انما ذكر الفريقين وان كانوا كلهم كفارا ليفصل وجوه كفرهم لان منهم من يكون مع الاقرار بالآخرة كحال اهل الكتاب
ومنهم من يكون مع الانكار كحال عبدة الاوثان وهم بربهم يعدلون اي يجعلون له عدلا وهو المثل وفي الآية
دلالة على فساد التقليد لانه سبحانه طالب الكفار على صحة مذهبهم وجعل عجزهم عن الاتيان بها دلالة على بطلان قولهم
وايضا فانه سبحانه اوجب اتباع الدليل دون اتباع الهوى قوله تعالى قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الا تشركوا به شيئا
وبالوالدين احسانا ولا تقتلوا اولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن
ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون آية اللغة تعالوا مشتق من العلو على تقدير
ان الداعي في المكان العالي وان كان في مستو من الارض كما يقال للانسان ارتفع الى صدر المجلس والتلاوة مثل
القراءة والمتلو مثل المقروء والتلاوة غير المتلو كما ان الحكاية غير المحكي فالمتلو والمحكي هو الكلام الاول والتلاوة والحكاية
هي الثاني منه على طريق الاعادة والاملاق الافلاس من المال ومنه الملق والتملق لانه اجتهاد في تقرب المفلس
للطمع في العطية والفواحش جمع فاحشة وهي القبيح العظيم القبح والقبيح يقع على الصغير والكبير لانه يقال القرد قبيح الصورة
ولا يقال فاحش الصورة وضد القبيح الحسن وليس كذلك الفاحش الاعراب ما حرم ربكم في موضع نصب بقوله اتل المعنى
اتل الذي حرم ربكم عليكم فيكون ما موصولة وجائز ان تكون في موضع نصب بحرم لان التلاوة بمنزلة القول وكانه قال
اي شيء حرم ربكم عليكم اهذا ام هذا فجائز ان يكون الذي تلاه عليهم قوله الا ان يكون ميتة او دما مسفوحا ويكون
ان لا تشركوا منصوبة بمعنى طرح اللام اي ابين لكم الحرام لان لا تشركوا لانهم اذا حرموا ما احل الله فقد جعلوا غير الله في القبول منه
بمنزلة الله سبحانه فصاروا بذلك مشركين ويجوز ان لا تشركوا به شيئا محمولا على المعنى فيكون المعنى اتل عليكم ان لا تشركوا اي اتل عليكم

تحريم الشرك ويجوز ان يكون على معنى اوصيكم ان لا تشركوا به شيئا لان قوله وبالوالدين احسانا محمول على معنى اوصيكم بالوالدين
احسانا هذا كله قول الزجاج ولا تشركوا يجوز ان يكون منصوبا ويكون لا للنفي ويجوز ان يكون مجزوما بلا على النهي واذا كان
منصوبا فيكون قوله ولا تقتلوا اولادكم عطفا بالنهي على الخبر وجاز ذلك كما جاز في قوله قل اني امرت ان اكون اول من اسلم ولا تكونن
من المشركين وقال جامع العلوم البصير الاصفهاني يجوز ان يقف على عليكم ثم يبتدى بان لا تشركوا اي هو ان لا تشركوا اي هو
الاشراك اي المحرم الاشراك ولا زيادة ويجوز ان ما استفهاما فيقف على قوله ربكم ثم يبتدى فيقول عليكم ان لا تشركوا اي
عليكم ترك الاشراك وهذا وقف بيان وتمام قوله قل تعالوا عند قوله بلقاء ربهم يؤمنون لان قوله وان هذا صراطي
مستقيما فمن فتح معطوف على قوله ما حرم اي اتل هذا وهذا ومن كسر فالتقدير وقل ان هذا صراطي وكذلك ثم آتينا
اي وقل ثم آتينا وهذا كله داخل في التلاوة والقول المعنى لما حكى سبحانه عنهم تحريم ما حرموه عقبه بذكر المحرمات فقال سبحانه
قل يا محمد لهؤلاء المشركين تعالوا اي اقبلوا وادنوا اتل اي اقرا ما حرم ربكم عليكم اي منعكم عنه بالنهي ثم بدا بالتوحيد فقال
ان لا تشركوا به شيئا اي امركم ان لا تشركوا به شيئا لا فرق بين ان يقول لا تشركوا به شيئا وبين ان يقول حرم عليكم ان تشركوا
به شيئا اذ النهي يتضمن التحريم وقد ذكرنا ما يحتمله من المعاني في الاعراب وقد قيل ايضا ان الكلام قد تم عند قوله
حرم ربكم ثم قال عليكم الا تشركوا كقوله سبحانه عليكم انفسكم وبالوالدين احسانا اي وامر بالوالدين احسانا اذا
وصى بالوالدين احسانا ونبه اعلى ذلك ان في حرم كذا معنى اوصى بتحريمه وامر بتجنبه ولما كانت نعم الوالدين تالية نعم
الله سبحانه في التربية امر بالاحسان اليهما بعد الامر بعبادة الله تعالى ولا تقتلوا اولادكم من املاق اي خوفا من الفقر عن
ابن عباس وغيره نحن نرزقكم واياهم اي فان رزقكم ورزقهم جميعا علينا ولا تقربوا الفواحش اي المعاصي
والقبائح كلها ما ظهر منها وما بطن اي ظاهرها وباطنها عن الحسن وقيل انهم كانوا لا يرون بالزنا في السر
باسا ويمنعون منه علانية فنهى الله سبحانه عنه في الحالين عن ابن عباس والضحاك والسدي وقريب
منه ما روي عن ابي جعفر عليه السلام ان ما ظهر هو الزنا وما بطن هو المخالة وقيل ان ما ظهر افعال الجوارح وما بطن
افعال القلوب فالمراد ترك المعاصي كلها وهذا اعم فائدة ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق اعاد ذكر
القتل وان كان داخلا في الفواحش تفخيما لشانه وتعظيما لامره والنفس المحرم قتلها هي نفس المسلم والمعاهد
دون الحربي والحق الذي يستباح قتل النفس المحرم به اشياء القود والزنا بعد احصان والكفر بعد ايمان
ذلكم خطاب لجميع الخلق اي ما ذكر من القصص في هذه الآية وصاكم به اي امركم به لعلكم تعقلون لكي
تعقلوا ما امركم الله تعالى به فتحلوا ما احله الله لكم وتحرموا ما حرمه عليكم ودل قوله سبحانه وصاكم به لان
الوصية مضمرة في اول الآية على ما قلناه وفي قوله سبحانه ان لا تشركوا به شيئا دلالة على ان التكليف قد يتعلق
بالا يفعل كما يتعلق بالفعل وعلى انه يستحق الثواب والعقاب على ان لا يفعل وهو الصحيح من المذهب قوله تعالى
ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن حتى يبلغ اشده واوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا
الا وسعها واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله اوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون وان هذا
صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون آيتان القراءة قرا اهل الكوفة
الا ابا بكر تذكرون بتخفيف الذال حيث وقع والباقون بالتشديد وقرا اهل الكوفة غير عاصم وان هذا بكسر
الهمزة والباقون بفتحها وكلهم شدد النون الا ابن عامر ويعقوب فانهما قرءا بالتخفيف وكلهم سكن الياء من صراطي
الا ابن عامر فانه فتحها وقرا ابن عامر ويعقوب وابن كثير سراطي بالسين وقرا حمزة بين الصاد والزاي الحجة القراءات
في تذكرون متقاربات والاصل تتذكرون فمن خفف حذف التاء الاولى ومن شدد ادغم التاء الثانية في
الذال واما من فتح وان هذا فانه حملها على فاتبعوه على قياس قول سيبويه في قوله لايلاف قريش وقوله وان هذه

اسكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون وقوله ان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا فيكون على تقدير ولان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ومن خفف قال ان هذه ان المخففة في قوله تعلق بما يتعلق به الشديدة وموضع هذا رفع بالابتداء وخبره صراطي وفي ان ضمير القصة والحديث وعلى هذه الشريطة تخفف وليست المفتوحة كالمكسورة اذا خففت وعلى هذا قول الاعشى في فتية كسيوف الهند قد علموا ان هالك كل من يحفى وينتعل والفاء التي في قوله فاتبعوه على قول من كسر ان عاطفة على جملة وعلى قول من فتح ان زائدة اللغة الاشد واحدها شدة مثل الانعم في جمع نعمة والاشد في صورة الشدة القوة وهو استحكام قوة الشباب والسن كما ان شد النهار هو ارتفاعه قال عنترة عهدي به شد النهار كانما خضب البنان وراسه بالعظلم وقيل هو جمع شدة مثل نعمة وانعم وقال بعض البصريين الاشد واحد فيكون مثل الانك قال سيبويه الذكر والذكرى بمعنى وذكر فعل يتعدى الى مفعول واحد فاذا ضاعفت العين يتعدى الى مفعولين كما في قوله تذكرنيك حنين العجول ونوح الحمامة تدعو هديلا وتقول ذكرته فتذكر فتفعل وهما مطاوع فعل كما ان تفاعل مطاوع فاعل المعنى ثم ذكر سبحانه تمام ما يتلوا عليهم فقال ولا تقربوا مال اليتيم والمراد بالقرب التصرف فيه وانما خص مال اليتيم بالذكر لانه لا يستطيع الدفاع عن نفسه ولا عن ماله فيكون الطمع في ماله اشد ويد الرغبة اليه امد فاكد سبحانه النهي عن التصرف في ماله وان كان ذلك واجبا في مال كل احد الا بالتي هي احسن اي بالخصلة الحسنى والطريقة الحسنى ولكن اختلف في معناه اقوال احدها بتثمير ماله بالتجارة عن مجاهد والضحاك والسدي وثانيها ان ياخذ القيم عليه بالاكل بالمعروف دون الكسوة عن ابن زيد والجبائي وثالثها ان يحفظ عليه حتى يكبر حتى يبلغ اشده اختلف في معناه فقيل انه بلوغ الحلم عن الشعبي وقيل هو ان يبلغ ثماني عشرة سنة وقال السدي هو ان يبلغ ثلثين سنة ثم نسخها قوله حتى اذا بلغوا النكاح الاية قال ابو حنيفة اذا بلغ خمسا وعشرين سنة دفع المال اليه وقبل ذلك يمنع منه اذا لم يونس منه الرشد وقيل انه لا حد له بل هو ان يبلغ ويكمل عقله ويونس منه الرشد فيسلم اليه ماله وهذا اقوى الوجوه وليس بلوغ اليتيم اشده مما يبيح قرب ماله بغير الاحسن ولكن تقديره ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن على الابد حتى يبلغ اشده فادفعوه اليه بدليل قوله ولا تاكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا واوفوا اي اتموا الكيل والميزان بالقسط اي بالعدل والوفاء من غير بخس لا نكلف نفسا الا وسعها اي الا ما يسعها ولا يضيق عنه ومعناه هنا انه لما كان التعديل في الوزن والكيل على التحديد من اقل القليل يتعذر بين سبحانه انه لا يلزم في ذلك الا الاجتهاد وفي التحرز من النقصان واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى فقولوا الحق وان كان ذا قربى لكم وانما خص القول بالعدل دون الفعل لان من جعل عادته العدل في القول دعاه ذلك الى العدل في الفعل ويكون ذلك من آكد الدواعي اليه وقيل معناه اذا شهدتم او حكمتم فاعدلوا في الشهادة والحكم وان كان المقول عليه والمشهود له او عليه قرابتك وهذا من الاوامر البليغة التي يدخل فيها مع قلة حروفها الاقارير والشهادات والوصايا والفتاوى والقضايا والاحكام والمذاهب والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وبعهد الله اوفوا قيل في معنى عهد الله قولان احدهما ان كل ما اوجبه الله تعالى على العباد فقد عهد اليهم بايجابه عليهم وبتقديم القول فيه والدلالة عليه والآخر ان المراد به النذور والعهود في غير معصية الله تعالى والمراد اوفوا بما عاهدتم الله عليه من ذلك ذلكم اي ذلك الذي تقدم ذكره من ذكر مال اليتيم وان لا تقربوه الا بالحق وايفاء الكيل واجتناب البخس والتطفيف وتحري الحق فيه على مقدار الطاقة والقول بالحق والصدق والوفاء بالعهد وصاكم الله سبحانه به لعلكم تذكرون اي لكي تتذكروه وتاخذوا به فلا تطرحوه ولا تغفلوا عنه فتتركوا العمل به والقيام بما يلزمكم منه وان هذا صراطي ولان هذا صراطي ومن خفف فتقديره ولانه هذا صراطي مستقيما ومن كسر ان فانه استانف قال ابن عباس يريد ان هذا ديني دين الحنيفية اقوم الاديان واحسنها وقيل يريد ان ما ذكر في هذه الآيات من الواجب والمحرم صراطي لان امتثال ذلك على ما امر به يؤدي

الى الثواب والجنة فهو طريق يؤدي الى النعيم فيها مستقيما اي قيما لا عوج فيها ولا تناقض وهو منصوب على الحال فاتبعوه اي اقتدوا به واعملوا به واعتقدوا صحته واحلوا حلاله وحرموا حرامه ولا تتبعوا السبل اي طرق الكفر والبدع والشبهات عن مجاهد وقيل يريد اليهودية والنصرانية والمجوسية وعبادة الاوثان عن ابن عباس فتفرق واصله فتتفرق بكم عن سبيله فتشتت وتميل وتخالف بكم عن دينه الذي ارتضى وبه اوصى وقيل عن طريق الدين ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون لكي تتقوا عقابه باجتناب معاصيه قال ابن عباس هذه الآيات محكمات لم ينسخهن شيء من جميع الكتب وهي محرمات على بني آدم كلهم وهن ام الكتاب من عمل بهن دخل الجنة ومن تركهن دخل النار وقال كعب الاحبار والذي نفس كعب بيده ان هذه الآية لاول شيء في التوراة بسم الله الرحمن الرحيم قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الآيات قوله تعالى ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذي احسن وتفصيلا لكل شيء وهدى ورحمة لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون وهذا كتاب انزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون آيتان القراءة في الشواذ قراءة يحيى بن يعمر على الذي احسن بالرفع قال ابن جني هذا مستضعف الاعراب عندنا لانه حذف المبتدأ العائد الى الذي لان تقديره على الذي هو احسن وانما يحذف من صلة الذي الهاء المنصوبة بالفعل الذي هو صلتها نحو مررت بالذي ضربت اي ضربته ومن المفعول به وطال الاسم بصلته فحذف الهاء لذلك وليس المبتدأ بنيف ولا فضلة فيحذف تخفيفا لا سيما وهو عائد الموصول وعلى ان هذا قد جاء نحوه عنهم حكى سيبويه عن الخليل انه سمع ما انا بالذي قائل لك شيئا وسوء اي بالذي هو قائل وقالت لك مثل القسان في غير الانام تسون ما عواقبها اي تسون الذي هو عواقبها ويجوز ان يكون تسون معلقة كما تعلق نقيضها التي هي تعلمون فيكون ما استفهاما وعواقبها خبرا كقولك قد علمت من ابوك وعلى الوجه الاول جاء اصحابنا وقال الزجاج تماما منصوب بانه مفعول له وكذلك وتفصيلا وما بعده والمعنى آتيناه لهذه العلة اي للتمام والتفصيل انزلناه في موضع رفع بانه صفة كتاب المعنى ثم آتينا موسى الكتاب قيل في معنى ثم آتينا موسى الكتاب مع ان كتاب موسى قبل القرآن بمعنى التراخي وجوه احدها ان فيه حذفا وتقديره ثم قل يا محمد آتينا موسى الكتاب بدلالة قوله قل تعالوا وثانيها ان تقديره ثم اتل عليكم آتينا موسى الكتاب ويكون عطفا على معنى التلاوة والمعنى قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم ثم اتل عليكم ما آتاه الله موسى عن الزجاج وثالثها انه عطف خبر على خبر لا عطف معنى على معنى وتقديره ثم اخبركم انه اعطى موسى الكتاب والذي يوليه قول الشاعر ولقد ساد ثم ساد ابوه ثم قد ساد قبل ذلك جده ورابعها انه يتصل بقوله في قصة ابرهيم ووهبنا له اسحق ويعقوب فعدد سبحانه نعمه عليه بما جعل في ذريته من الانبياء ثم عطف عليه بذكر ما انعم عليه بما آتى موسى عليه السلام من الكتاب والنبوة وهو ايضا من ذريته عن ابي مسلم واختاره المغربي تماما على الذي احسن قيل فيه وجوه احدها تماما على احسان موسى فكانه قال ليكمل احسانه الذي يستحق به كمال ثوابه في الآخرة عن الربيع والفراء وثانيها تماما على المحسنين عن مجاهد وقيل ان في قراءة عبد الله تماما على الذين احسنوا فكانه قال تماما للنعمة على المحسنين الذين هو احدهم فالنون قد يحذف من الذين كما في البيت وان الذي حانت بفلج دماؤهم هم القوم كل القوم يا ام خالد ويجوز ان يكون الذي للجنس ويكون بمعنى من احسن وثالثها ان معناه تماما على احسان الله الى انبيائه عن ابن زيد ورابعها ان معناه تماما للكرامة في الجنة على احسانه في الدنيا عن الحسن وقتادة وقال قتادة تقديره من احسن في الدنيا تمت عليه كرامة الله في الآخرة وخامسها ان معناه تماما على الذي احسن الله سبحانه الى موسى بالنبوة وغيرها من الكرامة عن الجبائي وسادسها ما قاله ابو مسلم انه يتصل بقصة ابرهيم فيكون المعنى تماما للنعمة على ابرهيم وجزاء على احسانه في طاعة ربه وذلك من لسان الصدق الذي سأل الله سبحانه ان يجعله له ولفظه على يقتضي المضاعفة عليه ولو قال تماما ولم يات بقوله على الذي احسن لدل على نقصانه قبل تكميله وتفصيلا لكل شيء اي بيانا لكل ما يحتاج اليه الخلق وهدى اي ودلالة على الحق والدين يهدى بها الى التوحيد والعدل والشرايع ورحمة اي نعمة على ساير المكلفين لما فيه من الامر والنهي والوعد والوعيد والاحكام

لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون معناه لكي يؤمنوا بالجزاء ربهم فسمى الجزاء لقاء الله تفخيما لشأنه مع ما فيه من الايجاز والاختصار
وقيل معنى اللقاء الرجوع الى ملكه وسلطانه يوم لا يملك احد سواه شيئا وهذا الكتاب يعني القرآن وصفه بهذا الوصف
ليبين انه مما ينبغي ان يكتب لانه اجل الحكم انزلناه يعني انزله جبريل الى محمد صلى الله عليه وآله فاضاف التنزيل الى نفسه توسعا
مبارك وهو ما يأتي من قبله الخير الكثير عن الزجاج فالبركة ثبوت الخير بزيادته ونموه واصله الثبوت ومنه براكا في قوله
وما ينجي من الغمرات الا براكا او الفرار ومنه تبارك الله تعالى بصفة اثبات لا اول له ولا آخر وهذا تعظيم لا يستحقه
غير الله تعالى فاتبعوه اي اعتقدوا صحته واعملوا به وكونوا من اتباعه واتقوا معاصي الله ومخالفته ومخالفة كتابه
لعلكم ترحمون اي لكي ترحموا وانما قال اتقوا لعلكم ترحمون مع انهم اذا اتقوا رحموا لا محالة لامرين احدهما انما اتقوا
على رجاء رحمته لانكم لا تدرون بما توافون في الآخرة والثاني اتقوا لترحموا اي ليكن الغرض بالتقوى منكم طلب ما عند الله من
الرحمة والثواب قوله تعالى ان تقولوا انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وان كنا عن دراستهم لغافلين
او تقولوا لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة فمن اظلم
ممن كذب بآيات الله وصدف عنها سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون آيتان
الاعراب قال الزجاج ان تقولوا معناه عند البصريين كراهة ان تقولوا وهم لا يجيزون اضمار لا فلا يقولون جئت
ان اكرمك اي لان لا اكرمك ولكن يجوز فعلت ذلك ان اكرمك على اضمار محبة ان اكرمك او كراهة ان اكرمك ويكون
الحال ينبئ عن الضمير او تقولوا نصب تقولوا بانه معطوف على ان تقولوا الاول اي او كراهة ان تقولوا وقوله انا ارادنا
مفعول له على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه واذا كان حذف المضاف يطرد جوازه مع غير ان فلان يجوز
ان يكون مع ان اجدر مع طول الكلام بالصلة وقال الكسائي موضع ان تقولوا نصب باتقوا اي اتقوا يا اهل مكة ان تقولوا
ولو انا فتحت ان بعد لو مع انه لا يقع فيه المصدر لان الفعل مقدر بعد لو فكانه قيل لو وقع الينا انما انزل الكتاب علينا
الا ان هذا الفعل لا يظهر من اجل طول ان بالصلة ولا يحذف مع المصدر الا في الشعر فان لو غيركم علق الزبير بحبله ادى الجوار
الى بني العوام المعنى ثم بين سبحانه انه انما انزل القرآن قطعا للمعذرة وازاحة للعلة فقال ان تقولوا اي كراهة ان تقولوا
يا اهل مكة ولئلا تقولوا انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا اي جماعتين وهم اليهود والنصارى عن ابن عباس
والحسن ومجاهد وقتادة والسدي وانما خصهما بالذكر لشهرتهما وظهور امرهما اي انزلنا عليكم هذا الكتاب لنقطع حجتكم
وان كنا عن دراستهم لغافلين والمعنى انا كنا غافلين عن تلاوة كتبهم وما كنا الا غافلين عن دراستهم ولم ينزل علينا الكتاب
كما انزل عليهم لانهم كانوا اهدى دوننا ولو اريد منا ما اريد منهم لانزل الكتاب علينا كما انزل عليهم او تقولوا يا اهل مكة
لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم في المبادرة الى قبوله والتمسك به لانا اجود اذهانا وانفذ معرفة منهم فان العرب
كانوا يدلون بجودة الفهم وذكاء الحدس وحدة الذهن وقد يكون العارف بالشيء اهدى اليه من عارف آخر بان يعرفه
من وجوه لا يعرفها هو وبان يكون ما يعرفه اثبت مما يعرفه به الآخر ثم قال سبحانه فقد جاءكم بينة من ربكم اي حجة واضحة
ودلالة ظاهرة وهو القرآن وهدى يهتدي به الخلق الى النعيم المقيم والثواب العظيم ورحمة اي نعمة لمن اتبعه وعمل به
فمن اظلم لنفسه ممن كذب بآيات الله وصدف عنها اي اعرض عنها غير مستدل بها ولا متفكر فيها عن ابن عباس ومجاهد والسدي
وقتادة سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب اي شدة العذاب وهو ما اعد الله للكفار نعوذ بالله منها
بما كانوا يصدفون اي جزاء بما كانوا يصدفون عن القرآن ومن اتى به وهو محمد صلى الله عليه وآله وفي هذا دلالة على
ان انزال القرآن لطف للمكلفين فانه لو لم ينزله لكان لهم الحجة اذا كان في منع اللطف عذر وحجة للمكلف كمنع القدرة
وخلق الكفر اولى بذلك فان قيل فهل للكفار الذين ماتوا من قبل من خوطب بقوله ان تقولوا حجة وعذر قيل ان عذر اولئك
كان مقطوعا بالعقل وبما تقدم من الاخبار والكتب وهؤلاء انهم لو لم يأتهم الكتاب والرسول لم يكن لهم حجة لكن الله تعالى علم

ان المصلحة تعلقت بذلك ففعله ولو علم مثل ذلك فيمن تقدم لانزل عليهم مثل ما انزل على هؤلاء واذا لم ينزل عليهم علمنا
ان ذلك لم يكن من مصالحهم قوله عز وجل هل ينظرون الا ان تأتيهم الملائكة او يأتي ربك او يأتي بعض آيات
ربك يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا قل انتظروا انا منتظرون
آية القراءة قرأ حمزة والكسائي وخلف يأتيهم بالياء ههنا وفي النحل وقرأ الباقون تأتيهم بالتاء وقد مضى الكلام في
امثال ذلك المعنى ثم توعدهم سبحانه فقال هل ينظرون معناه ما ينتظرون يعني هؤلاء الكفار الذين تقدم ذكرهم
وقال ابو علي الجبائي هل ينظرون انت يا محمد واصحابك الا هذا وهم وان لم ينتظروا لغيره فذلك لا بد منه من حيث ما ينتظرون
من هذه الاشياء المذكورة تعظيما لشأنها وهو مثل قوله وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وكما يقال يتكلم فلان ولم يتكلم
اذا تكلم بما لا يعتد به الا ان تأتيهم الملائكة لقبض ارواحهم عن مجاهد وقتادة والسدي وقيل لانزال العذاب والخسف
بهم وقيل العذاب الهوا او يأتي ربك فيه اقوال احدها او يأتي امر ربك بالعذاب فحذف المضاف ومثله وجاء ربك
عن الحسن وجاز هذا الحذف كما جاز في قوله ان الذين يؤذون الله يعني اولياء الله وقال ابن عباس يأتي امر ربك فيهم
بالقتل وثانيها او يأتي ربك بجلائل آياته فيكون حذف الجار فوصل الفعل ثم حذف المفعول لدلالة الكلام عليه وهو
قيام الدليل في العقل على ان الله سبحانه لا يجوز عليه الانتقال ولا يختلف عليه الحال وثالثها ان المعنى او يأتي اهلاك ربك
اياهم بعذاب عاجل او آجل او القيامة وهذا كقولنا قد نزل فلان ببلد كذا او قد اتاهم فلان اي قرب او وقع بهم عن الزجاج
او يأتي بعض آيات ربك وذلك نحو خروج الدابة وطلوع الشمس من مغربها عن مجاهد وقتادة والسدي وروي عن النبي
صلى الله عليه وآله انه قال بادروا بالاعمال ستا طلوع الشمس من مغربها والدجال والدخان وخويصة احدكم اي موته
وامر العامة يعني القيامة يوم يأتي بعض آيات ربك الذي يضطرهم الى المعرفة ويزول التكليف عندها لا ينفع نفسا
ايمانها لم تكن آمنت من قبل لانه ينسد باب التوبة بظهور آيات القيامة ويضطر الله تعالى كل احد الى معرفته
ومعرفة الحسنات والقبيحات ضرورة ومعرفة انها والقبيح او ترك الحسن حيل بينه وبينه فيصير ملجأ الى
فعل الحسن وترك القبيح او كسبت في ايمانها خيرا عطف على قوله آمنت وقيل في معناه اقوال احدها انه انما قال
ذلك على جهة التغليب لان الاكثر ممن ينتفع بايمانه حينئذ من كسب في ايمانه خيرا وثانيها انه لا ينفع احدا فعل الايمان
ولا فعل خير منه في تلك الحال لانها حال زوال التكليف وانما ينفع ذلك قبل تلك الحال عن السدي فيكون معناه لا ينفعه
ايمانه حينئذ وان كسب في ايمانه خيرا اي طاعة وبرا لان الايمان واكتساب الخير انما ينفعان قبل وثالثها انه الابهام
في احد الامرين والمعنى انه لا ينفع في ذلك اليوم ايمان نفس اذا لم تكن آمنت قبل ذلك اليوم او ضمت الى ايمانها افعال
الخير فانها اذا آمنت قبل نفعها ايمانها وكذلك اذا ضمت الى الايمان طاعة نفعتها ايضا يريد انه لا ينفع حينئذ ايمان
من آمن من الكفار ولا طاعة من اطاع من المؤمنين ومن آمن من قبل نفعه ايمانه بانفراده وكذلك من اطاع
من المؤمنين نفعته طاعته ايضا وهذا اقوى الاقوال واوضحها قل انتظروا اتيان الملائكة ووقوع هذه الآية فانا
منتظرون بكم وقوعها وفي هذه الآية حث على المسارعة الى الايمان والطاعة قبل الحال التي لا تقبل فيها التوبة وفيها ايضا
حجة على من يقول الايمان اسم لاداء الواجبات والطاعات فانه سبحانه قد صرح فيها بان اكتساب الخيرات غير الايمان
المجرد لعطفه سبحانه كسب الخيرات وهي الطاعات في الايمان على فعل الايمان فكانه قال لا ينفع نفسا لم تؤمن من قبل ذلك
اليوم ايمانها ذلك اليوم وكذا لا ينفع نفسا لم تكن كاسبة خيرا في ايمانها قبل ذلك اليوم كسبها الخير ذلك اليوم وقد
عكس الحاكم ابو سعد في تفسير الآية فقال هو خلاف ما تقوله المرجئة لانه يدل على ان الايمان بمجرده لا ينفع حتى يكون
معه اكتساب الخيرات وليت شعري كيف يدل الآية على ما قاله وكيف حكم لنفسه على خصمه فيما الحكم فيه لخصمه عليه وهل هذا
الا عدول عن سنن العدل والانصاف قوله تعالى ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء انما

انما امرهم الى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون آية **القراءة** قرا حمزه والكسائي هاهنا وفي الروم فارقوا بالالف
وهو المروي عن علي عليه السلم والباقون فرقوا بالتشديد **الحجه** قال ابو علي من قرا فرقوا بالتشديد فقد يريد يؤمنون
ببعض ويكفرون ببعض كما قال افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض وقال ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله
ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ومن قرا فارقوا دينهم فالمعنى باينوه وخرجوا عنه وهو يؤول الى معنى فرقوا الا ترى
انهم لما امنوا ببعضه وكفروا ببعضه فارقوه كله فخرجوا عنه ولم يتبعوه **اللغة** الشيع الفرق التي يمالي بعضهم بعضا على امر
واحد مع اختلافهم في غيره وقيل ان اصله من الظهور يقال شاع الخبر يشيع شيوعا اذا ظهر وشيعت النار اذا القيت عليها الحطب فكانك
تظهرها وقال الزجاج اصله الاتباع يقال شاعكم السلام واشاعكم اي تبعكم السلام قال الا يا نخلة من ذات عرق برود الظل شاعكم
السلام ويقول اتيك غدا او شيعه اي اليوم الذي يتبعه فمعنى الشيعة الذين يتبع بعضهم بعضا قال الكميت وما لي الا آل احمد شيعة
وما لي الا مشعب الحق مشعب **المعنى** ثم عطف سبحانه على ما قدم من الوعيد فقال ان الذين فارقوا دينهم وكانوا شيعا اختلف
في المعنيين بهذه الآية على اقوال احدها انهم الكفار واصناف المشركين عن السدي والحسن ونسخها آية السيف وثانيها
انهم اليهود والنصارى لانه يكفر بعضهم بعضا عن قتاده وثالثها انهم اهل الضلالة واصحاب الشبهات والبدع من هذه
الامة رواه ابو هريرة وعايشة مرفوعا وهو المروي عن الباقر عليه السلم جعلوا دين الله اديانا لاكفار بعضهم بعضا وصاروا
احزابا وفرقا لست منهم في شيء هذا خطاب للنبي صلى الله عليه واله واعلام له انه ليس منهم في شيء وانه على المباعدة التامة من
ان يجتمع معهم في معنى من مذاهبهم الفاسدة وليس كذلك بعضهم مع بعض لانهم يجتمعون في معنى من المعاني الباطلة وان
افترقوا في غيره فليس منهم في شيء لانه بريء من جميعه وقيل معناه لست من قتالهم في شيء ثم نسخها آية القتال عن الكلبي والحسن
انما امرهم الى الله في مجازاتهم على سوء افعالهم وقيل امرهم في الانظار والاستيصال الى الله وقيل الحكم بينهم في اختلافهم
الى الله ثم ينبئهم اي يخبرهم ويجازيهم بما كانوا يفعلون يوم القيمة فيظهر المحق من المبطل قوله تعالى **من جاء بالحسنة
فله عشر امثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون** آية **القراءة** قرا يعقوب عشر منونه امثالها
برفع اللام وهو قراءة الحسن وسعيد بن جبير والباقون عشر مضافا امثالها مجرورا **الحجه** من قرا عشر امثالها فالمعنى عشر
حسنات امثالها فيكون امثالها صفة للموصوف الذي اضيف اليه عشر ومن قرا عشر امثالها يكون امثالها صفة لعشر هذا
قول الزجاج وحذف الموصوف واقامة الصفة مقامه ضعيف عند المحققين واكثر ما ياتي ذلك في الشعر والاولى ان يكون
امثالها غير صفة في قوله عشر امثالها بل يكون محمولا على المعنى فانث الامثال لما كان في معنى الحسنات وحكي عن ابي عمرو انه سمع
اعرابيا يقول فلان لغوب جاءته كتابي فاحتقرها فقلت له اتقول جاءته كتابي قال نعم اليس بصحيفة **اللغة** الحسنة اسم للاعلى
في الحسن ودخول الهاء للمبالغة قال علي بن عيسى واذا دخول الهاء يدل على انها طاعة اما واجبة او ندب وليس كل حسن كذلك
لان في الحسن ما هو مباح لا يستحق عليه مدح ولا ثواب واقوى من ذلك ان يقال دخول لام التعريف فيها يدل على انها المامور بها
لانها لام العهد والله سبحانه لا يامر بالمباح **المعنى** لما ذكر سبحانه الوعيد على المعاصي عقبه بذكر الوعد وتضعيف الجزاء في الطاعات
فقال من جاء بالحسنة فله عشر امثالها اي من جاء بالخصلة الواحدة من خصال الشر فلا يجزى الا مثلها وذلك من عظيم
فضل الله تعالى وجزيل انعامه على عباده حيث لا يقتصر في الثواب على قدر الاستحقاق بل يزيد عليه وربما يعفو عن ذنوب
المؤمنين منا منه عليهم وتفضلا وان عاقب عاقب على قدر الاستحقاق عدلا وقيل المراد بالحسنة التوحيد وبالسيئة الشرك عن الحسن
واكثر المفسرين وعلى هذا فان اصل الحسنات التوحيد واصل السيئات الكفر وهم لا يظلمون بالزيادة على مقدار ما استحقوا
من العقاب ثم اختلف الناس في ان هذه الحسنات العشر التي وعدها الله من جاء بالحسنة هل يكون كلها ثوابا ام لا فقال
بعضهم لا يكون كلها ثوابا وانما يكون الثواب منها الواحدة والتسع الزائدة تفضلا ويؤيده قوله ليوفيهم اجورهم ويزيدهم
من فضله فيكون على هذا معنى عشر امثالها في النعيم واللذة لا في عظم المنزلة ويجوز ان يكون التفضل مثل الثواب في الكثرة

في الكثرة واللذة وان تميز منه الثواب بمقارنة التعظيم والاجلال اللذين لولاهما لما حسن التكليف وهذا هو الصحيح
وقال قوم لا يجوز ان يساوي الثواب التفضل على وجه فيكون على هذا لهم كل ذلك ثوابا قال الزجاج ان المجازاة من الله عز وجل
على الحسنة بدخول الجنة شيء لا يبلغ وصف مقداره فاذا قال عشر امثالها وقال كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة
مائة حبة وقال فيضاعفه اضعافا كثيرة فالمعنى في هذا كله ان جزاء الله تعالى على الحسنات على التضعيف للمثل الواحد
الذي هو النهاية في التقدير في النفوس فيضاعف الله سبحانه ذلك بما بين عشرة اضعاف الى سبعماية ضعف الى
اضعاف كثيرة وقد قيل ايضا في ذلك ان المؤمن من جاء بالحسنة فله عشر امثالها المستحق لا يعلم مقداره الا الله تعالى
وليس المراد امثال ذلك في العدد وهذا كما يقول الانسان لاجيره لك من الاجر مثل ما عملت اي مثل ما تستحقه بعملك
وقد وردت الرواية عن المعرور بن سويد عن ابي ذر قال حدثني الصادق ان الله تعالى قال الحسنة عشر او ازيد والسيئة
واحدة او اعفو فالويل لمن غلبت احاده اعشاره قوله عز وجل **قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم دينا قيما ملة
ابرهيم حنيفا وما كان من المشركين قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك
امرت وانا اول المسلمين** ثلث آيات كوفي واربع عند غيرهم **القراءة** قرا ابن عامر واهل الكوفة قيما مكسورة القاف
خفيفة الياء والباقون قيما مفتوحة القاف مشددة وقرا اهل المدينة محياي ساكنة الياء ومماتي بفتحها والباقون محياي
بفتح الياء ومماتي ساكنة الياء **الحجة** من قرا قيما فهو كالمستقيم فيكون وصفا للدين كما ان التقدير في قوله دين القيمة دين
الملة القيمة لان الملة هي مثل الدين ومن قرا قيما فانه مصدر كالصغر والكبر الا انه لم يصحح كما صحح حول وعوض وكان القياس
ولكنه شذ كما شذ ثيرة في جمع ثور وجياد في جمع جواد وكان القياس الواو وقال الزجاج انما اعتل قيم لانه من
قام فلما اعتل قام اعتل قيم لانه جرى عليه واما حول فانه جار على غير فعل واما اسكان الياء في محياي فانه شاذ عن القياس
والاستعمال فان الساكنين لا يلتقيان على هذا الحد واذا كان ما قبلها متحركا نحو ومماتي فالفتح جائز والاسكان جائز قال
ابو علي والوجه في محياي بسكون الياء مع شذوذه ما حكي عن بعض البغداديين انه سمع التقت حلقتا البطان باسكان
الالف مع سكون لام المعرفة ومثل هذا ما اجازه يونس في قوله اضربان زيدا واضربنان زيدا وسيبويه ينكر هذا من قول
يونس وقال علي بن عيسى ولو وصله على نية الوقف جاز كما جاز فبهداهم اقتده وانما يزاد هذه الهاء في الوقف كما تسكن
تلك الياء في الوقف **اللغة** الملة الشريعة ماخوذة من الاملاء كانها ياتي به الشرع ويورده الرسول من الشرايع المتجدده
فيمله على امته ليكتب او ليحفظ واما التوحيد والعدل فواجبان بالعقل ولا يكون فيهما اختلاف والشرايع تختلف ولهذا
يجوز ان يقال دين الملائكة ولا يقال ملة الملائكة فكل ملة دين وليس كل دين ملة والنسك العبادة ورجل ناسك
ومنه النسيكة الذبيحة والمنسك الموضع الذي تذبح فيه النسايك قال الزجاج فالنسك كل ما تقرب به الى الله عز وجل الا
ان الغالب عليه امر الذبح وقول الناس فلان ناسك ليس يراد به ذابح انما يراد به انه يؤدي المناسك اي يؤدي ما
افترض عليه مما يتقرب به الى الله **الاعراب** دينا قال ابو علي يحتمل نصبه ثلثة اضرب احدها انه لما قال هداني ربي الى صراط مستقيم
استغنى بجري ذلك الفعل عن ذكره ثانيا فقال دينا قيما كما قال اهدنا الصراط المستقيم وان شئت نصبته على اعرفوا لان
هدايتهم اليه تعريف لهم فحمله على اعرفوا دينا قيما وان شئت حملته على الاتباع كانه قال اتبعوا دينا قيما والزموه كما قال
اتبعوا ما انزل اليكم قال الزجاج ملة ابرهيم بدل من دينا قيما وحنيفا منصوب على الحال من ابرهيم والمعنى هداني وعرفني
ملة ابرهيم في حال حنيفيته **المعنى** ثم امر الله سبحانه نبيه صلى الله عليه واله فقال قل يا محمد لهولاء الكفار وللخلق جميعا انني
هداني اي دلني وارشدني ربي الى صراط المستقيم وقيل اراد لطف ربي في الاهتداء ووفقني لذلك وقد بينا معنى صراط
المستقيم في سورة الحمد دينا قيما اي مستقيما على نهاية الاستقامة وقيل ثابتا دائما لا ينسخ ملة ابرهيم انما وصف دين النبي
صلى الله عليه واله بانه ملة ابرهيم ترغيبا فيه للعرب لجلالة ابرهيم في نفوسها وفي نفوس كل اهل الاديان وانتساب العرب اليه

وانما قيل انه كان على الحق حنيفا اي مخلصا في العبادة لله سبحانه عن الحسن وقيل مائلا الى الاسلام ميلا لازما لا رجوع معه من
قولهم رجل احنف اذا كان مائل القدم من خلقة عن الزجاج وقيل مستقيما وانما جاء احنف على التفاؤل عن الجبائي وما كان
من المشركين يعني ابرهيم عليه السلم كان يدعو الى عبادة الله وينهى عن عبادة الاصنام قل ان صلوتي قد فسرنا معنى الصلوة
فيما تقدم ونسكي اي ذبحي للحج والعمرة عن سعيد بن جبير ومجاهد وقتادة والسدي وقيل نسكي ديني عن الحسن وقيل عبادتي
عن الجبائي والزجاج وانما ضم الصلوة الى اصل الواجبات من التوحيد والعدل لان فيها التعظيم لله عند التكبير وفيها
تلاوة القرآن الذي يدعو الى كل بر وفيها الركوع والسجود وفيهما الخضوع لله سبحانه والتسبيح الذي هو التنزيه له ومحياي
ومماتي اي حيوتي وموتي لله رب العالمين وانما جمع بين صلوته وحيوته واحدهما من فعله والآخر من فعل الله لانهما
جميعا لله برا لله تعالى وقيل معناه صلوتي ونسكي له عبادة وحيوتي ومماتي له ملكا وقدرة عن القاضي وقيل ان
عبادتي له لانه بهدايته ولطفه ومحياي ومماتي له لانه بتدبيره وخلقه وقيل معنا قوله محياي ومماتي لله ان الاعمال الصالحة
التي تتعلق بالحيوة في فنون الطاعات وما يتعلق بالممات من الوصية والختم بالخيرات لله وفيه تنبيه على انه لا ينبغي ان
يجعل الانسان حيوته لشهوته ومماته لورثته لا شريك له اي لا ثاني له في الالهية وقيل لا شريك له في العبادة وفي الاحياء والاماتة
وبذلك امرت اي وبهذا امرني ربي وانا اول المسلمين من هذه الامة فان ابرهيم كان اول المسلمين ومن بعده تابع له
في الاسلام عن الحسن وقتادة وفيه بيان فضل الاسلام وبيان وجوب اتباعه على الاسلام اذ كان صلى الله عليه وآله
اول من سارع اليه ولانه انما امر بذلك ليتأسى به وليقتدى بفعله قوله عز وجل قل اغير الله ابغي ربا وهو رب كل شيء
ولا تكسب كل نفس الا عليها ولا تزر وازرة وزر اخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون وهو
الذي جعلكم خلائف الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم ان ربك سريع العقاب
وانه لغفور رحيم آيتان اللغة الرب اذا اطلق افاد المالك لتصريف الشيء باتم تصريف العبيد واصله التربية وهي تنشئة
الشيء حالا بعد حال حتى يصير الى الكمال والفرق بين الرب والسيد ان السيد المالك لتدبير السواد الاعظم والرب المالك
لتدبير الشيء حتى يصير الى الكمال مع اجرائه على تلك الحال ويقال وزر يزر وزرا ووزر يوزر فهو موزور واصله من الوزر
الذي هو الملجأ فحال الموزور كحال الملتجي الى غير ملجأ ومنه الوزير لان الملك يلتجي اليه في الامور واصله الثقل ومنه قوله
تعالى ووضعنا عنك وزرك وكلاهما محتمل وواحد الخلائف خليفة مثل صحائف وصحيفة وسفينة وسفائن وخلف
فلان فلانا يخلفه فهو خليفته اذا جاء بعده الاعراب في نصب درجات ثلاثة اقوال احدها ان يقع موقع المصدر وكأنه
قال رفعة بعد رفعة والثاني انه الى درجات فحذف الى كما حذف في قولك دخلت البيت وتقديره الى البيت والثالث
ان يكون مفعولا من قولك ارتفع درجة ورفعته درجة مثل اكتسى ثوبا وكسوته ثوبا المعنى لما امر الله سبحانه نبيه ببيان
الاخلاص في الدين عقبه بامره ان يبين لهم بطلان افعال المشركين فقال قل يا محمد لهؤلاء على وجه الانكار اغير الله
ابغي ربا وهو رب كل شيء وتقديره أيجوز ان اطلب غير الله ربا واطلب القول بعبادته وهو مربوب مثلي واترك عبادة من
خلقني ورباني وهو مالك كل شيء وخالقه ومدبره وليس لمربوب امر وهذا قبيح في العقول وهو لازم لكم على عبادة ذلكم
الاوثان ولا تكسب كل نفس الا عليها اي لا تكسب كل نفس جزاء كل عمل من طاعة او معصية الا عليها فعليها عقاب
معصيتها ولها ثواب طاعتها ووجه اتصاله بما قبله انه لا ينفعني في ابتغاء رب غيره ما انتم عليه من ذلك لانه ليس بعذر
لي في اكتساب الاثم اكتساب غيري له ولا تزر وازرة وزر اخرى اي لا يحمل احد ذنب غيره ومعناه لا يجازى احد بذنب
غيره وقال الزجاج معناه لا يؤخذ نفس آثمة باثم اخرى وقيل ان الكفار قالوا للنبي صلى الله عليه وآله اتبعنا وعلينا
وزرك ان كان خطأ فانزل الله هذا وفيه دلالة على فساد قول المجبرة ان الله تعالى يعذب الطفل بكفر ابيه ثم الى ربكم
مرجعكم اي مآلكم ومصيركم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون اي يخبركم بالحق فيما اختلفتم فيه فيظهر المحق والمسيء وهو الذي

جعلكم خلائف الارض اخبر سبحانه انه الذي جعل الخلق خلائف الارض ومعناه ان اهل كل عصر يخلف اهل العصر الذي قبله
كلما مضى قرن خلفهم قرن يجري ذلك على انتظام واتساق حتى تقوم الساعة على العصر الاخير فلا يخلفه عصر وهذا لا يكون الا
من عالم مدبر عن الحسن والسدي وجماعة وقيل المراد بذلك امة نبينا صلى الله عليه وآله جعلكم الله خلفاء لسائر الامم ونصرهم
على سائر الخلق ورفع بعضكم فوق بعض درجات في الرزق عن السدي وقيل في الصورة والعقل والعلم والعمر والمال والقوة
وهذا اولى لان الاول يدخل فيه ووجه الحكمة في ذلك مع انه سبحانه خلقهم ابتداء من غير استحقاق بعمل يوجب التفاضل بينهم
ما فيه من الالطاف الداعية الى الواجبات والصارفة عن المقبحات لان من كان غنيا في مال او شريفا في نسب بما دعاه ذلك
الى طاعة من يملكه رغبة في امثاله ومن كان على ضد ذلك ربما دعاه الى طاعته رهبة من امثاله ورجاء ان ينقله عن هذه
الحالة الى حال جليلة نعمة عليها ليبلوكم فيما آتاكم اي ليختبركم فيما اعطاكم اي يعاملكم معاملة المختبر مظاهرة في العدل
وانتفاء من الظلم ومعناه لينظر الغني الى الفقير فيشكر وينظر الفقير الى الغني فيصبر ويتفكر العاقل في الادلة فيعلم ويعمل بما يعلم
ان ربك سريع العقاب وانما وصف نفسه بذلك مع ان عقابه في الآخرة من حيث كل ما هو آت قريب فهو اذا سريع وقيل معناه
انه سريع العقاب لمن استحقه في دار الدنيا فيكون تحذيرا لمواقع الخطيئة على هذه الجهة وقيل معناه انه قادر على تعجيل العقاب
فاحذروا معاجلته بالهلاك في الدنيا وانه لغفور رحيم قابل سبحانه بين العقاب والغفران ولم يقابل بالثواب لان ذلك
ادعى الى الاقلاع عما يوجب العقاب لانه لو ذكر الثواب لجاز ان يتوهم انه لمن لم يكن منه عصيان وقيل انه سبحانه افتتح السورة بالحمد
على نعمه تعليما وختمها بالمغفرة والرحمة ليحمد على ذلك هي مكية وقد روي عن قتادة والضحاك انها مكية
غير قوله وسئلهم عن القرية الى قوله بما كانوا يفسقون فانها نزلت بالمدينة مائتان وست آيات حجازي
كوفي وخمس بصري شامي اختلافها خمس آيات المص وبدأكم تعودون كوفي مخلصين له الدين بصري شامي ضعفا من النار
والحسنى على بني اسرائيل حجازي ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله قال من قرأ سورة الاعراف جعل الله بينه وبين
ابليس سترا وكان آدم له شفيعا يوم القيمة وروى العياشي باسناده عن ابي بصير عن ابي عبد الله عليه السلم قال من قرأ
سورة الاعراف في كل شهر كان يوم القيمة من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فان قرأها في كل يوم جمعة كان
ممن لا يحاسب يوم القيمة قال ابو عبد الله اما ان فيها آيات محكمة فلا تدعوا قراءتها وتلاوتها والقيام بها فانها تشهد
يوم القيمة من قرأها عند ربه لما ختم سبحانه سورة الانعام بالرحمة افتتح هذه السورة بانه انزل كتابا فيه معالم
الدين والحكمة فقال بسم الله الرحمن الرحيم المص كتاب انزل اليك فلا يكن في صدرك حرج
منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه اولياء قليلا ما تذكرون
ثلث آيات كوفي آيتان في الباقي القراءة قرأ ابن عامر يتذكرون بياء وتاء وقرأ اهل الكوفة غير ابي بكر تذكرون خفيفة
الذال وقرأ الباقون تذكرون بتشديد الذال والكاف الحجة قال ابو علي من قرأ تذكرون فشدد فانه اراد تتذكرون
فادغم التاء في الذال وادغامها فيها حسن لان التاء مهموسة والذال مجهورة والمجهور ازيد صوتا واقوى من المهموس
فحسن ادغام الانقص في الازيد ولا يسوغ ادغام الازيد في الانقص وما في قوله ما تذكرون موصولة بالفعل وهي بمنزلة
المصدر والمعنى قليلا تذكركم ولا ذكر في الصلة يعود اليها كما لا يكون في صلة ان ذكر ومن قرأ تذكرون فانه حذف التاء
التي ادغمها من شدد الذال وذلك حسن لاجتماع ثلاثة احرف متقاربة ويقوي ذلك قولهم اسطاع يسطيع فحذفوا احد
الثلاثة المتقاربة ومن قرأ يتذكرون بالياء والتاء فوجهه انه خاطب النبي صلى الله عليه وآله اي قليلا ما يتذكر هؤلاء اللغة قد تقدم ذكر
الحروف المقطعة في اوائل السور في اول سورة البقرة وذكرنا الاقوال في معانيها واعرابها فلا معنى لاعادتها وبينا ان حروف
الهجاء توصل على نية الوقف فوجها ان يتناول ما وصل للمعاني فعلى هذا متى سميت رجلا بالمص وجب الحكاية وان سميته
بصاد او قاف لم يجب ذلك لان صاد وقاف لهما نظير في الاسماء المفردة مثل باب ونار وليس كذلك المص لانه بمنزلة الجملة اذا سميته به

لنظيره في المفرد واما عد الكوفيون المص اية ولم تعد واصاد لان المص بمنزلة الجملة مع ان آخره على ثلاثة احرف بمنزلة
المردف فلما اجتمع هذان السببان وكل واحد منهما يقتضي عن عده ولم تعد والم لان اخره لا يشبه المردف ولم تعد وا
صاد لانه بمنزلة اسم مفرد وكذلك قاف ونون ومن قال ان هذه الحروف في اوايل السورة اسماء السور فعلى قوله انما سميت بها
ولم تسم بالاسماء المنقولة لانها تتضمن معاني اخر مضافة الى التسمية وهو انها فاتحة لما هو منها وانها فاصلة بينها وبين ما قبلها
ولانه باني من التاليف بعدها ما هو مجموع انه تاليف كتاليفها فهذه المعاني اسرارها والذكرى مصدر ذكر يذكر
تذكرا فهي اسم للتذكير وفيها مبالغة ومثلها الرجعى الاعراب قال الزجاج اجمع البصريون على ان قوله كتاب انزل اليك مرفوع
بغير هذه الحروف فالمعنى هذا كتاب انزل اليك ومن قال ان كتاب يرتفع بالمص وتقديره المص حروف كتاب يلزمه
اضمار شيئين فيكون المص بعض حروف كتاب انزل اليك فيكون قد اضمر المضاف وما اضيف اليه وهذا ليس بجائز فان
قال قايل قد تقول ا ب ت ث ثمانية وعشرون حرفا وانما ذكرت اربعة فمن اين جاز ذلك قيل قد صار اسم هذه الحروف
كلها ا ب ت ث كما انك تقول الحمد سبع ايات فالحمد اسم لجملة السورة وليس اسم الكتاب الم ولا اسم القران طسم وهذا قاف
بين وقال والذي اخترناه في تفسير المص قول ابن عباس ان المص انا الله اعلم وافضل فيكون مرتفع بعض هذه الحروف
ببعض والجملة لا موضع لها وقوله فلا يكن في صدرك حرج دخول الفاء فيه يحتمل وجهين احدهما ان يكون عطف
جملة على جملة وتقديره هذا كتاب انزلناه اليك فلا يكن بعد انزاله حرج في صدرك والاخر ان يكون جوابا وتقديره
اذا كان انزل اليك الكتاب لتنذر به فلا تكن في صدرك حرج منه فيكون محمولا على معنى اذا وذكرى قال الزجاج ويصلح
ان يكون في موضع نصب ورفع وخفض فالنصب على قوله انزل اليك لتنذر به ولتذكر به ذكرى لان في الانذار معنى التذكير
وهذا كما يقال جئتك للاحسان وشوقا اليك فيكون مفعولا له واما الرفع فعلى تقديره وهو ذكرى والخفض على معنى لتنذر
لان معنى ولان تنذر فيكون تقديره للانذار وللذكرى قال علي بن عيسى وهذا الوجه ضعيف لانه لا يجوز ان يحمل
الجر على التاويل كما لا يجوز مررت به وزيد المعنى المص معنى تفسيره وما قيل فيه كتاب انزل اليك اي هذا الذي اوحينا
اليك كتاب انزل اليك اي انزله الملائكة اليك بامر الله تعالى فلا تكن في صدرك حرج منه ذكر في معناه اقوال احدها
ما ذكره الحسن ان معنى الحرج الضيق فمعناه ولا يضيق صدرك لتشعب الفكر خوفا من ان لا تقوم بتبليغ ما انزل اليك
حق القيام فليس عليك اكثر من الانذار وثانيها ان معنى الحرج الشك عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي ومعناه
فلا تكن في صدرك شك فيما يلزمك من القيام بحقه وانما انزل اليك لتنذر به وثالثها ان معناه فلا يضيق صدرك من
قومك ان يكذبوك ويجبهوك بالسوء فيما انزل اليك كما قال سبحانه فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث
اسفا عن الفراء وقد روي في الخبر ان الله تعالى لما انزل القران الى رسول الله صلى الله عليه وآله قال اني اخشى ان يكذبني
الناس ويثلغوا راسي فيتركوه كالخبزة فازال الله الخوف عنه بهذه الآية وقوله لتنذر به اي بالقران قال الفراء والزجاج
واكثر العلماء على التقديم والتاخير تقديره كتاب انزل اليك لتنذر به وذكرى للمومنين فلا يكن في صدرك حرج منه
وقال آخرون هو متصل بقوله فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به اي كن على انشراح صدر بالانذار ومعناه التخويف
بوعده ووعيده وامثاله وامره ونهيه ولتذكر ايماناته وانما خص المومنين لانهم المنتفعون به ثم خاطب الله سبحانه
المكلفين فقال اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ويحتمل ان يكون المراد قل لهم يا محمد اتبعوا ما انزل اليكم الاية والرسل [illegible]
به والاتباع تصرف الثاني بتصرف الاول وتدبره بتدبيره والاول امام والثاني تابع مؤتم ووجوب الاتباع فيما انزله الله تعالى
يدخل فيه الواجب والندب والمباح لانه يجب ان يعتقد في كل منها ما امر الله سبحانه به كما يجب ان يعتقد في الحرام وجوب
اجتنابه ولا تتبعوا من دونه اولياء اي لا تتخذوا غيره اولياء يطيعونهم في معصية الله لان من لا يتبع القران صار متبعا
لغير الله من السلطان والاوثان فامر سبحانه باتباع القران ونهى عن اتباع الشيطان ليعلموا ان اتباع القران اتباع له سبحانه

قليلا ما تذكرون اي قليلا يا معشر المشركين تذكركم واتعاظكم وهذا استبطاء ومعنى التذكر ان ياخذ في الذكر شيئا بعد شيء
مثل التفقه والتعلم قوله تعالى وكم من قرية اهلكناها فجاءها باسنا بياتا او هم قايلون فما كان دعواهم اذ جاءهم
باسنا الا ان قالوا انا كنا ظالمين آيتان الاعراب كم لفظة موضوعة للتكثير ورب للتقليل وانما كان كذلك لان رب
حرف وكم اسم والتقليل ضرب من النفي وكم تدخل في الخبر بمعنى التكثير واما في الاستفهام فلان لان الاستفهام موكول الى
بيان المجيب وانما دخلها التكثير لان استفهام العدد على ان يظهر او يبسط انما يكون لكثرته في غالب الامر وكم مبهمة قال
الفرزدق كم عمة لك يا جرير وخالة فدعاء قد حلبت علي عشاري فدلكم على كثرة العمات والخالات وموضع كم في الاية
رفع بالابتداء وخبرها اهلكناها ولو جعلتها في موضع نصب جاز كما تقول في قوله سبحانه انا كل شيء خلقناه بقدر والا
اجود وقيل في دخول الفاء في قوله فجاءها باسنا بياتا مع ان الفاء للتعقيب اقوال احدها اهلكناها في حكمنا فجاءها باسنا
والثاني اهلكناها بارسال ملائكة العذاب اليها فجاءها باسنا والثالث انه مثل زرتني فاكرمتني فان نفس الاكرام
هي الزيادة قال علي بن عيسى وليس هذا مثل ذلك لان هذا انما جاز لانه قصد الى الزيارة ثم الاكرام بها والرابع اهلكنا
فتبين انه جاءها باسنا وقال الفراء ان الفاء هنا بمعنى الواو ورد عليه علي بن عيسى بانه نقل حرف عن معناه بغير
دليل وذلك لا يجوز وقوله او هم قايلون قال الفراء واو الحال مقدرة فيه وتقديره او وهم قايلون وانما حذفت
استخفافا قال الزجاج وهذا لا يحتاج الى ضمير الواو ولو قلت جاءني زيد راجلا او هو فارس او جاءني زيد هو فارس
لم يحتج الى الواو لان الذكر قد عاد الى الاول ومعنى بياتا اي ليلا يقال بات بياتا حسنا وبيتة حسنة والمصدر في الاصل
بات بيتا وانما سمي المبيت بياتا لانه يصلح للمبيت فمعنى او هم قايلون اي وجاءهم باسنا نهارا في وقت القايلة فاو دخلت
هنا على جهة تصرف الشيء ووقوعه اما مرة كذا واما مرة كذا ومعنى او في الخبر هنا بمنزلة او في الاباحة اذا قلت جالس الحسن
او ابن سيرين اي كل واحد منهما اهل ان يجالس واو هنا احسن من الواو لان الواو يتضمن اجتماع الشيئين لو قلت ضربت
القوم قياما وقعودا الا وجبت الواو انك ضربتهم وهم على هاتين الحالتين ولو قلت ضربتهم قياما او ضربتهم قعودا
ولم يكن شكا فانما المعنى انك ضربتهم مرة على هذه الحال ومرة على هذه الحالة والاولى ان يكون بياتا
مصدرا وضع موضع الحال فيكون بمعنى بايتين او قايلين فيكون حالا عن الهاء والميم في جاءهم وموضع ان قالوا الا
ان يكون رفعا وان يكون دعواهم في موضع نصب كقوله ما كان جواب قومه الا ان قالوا ويجوز ان يكون في موضع
نصب ويكون الدعوى في موضع رفع الا ان الدعوى اذا كانت في موضع رفع فالاكثر في اللفظ فما كانت دعواهم كذا
لان الدعوى مونثة وهي اسم لما يدعيه ويصلح ان يكون بمعنى الدعاء حكى سيبويه اللهم اشركنا في صالح دعوى المسلمين
وانشد ولت ودعواها كثير صخبه اي دعاؤها المعنى لما قدم الامر سبحانه للمكلفين باتباع القران والتحذير من مخالفته
والتذكر عقب ذلك بتذكيرهم ما نزل بمن قبلهم من العذاب وتحذيرهم ان ينزل بهم ما نزل باولئك فقال وكم من قرية
اي من اهل قرية فحذف المضاف لدلالة الكلام عليه اهلكناها بعذاب الاستيصال فجاءهم باسنا اي عذابنا بياتا
بالليل او هم قايلون اي في وقت القيلولة وهو نصف النهار واصله الراحة ومنه الاقالة في البيع لانه اراحة منه باعفائه
من عقده والاخذ بالشدة في وقت الراحة اعظم في العقوبة فلذلك خص الوقتين بالذكر فما كان دعواهم اذ جاءهم باسنا
اي لم يكن دعاء هولاء الذين اهلكناهم عقوبة لهم على معاصيهم وكفرهم في الوقت الذي جاءهم شدة عذابنا الا ان قالوا
انا كنا ظالمين يعني اعترافهم بذلك على نفوسهم واقرارهم به وهذا القول كان منهم عند معاينة الباس واليقين بانه نازل
بهم ويجوز ان يكونوا قالوه حين لا يسهم طرف منه ولم يهلكوا بعد وفي هذا دلالة على ان الاعتراف والتوبة عند معاينة
الباس لا ينفع قوله عز وجل فلنسالن الذين ارسل اليهم ولنسالن المرسلين فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غايبين
والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم
بما كانوا باياتنا يظلمون اربع ايات اللغة السؤال طلب الجواب باداته في الكلام كما ان الاستخبار طلب الخبر باداته في الكلام

والقصص ما يتلو بعضه بعضا ومنه المقص لان قطعه يتلو بعضه بعضا ومنه القصة من الشعر والقصة من الكتاب ومنه القصاص
لانه يتلو الجناية في الاستحقاق ومنه المقاصة في الحق لانه يسقط ما له قصاصا بما عليه والوزن في اللغة هو مقابلة احد
الشيئين بالآخر حتى يظهر مقداره وقد استعمل في غير ذلك تشبيها به فمنها وزن الشعر بالعروض ومنها قولهم فلان يزن كلامه
وزنا قال الا حطل واذا وضعت اباك في ميزانهم رجحوا وشال ابوك في الميزان والحق وضع الشيء موضعه على وجه
يقتضيه الحكمة وقد استعمل مصدرا على هذا المعنى وصفة كما جرى ذلك في العدل فقيل الله سبحانه ذلك بان الله هو الحق
يجري على طريق الوصف والثقل عبارة الاعتماد اللازم سفلا ونقيضه الخفة وهي الاعتماد اللازم علوا الاعراب الفاء
في قوله فلنسألن عاطفة جملة على جملة سواء ادخلت الفاء وهي موجبة للتعقيب ثم تراخي ما بين الاول والثاني وذلك يليق
بثم لتقريب ما بينهما كما قال سبحانه اقتربت الساعة وقال وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب وقال اولم ير الانسان انا
خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين واذا ظرف المفاجاة وما بينهما يعد يومئذ يجوز فيه الاعراب والبناء لان
اضافته الى مبني اضافة غير محضة بقريبة من الاسماء المركبة واضافته على الجملة يقربه من الاضافة الحقيقية ونون
اذ لانه قد قطع عن الاضافة اذ من شان التنوين ان يعاقب الاضافة المعنى ولما انذرهم سبحانه بالعذاب في الدنيا
عقبه بالانذار بعذاب الآخرة فقال ولنسألن المرسلين اقسم الله سبحانه انه يسأل المكلفين الذين ارسل اليهم
رسله فاقسم ايضا انه يسأل المرسلين الذين بعثهم فيسأل هؤلاء عن الابلاغ ويسأل هؤلاء عن الامتثال وهو تعالى
وان كان عالما بما كان منهم فانما اخرج الكلام مخرج التهديد والزجر ليتاهب العباد بحسن الاستعداد لذلك
السؤال وقيل انه يسأل الامم عن الاجابة ويسأل الرسل ماذا عملت اممهم فيما جاؤوا به وقيل ان الامم يسألون سؤال
توبيخ والانبياء يسألون سؤال شهادة على الحق عن الحسن واما فائدة السؤال فاشياء منها ان يعلم الخلائق انه سبحانه
ارسل الرسل وازاح العلة وانه لا يظلم احدا ومنها ان يعلموا ان الكفار استحقوا العذاب بافعالهم ومنها ان يزداد سرور
اهل الايمان بالثناء الجميل عليهم ويزداد غم الكفار بما يظهر من افعالهم القبيحة ومنها ان ذلك لطف للمكلفين اذا اخبروا به
ومما يسأل على هذا ان يقال كيف يجمع بين قوله تعالى ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان
وقوله فلنسألن الذين ارسل اليهم فوربك لنسألنهم اجمعين فالجواب عنه من وجوه احدها انه سبحانه نفى ان يسألهم سؤال
استرشاد واستعلام وانما يسألهم سؤال تبكيت وتقريع ولذلك قال عقيبه يعرف المجرمون بسيماهم وسؤال الاستعلام مثل قولك
ابن زيد ومن عندك وهذا لا يجوز على الله سبحانه وسؤال التوبيخ والتقريع كمن يقول الم احسن اليك فكفرت نعمتي ومنه
قوله الم اعهد اليكم يا بني آدم الم يكن ايات تتلى عليكم قال الشاعر اطربا وانت قنسري اي كبير السن وهذا توبيخ منه لنفسه
اي كيف اطرب مع الكبر والشيب وقد يكون السؤال للتقرير كقول الشاعر الستم خير من ركب المطايا واندى العالمين بطون راح
اي انتم كذلك وفي ضده قوله وهل يصلح العطار ما افسد الدهر اي لا يصلح واما سؤال المرسلين فليس بتقريع ولا توبيخ للكفار
وتقريع لهم وثانيها انهم انما يسألون يوم القيمة كما قال وقفوهم انهم مسؤولون ثم ينقطع مسألتهم عند حصولهم في العقوبة وعند
دخولهم النار فلا تنافي بين الخبرين بل هو اثبات للسؤال في وقت ونفي له في وقت آخر وثالثها ان في القيمة مواقف فبعضها يسأل
وفي بعضها لا يسأل فلا تضاد بين الآيات واما الجمع بين قوله فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون وقوله اقبل بعضهم على بعض
يتساءلون فهو ان الاول معناه انهم لا يتساءلون سؤال استخبار عن الحال التي جهلها بعضهم لتشاغلهم عن ذلك ولكل امرء منهم
يومئذ شان يغنيه والثاني معناه يسأل بعضهم بعضا سؤال تلاوم وتوبيخ كما قال في موضع آخر يتلاومون وكقوله نحن
صددناكم عن الهدى الآية ومثل ذلك كثير في القرآن ثم بين سبحانه ما ذكرناه من انه لا يسألهم سؤال استعلام بقوله فلنقصن عليهم
اي لنخبرنهم بجميع افعالهم ليعلموا ان اعمالهم كانت محفوظة وليعلم كل منهم جزاء عمله وانه لا ظلم عليه وليظهر لاهل الموقف احوالهم
بعلم قيل معناه نقص عليهم اعمالهم بانا عالمون بها وقيل معناه بمعلوم كما قال ولا يحيطون بشيء من علمه اي من معلومه
وقال ابن عباس معناه قوله لنقصن عليهم بعلم ينطق عليهم كتاب اعمالهم كقوله سبحانه هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق وما كنا غائبين

عن علم ذلك وقيل عن الرسل فيما بلغوا وعن الامم فيما اجابوا او ذكر ذلك مؤكدا لعلمه باحوالهم والمعنى انه لا يخفى عليه
شيء والوزن يومئذ الحق ذكر فيه اقوال احدها ان الوزن عبارة عن العدل في الآخرة انه لا ظلم فيها على احد عن مجاهد
والضحاك وهو قول البلخي وثانيها ان الله ينصب ميزانا له لسان وكفتان يوم القيمة فيوزن به اعمال العباد الحسنات
والسيئات عن ابن عباس والحسن وبه قال الجبائي ثم اختلفوا في كيفية الوزن لان الاعمال اعراض لا يجوز عليها الاعادة
ولا يكون لها وزن ولا تقوم بانفسها فقيل يوزن صحائف الاعمال عن عبد الله بن عمر وجماعة وقيل يظهر علامات للحسنات
وعلامات للسيئات في الكفتين فيراها الانسان عن الجبائي وقيل تظهر للحسنات صورة حسنة وللسيئات صورة سيئة
عن ابن عباس وقيل يوزن نفس المؤمن والكافر عن عبيد بن عمير قال يؤتى بالرجل العظيم الجثة فلا يزن جناح بعوضة
وثالثها ان المراد بالوزن ظهور مقدار المؤمن في العظم ومقدار الكافر في الذلة كما قال سبحانه فلا نقيم لهم يوم القيمة
وزنا فمن اتى بالعمل الصالح الذي يثقل وزنه اي يعظم قدره فقد افلح ومن اتى بالعمل السيء الذي لا وزن له ولا قيمة
فقد خسر عن ابي مسلم واحسن الاقوال القول الاول وبعده الثاني وانما قلنا ذلك لانه اشتهر من العرب قولهم كلام
فلان موزون وافعاله موزونة يريدون بذلك انها واقعة بحسب الحاجة لا تكون ناقصة عنها ولا زائدة عليها
زيادة مضرة او داخلة في باب العبث قال مالك بن اسماء الفزاري وحديث الذه هو مما ينعت الناعتون يوزن وزنا
منطق صائب وتلحن احيانا وخير الحديث ما كان لحنا اي تعرض في الكلام ولا تصرح به وقيل انه من اللحن الذي هو
سرعة الفهم والفطنة فعلى هذا يكون معنى الوزن انه قام في النفس مساويا لغيره كما تقوم الوزن في مرآة العين
كذلك واما حسن القول الثاني فلمراعاة الخبر الوارد فيه والجري على ظاهره فمن ثقلت موازينه انما جمع الموازين لانه
يجوز ان يكون لكل نوع من انواع الطاعات يوم القيمة ميزان ويجوز ان يكون ميزان صنفا من اصناف اعماله ويؤيد
هذا ما جاء في الخبر ان الصلوة ميزان فمن وفى استوفى فاولئك هم المفلحون اي الفائزون بثواب الله ومن خفت
موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم بان استحقوا العذاب الابد بما كانوا بآياتنا يظلمون اي يجحدون بما جاء به
محمد صلى الله عليه وآله من آياتنا وحججنا والخسران ذهاب راس المال ومن اعظم راس المال النفس فاذا اهلك نفسه
بسوء عمله فقد خسر نفسه قوله عز وجل ولقد مكناكم في الارض وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون ولقد
خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملئكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين آيتان القراءة
واكثر القراء معايش بغير همز وروى بعضهم عن نافع معائش ممدودا مهموزا الحجة قال ابو علي معايش جمع معيشة والاصل
معيشة لانه على وزن تعيش وزيادته زيادة تختص الاسم دون الفعل فلم يحتج الى الفصل بين الاسم والفعل
كما احتيج اليه فيما كانت زيادته مشتركة نحو الهمزة في اخاف وهو اخوف منك وموافقة الاسم لبناء الفعل يوجب في الاسم الاعتلال
الا ترى انهم اعلوا ابابا ونابا ويوم راح لما كان على وزن الفعل وصححوا الخوزلا وعسه ولومه لما لم يكن على مثال الفعل
فمعيشة موافقة للفعل في البناء الا ترى انه مثل تعيش في الزنة وتكسيرها يزيل مشابهته في البناء فقد علمت بذلك زوال
المعنى الموجب للاعلال في الواحد في الجمع فلزم التصحيح في التكسير لزوال المشابهة في اللفظ ولان التكسير معنى لا يكون في الفعل
انما يختص به الاسم واذا كانوا قد صححوا نحو الحولان والهيمان مع قيام بناء الفعل فيه لما لحقه من الزيادة التي يختص بها الاسم
فتصحيح قولهم معايش الذي قد زال مشابهة الفعل عنه في اللفظ والمعنى لا اشكال فيه وفي وجوب العدول عن اعلال الزنة
اعلال فهمزه لمجازه على وجه اللفظ وهو ان معيشة على وزن مصيبة فتوهمها فعيلة فهمزها كما همز مصائب ومثل ذلك مما يحمل
على الغلط قولهم في مسيل امسلة فتوهموه فعيلا وانما هو مفعل وذكر المحققون ان الهمزة في هذه الياء انما تكون اذا
كانت زائدة نحو صحيفة وصحائف وانما تهمز الياء الزائدة لانه لاحظ لها في الحركة وقد قربت من آخر الكلمة ولزمتها

الحركة فاوجوا فيها الهمز واذا اجمعت مقاماً قلت مقادم اسد وانى لقوّام مقام ولم يكن جرير ولا مولى جرير يقومها
اللغة التمكين الاعطاء ما يصح به الفعل مع رفع المنع لان الفعل كما يحتاج الى القدرة فقد يحتاج الى آلة والى دلالة والى
سبب ويحتاج الى ارتفاع المنع فالتمكين عبارة عن جميع ذلك والجعل ايجاد ما به يكون الشيء على خلاف ما كان عليه مثل
ان تقول جعلت الساكن متحركا لانك فعلت فيه الحركة ونظيره التصيير وجعل الشيء اعم من حدوثه لانه قد يكون الحدوث
غيره مما تغيره والمعيشة ما يكون وصلة الى ما فيه الحيوة من جهة المطعم والمشرب والملبس والخلق احداث الشيء
على تقدير تقتضيه الحكمة والتصوير جعل الشيء على صورة من الصور والصورة بنية مقومة على هيئة ظاهرة والسجود
اصله الانخفاض وحقيقته وضع الجبهة على الارض الاعراب قليلا نصب بيشكرون وتقديره تشكرون قليلا وما زائدة
ويجوز ان يكون ما بعدها بمنزلة المصدر فيكون قليلا شكركم المعنى ثم ذكر سبحانه نعمه على البشر بالتمكين في الارض وما خلق
فيها من الارزاق مضافة الى نعمه السابقة عليهم بانزال الكتب وارسال الرسل فقال ولقد مكناكم في الارض اي مكناكم
من التصرف فيها ومكناكم منها وجعلناها لكم قرارا وجعلنا لكم فيها معايش اي ما تعيشون به من انواع الرزق
ووجوه النعم والمنافع وقيل يريد المكاسب والاقدار عليها بالعلم والقدرة والالات قليلا ما تشكرون اي انتم
مع هذه النعم التي انعمنا بها عليكم لتشكروا اقل شكركم ثم ذكر سبحانه نعمته في ابتداء الخلق فقال ولقد خلقناكم ثم صورناكم
قال الاخفش ثم ههنا في معنى الواو وقال الزجاج وهذا خطأ لا يجيزه الخليل وسيبويه وجميع من يوثق بعلمه انما ثم للشيء
الذي يكون بعد المذكور قبله لا غير وانما المعنى في هذا الخطاب ذكر ابتداء الخلق اولا فالمراد انا بدأنا خلق آدم
ثم صورناه فابتداء خلق آدم التراب ثم وقعت الصورة بعد ذلك فهذا معنى خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة
اسجدوا لآدم بعد الفراغ من خلق آدم فثم انما هو لما بعد وهذا مروي عن الحسن ومن كلام العرب فعلنا بكم كذا
وكذا وهم يعنون اسلافهم وفي التنزيل واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا اي ميثاق اسلافكم وقيل
في ذلك اقوال اخر منها ان معناه خلقنا آدم ثم صورناكم في ظهره ثم قلنا للملائكة عن ابن عباس ومجاهد والربيع
وقتادة والسدي ومنها ان الترتيب واقع في الاخبار فكانه قال خلقناكم ثم صورناكم ثم انا نخبركم انا قلنا للملائكة
اسجدوا لآدم كما يقول القائل انا راجل ثم انا مسرع وفي هذا قول جماعة من النحويين منهم علي بن عيسى وابو سعيد السيرافي
وغيرهما وعلى هذا ايضا قيل ان المعنى خلقناكم في اصلاب الرجال ثم صورناكم في ارحام النساء عن عكرمة وقيل
خلقناكم في الرحم ثم صورناكم بشق السمع والبصر وساير الاعضاء عن يمان وقول الشاعر سالت ربيعة من خيرها ابا
ثم اما فقالت لمه فمعناه لتجيب اولا عن الاب ثم الام وقوله فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين قد مضى الكلام
فيه في سورة البقرة قوله عز وجل قال ما منعك الا تسجد اذ امرتك قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين قال
فاهبط منها فما يكون لك ان تتكبر فيها فاخرج انك من الصاغرين آيتان اللغة الصاغر الذليل بصغر القدر يقال
صغر يصغر صغرا وصغارا فهو صاغر اذا رضي بالضيم ومن الصغر ضد الكبر صغر يصغر ابن السكيت يقال فلان صغرة
ولد ابيه اي اصغرهم الاعراب ما في قوله ما منعك مرفوع الموضع والمعنى اي شيء منعك ولا ملغى في قوله الا تسجد المعنى ما منعك
ان تسجد ومثله قوله سبحانه لئلا يعلم ومعناه لان يعلم وقال الشاعر ابى جوده لا البخل واستعجلت به نعم من فتى لا يمنع الجود
قاتله قالوا معناه ابى جوده البخل وقال ابو عمرو بن العلاء الرواية ابى جوده لا البخل بالجر ومعناه ابى جوده لا التي
تبخل الانسان وقال الزجاج واري فيه وجها آخر حسنا وهو ان يكون لا غير لغو ويكون البخل منصوبا بدلا والمعنى ابى جوده
لا التي هي البخل فكانه قال ابى جوده البخل وقد قيل انما دخلت لا في قوله الا تسجد لان معناه ما دعاك الى ان لا تسجد او
ما احوجك الى ان لا تسجد المعنى ثم حكى سبحانه خطابه لابليس حين امتنع من السجود لآدم بقوله قال اي قال الله تعالى ما منعك الا تسجد

اي ما دعاك الى ان لا تسجد وما اضطرك اليه او ما منعك ان تسجد اذ امرتك بالسجود لآدم وقال ابليس انا خير منه اي من
آدم خلقتني من نار وخلقته من طين وهذا الجواب غير مطابق لانه كان يجب ان يقول منعني كذا الا ان قوله انا خير منه
جواب لمن يقول ايكما خير ولكن فيه معنى الجواب ويجري ذلك مجرى ان يقول القائل لغيره كيف كنت فيقول انا صالح
وكان يجب ان يقول كنت صالحا لكنه جاز ذلك لانه افاد انه صالح في الحال مع انه كان صالحا فيما مضى قال ابن عباس
اول من قاس ابليس فاخطأ القياس فمن قاس الدين بشيء من رايه قرنه الله بابليس قال ابن سيرين اول من
قاس ابليس وما عبدت الشمس والقمر الا بالمقاييس ووجه دخول الشبهة على ابليس انه ظن ان النار اذا كانت
اشرف من الطين لم يجز ان يسجد الاشرف للادون وهذا خطأ لان ذلك تابع لما يعلم سبحانه من مصالح العباد
وقيل ايضا ان الطين خير من النار لانه اكثر منافع للخلق من حيث ان الارض مستقر الخلق وفيها معايشهم ومنها
تخرج انواع ارزاقهم والخيرية انما يراد بها كثرة المنافع دون كثرة الثواب لان الثواب لا يكون الا للمكلف المولود
دون الجماد قال اي قال الله سبحانه لابليس فاهبط اي انزل واهبط منها اي من السماء عن الحسن وقيل من الجنة
وقيل معناه انزل عما انت عليه من الدرجة الرفيعة والمنزلة الشريفة التي هي درجة متبعي امر الله وحافظي حدوده
الى الدرجة الدنية التي هي درجة العاصين المضيعين امر الله فما يكون لك ان تتكبر عن امر الله فيها اي في الجنة
او في السماء فانها ليست بموضع المتكبرين وانما موضعهم النار كما قال اليس في جهنم مثوى للمتكبرين فاخرج من
المكان الذي انت فيه او المنزلة التي انت عليها انك من الصاغرين اي من الاذلاء بالمعصية في الدنيا لان العاصي
ذليل عند من عصاه او بالعذاب في الآخرة لان المعذب ذليل وهذا الكلام انما صدر من الله سبحانه على لسان
بعض الملائكة عن الجبائي وقيل ان ابليس راى معجزة تدل على ان ذلك كلام الله وقوله سبحانه فما يكون لك ان
تتكبر فيها لا يدل على انه لا يجوز التكبر في غير الجنة فان التكبر لا يجوز على حال لانه اظهار كبر النفس على جميع الاشياء
وهذا في صفة العباد ذم وفي صفة الله سبحانه مدح الا ان ابليس تكبر على الله سبحانه في الجنة فاخرج منها قسرا ومن تكبر
خارج الجنة منع من ذلك بالامر والنهي قوله عز وجل قال انظرني الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين قال
فبما اغويتني لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم
ولا تجد اكثرهم شاكرين اربع آيات اللغة الانظار والامهال والتاخير والتاجيل نظائر وبينها فروق وضد الامهال الاعجال
والبعث الاطلاق والامر الانبعاث الانطلاق والبعث الحشر والنشر والجمع نظائر الاعراب لاقعدن جواب القسم
والمقسم محذوف لان عرضه بالكلام التاكيد وهو ضد قوله ص والقرآن ذي الذكر فانه حذف الجواب هناك وبقي
القسم لان الغرض تعظيم المقسم به ونصب صراطك على الحذف دون الظرف وتقديره على صراطك كما قيل ضرب زيد
الظهر والبطن وقال الشاعر لدن بهز الكف يعسل متنه فيه كما عسل الطريق الثعلب وقال آخر كان اذا سعى لا اظفر طائرا
مع النجم في جو السماء يصوب اي لا اظفر على طائر المعنى قال يعني ابليس انظرني اي امهلني واخرني في الاجل ولا تمتني الى
يوم يبعثون اي يبعث الخلق من قبورهم للجزاء وقيل معناه انظرني في الجزاء الى يوم القيامة فانه خاف ان يعاجله
الله سبحانه بالعقوبة يدل عليه قوله الى يوم يبعثون ولم يقل الى يوم يموتون ومعلوم ان الله تعالى لا يبقي احدا حيا الى يوم القيمة
قال الكلبي اراد الخبيث ان لا يذوق الموت في النفخة الاولى مع من يموت فاجيب بالانظار الى يوم الوقت المعلوم وهي النفخة
الاولى ليذوق الموت بين النفختين وهو اربعون سنة واما الوجه في مسألة ابليس الانظار مع علمه انه مطرود ملعون
فعلمه بان الله سبحانه يتظاهر الى عباده بالنعم ويعمهم بالفضل والكرم ولم يصرفه ارتكابه المعصية عن المسألة والطمع في الاجابة
قال اي قال سبحانه لابليس انك من المنظرين اي من المؤخرين قال ابليس لما لعنه الله وطرده ثم سأل الانظار فاجابه الله
تعالى الى ذلك فبما اغويتني اي فبالذي اغويتني قيل في معناه اقوال احدها ان معناه بما خيبتني من رحمتك وجنتك

انمن تلق كما قال الشاعر فمن يلق خيرا يحمد الناس امره ومن يغو لا يعدم على الغي لائما اي ومن يخب وثانيها ان المراد امتحنني
بالسجود لادم فغويت فلذلك قال اغويتني كما قال فزادتهم رجسا الى رجسهم وثالثها ان معناه حكمت بغوايتي
كما يقال اضللتني اي حكمت بضلالتي عن ابن عباس وابن زيد ورابعها ان معناه اهلكتني بلعنك اي كما قال الشاعر معطف
الاثار لبسوفصلها برادها اولا ميت غوي اي ولا ميت هلكا بالقعود عن شرب اللبن ومنه قوله فسوف
يلقون غيا اي هلاكا وقيل غوي الفصيل اذا فقد اللبن فمات والمصدر غوى مقصور وخامسها ان يكون الكلام على ظاهره
من الغواية ولا يبعد ان يكون ابليس قد اعتقد ان الله سبحانه يغوي الخلق بان يضلهم ويكون ذلك من جملة ما كان
اعتقده من الشر لاقعدن اي لاجلسن لهم اي لاولاد ادم صراطك المستقيم اي على طريقك المستقيم وهو طريق الحق لاصدهم
عنه بالاغواء حتى اصرفهم الى طريق الباطل كيدا لهم وعداوة وقول من قال انه لو كان ما يفعل به الايمان وهو بعينه ما يفعل
به الكفر لكان قوله فبما اغويتني مساويا لقوله لو قال فبما اصلحتني نفسك باب صفة الآلة اذا وقع بها الكفر خلاف صفتها
اذا وقع بها الايمان وان كانت الالة واحدة كما ان السيف واحد ويصلح لان يستعمل في قتل المومن كما يصلح لان يستعمل
في قتل الكافر ولا بعد من ذلك ان يكون الصفتان واحدة من اجزائه واحد فلا يمتنع ان يكون متى استعمل الة الايمان
في الضلال والكفر يسمى اغواء وان استعملت في الايمان سميت هداية وان كان ما يصح به الايمان هو بعينه ما يصح به
الكفر والضلال ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم عن ابن عباس وقتاده
والسدي وابن جريج تلخيصه اني ازين لهم الدنيا واخوفهم بالفقر واقول لهم لا جنة ولا نار ولا بعث ولا حساب
واثبطهم عن الحسنات واشغلهم عنها واحبب اليهم السيئات واحثهم عليها قال ابن عباس وانما لم يقل من فوقهم لان فوقهم
جهة نزول الرحمة من السماء فلا سبيل له الى ذلك ولم يقل من تحت ارجلهم لان الاتيان منه موحش وثانيها ان معنى من بين
ايديهم وعن ايمانهم من حيث يبصرون ومن خلفهم وعن شمائلهم من حيث لا يبصرون عن مجاهد وثالثها ما روي
عن ابي جعفر عليه السلم قال ثم لآتينهم من بين ايديهم معناه اهون عليهم امر الآخرة ومن خلفهم امرهم بجمع الاموال
والبخل بها عن الحقوق لتبقى لورثتهم وعن ايمانهم افسد عليهم امر دينهم بتزيين الضلالة وتحسين الشبهة وعن
شمائلهم بتحبيب اللذات اليهم وتغليب الشهوات على قلوبهم وانما دخلت من في القدام والخلف وعن في الشمال واليمين
لان في القدام والخلف معنى طلب النهاية وفي اليمين وفي الشمال الانحراف عن الجهة ولا تجد اكثرهم شاكرين هذا اخبار
من ابليس ان الله تعالى لا يجد اكثر خلقه شاكرين وقيل انه يمكن ان يكون قد قال ذلك من احد وجهين اما من جهة
الملائكة باخبار الله تعالى اياهم واما عن ظن منه كما قال سبحانه ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فانه لما استنزل آدم ظن ان
ذريته ايضا سيجيبونه لكونهم اضعف منه والقول الاول اختيار الجبائي والثاني عن الحسن وابي مسلم قوله عز وجل قال
اخرج منها مذؤما مدحورا لمن تبعك منهم لاملأن جهنم منكم اجمعين ويا آدم اسكن انت وزوجك
الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما
ما ووري عنهما من سوآتهما وقال ما نهيكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين
وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين اربع ايات القراءة في الشواذ قراءة الزهري مذوما على تخفيف الهمزة وقرا ابو جعفر
وشيبة سواتهما بتشديد الواو وهو قراءة الحسن والزهري وقرا ابن محيصن هذي الشجرة الحجة الوجه في
تخفيف السوءة انه حذف الهمزة والقى حركتها على الواو فقال السوة ومنهم من يقول السوه وهو اردى اللغتين واما
هذي الشجرة فانه الاصل في الكلمة وانما الهاء في ذه بدل من الياء في ذي واما الياء اللاحقة بعد الهاء في هذه ونحوه
فزائدة لحقت بعد الهاء تشبيها لها بهاء الاضمار في نحو مررت به اللغة الذام والذم اشد العيب يقال ذامه يذامه ذاما
فهو مذووم وذامه يذيمه ذيما وذاما فهو مذيم قال الشاعر وصحبتك اذ عيني عليها غشاوة فلما انجلت قطعت نفسي

اذيمها وفي رواية الومها والدحر الدفع على وجه الهوان والاذلال دحره يدحره دحرا ودحورا والوسوسة الدعاء
الى امر بصوت خفي كالهيمنة والخشخشة قال رؤبة وسوس يدعو مخلصا رب الفلق سرا وقد اون تاويب العقق
وقال الاعشى تسمع للحلي وسواسا اذا انصرفت كما استعان بريح عشرق زجل والابداء الاظهار وهو جعل الشي على صفة
ما يصح ان يدرك وضده الاخفاء وكل شي انبل عند السارق فقد ابدي والمواراة جعل الشي وراء ما يستره ومثله المساترة
وضده المكاشفة ولم يهمز ووري لان الثانية مدة ولولا ذلك لوجب همز الواو المضمومة والسوءة الفرج لانه يسوء صاحبه
اظهاره واصل القسم من القسمة قال الاعشى بني ثعلبة رضيعي لبان ثدي ام تقاسما باسحم داج عوض لا نتفرق والمقاسمة
لا تكون الا بين اثنين والقسم كان من ابليس لا من ادم فهو من باب عاقبت اللص وطارقت النعل وعافاه الله وقيل ان
في جميع ذلك معنى المقابلة والمعاقبة المقابلة بالجزاء وكذلك المعافاة ومقابلة المرض بالسلامة فكذلك المقاسمة
مقابلة في المنازعة باليمين والنصح نقيض الغش يقال نصحه ينصحه وهو اخلاص الفاعل ضميره فيما يظهر من عمله الاعراب
لمن تبعك منهم لاملان اللام الاولى لام الابتداء والثانية لام القسم ومن شرط وهو في موضع رفع بالابتداء
ولا يجوز ان يكون هنا بمعنى الذي لانه لا ينقلب الماضي الى الاستقبال وحذف الجزاء في قوله لمن تبعك لان جواب
القسم اولى بالذكر من حيث انه في صدر الكلام ولو كان القسم في حشو الكلام لكان الجزاء احق بالذكر من جواب
القسم كقولك ان تاتني والله اكرمك ويجوز ان تقول والله من جاءك اضربه بمعنى لا اضربه ولم يجز بمعنى لاضربنه كما يجوز
والله اضرب زيدا بمعنى لا اضرب ولا يجوز بمعنى لاضربن لان الايجاب لا بد فيه من نون التاكيد مع اللام وانما قال
منكم على تغليب الخطاب على الغيبة والمعنى لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم كما قال في موضع اخر وقوله الا ان تكونا
تقديره الا كراهة ان تكونا ملكين فحذف المضاف فهو في موضع نصب بانه مفعول له وقيل ان تقديره لئلا تكونا فحذف
لا والاول الصحيح وقوله اني لكما لمن الناصحين ولا يكون قوله لكما متعلقا بالناصحين لان ما في الصلة لا يجوز ان يتقدم على
الموصول ومثله قوله وانا على ذلكم من الشاهدين وتقديره وانا على ذلكم شاهد وبينه بقوله من الشاهدين المعنى
ثم بين تعالى ما فعله بابليس من الاهانة والاذلال وما اتاه ادم من الاكرام والاجلال بقوله قال اخرج منها اي من الجنة
او من السماء او من المنزلة الرفيعة مذؤوما اي مذموما عن ابن زيد وقيل معيبا عن المبرد وقيل مهانا لعينا عن ابن عباس
وقتاده مدحورا اي مطرودا عن مجاهد والسدي لمن تبعك منهم اي من بني ادم معناه من اطاعك واتبعك من
بني ادم لاملان جهنم منكم اي منك ومن ذريتك وكفار بني ادم اجمعين وانما جمعهم في الخطاب لانه لا يكون في جهنم الا ابليس
وحزبه من الشياطين وكفار الانس وضلالهم الذين انقادوا له وتركوا امر الله لاتباعه ويا آدم اسكن انت وزوجك
الجنة هذا امر بالسكنى دون السكون وانما لم يقل وزوجك لان الاضافة اليه قد اغنت عن ذكره وانا بين معناه
فكان الحذف احسن لما فيه من الايجاز من غير اخلال المعنى فكلا من حيث شئتما اباح سبحانه لهما الاكل من حيث
شاءا واين شاءا ما شاءا ولا تقربا هذه الشجرة بالاكل فتكونا من الظالمين اي من الباخسين نفوسهم الثواب العظيم
وقد مضى تفسير هذه الاية مشروحا في سورة البقرة فوسوس لهما اي لآدم وحواء الشيطان الفرق بين وسوس له ووسوس اليه
ان معنى وسوس اليه انه القى الى قلبه المعنى بصوت خفي ومعنى وسوس له انه اوهمه النصيحة له في ذلك ليبدي لهما اي ليظهر لهما
ما ووري اي ستر عنهما من سوآتهما اي عوراتهما وهذا الظاهر يوجب ان يكون ابليس علم ان من اكل من هذه الشجرة بدت عورته
وان من بدت عورته لا يترك في الجنة فاحتال في اخراجهما منها بالوسوسة وقال ما نهيكما ربكما عن هذه الشجرة اي عن اكل هذه
الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين والمعنى انه اوهمهما انهما اذا اكلا من هذه الشجرة تغيرت صورتهما
الى صورة الملك وان الله قد حكم بذلك وبان لا تبيد حياتهما اذا اكلا منها وروى يحيى بن ابي كثير انه قرا ملكين بكسر اللام
وقال الزجاج قوله هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى يدل على ملكين واحسبه قد قرئ به ويحتمل ان يكون المراد بقوله الا ان تكونا

ملكين اذا وهما ان المعنى المنهي عن تناول الشجرة الملائكة خاصة والخالدين دونهما فيكون كما يقول احدنا لغيره ما نهيت
عن كذا الا تكون فلانا وانما يريد ان المنهي انما هو فلان دونك وهذا المعنى اوكد في الشبهة واللبس عليهما ذكره المرتضى
قدس الله روحه وقاسمهما اي وحلف لهما بالله تعالى حتى خدعهما عن قتادة اني لكما لمن الناصحين اي المخلصين النصيحة في
دعائكما الى التناول من هذه الشجرة واستدل جماعة من المعتزلة بقوله الا ان تكونا ملكين على ان الملائكة افضل من الانبياء قالوا
لان ابليس رغبهما بالتناول من الشجرة في منزلة الملائكة حتى تناولا ولا يجوز ان يرغب عاقل في ان يكون على منزلة دون
منزلته فيحمله ذلك على معصية الله تعالى واجاب عنه المرتضى رض بان قال ما انكرتم ان تكون الآية محمولة على الوجه الثاني
الذي ذكرناه دون ان يكون معناه ان تنقلبا الى صفة الملائكة واذا كانت الآية محتملة لما ذكروه ايضا فما يرفع هذه الشبهة
ان يقال لما انكرتم ان تكونا رغبا في ان ينقلبا الى صفة الملائكة وخلقهم لما رغبهما ابليس في ذلك ولا يدل هذه الرغبة على
ان الملائكة افضل منهما فان الثواب انما يستحق على الطاعات دون الصور والهيئات ولا يمتنع ان يكونا رغبا في صورة
الملائكة وهيآتهما ولا يكون ذلك رغبة في الثواب ولا الفضل الا ترى انهما رغبا في ان يكونا من الخالدين وليس الخلود مما يقتضي
مزية في الثواب ولا الفضل قوله عز وجل فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما
من ورق الجنة وناداهما ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة واقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين قالا ربنا ظلمنا انفسنا
وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين قال
فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون اربع آيات القراءة قرا اهل الكوفة غير عاصم تخرجون بفتح التاء وفي الروم والزخرف
والجاثية وقرا الباقون جميع ذلك بضم التاء وفتح الراء الحجة من قرا بالفتح فحجته اتفاق الجميع في قوله اذا دعاكم دعوة من الارض
اذا انتم تخرجون بفتح التاء وقوله الى ربهم ينسلون نوديه ايضا وقوله كما بداكم تعودون ومن قرا بالضم فحجته قوله ايعدكم
انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون وقوله كذلك تخرج الموتى اللغة دلاهما قيل اصله من دلية الدلو وهو ان يرسلها
في البئر والغرور اظهار النصح مع ابطان الغش واصله الغر طي الثوب يقال اطوه على غره اي على كسر طيه فالغرور بمنزلة
لما فيه من اظهار حال واخفاء حال وطفق يفعل كذا بمعنى جعل يفعل ومثله ظل يفعل وابتداء يفعل واحد والخصف اصله
الضم والجمع ومنه خصف النعل والمخصف المثقب الذي يخصف به النعل ومنه قول النبي صلى الله عليه وآله لكنه خاصف
النعل في الحجرة يعني عليا عليه السلام والاختصاف سرعة العدو لانه يقطعه والبعض هو احد قسمي العدة فاذا قسم العشرة بعضها
واحد فقسم الاثنين كذلك ولا بعض للواحد لانه لا ينقسم علي بن عيسى قال العدو هو النائي بنصرته في وقت الحاجة الى معونته
والولي هو الداني بنصرته في وقت الحاجة اليها والمستقر هو موضع الاستقرار وهو ايضا الاستقرار بعينه لان المصدر يجيء على زنة
المفعول والمتاع الانتفاع بما فيه عاجل استلذاذ والحين الوقت قصيرا كان او طويلا الا انه استعمل هنا على طول الوقت
وليس باصل فيه المعنى فدلاهما بغرور اي اوقعهما في المكروه بان غرهما بيمينه وقيل معناه دلاهما من الجنة الى الارض وقيل
معناه خذلهما ودلاهما من قولهم تدلى من الجبل او السطح اذا نزل الى جهة السفل عن ابي عبيدة اي حطهما عن درجتهما بغروره
فلما ذاقا الشجرة اي ابتدءا بالاكل وتناولا منها شيئا يسيرا وكذلك اي بلفظة ذاقا عبارة عن انهما تناولا شيئا قليلا من ثمر الشجرة
على خوف شديد لان الذوق ابتداء الاكل والشرب ليعرف الطعم وفي هذا دلالة على ان ذوق الشيء المحرم يوجب الذم فكيف
استيفاؤه وقضاء الوطر منه بدت لهما سوآتهما اي ظهرت لهما عوراتهما وظهر لكل واحد منهما عورة صاحبه قال الكلبي فلما اكلا
منها تهافت لباسهما عنهما فابصر كل منهما سوءة صاحبه فاستحييا وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة اي اخذا يجعلان
ورقة على ورقة ليسترا سوآتهما عن الزجاج وقيل معناه جعلا يرقعان ويصلان عليهما من ورق الجنة وهو ورق التين حتى
صار كهيئة الثوب عن قتادة وهذا انما كان لان المصلحة اقتضت اخراجهما من الجنة واهباطهما الى الارض لا على وجه العقوبة
فان الانبياء لا يستحقون العقوبة وقد مضى الكلام فيه في سورة البقرة وناداهما ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة اي عن تلك

الشجرة ولكنه لما خاطب ابليس قال تلكما والكاف حرف الخطاب واقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين ظاهر المعنى قالا اي
قال آدم وحواء لما عاتبهما الله سبحانه ووبخهما على ارتكاب المنهي عنه ربنا ظلمنا انفسنا ومعناه بخسناها الثواب بترك المندوب
اليه فالظلم هو النقص ومن ذهب الى انهما فعلا صغيرة فانه يحمل الظلم على نقص الثواب اذا كانت الصغيرة تنقص من ثواب الطاعات
فاما من قال ان الصغيرة تقع مكفرة من غير ان تنقص من ثواب فاعلها شيئا فلا يتصور هذا المعنى عنده ولا يثبت في الآية
فائدة فلا خلاف ان آدم وحواء لم يستحقا العقاب وانما قالا ذلك لان من زل في الدين قد يكبر عليه بعد الزلل ندمه
وقيل معناه ظلمنا انفسنا بالنزول الى الارض ومفارقة العيش الرغد وان لم تغفر لنا معناه وان لم تستر علينا لان المغفرة
هي الستر على ما تقدم بيانه وترحمنا اي ولم تتفضل علينا بنعمتك التي تتم بها ما فوتناه نفوسنا من الثواب وبضروب فضلك
لنكونن من الخاسرين اي من جملة من خسر ولم يربح والانسان يصح ان يظلم نفسه بان يدخل عليها ضررا غير مستحق ولا يدفع
عنها ضررا اعظم منه ولا يجتلب به منفعة توفي عليه ولا يصح ان يكون معاقبا لنفسه قلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في
الارض مستقر ومتاع الى حين قد مر تفسيره في سورة البقرة قال سبحانه فيها تحيون اي في الارض تعيشون وفيها تموتون
ومنها تخرجون عند البعث يوم القيامة قال الجبائي في الآية دلالة على ان الله سبحانه يخرج العباد يوم القيامة من هذه الارض
التي حيوا فيها بعد موتهم وانه يفنيها بعد ان يخرج العباد منها يوم الحشر واذا اراد افناءها زجرهم عنها زجرة فيصيرون الى
ارض اخرى يقال لها الساهرة ويفني هذه كما قال فاذا هم بالساهرة قوله عز وجل يا بني آدم قد انزلنا عليكم لباسا يواري
سوآتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما
اخرج ابويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم انا جعلنا الشياطين
اولياء للذين لا يؤمنون واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها قل ان الله لا يامر بالفحشاء
اتقولون على الله ما لا تعلمون ثلث آيات القراءة قرا اهل المدينة وابن عامر والكسائي ولباس بالنصب والباقون
بالرفع الحجة قال ابو علي اما النصب فلانه حمل على انزل اي انزلنا عليكم لباسا ولباس التقوى وقوله ذلك على هذا مبتدا وخبره
خير ومن رفع فقطع لباس التقوى من اللباس الاول واستانف فجعله مبتدا وذلك صفة او بدل او عطف بيان
ومن قال ان ذلك لغو لم يكن على قوله دلالة لانه يجوز ان يكون على احد ما ذكرناه وخبر لباس والمعنى لباس التقوى
خير لصاحبه اذا اخذ به واقرب له الى الله تعالى مما خلق من اللباس والرياش الذي يتجمل به واضيف اللباس الى التقوى
كما اضيف في قوله فاذاقها الله لباس الجوع الى الجوع والخوف اللغة اللباس كل ما يصلح للبس من ثوب او غيره من نحو الدرع
وما يغشى به البيت من نطع او كسوة واصله المصدر يقول لبسه يلبسه لبسا ولباسا ولبسا بكسر اللام قال الشاعر فلما كشف اللبس
عنه مسحته باطراف طفل زان غيلا موشما والغيل الساعد الريان الممتلئ والريش والاثاث من متاع البيت من فراش
او دثار وقيل الريش ما فيه الجمال ومنه ريش الطائر وقيل انه المصدر من راشه يريشه ريشا وانشد سيبويه فريشي منكم
وهواي معكم وان كانت زيارتكم لماما قال الزجاج الريش كل ما ستر الرجل في جسمه ومعيشته يقال تريش فلان اي صار له ما يعيش
به وتقول العرب اعطيته رجلا بريشه اي بكسوته وقال ابو عبيدة الريش والرياش ما ظهر من اللباس والفتنة الابتلاء والامتحان
يقال فتنت الذهب بالنار امتحنته وقيل فاتن اي مفتون قال الشاعر رخيم الكلام قطيع القيام امسى فؤادي بها فاتنا والقبيل الجماعة
من جيل شتى فاذا كانوا من اب واحد فهم القبيلة المعنى لما ذكر سبحانه نعمته على بني آدم في تبوئة الدار والمستقر عقبه بذكر النعمة في اللباس
والستر فقال يا بني آدم وهو خطاب عام لجميع اهل الازمنة من المكلفين كما يوصي الانسان ولده وولد ولده بتقوى الله ويجوز
خطاب المعدوم اذا كان من المعلوم انه سيوجد ويتكامل فيه شروط التكليف قد انزلنا عليكم لباسا قيل انه انزل ذلك مع آدم
وحواء حين امرا بالاهباط عن الجبائي وهو الظاهر وقيل معناه انه نبت بالمطر الذي نزل من السماء عن الحسن وقيل لان البركات
ينسب الى انها ياتي من السماء كقوله وانزلنا الحديد فيه باس شديد عن علي بن عيسى وقيل معنى انزلنا عليكم اعطيناكم ووهبنا لكم

وكل ما اعطاه الله تعالى لعبده فقد انزله عليه ليس ان هناك علوا وسفلا ولكنه يجري مجرى التعظيم كما يقال رفعت حاجتي الى فلان ورفعت قصتي الى الامير عن ابي مسلم وقيل معناه خلقنا لكم كما قال وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج وانزلنا الحديد عن ابي علي الفارسي لباسا يواري سوآتكم اي يستر عوراتكم وريشا اي اثاثا مما تحتاجون اليه وقيل مالا عن ابن عباس ومجاهد والسدي وقيل جمالا عن ابن زيد وقيل خصبا ومعاشا عن ابن زيد الاخفش وقيل خيرا وكل ما قاله المفسرون فانه يدخل فيه الا ان كلا منهم خص بعض الخير بالذكر ولباس التقوى هو العمل الصالح عن ابن عباس وقيل هو الحياء الذي يكسبكم التقوى عن الحسن وقيل هي ثياب النسك والتواضع اذا اقتصر عليه بلباس الصوف والخشن من الثياب عن الجبائي وقيل هو لباس الحرب الدرع والمغفر والالات التي يتقى بها من العدو وعن زيد بن علي بن الحسين عليهم السلام وابي مسلم وقيل هو خشية الله تعالى عن عروة بن الزبير وقيل هو ستر العورة يتقي الله ويواري عورته عن ابن زيد وقيل هو الايمان عن قتادة والسدي ولا مانع من حمل ذلك على الجميع ذلك خير اي لباس التقوى خير من جميع ما يلبس ذلك من آيات الله اي ذلك الذي خلقه الله وانزله من الحجج التي تدل على توحيده لعلهم يذكرون معناه لكي يتفكروا فيها فيؤمنوا بالله ويصيروا الى طاعته وينتهوا عن معاصيه ثم خاطبهم سبحانه مرة اخرى فقال يا بني ادم لا يفتننكم الشيطان اي لا يضلنكم عن الدين ولا يصرفنكم عن الحق بان يدعوكم الى المعاصي التي تميل اليها النفوس وانما صح ان ينهى الانسان بصيغة النهي للشيطان لانه ابلغ في التحذير من حيث يقتضي انه يطلبنا بالمكروه ويقصدنا بالعداوة فالنهي له يدخل فيه النهي لنا عن ترك التحذير منه كما اخرج ابويكم من الجنة فنسب الاخراج اليه لما كان باغوائه وان كان خروجهما بامر الله تعالى وجرى ذلك مجرى ذمه لفرعون بانه يذبح ابناءهم وانما امر بذلك وتحقيق الذم فيهما راجع الى فعل المذموم ولكنه بهذه الصفة ليبان منزلة فعله في عظم الفاحشة ينزع عنهما عند وسوسته ودعائه لهما لباسهما من ثياب الجنة وقيل كان لباسهما الظفر عن ابن عباس اي كان شبه الظفر وعلى خلقه وقيل كان لباسهما نورا عن وهب بن منبه ليريهما سوآتهما عوراتهما انه يعني الشيطان يراكم هو وقبيله اي نسله عن الحسن وابن زيد يدل عليه قوله افتتخذونه وذريته اولياء من دوني وقيل جنوده واتباعه عن الحسن والشياطين من حيث لا ترونهم قال ابن عباس ان الله تعالى جعلهم يجرون من بني ادم مجرى الدم وصدور بني ادم مساكن لهم كما قال الذي يوسوس في صدور الناس فهم يرون بني ادم وبنو ادم لا يرونهم وقال قتادة والله ان عدوا يراك من حيث لا تراه لشديد المؤونة الا من عصم الله وانما قال ذلك لانا اذا كنا لا نراهم لم نعرف قصدهم لنا بالكيد والاغواء فينبغي ان نكون على حذر مما نجده في انفسنا من الوساوس خيفة ان يكون ذلك من الشيطان وانما لا يراهم البشر لان اجسامهم شفافة لطيفة تحتاج في رؤيتها الى فضل شعاع وقال ابو الهذيل وابو بكر الاخشيد يجوز ان يمكنهم الله سبحانه فيتكثفوا فيراهم حينئذ من يحضرهم واليه ذهب علي بن عيسى وقال انهم ممكنون من ذلك وهو الذي نصره الشيخ المفيد رحمه الله تعالى قال الشيخ ابو جعفر رحمه الله وهو الاقوى عندي وقال الجبائي لا يجوز ان يرى الشياطين والجن لان الله تعالى قال لا ترونهم انما يجوز ان يروا في زمن الانبياء بان يكثف الله اجسادهم علما للانبياء كما يجوز ان يرى الناس الملائكة في زمن الانبياء انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون اي حكمنا بذلك لانهم تناصروا على الباطل كما قال وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا اي حكموا بذلك حكما باطلا وانما خص الذين لا يؤمنون تنبيها على انهم مع اجتهادهم لا يتمكنون من حال المؤمنين المتمسكين منهم وانما يتمكنون من الكفرة والجهال والفسقة الاغفال واذا فعلوا فاحشة كني به عن المشركين والذين كانوا يبدون سوآتهم في طوافهم فكان يطوف النساء والرجال عراة يقولون نطوف كما ولدتنا ولا نطوف في الثياب التي قارفنا فيها الذنوب وهم الحمس قال الفراء كانوا يعملون شيئا من سيور مقطعة فيشدونه على حقويهم يسمى حوفا وان عمل من صوف سمي رهطا وكانت تضع المرأة على قبلها النسعة فتقول اليوم يبدو بعضه او كله وما بدا منه فلا احله تعني الفرج لان ذلك لا يستر سترا تاما وفي الآية حذف تقديره واذا فعلوا فاحشة نهوا عنها قالوا وجدنا عليها اباءنا قيل ومن اين اخذها اباؤكم قالوا الله امرنا بها اخبر سبحانه عن هؤلاء الكفار انهم اذا فعلوا ما يعظم قبحه

اعتذروا لنفوسهم بانا وجدنا اباءنا يفعلونها وان آباءهم فعلوا ذلك من قبل الله وقال الحسن انهم كانوا اهل اجبار فقالوا لو كره الله ما نحن عليه لنقلنا عنه فلهذا قالوا والله امرنا بها فرد عليهم قولهم الله سبحانه بان قال ان الله لا يامر بالفحشاء ثم انكر عليهم من وجه اخر فقال اتقولون على الله ما لا تعلمون لانهم ان قالوا لا فقد نقضوا مذهبهم وان قالوا نعم افتضحوا في قولهم قال الزجاج اتقولون على الله معناه اتكذبون عليه قوله تعالى قل امر ربي بالقسط واقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تعودون فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله ويحسبون انهم مهتدون آيتان تمام الاية الاولى تعودون عند الكوفي ومخلصين له الدين عند البصري

اللغة اصل القسط العدول فاذا كان الى جهة الحق فهو عدل ومنه قوله ان الله يحب المقسطين واذا كان الى جهة الباطل فهو جور ومنه قوله واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا واصل الاخلاص اخراج كل شائب من كل الجنس ومنه اخلاص الدين لله وهو توجيه العبادة اليه خالصا دون غيره والبدء فعل الشيء اول مرة والعود فعله ثاني مرة وقد يكون فعل اول خصلة منه بدءا كبدء الصلوة وبدء القراءة وبدا وابدا الغناء والفريق جماعة انفصلت من جماعة والاتخاذ افتعال من الاخذ بمعنى اعداد الشيء لامر من الامور والحسبان بمعنى الظن وهو ما قوي عند الظان كون المظنون على ما ظنه مع تجويزه ان يكون على غيره فبالقوة يتميز من اعتقاد التقليد والتبخيت وبالتجويز يتميز من العلم لان مع العلم القطع

الاعراب واقيموا عطف على ما تقدم من قوله ولا يفتننكم الشيطان فتقديره احذروا الشيطان واقيموا وجوهكم عن ابي مسلم وقيل ان تقديره قل امر ربي بالقسط وقل اقيموا وقوله كما بدأكم قال ابو علي الفارسي تقديره كما بدأ خلقكم ثم حذف المضاف وتعودون معناه تعود خلقكم ثم حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فصار المخاطبون فاعلين وفريقا حق عليهم الضلالة نصب لعطف فعل على فعل وتقديره وفريقا اضل فاضمر اضل لانه قد فسره ما بعده فاغنى عن ذكره ونظيره قوله يدخل من يشاء في رحمته والظالمين اعد لهم عذابا اليما وقال الفراء فريقا منصوب على الحال من تعودون وفريقا الثاني عطف عليه ولو رفع على تقدير احدهما كذا والاخر كذا جاز كما قال قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة

المعنى لما بين سبحانه انه لا يامر بالفحشاء وهو اسم جامع للقبائح والسيئات عقبه ببيان ما يامر به من القسط وهو اسم جامع لجميع الخيرات فقال قل يا محمد امر ربي بالقسط اي بالعدل والاستقامة عن مجاهد والسدي واكثر المفسرين وقيل بالتوحيد عن الضحاك وقيل بلا اله الا الله عن ابن عباس وقيل لجميع الطاعات والقرب عن ابي مسلم واقيموا وجوهكم عند كل مسجد قيل فيه وجوه احدها ان معناه توجهوا الى قبلة كل مسجد في الصلوة على استقامة عن مجاهد والسدي وابن زيد وثانيها ان معناه اقيموا وجوهكم الى الجهة التي يامركم الله بالتوجه اليها في صلوتكم وهي الكعبة والمراد بالمسجد اوقات الصلوة عن الجبائي وغيره وثالثها ان المراد اذا ادركتم الصلوة في المسجد فصلوا ولا تقولوا حتى نرجع الى مسجدي والمراد بالمسجد موضع السجود عن الفراء وهو اختيار المغربي ورابعها ان معناه اقصدوا المسجد في وقت كل صلوة امرا بالجماعة لها ندبا عند الاكثرين وحتما عند الاقلين وخامسها ان معناه اخلصوا وجوهكم لله تعالى في الطاعة فلا تشركوا به وثنا ولا غيره عن الربيع وادعوه مخلصين له الدين وهذا امر بالدعاء والتضرع اليه بالدعاء والتضرع اليه سبحانه على وجه الاخلاص اي ارغبوا اليه في الدعاء بعد اخلاصكم له الدين وقيل معناه واعبدوه مخلصين له الايمان كما بدأكم تعودون قيل في وجه اتصاله بما قبله وجوه احدها ان معناه وادعوه مخلصين فانكم مبعوثون ومجازون وان بعد ذلك في عقولكم فاعتبروا بالابتداء واعلموا انه كما بدأكم في الخلق الاول فانه يبعثكم فتعودون اليه في الخلق الثاني وثانيها انه يتصل بقوله فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون فقال كما بدأكم تعودون اي فليس بعثكم باشد من ابتدائكم عن الزجاج قال وانما ذكره على وجه الحجاج عليهم لانهم كانوا لا يقرون بالبعث وثالثها انه كلام مستانف اي يعيدكم بعد الموت فيجازيكم عن ابي مسلم وقال قتادة بدأهم من التراب واليه تعودون كما قال منها خلقناكم وفيها نعيدكم وقيل معناه كما بدأكم لا تملكون شيئا كذلك تعودون يوم القيمة وروي عن النبي صلى الله

عليه وآله انه قال يحشرون يوم القيمة حفاة عراة غرلا كما بدانا اول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين وقيل معناه
يبعثون على ما تم عليه المومن على ايمانه والكافر على كفره عن ابن عباس وجابر فريقا هدى اى جماعة هدى بالاهتداء اى حكم
لهم بقبولهم للهدى او لطف لهم بما اهتدوا عنده وهداهم الى طريق الثواب كما تكرر بيانه فى مواضع وفريقا حق اى وجب
عليهم الضلالة اذ لم يقبلوا الهدى او حق عليهم الخذلان لانه لم يكن لهم لطف ينشرح له صدورهم او حق عليهم العذاب والهلاك
بكفرهم ويؤيد هذا القول الاخير انه سبحانه ذكر الهدى والضلال بعد العود والبعث ثم قال انهم اتخذوا الشياطين اولياء من
دون الله بين سبحانه انه لم يبدأهم بالعقوبة ولكن جازاهم على عصيانهم واتباعهم الشيطان فانما اتخذوهم اولياء بطاعتهم
لهم فيما دعوهم اليه ويحسبون انهم مهتدون ومعناه وهم مع ذلك يظنون انهم فى ذلك على هداية وحق قوله عز وجل
يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين قل من حرم زينة الله
التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحيوة الدنيا خالصة يوم القيمة كذلك نفصل
الآيات لقوم يعلمون آيتان القراءة قرأ نافع وحده خالصة بالرفع والباقون بالنصب الحجة قال ابو على من رفع جعله
خبر المبتدأ الذى هو هى ويكون للذين آمنوا تبيينا للخلوص ولا شىء فيه وعلى هذا قولهم هذا حلو حامض امكن ان يكون
للذين آمنوا خبرا وخالصة خبرا آخر ومن نصب خالصة كان حالا مما فى قوله للذين آمنوا الا ترى ان فيه ذكرا يعود الى المبتدأ
الذى هو هى فخالصة حال عن ذلك الذكر والعامل فى الحال ما فى اللام من معنى الفعل ووجه من رفع ان المعنى هى تخلص
للذين آمنوا يوم القيمة وان شركهم فيها غيرهم من الكافرين فى الدنيا ومن نصب فالمعنى عنده هى ثابتة للذين آمنوا
فى حال خلوصها يوم القيمة لهم وانتصاب خالصة على الحال اشبه بقوله ان المتقين فى جنات وعيون آخذين ونحو ذلك
مما انتصب الاسم فيه على الحال بعد الابتداء وخبره ما يجرى مجراه اذا كان فيه معنى فعل قال الزجاج من نصب خالصة فهو حال على
ان العامل فى قولك فى الحيوة الدنيا فى تاويل الحال كانك تقول هى ثابتة للمومنين مستقرة فى الحيوة الدنيا للذين آمنوا
خالصة على ان يكون خبر هى للذين آمنوا ويكون فى الحيوة الدنيا ظرفا والعامل فيه الظرف الذى هو قوله للذين آمنوا
والتقدير هى فى الحيوة الدنيا للمومنين مقدرا خلوصها يوم القيمة ففى هذا الوجه يجوز تقديرها مقدمة على اللام الجارة
لانه ظرف للذين آمنوا والظروف وان كان العامل فيها المعانى فان تقديمها جايز وان لم يجز ذلك فى الاحوال ويحتمل
ان يكون قوله فى الحيوة الدنيا متصلا بالصلة التى هى آمنوا وهى العاملة فيه والمعنى هى للذين آمنوا فى حيوتهم اى للذين
لم يكفروا فيها خالصة فموضع فى على هذا نصب بآمنوا ويجوز ان يكون فى الحيوة الدنيا فى موضع حال وصاحب الحال هو هى
والعامل فى الحال معنى الفعل وقوله للذين آمنوا والمعنى قل هى لهم مستقرة فى الحيوة الدنيا خالصة يوم القيمة ولا يجوز فى
هذا الوجه ولا فى الوجه الذى قبله تقدير تقديم فى الحيوة على قوله للذين آمنوا اما فى الوجه الاول فلان قوله فى الحيوة
فى صلة الذين ولا يجوز تقديم الصلة على الموصول واما فى الآخر فلانه فى موضع الحال والحال لا يجوز تقديمها اذا كان العامل
فيها معنى الفعل وهذا الوجه الثالث ذكره ابو اسحق واما قول من قرأ خالصة بالنصب جعله منصوبا على الحال على ان العامل
فى قوله فى الحيوة الدنيا على تاويل الحال الى آخر كلامه فينبغى ان يعلم ان من نصب خالصة فى قراءته جاز ان يكون فى الحيوة الدنيا
ظرفا للذين والعامل فيه معنى الفعل وجاز ان يكون متعلقا بآمنوا وظرفا له وجاز ان يكون فى موضع الحال كما ذكرنا والوجهان الاولان
لا يحتاج معهما الى تقدير شىء تعلقه بما قبله اما اذا كان ظرفا للام الجارة فمعنى الفعل يعمل فيه كما تقول لك ثوب كل يوم واذا كان
من الصلة فنفس الفعل الظاهر يعمل فيه فاما اذا جعلته حالا فانه ينبغى ان يقدر فعلا او اسم فاعل يكون فى موضع الحال ويكون
فى الحيوة متعلقا به فلا يوهمنك قول ابى اسحق الذى ذكرناه انه يلزم ان تقدر قوله فى الحيوة الدنيا فى تقدير الحال لا غير
اذا جعلت خالصة منصوبا فان الوجهين الآخرين كل واحد منهما مع نصب خالصة على الحال سايغ جايز المعنى لما تقدم
ذكر ما انعم سبحانه على عباده من اللباس والرزق امرهم فى اثرها بتناول الزينة والتسوية والاقتصار فى المأكل والمشرب فقال يا بنى

وهو خطاب لساير المكلفين خذوا زينتكم عند كل مسجد اى خذوا ثيابكم التى تتزينون بها للصلوة فى الجمعات والاعياد
عن ابى جعفر الباقر عليه السلم وقيل عند كل صلوة روى العياشى باسناده ان الحسين بن على بن ابى طالب عليه السلم كان
اذا قام الى الصلوة لبس اجود ثيابه فقيل له يا ابن رسول الله لم تلبس اجود ثيابك فقال ان الله جميل يحب الجمال فاتجمل لربى وهو
يقول خذوا زينتكم عند كل مسجد فاحب ان البس اجود ثيابى وقيل معناه خذوا ما تسترون به عوراتكم وانما قال ذلك
لانهم كانوا يتعرون من ثيابهم للطواف على ما تقدم بيانه وكان يطوف الرجال بالنهار والنساء بالليل فامر بلبس الثياب
فى الصلوة والطواف عن جماعة من المفسرين وقيل ان اخذ الزينة هو التمشط عند كل صلوة وروى ذلك عن الصادق
عليه السلم وكلوا واشربوا صورته صورة الامر والمراد الاباحة وهو عام فى جميع المباحات ولا تسرفوا اى ولا تجاوزوا
الحلال الى الحرام قال مجاهد لو انفقت مثل احد فى طاعة الله لم تكن مسرفا ولو انفقت درهما او مدا فى معصية الله كان
اسرافا وقيل معناه لا تخرجوا عن حد الاستواء فى زيادة المقدار وقد حكى ان الرشيد كان له طبيب حاذق نصرانى فقال
ذات يوم لعلى بن الحسين بن واقد ليس فى كتابكم من علم الطب شىء والعلم علمان علم الاديان وعلم الابدان
فقال له على قد جمع الله الطب كله فى نصف آية من كتابه وهو قوله كلوا واشربوا ولا تسرفوا وجمع نبينا صلى الله عليه وآله
فى قوله المعدة بيت الادواء والحمية راس كل دواء واعط كل بدن ما عودته فقال الطبيب ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس
طبا وقيل معناه ولا تاكلوا محرما ولا باطلا على وجه لا يحل واكل الحرام وان قل اسراف ومجاوزة للحد وما استقبحه
العقلاء وعاد بالضرر اليكم فهو ايضا اسراف لا يحل لمن يطبخ القدر بماء الورد ويطرح فيها المسك ومن لا يملك الا دينارا
فاشترى به طيبا فيتطيب به وترك عياله محتاجين انه لا يحب المسرفين اى يبغضهم لانه قد ذمهم به ولو كان بمعنى لا يحبهم
ولا يبغضهم لم يكن ذما لهم ولا مدحا ولما حث سبحانه على تناول الزينة عند كل مسجد وندب اليه واباح الاكل والشرب
ونهى عن الاسراف وكان قوم من العرب يحرمون كثيرا من هذا الجنس حتى انهم كانوا يحرمون السمون والالبان فى الاحرام
وكانوا يحرمون السوائب والبحائر انكر عز اسمه عليهم فقال قل يا محمد من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من
الرزق اى من حرم الثياب التى يتزين بها الناس مما اخرجه من الارض لعباده والطيبات من الرزق قيل هى المستلذات
من الرزق وقيل هى المحللات والاول اظهر لخلوصها يوم القيمة للمومنين هى للذين آمنوا فى الحيوة الدنيا خالصة
يوم القيمة قال ابن عباس يعنى ان المومنين يشاركون المشركين فى الطيبات فى الدنيا فيأكلون من طيبات طعامهم
ويلبسون من جياد ثيابهم وينكحون من صالح نسائهم ثم يخلص الله الطيبات فى الآخرة للذين آمنوا وليس للمشركين فيها شىء
وقال الفراء مجازه للذين آمنوا مشتركة فى الدنيا وهى لهم خالصة فى الآخرة وهذا معنى قول ابن عباس وقيل معناه قل هى
فى الحيوة الدنيا للذين آمنوا غير خالصة من الهموم والاحزان والمشقة وهى خالصة يوم القيمة من ذلك عن الجبائى
كذلك نفصل الآيات اى كما نميز لكم ونبين لكم بها على منافعكم وصلاح دينكم كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون وفى
هذه الآية دلالة على جواز لبس الثياب الفاخرة واكل الاطعمة الطيبة من الحلال وروى العياشى باسناده عن الحسن
بن زيد عن عمه عمر بن على عن ابيه زين العابدين على بن الحسين عليه السلم انه كان يشترى كساء الخز بخمسين دينارا
فاذا صاف تصدق به لا يرى بذلك باسا ويقول قل من حرم زينة الله الآية وباسناده عن يوسف بن ابرهيم قال
دخلت على ابى عبد الله عليه السلم وعلى جبة خز وطيلسان خز فنظر الى فقلت جعلت فداك هذا خز ما تقول فيه فقال
وما باس بالخز قلت وسداه ابريسم فقال لا باس به فقد اصيب الحسين عليه السلم وعليه جبة خز ثم قال ان عبد الله بن
عباس لما بعثه امير المومنين عليه السلم الى الخوارج لبس افضل ثيابه وتطيب باطيب طيبه وركب افضل مراكبه فخرج اليهم فواقفهم فقالوا
يا ابن عباس بينا انت خير الناس اذ اتيتنا فى لباس الجبابرة ومراكبهم فتلا هذه الآية قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده فالبس
وتجمل فان الله جميل يحب الجمال وليكن من حلال وفى الآية دلالة ايضا على ان الاشياء على الاباحة بقوله من حرم فالسمع ورد مؤكدا

لما في العقل قوله تعالى قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق وان تشركوا بالله ما لم ينزل
به سلطانا وان تقولوا على الله ما لا تعلمون ولكل امة اجل فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون
آيتان اللغة التحريم هو المنع من الفعل باقامة الدليل على وجوب تجنبه وضده التحليل وهو الاطلاق في الفعل بالبيان عن جوازه
تناوله واصل التحريم المنع من قولهم حرم فلان الرزق حرمانا فهو محروم واحرم بالحج وحرمة الرجل زوجته والحرمات الجنايات
والمحرم القرابة التي لا يحل تزوجها وحرم الدار ما كان من حقوقها والفواحش جمع فاحشة وهو اقبح القبائح وهي الكبائر
والبغي الاستطالة على الناس وحده طلب الترؤس بالقهر من غير حق واصله الطلب وينبغي كذا اي هو اولى ان تطلبه والسلطان
والبرهان والبيان والفرقان نظائر وحدودها مختلفة فالبيان اظهار المعنى للنفس كاظهار نقيضه والبرهان اظهار صحة
المعنى وافساد نقيضه والفرقان اظهار تميز المعنى مما التبس به والسلطان اظهار ما يتسلط به على نقض المعنى بالابطال
والامة الجماعة التي يعمها معنى واصله من امه يؤمه اذا قصده فالامة الجماعة التي على مقصد واحد والاجل الوقت المضروب
لانقضاء المهل الان من العقد الاول الذي تضرب لنفس الاجل وبين الوقت الآخر مهلا مثل اجل الدين واجل الرزق
واجل الوعد واجل العمر المعنى ثم بين سبحانه المحرمات فقال قل يا محمد انما حرم ربي الفواحش اي جميع القبائح والكبائر
عن الجبائي وابي مسلم ما ظهر منها وما بطن اي ما علن وما خفي وقد ذكرنا ما قيل فيه في سورة الانعام ومعناه لم يحرم
ربي الفواحش لما قدمنا ان لفظة انما محققة لما ذكر نافية لما لم يذكر فذكر القبائح على الاجمال ثم فصل للبيان فقال والاثم
والبغي فكانه قال حرم الفواحش التي منها الاثم ومنها البغي ومنها الاشراك بالله وقيل ان الفواحش هي الزنا وهو الذي
بطن منها والتعري في الطواف وهو الذي ظهر عن مجاهد وقيل هي الطواف فما ظهر منها طواف الرجال بالنهار وما بطن
طواف النساء بالليل والاثم قيل هو الذنوب والمعاصي عن الجبائي وقيل الاثم ما دون الحد عن الفراء وقيل الاثم
الخمر عن الحسن وانشد الاخفش شربت الاثم حتى ضل عقلي كذاك الاثم تذهب بالعقول وقال آخر نهانا رسول الله
ان نقرب الخنا وان نشرب الاثم الذي يوجب الوزرا والبغي الظلم والفساد وقوله بغير الحق تأكيد كقوله ويقتلون
النبيين بغير حق وقيل قد يخرج البغي الاثم من كونه ظلما اذا كان بسبب جائز في الشرع كالقصاص وان تشركوا بالله اي وحرم
الشرك بالله ما لم ينزل به سلطانا اي لم يقم عليه حجة وكل اشراك بالله فهو هذه الصفة ليس عليه حجة ولا برهان
وان تقولوا على الله ما لا تعلمون اي وحرم القول على الله بغير علم ثم بين سبحانه ما فيه تسلية للنبي صلى الله عليه وآله في تأخير
عذاب الكفار فقال ولكل امة اجل اي لكل جماعة واهل عصر وقت لاستيصالهم عن الحسن ولم يقل لكل احد لان ذكر الامة
تقتضي تقارب اعمار اهل العصر وجاز فهو انه تقتضي اهلاكهم في الدنيا بعد اقامة الحجة عليهم باتيان الرسل وقال الجبائي
المراد بالاجل هنا اجل العمر الذي هو مدة الحيوة وهذا اقوى لانه يعم جميع الامم فاذا جاء اجلهم فلا يستأخرون اي
لا يتأخرون ساعة عن ذلك الوقت ولا يستقدمون اي لا يتقدمون ساعة على ذلك الوقت وقيل معناه لا يطلبون التأخر
عن ذلك الوقت لليأس عنه ولا يطلبون التقدم عليه ومعنى جاء اجلهم قرب اجلهم كما يقال جاء الصيف اذا قارب وقته
قوله عز وجل يا بني آدم اما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم
ولا هم يحزنون والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون آيتان الاعراب
اما اصله ان الجزاء دخلت على ما لتوكيدها دخلت النون الثقيلة في يأتينكم ولو قال ان يأتينكم لم يجز وقد شرحنا هذا في سورة
البقرة وسيبويه وقال سيبويه ان حتى ولما والا لا يجوز فيهن الامالة لان هذه الالفات الزمت الفتح لانها اواخر حروف
جاءت لمعنى فيفصل بينها وبين اواخر الاسماء التي فيها الالف نحو حبلى وهدى الا ان حتى كتبت بالياء لانها على اربعة احرف
فاشبهت سكرى واما التي للخبر شبهت بان التي ضمت ما فكتبت بالالف والا كتبت بالالف لانها لو كتبت بالياء لاشبهت
الى المعنى لما تقدم ذكر النعم الدنيوية عقبه بذكر النعم الدينية فقال يا بني آدم فهو خطاب يعم الجميع للمكلفين منهم من جاء الرسول

ومن جاء ان يأتيه الرسول معطوف على ما تقدم اما يأتينكم اي ان يأتكم رسل منكم اي من انفسكم يقصون المعاصي واجتنبها
والنفوس اسم جامع لذلك وتقديره فمن اتقى منكم واصلح فلا خوف عليهم في الآخرة ولا هم يحزنون والذين كذبوا بآياتنا
اي حججنا واستكبروا عنها عن قبولها اولئك اصحاب النار الملازمون لها هم فيها خالدون باقون على وجه الدوام قوله تعالى
قوله عز وجل فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بآياته اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب حتى اذا جاءتهم
رسلنا يتوفونهم قالوا اين ما كنتم تدعون من دون الله قالوا ضلوا عنا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين
آية اللغة النيل وصول النفع الى العبد اذا اطلق فان قيد وقع على الضرر لان اصله الوصول الى الشيء من نلت انال نيلا
قال امرؤ القيس سماحة ذا وبر ذا ووفاء ذا ونائل ذا اذا صحا واذا سكر والتوفي قبض الشيء بتمامه قال توفيته واستوفيته
المعنى ثم ذكر سبحانه وعيد المكذبين فقال فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا اي لا احد اظلم منه صورته صورة الاستفهام
والمراد به الاخبار وانما جاء بلفظ الاستفهام ليكون ابلغ او كذب بآياته الدالة على توحيده ونبوة رسله اولئك
ينالهم نصيبهم من الكتاب اي من العذاب الا انه كنى عن العذاب بالكتاب لان الكتاب ورد به كقوله لقد حقت كلمة
العذاب على الكافرين عن الحسن وابي صالح وقيل معناه ينالهم نصيبهم من العمر والرزق وما كتب لهم من الخير والشر
ثم تقطع عنهم رزقهم بكفرهم عن الربيع وابن زيد وقيل ينالهم جميع ما كتب لهم وعليهم عن مجاهد وعطية حتى اذا جاءتهم
رسلنا يعني الملائكة اي حتى اذا استوفوا ارزاقهم وجاءتهم ملك الموت مع اعوانه يتوفونهم اي يقبضون ارواحهم
وقيل معناه حتى اذا جاءتهم الملائكة لحشرهم يتوفونهم الى النار يوم القيمة عن الحسن قالوا يعني الملائكة اين ما كنتم تدعون
من دون الله من الاوثان والاصنام والمراد بهذا السؤال توبيخهم اي هلا دفعوا عنكم ما نزل بكم من العذاب قالوا
يعني الكفار ضلوا عنا اي ذهبوا عنا فقدناهم فلا يقدرون على الدفع عنا ونطلب عبادتنا اياهم وشهدوا على انفسهم
انهم كانوا كافرين اي اقروا على نفوسهم بالكفر قوله تعالى قال ادخلوا في امم قد خلت من قبلكم من الجن والانس في النار
كلما دخلت امة لعنت اختها حتى اذا اداركوا فيها جميعا قالت اخراهم لاولاهم ربنا هؤلاء اضلونا فآتهم
عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون وقالت اولاهم لاخراهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا
العذاب بما كنتم تكسبون آيتان القراءة قرأ ابو بكر بالياء يعلمون والباقون بالتاء الحجة وجه القراءة بالياء انه حمل
الكلام على كل لانه وان كان للمخاطبين فهو اسم ظاهر موضوع للغيبة فحمل على اللفظ دون المعنى اللغة الخلو نفاء الشيء
عن مكانه ويقال خلا عن البيت وكذلك خلت بمعنى مضت لانها اذا مضت بالهلاك فقد خلا مكانها منها الجن جنس
من الحيوان يستترون عن اعين البشر لرقتهم تغلب عليهم التمرد في افعالهم كما تغلب على الملك افعال الخير والضعف
المثل الزائد على اصله فاذا قال القائل اضعف هذا الدرهم فمعناه اجعل معه درهما آخر لا دينارا وكذلك اذا قال
اضعف الاثنين فمعناه اجعلهما اربعة وحكى ان المضعف في كلام العرب ما كان ضعفين والمضاعف ما كان اكثر
من ذلك واداركوا اصله تداركوا فادغمت التاء في الدال واجتلب الف الوصل ليمكن النطق بالساكن الذي بعده
ومعناه تلاحقوا المعنى قال ادخلوا هذا حكاية قول الله تعالى للكفار يوم القيمة وامره لهم بالدخول ويجوز ان يكون
اخبارا عن جعله اياهم في جملة اولئك من غير ان يكون هناك قول كما قال كونوا قردة خاسئين والمراد انه جعلهم كذلك
في امم قد خلت اي في جملة اقوام وجماعات قد مضت من قبلكم من الجن والانس على الكفر في النار وقيل ان في بمعنى
مع اي ادخلوا مع امم كافرة كلما دخلت امة من هذه الامم النار لعنت اختها يعني التي سبقتها الى النار وهي اختها في الدين
لا في النسب يريد انهم يلعنون من كان قبلهم عن ابن عباس وقيل يلعن الاتباع القادة والرؤساء اذا خلصوا في العذاب
بعدما كانوا يوادونه في الدنيا يقولون انتم اوردتمونا هذه الموارد فلعنكم الله عن ابي مسلم حتى اذا اداركوا اي تلاحقوا
واجتمعوا فيها اي في النار جميعا اي كان هذه حالهم حتى اذا اجتمعوا فيها فلما اجتمعوا قالت اخراهم لاولاهم اي قال آخرهم دخولا

وهم الاتباع لاولهم دخولاً وهم القادة والرؤساء ربنا هؤلاء اضلونا اي شرعوا لنا ان نتخذ من دونك الهاً عن ابن عباس
وقيل معناه دعونا الى الضلال وحملونا عليه ومنعونا عن اتباع الحق قال الصادق عليه السلم يعني ائمة الجور فآتهم عذاباً ضعفاً
من النار اي فاعطهم عذاباً مضاعفاً قال ابن مسعود اراد بالضعف هنا الحيات والافاعي وقيل اراد باحد الضعفين عذابهم على
الكفر والآخر عذابهم على الاغواء قال الله تعالى لكل ضعف اي للتابع والمتبوع عذاب مضاعف لانهم قد دخلوا في الكفر جميعاً
ولكن لا تعلمون ايها المضلون والمضلون ما لكل فريق منكم من العذاب وقالت اولاهم لاخراهم اي قال المتبوعون للتابعين فما كان
لكم علينا من فضل اي تفاوت في الكفر حتى تطلبوا من الله ان يزيد في عذابنا وينقص من عذابكم وقيل معناه وقالت الامة السابقة
للامة المتاخرة ما كان لكم علينا من فضل في الراي والعقل وقد بلغكم ما نزل بنا من العذاب فلم اتبعتمونا وقيل من فضل اي
تخفيف من العذاب فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون من الكفر باختياركم لا باختيارنا لكم قوله عز وجل ان الذين كذبوا بآياتنا
واستكبروا عنها لا تفتح لهم ابواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وكذلك نجزي المجرمين لهم من
جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزي الظالمين آيتان القراءة قرا حمزة والكسائي وخلف لا يفتح بالياء والتخفيف
وقرا ابو عمرو بالتاء والتخفيف والباقون بالتاء والتشديد وروي في الشواذ عن ابن عباس وسعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد
والشعبي وابن النخعي حتى يلج الجمّل بالضم والتشديد وعن ابن عباس وسعيد بن جبير في رواية اخرى وعبد الكريم وحنظلة
الجُمَل بالضم والتخفيف وعن ابن عباس ايضاً الجُمْل بضم الجيم وسكون الميم والجُمُل بضمتين وعن ابي السماك الجَمْل بفتح الجيم وسكون الميم
والجُمُل بضمتين وعن ابي السماك الجَمْل بفتح الجيم وسكون الميم الحجة حجة من قرا لا تفتح بالتشديد قوله جنات عدن مفتحة
لهم الابواب وحجة من خفف قوله ففتحنا ابواب السماء واما الجُمّل بالضم والتشديد والجُمَل بالتخفيف فكلاهما الحبل الغليظ
من القنب وهو حبل السفينة وقيل الحبال المجموعة واما الجُمْل فيجوز ان يكون جمع جمل فيكون مثل اسد واسد ووثن ووثن
وكذلك المضموم ايضاً مثل كاسد ووثن قال ابن جني واما الجُمُل فيبعد ان يكون مخففاً من جمل الخفيفة وان كان قد جاء عنهم قوله
وما كل مبتاع ولو سلف صفقه يراجع ما قد فاته برداد اللغة السم بفتح السين وضمها الثقب ومنه السم القاتل لانه ينفذ بلطفه
في مسام البدن حتى يصل الى القلب فينقض بنيته وكل ثقب في البدن لطيف فهو سَم وسُم وجمعه سموم قال الفرزدق فنفست
عن سميه حتى تنفسا وقلت له لا تخش شيئاً ورائيا يريد بسميه ثقبي انفه وجمع السم القاتل سماماً والخياط والمخيط الابرة
كاللحاف والملحف والقناع والمقنع والازار والمئزر والقرام والمقرم ذكره ابو الفراء وجهنم اسم من اسماء النار واشتقاقها
من الجهومة وهي الغلظ وقيل اخذ من قولهم بئر جهنام اي بعيدة القعر والمهاد الوطاء الذي يفترش ومنه مهد الصبي
وقد مهدت له هذا الامر الذي وطاته له والغواشي جمع غاشية وهو كل ما يغشاك اي يسترك ومنه غاشية السرج و
تغشى فلاناً اي اتيته ولابسته الاعراب قال ابو علي النحويون في نحو غواش وجوار قولان احدهما مذهب سيبويه والخليل
وهو ان الياء حذفت حذفاً لا لالتقاء الساكنين فلما حذفت الياء نقص الاسم عن الزنة التي كان التنوين يعاقبها
ولا يجتمع معها فدخلها وانما حذفت هنا الياء لا لالتقاء الساكنين كما تحذف حروف اللين في الوقف في نحو والليل اذا يسر وذلك
ما كنا نبغ وقد حذفت في الوصل ايضاً وكان الذي حسن ذلك الحذف انها قد صارت بمنزلة الحركات لانها قد صارت عوضاً
منها بدلالة تعاقبها وانما تحذف في الموضع الذي تحذف منه الحركة فلما قوي الحذف فيها وكثر وكان هذا الجمع خارجاً عن
الابنية الاول وثانياً لزم الحذف والقول الآخر ما حدث السراج عن المبرد عن المازني قال نظرت يونس النحوي والوزير
والكسائي الى جواري وبابه فما كان من الصحيح لا يلحقه التنوين لم يلحقوه في المعتل وما كان يلحقه التنوين في الصحيح الحقوه في المعتل
قال والذي عليه البصريون هو القول الاول المعنى ثم عاد الكلام الى الوعيد فقال سبحانه ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا
عنها اي تكبروا عن قبولها لا تفتح لهم ابواب السماء اي لا تفتح لهم ابواب السماء لارواحهم كما تفتح لارواح المؤمنين عن ابن عباس
والسدي وقيل لا تفتح لاعمالهم ولا لدعائهم عن الحسن ومجاهد وعن ابن عباس في رواية اخرى وروي عن الباقر عليه السلم انه قال

اما المؤمنون فيرفع اعمالهم وارواحهم الى السماء فيفتح لهم ابوابها واما الكافر فيصعد بعمله وروحه حتى بلغ الى السماء نادى مناد
اهبطوا به الى سجين وهو واد بحضرموت يقال له برهوت وقيل لا تفتح لهم ابواب السماء لدخول الجنة لان الجنة في السماء عن
الجبائي ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط اي حتى يدخل البعير في ثقب الابرة والمعنى لا يدخلون الجنة ابداً وسئل ابن
مسعود عن الجمل فقال هو زوج الناقة كانه استجهل من ساله وهذا كما تقول العرب في التبعيد للشيء لا افعل حتى يشيب الغراب
وحتى يبيض القار وحتى يؤوب القارظان قال الشاعر اذا شاب الغراب اتيت اهلي وصار القار كاللبن الحليب وقال اخر فرجي
الخير وانتظري ايابي اذا ما القارظ العنزي آبا وتعليق الحكم بما لا يتوهم وجوده ولا يتصور حصوله تاكيد له وتحقيق للياس
من وجوده وكذلك نجزي المجرمين اي مثل ما جزينا هؤلاء نجزي سائر المجرمين المكذبين بآيات الله تعالى لهم اي لهؤلاء من جهنم
مهاد اي فراش ومضجع ومن فوقهم غواش مثل قوله لهم من فوقهم ظلل من النار وقيل المراد به لحف والمعنى ان النار محيطة
بهم من اعلاهم واسفلهم وكذلك نجزي الظالمين قال ابن عباس يريد الذين اشركوا به واتخذوا من دونه الهاً قوله
عز وجل والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفساً الا وسعها اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون ونزعنا
ما في صدورهم من غل تجري من تحتهم الانهار وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله لقد
جاءت رسل ربنا بالحق ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون آيتان القراءة قرا ابن عامر ما كنا لنهتدي
بغير واو وكذلك هو في مصاحف اهل الشام والباقون مع الواو وقرا ابو عمرو وحمزة والكسائي اورثتموها مدغمة
وكذلك في الزخرف وقرا الباقون اورثتموها غير مدغمة الحجة قال ابو علي وجه الاستغناء عن حرف العطف ان الجملة
ملتبسة بما قبلها فاغنى التباسها به عن حرف العطف وقد تقدم ذكر امثاله ومن ترك الادغام في اورثتموها
فلتباين المخرجين ولان الحرفين في حكم الانفصال وان كان من كلمة واحدة الا ترى انهم لم يدغموا ولو شاء الله ما
اقتتلوا وان كانا مثلين لما لم يكونا لازمين الا ترى ان تاء افتعل قد يقع بعدها غير التاء فلذلك اورثتم قد يقع
بعد التاء غير الثاء فلا يجب الادغام ووجه الادغام ان التاء والثاء مهموستان متقاربتان فاستحسن الادغام لذلك
اللغة الغل الحقد الذي ينغل بلطفه الى صميم القلب ومنه الغلول وهو الوصول بالحيلة الى دقيق الخيانة ومنه
الغل الذي يجمع اليدين والعنق بانغلاله فيهما والصدر ربما يصدر من جهته التدبير والراي ومنه قيل للرئيس
صدر والجريان انحدار المائع في المنحدر والماء يجري والدم يجري وكل ما يصح ان يجري فهو مائع والنهر المجرى الواسع من مجاري
الماء واصلها الاتساع ومنه النهار لاتساع ضيائه والنداء الدعاء بطريقة يا فلان الاعراب لا نكلف نفساً الا وسعها جملة في موضع رفع بانه
خبر الذين آمنوا وحذف العائد الى المبتداء فكانه قيل منهم لا من غيرهم كقولهم السمن منوان بدرهم اي منوان منه ويجوز
ان يكون اعتراضاً بين المبتداء والخبر ويكون الخبر الجملة التي هي اولئك اصحاب الجنة واذا كان اعتراضاً فلا موضع له
من الاعراب وان تلكم يجوز ان يكون بمعنى اي لتفسير النداء فيكون المعنى نودوا على وجه التنبيه بكلام هذا معناه ويجوز
ان يكون مخففة من الثقيلة والهاء مضمرة والتقدير بانه تلكم الجنة قال الشاعر اكاشره واعلم ان كلانا على ما ساء صاحبه
حريص المعنى لما تقدم وعيد الكفار بالخلود في النيران اتبع ذلك بالوعد للمؤمنين بالخلود في الجنان فقال والذين
آمنوا اي صدقوا بآيات الله واعترفوا بها ولم يستكبروا عنها وعملوا الصالحات اي ما اوجبه الله عليهم او ندبهم اليهم
لا نكلف نفساً الا وسعها التكليف من الله سبحانه هو ارادة ما فيه المشقة من الكلفة التي هي المشقة اي لا نلزم نفساً الا
قدر طاقتها وما دونه لان الوسع دون الطاقة ووجه اتصاله بما قبله بين اذا جعلته خبراً لان معناه لا نكلف احداً منهم من
الطاعات الا ما يقدر عليه واذا كان اعتراضاً بين الكلامين فكانه لما وعد المؤمنين بالجنان والكافرين بالنيران بين انه لا يكلف
احداً منهم الا ما في وسعها وان من استحق النار فمن قبل نفسه اتي اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون مقيمون ونزعنا ما في صدورهم
من غل اي اخرجنا ما في قلوبهم من حقد وحسد وعداوة في الجنة حتى لا يحسد بعضهم بعضاً وان راه ارفع درجة منه تجري من تحتهم الانهار

قيل انه في موضع الحال اي تجري ماء الانهار من تحت ابنيتهم واشجارهم في حال نزعنا الغل في صدورهم وقيل هو استيناف
وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا اي هدانا للعمل الذي استوجبنا به هذا الثواب بان دلنا عليه وعرضنا له بتكليفه ايانا
وقيل هدانا لثبوت الايمان في قلوبنا وقيل لنزع الغل عن صدورنا وقيل هدانا لمجاوزة الصراط ودخول الجنة وما كنا لنهتدي
لما يصيرنا الى هذا النعيم المقيم والثواب العظيم لولا ان هدانا الله هذا اعتراف من اهل الجنة بنعم الله سبحانه اليهم ومنته عليهم
في دخول الجنة على سبيل الشكر والتلذذ بذلك لانه لا تكليف هناك لقد جاءت رسل ربنا بالحق وهذا اقرار منهم بان
ما جاءت به الرسل اليهم من جهة الله تعالى فهو حق لا شبهة في صحته ونودوا اي ويناديهم منادٍ من جهة الله تعالى ويجوز
ان يكون ذلك خطابا منه سبحانه لهم اي هذه الجنة وانما قال تلكم لانهم وعدوا بها في الدنيا فكانه قيل لهم هذه تلكم التي وعدتم
بها ويجوز ان يكونوا عاينوها فقال لهم قبل ان يدخلوها اشارة اليها تلكم الجنة اورثتموها اي اعطيتموها ارثا وصارت
اليكم كما يصير الميراث لاهله وقيل معناه جعله سبحانه لكم عما كان اعده للكفار لو امنوا وروي عن النبي صلى الله عليه وآله
ان لكل ناس احد الا وله منزل في الجنة ومنزل في النار فاما الكافر فيرث المؤمن منزله من النار والمؤمن يرث الكافر
منزله من الجنة فذلك قوله اورثتموها بما كنتم تعملون اي توحدون الله تعالى وتقومون بفرائضه قوله عز وجل ونادى
اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم فاذن مؤذن
بينهم ان لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة كافرون آيتان
القراءة قرأ الكسائي وحده نعم بكسر العين كل القرآن والباقون بالفتح وقرأ اهل المدينة والبصرة وعاصم ان مخففة لعنة الله
بالرفع والباقون انَّ بالتشديد لعنةَ الله بالنصب اللغة قال الاخفش نعم لغتان فالكسر لغة كنانة وهذيل والفتح لغة
باقي العرب وان التي تقع بعد العلم وانما هي المشددة والمخففة عنها واذن مؤذن معناه واعلم معلم ان لعنة الله و
خفف ان فعلى ارادة اضمار القصة والحديث وتقديره انه لعنة الله ومثله واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين التقدير
انه والمخفف ان هذه لا اضمار القصة والحديث يراد معها المكسورة اذا خففت لا يكون كذلك والفصل بينهما ان
المفتوحة موصولة والموصولة تقتضي صلتها فصارت لاقتضائها الصلة اشد اتصالا بما بعدها من المكسورة فقدر
بعدها الضمير الذي هو من جملة صلتها وليست المكسورة كذلك الاعراب قال سيبويه نعم عدة وتصديق فاذا استفهمت
اجبت بنعم وقال ابو علي والذي يريده بقوله عدة وتصديق انه يستعمل عدة ويستعمل تصديقا وليس يريد انه
يجمع التصديق مع العدة الا ترى انه اذا قال اتعطيني فقال نعم كان عدة ولا تصديق في هذا واذا قال قد كان كذا
فقلت نعم فقد صدقته ولا عدة في هذا وليس هذا القولين سيبويه كقوله في اذن انها جواب وجزاء لان اذن يكون
جوابا في الموضع الذي يكون فيه جزاء وقوله اذا استفهمت اجبت بنعم يريد اذا استفهمت عن موجب اجبت بنعم ولو
كان مكان الايجاب النفي لقلت بلى ولم تقل نعم كما لا تقول في جواب الموجب بلى قال الست بربكم قالوا بلى والذي
تصديق في موضع جر بانه صفة الظالمين وعوجا يجوز ان يكون منصوبا بانه مفعول بمعنى يبغون لها العوج ويجوز
ان يكون منصوبا على المصدر بمعنى يطلبون بها هذا الضرب من الطلب كما تقول رجع القهقرى اي رجع هذا الضرب
من الرجوع وكذلك عدا البشكى واشتمل الصماء والعوج بالكسر يكون في الطريق وفي الدين وبالفتح يكون في الخلقة
تقول في ساقه عوج بفتح العين وفي دينه عوج بالكسر المعنى ثم حكى سبحانه ما يجري بين اهل الجنة والنار بعد استقرارهم
في الدارين فقال ونادى اي سينادي اصحاب الجنة اصحاب النار اي اهل الجنة اهل النار وانما ذكر بلفظ الماضي ليحصل
المعنى جعل ما سيكون كانه قد كان لانه كائن لا محالة وذلك ابلغ في الردع ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا من الثواب
في كتبه على السنة رسله حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم من العقاب حقا وانما اضافوا الوعد بالجنة الى نفوسهم
لان الكفار ما وعدهم الله بالجنة الا بشرط ان يؤمنوا فلما لم يؤمنوا فكانهم لم يوعدوا بالجنة وانما سألوهم هذا السؤال لان

الكفار كانوا يكذبون المؤمنين فيما يدعون لانفسهم من الثواب ولهم من العقاب فهو سؤال توبيخ وشماتة يريد
به سرور اهل الجنة وحسرة اهل النار قالوا نعم اي قال اهل النار وجدنا ما وعدنا ربنا من العقاب حقا وصدقا فاذن
مؤذن بينهم اي نادى منادٍ بينهم اسمع الفريقين ان لعنة الله على الظالمين اي غضب الله وسخطه واليم عقابه على الكافرين
لانه وصف الظالمين بقوله الذين يصدون عن سبيل الله اي يعرضون عن الطريق الذي دل الله سبحانه عليه انه يؤدي
الى الجنة وقيل معناه يصرفون غيرهم عن سبيل الله اي دينه والحق الذي دعا اليه ويبغونها عوجا قال ابن عباس معناه
يصلون لغير الله ويعظمون ما لم يعظمه الله وقيل معناه يطلبون لها العوج بالشبه التي يلبسون بها ويتوهمون انها تقدح
فيها وهي معوجة عن الحق بتناقضها وهم بالآخرة اي بالدار الآخرة يعني القيامة والبعث والجزاء كافرون جاحدون وقيل
في المؤذن انه مالك خازن النار وروي عن ابي الحسن الرضا عليه السلم قال المؤذن امير المؤمنين علي عليه السلم ذكره
علي بن ابرهيم في تفسيره قال حدثني ابي عن محمد بن فضيل عن الرضا عليه السلم ورواه ابو القسم الحسكاني باسناده
عن محمد بن الحنفية عن امير المؤمنين عليه السلم انه قال انا ذلك المؤذن وباسناده عن ابي صالح عن ابن عباس
ان لعلي في كتاب الله اسماء لا يعرفها الناس قوله فاذن مؤذن بينهم فهو المؤذن بينهم يقول الا لعنة الله على الذين
كذبوا بولايتي واستخفوا بحقي قوله عز وجل وبينهما حجاب وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم ونادوا اصحاب
الجنة ان سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار قالوا ربنا
لا تجعلنا مع القوم الظالمين آيتان اللغة الحجاب الحاجز المانع من الادراك ومنه قيل للضرير محجوب وحاجب
الامير وحاجب العين والاعراف الامكنة المرتفعة اخذ من عرف الفرس ومنه عرف الديك وكل مرتفع من الارض
عرف لانه بظهوره اعرف مما انخفض قال الشماخ وظلت باعراف تعالى كانها رماح نحاها وجهة الريح راكز وقال آخر
كل كناز لحمه ناف كالعلم الموفي على الاعراف يعني نشوزا من الارض والسيماء العلامة وهي فعلى من سام ابله يسومها
اذا ارسلها في المراعي معلمة وهي السائمة وقيل ان وزنه عفلى من وسمت فقلبت كما قالوا له جاه في الناس واصله وجه
وكما قالوا اضمحل وامضحل وارض خامة اي وخمة وفيه ثلث لغات سيما وسيماء بالقصر والمد وسيمياء على وزن كبرياء
قال الشاعر له سيمياء ما تشق على البصر والتلقاء جهة اللقاء وهي جهة المقابلة وكذلك كان ظرفا من ظروف
المكان تقول هو تلقاءك كما تقول هو حذاءك والابصار جمع بصر وهو الحاسة التي يدرك بها المبصر وقد يستعمل بمعنى
المصدر يقال له بصر بالاشياء اي علم بها وهو بصير بالامور اي عالم المعنى ثم ذكر سبحانه الفريقين في الجزاء فقال وبينهما حجاب
اي بين الفريقين اهل الجنة واهل النار ستر وهو الاعراف والاعراف سور بين الجنة والنار عن ابن عباس
ومجاهد والسدي وفي التنزيل فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب وقيل
الاعراف شرف ذلك السور عن الجبائي وقيل الاعراف الصراط عن الحسين بن الفضل وعلى الاعراف رجال اختلف
في المراد بهم على اقوال فقيل انهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فحالت حسناتهم بينهم وبين النار وحالت
سيئاتهم بينهم وبين الجنة فجعلوا هنالك حتى يقضي الله بينهم فيهم ما يشاء ثم يدخلهم الجنة عن ابن عباس وابن
مسعود وذكر ان بكر بن عبد الله المزني قال للحسن عليه السلم بلغني انهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فضرب
الحسن بيده على فخذه ثم قال هؤلاء قوم جعلهم الله على تعريف اهل الجنة والنار يميزون بعضهم من بعض والله لا ادري
لعل بعضهم معنا في هذا البيت وقيل ان الاعراف موضع عال على الصراط عليه حمزة والعباس وعلي وجعفر يعرفون
محبيهم ببياض الوجوه ومبغضيهم بسواد الوجوه عن الضحاك رواه الثعلبي باسناده في تفسيره وقيل انهم الملائكة
في صورة الرجال يعرفون اهل الجنة والنار ويكونون خزنة الجنة والنار جميعا او يكونون حفظة الاعمال الشاهدين
بها في الآخرة عن ابي مجلز وقيل انهم فضلاء المؤمنين عن الحسن ومجاهد وقيل انهم الشهداء وهم عدول الآخرة

وقال ابو جعفر الباقر عليه السلم هم آل محمد عليه السلم لا يدخل الجنة الا من عرفهم ولا يدخل النار الا من انكرهم وانكروه
وقال ابو عبد الله عليه صلى الله عليه السلم الاعراف كثبان بين الجنة والنار فيوقف عليها كل نبي وكل خليفة نبي مع المذنبين من اهل زمانه
كما يقف صاحب الجيش مع الضعفاء من جنده وقد سبق المحسنون الى الجنة فيقول ذلك الخليفة للمذنبين الواقفين معه
انظروا الى اخوانكم المحسنين قد سبقوا الى الجنة فيسلم المذنبون عليهم وذلك قوله ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم
ثم اخبر سبحانه انهم لم يدخلوها وهم يطمعون يعني هؤلاء المذنبين لم يدخلوا الجنة وهم يطمعون ان يدخلهم الله اياها
بشفاعة النبي والامام وينظر هؤلاء المذنبون الى اهل النار فيقولون ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين ثم ينادي
اصحاب الاعراف وهم الانبياء والخلفاء اهل النار مقرعين لهم ما اغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون اهؤلاء الذين
اقسمتم يعني اهؤلاء المستضعفين الذين كنتم تحقرونهم وتستطيلون بدنياكم عليهم ثم يقولون لهؤلاء المستضعفين عن امر
من الله لهم بذلك ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون ويؤيده ما رواه عمر بن شيبة وغيره ان عليا عليه السلم
قسيم النار والجنة ورواه ايضا باسناده عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال يا علي كاني بك يوم القيمة وبيدك عصا
عوسج تسوق قوما الى الجنة واخرين الى النار وروى ابو القسم الحسكاني باسناده رفعه الى الاصبغ بن نباتة قال
كنت جالسا عند علي عليه السلم فاتاه ابن الكوا فسأله عن هذه الآية فقال ويحك يا ابن الكوا نحن نوقف يوم
القيمة بين الجنة والنار فمن ينصرنا عرفناه بسيماه فادخلناه الجنة ومن ابغضنا عرفناه بسيماه فادخلناه النار
وقوله يعرفون كلا بسيماهم يعني هؤلاء الرجال الذين هم على الاعراف يعرفون جميع الخلق بسيماهم يعرفون اهل الجنة
بسيماء المطيعين واهل النار بسيماء العصاة ونادوا اصحاب الجنة يعني هؤلاء الذين على الاعراف ينادون يا اصحاب
الجنة ان سلام عليكم وهذا تسليم تهنئة وسرور بما وهب الله لهم لم يدخلوها اي لم يدخلوا الجنة احد عن ابن عباس
وابن مسعود والحسن وقتادة وهم يطمعون ان يدخلوها وقيل ان الطمع هنا طمع يقين مثل قول ابرهيم
والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي وهو قول ابي علي الجبائي واذا صرفت ابصارهم يعني ابصار الذين على الاعراف
تلقاء اصحاب النار اي الى جهتهم فنظروا اليهم وانما قال صرفت ابصارهم لان نظرهم نظر عداوة فلا ينظرون اليهم
الا اذا صرفت وجوههم اليهم قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين اي لا تجمعنا واياهم في النار وروي ان في قراءة
عبد الله بن مسعود وسالم واذا قلبت ابصارهم تلقاء اصحاب النار قالوا ربنا عائذا بك ان تجعلنا مع القوم الظالمين
وروي ذلك عن ابي عبد الله عليه السلم قوله تعالى ونادى اصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما
اغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم
ولا انتم تحزنون آيتان القراءة النداء امتداد الصوت ورفعه ونادى نظير دعا الا ان الدعاء قد يكون بعلامة
من غير صوت ولا كلام ولكن باشارة تنبئ عن معنى تعال ولا يكون النداء الا بالرفع وهو مشتق من الندى
الاعراب هؤلاء مبتدأ وخبره الذين اقسمتم والاولى ان يكون الذين اقسمتم خبر المبتدأ المحذوف وتقديره اهؤلاء
هم الذين اقسمتم وقوله لا ينالهم الله برحمة جواب اقسمتم وهذا داخل في صلة الذين لان الذين هنا وصل بالقسم وجوابه
ولا يجوز ان يكون الذين صفة لهؤلاء من وجهين احدهما ان المبهم لا يوصف الا بالجنس والاخر انه يبقى المبتدأ
بلا خبر المعنى ثم بين سبحانه خطاب اصحاب الاعراف لاصحاب النار فقال ونادى اي وينادي اصحاب الاعراف رجالا
من اصحاب النار يعرفونهم بسيماهم اي بصفاتهم يدعونهم باساميهم وكناهم ويسمون رؤساء المشركين عن ابن عباس
وقيل بعلاماتهم التي جعلها الله سبحانه لهم من سواد الوجه وتشويه الخلق وزرقة العين عن الجبائي وقيل بصورهم
التي كانوا يعرفونهم بها في الدنيا عن ابي مسلم قالوا ما اغنى عنكم جمعكم الاموال والعدد في الدنيا وما كنتم تستكبرون
اي واستكباركم عن عبادة الله تعالى وعن قبول الحق قد كنا نصحناكم فاشتغلتم بجمع المال وتكبرتم فلن تسلوا منا

فاين ذلك المال واين ذلك التكبر وقيل معناه ما نفعكم جماعتكم التي استندتم اليها وتجبركم عن الانقياد لانبياء الله في الدنيا
عن الجبائي اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة اي حلفتم انهم لا يصيبهم الله برحمة وخير ولا يدخلون الجنة كذبتم ثم
يقولون لهؤلاء ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون اي لا خائفين ولا انتم تحزنون اي لا خائفين ولا محزونين على
اكمل سرور واتم كرامة والمراد بهذا تقريع الذين ردوا على ضعفاء حتى حلفوا انهم لا خير لهم عند الله وقد اضطرب اقوال
المفسرين في القائل لهذا القول فقال الاكثرون انه كلام اصحاب الاعراف وقيل هو كلام الله وقيل هو كلام الملائكة والصحيح
ما ذكرناه لانه المروي عن الصادق ع قوله عز وجل ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله
قالوا ان الله حرمهما على الكافرين الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحيوة الدنيا فاليوم ننساهم كما
نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنا يجحدون آيتان اللغة الافاضة اجراء الماء من علو ومنه قوله افاضوا في الحديث
اي اخذوا فيه من اوله لانه بمنزلة اعلاه وافاضوا من عرفات الى المزدلفة صاروا اليها واللهو طلب صرف الهم بما لا يحسن
ان يطلب به واللعب طلب المرح اي لا يحسن ان يطلب به واشتقاقه من اللعاب وهو المرور على غير استواء الاعراب قال
ان افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله ثم قال حرمهما ولم يقل حرمه وان كانت الفقه بانه افيضوا احد هذين لانه جاء على
قولهم جالس الحسن وابن سيرين فيجوز مجالستهما جميعا وقوله الذين اتخذوا يجوز ان يكون في موضع جر صفة للكافرين
ويحتمل ان يكون رفعا بالابتداء فيكون اخبارا من الله على وجه الذم لهم المعنى ثم ذكر سبحانه كلام اهل النار وما ظهر
من الافتقار بدلا مما كانوا عليه من الاستكبار فقال ونادى اي وسينادي اصحاب النار وهم المخلدون في النار في
عذابها اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء اي صبوا علينا من الماء نسكن به العطش او ندفع به حر النار او مما
رزقكم الله اي اعطاكم الله من الطعام عن السدي وابن زيد قالوا يعني اهل الجنة واهل النار واهل الجنة في السماء على
ما جاءت به الرواية واهل النار في الارض وبينهما البعد العظيم من البعد واجيب عن ذلك بانه يجوز ان يزيل الله
عنهم ما يمنع من السماع ويجوز ان يقوي الله اصواتهم فيسمع بعضهم كلام بعض الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا اي اعدوا
دينهم الذي امرهم الله للهو واللعب دون التدين به وقيل معناه اتخذوا دينهم الذي كان يلزمهم التدين به والتجنب من
محظوراته لعبا ولهوا فحرموا ما شاؤوا واستحلوا ما شاؤوا بشهواتهم وغرتهم الحيوة الدنيا اي اغتروا بها وبطول البقاء فيها
فكان الدنيا غرتهم فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا اي نتركهم في العذاب كما تركوا التاهب والعمل للقاء هذا اليوم
عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقيل نعاملهم معاملة المنسي في النار فلا نجيب لهم دعوة ولا نرحم لهم عبرة كما تركوا الاستدلال
حتى نسوا العلم وتعرضوا للنسيان عن الجبائي وما كانوا بآياتنا يجحدون ما في موضعين بمعنى المصدر وتقديره كنسيانهم
لقاء يومهم هذا وكونهم جاحدين لآياتنا واختلف في هذه الآية فقيل ان الجميع كلام الله تعالى على غير وجه الحكاية عن
اهل الجنة عند قوله حرمهما على الكافرين وقيل انه من كلام اهل الجنة الى قوله الحيوة ثم استانف سبحانه الكلام بقوله فاليوم ننساهم
قوله عز وجل ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون هل ينظرون الا تاويله يوم ياتي تاويله
يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا او نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل قد
خسروا انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون آيتان اللغة الكتاب الصحيفة فيها كتابة والكتاب حروف مسطورة تدل على معان
مفهومة والتفصيل التبيين والتفسير نظائر ينظرون اي ينتظرون والانتظار هو الاقبال على ما ياتي بالتوقع واصله الاقبال
على الشيء بوجه من الوجوه والتاويل ما يؤول اليه حال الشيء والنسيان ذهاب المعنى عن النفس واختلف المتكلمون فيه فقال ابو علي
الجبائي انه معنى وقال ابو هاشم ليس بمعنى وانما هو من قبيل السهو وقال القاضي هو ذهاب العلم الضروري والمذهب الثاني الاعراب
هدى ورحمة يجوز ان يكون حالا ويجوز ان يكون مفعولا له وقال ابو مسلم مصدر وضع موضع الحال ولو قرئ بالرفع على الاستيناف
او بالجر على البدل لجاز الا ان القراءة بالنصب فيشفعوا نصب لانه جواب التمني بالفاء وتقديره هل يكون لنا شفعاء فشفاعة او نرد

بالرفع على تقدير او هل نرد فنعمل اي هل يكون لنا رد فان نعمل اي فنعمل ما غير ما كنا عملناه المعنى لما ذكر حال الفريقين بين
سبحانه انه قد اتاهم الكتاب والحجة فقال ولقد جئناهم بكتاب وهو القرآن فصلناه بيناه وفسرناه على علم اي ونحن عالمون به لما
كانت لفظة عالم ماخوذ من العلم جاز ان يذكر العلم ليدل به على العالم كما ان الوجود في صفة الموجود وكذلك هدى ورحمة
لقوم يؤمنون اي دلالة ترشدهم الى الحق وتنجيهم من الضلالة ونعمة على جميع المؤمنين لانهم المنتفعون به هل ينظرون الا تاويله
اي هل ينتظرون الا عاقبة الجزاء عليه وما يؤول امرهم اليه عن الحسن وقتاده ومجاهد والسدي وانما اضاف اليهم
مجازا لانهم كانوا جاحدين لذلك غير متوقعين له وانما كان ينتظر المؤمنون لايمانهم بذلك واعترافهم به وقيل ان تاويله
ما وعد الله به من البعث والنشور والحساب والعقاب عن الجبائي يوم ياتي تاويله اي يوم ياتي عاقبة ما وعد الله به يقول
الذين نسوه من قبل اي يقول الذين تركوا العمل به ترك الناسي له واعرضوا عنه عن مجاهد والزجاج قد جاءت رسل ربنا
بالحق اعترفوا بان ما جاءت به الرسل كان حقا والحق ما شهد بصحته العقل فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا تمنوا ان يكون
لهم شفعاء يشفعون لهم في ازالة العقاب او نرد اي هل نرد الى الدنيا فنعمل غير الذي كنا نعمله من الشرك والمعصية قد خسروا انفسهم
اي اهلكوها بالعذاب وضل عنهم ما كانوا يفترون على الاصنام بقولهم انها الهة وانها تشفع لنا قوله عز وجل ان ربكم الله الذي
خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات
بامره الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين آية القراءة قرا اهل الكوفة غير حفص ويعقوب يغشي و الباقون بالنصب
بالتشديد وكذلك في الرعد والباقون بالتخفيف وقرا ابن عامر والشمس والقمر والنجوم مسخرات كلها بالرفع والباقون
بالنصب الحجة قال ابو علي غشي فعل متعد الى مفعول واحد فاذا نقلته بالهمزة او بتضعيف العين تعدى الى مفعولين وقد
جاء التنزيل بالامرين قال فغشاها ما غشى فما في موضع نصب بانه المفعول الثاني وقال فاغشيناهم فهم لا يبصرون
وهذا منقول بالهمزة والمفعول الثاني محذوف والمعنى فاغشيناهم العمى او فقد الرؤية عنهم فاذا جاء التنزيل بالامرين
فكلا الفريقين قرا بما جاء في التنزيل وقوله يغشي الليل النهار كل واحد من الليل والنهار منتصب بانه مفعول به والفعل
قبل النقل غشي الليل النهار ولم يقل يغشي الليل النهار كما قيل سرابيل تقيكم الحر ولم يقل سرابيل تقيكم البرد للعلم بذلك من الفحوى مثل
هذا الاتساع ووجه من نصب الشمس والقمر والنجوم انه حمله على خلق وكما قال واسجدوا لله الذي خلقهن ووجه ابن عامر
قوله وسخر لكم ما في السموات وما في الارض ومما في السماء الشمس والقمر فاذا اخبر بتسخيرها حسن الاخبار عنها به كما انك اذا قلت
ضربت زيدا استقام ان تقول زيد مضروب اللغة قد بينا معنى الاستواء في سورة البقرة عند قوله تعالى ثم استوى الى السماء
والعرش السرير ومنه ولها عرش عظيم والعرش الملك يقال ثل عرشه والعرش السقف ومنه قوله فهي خاوية على عروشها
والحثيث السير السريع بالسوق واصل البركة الثبات ومنه براكاء القتال الاعراب قوله حثيثا يجوز ان يكون حالا من الفاعل
او المفعول او منهما جميعا ومثله قوله فاتت به قومها تحمله فان تحمله كذلك ومثله قول الشاعر متى ما تلقني فردين ترجف
روانف اليتيك وتستطارا المعنى لما ذكر سبحانه الكفار وعبادتهم غير الله سبحانه احتج عليهم بمقدوراته ومصنوعاته ودلهم بذلك
على انه لا معبود سواه فقال مخاطبا لجميع الخلق ان ربكم الله اي ان سيدكم ومالككم ومنشئكم ومحدثكم هو الله الذي
خلق السموات والارض اي انشاها اعيانها وابدعها لا من شيء ولا على مثال ثم امسكها بلا عماد يدعمها والارض اي وانشا
الارض واوجدها كذلك في ستة ايام اي في مقدار ستة ايام من ايام الدنيا ولا شبهة انه سبحانه يقدر على خلق امثال
ذلك في لحظة ولكنه خلقهما في هذه المدة لمصلحة ورتبها على ايام الاسبوع فابتدا بالاحد والاثنين والثلاثاء
والاربعاء والخميس والجمعة فاجتمع له الخلق يوم الجمعة فلذلك سمي جمعة عن مجاهد وقيل ان ترتيب الحوادث على انشاء
شيء بعد شيء على ترتيب ادل على كونه فاعلا عالما مدبرا يصرفه على اختياره ويجريه على مشيته وقيل انه سبحانه علم خلقه التثبت
والرفق في الامور عن سعيد بن جبير ثم استوى على العرش اي استوى امره على الملك عن الحسن يعني استقر ملكه واستقام بعد

بعد خلق السموات والارض وظهر ذلك للملائكة وانما اخرج هذا على المتعارف من كلام العرب كقولهم استوى الملك على
عرشه اذا انتظمت امور مملكته واذا اختل امر ملكه قالوا ثل عرشه ولعل ذلك الملك لا يكون له سرير ولا يجلس على سرير
ابدا قال الشاعر اذا ما بنو مروان ثلت عروشهم واودت كما اودت اياد وحمير وقال اخر ان يقتلوك فقد ثللت عروشهم
بعتيبة بن الحرث بن شهاب وقيل معناه ثم استولى عليه بان رفعه عن الجبائي وقيل معناه ثم قصد الى خلق العرش عن الفراء
وجماعة واختاره القاضي واستدل بقوله ثم ان خلق العرش كان بعد خلق السماء والارض وروي عن مالك بن انس انه
قال الاستواء غير مجهول وكيفيته غير معلومة والسؤال عنه بدعة وروي عن ابي حنيفة انه قال امروه كما جاء اي لا تفسروه
يغشي اي يلبس الليل النهار يعني ياتي باحدهما بعد الاخر فيجعل ظلمة الليل بمنزلة الغشاوة للنهار ولم يقل ويغشي النهار
الليل لان الكلام يدل عليه وقد ذكر في موضع اخر يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل يطلبه حثيثا اي يتلوه فيدركه
سريعا وهذا توسع يريد انه ياتي في اثره كما ياتي الشيء في اثر الشيء طالبا له والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره اي مذللات
جاريات في مجاريهن بتدبيره وصنعه خلقهن لمنافع العباد ومن قرا مسخرات بالنصب فانه منصوب على الحال الا له الخلق
والامر انما فصل بين الخلق والامر لان ما يريد بهما مختلف لانه يريد بالخلق ان له الاختراع وبالامر ان له ان يامر في خلقه
بما احب ويفعل بهم ما شاء تبارك الله اي تعالى بالوحدانية فيما لم يزل ولا يزال فهو بمعنى تعالى بدوام الثبات وقيل معناه
تعالى عن صفات المخلوقين والمحدثين وقيل تعالى بدوام البركة في ذكر اسمه رب العالمين اي خالقهم ومالكهم وسيدهم
قوله عز وجل ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها وادعوه خوفا
وطمعا ان رحمت الله قريب من المحسنين آيتان القراءة قرا ابو بكر عن عاصم خفية بكسر الخاء والباقون بضمها وهما لغتان
اللغة التضرع التذلل وهو اظهار الذل الذي في النفس ومثله التخشع ومنه التطلب للامر من الامور واصل التضرع الميل
في الجهات ذلا من قولهم ضرع الرجل يضرع ضرعا اذا مال باصبعيه يمينا وشمالا ذلا وخوفا ومنه ضرع الشاة لان اللبن يميل اليه
ومنه المضارعة للمشابهة لانها تميل بشبه والضريع نبت لا يسمن لانه يميل مع كل داء والخفية خلاف العلانية والهمزة في الا(خفاء)
منقلبة عن الياء كما ان الهمزة في الغناء منقلبة عن الياء بدلالة خلاف العلانية والهمزة في الاخفاء العقبة نحو اخفيت الشيء
ذا الظهرة قال الحفي التراب باطلاق ثمانية في اربع مسميه الارض الخليل وحكي ان يكون اخفيت الشيء اي ازلت الظهارة
واذا ازلت الظهارة فقد كتمته كما ان اشكيته بمعنى ازلت شكايته والخفية الاخفاء والخيفة الخوف والرهبة والطمع توقع
المحبوب وضده الياس وهو القطع بانتفاء المحبوب الاعراب تضرعا وخفية مصدران وضعا موضع الحال اي ادعوه متضرعين
ومخفين وقوله خوفا وطمعا في موضع الحال ايضا اي خائفين عقابه وطامعين في رحمته قال الفراء انما ذكر قريب ولم يؤنث
لتفصل بين القريب من القرابة والقريب من القرب قال الزجاج وهذا غلط لان كل ما قرب في مكان او نسب فهو جار
على ما يصيبه من التانيث والتذكير والوجه في تذكيره هنا ان الرحمة والغفران والعفو في معنى واحد وكذلك كل تانيث
ليس بحقيقي قال الاخفش جائز ان يكون اراد بالرحمة هنا المطر فلذلك ذكره ومثله قول الشاعر يا ايها الراكب المزجي
مطيته سائل بني اسد ما هذه الصوت اي هذه الصيحة وقال الاخر ان السماحة والمروة ضمنا قبرا على الطريق الواضح
المعنى ثم امر سبحانه بعد ذكر الدلائل توحيده بدعائه على وجه الخشوع كما تعبده فقال ادعوا ربكم تضرعا وخفية اي تخشعا وسرا
عن الحسن وقال بين دعوة السر ودعوة العلانية سبعون ضعفا ثم قال ان كان الرجل لقد جمع القرآن وما يشعر به جاره وان كان الرجل
لقد فقه الفقه الكثير وما يشعر به الناس وان كان الرجل ليصلي الصلاة الطويلة في بيته وعنده الزور فلا يشعرون به ولقد
ادركنا اقواما ما كان على الارض من عمل يقدرون ان يعملوه في السر فيكون علانية ابدا ولقد كان المسلمون يجتهدون
في الدعاء وما يسمع لهم صوت ان كان الا همسا بينهم وبين ربهم وروي ان النبي صلى الله عليه واله كان في غزاة فاشرفوا على
واد فجعل الناس يهللون ويكبرون ويرفعون اصواتهم فقال عليه السلم يا ايها الناس اربعوا على انفسكم اما انكم لا تدعون
ولا غائبا انكم تدعون سميعا قريبا انه معكم وقيل ان التضرع رفع الصوت والخفية السر يعني ادعوه علانية وسرا عن ابي مسلم

ورواه علي بن ابراهيم في تفسيره انه لا يحب المعتدين في الدعاء وقيل هو ان يطلب منازل الانبياء فيتجاوز الحد في الدعاء
عن ابي مجلز وقيل هو الصياح في الدعاء عن ابن جريج وقيل معناه لا يحب المجاوزين الحد المرسوم في جميع العبادات والدعوات
ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها معناه النهي عن قتل المؤمنين واضلالهم والعمل بالمعاصي في الارض بعد ان اصلحها الله
بالكتب والرسل عن السدي والحسن والضحاك والكلبي وقيل بعد ان امر الله بالاصلاح فيها قال الحسن واصلاحها اتباع
وامر الله تعالى فيها وروي عن ابن عباس انه قال لا تفسدوها فيقتل المؤمن من بعد اصلاحها ببقائه وقيل لا تفسدوها
بالظلم بعد اصلاحها بالعدل وقيل معناه لا تعصوا في الارض فيمسك الله المطر ويهلك الحرث بمعاصيكم عن عطية وعلى هذا فيكون
معنى قوله بعد اصلاحها بعد اصلاح الله اياها بالمطر والخصب وروى ميسرة عن ابي جعفر عليه السلام في هذه الآية قال ان
الارض كانت فاسدة فاصلحها الله بنبيه وادعوه خوفا من عقابه وطمعا في ثوابه وقيل خوفا من الرد وطمعا في الاجابة
وقيل خوفا من عدله وطمعا في فضله عن ابن جريج وقيل خوفا من النيران وطمعا في الجنان عن عطا ان رحمة الله قريب
من المحسنين معناه ان انعام الله قريب الى فاعلي الاحسان وقيل ان رحمة الله اي ثوابه قريب من المطيعين عن سعيد بن
جبير وقيل المراد بالرحمة المطر عن الاخفش ويؤيده قوله فانظروا الى آثار رحمة الله كيف يحيي الارض بعد موتها والاحسان
هو النفع الذي يستحق به الحمد والاساءة هي الضرر التي يستحق به الذم ومن قال ان المراد بالمحسنين من خلصت افعاله من الاساءة
وكانت كلها حسنة فالظاهر لا يقتضي ذلك بل الذي يقتضيه ان رحمة الله واصلة الى من فعل الاحسان وليس فيه انه لا يصل
الى من جمع الاحسان والاساءة فذلك موقوف على الدلالة قوله عز وجل وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته
حتى اذا اقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فانزلنا به الماء فاخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم
تذكرون والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا كذلك نصرف الآيات
لقوم يشكرون آيتان القراءة قرا ابن كثير الريح واحدة نشرا مضمومة النون والشين وقرا اهل المدينة والبصرة الرياح
جمع نشرا بضم النون والشين حيث كان وقرا اهل الكوفة غير عاصم الريح نشرا بفتح النون وسكون الشين وقرا ابن عامر الرياح
نشرا بضم النون وسكون الشين وقرا عاصم الرياح بشرا بالباء ساكنة الشين وقرا ابو جعفر الا نكدا بفتح الكاف والباقون
نكدا بالكسر الحجة قال ابو علي اعلم ان الريح اسم على فعل والعين منه واو فانقلبت في الواحد للكسرة واما في الجمع القليل
فصحت لانه لا شيء فيه يوجب الاعلال الا ترى ان الفتحة لا توجب اعلال هذه الواو في نحو قوم وقول واما في الجمع الكثير فرياح
فانقلبت ياء للكسرة التي قبلها واذا كانت انقلبت في نحو ديمة وديم وحيلة وحيل فان تنقلب في رياح احرى لوقوع الالف
بعدها والالف تشبه الياء والياء اذا تاخرت عن الواو وجب فيها الاعلال وكذلك الالف لشبهها بها وقد يجوز ان
يكون الريح على لفظ الواحد ويراد بها الكثرة كقولهم كثر الدرهم والدينار والشاء والبعير وان الانسان لفي خسر ثم قال الا الذين آمنوا
وكذلك من قرا الريح نشرا فافرد ووصفه بالجمع فانه حمله على المعنى وقد اجاز ابو الحسن ذلك وقال فيها اثنتان واربعون
حلوبة سودا كخافية الغراب الاسحم ومن نصب حمله على المعنى لان المفرد يراد به الجمع هذا وجه قراءة ابن كثير وقول من جمع الريح
اذا وصفها بالجمع الذي هو نشر احسن لان الحمل على المعنى ليس بكثرة الحمل على اللفظ واما ما جاء في الحديث ان النبي صلى الله عليه
وآله كان يقول اذا هبت ريح اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا فلان عامة ما جاء في التنزيل على لفظ الرياح للسقيا والرحمة
كقوله تعالى وارسلنا الرياح لواقح وان يرسل الرياح مبشرات وما جاء بخلاف ذلك جاء على الافراد كقوله فاهلكوا بريح صرصر
ريح فيها عذاب اليم ابو عبيدة نشرا متفرقة من كل جانب وقال ابو زيد انشر الله الموتى انشارا اذا بعثها وانشر الله الريح مثل
احياها فنشرت هي اي حييت والدليل على ان انشار الريح احياؤها قول المرار الفقعسي وهبت له ريح الجنوب واحيي له ربده
يحيي المياه نسيمها والربدة والربداء الريح فالاودت ربده انه صرصر ومن قرا نشرا احتمل ضربين يجوز ان يكون جمع ريح نشور
وريح ناشر على معنى النسب فاذا جعلته جمع نشور احتمل امرين احدهما ان يكون النشور بمعنى المنشر كما ان الركوب بمعنى المركوب
فكان المعنى ريح او رياح منشرة ويجوز ان يكون جمع نشور يراد به الفاعل مثل طهور ونحوه من الصفات ويجوز ان يكون نشرا

جمع ناشر كشاهد وشهد ونازل ونزل وقائل وقتل قال الاعشى انا لامثالكم يا قومنا قتل وقول ابن عامر نشرا يحتمل الوجهين
ان يكون على فعول وفاعل يخفف العين كما خفف في كتب ورسل ويكون جمع فاعل كبازل وبزل وعايط وعيط واما من
قرا نشرا فانه يحتمل ضربين احدهما ان يكون المصدر حالا من الريح فاذا جعلته حالا احتمل امرين احدهما ان يكون النشر الذي
هو خلاف الطي كانها كانت بانقطاعها كالمطوية ويجوز على تاويل ابي عبيدة ان يكون متفرقة في وجوهها والآخر ان يكون
النشر الذي هو الحياة في نحو قوله يا عجبا للميت الناشر فاذا حملته على ذلك فهو الوجه كان المصدر يراد به الفاعل كما تقول
اتانا ركضا اي راكضا ويجوز ان يكون المصدر يراد به المفعول كانه يرسل الرياح انشارا اي محياة فحذف الزوايد من المصدر
كما قال عمرك الله وكما قال وان يهلك فذلك كان قدري اي تقديري والضرب الآخر ان يكون نشرا ينتصب انتصاب المصدر
من باب صنع الله لانه اذا قال يرسل الرياح دل هذا الكلام على ان نشر الرياح نشرا ونشرت نشرا من قوله كما ينشر بعد الطية الكتب
ومن نشرت الريح كما ينشر الميت وقراءة عاصم بشرا جمع بشير وبشير من قوله يرسل الرياح مبشرات اي تبشر بالمطر والرحمة
وجمع بشيرا على بشر ككتاب وكتب والوجه في قراءة ابي جعفر نكدا انه لغة في نكد قال الزجاج ويجوز فيه وجهان آخران
نكدا ونكدا الا انه لم يثبت بهما رواية اللغة الاقلال حمل الشيء باسره حتى يقل في طاقة الحامل له بقوة جسمه يقال استقل بحمله
استقلالا واقله اقلالا والسحاب الغيم الجاري في السماء يقال سحبته فانسحب والسوق حث الشيء في السير حتى يقع الاسراع
فيه يقال ساقه واستاقه والبلد هو الارض التي تجمع الخلق الكثير والبادية كالبلد للاعراب ونحوهم من الاكراد والنكد
العسر الممتنع من اعطاء الخير على وجه البخل يقال نكد ينكد نكدا فهو نكد ونكد وقد نكد اذا سئل فبخل قال الشاعر واعط
ما اعطيته طيبا لا خير في المنكود والناكد المعنى لما اخبر الله سبحانه في الآية المتقدمة بانه خلق السموات والارض وما فيهما
من البدائع عطف على ذلك بقوله وهو الذي يرسل الرياح نشرا بين يدي رحمته تعدادا للنعم على بريته اي يطلقها ويرسلها
منتشرة في الارض او محيية للارض او مبشرة بالغيث على ما تقدم بيانه قدام رحمته وهو المطر حتى اذا اقلت اي حملت
وقيل رفعت سحابا ثقالا بالماء سقناه لبلد ميت اي الى بلد ميت وموت البلد عفاء مزارعه ودروس مشاربه لا نبات
فيه ولا زرع ولم يقل سقناها لانه رد الضمير الى لفظ السحاب والرياح تجمع السحاب من المواضع المختلفة حتى اذا اتصل السحاب
انزل المطر فانزلنا به الماء يجوز ان يكون الضمير في به راجعة الى البلد اي فانزلنا بالبلد الماء ويجوز ان يكون راجعة الى السحاب
اي فانزلنا بالسحاب الماء فاخرجنا به اي بهذا الماء المنزل او بهذا البلد من كل الثمرات يحتمل ان يكون من للتبعيض ويحتمل
ان يكون لتبيين الجنس كذلك نخرج الموتى اي كما اخرجنا الثمرات كذلك نخرج الموتى بان نحييها بعد موتها لعلكم تذكرون
لكي تتذكروا وتتفكروا وتعتبروا وتعلموا ان من قدر على انشاء الاشجار والثمار في البلد الذي لا ماء فيه ولا زرع بريح يرسلها
فانه يقدر على احياء الاموات فان يعيدها الى ما كانت عليه ويخلق فيها الحياة والقدرة واستدل ابو القسم البلخي بهذه
الآية على ان كثيرا من الاشياء يكون بالطبع قال لان الله تعالى بين انه يخرج الثمرات بالماء الذي ينزله من السماء ثم قال ولا ينبغي
ان ينكر ذلك فانما ينكر قول من يقول بقدم الطبايع او ان الجمادات فاعلة فاما من قال ان الله هو الفاعل لهذه الاشياء غير
انه يفعلها تارة مخترعة بلا وسايط وتارة يفعلها بوسايط فلا كراهة في ذلك كما نقول في السبب والمسبب وانكر عليه هذا القول
اكثر اهل العدل وقالوا ان الله سبحانه اجرى العادة باخراج النبات عند انزال المطر مع قدرته على اخراج ذلك من غير مطر لما تقتضيه
الحكمة من وجوه المصالح الدينية والدنيوية ثم بين سبحانه حال الارض التي ياتيها المطر فقال والبلد الطيب معناه والارض الطيبة
ترابه يخرج نباته وزروعه غضا وجاء حسنا ناميا زاكيا من غير كد ولا عناء باذن ربه بامر الله تعالى وانما قال باذن ربه ليكون في
ادل على العظمة وتعود الارادة من غير تعب ولا نصب والذي خبث لا يخرج الا نكدا اي والارض السبخة التي خبث ترابها لا يخرج
ريعها الا شيئا قليلا لا ينتفع به عن السدي ومعناه الا عسرا ممتنعا من الخروج ولو اراد سبحانه ان يخرج من الارض النكدة اكثر مما
يخرج من الارض الطيبة لامكنه الا انه اجرى العادة باخراجه من الارض الطيبة ليكون ذلك باعثا للانسان على طلب الحرص

من نطافه ودلالة على وجوب الاجتهاد في الطاعات فانه اذا حمل نفسه على ابتغاء الخير اليسير الذي لا يدوم وربما لا يحصل فان يسعى لنعيم الدائم الذي لا يفنى ولا يبيد بالاعمال الصالحة اولى كذلك نصرف الآيات اي الدلالات المختلفة لقوم يشكرون معناه كما بينا هذا المثل بين الدلالات للشاكرين كما صرفنا الآيات لكم بالاتيان باية بعد اية وحجة بعد اخرى نصرفها لقوم يشكرون الله على نعمه عليهم ومن انعامه عليهم وبهدايته اياهم لما فيهم نجاتهم وتبصيرهم سبيل الضلال وامره اياهم بتجنب ذلك والعدول عنه وروي عن ابن عباس ومجاهد والحسن ان هذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر فاخبر بان الارض كلها جنس واحد الا ان منها طيبة تلين بالمطر ويحسن نباتها ويكثر ريعها ومنها سبخة لا تنبت شيئا وان انبتت فما لا منفعة فيه وكذلك القلوب كلها لحم ودم ثم منها لين يقبل الوعظ ومنها قاس لا يقبل الوعظ فليشكر الله تعالى من لان قلبه لذكره قوله عز وجل لقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم قال الملأ من قومه انا لنراك في ضلال مبين قال يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين ابلغكم رسالات ربي وانصح لكم واعلم من الله ما لا تعلمون او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون فكذبوه فانجيناه والذين معه في الفلك واغرقنا الذين كذبوا باياتنا انهم كانوا قوما عمين آيات القراءة قرا ابو جعفر والكسائي من اله غيره بخفض الراء حيث وقع والباقون بالرفع وقرا ابو عمرو وحده ابلغكم بتخفيف اللام والباقون بتشديدها الحجة قال ابو علي وجه قراءة من جر انه جعل غيرا صفة لاله على اللفظ وجعل لكم مستقرا او جعله غير مستقر واضمر الخبر والخبر ما لكم في الوجود او في العالم ونحو ذلك لا بد من هذا الاضمار اذا لم يجعل لكم مستقرا لان الصفة والموصوف لا يستقل بهما كلام وحجة من رفع قوله ما من اله الا الله فكما ان قوله الا الله بدل من قوله من اله كذلك قوله غيره يكون بدلا من قوله من اله وغير يكون بمنزلة الاسم الذي بعد الا وهذا الذي ذكرنا اولى ان يحمل عليه من ان يجعل غير صفة لاله على الموضع فان قلت ما تنكر ان يكون الا الله صفة لقوله من اله على الموضع كما كان قوله لو كان فيهما آلهة الا الله صفة لآلهة وما ان الا كونها استثناء اعرف واكثر من كونها صفة وانما جعلت صفة على التشبيه بغير فاذا كان الاستثناء اولى حملنا هل من خالق غير الله على الاستثناء من النفي في المعنى لان قوله هل من خالق غير الله بمنزلة ما من خالق غير الله ولا بد من اضمار الخبر كانه ما من خالق للعالم غير الله ويؤكد ذلك لا اله الا الله فهذا استثناء من منفي مثل لا احد في الدار الا زيد واما قراءة حمزة والكسائي هل من خالق غير الله فعلى ان جعلا غيرا صفة للخالق واضمر الخبر كما تقدم والباقون جعلوه استثناء بدلا من المنفي وهو الاولى عندنا لما تقدم من الاشياء عليه من قوله وما من اله الا الله واما ابلغكم فالقول فيه لان بلغ يتعدى الى مفعول في نحو بلغني الخبر فاذا انقلته تعدى الى مفعولين والنقل يكون بالهمزة وبتضعيف العين وكلا الامرين جاء به التنزيل فالتضعيف يا ايها الرسول بلغ الى قوله فما بلغت رسالته وقال فان تولوا فقد ابلغتكم وليعلم ان قد ابلغوا اللغة الملأ الجماعة من الرجال خاصة ومثله القوم والنفر والرهط عن الفراء وسموا بذلك لانهم يملاون المحافل والقوم الجمع الذي تقوم بالامر سموا بالمصدر والابلاغ ايصال ما فيه بيان وافهام ومنه البلاغة وهي ايصال المعنى الى النفس باحسن صورة من اللفظ والبليغ الذي ينشئ البلاغة لا الذي ياتي بها على وجه الحكاية والفرق بين الابلاغ والاداء ان الاداء ايصال الشيء على الوجه الذي يجب فيه ومنه فلان ادى الدين اداء وفلان حسن الاداء لما سمع وحسن الاداء للقراءة والرسالات جمع رسالة وهي جملة من البيان يحملها القائم بها ليؤديها الى غيره والنصيحة اخلاص النية من شائب الفساد في المعاملة والفلك السفن يقع على الواحد وعلى الجمع واصله الدور ومشتق من قولهم فلك ثدي الجارية اذا استدار ومنه الفلكة والفلك الاعراب يا قوم حذفت ياء الاضافة لقوة النداء على التغيير حتى يحذف للترخيم فلما جاز ان يحذف في غير النداء للاجتزاء بالكسرة منها لزم ان يحذف فيه لاجتماع شيئين فيهما كل منهما اصل لكني حذف النون لاجتماع النونات ويجوز الاتمام في غير القرآن لانه الاصل وكذلك اني وكاني فاما لكني فلا يجوز فيه الا اثبات النون لانه لم تعرض فيه علة الحذف واما لعلي فيجوز فيه الوجهان لان اللام قريب من النون رسول من رب العالمين من هنا لابتداء الغاية اي هو ابتداء بالرسالة وكل متعد بفعل فذلك الفعل منه واصل من ان يكون لابتداء الغاية المعنى لما بين سبحانه الادلة على وحدانيته

ذكر بعده حال من عانده وكذب رسله تسلية لنبينا صلى الله عليه وآله وتثبيتا له على احتمال الاذى من قومه وتحذيرا لهم عن الاقتداء باولئك فينزل بهم ما نزل بهم وابتدا بقصة نوح فقال لقد ارسلنا نوحا الى قومه اللام للقسم وقد تاكيد للكلام وتقديره حقا اقول انا حملنا نوحا الرسالة الى قومه وتحميل الرسالة تكليف القيام بها وهي منزلة جليلة شريفة يستحق الرسول بتقبله اياها وقيامه باعبائها من التعظيم والاجلال ما لا يستحق بغيره وهو نوح بن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ النبي وهو ادريس عليه السلام وهو اول نبي بعد ادريس وقيل انه كان نجارا وولد في العام الذي مات فيه آدم عليه السلام قبل موت آدم في الالف الاولى وبعث في الالف الثانية وهو ابن اربعمائة وقيل بعث وهو ابن خمسين سنة ولبث في قومه الف سنة الا خمسين عاما وكان في تلك الالف ثلاثة قرون عايشهم وعمر فيهم وكان يدعوهم ليلا ونهارا فلا يزيدهم دعاؤه الا فرارا وكان يضربه قومه حتى يغشى عليه فاذا افاق قال اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون ثم شكاهم الى الله تعالى ففرغت له الدنيا وعاش بعد ذلك تسعين سنة وروي اكثر من ذلك ايضا فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره امرهم سبحانه بعبادة الله سبحانه وحده لانه لا اله لهم غيره ولا معبود لهم سواه ثم اوعدهم على مخالفته فقال اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم انما قال اخاف ولم يقطع لانه جوز ان يؤمنوا ثم ذكر سبحانه جوابهم فقال قال الملأ من قومه اي الجماعة من قومه عن الجبائي وقيل الاشراف والرؤساء الذين يملأون الصدور هيبة وجمالا عن ابي مسلم انا لنراك في ضلال مبين قيل معناه رؤية القلب الذي هو العلم اي انا لنعلمك في ذهاب عن الحق بين ظاهر لدعائك ايانا الى ترك عبادة الاصنام وقيل معناه رؤية البصر اي نراك بابصارنا على هذه الحال وقيل انه من الرأي الذي هو غالب الظن فكانه قال انا نظنك قال يا قوم ليس بي ضلالة هذا اخبار على حكاية نوح عليه السلام اي ليس بي عدول عن الحق ولا ذهاب عن الصواب قال به ضلالة لان معناه غرض به ذلك كما يقال جنة ولا يجوز ان يقال معرفة لانها ليست مما تعرض لصاحبها ولكن يصح ان يقال به جوع وعطش ولكني رسول من رب العالمين الذي يملك كل شيء ابلغكم رسالات ربي اي اؤدي اليكم ما حملني ربي من الرسالات وانصح لكم في تبليغ الرسالة على وجهها من غير نقص ولا زيادة ولا نقصان واعلم من الله اي من صفات الله وتوحيده وعدله وحكمته ما لا تعلمون وقيل اعلم من دين الله وقيل اعلم من قدرته وسلطانه وشدة عقابه ما لا تعلمونه والكل محتمل وقيل انما قال ذلك لان قوم نوح لم يسمعوا قط ان الله سبحانه عذب قوما وقد سمعت الامم بعدهم هلاك من قبلهم الا ترى ان هودا جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وقال شعيب مثل ما اصاب قوم نوح او عجبتم هذه همزة استفهام دخلت على واو العطف على جهة الانكار فبقيت الواو مفتوحة كما كانت فالكلام مستانف من وجه متصل من وجه ان جاءكم ذكر اي لان جاءكم بيان وقيل نبوة ورسالة من ربكم على رجل منكم لينذركم اي على بشر مثلكم ليخوفكم العقاب اي لم تؤمنوا وقيل ان على ههنا بمعنى مع اي مع رجل منكم تعرفونه ولدا ومنشا منكم ليعلمكم بموضع المخافة وانما انكر عليهم التعجب لانه ليس في ارسال اليهم ليرشدهم الى ما فيه صلاحهم موضع تعجب وانما العجب من اهمال امرهم كيف ووجوب الرسالة اذا كان للخلق فيها مصلحة امر قد اقتضت الحكمة ودل عليه العقل ولتتقوا اي لتتقوا الشرك والمعاصي ولعلكم ترحمون اي ولكي ترجوا وتنالوا الحسنى ولتتقوه رجاء ان يرحمكم فكذبوه اي كذبوا نوحا فيما دعاهم اليه فانجيناه والذين معه في الفلك فخلصناه والذين كانوا معه في السفينة وهم المؤمنون من عذاب الغرق واغرقنا الذين كذبوا باياتنا اي واهلكنا الذين كذبوا بدلائلنا بالماء انهم كانوا قوما عمين عن الحق اي ذاهبين عنه جاهلين به يقال رجل عم اذا كان اعمى القلب ورجل اعمى في البصر قال زهير ولكنني عن علم ما في غد عمي قد ذكرنا انه وكان من قصته ما رواه الشيخ ابو جعفر بن بابويه باسناده في كتاب النبوة مرفوعا الى ابي عبد الله عليه السلام قال لما ان بعث الله عز وجل نوحا دعا قومه علانية فلما سمع عقب هبة الله بن آدم تصديق ما في ايديهم من العلم وعرفوا ان العلم الذي في ايديهم هو العلم الذي جاء به نوح صدقوه وسلموا اليه فاما ولد قابيل فانهم كذبوه وقالوا ان الجن كانوا قبلنا فبعث الله اليهم ملكا فلو اراد ان يبعث الينا لبعث الينا ملكا من الملائكة حنان بن سدير عن ابي عبد الله

فآمن مع نوح من قومه ثمانية نفر وفي حديث وهب بن منبه ان نوحا عليه السلم كان اول نبي نباه الله عز وجل بعد ادريس وكان
الى الادمة ما هو دقيق الوجه في راسه طول عظيم العينين دقيق الساقين طويلا جسيما دعا قومه الى الله حتى انقرضت ثلثة قرون
منهم كل قرن ثلثمائة سنة يدعوهم سرا وجهرا فلا يزدادون الا طغيانا ولا ياتي منهم قرن الا كان اعتى على الله من الذين قبلهم
وكان الرجل منهم ياتي بابنه وهو صغير فيقيمه على راس نوح فيقول يا بني ان بقيت بعدي فلا تطيعن هذا المجنون وكانوا يثورون
الى نوح فيضربونه حتى تسيل مسامعه دما وحتى لا يعقل شيئا مما يصنع به فيحمل فيرمى به في بيت او على باب داره مغشيا عليه فاوحى الله
تعالى اليه انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فعندها اقبل بالدعاء عليهم ولم يكن دعا عليهم قبل ذلك فقال رب لا تذر
على الارض الى آخر السورة فاعقم الله اصلاب الرجال وارحام النساء فلبثوا اربعين سنة لا يولد لهم ولد وقحطوا في تلك الاربعين
سنة حتى هلكت اموالهم واصابهم الجهد والبلاء ثم قال لهم نوح استغفروا ربكم انه كان غفارا الآيات فاعذر اليهم وانذر
فلم يزدادوا الا كفرا فلما يئس منهم اقصر عن كلامهم ودعائهم فلم يؤمنوا وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا الآية يعنون
آلهتهم حتى غرقهم الله وآلهتهم التي كانوا يعبدونها فلما كان بعد خروج نوح من السفينة وعبد الناس الاصنام سموا اصنامهم
باسماء اصنام قوم نوح فاتخذ اهل اليمن يغوث ويعوق واهل دومة الجندل صنما سموه ودا واتخذت حمير صنما سمته
نسرا وهذيل صنما سموه سواعا فلم يزل يعبدونها حتى جاء الاسلام وسنذكر قصة السفينة والغرق في سورة هود
ان شاء الله سبحانه روى الشيخ ابو جعفر بن بابويه عن علي بن احمد بن موسى قال حدثنا محمد بن ابي عبد الله الكوفي قال حدثنا
سهل بن زياد الآدمي قال حدثنا عبد العظيم بن عبد الله الحسني قال سمعت علي بن محمد عليه السلم يقول عاش نوح عليه السلم
الفين وخمسمائة سنة فكان يوما في السفينة نائما فهبت ريح فكشفت عورته فضحك حام ويافث فزجرهما سام
ونهاهما عن الضحك وكان كلما غطى سام ما يكشفه الريح كشفه حام ويافث فانتبه نوح عليه السلم فراهم يضحكون فقال
ما هذا فاخبره سام بما كان فرفع نوح يديه الى السماء يدعو ويقول اللهم غير ماء صلب حام حتى لا يولد له الا السودان اللهم
غير ماء صلب يافث فغير الله ماء صلبهما فجميع السودان من صلب حام حيث كانوا وجميع الترك والسقالبة وياجوج
وماجوج والصين من يافث وجميع البيض سواهم من سام فقال نوح لحام ويافث جعل الله ذريتكما خولا لذرية سام الى يوم
القيمة لانه بر بي وعققتماني فلا زالت سمة عقوقكما لي في ذريتكما ظاهرة وسمة البر بي في ذرية سام ظاهرة ما بقيت
الدنيا قال الشيخ ابو جعفر بن بابويه ذكر يافث في هذا الخبر غريب لم اروه الا من هذا الطريق وجميع الاخبار التي رويتها
في هذا المعنى فيها ذكر حام وحده لما انكشفت عورة ابيه وان ساما ويافث كانا في ناحية فبلغهما ما صنع فاقبلا ومعهما
ثوب وهما معرضان والقيا عليه الثوب وهو نائم فلما استيقظ اوحى الله عز وجل اليه ما صنع حام فلعن حاما ودعا عليه
وروى ابو بصير بن هاشم عن علي بن الحكم عن بعض اصحابنا عن ابي عبد الله عليه السلم قال عاش نوح الفي سنة وخمس
مائة سنة منها ثمان مائة وخمسون قبل ان يبعث الف سنة الا خمسين عاما وهو في قومه يدعوهم ومائتا عام في عمل
السفينة وخمسمائة عام بعد ما نزل من السفينة ونضب الماء فمصر الامصار واسكن ولده البلدان ثم ان ملك الموت
جاءه وهو في الشمس فقال السلام عليك فرد عليه وقال ما جاء بك يا ملك الموت فقال جئت لاقبض روحك فقال
تدعني اتحول من الشمس الى الظل فقال له نعم فتحول نوح ثم قال يا ملك الموت كان ما مر بي من الدنيا مثل تحولي
من الشمس الى الظل فامض لما امرت به قال فقبض روحه صلى الله عليه وعلى نبينا وجميع الانبياء قوله عز وجل والى عاد اخاهم هودا
قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون قال الملأ الذين كفروا من قومه انا لنراك في سفاهة
وانا لنظنك من الكاذبين قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين ابلغكم رسالات ربي وانا لكم
ناصح امين او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم
في الخلق بسطة فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون قالوا اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا فاتنا بما تعدنا

ان كنت من الصادقين قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب اتجادلونني في اسماء سميتموها انتم وآباؤكم
ما نزل الله بها من سلطان فانتظروا اني معكم من المنتظرين فانجيناه والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر
الذين كذبوا باياتنا وما كانوا مؤمنين ثمان آيات اللغة السفاهة خفة الحلم وثوب سفيه اذا كان خفيفا وقال مورج
السفاهة الجنون بلغة حمير والفرق بين العجب والعجب ان العجب بضم العين عقد النفس على فضيلة لها ينبغي ان يعجب منها
وليس كذلك والعجب بفتح العين والجيم لانه قد يكون حسنا وفي المثل الا فمن لا يتعجب من العجب ارذل منه المتعجب من غير عجب والخلفاء
جمع خليفة وهو الكائن بدلا عن غيره ليقوم مقامه في تدبيره وهذا الجمع على التذكير لا على اللفظ مثل ظريف وظرفاء وجائز
ان يجمع على خلائف على اللفظ مثل ظريفة وظرائف والآلاء النعم وفي واحدها اربع لغات الى مثل معى والا مثل
قفا والى مثل رمى والي مثل حسي قال الاعشى ابيض لا يرهب الهزال ولا يقطع رحما ولا يخون الا ويروى الا ايضا وقيل
انه اراد بقوله الا الال بالتشديد فخففه وهو العهد والقرابة والوقوع والسقوط والنزول نظائر والرجس العذاب
وقيل الرجس الرجز قلبت الزاي سينا كما قلبت السين تاء في قول الشاعر الا لحى الله بني السعلاة عمرو بن يربوع شرار النات
الناس ليسوا باعفاف ولا اكيات يريد اكياس الاعراب انتصب اخاهم هودا بقوله ارسلنا في اول الكلام لان تفصيل القصص
يقتضي ذلك والتقدير وارسلنا الى عاد اخاهم هودا وصرف هودا لخفته كما صرفت جمل لخفتها يا قوم موضع قومي نصب لانه
نداء مضاف ولو وصفته لم يجز في صفته الا النصب قوله ولكني رسول انما استدرك بلكن لان فيه معنى ما دعاني الى امركم السفه
ولكن دعاني اليه اني رسول المعنى ثم عطف سبحانه على قصة نوح قصة هود عليهما السلم فقال والى عاد وهو عاد بن
عوص بن ارم بن سام بن نوح اخاهم يعني في النسب لا في الدين هودا وهو هود بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن
نوح اخاهم عن محمد بن اسحق وقيل هو هود بن عبد الله بن رباح بن جلوت بن عاد بن عوص بن ارم بن سام
بن نوح عن غيره وكذا هو في كتاب النبوة وانما قال اخاهم لانه ابلغ في الحجة عليهم اذا اختار للرسالة اليهم من هو من
قبيلهم ليكونوا اسكن وبه آنس وعنه افهم قال لهود يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد مر تفسيره افلا تتقون
استفهام يراد به التقرير قال الملأ الذين كفروا من قومه قد مر تفسيره انا لنراك يا هود في سفاهة اي جهالة ومعناه
لنراك سفيها الا انه قال في سفاهة على جهة المبالغة اي نراك منغمسا في سفاهة وانا لنظنك من الكاذبين اي كذبوه
ظانين لا متيقنين عن الحسن والزجاج وقيل المراد بالظن هنا العلم كما في قول الشاعر فقلت لهم ظنوا بالفي مدجج سراتهم
في الفارسي المسرد ومعناه ايقنوا قال هود يا قوم ليس بي سفاهة اي لم يحملني على هذه الاخبار السفاهة ولكني رسول
من رب العالمين هذا تعليم من الله تعالى بان لا نقابل السفهاء بالكلام القبيح ولكن يقتصر الانسان على نفي ما اضيف اليه
عن النفس ابلغكم رسالات ربي اي شريعة ربي انما قال رسالات هنا وفيما تقدم بلفظ الجمع لان الرسالة متضمنة لاشياء
كثيرة من الامر والنهي والترغيب والترهيب والوعد والوعيد وغير ذلك فاتى بلفظ يدل عليها واذا اتى برسالة ربي بلفظ
الوحدان اتى بلفظ مشتملة على هذه الاشياء بطريق الاجمال وانا لكم ناصح فيما ادعوكم اليه من طاعة الله وتوحيده امين
اي ثقة مأمون في تادية الرسالة فلا اكذب ولا اغير عن الضحاك والجبائي وقيل معناه كنت مأمونا فيكم فكيف تكذبونني
عن الكلبي او عجبتم ان جاءكم ذكر اي لا تعجبوا ان جاءكم نبوة وقيل معجزة وبيان على رجل منكم في النسب تعرفونه وقيل ان معناه
كيف تعجبون من بعثه رجل منكم ولا تتعجبون من عبادة حجارة لينذركم ليخوفكم واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح معناه
واذكروا نعمة الله عليكم بان جعلكم سكان الارض من بعد قوم نوح واهلكهم بالعصيان وزادكم في الخلق بسطة اي طولا وقوة
عن ابن عباس وجماعة قال الكلبي كان اطولهم مائة ذراع واقصرهم ستين ذراعا وقيل كان اقصرهم اثني عشر ذراعا وقال ابو جعفر ع
كانوا كانهم النخل الطوال وكان الرجل منهم ينحو الجبل بيده فيهدم منه قطعة وقيل معناه وزادكم في خلقكم بسطة فكانوا اطول من
غيرهم بمقدار ان يمد الانسان يده فوق راسه باسطا فاذكروا آلاء الله اي نعم الله لعلكم تفلحون اي لكي تفوزوا بنعيم الدنيا والآخرة

قالوا أجئتنا يا هود لنعبد الله وحده ونذر عبادة ما كان يعبد آباؤنا من الأصنام فأتنا بما تعدنا من العذاب
إن كنت من الصادقين في أنك رسول الله إلينا وفي نزول العذاب بنا لو لم نترك عبادة الأصنام قال هود لقومه
جوابا لما قالوه قد وقع عليكم أي وجب عليكم وحل بكم لا محالة فهو كالواقع من ربكم رجس أي عذاب وغضب والغضب
من الله إرادة العقاب المستحق ومثله السخط أتجادلونني أي تناظرونني وتخاصمونني في أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم
أي في أصنام صنعتموها أنتم وآباؤكم واخترعتم لها أسماء فسميتموها آلهة وما فيها من معنى الإلهية شيء وقيل تسميتهم لبعضها
أنه يسقيهم المطر والآخر أنه يأتيهم بالرزق والآخر أنه يشفي المرض والآخر يصحبهم في السفر ما نزل بها من سلطان أي
حجة وبرهان وبينة وعليكم البينة بما ادعيتم وسميتم وليس علي أن آتيكم البينة على ما تعبدونه من دون الله بل ذلك
عليكم وعلي أن آتيكم بسلطان مبين أن الله تعالى هو المعبود لا معبود وإني رسوله فانتظروا عذاب الله فإنه نازل بكم
إني معكم من المنتظرين لنزوله بكم عن الحسن والجبائي والمفسرين فأنجيناه والذين معه برحمة منا أي فخلصنا هودا والذين
كانوا آمنوا معه من العذاب بإخراجنا إياهم من بينهم قبل إنزال العقاب بهم وقطعنا دابر القوم الذين كذبوا بآياتنا أي
واستأصلنا الذين كذبوا بحججنا بعذاب الاستئصال فلم يبق لهم نسل ولا ذرية وما كانوا مؤمنين بالله ورسوله وإنما قال
ذلك ليبين أنه كان المعلوم من حالهم أنه لو لم يهلكهم ما كانوا ليؤمنوا كما قال في موضع آخر ولقد أهلكنا القرون من قبلكم
لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا وفي هذه الآية دلالة على أن قوم هود استؤصلوا فلا عقب لهم القصة
جملة ما ذكره السدي ومحمد بن إسحاق وغيرهما من المفسرين في قصة هود أن عادا كانوا ينزلون اليمن وكانت مساكنهم
منها بالشحر والأحقاف وهي رمال يقال لها رمل عالج والدهناء ويبرين ما بين عمان إلى حضرموت وكان لهم زرع ونخل ولهم أعمار
طويلة وأجسام عظيمة وكانوا أصحاب أصنام يعبدونها فبعث الله إليهم هودا نبيا وكان من أوسطهم نسبا وأفضلهم حسبا فدعاهم
إلى التوحيد وخلع الأنداد فأبوا عليه وكذبوه وآذوه فأمسك الله عنهم المطر سبع سنين وقيل ثلاث سنين حتى قحطوا وكان
الناس في ذلك الزمان إذا نزل بهم بلاء أو جهد التجؤوا إلى بيت الله الحرام بمكة مسلمهم وكافرهم وأهل مكة يومئذ العماليق من ولد
عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح وكان سيد العماليق إذ ذاك بمكة رجلا يقال له معاوية بن بكر وكانت أمه من عاد فبعث
عاد وفدا إلى مكة ليستسقوا لهم فنزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجا من الحرم فأكرمهم وأنزلهم وأقاموا عنده شهرا
يشربون الخمر فلما رأى معاوية طول مقامهم وقد بعثهم قومهم يتغوثون من البلاء الذي نزل بهم شق ذلك عليه وقال
هلك أخوالي وهؤلاء مقيمون عندي وهم ضيفي أستحيي أن آمرهم بالخروج إلى ما بعثوا إليه وشكا ذلك إلى قينتيه اللتين كانتا
تغنيانهم وهما الجرادتان فقالتا قل شعرا نغنيهم به لا يدرون من قاله فقال معاوية بن بكر ألا يا قيل ويحك قم فهينم لعل الله
يصبحنا غماما فيسقي أرض عاد إن عادا قد أمسوا ما يبينون الكلاما وإن الوحش يأتيهم جهارا ولا تخشى لعادي سهاما وأنتم
هاهنا فيما اشتهيتم نهاركم وليلكم التماما فقبح وفدكم من وفد قوم ولا لقوا التحية والسلاما فلما غنتهم الجرادتان بهذا قال
بعضهم لبعض إنما بعثكم قومكم يتغوثون بكم من هذا البلاء فادخلوا هذا الحرم واستسقوا لهم فقال رجل منهم قد آمن
بهود سرا والله لا تسقون بدعائكم ولكن إن أطعتم نبيكم سقيتم فزجروه وخرجوا إلى مكة يستسقون بها لعاد وكان قيل بن
عنز رأس وفد عاد فقال يا إلهنا إن كان هود صادقا فاسقنا فإنا قد هلكنا فأنشأ الله سحابا ثلاثا بيضا وحمرا وسودا ثم ناداه
مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك وقومك فاختار السحابة السوداء التي فيها العذاب فساق الله سبحانه تلك السحابة بما فيها من
النقمة إلى عاد فلما رأوها استبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا يقول الله عز وجل بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم
فسخرها الله تعالى عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما أي دائمة فلم يدع من عاد أحدا إلا هلك واعتزل هود ومن معه من
المؤمنين في حظيرة ما يصيبه ومن معه إلا ما تلين عليه الجلود وتلذ النفوس وإنها لتمر من عاد بالظعن ما بين السماء والأرض
وتدمغهم بالحجارة فأهلكتهم وروى أبو حمزة الثمالي عن سالم عن أبي جعفر ع قال إن الله تبارك وتعالى بعث ريحا مقفل عليه لو فتح لأذرت

ما بين السماء والأرض ما أرسل على قوم عاد إلا قدر الخاتم وكان هود وصالح وشعيب وإسماعيل ونبينا صلى الله عليه وآله
يتكلمون بالعربية قوله تعالى وإلى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم
هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم واذكروا إذ جعلكم خلفاء
من بعد عاد وبوأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا
في الأرض مفسدين قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحا مرسل
من ربه قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون قال الذين استكبروا إنا بالذي آمنتم به كافرون فعقروا الناقة وعتوا عن
أمر ربهم وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين فتولى
عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين سبع آيات القراءة قرأ ابن عامر
وحده وقال الملأ بإثبات الواو والباقون بغير واو وقد تقدم القول في نحو هذا الواو وأن إثباتها حسن وحذفها
حسن اللغة البينة العلامة الفاصلة بين الحق والباطل من جهة شهادتها به والناقة أصلها من التوطئة والتذلل
تقول بعير منوق أي مذلل موطأ وتنوق في العمل جوده والآية والعبرة والعلامة والدلالة نظائر والتبوئة التمكين من المنازل
يقال بوأته منزلا إذا أمكنته منه ليأوي إليه وأصله من الرجوع قال الشاعر وبوئت في صميم معشرها فتم في قومها مبوأها
أي أنزلت ومكنت والقصور جمع قصر وهو الدار التي لها سور يكون فيه مقصورة وأصل القصر الذي هو الحبس على منزلة دون
منزلة ومنه القصير لأنه دون غيره والقصر الغاية يقال قصرك الموت لأنه قصر عليه والعثا الفساد يقال عثي يعثى وعاث يعيث
بمعنى والعقر الجرح الذي يأتي على أصل النفس وهو من عقر الحوض أصله قال امرؤ القيس بإزاء الحوض أو عقره والعتو التجاوز
للحد في الفساد والرجفة الاضطراب يقال رجف بهم السقف يرجف رجوفا إذا اضطرب من تحتهم وأرجف الناس بالشيء إذا
خاضوا فيه واضطربوا والجثوم البروك على الركبة يقال جثم يجثم جثوما قال جرير عرفت المنتأى وعرفت منها مطايا القدر
كالحدأ الجثوم الإعراب ثمود جاء مصروفا وغير مصروف فمن صرفه جعله اسم الحي مذكرا ومن ترك صرفه جعله اسم القبيلة
كما قال ألا إن ثمود كفروا ربهم ألا بعدا لثمود فصرف الأول ولم يصرف الثاني آية منصوب على الحال لأن معنى قوله هذه
ناقة الله انظروا إلى هذه الناقة آية أي علامة وتأكل في موضع نصب على الحال أي آكلة ومفسدين أيضا نصب على الحال
وقوله لمن آمن منهم موضعه نصب بدلا من قوله للذين استضعفوا وهو بدل البعض من الكل إلا أنه أعيد فيه حرف الجر وقوله
يا صالح ائتنا وصلته همزة وإن ابتدأت به لم تهمز بل تقول ايتنا وإنما كان كذلك لأن أصله ائتنا همزتين فكرهوا
اجتماعهما فقلبوا الثانية ياء لكسرة ما قبلها وإذا وصل سقطت همزة الوصل فظهرت همزة الأصل المعنى ثم عطف سبحانه على ما تقدم
قصة صالح فقال وإلى ثمود أخاهم صالحا أي وأرسلنا إلى ثمود وثمود القبيلة هنا وهو ثمود بن عاثر بن إرم بن سام بن نوح وصالح
من ولد ثمود قال يا قوم اعبدوا الله وحده ما لكم من إله غيره فتعبدوه قد جاءتكم بينة من ربكم أي دلالة معجزة شاهدة
على صدقي هذه ناقة الله لكم آية أشار إلى ناقة بعينها أضافها إلى الله سبحانه تفضيلا وتخصيصا نحو بيت الله وقيل إنما أضافها
إليه لأنه خلقها بلا واسطة وجعلها دلالة على توحيده وصدق رسوله لأنها خرجت من صخرة ملساء تمخضت بها كما تتمخض
المرأة ثم انفلقت عنها على الصفة التي طلبوها وكان لها شرب يوم تشرب فيه ماء الوادي كله وتسقيهم اللبن بدله ولهم شرب يوم
يخصهم لا تقرب فيه ماءهم عن السدي وابن إسحاق وجماعة وقيل إنما أضافها إلى الله لأنه لم يكن لها مالك سواه تعالى عن الحسن
قال الحسن كانت ناقة من النوق وكان وجه الإعجاز فيها أنها كانت تشرب ماء الوادي في كل يوم على ما شرحناه فذروها
أي اتركوها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء أي بعقر أو نحر فيأخذكم أي ينالكم عذاب أليم أي مؤلم واذكروا إذ جعلكم خلفاء
من بعد عاد أي واذكروا نعم الله تعالى عليكم في أن أورثكم الأرض ومكنكم فيها من بعد عاد وبوأكم في الأرض أي أنزلكم
فيها وجعل لكم فيها مساكن وبيوتا تأوون إليها تتخذون من سهولها قصورا والسهل خلاف الجبل وهو ما ليس فيه مشقة

على النعم اى تبنون في سهولها القصور وانما اتخذوها في السهول ليصيفوا فيها وينحتون الجبال بيوتا قال ابن عباس
كانوا يبنون القصور بكل موضع وينحتون من الجبال بيوتا يسكنونها شتاء لتكون مساكنهم في الشتاء احصن وادفأ وروى
انهم لطول اعمارهم يحتاجون الى ان ينحتوا بيوتا في الجبال لان السقوف والابنية كانت تبلى قبل فناء اعمارهم فاذكروا آلاء الله
اى نعم الله عليكم بما اعطاكم من القوة وطول العمر والتمكن في الارض ولا تعثوا في الارض مفسدين اى ولا تضطربوا بالفساد
في الارض وتبالغوا فيه قال الملأ الذين استكبروا اى تعظموا ورفعوا انفسهم فوق مقدارها بجحود الحق للانفة من اتباع
الرسول الداعي اليه من قومه اى من قوم صالح للذين استضعفوهم من المؤمنين لمن آمن منهم انما ذكره لئلا يظن
بالمستضعفين انهم كانوا غير مؤمنين لانه قد يكون المستضعف مستضعفا في دينه ولا يكون مؤمنا فازال الله هذه الشبهة
اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه اى هل تعلمون ان الله سبحانه ارسل صالحا قالوا انا بما ارسل به مؤمنون اى مصدقون
قال الذين استكبروا لهم حين سمعوا منهم الايمان والاعتراف بنبوة صالح انا بالذي آمنتم به اى صدقتم به كافرون جاحدون
ثم اخبر سبحانه عما فعله المستكبرون فقال فعقروا الناقة اى فنحروا الناقة قال الازهري العقر عند العرب قطع عرقوب البعير ثم جعل
النحر عقرا لان ناحر البعير يعقره ثم ينحره وعتوا عن امر ربهم اى تجاوزوا الحد في الفساد والمعصية وقالوا يا صالح ائتنا
بما تعدنا من العذاب على قتل الناقة فقد قتلناها ان كنت من المرسلين ثم اخبر سبحانه بما حل بهم من العذاب
بقوله فاخذتهم الرجفة اى الصيحة عن مجاهد والسدي وقيل الصاعقة وقيل الزلزلة اهلكوا بها عن ابي مسلم وقيل
كانت صيحة زلزلت بها الارض واصل الرجفة الحركة المزعجة بشدة الزعزعة فاصبحوا في دارهم اى في بلدهم وكذلك وحد
وقيل يريد في دورهم وانما وحد لانه اراد الجنس كقوله ان الانسان لفي خسر وقد ذكر في موضع آخر ديارهم بالجمع جاثمين
اى صرعى ميتين ساقطين لا حركة بهم وقيل كالرماد الجاثم لانهم احترقوا بالصاعقة فتولى عنهم صالح اى اعرض عنهم لانه انما
كان يقبل عليهم لدعائهم الى الايمان وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم اى اديت النصح في تبليغ الرسالة
ولكن لا تحبون الناصحين اى ولكنكم لا تحبون من ينصح لكم كان من احب الناس ما قبل منه **قصة صالح** وكان من قصة
صالح وقومه ما ذكره اصحاب التواريخ ان عادا لما هلكت وتقضى امرها عمرت ثمود بعدها واستخلفوا في الارض فكثروا
وعمروا وكانوا في سعة من معايشهم فعتوا على الله وافسدوا في الارض وعبدوا غير الله فبعث الله اليهم صالحا وكان
من اوسطهم نسبا وكانوا قوما عربا وروى في الخرائج لما بعث كان ابن ست عشرة سنة فلبث فيهم يدعوهم الى الله تعالى
حتى بلغ عشرين ومائة سنة لا يجيبونه الى خير وكان لهم سبعون صنما يعبدونها فلما راى ذلك منهم قال لهم انا اعرض عليكم امرين
ان شئتم فاسألوني حتى اسأل الهي فيجيبكم فيما تسألون وان شئتم سألت آلهتكم فان اجابوني خرجت عنكم فقد شنئتكم
وشنئتموني قالوا انصفت فاتعدوا اليوم يخرجون فيه فخرجوا باصنامهم الى عيدهم واكلوا وشربوا فلما فرغوا دعوه فقالوا
يا صالح سل فسألها فلم تجبه قال لا ارى آلهتكم تجيبني فاسألوني حتى يسأل الهي فيجيبكم الساعة فقالوا يا صالح اخرج لنا
من هذه الصخرة واشاروا الى صخرة منفردة ناقة مخترجة جوفاء وبراء والمخترجة ما شاكل البخت من الابل فان فعلت صدقناك
وآمنا بك فسأل الله سبحانه ذلك صالح فانصدعت الصخرة صدعا كادت عقولهم تطير منه ثم اضطربت كالمرأة يأخذها
الطلق ثم انصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا لا يعلم ما بين جنبيها الا الله عظما وهم ينظرون ثم نتجت سقبا مثلها
في العظم فآمن به رهط من قومه ولم يؤمن اكابرهم فقال لهم صالح هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم وقد بينا
ذلك قبل فاذا كان يومها وضعت راسها في مائهم فما ترفعه حتى تشرب كل ما فيه ثم ترفع راسها فتفحج لهم فيحلبون ما شاءوا
من لبن فيشربون ويدخرون حتى يملؤوا اوانيهم كلها قال الحسن بن محبوب حدثني رجل من اصحابنا يقال له سعيد بن يزيد
قال اتيت ارض ثمود فقست مصدر الناقة بين الجبلين ورأيت اثر جنبيها فوجدته ثمانين ذراعا وكانت تصدر من
غير الفج الذي منه وردت لا تقدر على ان تصدر من حيث ترد تضيق عنها فكانوا في سعة ودعة منها وكانوا يشربون

الماء يوم الناقة من الجبال والمغارات فشق ذلك عليهم منها وكانت مواشيهم تنفر عنها لعظمها فهموا بقتلها قالوا وكانت
امرأة جميلة يقال لها صدوف ذات مال من ابل وبقر وغنم وكانت اشد الناس عداوة لصالح فدعت رجلا من ثمود يقال
له مصدع بن مهرج وجعلت له نفسها على ان يعقر الناقة وامرأة اخرى يقال لها عنيزة دعت قدار بن سالف وكان
احمر ازرق قصيرا وكان ولد زنا ولم يكن لسالف الذي يدعى اليه ولكنه ولد على فراشه وقالت اعطيك اي بناتي شئت
على ان تعقر الناقة وكان قدار عزيزا منيعا في قومه فانطلق قدار بن سالف ومصدع فاستغويا غواة ثمود فاتبعهما
سبعة نفر واجمعوا على عقر الناقة قال السدي وغيره اوحى الله تعالى الى صالح ان قومك سيعقرون ناقتك فقال ذلك لقومه
فقالوا ما كنا لنفعل قال صالح انه يولد في شهركم هذا غلام يعقرها ويكون هلاككم على يديه فقالوا لا يولد لنا ابن
في هذا الشهر الا قتلناه فولد التسعة منهم في ذلك الشهر فذبحوا ابناءهم ثم ولد العاشر فابى ان يذبح ابنه وكان لم يولد
له قبل ذلك شيء وكان ابن العاشر ازرق احمر ونبت نباتا سريعا فكان اذا مر بالتسعة فراوه قالوا لو كان ابناؤنا احياء لكانوا
مثل هذا فغضب التسعة على صالح لانه كان سبب قتلهم ابناءهم فتقاسموا بالله لنبيتنه واهله قالوا نخرج فيرى الناس انا قد
خرجنا الى سفر فناتي الغار فنكون فيه حتى اذا كان الليل وخرج صالح الى مسجده اتيناه فقتلناه ثم رجعنا فقلنا ما شهدنا مهلك
اهله وانا لصادقون فيصدقوننا يعلمون انا قد خرجنا الى سفرنا فكان صالح لا ينام معهم في القرية وبيت في مسجد يقال له مسجد
صالح فاذا اصبح اتاهم فوعظهم واذا امسى خرج الى المسجد فبات فيه فانطلقوا فلما دخلوا الغار وارادوا ان يخرجوا من الليل
سقط عليهم الغار فقتلهم فانطلق رجال ممن اطلع على ذلك منهم فاذا هم رضخ فرجعوا وجعلوا يصيحون في القرية اى عباد الله
ما رضي صالح ان امرهم بقتل اولادهم اذ قتلهم فاجتمع اهل القرية على عقر الناقة وقال ابن عباس انما كان تقاسم التسعة
على تبييت صالح بعد عقر الناقة وانذار صالح اياهم بالعذاب قال السدي ولما ولد قدار وكبر جلس مع اناس يصيبون من
الشراب فارادوا ماء يمزجون به شرابهم وكان ذلك اليوم شرب الناقة فوجدوا الماء قد شربته الناقة فاشتد ذلك عليهم
فقال قدار هل لكم في ان اعقرها لكم قالوا نعم وقال كعب كان سبب عقرهم الناقة ان امرأة يقال لها ملكا كانت قد ملكت
ثمود فلما اقبل الناس على صالح وصارت الرياسة اليه حسدته فقالت لامرأة يقال لها قطام وكانت معشوقة قدار بن سالف
ولامرأة اخرى يقال لها قبال كانت معشوقة مصدع وكان قدار ومصدع يجتمعان معهما
كل ليلة ويشربون الخمر فقالت لهما ملكا ان اتاكما الليلة قدار ومصدع فلا تطيعاهما وقولا لهما ان الملك حزينة لاجل الناقة ولاجل
صالح فنحن لا نطيعكما حتى تعقرا الناقة فلما اتياهما قالتا هذه المقالة لهما فقالا نحن نكون من وراء عقرها قالوا انا نطلق قدار ومصدع
فلما اتياهما قالتا هذه المقالة لهما فقالا نحن نكون من وراء عقرها قالوا فانطلق قدار ومصدع واصحابهما التسعة فرصدوا
الناقة حين صدرت عن الماء وقد كمن لها قدار في اصل صخرة على طريقها وكمن لها مصدع في اصل اخرى فمرت على مصدع
فرمى بسهم فانتظم به عضلة ساقها وخرجت عنيزة وامرت ابنتها وكانت من احسن الناس فاسفرت لقدار ثم ذمرته فشد
على الناقة بالسيف فكشف عرقوبها فخرت ورغت رغاة واحدة تحذر سقبها ثم طعن في لبتها فنحرها فخرج اهل البلدة
واقتسموا لحمها وطبخوه فلما راى الفصيل ما فعل بامه ولى هاربا حتى صعد جبلا ثم رغا رغاء تقطع منه قلوب القوم واقبل
صالح فخرجوا يعتذرون اليه انما عقرها فلان ولا ذنب لنا فقال صالح انظروا هل تدركون فصيلها فان ادركتموه فعسى
ان يرفع عنكم العذاب فخرجوا يطلبونه في الجبل فلم يجدوه وكان عقروا الناقة ليلة الاربعاء فقال لهم صالح تمتعوا في داركم
يعني في محلتكم في الدنيا ثلاثة ايام فان العذاب نازل بكم ثم قال يا قوم انكم تصبحون غدا ووجوهكم مصفرة واليوم الثاني
ووجوهكم محمرة واليوم الثالث ووجوهكم مسودة فلما كان اول يوم اصبحت وجوههم مصفرة فقالوا جاءكم ما قال لكم صالح
ولما كان اليوم الثاني احمرت وجوههم واليوم الثالث اسودت وجوههم فلما كان نصف الليل اتاهم جبرئيل فصرخ بهم صرخة
خرقت اسماعهم وفلقت قلوبهم وصدعت اكبادهم وكانوا قد تحنطوا وتكفنوا وعلموا ان العذاب نازل بهم فماتوا اجمعين

فطرقة عين صغيرهم وكبيرهم فلم يبق الله منهم ثاغية ولا راغية ولا شيئا يتنفس الا اهلكها فاصبحوا في دارهم جاثمين موتى
ثم ارسل الله اليهم مع الصيحة النار من السماء فاحرقتهم اجمعين فهذه قصتهم و في كتاب علي بن ابرهيم فبعث الله اليهم
بصيحة وزلزلة فهلكوا وروى الثعلبي باسناده مرفوعا عن النبي عليه السلم قال يا علي اتدري من اشقى الناس لاخرين
قال قلت الله و رسوله اعلم قال قاتلك وفي رواية اخرى قال اشقى الآخرين من يخضب هذه من هذه واشار الى لحيته
وراسه وروى ابو الزبير عن جابر بن عبد الله قال لما مر النبي صلى الله عليه وآله بالحجر في غزوة تبوك قال لاصحابه لا يدخلن
احد منكم القرية ولا تشربوا من ماءهم ولا تدخلوا على هولاء المعذبين الا ان تكونوا باكين ان يصيبكم الذي اصابهم ثم قال
اما بعد فلا تسألوا رسولكم الايات هولاء قوم صالح سالوا رسولهم الآية فبعث الله لهم الناقة وكانت ترد من هذا الفج
وتصدر من هذا الفج تشرب ماءهم يوم ورودها واراهم مرتقى الفصيل حين ارتقى في القارة فعتوا عن امر ربهم فعقروها
فاهلك الله من تحت اديم السماء منهم في مشارق الارض ومغاربها الا رجلا واحدا يقال له ابو رغال وهو ابو ثقيف
كان في حرم الله فمنعه حرم الله من عذاب الله فلما خرج اصابه ما اصاب قومه فدفن ودفن معه غصن من ذهب واراهم قبر
ابي رغال فنزل القوم فابتدروه باسيافهم وحفروا عنه فاستخرجوا ذلك الغصن ثم قنع رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم راسه
واسرع السير حتى جاز الوادي قوله عز وجل ولوطا اذ قال لقومه اتاتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد من العالمين
ائنكم لتاتون الرجال شهوة من دون النساء بل انتم قوم مسرفون وما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم
من قريتكم انهم اناس يتطهرون فانجيناه واهله الا امراته كانت من الغابرين وامطرنا عليهم مطرا فانظر
كيف كان عاقبة المجرمين خمس آيات القراءة قرا اهل المدينة وحفص وسهل هنا انكم لتاتون وكذلك مذهبهم في الاستفهامين
يجتمعان يكتفون بالاستفهام الاول عن الثاني في كل القران وهو مذهب الكسائي الا في قصة لوط والباقون بهمزتين
الثانية مكسورة وخففها اهل الكوفة الا ان حفصا يفصل بينهما بالف وابن كثير وابو عمرو ورويس يخففون الاولى
ويلينون الثانية الا ان ابا عمرو يفصل بينهما بالالف الحجة قال ابو علي كل واحد من الاستفهامين جملة مستقلة لا يحتاج
في تمامها الى شيء فمن الحق حرف الاستفهام جملة تعلقها به من الجزاء الاستبعاد ومن لم يلحقها الحقها على الخبر فاذا كان كذلك
فمن قرا انكم لتاتون الرجال جعله تفسيرا للفاحشة كما ان قوله للذكر مثل حظ الانثيين تفسير للوصية اللغة قال الزجاج لوط اسم غير
مشتق لان العجمي لا يشتق من العربي وانما قال ذلك لانه لم يوجد الاعلم في اسماء الانبياء وقيل انه مشتق من لطت الحوض اذا الزقت
عليه الطين ولسته ويقال هذا الوط بقلبي من ذاك اي الصق واللياطة القشر للصوقه بما اتصل به والشهوة مطالبة النفس
فعل ما فيه اللذة وليست كالارادة لانها قد تدعوا الى الفعل من جهة الحكمة والشهوة ضرورية فينا من فعل الله تعالى
والارادة من فعلنا يقال شهيت اشتهي شهوة قال واشعث يشتهي النوم قلت له ارحل اذا ما النجوم اعرضت واسكرت
فقام يجر البرد لو ان نفسه يقال اخذ ها بكفيك خرت والاسراف الخروج عن حد الحق الى الفساد والغابر الباقي
قال الاعشى غض بما ابقى المواسي له من امه في الزمن الغابر الاعراب انما صرف لوطا لخفته بكونه على ثلثة احرف ساكن
الاوسط فقاومت الخفة احد السببين ويجوز في قوله جواب قومه الرفع الا ان الاجود النصب وعليه القراءة شهوة
مصدر وضع موضع الحال وقوله الا امراته استثناء متصل لانه يجوز ان يدخل الزوجة في الاهل على التغليب في الجملة دون
التفصيل ولم يقل من الغابرات لانه اراد انها ممن بقي مع الرجال ومطرا مصدر ذكر للتوكيد كقولك ضربته ضربا المعنى ثم عطف
سبحانه على ما تقدم فقال ولوطا اي وارسلنا لوطا وقيل ان تقديره واذكر لوطا قال الاخفش يحتمل المعنيين جميعا هنا ولم يحتمل
في قصة عاد وهود الا ارسلنا لان فيها ذكر الى وهو لوط بن هاران بن تارخ بن اخي ابرهيم الخليل عليه السلم وقيل انه كان ابن
خالة ابرهيم وكانت سارة امراة ابرهيم اخت لوط اذ قال لقومه اتاتون الفاحشة اي السيئة العظيمة القبح يعني اتيان الرجال
في ادبارهم ما سبقكم بها من احد من العالمين قيل ما نزا ذكر على ذكر قبل قوم لوط عن عمرو بن دينار قال الحسن

الملة وكانوا يفعلون ذلك بالغرباء ثم بين تلك الفاحشة فقال انكم لتاتون الرجال شهوة من دون النساء معناه
انكم لتاتون الرجال في ادبارهم اشتهاء منكم اي بشهوتكم فتاتونهم ويتركون اتيان النساء التي اباحها الله تعالى لكم
بل انتم قوم مسرفون متجاوزون عن الحد في الظلم والفساد ومستوفون جميع المعايب اتيان الذكران وغيره وما كان
جواب قومه اي لم يجيبوه عما قال الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم قابلوا الوعظ والنصح بالسفاهة فقالوا اخرجوا آل
لوط ومن آمن به من بلدكم المراد بالقرية البلدة كما قال ابو عمرو بن العلا ما رايت قرويين افصح من الحسن البصري
والحجاج يريد بالقروي من سكن المدن انهم اناس يتطهرون اي يتحرجون عن ادبار الرجال فعابوهم بما يجب ان يمدحوا به
عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وقيل معناه يتنزهون عن افعالكم وطرايقكم فانجيناه اي خلصناه لوطا من الهلاك
واهله المختصين به واهل الرجل من يختص به اختصاص القرابة الا امراته كانت من الغابرين اي من الباقين في قومه والمتخلفين
عن لوط حتى هلكت لانها كانت على دينهم فلم تؤمن به وقيل معناه كانت من الباقين في عذاب الله عن الحسن وقتادة
وامطرنا عليهم مطرا اي ارسلنا عليهم الحجارة كالمطر كما قال في اية اخرى وامطرنا عليهم حجارة من سجيل فانظر كيف
كان عاقبة المجرمين معناه تفكروا بعين العقل كيف كان مآل امر المقترفين للسيات المنقطعين اليها وعاقبة
فعلهم من عذاب الدنيا بالاستيصال قبل عذاب الآخرة بالخلود في النار قصة لوط مع قومه وحال امرهم
فيما روي عن ابي حمزة الثمالي وابي بصير عن ابي جعفر عليه السلم ان لوطا لبث في قومه ثلثين سنة وكان نازلا فيهم ولم يكن
منهم يدعوهم الى الله وينهاهم عن الفواحش ويحثهم على الطاعة فلم يجيبوه ولم يطيعوه وكانوا لا يتطهرون من الجنابة
بخلاء اشحاء على الطعام فاعقبهم البخل الداء الذي لا دواء له في فروجهم وذلك انهم كانوا على طريق السيارة
الى الشام ومصر فكان ينزل بهم الضيفان فدعاهم البخل الى ان كانوا اذا نزل بهم الضيف فضحوه وانما فعلوا ذلك لتنكل
النازلة عليهم من غير شهوة بهم الى ذلك واوردهم البخل هذا الداء حتى صاروا يطلبونه من الرجال ويعطون عليه الجعل
وكان لوط سخيا كريما يقري الضيف اذا نزل به فنهوه عن ذلك فقالوا لا تقرين ضيفا جاء ينزل بك فانك ان فعلت
فضحنا ضيفك فكان لوط اذا نزل به الضيف كتم امره مخافة ان يفضحه قومه ولما اراد الله سبحانه عذابهم بعث اليهم
رسلا مبشرين ومنذرين فلما عتوا عن امره بعث الله اليهم جبرئيل في نفر من الملئكة فاقبلوا الى ابرهيم قبل لوط
فلما راهم ابرهيم ذبح عجلا سمينا فلما راى ايديهم لا تصل اليه نكرهم واوجس منهم خيفة قالوا يا ابرهيم انا رسل ربك
ونحن لا ناكل الطعام انا ارسلنا الى قوم لوط وخرجوا من عند ابرهيم فوقفوا على لوط وهو يسقي الزرع فقال من انتم
فقالوا نحن ابناء السبيل اضفنا الليلة فقال لوط ان اهل هذه القرية قوم سوء ينكحون الرجال في ادبارهم وياخذون
اموالهم قالوا قد ابطانا فاضفنا فجاء لوط الى اهله وكانت كافرة فقال قد اتاني اضياف في هذه الليلة فاكتمي امرهم
قالت افعل وكانت العلامة بينها وبين قومها انه اذا كان عند لوط اضياف بالنهار تدخن من فوق السطح واذا كان
بالليل توقد النار فلما دخل جبرئيل والملائكة معه بيت لوط وثبت امراته على السطح فاوقدت نارا فاقبل القوم من
كل ناحية يهرعون اليه اي يسرعون ودار بينهم ما قصه الله تعالى في مواضع من كتابه فضرب جبرئيل بجناحه على عيونهم
وطمسها فلما راوا ذلك علموا انه قد اتاهم العذاب فقال جبرئيل عليه السلم للوط اخرج من بينهم انت واهلك الا امراتك
فقال كيف اخرج وقد اجتمعوا حول داري فوضع بين يديه عمودا من نور وقال اتبع هذا العمود ولا يلتفت منكم احد
فخرجوا من القرية فلما طلع الفجر ضرب جبرئيل بجناحه في طرف القرية فقلعها من تخوم الارضين السابعة ثم رفعها في
الهواء حتى سمع اهل السماء نباح كلابهم وصراخ ديوكهم ثم قلبها عليهم وهو قول الله تعالى وجعلنا عاليها سافلها وذلك
بعد ان امطر عليهم حجارة من سجيل وهلكت امراته بان ارسل الله عليها صخرة فقتلها وقيل قلبت المدينة على الحاضرين منهم
وجعل عاليها سافلها وامطرت الحجارة على الغائبين فاهلكوا بها وقال الكلبي اول من عمل عمل قوم لوط ابليس الخبيث لان بلادهم

اصحت فاتحها اهل المدينة ان يتمثل لهم ابليس في صورة شاب ثم دعا الى دبره فنكح في دبره ثم عبثوا بذلك العمل فلما كثر ذلك
فيهم عجت الارض الى ربها فسمع السماء فعجت الى ربها فسمع العرش فعج الى ربها فامر الله سبحانه السماء ان تحصبهم وامر الارض ان
تخسف بهم قوله عز وجل والى مدين اخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم فاوفوا
الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها ذلكم خير لكم ان كنتم مؤمنين ولا تقعدوا
بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجا واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم
وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين وان كان طائفة منكم آمنوا بالذي ارسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا حتى
يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين تلك آيات اللغة الايفاء اتمام الشيء الى حد الحق فيه ومنه ايفاء العهد وهو اتمامه بالعمل به والكيل
تقدير الشيء بالمكيال حتى يظهر مقداره منه والوزن تقديره بالميزان والمساحة تقديره بالذرع او ما زاد عليه او نقص والبخس
النقص عن الحد الذي يوجبه الحق والافساد اخراج الشيء الى حد لا ينتفع به بدلا من حال ينتفع بها وضده الاصلاح والصد
الصرف عن الفعل بالاغواء فيه كما يصد الشيطان عن ذكر الله وعن الصلوة يقال صده عن الامر يصده اي منعه العوج بكسر العين
في الدين وكل ما لا يرى والعوج بفتح العين في العود وكل ما يرى كالحائط وغيره والطائفة الجماعة من الناس وهو من الطوف
ماخوذة من انها تجتمع عن الطوف الاعراب مدين اسم المدينة او القبيلة لا ينصرف بالتعريف والتانيث وجائز ان يكون
اعجميا عن الزجاج بكل صراط بمعنى على كل صراط ويجوز تعاقب الحروف الثلاثة هنا الباء وعلى وفي تقول لا تقعد بكل صراط
وفي كل صراط لانها تجمع معاني الاحرف الثلاثة فيه فان الباء للالصاق وهو ملاصق المكان وعلى للاستعلاء وهو قد علا
المكان وفي للمحل وهو قد حل المكان ومن آمن في موضع نصب بانه مفعول به اي وتصدون المؤمنين بالله وانما قال فاصبروا
فيجعل الصبر جزاء وهو لازم على كل حال لان المعنى فيقع جزاء كل فريق بما يستحقه من ثواب او عقاب كانه قال فانهم منصوبون على
حكم الله بينكم المعنى ثم عطف سبحانه على ما تقدم من القصص قصة شعيب فقال والى مدين ولقد ارسلنا الى مدين اخاهم
شعيبا وقيل ان مدين ابن ابرهيم الخليل فنسبت القبيلة اليه قال عطا هو شعيب بن توبة بن مدين بن ابرهيم وقال قتادة
هو شعيب بن توبة وقال ابن اسحق هو شعيب بن ميكيل بن يشجب بن مدين بن ابرهيم وام ميكيل بنت لوط وكان
يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه وهم اصحاب الايكة وقال قتادة ارسل شعيب مرتين الى مدين والى اصحاب الايكة مرة قال
يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة قد مر تفسيره فاوفوا الكيل والميزان اي اتموا ما تكيلونه على الناس
بالمكيال وما تزنونه عليهم بالميزان ومعناه ادوا حقوق الناس على التمام في المعاملات ولا تبخسوا الناس اشياءهم
اي لا تنقصوهم حقوقهم وقال قتادة والسدي البخس الظلم ومنه المثل تحسبها حمقاء وهي باخس ولا تفسدوا في الارض
بعد اصلاحها يعني لا تعملوا في الارض بالمعاصي واستحلال المحارم بعد ان اصلحها الله بالامر والنهي وبعثة الانبياء وتعريف
الخلق مصالحهم وقيل لا تفسدوا بان لا تؤمنوا فيهلك الله الحرث والنسل ذلكم الذي امرتكم به خير لكم واعود عليكم ان
كنتم مؤمنين مصدقين بالله وانما علق خيريته بالايمان وان كان هو خيرا على كل حال من حيث انه لا يكون مؤمنا بالله وعارفا بنبيه
لم يمكنه ان يعلم ان ذلك خير له وكانه قال لهم كونوا مؤمنين لتعلموا ان ذلكم خير لكم ويمكن ان يكون المراد لا ينفعكم ايفاء الكيل والميزان
الا بعد ان تكونوا مؤمنين وقال الفراء لم يكن لشعيب معجزة على نبوته لان الله تعالى لم يذكر له دلالة في القرآن وهذا غلط لانه
لا يجوز ان يبعث الله تعالى نبيا بغير معجزة او قد قال سبحانه قد جاءتكم بينة من ربكم فاوفوا الكيل فجاء بالفاء جوابا للجزاء ويجوز
ان يكون له معجزات وان لم يذكر في القرآن كما ان اكثر آيات نبينا صلى الله عليه وآله معجزات غير مذكورة في القرآن ولم يوجب ذلك نفيها ولا تقعدوا
بكل صراط توعدون قيل في معناه اقوال احدها انهم كانوا يقعدون على طريق من قصد شعيبا للايمان به فيخوفونه بالقتل
عن ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد وثانيها انهم كانوا يقطعون الطريق فنهاهم عنه عن ابي هريرة وعبد الرحمن بن زيد ويحتمل
ان يكون اراد به انهم كانوا يقطعون الطريق على الناس عن قصد شعيب فرجع الى معنى القول الاول وثالثها ان المراد لا تقعدوا

بكل طريق من طرق الدين فتطلبون له العوج بايراد الشبه وتقولون لشعيب انه كذاب فلا يصدكم عن الدين ويتوعدونه
وتصدون عن سبيل الله من آمن به اي تصرفون عن دين الله من اراد الايمان به من الناس وتبغونها عوجا الهاء راجعة
الى السبيل تبغون السبيل عوجا عن الحق وهو ان تقولوا هذا كذاب وباطل وما اشبه ذلك عن قتادة وقيل معناه تلتمسون
لها الزيغ عن مجاهد وقيل معناه لا تستقيمون على طريق الهدى عن الحسن وقيل تريدون الاعوجاج والعدول عن القصد
عن الزجاج واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم اي كثر عددكم قال ابن عباس وذلك ان مدين بن ابرهيم تزوج بنت لوط فولدت
حتى كثر اولادها قال الزجاج وجائز ان يكون كثركم جعلكم اغنياء بعد ان كنتم فقراء وجائز ان تكونوا اعزة ذوي مقدرة
واقدار فكثركم وجائز ان تكون عددهم قليلا فكثرهم ثم قال فانظروا كيف كان عاقبة المفسدين يعني فكروا في عواقب امر
عاد وثمود ولوط وانزال العقاب بهم واستيصال شافتهم وما حل بهم من البوار وان كان طائفة منكم اي جماعة منكم
آمنوا بالذي ارسلت به يصدقوني في رسالتي وقبلوا قولي وطائفة لم يؤمنوا لم يصدقوا قولي فاصبروا حتى يحكم الله بيننا
خاطب الطائفتين ومعناه لا تغرنك تفرق الناس عني فان جميل العاقبة لي وسيجزي الله كل واحد من الفريقين بما يستحقه
على عمله في الدنيا وفي الآخرة دون الدنيا وهو خير الحاكمين لانه لا يجوز عليه الجور ولا المحاباة في الحكم وهذا وعيد لهم قال
البلخي امرهم في هذه الآية بالكف عما كانوا يفعلون من الصد عن الدين والايعاد عليه والكف عنه خير ورشد ولم يامرهم
بالمقام على الكفر وفي ذلك دلالة على انه ليس كل افعال الكفار كفرا ومعصية لم يذهب اليه بعض اهل النظر قوله عز وجل قال
الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا او لتعودن في ملتنا قال اولو
كنا كارهين قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله
ربنا وسع ربنا كل شيء علما على الله توكلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين آيتان اللغة العود الرجوع
وهو مصير الشيء الى حال كان عليها ومنه اعاده الله الخلق ويستعمل لفظ الاعادة في الفعل مرة ثانية حقيقة وفي فعل مثله
مجازا وكلاهما يسمى اعادة تقول اعدت الكتابة والقراءة ومعناه فعلت مثله قال الزجاج يقال قد عاد علي من فلان
مكروه وان لم يسبقه مكروه قبل ذلك وتاويله انه قد لحقني منه مكروه قال الشاعر لئن كانت الايام احسن مرة الي فقد
عادت لهن ذنوب الافتراء مشتق من فري الاديم وهو مثل الاختلاق والافتعال والملة الديانة التي تجتمع على العمل
بها فرقة عظيمة والاصل فيه تكرر الامر من قولهم طريق مليل اذا تكرر سلوكه حتى توطا ومنه الملل وهو تكرر الشيء على النفس
حتى تضجر والملة الرماد الحار تدفن فيه الخبز حتى ينضج لتكرر الحمى عليها والفتح الحكم والفاتح الحاكم لانه يفتح باب
العلم الذي انغلق على غيره وفاتحه فلان اي قاضيه قال ابن عباس ما كنت ادري ما الفتح حتى سمعت بنت سيف
بن ذي يزن وقد جرى بينها كلام فقالت انطلق اقاضيك الى القاضي اي احاكمك اليه المعنى ثم اخبر سبحانه
عما دار بينه وبين قومه فقال قال الملأ الذين استكبروا من قومه اي رفعوا انفسهم فوق مقدارها لنخرجنك يا شعيب
والذين آمنوا معك من قريتنا اي من بلدك واتباعك من المؤمنين بك من بلدنا الذي وطنك ومستقرك او لتعودن
في ملتنا او لترجعن الى ملتنا التي كنا عليها لانه كان عندهم في ظنهم انه كان قبل ذلك على دينهم فلذلك اطلقوا لفظ
العود وقد كان عليه السلام لحق دينه منهم ويحتمل انهم ارادوا به قومه فادخلوه معهم في الخطاب ويحتمل ان يكون المراد
ولتدخلن في ديننا ولترجعنا لان العود يذكر ويراد به الابتداء كما قال الزجاج ويكون بمعنى الصيرورة ومثله قول الشاعر
تلك المكارم لا قعبان من لبن شيبا بماء فعادا بعد ابوالا وحقيقة المعنى انك لا تمكنك من المقام في بلدنا وانت
على غير ملتنا فاما ان تخرج من بلدنا او تدخل في ملتنا قال اولو كنا كارهين للدخول فيها والمعنى انا مع كراهتنا لذلك
لما عرفناه من بطلانه نرجع فيدخل همزة الاستفهام على واو وقيل المعنى انكم لا تقدرون على ردنا الى دينكم على كره منا فيكون
على هذا اكارهين بمعنى مكرهين قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها اي ان عدنا في ملتكم بان نحل

ما تحلونه وتحرموا ما يحرمونه وينسبه الى الله تعالى بعد اذ نجانا الله منها بان اقام الدليل والحجة على بطلانها واوضح الحق لنا فقد اختلقنا على الله كذبا فيما دعوناكم اليه وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا قيل في معنى هذه المشية مع حصول العلم بانه سبحانه لا يشاء عبادة الاصنام اقوال احدها ان المراد بالملة الشريعة وليس المراد بها ما يرجع الى الاعتقاد في الله سبحانه مما لا يجوز ان يختلف العبادة فيه وفي شريعتهم اشياء يجوز ان يتعبد الله بها فكانه قال ليس لنا ان نعود في ملتكم الا ان يشاء الله ان يتعبدنا بها وينقلنا اليها وينسخ ما نحن فيه من الشريعة عن الجبائي والقاضي وثانيها انه سبحانه علق ما لا يكون بما علم انه لا يكون على وجه التبعيد كما قال ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وكقول الشاعر اذا شاب الغراب اتيت اهلي وصار القار كاللبن الحليب فيكون معناه كما لا يشاء الله عبادة الاصنام والقبائح لان ذلك لا يليق بحكمته فكذلك لا نعود في ملتكم عن جعفر بن حرب وثالثها ان المراد الا ان يشاء الله ان يمكنكم من اكراهنا ويخلي بينكم وبينه فنعود الى اظهارها مكرهين ويقوي هذا قوله اولو كنا كارهين ورابعها ان تعود الهاء التي في قوله فيها الى القرية لا الى الملة لان ذكر القرية قد تقدم كما ان ذكر الملة قد تقدم فيكون تحقيق الكلام انا سنخرج من قريتكم ولا نعود فيها الا ان يشاء الله بما ينجزه لنا من الوعد في الاظهار عليكم والظفر بكم فنعود فيها وخامسها ان يكون المعنى الا ان يشاء الله ان يردكم الى الحق فنكون جميعا على ملة واحدة غير مختلفة لانه لما قال حاكيا عنهم او لتعودن في ملتنا كان معناه او لنكونن على ملة واحدة غير مختلفة فحسن ان يقول بعد الا ان يشاء الله ان يجمعكم معناه على ملة واحدة فان قيل فكان الله تعالى ما شاء ان يرجع الكفار الى الحق قلنا بلى قد شاء ذلك الا انه انما شاء بان يؤمنوا مختارين ليستحقوا الثواب ولم يشأ على كل حال اذ لو شاء على كل حال لما جاز ان لا يقع منهم فكانه قال ان ملتنا لا تكون واحدة الا ان يشاء الله ان يلجئكم الى الايمان والاجتماع معنا على ملتنا وسع ربنا كل شيء علما انتصب علما على التمييز وتقديره وسع علم ربنا كل شيء فنقل الفعل الى نفسه لما فيه من جزالة اللفظ وفخامة المعنى وقيل في وجه اتصاله بما قبله ان الملة انما يتعبد بها على حسب ما في المعلوم من المصلحة فالمعنى انه سبحانه احاط علمه بكل شيء فهو اعلم بما اصلح لنا فيتعبدنا به وقيل المراد به انه عالم بما يكون منا من عود او ترك على الله توكلنا في الانتصار منكم وفي كل امورنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق هذا سؤال من شعيب ورغبة منه الى الله تعالى في ان يحكم بينه وبين قومه بالحق على سبيل الانقطاع اليه سبحانه وان كان من المعلوم ان الله سيفعله لا محالة وقيل ان معناه اكشف بيننا وبين قومنا بان انا على حق وهذا استعجال منه للنصر وانت خير الفاتحين اي خير الحاكمين والفاصلين قوله عز وجل وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين الذين كذبوا شعيبا كان لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين اربع آيات غني بالمكان يغنى غنى وغنيانا واقام به كانما استغنى بذلك المكان عن غيره والمغاني المنازل واصل الباب الغنى قال حاتم غنينا زمانا بالتصعلك والغنى فكلا سقاناه بكاسيهما الدهر فما زادنا بغيا على ذي قرابة غنانا ولا ازرى باحسابنا الفقر والاسى شدة الحزن يقال اسى ياسى وقد يقولون لا يهلك اسى وتجمل الاعراب انكم اذا لخاسرون جواب القسم وقد سد مسد جواب الشرط من قوله واذا ههنا ملغاة لانها وقعت حشو الكلام وما بعدها يعتمد على ما قبلها الذين كذبوا شعيبا الاول في موضع رفع بالابتداء وخبره كان لم يغنوا فيها وانما اعيد مرة ثانية من غير كناية لتغليظ الامر في تكذيبهم شعيبا مع البيان انهم الذين حصلوا على الخسران لا من نسبوه الى ذلك من اهل الايمان وهم في قوله هم الخاسرون فصل وانما دخل الفصل مع ان المضمر لا يوصف لانه يحتاج فيه الى التوكيد ليتمكن معناه في النفس وان الذي بعد من المعرفة لا يخرجه ذلك عن معنى الخبر وان كان الاصل في الخبر النكرة المعنى ثم حكى سبحانه ما قالت الجماعة الكافرة الجاحدة باياته فقال سبحانه وقال الملأ الذين كفروا من قومه اي قوم شعيب للباقين منهم اي لئن اتبعتم شعيبا في دينه وتركتم دينكم انقيادا لامره وتخيرا لان الاتباع هو طلب الثاني موافقة الاول فيما دعا اليه انكم اذا لخاسرون والخسران ذهاب راس المال فكانهم قالوا

ان تبعتموه كنتم بمنزلة من ذهب راس ماله وقيل خاسرون مغبونون عن ابن عباس وقيل هالكون فاخذتهم الرجفة اي فاخذت قوم شعيب الزلزلة عن الكلبي وقيل ارسل الله عليهم ومدة وحرا شديدا فاخذ بانفاسهم فدخلوا اجواف البيوت فدخل عليهم البيوت فلم ينفعهم ظل ولا ماء وانضجهم الحر فبعث الله سبحانه فيها ريحا طيبة فوجدوا برد الريح وطيبها وظل السحابة فتنادوا عليكم بها فخرجوا الى البرية فلما اجتمعوا تحت السحابة الهبها الله عليهم نارا ورجفت بهم الارض فاحترقوا كما يحترق الجراد المقلي وصاروا رمادا وهو عذاب يوم الظلة عن ابن عباس وغيره من المفسرين وقيل بعث الله عليهم صيحة واحدة فماتوا عن ابي عبد الله عليه السلم وقيل انه كان لشعيب قومان قوم اهلكوا بالرجفة وقوم وهم اصحاب الظلة فاصبحوا في دارهم اي في ديارهم جاثمين اي ميتين ملقين على وجوههم الذين كذبوا شعيبا كان لم يغنوا فيها اي كانهم لم يقيموا بها قط لان المهلك يصير كان لم يكن وقيل كان لم يغنوا كان لم يعيشوا فيها مستغنين عن قتادة وقيل كان لم يعمروا فيها عن ابن عباس الذين كذبوا شعيبا اعاد اللفظ تاكيدا او تغليظا كانوا هم الخاسرين ثم بين سبحانه انهم الخاسرون دون من آمن به فتولى عنهم شعيب اي اعرض عنهم لما راى اقبال العذاب عليهم اعراض الآيس منهم فقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي فيما امرني فلم تؤمنوا ونصحت لكم فلم تقبلوا ومعناه ما نزل بكم من البلاء وان كان عظيما فقد استوجبتم ذلك لجنايتكم على انفسكم فكيف آسى اي كيف احزن على قوم كافرين حل العذاب بهم مع استحقاقهم له وقوله فكيف آسى وان كان على لفظ الاستفهام فالمراد به النفي لان جوابه في هذا الموضع لا يصح الا بالنفي وانما يدخله الانكار ليظهر هذه العلة وهذا كما قال العجاج اطربا وانت قنسري وهذا تسل من شعيب عليه السلم انما تذكر من حاله معهم في مناصحته لهم وتاديته رسالة ربه اليهم فانه لا ينبغي ان ياسى عليهم مع تمردهم في كفرهم وشدة عتوهم قال البلخي وفي هذا دلالة على انه لا يجوز للمسلم ان يدعو للكافر بالخير وانه لا يجوز الحزن على هلاك الكافرين والظالمين قوله عز وجل وما ارسلنا في قرية من نبي الا اخذنا اهلها بالباساء والضراء لعلهم يضرعون ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون آيتان اللغة التبديل وضع احد الشيئين مكان الآخر واصل العفو الترك من قولهم عفى عن ذنبه اي تركه فمعنى قوله عفوا تركوا حتى كثروا قال ولكنا نعض السيف منها باسوق عافيات اللحم كوم والبغتة الفجاة وهي الاخذ على غرة من غير تقدمة تؤذن بالنازلة تقول بغته يبغته بغتا وبغتة قال وانكأ شيء حين يفجاك البغت الاعراب اصله يتضرعون فادغمت التاء في الضاد ولا يدغم الضاد لان في الضاد استطالة وانما يدغم الناقص في الزائد ولا يدغم الزائد في الناقص لما في ذلك من الاخلال به وهو في موضع رفع بانه خبر لعل وبغتة مصدر وضع موضع الحال المعنى ثم ذكر سبحانه بعد ما اقتص من قصص الانبياء وتكذيب اممهم اياهم ما نزل بهم من العذاب سنته في امثالهم تسلية لنبينا صلى الله عليه وآله فقال وما ارسلنا في قرية من القرى التي اهلكناها بالعذاب وقيل في سائر القرى عن الجبائي من نبي وهو من يؤدي عن الله بلا واسطة من البشر فلم يؤمنوا به بعد قيام الحجة عليهم الا اخذنا اهلها يعني اهل تلك القرية بالباساء والضراء لعلهم يضرعون اي لينتهوا ويعلموا انه مقدمة العذاب ويتضرعوا ويتوبوا عن شركهم ومخالفتهم ويعني بالباساء ما نالهم من الشدة في انفسهم وبالضراء ما نالهم في اموالهم وقيل ان الباساء الجوع والضراء الامراض والشدائد عن الحسن وقيل ان الباساء الجوع والضراء الفقر عن السدي ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة اي رفعنا السيئة ووضعنا الحسنة مكانها والسيئة الشدة والحسنة الرخاء عن ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد وسميت سيئة لانها تسوء صاحبها قال الجبائي جرى في هذا الموضع على سبيل التوسع والمجاز حتى عفوا اي كثروا عن ابن عباس ومجاهد والسدي وقيل سمنوا عن الحسن وقيل اعرضوا عن الشكر عن ابي مسلم وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء اي قال بعضهم لبعض هكذا عادة الدهر فكونوا على ما انتم عليه كما كان آباؤكم لم ينتقلوا عن حالهم فاخذناهم بغتة اي فجاة عبرة لمن بعدهم وهم لا يشعرون اي لم يعلموا ان العذاب نازل بهم الا بعد حلوله وحقيقة المعنى في الآية انه سبحانه يدبر خلقه الذين يعصونه بان ياخذهم تارة بالشدة وتارة بالرخاء فاذا افسدوا على الامرين جميعا اخذهم فجاة ليكون ذلك اعظم في الحسرة وابلغ في

في العقوبة نعوذ بالله من سخطه قوله عز وجل ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ولكن كذبوا فاخذناهم بما كانوا يكسبون افامن اهل القرى ان ياتيهم باسنا بياتا وهم نائمون او امن اهل القرى ان ياتيهم باسنا ضحى وهم يلعبون افامنوا مكر الله فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون اربع آيات القراءة اوامن بفتح الواو عراقي وابن فليح والباقون اوامن بسكون الواو الا ان ورشا قرا على اصله في القاء حركة الهمزة على الساكن قبلها فقال اوَمن الحجة قال ابو علي او حرف استعمل على ضربين احدهما ان يكون بمعنى احد الشيئين او الاشياء في الخبر والاستفهام والآخر ان يكون للاضراب عما قبلها في الخبر والاستفهام كما ان ام للمنقطعة في الاستفهام والخبر كذلك فاما التي يكون لاحد الشيئين او الاشياء فمثاله في الخبر زيد او عمرو جاء وزيدا او عمرو ضربته كما تقول احدهما جاء واحدهما ضربته وهي اذا كانت للاباحة كذلك ايضا وهو جالس الحسن او ابن سيرين واما التي يجي للاضراب بعد الخبر والاستفهام فكقولك انا اخرج ثم تقول او اقيم اضربت عن الخروج واثبت الاقامة كانك قلت لا بل اقيم كما انك في قولك انها لابل ام شاء مضرب عن الاول وقد لا يقطع بعد او هذه الاجملة ومن ثم قال سيبويه في قوله ولا تطع منهم آثما او كفورا انك لو قلت او لا تطع كفورا انقلب المعنى وانما كان ينقلب المعنى لانه اذا قال لا تطع آثما او كفورا فكانه قال لا تطع هذا الضرب ولا تطع هؤلاء فانما لو قال لا تطع واحدا منهما في معنى الآخر في وجوب ترك الطاعة له كما جاز له ان يجمع بين مجالسة الحسن وابن سيرين لان كل واحد منهما اهل المجالسة ومجالسة كل واحد منهما كمجالسة الآخر ولو قال لا تطع فقد اضرب عن ترك طاعة الاول وكان يجوز ان يطيعه وفي جواز ذلك انقلاب المعنى ووجه قراءة من قرا اوامن انه جعل او للاضراب لا على انه ابطل الاول ولكن كقوله الم تنزيل الكتاب ثم قال ام يقولون افتراه فجاء هذا ليبصروا ضلالتهم فكان المعنى او امنوا هذه الضروب من معاقبتهم والاخذ لهم وان شئت جعلت او التي في قولك ضربت زيدا او عمرا كانك اردت افامنوا احدى العقوبات ووجه قراءة من قرا اوامن انه ادخل همزة الاستفهام على حرف العطف كما دخل في نحو قوله اثم اذا ما وقع وقوله اوكلما عاهدوا عهدا من حجة من قرا ذلك انه اشبه بما قبله وما بعده الا ترى ان قبله افامن اهل القرى وبعده افامنوا مكر الله اولم يهد للذين يرثون فكما ان هذه الاشياء عطف حرف دخل عليها حرف الاستفهام كذلك اوامن اللغة البركات الخيرات النامية واصله الثبوت والامن الوثوق والثقة والطمانينة نظائر في اللغة وضد الامن الخوف وضد الثقة وضد الطمانينة الانزعاج والامن الثقة بالسلامة من الخوف والباس العذاب والبؤس الفقر والاصل الشدة ربيس شديد في القتال والنوم نقيض اليقظة وهو سهو يعم القلب ونعاس العين وضعف الحس وياتي في العلم يقال نام الرجل ينام نوما وهو حسن النيم اذا كان حسن هيئة النوم ورجل نومة بسكون الواو اذا كان خسيسا لا يوبه ورجل نومة بفتح الواو اذا كان كثير النوم والنيل لان من شانه ان ينام فيه اولانه يعشي كما يعشي النوم والضحى صدر النهار في وقت انبساط الشمس واصله الظهور من قولهم ضحا الشمس يضحو ضحوا وضحوا وفعل ذلك ضحوة وضاحية اذا فعله ظاهرا والاضحية لانها تذبح عند الضحى يوم العيد قال الخليل المكر الاحتيال باطنا بخلاف الاظهار وقيل ان اصل المكر الالتفاف ومنه شاة ممكورة اي طيبة حسنة قال ذو الرمة عجزاء ممكورة خمصانة قلق عنها الوشاح وتم الجسم والقصب والمكور شجر ملتف قال يسنن في علقي وفي مكور فمعنى قولك مكر فلان بمكر مكرا التف تدبيره على مكروه لصاحبه الاعراب لو معناه تعليق الثاني بالاول الذي يجب الثاني بوجوبه ويسمى بانتفائه على طريقة كان وان فيها بهذا المعنى على طريقة يكون والفرق بينهما ان تعلق الثاني بالاول الذي يمكن ان يكون ويمكن ان لا يكون كقولك ان امن هذا الكافر استحق الثواب وهذا مفقود وليس كذلك لو لانها قد يدخل على ما لا يمكن ان يكون كقولك لو كان الجسم قديما لاستغنى عن صانع وانما فتحت ان بعد لو لانها قد يدخل على ما لا يمكن ان يكون كقولك لو كان الجسم صانعا وانما فتحت ان بعد لو لانها وقعت في الموضع الذي يختص بالفعل فان لو ليس يدخل الا على الفعل وان مع اسمها وخبرها في تاويل اسم مفرد فيكون تقديره لو وقع ان اهل القرى

آمنوا فيكون اجتمعت ان مع ما بعده في موضع رفع بالفعل المقدر بعد لو وانما دخلت همزة الاستفهام على حرف العطف من قوله افامن او امن مع ان الاستفهام للاستيناف والعطف بخلافه لانهما انما يتنافيان في المفرد لان الثاني اذا عمل فيه الاول كان من الكلام الاول والاستيناف قد اخرجه من ان يكون منه فاما في عطف جملة على جملة لانه على استيناف جملة بعد جملة المعنى ثم بين سبحانه ان كل من اهلكه من الامم المتقدم ذكرهم انما اتوا في ذلك من قبل نفوسهم فقال ولو ان اهل القرى التي اهلكناها بسبب عنادهم وجحودهم آمنوا وصدقوا رسلنا واتقوا الشرك والمعاصي لفتحنا عليهم بركات اي خيرات نامية من السماء بانزال المطر ومن الارض باخراج النبات والثمار كما وعد نوح بذلك امته فقال يرسل السماء عليكم مدرارا الآيات وقيل بركات السماء اجابة الدعوات وبركات الارض تيسير الحوائج ولكن كذبوا الرسل فاخذناهم بما كانوا يكسبون من المعاصي والمخالفة وتكذيب الرسل فحبسنا السماء عنهم واخذناهم بالضيق عقوبة لهم على فعلهم افامن اهل القرى المكذبون لك يا محمد ان ياتيهم باسنا اي عذابنا بياتا اي ليلا وهم نائمون في فرشهم ومنازلهم كما اتى المكذبين قبلهم او امن اهل القرى ان ياتيهم باسنا ضحى اي عذابنا نهارا عند ارتفاع الشمس وهم يلعبون اي وهم في غير ما ينفعهم او يعود عليهم بنفع فان من اشتغل بدنياه واعرض عن آخرته فهو كاللاعب والمعنى اهل القرى كل اهل قرية تعتم على معاصي الله في كل وقت وزمان وان نزل بسبب اهل القرى الظالم اهلها المشركين في زمن النبي صلى الله عليه واله وانما خص سبحانه هذين الوقتين لانه اراد انه لا يجوز لهم ان يامنوا ليلا ونهارا عن الحسن افامنوا مكر الله اي افبعد هذا كله امنوا عذاب الله ان ياتيهم من حيث لا يشعرون عن الجبائي قال دخلت الفاء للتعقيب وسمي العذاب مكرا لنزوله بهم من حيث لا يعلمون كما ان المكر ينزل بالممكور به من جهة الماكر من حيث لا يعلمه وقيل ان مكر الله استدراجه اياهم بالصحة والسلامة وطول العمر وتظاهر النعمة فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون يسال عن هذا فيقال ان الانبياء والمعصومين امنوا مكره وليسوا خاسرين فجوابه من وجوه احدها ان معناه لا يامن مكر الله من المذنبين الا القوم الخاسرون بدلالة قوله سبحانه ان المتقين في مقام امين وثانيها ان معناه لا يامن عذاب الله للعصاة الا الخاسرون والمعصومون لا يامنون عذاب الله للعصاة ولهذا اسلموا من مواقعة الذنوب وثالثها لا يامن عقاب الله جهلا بحكمته الا الخاسرون ومعنى الآية الابانة عما يجب الامن من ذلك فيكون قد خسر في دنياه وآخرته بالهلاك في القبايح قوله عز وجل اولم يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون تلك القرى نقص عليك من انبائها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين وما وجدنا لاكثرهم من عهد وان وجدنا اكثرهم لفاسقين ثلث آيات القراءة قرا يعقوب برواية زيد اولم نهد بالنون وكذلك في طه والسجدة وبه قرا ابو عبد الرحمن السلمي وقتادة والباقون بالياء الحجة من قرا نهد بالنون فانه للتعظيم وهذا اقوى ان المعنى في قوله اولم يهد بالياء اولم يبين الله لهم دون ان يكون المعنى اولم يهد لهم مشيئتنا او اصطلامنا لمن اهلكناه اللغة القصص اتباع الحديث بالحديث يقال فلان يقص الاثر اي يتبعه ومنه المقص لانه يتبع في القطع اثر القطع والنبا الخبر عن امر عظيم الشان ولذلك اخذ منه النبي والوجدان والادراك والالفاء والمصادفة نظائر الاعراب نطبع ليس بمحمول على اصبناهم لانه لو حمل عليه لكان وطبعنا ولكنه على الاستيناف اي ونحن نطبع من عهد هنا للتبعيض لانه اذا لم يوجد بعض العهد لم يوجد الجميع والاولى ان يكون من مزيدة للتعميم واستغراق الجنس وقيل ان اصلها لابتداء الغاية فدخلت على ابتداء الجنس الى انتهائه وان وجدنا اكثرهم لفاسقين ان هذه هي المخففة من الثقيلة واذا خففت جاز الغاؤها من العمل وان يليها الفعل لانها حينئذ قد صارت خارجة من شبه الفعل المعنى ثم انكر سبحانه عليهم ترك الاعتبار بمن تقدمهم من الامم فقال اولم يهد وهو استفهام يراد به التقرير اي اولم يبين الله

و بالنون او لم نهد عن ابن عباس ومجاهد والسدی وقیل معناه او لم یهد ما نکونا من انباء القری وقیل تقدیره او لم
یهد لهم مشیتنا لان قوله ان لو نشاء اصبناهم فی موضع رفع بانه فاعل یهدی للذین یرثون الارض من بعد اهلها معناه للذین
خلفوا فی الارض بعد اهلها الذین اهلکهم الله تبکیتا لهم للرسل ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم یعنی او لم یتبین انا لو شئنا
اهلکناهم بعقاب ذنوبهم کما اهلکنا الامم الماضیة قبلهم ونطبع علی قلوبهم قد ذکرنا معنی الطبع والختم فی اوایل سورة
البقرة فهم لا یسمعون الوعظ ولا یقبلونه ثم اخبر سبحانه عن اهل القری التی ذکرها وقص خبرها فقال تلک القری مخاطبة
للنبی صلی الله علیه وآله نقص علیک من انبائها لتتفکروا فیها وتحذر قومک بها لیتذکروا او یعتبروا ویحذروا عن الاصرار
علی مثل حالهم ولک المغترین بطول الامهال فی النعم السابغة والمنن الظاهرة ولقد جاءتهم رسلهم بالبینات ای بالدلالات
والحجج وانما اضاف الرسل الیهم مع انهم رسل الله لان المرسل مالک لرسالته وقد ملک العباد الانتفاع به والاهتداء
بما فیها من البیان فما کانوا لیؤمنوا بما کذبوا به من قبل معناه فما اهلکناهم الا وقد کان فی معلومنا انهم لا یؤمنون ابدا
عن مجاهد قال ویرید بقوله من قبل الهلاک وهو بمنزلة قوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وقیل معناه ان عتوهم فی کفرهم
وتمردهم فیه یحملهم علی ان لا یترکوه الی الایمان فما کانوا لیؤمنوا بعد ان جاءتهم الرسل بالمعجزات بما کذبوا به من قبل رؤیتهم
تلک البینات عن الحسن وقیل معناه ما کان هؤلاء الخلف لیؤمنوا بما کذب به اوایلهم من الامم وقال الاخفش بما کذبوا
معناه بتکذیبهم فجعل ما مصدریة کذلک یطبع الله علی قلوب الکافرین قیل ان الله سبحانه شبه الکفر بالصداء لانه یذهب
عن القلوب بحلاوة الایمان ونور الاسلام کما یذهب الصداء بنور السیف وصفاء المرآة ولما صاروا عند امر الله لهم بالایمان
الی الکفر جاز ان یضیف الله سبحانه الطبع الی نفسه کما قال زادتهم رجسا الی رجسهم وان کانت السورة لم تزدهم ذلک عن جعفر
بن حرب والبلخی ووجه التشبیه بالکاف ومعناه ان دلالته علی انهم لا یؤمنون کالطبع علی قلوب الکافرین الذین فی
مثل صفتهم وقیل معناه کما دل الله لکم بالاخبار علی انهم لا یؤمنون وکذلک یدل الملائکة بالطبع علی انهم لا یؤمنون وما وجدنا
لاکثرهم ای لاکثر المهلکین من عهد ای من وفاء بعهد کما یقال فلان لا عهد له ای لا وفاء له بالعهد ولیس بحافظ للعهد
ویجوز ان یکون المراد بهذا العهد ما اودع الله العقول من وجوب شکر المنعم وطاعة المالک المحسن واجتناب القبایح
ویجوز ان یکون المراد به ما اخذ علی المکلفین علی السنة الانبیاء ان یعبدوه ولا یشرکوا به شیئا وهو الحسن وان وجدنا
اکثرهم لفاسقین اللام وان للتاکید والمعنی وانا وجدنا اکثرهم ناقضین للعهد مخلفین للوعد ویسال فیقال کیف قال اکثرهم
ولکنهم فسقة فکیف یجوز ان یکون کافر غیر فاسق والجواب انه قد یکون الکافر عدلا فی دینه غیر مرتکب لما یحرم فی طریقته فعلی
هذا یکون المعنی ان اکثرهم مع کفرهم فاسق فی دینه غیر لازم لمذهبه ناقض العهد قلیل الوفاء بالعهد قوله عز وجل ثم بعثنا من
بعدهم موسی بآیاتنا الی فرعون وملائه فظلموا بها فانظر کیف کان عاقبة المفسدین وقال موسی یا فرعون
انی رسول من رب العالمین حقیق علی ان لا اقول علی الله الا الحق قد جئتکم ببینة من ربکم فارسل معی بنی اسرائیل
قال ان کنت جئت بآیة فات بها ان کنت من الصادقین فالقی عصاه فاذا هی ثعبان مبین ونزع یده فاذا
هی بیضاء للناظرین ست آیات القراءة قرا نافع وحده حقیق علی بالتشدید والباقون بتخفیف الیاء الحجة قال ابو علی حجة نافع
فی قوله حقیق علی بالتشدید وانه یتعلق من وجهین احدهما ان حق الذی هو فعل یتعدی بعلی قال فحق علینا قول ربنا
والآخر ان حقیق بمعنی واجب فکما ان وجب یتعدی بعلی کذلک یتعدی حقیق به ومن قرا حقیق علی فجاز تعدیته بعلی
من الوجهین اللذین ذکرنا وقد قالوا هو حقیق بکذا فیجوز علی هذا ان یکون علی بمعنی الباء قال ابو الحسن کما وقعت
الباء فی قوله بکل صراط توعدون موقع علی کذلک وقعت علی هاهنا موقع الباء اللغة البعث الارسال وهو فی الاصل النقل
باعتماد یوجب الاسراع فی المشی فالبعث بعد الموت نقل الی الحیاة والبعث للانبیاء نقل بالارسال عن حال التی هی حال
النبوة والعصا عود کالقضیب یابس واصله الامتناع بیبسه یقال عصی بالسیف یعصی اذا امتنع قال جریر یصف السیوف

وغیر کم یعصی بها یا ابن القین وذلک فعل الصیقل ویقال عصی بالسیف ای اخذه واحد العصا ویقال لمن استقر بعد تنقل القی
عصاه قال فالقت عصاها واستقرت بها النوی کما قر عینا بالایاب المسافر ولیست العصیة بمشتقة من العصا لان العصا من
بنات الواو والعصیة من بنات الیاء قال نجاوب بنسج العنکبوت کانه علی عصویها سابری مشرق واصل القی من اللقاء
الذی هو الاتصال فالقی عصاه ای ازال اتصالها عما کان علیه والثعبان الحیة الضخمة الطویلة قال الفراء الثعبان اعظم
الحیات وهو الذکر وهو مشتق من ثعبت الماء اثعبه اذا فجرته والمثعب موضع انفجار الماء فسمی الثعبان لانه یجری کجری
الماء عند الانفجار والنزع ازالة الشیء عن مکانه الملابس له المتمکن فیه کنزع الرداء عن الانسان والنزع والقلع والجذب
نظایر الاعراب موضع کیف فی قوله کیف کان نصب لانه خبر کان وتقدیره انظر ای شیء عاقبة المفسدین موسی علی وزن
مفعل والمیم زایدة لکثرة زیادتها ولا کالهمزة حتی صارت اغلب من زیادة الالف آخرا وافعی علی وزن افعل لهذه
العلة وموسی لا ینصرف لانه اسم اعجمی معرفة والموسی الحدید عربی ان سمیت به رجلا لم تصرفه لانه مؤنث ومعرفة علی
اکثر من ثلثة احرف کما لو سمیته بعناق لم تصرفه وفرعون علی وزن فعلون مثل برذون قالوا وزیادة لانها جاءت
مع صحة سلامة الاصول الثلاثة والنون زایدة للمزوجها وفرعون لا ینصرف لانه اعجمی معرفة عرف فی حال العربیة لانه نقل
من الاسم العلم ولو عرب فی حال تنکره کما ینصرف یاقوت فی اسم رجل الا الحق نصب بانه مفعول القول علی غیر الحکایة بل علی معنی
الوحده عن المعنی دون حکایة اللفظ قوله ان کنت جئت بآیة قال ابو العباس المبرد ان هاهنا لم ینقل الماضی الی معنی الاستقبال
من اجل قوة کان لانها ام الافعال ولا یجوز ذلک فی غیرها وقال ابو بکر السراج المعنی ان تکن جئت بآیة ای ان یصح ذلک
قال اذا امکن اجراء الحرف علی اصله لم یجز اخراجه عنه وان ینقل الفعل بعلمه الی الشرط والاستقبال کما ان لم ینقل الفعل
الی النفی وضمیر المخاطب فی کنت یرجع الی المکنی ولا یجوز ذلک فی الذی لان الذی غایب فحقه ان یعود الیه ضمیر الغایب
وقد اجازوه اذا تقدمت کنایة المتکلم فی نحو قول الشاعر وانا الذی قتلت بکرا بالقنا وترکت تغلب غیر ذات سنام
ونحو ما روی عن امیر المؤمنین علیه السلام من قوله انا الذی سمتنی امی حیدره اکیلکم بالسیف کیل السندره وعلی
هذا یجوز انت الذی ضربک عمرو والوجه ضربه وقوله فات به جاء وقوع الامر فی جواب الشرط لان فیه معنی
ان کنت جئت بآیة فانی اکرمک ان تاتی بها فقد عاد الی انه وجب الثانی بوجوب الاول قوله فاذا هی ثعبان اذا
هی ظرف مکان ویسمی ظرف المفاجاة وهی بخلاف اذا التی هی ظرف المکان قولهم خرجت فاذا الناس وقوف
فاذا فی موضع نصب بکونها ظرفا للوقوف وتقدیره فبالحضرة الناس وقوف ویجوز ان ینصب وقوفا علی الحال لان
اذا ظرف مکان وظروف المکان تکون اخبارا عن الجثث وهذه المسئلة وقعت بین سیبویه والکسائی لما
اجتمعا عند یحیی بن خالد البرمکی فیما رواه علی بن سلیمان الاخفش قال حدثنی احمد بن یحیی بن تغلب ومحمد بن یزید
المبرد قالا لما ورد سیبویه بغداد شق امره علی الکسائی فاتی جعفر بن یحیی والفضل بن یحیی فقال انا ولیکما وصاحبکما
وهذا الرجل قد قدم لیذهب بمحلی فقالا فاحتل لنفسک فانا سنجمع بینکما فجمعا بینهما عند ابیهما وحضر سیبویه
ومعه الفراء وعلی الاحمر وغیرهما من اصحابه فسالوه کیف تقول کنت اظن العقرب اشد لسعة من الزنبور فاذا هو هی
او فاذا هو ایاها قال اقول فاذا هو هی فاقبل علیه الجمع فقالوا اخطات ولحنت فقال یحیی هذا موضع مشکل انتما امام
مصریکما فمن یحکم قال فقال الکسائی واصحابه الاعراب الذین علی الباب فادخل ابو الجراح ومن وجد معه ممن کان
الکسائی واصحابه یحملون عنهم فقالوا نقول فاذا هو ایاها وانصرف المجلس علی ان سیبویه اخطا وحکموا علیه بذلک
فاعطاه البرامکة واخذ وا له من الرشید وبعثوا به الی بلده فالبث بعد هذا الا یسیرا حتی مات ویقال انه مات کمدا
قال علی بن سلیمان واصحاب سیبویه الی هذه الغایة لا اختلاف بینهم یقولون ان الجواب علی ما قال سیبویه فاذا هو هی وهذا
موضع الرفع وهو کما قال علی بن سلیمان وذلک ان النصب انما یکون علی الحال نحو خرجت فاذا الناس وقوفا جاز النصب

هنا لان وقوفا نكرة والحال لا يكون الا نكرة فاذا اضمرت بطل امر الحال فان المضمر معرفة والمعرفة لا تكون حالا
فوجب العدول عن النصب الى الرفع كما تقول فاذا الناس وقوف **المعنى** ثم عطف سبحانه بقصة موسى ع على ما تقدم من
قصص الانبياء ع فقال ثم بعثنا من بعدهم اى من بعد الرسل الذين ذكرناهم او من بعد الامم الذين ذكرنا اهلاكهم
موسى باياتنا اى بادلتنا وحججنا الى فرعون وملائه اى اشراف قومه وذوى الامر منهم فظلموا بها اى ظلموا انفسهم بجحدها
عن الحسن والجبائى وقيل فظلموا بوضعها غير مواضعها فجعلوا بدل الايمان بها الكفر والجحود لان الظلم وضع الشى
فى غير موضعه الذى هو حقه ولم يقل فذهب موسى عليه السلم فادى اليهم الرسالة فكذبوه لان فى قوله فظلموا بها
دلالة عليه فانظر كيف كان عاقبة المفسدين يعنى ما آل اليه امرهم فى الهلاك وقال موسى يا فرعون انى رسول من رب
العالمين هذه حكاية قول موسى لفرعون وندائه انى رسول اليك من قبل من رب العالمين مبعوث اليك والى قومك
قال وهب وكان اسم فرعون الوليد بن مصعب وهو فرعون يوسف وكان بين اليوم الذى دخل يوسف مصر واليوم الذى دخلها موسى رسولا
اربعمائة عام حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق قال الزجاج معناه حقيق على ترك القول على الله الا الحق وقال الامام العلامة
الزمخشرى لقولنا حقيق على قول الحق اى واجب على قول الحق ان اكون انا قائله والقائم به ولا يرضى الا مثلى ناطقا به ونظيره قولهم
فلان يدعى العلم بالطرف فوق ما يدعى هو العلم بها وقال الفراء معناه حقيق بان لا اقول على الله الا الحق فيكون
على بمعنى الباء كما تقول رميت على القوس وبالقوس وجاء فلان على حالة حسنة وبحالة حسنة وقيل معناه
حريص على ان لا اقول على الله الا الصدق وما فرضه على من الرسالة عن ابى عبيدة قد جئتكم ببينة اى بحجة ومعجزة
من ربكم اى اعطانيها ربكم فارسل معى بنى اسرائيل اى فاطلق بنى اسرائيل من عقال التسخير وخلهم يرجعوا الى الارض
المقدسة وذلك ان فرعون والقبط كانوا قد استعبدوا بنى اسرائيل واعتقلوهم للاستخدام فى الاعمال الشاقة
مثل بناء المنازل وحمل الماء ونقل التراب وما اشبه ذلك قال فرعون ان كنت جئت باية اى حجة ودلالة تشهد لك
على ما تقول فات بها ان كنت من الصادقين بانك رسول الله فالقى عصاه الفاء فاء الجواب اى فكان جواب فرعون
ان القى عصاه من يده فاذا هى ثعبان مبين اى حية عظيمة بين ظاهر انه ثعبان بحيث لا يشتبه على الناس انه لم يكن مما
يخيل انه حية وليس بحية وقيل ان العصا لما صارت حية احدث قيه فرعون بين فكيها وكان بينهما ثمانون ذراعا
فتضرع فرعون بين فكيها الى موسى بعد ان وثب من سريره وهرب منها واحدث وهرب الناس ودخل فرعون
البيت وصاح يا موسى خذها وانا اومن بك فاخذها موسى فعادت عصا عن ابن عباس والسدى وقيل كان
طولها ثمانين ذراعا ونزع يده فاذا هى بيضاء للناظرين هناك قيل ان فرعون قال لموسى هل معك آية اخرى قال نعم
فادخل يده فى جيبه وقيل تحت ابطه ثم نزعها اى اخرجها منه واظهرها فاذا هى بيضاء اى لونها ابيض نورى ولها
شعاع يغلب نور الشمس وكان موسى عليه السلم ادم فيما يروى ثم اعاد اليد الى كمه فعادت الى لونها الاول عن ابن عباس
والسدى ومجاهد **سؤال** فقيل كيف قال سبحانه هنا فاذا هى ثعبان وقال فى موضع آخر فلما راها تهتز كانها جان والثعبان
الحية العظيمة والجان الحية الصغيرة فاختلف الوصفان والقصة واحدة **فجوابه** قال سبحانه ان الآيتين ليستا اخبارا عن قصة
واحدة بل الحالتان مختلفتان والحالة التى كانت العصا بصفة الجان كانت فى ابتداء النبوة والحالة التى بصفة الثعبان
كانت عند لقائه فرعون وعلى هذا فلا سؤال وقد اجيب ايضا عن ذلك بانه شبهها بالجان لسرعة حركتها ونشاطها
وخفتها مع انها جسيم الثعبان وكبر خلقه وهذا ابلغ فى باب الاعجاز **حديث العصا** قد ذكرنا نسب موسى عليه السلم فى سورة
البقرة واما عصاه فقيل انه اعطاه ملك حين توجه الى مدين وقيل ان عصا آدم من آس الجنة حين اهبط فكان يدور
بين اولاده حتى انتهت النوبة الى شعيب فكان ميراثا له مع اربعين عصا كانت لآبائه فلما استاجر شعيب موسى امره
بدخول بيت فيه العصى وقال له خذ عصا من تلك العصى فوقع تلك العصا بيد موسى فاستردها شعيب وقال خذ غيرها
حتى فعل ذلك مرات فى كل مرة تقع بيده عليها دون غيرها فتركها فى يده فى المرة الرابعة فلما خرج من عنده متوجها الى

ورأى نارا واتى الشجرة فناداه الله تعالى ان يا موسى انى انا الله وامره بالقائها فالقاها فصارت حية فولى هاربا
فناداه الله سبحانه خذها ولا تخف وادخل يده بين لحييها فعادت عصا فلما اتى فرعون القاها بين يديه على ما تقدم بيانه وقيل
كان الانبياء ياخذون العصا تجنبا من الخيلاء وقال رسول الله صلى الله عليه واله تعصوا فانها من سنن اخوانى المرسلين
قال امير المؤمنين عليه السلم قال رسول الله صلى الله عليه واله من خرج فى سفره ومعه عصا اللوز المر وتلا هذه الآية ولما توجه
تلقاء مدين الى قوله والله على ما نقول وكيل امنه الله من كل سبع ضار ومن كل لص عادى ومن كل ذات حمة حتى يرجع
الى اهله ومنزله وكان معه سبعة وسبعون من المعقبات يستغفرون له حتى يرجع ويضعها وقيل ان اول من اخذ
العصا عند الخطبة فى العرب قس بن ساعدة قوله تعالى **قال الملأ من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم يريد ان
يخرجكم من ارضكم بسحره فماذا تامرون قالوا ارجه واخاه وارسل فى المدائن حاشرين ياتوك بكل ساحر عليم** اربع ايات
القراءة قرأ اهل المدينة والكسائى وخلف ارجه بكسر الهاء بغير همز من الجيم والهاء الا ان نافعا والكسائى وخلفا
يشبعون كسرة الهاء ولا يشبع ابو جعفر و قالون عن نافع بل يكسران الهاء وقرأ عاصم وحمزة ارجه بغير همزة بسكون
الهاء وقرأ الباقون ارجئه بالهمز وضم الهاء وفى الشعراء مثله وقرأ بكل سحار بالالف بعد الحاء الكوفى غير عاصم هنا وفى
يونس وقرأ الباقون ساحر بالالف قبل الحاء فى السورتين ولم يختلفوا فى الشعراء ان الالف بعد الحاء هناك **الحجة**
قال ابو على ارجئه افعل من الارجاء وهو التاخير ولا بد من ضم الهاء مع الهمزة ولا يجوز غيره وان لا يبلغ الواو احسن
لان الهاء خفية فلو بلغ بها الواو لكان كانه جمع بين الساكنين ومن قال ارجهو فالحق الواو فلان الهاء متحركة ولم يلتق
ساكنان لان الهاء تفصل بينهما ولو كان مع الهاء حرف لين لكان وصلها بالواو اقبح لانه يلتقى عليه اجتماع حروف
متقاربة مع ان الهاء ليس بحاجز قوى ومن قرأ ارجهى فوصل الهاء بياء لان هذه الهاء توصل فى الادراج بواو او ياء
نحو بهو وبهى وضربهو ومن قال ارجه فلان فى ارجات لغتين ارجات وارجيت فاذا قال ارجه كان من ارجيت
قال الزجاج زعم الحذاق بالنحو ان هذه الهاء لا يجوز اسكانها واستشهد ببيت مجهول وهو لما راى ان لا دعه ولا شبع
مال الى ارطاة حقف فاضطجع قال وهذا شعر لا يعرف قائله والشاعر قد يجوز ان يخطئ وحجة من قرأ ساحر قوله فالقى
السحرة ولعلنا نتبع السحرة والسحرة جمع ساحر وكذلك قوله سحروا اعين الناس وحجة من قرأ سحار انه قد وصف
بعليم وذلك يدل على تناهيه فيه وحذقه به فحسن لذلك ان يذكر بالاسم الدال على المبالغة فى السحر **اللغة** السحر لطف
الحيلة فى اظهار اعجوبة يوهم المعجزة وقال الازهرى السحر صرف الشيء عن حقيقته الى غيره واصل السحر خفاء الامر والسحر آخر
الليل لخفاء الشخص ببقية ظلمته والسحر الرئة لخفاء امرها ويقال سحر المطر الارض اذا جادها فقطع نباتها من اصوله
وقلب الارض ظهرا لبطن يسحرها سحرا والارض مسحورة فشبه سحر الساحر بذلك لتحويله الحق من سحره انه يرى الشيء بخلاف
ما هو عليه **الاعراب** فماذا تامرون موضع ما يحتمل ان يكون رفعا ويكون ذا بمعنى الذى فيكون بمعنى فما الذى تامرون
ويحتمل ان يكون نصبا ويكون ماذا اسما واحدا فيكون بمعنى فاى شيء تامرون وياتوك مجزوم لانه جواب الامر وعامل الاعراب
فيه محذوف وتقديره فانك ان ترسل ان ياتوك فالباء فى قوله بكل ساحر يحتمل ان يكون بمعنى مع اى ياتون ومعهم كل ساحر
فيكون فى موضع الحال ويحتمل ان يكون للتعدية نحو ذهبت به واذهبته واتيت به وآتيته **المعنى** ثم حكى سبحانه ما قاله
اشراف قوم فرعون فقال قال الملأ من قوم فرعون لمن دونهم فقال اى الملأ من قوم فرعون لمن دونهم فى الرتبة
من الحاضرين ان هذا لساحر عليم بالسحر يريد ان يخرجكم من ارضكم معناه يريد ان يستميل بقلوب بنى اسرائيل الى نفسه
ويتقوى بهم فيغلبكم ويخرجكم من بلدكم فماذا تامرون قيل ان هذا قول الاشراف بعضهم لبعض على سبيل المشورة ويحتمل
ان يكون قالوا ذلك لفرعون وانما قالوا تامرون بلفظ الجمع على خطاب الملوك ويحتمل ايضا ان يكون قول فرعون لقومه
فيكون تقديره قال فرعون لهم فماذا تامرون وهو قول الفراء والجبائى قالوا ارجه واخاه اى قالوا لفرعون اخره واخاه
هرون ولا تعجل بالحكم فيهما بشيء فان عجلتك حجة عليك عن الزجاج وقيل اخره اى احبسه والاول اصح لانه كان يعلم انه

لا تقدر على حبسه معاذ اى تلك الآيات وارسل فى المداين التى حولك حاشرين اى جامعين للسحرة يحشرون من يعلمونه
منهم عن مجاهد والسدى وقيل هم اصحاب الشرط لرسلهم فى حشر السحرة وكانوا اثنين وسبعين رجلا عن ابن عباس
ياتوك بكل ساحر عليم اى يحشرون اليك السحرة ليجتمعوا ويعارضوا موسى فيغلبوه قوله عز وجل وجاء السحرة فرعون قالوا
ان لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم لمن المقربين قالوا يا موسى اما ان تلقى واما ان نكون نحن
الملقين قال القوا فلما القوا سحروا اعين الناس واسترهبوهم وجاءو بسحر عظيم اربع ايات القراءة اهل الحجاز
وحفص ان لنا لاجرا بهمزة واحدة على الخبر وقرا ان بهمزتين مخففتين ابن عامر واهل الكوفة غير حفص وقرا ابو عمرو ايـن
بهمزة ممدودة وقرا يعقوب غير زيد بهمزة غير ممدودة الحجة قال ابو على الاستفهام اشبه بهذا الموضع لانهم يستفهمون
عن الاجر وليسوا يقطعون على ان لهم الاجر ويقوى ذلك اجماعهم فى الشعراء وربما حذفت همزة الاستفهام قال ابو الحسن
فى قوله وتلك نعمة تمنها على ان عبدت بنى اسرائيل ان من الناس من يذهب الى انه على الاستفهام وقد جاء ذلك فى الشعر
قال افرح ان ارزا الكرام وان اورث ذودا شصايصا نبلا وهذا اقبح من قوله واصبحت فيهم امنا لا كمعشر اتونى وقالوا
من ربيعة ام مضر لان ام تدل على الهمزة الاعراب نحن يحتمل ان يكون موضعه رفعا ويكون تأكيدا للضمير المتصل فى كنا ويحتمل ان يكون
فصلا من الخبر والاسم ولم يجز حرف مع انه يجوز الوقف عليه لانه فى الوجوب نظير لا فى النفى وانما جاز الوقف على كل واحد
منهما لانه جواب الكلام يستغنى به لا انه يستغنى عما يتصل به والواو فى قوله وانكم واو العطف فكانه قال لكم ذاك وانكم لمن
المقربين وهو فى مخرج الكلام كانه معطوف على الحرف وكسرت الالف من انكم لانه فى موضع استيناف بالوعد ولكسر
لدخول اللام فى الخبر لانه لو لم تكن الكلام لكانت مكسورة فانما دخلت ان فى قوله واما ان تلقى ولم تدخل فى اما يعذبهم
واما يتوب عليهم لان فيه معنى الامر كانه قال اختر اما ان تلقى اى اما القاك واما القاؤنا فموضع نصب ولا يجوز ان يكون
التقدير اما القاك مصدرية واما القاؤنا فموضع ان على هذا يكون نصبا المعنى وجاء السحرة فرعون فى الكلام حذف
كثير تقديره وارسل فرعون فى المداين حاشرين يحشرون السحرة فحشروهم فجاء السحرة فرعون وكانوا خمسة عشر الفا عن ابن اسحق
وقيل ثمانين الفا عن ابن المنكدر وقيل سبعين الفا عن عكرمة وقيل بضعا وثلثين الفا عن السدى وقيل كانوا اثنين
وسبعين ساحرا اثنان من القبط وهما رئيسا القوم وسبعون من بنى اسرائيل عن مقاتل وقيل كانوا سبعين عن الكلبى
قالوا لفرعون انما لم يقل فقالوا لانه يتصل الثانى بالاول لان المعنى لما جاءوا قالوا فلم يصلح دخول الفاء على هذا الوجه
ان لنا لاجرا اى عوضا على عملنا وجزاء بالخير ان كنا نحن الغالبين لموسى قال نعم اى قال فرعون مجيبا لهم عما سألوه نعم لكم الاجر
وانكم لمن المقربين اى فانكم مع حصول الاجر لكم لمن المقربين الى المنازل الجليلة والمراتب الخطيرة التى لا يتخطى اليها العامة
ولا يحظى بها الا الخاصة وفى هذا دلالة على حاجة فرعون ودلالة لو استدل قوم به واحسنوا النظر فيه لتفرسهم لان من المعلوم
انه لم يحتج الى السحر الا لعجزه وضعفه قالوا يعنى قالت السحرة لموسى اما ان تلقى ما معك من العصى اولا واما ان نكون
نحن الملقين لما معنا من العصى والحبال اولا قال موسى لهم القوا ما انتم ملقون وهذا امر تهديد وتقريع كقوله سبحانه اعملوا ما شئتم
وقيل معناه القوا على ما يصح ويجوز لا على ما يفسد ويستحيل وقيل معناه ان كنتم محقين فالقوا فلما القوا سحروا اعين الناس
اى فلما القى السحرة ما عندهم من السحر احتالوا فى تحريك العصى والحبال بما جعلوا فيها من الزيبق حتى تحركت بحرارة الشمس
وغير ذلك من الحيل وانواع التمويه والتلبيس وخيل الى الناس انها تتحرك على ما تتحرك الحية وانما سحروا اعين الناس
لانهم اروهم شيئا لم يعرفوا حقيقته وخفى ذلك عليهم لبعده منهم فانهم لم يخلوا الناس يدخلون فيما بينهم وفى هذا دلالة
على ان السحر لا حقيقة له لانها لو صارت حيات حقيقة لم يقل الله سبحانه سحروا اعين الناس بل كان يقول فلما القوا صاروا
حيات وقد قال سبحانه يخيل اليه من سحرهم انها تسعى واسترهبوهم اى استدعوا رهبتهم حتى رهبهم الناس عن الزجاج
وقيل معناه ارهبوهم وافزعوهم عن المبرد وجاءوا بسحر عظيم وصف سحرهم بالعظم لبعد مرام الحيلة فيه وشدة التمويه فهو
لذلك عظيم الشأن عند من يراه من الناس لانه على ما ذكرناه فى عدة السحرة وكثرتهم كان مع كل واحد عصا وحبل فلما القوه

وخيل الى الناس انها تسعى استعظموا ذلك وخافوه قوله عز وجل واوحينا الى موسى ان الق عصاك فاذا هى تلقف
ما يافكون فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين والقى السحرة ساجدين قالوا امنا
برب العالمين رب موسى وهرون ست ايات القراءة قرا حفص عن عاصم تلقف خفيفة وفى طه والشعراء مثله
والباقون تلقف بتشديد القاف فى جميعها الحجة تلقف وتلقم واحد واصله تتلقف فحذف التاء التى للمطاوعة
فى تفعل وتثبت التاء التى للمضارعة وتلقف ساكنة اللام مضارع لقف يلقف لقفا قال الشاعر انت عصا موسى التى لم تزل
تلقف ما يافكه الساحر اللغة الافك قلب الشىء عن وجهه فى الاصل ومنه الافك الكذب لانه قلب المعنى عن جهة الصواب
اصل الوقوع السقوط كسقوط الحائط والطائر والواقعة النازلة من السماء قال على بن عيسى الوقوع ظهور الشىء بوجوده
نازلا الى مستقره والحق كون الشىء فى موضعه الذى اقتضته الحكمة والباطل الكاين بحيث يؤدى الى الهلاك وهو نقيض
الحق وان الحق كون الشىء بحيث يؤدى الى النجاة والغلبة الظفر بالبغية فى الامر وفى حال المنازعة والصاغر الذليل
والصغر والصغار الذلة يقال صغر الشىء يصغر صغرا وصغرا وصغارا اذا ذل واصله صغر القدر الاعراب ان الق يجوز
ان يكون ان مع ما بعدها من الفعل بمنزلة المصدر فيكون تقديره واوحى الى موسى ان الق اى بالالقاء ويجوز ان تكون
بمعنى اى لانه تفسير ما اوحى اليه ما يافكون ما بمعنى الذى وتقديره تلقف ما يافكون فيه اى تلقف المافوك الذى حل
فيه الافك ومثله والله خلقكم وما تعملون ما كانوا يعملون يحتمل ان يكون ما بمعنى المصدر اى وبطل عملهم ويحتمل ان يكون ما بمعنى
الذى اى وبطل الحبال والعصى التى عملوا بها السحر وما اذا كانت بمعنى المصدر لا تعمل فى الفعل كما تعمل ان فيه اذا كانت
بمعنى المصدر لان ان تنقل الفعل نقلين الى المصدر والى الاستقبال ولا تنقله ما الى الاستقبال تقول يعجبنى ما تصنع
الآن ويعجبنى ان تصنع الخير وهنالك دخلت اللام فيه ليدل على بعد المكان المشار اليه كما دخلت فى ذلك لبعد المشار اليه
فهنا لما بعد قليلا وهنالك لما كان اشد بعدا وهو ظرف مبهم وفيه معنى الاشارة كما ان ذا مبهم وانما دخلت كاف المخاطبة
مع بعد الاشارة ليشعر بتاكيد معنى الاضافة الى المخاطب لينبه على بعد المشار اليه من المكان والبعيد احق بعلامة التنبيه
من القريب المعنى اخبر سبحانه عن نفسه فقال واوحينا الى موسى اى القينا اليه من وجه لم يشعر به الا هو ان الق عصاك التى
معك فاذا هى تلقف ما يافكون معناه فالقاها فصارت ثعبانا فاذا هى تبتلع ما يكذبون فيه انها حيات عن مجاهد
فوقع الحق اى ظهر الحق وهو امر موسى وصحة نبوته ومعجزته عن الحسن ومجاهد وقيل وقع الحق بان صارت العصا حية
فى الحقيقة وبطل ما كانوا يعملون اى بطل تمويههم من الحبال وانما ظهر ذلك لهم لانهم لما راوا تلك الآيات الباهرة
والمعجزات القاهرة فى العصا علموا انه امر سماوى لا تقدر عليه غير الله تعالى فمن تلك الآيات قلب العصا حية ومنها اكلها
حبالهم وعصيهم مع كثرتها ومنها فناء حبالهم وعصيهم فى بطنها اما بالتفرق واما بالفناء عند من جوزه ومنها عودها
عصا كما كانت من غير زيادة ولا نقصان وكل من هذه الامور يعلم كل عاقل انه لا يدخل تحت مقدور البشر فاعترفوا بالتوحيد
والنبوة وصار اسلامهم حجة على فرعون وقومه فغلبوا هنالك اى قهر فرعون وقومه عند ذلك الجمع وبهت فرعون وخلى
سبيل موسى ومن تبعه وانقلبوا صاغرين اى انصرفوا اذلاء مقهورين والقى السحرة ساجدين يعنى ان السحرة لما شاهدوا تلك
الآيات وعلموا انها من عند الله تعالى آمنوا بالله وبموسى وسجدوا والله الهمهم ذلك وقيل ان موسى وهرون سجدا
لله تعالى شكرا له على ظهور الحق فاقتدوا بهما فسجدوا معهما قال وانما القى على ما لم يسم فاعله ليكون فيه معنى القاهم
ما راوا من عظيم آيات الله بان دعاهم الى السجود لله والخضوع لعزته وقدرته وانهم لم يتمالكوا انفسهم عند ذلك ان وقعوا
ساجدين وكما يقال اعجب فلان بنفسه وان كان الله من قبله وليس يفعل ذلك بغيره قالوا آمنا اى صدقنا برب العالمين
الذى خلق السموات والارض وما بينهما رب موسى وهرون خصهما بالذكر بعد دخولهما فى جملة العالمين لانهما دعوا
الى الايمان بالله تعالى ولشرف ذكرهما وتفضيلهما على غيرهما على طريق المدحة والتعظيم وقيل انهم فسروا بسجودهم بان

قالوا آمنا برب العالمين لئلا يتوهم انهم سجدوا لفرعون ثم قالوا رب موسى وهرون لان فرعون كان يدعي انه رب العالمين
فازالوا به الابهام لئلا يتوهم الجهال انهم عنوا بقولهم رب العالمين فرعون قال علي بن عيسى يجوز ان يقال ان الله سبحانه
لم يزل ربا ولا مربوب كما كان لم يزل سميعا ولا مسموع لانها صفة غير جارية على الفعل كما تجري صفة مالك على ملك عليك
فالمقدور هو المملوك ولا تطلق الرب الا على الله عز وجل لانه يقتضي انه رب كل شي يصح ملكه ويقول في غيره رب الدار ورب
الفرس ومثله خالق لا تطلق الا عليه سبحانه ويقال في غيره خالق الاديم قوله عز وجل قال فرعون آمنتم به قبل ان آذن لكم
ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها اهلها فسوف تعلمون لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف
ثم لاصلبنكم اجمعين قالوا انا الى ربنا منقلبون وما تنقم منا الا ان آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ربنا افرغ
علينا صبرا وتوفنا مسلمين اربع آيات القراءة قرا حفص عن عاصم آمنتم بهمزة واحدة على الخبر حيث كان والباقون
بهمزتين على الاستفهام الا ان اهل الكوفة الا حفصا يحققون الهمزتين وغيرهم حققوا الاولى ولينوا الثانية ولم يفصل
احد بين الهمزتين بالالف الحجة وجه الخبر انه يخبرهم بايمانهم على وجه التقريع لهم بايمانهم والانكار عليهم ووجه
الاستفهام انه على جهة التقريع والتوبيخ ايضا ومن حقق الهمزتين فانه على ما يراه من تحقيقهما والهمزة الثانية ممدودة
لان الالف المنقلبة عن الهمزة التي هي فاء ومن الامن يتصل بها ومن خفف الهمزة الثانية فتخفيفها ان يجعلها بين
بين اللغة الصلب الشد على الخشبة وغيرها واصله من صلابة الشد والقراء كلهم على تشديد اللام من التصليب
الازهري يقال نقمت على الرجل انقم ونقمت والفصيح نقمت ابن الاعرابي النقمة العقوبة والانكار قال علي بن عيسى النقمة
ضد النعمة والفرق بين النقمة والاساءة ان النقمة قد تكون بحق جزاء على كفر النعمة والاساءة لا تكون الا قبيحة والمسيء
مذموم لا محالة والافراغ صب الماء في الاناء اجمع حتى يخلو مشتق من الفراغ والصبر حبس النفس عن اظهار الجزع والصبر
على الحق عز كما ان الصبر على الباطل ذل المعنى ثم حكى سبحانه ما صدر عن فرعون عند ايمان السحرة فقال سبحانه قال فرعون آمنتم
به اي اقررتم له بالصدق من قبل ان آذن لكم اي من قبل ان آمركم بالايمان به واذن لكم في ذلك ان هذا لمكر مكرتموه
في المدينة لتخرجوا منها اهلها اراد فرعون بهذا القول التلبيس على الناس وايهامهم ان ايمان السحرة لم يكن عن علم ولكن
لتواطؤ منهم ليذهبوا بالكم وملككم وقيل معناه ان هذا الصنع صنعتموه فيما بينكم وبين موسى في مصر قبل خروجكم
الى هذا الموضع لتستولوا على مصر وتخرجوا منها اهلها فسوف تعلمون ما افعل بكم وهذا وعيد لهم ثم بين الوعيد فقال
لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف اي من كل شق طرفا قال الحسن هو ان يقطع اليد اليمنى مع الرجل اليسرى وقال
غيره فكذلك اليد اليسرى مع الرجل اليمنى ولاصلبنكم اجمعين اي لا ادع واحدا منكم الا اصلبه وقيل ان اول من قطع الايدي والارجل
وصلب فرعون صلبهم في جذوع النخل على شاطي نهر مصر قالوا يعني السحرة مجيبين لفرعون انا الى ربنا منقلبون اي راجعون
الى ربنا بالتوحيد والاخلاص عن ابن عباس والانقلاب الى الله تعالى الانقلاب الى جزائه وغرضهم بهذا القول
التسلي في الصبر على الشدة لما فيه من المثوبة مع مقابلة وعيده بوعيد الله منه وهو عقاب الله وما تنقم
منا الا ان آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ومعناه وما تطعن علينا وما تكره منا الا ايماننا بالله وتصديقنا بآياته
التي جاءتنا قال ابن عباس معناه ما لنا عندك من ذنب ولا ركبنا منك مكروها تعاقبنا عليه الا ايماننا بآيات ربنا
وهي ما اتى به موسى عليه السلام استدلوا بها انها من عند الله لا يقدر على مثلها الا هو ربنا افرغ علينا صبرا اي اصبب علينا الصبر
عند القطع والصلب حتى لا نرجع كفارا والمراد الطف لنا حتى نصبر على عذاب فرعون ونثبت عليه ولا نفزع منه
وتوفنا مسلمين اي وفقنا للثبات على الايمان والاسلام الى وقت الوفاة وقيل مسلمين مخلصين لله حتى لا يردنا البلاء
عن ديننا قالوا فصلبهم فرعون من يومه فكانوا اول النهار كفارا سحرة واخر النهار شهداء بررة وقيل ايضا انه لم يصل
اليهم وعصمهم الله منه قوله عز وجل وقال الملأ من قوم فرعون اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض ويذرك

وآلهتك قال سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم وانا فوقهم قاهرون آية القراءة روي عن علي وابن عباس وابن
مسعود وانس بن مالك وعلقمة وغيرهم ويذرك والاهتك وعن نعيم بن ميسرة والحسن بخلاف ويذرك
بالرفع وعن الاشهب ويذرك بسكون الراء والقراءة المشهورة ويذرك وآلهتك واهل الحجاز سنقتل ابناءهم بالتخفيف
والباقون سنقتل الحجة اما الالهة فانها الربوبية والعبادة فمن قرا والاهتك فمعناه ويذرك وربوبيتك عن الزجاج
وقيل وعبادتك عن ابن جني ومنه سميت الشمس الاهة والالهة لانهم كانوا يعبدونها ومن قرا ويذرك بالرفع فانه على
الاستئناف اي وهو يذرك واما من اسكن فقال ويذرك فانه كقراءة ابي عمرو ان الله يامركم وقد مضى الكلام في ذلك
ومن نصب ويذرك فانه على جواب الاستفهام بالفاء فيكون المعنى ايكون منك ان تذر موسى وان يذرك ويجوز ان
يكون عطفا على ليفسدوا ومن قرا سنقتل بالتخفيف فانه قد يقع على التكثير وغير التكثير والمثقل بين المعنى اخص
بالموضع الليق المعنى ثم اخبر سبحانه عن قوم فرعون فقال سبحانه وقال الملأ من قوم فرعون لما اسلم السحرة لحجة الرسالة على موسى
اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض اي اتتركهم احياء ليظهروا خلافك ويدعوا الناس الى مخالفتك ليغلبوا عليك
فيفسد ملكك وامرك وقيل ليفسدوا في الارض بعبادة غيرك والدعاء الى خلاف دينك وقيل ليفسدوا فيها بالغلبة
عليها واخذ موسى منها وروي عن ابن عباس انه لما امن السحرة اسلم من بني اسرائيل ست مائة الف نفس واتبعوه ويذرك
وآلهتك قال الحسن كان فرعون يعبد الناس ويعبد الاصنام بنفسه وكان الناس يعبدونه ويتقربون اليه وقال السدي
كان يعبد ما يستحسن من البقر وروي انه كان يامرهم ايضا بعبادة البقر ولذلك اخرج السامري لهم عجلا جسدا
وقال هذا الهكم واله موسى وقال الزجاج كانت له اصنام يعبدها قومه تقربا اليه ومن قرا والاهتك قال كان فرعون
يعبد الناس بنفسه ولا يعبد شيئا وروى مجاهد انه قال كان فرعون يعبد الناس لنفسه ولا يعبد قال فرعون
سنقتل ابناءهم الذين يكون فيهم النجدة والقوة ويصلحون للقتال ونستحيي نساءهم اي بناتهم نستبقيهن اذ لا يكون
فيهن نجدة وقوة للمهنة والخدمة اسند الا الافعال وكان فرعون قد انقطع طمعه عن قتل موسى وقومه فلم يقل سنقتل
موسى وقومه لما راى علو امره وعظم شانه فانتقل الى عذاب المستضعفين وهم ابناء بني اسرائيل وبناتهم لتوهم انه ينقم
ذلك فيهم به وانا فوقهم قاهرون ظاهر المعنى قوله تعالى قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من
يشاء من عباده والعاقبة للمتقين قالوا اوذينا من قبل ان تاتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسى ربكم ان يهلك
عدوكم ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون آيتان المعنى قال ابن عباس كان فرعون يقتل ابناء بني اسرائيل فلما
كان من امر موسى ما كان امر باعادة القتل عليهم فشكا ذلك بنو اسرائيل الى موسى فعند ذلك قال موسى لقومه استعينوا
بالله في رفع بلاء فرعون عنكم واصبروا على دينكم على اذى فرعون ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده اي يملكها الى
من يشاء نقل المواريث فيورثكم بعد اهلاك فرعون كما اورثها فرعون وهذا وعد لهم بحسن العاقبة ليكون داعيا لهم
الى الصبر والعاقبة للمتقين ومعناه تمسكوا بالتقوى في الدنيا قال الحسن العاقبة في الدارين للمتقين والعاقبة ما
تؤدي اليه البادية الا انه اذا قيل العاقبة له فهو في الخير واذا قيل العاقبة عليه فهو في الشر كما يقال الدائرة له وعليه
والدبرة له وعليه قالوا اي قال بنو اسرائيل لموسى اوذينا من قبل ان تاتينا اي عذبنا فرعون بقتل الابناء واستخدام
النساء قبل ان تاتينا بالرسالة وقيل ان جئتنا ومن بعد ما جئتنا ايضا ويتوعدنا وياخذ اموالنا ويكلفنا الاعمال الشاقة
فلم نسمع بمحنة وهذا ابين لعلي انه قد جرى عليهم القتل والتعذيب مرتين وقال الحسن كان فرعون ياخذ الجزية قبل
مجي موسى وبعده من بني اسرائيل فلهذا قالوا اوذينا من قبل ان تاتينا ومن بعد ما جئتنا وهذا الذي قالوه انما
هو استبطاء منهم لما وعدهم موسى من النجاة من فرعون وقومه فجدد عليه السلام لهم الوعد عن الله تعالى لسفواته فقال
عسى ربكم ان يهلك عدوكم قال الزجاج عسى طمع واشفاق الا ان ما يطمع الله فيه فهو واجب وهو معنى قول المفسرين

عسى من الله واجب ومعناه اوجب ربكم على نفسه ان يهلك عدوكم فرعون وقومه ويستخلفكم في الارض اي يملككم
ما كانوا يملكونه في الارض من بعدهم فينظر كيف تعملون اي فيرى ذلك بوقوعه منكم لان الله عز وجل لا يجازي
عباده على ما يعلمه منهم انما يجازيهم على ما يقع منهم عن الزجاج وقيل يعلم ذلك معناه فينظر معلومه . يبتليكم
بالنعمة ليظهر شكركم كما ابتلاكم بالمحنة ليظهر صبركم ومثله ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين وموضع كيف
نصب وتقديره اعمالا احسانا تعملون ام قبيحا اي شاكرين كنتم لنعمته ام كافرين وقد حقق الله سبحانه هذا الوعد فاورث
بني اسرائيل ارض مصر ونواحيها بعد ان هلك عدوهم قوله عز وجل ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات
لعلهم يذكرون فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه الا انما طائرهم
عند الله ولكن اكثرهم لا يعلمون آيتان القراءة في الشواذ قراءة الحسن الا انما طيرهم بغير الف الحجة الطير جمع
طائر في قول ابي الحسن وفي قول صاحب الكتاب الطير اسم للجمع الا انما طيرهم بمنزلة الحامل والباقر عن عكرمة وروى عن
قطرب ان الطير قد يكون واحدا كما ان الطائر واحد ويجوز ان يكون جمعا كالحامل وانشد ابن الاعرابي كانه تهتان يوم
ماطر على رؤوس كرؤوس الطائر اللغة العرب تقول اخذتهم السنة اذا كان قحطا واسنت القوم اذا اجدبوا وانما قيل للسنة
المجدبة السنة ولم يقل للمخصبة كانها نادرة في الانفراد بالجدب والنادر احق بالافراد بالذكر لانفراده بالمعنى الذي ندر به
قال لو وجدنا البلاد سنين اي جدوبا وقال موالي اللئام بكل ارض يخفها الجوائح والسنون وقال آخر كان الناس اذ فقدوا
عليا نعام جال في بلد جديب اي في بلد جدوب والتطير الطيرة من الشيء وهو التشاؤم به واشتقاقه من الطير وطائر
الانسان عمله اخذ من ذلك لان العرب كانت تزجر الطير فتتشاءم بالبارح وهو الذي يأتي من جهة الشمال وتتبرك بالسانح
وهو الذي يأتي من قبل اليمين وقال الشاعر زجرت لها طير الشمال فان تكن هواك الذي تهوى يصبك اجتنابها ثم كثر
حتى سمي نصيب الانسان طائرا وقال طار له من القسم كذا وكذا وانشد ابن الاعرابي فاني لست منك ولست مني اذا ما طار
من حالي اليمين يريد الزوجات اذا احدث تمتاص ما له المعنى ثم بين سبحانه ما فعله بآل فرعون وانتقم عليه فقال ولقد
اخذنا آل فرعون بالسنين اللام للقسم وقد تقرب الماضي من الحال لانه اذا توقع كون امر فقيل قد كان دل على قربه من الحال
والآل خاصة الذين يؤول امره اليهم وامرهم اليه ومعناه ولقد عاقبنا قوم فرعون بالجدوب والقحوط ونقص
من الثمرات اي واخذناهم مع القحط واجداب الارض بنقصان من الثمار لعلهم يذكرون اي يخافون فيوحدون
الله فلم يتذكروا وقيل لكي يتفكروا في ذلك ويرجعوا الى الحق قال الزجاج انما اخذوا بالضراء لان احوال الشدة ترق القلوب
وترغب فيما عند الله الا ترى الى قوله اذا مسه الشر فذو دعاء عريض وقيل معناه لكي يتذكروا ان فرعون لو كان الها ما كان
يسلم لذلك الضر وفي الآية دلالة على بطلان قول المجبرة ومذاهبهم في انه سبحانه يريد الكفر فانه بين انه اراد منهم التذكر
والرجوع الى الله فاذا جاءتهم الحسنة يعني الخصب والنعمة والسعة في الرزق والسلامة والعافية قالوا لنا هذه اي انا
نستحق ذلك على العادة الجارية لنا من نعمنا وسعة ارزاقنا في بلادنا ولم يعلموا انه من عند الله سبحانه فيشكروه عليه ويؤدوا
شكر النعمة وان تصبهم سيئة اي جوع وبلاء وقحط المطر وضيق الرزق وهلاك الثمار والمواشي يطيروا بموسى ومن
معه اي يتطيروا فادغمت التاء في الطاء ويتشاءموا بهم عن الحسن ومجاهد وابن زيد وقالوا لولا مكانهم لما اصابنا
بلاء حتى رأينا هؤلاء الا انما طائرهم عند الله معناه الا انما الشؤم الذي يلحقهم هو الذي وعدوا به من العقاب عند الله
تفعل بهم في الآخرة لا ما ينالهم في الدنيا عن الزجاج وقيل معناه ان الله تعالى هو الخالق الذي يأتي بطائر البركة
وطائر الشؤم من الخير والشر والنفع والضر فلو عقلوا لطلبوا الخير والسلامة من الشر من قبله وقال الحسن معناه الا
ان ما شاموا به محفوظ عليهم حتى يجازيهم الله به يوم القيامة ولكن اكثرهم لا يعلمون ولا يتفكرون فيعلموا قوله عز وجل وقالوا
مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين فارسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم

آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين آيتان القراءة في الشواذ الحسن القمل بفتح القاف وسكون
الميم وهو المعروف اللغة الطوفان السيل الذي يعم بتغريقه الارض وهو مأخوذ من الطوف فيها وقيل هو مصدر
كالرجحان والنقصان قال الاخفش واحده طوفانة قال ابو عبيدة الطوفان من السيل البعاق ومن الموت الذريع
والقمل كبار القردان قال ابو عبيدة هو الحمنان واحدته حمنة وحمنا الاعراب مهما قال الخليل اصلها ما الا انهم ادخلوا عليها
ما كما يدخلونها على حروف الجزاء فيقولون اما ومتى ما فتغيروا الفا ما ثم ابدلوها هاء لئلا يوهم التكرير وصار معناها
مبالغة في معنى العموم وقال غيره اصلها مه بمعنى الكف دخلت على ما التي للجزاء والفرق بين مهما وما ان مهما
خالصة للجزاء وفي ما اشتراك لانه قد يكون استفهاما تارة وبمعنى الذي اخرى وبمعان اخر تأتنا مجزوم وعلامة الجزم
فيه حذف الياء وانما حذف الياء للجزم لانه من حروف المد واللين وهو مجانس لحركات الاعراب ومن شأن الجازم
ان يحذف حركة فاذا لم يصادف حركة عمل في نفس الحرف لئلا يتعطل عن العمل والضمير في به يعود الى مهما وتقديره اي
شيء تأتنا به والضمير في بها يعود الى آية آيات مفصلات نصب على الحال المعنى وقالوا اي وقال قوم فرعون لموسى
عليه السلام مهما تأتنا به من آية اي اي شيء تأتنا به من المعجزات لتسحرنا بها اي لتموه علينا بها حتى ننتقل عن دين فرعون
فما نحن لك بمؤمنين اي مصدقين فبين اصرارهم وانهم على الكفر وانهم لا يصدقونه وان اتى بجميع
الآيات ثم زاد الله سبحانه في الآيات تأكيد الامر موسى عليه السلام كما قال فارسلنا عليهم الطوفان اختلف فيه فقيل
هو الماء الغالب الخارج عن العادة الهادم للبنيان القالع للاشجار والزروع عن ابن عباس وقيل هو الموت
الذريع الجارف عن مجاهد وعطا وقيل هو الطاعون بلغة اليمن ارسل الله ذلك الى ابكار آل فرعون في ليلة فانقض
فلم يبق منهم انسان ولا دابة عن وهب بن منبه وقيل هو الجدري وهو اول من عذبوا به فبقي في الارض
عن ابي قلابة وقيل هو امر من امر الله طاف بهم عن ابن عباس رواه ابو ظبيان عنه ثم قرأ فطاف عليها طائف
من ربك وهم نائمون والجراد وهو المعروف والقمل اختلف فيه فقيل هو الدبا وهو صغار الجراد الذي لا اجنحة
له والجراد الطيارة التي لها اجنحة عن ابن عباس ومجاهد والسدي وقتادة والكلبي وقيل القمل بنات
الجراد عن عكرمة وقيل القمل البراغيث وقيل دواب سود صغار عن سعيد بن جبير والحسن وعطا الخراساني فكذلك
قال الحسن والقمل وقيل هو السوس الذي يخرج من الحنطة عن سعيد بن جبير والضفادع والدم آيات مفصلات
اي معجزات مبينات ظاهرات وادلة واضحة عن مجاهد وقيل مفصلات اي بعضها منفصل عن بعض فاستكبروا
اي تكبروا عن قبول الحق والايمان بالله وكانوا قوما مجرمين عاصين القصة قال ابن عباس وسعيد بن جبير
وقتادة ومحمد بن اسحق بن يسار ورواه علي بن ابراهيم باسناده عن ابي جعفر وابي عبد الله عليه السلام دخل حديث
بعضهم في بعض قالوا لما آمنت السحرة رجع فرعون مغلوبا وابى هو وقومه الا الاقامة على الكفر قال هامان
لفرعون ان الناس قد آمنوا بموسى فانظر من دخل في دينه فاحبسه فحبس كل من آمن به من بني اسرائيل فتابع الله عليهم
الآيات واخذهم بالسنين ونقص من الثمرات ثم بعث عليهم الطوفان فخرب دورهم ومساكنهم حتى خرجوا الى البرية
وضربوا الخيام وامتلأت بيوت القبط ماء ولم يدخل بيوت بني اسرائيل من الماء قطرة واقام الماء على وجه ارضهم لا يقدرون
على ان يحرثوا فقالوا لموسى ادع لنا ربك ان يكشف عنا المطر فنؤمن لك ونرسل معك بني اسرائيل فدعا ربه فكشف عنهم
الطوفان فلم يؤمنوا وقال هامان لفرعون لئن خليت بني اسرائيل غلبك موسى وازال ملكك وانبت الله لهم في تلك
السنة من الكلأ والزرع والثمر ما اعشبت به بلادهم واخصبت فقالوا ما كان هذا الماء الا نعمة علينا وخصبا فانزل الله
عليهم في السنة الثانية عن علي بن ابراهيم وفي الشهر الثاني عن غيره من المفسرين الجراد فجردت زروعهم واشجارهم
حتى كانت تجرد شعورهم ولحاهم وتأكل الابواب والثياب والامتعة وكانت لا تدخل بيوت بني اسرائيل ولا يصيبهم من ذلك

شيء فنجوا وضجوا وخرج فرعون من ذلك جزعا شديدا وقال يا موسى ادع لنا ربك ان يكف عنا الجراد حتى اخلي عن بني اسرائيل
فدعا موسى ربه فكشف عنه الجراد بعد ما اقام عليه سبعة ايام من السبت الى السبت وقيل ان موسى عليه السلم برز الى الفضا
فاشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجعت الجراد من حيث جاءت كان لم يكن قط ولم يدع هامان فرعون ان يخلي عن
بني اسرائيل فانزل الله عليهم في السنة الثالثة وفي رواية علي بن ابرهيم في الشهر الثالث عن عبره من المعصرين القمل وهو الجراد
الصغار الذي لا اجنحة له وهو شر ما يكون واخبثه فاتى على زروعهم كلها واجتثها من اصلها فذهبت زروعهم ولحس
الارض كلها وقيل امر موسى عليه السلم ان يمشي الى كثيب اعفر بقرية من قرى مصر تدعى عين الشمس فاتاه فضربه بعصا
فانثال عليهم قملا فكان يدخل بين ثوب احدهم فيعضه وكان ياكل احدهم الطعام فيمتلي قملا قال سعيد بن جبير القمل السوس
الذي يخرج من الحبوب فكان الرجل يخرج عشرة اجربة الى الرحاه فلا يرد منها ثلثة اقفزة فلم يصابوا ببلاء كان اشد
عليهم من القمل واخذت اشعارهم وابشارهم واشفار عيونهم وحواجبهم ولزمت جلودهم كانه الجدري عليهم ومنعهم
النوم والقرار فصرخوا وصاحوا فقال فرعون لموسى ادع لنا ربك لئن كشفت عنا القمل لاكفن عن بني اسرائيل فدعا موسى عليه السلم
حتى ذهب القمل بعد ما اقام عندهم سبعة ايام من السبت الى السبت فنكثوا فانزل الله عليهم في السنة الرابعة وقيل
في الشهر الرابع الضفادع فكانت تكون في طعامهم وشرابهم وامتلات منها بيوتهم وابنيتهم فلا يكشف احد ثوبا ولا اناء
ولا طعاما ولا شرابا الا وجد فيه الضفادع وكانت تثب في قدورهم فيفسد عليهم كان الرجل يجلس الى ذقنه في الضفادع
ويهم ان يتكلم فتثب الضفدع في فيه ويفتح فاه لاكلته فيسبق الضفدع كلمته الى فيه فلقوا منها اذى شديدا
فلما راوا ذلك بكوا وشكوا الى موسى وقالوا هذه المرة نتوب ولا نعود فادع الله ان يذهب عنا الضفادع فانا
نؤمن بك ونرسل معك بني اسرائيل فاخذ عهودهم ومواثيقهم ثم دعا ربه فكشف عنهم الضفادع بعد ما اقام
عليهم سبعا من السبت الى السبت ثم نقضوا العهد وعادوا الكفرهم فلما كانت السنة الخامسة ارسل الله عليهم الدم
فسال ماء النيل عليهم دما فكان القبطي يراه دما والاسرائيلي يراه ماء فاذا شربه القبطي كان دما وكان القبطي يقول
للاسرائيلي خذ الماء في فيك وصبه في فيّ فكان اذا صبه في فم القبطي تحول دما وان فرعون اعتراه العطش حتى
انه ليضطر الى مضغ الاشجار الرطبة فاذا مضغها يصير ماؤها في فيه دما فمكثوا في ذلك سبعة ايام لا ياكلون الا الدم
ولا يشربون الا الدم قال زيد بن اسلم الدم الذي سلط عليهم كان الرعاف فاتوا موسى فقالوا ادع لنا ربك
يكشف عنا هذا الدم فنؤمن لك ونرسل معك بني اسرائيل فلما رفع الله عنهم الدم لم يؤمنوا ولم يخلوا عن بني اسرائيل
قوله عز وجل ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن
لك ولنرسلن معك بني اسرائيل فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه اذا هم ينكثون فانتقمنا منهم
فاغرقناهم في اليم بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين ثلث ايات اللغة اصل الرجز الميل عن الحق ومنه
الرجز فاهجر اي عبادة الوثن والعذاب رجز لانه عقوبة على الميل عن الحق والرجز رعدة في رجل الناقة لداء
يلحقها تعدل به عن حق سيرها والرجز ضرب من الشعر اخذ من رجز الناقة لانه متحرك وساكن ثم متحرك وساكن في
كل اجزائه فهو كالرعدة في رجل الناقة يتحرك بها ثم يسكن ثم يستمر على ذلك والنكث نقض العهد الذي يلزم الوفاء به واليم
البحر قال ذو الرمة ... ودوي كحاشية اليم ... والغفلة حال يعتري النفس تنافي الفطنة واليقظة
الاعراب اذا لوقت المفاجاة على ما تقدم بيانه وليست مضافة الى الجملة اذ هي بمنزلة هناك وقد يكفي الاسم كما تقول خرجت
فاذا زيد وفيه وقوع خلاف المتوقع منهم لانه اتى منهم نقض العهد بدلا من الوفاء فكانه فاجاه الوفاء بخلاف ما ... بكهم
واذا هذه جواب لما ومثله قوله وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم اذا هم يقنطون ولا يجوز ان يجاب الشرط باذ
لان اذ لا تكون الا للوقت الماضي والجواب انما يكون بعد الاول ولذلك يصح فيه الفاء ولا تصلح الواو وحق الجزاء انما

385

يقلب الفعل الى الاستقبال دون الوقت المعنى اخبر سبحانه عنهم ايضا فقال ولما وقع عليهم الرجز اي العذاب عن الحسن
وقتاده ومجاهد وهو ما نزل بهم من الطوفان وغيره وقيل هو الطاعون اصابهم فمات من القبط سبعون الف
انسان وهو العذاب السادس عن سعيد بن جبير ومثله ما روي عن الصادق عليه السلم انه اصابهم ثلج احمر ولم يروه
قبل ذلك فماتوا منه وجزعوا واصابهم ما لم يعهدوه قبله قالوا يعني فرعون وقومه يا موسى ادع لنا ربك بما عهد
اليك اي بما تقدم اليك ان تدعوه به فانه يجيبك كما اجابك في اياتك وقيل بما عهد عندك ان اطعناه رفع عنا
العذاب وقيل بما عهد عندك من النبوة عن ابي مسلم فعلى هذا يكون الباء باء القسم ويكون معناه بما اتاك الله من النبوة
لما دعوت الله ليكشف هذا عنا لئن كشفت عنا الرجز اي العذاب لنؤمنن لك اي نصدقك في انك نبي ارسلك
الله ولنرسلن معك بني اسرائيل اي نطلقهم من الاستخدام وتكليف الاعمال الشاقة فلما كشفنا عنهم الرجز اي فلما رفعنا
عنهم العذاب الى اجل هم بالغوه يعني الاجل الذي غرقهم الله فيه وقيل هو الاجل المقدر عن الحسن اذا هم ينكثون اي
ينقضون العهد فانتقمنا منهم اي جازيناهم على سوء صنيعهم بالعذاب ثم فسر ذلك العذاب فقال فاغرقناهم في
اليم اي في البحر بانهم كذبوا باياتنا اي فعلنا ذلك بهم جزاء لتكذيبهم باياتنا وحججنا وبراهيننا الدالة على صدق
موسى وصحة نبوته وجحودهم لها وكانوا عنها غافلين معناه انما نزل عليهم العذاب وكانوا غافلين عن نزول
ذلك بهم وقيل معناه انا عاقبناهم بتكذيبهم وتعرضهم لاسباب الغفلة وعملهم عمل الغافل عنها فيكون وعيدا
لهم على الاعراض عن الايات قوله عز وجل واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها
التي باركنا فيها وتمت كلمت ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا
يعرشون اية القراءة قرا ابن عامر وابو بكر يعرشون بضم الراء والباقون بكسرها الحجة هما لغتان فصيحتان والكسر
افصح ابو عبيده يعرشون يبنون يقال عرش مكة اي بناؤها الاعراب يجوز ان يكون مشارق الارض ومغاربها
انما انتصب بانه مفعول اورثنا ويجوز ان يكون ظرفا على تقدير واورثناهم الارض في مشارقها ومغاربها
وقيل انتصب مشارق الارض ومغاربها على الظرف للاستضعاف والتقدير واورثنا الذين كانوا يستضعفون
في مشارق الارض ومغاربها الارض التي باركنا فيها وعلى هذا فالهاء في فيها يعود الى التي والتي صفة للارض
المحذوفة وموضعه نصب باورثنا المعنى ثم عطف سبحانه على ما تقدم واورثنا الذين كانوا يستضعفون يعني بني
اسرائيل فان القبط كانوا استضعفوهم فاورثهم الله بان مكنهم وحكم لهم بالتصرف واباح لهم ذلك بعد اهلاك
فرعون وقومه القبط فكانهم ورثوا منهم مشارق الارض ومغاربها التي كانوا فيها يعني جهات الشرق والغرب
منها يريد به ملك فرعون من ادناه الى اقصاه وقيل هي ارض الشام ومصر عن الحسن وقيل هي ارض الشام شرقها
وغربها عن قتاده وقيل ارض مصر عن الجبائي قال الزجاج كان من بني اسرائيل داود وسليمان ملكوا الارض التي
باركنا فيها باخراج الزروع والثمار وسائر صنوف النبات والاشجار الى غير ذلك من العيون والانهار وضروب
المنافع وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل معناه صح كلام ربك بانجاز الوعد باهلاك عدوهم واستخلافهم في
الارض وانما كان الانجاز تماما للكلام لتمام النعمة به وقيل ان كلمة الحسنى قوله سبحانه ونريد ان نمن على الذين استضعفوا
في الارض الى قوله يحذرون وقال الحسنى وان كانت كلمات الله سبحانه كلها حسنة لانه وعد بما يحبون وقال الحسن
اراد وعد الله لهم بالجنة بما صبروا اي على اذى فرعون وقومه وتكليفهم اياهم ما لا يطيقونه من الاستعباد والاعمال
الشاقة ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه اي اهلكنا ما كانوا يبنون من الابنية والقصور وما كانوا يعرشون
يسقفون من القصور والبيوت عن ابن عباس قوله عز وجل وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فاتوا على قوم يعكفون
على اصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم الهة قال انكم قوم تجهلون ان هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا

يعلمون قال أغير الله أبغيكم إلهاً وهو فضلكم على العالمين آيات القراءة يعكفون بكسر الكاف كوفي غير
عاصم والباقون بضم الكاف وهما لغتان اللغة المجاوزة الإخراج عن الحد وجاز الوادي يجوزه جوازاً إذا قطعه وخلفه
وراءه وجاوزه مجاوزة وأجازه إجازة وأصل الجواز السعة ومنه الجيزة لسعة شق واديها وتجوز في العلم
إذا اتسع فيه وقوي تصرفه وعكف على الشيء وأكب عليه ولزمه ومنه الاعتكاف وهو لزوم المسجد للعبادة فيه
والمتبر من التبار وهو الهلاك ومنه التبر للذهب وسمي بذلك لأمرين أحدهما أن معدنه مهلكة والآخر قاله
الزجاج أنه يقال لكل إناء مكسر متبر وكسارته تبره الإعراب كما لهم آلهة ما هذه كافة للكاف لأن ما بعدها جملة وقال
البصير وهو واحد زماننا في هذا الفن ما هنا مصدرية أي كما ثبت لهم آلهة وصلت بالظرف وما ارتفع به كما
توصل بالابتداء والخبر في قولك كما سيف عمرو لم يخبه مضاربه ويجوز أن يكون بمعنى الذي وفي قولهم ضمير يعود إليه وآلهة
بدل من ذلك الضمير أو يرتفع بإضمار هي أي هي آلهة فحذف هي وما هم فيه موصول وصلته في موضع رفع بقيامه
مقام الفاعل لقوله متبر وكذلك ما كانوا يعملون فاعل لباطل أغير الله أبغيكم إلهاً يعني يتعدى إلى مفعولين وطلب
يتعدى إلى مفعول واحد لأن معنى قولك بغاه الخير أعطاه الخير وليس كذلك لأنه غير مختص بالمطلوب وعلى هذا فيكون
الهاء مفعولاً به ثانياً ويكون غير منصوباً على الحال التي لو تأخرت كانت صفة للنكرة وتقديره أبغيكم إلهاً غير الله وقد
يجوز أن يكون بمعنى أبغي لكم ويكون غير الله منصوباً بأنه مفعول أبغي وتقديره أطلب غير الله لكم معبوداً فيكون
إلهاً منصوباً على الحال المعنى ثم أخبر سبحانه عن أحوال بني إسرائيل فقال وجاوزنا ببني أي قطعنا بهم البحر يعني النيل نهر مصر
بأن جعلنا لهم فيه طرقاً يابسة حتى عبروا ثم أغرقنا فرعون وقومه فيه فأتوا على قوم أي فمروا على قوم يعكفون على
أصنام أي يقبلون عليها ملازمين لها مقيمين عندها يعبدونها قال قتادة كان أولئك القوم من لخم وكانوا نزولاً بالرقة
وقال ابن جريج كانت تماثيل بقر وذلك أول شأن العجل قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة أي انصب لنا شيئاً نعبده
كما لهم أوثان يعبدونها وهذا الكفر إنما قاله الجهال من قومه دون المؤمنين الأخيار وإنما قالوا ذلك لأن الإنسان
يحن إلى ما يراه لغيره فيحب أن يكون له مثل ما لغيره وفي هذا دلالة على عظيم جهلهم بعد ما رأوا الآيات المترادفة
والمعجزات حيث توهموا أنه يجوز عبادة غير الله تعالى ولم يعرفوا أن المجعول لا يكون إلهاً وأن الأصنام لا يكون
إله ويمكن أن يكونوا قد ظنوا أنه يجوز التقرب إلى الله سبحانه بعبادة غيره وإن اعتقد وأنه لا يشبه الأشياء ولا يشبهه
ولا يكونوا مشبهة كما حكى الله سبحانه عن المشركين أنهم كانوا ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى قال إنكم قوم تجهلون
هذا حكاية عما أجابهم به موسى عليه السلام أي تجهلون ربكم وعظمته وصفاته ولو عرفتموه حق معرفته لما قلتم هذا
القول عن الجبائي وقيل تجهلون نعمة ربكم فيما صنع بكم عن ابن عباس إن هؤلاء يعني القوم الذين عبدوا الأصنام
متبر ما هم فيه أي مهلك ما هم فيه من عبادة الأصنام وباطل ما كانوا يعملون أي باطل عملهم لا يجدي عليهم نفعاً ولا يدفع
عنهم ضراً فكأنه بمنزلة من لم يكن هذا الوجه في البطلان انتفاء المعنى به مراداً وبأنه لا يصح في عدم ولا وجود قال يعني
قال موسى لقومه بعد إزالة على الأصنام وعلى من كان يعبدها أغير الله أبغيكم إلهاً أي ألتمس وأطلب غير الله لكم فحذف
حرف الجر فوصل الفعل كقوله واختار موسى أي من قومه إلهاً أي معبوداً يعبد وهو سوى الله وهو فضلكم على العالمين
أي على عالمي زمانكم عن الحسن والجبائي وقيل معناه وهو سبحانه خصكم بفضائل لم يعطها أحداً غيركم وهو إرسال الرسل إليكم من
منكم ليكونوا أقرب إلى القبول وخلصكم من أذى فرعون وقومه على أعجب وجه وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم
قوله تعالى وإذ أنجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي
ذلكم بلاء من ربكم عظيم القراءة قرأ ابن عامر الحاكم على لفظ الماضي والباقون أنجيناكم وقرأ نافع وحده يقتلون
بالتخفيف والباقون يقتلون بالتشديد الحجة وقد مضى الكلام في أمثال ذلك مرة أخرى فلا وجه للإطالة بإعادته المعنى

ثم خاطب الله سبحانه بني إسرائيل الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وآله فقال لهم على وجه الامتنان عليهم بما أنعم الله على
أسلافهم فقال وإذ أنجيناكم أي واذكروا إذ خلصناكم من آل فرعون يسومونكم أي يولونكم إكراهاً ويحملونكم أذلاء لأسوء
العذاب يقتلون أبناءكم أي يكثرون قتل أبنائكم ويستحيون نساءكم أي يستبقونهن للخدمة والمهنة وفي ذلكم أي
وفيما فعل بكم من النجاة بلاء أي نعمة من ربكم عظيم قدرها وقيل وفي تخليته إياكم وقومه ابتلاء عظيم وقد مضى تفسير هذه
الآية في سورة البقرة قوله تعالى وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة وقال
موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين آية اللغة الفرق بين الميقات والوقت
أن الميقات ما قدر ليعمل فيه عمل من الأعمال والوقت وقت الشيء قدره مقدر أو لم يقدره ولذلك قيل مواقيت الحج
وهي المواضع التي قدرت للإحرام فيها المعنى ثم بين سبحانه تمام نعمته على بني إسرائيل فقال وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها
بعشر ولم يقل أربعين ليلة كما قال في سورة البقرة لفائدة زائدة ذكر فيها وجوه أحدها أن العشر ذو القعدة
وعشر ذي الحجة ولو قال أربعين ليلة لم يعلم أنه كان الابتداء أول الشهر ولأن الأيام كانت متوالية ولأن الشهر شهر
بعينه قال الفراء وهو معنى قول مجاهد وابن عباس وابن جريج ومسروق وأكثر المفسرين وثانيها أنه سبحانه واعد موسى
ثلاثين ليلة ليصوم فيها ويتقرب بالعبادة ثم أتمت بعشر إلى وقت المناجاة وقيل هي العشر التي نزلت التوراة فيها فلذلك
أفردت بالذكر وثالثها أن موسى عليه السلام قال لقومه إني أتأخر عنكم ثلاثين يوماً ليتسهل عليهم ثم زاد عليهم عشراً
وليس في ذلك خلف لأنه إذا تأخر عنهم أربعين ليلة فقد تأخر ثلاثين قبلها عن أبي جعفر الباقر عليه السلام وقريب
منه ما روي عن الحسن أن الموعد كان أربعين ليلة في الأصل فأجمل هناك وفصل هنا على وجه التأكيد فتم ميقات
ربه أربعين ليلة إنما قال هذا مع ما تقدمه دل على هذه العدة للبيان والتفصيل الذي تسميه الكتاب العدد لكنه
ولو لم يذكره لجاز أن يتوهم أنه أتم الثلاثين بعشر منها على معنى كملنا الثلاثين بعشر حتى كملت الثلاثين كما يقال كملت العشرة بدرهمين
وقد مر معنى المواعدة والوعد في سورة البقرة وقلنا إن الأربعين هنا منصوب على الحال وتقديره فتم معدوداً
أربعين ليلة وقال موسى وقت خروجه إلى الميقات لأخيه هارون اخلفني أي كن خليفتي في قومي وأصلح فيما بينهم
وأجر على طريقتك في الصلاح وقيل معناه وأصلح فاسدهم في حال غيبتي وقيل أصلحهم بحملهم على الطاعة ولا تتبع
سبيل المفسدين أي لا تسلك طريقة العاصين ولا تكن عوناً للظالمين وإنما أراد بذلك إصلاح قومه وإن كان
المخاطب به أخاه فإنما أمر موسى عليه السلام أخاه هارون بأن يخلفه وينوب عنه في قومه مع أن هارون كان نبياً مرسلاً
لأن الرياسة كانت لموسى عليه السلام عليه وعلى أمته ولم يجز أن يقول هارون لموسى مثل ذلك وفي هذا دلالة على أن
منزلة الإمامة منفصلة عن النبوة وغير داخلة فيها وإنما اجتمع الأمران لأنبياء مخصوصين لأن هارون لو كان له
القيام بأمر الأمة من حيث كان نبياً لما احتاج فيه إلى استخلاف موسى إياه وإقامته إياه قوله عز وجل ولما جاء
موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه
فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً وخر موسى صعقاً فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك
وأنا أول المؤمنين آية القراءة جعله دكاء بالمد هنا وفي الكهف كوفي غير عاصم ووافقهم عاصم في الكهف والباقون
دكاً بالقصر والتنوين في الموضعين الحجة قال الزجاج جعله دكاً بالتنوين معناه جعله مدقوقاً مع الأرض والدكاء والدك
الروابي التي مع الأرض ناشزة عنها لا يبلغ أن يكون جبلاً قال أبو الحسن لما قال جعله فكأنه قال دكه وأراد جعله ذا
دك وقال أبو عبيدة جعله دكاء أي مندكاً وناقة دكاء ذاهبة السنام كأنه جعلها كالناقة الدكاء فيقتضي أكثره والدك
المستوي وأنشد الأغلب هل غير غاد دك غاراً فانهدم وقال علي بن عيسى دكاء أي مستوياً بالأرض يقال دكه يدكه
دكاً أي سحقه سحقاً اللغة التجلي الظهور ويكون تارة بالدلالة وقال الشاعر تجلى لنا بالمشرفية

والقنا وقد كان معنى وقع الاسنة تاببا ادراك الشاعر ان تدبره لعليه ويقال السيد هو ابن جلا اى لا يخفى امره
لشهرته و فى خطبة الحجاج انا ابن جلا وطلاع الثنايا متى اضع العمامة تعرفونى قال سيبويه جلا فعل ماض فكانه قال
انا ابن الذى جلا اى اوضح وكشف المعنى ثم ذكر سبحانه حديث الميقات فقال ولما جاء موسى لميقاتنا معناه ولما اتى
موسى الى المكان الذى وقتناه له وامرناه بالمصير اليه لنكلمه وننزل عليه التورية ويمكن ان يكون المراد بالميقات
الزمان الذى وقته الله له اى اتى فى ذلك المكان فيه فان لفظ الميقات كما يقع على الزمان يقع على المكان كمواقيت
الاحرام فانها للامكنة التى لا يجوز مجاوزتها لاهل الآفاق الا وهم محرمون وكلمه ربه من غير سفير او وحى كما كان
يكلم الانبياء على السنة الملائكة ولم يذكر من اى موضع اسمعه كلامه وذكر فى موضع اخر انه اسمعه كلامه من الشجرة فجعل
الشجرة محلا للكلام لان الكلام عرض لا يقوم الا بجسم وقيل انه فى هذا الموضع اسمعه كلامه من الغمام قال رب ارنى
انظر اليك اى ارنى نفسك انظر اليك اختلف العلماء فى وجه مسئلته عليه السلم الرؤية مع علمه بانه سبحانه لا يدرك بالحواس
على اقوال احدها ما قاله الجمهور وهو الاقوى انه لم يسال الرؤية لنفسه وانما سالها لقومه حين قالوا لن نؤمن
لك حتى نرى الله جهرة ولذلك قال عليه السلم لما اخذتهم الرجفة اتهلكنا بما فعل السفهاء منا فاضاف ذلك الى السفهاء
ويسال على هذا فيقال لو جاز ان يسال الرؤية لقومه مع علمه باستحالتها [illegible] عليه تعالى لجاز ان يسال لقومه ساير
ما يستحيل عليه من كونه جسما وما اشبه ذلك متى شكوا فيه والجواب انما صح السوال فى الرؤية لان الشك فى جواز الرؤية
لان الشك فى جواز الرؤية التى لا تقتضى كونه جسما يمكن معه معرفة السمع وانه سبحانه حكيم صادق فى اخباره فيصح ان يعرفوا
بالجواب الوارد من جهته تعالى استحالة ما شكوا فى صحته وجوازه ومع الشك فى كونه جسما لا يصح معرفة السمع من
حيث ان الجسم لا يجوز ان يكون غنيا ولا عالما بجميع المعلومات ولا بد فى العلم بصحة السمع من ذلك فلا يقع لهم ابدا
انتفاع ولا علم وقال بعض العلماء انه يجوز ان يسال موسى لقومه ما يعلم استحالته ايضا وان كان دلالة السمع لا
قبل معرفته متى كان فى المعلوم ان فى ذلك صلاحا للمكلفين فى دينهم غير انه يشترط ان بين النبى فى مسئلته ذلك
علمه باستحالة ما سال عنه وان غرضه فى السوال ورود الجواب فيكون لطفا وثانيها انه عليه السلم لم يسال الرؤية
بالبصر ولكنه سال ان يعلمه نفسه ضرورة باظهار بعض اعلام الآخرة التى تضطره الى المعرفة فتزول عنه الدواعى
والشكوك ويستغنى عن الاستدلال فتخف المحنة عليه بذلك كما سال ابرهيم عليه السلم رب ارنى كيف تحيى الموتى
طلبا لتخفيف المحنة وقد كان عرف ذلك بالاستدلال والسوال وان وقع بلفظ الرؤية لان الرؤية يفيد العلم
كما تفيد الادراك بالبصر فبين الله سبحانه ان ذلك لا يكون فى الدنيا عن ابى القسم البلخى وثالثها انه سال الرؤية بالبصر
على غير وجه التشبيه عن الحسن والربيع والسدى وذلك لان معرفة التوحيد يصح مع الجهل بمسئلة الرؤية ومعرفة
السمع يصح ايضا معه وهذا ضعيف لان معرفة الامور وان كان على ما ذكروه فان الانبياء لا يجوز ان يخفى عليهم
مثل ذلك مع جلالة رتبتهم وعلو درجتهم قال لن ترانى هذا جواب من الله تعالى ومعناه لا ترانى ابدا لان
لن ينفى على وجه التابيد كما قال ولن يتمنوه ابدا وقال لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له ولكن انظر الى الجبل
فان استقر مكانه فسوف ترانى علق رؤيته باستقرار الجبل الذى علمنا انه لم يستقر وهذه طريقة معروفة فى
استبعاد الشئ لانهم يعلقونه بما يعلم انه لا يكون ومتى قيل انه لو كان الغرض بذلك التبعيد لعلقه سبحانه بامر يستحيل
كما علق دخول الجنة بامر يستحيل من ولوج الجمل فى سم الخياط فجوابه انه سبحانه علق جواز الرؤية باستقرار الجبل فى
تلك الحال التى جعله فيها دكا وذلك يستحيل لما فيه من اجتماع الضدين فلما تجلى ربه للجبل اى ظهر امر ربه للجبل
لاهل الجبل فحذف والمعنى انه سبحانه اظهر من الآيات ما استدل به من كان عند الجبل على ان رؤيته غير جائزة وقيل
معناه ظهر ربه بآياته التى احدثها فى الجبل لاهل الجبل كما يقال الحمد لله الذى تجلى لنا بقدرته فكل آية حدثها

سبحانه فكانه يتجلى للعباد بها فلما اظهر الآية العجيبة فى الجبل صار كانه ظهر لاهله وقيل ان تجلى بمعنى جلى كقولهم حدثت
وتحدثت وتقدير جلى ربه امره للجبل اى ابرز فى ملكوته للجبل ما تدكدك به ويؤيده ما جاء فى الخبر ان الله تعالى ابرز من
العرش مقدار الخنصر فتدكدك به الجبل وقال ابن عباس معناه ظهر نور ربه للجبل وقال الحسن لما ظهر ربه للجبل جعله
دكا اى مستويا بالارض وقيل ترابا عن ابن عباس وقيل ساخ فى الارض حتى فنى عن الحسن وقيل تقطع اربع قطع
قطعة ذهبت نحو المشرق وقطعة ذهبت نحو المغرب وقطعة سقطت فى البحر وقطعة صارت رملا وقيل صار الجبل ستة
اجبل ووقعت ثلثة بالمدينة وثلثة بمكة فالتى بالمدينة احد وورقان ورضوى والتى بمكة ثور وثبير وحراء روى ذلك
عن النبى صلى الله عليه وآله وخر موسى صعقا اى سقط مغشيا عليه عن ابن عباس والحسن وابن زيد ولم يمت بدلالة
قوله فلما افاق ولا يقال افاق للميت وانما يقال عاش او حيى واما السبعون الذين كانوا معه فقد ماتوا كلهم لقوله ثم بعثناكم
من بعد موتكم وروى عن ابن عباس انه قال اخذته الغشية عشية الخميس وافاق يوم الجمعة وفيه نزلت عليه التورية
وقيل معناه خر ميتا فلما افاق من صعقته ورجع اليه عقله قال سبحانك اى تنزيها لك من ان يجوز عليك ما لا يليق بك وقيل
تنزيها لك ان تأخذنى بما فعل السفهاء من سؤال الرؤية تبت اليك من التقدم فى المسئلة قبل الاذن فيه وقيل انه قال
على وجه الانقطاع الى الله كما يذكر التسبيح والتهليل ونحو ذلك من الالفاظ عند ظهور الامور الجليلة وانا اول المؤمنين
بانه لا يراك احد من خلقك عن ابن عباس والحسن وروى عن ابى عبد الله عليه السلم قال معناه انا اول من
آمن وصدق بانك لا ترى وقيل معناه انا اول المؤمنين من قومى باستعظام سؤال الرؤية عن الجبائى وقيل اول
المؤمنين بك من بنى اسرائيل عن مجاهد والسدى ثم قال عز وجل قال يا موسى انى اصطفيتك على الناس برسالاتى
وبكلامى فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين وكتبنا له فى الالواح من كل شئ موعظة وتفصيلا
لكل شئ فخذها بقوة وامر قومك يأخذوا باحسنها ساوريكم دار الفاسقين آيتان القراءة قرأ اهل الحجاز
وروح برسالتى على التوحيد والباقون برسالاتى على الجمع وقد مضى الكلام فيه اللغة اللوح صحيفة مهياة للكتابة
فيها واصله من اللوح وهو اللمع يقال لاح يلوح اذا لمع وتلالا والتلويح التضمير ولوحه السفر غيره تغييرا يبين عليه
اثره لان حاله يلوح بما نزل به واللوح الهواء لانه كاللامع فى هبوبه كاللوح يلوح المعانى بالكتابة فيه والموعظة
التحذير بما يزجر عن القبيح ويبصر مواقع الخوف المعنى ثم اخبر سبحانه عن عظيم نعمته على موسى بالاصطفاء واعلاء القدر
وامره اياها بالشكر بقوله قال اى قال الله سبحانه يا موسى انى اصطفيتك اى اخترتك واتخذتك صفوة وفضلتك على
الناس برسالاتى من غير كلام وبكلامى من غير رسالة وخص الناس لانه كلم الملائكة ولم يكلم احدا من الناس
بلا واسطة سوى موسى وقيل انه سبحانه كلم موسى عليه السلم على الطور وكلم محمدا نبينا صلى الله عليه وآله عند السدرة
اى من المعترفين المنتهى فخذ ما آتيتك اى تناول ما اعطيتك من التورية وتمسك بما امرتك وكن من
الشاكرين اى من المعترفين بنعمتى القائمين بشكرها على حسب موقعها فكلما كانت النعمة اعظم واجل وجب
ان يقابل بالشكر ما يكون اتم واكمل والوجه فى تشريف موسى عليه السلم بالاختصاص بالكلام ان ذلك نعمة عظيمة
ومنزلة جسيمة منه تعالى عليه لانه كلمه وعلمه الحكمة من غير واسطة بينه وبينه ومن اخذ العلم من العالم المعظم
كان اجل رتبة ممن اخذه من دونه وكتبنا له اى لموسى عليه السلم فى الالواح يريد الواح التورية عن ابن عباس
وقيل كانت من خشب نزلت من السماء عن الحسن وقيل كانت من زمرد طولها عشرة اذرع عن ابن جريج وقيل
كانت من زبرجد خضراء او ياقوتة حمراء عن الكلبى وقيل انهما كانا لوحين قال الزجاج ويجوز فى اللغة ان
يقال للوحين الواح ويجوز ان يكون الواح جمع اكثر من اثنين من كل شئ قال الزجاج اعلم الله سبحانه انه اعطاه
من كل شئ يحتاج اليه من امر الدين مع ما اراه من الآيات موعظة وهذا تفسير كقوله كل شئ وبيان لبعض

ما دخل تحته وتفصيلا لكل شيء يحتاج اليه في الدين من الاوامر والنواهي والحلال والحرام وذكر الجنة والنار
في غير ذلك من العبر والاخبار وتفصيلا انه تفسير لقوله كل شيء فخذها بقوة اي بجد واجتهاد وقيل بصحة عزيمة
وقوة قلب وأمر قومك يأخذوا بأحسنها اي بأحسنها الاحسن المحاسن وهي من الفرائض والنوافل فانها احسن
من المباحات وقيل معناه يأخذوا بالناسخ دون المنسوخ عن الجبائي وهذا ضعيف لان المنسوخ قد خرج
من ان يكون حسنا وقيل المراد بالاحسن الحسن وكلها حسن كقوله سبحانه وهو اهون عليه وكقوله ولذكر الله
اكبر عن قطرب سأريكم دار الفاسقين يعني سأريكم جهنم عن الحسن ومجاهد والجبائي والمراد فليكن منكم على
ذكر ليحذروا ان يكونوا منهم وهذا القول يدل على من خالف امر الله وقيل يريد دار فرعون وقومه بمصر عن عطية
العوفي وقيل معناه سأدخلكم الشام فاريكم منازل القرون الماضية ممن خالف امر الله تعالى لتعتبروا بها عن
قتادة وفي تفسير علي بن ابراهيم ان معناه يجيئكم قوم فساق يكون الدولة لهم قوله تعالى سأصرف عن آياتي الذين
يتكبرون في الارض بغير الحق وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا
وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين والذين كذبوا
بآياتنا ولقاء الآخرة حبطت اعمالهم هل يجزون الا ما كانوا يعملون آيتان القراءة قرأ اهل الكوفة غير عاصم
الرشد بفتح الراء والشين والباقون الرشد بضم الراء وسكون الشين الحجة هما لغتان ويحكى عن ابي عمرو انه
فرق بينهما فقال الرشد الصلاح والرشد هو في الدين مثل قوله مما علمت رشدا وتحروا رشدا وهذا في
الدين وقوله فان آنستم منهم رشدا هو في اصلاح المال والحفظ وقد جاء الرشد في غير الدين قال حيث
الى نعم الله هنا ضللت لها امي بلا لا على التوفيق والرشد اللغة الرشد هو سلوك طريق الحق يقال رشد يرشد
رشادا ورشد يرشد رشدا ورشدا وضده الغي غوى يغوى غيا وغواية والحبوط سقوط العمل حتى
يصير بمنزلة ما لم يعمل واصله الفساد من الحبط وهو داء يأخذ البعير في بطنه من فساد الكلأ عليه يقال حبطت
الابل تحبط حبطا اذا اصابها ذلك واذا عمل الانسان عملا على خلاف الوجه الذي امر به تعالى احبطه المعنى سأصرف
عن آياتي الذين يتكبرون في الارض ذكر في معناه وجوه احدها انه سأصرفهم عن نيل الكرامة المتعلقة بآياتي
والاعتزاز بها كما ينالها المؤمنون في الدنيا والآخرة المتكبرين في الارض بغير الحق كما فعل بقوم موسى وفرعون
ان موسى كان يقتل من القبط وكان احدهم لا يجسر ان ينالهم بمكروه خوفا من الثعبان وعبر بني اسرائيل البحر وغرق
فيه فرعون وقومه عن ابي علي الجبائي والآيات على هذا التأويل يحتمل ان تكون سائر الادلة ويحتمل ان تكون
معجزات الانبياء عليهم السلام وفي قوله ذلك بانهم كذبوا بآياتنا بيان ان صرفهم عن الآيات مستحق بتكذيبهم
وثانيها ان معناه سأصرفهم عن زيادة المعجزات التي اظهرها على الانبياء عليهم السلام بعد قيام الحجة بما تقدم
من المعجزات التي تثبت بها النبوة لان هذا الضرب من المعجزات انما يظهره اذا كان في المعلوم انه يؤمن
عنده من لا يؤمن بما تقدم من المعجزات فتكون الصرف بان لا يظهرها جملة وبان يصرفهم عن مشاهدتها
ونظرها بحيث ينتفع بها غيرهم وهذا الوجه اختاره القاضي لان ما بعده يليق به من قوله وان يروا سبيل
الرشد الى آخر الآية وثالثها ان معناه سأمنع الكذابين والمتكبرين آياتي ومعجزاتي واصرفهم عنها واخص
بها الانبياء فلا اظهرها الا عليهم واذا صرفهم عنها فقد صرفها عنهم وكلا اللفظين يفيد معنى واحدا
فليس لاحد ان يقول هلا قال سأصرف آياتي عن الذين يتكبرون وهذا ابطل قول من قال ان الله
جعل النيل في امر فرعون فكان يجري بامره ويقف بامره وما شاكل ذلك ورابعها ان يكون الصرف معناه
المنع من ابطال الآيات والقدح فيها بما يخرجها عن كونها ادلة وحججا ويكون تقدير الآية الى امر المبطلين

والمكذبين عن القدح في دلالتي بما اويدها واحكمها من الحجج والبينات ويجري ذلك مجرى قول احدنا ان فلانا
منع اعداءه بافعاله الحميدة واخلاقه الكريمة من ذمه وتهجينه واخرس السنتهم عن الطعن عليه وانما يريد المعنى
الذي ذكرناه ويكون على هذا القول ذلك بانهم كذبوا بآياتنا راجعا الى ما قبله بالفصل من قوله وان يروا سبيل
الرشد لا يتخذوه سبيلا ولا يرجع الى قوله سأصرف وخامسها ان المراد سأصرف عن ابطال آياتي والمنع من تبليغها
هؤلاء المتكبرين بالاهلاك والمنع عن اهلاك فلا يقدرون على القدح فيها ولا على منع تبليغها ولا على منع المؤمنين
من اتباعها والايمان بها وهو نظير قوله والله يعصمك من الناس ويكون الآيات في هذا الوجه القرآن وما جرى
مجراه من كتب الله تعالى التي حملها الانبياء ويكون قوله ذلك بانهم كذبوا بآياتنا على هذا متعلقا بقوله وان
يروا سبيل الرشد الى ما بعده ومعنى قوله الذين يتكبرون في الارض اي يرون لانفسهم فضلا على الناس وحقا ليس
لغيرهم مثله فيحملهم ذلك على ترك اتباع الانبياء انفة من الانقياد لهم والقبول منهم وقوله بغير الحق تأكيد وبيان ان
التكبر لا يكون الا بغير الحق كقوله ويقتلون النبيين بغير حق وقد مضى ذكر امثاله وان يروا كل آية اي كل حجة ودلالة
تدل على توحيد الله وصحة نبوة انبيائه لا يؤمنوا بها هذا اخبار من الله تعالى عن هؤلاء بعلمه فيهم انهم لا يؤمنون
به وبكتبه ورسله وبيان انه انما صرفهم عن آياته لذلك وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا يعني ان يروا
طريق الهدى والحق لا يعتقدوه طريقا لانفسهم وان يروا سبيل الغي اي طريق الضلال يتخذوه سبيلا اي طريقا
لانفسهم ويميلون اليه وقيل الرشد الايمان والغي الكفر وقيل الرشد كل امر محمود والغي كل امر قبيح مذموم ذلك
اشارة الى صرفهم الآيات وقيل اشارة الى ايجادهم طريق الغي وترك طريق الرشد وتقديره امرهم ذلك بانهم
كذبوا بآياتنا اي بحججنا ومعجزات رسلنا وكانوا عنها غافلين لا يتفكرون فيها ولا يتعظون بها والمراد بالغفلة
هنا التشبيه لا الحقيقة مثل قوله سبحانه صم بكم عمي ذلك انهم لما اعرضوا عن الانتفاع بالآيات والتأمل فيها
اشبهت حالهم حال من كان غافلا ساهيا عنها ثم بين سبحانه وعيد المكذبين فقال والذين كذبوا بآياتنا ولقاء
الآخرة يعني القيامة والبعث والنشور حبطت اعمالهم التي عملوها فلا يستحقون بها مدحا ولا ثوابا لانها وقعت
على خلاف الوجه المأمور به فصارت بمنزلة ما لا يعمل هل يجزون الا ما كانوا يعملون صورته صورة الاستفهام والمراد
به الانكار والتوبيخ ومعناه ليس يجزون الا ما عملوه ان خيرا فخير وان شرا فشر النظم وقيل في وجه اتصال
الآية بما قبلها وجوه احدها انه تقدم ذكر المعجزات وما رام فرعون من ابطالها فبين بقوله سأصرف عن آياتي
انه يمنع عن ابطال المعجزات فيتصل بما تقدم من قصة موسى وفرعون وثانيها انه لما تقدم ذكر معجزات موسى
نبه على انه لا يظهر المعجزة على يد من ليس بنبي وابان عن صدق موسى ومحمد لمكان المعجزة وثالثها انه
خطاب لموسى عليه السلام وزيادة في البشارة عن اتمام ما وعده في اهلاك اعدائه وصرفهم عن الاعتراض على آياته
ومعناه خذها امنا من طعن الطاعنين فاني سأصرف ورابعها ان الآية اعتراض بين قصة موسى والخطاب
لنبينا محمد صلى الله عليه وآله والمراد انه يصرف المتكبرين عن آياته كما صرف فرعون عن موسى قوله تعالى واتخذ
قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه
وكانوا ظالمين آية القراءة قرأ حمزة والكسائي حليهم بكسر الحاء واللام وقرأ يعقوب حليهم بفتح الحاء وسكون اللام
وقرأ الباقون حليهم بضم الحاء وكسر اللام الحجة من قرأ بضم الحاء فانه جمع على نحو ثدي وثدي وجمعه لانه اضافه الى جمع
ومن قرأ بكسر الحاء اتبع الكسرة الكسرة وكره الخروج من الضم الى الكسرة فاجراه مجرى قسي ونحوه ومن قرأ حليهم فلانه
اسم جنس يقع على القليل والكثير اللغة الاتخاذ اجتباء الشيء لامر من الامور فهؤلاء اتخذوا العجل للعبادة والحلي ما اتخذ
للزينة من الذهب والفضة ويقال حلي الشيء في عيني يحلى حلى وحلا في فمي يحلو حلاوة وحليت الرجل تحلية اذا وصفته

عما يرى منه ويحلى بكذا تزين به لحسنه والجسد جسم الحيوان مثل البدن وهو روح وجسد فالروح ما لطف
والجسد ما كثف والجسم يقع على جسد الحيوان وغيره من الجمادات والخوار صوت الثور وهو صوت غليظ وبناء فعال
يدل على الآفة نحو الصراخ والسكات والعطاش الاعراب موضع من حليهم نصب تقديره اتخذ واحليهم عجلا وهو
مفعول من اتخذ وجسدا بدل من العجل المعنى ثم عاد الكلام الى قصة بني اسرائيل وما احدثوه عند خروج موسى
عليه السلم الى ميقات ربه فقال سبحانه واتخذ قوم موسى يعني السامري ومن حذا على طريقته وقيل يعني جميعهم
لان منهم من صاغ العجل ومنهم من عبده ومنهم من لم ينكر وانما انكر ذلك القليل منهم فخرج الكلام على الغالب
من بعده اي من بعد خروج موسى الى الميقات عن الجبائي وغيره من حليهم التي استعاروها من قوم فرعون وكانت
بنو اسرائيل بمنزلة اهل الجزية في القبط وكان لهم يوم عيد يتزينون فيه ويستعيرون من القبط الحلي فوافق ذلك
عيدهم فاستعاروا حلي القبط فلما اخرجهم الله من مصر وغرق فرعون بقيت تلك الحلي في ايديهم فاتخذ السامري منها
عجلا وهو ولد البقرة جسدا اي مجسدا جسدا لا روح فيه وقيل لحما ودما عن وهب له خوار اي صوت وروي في الشواذ
عن علي عليه السلم جؤار بالجيم والهمزة وهو الصوت ايضا وفي كيفية جؤار العجل مع انه مصنوع من ذهب خلاف
فقيل اخذ السامري قبضة من تراب اثر فرس جبريل عليه السلم يوم قطع البحر فقذف ذلك التراب في فم العجل فتحول
لحما ودما وكان ذلك خارقا معتادا عن خارق العادة وجاز ان يفعل تعالى ذلك بمجرى العادة عن الحسن
وقيل انه احتال بادخال الريح كما تعمل هذه الآلات التي تصوت بالحيل عن الزجاج والجبائي والبلخي وانما اضاف
سبحانه الصوت اليه لانه كان محله عند دخول الريح جوفه وكان السامري عندهم مهيبا مطاعا فيما بينهم فادعى
ان موسى قد مات لما لم يرجع على راس الثلثين فدعاهم الى عبادة العجل فاطاعوه ولم يطيعوا هرون وعبدوا
العجل على ما مر ذكره في سورة البقرة ثم انكر سبحانه ذلك عليهم فقال الم يروا اي الم يعلموا انه لا يكلمهم بما يجدي عليهم
نفعا او يدفع عنهم ضررا ولا يهديهم سبيلا اي لا يهديهم الى خير لياتوه ولا الى شر ليجتنبوه ذكر سبحانه هذا
على فساد ما ذهبوا اليه فان من لا يتكلم في خير وشر ولا يهدي الى طريق فهو جماد لا ينفع ولا يضر فكيف يكون الها
معبودا اتخذوه اي اتخذوه الها وعبدوه وكانوا ظالمين باتخاذهم الها واضعين للعبادة في غير موضعها قوله عز
وجل ولما سقط في ايديهم وراوا انهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين
آية القراءة لئن لم ترحمنا بالتاء ربنا بالنصب وتغفر لنا بالتاء كوفي غير عاصم الباقون يرحمنا ويغفر لنا بالياء
ربنا بالرفع الحجة من قرا بالياء جعل الفعل للغيبة واسند الفعل الى ربنا ويغفر لنا فيه ضمير ربنا ومن قرا بالتاء ففيه معنى
الخطاب وربنا نداء وحذف التنبيه معه لان عامة ما في التنزيل حذف حرف التنبيه معه نحو قولهم ربنا اي اسكنت
من ذريتي ربنا وآتنا ما وعدتنا اللغة معنى سقط في ايديهم وقع البلاء في ايديهم اي وجدوه وجد ان من يده
فيه يقال ذلك للنادم عند ما يجده ما كان خفي عليه ويقال سقط في يده واسقط في يده وبغير الالف افصح وقيل
معناه صار الذي يضربه ملقى في يده المعنى ثم اخبر سبحانه انهم ندموا على عبادة العجل فقال ولما سقط في ايديهم
اي فلما لحقتهم الندامة وراوا انهم قد ضلوا اي علموا ضلالهم عن الصواب وطريق الحق بعبادة العجل حين رجع
اليهم موسى وبين لهم ذلك قالوا لئن لم يرحمنا ربنا بقبول توبتنا ويغفر لنا ما قدمنا من عبادة العجل لنكونن من
الخاسرين باستحقاق العقاب قال الحسن ان كلهم عبدوا العجل الا هرون بدلالة قول موسى رب اغفر لي ولاخي
ولو كان هناك مؤمن غيرهما لدعا له وقال غيره انما عبده بعضهم قوله عز وجل ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفا
قال بئسما خلفتموني من بعدي اعجلتم امر ربكم والقى الالواح واخذ براس اخيه يجره اليه قال ابن ام
ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الاعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين قال رب

اغفر لي ولاخي وادخلنا في رحمتك وانت ارحم الراحمين آيتان القراءة قرا ابن عامر واهل الكوفة غير حفص
ابن ام بالكسر ههنا وفي طه وقرا الباقون ابن ام نصبا في الموضعين وروي في الشواذ عن مجاهد فلا تشمت
بفتح التاء والميم الاعداء بالنصب وروي عن مجاهد ايضا فلا يشمت بالياء الحجة من قرا ابن ام بالفتح فلكثرة
استعمالهم هذا الاسم قالوا يا ابن ام ويا ابن عم جعلوهما اسما واحدا نحو خمسة عشر قال سيبويه لان هذا اكثر في كلامهم
من يا ابن ابي ويا غلام غلامي ومن العرب من يقول يا ابن امي باثبات الياء قال الشاعر يا ابن امي ويا شقيق
نفسي انت خليتني لدهر شديد ولامر شديد قال ابو علي بني الاسمان على الفتح والفتحة في ابن ليست النصبة
التي كانت تكون في الاسم المضاف المنادى لكن بني على الحركة التي كانت تكون للاعراب كان قولهم لا رجل كذلك
وكان مكانك اذا اردت به الامر لا تكون الفتحة فيه الفتحة التي كانت فيه وهو ظرف ولكنه على حد الفتحة في رويدك
فان قال قائل فلم لا تقول انها نصبة والمراد يا ابن اما فتحذف الالف كما حذفت ياء الاضافة في غلامي قيل ليس
هذا مثل الاترى ان من حذف الياء من يا غلام غلامي فلو كانت الالف مقدرة في يا ابن ام لم يكن حذف كما لم تحذف
في قوله يا ابنة عما لا تلومي واهجعي والالف لا تحذف حيث تحذف الياء الاترى ان من قال ما كنا نبغ والليل
اذا يسر فحذف الياء من الفواصل وما اشبه الفواصل من الكلام التام لم يكن عنده في نحو قوله والليل اذا يغشى والنهار
اذا تجلى الا الاثبات فان قلت فقد حذف الالف في نحو قوله رهط ابن مرجوم ورهط ابن المعل يريد ابن المعلى
وانشد ابو الحسن فلست بمدرك ما فات مني بلهف ولا بليت ولا لواني يريد بلهفي فحذف الالف فالقول
ان ذلك في الشعر ولا يكون في الاختيار وحال السعة لا ينبغي ان يحمل قوله يا ابن ام على هذا وقياس من اجاز ذلك
ان يكون فتحة الابن نصبة والفتحة في ام ليست كالتي في عشر من خمسة عشر ولكن مثل الفتحة التي في الميم من يا ابنة
عما قال الزجاج ومن قرا يا ابن ام بالكسر فلانه اضاف الى نفسه بعد ان جعله اسما واحدا اللغة الاسف الغضب
الذي فيه تاسف على فوت ما سلف والاسف الحزن واللهف اسف ويقال خلفه بخلفه بما يحب وبما يكره اذا
عمل ذلك والعجلة التقدم بالشيء قبل وقته والسرعة عمله في اول وقته ولذلك صارت العجلة مذمومة ويقال
عجلته اي سبقته واعجلته استحثثته والشماتة سرور العدو بسوء العاقبة يقال شمت به شماتة واشمته اشماتا غيره
لتلك الحال الاعراب غضبان منصوب على الحال وهو فعلان مؤنثه فعلى نحو غضبان وغضبى ولا ينصرف لان فيه
الالف والنون المضارعتين لالفي التانيث في حمراء المعنى ثم اخبر سبحانه عما فعله موسى عليه السلم حين رجع من مناجاة
ربه وراى عكوف قومه على عبادة العجل فقال ولما رجع موسى الى قومه يعني بني اسرائيل غضبان اسفا اي حزينا
عن ابن عباس وقيل الاسف الشديد الغضب عن ابي الدرداء وقيل معنى الغضب والاسف واحد وانما ذكرهما
للتاكيد واختلاف اللفظين كما قال الشاعر متى ادن منه ينأ عني ويبعد عن ابي مسلم وقيل معناه غضبان على قومه
اذ عبدوا العجل اسفا اي حزينا متلهفا على ما فاته من مناجاة ربه قال بئسما خلفتموني من بعدي اي بئس ما عملتم
خلفي وبئس الفعل فعلكم بعد ذهابي الى ربي اعجلتم امر ربكم اي ميعاد ربكم فلم تصبروا له عن ابن عباس ونحو
هذا عن الحسن وعد ربكم الذي وعدني من الاربعين ليلة وذلك انهم قدروا انه قد مات لما لم يات على راس
ثلثين ليلة وقيل اعجلتم بعبادة العجل قبل ان ياتيكم امر ربكم عن الكلبي وقيل معناه استعجلتم وعد الله وثوابه
على عبادته فلما لم ينالوه عدلتم الى عبادة غيره عن الجبائي والقى الالواح معناه القاها لما داخله من شدة
الغضب والجزع على عبادة قومه العجل عن ابن عباس وروي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال يرحم الله اخي موسى ليس
المخبر كالمعاين لقد اخبره الله بفتنة قومه وقد عرف ان ما اخبره ربه حق وانه على ذلك لمتمسك بما في يديه فرجع
الى قومه وراهم فغضب والقى الالواح وقد تقدم ذكر ما فيه من الالواح واخذ براس اخيه يعني هرون يجره اليه قيل
في معناه وجوه احدها ان موسى عليه السلم انما فعل ذلك مستعظما لفعلهم مفكرا فيما كان منهم كما يفعل الانسان بنفسه

مثل ذلك عند الغضب وشدة الفكر فيقبض على لحيته ويعض على شفته فاجرى موسى عليه السلام اخاه هرون مجرى نفسه فصنع به ما يصنع الانسان بنفسه عند حالة الغضب والفكر عن ابي علي الجبائي وهذا من الامور التي تختلف احكامها بالعادات فيكون ما هو اكرام في موضع استخفافا في غيره ويكون ما هو استخفاف في موضع اكراما في آخر وثانيها انه عليه السلام اراد ان يظهر ما اعتراه من الغضب على قومه لاكباره منهم ما صاروا اليه من الكفر والارتداد وصدر ذلك منه للتألم بضلالهم واعلامهم عظم الحال عنده لينزجروا عن مثله في مستقبل الاحوال ذكره الشيخ المفيد ابو عبد الله عليه السلام علي بن النعمن رضي الله عنه وثالثها انه اراد ان يدنيه الى نفسه ليناجيه ويستوفي احوال القوم منه وبهذا اظهر هرون براءة نفسه ولما اظهر براءته دعا له ولنفسه ورابعها انه لما راى بهرون مثل ما به من الجزع والقلق اخذ براسه متوجعا له مسكنا فكره هرون ان يظن الجهال ان ذلك استخفاف فاظهر براءته ودعا له موسى لازالة التهمة وخامسها انه انكر على هرون ما سبق في طه من قوله ما منعك اذ رايتهم ضلوا الا تتبعني الآية عن ابي مسلم قال يعني قال هرون يا ابن ام قال الحسن والله لقد كان اخاه لابيه وامه الا انه انما نسبه الى الام لان ذكر الام ابلغ في الاستعطاف ان القوم استضعفوني يعني ان القوم الذين تركتني بين اظهرهم اتخذوني ضعيفا وكادوا يقتلونني اي هموا بقتلي وقربوا ان يقتلوني لشدة انكاري عليهم فلا تشمت بي الاعداء اي لا تسرهم بان تفعل بي ما يوهم ظاهره خلاف التعظيم ولا تجعلني مع القوم الظالمين اي لا تجعلني مع عبدة العجل ومن جملتهم في اظهار الغضب والموجدة علي قال موسى حين تبين له ما نبهه هرون عليه من خوف التهمة ودخول الشبهة على القوم رب اغفر لي ولاخي وهذا على وجه الانقطاع الى الله سبحانه والتقرب اليه لا انه كان يقع منه او من اخيه قبيح كبير او صغير يحتاج ان يستغفر منه فان الدليل قد دل على ان الانبياء لا يجوز ان يقع منهم شيء من القبيح وقيل انه عليه السلام بين بهذا لبني اسرائيل انه لم يجر اساءة اليه لغضب او وجد منه وانما فعله كما يفعل الانسان بنفسه عند شدة غضبه على غيره عن الجبائي وادخلنا في رحمتك اي نعمتك وجنتك وانت ارحم الراحمين ظاهر المعنى وانما ذكر في آخر الدعاء لبيان شدة الرجاء من جهته فان الابتداء بالنعمة يوجب الاتمام وسعة الرحمة تقتضي الزيادة فيها فقال ارحم الراحمين لاستدعاء الرحمة من جهته كما يقال اجود الاجودين لاستدعاء الجود من قبله قوله عز وجل ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحيوة الدنيا وكذلك نجزي المفترين والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم ولما سكت عن موسى الغضب اخذ الالواح وفي نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون ثلث آيات

اللغة النول اللحوق واصله مد اليد الى الشيء الذي يبلغ ومنه قولهم نولك ان تفعل كذا اي ينبغي ان تفعله فانك يلحقك خيره وسكت اي سكن والسكوت هو الامساك عن الكلام لمهمة منافية لسببه وهو تسكين آلة الكلام وانما قيل سكت الغضب توسعا ومجازا لانه لما كان يفور بدلالته على ما في نفس المغضوب عليه كان بمنزلة الناطق بذلك فاذا سكنت تلك الفورة كان بمنزلة الساكت عما كان متكلما به فالسكوت في هذا الموضع احسن من السكون لتضمنه معنى سكوته عن المعاتبة مع سكون غضبه الاعراب قال لربهم يرهبون ولا يجوز يرهبون لربهم لانه اذا تقدم المفعول ضعف عمل الفعل فيه فصار بمنزلة ما لا يتعدى في دخول اللام عليه وقيل انه اذا كان يعني من اجله جاز دخول اللام عليه تقدم او تأخر كما قال تعالى ردف لكم المعنى ثم اوعدهم سبحانه فقال ان الذين اتخذوا العجل فيه حذف اي اتخذوه الها ومعبودا من دون الله سينالهم غضب اي سيلحقهم على عبادتهم اياه عقوبة من ربهم وانما ذكر الغضب مع الوعيد بالنار لانه ابلغ في الزجر عن القبيح وذلة في الحيوة الدنيا يعني صغر النفس والمهانة قال الزجاج والذلة ما امروا به من قتل انفسهم وقيل ان الذلة اخذ الجزية لم يقع فيمن عبد العجل وانما اراد استحقاقا للقتل وكذلك نجزي المفترين اي مثل هذا الوعيد والعقاب نجزي الكاذبين والمجترين وانما سماهم مفترين لانهم

لا تعبدوا عجلا وقالوا انه اله فكانوا كاذبين ثم عطف سبحانه على ذلك بقوله والذين عملوا السيئات اي الشرك والمعاصي ثم تابوا من بعدها وآمنوا اي استانفوا عمل الايمان وقيل معناه تابوا وآمنوا بان الله قابل التوبة ان ربك يا محمد من بعدها اي من بعد التوبة وقيل من بعد السيئات لغفور لذنوبهم رحيم بهم ولما سكت اي سكن عن موسى الغضب وقيل معناه زالت فورة غضبه ولم يزل الغضب لان توبتهم لم تخلص وقيل معناه زال الغضب لانهم تابوا واخذ الالواح التي كانت فيها التورية وفي نسختها اي وفيما نسخ فيها وكتب عن الجبائي وابي مسلم وقيل وفي نسختها التي كتبت ونسخت منها هدى اي دلالة وبيان لما يحتاج اليه من امور الدين ورحمة اي نعمة ومنفعة للذين هم لربهم يرهبون اي يخشون ربهم فلا يعصونه ويعملون بما فيها وفي الآية دلالة على انه يجوز القاء التورية للغضب الذي يظهر بالقائها ثم اخذها للحكمة التي فيها من غير ان يكون القاؤها رغبة عنها قوله عز وجل واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا فلما اخذتهم الرجفة قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي اتهلكنا بما فعل السفهاء منا ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء انت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين آية

اللغة الاختيار ارادة ما هو خير يقال خير بين امرين فاختار احدهما والاختيار والايثار بمعنى واحد والفتنة الكشف والاختبار قال المسيب بن عليس اذا تبيتك باهلي ناعم قامت لتفتنه بغير قناع اي لتكشفه وتبرزه تقديره اختار موسى من قومه فحذف من فوصل الفعل فنصب وانما حذف من لدلالة الفعل عليه مع ايجاز اللفظ قال الفرزدق منا الذي اختير الرجال سماحة وجودا اذا هب الرياح الزعازع وقال عيلان وانت الذي اخترت المذاهب كلها بوهبين ادرجت على الاباعر وقال آخر فقلت له اخترها قلوصا سمينة ونابا علينا مثل نابك في الحيا المعنى ثم اخبر سبحانه عن اختيار موسى من قومه عند خروجه الى ميقات ربه فقال واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا واختلف في سبب اختياره اياهم ووقته فقيل انه اختارهم حين خرج الى الميقات ليكلمه الله سبحانه بحضرتهم ويعطيه التورية فيكونوا شهداء عند بني اسرائيل لما لم يثقوا بخبره ان الله سبحانه يكلمه فلما حضروا الميقات وسمعوا كلامه تعالى سالوا الرؤية فاصابتهم الصاعقة ثم احياهم الله سبحانه ليكلمه فلما حضروا الميقات وسمعوا كلامه تعالى سالوا الرؤية فاصابتهم الصاعقة ثم احياهم الله سبحانه فابتدأ سبحانه بحديث الميقات ثم اعترض حديث العجل فلما تم عاد الى بقية القصة وهذا الميقات هو الميعاد الاول الذي تقدم ذكره عن ابي علي الجبائي وابي مسلم وجماعة من المفسرين وهو الصحيح ورواه علي بن ابرهيم في تفسيره وقيل انه اختارهم بعد الميقات الاول للميقات الثاني بعد عبادة العجل ليعتذروا من ذلك فلما سمعوا كلام الله تعالى قالوا ارنا الله جهرة فاخذتهم وهي الرعدة والحركة الشديدة حتى كادت ان تبين مفاصلهم وخاف موسى عليهم الموت فبكى ودعا وخاف ان يتهمه بنو اسرائيل على السبعين اذا عاد اليهم ولم يصدقوا بانهم ماتوا عن السدي والحسن وقال ابن عباس ان السبعين الذين قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الصاعقة كانوا قبل السبعين الذين لن نؤمن لك اخذتهم الرجفة وانما امره تعالى موسى ان يختار من قومه سبعين رجلا فاختارهم وبرز بهم ليدعوا ربهم فكان فيما دعوا ان قالوا اللهم اعطنا ما لم تعط احدا قبلنا ولا تعطيه احدا بعدنا فكره الله ذلك من دعائهم فاخذتهم الرجفة وروي عن علي بن ابي طالب عليه السلام قال انه انما اخذتهم الرجفة من اجل دعواهم على موسى قتل هرون وذلك ان موسى وهرون وشبر وشبير ابني هرون انطلقوا الى سفح جبل فنام هرون على سرير فتوفاه الله فلما مات دفنه موسى فلما رجع الى بني اسرائيل قالوا له اين هرون قال توفاه الله قالوا لا بل انت قتلته حسدتنا على خلقه ولينه قال فاختاروا من شئتم فاختاروا منهم سبعين رجلا وذهب بهم فلما انتهوا الى القبر قال موسى يا هرون اقتلت ام مت فقال هرون ما قتلني احد ولكن توفاني الله فقالوا لن نعصي

بعد اليوم فاخذتهم الرجفة وصعقوا وماتوا ثم احياهم الله وجعلهم انبياء وقال وهب لم تكن تلك الرجفة موتا ولكن القوم لما
راوا تلك الهيبة اخذتهم الرعدة وقلقوا ورجفوا حتى كادت ان تبين مفاصلهم وتنقض ظهورهم فلما راى ذلك موسى
رحمهم وخاف عليهم الموت واشتد عليه فقدهم وكانوا وزراءه على الخير سامعين له مطيعين فعند ذلك دعا وبكى وناشد
ربه فكشف الله عنهم تلك الرجفة والرعدة فسكنوا واطمانوا وسمعوا كلام ربهم قال اى قال موسى رب لو شئت اهلكت
هولاء السبعين من قبل هذا الموقف واهلكتني معهم فالان ما الذى اقول لبنى اسرائيل اذا رجعت اليهم اتهلكنا بما
فعل السفهاء منا معناه النفى وان كان بصورة الانكار والمعنى انك لا تهلكنا بما فعل السفهاء منا فهذا سؤال
رفع المحنة بالاهلاك عنا وما فعله السفهاء هو عبادة العجل ظن موسى عليه السلم انهم اهلكوا لاجل عبادة بنى اسرائيل العجل
وهم السفهاء وقيل هو سؤال الروية عن جماعة من المفسرين ان هى الا فتنتك معناه ان الرجفة الا اختبارك وابتلاوك
ومحنتك اى تشديدك التعبد والتكليف علينا بالصبر على ما انزلته بنا عن سعيد بن جبير وابى العالية والربيع ومثله
قوله اولا يرون انهم يفتنون فى كل عام مرة او مرتين يعنى تلك الامراض والاسقام التى تشدد الله بها النعمة على
عباده وانما سمى ذلك فتنة لانه يشتد الصبر عليها ومثله مثله الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم
لا يفتنون اى لا يبتلون شدائد الدنيا وقيل ان المراد ان هى الا عذابك عن ابن عباس وقد سمى الله العذاب
فتنة فى قوله يوم هم على النار يفتنون اى يعذبون فكانه قال ليس هذا الاهلاك الا عذابك لهم بما فعلوه من الكفر
وعبادة العجل او سؤالهم الروية تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء اى تصيب بهذه الرجفة من تشاء وتصرفها
عمن تشاء عن ابن عباس وتقديره تهلك بها من تشاء وتنجى من تشاء وقيل معناه تترك الصبر على فتنتك وتترك
الرضا بها من تشاء عن ثوابك ودخول جنتك وتهدى بالرضا والصبر عليها من تشاء انت ولينا معناه انت
ناصرنا والاولى بنا تحوطنا وتحفظنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين اى خير الساترين على عباده والمتجاوزين
لهم عن جرمهم قوله عز وجل واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة وفى الاخرة انا هدنا اليك قال عذابى اصيب
به من اشاء ورحمتى وسعت كل شئ فساكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكوة والذين هم باياتنا يؤمنون
آية القراءة فى الشواذ قراءة الحسن وعمرو الاسوارى من اساء والقراءة المشهورة من اشاء الوجه فيه ظاهر
هذا تمام ما قال موسى عليه السلم فى دعائه واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة سال الله سبحانه ان يكتب لهم الحسنة
فى الدنيا وهى النعمة وانما سميت النعمة حسنة وان كانت الحسنة اسم الطاعة لامرين احدهما ان النعمة تقبلها
النفس كما ان الطاعة يقبلها العقل والاخر انها ثمرة الطاعة لله تعالى وانما ذكر بلفظ الكتابة ولم يقل واجعل لنا
او اوجب لنا لان الكتابة اثبت وادوم يقال كتب رزق فلان فى الديوان فيدل ذلك على دوامه وثبوته على مرور
الازمان وفى الاخرة معناه واكتب لنا فى الاخرة حسنة ايضا كما فى قوله ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الاخرة حسنة وقيل
الحسنة فى الدنيا الثناء الجميل وفى الاخرة الرفعة وقيل هى فى الدنيا التوفيق للاعمال الصالحة وفى الاخرة المغفرة
والجنة انا هدنا اليك اى رجعنا بتوبتنا اليك والهود الرجوع قال الله تعالى مجيبا لموسى عليه السلم عذابى
اصيب به من اشاء ممن عصانى واستحقه بعصيانه وانما علقه بالمشية لجواز الغفران فى العقل ورحمتى وسعت
كل شئ قال الحسن وقتادة ان رحمته فى الدنيا وسعت البر والفاجر وهى يوم القيمة للمتقين خاصة وقال عطية العوفى
وسعت كل شئ ولكن لا تجب الا للذين يتقون وذلك ان الكافر يرزق ويدفع عنه بالمؤمن لسعة رحمة الله للمؤمن
فيعيش فيها فاذا صار فى الاخرة وجبت للمؤمنين خاصة كالمستضئ بنار غيره اذا ذهب صاحب السراج بسراجه وقيل
انها تسع كل شئ ان دخلوها فلو دخل الجميع لوسعتهم الا ان فيهم من لا يدخل فيها لضلالة وفى الحديث ان النبى
صلى الله عليه وآله قام فى الصلوة فقال اعرابى وهو فى الصلوة اللهم ارحمنى ومحمدا ولا ترحم معنا احدا فلما سلم رسول الله

قال للاعرابى لقد تحجرت واسعا يريد رحمة الله عز وجل اورده البخارى فى الصحيح فساكتبها للذين يتقون اى فسا
اوجب رحمتى للذين يتقون الشرك اى يجتنبون الكبائر والمعاصى ويؤتون الزكوة اى يخرجون زكوة اموالهم
لانها اشق الفرائض وقيل معناه يطيعون الله ورسوله عن ابن عباس والحسن وانما ذهب الى ان تزكية النفس تطهيرها
والذين هم باياتنا يؤمنون اى بحججنا وبيناتنا يصدقون وروى عن ابن عباس وقتادة وابن جريج انه لما
نزلت ورحمتى وسعت كل شئ قال ابليس انا من ذلك الشئ فنزعها الله من ابليس بقوله فساكتبها للذين يتقون
الى اخر الاية وقالت اليهود والنصارى نحن نتقى ونؤتى الزكوة ونؤمن بايات ربنا فنزعها منهم وجعلها لهذه
الامة بقوله الذين يتبعون الرسول النبى الامى الاية قوله عز وجل الذين يتبعون الرسول النبى الامى الذى يجدونه
مكتوبا عندهم فى التورية والانجيل يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم
الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا
النور الذى انزل معه اولئك هم المفلحون آية القراءة قرا ابن عامر وحده آصارهم على الجمع والباقون
اصرهم على التوحيد الحجة قال ابو على الاصر مصدر يقع على الكثرة مع افراد لفظه يدل على ذلك قوله اصرهم فاضيف
وهو مفرد الى الكثرة ولا تجمع وقال ربنا ولا تحمل علينا اصرا ينظرون من طرف خفى ولا يرتد اليهم طرفهم والوجه
الافراد كما ورد فى غير هذا الموضع وجمعه ابن عامر كانه اراد ضروبا من المآثم مختلفة فجمع لاختلافها والمصادر
تجمع اذا اختلفت ضروبها واذا كانوا قد جمعوا اسما يكون ضربا واحدا كقوله هل من حلوم لاقوام فتنذرهم ما جرت
الناس من عصى وتضريس فان جمع ما يختلف من المآثم اجدر ويقوى ذلك قوله وليحملن اثقالهم واثقالا
مع اثقالهم والثقل مصدر كالشبع والصغر والكبر اللغة قال الزجاج اختلف اهل اللغة فى معنى قوله عزروه فقيل عزرت
فلانا اعزره واعزره عزرا فقيل وددته فقيل معناه وقيل معناه لمته ويقال عزرته بالتشديد بمعنى نصرته
يقال منعت منه فمعنى عزروه منعوا اعداءه من الكفر به وقيل نصروه والمعنى قريب لان منع الاعداء منه نصرته
ومعنى عزرت فلانا اذا ضربته ضربا دون الحد انه منعه بضربه اياه من معاودة مثل عمله ويجوز ان يكون من عزرته
اى رددته فمعناه نفعلت به ما يرده عن المعصية الاعراب قال الزجاج قوله يامرهم بالمعروف يجوز ان يكون على
يجدونه مكتوبا عندهم انه يامرهم بالمعروف ويجوز ان يكون يامرهم بالمعروف مستانفا قال ابو على
لا وجه لقوله يجدونه مكتوبا انه يامرهم ان كان يعنى ان ذلك مراد لانه لا شئ يدل على حذفه ولانا لم نعلمهم
حذفوا هذا فى شئ وتفسيره ان وجدت هنا هو المتعدى الى مفعولين ومكتوبا مفعول ثان والمعنى يجدون
ذكره مكتوبا عندهم فى التورية واسمه فالمفعول الاول قام مقام المضاف اليه وانما قلنا ذلك لان المكتوب
هو الاسم او الذكر والمفعول الثانى فى هذا الباب يجب ان يكون الاول فى المعنى فاما قوله يامرهم بالمعروف
فهو عندى تفسير لما كتب كما ان قوله لهم مغفرة واجر عظيم تفسير لوعدهم وكان قوله خلقه من تراب تفسير للمثل
فان قلت لم لا تجعله حالا من المفعول الاول قلت ان ذلك ممتنع فى المعنى الا ترى ان المعنى اذا كان يجدون ذكره
واسمه مكتوبا لم يجز ان يكون يامرهم حالا منه لان الاسم والذكر لا يامران انما يامر المذكور والمسمى ولا يجوز ان
يكون مما فى مكتوب من الضمير لان الضمير هو المفعول الاول فى المعنى المعنى ثم وصف سبحانه الذين يتقون صفة اخرى
فقال الذين يتبعون الرسول النبى الامى اى يؤمنون ويعتقدون نبوته يعنى نبينا محمدا صلى الله عليه وآله الامى
ذكر فى معناه اقوال احدها انه الذى لا يقرا ولا يكتب وثانيها انه منسوب الى الامة والمعنى انه على الامة قبل استفادة
الكتابة وقيل ان المراد بالامة العرب لانها لم تكن تحسن الكتابة وثالثها انه منسوب الى الام والمعنى انه على ما ولدته
امه قبل تعلم الكتابة ورابعها انه منسوب الى ام القرى وهى مكة وهو المروى عن ابى جعفر عليه السلم الذى يجدونه

نعته وصفته ونبوته مكتوبا في الكتابين لانه مكتوب في التورية في السفر الخامس اني سأقيم لهم نبيا من اخوتهم مثلك
واجعل كلامي في فيه فيقول لهم كل ما اوصيه به وفيها ايضا مكتوب واما ابن الامة فقد باركت عليه جدا جدا وسيلد اثني عشر
عظيما واؤخره لامة عظيمة وفيها ايضا اتانا الله من سيناء واشرق من ساعير واستعلن من جبال فاران وفي الانجيل بشارة بالفار
قليط في مواضع منها نعطيكم فارقليطا آخر يكون معكم آخر الدهر كله وايضا قول المسيح للحواريين انا اذهب وسيأتيكم
الفارقليط روح الحق الذي لا يتكلم من قبل نفسه انه يدبركم بجميع الحق ويخبركم بالامور المزمعة ويمدحني ويشهد لي
ايضا اذا جاء قيد اهل العالم يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر يجوز ان يكون هذا مكتوبا في التورية والانجيل
فيكون موصولا بما قبله وثناء للمؤمن يكسب له رحمة الولاية والمحبة ويجوز ان يكون ابتداء من قول الله تعالى مدحا
للنبي صلى الله عليه وآله والمعروف الحق والمنكر الباطل لان الحق معروف الصحة في العقول والباطل منكر الصحة في
العقول وقيل المعروف مكارم الاخلاق وصلة الارحام والمنكر عبادة الاوثان وقطع الارحام عن ابن عباس
وهذا القول داخل في القول الاول ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث معناه لا يبيح لهم المستلذات الحسنة
ويحرم عليهم القبائح وما تعافه الانفس وقيل يحل لهم ما اكتسبوه من وجه طيب ويحرم عليهم ما اكتسبوه من وجه خبيث
وقيل يحل لهم ما حرم عليهم رهبانهم واحبارهم وما كان يحرمه اهل الجاهلية من البحائر والسوائب وغيرها ويحرم
عليهم الميتة والدم ولحم الخنزير وما ذكر معها ويضع عنهم اصرهم اي ثقلهم شبه ما كان على بني اسرائيل من التكليف
الشديد بالثقل وذلك ان الله سبحانه جعل توبتهم ان يقتل بعضهم بعضا وجعل توبة هذه الامة الندم بالقلب
حرمة للنبي صلى الله عليه وآله عن الحسن وقيل الاصر هو العهد الذي كان الله سبحانه اخذه على بني اسرائيل ان يعملوا بما
في التورية عن ابن عباس والضحاك والسدي وجمع المعنيين قول الزجاج الاصر ما عقدته من عقد ثقيل والاغلال
التي كانت عليهم معناه ويضع عنهم العهود التي كانت في ذمتهم وجعل تلك العهود بمنزلة الاغلال التي تكون في
الاعناق للزومها كما يقال هذا طوق في عنقك وقيل يريد بالاغلال ما امتحنوا به من قتل نفوسهم في التورية وقرض
ما يصيبه البول من اجسادهم وما اشبه ذلك من تحريم السبت وتحريم العروق والشحوم وقطع الاعضاء الخاطئة
ووجوب القصاص دون الدية عن اكثر المفسرين فالذين آمنوا به اي بهذا النبي وصدقوه في نبوته وعزروه
اي عظموه ووقروه ومنعوا عنه اعداءه ونصروه عليهم واتبعوا النور معناه القرآن الذي هو نور في القلوب كما
ان الضياء نور في القلوب (العيون) ويهتدى به الخلق في امور الدين كما يهتدون بالنور في امور الدنيا الذي انزل معه
اي انزل عليه وقد تقوم مع مقام على كما تقول على مقام مع وقيل معناه انزل في زمانه على عهده ويروى ان
النبي صلى الله عليه وآله قال لاصحابه اي الخلق اعجب ايمانا قالوا الملائكة فقال عليه السلم الملائكة عند ربهم فما لهم
لا يؤمنون قالوا فالنبيون قال النبيون يوحى اليهم فما لهم لا يؤمنون قالوا فنحن يا نبي الله قال انا فيكم فما لكم لا تؤمنون
انما هم قوم يكونون بعدكم يجدون كتابا في ورق فيؤمنون به فهو معنى قوله واتبعوا النور الذي انزل معه
اولئك هم المفلحون اي الظافرون بالمراد الناجون من العقاب الفائزون بالثواب قوله عز وجل يا ايها الناس
اني رسول الله اليكم جميعا الذي له ملك السموات والارض لا اله الا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله
النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون آية الاعراب جميعا نصب على الحال من ضمير المخاطب
الذي عمل حرف الاضافة فيه والعامل في الحال معنى الفعل في رسول الا انه يجوز ان يتقدم على حرف الاضافة لانه
قد صار بمنزلة العامل المعنى امر سبحانه نبينا صلى الله عليه وآله ان يخاطب جميع الخلق من العرب والعجم فقال قل يا ايها الناس
اني رسول الله ارسلني اليكم جميعا ادعوكم الى توحيده وطاعته واتباعي فيما اؤديه اليكم وانما ذكر جميعا للتاكيد وليعلم
انه مبعوث الى الكافة الذي له ملك السموات والارض معناه الذي له التصرف في السموات والارض من غير دافع ومنازع

لا اله الا هو اي لا معبود الا هو ولا شريك له في الالهية يحيي الاموات ويميت الاحياء لا يقدر احد على الاحياء والاماتة
سواه لانه لو قدر احد على الاماتة لقدر على الاحياء فان من شان القادر على الشيء ان يكون القادر على ضده فآمنوا
بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله يعني لم يأمركم بالايمان حتى آمن هو اولا وعليه زيادة التكليف من اداء
الرسالة وبيان الشرايع والقيام بالدعوة وكلماته اي يؤمن بكلماته من الكتب المتقدمة والوحي والقرآن واتبعوه
لعلكم تهتدون اي لكي تهتدوا الى الثواب والجنة قوله تعالى ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون
وقطعناهم اثنتي عشرة اسباطا امما واوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه ان اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عينا
قد علم كل اناس مشربهم وظللنا عليهم الغمام وانزلنا عليهم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا
ولكن كانوا انفسهم يظلمون آيتان اللغة قال الازهري السبط الفرقة لا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث وقد جمع فقيل اسباط
واشتقاقه من السبط وهو شجر والواحدة سبطة ورجل سبط الشعر وامراة سبطة وقد سبط شعره سبوطة
وهو الذي لا جعودة فيه ورجل سبط الاصابع بطولها وسبط الكف سمحها ومطر سبط وسبط متدارك وسبطته
سعته والسبط في كلام العرب خاصة الاولاد وقال الزجاج قال بعضهم السبط القرن الذي يجيء بعد قرن والصحيح ان
الاسباط في ولد اسحق بمنزلة القبائل في ولد اسمعيل فولد كل ولد من اولاد يعقوب سبط وولد كل ولد
من اولاد اسمعيل قبيلة وانما سموا هؤلاء بالقبائل وهؤلاء بالاسباط ليفصل بين ولد اسمعيل وولد اسحق
عليهما السلم ومعنى القبيلة الجماعة ويقال للشجرة لها قبائل فكذلك الاسباط من السبط كانه جعل اسحق بمنزلة شجرة
وجعل اسمعيل بمنزلة شجرة وكذلك تفعل النسابون في النسب يجعلون الوالد بمنزلة الشجرة واولاده بمنزلة اغصانها
ويقال طوبى لفرع فلان وفلان من شجرة صالحة فهذا معنى الاسباط والسبط الاعراب اثنتي عشرة اسباطا معناه
اثنتي عشرة فرقة فحذف المميز ولذلك انث واسباطا بدل من اثنتي عشرة تقديره وفرقناهم اسباطا وجعلناهم اسباطا
ويجوز كسر الشين في عشرة وهو قراءة الاعمش ويحيى بن وثاب وامما نعت الاسباط المعنى ثم عاد الكلام الى
قصة بني اسرائيل فقال سبحانه ومن قوم موسى امة يهدون بالحق اي جماعة يدعون الى الحق ويرشدون اليه وبه
يعدلون اي وبالحق يحكمون ويعدلون في حكمهم واختلف في هذه الامة من هم على اقوال احدها انهم قوم من وراء
الصين بينهم وبين الصين وادي جار من الرمل لم يغيروا ولم يبدلوا عن ابن عباس والسدي والربيع والضحاك
وعطاء وهو المروي عن ابي جعفر الباقر عليه السلم قالوا وليس لاحد منهم مال دون صاحبه يمطرون بالليل ويضحون
بالنهار ويزرعون لا يصل اليهم منا احد وانهم على الحق قال ابن جريج بلغني ان بني اسرائيل لما قتلوا انبياءهم
وكفروا وكانوا اثني عشر سبطا تبرأ سبط منهم مما صنعوا واعتذروا وسألوا الله تعالى ان يفرق بينهم وبينهم ففتح الله
لهم نفقا من الارض فساروا فيه سنة ونصفا حتى خرجوا من وراء الصين فهم هنالك حنفاء مسلمون يستقبلون
قبلتنا وقيل ان جبرئيل انطلق بالنبي صلى الله عليه وآله ليلة المعراج اليهم فقرأ عليهم من القرآن عشر سور نزلت بمكة
فآمنوا به وصدقوه وامرهم ان يقيموا مكانهم ويتركوا السبت وامرهم بالصلوة والزكوة ولم تكن نزلت فريضة غيرهما
ففعلوا قال ابن عباس وذلك قوله وقلنا من بعده لبني اسرائيل اسكنوا الارض فاذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم
لفيفا يعني عيسى بن مريم يخرجون معه وروى اصحابنا انهم يخرجون مع قائم آل محمد وروى ان ذا القرنين رآهم فقال
لو امرت بالمقام لسرني ان اقيم بين اظهركم وثانيها انهم قوم من بني اسرائيل تمسكوا بالحق وبشريعة موسى عليه السلم
في ضلالة القوم وقتلهم انبياءهم وكان ذلك قبل نسخ شريعتهم بشريعة عيسى عم فيكون تقدير الآية ومن قوم
موسى امة كانوا يهدون بالحق عن ابي علي الجبائي وانكر القول الاول وقال لو كانوا باقين لكانوا كافرين بجحد
نبوة محمد صلى الله عليه واله وليس هذا بشيء لانه لا يمتنع ان يكون قوم لم تبلغهم دعوة النبي صلى الله عليه وآله فلا يحكم

بكفرهم ويمكن ان يكون بلغهم خبر النبوة وامنوا بالنبي مثل عبد الله بن سلام وابن صوريا وغيرهم وفي حديث
ابي حمزة الثمالي والحكم بن ظهير ان موسى عليه السلم لما اخذ الالواح قال رب اني اجد في الالواح امة هي خير امة اخرجت
للناس يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر فاجعلهم امتي قال تلك امة احمد قال رب اني اجد في الالواح امة هم
الآخرون في الخلق السابقون في دخول الجنة فاجعلهم امتي قال تلك امة محمد قال رب اني اجد في الالواح امة كتبهم
في صدورهم يقراونها فاجعلهم امتي قال تلك امة احمد قال رب اني اجد في الالواح امة يومنون بالكتاب الاول والكتاب
الآخر ويقاتلون الاعور الكذاب فاجعلهم امتي قال تلك امة احمد قال رب اني اجد في الالواح امة اذا هم احدهم
بحسنة ثم لم يعملها كتبت له حسنة وان عملها كتبت له عشر امثالها وان هم بسيئة ولم يعملها لم تكتب عليه وان عملها كتبت عليه
سيئة واحدة فاجعلهم امتي قال تلك امة احمد قال رب اني اجد في الالواح امة هم الشافعون وهم المشفوع لهم
فاجعلهم امتي قال تلك امة احمد قال موسى عليه السلم رب اجعلني من امة احمد قال ابو حمزة فاعطي موسى آيتين لم يعطوها
يعني محمد قال الله يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي وقال ومن قوم موسى امة يهدون بالحق
وبه يعدلون قال فرضي موسى كل الرضا وفي حديث عن ابي حمزة قال النبي صلى الله عليه وآله لما قرا وممن خلقنا امة
يهدون بالحق وبه يعدلون هذه لكم وقد اعطى الله قوم موسى مثلها وقطعناهم اثنتي عشرة اسباطا اي وفرقنا
بني اسرائيل اثنتي عشرة فرقة اسباطا يعني اولاد يعقوب فانهم كانوا اثني عشر وكان لكل واحد منهم اولاد ونسل
فصار كل فرقة منهم سبطا وامة وانما جعلهم سبحانه اسباطا ليتميزوا في مشربهم ومطعمهم ويرجع كل امة منهم الى رئيسهم فيخف
الامر على موسى عليه السلم ولا يقع بينهم اختلاف وتباغض واوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه اي طلبوا منه السقيا
ان اضرب بعصاك الحجر فانبجست الانبجاس خروج الماء الجاري بقلة والانفجار خروجه بكثرة وكان يبتدي الماء
من الحجر بقلة ثم يتسع حتى يصير الى الكثرة فلذلك ذكر هنا الانبجاس وفي سورة البقرة الانفجار والآية الى آخرها
مفسرة هناك قوله عز وجل **واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا
الباب سجدا نغفر لكم خطاياكم سنزيد المحسنين فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم فارسلنا عليهم رجزا
من السماء بما كانوا يظلمون** آيتان **القراءة** قرا اهل المدينة وابن عامر ويعقوب وسهل تغفر بالتاء وضمها وفتح
الفاء والباقون نغفر بالنون وكسر الفاء وقرا اهل المدينة ويعقوب وسهل خطيئاتكم على جمع السلامة ورفع
التاء وقرا ابن عامر خطيئتكم بالتوحيد ورفع التاء وقرا ابو عمرو خطاياكم بغير همز على جمع السلامة وكسر التاء **الحجة**
من قرا نغفر بالنون فهو على واذ قيل لهم ادخلوا نغفر لكم اي ان دخلتم غفرنا والتي في البقرة نغفر والنون هناك
احسن لقوله واذ قلنا واما قراءة من قرا تغفر بالتاء مضمومة فلانه قد اسند الى الخطايا تكم وهو مؤنث فانه
وهي الفعل للمفعول وهو اشبه لقوله واذ قيل لهم وقد مضى تفسير هاتين الآيتين في سورة البقرة فلا معنى لاعادته
قوله تعالى **واسئلهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر اذ يعدون في السبت اذ تاتيهم حيتانهم يوم سبتهم
شرعا ويوم لا يسبتون لا تاتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون واذ قالت امة منهم لم تعظون
قوما الله مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة الى ربكم ولعلهم يتقون** آيتان **القراءة** قرا
حفص معذرة بالنصب والباقون بالرفع وروي في الشواذ عن شهر بن حوشب وابي نهيك يعدون معذرة بالنصب
والباقون بالرفع وروي في الشواذ وعن الحسن يسبتون بضم الياء **الحجة** من قرا بالرفع فتقديره وموعظتنا
معذرة فيكون خبر مبتدا محذوف ومن قرا بالنصب فعلى معنى نعتذر معذرة وقال سيبويه لو قال رجل لرجل
معذرة الى الله واليك من كذا وكذا انتصب ومن قرا يعدون اراد يعتدون فاسكن التاء ليدغمها في الدال ونقل
فتحها الى العين فصار يعدون ومن قرا يسبتون فمعناه يدخلون في السبت كما يقال اشهرنا دخلنا في الشهر واجمعنا دخلنا

ومن فتح الياء اراد يفعلون السبت ويقيمون عليه يوم السبت فالسبت على هذا افعلهم تقول سبت يسبت سبتا اذا
عظم يوم السبت **اللغة** حيتان جمع حوت واكثر ما يسمي العرب السمك الحيتان والنينان وعدا فلان يعدو عدوا وعداء
وعدوانا ظلم واصله مجاوزة الحد والشرع اصله الظهور ومنه الشرعة والشريعة وهو الظاهر المستقيم من المذاهب
ومنه المشرعة والشريعة لكونهما في مكان ظاهر من النهر ومنه شراع السفينة لظهورها والمعذرة والعذر والعذر
والعذارة واحدة مصدر عذرته اعذره والمعذر الذي له عذر صحيح والمعذر بالتشديد الذي لا عذر له
وهو يريك انه معذور وهو المقصر والمعتذر يقال لمن له عذر ولمن لا عذر له وقولهم من يعذرني معناه من يقوم بعذري
الاعراب اذ يعدون موضع اذ نصب على معنى سلهم عن عدوهم اي عن وقت ذلك اذ تاتيهم في موضع نصب ايضا بيعدون
المعنى سلهم اذ عدوا في وقت الاتيان شرعا نصب على الحال من الحيتان وموضع الكاف من كذلك نبلوهم نصب
بنبلوهم ويحتمل ان يكون على ويوم لا يسبتون لا تاتيهم كذلك اي لا تاتيهم شرعا فيكون الكاف في موضع نصب على الحال
من تاتيهم ويكون نبلوهم مستانفا والقول الاول الوجه ولم يعظون اصله لما ولكن هذه الالف تحذف مع حروف
الجر نحو لم وفيم وعلام وعم **المعنى** ثم ابتدا سبحانه بخبر اخر من اخبار بني اسرائيل فقال مخاطبا لنبيه صلى الله عليه وآله
وسلهم اي اسالهم يا محمد وهو سؤال توبيخ وتقرير لا سؤال استفهام عن القرية التي كانت حاضرة البحر اي مجاورة
البحر وقريبة من البحر على شاطئ البحر وهي ايلة عن ابن عباس وقيل هي مدين ايضا وقيل الطبرية عن الزهري اذ يعدون
في السبت اي يظلمون فيه بصيد السمك ويتجاوزون امر السبت اذ تاتيهم يوم سبتهم شرعا اي ظاهرة على وجه الماء عن
ابن عباس وقيل متتابعة عن الضحاك وقيل رافعة رؤوسها وقال الحسن كانت تشرع الى ابوابهم مثل الكباش
البيض لانها كانت امنة يومئذ ويوم لا يسبتون لا تاتيهم اي ويوم لا يكون السبت كانت تغوص في الماء واختلف
في انهم كيف اصطادوا فقيل انهم القوا الشبكة في الماء يوم السبت حتى كان يقع فيها السمك ثم كانوا لا يخرجون
الشبكة من الماء الى يوم الاحد وهذا تسبب محظور وفي رواية عكرمة عن ابن عباس اتخذ الحياض فكانوا
يسوقون الحيتان اليها ولا يمكنها الخروج منها فياخذونها يوم الاحد وقيل انهم اصطادوها وتناولوها باليد
في يوم السبت عن الحسن كذلك نبلوهم اي مثل ذلك الاختبار الشديد نختبرهم بما كانوا يفسقون اي بفسقهم وعصيانهم
وعلى المعنى الآخر لا تاتيهم الحيتان مثل ذلك الاتيان الذي كان منها يوم السبت ثم استانف فقال نبلوهم واذ قالت
امة اي جماعة منهم من بني اسرائيل لم يصطادوا وكانوا ثلث فرق فرقة فاسقة وفرقة ساكتة وفرقة واعظة فقال
الساكتون للواعظين والناهين لم تعظون قوما الله مهلكهم اي يهلكهم الله ولم يقولوا ذلك كراهية لوعظهم
ولكن لاياسهم ان يقبلوا ولكن القوم الوعظ فان الامر بالمعروف انما يجب عند عدم الاياس من القبول عن الجبائي
ومعناه ما ينفع الوعظ فيهم لانهم لا يقبلون فالله مهلكهم في الدنيا بمعصيتهم او معذبهم عذابا شديدا في الآخرة قالوا
اي قال الواعظون في جوابهم معذرة الى ربكم معناه موعظتنا اياهم معذرة الى الله وتادية لفرضه في النهي عن
المنكر لئلا يقول لنا لم لا تعظونهم ولعلهم بالوعظ يتقون ويرجعون قوله عز وجل **فلما نسوا ما ذكروا به انجينا
الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون فلما عتوا عما نهوا عنه
قلنا لهم كونوا قردة خاسئين** آيتان **القراءة** قرا اهل المدينة بعذاب بيس بكسر الباء على وزن فعل وقرا ابن عامر
بئس مهموز على وزن فعل ايضا وقرا ابو بكر عن حماد بيأس على وزن فيعل والباقون بئيس على وزن فعيل وروي في
الشواذ عن ابن عباس بيس على وزن فيعل وعن زيد بن ثابت بيس على وزن فعل وعن يحيى والسلمي بخلاف
بئس وعن طلحة بن مصرف بئس وروي ايضا عن نافع وروي ايضا عن مجاهد بايس على وزن فاعل وعن الحسن بئس
بكسر الباء وفتح السين **الحجة** قال ابو علي من قرا بئيس فانه يحتمل امرين ان يكون فعيلا من بؤس يبؤس اذا كان شديدا

الناس فيكون مثل بعذاب شديد وان يكون مصدرا على فعيل نحو النذير والنكير وقولهم عذير الحي من عدوان
كانوا حية الارض يوصف بالمصدر والتقدير بعذاب ذي بئس اي ذي بؤس ومن قرا بعذاب بيس فانه جعل
بيس الذي هو فعل اسما فوصف به ومثل ذلك قوله ان الله ينهى عن قيل وقال وقيل وعن قال ومثله مذ شب
الى دب ومذ شب الى دب فلما استعملت هذه الالفاظ اسماء وافعالا فكذلك بيس فجعله اسما بعد ان كان
فعلا فصار وصفا ومن قرا بيس فانه يكون وصفا مثل صنيع وحيد قال ولا يجوز كسر العين منه لان فيعل بناء اختص
به ما كان عينه ياء او واوا مثل سيد وطيب ولم يجئ مثل صنيع وقد جاء في المعتل فيعل انشد سيبويه ما بال عينيك
كان لشعف فينبغي ان يحمل بئس ممن رواه على الوهم قال ابن جني وكانها انما جاء في الهمزة لما بينها وبين حروف
العلة واما بئس على فعل فانه جاء على بئس الرجل يبأس اذا اشتد فكانه عذاب مقدم عليهم عزمنا خزيتهم ويجوز
مقصور لبيس بئس فيكون مثل انق من اينق وانما بئس في وزن حلس فكانه اراد بئس فخفف الهمزة فصارت
بين بين فلما قاربت الياء اسكنها طلبا للخفة فصارت في اللفظ ياء ونحو ذلك قول ابن ميادة فكان يوشك
لها حكمها اراد يوشك فخفف واما بائس فاسم الفاعل من بئس وانكر ابو حاتم قراءة الحسن بئس وقال لو كان
كذا لما كان بد معها من ما بئس ما العم ما اللغة قال ابو زيد يقال بؤس الرجل يبؤس باسا اذا كان شديد البأس
وفي البؤس وهو الفقر بئس الرجل يبأس بؤسا وبئيسا وبأسا والباساء الاسم والعتو الخروج الى الفحش في الذنوب
والعاتي المبالغ في المعاصي والليل العاتي الشديد الظلمة والخاسئ المطرود المبعد عن الخير من خسأت الكلب
اذا اقصيته خساء اي بعد المعنى فلما نسوا ما ذكروا به اي فلما ترك اهل هذه القرية ما ذكرهم الواعظون به ولم ينتهوا
عن ارتكاب المعصية بصيد السمك انجينا الذين ينهون عن السوء اي خلصنا الذين ينهون عن المعصية واخذنا
الذين ظلموا انفسهم بعذاب بئيس اي شديد بما كانوا يفسقون اي بفسقهم وذلك العذاب لحقهم قبل ان مسخوا
قردة عن الجبائي ولم يذكر حال الفرقة الثالثة هل كانت من الناجية ام الهالكة وروي عن ابن عباس فيهم ثلثة
اقوال احدها انه نجت الفرقتان وهلكت الثالثة وبه قال السدي والثاني انه هلكت الفرقتان ونجت الفرقة
الناهية وبه قال ابن زيد وروي ذلك عن ابي عبد الله عليه السلم والثالث التوقف فيه روي عن عكرمة قال
دخلت على ابن عباس وبين يديه المصحف وهو يبكي ويقرا هذه الاية ثم قال قد علمت ان الله تعالى اهلك
الذين اخذوا الحيتان ونجى الذين نهوهم ولا ادري ما اصنع بالذين لم ينهوهم ولم يواقعوا المعصية وهذه حالنا
والذي اختاره الجبائي وقال الحسن انه نجت الفرقة الثالثة لانه ليس شيء ابلغ في الامر بالمعروف والوعظ من ذكر الوعيد
وهم قد ذكروا الوعيد فقالوا الله مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا وقال قيل المومن والله اعظم من اكل الحيتان
فلما عتوا عما نهوا عنه اي من ترك ما نهوا عنه يعني ان تركوا ما نهوا عنه وتمردوا في الفساد والجراة على المعصية وابوا
ان يرجعوا عنها قلنا لهم كونوا قردة اي جعلناهم قردة خاسئين مبعدين مطرودين وانما ذكر كن ليدل على انه سبحانه
لا يمتنع عليه شيء قال قتادة صاروا قردة لها اذناب تعاوى بعد ان كانوا رجالا ونساء وقيل انهم بقوا ثلثة ايام
ينظر اليهم الناس ثم هلكوا ولم يتناسلوا عن ابن عباس قال ولم يمكث مسخ فوق ثلثة ايام وقيل عاشوا سبعة
ايام ثم ماتوا عن مقاتل وقيل انهم توالدوا عن الحسن وليس بالوجه لان المعلوم ان القردة ليس من اولاد ادم كما ان
الكلاب ليس منهم وورد الرواية عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله ان الله لم يمسخ
شيئا فيجعل له نسلا وعقبا القصة قيل كانت هذه القصة في زمن داود عليه السلم وعن ابن عباس قال امروا باليوم
الذي امرتم به يوم الجمعة فتركوه واختاروا يوم السبت فابتلوا به وحرم عليهم فيه الصيد وامروا بتعظيمه
وكانت الحيتان تاتيهم يوم السبت شرعا بيضا سمانا حتى لا يرى الماء من كثرتها فمكثوا لذلك ما شاء الله لا يصيدونها

ثم اتاهم الشيطان وقال انما نهيتم عن اخذها يوم السبت فاتخذوا الحياض يوم الجمعة والسكات فكانوا يسوقون
الحيتان ثم تاخذونها يوم الاحد وعن ابن زيد قال اخذ رجل منهم حوتا وربط في ذنبه خيطا وشده الى الساحل
ثم اخذه يوم الاحد وشواه فلاموه على ذلك فلما لم يأته العذاب اخذوا وأكلوا وباعوه واكلوه وكانوا نحوا من
اثني عشر الفا فصار الناس ثلث فرق على ما تقدم ذكره فاعتزلتهم الفرقة الناهية فلم تساكنهم فاصبحوا يوما ولم يخرج
من العاصية احد فنظروا فاذا هم قردة ففتحوا الباب ودخلوا فكانت القردة تعرفهم وهم لا يعرفونها فجعلت تبكي
فاذا قالوا لهم الم ننهكم قالت برؤوسها اي نعم قال قتادة الشبان قردة والشيوخ خنازير قوله عز وجل واذ تأذن
ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيمة من يسومهم سوء العذاب ان ربك لسريع العقاب وانه لغفور رحيم
وقطعناهم في الارض امما منهم الصالحون ومنهم دون ذلك وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون
آيتان الاعراب ومنهم دون ذلك دون في موضع الرفع بالابتداء ولكنه جاء منصوبا بالتمكن في الظرفية ومثله
قول ابي الحسن لقد تقطع بينكم هو في موضع الرفع وجاء منصوبا لهذا المعنى وكذلك في قوله يوم القيمة يفصل
بينكم هي في موضع رفع بالقيام مقام الفاعل وان شئت كان التقدير ومنهم جماعة دون ذلك فحذف
الموصوف وقامت صفته مقامه المعنى خاطب سبحانه النبي صلى الله عليه وآله فقال واذ تأذن ربك معناه واذكر
يا محمد اذ اذن واعلم ربك فان تاذن واذن بمعنى وقيل معناه تالى ربك اي اقسم القسم الذي يسمع بالاذن
وقيل معناه وقال ربك عن ابن عباس ليبعثن عليهم اي على اليهود الى يوم القيمة من يسومهم سوء العذاب
اي من يذيقهم ويوليهم شدة العذاب بالقتل واخذ الجزية منهم والمعني به امة محمد ما عند جميع المفسرين وهو المروي
عن ابي جعفر الباقر عليه السلم وهذا ايدل على ان اليهود لا يكون لهم دولة الى يوم القيمة ولا عز واما معنى البعث
ههنا فهو الامر والاطلاق والمعونة وقيل معناه التخلية وان وقع على وجه المعصية كقوله سبحانه انا ارسلنا الشياطين
على الكافرين تؤزهم ازا ان ربك لسريع العقاب لمن يستوجبه على الكفر والمعصية وانه لغفور رحيم ظاهر المعنى
وانما قال سريع العقاب وان كان العقاب مؤخرا الى يوم القيمة لان كل آت هو قريب وقيل معناه سريع العقاب
لمن شاء ان يعاقبه في الدنيا وقطعناهم في الارض امما معناه وفرقناهم في البلاد فرقا مختلفة وجماعة شتى يعني
اليهود عن ابن عباس ومجاهد وانما فرقهم بان فرق دواعيهم حتى افترقوا في البلاد وتفريقهم دلالة على منزلة
اخذ الجزية لانهم لا يتعاونون ولا يتناصرون وقيل انه فرقهم لما علم سبحانه من الصلاح لهم في ذلك فصلح فريق وهلك
فريق ثم اخبر سبحانه فقال منهم الصالحون اي من هؤلاء الصالحون يعني من بني اسرائيل وهم الذين يؤمنون بالله ورسله
ويطيعونه ومنهم دون ذلك اي دون الصالح في الدرجة والمنزلة وهم الذين امتثلوا بعض الاوامر دون
بعض وعملوا بعض المعاصي وانما وصفهم بما كانوا عليه قبل ارتدادهم وكفرهم وذلك قبل ان بعث فيهم
عيسى عم وقيل معناه منهم المؤمنون بمحمد وعيسى عليهما السلم ومنهم الكافرون عن عطاء ومجاهد وبلوناهم
بالحسنات والسيئات معناه اختبرناهم بالرخاء في العيش والخفض في الدنيا والسعة في الرزق وبالشدة
في العيش والمصائب في الانفس والاموال فكانه قال بلوناهم بالنعم والنقم والرخاء والشدة فان فعل النعم يقتضي
الرغبة الى الله تعالى في ارتباطه وفعل النقمة يقتضي الرغبة الى الله في كشفها لعلهم يرجعون اي لكي يرجعوا الى الله تعالى
ويتوبوا الى طاعته وامتثال امره ومتى قيل كيف يصح الرجوع الى ما لم يكونوا عليه قط فالقول فيه ان الذاهب عن
الشيء قد يقال له راجع اليه اي صار اليه كما ان من راى غيره سالكا في المهالك قد يقول له ارجع الى الطريق المستقيم
يريد اخرج عن المهالك وقيل معناه لعلهم يرجعون الى ما عليه اصل الفطرة قوله تعالى فخلف من بعدهم خلف
ورثوا الكتاب ياخذون هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا وان ياتهم عرض مثله ياخذوه الم يؤخذ عليهم

ميثاق الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق ودرسوا ما فيه والدار الآخرة خير للذين يتقون افلا تعقلون
والذين يمسكون الكتاب واقاموا الصلوة انا لا نضيع اجر المصلحين آيتان القراءة قرا ابو بكر يمسكون بتسكين الميم
والباقون بفتحها وتشديد السين وهما بمعنى واحد وفي الشواذ قراءة السلمي وادرسوا ما فيه اراد بدارسوا فادغم الحجة قال
الزجاج يقال للقرن الذي يجي اثر قرن خلف والخلف ما اخلف عليك بدلا مما ذهب منك قال الفراء يقال لعقب
خلف صدق وخلف سوء قال لبيد ذهب الذين يعاش في اكنافهم وبقيت في خلف كجلد الاجرب قال على بن عيسى
وقد يوضع احدهما مكان الآخر قال لنا حسان لنا القدم الاولى اليك وخلفنا لاولنا في طاعة الله تابع اللغة والاغلب
في الخلفان يستعمل في المدح والعرض ما يعرض ويقل لبثه ومنه سمي العرض القايم بالجسم عرضا لانه يعرض في الوجود
ولا يجب من اللبث ما للاجسام والدرس تكرير الشي يقال درس الكتاب اذا كرر قراءته ودرس المنزل اذا تكرر
عليه مرور الامطار والرياح حتى امحت اثاره وامسك ومسك وتمسك بالشي بمعنى واحد اي اعتصم به الاعراب يأخذون
عرض هذا الادنى في موضع النصب على الحال من الضمير في ورثوا وقوله ورثوا الكتاب صفة لخلف ودرسوا ما فيه
عطف على ورثوا وقوله لم يوخذ عليهم الى قوله ما فيه الا الحق اعتراض بين ورثوا ودرسوا ولا يجوز الوقف من
اول الآية الا على قوله ما فيه وخبر الذين يمسكون قوله انا لا نضيع اجر المصلحين منهم فحذف منهم لدلالة الكلام
كما في قوله السمن منوان بدرهم ويحتمل ان يكون التقدير لا نضيع اجرهم لان المصلحين هم الذين يمسكون بالكتاب
في المعنى ويجوز ان يكون الخبر محذوفا وتقديره نعطيهم اجرهم لانا لا نضيع اجر المصلحين فاستغنى بذكر العلة عن
ذكر المعلول المعنى ثم ذكر سبحانه الاخلاف بعد ذكر الاسلاف فقال فخلف من بعدهم خلف معناه فذهب
اولئك وقام مقامهم قوم آخرون ورثوا الكتاب يعني التورية فان الميراث ما صار للباقي من جهة البادي
يأخذون عرض هذا الادنى معناه ما اشرف لهم من الدنيا اخذوه عن ابن عباس يقال الدنيا عرض حاضر
ياكل منه البر والفاجر وجميع متاع الدنيا عرض قيل انهم كانوا يرتشون ويحكمون بجور وقيل انهم كانوا يرتشون
ويحكمون بحق وكل ذلك عرض خسيس واراد بقوله هذا الادنى هذا العاجل وقيل اراد عرض هذا العالم الادنى
وهو الدار الفانية ويقولون سيغفر لنا وهذا اخبار عن حرصهم على الدنيا واصرارهم على الذنوب اذا اشرف
لهم شي من الدنيا اخذوه حلالا كان او حراما ويتمنون على الله المغفرة وان ياتهم عرض مثله ياخذوه اي ان
وجدوا من العذاب مثله اخذوه وهذا دليل على اصرارهم وانهم تمنوا المغفرة مع الاصرار وقيل معناه وان
جاءهم حرام من الرشوة وغيرها بعد ذلك اخذوه واستحلوه ولم يرتدعوا عنه عن ابن عباس وسعيد بن
جبير ومجاهد وقيل لا يشبعهم شي عن الحسن الم يوخذ عليهم ميثاق الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق معناه الم يوخذ
على هولاء المرتشين في الاحكام القائلين سيغفر لنا اذا عوتبوا على ذلك الميثاق في التورية ان لا يكذبوا على الله تعالى
ولا يضيفوا اليه الا ما انزله على رسوله موسى عليه السلم في التورية من الوعد والوعيد وغير ذلك وليس فيها ميعاد
المغفرة مع الاصرار ودرسوا ما فيه اي وقروا ما فيه فهم ذاكرون لذلك وقيل انه معطوف على قوله ورثوا الكتاب
والمعنى فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب ودرسوا ما فيه فضيعوه وتركوا العمل به والدار الآخرة خير للذين
يتقون معناه ما اعده الله لاوليائه في الدار الآخرة من النعيم والثواب للعاملين بطاعته خير للذين يجتنبون
معاصي الله افلا يعقلون من قرا بالياء فمعناه افلا يعقلون هذه الطائفة ومن قرا بالتاء فمعناه قل لهم افلا تعقلون
ان الامر على ما اخبر الله به والذين يمسكون بالكتاب اي يتمسكون به والكتاب التورية اي لا يحرفونه ولا يكتمونه
عن مجاهد وابن زيد وقيل الكتاب القران والمتمسك به امة محمد عن عطا واقاموا الصلوة انما خص الصلوة بالذكر
لجلالة موقعها وشدة تاكدها انا لا نضيع اجر المصلحين اي لا نضيع جزاء عملهم ونثيبهم على ما يستحقونه قوله عز وعلا

واذ نتقنا الجبل فوقهم كانه ظلة وظنوا انه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون
آية اللغة النتق قلع الشي من الاصل وكل شي قلعته ثم رميت به فقد نتقته ومنه قيل للمراة الكثيرة الاولاد
ناتق لانها ترمي بالاولاد ومنه هذا قول ابي عبيده وقيل اصل النتق الرفع ومنه امراة ناتق لرفعها الاولاد
ونتقت المراة حملت فهي ناتق ومتناق اذا كثر ولدها وهو قول ابن الاعرابي وقيل اصله الجذب يقال نتقت الغرب
من البير جذبته عن ابي مسلم الظلة كل ما اظلك اي سترك من سقف او سحابة او جناح حائط المعنى عاد الكلام
الى قوم موسى عليه السلم فقال سبحانه واذ نتقنا الجبل فوقهم معناه واذكر يا محمد اذ قلعنا الجبل من اصله فرفعناه
فوق بني اسرائيل وكان عسكر موسى عليه السلم فرسخا في فرسخ فرفع الله الجبل فوق جميعهم كانه ظلة اي غمامة وقيل سقيفة
عن عطا وظنوا انه واقع بهم اي علموا وايقنوا عن الحسن وقيل معناه على ظاهره من الظن اي قوي في نفوسهم ذلك
عن الرماني والجبائي خذوا اي قلنا لهم خذوا ما آتيناكم بقوة اي خذوا ما الزمناكم احكام كتابنا وفرايضه فاقبلوا
بجد واجتهاد منكم في كل اوان من غير تقصير ولا توان واذكروا ما فيه من العهود والمواثيق التي اخذناها عليكم
بالعمل بما فيها لعلكم اي لكي تتقوا ربكم وتخافوا عقابه فقد مضى تفسير هذه الآية في سورة البقرة مشروحا قوله عز وجل
واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا
يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين او تقولوا انما اشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم افتهلكنا بما فعل المبطلون
وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون ثلث آيات القراءة قرا ابن كثير واهل الكوفة ذريتهم على التوحيد وقد يكون
واحدا فمما جاء فيه جمعا قوله وكنا ذرية من بعدهم وذرية من حملنا مع نوح والباقون ذرياتهم على الجمع وقرا ابو عمرو
ان يقولوا بالياء والباقون بالتاء الحجة قال ابو علي الذرية قد يكون جمعا وقد يكون واحدا فمما جاء فيه جمعا قوله وكنا
ذرية من بعدهم وذرية من حملنا مع نوح فمن افرد جعله جمعا فاستغنى عن جمعه لوقوعه على الجمع ومما جاء فيه واحدا قوله
رب هب لي من لدنك ذرية ثم قال ان الله يبشرك بيحيى فهذا مثل قوله رب هب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من
آل يعقوب واما قراءة ابي عمرو ان يقولوا بالياء فلان الذي تقدم من الكلام على الغيبة ومن قرا بالتاء فلانه قد جرى
في الكلام خطاب ايضا وهو قال الست بربكم وكلا الوجهين حسن لان الغيب هم المخاطبون في المعنى الاعراب من ظهورهم بدل
من قوله من بني ادم والمعنى اخذ ربك من ظهور بني ادم ذريتهم وقد ذكرنا الذرية وما قيل في تقديره وزنها
واشتقاقها فيما تقدم وقوله ان تقولوا كراهية ان تقولوا او لئلا تقولوا وقد مضى الكلام في امثاله المعنى ثم ذكر سبحانه ما
اخذ على الخلق من المواثيق بعقولهم عقيب ما ذكره من المواثيق التي في الكتب جميعا ليبين الادلة السمع والعقل وابلاغا في اقامة
الحجة فقال واذ اخذ ربك اي واذكر لهم يا محمد اذ اخرج ربك من بني ادم من ظهورهم اي من ظهور بني ادم ذريتهم واشهدهم
على انفسهم الست بربكم قالوا بلى اختلف العلماء من العام والخاص في معنى هذه الآية وفي هذا الاخراج والاشهاد
على وجوه احدها ان الله تعالى اخرج ذرية ادم من صلبه كهيئة الذر فعرضهم على ادم وقال اني اخذ على ذريتك ميثاقهم
ان يعبدوني ولا يشركوا بي شيا وعلي ارزاقهم ثم قال الست بربكم قالوا بلى شهدنا انك ربنا فقال للملائكة اشهدوا فقالوا
شهدنا وقيل ان الله تعالى جعلهم فهماء عقلاء يسمعون خطابه ويفهمونه ثم ردهم الى صلب ادم والناس محبوسون باجمعهم
حتى يخرج كل من اخرجه من ذلك الوقت وكل من ثبت على الاسلام فهو على الفطرة الاولى ومن كفر وجحد فقد تغير عن الفطرة
الاولى عن جماعة من المفسرين ورووا في ذلك اثارا بعضها مرفوعة وبعضها موقوفة ويجعلونها تاويلا للآية ورد المحققون
هذا التاويل وقالوا انه مما يشهد ظاهر القران بخلافه لانه تعالى قال واذ اخذ ربك من بني ادم ولم يقل من ادم وقال من
ظهورهم ولم يقل من ظهره وقال ذريتهم ولم يقل ذريته ثم اخبر تعالى بانه فعل ذلك لئلا يقولوا انهم كانوا عن ذلك غافلين
او يعتذروا بشرك ابائهم وانهم نشاوا على دينهم وهذا يقتضي ان يكون لهم اباء مشركون فلا يتناول الظاهر ولد ادم لصلبه

وايضا فان هذه الذرية المستخرجة من صلب آدم لا يخلوا اما ان جعلهم الله عقلاء او لم يجعلهم كذلك فان لم يجعلهم
عقلاء واخذ عليهم الميثاق فيجب ان يذكروا ذلك ولا ينسوه لان اخذ الميثاق لا يكون حجة على المأخوذ عليه الا ان
يكون ذاكرا له فيجب ان يذكروا وقت الميثاق ولانه لا يجوز ان ينسى الجمع الكثير والجم الغفير من العقلاء شيئا كانوا عرفوه وميزوه
حتى لا يذكره احد منهم وان طال العهد الا ترى ان اهل الآخرة يعرفون كثيرا من احوال الدنيا حتى يقولون اهل الجنة لاهل
النار قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فلو جاز ان ينسوا ذلك مع هذه الكثرة لجاز ان يكون الله تعالى قد كلف الخلق
فيما مضى ثم اعادهم ليثيبهم او ليعاقبهم وينسوا ذلك وذلك يؤدي الى التجاهل والى صحة مذهب التناسخية وحكى علي بن
عيسى عن ابي بكر بن الاخشيد انه جوز ان يكون خبر الله صحيحا غير انه قال ليس تأويل الآية على ذلك ويكون فائدته تأنيبا
في البحر واعلى الاعراق الكريمة في شكر النعمة والاقرار لله سبحانه بالربوبية كما روي انهم ولدوا على الفطرة وحكى ابو الهذيل
في كتاب الحجة ان الحسن البصري واصحابه كانوا يذهبون الى ان نعيم الاطفال في الجنة ثواب عن ايمان في الذر وتأويلها
ان المراد بالآية انه اخرج سبحانه بني آدم من اصلاب آبائهم الى ارحام امهاتهم ثم رقاهم درجة درجة علقة ثم مضغة
ثم انشأ كلا منهم بشرا سويا ثم حيا مكلفا واراهم آثار صنعه ومكنهم من معرفة الادلة حتى كأنه اشهدهم وقال لهم الست
بربكم فقالوا بلى فعلى هذا يكون معنى اشهدهم على انفسهم دلهم بخلقه على توحيده وانما اشهدهم على انفسهم بذلك لما
جعل في عقولهم من الادلة الدالة على وحدانيته وركب فيهم من عجائب خلقه وغرائب صنعته وفي غيرهم فكان سبحانه
بمنزلة المشهد لهم على انفسهم وكانوا في مشاهدة ذلك وظهوره فيهم على الوجه الذي اراده الله وتعذر امتناعهم منه
بمنزلة المقر وان لم يكن هناك اشهاد صورة وحقيقة ونظير ذلك قوله تعالى فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها
قالتا اتينا طائعين وان لم يكن منه سبحانه قول ولا منهما جواب ومثله قوله تعالى شاهدين على انفسهم بالكفر ومعلوم ان
الكفار لم يعترفوا بالكفر بالسنتهم لكنه لما ظهر منهم ظهورا لا يتمكنون من دفعه فكانهم اعترفوا به ومثله في الشعر وقالت له
العينان سمعا وطاعة وحدرتا كالدر لما يثقب وكما يقول القائل جوارحي تشهد بنعمك وكما روي عن بعض الخطباء
من قوله سل الارض من شق انهارك وغرس اشجارك واينع ثمارك فان لم تجبك حوارا اجابتك اعتبارا ومثله كثير
في كلام العرب واشعارهم ونظمهم ونثرهم وهو قول الرماني وابي مسلم وابن الاخشيد وثانيها انه تعالى انما عنى بذلك جماعة
من ذرية آدم خلقهم واكمل عقولهم وقررهم على السن رسله عليهم السلم بمعرفته وبما يجب من طاعته فاقروا بذلك واشهدهم
على انفسهم به لئلا يقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين او يقولوا انما اشرك آباؤنا من قبل فقلنا ثم في
ذلك فنبه انه سبحانه لا يعاقب من لم يعذر رحمة منه بخلقه وكرما وهذا يكون في قوم خاص من بني آدم ولا يدخل
جميعهم فيه لان المؤمن لا يدخل فيه لانه بين ان هؤلاء المأخوذ منهم قد كان لهم سلف في الشرك وان ولد آدم لصلبه
لم يؤخذ وا من ظهور بني آدم فقد خرج من ذلك وهذا اختيار الجبائي والقاضي وقوله شهدنا حكاية عن قول الملائكة
انهم يقولون ذلك اي شهدنا لئلا يقولوا ذكره الازهري عن بعضهم وقال ان قوله قالوا بلى تمام الكلام وهذا خلاف
الظاهر وما عليه المفسرون لان الكل قالوا شهدنا من قول من قال بلى وان اختلفوا في كيفية الشهادة على ان الملائكة
لم يجر لها ذكر في الآية فيبعد ان يكون اخبارا عنهم ان يقولوا يوم القيمة معناه لئلا يقولوا اذا صاروا الى العذاب
يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين لم ننبه عليه ولم تقم لنا حجة به ولم تكمل عقولنا فنتفكر فيه او يقولوا او يقول
قوم منهم انما اشرك آباؤنا من قبل حين بلغوا وعقلوا وكنا ذرية من بعدهم اي اطفالا لا نعقل ولا نصلح للفكرة والنظر
والتدبر وعلى التأويل الاخير فمعناه اي انما قررتكم بهذا لتقبلوا على طاعتي وتشكروا نعمتي ولا تقولوا يوم القيمة انا كنا
عما اخذ الله من الميثاق على لسان الانبياء او يقولوا انما اشرك آباؤنا من قبل فنشأنا على شركهم احتجاجا بالتقليد وتعويلا
عليه اي فقد قطعت حجتكم هذه بما قررتكم به من معرفتي واشهدتكم على انفسكم باقراركم بمعرفتكم اياي افتهلكنا بما فعل

المبطلون معناه ولان لا تقولوا افتهلكنا بما فعل آباؤنا من الشرك وتقديره انما اهلكهم بما فعلوه وانما يهلككم
بفعلكم انتم وكذلك نفصل الآيات معناه كما بينا لكم هذه الآيات كذلك نفصلها للعباد ونبينها لهم وتفصيل الآيات
تمييزها ليتمكن من الاستدلال بكل واحدة منها ولعلهم يرجعون اي لكي يرجعوا الى الحق من الباطل قوله عز وجل
واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه
بها ولكنه اخلد الى الارض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث ذلك مثل
القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا
وانفسهم كانوا يظلمون من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فاولئك هم الخاسرون اربع آيات اللغة النبأ الخبر
عن الامر العظيم ومنه اشتقاق النبوة نباه الله جعله نبيا واخلد الى كذا اي اخلد اليه سكن اليه واخلد اصله
اللزوم على الدوام ورجل مخلد اذا ابطأ عنه الشيب واخلد الى الارض لصق بها قال مالك بن نويرة بابنا حي
من قبائل مالك وعمرو بن يربوع اقاموا فاخلدوا واللهث ان يدلع الكلب لسانه من العطش واللهاث حر
العطش وفي حديث سعيد بن جبير في المرأة اللهثى انها تفطر في رمضان وقيل هو النفس الشديد من شدة الاعياء
الاعراب نصب مثلا لانه تفسير للمضمر في ساء التي هي بمعنى بئس فيكون فعلا ماضيا غير متصرف وتقديره ساء المثل مثلا
وفي الكلام حذف آخر تقديره ساء المثل مثلا مثل القوم ثم حذف المثل الاول لدلالة المنصوب عليه وحذف
الثاني لقيام المضاف اليه مقامه ولان المعنى مفهوم المعنى ثم امر سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله ان يقرأ عليهم قصة
اخرى من اخبار بني اسرائيل فقال واتل عليهم اي واقرأ عليهم يا محمد نبأ الذي آتيناه اي خبر الذي اعطيناه آياتنا
اي حججنا وبيناتنا فانسلخ منها اي فخرج من العلم بها بالجهل كالشيء الذي ينسلخ من جلده فاتبعه الشيطان اي
تبعه واتبع واتبع بمعنى وقيل معناه لحقه الشيطان وادركه حتى اضله فكان من الغاوين اي من الهالكين وقيل
من الخائبين اي عن الجبائي واختلف في المعني به فقيل هو بلعام بن باعور عن ابي مسلم وابن مسعود وكان
رجلا على دين موسى فكان في المدينة التي قصدها موسى وكانوا كفارا وكان عنده اسم الله الاعظم وكان اذا دعا الله
اجابه وقيل هو بلعم بن باعوراء من بني هاب بن لوط عن ابي حمزة الثمالي ومسروق قال ابو حمزة وبلغنا ايضا والله
اعلم انه امية بن ابي الصلت الثقفي الشاعر وروي ذلك عن عبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو وسعيد بن المسيب
وزيد بن اسلم وابي روق وكانت قصته انه قد قرأ الكتب وعلم ان الله سبحانه مرسل رسولا في ذلك ورجا ان يكون
هو ذلك الرسول فلما ارسل محمد صلى الله عليه وآله حسده ومر على قتلى بدر فسأل عنهم فقيل قتلهم محمد فقال لو كان
نبيا ما قتل اقرباءه واستنشد رسول الله اخته شعره بعد موته فانشدته لك الحمد والنعماء والفضل ربنا ولا شيء اعلى منك
جدا وامجد مليك على عرش السماء مهيمن لعزته تعنو الوجوه وتسجد وهي قصيدة طويلة حتى اتت على آخرها ثم انشدته
قصيدته التي فيها وقف الناس للحساب جميعا فشقي معذب وسعيد والتي فيها عند ذي العرش يعرضون عليه
يعلم الجهر والسرار الخفيا يوم يأتي الرحمن وهو رحيم انه كان وعده مأتيا رب ان تعف فالمعافاة ظني او تعاقب فلم تعاقب
بريا فقال رسول الله صلى الله عليه وآله آمن شعره وكفر قلبه وانزل الله فيه قوله واتل عليهم نبأ الذي آتيناه الآية وقيل
انه ابو عامر بن النعمان بن صيفي الراهب الذي سماه النبي صلى الله عليه وآله الفاسق وكان قد ترهب في الجاهلية ولبس
المسوح فقدم المدينة فقال للنبي صلى الله عليه وآله ما هذا الذي جئت به قال جئت بالحنيفية دين ابرهيم فقال عم
لست عليها لكنك ادخلت فيها ما ليس منها فقال ابو عامر امات الله الكاذب منا طريدا وحيدا فخرج الى الشام وارسل
الى المنافقين ان استعدوا السلاح ثم اتى قيصر واتى بجند ليخرج النبي صلى الله عليه وآله من المدينة فمات بالشام طريدا
وحيدا عن سعيد بن المسيب وقيل المعني به منافقو اهل الكتاب الذين كانوا يعرفون النبي صلى الله عليه وآله كما يعرفون

اياها ويكون معنى فانسلخ منها اعرض عن آيات الله وتركها فاتبعه الشيطان اي خذله الله وخلى بينه وبين الشيطان
عن الحسن وابن كيسان فقيل انه مثل ضربه الله لمن عرض عليه الهدى فابى ان يقبله وقال ابو جعفر عليه السلم الاصل
في بلعم ثم ضربه الله مثلا لكل مؤثر هواه على هدى الله من اهل القبلة وقيل انه في الآيات التي اوتيها اقوال احدها
ان المراد به المعجزات الدالة على صدق الانبياء عليهم السلم فلم يقبلها وعرى عنها يعني فرعون عن ابي مسلم فكانه قال اتل
عليهم نبا فرعون اذ آتيناه الحجج الدالة على صدق موسى فلم يقبلها ومنها ان الآيات الايمان والهدى والدين
عن الحسن ومنها انها النبوة عن مجاهد وهذا لا يجوز لان الانبياء عليهم السلم منزهون عن ذلك لانهم حجج الله
على خلقه ولو شئنا لرفعناه بها اي بتلك الآيات والهاء في رفعناه تعود الى الذي آتاه الله آياته فانسلخ منها
معناه فلو شئنا لرفعنا منزلته بايمانه ومعرفته قبل ان يكفر ولكن هيناه ليزداد الايمان فكفر عن الجبائي
وقيل معناه ولو شئنا لحلنا بينه وبين ما اختاره من المعصية وهذا اخبار عن كمال قدرته عن البلخي والزجاج
ولكنه اخلد الى الارض اي ركن الى الدنيا ومال اليها عن سعيد بن جبير والسدي ومعناه ولكنه مال الى الدنيا
بايثار الراحة والدعة في لذة واتبع هواه اي وانقاد لهواه في الركون الى الدنيا واختارها على الآخرة ثم ضرب له
مثلا فقال فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث معناه فصفته كصفة الكلب ان طردته وشددت
عليه يخرج لسانه من فمه وان تركته ولم تطرده يخرج لسانه من فمه ايضا وتحمل عليه من الحملة لا من الحمل والمعنى ان
وعظته فهو ضال وان لم تعظه فهو ضال في كل حال كما ان كل شيء يلهث فانما يلهث في حال الاعياء والكلال الا الكلب
فانه يلهث في كل حال ومثله قوله سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون وقيل انما شبهه بالكلب في الخسة
وقصور الهمة وسقوط المنزلة ثم وصف الكلب باللهث على عادة العرب في تشبيههم الشيء بالشيء ثم ياخذون
في وصف المشبه به وان لم يكن ذلك الوصف في المشبه وذلك يكثر في كلامهم عن ابي مسلم وقيل شبهه بالكلب اذا اخرج
لسانه لانه اذى الناس بلسانه حملت عليه او تركته فقال لمن اذى الناس بلسانه فلان اخرج لسانه من الكلب مثل
الكلب ولهث في هذا الوضع صاح وسامر وقيل ان هذا امثل الذي في القرآن فلا يعمل به عن مجاهد ذلك
مثل القوم الذين كذبوا باياتنا معناه ذلك صفة الذين يكذبون بآيات الله قال ابن عباس يريد اهل مكة كانوا
يتمنون هاديا يهديهم ويدعوهم الى طاعة الله فلما جاءهم من لا يشكون في صدقه كذبوه فلم يهتدوا لما تركوا ولم
يهتدوا لما دعوا بالرسول والكتاب فاقصص القصص اي فاقصص عليهم اخبار الماضين لعلهم يتفكرون فيعتبرون
ولا يفعلون مثل فعلهم حتى لا يحل بهم ثم وصف الله سبحانه هذا المثل الذي ضربه وذكره بانه ساء مثلا اي بئس مثلا
مثل القوم الذين كذبوا باياتنا ومعناه بئست الصفة المضروبة بهذا المثل او قبح حال المضروب فيه المثل لان
المثل حسن وحكمة وصواب وانما القبح صفتهم وانفسهم كانوا يظلمون اي وانما نقصوا بذلك انفسهم ولم ينقصونا
شيئا لان عقاب ما يفعلونه من المعاصي يحل بهم والله سبحانه لا يضره كفرهم ومعصيتهم كما لا ينفعه ايمانهم وطاعتهم من يهد الله
فهو المهتدي كتبت هنا بالياء ليس في القرآن غيره بالياء واثبت الياء هنا في اللفظ جميع القراء ومعناه من يهده الله
الى نيل الثواب كما يهدي المؤمن الى ذلك والى دخول الجنة فهو المهتدي للايمان والخير عن الجبائي ومن يضلل الله عن طريق
الجنة فهو المهتدي للايمان والخير عن الجبائي ومن يضلل الله عن طريق الجنة وعن نيل الثواب عقوبة على كفره وفسقه فاولئك
هم الخاسرون ومن خسر الجنة ونعيمها وخسروا انفسهم والانتفاع بها وقيل المهتدي هو الذي هداه الله فقبل الهداية
واجاب اليها والذي اضله الله هو الذي اختار الضلالة فخلى الله بينه وبين ما اختاره ولم يمنعه منه بالجبر عن البلخي
قوله عز وجل ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم آذان
لا يسمعون بها اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين

يلحدون في اسمائه سيجزون ما كانوا يعملون وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون
القراءة قرا حمزة يلحدون بفتح الياء والحاء وكذلك في حم السجدة وافقه الكسائي وخلف في النحل والباقون يلحدون بضم
الياء وكسر الحاء الحجة قال ابو الحسن لحد والحد لغتان والحد في الكلام اكثر قال الشاعر ليس الامام بالشحيح الملحد وفي
القرآن ومن يرد فيه بالحاد اللغة الذرء والانشاء والاحداث والخلق نظائر وقال علي بن عيسى الاسم كلمة تدل على المعنى
دلالة الاشارة والفعل كلمة تدل على المعنى دلالة الافادة والصفة كلمة ماخوذة للمذكور من اصل الاصول لتجري عليه
تابعة له والالحاد العدول عن الاستقامة والانحراف عنها ومنه اللحد الذي يحفر في جانب القبر خلاف الضريح
الذي يحفر في وسطه وروى ابو عبيدة عن الاحمر لحدت جرت وملت والحدت ماريت وجادلت ابو عبيدة
لحدت الميت والحدت بمعنى واحد الاعراب اللام في قوله لجهنم لام العاقبة كما في قوله فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا
وانما التقطوه ليكون لهم قرة عين كما قالت امراة فرعون قرة عين لي ولك ومثله في قول الشاعر وام سماك فلا تجزعي
فللموت ما تلد الوالدة وقول الآخر اموالنا لذوي الميراث نجمعها ودورنا لخراب الدهر نبنيها وقول الآخر بالام
وجزء بعضي الوعد جد فاعرني فكل والدة للموت ما تلد قال علي بن عيسى هي لام الاضافة تذكر مرة على معنى العلة
ومرة على شبه العلة المعنى لما بين سبحانه امر الكفار وضرب لهم الامثال عقبه ببيان حالهم في المصير والمآل فقال ولقد
ذرانا اي خلقنا لجهنم يعني خلقناهم على ان عاقبتهم المصير الى جهنم بكفرهم وسوء اختيارهم ويدل على هذا المعنى قوله
سبحانه وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فاخبر انه خلقهم للعبادة فلا يجوز ان يكون خلقهم للنار والمراد بالآية
كل من علم الله تعالى انه لا يؤمن ويصير الى النار لهم قلوب لا يفقهون بها الحق لانهم لا يتدبرون ادلة الله سبحانه وبيانه ولهم
اعين لا يبصرون بها الرشد ولهم آذان لا يسمعون بها الوعظ لانهم يعرضون عن جميع ذلك اعراض من ليست له آلة
الادراك وقد مر تفسيره في سورة البقرة عند قوله صم بكم عمي الآية اولئك كالانعام اي هؤلاء الذين لا يتدبرون
آيات الله ولا يستدلون بها على وحدانيته وصدق انبيائه اشباه الانعام والبهائم التي لا تفقه ولا تعلم بل هم اضل
من البهائم فانها اذا زجرت انزجرت واذا ارشدت الى طريق اهتدت وهؤلاء لكفرهم وعتوهم لا يهتدون الى شيء
من الخيرات مع ما ركب الله فيهم من العقول الدالة على الرشاد الصارفة عن الفساد ولم يكن بل ههنا للرجوع عن الاول
ولكن للاضراب عنه مع بقائه وقيل انما قال بل هم اضل من الانعام لانها لا تعطل المعرفة والتمييز فلا يلحقها المذمة وهؤلاء
اعطوا آلة المعرفة والتمييز فضيعوها ولم ينتفعوا وكان الانعام وان لم تكن مطيعة لم تكن عاصية وهم عصاة فهم اسوأ
حالا اولئك هم الغافلون عن آياتي وحججي والاستدلال والاعتبار بتدبرها والتفكر فيها دون البهائم التي هي مسخرة
مصرفة وقيل الغافلون عما يحل بهم في الآخرة من العذاب ولله الاسماء الحسنى اخبر سبحانه ان له الاسماء الحسنى
معانيها مثل الجواد والرحيم والرازق والكريم ويقال ان جميع اسمائه داخلة فيه فانها كلها حسنة متضمنة لمعاني
حسنة فمنها ما يرجع الى صفات ذاته كالعالم والقادر والحي والاله والقديم والسميع والبصير ومنها ما هي صفات
فعله كالخالق والرازق والمبدع والمحيي والمميت ومنها ما يفيد التنزيه ونفي صفات النقص عنه كالغني والواحد
والقدوس ونحو ذلك وقيل المراد بالحسنى ما مالت اليه النفوس من ذكر العفو والرحمة دون السخط والنقمة فادعوه
بها اي بهذه الاسماء الحسنى ودعاؤه بها ان يقال يا الله يا رحمن يا رحيم يا خالق السموات والارض وكل اسم لله سبحانه
فهو صفة مفيدة دون اللقب لا يجوز عليه فانه بمنزلة الاشارة الى الحاضر وقد ورد في الحديث ان لله تسعة وتسعين
اسما مائة الا واحدة من احصاها دخل الجنة انه وتر يحب الوتر اورده مسلم في الصحيح وذروا الذين يلحدون في
اسمائه اي دعوا الذين يعدلون باسماء الله تعالى عما هي عليه فيسمون اصنامهم ويغيرونها بالزيادة والنقصان فاشتقوا
اللات من الله والعزى من العزيز والمنات من المنان عن ابن عباس ومجاهد وقيل ان معنى يلحدون في اسمائه

يصفونه بما لا يليق به ويسمونه بما لا يجوز تسميته وهذا الوجه اعم فايدة ويدخل فيه قول الجبائي اراد به تسميتهم
المسيح بانه ابن الله وفي هذا دلالة على انه لا يجوز ان يسمى الله سبحانه الا بما سمى به نفسه سيجزون ما كانوا يعملون في
الآخرة وقيل في الدنيا والآخرة وممن خلقنا امة يهدون بالحق اخبر سبحانه ان من جملة من خلقه جماعة وعصبة
يدعون الناس الى توحيد الله تعالى والى دينه وهو الحق يرشدونهم اليه وبه يعدلون اي وبالحق يحكمون وروى
ابن جريج عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال هي لامتي بالحق ياخذون وبالحق يعطون وقد اعطي القوم بين ايديكم
مثلها ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون قال الربيع بن انس قرا النبي صلى الله عليه وآله هذه الآية
فقال ان من امتي قوما على الحق حتى ينزل عيسى بن مريم وروى العياشي باسناده عن امير المؤمنين عليه السلم انه قال
والذي نفسي بيده لتفترقن هذه الامة على ثلث وسبعين فرقة كلها في النار الا فرقة وممن خلقنا امة يهدون بالحق
وبه يعدلون فهذه التي تنجو وروي عن ابي جعفر الباقر وابي عبد الله عليهما السلم انهما قالا نحن هم النظم قيل في وجه اتصال
هذه الآية بما قبلها وجهان احدهما انه لما بين في الآية المتقدمة ان حال قوم من الكفار يعدلون عن الحق بين
في هذه الآية ان من جملة ما يخلق من يهدي الى الحق ويدينه بالحق ويحكم بالعدل والآخر انه متصل بقوله ذرانا
فكانه قال خلقنا قوما صفتهم كذا وقوما صفتهم كذا قوله عز وجل والذين كذبوا باياتنا سنستدرجهم من حيث
لا يعلمون واملي لهم ان كيدي متين اولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة ان هو الا نذير مبين اولم ينظروا في
ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم فباي حديث بعده يؤمنون
من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون خمس ايات القراءة قرا اهل العراق ويذرهم بالياء والجزم
كوفي غير عاصم والباقون ويذرهم بالنون والرفع الحجة من قرا بالنون فلانه يروي انا نذرهم ومن قرا بالياء رده
الى اسم الله تعالى اي وهو يذرهم ويكون مقطوعا عن الاول على الوجهين ولم يكن جوابا ومن جزمه فانه عطفه على موضع
الفاء وما بعده من قوله فلا هادي له ومثله في الحمل على الموضع قوله فاصدق واكن لانه لو لم يلحق الفاء لقيل لولا اخرتني
اصدق لان معنى لولا اخرتني اخرني اصدق ومثله قول الشاعر اني سلكت فانني لك ناصح وعلى انتقاصك في الحيوة
وازدد وقول ابي داود فابلوني بليتكم لعلي اصالحكم واستدرج نويا حمل استدرج على موضع الفاء المحذوفة في
قوله فلعلي اصالحكم موضعه جزم اللغة الاستدراج اصله من الدرجة وهو ان يوجد قليلا قليلا ولا يباغت كالمرتقي
الراقي الدرجة فيتدرج شيئا بعد شيء حتى يصل الى العلو وقيل اصله من الدرج الذي يطوى فكانه يطوى منزلة
بعد منزلة كما يطوى الدرج ويقال درج القوم اذا مات بعضهم في اثر بعض والاملاء التاخير والامهال من الملي
يقال مضى ملي من الدهر وملاوة من الدهر بضم الميم وفتحها وكسرها اي قطعة منه واصل الاملاء الاستمرار على العمل
من غير ابطاء من امليت الكتاب ومنه الملا للفلاة ذات الحر والسراب لاستطالة المكث فيه والمتين القوي
والشديد واصله من المتن وهو اللحم الغليظ الذي عن جانب الصلب وهما متنان والكيد والمكر واحد والجنة
الجنون واصله الستر والملكوت هو الملك الاعظم للمالك الذي ليس بمملك المعنى لما ذكر سبحانه المؤمنين بمحمد
الهادين بالحق ذكر بعده المكذبين باياته فقال والذين كذبوا باياتنا التي هي القران والمعجزات الدالة على صدق
النبي صلى الله عليه وآله وكفروا بها سنستدرجهم من حيث لا يعلمون اي الهلكة حتى يقعوا فيه بغتة كما قال سبحانه بل تاتيهم
بغتة لا يستطيعون ردها وقال فياتيهم بغتة وهم لا يشعرون فيقولوا هل نحن منظرون وهل يجوز ان يريد عذاب
الآخرة اي نقربهم اليه درجة درجة حتى يقعوا فيه وقيل هو من المدرجة وهو الطريق ودرج اذا مشى سريعا اي ساخذهم
من حيث لا يعلمون اي طريق سلكوا فان الطرق كلها علي ومرجع الجميع الي لا يغلبني غالب ولا يسبقني سابق ولا يفوتني
هارب وقيل انه من الدرج اي نطويهم الى الهلاك ونرفعهم عن وجه الارض يقال طويت فلانا وطويت امر فلان

398

اذا تركته وهجرته وقيل معناه كلما جددوا خطيئة جددنا لهم نعمة عن الضحاك ولا يصح قول من قال ان معناه نستدرجهم الى الكفر
والضلال لان الآية وردت في الكفار وتضمنت انه يستدرجهم في المستقبل فان السين يختص المستقبل ولانه جعل الاستدراج
جزاء على كفرهم وعقوبة فلا بد من ان يريد معنى آخر غير الكفر وقوله واملي لهم معناه وامهلهم ولا اعاجلهم بالعقوبة فانهم
لا يفوتوني ولا يفوتني عذابهم ان كيدي متين ان عذابي قوي منيع لا يمنعه مانع ولا يدفعه دافع وسماه كيدا لنزوله بهم من حيث
لا يشعرون وقيل اراد ان جزاء كيدهم والقول هو الاول اولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة معناه اولم يتفكروا هؤلاء المكذبون
بمحمد صلى الله عليه وآله وبنبوته في اقواله وافعاله فيعلموا انه ص ليس بمجنون اذ ليس في اقواله وافعاله ما يدل على الجنون
وتم الكلام عند قوله اولم يتفكروا ثم ابتدا فقال ما بصاحبهم من جنة اي ليس به جنون وذلك ان رسول الله صلى الله
عليه وآله صعد الصفا وكان يدعو قريشا فخذا فخذا الى توحيد الله ويخوفهم عذاب الله فقال المشركون ان صاحبهم
قد جن بات ليلا يصوت الى الصباح فانزل الله هذه الآية عن الحسن وقتادة ان هو الا نذير مبين اي ما هو الا معلم
بموضع المخافة ليتقى وبموضع الامن ليجتبى ومعنى مبين بين امره وقيل مبين لهم عن الله امره فيهم ثم قال اولم ينظروا
ومعناه اولم يتفكروا في ملكوت السموات والارض وعجيب صنعهما فينظروا فيهما نظر المستدل المعتبر فيعرفوا بان
لهما خالقا مالكا ويستدلوا بذلك عليه وما خلق الله من شيء اي وينظروا فيما خلق الله من اصناف خلقه فيعلموا بذلك
انه سبحانه خالق جميع الاجسام فان في كل شيء خلقه عز وجل دلالة واضحة على الهيته وتوحيده وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم
اي اولم يتفكروا او ينظروا في ان عسى ان يكون قد قرب اجلهم وهو اجل موتهم فيدعوهم ذلك الى ان يحتاطوا لدينهم
ولانفسهم فيما يصيرون اليه بعد الموت من امور الآخرة ويزهدوا في الدنيا وفيما يطلبونه من فخرها وشرفها
وعزها ومعناه لعل اجلهم قريب وهم لا يعلمون فباي حديث بعده يؤمنون اي بعد القران يؤمنون مع وضوح الدلالة
على انه كلام الله تعالى المعجز اذ لم يقدر احد منهم ان ياتي بسورة مثله وسماه حديثا لانه محدث غير قديم من يضلل الله
فلا هادي له قد ذكرنا معناه ويذرهم في طغيانهم يعمهون معناه ويتركهم في ضلالهم يتحيرون والعمه في القلب
كالعمى في العين قوله تعالى يسألونك عن الساعة ايان مرساها قل انما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها
الا هو ثقلت في السموات والارض لا تاتيكم الا بغتة يسألونك كانك حفي عنها قل انما علمها عند الله
ولكن اكثر الناس لا يعلمون آية اللغة ايان معناه متى وهو سؤال عن الزمان على وجه الظرف للفعل قال الشاعر
ايان تقضي حاجتي ايانا اما ترى لنجحها ابانا والساعة هنا الساعة التي يموت فيها الخلق والمرساة الاثبات ومرساها مثبتها
ومرسى السفينة حيث تثبت ورسا يرسو اذا ثبت وارساه غيره والحفي المستقصي في السؤال واحفى فلان بفلان في المسئلة اذا اكثر
عليه والح قال الاعشى فان تسالي عني فيا رب سايل حفي عن الاعشى به حيث اصعدا واصله احفى شاربه اذا استقصى
اخذه وحفيت الدابة تحفى حفى مقصورا اذا كثر عليها المشي والحفاء ممدود المشي بغير نعل الاعراب الكاف في يسألونك
المفعول الاول وعن الساعة في الموضع المفعول الثاني وايان مرساها يتعلق بمدلول السؤال والتقدير قايلين
ايان مرساها ومرساها في المفعول الثاني وايان مرساها يتعلق بمدلول السؤال والتقدير قايلين في موضع رفع
بالابتداء وايان خبره وبغتة مصدر في موضع الحال من الضمير في ياتيكم النزول قيل جاء قوم من اليهود فقالوا يا محمد
اخبرنا عن الساعة متى ان كنت نبيا فنزلت الآية عن ابن عباس وقيل قالت قريش يا محمد متى الساعة فنزلت الآية
عن قتادة والحسن المعنى لما تقدم الوعيد بالساعة سالوا عن وقتها فقال سبحانه يسألونك يا محمد عن الساعة التي يموت
فيها الخلق عن الزجاج وقيل هي القيمة وهو قيام الناس في الحشر عن اكثر المفسرين وقيل هو وقت فناء الخلق عن الجبائي
ايان مرساها اي متى وقوعها وكونها عن الزجاج وقيل مرساها منتهاها عن ابن عباس وقيل قيامها عن قتادة والسدي
قل يا محمد انما علمها عند ربي اي انما علم وقت قيامها ومجيئها عند الله لم يطلع عليه احدا من خلقه وانما لم يخبر سبحانه
بوقتها ليكون العباد على حذر منه فيكون ذلك ادعى لهم الى الطاعة وازجر عن المعصية لا يجليها لوقتها الا هو اي لا يظهرها

ولا يكشف عن علمها ولا يبينها وقتها الا هو فلا يعلم احد سواه متى يكون قبل كونها وقيل معناه لا ياتي بها الا هو
ثقلت في السموات والارض اذكر فيه وجوه احدها ثقل علمها على اهل السموات والارض لان من خفي
عليه علم شيء كان ثقيلا عليه عن السدي وغيره وقال ابو علي الفارسي اصل هذا انه لم احطت به علما اي ذل لي
فصرت كمطيق له غالبا عليه فخف علي ولم يثقل كما يثقل ما لا يعلم عليك وثانيها ان معناه عظمت على اهل السموات
والارض صفتها لما يكون فيها من انتثار النجوم وتكوير الشمس وتسيير الجبال وغير ذلك عن الحسن وابن جريج وثالثها
ثقل وقوعها على اهل السموات والارض لعظمها وشدتها ولما فيها من المحاسبة والمجازاة عن الجبائي وابي مسلم وجماعة
ورابعها ان المراد نفس السموات والارض اي لا تطيق السموات والارض حملها لعظمها وشدتها عن قتادة والمعنى
انها لو كانت احياء لثقل عليها تلك الاحوال من انفطار السموات وانكدار النجوم وتسيير الجبال وغيرها لا تاتيكم الا بغتة
اي فجاة لتكون اعظم واهول يسالونك كانك حفي معناه يسالونك عنها كانك حفي بها اي عالم بها قد اكثرت المسئلة
عنها عن مجاهد والضحاك واصله من احفيت في السوال عن الشيء حتى علمته اي استقصيت فيه وروي عن ابن عباس
انه قرا كانك حفي بها فعلى هذا يكون الجار والمجرور الذي هو بها محذوفا وقال لا له علمها ايضا الا ترى انه اذا
كان حفيا بها فلا بد ان يسال عنها كما انه اذا سال عنها فليس ذلك الا لحفاوة بها وقيل فيه معنى اخر وهو ان يكون
تقديره يسالونك عنها كانك حفي بهم اي بار بهم فرح بسوالهم والحفاوة في المسئلة هي البشاشة بالمسؤول عنه وقيل
معناه كانك معني بالسوال عنها فسالته عنها حتى علمتها وعلى هذا فان السوال يوصل بعن فلما وضع قوله حفي موضع
السوال وصل بعن وتقديره كانك حفي بالمسئلة عنها او تسال عنها فتعلمها قل يا محمد انما علمها عند الله لا يعلمها الا هو
وانما اعاد هذا القول لانه وصله بقوله ولكن اكثر الناس لا يعلمون وقيل اراد بالاول علم وقت قيامها وبالثاني
علم كيفيتها وهيئتها وتفصيل ما فيها عن الجبائي قال وهذا ادل دليل على بطلان قول الرافضة ان الائمة منصوص عليهم باعيانهم
امام بعد امام الى يوم القيمة لانه لو كان كذلك لوجب ان يعلم اخر الائمة ان القيامة يقوم بعده وذلك خلاف قوله
قل انما علمها عند الله وهذا ضعيف لانه غير ممتنع ان يعلم اخر الائمة انه لا امام بعده وان لم يعلم وقت قيام الساعة
لانه لا يعلم وقت وفاته بعينه هذا اذا قيل ان الساعة وقت فناء الخلق او موتهم واذا قيل ان الساعة عبارة
عن وقت الحشر فقد زالت الشبهة لانه اذا علم انه يفنى الخلق بعده لا يجب ان يعلم متى يحشر الخلق على انه قد وردت الرواية
ان التكليف يزول عند موت اخر الائمة لظهور اشراط الساعة وامارات قيامها نحو طلوع الشمس من مغربها وخروج
الدابة وغيرها ومع ذلك فيجوز ان لا يعلم وقت قيام الساعة قوله عز وجل قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا الا
ما شاء الله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ان انا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون آية
النزول قيل ان اهل مكة قالوا يا محمد الا يخبرك ربك بالسعر الرخيص قبل ان يغلو فنشتريه فنربح فيه وبالارض التي
تريد ان تجدب فنرحل منها الى الارض قد اخصبت فانزل الله الآية المعنى قل يا محمد لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا
الا ما شاء الله ان يملكني اياه فاملكه بتمليكه اياي ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وههنا محذوف اخر
وهو قوله ولا اعلم الغيب الا ما شاء الله ان يعلمنيه ولو كنت اعلم لادخرت من السنة المخصبة للسنة المجدبة ولاشتريت
وقت الرخص لوقت الغلاء وقيل معناه لاستكثرت من الاعمال الصالحة قبل اقتراب الاجل ولم اشتغل بغيرها ولاخترت
الافضل فالافضل عن مجاهد وابن جريج وقيل معناه لو كنت اعلم ما اسال عنه من الغيب لاستكثرت من الخير اي لاجبت
في كل ما اسال عنه من الغيب في امر الساعة وغيرها عن الزجاج وما مسني السوء اي ما اصابني الفقر والضر وقيل وما بي
جنون كما يزعمون فيكون ابتداء وقيل معناه وما مسني التكذيب منكم لاني كنت عالما بكل شيء اجيب عن كل ما اسال
فيصدقونني ولا يكذبونني وقيل وما مسني سوء من جهة الاعداء لاني كنت اعلم ذلك فاحترز منه ان انا الا نذير مخوف
بالعذاب وبشير مبشر بالثواب لقوم يؤمنون خصهم بالذكر لانهم المنتفعون بذلك كقوله انما تنذر من اتبع الذكر وان

الا ان يشاء غيرهم وفي قوله الا ما شاء الله دلالة على فساد مذهب المجبرة لان الافعال كلها لو كانت مخلوقة لله
لما صح الاستثناء منها لان احدا لا يملك عندهم شيئا وفي قوله لو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير دلالة على ان القدرة
قبل الفعل لانها لو كانت مع الفعل لما امكنه الاستكثار من الخير اذا علم الغيب النظم وجه اتصال الآية بما قبلها انه لما
تقدم اجابة القوم بانه لا يعلم الغيب عقبه بان علم الغيب يختص به المالك للنفع والضر وهو الله سبحانه عن ابي مسلم وقيل
ان الآية في معنى جواب سوالهم ايضا فكانه قال اذا انا لا املك ان اسوق الى نفسي نفعا ولا ان ادفع عنها ضرا فكيف
اعلم الغيب قوله تعالى هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها فلما تغشاها حملت حملا
خفيفا فمرت به فلما اثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين فلما آتاهما صالحا جعلا له
شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون ايشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون ولا يستطيعون لهم نصرا ولا انفسهم
ينصرون وان تدعوهم الى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون خمس آيات القراءة قرا اهل المدينة
وابو بكر شركا بكسر الشين والتنوين على المصدر لا على الجمع وهو قراءة الاعرج وعكرمة والباقون شركاء بضم الشين
والمد على الجمع وروي في الشواذ قراءة يحيى بن يعمر فمرت به خفيفة وقرا نافع لا يتبعوكم وفي الشعراء يتبعهم بالتخفيف
والباقون يتبعوكم بالتشديد الحجة من قرا شركا فانه حذف المضاف وتقديره جعلا له ذا شرك وذوي شرك
فالقراءتان على هذا تؤولان الى معنى واحد فان معنى جعلا له شركاء جعلا له ذوي شرك والضمير في له يعود الى اسم الله
ومن قرا فمرت به خفيفة فانه ينبغي ان يكون اصله التشديد كقراءة الجماعة الا انه حذف تخفيفا لثقل التضعيف
في لو امست به اي مسستها وقال ابو زيد خلا ان العتاق من المطايا احسن به فهن اليه شوس اي احسسن به وقيل
انه من المرية اي شكت احملت ام لا عن الحسن شكت اغلام ام جارية وروي ان عبد الله بن عمرو قرا فمارت به
وهو من قولهم مار يمور اذا ذهب وجاء وقال ابن عباس فاستمرت به ومعناه مرت به مكلفة نفسها ذلك لان استفعل
ياتي في اكثر الامر بمعنى الطلب ومن قرا لا يتبعوكم فانه في المعنى مثل القراءة الاخرى قال ابو زيد رايت القوم فاتبعتهم
اتباعا اي ذهبت معهم ويقول اتبعتهم اتباعا اذا سبقوك واسرعت نحوهم وتبعتهم مثل اتبعتهم في المعنى تبعتهم تبعا المعنى
لما تقدم ذكر الله تعالى ذكر عقيبه ما يدل على وحدانيته فقال هو الذي خلقكم والخطاب لبني آدم من نفس واحدة يعني
آدم عليه السلام وخلق منها زوجها يعني حواء عليها السلام ليسكن آدم اليها ويانس بها فلما تغشاها اي فلما اصابها
كما يصيب الرجل زوجته يعني وطئها وجامعها حملت حملا خفيفا وهو الماء الذي حصل في رحمها فمرت به اي فاستمرت
بالحمل على الخفة تقوم وتقعد وتجيء وتذهب كما كانت من قبل لم يمنعها ذلك الحمل عن شيء من التصرف فلما اثقلت اي
صارت ذا ثقل كما يقال اثمرت الشجرة صارت ذات ثمر وقيل معناه دخلت في الثقل كما يقال اصاف دخل في الصيف
واشتى دخل في الشتاء والمعنى لما كبر الحمل في بطنها وتحرك وصارت ثقيلة دعوا الله ربهما يعني آدم وحواء الله تعالى عند
كبر الولد في بطنها لئن آتيتنا صالحا اي اعطيتنا ولدا صالحا عن ابي مسلم وقيل نسلا صالحا اي معافى سليما صحيح الخلقة عن الجبائي وقيل
بشرا سويا عن ابن عباس وقيل غلاما ذكرا عن الحسن لنكونن من الشاكرين لنعمتك علينا قال الجبائي فانما قالا ذلك لانهما
ارادا ان يكون لهما اولاد يونسهما في الموضع الذي كانا فيه لانهما كانا فردين مستوحشين وكان اذا غاب احدهما عن الآخر
بقي الآخر مستوحشا بلا مونس ويحتمل ايضا ان يكونا ارادا بقوله صالحا مطيعا فاعلا للخير مصلحا غير مفسد فلما آتاهما صالحا
كما التمساه جعلا له شركاء فيما آتاهما واختلف فيمن يرجع الضمير الذي في جعلا له على وجوه احدها انه يرجع الى النسل الصالح
اي المعافى في الخلق والبدن لا في الدين وانما ثنى لان حواء كانت تلد في كل بطن ذكرا وانثى يعني ان هذا النسل الذي
هو ذكر وانثى جعلا له شركاء فيما اعطاهما من النعمة فاضافا تلك النعم الى الذين اتخذوهم آلهة مع الله من الاصنام والاوثان

عن الجبائي وثانيها انه يرجع الى النفس وزوجها من ولد آدم لا الى آدم وحوا عن الاصم وقتادة وهو قول الاصم قال
ويكون المعنى في قوله خلقكم من نفس واحدة خلق كل واحد منكم من نفس واحدة ولكل نفس زوج هو منها اي
من جنسها كما قال سبحانه ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها فلما تغشى كل نفس زوجها حملت حملا
خفيفا وهو ماء الفحل فلما اثقلت بمصير ذلك الماء لحما ودما وعظما دعا الرجل والمرأة ربهما لئن آتيتنا صالحا اي ذكرا سويا
لنكونن من الشاكرين وكانت عادتهم ان يئدوا البنات فلما آتاهما يعني الذكر والانثى صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما لانهم كانوا
يسمون عبد العزى وعبد اللات وعبد مناف ثم رجع الكناية الى جميعهم في قوله فتعالى الله عما يشركون فالكناية في جميع
ذلك غير متعلقة بآدم وحوا اذ لو كانت متعلقة بهما لقال عما يشركان وقال ابو مسلم تقدير الآية هو الذي خلقكم والخطاب
لجميع الخلق من نفس واحدة يعني آدم وجعل منها من ذلك النفس زوجها وهي حوا ثم انقضى حديث آدم وحوا وخص بالذكر
المشركين من اولاد آدم الذين سألوا وجعلوا له شركاء فيما آتاهما قال ويجوز ان يذكر العموم ثم يخص البعض بالذكر ومثله
كثير في الكلام قال سبحانه هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة فخاطب الجماعة بالتسيير
ثم خص راكب البحر بالذكر وكذلك هذه الآية اخبرت عن جملة البشر بانهم مخلوقون من آدم وحوا ثم عاد الذكر الى الذي سأل الله
تعالى ما سأل فلما اعطاه اياه ادعى له الشركاء في عطيته قال وجائز ان يكون عنى بقوله هو الذي خلقكم من نفس واحدة
المشركين خصوصا اذ كان كل واحد من بني آدم مخلوقا من نفس واحدة وزوجها وذكر قريبا من قول الاصم قال وقد يجي
مثله في التنزيل وغيره قال سبحانه والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا باربعة شهداء فاجلدوهم والمعنى فاجلدوا كل واحد
منهم وثالثها ان الضمير يرجع الى آدم وحوا ولكن التقدير في قوله جعلا له شركاء جعل اولادهما له شركاء فحذف المضاف
واقيم المضاف اليه مقامه فصار جعلا وهذا مثل قوله سبحانه اتخذتم العجل واذ قتلتم نفسا والتقدير واذ قتل اسلافكم
نفسا واتخذ اسلافكم العجل فحذف المضاف وعلى هذا الوجه تكون الكناية من اول الكلام الى آخره راجعة الى
آدم وحوا ويعضده قوله تعالى فتعالى الله عما يشركون ورابعها ما رواه العامة انه يرجع الى آدم وحوا وانهما جعلا لله شريكا
في التسمية وذلك انهما كانا لا يولد لهما ولد فأتاهما ابليس ولم يعرفاه فشكوا اليه فقال لهما ان اصلحت حالكما حتى يولد لكما اتسمانه
باسمي قالا نعم وما اسمك قال الحارث فولد فسماه عبد الحارث ذكره ابن فضال وقيل ان حوا اول ما حملت فأتاها ابليس
في غير صورته فقال لها يا حوا ما يؤمنك ان يكون في بطنك بهيمة فقالت لآدم لقد اتاني آت فاخبرني ان الذي في
بطني بهيمة واني لاجد له ثقلا فلم يزالا في هم من ذلك ثم اتاها فقال ان انا سألت الله تعالى ان يجعله خلقا سويا مثلك
ويسهل عليك خروجه اتسميه عبد الحارث ولم يزل بها حتى غرها فسمته عبد الحارث برضا آدم وكان اسم ابليس عند الملائكة
الحارث وهذا الوجه بعيد تأباه العقول وتنكره فان البراهين الساطعة التي لا يصح فيها الاحتمال ولا يتطرق اليها
المجاز والاتساع قد دلت على عصمة الانبياء فلا يجوز عليهم الشرك والمعاصي وطاعة الشيطان فلو لم نعلم تأويل الآية لعلمنا
على الجملة ان لها وجها يطابق دلالة العقل فكيف وقد ذكرنا الوجوه الصحيحة الواضحة في ذلك على ان الرواية الواردة في
ذلك قد طعن العلماء في سندها بما هو مذكور في مواضعه ولا يحتاج الى ابانته فان الآية تقتضي انهم اشركوا الاصنام التي
تخلق ولا تخلق لقوله ايشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون وفي خبرهم انهما اشركا ابليس اللعين فيما ولد لهما بان سمياه
عبد الحارث وليس في ظاهر الآية لابليس ذكر وحكى البلخي عن جماعة من العلماء انهم قالوا لو صح الخبر لم يكن في ذلك الا اشراكا
في التسمية وليس ذلك بكفر ولا معصية واختاره الطبري وروى العياشي في تفسيره عنهم عليهم السلام انه كان شركهما شرك
طاعة ولم يكن شرك عبادة وقوله ايشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون وهو توبيخ وتعنيف للمشركين بانهم يعبدون مع الله
جمادا لا تخلق شيئا من الاجسام ولا تستحق العبادة وهم مع ذلك مخلوقون محدثون ولهم خالق خلقهم وان خرج الكلام مخرج

الاستفهام ولفظ ما انما يستعمل فيما لا يعقل فدل ذلك على ان المراد بقوله جعلا له شركاء انهم اشركوا الاصنام مع الله تعالى لا ما
ذكروه من اشراك ابليس وانما قال وهم يخلقون على لفظ العقلاء وان كان الاصنام جمادا لانه اراد به الاصنام والعابدين
لها جميعا فغلب ما يعقل على ما لا يعقل ويجوز ان يكون على انهم يعظمونها تعظيم من يعقل ويصورونها على صورة من يعقل
فكنى عنهم كما يكنى عن العقلاء كقوله والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين ولا يستطيعون لهم نصرا اي يشركون به ويعبدون
من لا يستطيع نصر عابديه ولا نصر نفسه بان يدفع عن نفسه من اراد به الضرر ومن هذه صورته فهو في غاية العجز فكيف يكون
آلها معبودا وان تدعوهم الى الهدى لا يتبعوكم قيل معناه وان تدعوا الاصنام التي عبدوها الى الهدى فانه لا تقبل
الهدى عن ابي علي الجبائي بين بذلك ضعف امرها بانها لا تهدي غيرها ولا تهتدي بانفسها وان دعيت الى الهدى
وقيل معناه ان دعوتم المشركين الذين اصروا على الكفر الى دين الحق لم يؤمنوا وهو نظير قوله سواء عليهم أأنذرتهم ام لم تنذرهم
لا يؤمنون عن الحسن سواء عليكم أدعوتموهم ام انتم صامتون اي سواء عليكم دعاؤكم والسكوت عنهم وانما قال ام انتم
صامتون ولم يقل ام صمتم ليكون في مقابلة أدعوتموهم ليفيد الماضي والحال فان المقابلة كانت تدل على الماضي
فحسب وصورة اللفظ تدل على معنى الحال ومثل قول الشاعر سواء عليك الفقر ام بت ليلة باهل القباب من عمير بن عامر
قوله عز وجل ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين الهم
ارجل يمشون بها ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم آذان يسمعون بها قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون
فلا تنظرون آيتان القراءة قرأ ابو جعفر وحده يبطشون هنا وفي القصص والدخان بضم الطاء والباقون بكسرها
وقرأ هشام ويعقوب بكيدوني بياء في الوقف والوصل ووافقهما ابو جعفر وابو عمرو واسمعيل في الوصل والباقون
بغير ياء في الحالين وقرأ تنظروني بياء في الحالين يعقوب اللغة بطش يبطش ويبطش والكسر افصح قال ابو علي الفواصل
من الكلام التام تجري مجرى القوافي لاجتماعها في ان الفاصلة آخر الآية كما ان القافية آخر البيت وقد الزموا في
القوافي حذف هذه الياآت قال الاعشى فهل يمنعني ارتيادي البلاد من حذر الموت ان يأتين والياء التي هي لام
كذلك نحو قوله يلمس الاحلاس في منزله بيديه كاليهودي المصل ومن اثبت فلان الاصل الاثبات المعنى ثم احتج سبحانه
على المشركين بقوله ان الذين تدعون من دون الله يعني الاصنام يريد تدعونهم آلهة عباد امثالكم اي مخلوقة امثالكم عن
الحسن وقيل مملوكون امثالكم عن الكلبي وقيل امثالكم في التسخير اي انهم مسخرون مذللون لامر الله عن الاخفش لما كانت
الاصنام غير ممتنعة مما يريد الله به كانت في معنى العباد فان التعبيد التذليل وطريق معبد موطوء مسلوك ومنه قوله
تلك نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرائيل اي ذللتهم واتخذتهم ضروبا من الخدم فادعوهم هذا الدعاء ليس الدعاء
الاول والمراد به فادعوهم في مهماتكم ولكشف الاسواء عنكم فليستجيبوا لكم هذه لام الامر على معنى التعجيز والتعجيب كما قال
فأتوا برهانكم ان كنتم صادقين قال ابن عباس معناه فاعبدوهم هل يثيبونكم او يجازونكم ان كنتم صادقين ان
لكم عندها منفعة وثوابا او شفاعة ونصرة ثم فضل سبحانه بني آدم عليهم فقال الهم ارجل يمشون بها اي لهؤلاء الاصنام ارجل
يمشون بها في مصالحكم ام لهم ايد يبطشون اي يأخذون بها ويدفعون عنكم ومعنى البطش التناول والاخذ بشدة ام
لهم اعين يبصرون بها ام لهم آذان يسمعون بها اي ليس لهم هذه الحواس ولكم هذه الحواس فانتم افضل منهم فلو دعوتم
وعبدتم من لا حياة ولا نفع لما يلزمكم الذم واللوم بذلك لانها مخلوقة مربوبة فكيف تعبدون من انتم افضل منه ثم زاد سبحانه
في تعجيزهم فقال قل يا محمد ادعوا شركاءكم اي هذه الاوثان التي تزعمون انها آلهة وتشركونها في اموالكم تجعلون لها حظا
من المواشي وغيرها وتوجهون عبادتكم اليها اشراكا بالله ثم كيدوني بأجمعكم ولا تنظروني اي لا تؤخروني ومعناه عني ومعبودي
لا تقدر على نصركم فان قدرت على ضرر فاجمعوا انتم مع اصنامكم وتظاهروا على كيدي ولا تمهلوا في الكيد والضرار
فان معبودي يدفع كيدهم عني قوله عز وجل ان وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين والذين تدعون

من دونه لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا وتريهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون
آيتان المعنى ثم بين سبحانه بعد انه ناصر نبيه صلى الله عليه وآله وحافظه فامره ان يقول للمشركين ان وليي اي ناصري وحافظي
ودافع شركم عني الله الذي نزل الكتاب اي القرآن يؤيدني بنصره كما انزله علي وهو يتولى الصالحين اي ينصر المطيعين
المجتنبين معاصيه تارة بالدفع عنهم واخرى بالحجة والذين تدعون من دونه الآلهة لا يستطيعون نصركم اي لا يقدرون على
ان ينصروكم ولا ان يدفعوا عنكم ولا انفسهم ينصرون كرر هذا لان ما تقدم فانه على وجه التقريع والتوبيخ وما ذكره هنا
فانه على وجه الفرق بين صفة من يجوز له العبادة وصفة من لا يجوز له العبادة فكانه قال ان من اعبده ينصرني ومن
تعبدونه لا يقدر على نصركم ولا على نصر نفسه وان تدعوهم يعني ان دعوتم هؤلاء الذين تعبدونه من الاصنام الى الهدى
اي الى الرشد والمنافع عن الجبائي والفراء وقيل معناه وان دعوتم المشركين الى الدين عن الحسن لا يسمعوا اي
لا يسمعوا دعاءكم وتراهم فاتحة اعينهم نحوكم على ما صور يتوهم عليه من الصور قال الجبائي جعل انفتاح عيونهم في مقابلتهم نظرا منهم
اليهم مجازا لان النظر تقليب الحدقة الصحيحة نحو المرئي طلبا لرؤيته وذلك لا يتأتى في الجماد ويقال تناظر الحائطان اذا تقابلا
وقيل معناه لا تصلوا ومن سمع اسلمني جاه وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون الحجة يعني مشركي العرب عن الحسن والسدي
ومجاهد قوله تعالى خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ
بالله انه سميع عليم آيتان اللغة قدمنا ما قيل في العفو في سورة البقرة والعرف ضد النكر وصلة المعروف والعارفة
وهو كل خصلة حميدة تعرف صوابها العقول وتطمئن اليها النفوس قال الشاعر لا يذهب العرف بين الله والناس النزغ
الازعاج نزغه ينزغه نزغا وقيل النزغ الفساد ومنه نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي اي افسد قال الزجاج النزغ ادنى حركة وتكون
من الشيطان ادنى وسوسة المعنى لما امر سبحانه نبيه بالدعاء اليه وتبليغ رسالته علمه محاسن الافعال ومكارم الاخلاق
والخصال فقال خذ العفو اي خذ يا محمد ما عفا من اموال الناس اي ما فضل من النفقة فكان رسول الله صلى الله عليه وآله يأخذ
الفضل من اموالهم ليس فيها موقت ثم نزلت آية الزكاة فصار منسوخا بها لان هذه السورة مكية عن ابن عباس والسدي
والضحاك وقيل معناه خذ العفو من اخلاق الناس واقبل الميسور منها عن مجاهد والحسن ومعناه انه امره بالتساهل وترك
الاستقصاء في القضاء والاقتضاء وهذا يكون في الحقوق الواجبة لله وللناس وفي غيرها وهو في معنى الخبر المرفوع اذ اسنه
عبدا سمحا بايعا ومشتريا قاضيا ومقتضيا وقيل هو العفو في قبول العذر من المعتذر وترك المؤاخذة بالاساءة وقيل انه
لما نزلت هذه الآية سأل رسول الله جبرئيل عن ذلك فقال لا ادري حتى اسأل العالم ثم اتاه فقال يا محمد ان الله يأمرك ان تعفو
عمن ظلمك وتعطي من حرمك وتصل من قطعك وامر بالعرف يعني بالمعروف وهو كل ما حسن في العقل فعله او في الشرع ولم يكن
منكرا ولا قبيحا عند العقلاء وقيل بكل خصلة حميدة واعرض عن الجاهلين معناه واعرض عنهم عند قيام الحجة عليهم والاياس
من قبولهم ولا تقابلهم بالسفه صيانة لقدرك فان مجاوزة السفيه تضع عن القدر ولا يقال ان هذه الآية منسوخة بآية القتال
لانها عامة خص عنها الكافر الذي يجب قتله بدليل قال ابن زيد لما نزلت هذه الآية قال النبي صلى الله عليه وآله كيف يا رب
والغضب فنزل قوله واما ينزغنك من الشيطان نزغ ومعناه يا محمد ان نالك الشيطان بوسوسة ونخسة في القلب
بما يسول للانسان وقيل معناه وان عرض لك من الشيطان عارض عن ابن عباس وقيل معناه وان نزغك الشيطان عن
شيء مما امرتك به من هذه الاشياء فاستعذ بالله اي سل الله عز اسمه ان يعيذك منه انه سميع للمسموعات عليم بالخفيات وقيل سميع
لدعائك عليم بما عرض لك وقيل النزغ اول الوسوسة والمس لا يكون الا بعد التمكن ولذلك فصل الله سبحانه بين النبي وغيره فقال للنبي
واما ينزغنك وقال للناس اذا مسهم طائف من الشيطان قوله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا
فاذا هم مبصرون واخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون واذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها قل انما اتبع ما يوحى
الي من ربي هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ثلاث آيات القراءة قرأ اهل البصرة وابن كثير والكسائي طيف

بغير الف وهو قراءة النخعي والاسود بن يزيد وقرأ الباقون طائف بالالف وقرأ اهل المدينة يمدونهم بضم الياء وكسر الميم
والباقون بفتح الياء وضم الميم وفي الشواذ عن الجحدري يمادونهم وعن عيسى بن عمر يقصرون بفتح الياء وضم الميم وفي الشواذ
عن الجحدري يمادونهم وعن عيسى بن عمر يقصرون بفتح الياء وضم الصاد الحجة الطيف مصدر طاف الخيال يطيف طيفا
اذا الم به في المنام فمعناه اذا مسهم خطرة من الشيطان ويكون الطائف بمعناه فطيف كالخطرة وطائف كالخاطر ... الطيف
اكثر في ... لطيف الخيال ارقني ... وقال الاعشى ... عن غب السرى وكانما الم بها من طائف
الجن اولق وقال ابو علي عامة ما جاء في التنزيل فيما يحمد ويستحب امددت على افعلت كقوله انما نمدهم به من مال وبنين
وامددناهم بفاكهة ... وما كان بخلافه على مددت فيمدهم في طغيانهم فهذا يدل على ان
الوجه فتح الياء كما ذهب اليه الاكثر والوجه في قراءة من قرأ بالضم انه مثل فبشرهم بعذاب اليم فسنيسره للعسرى
والله اعلم ويمادونهم يفاعلونهم ... وقصر يقصر لغة في اقصر يقصر ويقال اقصر عنه اذا نزع عنه وهو قادر
عليه اذا ضعفت عنه اللغة المسوس الذي به مس جنون والممسوس من المياه ما نالته الايدي والاجتباء افتعال من الجباية
ونظيره الاصطفاء وهو استخلاص الشيء للنفس قال علي بن عيسى اصله الاستخراج ومنه جباية الخراج واصله الجمع من جبيت
الماء في الحوض والحوض جابية لجمعها الماء قال الفراء اجتبيت الكلام واختلقته وارتجلته اذا افتعلته من قبل نفسك
قال ابو عبيدة واخترعته مثل ذلك قال ابو زيد هذه الحروف تقول العرب للكلام الذي يهيئه الرجل ولم يكن
اعده قبل ذلك في نفسه والبصائر والبراهين والحجج جمع بصيرة والبصائر ايضا طرائق الدم قال الاسعر الجعفي راحوا
بصائرهم على اكتافهم وبصيرتي يعدو بها عتد وأي والبصيرة الترس جمعها بصائر قال الزجاج وجميع هذا معناه
ظهور الشيء وبيانه الاعراب اذا الاولى ظرف الزمان ويكون الفاء بمنزلة الجزاء واذا الثانية ظرف مكان بمعنى
المفاجاة كقولك خرجت فاذا زيد المعنى ثم ذكر سبحانه طريقة المتقين اذا عرضت لهم وساوس الشيطان فقال ان
الذين اتقوا اجتناب معاصيه اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا اي معناه اذا وسوس اليهم الشيطان
واغواهم بمعاصيه تذكروا ما عليهم من العقاب بذلك فيجتنبوه ويتركوه وهو معنى قول ابن عباس والسدي
وقال الحسن يعني اذا طاف عليهم الشيطان وساوسه وقال سعيد بن جبير هو الرجل يغضب الغضبة فيذكر فيكظم
غيظه وبه قال مجاهد وروي عنه ايضا انه قال هو الرجل يهم بالذنب فيذكر الله فيتركه وقيل الطيف الغضب
والطيف جنون وقيل معناهما واحد فاذا هم مبصرون للرشد واخوانهم يمدونهم في الغي معناه واخوان المشركين
من شياطين الجن والانس يمدونهم في الضلال والمعاصي اي يزيدونهم فيه ويزينون لهم ما هم فيه ثم لا يقصرون
ثم لا يكفون يعني الشيطان عن استغوائهم ولا يرحمونهم عن مجاهد وقتادة وقيل معناه واخوان الشياطين من الكفار
يمدهم الشياطين في الغي ولا يقصر هؤلاء مع ذلك كما يقصر الذين اتقوا عن ابن عباس والسدي والجبائي وقيل معناه
ثم لا يقصر الشيطان عن اغوائهم ولا يقصرون هم عن ارتكاب الفواحش واذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها معناه
انك يا محمد اذا جئتهم بآية كذبوا بها واذا ابطأت عنهم يتقوحونها ويقولون هلا جئتنا بها من قبل نفسك فليس
كل ما تقوله وحي من السماء عن قتادة ومجاهد والزجاج وقيل معناه اذا لم تأتهم بآية مقترحة قالوا هلا اخترتها من قبل
نفسك فسألت ربك ان يأتيك بها عن ابن عباس والجبائي وابي مسلم قل يا محمد لهم انما اتبع ما يوحى الي من ربي اي لست
آتي بالآيات من عندي وانما يفعلها الله تعالى ويظهرها على حسب ما يعلم من المصلحة في ذلك لا بحسب اقتراح الخلق وانما
اتبع الوحي ولا اتعداه وليس لي ان اسأله انزال الآيات الا بعد اذنه لي في السؤال هذا بصائر من ربكم اي هذا القرآن
دلائل ظاهرة وحجج باهرة وبراهين ساطعة من ربكم يبصر الانسان بها امور دينه وهدى ورحمة اي دلالة تهدي الى الرشد
ونعمة في الدين والدنيا لقوم يؤمنون خص المؤمنين بالذكر لانهم المنتفعون بها دون غيرهم من الكفار وفي هذه الآية
دلالة على ان افعال النبي صلى الله عليه وآله واقواله تابعة للوحي وانه لا يجوز ان يعمل بالرأي به العباس النظم قيل ان هذه

الآية اتصلت بقوله يسالونك عن الساعة وتقديره يسالونك عن الآيات فاذا قرأناها بها قالوا لولا اجتبيتها عن
ابي مسلم وقيل اتصلت بما قبلها من قوله واخوانهم يمدونهم ومعناه يمدونهم في الضلالة واذا قرأناهم بآية يسالونك
فقل لولا كذا اقول عز وجل واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة
ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته
ويسبحونه وله يسجدون اللغة الانصات السكوت مع استماع قال ابن الاعرابي نصت وانصت اي سكت
استمع الحديث وسكت وانصته وانصت له وانصت الرجل سكت وانصت غيره عن الازهري والآصال جمع اصل واصل
جمع اصيل فالجمع لا جمع الجمع وتصغيره اصيلان على ابدال النون ومعناه العشيا وهو ما بين العصر الى غروب الشمس
تضرعا وخيفة مصدران وضعا موضع الحال اي متضرعين وخائفين ودون الجهر عطف عليه فيجب ان يكون في موضع
الحال اي وغير رافعين اصواتكم حتى تبلغ حد الجهر ثم امر الله سبحانه بالاستماع للقرآن عند قراءته فقال واذا قرئ القرآن
فاستمعوا له وانصتوا اختلف في الوقت المامور بالانصات للقرآن والاستماع له فقيل انه في الصلوة خاصة خلف الامام
الذي يؤتم به اذا سمعت قراءته عن ابن مسعود وسعيد بن جبير وسعيد بن المسيب ومجاهد والزهري وروى
ذلك عن ابي جعفر عليه السلم قالوا وكان المسلمون يتكلمون في صلوتهم ويسلم بعضهم على بعض واذا دخل داخل فقال
لهم كم صليتم اجابوه فنهوا عن ذلك وامروا بالاستماع وقيل انه في الخطبة امروا بالانصات والاستماع الى الامام
يوم الجمعة عن عطا وعمرو بن دينار وزيد بن اسلم وقيل انه في الخطبة والصلوة جميعا عن الحسن وجماعة قال الشيخ
ابو جعفر ره واقوى الاقوال الاول لانه لا حال يجب فيه الانصات لقراءة القرآن الا حال قراءة الامام في الصلوة فان
على المأموم الانصات والاستماع لها فاما خارج الصلوة فلا خلاف ان الانصات والاستماع غير واجب وروي
عن ابي عبد الله ع انه قال يجب الانصات للقرآن في الصلوة وغيرها وذلك على وجه الاستحباب وفي كتاب العياشي
باسناده عن ابي كهمس عن ابي عبد الله ع قال قرأ ابن الكوا خلف امير المؤمنين لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من
الخاسرين فانصت امير المؤمنين وعن عبد الله بن ابي يعفور عن ابي عبد الله قال قلت له الرجل يقرأ القرآن
ايجب على من سمعه الانصات والاستماع قال الزجاج ويجوز ان يكون فاستمعوا له وانصتوا اي اعملوا بما فيه ولا تجاوزوا
لان معنى قول القائل سمع الله دعاك واجاب الله دعاك لان الله سميع عليم وقال الجبائي انها نزلت في ابتداء التبليغ
ليعلموا ويتفهموا وقال احمد بن حنبل اجمعت الامة على انها نزلت في الصلوة لعلكم ترحمون اي لترحموا بذلك باعتباركم
به واتعاظكم بمواعظه واذكر ربك في نفسك خطاب للنبي صلى الله عليه وآله والمراد به عام وقيل هو خطاب لمستمع القرآن
والمعنى واذكر ربك بالكلام من التسبيح والتهليل والتحميد وروى زرارة عن احدهما عليهما السلم قال معناه اذا
كنت خلف امام تأتم به فانصت وسبح في نفسك يعني فيما لا يجهر الامام فيه بالقراءة وقيل معناه واذكر نعم ربك
بالتفكر في نفسك وقيل اراد بالذكر في نفسك بصفاته العليا واسمائه الحسنى تضرعا وخيفة بمعنى تضرع وخوف يعني على
التضرع والخوف من الله تعالى اقرب الى الاجابة وانما خص الذكر بالنفس لانه ابعد من الرياء عن الجبائي ودون الجهر
من القول معناه ارفعوا اصواتكم قليلا فلا تجهروا بها جهارا بليغا حتى يكون عدلا بين ذلك كما قال ولا تجهر بصلوتك ولا تخافت
بها وقيل انه امر للامام ان يرفع صوته للصلوة بالقراءة مقدار ما يسمع من خلفه عن ابن عباس بالغدو والآصال
اي بالغدوات والعشيات عن قتاده والمراد به دوام الذكر واتصاله وقيل انما خص هذين الوقتين لانهما حال فراغ عن
طلب المعاش فيكون الذكر فيهما الصق بالقلب ولا تكن من الغافلين عما امرتك به من الدعاء والذكر وقيل ان الآية
متوجهة الى من امر بالاستماع للقرآن والانصات وكانوا اذا سمعوا القرآن رفعوا اصواتهم بالدعاء عند ذكر الجنة والنار
عن ابن زيد ومجاهد وابن جريج قال الجبائي وفي الآية دليل على ان الذين يرفعون اصواتهم عند الدعاء ويجهرون به مخطئون
وعلى خلاف الصواب ثم ذكر سبحانه ما يبعث الى الذكر ويدعو اليه فقال ان الذين عند ربك وهم الملائكة عن الحسن وغيره

لا يستكبرون عن عبادته معناه انهم مع جلالة قدرهم وعلو امرهم يعبدون الله ويذكرونه وفايدته انكم ان استكبرتم
عن عبادته فمن هو اعظم حالا منكم لا يستكبر عنها وانما قال عند ربك تشريفا للملائكة باضافتهم الى نفسه ولم يرد به قرب
المكان تعالى الله عن ذلك وتقدس وقيل معناه انهم في المكان الذي شرفه الله تعالى ولا يملك عليهم الحكم الا الله
تعالى بخلاف البشر كما تقول عند الامير كذا وكذا من الجند والمراد انهم في حكمه وتحت امره وعند فلان كذا من
المال ولا يراد به ان ذلك بحضرته وقال الزجاج من قرب من رحمة الله وفضله فهو عند الله اي هو قريب من تفضله واحسانه
ويسبحونه اي ينزهونه عما لا يليق به وله يسجدون اي يخضعون وقيل يصلون وقيل يسجدون في الصلوة عن الحسن ولا خلاف
ان هنا سجدة وهي اول سجدات القرآن واختلف في سجدة التلاوة هل هي واجبة فعند ابي حنيفة واجبة وعند
الشافعي سنة موكدة واليه ذهب اصحابنا هي مدنية عن ابن عباس وقتاده غير سبع آيات نزلن بمكة
واذ يمكر بك الذين كفروا الى آخرهن وقيل نزلت باسرها في غزاة بدر عن الحسن وعكرمة عدد آيها هي سبعون وست
آيات شامي ست حجازي بصري خمس كوفي اختلافها ثلث آيات ثم يغلبون بصري شامي مفعولا الاول غير الكوفي بنصره
وبالمؤمنين غير البصري فضلها ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال من قرأ سورة الانفال وبراءة فانا شفيع
له وشاهد يوم القيمة انه بريء من النفاق واعطي من الاجر بعدد كل منافق ومنافقة في دار الدنيا عشر حسنات
ومحي عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات وكان العرش وحملته يصلون عليه ايام حيوته في الدنيا وروى العياشي
باسناده عن ابي بصير عن ابي عبد الله عليه السلم قال من قرأ الانفال وبراءة في كل شهر لم يدخله نفاق ابدا وكان من
شيعة امير المؤمنين حقا ويأكل كل يوم القيمة من موائد الجنة معهم حتى يفرغ الناس من الحساب وعن محمد بن
مسلم عن ابي جعفر عليه السلم قال في سورة الانفال جدع الانوف تفسيرها لما اقتص الله سبحانه في سورة الاعراف
قصص الانبياء وختمها بذكر نبينا صلى الله عليه وآله افتتح سورة الانفال بذكره ثم ذكر ما جرى بينه وبين قومه فقال

تمت سورة الاعراف في يوم العاشر ذي قعدة
الحرام المطابق سنة ١٠٥٨ من الهجرة
المصطفوية صلى الله عليه
مسعود الله احمل
كاتبه [illegible]
[illegible]
[illegible]

تفسيرها

Süleyman... U. Kütüp...anesi
Hasan Hüsnü Pş.
Eski ... 45

Süleyman... U. Kütüp...anesi
Hasan Hüsnü Pş.
Eski ... 45